

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_232482

UNIVERSAL
LIBRARY

مكتبة

- ٥ المسئلة الاولى في بيان طريق اثبات نبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ١٣ المسئلة الاولى في بيان حقيقة الولي
- ١٥ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أن أهل الثواب لا يحصل لهم خوف في محفل القيامة
- ٥٠ (سورة هود عليه السلام وفيها المسائل الآتية)
- ٨٣ المسئلة الثانية في بيان صفة سفينة نوح عليه السلام
- ١٠٧ المسئلة الثالثة في بيان قصة ابراهيم عليه السلام مع ضيفه
- ١٤٩ (سورة يوسف عليه السلام وفيها من القصص ما لا يخفى)
- ٢٥٨ (سورة الرعد وفيها المسائل الآتية)
- ٢٥٩ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال باحوال السموات على وجود الصانع
- ٢٦٢ الكلام في الاستدلال بخلق الارض وأحوالها على وجود الصانع
- ٢٦٤ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال بعجائب خلق النبات على وجود الصانع
- ٢٦٦ المسئلة الاولى في بيان أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث لاجل الاتصالات الفلكية
- ٢٧٩ المسئلة الثالثة في بيان الاستدلال بحدوث البرق والسحاب والرعد على قدرة الله تعالى وحكمته
- ٢٨٥ المسئلة الاولى في بيان استدلال أهل السنة على مسئلة خلق الافعال
- ٢٨٦ المسئلة الثانية في بيان انه هل يجوز أن يطلق عليه تعالى اسم الشيء أم لا
- ٢٨٦ المسئلة الثالثة في بيان استدلال المعتزلة على قولهم ان الله تعالى علم بذاته لا بالعلم
- ٢٩٧ الكلام في بيان شبهات منكرى النبوة والجواب عليها
- ٣١٠ المسئلة الخامسة في ابطال استدلال الرافضة على قولهم ان البداء جائز على الله تعالى
- ٣١٢ الكلام في بيان الاستدلال على نبوته عليه الصلاة والسلام
- ٣١٣ (سورة ابراهيم عليه السلام وفيها المسائل الآتية)
- ٣١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على قولهم ان أفعال الله تعالى معللة بالاعراض
- ٣١٤ المسئلة الرابعة في بيان استدلال المعتزلة على ابطال القول بالجبر
- ٣١٧ المسئلة الثالثة في بيان استدلال أهل السنة على أن الخالق لا أفعال العباد هو الله تعالى

صحيحة

٣١٩ المسئلة الثانية في بيان استدلال بعض الناس على ان الملمات اصطلاحية

لاتوقيفية

٣١٩ المسئلة الثالثة في بيان استدلال العيسوية على أن محمدا مرسل الى العرب خاصة

٣١٩ المسئلة الرابعة في بيان استدلال أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله

تعالى

٣٢٨ المسئلة الثانية في بيان أن الفطرة الاولى شاهدة بوجود الصانع الحكيم

٣٣٠ المسئلة الرابعة في بيان استدلال أهل السنة على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير

توبة

٣٤٢ المسئلة الاولى في بيان استدلال المعتزلة على أن العبد خالق لافعال نفسه

٣٤٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أن الشيطان الاصلى هو النفس وفي بيان

حقيقتها

٣٥٤ الكلام في بيان الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المختار

٣٥٩ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الكفر والايان بخلق الله

تعالى

٢٧٨ (سورة الحجر وفيها المسائل الآتية)

٣٧٧ المسئلة الثانية في بيان استدلال أهل السنة على ان من قتل فهو ميت بأجله

٣٨١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على ان الله تعالى يخلق الباطل في قلوب

الكفار

٣٨٥ الكلام في الاستدلال بالاحوال السماوية على وجود الصانع المختار

٣٨٦ الكلام في الاستدلال بالاحوال الارضية على وجود الصانع المختار

٣٩٠ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على أن المعدوم شيء والجواب عنه

٣٩٢ الكلام في الاستدلال بحصول الاثياء والامانة لهذه الحيوانات على وجود

الصانع المختار

٣٩٣ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على أنه لا بد من انتهاء الناس الى انسان هو

أول الناس

٤٠٠ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على أن الكذب في غاية الحساسة

٤٢١ (سورة النحل وفيها المسائل الآتية)

٤٢٥ الكلام في بيان أن دلائل الالهيات هي التمسك بطريقة الامكان اما في الذات

أو في الصفات

٤٢٦ الكلام في الاستدلال على وجود الصانع بخلقه الانسان

صحيفة

٤٢٧ المسئلة الاولى في بيان وجه الاستدلال بأحوال النفس الانسانية على وجود الصانع

٤٢٨ المسئلة الثانية في بيان منافع الانعام

٤٢٩ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج المعتزلة على أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية

٤٣٠ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أنه تعالى ما شاء هداية الكفار
٤٣١ الكلام في بيان الاستدلال بمجائب أحوال النبات على وجود الصانع الحكيم المختار

٤٣٢ المسئلة الاولى في بيان الاستدلال على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث بآثار الطبائع

٤٣٣ الكلام في بيان الاستدلال على وجود الصانع بمجائب أحوال العناصر وفي بيان منافع البحار

٤٣٤ الكلام في ذكر بعض أهم النجى خلقها الله تعالى في الارض

٤٣٥ المسئلة الاولى في بيان ابطال عبادة غير الله تعالى

٤٣٦ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على أن العبد غير خالق لأفعال نفسه
٤٣٧ المسئلة الاولى في بيان أن العبد لا يمكنه الاتيان بالعبودية على سبيل التمام والكمال

٤٣٨ المسئلة الثانية في بيان أنه هل لله على الكافر نعمة أم لا

٤٣٩ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله تعالى

٤٤٠ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على قدم القرآن

٤٤١ المسئلة اثنائية في بيان الاستدلال على أنه تعالى ما ارسل أخدام من النساء ولا من الذلائكة

٤٤٢ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نقاة القياس على قولهم والجواب عنه

٤٤٣ المسئلة اثنائية في بيان استدلال القائلين بالقومية والجواب عنه

٤٤٤ المسئلة الرابعة في بيان استدلال من قال أن الملك أفضل من البشر

٤٤٥ المسئلة الاولى في بيان قوله لا تتخذوا الهين اثنين وفي تقرير ان الانبياء منافية للالهية

٤٤٦ المسئلة الثانية في بيان استدلال أهل السنة على أن الايمان حصل بخلق الله

٤٤٧ المسئلة الثانية في بيان استدلال المعتزلة على بطلان القول بالجبر وحواب أهل

السنة عنه

- ٤٧٦ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء والجواب عنه
 ٤٧٦ المسئلة الثانية في بيان الاحتجاج على أن الاصل في المضار الحرمة
 ٤٨١ المسئلة الثالثة في بيان كيفية هضم الاغذية ووصول منافعها الى الاعضاء
 ٤٨٢ المسئلة الرابعة في بيان اشتغال حدوث اللبن في الثدي على حكم عجيبية وأسرار بديعة
 ٤٨٤ المسئلة الخامسة في بيان الاستدلال بحدوث اللبن على امكان الحشمر والتشمر
 ٤٨٥ المسئلة الاولى في بيان ما يصدر من التحل من الاعمال العجيبة التي يعجز عنها البشر
 ٤٨٩ المسئلة الاولى في بيان مراتب عمر الانسان وفي استدلال الطبائعين على قولهم
 والجواب عنه

- ٤٩٧ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الفقهاء على أن العبد لا يملك شيئاً
 ٥٠٠ المسئلة الثالثة في بيان أقسام المعارف والعلوم
 ٥٠١ المسئلة الثانية في بيان الاستدلال بخلق الطير وتسخيرها في الجو على قدرة الله
 وحكمته

- ٥٠٨ المسئلة الاولى في بيان فضائل قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية
 ٥١٣ المسئلة الثالثة في اتفاق أهل السنة والمعتزلة على ان تذكر الاشياء من فعل الله
 تعالى

- ٥٢٠ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الشافعي رضي الله عنه على ان القرآن لا ينسخ
 بالسنة

- ٥٢٠ الكلام في حكاية شبهة من شبهه منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتقرير
 الجواب عنها

- ٥٢٤ المسئلة الرابعة في بيان الاكراه الذي يجوز عنده التلفظ بكلمة الكفر
 ٥٢٤ المسئلة السادسة في بيان الاستدلال على انه لا يجب على المكره التكلم بكلمة الكفر
 ٥٢٥ المسئلة الثامنة في بيان ما يقبل الاكراه عليه من الافعال وما لا يقبل
 ٥٢٥ المسئلة العاشرة في بيان الاستدلال على أن محل الايمان هو القلب
 ٥٤٠ ❖ سورة بنى اسرائيل وفيها المسائل الاتية ❖

- ٥٤١ المسئلة الثانية في بيان الاختلاف في كيفية الاسراء
 ٥٤٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على قولهم في مسئلة القضاء والقدر
 ٥٦٠ المسئلة الثالثة في استدلال أهل السنة على أن وجوب شكر النعم لا يثبت بالعقل

بل بالسمع

- ٥٦٢ المسئلة الثانية في بيان استدلال أهل السنة على صحة مذهبهم في الارادة

- ٥٨١ المسئلة الثانية في بيان أن الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة
- ٥٨٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج نفاة القياس على قولهم والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على أن أعمال الله تعالى معللة بالأغراض والجواب عنه
- ٥٩٤ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على أنه تعالى ما أراد الإيمان من الكفار
- ٦١٧ الكلام في ذكر التعم التي بها فضل الإنسان على غيره
- ٦٢٦ المسئلة الثالثة في بيان احتجاج الصاعين في عصمة الانبياء والجواب عنه
- ٦٢٦ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أنه لا عصمة عن المعاصي
- الابتوفيق لله
- ٦٣١ المسئلة الخامسة في بيان فوائد قوله تعالى وقرآن الفجر الآية
- ٦٣٧ الكلام في بيان أن القرآن شفاء من الأمراض الروحية ومن الأمراض الجسمانية
- ٦٤٠ المسئلة الاولى في بيان المراد من الروح المذكورة في قوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية
- ٦٤١ المسئلة الثانية في ذكر سائر الأقوال المقولة في الروح المذكورة في هذه الآية
- ٦٤٣ المسئلة الثالثة في شرح مذاهب الناس في حقيقة الإنسان
- ٦٤٦ المسئلة الرابعة في شرح مذاهب القائلين بأن الإنسان جسم موجود في داخل البدن
- ٦٤٨ المسئلة الخامسة في بيان دلائل مثبتة النفس من جهة العقل
- ٦٥٤ المسئلة السادسة في إثبات أن النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية
- ٦٥٦ المسئلة الثانية في بيان احتجاج المعتزلة على قولهم بأن القرآن مخلوق والجواب عنه
- ٦٥٦ المسئلة الاولى في بيان كيفية انجاز القرآن
- ٦٦٤ المسئلة الثانية في بيان ما ذكر في القرآن من معجزات موسى عليه السلام
- ٦٧٢ (سورة الكهف وفيها المسائل الآتية)
- ٦٧٣ المسئلة الثالثة في بيان أنزال الكتاب نعمة على الرسول عليه الصلاة والسلام ونعمة علينا
- ٦٧٦ المسئلة الثانية في بيان الطوائف الذين أثبتوا الولد لله تعالى وفي إبطال مقالاتهم
- ٦٨٢ المسئلة السادسة في بيان احتجاج أهل السنة الصوفية على صحة القول بالكرامات
- ٦٩١ المسئلة السابعة في بيان الفرق بين الكرامات والاستدراج
- ٦٩٣ المسئلة الثامنة في بيان أن الولي هل يعرف كونه ولياً أم لا
- ٧٠٤ المسئلة الثالثة في مذهب أهل السنة والمعتزلة في ارادة الأفعال وعدمها

- ٧٠٤ المسئلة الرابعة في بيان احتجاج القائلين بان المعدوم شيء على قولهم والجواب عنه
 ٧٠٧ المسئلة الرابعة في بيان اختلاف الناس في زمان أهل الكهف وفي مكانهم
 ٧٠٨ المسئلة الخامسة في بيان أن مدار القول بالبعث والقيامة على أصول ثلاثة
 ٧١٠ المسئلة الاولى في بيان احتجاج أهل السنة على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل
 والغفلة

٧١٣ المسئلة الثانية في استدلال المعتزلة على ان الكفر والايمان والطاعة والمعصية
 مفوض الى العبد

- ٧١٣ المسئلة الثالثة في بيان فوائد قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
 ٧٢٥ المسئلة الثانية في بيان استدلال المشبهة على انه تعالى يحضر في المكان والجواب عنه
 ٧٤١ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على ان الاستطاعة لا تكون قبل الفعل
 ٧٤١ المسئلة الاولى في بيان احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء على قولهم والجواب عنه
 ٧٥٠ المسئلة الثانية في بيان ان ذا القرنين من هو وفي سبب تسميته بهذا الاسم
 ٧٥٢ المسئلة الثالثة في بيان أن ذا القرنين هل كان من الانبياء أم لا
 ٧٦٢ ﴿ سورة مريم عليها السلام وفيها المسائل الآتية ﴾
 ٧٧٧ القول في فوائد قصة زكريا عليه السلام
 ٧٩٨ المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على قدم كلام الله تعالى
 ٨٠٨ الكلام في تقرير احتجاج من طعن في عصمة الانبياء والجواب عنه

(تمت)

والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفناء في قوله تعالى (فاتبعوه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنباه عز وجل مستمعا للمنافع الدنيوية والدنيوية موجب لاتباعه أى اجاب (واتقوا) مخالفته (لعلكم ترجحون) بواسطة اتباعه والعمل به (أن تقولوا) علة لانزالنا المدلول عليه بلذكور لانفسه للزوم الفصل حينئذيين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصف كان أو خبرا أى أنزلنا كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لولم ننزله (انما أنزل الكتاب) الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم (على طائفتين) كائنتين (من قبلنا) وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتبا بينهما لانهما اللذان اشتهرا حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتغال على الاحكام لاسيما الاحكام المذكورة (وان كنا) ان هي المنخفضة من ان واللام فارقة بينهما وبين النافذة وضيمر الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي

العقل باتباع الحواس والوهم والانهما في التخليد واغتيال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان وانجمله تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر (وله) أى لله عز وجل خاصة (ماسكن في الليل والنهار) تزل اللوان منزلة المكان فمعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كافي قوله تعالى وسكنتهم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم والسكون مقابل الحركة والمراد ماسكن فيهما وتحركا فكفى باحد اضدين عن الآخر (وهو السميع) البالغ في سماع كل مسوع (العليم) البالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال (قل) لهم بعدما يكتمهم بما سبق من الخطاب (أغفروا الله أنخذوليا) أى معسودا بطريق الاستقلال أو الاشتراك وانما سادست الهمة على المفعول الاول لاعلى الفعل اذ انما بان المنكر هو اخذوا غير الله وليس لانخذاد الولي مطلقا كافي قوله تعالى أغفروا الله أبني ر باوقوله تعالى أغفروا الله أمر وفي أبعاد الخ (فاطر السموات والارض) أى مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يعسر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست بأجشية اذهى عاملة في عامل الموصوف أو ببل فان الفصل بينهما وبين المبدل منه أسهل لان البدن على نية ذكر را العامل وقرئ بارفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اخصم الى أعرايان في بر فقال أحدهما أنا فطرتهما أى ابتدأتهما (وهو بطم ولا بطم) أى يرزق الخلق ولا يرزق ويخصص الطعام بالذكرك لندسة الحاجة اليه أولا انه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان معنونهما مفرول وجوب اتخاذ سبحانه ونعالى وليا وقرئ ولا بطم يتبع الياء ويمكن القراءة الاولى أيضا على أن الضمير لغير الله والمعنى أشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على أن الثاني بمعنى يستعظم أو على معنى أنه بطم تارة ولا بطم أخرى كقوله تعالى يقبض ويبدط

الكفر أنوا أبا طالب قتالوا يا أبا طالب إخواني محمد ابهرد مواليينا وخضعنا ناهوهم
عبيدنا وعصفنا ونا كان أعظم في صدورنا ثم ألقى لربنا عينا إياه فأنقذنا أبو طالب إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فخذته بالندي كوه قتال عمر رضي الله عنه فقلت ذلك حتى تنظر
مالندي يريدون والى ما عبيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاءه الإفراج بن
حابس التيمي وعبيدة بن حصن الخزاعي وصلب بن مر داس وفروهم من الوثاقفة
قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالساً مع أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رآهم
حواله صلى الله عليه وسلم فحرقهم فأنه عليه الصلاة والسلام قتالوا يارسول الله أوجست
في صدر المسجد وفتحت عناهم ولاوارواح جبابهم جلالتك وحادثك وأخذنا عنك
قتال صلى الله عليه وسلم ما أبابهارد المؤمنين قالوا فأنجب أن نجعل لنا معك مجلساً نعرف
لنا به العرب فضلتنا فان وفود العرب تأتيك فتسبحي أن تراهم هؤلاء الاعيب مدافنا نحن
جئناك فأنهم عنا فأننا نحن فرضا فافقد معهم ان شئت قال صلى الله عليه وسلم نعم قالوا
فاكتب لنا كتاباً ففدنا بالعجف فقول بعل رضي الله عنه أكتب ونحن قوم في ناحية فنزل
جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالعجفة ودعانا فأتينا وجلسنا عنده وكنا
ندنونه حتى نرس ركبنا كرسبه وكان يقول دعنا إذا أراد القيام فنزلت وأصعب نفسك
مع الذين يدعون ربهم فزنا أقيام عناناً أن تقيم عنه وقال الحمد لله الذي لم يشي حتى
أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمي معكم الحيا ومكرم المكات والبراد يذكر الوقين
الدوام وقيل صلاة النحر والعصر وقرى بأفدوة وقوله تعالى (يريدون وجهه) حال
من يتغير يدعون أي يدعوته تعالى فخلصته له فيه وتقيده به نأ كيد عليته للتهى
فان الاخلاص من أقوى موجبات الاكرام المضاد للمرد وقوله تعالى (ما عليك
من حسابهم من شيء) اعتراض وسط بين التهي وجوابه تقر رآله ودفعاً لمساعي
يتوهم كونه مسوفاً لهم من أقاويل الصاعين في دينهم كدأب

وأنباؤه عبارة عما سيحق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد
وفي لغة الإباء ايدان بناية العظيم لما أن النبأ لا يطلق الا على خير عظيم الوضع
وجعلها على العقوبات الآجلة أو على ظهور الاسلام وطو كلته بإياه الآيات الآية
وسوف نأ كيد مضنون الجمله وتبره أي فسيأ بهم البتة وان تأخر مصداق إنباه
الشي الذي كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا في عواقبه وإنما قيل يستهزؤن
ايداناً بأن تكذبهم كان همونا بالاستهزاء كما أشير إليه ههنا على أن يراد بالآيات
الآيات القرآنية وهو الاظهر وأما أن أريد بهسا الآيات التكوينية فالله واخسلة
على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كآئه قبل كانوا مرضين
عن ترك الآيات فلا يجيب فقد فدلما بما هو أعظم منها ما هو أعظم من الاعراض
حيث كذبوا بالحق الذي هو أعظم الآيات ولا مسأخ قبل الآيات في ههنا الوجهه
على كلها أصلاً وأما ما قيل من أن المعنى أنهم لما كانوا مرضين عن الآيات كلها
كذبوا بالقرآن فما ينبغي تنزيهه للنزول عن أمثاله (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من
قرن) استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالإنباء التي سبق بها الوعيد وتقرير آياتها
بعلربق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير رؤية وهي عرقانية مستدعية لمقول
واحدكم استغفامية كانت أو خبرية معلة لها عن العمل مفيدة للتكبير سادة مع
ما في خبرها مسد مفقوتها منصوبة بأهلكنا على المقولية على أنها عبارة عن
الاشخاص ومن قرن عسير لها على أنه عبارة عن أهل عصر من الاعصار سموا
بذلك لافترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه الصلاة والسلام خبر القرون قرني
ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاق محذوف أي
من أهل قرن وأما اتصافها على المصدرية أو على النظرية على أنها عبارة عن
المصدر أو عن الزمان فتعصف ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعاقبة بأهلكنا أي ألم
يعرفوا ببنائة الآثار وسماح الاخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة

الجزء الخامس من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير
الكبير الامام محمد الرازي فخر الدين
ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري
نفع الله به المسلمين
آمين

م
* (و بهامشه تفسير العلامة أبي السعود) *

(وَيَسْتَبِثُونَكَ) أى يستنبطونك فيقولون على طريقة الاستهزاء أو الإنكار (أحق هو) أحق خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه لحق أو مبتدأ أو الضمير من تفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب

١١٩٤ هـ

يستنبتونك وقرئ الحق

هو نعر يضابانه باطل كانه قيل أهو الحق لا اباطل أو أهو الذى سميتوه الحق (قل) لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضبا عما قصدوا وبانيا للامر على أساس الحكمة (اى وري) اى من حروف الابتاج بمعنى نعم فى القسم خاصة كما أنزل بمعنى قدنى الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه (انه) أى العذاب الموعود (الحق) لثابت البتة أكد

الجواب بأنهم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تفريرا وتحقيرا بقوله عز اسمه (وما أنتم بمعجزين) أى بفنائين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لاحالة وهو اما معطوف على جواب القسم أو مستأنف سبق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور (ولوان لكل نفس ظلمت بالشرك أو التعدي على العبر أو غير ذلك من أصنام الظلم ولومرة حسمها يفده كون الصفة فعلا (ما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى (وَيَسْتَبِثُونَكَ أَحق هو قل اى وري انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) اعلم انه سبحانه أخبر عن الكفار بقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين واجاب عنه بما تقدم فحكى عنهم انهم رجعوا الى الرسول مرة أخرى فى عين هذه الواقعة وسألوه عن ذلك السؤال مرة أخرى وقالوا أحق هو واعلم ان هذا السؤال جهل محض من وجوه (أولها) انه قد تقدم هذا السؤال مع الجواب فلا يكون فى الاعادة فائدة (وثانيها) انه تقدم ذكر الدلالة العقلية على كون محمد رسولا من عند الله وهو بيان كون القرآن معجزا واذا صحت نبوته لزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه فهذه المعاني توجب الاعراض عنهم وترك الالتفات الى سوء الهمة واختلافوا فى الضمير فى قوله أحق هو قيل أحق ما جئنا به من القرآن والنبوة والشرايع وقيل ما تعدنا من البعث والقيامة وقيل ما تعدنا من نزول العذاب علينا فى الدنيا ثم انه تعالى أمره ان يحجهم بقوله قل اى وري انه لحق والقاعدة فيه أمور (أحدها) ان يستبيلهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر ان من أخبر عن شئ وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الزل وادخله فى باب الجدد (وثانيها) ان الناس طبقات فمنهم من لا يقرب الى شئ الا بالبرهان الحقيق ومنهم من لا يتفهم البرهان الحقيق بل يتفهم بالاشياء الاقناعية نحو القسم فان الاعرابى الذى جاء الرسول عليه السلام وسال عن نبوته ورسالته اكنفى فى تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذلك ههنا ثم انه تعالى أكد ذلك بقوله وما أنتم بمعجزين ولا بد فيه من تقدير محذوف فيكون المراد وما أنتم بمعجزين

فى الارض) أى ما فى الدنيا من خرائطها وأهوالها ومنافعها فاطبة بما كثرت (لافتدت به) أى جعلته فدية لها * لمن من العذاب من افتد به فداءه (وأسروا) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس والمدلول الى صيغة الجمع مع تحقيق العزم فى صورة الافراد أيضا لفائدة تمويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق

يؤخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس واثار صيغة جمع المذكر لعل لفظ النفس على الشخص
ولتعلب ذكوره مدلوله على انائه (الندامة) على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهرها لکن لا للاصطبار والتجلد
هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا (لما رأوا العذاب) أي عند معانيهم من فطاعة الحال وشدة الاهوال
بالم يكونوا يحسبون فيقدروا على أن ينطقوا ﴿ ٣ ﴾ بشي فلما بعثي حين منصوب بأسروا وأحرق شرط حذف

جوابه لدلالة ما تقدم
عليه وقيل أسرها
رؤساؤهم ممن أضلوه
حياء منهم وخوفامن
توبخهم ولكن الامر أشد
من أن يعترفهم هناك شي
غير خوف العذاب وقيل
أسروا الندامة اخلصوها
لان اسرارها اخلصها
أولان سرالشي خالصته
حيث تخفى مويضن بها
ففيه تهكم بهم وقيل
اظهروا الندامة من
قولهم سرالشي وأسره
إذا أظهره حين عيل
صبره وفني تجلده (وقضى
بينهم) أي أوقع القضاء
بين الظالمين من المشركين
وغيرهم من أصناف
أهل الظلم بأن أظهر
الحق سواء كان من
حقوق الله سبحانه أو
من حقوق العباد من
الباطل وعمول أهل
كل منهما بما يليق به
(بالقسط) بالعدل
وتخصيص الظلم بالعدى
وحل القضاء على مجرد
الحكومة بين الظالمين

لمن وعدم كالعذاب إن يزله عليكم والغرض منه التنبيه على أن أحدا لا يجوز أن يمانع
ربه ويدافعه عما أراد وقضى ثم انه تعالى بين ان هذا الجنس من الكلمات انما يجوز
عليهم ماداموا في الدنيا فاما اذا حضروا محفل القيامة وعانوا قهر الله تعالى واثار
عظمته تركوا ذلك واشغلوا بأشياء أخرى ثم انه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء (أولها) قوله
ولو ان لكل نفس ظلت ما في الارض لافتدت به الا ان ذلك متعذر لانه في محفل القيامة
لا يملك شيئا كما قال تعالى وكلهم آتية يوم القيامة فردا وبتقدير ان يملك خزان الارض
لا يتفقه الغداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال في صفة هذا اليوم
لا يبع فيه ولا خلعة ولا شفاعة (وثانيها) قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب واعلم
ان قوله وأسروا الندامة جاء على لفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلية الا انها
لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي واعلم ان الاسرار هو الاخفاء
والاظهار وهو من الاضداد أما ورود هذه اللفظة بمعنى الاخفاء فظاهر وأما ورودها
بمعنى الاظهار فهو من قولهم سرالشي وأسره اذا أنلهره اذا عرفت هذا فتقول من الناس
من قال المراد منه اخفاء تلك الندامة والسبب في هذا الاخفاء وجوه (الاول) انهم لما
رأوا العذاب الشديد صاروا مهوتين متحيرين فلم يطيعوا عنده بكاء ولا صراخا سوى
اسرار الندم كالحال فيمن يذهب به ليلصق فانه يبقى مهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة (الثاني)
انهم أسروا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفامن توبخهم فان قيل ان
مهابة ذلك الموقف تمنع الانسان عن هذا التدبير فكيف قدموا عليه قلنا ان هذا الكتمان
انما يحصل قبل الاحتراق بالنار فاذا احترقوا تركوا هذا الاخفاء واظهروه بدليل قوله تعالى
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا (الثالث) انهم أسروا تلك الندامة لانهم اخلصوا لله في تلك
الندامة ومن اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم يعني انهم لما اتوا بهذا
الاخلاص في غير وقته لم ينفعهم بل كان من الواجب عليهم ان يأتوا به في دار الدنيا وقت
التكليف وأما من فسر الاسرار بالاظهار فقوله ظاهر لانهم انما اخفوا الندامة على
الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة وفي القيامة بطل هذا الغرض فوجب
الاظهار (وثالثها) قوله تعالى وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون فقبل بين المؤمنين
والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بالزال العقوبة عليهم واعلم
ان الكفار وان اشتروا في العذاب فانه لا بد وان يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يتمتع
أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وخانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب
بعضهم وتثقل لعذاب الباقين لان العدل يقتضى أن ينصف المظلومين من الظالمين
ولا سبيل اليه الا بأن يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين * قوله تعالى
(الان الله ما في السموات والارض والان وعد الله حق ولكن أ كثره لا يعلمون هو يحجي
ويثبت واليه ترجعون) اعلم ان من الناس من قال ان تعلق هذه الآية بما قبلها هو انه تعالى

والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن
للمشرك أو ما يدخل فيه دخولا أوليا (وهم) أي الظالمون (لا يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم
ولو ازمه الضرورية (الان الله ما في السموات والارض) أي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما
ممكنا فلهما وكلمة ما تطلب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرر لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء

و بيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا ﴿ ٤ ﴾ و اعدا ما واثابة و عقابا (الان وعد الله)

قال قبل هذه الآية ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لا فدت به فلاجرم قال في هذه الآية ليس للظالم شئ يفتدى به فان كل الاشياء ملك الله تعالى وملكه واعلم ان هذا التوجيه حسن اما الاحسن أن يقال ان اقد ذكرنا أن الناس على طبقات فبعضهم من يكون انتفاعه بالاقناعات أكثر من انتفاعه بالبرهانيات أما المحققون فانهم لا يلتفتون الى الاقناعات وانما تعويلهم على الدلائل البينة والبراهين القاطعة فلما حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا أحق هو أم الرسول عليه السلام بأن يقول اى و ربى وهذا جار مجرى الاقناعات فلما ذكر ذلك أتبعه بما هو البرهان القاطع على صحته وتقريره ان القول بالنبوة والقول بصحة المعاد يتفرعان على اثبات الاله القادر الحكيم وان كل ماسواه فهو ملكه وملكه فعبء عن هذا المعنى بقوله الان الله ما فى السموات والارض ولم يذكر الدليل على صحة هذه القضية لانه تعالى قد استقصى في تقرير هذه الدلائل فيما سبق من هذه السورة وهو قوله ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض وقوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل فلما تقدم ذكر هذه الدلائل القاطعة اكتفى بذكرها وذكر ان كل ما فى العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور فهو ما كد وملكه ومتى كان الامر كذلك كان قادرا على كل الممكنات علما بكل المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن النقائص والآفات فهو تعالى لكونه قادرا على جميع الممكنات يكون قادرا على ازالة العذاب على الاعداء فى الدنيا وفى الآخرة ويكون قادرا على ايصاله الرحمة الى الاولياء فى الدنيا وفى الآخرة ويكون قادرا على تأييد رسوله عليه السلام بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة ويكون قادرا على اعلاء شأن رسوله واطهار دينه وتقوية شرعه ولما كان قادرا على كل ذلك فقد بطل الاستهزاء والتجيب ولما كان منزها عن النقائص والآفات كان منزها عن الخلف والكذب وكل ما وعده فلا بد وان يقع هذا اذا قلنا انه تعالى لا يراعى مصالح العباد اما اذا قلنا انه تعالى يراعى فبقول الكذب انما يصدر عن العاقل المألجج أو البهمل أو اللجاجة ولما كان الحق سبحانه منزها عن الكل كان الكذب عليه محسالا فلما اخبر عن زول العذاب بهؤلاء الكفار وبحصول الحشر والنشر وجب القطع بوقوعه ثبت بهذا البيان ان قوله تعالى الان الله ما فى السموات والارض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله الان وعد الله حق ثم قال ولكن أكثرهم لا يعلمون والمراد انهم غافلون عن هذه الدلائل مغرورون بظواهر الامور فلا جرم بقوا محرومين عن هذه المعارف ثم انه أكد هذه الدلائل فقال ويحيى ويميت واليه ترجعون والمراد انه لما قدر على الاحياء فى المرة الاولى فاذا أماته وجب أن يبقى قادرا على احيائه فى المرة الثانية فظهر بما ذكرنا انه تعالى أمر رسوله بأن يقول اى و ربى ثم انه تعالى أتبع ذلك الكلام بذكر هذه الدلائل القاهرة واعلم ان فى قوله الان الله ما فى السموات والارض دققة اخرى وهى كلمة الاوذلك لان هذه الكلمة انما تذكر عند

اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والاشعار بعلو الحكم وهو ما يعنى الموعود أى جمع ما وعده كأنه ما كان فيندرج فيه العذاب الذى استجملوه وما ذكر فى أثناء بيان حاله انداراجا أو ليا أو بعناه المصدرى أى وعده بجميع ما ذكر فعنى قوله تعالى (حق) على الاول ثابت واقع لاحتماله وعلى الثانى مطابق للواقع وتصدير الجملتين بجرى التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهاما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبية على وجوب استحضاره والحفاظة عليه (ولكن أكثرهم) لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة (لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون (هو يحيى ويميت) فى الدنيا من غير دخل لاحد فى ذلك (واليه

تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين وأهل هذا العالم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيقولون البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو فيضيفون كل شيء الى مالك آخر والخلق لكونهم مستغرقين في نوم الجهل ورقدة الغفلة يظنون صحة تلك الاضافات فالحق نادى هؤلاء النائمين الغافلين بقوله ألا لله ما في السموات والارض وذلك لانه لما ثبت بالعقل ان ماسوى الواحد الاحد الحق ممكن لذاته وثبت ان الممكن مستند الى الواجب لذاته اما ابتداء او بواسطة فثبت ان ماسواه ملكه وملكه واذا كان كذلك فليس لغيره في الحقيقة ملك فلما كان أكثر الخلق غافلين عن معرفة هذا المعنى غير عالمين به لاجرم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يذكر هذا النداء لعل واحدا منهم يستيقظ من نوم الجهالة ورقدة الضلالة * قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء عليهم السلام أمران (الاول) أن تقول ان هذا الشخص قد ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقا وصدقا وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في هذه السورة وقرره على أحسن الوجوه في قوله وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا يرب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استعظم من دون الله ان كنتم صادقين وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية ما يقوى الدين ويورث اليقين ويزيل الشكوك والشبهات ويبطل الجهالات والضلالات (وأما الطريق الثاني) فهو أن نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق اليه وحملهم عليه وكانت لنفسه قوة قوية في نقل الناس من الكفر الى الايمان ومن الاعتقاد الباطل الى الاعتقاد الحق ومن الاعمال الداعية الى الدنيا الى الاعمال الداعية الى الآخرة فهو النبي الحق الصادق المصدق وتقريره ان نفوس الخلق قد استولى عليها أنواع النقص والجهل وجب الدنيا ونحن نعلم بعقولنا ان سعادة الانسان لا تحصل الا بالاعتقاد الحق والعمل الصالح وحاصله يرجع الى حرف واحد وهو ان كل ما قوى نفرتك عن الدنيا ورغبتك في الآخرة فهو العمل الصالح وكل ما كان بالضد من ذلك فهو العمل الباطل والمعصية واذا كان الامر كذلك كأننا محتاجين الى انسان كامل قوى النفس مشرف الروح علوى الطبيعة ويكون بحيث يقوى على نقل هؤلاء الناقصين من مقام النقصان الى مقام الكمال وذلك هو النبي فالخاصل أن الناس أقسام ثلاثة الناقصون والكاملون الذين لا يقدر على تكميل الناقصين والقسم الثالث هو الكامل الذي يقدر على تكميل الناقصين فالقسم الاول هو عامة الخلق والقسم الثاني هم الاولياء والقسم الثالث هم الانبياء ولما كانت القدرة على نقل الناقصين من درجة نقصان الى درجة

(يا أيها الناس) التفات
ورجوع الى استمالتهم
نحو الحق واستزائهم
الى قبوله وتباعده غيب
تخديرهم من غوائل
الضلال بما نلى عليهم
من القوارع الناعية
عليهم سوفا عاقبتهم وايدان
بأن جميع ذلك مسوق
لنصالحهم ومنافعهم
(قد جاءكم موعظة)
هى والوعظ والعظة
التذكير بالعواقب سواء
كان بالزجر والترهيب
أو بالاستمالة والترغيب
وكلمة من في قوله تعالى
(من ربكم) ابتدائية
متعلقة بجاءتكم أو
تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لموعظة أى
موعظة كأنه من مواعظ
ربكم وفي التعرض
لعنوان الربوبية من
حسن الموقع ما لا يخفى
(وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين)

الكمال مراتبها مختلفة ودرجاتها متفاوتة لا جرم كانت درجات الانبياء في قوة النبوة مختلفة ولهذا السرف قال النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل اذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى لما بين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة في هذه الآية بين صحة نبوته بالطريق الثاني وهذا الطريق بطريق كشف عن حقيقة النبوة معرفة لما هيتهما فلا استدلال بالمعجز هو الذي تسميه المنطقيون برهان الان وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان الله وهو أشرف وأعلى وأكمل وأفضل (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى وصف القرآن في هذه الآية بصفات أربعة (أولها) كونه موعظة من عند الله (وثانيها) كونه شفاء لما في الصدور (وثالثها) كونه هدى (ورابعها) كونه رحمة للمؤمنين ولا بد لكل واحد من هذه الصفات من فائدة مخصوصة فنقول ان الارواح لما تولدت بالاجساد كان ذلك التعلق بسبب عشق طبيعي وجب للروح على الجسد ثم ان جوهر الروح الندي يستهيات هذا العالم الجسداني وطيباته بواسطة الحواس الخمس وتمرن على ذلك وألف هذه الطريقة واعتادها ومن المعلوم ان نور العقل انما يحصل في آخر الدرجة حيث قويت العلائق الحسية والحوادث الجسدانية فصار ذلك الاستغراق سببا للحصول العقائد الباطلة والاخلاق الذميمة في جوهر الروح وهذه الاحوال تجري مجرى الامراض الشديدة لجوهر الروح فلا بد لها من طبيب حاذق فان من وقع في المرض الشديد فان لم يتفق له طبيب حاذق بعالمه بالعلاجات الصائبة مات لا محالة وان اتفق ان صادفه مثل هذا الطبيب وكان هذا البدن قابلا للعلاجات الصائبة فرما حصلت الصحة وزال السقم اذا عرفت هذا فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان كاطبيب الحاذق وهذا القرآن عبارة عن مجموع أدويته التي يتركبها تعالج القلوب المرضية ثم ان الطبيب اذا وصل الى المريض فله معه مراتب أربعة (الاولى) أن ينهأ عن تناول ما لا ينبغي ويأمره بالاحتراز عن تلك الاشياء التي يسببها وقع في ذلك المرض وهذا هو الموعظة فانه لا معنى للوعظ الا الزجر عن كل ما يبعد عن رضوان الله تعالى والمنع عن كل ما يشعل القلب بغير الله (وثانيها) الشفاء وهو أن يسقيه أدوية تزيل عن باطنه تلك الاخلاط الفاسدة الموجبة للمرض فكذلك الانبياء عليهم السلام اذا منعوا الخلق عن فعل المحظورات صارت ظواهرهم مطهرة عن فعل ما لا ينبغي فحينئذ يأمرهم بنهأ بطهارة الباطن وذلك بالمجاهدة في ازالة الاخلاق الذميمة وتحصيل الاخلاق الحميدة وأوائلها ما ذكره الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وذلك لاننا ذكرنا ان العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة جارية مجرى الامراض فاذا زالت فقد حصل الشفاء للقلب وصار جوهر الروح مطهرا عن جميع القوس المانعة عن مطالعة عالم الملكوت (والمرتبة الثالثة) حصول الهدى وهذه المرتبة لا يمكن حصولها الا بعد المرتبة الثانية لان جوهر الروح الناطقة قابل للجلال القدسية والاعضاء الالهية وفيض الرحمة

أى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن أحوال الاعمال حسنها وسياتها مرغوب في الاولى وورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الخفية التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والتفاني وغيرها من العقائد الزائفة وهذا الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات الجحيم وانتكروا في الكل للتفخيم

عام غير منقطع على ما قال عليه الصلاة والسلام ان ربكم في أيام دهركم تنفحات الا فتعرضوا
لها وأيضا فأنتم انما يكون اما للعجز أو للجهل أو للبخل والكل في حق الحق ممتنع فالمتنع في
حقه ممتنع فعلى هذا عدم حصول هذه الاضواء الروحانية انما كان لاجل ان العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة طبعها طبع الظلمة وعند قيام الظلمة يمتنع حصول النور فاذا
زالت تلك الاحوال فقد زال العائق فلا بد وأن يقع ضوء عالم القدس في جوهر النفس
القدسية ولا معنى لذلك الضوء الا الهدي فعند هذه الحالة تصير هذه النفس بحيث قد
انطبع فيها نفس الملوكوت وتجلي لها قدس اللاهوت وأول هذه المراتبة هو قوله يا أيها
النفس المطمئنة ارجعي الى ربك وأوسطها قوله تعالى ففر الى الله وآخرها قوله قل الله
ثم ذرهم في خوضهم بلعون ومجموعها قوله والله غيب السموات والارض واليه يرجع
الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه ومار بك بغافل عما تعملون وسيجيء تفسير هذه الآيات في
مواضعها باذن الله تعالى وهذه المراتبة هي المراتب قوله سبحانه وهدي (وأما المراتبة الرابعة)
فهى أن تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض
أنوارها على أرواح النافسين فيفيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وذلك
هو المراتب بقوله ورحمة المؤمنين وانما خص المؤمنين بهذا المعنى لان أرواح المعاندين
لا تستضيء بأنوار أرواح الانبياء عليهم السلام لان الجسم القابل للنور عن قرص الشمس
هو الذي يكون وجهه مقابلا لوجه الشمس فان لم تحصل هذه المقابلة لم يقع ضوء الشمس
عليه فكذلك كل روح لم توجده الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم تنفع بأنوارهم
ولم يصل اليها آثار تلك الارواح المطهرة المقدسة وكما أن الاجسام التي لا تكون مقابلة
لقرص الشمس مختلفة الدرجات والمراتب في البعد عن هذه المقابلة ولا تزال تتزايد درجات
هذا البعد حتى ينتهي ذلك الجسم الى غاية بعده عن مقابلة قرص الشمس فلا جرم يبقى
خالص الظلمة فكذلك تتفاوت مراتب النفوس في قبول هذه الانوار عن أرواح الانبياء
ولا تزال تتزايد حتى تنتهي الى النفس التي كنت ظلماتها وعظمت شقاوتها وانتهت في العقائد
الفاسدة والاخلاق الذميمة الى أقصى الغايات وأبعد النهايات فالحاصل أن الموعظة اشارة
الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريرة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن
العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى وهو اشارة الى ظهور نور الحق
في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة وهي اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق
الى حيث تصير مكتملة للنافسين وهي النبوة فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول
عليها بهذه الالفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخر ذكره ولما نبه
الله تعالى في هذه الآية على هذه الاسرار العالية الالهية قال قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والمقصود منه الاشارة الى ما قرره حكماء الاسلام من
أن السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية وقدم سبق في مواضع كثيرة

(قل) تلون للخطاب
وتوجهه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الأمر
الناس بان يعقمتوا ما في
محيى القرآن العظيم من
الفضل والرحمة
(بفضل الله وبرحمته)
المراد بهما اما في محيى
القرآن من الفضل
والرحمة واما الجنس وهما
داخلان فيه دخولا
أوليا والباء متعلقة بمخدوف
وأصل الكلام ليفرحوا
بفضل الله وبرحمته
وتكرير الباء في رحمة
للايدان باستقلالها في
استحباب الفرح ثم قدم
الجار والمجرور على الفعل
لافادة القصير ثم دخل
عليه الغاء لافادة معنى
السببية فصار بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا ثم قيل
(فبذلك فليفرحوا)
لأن كيدوا تقرير ثم حذف
الفعل الاول لدلالة
الثاني عليه والفاء الاولى
جزائية.

من هذا الكتاب المبالغة في تفرير هذا المعنى فلا فائدة في الاعادة انتهى (المسئلة الثالثة)
قوله قل بفضل الله و برحته فبذلك فليفرحوا تقديره بفضل الله و برحته فليفرحوا ثم
يقول مرة أخرى فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد وأيضاً قوله فبذلك فليفرحوا يفيد
الحصر بمعنى يجب أن لا يفرح الانسان الا بذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على أمرين
(أحدهما) أنه يجب أن لا يفرح الانسان بشئ من الاحوال الجسمانية ويدل عليه وجوه
(الاول) ان جماعة من المحققين قالوا لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام
والمعنى العدمي لا يستحق أن يفرح به (والثاني) ان يتقديراً أن تكون هذه اللذات صفات
نبوية لكنهم معنوية من وجوه (الاول) ان التضمر بالأمها أقوى من الانتفاع بلذاتها
الآتية ان أقوى اللذات الجسمانية لذة الوقوع ولا شك ان الالتذاذ بها أقل مرتبة من
الاستضرار بألم القولنج وسائر الآلام القوية (والثاني) أن مداخل اللذات الجسمانية
قابلة فانه لا سبيل الى تحصيل اللذة الجسمانية الا بهذين الطريقين أعني لذة البطن والفرج
وأما الآلام فان كل جزء من أجزاء بدن الانسان معه نوع آخر من الآلام ولكل نوع
منها خاصية ليست للنوع الأخر (والثالث) ان اللذات الجسمانية لا تكون خالصة البتة
بل تكون ممزوجة بأنواع من المكاره فلو لم يحصل في لذة الاكل والوقوع الاتعاب النفس
في مقدماتها وفي لواحقها لكفى (الرابع) ان اللذات الجسمانية لا تكون باقية فكما
كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد ولذلك
قال المعري ان حزناً في ساعة الموت أضعا * فسرور في ساعة الميلاد

فمن المعلوم ان الفرح الحاصل عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته
(الخامس) ان اللذات الجسمانية حال حصولها تكون ممتعة البقاء لان لذة الاكل لا تبقى
بخالها بل كما زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل ولا يمكن استبقاء تلك اللذة (السادس)
ان اللذات الجسمانية التذاذ بأشياء خسيسة فانها التذاذ بكميات حاصلة في أجسام
رخوة سريعة الفساد مستعدة للتغير فاما اللذات الروحية فانها بالصد في جميع هذه
الجهات فثبت ان الفرح باللذات الجسمانية فرح باطل وأما الفرح الكامل فهو الفرح
بالروحانيات والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء (والبحث الثاني) من مباحث
هذه الآيات أنه اذا حصلت اللذات الروحية فانه يجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث
هي هي بل يجب أن يفرح بها من حيث انها من الله تعالى وبفضل الله و برحته فلهذا
السبب قال الصديقيون من فرح بنعمة الله من حيث انها تلك النعمة فهو مشرك أما من
فرح بنعمة الله من حيث انها من الله كان فرحه بالله وذلك هو غاية الكمال ونهاية
السعادة فتقوله سبحانه قل بفضل الله و برحته فبذلك فليفرحوا يعني فليفرحوا بتلك النعم
لامن حيث هي هي بل من حيث انها بفضل الله و برحمة الله فهذه اسرار عالية اشتملت
عليها هذه الاقاظ التي ظهرت من عالم الوحي والتزيل هذا ما تلخص عندنا في هذا الباب

والشأنية للدلالة على
السببية والاصل ان
فرحوا بشئ فبذلك
ليفرحوا لا بشئ آخر
ثم أدخل الغاء للدلالة
على السببية ثم حذف
الشرط ومعنى البعد في
اسم الاشارة للدلالة على
بعد درجة فضل الله
تعالى ورحته ويجوز
أن يراد بفضل الله
و برحته فليعتوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز أن
يتعلق الباء بجاهتكم أي
جاءتكم موعظة بفضل
الله و برحته فبذلك
أي فبجيبها فليفرحوا
وقرى فليفرحوا وقرأ
أبي فافرحوا وعن أبي
بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا
قل بفضل الله و برحته
فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام
ورحته ما وعد عليه
(هو) أي ما ذكر من
فضل الله ورحته (خير
مما يجمعون) من حطام
الدنيا وقرى يجمعون
أي فبذلك فليفرح
المؤمنون هو خير مما
يجمعون أيها المخاطبون

(قل أرأيتم) أي أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوص به المحل بما بعده أو بما قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق ما جعل لهم وجعله منزلاً لأنه مقدر في السماء بمحصل هو وأما توقف عليه وجوداً أو بقاءً بأسباب سماء وبقية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين (فجعلتم منه) أي جعلتم بعضه (حراماً) أي حكمتم به حرام (وحلالاً) أي جعلتم بعضه حلالاً أي حكمتم بحله مع كون كله حلالاً وذلك قواهم هذه ﴿٩﴾ أنعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة

لذكورنا ومحرم على أزواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجعل فيه ودوران التوخيخ عليه (قل) تنكر يز لأكيد الأمر بالاستخفاف أي أخبروني (الله أذن لكم) في ذلك الجعل فأنتم فيه مثلون بأمره تعالى (أم على الله فتقرون) أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيك لتحقيق العلم بالشيء الأخير قطعاً كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل فتقرون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال فجع افتراءهم وتأكيدا للتبكيك اثرنا كيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم متقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوخيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيد هزئها من التوخيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور وعلى هذا يجوز أن يكون القصر كأنه قيل بل على الله تعالى خاصة فتقرون (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) كلام مهوول من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير

أما المفسرون فأنوا بفضل الله الاملام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله (المسئلة الرابعة) قرئ فلتفرحوا بالناء قال الفراء وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالناء وقال معناه فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد وخير مما يجمع الكفار قال وقريب من هذه القراءة قراءة أبي فبذلك فافرحوا والاصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام نحو فلتفرحوا يا زيد وليقم زيد وذلك لان حكم الأمر في الصورتين واحداً لان العرب حذفوا اللام من فعل الأمر المخاطب لكثرة استعماله وحذفوا الناء أيضاً وأدخلوا ألف الوصل نحو واضرب واقتل ليقع الابتداء وكان السكائي يعيب قولهم فلتفرحوا لانه وجده قليلاً فجعله عيباً الا أن ذلك هو الاصل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض المشاهد لتأخذوا مصافكم يريد به خذوا هذا كله كلام الفراء وقرئ يجمعون بالناء وجهه انه تعالى عن المخاطبين والغائبين الا أنه غلب المخاطب على الغائب كما يذهب التذكير على التأنيث فكانه أراهم المؤمنين هكذا قاله أهل اللغة وفيه دقة عظيمة وهو أن الإنسان جعل فيه معنى يدعو الى خدمة الله تعالى والى الاتصال بعالم الغيب ومعارض الروحانيات وفيه معنى آخر يدعو الى علم الحس والجسم والمذات الجسدية وما دام الروح متعلقاً بهذا الجسد فإنه لا ينفك عن حب الجسد وعن طلب المذات الجسدية فكانه تعالى خاطب المصدقين العارفين وقال حصلت الخصومة بين الحوادث العقلية الالهية وبين النوازع النفسانية الجسدية والترحيل لجانب العقل لانه يدعو الى فضل الله ورحمته والنفس تدعو الى جمع الدنيا وشهواتها وفضل الله ورحمته خير لكم مما يجمعون من الدنيا لان الآخرة خير وأبقى وما كان كذلك فهو أولى باطلب والتحصيل * فوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أذن لكم أم على الله فتقرون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله ذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن الناس ذكروا في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهاً ولاستحسن واحد منها والذي يخطر بالبال والعلم عند الله تعالى وجهان (الاول) ان المقصود من هذا الكلام ذكر طريق ثالث في اثبات النبوة وتقريره انه عليه الصلاة والسلام قال لا قوم انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها فهذا الحكم تقولونه على سبيل الافتراء على الله تعالى وتعلمون أنه حكم حكم الله به والاول طريق باطل بالاتفاق فلم يبق الا الثاني ثم من المعلوم انه تعالى مخاطبكم به من غير واسطة ولما بطل هذا ثبت ان هذه الاحكام انما وصلت اليكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اليكم وحاصل الكلام ان حكمكم بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها مع اشتراك الكل في الصفات المحسوسة والمنافع المحسوسة يدل على اعترافكم بصحة النبوة والرسالة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكنكم أن تسأعوا هذه المبالغات العظيمة في انكار

داخل تحت القول المأمور به وأنتم عندهم ﴿٢﴾ خا بالوصول في موقع الاضمار فطع احتمال الشيء الاول من التردد التسجيل عليهم الافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون الا كذباً لاظهار كمال فحج ما فعلوا لو كونه كذباً في اعتقادهم أيضاً وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولها محذوفان وقوله عز وجل (يوم اقيمame) ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك

اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليهم مثقالا بمثقال والمراد تنهويله وتفضيحه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال للكمال وضوح امره في القر والتحقق منزلة المسلم عندهم اى شئ ظنهم لما سبق يوم القيامة يحسبون انهم لا يستولون عن افترانهم اولا يجازون عليه ا مجازون جزاء يسيرا ولجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلالهم ﴿ ١٠ ﴾ لئلا أشد العذاب لان معصيتهم أشد المعاصي ومن

النبوة والرسالة وحل الآية على هذا الوجه الذي ذكرته طريق حسن معقول (الطريق الثاني) في حسن تعلق هذه الآية بما قبلها هو انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة نبوة نفسه وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في انكارها أتبع ذلك ببيان فساد طريقهم في شرائعهم واحكامهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بالحل والحرمة مع انه لم يشهد بذلك للعقل ولا نقل طريق باطل ومنهج فاسد والمتصود ابطال مذاهب اقوم في ادیانهم وفي احكامهم وأنهم اسوا على شئ في باب من الابواب (المسئلة الثانية) المراد بالشئ الذي جعلوه حراما ما ذكروه من تحريم الجيرة والسباية والوصيلة والحام وأيضا قوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر الى قوله وقالوا ما في بعض هذه الانعام خاصة لكورونا ومحرم على أزواجنا وأيضا قوله تعالى ثمانية أزواج من الفضل اثنين ومن المعزاتين والدليل عليه أن قوله فجعلتم منه حراما إشارة الى أمر تقدم منهم ولم يحك الله تعالى عنهم الا هذا فوجب توجده هذا الكلام اليه ثم لاحكى تعالى عنهم ذلك قال لرسوله عليه الصلاة والسلام قل الله اذن لكم أم على الله تفترون وهذه القسمة صحيحة لان هذه الاحكام اما أن تكون من الله تعالى أو لم تكن من الله فان كانت من الله تعالى فهو المراد بقوله الله اذن لكم وان كانت ليست من الله فهو المراد بقوله أم على الله تفترون ثم قال تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب وهذا وان كان في صورة الاستعلام فالمراد منه تعظيم وعيد من يفتري على الله وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اى ظن ظنوه يوم القيامة وحي به على لفظ الماضي لما ذكرنا ان احوال القيامة وان كانت آية الا انها لما كانت واجبة الوقوع في الحكمة لاجرم عبر الله عنها بصيغة الماضي ثم قال ان الله لذو فضل على الناس اى باعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب ولكن أكثرهم لا يشكرون فلا يستعملون العقل في التأمل في دلائل الله تعالى ولا يتقبلون دعوة أنبياء الله ولا يذعنون باسمع كتب الله (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله فيه وجهان (أحدهما) بمعنى الذى فينصب برأيهم والاخر أن يكون بمعنى اى في الاستفهام فينصب بأنزل وهو قول الزجاج ومعنى أنزل ههنا خلق وأنشأ كقوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وجاز أن يعبر عن الخلق بالانزال لان كل ما في الارض من رزق فما أنزل من السماء من ضرع وزرع وغيرهما كما كان إيجاد بالانزال سمي انزالا قوله تعالى (وما تكون في شأن وما تلومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه لما أطال الكلام في أمر الرسول بإيراد الدلائل على فساد مذاهب الكفار وفي أمره بإيراد الجواب عن شبهاتهم وفي أمره بتحميل أذاهم وبالرفق معهم ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السلووة والسرور لطلوعين وتمام الخوف والفزع للخذنين

أظلم من افتري على الله كذا وفري على لفظ الماضي اى أى ظن ظنوا يوم القيامة وإيراد صيغة الماضي لانه كأنه فكأنه قد كان (ان الله لذو فضل) اى عظيم لا يكتنه كنهه (على الناس) اى جميعا حيث أنعم عليهم بالعقل المميزين الحق والباطل والحسن والقيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وأرشدهم الى ما يحرمهم من أمر المعاش والمعاد (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبديه ولا دليل الشمرع فيما لا يدرك الابيه وقد فضل عليهم ببيان ما سبقه يوم القيامة فلا يلتفتون اليه فيفعلون فيما يفعلون فهو تنذيل سبق مقرر لمضمونه (وما تكون في شأن) اى في أمر من شأن شأنه اى قصدت وقصده مع مدر بمعنى المفعول (وما تلومنه) الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنه من الشأن اذ هي معظم شؤنه عليه السلام أو التنزيل والاخبار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية وهو أو تبعية أوله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى (من قرآن) مرية لنا كيدان في او ابتدائية على الوجه الاول وبيان او تبعية على الثاني والثالث (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقدمي الكل وقد روى في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولامن الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل

اى تلاوة كائنه من الشأن اذ هي معظم شؤنه عليه السلام أو التنزيل والاخبار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية وهو أو تبعية أوله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالى (من قرآن) مرية لنا كيدان في او ابتدائية على الوجه الاول وبيان او تبعية على الثاني والثالث (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقدمي الكل وقد روى في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولامن الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل

الحقير (الاكتنا عليكم شهودا) استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما تلبسون بشئ منها في حال
ن الاحوال الاحال كوننا رقباء مطاعين عليه حافظين له (اذتغصون فيه) اى تخوضون وتندفعون فيه وأصل الافاضة الاندفاع
كثرة أو بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي أيضا أوثر في الاستثناء صيغة الماضي
في الطرف كذا اذ التي تغيب المضارع معنى (١١) الماضي (وما يعزب عن ربك) اى لا بعد ولا يغيب عن علمه الشامل

وفي التعرض لغفوان الربوبية
من الاشعار بالطف ما لا يخفى
وقرى بكسر الزاى (من
مثقال ذرة) كلمة من مزينة
لنا كيد النقي اى ما يعزب عنه
ما يساوى في الثقل غلة صغيرة
أوهباء (في الارض ولا في السماء)
اى في دائرة الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف سواهما
ممكنا ليس في أحدهما أو متعلقا
بهما وتقديم الارض لان
الكلام في حال أهلها
والمقصود اقامة البرهان على
احاطة علمه تعالى بتفاصيلها
وقوله تعالى (ولا أصغر من
ذلك ولا أكبر الا في كتاب
مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله
ولا نافية للجنس وأصغرا سمها
وفي كتاب خبرها وقرى بالرفع
على الابتداء والخبر ومن
عطف على لفظ مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر
لامتناع الصرف أو على محله
مع الجار جعل الاستثناء متعلما
كأنه قيل لا يعزب عن ربك
شئ ما لكن جميع الاشياء في
كتاب مبين فكيف يعزب
عنه شئ منها وقيل يجوز ان
يكون الاستثناء متصلا ويعزب
بمعنى بين ويصدر والمعنى

وهو كونه سبحانه علما بعمل ككل واحد وبقاى قلبه من الدواعى والصوارف فان
الانسان ربما أظهر من نفسه نسكا وطاعة وزهدا وتقوى و يكون باطنه مملو أ من
الخبث وربما كل بالعكس من ذلك فاذا كان الحق سبحانه علما ببقاى البواطن كان ذلك
من أعظم أنواع السرور للمطيعين ومن أعظم أنواع التهديد للذنبين (المسئلة الثانية)
أعلم أنه تعالى خصص الرسول في أول هذه الآية بالخطاب في أمرين ثم أتبع ذلك بتعميم
الخطاب مع كل المكلفين في شئ واحد أما الأمران المخصوصان بالرسول عليه الصلاة
والسلام (فالاول) منهما قوله وما تكون في شأن واعلم ان ما عهدنا جدوا الشأن الخطب
والجمع الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أى حاله قال الاخفش وتقول ما شأنك شأنه
اى ما علمت عمله وفيد وجهان قال ابن عباس وما تكون يا محمد في شأن يريد من أعمال البر
وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوالحك فيها (والثاني) منهما قوله تعالى وما تتلو
منه من قرآن واختلغو في أن القصير في قوله منه الى ماذا يعود وذكروا فيه ثلاثة أوجه
(الاول) أنه راجع الى الشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل هو معظم شأنه وعلى هذا التقدير فكان هذا داخلا تحت قوله وما تكون في شأن
الا أنه خصه بالذكر تليها على علو مرتبة كافي قوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال
وكافى قوله واذا أخذنا من الذين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم (الثاني) ان هذا
الضمير عائد الى القرآن والتقدير وما تتلو من القرآن من شأن وذلك لانه كما أن القرآن
اسم للجموع فكذلك هو اسم لكل جزء من أجزاء القرآن والاعتماد قبل الله كريدل
على التعظيم (الثالث) أن يكون التقدير وما تتلو من قرآن من الله اى نازل من عند الله
وأقول قوله وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن أمران مخصوصان بالرسول صلى الله
عليه وسلم وأما قوله ولا تعملون من عمل فهذا الخطاب مع النبي ومع جميع الامة والسبب
في أن خص الرسول بالخطاب أولا ثم عمم الخطاب مع الكل هو ان قوله وما تكون في شأن
وما تتلو منه من قرآن وان كان محسب الظاهر خطبا بخصوصا بالرسول لان الامة داخلون
فيه ومردون منه لانه من المعلوم أنه اذا خطب رئيس القوم كان القوم داخلين
في ذلك الخطاب والدليل عليه قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقت النساء ثم انه تعالى بعد أن
خص الرسول بذنك الخطابين عمم الكل بالخطاب الثالث فقال ولا تعملون من عمل فدل
ذلك على كونهم داخلين في الخطابين الاولين ثم قال تعالى الاكتنا عليكم شهودا وذلك لان
الله تعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ أما على أصول أهل السنة والجماعة فالامر فيه
ظاهر لانه لا يحدث ولا حائق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من أفعال
العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة فكلها حصلت باليجاد الله تعالى واحداثه والموجد
للشئ لا بد وأن يكون علما به فوجب كونه تعالى علما بكل المعلومات وأما على أصول
المعتزلة فقد قالوا انه تعالى حي وكل من كان حيا فانه يصح أن يعلم كل واحد من المعلومات

لا يصدر عنه تعالى شئ الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ (الا ان أولياء الله) يبين على وجه البشر
والوعدها لورثة اعمال المؤمنين وغاية الماذكر قبله من كونه تعالى مهيئا على نبه عليه السلام وأتمه في كل ما يأتون وما يدرون
واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مشتبيا في الكتاب المبين بعدما أشير الى فطاعة حال المفترين على الله
تعالى يوم القيامة وما سيعتبرهم من الهول اشارة اجالية على طريق

التهديد والوعيد وصدرت الجملة بجر في التنبية والتحقيق لزيادة تفرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد بأولياء الله خالص
المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيصح عنه تفسيرهم (لاخوف عليهم) في الدارين من لحوق مكروه (ولاه
يخزنون) من فوات مطلوب اى لا يعترهم ما يوجب ذلك لانه يعترهم لكنهم لا يخافون ولا يخزنون ولانه لا يعترهم خوف
وحزن أصلا بل يسترون على النشاط والسرور كفى لاواستشعار ١٢ الخوف والخشية استعظاما لجلال الله

سبحانه وهيبته واستقصارا
لجدوا السعي في اقامة حقوق
العبودية من خصائص
الخواص والمقربين والمراد
بيان دوام انتفاعهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون
الخبر في الجملة الثانية مضارعا
للمرمرار من أن النفي وان
دخل على نفس المضارع
يفيد الاستمرار والدوام بحسب
المقام وانما لا يعترهم ذلك لان
مقصدهم ليس الاطاعة لله
تعالى ونيل رضوانه المستتبع
للكرامة والزنى وذلك مما
لا ريب في حصوله والاحتمال
لقواته بموجب الوعد بالنسبة
إليه تعالى وأما ما عدا ذلك من
الامور الدنيوية المترددة بين
الحصول والفوات فهي بعزل
من الانتظام في سلك مقصدهم
وجودا وعندما حتى يخافوا
من حصول ضارها أو يحزنوا
بفوات نافعها وقوله عز وجل
(الذين آمنوا) اى بكل ما جاء
من عند الله تعالى (وكانوا
يتقون) اى يقون أنفسهم عما
يجنى وفاته عنة من الافعال
والترك وقاية دائمة بحسب ما غيده
الجمع بين صفتي الماضي
والمستقبل بيان وتفسير لهم

والموجب لذلك العالمية هو ذاته سبحانه ونسبة ذاته الى اقتضاء حصول العالمية ببعض
المعلومات كنسبة ذاته الى اقتضاء حصول العالمية بسائر المعلومات فلما اقتضت ذاته
حصول العالمية ببعض المعلومات وجب أن تقتضى حصول العالمية بجميع المعلومات
فثبت كونه تعالى عالما بجميع المعلومات أما قوله تعالى اذ يقضون فيه فاعلم ان الافاضة
ههنا الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه وهو الانبساط في العمل يقال افاض
القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وقد افاضوا من عرفة اذا دفعوا منه بكرتهم ففروا
فان قيل اذههنا بمعنى حين فيصير تقدير الكلام الا كئنا عليكم شهودا حين تغيبون فيه
وشهادة الله تعالى عبارة عن علمه فيلزم منه أن يقال انه تعالى ما علم الاشياء الا عند
وجودها وذلك باطل قلنا هذا السؤال بناء على أن شهادة الله تعالى عبارة عن علمه وهذا
منوع فان الشهادة لا تكون الا عند وجود المشهود عليه وأما العلم فلا يتبع تقدمه على
الشيء والدليل عليه ان الرسول عليه السلام لو أبرأ ناعن زيد بأنه يأكل غدا كنا من قبل
حصول تلك الحالة عالمين بها ولا نوصف بكوننا شاهدن بها واعلم ان حاصل هذه الكلمات
أنه لا يخرج عن علم الله شيء ثم انه تعالى أكد هذا الكلام زيادة تأكيد فقال وما يعزب
عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
مبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) أصل العزوب من العبد يقال كلاً عازب اذا كان
بعيدا المطلب وعزب الرجل بآله اذا أرسلها الى موضع بعيد من المنزل والرجل سمي عزبا
بعده عن الاهل وعزب الشيء عن علمي اذا بعد (المسئلة الثانية) قرأ الكسائي وما يعزب
بكسر الزاي والباقون بالضم وفيه لغتان عزب يعزب وعزب يعزب (المسئلة الثالثة)
قوله من مثقال ذرة اى وزن ذرة ومثقال الشيء ما يساويه في الثقل والمعنى ما يساوى
ذرة والذر صغارا الثقل واحدها ذرة وهي تكون خفيفة الوزن جسدا وقوله في الارض
ولا في السماء دل على ظاهر فان قيل لم قدم الله ذكر الارض ههنا على ذكر السماء مع انه
تعالى قال في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
قلنا حق السماء أن تقدم على الارض الا انه تعالى لما ذكر في هذا الآية شهادته على
أحوال أهل الارض وأعمالهم ثم وصل بذلك قوله لا يعزب عنه ناس أن تقدم الارض
على السماء في هذا الموضع ثم قال ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وفيه قراءة ثان قرأ حزة
ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما والباقون بالنصب واعلم ان قوله وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة تقديره وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فلفظ مثقال عند دخول كلمة من عليه
محذور بحسب الظاهر ولكنه مرفوع في المعنى فلا عطف عليه ان عطف على الظاهر
كان محذورا الا ان لفظ أصغر وأكبر غير منصرف فكان مفتوحا وان عصف على المحل
وجب كونه مرفوعا ونظيره قوله ما أتاني من أحد عادل وعاقرو وكذا قوله ما لكم من الغيرة
وغیره وقال الشاعر * فلست بالجبيل ولا الحديدا * هذا ما ذكره الخويون قال صاحب

وأشاره الى ما بينه والواثنا والوالى طريقة الاستئناف المبني على السؤال وحمل الموصول الرفع على انه خبر لابد من حذف (الكشاف)
كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم تلك الكرامة فقبلهم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المحيين عن
كل شر وقيل محله النصب أو الرفع على المخرج أو على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى
المرتبة الثالثة منها الجامعة

لانتحتها من مرتبة التوفى عن الشرك التي يفيدها الايمان أيضا ومرتبة العجب عن كل ما يؤتم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبذل اليه بالكلية وهي التقوى الحقني المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه السلام تحت الخطاب بقوله عز وجل ﴿ ١٣ ﴾ ولا تعملون من عمل خلا أن لهم في شأن التبذل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات

استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبينة على الحكم الالهية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جئوا بذلك بين راسي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح من الاستغراق في عالم الارواح ولم تصددهم الملابس بمصالح الخلق عن التبذل الى جناب الحق لكيلا استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلاك أمر الولاية هو التقوى المذكور فالولياء الله هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قبل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يتخلفه ما قبل من انهم الذين يذكر الله برويتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برويتهم أي بسمتهم واختابهم وسكنتهم ولا ما قبل من انهم المتحابون في الله لما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول

الكشاف اوضح هذا العطف لصار تقدير هذه الآية وما يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب وحينئذ يلزم أن يكون الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله تعالى وانه باطل وأجاب بعض المحققين عنه بوجهين (الاول) أنا بينا ان العزوب عبارة عن مطلق البعد واذا ثبت هذا فنقول الاشياء المخلوقة على قسمين قسم أوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده الله بواسطة القسم الاول مثل الحوادث الخادثة في عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثاني قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود فقوله وما يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين أي لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب كتبه الله تعالى وأثبت صور تلك المعلومات فيه ومتى كان الامر كذلك فقد كان علمها محيطة بأحوالها والغرض منه الرد على من يقول انه تعالى غير عالم بالجزئيات وهو المراد من قوله انا كنا نسئسئس ما كنتم تعملون (والوجه الثاني) في الجواب أن نجعل كلمة الا في قوله الا في كتاب مبين استثناء منقطعاً بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر أبو علي الجرجاني صاحب النظم عنه جواباً آخر فقال قوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ههنا تم الكلام وانقطع ثم وقع الابتداء بكلام آخر وهو قوله الا في كتاب مبين أي وهو أيضاً في كتاب مبين قال والعرب تضع الاموضع واو النسق كثيرا على معنى الابتداء كقوله تعالى اني لا تخاف لدى المرسلون الامن ظلمتني ومن ظلم وقوله فلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا وهذا الوجه في غاية التعسف وأجاب صاحب الكشاف بوجه رابع فقال الاشكال انما اذا عطفنا قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على قوله من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ما يحسب الظاهر أو بحسب المحل لكن لا نقول ذلك بل نقول الوجه في القراءة بالنصب في قوله ولا أصغر من ذلك المجل على نفي الجنس وفي القراءة بالرفع المجل على الابتداء وخبره قوله في كتاب مبين وهذا الوجه اختيار الزجاج * قوله تعالى

(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) اعلم اننا بينا ان قوله تعالى وما تكون في شأن وماتلو منه من قرآن بما يقوى قلوب المطيعين وما يكسر قلوب الفاسقين فأتبعه الله تعالى بشرح أحوال المخلصين الصادقين الصديقين وهو المذكور في هذه الآية وفيه مسائل (المسألة الاولى) اعلم اننا نحتاج في تفسير هذه الآية الى أن نبين أن الولي من هو ثم نبين تفسير نفي الخوف والحزن عنه فنقول أما ان الولي من هو فيدل عليه القرآن والخبر والاثار والمعقول أما القرآن فهو قوله في هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون فقوله آمنوا إشارة الى كمال حال القوة النظرية وقوله وكانوا يتقون

ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعنا نجهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فانما ذكر من حسن السمات والسكنة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان

والتقوى والأتار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقر بها من أفهام الناس قد أورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً من ذلك حسبما يقتضيه مقام الإرشاد والتذكير ترغيباً للساكنين أو غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من أحكامهما فاعمل الحاضرين أولاً كانوا محتاجين إلى إصلاح الحال من جهة الأقوال والأفعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانياً مقفونين إلى تأليف قلوبهم ﴿ ١٤ ﴾ وعطفها نحو المؤمنين الذين لالعلاقة بينهم وبينهم

من جهة النسب والقرابة
وتأكيد ما بينهم من الأخوة
الدينية ببيان عظم شأنها
ورفعة مكانتها وحسن عاقبتها
ليراعوا حقوقها ويهتجروا
من لا يوافقهم في الدين من
أرحامهم وأما ما ذكر من أنه
يغبطهم الانبياء فصور
لحسن حالهم على طريقة
التمثيل قال الكواشي وهذا
مبالغة وللعنى أوفرض قوم
بهذه الصفة لكانوا هؤلاء
وقيل أولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وجعل قوله عز وجل الذين
آمنوا وكانوا يتقون تفسيراً
لتولاهم إياه تعالى وقوله عز
وجل (إلهم البشرى في الجنة
الدنيا وفي الآخرة) تفسير
لتولاهم تعالى إياهم ولأرباب
في أن اعتبار القيد الأخير
في مفهوم الولاية غير مناسب
لمقام ترغيب المؤمنين في
تحصيلها والذبات عليها
وبشارتهم بآثارها ونتائجها
بل تمحل بذلك إذا التحصيل
اغما يتعلق بالمقدور والاستبشار
لا يحصل إلا بما علم وجود سببه
والقيد المذكور ليس مقدوراً لهم
حتى يحصلوا الولاية بتحصيله

إشارة إلى كمال حال القوة العملية وفيه مقام آخر وهو أن يحمل الإيمان على مجموع
الاعتقاد والعمل ثم نصف الولي بأنه كان متقياً في الكل أما التقوى في موقف العلم فلائ
جلال الله أعلى من أن يحيط به عقل البشر فالصديق إذا وصف الله سبحانه بصفة من
صفات الجلال فهو يقدر الله عن أن يكون كماله وجلاله مقتصر على ذلك المقدار الذي
عرفه ووصفه به وإذا عبد الله تعالى فهو يقدر الله تعالى عن أن تكون الخدمة الملائمة
بكبريائه مقصورة بذلك المقدار فثبت أنه أبدي يكون في مقام الخوف والتقوى وأما الأخبار
فكثيرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم قوم تحابوا في الله على
غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم أعلی منابر من نور
لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ هذه الآية وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال هم الذين يذكر الله تعالى برويتهم قال أهل التحقيق السبب فيه أن
مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما يشاهد فيهم من آيات الخضوع والخضوع ولما ذكر الله
تعالى سبحانه في قوله سبحانه في وجوههم من أثر السجود وأما الأثر فقال أبو بكر الصم
أولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى
والدعوة إليه وأما المعقول فنقول ظهر في علم الاستقراق أن تركيب الواو واللام والياء
يدل على معنى القرب فلو كل شيء هو الذي يكون قرب بمانه وأقرب من الله تعالى بالمكان
والجهة محال فالقرب منه إنما يكون إذا كان القلب مستغرقاً في نور معرفة الله تعالى
سبحانه فإن رأى رأى دلائل قدرة الله وانسمع مع آيات الله وانطق بطق بثناء على الله
وأن تحرك تحرك في خدمة الله وان اجتهد اجتهد في طاعة الله فهناك يكون في غاية
القرب من الله فهذا الشخص يكون ولياً لله تعالى وإذا كان كذلك كان الله تعالى ولياً له
أيضاً كما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ويجب أن
يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل إلا بالاجتماع وقال المتكلمون ولي الله من
يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق
ما وردت به الشريعة فهذا كلام مختصر في تفسير الولي وأما قوله تعالى في صفاتهم لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ففيه بحثان (البحث الأول) أن الخوف إنما يكون في المستقبل بمعنى
أنه يخاف حدوث شيء في المستقبل من الخوف والحزن إنما يكون على الماضي أما الاجل
أنه كان قد حصل في الماضي ما كرهه أولاده فات شيء أحبه (البحث الثاني) قال بعض
المحققين إن في الحزن والخوف أما أن يحصل للأولياء حال كونه في الدنيا وأما حال انتقالهم
إلى الآخرة والأول باطل لوجوه (أحدها) أن هذا لا يحصل في دار الدنيا لأنها دار خوف
وحزن والمؤمن خصوصاً لا يخلو من ذلك على ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام الدنيا
سجن المؤمن وسجن الكافر وعلى ما قال حفت الجنة بالكفار وحفت النار بالشهوات
(وثانيها) إن المؤمن وإن صفا عيشه في الدنيا فإنه لا يخلو من هم بأمر الآخرة شديد

ولا يعلمون لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بحسن آثارها إلى التولي ﴿ وحزن ﴾

بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الأخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
فالذي يقتضيه نظمه الكريم أن الأول تفسير للأولياء حسبما شرح والثاني بيان لما أولاهم من خيرات الدار بن عبد بن
إنجائهم من ضرورهما ومكارههما والجملة مستأنفة كاسبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل

لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما أن التخلية سابقة على التخلية مع ما فيه من اعاءة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفسرين وتجميل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لظهور كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايدان بأن انتفاء الخوف والحرز لا تقاوم عابثي اليها من الاسباب والبشرى * ١٥ * مصدر أريد به المبشرة من الخبرات العاجلة كالنصر

والفتح والغنية وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان واشاراً لاهام والاجال الايدان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة اى عاجلة وآجلة أي من الضمير المجزور اى حال كونهم في الحياة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجليل ومحبة الناس * عن أبي ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقبل البشرى مصدر وانظر فان متعلقاً به * أما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة براهها المؤمن أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت البشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأبئهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تنزل عليهم الملائكة

وحزن على ما يقوئه من القيام بمطاعة الله تعالى واذا بطل هذا القسم وجب حل قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على أمر الآخرة فهذا كلام محقق وقال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب فولى الله تعالى هو الذي يكون في غاية القرب من الله تعالى وهذا التقدير قد فسرهنا باستغراقه في معرفة الله تعالى بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شيء مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية التامة ومتى كانت هذه الحالة حاصله فان صاحبها لا يخاف شيئاً ولا يحزن بسبب شيء وكيف يعقل ذلك والخوف من الشيء والحرز على الشيء لا يحصل الا بعد الشعور به المستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى فيمتنع أن يكون له خوف أو حزن وهذه درجة عالية ومن لم يذوقها لم يعرفها ثم ان صاحب هذه الحالة قد نزول عنه هذه الحالة حينئذ يحصل له الخوف والحرز والرجاء والرغبة بسبب الاحوال الجسمانية كما يحصل لغيره وسمعت أن ابراهيم الخواص كان باباً بادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حاله وقوة وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفاً بالقرب منه والمر يد تسلك على رأس شجرة خوفاً منها والشيخ ما كان فارزاً من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة في الليلة الثانية بقيت بعوضه على يده فأطهر الخزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تلبق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ اننا نتحملنا البارحة ما نتحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا أضعف خلق الله تعالى (المسئلة الثانية) قال أكثر المحققين ان أهل الثواب لا يحصل لهم خوف في تحمل القيامة واحتجوا على صحة قولهم بقوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة وأيضاً فاقامة دار الجزاء فلا يلبق به ايصال الخوف ومنهم من قال بل يحصل في أنواع من الخوف وذكروا فيه أخباراً تدل عليه الا أن ظاهر القرآن أولى من خبر الواحد وأما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فقيده ثلاثه أوجه (الاول) النصب بكونه صفة للأولياء (والثاني) النصب على الممدح (والثالث) الرفع على الابتداء وخبر بهم البشرى وأما قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ففيه أقوال (الاول) المراد منه الرؤيا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البشرى هي الرؤيا الصالحة براهها مسلم أو ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت البشرات وعند عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليعود منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وعن ابن مسعود الرؤيا ثلاثه اللهم بهم به الرجل من النهار فيراه في الليل وحضور الشيطان والرؤيا التي هي الرؤيا الصادقة وعن ابراهيم الرؤيا ثلاثه فالبدشة من الله جزء من سبعين جزءاً من النبوة والشيء بهم به أحدكم بانهار فاعله يراه بالليل والتخويف من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحزنه

لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة * وأما البشرى في الآخرة فخلق الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصالحات بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سبق من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لالدواتها ولا يخفى أن صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها ما لا يساعده حلالة شأن التنزيل الكريم

(لاتبديل لكلمات الله) لاتفسير لافواه التي من جللتها مواعيد الوارده بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الوارده ههنا دخولا أوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتها قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا بالصالحه فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدينوية والاخرية بل عدم الخلف بينها وبين مادل على ثبوتها ووقوعها فيماتاني بطريق الوعد ﴿١٦﴾ من قوله تعالى لهم البشرى فندبر (ذلك) اشار

الى ما ذكر من انهم البشرى في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما بهم في اسبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق البشرى به وتعليم شأنه وليس من شرطه أن يكون بعده كلام متصل بما قبله أو هذه تذييل والسابقة اعتراض (ولا تخزنك قولهم) تسليمة لرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالته الموحشة وتبشيره عليه الصلاة والسلام بأنه عز وجل ينصره ويعز عليهم اثر بيان أن له ولا تباعه أمنان كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرى ولا تخزنك من أحزنه وهو في الحقيقة نهى له عليه السلام عن الحزن كأنه قيل لا تخزن بقولهم ولاتبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك بما لاخير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما أن النهي عن التأثر نهى عن التأثر باصله ونفي له بالرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو انتهى

فليقل أعوذ بما عادت به ملائكة الله من شر رؤياي التي رأيتها أن تضرنى في دنياي أو في آخري واعلم أنا اذا قلنا قوله لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم والعقل أيضا يدل عليه وذلك لأن ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ومن كان كذلك فهو عند انوم لا يبقى في روحه الا معرفة الله ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يفسده الا الحق والصدق وأما من يكون متسوز الكفر على أحوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام بقي كذلك فلا جرم لاعتداده على رؤياه فلهذا السبب قال لهم البشرى في الحياة الدنيا على سبيل المحصر والتخصيص (القول الثاني) في تفسير البشرى أنها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن واعلم أن المباحث العقلية تقوى هذا المعنى وذلك أن الكمال محبوب لذاته لا لغيره وكل من اتصف بصفة من صفات الكمال صار محبوبا بكل أحد ولا يكال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق اللسان بذكر الله مستغرق الجوارح والاعضاء بعبودية الله فاذا ظهر عليه أمر من هذا الباب صارت الاستعجارية بمدحه والقلوب مجبولة على حبه وكلما كانت هذه الصفات الشريفة أكثر كانت هذه المحبة أقوى وأيضاً فزور معرفة الله مخدوم بالذات ففي أي قلب حضر صار ذلك الانسان مخدوماً باطباع الأتري ان البهايم والسباع قد تكون أقوى من الانسان ثم انهما اذا شاهدت الانسان هائبه وفرت منه وماذا كان الالهامة النفس الناطقة (واقول الثالث) في تفسير البشرى أنها عبارة عن حصول البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وسلام الله عليهم كما قال سلام قولاً من رب رحيم ويندرج في هذا الباب ما ذكره الله في هذا الكتاب الكريم من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بآذانهم وما يلقون فيها من الأحوال السارة فكل ذلك من البشارات (واقول الرابع) ان ذلك عبارة عما بشر الله عباده المتقين في كتابه وعلى أسننه أنبيائه من جنتهم وكريم ثوابه ودليله قوله يبشروهم بهم برحمة منه ورضوان واعلم ان لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة فيكون الكل داخلاً فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدينا فهو داخل تحت قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله وفي الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر صفة أولياء الله وشرح أحوالهم قال تعالى لاتبديل لكلمات الله والمراد انه لاخلف فيها والكلمة والقول سواء ونظيره قوله ما يسد القول لدى وهذا أحد ما يقوى أن المراد بالبشرى وهذا الله بالشواب

عن المزوم كافي قولك لأر بك ههنا وتخصيص انهمي عن الحزن بالابراد مع شمول النفي السابق ﴿١٧﴾ والكرامة للحزن أيضاً لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتز به عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى (ان العزة) تعليل للنهي على طريقة الاستئناف أي العزة والقهر (لله ججا) أي في ملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئاً منها أصلاً لهم ولا غيرهم فهو يفهمهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم

وقد كان كذلك وهي من جملة المبشرات العاجلة وقرئ: **يُتَخَّ** ان على صريح التعليل أي لأن العزة لله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو كما فهم بذلك (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) أي العقلاء من الملائكة والذليلين وتخصيصهم بالذكرا لا يزال بعد الحاجة الى التصریح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا لسيدهم متهورين تحت قهره وملكته فاعدهم ﴿ ١٧ ﴾ من الموجودات أولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيدها

سبق من اختصاص العزة لله

تعالى الموجب لسلوته عليه

السلام وعدم مساواته

بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد

لما لحق من قوله تعالى (وما ينبغ

الذين يدعون من دون الله

شركاء) وبرهان على بطلان

ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها

وما مانا فيه وشركاء مفعول

يتبع ومفعول يدعون محذوف

أظهره أي ما ينبغ الذين يدعون

من دون الله شركاء شركاء

في الحقيقة وان سموها شركاء

فاقتصر على أحدهم الظهور

دلالة على الآخر ويجوز

أن يكون المذكور مفعول

يدعون ويكون مفعول ينبغ

محذوفا لانها مع من قوله

تعالى (ان يدعون الا الظن)

أي ما يتبعون بقينا ما يتبعون

ظنهم الباطل واما موصولة

معطوفة على من كأنه قيل

ولله ما يتبعه الذين يدعون

من دون الله شركاء أي

وله شركاؤهم وتخصيصهم

بالذكر مع دخولهم فيما سبق

عبارة أو دلالة للمبالغة في بيان

بطلان اتباعهم وفساد ما

بنوه عليه من ظنهم شركاءهم

معبودين مع كونهم عبيدا له

سبحانه واما اسفهامية ﴿ ٣ ﴾

تعالى ما تعبدون من دونه الأسماء سميتها الخ وقرئ تدعون بالناء فلا استفهام للتبكي

والتوبيخ كأنه قيل وأي شيء

يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبیین تقرير الكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخهم على عدم اقتدائهم

بهم في ذلك كقوله تعالى أولئك الذين يدعون ينادون الى ربهم الوسيلة

والكرامة لمن أطاعه بقوله يبشرهم ربهم رحمة منه ورضوان ثم بين تعالى ان ذلك هو الفوز العظيم وهو كقوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ثم قال القاضى قوله لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما قبل العدم امتنع أن يكون قديما ونظير هذا الاستدلال بحصول الشسخ على ان حكم الله تعالى لا يكون قديما وقد سبق الكلام على أمثال هذه الوجوه ﴿ قوله تعالى ﴾ ولا يخزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم أذان لله من في السموات ومن في الارض وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخزنون (اعلم ان القوم لما أوردوا أنواع الشبهات التي حكها الله تعالى عنهم فيما تقدم من هذه السورة وأجاب الله عنها بالاجوبة التي فسرنا ما وقرناها بدلوها الى طريق آخر وهو انهم هددوه وخوفوه وزعموا اننا أصحاب النزع والمال فتمسح في قهره وفي ابطال أمره والله سبحانه أجب عن هذا الطريق بقوله ولا يخزنك قولهم ان العزة لله جميعا واعلم ان الانسان انما يخزن من وعيد غير وتهديد ومكره كيد لوجوز كونه مؤثرا في حاله فاذا علم من جهة علام الغيوب ان ذلك لا يؤخره عن أن يكون سببا لحزنه ثم انه تعالى كأزال عن الرسول حزن الآخرة بسبب قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك أزال حزن الدنيا بقوله ولا يخزنك قولهم ان العزة لله جميعا فاذا كان الله تعالى هو الذي أرسله الى الخلق وهو الذي أمرهم بدعوتهم الى هذا الدين كان لا محالة ناصرهم ومعينهم ولما ثبت ان العزة والتفهر والتعالي ليست الا لله فقد حصل الامن وزال الخوف فان قيل فكيف آمنه من ذلك ولم يزل خائفا حتى احتاج الى الهجرة والهرب ثم من بعد ذلك تخاف حال بعد حال قلنا ان الله تعالى وعده الظفر والنصرة مطلقا والوقت مالا كان معينا فهو في كل وقت كان يخاف من أن لا يكون هذا الوقت المعين ذلك الوقت فحينئذ يحصل الانكسار والانهزام في هذا الوقت واما قوله تعالى ان العزة لله جميعا ففيه ابحاث (البحث الاول) قال القاضى ان العزة بالالف المكسورة وفي فتحها فاساد يقارب الكفر لانه يؤدى الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا وان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحزنه ذلك أما اذا كسرت الالف كان ذلك استثناء وهذا يدل على فضيلة علم الاعراب قال صاحب الكشف وقرأ أبو حنيفة ان العزة بالفتح على حذف لام العلة بمعنى لان العزة على صريح التعليل (البحث الثاني) فائدة ان العزة لله في هذا المقام أمور (الاول) المراد منه ان جمع العزة والقدرة هي لله تعالى يعطى ما يشاء لعباده والغرض منه أنه لا يعطى الكفار قدرة عليه بل يعطيه القدرة عليهم حتى يكون هو بذلك أعز منهم فآمنه الله تعالى بهذا القول من اضرار الكفار به بالقتل والايذاء ومثله قوله تعالى كتب الله للاغلبين أنا نورسلى اننا لننصر رسلا (الثاني) قال الاصم المراد ان المشركين يتعززون بكثرة خدمهم وأموالهم ويخوفونك بها وتلك الاشياء كلها لله تعالى فهو القادر

سبحانه واما اسفهامية ﴿ ٣ ﴾

تعالى ما تعبدون من دونه الأسماء سميتها الخ وقرئ تدعون بالناء فلا استفهام للتبكي

والتوبيخ كأنه قيل وأي شيء

يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبیین تقرير الكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخهم على عدم اقتدائهم

بهم في ذلك كقوله تعالى أولئك الذين يدعون ينادون الى ربهم الوسيلة

ثم صنف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان ينبع هو الامم المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يبعه الملائكة والنبون من الحق (وان هم الايخرسون) يكذبون فيما نسبونه اليه سبحانه ويجزون وبقدر انهم شركاء تقديرا باطلا (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة واشعة الاشياء ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير ما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة ١٨ تحت قدرته ومملكته المفصيح عن اختصاص العزة به

سبحانه والجلل ان كان معنى الابداع والخلق فيصير احوال والافلكم مفعوله الثاني أو هو حال كما في الوجد الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه أو هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كأن العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلم لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجي نظيره في قوله تعالى وان يمسخ الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية مخدفة في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهار صائم (ان في ذلك) أي في جعل كل منهما كما وصف أو فيهما وما في اسم الإشارة من معنى البعد لا يذنب من منزلة المشار اليه وعلو رتبته (لايات) محببة كثيرة وآيات أخر غير ما ذكر (لقوم يسمعون) أي هذه الآيات المتلوة ونظايرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة

على أن يسلب منهم كل تلك الاشياء وان يصرك ويقل أموالهم ويديارهم اليك فان قيل قوله ان العزة لله جميعا كما مضى قوله تعالى والله العزة لله والمومنين قلنا لا مضادة لان عزة الرسول والمومنين كلها بالله فهي لله أما قوله هو السميع العليم أي يسمع ما يقولون ويعلم ما يدعون عليه وهو يكافئهم بذلك وأما قوله ألا ان الله من في السموات وما في الارض ففيه وجهان (الاول) انه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة ألا ان الله ما في السموات والارض وهذا يدل على ان كل ما لا يعقل فهو ملك لله تعالى وملك له ههنا فكل كلمة من مختصة بمن يعقل فتدل على ان كل العقلاء داخلون تحت ملك الله وملكه فيكون مجموع الآيتين دالا على ان الشكل ملكه وملكه (والثاني) ان المراد من في السموات العقلاء المعبرون وهم الملائكة والفتلان والماخضهم بالذكر ليدل على ان هؤلاء اذا كانوا في ملكه فالجاءات اولي بهذه العبودية فيكون ذلك قد حاق في جعل الاصنام شركاء لله تعالى ثم قال تعالى وما يبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وفي كنه ما قولان (الاول) انه نفى وجوب المعنى انهم ما يتبعوا شركاء الله تعالى انما يتبعوا شيئا ظنوه شركاء لله تعالى ومثاله ان أحدا لا وطن ان زيدا في الدار وما كان فيها فخطاب انسان في السار ظنه زيدا فانه لا يقال انه خاطب زيدا بل يقال خاطب من ظنه زيدا (الثاني) ان ما استهفاهم كانه قبل أي شيء يبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تفصيح قولهم يعني انهم ليسوا على شيء ثم قال تعالى ان يتبعون الا الظن والمعنى انهم انما اتبعوا ظنونهم الباطلة وأوهاهم انفسا ثم بين ان هذا الظن لاحكم له وان هم الايخرسون وذكرا معنى الخرص في سورة الانعام عند قوله ان يتبعون الا الظن وان هم الايخرسون . قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون (اعلم انه تعالى لما ذكر قوله ان العزة لله جميعا احتج عليه بهذه الآية والمعنى انه تعالى جعل الليل ليرى التعب والكلال بالسكون فيد وجعل النهار مبصرا أي مضيا للهدى وابيه في حوائجكم بالابصار والمبصر الذي يصر والنهار يصر فيه وانما جعله مبصرا على طريق نقل الاسم من السبب الى المسبب فان قيل ان قوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه يدل على انه تعالى ما خلقه الا لهذا الوجه وقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يدل على انه تعالى أراد بتخليق الليل والنهار أنواعا كثيرة من الدلائل قلنا ان قوله تعالى لتسكنوا لا يدل على انه لاحكمه فيه الا ذلك بل ذلك يقضي حصول تلك الحكمة أما قوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يسمعون فالمراد يتدبرون ما يسمعون ويعتبرون به . قوله تعالى (قالوا اتخذ الله ودا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) اعلم ان هذا نوع آخر من الابطال التي حكاه الله تعالى عن الكفار وهي قولهم اتخذ الله ولدا ويحتمل ان يكون المراد حكاية

بالأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما في قولهم انهم المنتفعون بها (قالوا) شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه (اتخذ الله ولدا) أي تنبه (سبحانه) تنزيهه وتقديسه له عما نسبوا اليه وتجب من كلهم الحق (هو الغني) على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتزويجه سبحانه وايدان بان اتخاذ الوالد من أحكام الحاجة وقوله

يزوج (له مافي السموات ومافي الارض) أي من العقلاء وغيرهم تفرير لغناه وتحقيق لما لكيتة تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى (ان
 ندكم من سلطان) أي حجة (بهذا) أي بما ذكر من قوالب الباطل توضيح لبطالانه بتحقيق سلامة ما أقيم من البرهان الساطع
 من المعارض فن في قوله تعالى من سلطان زائدة تأكيداً كيداً للذي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره أو أمر ترفع على أنه فاعل للظرف
 اعتماداً على النبي وهذا متعلق بما بسطان لانه يعني ١٩ الحجة والبرهان وأما محذوف وقع صفقه وأما بما في عندهم
 من معنى الاستقرار كأنه قيل

ان عندكم في هذا القول من
 سلطان والالتفات الى الخطاب
 لزيد المبالغة في الازام والافتحام
 وتأكيده مافي قوله تعالى
 (انقولون على الله ما لا تعلمون)

من التوبيخ والتعريض على
 جهلهم واختلافهم وفيه
 تنبيه على أن كل مقالة لا دليل
 عليها فهي جهالة وأن العقائد
 لا بد لها من برهان قطعي
 وأن التقليد بمعزل من
 الاعتداده (قل) تلوين
 للخطاب وتوجيه الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ليبين
 لهم سوء مغبتهم ووخامة
 عاقبتهم (ان الذين يفترون
 على الله الكذب) أي في كل
 أمر فيدخل ما نحن بصدده
 من الافتراء بنسبة الولد
 الشريك اليه سبحانه وخولا
 أوليا (لا يفلحون) أي لا ينجون
 من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
 أصلاً وتخصيص عدم النجاة
 والفوز بما يندرج في ذلك من
 عدم النجاة من النار وعدم
 الفوز بالجنة لا يناسب مقام
 المبالغة في الزجر عن الافتراء
 عليه سبحانه (متاع في الدنيا)
 كلام مستأنف سبق لبيان

قول من يقول الملائكة بنات الله ويحتمل أن يكون المراد قول من يقول الاوثان أولاد الله
 ويحتمل أن يكون قد كان فيهم قوم من النصارى قالوا ذلك ثم انه تعالى لما استنكر هذا
 القول قال بعده هو الغنى له مافي السموات ومافي الارض واعلم ان كونه تعالى غنياً ما لا
 لكل مافي السموات والارض يدل على أنه يستحيل أن يكون له ولد وبيان ذلك من وجوه
 (الاول) أنه سبحانه غني مطلقاً على مافي هذه الآية والعقل أيضاً يدل عليه لانه لو كان
 محتاجاً لافتقار الى صنائع آخر وهو محال وكل من كان غنياً فانه لا بد وان يكون فراد من هذا
 عن الاجزاء والاعراض وكل من كان كذلك امتنع أن يفصل عنه جزء من أجزائه والولد
 عبارة عن أن يفصل جزء من أجزاء الانسان ثم تولد عن ذلك الجزء مثله وإذا كان هذا
 محالاً ثبت ان كونه تعالى غنياً يمنع من ثبوت الولد له (الحجة الثانية) انه تعالى غني وكل من
 كان غنياً كان قديماً أزلياً باقياً سردياً وكل من كان كذلك امتنع عليه الانقراض
 والانقضاء والولد انما يحصل للنشي الذي يتفنى ويتعرض فيكون ولده قائماً مقامه
 فثبت ان كونه تعالى غنياً يدل على أنه يمتنع أن يكون له ولد (الحجة الثالثة) انه تعالى غني
 وكل من كان غنياً فانه يمتنع أن يكون موصوفاً بالشهوة والذلة وإذا امتنع ذلك امتنع
 أن يكون له صاحبة وولد (الحجة الرابعة) انه تعالى غني وكل من كان غنياً امتنع أن يكون
 له ولد لان اتخاذ اولاد انما يكون في حق من يكون محتاجاً حتى يعينه ولده على المصالح
 الحاصلة والمتوقعة فن كان غنياً مطلقاً امتنع عليه اتخاذ الولد (الحجة الخامسة) ولد
 الحيوان انما يكون ولداً بشرطين اذا كان مساوياً له في الطبيعة والحقيقة ويكون
 ابتداء وجوده وتكونه منه وهذا في حق الله تعالى محال لانه تعالى غني مطلقاً وكل
 من كان غنياً مطلقاً كان واجب الوجود لذاته فلو كان لوجب الوجود ولداً لكان ولده
 مساوياً له فليزم أن يكون ولداً واجب الوجود أيضاً واجب الوجود لكن كونه واجب
 الوجود يمنع من تولده من غيره وإذ لم يكن متولداً من غيره لم يكن ولداً فثبت ان كونه
 تعالى غنياً من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا ولده وهذه الثلاثة مع الثلاثة الاولى في غاية
 القوة (الحجة السادسة) أنه تعالى غني وكل من كان غنياً امتنع أن يكون له أب وأم وكل
 من تقدس عن الوالدين وجب أن يكون مقدساً عن الاولاد فان قيل يشك هذا بالولد
 الاول قلنا الولد الاول لا يمتنع كونه ولداً لغيره لانه سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق الولد
 الاول من أبوين بقدمانه اما الحق سبحانه فانه يمتنع افتقاره الى الابوين والاملا كان غنياً
 مطلقاً (الحجة السابعة) انه تعالى غني مطلقاً وكل من كان غنياً مطلقاً امتنع أن يفتقر
 في احداث الاشياء الى غيره اذا ثبت هذا فنقول هذا الولد اما أن يكون قديماً واحداً
 فان كان قديماً فهو واجب الوجود لذاته اذا لو كان يمكن الوجود لافتقار الى المؤثر وافقار
 القدم الى المؤثر يقتضي اتحاد الوجود وهو محال وإذا كان واجب الوجود لذاته
 لم يكن ولداً لغيره بل كان موجوداً مستقلاً بنفسه وأما ان كان هذا الولد حادثاً والحق

ما يترأى فيهم بحسب انظارهم من نيل المطالب والفوز بالخطوظة الدنيوية على الإطلاق أو في ضمن افتراءهم بقول من أن
 يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غلبة ونعيم قليل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم
 أشير الى انتفاء النجاة عن المكروه أيضاً بقوله عز وعلا (ثم اليها مرجعهم) أي بالمولوت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
 يكفرون) فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر وكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح

وقيل المبدأ المحذوف حياتهم أو تغلبهم وقد قيل انه افتروا وهم ولا يخفى ان المتأخر انما يطلق على ما يكون مشروعا عند النفس
مرفوعا بآفة في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداده لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه أفصح القبايح عند النفس
فضلا عن أن يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدى اليه من رياستهم عليه مالا وجه له فالوجه
ما ذكر أولا وليس بعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر أى لهم ﴿ ٢٠ ﴾ متاع والآية امامسوقة من جهة الله تعالى لتحقيق

عدم افلاحهم غير داخله
في الكلام المأمور به كما يقتضيه
ظاهر قوله تعالى ثم ينالوا قوله
تعالى ثم ندينهم واماداخله
فيه على أن النبي عليه الصلاة
والسلام مأمور بنقله وحكاية
عنه عز وجل (واتل عليهم)
اى على المشركين من أهل
مكة وغيرهم تحقيق ماسبق
من أنهم لا يفلحون وأن ما تصور
به على جناح القوات وأنهم
مشرفون على العذاب الخالد
(نبأ نوح) أى خبره الذى له
شأن وخطر مع قومه الذين هم
أضراب قومك في الكفرو
العناد ليتدبروا ما فيه من زوال
ما تمنعوا به من النعيم وحلول
عذاب الفرق الموصول
بالعذاب المقيم ليزجر وابلنك
عما هم عليه من الكفر وتكسر
شدة شكيتهم وأيعترف بعضهم
بصحة نبوتك بأن عرفوا أن
ما تلوه موافقا لما ثبت عندهم
من غير تخالفة بينهم أصلا
مع علمهم بانك لم تسمع ذلك
من أحد ليس الاطريق
الوحى وفيه من تقرير ماسبق
من كون الكل لله سبحانه
واختصاص العربة تعالى
وانتفاء الخوف والحزن عن

أوليائه عز وجل عاطفة وتشييع النبي صلى الله عليه وسلم وجهه على عدم المبالة بهم وأقوالهم وافعالهم ما لا يخفى ﴿ من
(اذفال) معمون تنبأ أو بدل منه بدلا شتما وأياما كان فالمراد بعض نبئه عليه السلام لاكل ما جرى بينه وبين قومه والبلاد
في قوله تعالى (نومهم) للتبليغ (يا قوم ان كان كبر) أى عظم وشوق (عليكم مقامى) أى نفسى كما يقال فعلته لمكان فلان أى
لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أى خاف ربه أو قيامى ومكنى بين ظهرانيكم مدة

طوبى له او قبحى (وتذكيرى بآيات الله) فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم والجماعة قعود ليعظروا حالهم ويسمع مقالهم (فعلى الله توكلت) جواب للشرط أى دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز أن يراد به أحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل (فأجمعوا أمركم) عطف على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالاجماع على التوكل لترتيب نفس الاجماع عليه وهو الجواب وماسبق جملة معترضة ٢١ والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال

السدوسى أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعا بعدما كان منفردا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل كذا واذا عظم على أمر واحد فقد جمعه أى جعله جميعا (وشركاءكم) بالنصب على أن الواو بمعنى مع كأيدي عليه القراءة بالرفع عطفًا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيّد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التكميم وقيل انه عطف على أمركم بحذف المضاف أى أمر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف أى وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فأجمعوا من الجمع أى فاعزموا على أمركم الذى تريدون من السعى فى اهلاكى وأحشدوا فيه على أى وجه يمكنكم (ثم لا يكن امركم) ذلك (عليكم غمة) أى مستورا من غمة اذا ستره بكسوفه مشهورا نجاروتى به فان السر انما يصار اليه اسدياب تدارك الخلاص بالهرب أو نحوه فبحث استحالة ذلك فى حق

من أنواع الملائة فإذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر انشرح صدره وطاب قلبه ووجد من نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلًا قويًا (وثانيها) ليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولاصحابه أسوة بن سلف من الانبياء فان الرسول اذا سمع أن معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت الاعلى هذا الوجد خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت (وثانيها) أن الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا أن الجهاد وإن بالغوا فى إيذاء الانبياء المتقدمين أن الله تعالى أعانهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وفهر أعدائهم كل سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل فى صدورهم وحينئذ يقولون من أنواع الإيذاء والسفاهة (ورابعها) اننا قد علمنا على أن محمدًا عليه الصلاة والسلام لم يعلم علمًا ولم يطالع كتابًا ثم ذكر هذه الأقاصيص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم انما عرفها بالوحي والتزليّل واعلم انه تعالى ذكر فى هذه السورة من قصص الانبياء عليهم السلام ثلاثة (فالقصة الاولى) قصة نوح عليه السلام وهى المذكورة فى هذه الآية وفيها وجهان من الفائدة (الاول) ان قوم نوح عليه السلام لما أصروا على الكفر ولم يجدوا على الله هلاكهم بالغرق فذكر الله تعالى فصتهم لتصير تلك القصة عبرة لهؤلاء الكفار ودعوة الى مفارقة الجحود والشدة (والثاني) ان كفار مكة كانوا يستعجلون العذاب الذى يذكره الرسول عليه السلام لهم وكانوا يقولون له كذبت فانه ما جاءنا هذا العذاب فانه تعالى ذكرناهم قصة نوح عليه السلام لانه عليه السلام كان يخوفهم بهذا العذاب وكانوا يكذبونه فيدثم بالآخرة وقع كما أخبرنا كذا ههنا (المسئلة الثانية) ان نوحًا عليه السلام قال يقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت وهذا اجله من الشرط والجزاء أما الشرط فهو مركب من قيد (القيّد الاول) قوله ان كان كبر عليكم مقامى قال انواحدى فى البسيط يقال كبر يكبر كبرا فى السن وكبر الامر والشئ اذا عظمت كبر كبرا وكبارة قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم وعظم أمر عندكم والمقام بفتح الميم مصدر كالاقامة يقال أقام بين أظهرهم مقاما واقامة المنام بضم الميم الموضع الذى يقام فيه وأراد بالقام ههنا مكث وابته فيهم وبالجملة فقوله كبر عليكم مقامى جار مجرى قولهم فلان ثقل الظل واعلم أن سبب هذا الثقل أمران (أحدهما) انه عليه السلام مكث فيهم ألف سنة الاخيرين عاما (والثاني) ان أولئك الكفار كانوا قد أتوا تلك المذاهب الفاسدة والطرائق الباطلة والغرائب أن من ألف طريقة فى الدين فانه يشغل عليه أن يدعى الى خلافها يذكر له ركائزها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان أثقل وأشد كراهية فان اقترن به اراد الدلائل القاهرة على فساد ذلك المذهب كانت الفترة أشد فهذا هو السبب فى حصول ذلك الثقل (والثاني) هو قوله وتذكيرى بآيات الله واعلم أن الطباع المشغوفة بالدنيا الحريصة على طلب المآل

لم يكن للسروج وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهار لعدم المبالاة بهم وأنهم لم يجدوا سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عظمته وكلايته فكلما تم التراخى فى الرتبة واطهار الامر فى موقع الاضمحار لزيادة تفرقة تضيقها مقام الامر بالاطهار الذى يستلزمه النهى عن التستر والاسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والهمة الغم كالكربة والكرب وثم التراخى الزمانى والمعنى لا يكن

اليه في قوله عز وجل (بما كذبوا به من قبل) تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة الوصول اليه اشارة بين نفسه وبين غيره عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تصحطهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا واجبا عبارة عن جميع اشرايع **٢٤** التي جاء بها كل رسول اصولها ما وفر وعدها وان كان

الحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكره ولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخره تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل فاطبة ودعواهم اليها اثر ذي اثر لاستحالة تبديلها وتغييرها مثل ملة التوحيد ولو زعمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوها بكلمة التوحيد فطبل كان كل قوم من أولئك الاقوام يسمعون بها من يقايل قلبهم ككود من يقايل عادوهم من يقايل قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل تكذيبهم قبل ذلك كما لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول اظهر حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلا يؤمنوا بما تفرده بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما في يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبا **٢٥** قوله يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بانعرافتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف

فقال المفسرون هذا اشارة الى أنه ما أخذ منهم ما ادعى دعوتهم الى دين الله تعالى ومضى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلوب عند وجد آخره هو أن يقال انه عليه السلام بين انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه وذلك لان الخوف انما يحصل بأحد شيئين اما بإيصال الشر أو بقطع المنافع فيبين فيما تقدم انه لا يخاف شرهم وبين بهذه الآية انه لا يخاف منهم بسبب أن يقطعوا عنه خيرا لانه ما أخذ منهم شيئا فكأن يخاف أن يقطعوا منه خيرا ثم قال ان أجرى الله على الناس وأمرت أن أكون من المسلمين وفيه قولان (الاول) انكم سواء قبلتم دين الاسلام أو لم تعقلوه فاما ما أور بأن أكون على دين الاسلام (والثاني) أني ما أور بالاسلام لكل ما يصل الى لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه البقي بهذا الموضع لأنه لما قال ثم افضوا الى دين الله ما هم به ما مور بالاسلام لكل ما يصل اليه في هذا الباب والله اعلم في قوله تعالى (شكروا) فحينئذ ومن معه في القلوب وجعلناهم خلاف وأعرضنا الذين كذبوا يا نوحا عن كذب كان عاقبة المفسرين اعلم انه تعالى لما حكي الكلمات التي جرت بين نوح وبين أولئك الكفار كذا ما فيه رجعت عاقبة تلك الواقعة أما في حق نوح وأصحابه وأمر ان (أحدسها) انه تعالى نجاهم من الكفار (الثاني) أنه جعلهم خلاف بمعنى أنهم ينظرون من هلك بالغرق وأما في حق الكفار فهو انه تعالى أغرقهم وأهلكهم وهذه القصة اذاعها من صدق الرسول ومن كذب به كانت زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن يغرق بهم مثل ما زل قوم نوح وتكون داعية المؤمنين على الشك على الايمان ليحسوا ان مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في التوبيخ والتخدير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبني على هذا الوجه الذي ذكره على انما يصح انما عليهم السلام واما تفصيل هذه القصة فهي مذكرة في سائر سور في قوله تعالى (ثم عاقبنا بعد ذلك الينا قومهم بما كانوا يوعظون) فاذيوا به من قبل ذلك لطبع على قلوب المعتدين (اعلم ان المراد ثم بعثنا من بعد نوح رسولا ولما آسفونا كبدهم هود وصالح وابراهيم) بطر وشعب صلوات الله عليهم اجمعين بالبينات ومن المعجزات الباهرة فأخبر تعالى عنهم انهم جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يجرهم ما بهلهم من اهلاك الله تعالى المكذبين من قوم نوح عن ذلك فاذيوا به من قبل ذلك كما كذبوا به من قبل وتأس المراد عين ما كذبوا به من ذلك لم يصل في زمانهم بل المراد بمثل ما كذبوا به من البينات لان البينات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام اجمع كانوا واحدة ثم قال تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين واخرج اصحابنا على أن الله تعالى قد يمنع المكلف عن الايمان بهذه الآية وتقريره ظاهر قال القاضي الضبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء (والجواب) ان الكلام في هذه المسئلة قد سبق على الاستقصاء في تفسير

بالذات لما في يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبا **٢٥** قوله يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بانعرافتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف

وقيل الباء السببية أي بسبب تهودهم تكذيب الحق وتمزجهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن ذلك يؤدى إلى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كاهورأى الاخفش وإن السراج يرجع إليها الضمير وفي أرجاعه إلى الحق بادعاء كونه مركزاً في الاذهان لا يخفى من التعسف (كذلك) أي مثل ذلك الطبع المحكم (نطبع) بنون العظمة وقرى بالياء على أن الضمير لله سبحانه (على قلوب المعتدين) التجاوزين عن الحدود ﴿ ٢٥ ﴾ المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق

وملوك طريق الرشاد وذلك
تخذلائهم وتخليتهم وشأنهم
لأنهما كهم في الغي والضلال
وفي أمثال هذه دلالة على أن
الافعال واقعة بقدره الله تعالى
وكسب العبد (ثم بعثنا) عطف
على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده
رسالاً إلى قومهم عطف قصد على
قصة (من بعدهم) أي من بعد
أولئك الرسل عليهم السلام
(موسى وهرون) خصت بعثتهما
عليهما السلام بآيات كرواها بكشف
بأن دراج خبرهما فيما أشير إليه
إشارة إجمالية من أخبار الرسل
عليهم السلام مع أقوامهم
وأورث في ذلك ضرب تفصيل
أي أنا فخطر شأن القصة وعظم
وقوعها كما في بناوحي عليه السلام
(إلى فرعون وملائه) أي
أشراف قومه وتخصيصهم
بالذكر لاصالتهم في إقامة
المصالح ولمهمات ومراجعة
الكل التوازي لهم في الولائم
(يا آتاهنا) أي تبين بها وهي
الآيات المفصلات في الاعراف
(فاستكبروا) الاستكبار ادعاء
الكبر من غير استحقاق والفاء
فصيحة أي فأتاهم فبلغاهم
الرسالة فاستكبروا عن

قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم فلا تآذنه في الاعادة (القصة الثانية) قصة
موسى عليه السلام * قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون
وملائه يا آتاهنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا
لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحراً هذا ولا يفلح الساحرون) اعلم أن
هذا الكلام غني عن التفسير وفيه سؤال واحد وهو ان القوم لما قالوا ان هذا السحر مبين
فكيف حكى موسى عليه السلام أنهم قالوا أسحراً هذا على سبيل الاستفهام (وجوابه)
ان موسى عليه السلام ما حكى عنهم أنهم قالوا أسحراً بل قال أتقولون الحق لما جاءكم
ما تقولون ثم حذف عنه مفعول تقولون لدلالة الحال عليه ثم قال مرة أخرى أسحراً هذا
وهذا استفهام على سبيل الإنكار ثم احتج على أنه ليس بسحر وهو قوله ولا يفلح الساحرون
يعني أن حاصل صنعهم تخييل وتوهم ولا يفلح الساحرون وأما قلب العصا حية وخلق البحر
معلوم بالضرورة أنه ليس من باب التخيل والتوهم فثبت أنه ليس بسحر قوله تعالى
(قالوا أجنسنا لتفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) تكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن
لكما بمؤمنين وقال فرعون أنوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى أقفوا
ما أنتم ملقون فلما أقفوا قال موسى ما جئتم به السحرة ان الله سيطلبه ان الله لا يصلح عمل
المفسدين ويحق الله الحق بكلماته وانوكره المجرمون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم
أنه تعالى حكى عن فرعون وقومه أنهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام وعلوا عدم
القبول بأمرين (الاول) قوله أجنسنا لتفتنا عما وجدنا عليه آباءنا قال الواحدى
اللفت في أصل اللغة الصرف عن أمر وأصله إلى يقال لفت عتقه اذا الواها ومن هذا
يقال التفت إليه أي آمال وجهه إليه قال الازهرى لفت الشيء وقتله اذا الواها وهذا من
المقلوب واعلم ان حاصل هذا الكلام أنهم قالوا لا نترك الدين الذى نحن عليه لانا وجدنا
آباءنا عليه فندم مسكوا بالتقليد ودفعوا الجملة الظاهرة بمجرد الاصرار (والسبب الثانى)
في عدم القبول قوله وتكون لكما الكبرياء في الأرض قال المفسرون المعنى ويكون
لكما الملوك والعز في أرض مصر والخطيب لموسى وهرون قال الزجاج سمى الملك كبرياء
لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضاً فالتبني اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد
أمر أمته إليه فصار أكبر القوم واعلم أن السبب الاول إشارة إلى التمسك بالتقليد
والسبب الثانى إشارة إلى الحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ولما ذكر القوم
هذين السببين صرحوا بالحقم وقالوا وما نحن لكما بمؤمنين واعلم ان القوم لما ذكروا
هذه المعاني حاولوا بعد ذلك وأرادوا أن يعارضوا معجزة موسى عليه السلام بأنواع من
السحر ليظهره وعند الناس ان ما أتى به موسى من باب السحر فجمع فرعون السحرة
وأحضرهم فقال لهم موسى أقفوا ما أنتم ملقون فان قيل كيف أمرهم بالكفر والسحر

اتباعهما وذلك قول الله عن موسى عليه السلام ألم تر بك ﴿ ٤ ﴾ خا فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ (وكانوا قوماً
مجرمين) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كانوا معاندين لا يرتكب الذنوب العظام فان الاجرام مؤثرون بعظم الذنب ومنه الجرم
أي الجثة فلذلك اجتزأوا عما جرتوا عليه من الاستهانة برسالة الله تعالى وحل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات
لإيساعده قوله

عز وجل (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين) فانه صريح في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجي الحق الذي سموه سحرا أعني العصا واليد البيضاء كما بيني عنه سياق النظم الكرم وذلك أول ما أظهره عليه السلام من الآيات العظام والفة فيه أيضا فصحة معر به عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتمكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فألقى عصا فاذا هي ثعبان مبين وتزعجده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم ٢٦ الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوه

والامر بالانكفار كفر قلنا انه عليه السلام أمرهم ببقاء الحبال والعصى ليظهر الخلق ان ما أتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق انه عليه السلام أمرهم بالسحر فلما أتوا حبالهم وعصيتهم قال لهم موسى ما جئتم به هو السحر الباطل والغرض منه ان القوم قالوا لموسى ان ما جئت به سحر فقد كرم موسى عليه السلام ان ما ذكرتموه باطل بل الحق ان الذي جئتم به هو السحر والتو به الذي يظهر بطلانه ثم أخبرهم بأن الله تعالى يتحق الحق ويضل الباطل وقد أخبر الله تعالى في سائر السور انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب ان ذلك الثعبان قد تلفق كل تلك الحبال والعصى (المسئلة الثانية) قوله ما جئتم به لسحر ما ههنا موصولة بمعنى الذي وهي مرتفعة بالابتداء وخبرها السحر قال القراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب كلام سبق ألا ترى انهم قالوا لما جاءهم موسى هذا سحر وقال لهم موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معر فذا يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل فيعيده بالالف واللام والوقال له من رجل لم يقع في فهمه فله سؤاله عن الرجل الذي ذكره له وقرا أبو عمر والسحر بالاستفهام وعلى هذه القراءة ما استفهامية مرتفع بالابتداء وجئت به في موضع الخبر كأنه قيل أي شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ والتفريع السحر كقوله تعالى أأنت قلت الناس والسحر بدل من المبتدا ولزم أن الحقة الاستفهام ليساوي المبدل منه في أنه استفهام كما تقول كم مالك أعشرون أم ثلاثون فجعلت أعشرون بدلا من كم ولا يلزم أن يضمر للسحر خبر لانك اذا أبدلته من المبتدا صار في موضعه وصار ما كان خبرا عن المبدل منه خبرا عنه ثم قال تعالى ان الله سبطه اي سيم نكده ويظهر فضيحة صاحب ان الله لا يصلح على المفسدين اي لا يقويه ولا يكلمه ثم قال ويحق الله الحق ومعنى احقاق الحق اظهاره وتقويته وقوله بكلماته اي بوعد موسى وقبل بما سبق من فضائله وقدره وفي كلمات الله أبحاث غامضة عميقة وقد ذكرناها في بعض مواضع من هذا الكتاب ٢٧ قوله تعالى (فأمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يقتلهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين) وان لم أنه تعالى بين فيما تقدم ما كان من موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة وما ظهر من تنشق العصا لكل ما أحضره من آيات السحر ثم انه تعالى بين أنهم مع مشاهدة المعجزات العظيمة ما آمن به منهم الاذرية من قومه وانما ذكر تعالى ذلك تسليية لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يهتم بسبب اعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر فبين ان له في هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لان الذي ظهر من موسى عليه السلام كان في الاعجاز في مرأى العين أعظم ومع ذلك فأمن به منهم الاذرية واختلقوا في المراد بالذرية على وجوه (الاول) ان الذرية ههنا معناها تقليل العدد قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل الى حمله على التحقير على وجه الاهانة في

وعنادهم ان هذا السحر مبين
أي ظاهر كونه سحرا أو فائق
في بابه واضح فيما بين أضرابه
وقرى السحر (قال موسى)
استثاف مبني على سؤال
ينساق اليه الاذهان كأنه قيل
فاذا قال لهم موسى حينئذ وقيل
قال على طريقة الاستفهام
الانكارى التوبيخي (أنتوا لون
الحق) الذي هو بعد شئ من
السحر الذي هو الباطل البحت
(لما جاءكم) اي حين مجيئه اياكم
ووقوفكم عليه أو من أول
الامر من غير تأمل وتدبر وكلا
الحالين مما ينافي القول المذكور
والقول بخذوف ثقة بدلالة
ما قبله وما بعده عليه وايدانا
بأنه مما لا ينبغي أن يتفوه به ولو
على نصح الحكاية أي أتقونون
له ما تقولون من انه سحر اعني
به أنه مما لا يمكن أن يقوا قائل
ويتكلم به متكلم أو القول بمعنى
العيب والظمن من قولهم فلان
يخاف القالة وبين الناس
تقول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوءه ونظيره المذكور في قوله
تعالى سمعنا نقى بذكرهم الخ
فيستغنى عن المفعول أي أتعربونه
وتقطعون فيه وعلى الوجهين

فقوله عز وجل (أسحروا) انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقواهم وتوبيخ لهم على ٢٨
ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل أما على الاول فظاهر وأما على الثاني فوجه ايتار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيaban
يقال مثلاً فيه عيب جبه بما ينقصه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد انبييه

لانكار السابق على أن ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات
مدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد
بروفى بحيث لا يرتاب فيه أحد من له عين مبصرة وتقديم الخبر للايدان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من أتى
ساحرا كذا لانكار السابق وما فيه ٢٧ * من التوبيخ والتحجيل بقوله عز وجل (ولا يفلح الساحرون) وهو جولة

حالية من ضمير المخاطبين
والرابط هو الواو بلا ضمير
كافى قول من قال جاء الشئاء
ولست أملك عدة وقولك جاء
زيد ولم تطلع الشمس مئى
أنقولون الحق انه سحر والحال
أنه لا يفلح فاعله أى لا يظفر
بمطلوب ولا ينجوا من مكروه
فكيف يمكن صدوره من مثلى
من المؤيدين من عند الله
العزى الحكيم الفاضل بكل
مطلب الناجين من كل محذور
وقوله تعالى أسحر هذا جولة
معتضة بين الحال وصاحبها
أكد بها الانكار السابق بينان
استحالة كونه سحرا بالنظر
الى ذاته قبل بيان استحالاته
بالنظر الى صدوره عنه عليه
السلام هذا وأما تجوز أن
يكون الكل مقول القول على
أن المعنى أحجثا بالسحر
تطلبان به الفلاح ولا يفلح
الساحرون فما لا يساعده النظم
الكره أصلا أما أولافلان
ما قالوا هو الحكم بأنه سحر
من غير أن يكون فيه دلالة على
ما نعتف فيه من المعنى بوجه
من الوجوه فصرف جوابه
عليه السلام عن صريح ما
خاطبوه به الى ما يفهم منه

هذا الموضع فوجب جله على التصغير بمعنى قلة العدد (الثانى) قال بعضهم المراد أولاد من
دعاهم لان الآباء استمروا على الكفر اما لان قلوب الأولاد ألين أودوا عنهم على الثبات
على الكفر أخف (الثالث) ان النذرية قوم كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهاتهم من
بنى اسرائيل (الرابع) الذرية من آل فرعون آسية امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه
وما شطها وأما الضمير في قوله من قومه فقد اختلفوا أن المراد من قوم موسى أو من قوم
فرعون لان ذكرهما جميعا قد تقدم والظاهر أنه عائد الى موسى لانه أقرب المذكورين
ولانه نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بنى اسرائيل أما قوله على خوف من فرعون
وملئهم أن يقتلهم فغية أبحاث (البحت الاول) ان أولئك الذين آمنوا بموسى كانوا
خائفين من فرعون جدا لانه كان شديدا البطش وكان قد أظهر العداوة مع موسى فاذا علم
ميل التوم الى موسى كان يبالغ في ايدائهم ولهذا السبب كانوا خائفين منه (البحت الاثنى)
انما قال وملئهم مع أن فرعون واحد لوجوه (الاول) انه قد يعبر عن الواحد بلفظ
الجمع والمراد التعظيم قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر (الثانى) أن المراد بفرعون
آل فرعون (الثالث) ان هذا من باب حذف المضاف كأنه اريد بفرعون آل فرعون
ثم قال أن يقتلهم أى يصرفهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم ثم قال وان فرعون
لعال في الارض أى غالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين قيل المراد انه كثير لقتل كثير
التعذيب لمن يخالفه في أمر من الامور والعرض منه بيان السبب في كون أولئك المؤمنين
خائفين وقيل انما كان مسرفا لانه كان من أخس العبيد فادعى الالهية * قوله تعالى
(وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله
توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه بالقوم الظالمين ونجتنا برحمتك من القوم الكافرين) في الآية
مسائل (المسئلة الاولى) ان قوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين جزء
معلق على شرطين أحدهما مقدم والاخر متأخر والفقهاء قالوا المتأخر يجب أن
يكون مقدما والمقدم يجب أن يكون متأخرا ومثاله أن يقول الرجل لامرأته ان دخلت
الدار فأنت طالق ان كنت زيدا وائسا كان الامر كذلك لمن يجمع قوله ان دخلت
الدار فأنت طالق صار مشروطا بقوله ان كنت زيدا والمشروط متأخر عن الشرط وذلك
ينقض أن يكون المتأخر في اللفظ مقدما في المعنى وأن يكون المتقدم في اللفظ متأخرا
في المعنى والتقدير كأنه يقول لامرأته حال ما كنت زيدا ان دخلت الدار فأنت طالق
فلو حصل هذا التعليق قبل ان كنت زيدا لم يقع الطلاق اذا عرفت هذا فنقول قوله ان
كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ينقض أن يكون كونهم مسلمين شرطا
لان يصبروا مخاطبين بقوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للمسلم حال
اسلامه ان كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام عبارة عن
الاستسلام وهو اشارة الى الانقياد للتكاليف الصادرة عن الله تعالى وإظهار الخضوع

أصلا ما يجب تنزيه النظم التبريل عن الحمل على أسأله وأما نافيان العرض لعدم افلاح السحرة على الإطلاق من وظائف من
يمسك بالحق المبين دون الكفرة المنشئين باذبال بعض منهم في معارضة عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص
عدم الافلاح بمن زعموا ساحرا بناء على غلبة ما يتون به من السحرة وأما نافيان قوله عز وجل (قالوا أحجثنا) الخ مسوق
ليبان أنه عليه السلام ألقهم الحجر فانقطعوا عن

الآيات بكلامه تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب عاجر محجوج ودين كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى فإلى موسى الخ حسبا أشير إليه كأنه قيل فإذا قالوا موسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فقل قالوا عاجزين عن الحاجة أجبنا (لثقتنا) أي لنصرفنا فان القتل والفت اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) ٢٨ أي من عبادة الأصنام ولا ريب

وترك التردد أما الإيمان فهو عبارة عن ضرورة القلب عارفا بأن واجب الوجود لذاته واحد وان ماسواه محدث مخلوق تحت تديره وقهره وتصرفه وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره الى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله فهذه الآية من أطراف الأسرار والتوكل على الله عبارة عن تفويض الأمور بالكلية الى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى واعلم أن من توكل على الله تعالى في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات لقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه (المسئلة الثانية) أن هذا الذي أمر موسى قومه به وهو التوكل على الله هو الذي حكاه الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال فلي الله توكلت وعند هذا يظهر الفارق بين الدرجتين لأن نوحا عليه السلام وصف نفسه بالتوكل على الله تعالى وموسى عليه السلام أمر قومه بذلك فكان نوح عليه السلام تاما وكان موسى عليه السلام فوق التمام (المسئلة الثالثة) المآل فليد توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لأن الأول يغيب الاختصاص كأنه عليه السلام أمرهم بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على الغير والأمر كذلك لأنه لما ثبت أن كل ماسواه فهو ملكه وملكه تحت تصرفه ونسخه وتحت حكمه وتديره امتنع في اعتل أن يتوكل الإنسان على غيره فلهذا السبب جاءت هذه الكلمة بهذه العبارة ثم بين تعالى أن موسى عليه السلام لما أمرهم بذلك قبلوا قوته وقاوا على الله توكلنا أي توكلنا عليه ولا نلتفت الى أحد سواه ثم لما فعلوا ذلك اشتغلوا بالدعاء فطلبوا من الله تعالى شيئين (أحدهما) أن قالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وفيد وجوه (الأول) أن المراد لا تفتن بآفرعون وقومه لأنك لو سيطرتهم علينا لوقع في قلوبهم اننا وكنا على الحق لما سيطرتهم علينا فبصير ذلك شبهة قوية في أصرارهم على الكفر فبصير تسلطهم علينا فتنة لهم (الثاني) أنك لو سيطرتهم علينا لاستوجبوا العقاب الشديد في الآخرة وذلك يكون فتنة لهم (الثالث) لا تجعلنا فتنة لهم أي موضع عذاب لهم (الرابع) أن يكون المراد من الفتنة المفتون لأن إطلاق لفظ المصدر على المفعول جائز كالخلق بمعنى المخلوق والتكوين بمعنى المكون والمعنى لا تجعلنا مفتونين أي لا تمنكهم من أن يحملوا بنا الظلم واقهرهم على أن تنصرف عن هذا الدين الحق الذي قبلناه وهذا التأويل منا كذب إذ كره الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله فإيمان لموسى الأذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وأما المطلوب الثاني في هذا الدعاء فهو قوله تعالى ونجنا برحمتك من اقوم الكافرين واعلم أن هذا القريب يدل على أنه كان اهتمام هؤلاء بأمر دينهم فوق اهتمامهم بأمر دنياهم وذلك لأننا جعلنا قواهم ربنا لا تجعلنا فتنة لاقوم الظالمين على أنهم ان سيطروا على المسلمين صار ذلك شبهة لهم في أن هذا الدين باطل فاضرعوا الى الله تعالى في أن يصون أولئك الكفار عن هذه الشبهة وقدموا هذا الدعاء على طلب النجاة لانفسهم وذلك يدل على ان غنايتهم بمصالح

في أن ذلك انما يتسنى يكون ما ذكر من تمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكما من قبلهم يكون جوابه عليه السلام حائلا عن التثبت المجئى لهم الى العدول عن سنن الحاجة ولا ريب في أنه لا علاقة بين قولهم أجبنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكى عنهم مصححة لكونه جوابا عنه (وتكون أنما التكبرياء) أي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التختانية وكذا في قوله تعالى (في الأرض) أي أرض مصر متعلقة بتكبر أو بالتكبرياء أو بالاستعراف لئلا يكون وقع خيرا أو محذوف وقع حالا من التكبرياء أو من الضمير في لئلا لئلا تجعله آية (وما نحن لئلا بمؤمنين) أي بمصدقين فيما جئنا به ونشبه الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول التكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق الآخر وأما الالف والمجئى له فثبت كانا من خصائص

صاحب الشريعة أسندا الى موسى عليه السلام خاصة (وقال فرعون) توحيد الفعل لأن الأمر من وظائف ديني فرعون أي قال للئلا بأمرهم بترتيب مبادئ الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد البأس من الزامهما بالاقول (أشوى بكل ساحر عليهم) بفنون السحر خافق ما هر فيه وقرئ سحار (فلما جاء السحرة) عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ابتدأنا بسرعه أمثالهم لأمر فرعون كما هو شأن الفاء القصصية في كل مقام أي

توانه فلما جاؤا (قال لهم موسى) لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر
قولهم امان ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك (القول ما انتم ملقون) اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر
فلما لقوا ما لقوا من العصى والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم (قال) لهم (موسى) غير مكثرت بهم
بما صنعوا (ما جئتم به السحر) ما موصولة وقعت ﴿٢٩﴾ مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لاسما فرعون وقومه

من آيات الله سبحانه أو هو
من جنس السحر يرهم أن
حاله بين لايعبأ به كأنه قال
ما جئتم به مما لا ينبغي أن يجابه
وقرى السحر على الاستفهام
فاستفهامية أى أى شئ
جئتم به أهو السحر الذى
يعرف حاله كل أحد ولا يتصدى
له عاقل وقرى ما جئتم به سحر
وقرى ما آتيتهم به سحر
ودلالتهم على المعنى الثانى
فى القراءة المشهورة أظهر
(ان الله سيبطله) أى سيحقيقه
بالكلية بما يظهره على يدى
من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلا
أو سيظهر بطلانه للناس
والسين لتأكيد (ان الله لا يصلح
عمل المفسدين) أى عمل جنس
المفسدين على الإطلاق
فيدخل فيه السحر دخولا
أوليا أو علمكم فيكون من باب
وضع المظهر موضع المضمحل
للتسجيل عليهم بالفساد
والاشعار بعلو الحكم وليس
المراد بعدم اصلاح علمهم
عدم جعل فسادهم صلاحا
بل عدم اثباته واتمامه أى لا يثبت
ولا يكمله ولا يدعى بل يحققه
ويهلكه ويسلط عليه الدمار
والجمله تعليل لما سبق من قوله

دين أعدائهم فوق عنايتهم بمصالح أنفسهم وإن جلنائه على أن لا يمكن الله تعالى أولئك
الكفار من أن يحملوهم على ترك هذا الدين كان ذلك أيضا دليلا على أن اهتمامهم بمصالح
أديانهم فوق اهتمامهم بمصالح أديانهم وعلى جميع التقديرات فهذه لطيفة شريفة * قوله
تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعِلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) اعلم أنه لما شرح خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر منهم
من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون باتخاذ المساجد والاقبال على
الصلوات يقال تبوأ المكان أى اتخذ مبعأ كقوله توطئه اذا اتخذ وطنا والمعنى اجعلوا
بمصر بيوئا لقومكما ومرجعنا رجوعنا اليه للعبادة والصلاة ثم قال واجعلوا بيوتكم قِبْلَةً
وفيه أبحاث (البحث الاول) من الناس من قال المراد من البيوت المساجد كافي قوله
تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ومنهم من قال المراد مطلق البيوت
أما الاولون فقد فسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة ثم قالوا والمراد من قوله
واجعلوا بيوتكم قِبْلَةً أى اجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقال القراء
واجعلوا بيوتكم قِبْلَةً أى الى القبلة وقال ابن الانبارى واجعلوا بيوتكم قِبْلَةً أى قبلا
بمعنى مساجد فأطلق لفظ النوحدان والمراد الجمع واختلفوا فى أن هذه القبلة أين كانت
فظاهر أن لفظ القرآن لا يدل على تعيينه الا أنه نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة
قِبْلَةً لموسى عليه السلام وكان الحسن يقول الكعبة قِبْلَةً كل الانبياء وانما وقع العدول
عنها بأمر الله تعالى فى أيام الرسول عليه السلام بعد الهجرة وقال آخرون كانت تلك
القبلة جهة بيت المقدس وأما القائلون بأن المراد من لفظ البيوت المذكورة فى هذه
الآية مطلق البيت فهو لاء لهم فى تفسير قوله قِبْلَةً وجهان (الاول) المراد يجعل تلك
البيوت قِبْلَةً أى مقابلة والمقصود منه حصول الجمعية واعتضاد البعض ببعض وقال
آخرون المراد واجعلوا دوركم قِبْلَةً أى صلوا فى بيوتكم (البحث الثانى) انه تعالى خص
موسى وهرون فى أول هذه الآية بالخطاب فقال أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا ثم عم هذا
الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قِبْلَةً والسبب فيه أنه تعالى أمر موسى وهرون أَنْ يَتَبَوَّآ
لقومهما بيوئا للعبادة وذلك بما يفوض الى الانبياء ثم جاء الخطاب بعد ذلك عاما لهما
ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الكل ثم خص موسى عليه
السلام فى آخر الكلام بالخطاب فقال وبشر المؤمنين وذلك لان الغرض الاصلى من
جميع العبادات حصول هذه البشارة فخص الله تعالى موسى بها ليدل بذلك على ان
الاصل فى الرسالة هو موسى عليه السلام وأن هرون تبع له (البحث الثالث) ذكر
المفسرون فى كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة (الاول) ان موسى عليه السلام ومن
معه كانوا فى أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم خفية من الكفرة ثلاثا يظهروا
عليهم فيؤذوهم ويفتوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة فى أول الاسلام

ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييل وفيه دليل على أن السحر افساد وتوبه لاحقيقه (ويحق الله الحق) عطف
على قوله سيبطله أى يثبت ويقويه واظهار الاسم الجليل فى المقامين لالاخيرين للاقاة الزوعة وترية المهابة (بكلماته)
بأوامره وقضائه وقرى بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك والمراد بهم كل من ائصف بالاجرام من السحرة وغيرهم (فأمن
لموسى) معطوف على مقدر قد فصل فى مواقع اخرى فألقى عصاه فاذا هى تلف ما يافكون الخ وانما يذكر تعويلا

على ذلك وإشارته لا يجازوا إذا بان قوله تعالى أن الله سيضلهم عملاً لا محتمل الخلف أصلاً وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدماً مستمر من قبيل ما في قوله عز وجل فأتبعوا أمر فرعون وما في قولك وعظمت له فلم يعط وصحت به لم يميز جر والسفر في ذلك أن الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه ولكنه بحسب العنوان وحل جديد وصنع حادث أي فإما ناله عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة ﴿٣٠﴾ (الأذرية من قومه) أي الأولاد من أولاد قومه بني

إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون واجاتته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام أو ممن آمن فرعون وأمر أنه آسية وخازنه وأمر أنه وما شطته وهو بعيد (على خوف) أي كائين على خوف عظيم (من فرعون وملئهم) الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظمة ولا ياباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد أو أن المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أو الذرية أو النجوم أي على خوف من فرعون ومن أشرف بني إسرائيل حيث كانوا ممنوعون أعتابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يفتهم) أي يعذبهم وهو بدل اشتمال أو مفعول خوف فإن أعمال المصدر المنكر كثير كافي قوله عز وجل وأدعاهم في يوم ذي مسغبة يتيماً ومفعول له بعد حذف اللام واستناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الأثر بالعنيد (وان فرعون لما في الأرض) تعال

في مكة (الثاني) قيل أنه تعالى لما أرسل موسى إليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يخذوا مساجد بني إسرائيل فيها خوفاً من فرعون (الثالث) أنه تعالى لما أرسل موسى إليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهرون وقومهما باخذ المساجد على رغم الأعداء وتكفل تعالى أنه يصونهم عن شر الأعداء * قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجبت دعوتكما فاستنصبا ولا تتبعان سبيل الذين لا يعقلون) أعلم أن موسى لم يبلغ في اظهار المعجزات اضاهرة القاهرة ورأى التوم مصرين على الجحود والعناد والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على العبد أن يذكر أو لا يسبب أقدامه على تلك الجرائم وكان جرمهم هو أنهم لاجل حبهم الدنيا تركوا الدين فلهذا السبب قال موسى عليه السلام ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً والزينة عبارة عن الصحة والجمال والباس والسواب وأنات الثيت والمال ما يزيد على هذه الاشياء من الصامت والناطق ثم قال ليضلوا عن سبيلك وفيه مشئتان (المشئة الاولى) قرأ آية والكسائي وعاصم ليضلوا بضم الياء وقرأ الباقون بفتح الياء (المشئة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم وتغيره من وجهين (الاول) ان اللام في قوله ليضلوا لام التعليل والمعنى أن موسى قال يارب انزع انك أعطيتهم هذه الزينة والأموال لاجل أن يضلوا فدل هذا على أنه تعالى قدير بذاضلال المكلفين (الثاني) أنه قال واشدد على قلوبهم فقال الله تعالى قد أجبت دعوتكما وذلك أيضاً يدل على المقصود قال القاضي لا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم ويدل عليه وجوه (الاول) أنه ثبت أنه تعالى منز عن فعل التضييع وإرادة الكفر فيجوز (والثاني) أنه وأراد ذلك لكان الكفار مطيعين لله تعالى بسبب كفرهم لأنه لا معنى لطاعة الآلات بما يوافق الإرادة ولو كانوا كذلك لما استحقوا العدا عليه بضمهم بطمس الأموال وشدة القلوب (والثالث) أنما يجوزنا أن يريد اضلال العباد لجوزنا أن نبث الانبياء عليهم السلام للدعا إلى الضلال ولجاز أن يقوى الكذابين المضلين المضلين باظهار المعجزات عليهم وفيه هدم الدين وإبطال الثقة بالقرآن (والرابع) أنه لا يجوز أن يقول لموسى وهرون عليه السلام فقولاه قولاً لنا لعله يتذكر أو نخشى وأن يقول وقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات عليهم يذكرون ثم أنه تعالى أراد الاضلالاً منهم وأعطاهم النعم لكي يضلوا لان ذلك كالمناقضة فلا بد من حل أحدهما على موافقة الآخر (الخامس) أنه لا يجوز أن يقال ان موسى عليه السلام دعا ربه بان يطمس على أموالهم لاجل ان لا يؤمنوا مع تشدده في إرادته الإيمان وأعلم أننا بالغنا في تكثير هذه الوجوه في مواضع كثيرة من هذا الكتاب

في أرض مصر (وأنه لم يمسرفين) في الظلم والفساد باقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعنوج حتى ادعى الربوبية ﴿٣١﴾ وإذا واسترق أسباط الانبياء والجنان اعتراض تذييلي مؤكده لمتمنعون ماسبق (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين منه (يا قوم ان كنتم أنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فليه توكأوا) وبه تقوا ولا تخافوا أحداً غيره فإنه كافيك كل شر وضر (ان كنتم مبشرين) مبشرين لآلهة الله تعالى بخلافه وليس هذا من تعليل الحكم بشرطين فإن

المعلق بالآيمان وجب التوكل عليه تعالى فانه المقضى له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التحليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه (فقالوا) محبين له عليه السلام من غير تعلم في ذلك (على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) اي موقع فتنة (لانوم الظالمين) اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا أو يفتنونا عن ديننا أو يفتنونا **﴿ ٢١ ﴾** ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقوله تعالى

(ونحنا برحمتك من القوم الكافرين) دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وسوء مصاحبته بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن الداعي حقه أن يئني دعاءه على التوكل على الله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوا) أن مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذنا مباءة (تقومكما بمصر بيوتا) تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنما وقومكما (بيوتكم) تلك (قبله) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها (وأقيموا الصلوة) اي فيها أمروا بذلك في اول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما هي الضمير لأن التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مآتيه ولاه رؤساء القوم تشاور ثم جهم لان جعله للبيوت مساجد والصلوة فيها مما يغفله

واذا ثبت هذا فنقول وجب تأويل هذه الكلمة وذلك من وجوه (الاول) أن اللام في قوله لا يضلوا لام العاقبة نقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ولما كانت عاقبة قوم فرعون هو الضلال وقد أعلمه الله تعالى لاجرم عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ (الثاني) أن قوله ربنا يضلوا عن سبيلك أي لا يضلوا عن سبيلك خذف لا لدلالة المعقول عليه كقوله يبين الله لكم أن تضلوا والمراد أن لا تضلوا وقوله تعالى قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة والمراد ثلاثا تقولوا ومثل هذا الخذف كثير في الكلام (الثالث) أن يكون موسى عليه السلام ذكر ذلك على سبيل التحجب المقرون بالانكار والتقدير كأنك أتيتهم ذلك لهذا الغرض فانهم لا يفتنون هذه الاموال الا فيه وكانه قال أأتيتهم زينة وأموالا لاجل أن يضلوا عن سبيل الله ثم حذف حرف الاستفهام كافي قول الشاعر

كذبتك عينك أم رأيت بواسط * فليس الظلام من الرباب خبالا
أراد أذبتك فكذا ههنا (الرابع) قال بعضهم هذه اللام لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيقال ليغفر الله للمؤمنين وليعذب الله الكافرين والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك (الخامس) أن هذه اللام لام التعليل لكن بحسب ظاهر الامر لاني نفس الحقيقة وتقريره أنه تعالى لما أعطاهم هذه الاموال وصارت تلك الاموال سبيل يزيد البغي والكفر أشبهت هذه الحالة حالة من اعطى المال لاجل الضلال فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لاجل هذا المعنى (السادس) ينأ في تفسير قوله تعالى يضل به كثيرا في أول سورة البقرة ان الضلال قد جاء في القرآن بمعنى الهلاك يقال ضل الماء في الثابن أي هلك فلهذا ثبت هذا فنقول قوله ربنا يضلوا عن سبيلك معناه ليهلكوا ويموتوا ونظيره قوله تعالى فلا تجعلك أموالهم عا مريد الله بعبادتهم بهما في الحياة الدنيا فهذه اجله ما قيل في هذا الباب واعلم اننا قد أجبننا عن هذه الوجوه مراكا كثيرة في هذا الكتاب ولا بأس بأن نعيد بعضها في هذا المقام فنقول الذي يدل على أن حصول الضلال من الله تعالى وجوه (الاول) ان العبد لا يقصد الا حصول الهداية فلما لم يحصل الهداية بل حصل الضلال الذي لا يريد علمنا أن حصوله ليس من تعبدل من الله تعالى فان قالوا انه ظن بهذا الضلال انه هدى فلا جرم قد وقع وأدخله في الوجود فنقول فعلى هذ يكون اقدامه على تحصيل هذا الجهل بسبب الجهل السابق فلو كان حصول ذلك الجهل السابق بسبب جهل آخر لزم التسلسل وهو محال فثبت أن هذه الجهالات والضلالات لا بد من انتهائها الى جهل أول وضلال أول وذلك لا يمكن أن يكون باحداث العبد وتكوينه لانه كرهه وانما أراد ضده فوجب أن يكون من الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما خلق الخلق بحيث يحبون المال والجاه حبا شديدا لا يمكنه ازالة هذا الحب عن نفسه التامة وكان حصول هذا الحب يوجب الاعراض

كل أحد ثم وحدث ان شارة الاممة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالآيمان والاشعار بأنها المدار في التبشير (وقال موسى ربنا انك أتيت فرعون وملأه زينة) اي ما يترزين به من اللباس والمرآك ونحوها (وأموالا) وأنواعا كثيرة من المال (في الحياة الدنيا) بالاضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بما عاينهم أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بأثبت

أولعلة لان ابتداء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا نكريرا للاول تأكيذا أو تنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمه لقوله تعالى (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس المحو وقرئ يضم الميم أى أهلكها (واشدد على قلوبهم) أى جعلها قاسية واطمع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم ﴿ ٣٢ ﴾ (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي

أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معرض (حتى يروا العذاب الاليم) أى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا يتفهم ذلك اذذاك (قال قدأجيبتم دعوتكم) يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى الواقع الثلاثة (فاستغيا) فالتبنا على ما أنما عليه من الدعوة وازام الحجة ولا تستجلبان ما طلبتما كائن فى وقته لا يحال تروى انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعقلون) أى عبادات الله سبحانه فى تعلق الامور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة فى الاستعجال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالتون الخفيفة وكسرهما لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع اسرايل البحر) هو من جاوز المكان اذا خطاه وخلفه والباء للتعبية أى جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناهم يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقوى تجوزنا وهو من التجوز المرادف للمجاوزة لا ما هو بفتح

عن يستخدمه ويوجب التكبر عليه وترك الاتفات الى قوله وذلك يوجب الكفر فهذه الاشياء بعضها يتأدى الى البعض تأديا على سبيل الزم وجب أن يكون فاعل هذا الكفر هو الذى خلق الانسان مجبولا على حب المال والجاه (الثالث) وهو ألحجة الكبرى ان القدرة بالنسبة الى الضدين على السوية فلا يرجح أحد الطرفين على الثانى الامر حرج وذلك المرجح ليس من العبد والامداد الكلام فيه فلا بد وان يكون من الله تعالى واذا كان كذلك كانت الهداية والاضلال من الله تعالى (الرابع) انه تعالى أعطى فرعون وقومه زينة وأموالا وقوى حب ذلك المال والجاه فى قلوبهم وأودع فى طباعهم نفرة شديدة عن خدمة موسى عليه السلام والانقياد له لاسيما وكان فرعون كلنعم فى حقه والمربى له والشفرة عن خدمة من هذا شأنه راسخة فى القلوب وكل ذلك يوجب اعراضهم عن قبول دعوة موسى عليه السلام واصرارهم على انكار صدقه فثبت بالدليل العقلى ان اعطاء الله تعالى فرعون وقومه زينة الدنيا وأموال الدنيا لا بد وأن يكون موجبا لاضلالهم فثبت ان ما يشعر به ظاهر اللفظة قد ثبت صحته بالعقل الصريح فكيف يمكن ترك ظاهر اللفظ فى مثل هذا المقام وكيف يحسن حل الكلام على الوجوه المتكلمة الضعيفة جدا اذا عرفت هذا فنقول (أما الوجه الاول) وحل اللام على لام العقوبة فضعيف لان موسى عليه السلام ما كان عالما بالواقف فان قالوا ان الله تعالى اخبره بذلك قلنا قلنا أخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون كان صدور الايمان منهم محالا لان ذلك يستلزم انقلاب خبر الله كذبا وهو محال والمضى الى المحال محال (وأما الوجه الثانى) وهو قولهم يحمل قوله ليضلوا عن سبيلك على أن المراد لا يضلوا عن سبيلك فنقول ان هذا التاء بل ذكره أبو على الجبائى فى تفسيره وأقول انه لما سارع فى تفسير قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ثم نقل عن بعض أصحابنا انه قرأ فى نفسك على سبيل الاستفهام يعنى الانكار ثم انه استبعد هذه القراءة وقال انها تقتضى تحريف القرآن وتفسيره وتفتح باب تأويلات الباطنية وبلغ فى انكار تلك القراءة وهذا الوجه الذى ذكره ههنا شر من ذلك لانه قلب التثنية اثباتا والاثبات نفيًا وتجوز يفتح باب أن لا يبنى الاعتماد على القرءان لاقى نفيه ولا فى اثباته وحيتد يبطل القرآن بالكلمة وهذا بعينه هو الجواب عن قوله المراد منه الاستفهام يعنى الانكار فان تجوز به يوجب تجوز مثله فى سائر المواطن فلعلة تعالى انما قال أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة على سبيل الانكار والتعجب وأما بقية الجوابات فلا تخفى ضعفها ثم انه تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه قال ربنا اطمس على أموالهم وذكرنا معنى الطمس عند قوله تعالى من قبل أن نطمس وجوها واطمس هو المسخ قال ابن عباس رضى الله عنهما بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهذه صحاحا وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة ثم قال واشدد على قلوبهم ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها

التفقد نحو ما وقع فى قول ﴿ ٣٣ ﴾ والاقبل وجوزنا بنى اسرايل فى البحر ونحلا النظم ﴿ ٣٤ ﴾ الاغشى كما جاوز السكى فى الباب ﴿ ٣٥ ﴾ وبمقارنة العناية الانهية لهم عند الجواز كما هو المشهور فى الفرق بين اذهب الكريم عن الايدان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الانهية لهم عند الجواز كما هو المشهور فى الفرق بين اذهب وذهب به (فاتبعهم) يقال تبعته حتى اتبعهم (عدوا) ظلما واعتداء أى باغين

وعادين أو البغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك أن موسى عليه السلام خرج بيني اسرائيل على خين غفلة من
فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل ﴿٢٣﴾ إلى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكتهم باقى على

حاله ليسا فسلكته بمجنوده
أجمعين فلما دخل آخرهم
وهم أولهم بالخروج
غشيتهم من اليم ما غشيتهم
(حتى إذا أدركه الغرق)
أى لحته وألجمه (قال أمنت
انه) أى بأنه والضمير
للشأن وقرئ انه على
الاستئناف بدلا من أمنت
وتفسيره (لا اله الا الذى
أمنت به بنو اسرائيل)
لم يقل كما قاله السجدة
آمنارب العالمين رب
موسى وهرون بل عبر
عنه تعالى بالموصول
وجعل صلته إيمان بنى
اسرائيل به تعالى للاشعار
برجوعه عن الاستعصاء
وبتباعه لمن كان يستتبعهم
طمعاً فى القبول والانتظام
معهم فى سلك النجاة
(وأنا من المسلمين) أى
الذين أسلموا نفوسهم
لله أى جعلوها سائلة
خالصة له تعالى وأراد
بهم أى بنى اسرائيل
خاصة وأما الجنس وهم
داخلون فيه دخولا
أوليا والجملة على الاول
عطفها على أمنت وإيثار
الاسمية لدعاء الدوام
والاستمرار وعلى الثانى

الايان قال الواحدى وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك بمن يشاء وأولا ذلك
لما حسن من موافق عليه السلام هذا السؤال ثم قال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
وفيه وجهان (احدهما) أنه يجوز أن يكون معطوفاً على قوله أيضاً والتقدير ربنا أيضاً
عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقوله ربنا طمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم يكون اعتراضاً (والثانى) يجوز أن يكون جواباً لقوله واشددوا التقدير اطبع على
قلوبهم وقسها حتى لا يؤمنوا فانها تستحق ذلك ثم قال تعالى قد أجبت دعوتكما وفيه
وجهان (الاول) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن موسى كان يدعو وهرون كان
يؤمن من فذلك قال قد أجبت دعوتكما وذلك لأن من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو أيضاً
داع لأن قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما أن الداعى سائل أيضاً (الثانى) لا يعد أن
يكون كل واحد منهما ذكر هذا الدعاء غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى حكى هذا الدعاء
عن موسى بقوله وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائكته زينة وأموالاً الا أن هذا
لا ينافى أن يكون هرون قد ذكر ذلك الدعاء أيضاً وأما قوله فاستقيماً يعنى فاستقيماً على
الدعوة والرسالة والزادة فى الزام الحجة فتدلى نوح فى قومه ألف سنة الا قليلاً فلا تستعجلوا
قال ابن جرير ان فرعون لبث بعد هذا الدعاء أربعين سنة وأما قوله ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون ففيه بحثان (البحث الاول) المعنى لا تتبعان سبيل الجاهلين الذين يظنون
أنهم متى كان الدعاء نجاباً كان المقصود بما صلا فى الحال فر بما أجاب الله تعالى دعاء انسان
فى مطاوعة الا أنه لما يوصله اليد فى وقته المقدر والاستعجال لا يصدر الا من الجهال وهذا
كما قال نوح عليه السلام ابنى أعظلك أن تكون من الجاهليين واعلم ان هذا النهى لا يدل
على أن ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كان قوله لكن أشركت ليحبطن عما لا يدل
على صدور الشرك منه (البحث الثانى) قال الزجاج قوله ولا تتبعان موضعه جزم
والتقدير ولا تتبعان لأن النون السديدة دخلت على النهى مؤكدة وكسرت لسكونها
وسكون النون التى قبلها فاخترها الكسرة لأنها بعد الألف تشبه نون التثنية وقرأ ابن
عامر ولا تتبعان بخفيف النون ﴿٢٤﴾ قوله تعالى (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر فابعثهم
فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال أمنت أنه لا اله الا الذى أمنت به
بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم نجيتك
ببذلك لسكون لمن خلفك أيدوان كثيران للناس عن آياتنا فاعرفون) اعلم أن تفسير اللفظ
فى قوله وجاوزنا بيني اسرائيل البحر مذكور فى سورة الاعراف والمعنى أنه تعالى لما أجاب
دعاهما أمر بنى اسرائيل بالخروج من مصر فى الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه وفرعون
كان غافلاً عن ذلك فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة ملكه خرج على عقبهم
وقوله فابعثهم أى لحقهم يقال اتبعه حتى لحقوه وقوله بغيا وعدوا البغي طلب الاستعلاء
بغير حق والعدوان ظلم روى أن موسى عليه السلام لما خرج مع قومه وصلوا الى طرف

يحتمل الحالية أيضاً من ضمير ﴿٢٥﴾ خا المتكلم أى أمنت بمخلص الله منتظاً فى سلك الراسخين فيه ولقد ذكر
المعنى الواحد ثلاث عبارات حرصاً على القبول المقضى الى النجاة وهيها هيات بعد ما فات ما فات وأنى ما هوأت وقوله
عز وجل (آلآن) مقول قول مقدر معطوف على قال أى قبيل الآن وهو

الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الفضل والمقابلة ما أظهره بالرد على وجه الإنكار
التوبيخي على تأخيره وتقرينه بالعصيان والافساد وغير ذلك ﴿ ٣٤ ﴾ وفي حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكي

في صورة الإنشاء من
الدلالة على عظم السخط
وشدة الغضب ما لا يخفى
كما يفسح عنه مآروي
من أن جبريل دس فاه
عند ذلك بحال البحر
سده به فانه نأ كيد للرد
القول بالرد الفعلي
ولا ينافيه تعليله بمخافة
ادراك الرحمة فيما نقل
أنه قال للنبي عليهما
السلام فلور أبتى يا محمد
وأنا آخذ من حال
البحر فأدسه فيه بمخافة
أن تدرك الرحمة إذ
المراد بها الرحمة الدنيوية
أي التجارة التي هي طلبه
المخدول وليس من
ضرورة ادراكها صيغة
الايان كافي ايمان قوم
يونس عليه السلام حتى
يلزم من كراهته ما لا يتصور
في شأن جبريل عليه
السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة في ترتب
هذه الرحمة على مجرد
التفوه بكلمة الايمان
وان كان ذلك في حالة
البأس واليأس فيحمل
دسه عليه السلام على
سدا باب الاحتمال البعيد
لكمال لاغيظ وشدة

البحر وقرب فرعون مع عسكره منهم فوقوا في خوف شديد لانهم صاروا بين بحر مغرق
وجند مهلك فأنعم الله عليهم بأن أظهر لهم طريقا ينفق البحر على ما ذكر الله تعالى هذه
القصة بتمامها في سائر السور ثم ان موسى عليه السلام مع أصحابه دخلوا وخرجوا وأنقذ
الله تعالى ذلك الطريق بيسا ليطعم فرعون وجنوده في التمكن من العبور فلما دخل مع
جمعه أغرقه الله تعالى بان أوصل أجزاء الماء يدهنها وأزال الفلق فهو معنى قوله فأتبعهم
فرعون وجنوده وبين ما كان في قلوبهم من البغي وهي نجبة الادراط في قلوبهم وظلمهم
والعدو وهو تجاوز الحد ثم ذكر تعالى انه لما أدر كة الفرق أظهر كلمة الاخلاص ظنا من أنه
ينجيه من تلك الآفة وههنا سؤالان (السؤال الاول) ان الانسان اذا وقع في الفرق
لا يمكنه أن يلقظ بهذا اللفظ فكيف حكى الله تعالى عنه أنه ذكر ذلك (والجواب) من
وجهين (الاول) ان مذهبنا أن الكلام الحقيقي هو كلام النفس لا كلام اللسان فهو
انما ذكر هذا الكلام بالنفس لا باللسان ويمكن أن يستدل بهذه الآية على اثبات
كلام النفس لانه تعالى حكى عنه أنه قال هذا الكلام وثبت بالدليل انه ما قاله باللسان
فوجب الاعتراف بثبوت كلام غير كلام اللسان وهو المطلوب (الثاني) أن يكون المراد
من الفرق مقدماته (السؤال الثاني) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمننت وثانيها قوله
لا اله الا الذي آمننت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فما السبب في عدم
القبول والله تعالى متعال عن أن يلحقه غيظ وحقد حتى يقال انه لاجل ذلك الحقد
لم يقبل منه هذا الاقرار (والجواب) العلماء ذكروا فيه وجوها (الاول) انه انما آمن
عند نزول العذاب والايان في هذا الوقت غير مقبول لان عند نزول العذاب يصير الحال
وقت الاجلاء وفي هذا الحال لا تكون التوبة مقبولة وهذا السبب قال تعالى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (الوجه الثاني) هو انه انما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها
الى دفع تلك البلية الحاضرة والخنة الناجزة فما كان مقصوده من هذه الكلمة الاقرار
بوحداية الله تعالى والاعتراف بعزة الربوبية وذلة العبودية وعلى هذا التقدير فما كان
ذكر هذه الكلمة مقرونا بالاخلاص فلهذا السبب ما كان مقبولة (الوجه الثالث) هو
أن ذلك الاقرار كان مبنيا على محض التقليد لا ترى أنه قال لا اله الا الذي آمننت به
بنو اسرائيل فكانه اعترف بأنه لا يعرف الله الا أنه سمع من بني اسرائيل أن للعالم الها
فهو وأقر بذلك الاله الذي سمع من بني اسرائيل أنهم أقروا بوجوده فكان هذا محض
التقليد فلهذا السبب لم تنصر الكلمة مقبولة منه ومزيد التحقيق فيه أن فرعون على
ما بيناه في سورة طه كان من الدهرية وكان من المنكرين لوجود الصانع تعالى ومثل هذا
الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجج القطعية والدلائل القينية وأما بالتقليد
المحض فهو لا يفيد لانه يكون ضمنا للتقليد الى ظلمة الجهل السابق (الوجه
الرابع) رأيت في بعض الكتب أن بعض أقوام من بني اسرائيل لما جاؤوا البحر

الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف أن يعدموا خيرا ليتوجه الإنكار والتوبيخ الى تأخير ﴿ اشتغلوا ﴾
الايان اني حديثه قبوله فيه اي آلا تؤمن حين ينست من الحياة وأيقنت بالمعات وقوله عز وعلا (وقد عصبت قبل)
حال من فاعل الفعل المقدري به لتشد يد التوبيخ والتفريع على تأخير الايمان الى

هذا لان بيان أنه لم يكن تأخير له اذ لم يلغ الدعوة اليه ولا التامل والتدبر في ذلائله وآياته ولا شيء آخر مما عسى يعد عندنا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى (وكنتم من المفسدين) عطف على عصيت داخل في حيز الحال اى وكنت ﴿ ٣٥ ﴾ من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا

وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون
فهذا عبارة عن فساد
الراجع الى نفسه والسارى
الى غيره من الظلم والتعدي
وصد بني اسرائيل عن
الايمان والاول عن
عصيان الخاص به
(فاليوم نجيك) اى
نخرجك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر
ونجعاك طافيا وفي التعبير
عنه بالنجاة تسويح
بأن مراده بالايمان هو
النجاة كما مر وتهكم به
أو نلقك على نجوة من
الارض لسبراك بنو
اسرائيل وقرى نجيك
من الانجاء ونجيك بالخاء
من النجاة اى نلقك
بتاحية الساحل (بيدك)
في موضع الحال من ضمير
المخاطب اى نجيك
ملاسا بيدك فقط
لامع روحك كما هو
مطلوبك فهو تخيب
له وحسم لاطماعه
بالمرأة أو طاريا عن اللباس
أو كاملا سويا أو
بدرك و كانت له درع
من الذهب يعرف بها

اشغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكافة في حقه سببا لزيادة الكفر (الوجه الخامس) ان اليهود كانت قلوبهم مائلة الى التشبيه والتجسيم ولهذا السبب اشتغلوا بعبادة العجل فظنهم أنه تعالى حل في جسد ذلك العجل ونزل فيه فلما كان الامر كذلك وقال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فكانه آمن بالله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول وكل من اعتقد ذلك كان كافرا فلهذا السبب ما صرح ايمان فرعون (الوجه السادس) لعل الايمان انما كان يتم بالاقرار بواحدانية الله تعالى والاقرار بنبوة موسى عليه السلام فلهذا لما أقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بالنبوة لاجرم لم يصح ايمانه ونظيره أن الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد أن لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه وأشهد أن محمدا رسول الله فكذا ههنا (الوجه السابع) روى صاحب الكشف أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا فيها ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولا ونعمته فكفر بنعمته وجد حقه وادعى السيادة دونه فكذب فرعون فيها يقول أبو العباس الوليد بن مضعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر بنعمته أن يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام فتياه اليه أما قوله تعالى آلاّن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ففيه سوالات (السؤال الاول) من انقائل له آلاّن وقد عصيت قبل (الجواب) الاخبار دالة على أن قائل هذا القول هو جبريل وانما ذكر قوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين ومن الناس من قال ان قائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده فاليوم نجيك بيدك الى قوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا انما قالوا وهذا الكلام ليس الا كلام الله تعالى (السؤال الثاني) ظاهر اللفظ يدل على انه انما لم تقبل توبته للمعصية المتقدمة والفساد السابق وصحة هذا التعليل لا تمنع من قبول التوبة (والجواب) مذهب أصحابنا أن قبول التوبة غير واجب عتلا وأحدد لا تلهم على صحة ذلك هذه الآية وأيضا فالتعليل ما وقع بمجرد المعصية السابقة بل بتلك المعصية مع كونه من المفسدين (السؤال الثالث) هل يصح أن جبريل عليه السلام أخذ ملاءة من الطين لئلا يتوب غضبا عليه (والجواب) الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة اما أن يقال ان تكليف كان ثابتا أو ما كان ثابتا فان كان ثابتا لم يجز على جبريل عليه السلام أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وأيضا فلومنتع بما ذكره لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قديتوب بأن يندم بقلبه ويعزم على ترك معاودة القبيح وحينئذ لا يبقى لما فعله جبريل عليه السلام فائدة وأيضا لومنتع من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضا فكيف يليق بالله تعالى أن يقول لموسى وهرون عليهما

وقرى بأيدناك أى بأجزاء يدك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدرزوعك كأنه كان مظاهرا بيدها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمتهم

فما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بفرقه الى ان مائنة مطر حائل
ممرهم من الساحل أو تكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا ما لك أمرك ممن شاهدك عبدة ونكالا لمن الطغيان أوجه
تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان * ٣٦ * وعلاوا الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك

مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرى لمن
خلفك فعلا ماضيا اى
لمن خلفك من الجارية
وقرى لمن خلفك بالقاف
اى لتكون الخالق آية
كسائر الآيات فان
افراده سبحانه اياك
باللقاء الى الساحل
دليل على أنه قصدته
لكشف تزويرك واماطة
الشبهة في امرك وبرهان
نير على كمال علمه وقدرته
وحكمته وارا دته
وهذا الوجه محتمل على
القراءة المشهورة أيضا
وفي تعليل تجيته بما
ذكر ايدان بأنها ليست
لاعرازه أو لفائدة
أخرى عائدة اليه بل
لكمال الاستهانة به
وتفضيحه على رؤس
الشهاد وزيادة تفضيح
حاله كمن يقتل ثم يجير
جسده في الاسواق
أو يدار برأسه في البلاد
واللام الاولى متعلقة
بتنجيح والثانية بمنحرف
وقم حالا من آية اى
كأنه لمن خلفك (وان
كثيرا من الناس عن
آياتنا لعافسون)

السلام فقولاه قولنا لعله يتذكر أو يخشى ثم يأمر جبريل عليه السلام بأن يمنع من
الايان ولوقيل ان جبريل عليه السلام انما فعل ذلك من عند نفسه لأمر الله تعالى
فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الأوامر ربك وقوله تعالى في صفتهم وهم من خشيتهم
مشفقون وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأما ان قيل ان التكليف كان
زائلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبق لهذا الفعل الذى نسب جبريل اليه فائدة
أصلا ثم قال تعالى فالايوم نجيك ببندك وفيه وجوه (الاول) نجيك ببندك اى نلتيك
بنجوة من الارض وهى المكان المرتفع (الثاني) نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ولكن بعد أن تفرق وقوله ببندك في موضع الحال اى فى الحال التى
أنت فيه حينئذ لاروح فيك (الثالث) ان هذا وعدله بالنجاة على سبيل التهكم كافي قوله
فبشرهم بعذاب أليم كأنه قيل له نجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبندك لاروحك
ومثل هذا الكلام قد يذكر على سبيل الاستهزاء كما يقال نفعتك ولكن بعد الموت
ونخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت (الرابع) قرأ بعضهم تنجيك بالخاء المعجمة اى
نلتيك بناحية مما يلى البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب من جوانب البحر قال
كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور وأما قوله ببندك ففيه وجوه (الاول) ما ذكرنا
أنه في موضع الحال اى فى الحال التى كنت بدنا محضامن غير روح (الثاني) المراد تنجيك
ببندك كاملا سويا لم تتغير (الثالث) تنجيك ببندك اى نخرجك من البحر جرانا من غير
لباس (الرابع) تنجيك ببندك اى بدرعك قال التليث البدن هو الدرع الذى يكون قصير
الكمين فقوله ببندك اى بدرعك وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من
ذهب يعرف بها فأخرجته الله من الماء مع ذلك الدرع ايعرف أقول ان صح هذا فقد كان
ذلك معجزة لموسى عليه السلام وأما قوله لتكون لمن خلفك آية ففيه وجوه (الاول) أن
قوما ممن اعتقدوا فيه الالهية لما لم يشاهدوا غرقه كذبوا بذلك وزعموا أن مثله لا يموت
فاظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى شاهدوه وزات الشبهة عن
قلوبهم وقيل كان مطرحه على امر بنى اسرائيل (الثاني) لا يبعد أنه تعالى أراد أن يشاهده
الخلق على ذلك المثل والمهانة بعد ما سمعوا منه قوله أنار بكم الاعلى ليكون ذلك زجرا
للخلق عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالامس في نهاية الجلالة والعظمة ثم آل أمره
الى ما يرون (الثالث) قرأ بعضهم لمن خلفك بالقاف اى لتكون الخالق آية كسائر آياته
(الرابع) انه تعالى لما أغرقهم جميع قومته ثم انه تعالى ما أخرج أحدا منهم من قعر
البحر بل خصه بالخراج كان تخصيصه بهذه الحالة العجيبة بالا على كمال قدرة الله تعالى
وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة وأما قوله وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لعافلون فالأظهر انه تعالى لما ذكر قصة موسى وفرعون وذكر حال عاقبة فرعون
وختم ذلك بهذا الكلام وخاطب به محمدا عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك زاجرا لامته

لا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي يجى به عند الحكاية تقرير الفعوى الكلام * عن *
الحكى (ولقد بؤأنا بنى اسرائيل) كلام مستانف سبق لبيان النعم الفائضة عليهم ارنعمة الانجاء على وجه الاجمال

واخلالهم بشكرها وأداء حقوقها إلى أسكنناهم وأنزلناهم بعد ما نجيناهم وأهلكنا أعداءهم (مبوا صدق) أي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوهما بعد ﴿ ٣٧ ﴾ الغراعة والعمالة وتكنوا في نواحيهما حسبما نطق به

قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي الأبعد ما جاءهم العلم بقرااتهم التوراة وعلمهم بأحكامها أو في أمر محمد عليه الصلاة والسلام إلا من بعدما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمتخلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي عليه الصلاة والسلام أن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (فيمر بين الحق والمبطل بالاثابة والتعذيب) (فان كنت في شك) أي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منها كيف وقد يكون كلامهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا أول

عن الاعراض عن الدلائل وابعثناهم على التأمل فيها والاعتبار بها فان المقصود من ذكر هذه القصص حصول الاعتدال كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب * قوله تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) اعلم انه تعالى لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده ذكر أيضا في هذه الآية ما وقع عليه الختم في أمر بني اسرائيل وههنا بحثان (البحث الاول) ان قوله بوأنا بني اسرائيل مبوا صدق أي أسكنناهم مكان صدق أي مكانا محمودا وقوله مبوا صدق فيه وجهان (الاول) يجوز أن يكون مبوا صدق مصدرا أي بوأناهم تبوا صدق (الثاني) أن يكون المعنى منزلا صالحا مرضيا وانما وصف المبوا بكونه صدقا لان عادة العرب أنهما اذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق تقول رجل صدق وقدم صدق قال تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق والسبب فيه أن ذلك الشيء اذا كان كاملا في وقته صالحا للغرض المطلوب منه فكل ما يضمن فيه من الخير فانه لا يدور أن يصدق ذلك الظن (البحث الثاني) اختلفوا في أن المراد بني اسرائيل في هذه الآية أنهم اليهود الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام أم الذين كانوا في زمن محمد عليه الصلاة والسلام (أما القول الاول) فقد قال به قوم ودليلهم أنه تعالى لما ذكر هذه الآية عقيب قصة موسى عليه السلام كان حل هذه الآية على أحوالهم أولى وعلى هذا التقدير كان المراد بقوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوا صدق الشام ومصر وتلك البلاد فانها بلاد كثيرة الخصب قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله والمراد من قوله ورزقناهم من الطيبات تلك المنافع وأيضا المراد منها أنه تعالى أورث بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي قوم فرعون من النساطق والصامت والحرث والنسل كما قال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها ثم قال تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم والمراد أن قوم موسى عليه السلام بقوا على ملته واحدة ومقالة واحدة من غير اختلاف حتى قرؤا التوراة فحينئذ تنبهوا للمسائل والمطالب ووقم الاختلاف بينهم ثم بين تعالى ان هذا النوع من الاختلاف لا بد وأن يفي في دار الدنيا وانه تعالى يقضى بينهم يوم القيامة (وأما القول الثاني) وهو ان المراد بني اسرائيل في هذه الآية اليهود الذين كانوا في زمان محمد عليه الصلاة والسلام فهذا قال به قوم عظيم من المفسرين قال ابن عباس وهم قر يضة والضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات والمراد ما في تلك البلاد من الرطب والتمر التي ليس مثلها لطيبا في البلاد ثم انهم بقوا على دينهم ولم يظهروا فيها الاختلاف حتى جاءهم العلم والمراد من العلم القرآن النازل على محمد عليه الصلاة والسلام وانما سماه علما لانه نسيب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور

لعابدن وقوله تعالى لن أشركك ليجبطن عماك ونظائرهما (مما أنزلناك) من القصص التي من جعلتها قصة فرعون قومه وأخبار بني اسرائيل (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما لقينا اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاخبار حسبما هو

المستوفى في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة أصلاً أو وصف أهل الكتاب بالسوخذ في العلم بصحة نبوته عليه السلام أو يجهل عليه السلام وزيادة تثبته على ما هو عليه من اليقين * ٣٨ * لا يجوز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال

وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان (الاول) ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد عليه الصلاة والسلام ويقتضون به على سائر الناس فلما بعث الله تعالى كذبوه حسدا وبغيا وايقاراً لبقاء الرياسة وأمن به طائفة منهم فهذا الطريق صار نزول القرآن سببا لحدوث الاختلاف فيهم (الثاني) أن يقال ان هذه الطائفة من بني اسرائيل كانوا قبل نزول القرآن كفارا محضين بالكليية وبقوا على هذه الحالة حتى جاءهم العلم فعند ذلك اختلفوا فآمن قوم وبقى أقوام آخرون على كفرهم وأما قوله تعالى ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فالمراد منه أن هذا النوع من الاختلاف لا حيلة في ازالته في دار الدنيا وأنه تعالى في الآخرة يقضى بينهم فيتم الحق من المبطل والصديق من الزنديق * قوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من المعترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل اختلافهم عند ما جاءهم العلم أورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ما يقوى قلبه في صحة القرآن والنبوة فقال تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى الشك في وضع اللغة ضم بعض الشئ الى بعض يقال شك الجواهر في العقد اذا ضم بعضها الى بعض ويقال شككت الصيد اذا رميته فضممت يده الى يده أو رجله الى رجله والشكك من اليهود ج ما شكك بعضها ببعض والشكك البيوت المصطفة والشكك الادعاء لانهم يشككون أنفسهم الى قوم لبسوا منهم اى يضمون وشك الرجل في السلاح اذا دخل فيه وضعه الى نفسه وأزماه اياها فاذا قالوا شك فلان في الامور أرادوا أنه وقف نفسه بين شيئين فيحوز هذا ويجوز هذا فهو يضم الى ما يتوهمه شيئا آخر خلافاً (المسئلة الثانية) اختلف المفسرون في أن المخاطب بهذا الخطاب من هو فيل النبي عليه الصلاة والسلام وقيل غيره أمامن قال بالاول فاختلفوا على وجوه (الاول) أن الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وكقوله ان أشركت لمحبطن عملك وكقوله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس ومن الامثلة المشهورة * اياك أعني واسمعي يا جاره * والذي يدل على صحة ما ذكرناه وجوه (الاول) قوله تعالى في آخر السورة يا أيها الناس ان كنتم في شك من دىني فبين ان المذكور في أول الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح (الثاني) أن الرسول لو كان شاكاً في نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى وهذاوجب سقوط الشريعة بالكليية (والثالث) ان يتقدير أن يكون شاكاً في نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك باخبار أهل الكتاب عن نبوته مع انهم في الاكثر كفار وان حصل فيهم من كان

عليه السلام لأشك ولا أسأل وقبل المراد بالوصول مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وأضرابهم وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته أو لكل من يسمع اى ان كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم وقرىء فاسأل الذين يقرءون الكتب (لقد جاءك الحق) الذى لا محيد عنه ولا ريب في حقيقته (من ربك) وظاهر ذلك بالآيات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التثنية لا لا يخفى (فلا تكونن من المعترين) التزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) من باب النهج

والا لهاب والمراد به السلام أن التكذيب من القبح والمخذور به بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور * مؤمنا * امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن انصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة (فتكون) بذلك (من الخاسرين) أنفسيا وأعمالا (ان الذين حقت عليهم) شروع

في بيان سراسر الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة (كثرة بك) حكمه وقضاؤه بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لآملان جهنم الى آخره (لا يؤمنون) ابدا اذ لا كذب ﴿ ٣٩ ﴾ الكلامه ولا انتقاض اقصائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا

في أو انه فيندرج فيهم
المؤمنون عند معاينة
العذاب مثل فرعون
باقيا عند الموت فيدخل
فيهم المرتدون
(ولو جاءتهم كل آية)
واضح المدلول مقبولة
لدى العقول لان سبب
ايمانهم وهو تعلق
ارادته تعالى به معقود
لكن فقدانه ليس لمنع
منه سبحانه مع استحقاقهم
له بل لسوء اختيارهم
المنفرد على عدم
استعدادهم لذلك (حتى
يروا العذاب الاليم)
كدأب آل فرعون
وأضرباهم (فلسولا
كانت) كلام مستأنف
لتقرير ما سبق من
استحالة ايمان من حقت
عليهم كلمته تعالى لسوء
اختيارهم مع تمكنهم
من التدارك فيكون
الاستثناء الاتي بيانا
لكون قوم يونس عليه
السلام ممن لم يحق عليه
الكلمة لاهتدائهم الى
التدارك في وقته ولولا
بمعنى هلاوقرى كذلك
اى فهلا كانت (قرية)
من القرى المهلكة

مؤمننا الا أن قوله ليس بحجة لاسيما وقد تقرر أن ما في أيديهم من التوراة والانجيل
فالكل مصحف محرف فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وان كان في الظاهر من الرسول
صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد هو الأمة ومثل هذا معتاد فالسلطان الكبير اذا كان
له أمير وكان تحت راية ذلك الأمير جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه
لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم ليكون
ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم (الوجه الثاني) انه تعالى علم أن الرسول لم يشك في ذلك إلا أن
المقصود أنه متى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يارب لأشك ولا أطلب الحجة من
قول أهل الكتاب بل يكفي ما أرتأه على من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى
فلما شكك أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود أن يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا
بجحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكأفأ لعيسى عليه السلام أنت
قلت للناس آخذوني وأمي الهين من دون الله والمقصود منه أن يصرح عيسى عليه
السلام بالبراءة عن ذلك فكذا ههنا (الوجه الثالث) هو أن محمداً عليه الصلاة والسلام
كان من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والأفكار المضطربة في قلبه من
الجائزات وتلك الخواطر لا تندفع إلا بإيراد الدلائل وتقرير البينات فهو تعالى أنزل هذا
النوع من التقريرات حتى ان بسببها تزول عن خاطره تلك الوسوس ونظيره قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وأقول تمام التقرير في هذا الباب ان
قوله فان كنت في شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية والقضية الشرطية لا اشعار فيها
بالتيه بأن الشرط وقع أو لم يقع ولا بأن الجزاء وقع أو لم يقع بل ليس فيها الايمان ان ماهية
ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزاء فقط والدليل عليه أنك اذا قلت ان كانت
الخمس زوجا كانت منقسمة بمنساو بين فهو كلام حق لان معناه ان كون الخمسة زوجا
يتلزم كونها منقسمة بمنساو بين ثم لا يدل هذا الكلام على أن الخمسة زوج ولا على أنها
منقسمة بمنساو بين فكذا ههنا هذه الآية تدل على أنه لو حصل هذا الشك اكان
واجب فيه هو فعل كذا وكذا فاما ان هذا الشك وقع أو لم يقع فليس في الآية دلالة
فيه والفائدة في ازال هذه الآية على الرسول أن تكثير الدلائل وتقويتها بما يزيد
قوة اليقين وطمأنينة النفس وسكون الصدر ولهذا السبب أكثر الله في كتابه من تقرير
لآل التوحيد والنوّة (والوجه الرابع) في تقرير هذا المعنى أن تقول المقصود من ذكر
هذا الكلام استمالة قلوب الكفار وتقريبهم من قبول الايمان وذلك لانهم طابوهم مرة
بأخرى بما يدل على صحة نبوتهم وكانهم استحبوا من تلك المعادوات والمطالبات وذلك
لستحياء صار مانعاً لهم عن قبول الايمان فقال تعالى فان كنت في شك من نبوتك فتمسك
بلائيل الفلايل يعنى أولى الناس بأن لا يشك في نبوته هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هومن
به دليلاً على نبوة نفسه بعد ما سبق من الدلائل الباهرة والبيّنات القاهرة فانه ليس فيه

ت) قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه (نفغها ايمانها)
قبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها (الاقوم يونس) استثناء منقطع اى لكن

قوم يونس (لما آمنوا) اول ماراوا اماره العذاب ولم يوحروا الى حلوله (تسقنا عنهم عذاب اخري في احياء الدنيا) بعد ما اظلمهم وكاد يحل بهم ويجوز أن تكون الجملة ﴿ ٤٠ ﴾ في معنى النبي كما يفسح عنه حرف

عيب ولا يحصل بسببه نقصان فاذا لم يستفح منه ذلك في حق نفسه فلان لا يستفح من غيره طلب الدلائل كان أولى ثبت ان المقصود بهذا الكلام استمالة القوم وازالة الحياء عنهم في تكثير المناظرات (الوجه الخامس) أن يكون التقدير انك لست شاك البتة ولو كنت شاك لكان لك طرق كثيرة في ازالة ذلك الشك كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا والمعنى أنه لو فرض ذلك الممتنع واقعا لزم منه المحال الفلاني فكذا ههنا ولو فرضنا وقوع هذا الشك فارجع الى النوراة والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك زائل وهذه الشبهة باطلة (الوجه السادس) قال الزجاج ان الله خاطب الرسول في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق وهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء قال وهذا أحسن الاقوال قال القاضي هذا بعيد لانه متى كان الرسول داخلا تحت هذا الخطاب فتدعاه السؤال سواء أريد معه غيره أو لم يرد وانجاز أن يرد هو مع غيرهم فما الذي يمنع أن يرد بانفراده كما يقتضيه الظاهر ثم قال ومثل هذا التأويل يدل على قلّة التحصيل (الوجه السابع) هو أن لفظ ان في قوله ان كنت في شك للنبي أي ما كنت في شك قبل يعني لأنأمرك بالسؤال لانك شاك لكن لترداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى يقينا (وأما الوجه الثاني) وهو أن يقال هذا الخطاب ليس مع الرسول فتقريره أن الناس في زمانه كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت أي الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحده الله تعالى ذلك وهو يريد بالجمع كما في قوله يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك ويا أيها الانسان انك كادح وقوله فاذا مس الانسان ضم ولم يرد في جميع هذه الآيات انسانا بعينه بل المراد هو الجماعة فكذا ههنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونون من الذين كذبوا بآيات الله فكفون من الخاسرين (المسئلة الثالثة) اختلفوا في أن المسؤل منه في قوله فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من هم فقال المحققون هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء كانوا من المسلمين أو من الكفار لانهم اذا بلغوا عدد النوازل ثم قرؤا آية من النوراة والانجيل وتلك الآيات دالة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض فان قيل كان مذهبيكم أن هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغير فكيف يمكن التعلو عليها قلنا انهم انما حرفوها بسبب اخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام فان بقيت فيها آيات دالة على نبوته كان ذلك من أقوى الدلائل على صحة نبوة محمد عليه الصلوة والسلام لانها لما بقيت مع توفر دواعيهم على ازلتها دل ذلك على أنها كانت

التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذا المراد بالقرى أهاليها كما أنه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم لا قوم يونس عليه السلام يكون قوله تعالى لما آمنوا استثناء فالبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على بدليلة (ومتغناهم) بتناع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم (الى حين) مقدر لهم في علم الله سبحانه روى أن يونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما قدمه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما اسودها زلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشي مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيذ بأنفسهم نسائم وصبيانهم ودوابهم

وثرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج ﴿ في غايه وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة

وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن تراءوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه
 يرمده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بنية * ٤١ * علمائهم فقالوا فندزل بنا العذب فأتى فقال لهم

قولوا يا حي حين لا حي
 ويا حي محي الموتى ويا حي
 لا اله الا أنت فقـ الوها
 فكشف عنهم وعن
 الفضيل ابن عياض
 قالوا ان ذنوبنا قد عظمت
 وجلت وأنت أعظم
 منها وأجل أفعل بنا ما
 أنت أهله ولا تفعل بنا ما
 نحن أهله (واوشاء ربك
 لا من من في الارض)
 تحقيق لدور ان ايمان
 كافة المكلفين وجودا
 وعدمه على قطب مشبته
 تعالى مطلقا اثنان تبعية
 كفر الكفرة للكلمته
 ومفعول المشبته محذوف
 لوجود ما يقتضيه من
 وقوعها شرطا وكون
 مفعولها مضى الجزاء
 وأن لا يكون في تعلقه به
 غرابة كما هو المشهور رأى
 لوشاء سبحانه اثنان من في
 الارض من الثقلين لا من
 (كلهم) بحيث لا يشذ
 عنهم احد (جميعا)
 مجتمعين على الايمان
 لا يختلفون فيه لكنه
 لا يشاء لكونه مخالفا
 للحكمة التي عليها بني
 أساس التكوين والتشريع
 وفيه دلالة على أن من

في غاية الظهور واما ان المقصود من ذلك السؤال معرفة ذاي الاشياء ففيه قولان (الاول)
 أنه القرآن ومعرفة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم (والثاني) أنه رجوع ذلك الى قوله تعالى
 فما اختلفوا حتى جاءهم العلم والاول أولى لانه هو الاله والحاجة الى معرفته أتم واعلم انه
 تعالى لما بين هذا الطريق قال بعده قد جاءك الحق من ربك فلا تكون من المحترين ولا
 تكون من الذين كذبوا بآيات الله أى فائت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المربية عنك
 وانتفاء التكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون ذلك على طريق التهييج واطهار التشدد
 ولذلك قال عليه الصلاة والسلام عند نزوله لاشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق ثم قال ولا
 تكون من الذين كذبوا بآيات الله فيكون من الخاسرين واعلم أن فرق المكلفين ثلاثة اما
 أن يكون من المصدقين بالرسول أو من المتوفعين في صدقه أو من المكذبين ولا شك ان أمر
 المتوقف أسهل من أمر المكذب لاجرم قدم ذكر المتوقف بقوله ولا تكون من المحترين ثم
 اتبعه بذكر المكذب وبين انه من الخاسرين ثم انه تعالى لما فصل هذا التفصيل بين أن له
 عبادا قضى عليهم بالشقاء فلا يتغيرون وعبادا قضى لهم بالكرامة فلا يتغيرون فقال ان الذين
 حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر كلأت
 على الجمع وقرأ الماقون كلمة على لفظ الواحد وأقول انها كلأت بحسب الكثرة النوعية أو
 الصنفية وكلمة واحدة بحسب الوحدة الجنسية (المسئلة الثانية) المراد من هذه الكلمة
 حكم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في العبد مجموع القدرة والداعية الذي هو موجب
 لحصول ذلك الاثر اما الحكم والاخبار والعلم فظاهر وأما مجموع القدرة والداعية فظاهر
 أيضا لان القدرة لما كانت صالحة للطرفين لم يرجع أحد الجانبين على الآخر المرجع وذلك
 المرجع من الله تعالى قطعا للتسلسل وعند حصول هذا المجموع يجب الفعل وقد احتج
 أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في اثبات القضاء اللازم والقدر الواجب وهو حق
 وصدق ولا يحصى عنه ثم قال تعالى ولوجأتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم والمراد
 انهم لا يؤمنون البتة ولوجأتهم الدلائل التي لاحد لها ولا حصر وذلك لان الدلائل لا يهدى
 لا باعانة الله تعالى فاذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلائل (القصة الثالثة) من
 قصص المذكورة في هذه السورة قصة يونس عليه السلام * قوله تعالى (فلولا كانت
 رحمة آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا ومتعناهم الى حين) اعلم انه تعالى لما بين من قبل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
 يؤمنون ولوجأتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم اتبعه بهذه الآية لانها دالة على ان
 قوم يونس آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وذلك يدل على ان الكفار فر يقان
 بهم من حكم عليه بخاتمة الكفر ومنهم من حكم عليه بخاتمة الايمان وكل ما قضى الله به
 هو واقع وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في كلمة لولا في هذه الآية طريقان (الاول)
 نعمناه النبي روى الواحدى في البسيط قال أبو مالك صاحب ابن عباس كل

ما لله تعالى ايمانه يؤمن لاجالة * ٦ * حا (أفأنت تترك الناس) على ما لم يشاء الله منهم حسبما ينبغي عنه حرف
 متاع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فأنت تتركهم (حتى يكونوا
 منين) فيكون الانكار متوجها

قوله وما بال بع من اجد هو بقية بيت النابعة وقفت فيها أصيلاً لا سائلها * هبت جواباً وما بال بع من احد * وقوله الا وارى
اول البيت الذي بعده اى واخى الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن تكون الفاء لترتيب الإنكار على
عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهرمة متأخرة في الاعتبار * ٤٢ * وانما قدمت لاقتضائها الصبغة كما هو رأى

الجمهور وأياما كان فالشيئة
على اطلاقها اذا فائدة
بل لا وجه لاعتبار عدم
مشيئة الاجلاء خاصة في
انكار الترتيب عليه
أو ترتيب الإنكار عليه
وفي ايلاء الاسم حرف
الاستفهام ايذان بأن
الأكراه امر ممكن لكن
الشأن في المكروه من هو
وما هو الا هو وحده
لا يشارك فيه لانه القادر
على أن يفعل في قلوبهم
ما يضطرهم الى الايمان
وذلك غير مستطاع للشعر
وفيه ايذان باعتبار الاجلاء
في المشيئة كما اشير اليه
(وما كان لنفس) بيان
لنعية ايمان النفوس
المؤمنة لمشيئته تعالى
وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا
وعدا ما أى ماصح وما
استقام لنفس من النفوس
التي علم الله تعالى أنها
تؤمن (ان تؤمن الاياذن
الله) أى بتسهيله وتحمده
للإطاف وانما خصت
النفس بن ذكر ولم يجعل
من قبيل قوله تعالى وما
كان لنفس أن تموت الا
بإذنه لان الاستثناء

ما في كتاب الله تعالى من ذكر لولا فعناه هلا الا حرفين فلولاً كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها
معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها وكذلك فلولاً كان من القرون من قبلكم معناه
فما كان من القرون فعلى هذا تقدير الآية فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم
يونس وانتصب قوله الا قوم يونس على انه استثناء منقطع عن الاول لان اول الكلام
جرى على القرية وان كان المراد أهلها ووقع استثناء القوم من القرية فكان كقوله
* وما بال بع من احد * الا وارى وقرى أيضاً بالرفع على البدل (الطريق الثاني) أن لولا
معناه هلا والمعنى هلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتنا هاتبات عن الكفر
وأخلصت في الايمان قبل معاينة العذاب الا قوم يونس وظاهر اللفظ يقتضى استثناء قوم
يونس من القرى لان المعنى استثناء قوم يونس من أهل القرى وهو استثناء منقطع بمعنى
ولكن قوم يونس لما آمنوا فعلنابهم كذا وكذا (المسئلة الثانية) روى أن يونس عليه
السلام بعث الى ينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما قدوه خافوا
نزل العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أر بعين ليلة وكان يونس قال لهم ان أجليكم أر بعون
ليلة فقالوا ان رأينا أسباب انهلاك أمتنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء
غيم أسود شديد السواد فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود
سطوحهم فخرجوا الى الصحراء وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فخن
بعضها الى بعض فعملت الاصوات وكثرت الضجرات وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا
الى الله تعالى فرحهم وكشف عنهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم أن يردوا المظالم حتى ان الرجل كان شقاع الحجر بعد ان وضع عليه بناء أساسه
فيرده الى مكانه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فاترى
فقال لهم قولوا يا اباي حين لا حى وياحى يا حي الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوا فكشف
الله العذاب عنهم وعن الفضل بن عباس أنهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (المسئلة الثالثة) ان
قال قائل انه تعالى حكى عن فرعون أنه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم
يونس أنهم تابوا وقبل توبتهم خالف الفرق (والجواب) ان فرعون ائتماتاب بعد ان شاهده
العذاب وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت لهم امارات دلت على قرب
العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا فظهر الفرق * قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في
الارض كلهم جميعاً فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا
بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) اعلم ان هذه السورة من أولها الى هذا
الموضع في بيان حكاية شبهات الكفار في انكار النبوة مع الجواب عنها وكانت احدى
شبهاتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهددهم بنزول العذاب على الكافرين وبعد
اتباعه ان الله ينصرهم ويعلى شأنهم ويقوى جانيهم ثم ان الكفار ما رأوا ذلك فجعلوا ذلك

مفرغ من اعم الاحوال أى ما كان لنفس أن تؤمن من حال من أحوالها الاحال كونها ملايسة باذنه تعالى * شبهة *
فلا بد من كون الايمان بما يؤول اليه حالها كما أن الموت ما كل لكل نفس بحيث لا يحصى لها عنه فلا بد من تخصيص النفس
بن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال

نؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها (ويجعل الرجس) أي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن الفيح المستفاد المستكره لكونه علما ﴿٤٣﴾ في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب أو اخذ لان المؤدى اليه

وقرى بنسبون العظمة
وقرى بالزاي أي يجعل
الكفر وبقيه (على الذين
لا يعقلون) لا يستعملون
عقولهم بالنظر في الحجج
والآيات أو لا يعقلون
دلالة وأحكامه لما على
قلوبهم من الطبع فلا
يحصل لهم الهداية التي
عبر عنها بالاذن فيبقون
مغمورين بقبائح الكفر
والضلال أو مغمورين
بالعذاب والنكال والجملة
معطوفة على مقدر ينسحب
عليه النظم الكريم كانه
قيل فيأذن لهم بمنح
الاطاف ويجعل الخ
(قل) مخاطبا لاهل مكة
بعثناهم على التدبر في
ملكوت السموات والارض
وما فيها من تعاجيب
الآيات الانفسية والآفاقية
ليتضح لك أنهم من
الذين لا يعقلون وحقت
عليهم الكلمة (انظروا)
أي تفكروا وقرى بنقل
حركة الهزة الى لام
قل (ماذا في السموات
والارض) أي اى شئ
بديع فيهما من عجائب
صنعه الدالة على وحدته
وكال قدرته على ان ماذا

شبهة في الطعن في نبوته وكانوا يبالغون في استعجال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم ان الله سبحانه وتعالى بين أن تأخير الموعد به لا يقدح في صحة الوعد ثم ضرب لهذا أمثلة وهي واقعة نوح وواقعة موسى عليهما السلام مع فرعون وامتدت هذه البيانات الى هذه المقامات ثم في هذه الآية بين أن جد الرسول في دخولهم في الايمان لا ينفع ومبالغته في تقرير الدلائل وفي الجواب عن الشبهات لا تنفيد لان الايمان لا يتحصل الا بتخليق الله تعالى مشيئته وارشاده وهذا لا يحصل هذا المعنى لم يحصل الايمان وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا على صحة قولهم بان جميع الكائنات بمشيئة الله تعالى قالوا كلمة لا تنفيد انتفاء الشئ لا انتفاء غيره فقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يقتضى أنه ما حصلت تلك المشيئة وما حصل ايمان أهل الارض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد ايمان الكل أجاب الجبائي والقاضي وغيرهما بأن المراد مشيئة الاجاء أي لو شاء الله أن يجتهدهم الى الايمان لا قدر عليه ولصح ذلك منه ولكنه ما فعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الاجاء لا ينفعه ولا يفيد فائدة ثم قال الجبائي ومعنى الاجاء الله تعالى اياهم الى ذلك أن يعرفهم اضطارا انهم لو حاولوا تركه حال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بد وأن يفعلوا ما الجئوا اليه كما أن من علم منا أنه ان حاول قتل ملك فانه يمنع منه فهر الم يمكن تركه لذلك الفعل سببا لاستحقاق المدح والثواب فكذلك اهنا واعلم ان هذا الكلام ضعيف وبيان من وجوه (الاول) ان الكافر ان كان قادرا على الكفر فعمل كان قادرا على الايمان أو ما كان قادرا عليه فان قدر على الكفر ولم يقدر على الايمان فحينئذ تكون القدرة على الكفر مسئلة من الكفر فاذا كان خالق تلك القدرة هو الله تعالى لزم أن يقال انه تعالى خلق فيه قدرة مسئلة من الكفر فوجب أن يقال انه أراد منه الكفر وأما ان كانت القدرة صالحة للضدين كما هو مذهب القوم فرجنا أحد الطرفين على الآخر ان لم يتوقف على المرجح فقد حصل الرجحان للمرجح وهذا باطل وان توقف على مرجح فذلك المرجح اما أن يكون من العبد أو من الله تعالى فان كان من العبد عاد التقسيم فيه ولزم التسلسل وهو محال وان كان من الله تعالى فحينئذ يكون مجموع تلك القدرة مع تلك للداعية موجبا لذلك الكفر فاذا كان خالق القدرة والداعية هو الله تعالى فحينئذ عاد الالتزام (الثاني) ان قوله ولو شاء ربك لا يجوز حله على مشيئة الاجاء لان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يطلب أن يحصل لهم ايمان لا يفيدهم في الآخرة فبين تعالى انه لا قدرة للرسول على تحصيل هذا الايمان ثم قال ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا فوجب ان يكون المراد من الايمان المذكور في هذه الآية هو هذا الايمان النافع حتى يكون الكلام متظما فاما محل اللفظ على مشيئة القهر والاجاء فانه لا يليق بهذا الموضوع (الثالث) المراد بهذا الاجاء اما أن يكون هو أن يظهر له آيات هائلة يعظم خوفه عند رؤيتها ثم يأتي بالايمان عنهما أو اما أن يكون المراد خلق الايمان فيهم والاول باطل لانه تعالى

جعل التركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذا معنى ندى والظرف صلته والجملة خبر للبتدأ وعلى التقديرين فالمتبدا والخبر في محل النصب ناسقاطا لخالفه وفعل النظر معلق

بالاستفهام (و ما نفى) أى ما نفع وقرئ بالتذكير (الآيات) وهى التى عبر عنها بقوله تعالى ما ذاق السموات والأرض
(والندر) جمع نذر على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أى لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الأندارات

(عن قوم لا يؤمنون)

فى علم الله تعالى وحكمه

خاتمة الآية والجملة أما حالية

أو اعتراضية ويجوز كون

ما استفهامية إنكارية

فى موضع النصب على

المصدرية أى أى اغناء

نفى الخ فالجملة حينئذ

اعتراضية (فهل ينظرون)

ى مشركو مكة وأضرابهم

الأمثلة أيام الذين خلوا

أى الأيام مثل أيام الذين

خلوا (من قبلهم) من

مشركى الأمم الماضية أى

مثل قاعدتهم وزول بأس

لله بهم اذ لا يستحقون غيره

من قواعدهم أيام العرب لولا

نعمها (قل) تهديد لهم

فانظروا ما هو عاقبتكم

أنى معكم من المنتظرين

لذلك (ثم نجي رسلا)

لتشديد وقرئ بالتخفيف

هو عطف على مقدر يدل

عليه قوله مثل أيام الذين

خلوا وما بينهما اعتراض

بجى به مسارعة إلى

التهديد ومبالغة فى تشديد

الوعيد كأنه قول اهلكنا

الأمم ثم نجينا رسلا المرسلات

اليهم (والذين آمنوا)

وصيغة الاستقبال لحكاية

الأحوال الماضية تهويل

بين فيما قبل هذه الآية ان انزال هذه الآيات لا يفيد وهو قوله ان الذين حقت عليهم
كلمة بك لا يؤمنون ولو جانتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم وقال أيضا ولو أنزلنا إليهم
الملائكة ولكلهم الموت وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا الآن بشاء الله وان كان
المراد هو الثانى لم يكن هذا الجاء إلى الإيمان بل كان ذلك عبارة عن خلق الإيمان فيهم ثم
يقال لكنهم ما خلق الإيمان فيهم فدل على أنه ما أراد حصول الإيمان لهم وهذا عين مذهبنا
واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال أفانت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين والمعنى أنه
لا قدرة لك على التصرف فى أحد المقصود منه بيان أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة
ليست إلا الحق سبحانه وتعالى (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا على صحة قولهم أنه لا حكم
للأشياء قبل ورود الشرع بقوله وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله قالوا وجه الاستدلال
به أن الأذن عبارة عن الإطلاق فى الفعل ورفع الحرج وصريح هذه الآية يدل على أنه قبل
حصول هذا المعنى ليس له أن يقدم على هذا الإيمان ثم قالوا والذى يدل عليه من جهة
العقل وجوه (الاول) أن معرفة الله تعالى والاشتغال بشكره وإشياء عليه لا يدل العقل
على حصول نفع فيه فوجب أن لا يجب ذلك بحسب العقل بيان الاول ان ذلك النفع إما أن
يكون عائدا إلى المشكور أو إلى الشاكر والاول باطل لأن فى الشاهد المشكور ينفع بالشكر
فيسره الشكر ويسوء الكفران فلا جرم كان الشكر حسنا والكفران قبيحا أما الله
سبحانه فإنه لا يسره الشكر ولا يسوء الكفران فلا ينفع بهذا الشكر أصلا (والثانى)
أيضا باطل لأن الشاكر يتعب فى الحال بذلك الشكر ويبدل الخدمة مع أن المشكور
لا ينفع به البتة ولا يمكن أن يقال ان ذلك الشكر علة الثواب لأن الاستحقاق على الله
تعالى محال فان الاستحقاق على الغير إنما يعقل اذا كان ذلك الغير بحيث لولم يعط لأوجب
امتناعه من اعطاء ذلك الحق حصول نقصان فى حقه ولما كان الحق سبحانه متزاهيا عن
النقصان والزيادة لم يعقل ذلك فى حقه فثبت ان الاشتغال بالإيمان وبالشكر لا يفيد نفعاً
بحسب العقل المحض وما كان كذلك امتنع أن يكون العقل موجبا له فثبت بهذا البرهان
القاطع صحة قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله قال القاضى المراد أن
الإيمان لا يصدر عنه إلا بعلم الله أو بتكليفه أو بإقذاره عليه وجوابنا ان حمل الأذن على
ما ذكرتم ترك للظاهر وذلك لا يجوز لاسيما وقد بينا أن الدليل القاطع العقلى يقوى قولنا
(المسئلة الثالثة) قرأ أبو بكر عن عاصم وجعل بالتون وقرأ الباقون بالياء كناية عن اسم الله
تعالى (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على صحة قولهم بان خالق الكفر والإيمان هو الله
تعالى بقوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وتقر به أن الرجس قد يراد به
العمل القبيح قال تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
والمراد من الرجس ههنا العمل القبيح سواء كان كفرا أو معصية وبالتطهير نقل العبد من
رجس الكفر والمعصية إلى طهارة الإيمان والطاعة فلما ذكر الله تعالى فيما قبل هذه الآية

أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية النجاة عن حكاية الإهلاك على عكس ما فى قوله تعالى فجيناها ومن (ان
معنى الفلك الخ ونظاره الواردة فى مواضع عديدة ليتصل به قوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الانجاء (حقا علينا)

اصراض بين العامل والمعمول اى حق ذلك حقا وقبل بذل من المحنوق الذى ناب عنه كذلك اى انجاء مثل ذلك حقا والكاف متطقة بقوله تعالى (نجي المؤمنين) اى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسول ﴿ ٤٥ ﴾ عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط

وانما لم يذكر انجاء الرسل ابداً لان عدم الحاجة اليه وانما كان فقيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الايمان (قل) لجمهور المشركين (يا أيها الناس) اؤثر الخطاب باسم الجنس مصدر بالحرف التنبيه لعممية التبليغ واظهار الكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم (ان كنتم فى شك من ديني) الذى اتعبد الله عز وجل به وأدعوك اليه ولم تعملوا ما هو وما صفته (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) فى وقت من الاوقات (ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اى فاعلموا أنه تخصيص العبادة به ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وتقديم ترك عبادة الغير على عبادة الله تعالى لتقديم التولية على التحلية كفى كلمة التوحيد ولا يذنب بالخالفية من أول الامر أو ان كنتم فى شك من صحة ديني

أن الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى وتخليقه ذكر بعده أن الرجس لا يحصل الا بتخليقه وتكوينه والرجس الذى يقابل الايمان ليس الا الكفر فثبت دلالة هذه الآية على ان الكفر والايمان من الله تعالى أجاب أبو علي الفارسي النحوي عنه فقال الرجس يحتمل وجهين آخرين (أحدهما) أن يكون المراد منه العذاب فقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون أى يلحق العذاب بهم كإقال ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات (والثاني) أنه تعالى يحكم عليهم بانهم رجس كإقال انما المشركون نجس والمعنى ان الطهارة الثابتة للمسلمين لم تحصل لهم والجواب اننا قد بينا بالدليل العقلي ان الجهل لا يمكن أن يكون فعلاً لا بعد لانه لا يريد ولا يقصد الى تكوينه وانما يريد ضده وانما قصد الى تحصيل ضده فلو كان به لما حصل الاما قصده واوردنا السؤالات على هذه الجملة وأجبنا عنها فيما سلف من هذا الكتاب وأما محل الرجس على العذاب فهو باطل لان الرجس عبارة عن الفاسد المستقذر المستكره فحمل هذا اللفظ على جهلهم وكفرهم أولى من حمله على عذاب الله مع كونه حقاصداً قاصواً وأما محل لفظ الرجس على حكم الله برجاستهم فهو فى غاية البعد لان حكم الله تعالى بذلك صفة فكيف يجوز أن يقال ان صفة الله رجس فثبت ان الجملة التى ذكرناها ظاهرة ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأعاصم وحزرة قل انظروا بكسرا اللام لالتقاء الساكنين والاصل فيه الكسر والباقون بضمها نقلوا حركة الهمزة الى اللام (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لمسا بين الآيات السالفة ان الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر بالنظر والاستدلال فى الدلائل حتى لا يتوههم أن الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض واعلم ان هذا يدل على مطلوبين (الاول) انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالتدبر فى الدلائل كما قال عليه الصلاة والسلام تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق (والثاني) وهو ان الدلائل اما أن تكون من عالم السموات أو من عالم الارض أما الدلائل السماوية فهى حركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب وما يختص به كل واحد منها من المنافع والفوائد وأما الدلائل الارضية فهى النظر فى أحوال العناصر العلوية وفى أحوال المعادن وأحوال النبات وأحوال الانسان خاصة ثم ينقسم كل واحد من هذه الاجناس الى أنواع لانهاية لها ولوان الانسان أخذ يفكر فى كيفية حكمة الله سبحانه فى تخليق جناح بعوضة لا تقطع عقله قبل أن يصل الى أقل مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد ولا شك ان الله سبحانه أكثر من ذكر هذه الدلائل فى القرآن المجيد فلهذا السبب ذكر قوله قل انظروا ماذا فى السموات والارض ولم يذكر التفصيل فكأنه تعالى نبه على القاعدة الكلية حتى ان العاقل ينشبه لاقسامها وحينئذ يشرع فى تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية البشرية ثم

وسداده فاعلموا أن خلاصته اخلاص العبادة لمن يده الابدان والاعدام دون ما هو بعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم وأجبلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وفى تخصيص التوفى بالذكر متعاقبهم

ملا يخفى من التهديد والتعير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإيدان بأن أقصى ما يمكن عروضة للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعدمها فمما لا سبيل إليه أو أن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أني لا تركه أبدا (وأمرت أن أكون من المؤمنين) ﴿ ٤٦ ﴾ بمبادل عليه العقل ونطق به الوحي وهو

تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الإلهي وحذف حرف الجر من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وإن يكون خاصا كافي قوله بفعل الامر * امرتك الخيرا فاعل ما أمرت به * (وأن أم وجهك للدين) عطف على أنا كون خلا أن صلة أن محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف بالجل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبصار فيه بأداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه أو باستقبال القبلة في الصلاة وعدم

انه تعالى لما أمر بهذا التفكير والتأمل بين بعد ذلك ان هذا التفكير والتدبر في هذه الآيات لا ينفع في حق من حكم الله تعالى عليه في الازل بالشقاء والضلال فقال وما تعنى الآيات والندرة عن قوم لا يؤمنون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال التحويون ما في هذا الموضع تحتل وجهين (الاول) أن تكون نفيا بمعنى ان هذه الآيات والندرة لاتفيد الفائدة في حق من حكم الله عليه بانه لا يؤمن كقولك ما يغني عنك المال اذا لم تنفق (والثاني) أن تكون استفهاما كقولك أي شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الإنكار (المسئلة الثانية) الآيات هي الدلائل والندرة الرسل المنذرون أو الانذارات (المسئلة الثالثة) قرئ وما يغني البلاء من تحت * قوله تعالى (فهل ينظرون الا ملأ أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم تجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا نجبي المؤمنين) واعلم أن المعنى هل ينظرون الا يوما مثل أيام الامم الماضية والمراد ان الانبياء المتقدمين عليهم السلام كانوا يتوعدون كفار زمانهم بمجيء أيام مشتملة على أنواع العذاب وهم كانوا يكذبون بها ويستجملونها على سبيل السخرية وكذلك الكفار الذين كانوا في زمان الرسول عليه الصلاة والسلام هكذا كانوا يفعلون ثم انه تعالى أمره بأن يقول لهم فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم انه تعالى قال ثم تجي رسلنا والذين آمنوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ الكسائي في رواية نصيرت نجبي خفيفة وقرأ الباقر مشددة وهما لغتان وكذلك في قوله نجبي المؤمنين (المسئلة الثانية) ثم حرف عطف وتقدير الكلام كانت عادتنا فيما مضى ان نهلهم سر يعا ثم تجي رسلنا (المسئلة الثالثة) لما أمر الرسول في الآية الاولى أن يوافق الكفار في انتظار العذاب ذكر التفصيل فقال العذاب لا ينزل الا على الكفار وأما الرسول وأتباعه فهم أهل النجاة ثم قال كذلك حقا علينا نجبي المؤمنين وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف أي مثل ذلك الانبياء نصير المؤمنين وهلك المشركين وحقا علينا اعراض يعني حق ذلك علينا حقا (المسئلة الثانية) قال القاضى قوله حقا علينا المراد به الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب الى الثواب واجب ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الافعال الشاقة واذا ثبت وجوبه لهذا السبب جرى مجرى قضاء الدين للسبب المتقدم والجواب أن نقول انه حق بسبب الوعد والحكم ولا نقول انه حق بسبب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على خالفه شيئا * قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبدوا الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) واعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله باظهار دينه وباطهار المباشرة عن المشركين لكي تزول الشكوك والشبهات في أمره وتخرج عبادة الله من طريقة السر الى الاظهار فقال

الالتفات الى اليقين والشمال (حنيفا) حال من الدين أو الوجه أي ما لا عن الأديان الباطلة ﴿ قل ﴾ (ولا تكون من المشركين) عطف على أقم داخل تحت الامر أي لا تكون منهم اعتقادا ولا عقلا وقوله عز وعا

(ولادع) عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن مانعه من الجمل إلى آخر الآيتين ﴿ ٤٧ ﴾ متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كاترى ولا وجه لادراج الكل

تحت الأمر وهو تأكيد
لأنه المذكور وتفصيل
لما أجل فيه اظهار الكمال
العناية بالأمر وكشف
عن وجه بطلان ما عليه
المشركون أي لا تدع
(من دون الله) استقلالاً
ولا اشتراكاً (ما لا ينفعك)
إذا دعوت به بدفع مكروه
أو جلب محبوب
(ولا يضرك) إذا تركته
بسبب المحبوب دفعاً أو رفعاً
أو يبايع المكروه وتقديم
النفع على الضرر غنى
عن بيان السبب
(فان فعلت) أي مانهت
عنه من دعاء ما لا ينفع
ولا يضركنى به عنه تنويعاً
لأنه عليه السلام وتذيعها
على رفعة مكانه من أن
ينسب إليه عبادة غير الله
سبحانه وأوفى ضمن الجملة
الشرطية (فانك إذا
من الظالمين) جزاء للشرط
وجواب لسؤال من يسأل
عن تبعة ما نهى عنه
(وان يمسك الله بضر)
تقرير لما أورد في حيز الصلة
من سلب النفع من الاصنام
وتصو ولا اختصاص به
سبحانه (فلا تكشف له)
عنك كاشفاً من كان وما كان

قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني واعلم ان ظاهر هذه الآية يدل على أن هؤلاء
الكفار ما كانوا يعترفون دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر انهم كانوا يقولون فيه
قد صبأ وهو صابى فأمر الله تعالى أن يبين لهم أنه على دين ابراهيم حنيفاً مسلماً قوله تعالى
ان ابراهيم كان أمة فانت الله حنيفاً وقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفاً وقوله لا أعبد ما تعبدون والمعنى انكم ان كنتم لا تعرفون ديني فانا بينه لكم على
سبيل التفصيل ثم ذكر فيه أموراً (فالقيد الأول) قوله فلا أعبد الذين تعبدون من دون
الله وانما وجب تقديم هذا النفي لما ذكرنا أن ازالة النفوس الفاسدة عن اللوح لا بد وأن
تكون مقدمة على اثبات النفوس الصحيحة في ذلك اللوح وانما وجب هذا النفي لان
العبادة غاية التعظيم وهي لا تلقى الابن حصلت له غاية الجلال والأكرام وأما الاوثان
فانها أبحار والانسان أشرف حالاً منها وكيف يليق بالاشرف أن يشغل بعبادة الاخص
(القيد الثاني) قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والمقصود أنه لما بين انه يجب ترك
عبادة غير الله بين أنه يجب الاشتغال بعبادة الله فأن قيل لما الحكمة في ذكر العبود الحق
في هذا المقام بهذه الصفة وهي قوله الذي يتوفاكم قلنا فيه وجوه (الأول) يحتمل أن يكون
المراد اني أعبد الله الذي خلقكم أو لا ثم يتوفاكم ثانياً ثم يعيدكم ثالثاً وهذه المراتب الثلاثة
قد قررناها في القرآن مراراً وأطواراً فهنا اكتفى بذكر التوفي منها لكونه منها على
البواقي (الثاني) ان الموت أشد الاشياء مهابة فخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام
ليكون أقوى في الزجر والردع (الثالث) انهم لما استجملوا نزول العذاب قال تعالى فهل
ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم نجى
رسلنا والذين آمنوا فلهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقى المؤمنين
ويقوى دواتهم فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لاجرم قال ههنا ولكن أعبد الله
الذي يتوفاكم وهو اشارة الى ما قرره وبينه في تلك الآية كانه يقول أعبد ذلك الذي
وعدى باهلاكهم وبإبقائى (والقيد الثالث) من الأمور المذكورة في هذه الآية قوله
وأمرت أن أكون من المؤمنين واعلم انه لما ذكر العبادة وهي من جنس أعمال الجوارح
انتقل منها الى الايمان والمعرفة وهذا يدل على أنه مالم يصر الظاهر من بنابالاعمال الصالحة
فانه لا يحصل في القلب نور الايمان والمعرفة (والقيد الرابع) قوله وأن أقم وجهك للدين
حنيفاً وفيه مسائل (المسئلة الأولى) الواو في قوله وأن أقم وجهك حرف عطف
وفي المعطوف عليه وجهان (الأول) ان قوله وأمرت أن أكون قائم مقام قوله وقيل
كن من المؤمنين ثم عطف عليه وأن أقم وجهك (الثاني) أن قوله وأن أقم وجهك قائم
مقام قوله وأمرت بإقامة الوجه فصار التقدير وأمرت بأن أكون من المؤمنين بإقامة
الوجه للدين حنيفاً (المسئلة الثانية) اقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية الى طلب
الدين لأن من يريد أن ينظر المحدثي نظراً بالاستقضاء فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث

الاهو) وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان اعدم النفع برفع المكروه المستلزم
بعدم النفع بجلب المحبوب استلزاماً ظاهراً فان رفع المكروه أدنى مراتب النفع فاذا اتقى انتفى النفع بالكلية
وان يردك بخير) بتحقيق لسلب الضرر الوارد

في حيز الصلة أي ان يرد أن يصيبك شبح (فلا راد لفضله) الذي من جلته ما ارادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لانفس الجواب وفيه ايدان بأن فيضان الخير منه ﴿ ٤٨ ﴾ تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه

أي لا احد يقدر على رده
كأنما كان فيدخل فيه
الاضمام دخولا اوليا
وهو بيان لعدم ضررها
يدفع المحبوب قبل وقوعه
المستلزم لعدم ضررها
برفعه أو بإيقاع المكروه
استلزاما جليا ولعل ذكر
الارادة مع الخير والمس مع
الضرر مع تلازم الأمرين
للإيدان بأن الخير مراد
بالذات وأن الضرر انما يس
من يمسسه لما يوجبه
من الدواعي الخارجية
لأبالقصد الأولى أو أريد
معنى الفعلين في كل
من الضرر والخير وأنه لا راد
لما يريد منهما ولا من يزل
لما يصيب به منهما فأوجز
الكلام بأن ذكر في أحدهما
المس وفي الآخر الإرادة
ليدل بأذكر في كل جانب
على مازك في الجانب
الآخر على أنه قد صرح
بالإصابة حيث قيل
(يصيب به) اظهار الكمال
العناية بجانب الخير كما ينبغي
عنه ترك الاستثناء فيه
أي يصيب بفضله الواسع
المنتظم لما أرادك به
من الخير وجعل الفضل
عبارة عن ذلك الخير

لا يصرفه عنه لا بالقليل ولا بالكثير لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل فقد بطلت تلك المقابلة
واذا بطلت تلك المقابلة فقد اختل الابصار فلم نال السبب حسن جعل قائمة الوجه للدين
كتابة عن صرف العقلي بالكلية الى طلب الدين وقوله حنيفا أي ما لا اله الا الله ميلانها معرضا
عماسواه اعراضا كلياً وحاصل هذا الكلام هو الاخلاص التام وترك الالتفات الى غيره
فقوله أولاً وأمرت أن أكون من المؤمنين إشارة الى تحصيل أصل الايمان وقوله وأن أقم
وجهك للدين حنيفا إشارة الى الاستغراق في نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه
(واقيد الخامس) قوله ولا تكون من المشركين واعلم أنه لا يمكن أن يكون هذا نهياً عن
عبادة الاوثان لان ذلك صار مذكوراً بقوله تعالى في هذه الآية فلا تعبد الذين تعبدون
من دون الله فوجب حل هذا الكلام على فائدة زائدة وهو أن من عرف مولاه فلو اتفقت بعد
ذلك الى غيره كان ذلك شركاً وهذا هو الذي تسميه أصحاب القلوب بالشرك الخفي (واقيد
السادس) قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك والممكن لذاته معدوم
بالنظر الى ذاته وموجود بالإنجاد الحق وإذا كان كذلك فما روى الحق فلا وجود له
الإنجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شيء هالك
الاوجهه وإذا كان كذلك فلاحكم الله ولا رجوع في الدارين الا الى الله ثم قال
في آخر الآية فان فعلت فأنك اذا من الظالمين يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من
غير الله فأنت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه فإذا كان ماسوى
الحق معز ولا عن التصرف كانت اضافته التصرف الى ماسوى الحق وضع الشيء في غير
موضعه فيكون ظمناً فان قيل فطلب الشبم من الاكل والرى من الشرب هل يقدح
في ذلك الاخلاص قلنا لا لان وجود الخير وصفاته كلها بإنجاد الله وتكوينه وطلب
الانتفاع بشئ خلقه الله للانتفاع به لا يكون منافياً لرجوع بالكلية الى الله الا ان شرط
هذا الاخلاص أن لا يقع بصرف عقله على شئ من هذه الموجودات الا ويشاهد بعين عقله انها
معدومة بذواتها وموجودة بإنجاد الحق وهالكه بأنفسها وباقية بابقاء الحق فيجئذ يرى
ماسوى الحق عدماً محضاً بحسب أنفسها ويرى نور وجوده وفيض احسانه عالياً على
الكل ﴿ قوله تعالى ﴾ (وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يدرك بخير فلا راد
لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم
انه سبحانه وتعالى قرر في آخر هذه السورة أن جميع المحككات مستندة اليه وجب
الكائنات محتاجة اليه والعقول والهة فيه والرحمة والجلود والوجود فانضى منه واعلم
أن الشيء اما أن يكون ضاراً واما أن يكون نافعا واما أن يكون لاضاراً ولا نافعاً وهذا
القسمان مشتركان في اسم الخير ولما كان الضرراً أمراً وجودياً لا جرم قال فيه وان
يمسك الله بضر ولما كان الخير قد يكون وجودياً وقد يكون عدماً لا جرم لم يذكر لفظ
الامساس فيه بل قال وان يدرك بخير والآية دالة على أن الضرر والخير واقعان بقدرته الله

بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمحل لما ذكر من الفائدة بإياه قوله عز وجل ﴿ تعالى ﴾
(من يشاء من عباده) فان ذلك ينادى بعموم الفضل وقوله عز قائل (وهو الغفور الرحيم) تذييل لقوله تعالى
يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها

(قل) مخاطبة الأولئك الكفرة بعدما بلغتهم ما أوحى اليك (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي من جملتها ٤٩ * ما مر آنفاً من أصول الدين وأطلعتم على ما في نصابه

من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالإيمان به والعمل بما في مطالبه (فإنما يهتدى لنفسه) أي منفعة اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالكفر به والاعراض عنه (فإنما يضل عليها) أي فويل الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه

ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو ضرر كإلحاح به اسناد الحجى إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطته (وما أناعليكم بوكيل) بحفظ موكل إلى أمركم وأنما أنابشرونذير (واتبع) اعتقاداً

وعملًا وتبليغاً (ما يوحى اليك) على تجميع التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوماً فيوماً وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالجنى واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التثاقف (واصبر) على ما يترتب من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالنصرة عليهم أو بالأمر بالقتال (وهو خير الحاكمين) إذ لا يمكن الخطأ

في حكمه لإطلاعه على السرار وإطلاعه على الظواهر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى ونقصانه فيدخل فيه الكفر والإيمان والطاعة والعصيان والسرور والآفات والخيرات والآلام واللذات والراحات والجراحات فبين سبحانه وتعالى أنه انقضى لأحد شرافاً لا كشف له الأهو وانقضى لأحد خيراً فلا راد لفضله البتة ثم في الآية دقيقة أخرى وهي أنه تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر من ثلاثة أوجه (الأول) أنه تعالى لما ذكر أساس الضربين أنه لا كشف له الأهو وذلك يدل على أنه تعالى يزيل المضار لأن الاستثناء من النفي أثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال أنه لا راد لفضله وذلك يدل على أن الخير مصلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رواية عن رب العزة أنه قال سبقت رحمتي غضبي (الثاني) أنه تعالى قال في صفة الخير يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير والرحمة أقوى وأغلب (والثالث) أنه قال وهو الغفور الرحيم وهذا أبضاً يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى بين أنه مفرد بالخلق والإيجاد والتكوين والابداع وأنه لا موجد سواه ولا معبود إلاياه ثم نبه على أن الخير مراد بالذات والشر مراد بالعرض ونحت هذا الباب أسرار عميقة فهذا ما نقوله في هذه الآية (المسئلة الثانية) قال المفسرون أنه تعالى لما بين في الآية الأولى في صفة الاصنام أنها لا تضر ولا تنفع بين في هذه الآية أنها لا تقدر أيضاً على دفع الضرر الواصل من الغير وعلى دفع الخير الواصل من الغير قال ابن عباس رضي الله عنهما إن يسسك الله بضر فلا كشف له الأهو يعني يمرض وقفر فلا دفع له الأهو وأما قوله وإن يردك بخير فقال الواحدى هو من المقلوب معناه وإن يردك بخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جا زائد الكل واحد منهما بالآخر وأقول القديم في اللفظ يدل على زيادة العناية بقوله وإن يردك بخير يدل على أن المقصود هو الإنسان وسائر الخيرات مخلوقة لأجله فهذه الدقيقة لاستبعاد الأمن هذا التركيب * قوله تعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل) واعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل المذكورة في التوحيد والشبوة والمعادوزين آخر هذه السورة بهذه البيانات الدالة على كونه تعالى مستبداً بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة العالية وفي تفسيرها وجهان (الأول) أنه من حكمه في الأزل بالاهتداء فسيقعه ذلك ومن حكمه بالضللال فكذلك ولا حيلة في دفعه (الثاني) وهو الكلام اللاتى بالمعركة قال القاضي أنه تعالى بين أنه أكمل الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل فلا يجب على من السعى في إيصالكم إلى الثواب العظيم وفي تخليصكم من العذاب الأليم أزيد مما فعلت قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بآية القتال ثم إنه تعالى ختم هذه الخاتمة بخاتمة أخرى لطيفة فقال (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) والمعنى أنه تعالى أمره

بأن يقرأ سورة يونس أعطي له من الاجر عشر حسنات * ٧ * خا بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق فرعون والحمد لله وحده

(سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاثون وعشرون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاثون وعشرون آية) حتى أنه خبر لبثنا محذوف وقبلي أنه لم يمتدأ والاول هو الاظهر كأشهر إليه في سورة يونس أو انصب بتغيير فعل يناسب المقام نحو ذكراً وأقرأ على تقدير كونه اسماً للسورة على ما عليه اطلاق الأكثر أولاً لخلله من الاعراب مسروبة على نط التعديد حسبما فصل في أخواته وقوله تعالى ﴿ ٥٠ ﴾ (كتاب) خبره على الوجه الثاني ولبتدا محذوف

على الوجوه الباقية (أحكمت آياته) نظمت نظماً متقناً ليعتبر به خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لأنطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقاتها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تنتمى إليه من الأحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتل عليها كما إذا فسر الأحكام بالنسخ من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما تفسيره بالنسخ من الفساد أحياناً من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجراح ففيد إيهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي إلى الفساد لولا المانع وفي إسناد الأحكام على الوجوه المذكورة إلى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غاية منه ما لا يخفى (ثم فصلت) أي جعلت فصولاً من الأحكام

بإتباع الوحي والتزويل فإن وصل إليه بسبب ذلك الاتباع مكرهه فليصبر عليه إلى أن يحكم الله فيه وهو خير الحاكمين وأشد بعصمهم في الصبر شعراً فقال سأصبر حتى يحجز الصبر عن صبري * وأصبر حتى يحكم الله في أمري سأصبر حتى يعلم الصبر أتي * صبرت على شيء أمر من الصبر ثم تفسر هذه السورة والله أعلم بمراده وبإسرار كتابه بعون الله وحسن توفيقه يقول جامع هذا الكتاب ختمت تفسير هذه السورة يوم السبت من شهر الله الأصم رجب سنة إحدى وستائة وكنت ضيق الصدر كثيراً لخرن بسبب وفاة الولد الصالح محمد أفاض الله على روحه وجسده أنوار المغفرة والرحمة وأنا ألتبس من كل من يقرأ هذا الكتاب وينفع به من المسلمين أن يخص ذلك المسكين وهذا المسكين بالدعاء والرحمة والغفران والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) في الآية مسائل (المسألة الأولى) اعلم أن قوله الراسم للسورة وهو مبتدأ وقوله كتاب خبره وقوله أحكمت آياته ثم فصلت صفة للكتاب قال الزجاج لا يجوز أن يقال المبتدأ وقوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت خبر لأن الراسم هو الموصوف بهذه الصفة وحده وهذا الاعتراض فاسد لأنه ليس من شرط كون الشيء مبتدأ أن يكون خبره محصوراً فيه ولأدري كيف وقع لزجاج هذا السؤال ثم إن الزجاج اختار قولاً آخر وهو أن يكون التقدير هذا كتاب أحكمت آياته وعندى أن هذا القول ضعيف لوجهين (الأول) أن على هذا التقدير يقع قوله الراسم بالاطلالة فائدة فيه (والثاني) أنك إذا قلت هذا كتاب قولك هذا يكون إشارة إلى أقرب المذكورات وذلك هو قوله الراسم حينئذ المخبر عنه بانه كتاب أحكمت آياته فيلزمه على هذا القول ما لم يرض به في القول الأول فثبت أن الصواب ما ذكرناه (المسألة الثانية) في قوله أحكمت آياته وجوه (الأول) أحكمت آياته نظمت نظاماً صليفاً محكماً لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف (الثاني) أن الأحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كنسخ الكتب والشرائع بها واعلم أن على هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكماً لأنه حصل فيه آيات منسوخة إلا أنه لما كان الغالب كذلك صح إطلاق هذا الوصف عليه إجراء الحكم الثابت في الغالب مجرى الحكم الثابت في الكل (الثالث) قال صاحب الكشاف أحكمت يجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكماً أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم (الرابع) جعلت آياته محكمة في أمور (أحدها) أن معاني هذا الكتاب هي التوحيد والعدل والنوبة والمعاد وهذه المعاني لا تقبل النسخ فهي في غاية الأحكام (وثانيها) أن

والدلائل والواعظ والتقصص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الإسناد المجازي والتفسير يجعلها آية ليساعده المقام لأن ذلك من الأوصاف الأولية لها فلا يناسب عطفه على أحكامها بكل التراخي وأما المعنيان الأولان فهما وإن كانا مع الأحكام زماناً حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها أحكمت أو فصلت بعد أن لم تكن كذلك إذا الغفلان من قبيل قولهم سبحان من صغرا بعوض

والقول الثاني حيث كان من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها إلى بعض على وجه يستدعي أحكاماً مخصوصة وأما ما
 بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب أن يشار إلى تراخي رتبة كليهما عن رتبة الأحكام وإن جعل جعلها آية آية على معنى تفرق
 بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل إلا أنه ليس في مثابته في استنباع ما يستتبعه من الأحكام والآثار أو فرقت في الترتيب
 بحجة بحسب المصالح فإن أراد تزييلهما * ٥١ * التجميع بالفعل فالترجيح زمانى وإن أراد جعلها في نفسها بحيث يكون
 نزولها جميعاً حسبما تقتضيه

الحكمة والمصلحة فهو رتبى
 لأن ذلك وصف لازم لها
 حقيق بأن يرتب على وصف
 أحكامها وقرئ أحكمت
 آياته ثم فصلت على صيغة التكلم
 وعن عكرمة والضحاك ثم
 فصلت أى فرقت بين الحق
 والباطل (من لدن حكيم خبير)
 صفة للكتاب وصف بها بعد
 ما وصف بأحكام آياته وتفصيلها
 الدالين على علوربته من حيث
 الذات ابانة لجلاله شأنه من
 حيث الأضافة أو خبر بعد خبر
 للبتة المذكور أو المحذوف
 أو صلة للفعلين وفى بنائها
 للمفعول ثم إيراد الفاعل بعنوان
 الحكمة الباعثة والاحاطة
 بجلائها ودقائقها منكرات
 بالتكثير التفتيحى ور بطهما
 به لاعلى النهج المعهود فى
 استناد الافاعيل الى فواعلها
 مع رعاية حسن الطباق من
 الجزالة والدلالة على فخامتها
 وكونها على أكل ما يكون
 ما لا يكتنه كنهه (ألا تعبدوا
 الا الله) مفعول له حذف عنه
 اللام مع فقدان الشرط أعنى
 كونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل
 جرياً على سنن القياس المألوف

الآيات الواردة فيه غير متناقضة والتناقض ضد الأحكام فاذا خلت آياته عن التناقض
 فقد حصل الأحكام (وثالثها) أن ألفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة
 إلى حيث لا تقبل المعارضة وهذا أيضاً مشعر بالقوة والأحكام (ورابعها) أن العلوم الدينية
 أما نظرية وأما عملية أما النظرية فهي معرفة الله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب
 والرسول واليوم الآخر وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها وأما
 العملية فهي أما أن تكون عبارة عن تهذيب الاعمال الظاهرة وهو الفقه أو عن تهذيب
 الأحوال الباطنة وهي علم التصفية ورياضة النفس ولا نجد كتاباً في العالم يساوى هذا
 الكتاب في هذه المطالب فثبت أن هذا الكتاب مشتمل على أشرف المطالب الروحية
 وأعلى الباحث الإلهية فكان كتاباً محكماً غير قابل للنقض والهدم وتام الكلام في تفسير
 المحكم ذكرناه في تفسير قوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات (المسئلة
 الثالثة) في قوله فصلت وجوه (أحدها) أن هذا الكتاب فصل كاتفصل الدلائل بالفوائد
 الروحية وهي دلائل التوحيد والنوبة والأحكام والمواعظ والتقصص (والثاني) أنها
 جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية (الثالث) فصلت بمعنى أنها فرقت في الترتيب وما نزلت
 بجله واحدة ونظيره قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
 بآيات مفصلات والمعنى مجي هذه الآيات متفرقة متعاقبة (الرابع) فصل ما يحتاج
 إليه العباد أى جعلت مبنية لمصلحة (الخامس) جعلت فصولاً حلالاً وحراماً وأمثالاً
 وترغيباً وترهيباً ومواعظاً ومرأ ونهياً لكل معنى فيها فصل قد أفرد به غير مختلط بغيره حتى
 يستكمل فوائد كل واحد منها ويحصل الوقوف على كل باب واحد منها على الوجه الأكمل
 (المسئلة الرابعة) معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للترجيح في الوقت لكن في الحال كما تقول
 أى محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وكان قول فلان كريم الأصل ثم كريم
 الفعل (المسئلة الخامسة) قال صاحب الكشف قرئ أحكمت آياته ثم فصلت أى
 حكمتها أن أم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل
 (المسئلة السادسة) أحج الجبائى بهذه الآية على أن القرآن محدث مخلوق من ثلاثة
 وجوه (الاول) قال المحكم هو الذى أنقشه فاعله ولولا أن الله تعالى يحدث هذا القرآن
 الالم يصح ذلك لأن الأحكام لا يكون إلا فى الأفعال ولا يجوز أن يقال كان موجوداً غير
 محكم ثم جعله الله محكماً لأن هذا يقتضى في بعضه الذى جعله محكماً أن يكون محدثاً ولم يقل
 حديثاً لأن القرآن بعضه قديم وبعضه محدث (الثاني) أنه قوله ثم فصلت يدل على أنه حصل
 له انفصال وافتراق ويدل على أن ذلك الانفصال والافتراق إنما حصل بجعل جاعل
 تكويني مكون وذلك أيضاً يدل على المطلوب (الثالث) قوله من لدن حكيم خبير والمراد
 من عنده والقديم لا يجوز أن يقال أنه حصل من عند قديم آخر لأنها لو كانتا قديمتين لم يكن
 قول بان أحدهما حصل من عند الآخر أولى من العكس أجاب أصحابنا بأن هذه

حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ثلاثاً تعبدوا الا الله أى لتتركوا عبادة غيره الله عز
 ل وتتحضوا في عبادته فان الأحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد ومقتضى عليه من
 ماغات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل من معنى القول أى قيل لا تعبدوا الا الله (اننى لكم منه) من جهة الله تعالى
 لدر) انذركم عقابه ان لم تتوبوا

من احكام آياته وتوصلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر من التوحيد وترك الاله
وسط بينه وبين قرينه أعني الاستغفار والتوبة ذكر أن من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبلغ أحكاما
وترشيعها بالوحيات من الوعد والوعيد الايدان بان التوحيد في أقصى ﴿ ٥٢ ﴾ من انب الالهية حتى أفر دبالذ كرو

النموت عائدة الى هذه الحروف والاصوات ونحن معترفون بانها محدثة مخلوقة وانما الذي
ندعي قدمه أمر آخر سوى هذه الحروف والاصوات (المسئلة السابعة) قال صاحب
الكشاف قوله من لدن حكيم خبير يحتمل وجوها (الاول) أنا ذكرنا أن قوله كتاب خير
وأحكمت صفة لهذا الخبر وقوله من لدن حكيم خير صفة ثانية والتقدير الكتاب من لدن
حكيم خير (والثاني) أن يكون خبرا بعد خبر والتقدير الرمن لدن حكيم خير (والثالث)
أن يكون ذلك صفة لقوله أحكمت وفصلت أي أحكمت وفصلت من لدن حكيم خير وعلى
هذا التقدير فقد حصل بين أول هذه الآية وبين آخرها نكتة لطيفة كأنه يقول
أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خير عالم بكفيات الامور * قوله تعالى
الأتعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا
حسننا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبر
الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (اعلم أن في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن
في قوله الأتعبدوا الا الله وجوها (الاول) أن يكون مفعولا له والتقدير كتاب أحكمت
آياته ثم فصلت لاجل الأتعبدوا الا الله وأقول هذا التأويل يدل على أنه لا مقصود من
هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب
فقد ضاع وخسر (الثاني) أن تكون أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
والجمل على هذا أولى لان قوله وأن استغفروا معطوف على قوله الأتعبدوا فيجب ان يكون
معناه أي لاتعبدوا ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى ثلاثا تعبدوا بمنسب
عطف الامر عليه (والثالث) أن يكون التقدير الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من
لدن حكيم خبير ليأمر الناس أن لا يعبدوا الا الله ويقول لهم اني لكم منه نذير وبشير
والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية مشتملة على التكليف من وجوه (الاول)
انه تعالى أمر بان لا يعبدوا الا الله واذا قلنا الاستثناء من النفي اثبات كان معنى هذا
النكلام النهي عن عبادة غير الله تعالى والامر بعبادة الله تعالى وذلك هو الحق لا نافية
أن ماسوا لله فهو محدث مخلوق مربوب وانما حصل بتكوين الله وابعاده والعبادة
عبارة عن اظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتذل وهذا لا يليق بالاخالق
المدير الرحيم المحسن فثبت أن عبادة غير الله منكرا والاعراض عن عبادة الله منكرا
واعلم أن عبادة الله مشروطة بتحصيل معرفة الله تعالى قبل العبادة لان من لا يعرف
معبوده لا ينفع بعبادته فبكان الامر بعبادة الله أمرا بتحصيل المعرفة أولا ونظيره قوله
تعالى في أول سورة البقرة يا أيها الناس اعبدوا ربكم ثم أتبعه بالدلائل الدالة على وجود
الصانع وهو قوله الذي خلقكم والذين من قبلكم وانما حسن ذلك لان الامر بالعبادة
يتضمن الامر بتحصيل المعرفة فلا جرم ذكر ما يدل على تحصيل المعرفة ثم قال اني لكم منه
نذير وبشير وفيه مباحث (الاول) أن الضمير في قوله منه عائد الى الحكيم الخبير والمعنى

المجابه بالخطاب غيب الكتاب
مع تلويح بانه لا لا يتحقق في
نفسه الامقارنا الحكم برسالته
عليه السلام كذلك في الذكر
لا يفك أحد هماغن الآخر
وقد روى في سوق الخطاب
يتقدم الانذار على التبشير ما
روى في الكتاب من تقديم
النفي على الاثبات والتخية
هي التحلية لتجواب أطراف
الكلام ويجوز أن يكون قوله
تعالى الأتعبدوا الا الله كلاما
منقطعا عما قبله واردة على
لسانه عليه السلام اغراضهم
على اختصاصه تعالى بالعبادة
كانه عليه السلام قال ترك
عبادة غير الله أي الزموه على
معنى اتركوا عبادة غير الله تركا
مستمر اني لكم من جهة الله
تعالى نذير وبشير أي نذير
أندركم من عقابه على تقدير
استمراركم على الكفر وبشير
أبشركم بثوابه على تقدير
ترككم له وتوحيدكم ولما سبق
اليهم حديث التوحيد أكد
لك بالخطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم على وجه الانذار
والتبشير شرع في ذكر ما هو
من غنايه على وجه يتضمن
تفصيل ما جمل في وصف

البشير والنذير فقبل (وأن استغفروا ربكم) وهو معطوف على أن لاتعبدوا على ما ذكر من الوجهين فلي الاول اني
أن مصدره لا يجوز كون صلتها امر أو نهيا كافي قوله تعالى وأن أموجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو
على المصدر وهو موجود فيها وجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجلوه
لا توصف بها الا اذا كانت خبرية وأما الموصول الحرفي

فان الله تعالى في الآية على الصدر مواد ساج وقوع الامور التي
 عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلاة الفعلية عن معنى المعنى والاستقبال (ثم توبوا اليه) فطفت
 ففروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لخصوص الله تعالى بالعبادة وتطلبوا
 افراط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه ﴿٥٣﴾ بالطاعة أو تستروا على ما أتم عليه من التوحيد والاستغفار
 أو تستغفروا من الشرك

وتتوبوا من المعاصي وعلى
 الثاني أن مفسرة أى قيل
 في أثناء تفصيل الآيات
 لاتعبدوا الا الله واستغفروا
 ثم توبوا اليه والتعرض لوصف
 الربوبية تلقين للمخاطبين
 وارشادهم الى طريق الابتهاال
 في السؤال وترشيع لما يقصده
 من التمتع وابتداء بفضل بقوله
 تعالى (بمتعكم متاعا حسنا)
 أى تمتعوا واتصبا على أنه
 مصدر حذف منه الزوائد
 كقوله تعالى ابتغى من الارض
 نباتا وعلى أنه مفعول به وهو
 اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا
 من الاموال والبنين وغير
 ذلك والمعنى بعشكم عيشا
 مرضيا لا يفوتكم فيه شئ
 مما تشتهون ولا ينقصه شئ
 من المكدرات (الى أجل
 مسمى) مقدر عند الله عز وجل
 وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك
 غاية لا يطمح وراءها طامح
 جرى التمتع اليها مجرى
 التأييد عادة ولا يهلككم
 بعذاب الاستئصال (ويؤتى
 كل ذى فضل) في الطاعة
 والعمل (فضله) جزاء فضله
 اما في الدنيا أو في الآخرة

في لكم نذير وبشير من جهته (البحث الثاني) أن قوله لاتعبدوا الا الله مشتمل على المنع
 من عبادة غير الله وعلى الترغيب في عبادة الله تعالى فهو عليه الصلاة والسلام نذير على
 لاول بالخاق العذاب الشديد لمن لم يأت بها وبشير على الثاني بالخاق الثواب العظيم لمن
 أتى بها وأعلم أنه صلى الله عليه وسلم مابعث الا الهذين الامرين وهو الانذار على فعل ما لا
 ينبغي والبشارة على فعل ما ينبغي (المرتبة الثانية) من الامور المذكورة في هذه الآية
 قوله وأن استغفروا ربكم (والمرتبة الثالثة) قوله ثم توبوا اليه واختلفوا في بيان الفرق
 بين هاتين المرتبتين على وجوه (الاول) أن معنى قوله وأن استغفروا اطلبوا من ربكم
 للمغفرة لذنوبكم ثم بين الشئ الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي
 الى التوبة والمحرص عليها هو الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة وهذا يدل على
 أنه لا سبيل الى طلب المغفرة من عند الله الا باظهار التوبة والامر في الحقيقة كذلك لان
 الذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتعادي في التباعد ما لم يرجع عن ذلك
 الاعراض لا يمكنه التوجه الى المقصود بالذات فالتوجه بالذات هو التوجه الى المطلوب
 الا ان ذلك لا يمكن الا بالاعراض عما يضاده فثبت أن الاستغفار مطلوب بالذات وأن
 التوبة مطلوبة لكونها من مميزات الاستغفار وما كان آخرها في الحصول كان أولا في
 الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة (الوجه الثاني) في فائدة هذا
 الترتيب أن المراد استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا اليه في المستقبل (الثالث) وأن
 استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا من الاعمال الباطلة (الرابع) الاستغفار طلب
 من الله لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعى من الانسان في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار
 ليدل على أن المرء يجب أن لا يطلب الشئ الا من مولا فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم
 بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان ويتوسل به الى دفع المكروه
 والاستعانة بفضل الله تعالى مقدمة على الاستعانة بسعي النفس واعلم انه تعالى لما ذكر
 هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يترتب عليها من الآثار النافعة والنتائج المطلوبة
 ومن المعلوم أن المطالب محصورة في نوعين لانه اما أن يكون حصولها في الدنيا أو في
 الآخرة أما المنافع الدنيوية فهي المرادة من قوله بمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى وهذا
 يدل على ان المقبل على عبادة الله والمشتغل بها يبقى في الدنيا منتظما الحال مرفه البال
 وفي الآية سؤالات (الاول) أليس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن
 وجنة الكافر وقال أيضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الإمثلة فالأمثلة وقال تعالى
 ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقفا من فضة فهذه
 لنصوص دالة على ان نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلية ومقتضى
 هذه الآية أن نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما الجواب
 من وجوه (الاول) المراد انه تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القرى

لأنه تكلمه لما أجل من التمتع الى أجل مسمى وتبين لما عصى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت
 للمؤمنين العاملين قرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا أكثر مما تمتع آخر دونه في الفضل وور بما يكون المفضل
 أكثر تمتعا وقيل وبعط كل فافضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وذلك مما لا امر له
 لهذا ضرب تفصيل لما أجل فيماسبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل (وان تولوا)

النبات أو أراد ضعف أيمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ ثلث من أثنان أفعال منه ثم هم كالأقلام يباحثون وادهامت وقرئ ثلث وزن رعوى (الاحين يستغشون ثيابهم) أى يغطون بها للاستخفاف على ما نقل عن ابن شداد أو حين يأوون الى فراشهم ويند ثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرى ستره ويخفى ظهره ويغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبي (يعلم مايسرون) أى يضربون فى قلوبهم ﴿٥٦﴾ (وما يعلنون) أى يستوى بالنسبة الى علمه المحرر

سرهم وعلتهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهره وانما قدم السر على العلن ليعلمهم من أول الامر ما صنعوا وايدنا باقتضائهم ووقوع ما يحذرونه وتحقفا للمساواة بين العليين على أبلغ وجه فكان عمله بمايسرونه أقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق بأشعار أن المحاسبة بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما هنا فقد تعلق بأشعار كون تعلق علمه تعالى بمايسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ فى نفسه علم للنسبة الى تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء لبارزة والكامنة وأما قوله تعالى علم ما تبدون وما كنتم تكتمون فثبت كان واراد ايصدد

صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا التقدير كان قوله يبدون صدوره من كتابته عن النفاق فكانه قبل يضربون خلاف ما يظهرهم ليعتقدوا من الله تعالى ثم نبه بقوله الاحين يستغشون ثيابهم على أنهم يستخفون منه حين يستغشون ثيابهم (الوجه الثاني) روى أن بعض الكفار كان اذا مر به رسول الله ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه والتقدير كانه قيل انهم ينصرفون عنه ليعتقدوا منه حين يستغشون ثيابهم ثلاثا يستمعوا كلام رسول الله وما يعلون من القرآن ويقولوا فى أنفسهم ما يستهون من الطعن وقوله ألا للتبني فيه أولا على أنهم ينصرفون عنه ليعتقدوا من الله تعالى ثم ذكر الاستخفاف لئله على وقت استخفافهم وهو حين يستغشون ثيابهم كأنه قيل ألا انهم ينصرفون عنه ليعتقدوا من الله ألا انهم يستخفون حين يستغشون ثيابهم ثم ذكر أنه لا فائدة لهم استخفافهم بقوله يعلم مايسرون وما يعلنون ﴿٥٦﴾ قوله تعالى (وما من دابة فى الارض الا الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل فى كتاب مبين) اعلم أنه تعالى لما ذكر فى الاوولى أنه يعلم مايسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه تعالى عالما بجميع العلوم فذكر أن رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع العلوم ولما حصلت هذه المهمات وفى الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان لان الدابة اسم مأخوذ من الديب وبنت هذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلق على كل حيوان ذى روح ذكر كان أو أنثى لأنه بحسب عرف العرب اخنص بالفرس والمثل بهذا اللفظ فى هذه الآية الموضوع الاصلى اللغوى فدخل فيه جميع الحيوانات ومما يتفق عليه بين المفسرين ولا شك أن اقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهى الأنجم التى تكون فى البر والبحر والجبال والله يحصيهادون غيره وهو تعالى عالم بكيفية طبائهم وأعضائهم وأحوالهم وأعنيها وسموهمها وسمائها وما يواقعها وما يتخالفها فالله المذ لا طباق السموات والارضين وطبائع الحيوان وانبات كيف لا يكون عالما باحوالهم روى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي اليه تعلق قلبه باحوال أهله فامر الله تعالى أن يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفى فمها شئ يجرى مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع الدودة تقول سبح من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولا ينسانى (المسئلة الثانية) تعلق بعضهم بأنه يجب على الله تعالى بعض الاشياء بهذه الآية وقال ان كلمة على اللوجوب وهذا يدل على أن اوصول الرزق الى الدابة واجب على الله وجوابه أنه واجب بحسب الوعد والقضاء والاحسان (المسئلة الثالثة) تعلق اصحابنا بهذه الآية فى اثبات أن الرزق قد يكون حراما قالوا لانه ثبت أن اوصول الرزق الى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق والله تعالى لا يخل بالواجب ثم قدرى انسانا لا يأكل من الحلال طوى

الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيذ والمبالغة فى الاخبار باحاطة بحكمة تعالى بالظاهر ثم عرجه بالباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغشبة عنه بما قبله من قوله عز وجل انى أعلم غيب السموات والارض يجوز أن هذا اعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة فى القلب فتلحق به سبحانه بحالته الاولى متقدم على

بسم الله العظيم (بذات الصدور) تحليل لما سبق وتقريره واقع موقع الكبري من القياس وفي صفة الصفة
تحلية الصدور بالام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتهما من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ
الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون
لا يعلمون ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب من ﴿ ٥٧ ﴾ قوله تعالى ولكن نعمى القلوب التي في الصدور والمعنى

انه عليم بالقلوب وأحوالها
فلا يخفى عليه سر من أسرارها
(وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها) غذاؤها
اللائق بها من حيث الخلق
ومن حيث الايصال اليها
بطريق طبيعي أو ارادى
لتكفله اياه تفضلا ورحمة
وانما يجيء على طريق
الوجوب اعتبارا لسبق الوعد
وتحقيقا لوصوله اليها البتة
وجلا للمكلفين على الثقة به
تعالى والاعراض عن اتعاب
النفس في طلبه (ويعلم مستقرها)
محل قرارها في الاصلاب
(ومستودعها) مؤضعها
في الارحام وما يجري مجراها
من البيض ونحوها وانما خص
كل من الاسمين بما خص به من
المحلين لان النطقة بالنسبة
الى الاصلاب في حيزها
الطبيعي ومنشئها الخلق
وأما بالنسبة الى الارحام
وما يجري مجراها فهي مودعة
فيها الى وقت معين او
مستكنها من الارض حين
وجدت بالفعل ومودعها من
المواد والمقار حين كانت
بعد بالقوة ولعل تقديم محلها
باعتبار حالتها الاخيرة زجاية

بره فلولم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى مأوصل رزقه اليه فيكون تعالى قد أدخل
واجب وذلك محال فعلمنا أن الحرام قديم كون رزقا وأما قوله ويعلم مستقرها
مستودعها فالمستقر هو مكانه من الارض والمستودع حيث كان مودعا قبل
لاستقرار في صلب أو رحم أو بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوى اليه ليلا أو نهارا
مستودعها موضعها الذي تموت فيه وقدمضى استقصاء تفسير المستقر والمستودع
سورة الانعام ثم قال كل في كتاب مبين قال الزجاج المعنى ان ذلك ثابت في علم الله تعالى
منهم من قال في اللوح المحفوظ قد ذكرنا فائدة ذلك في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
بين * قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء
لو كنتم ايتكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
هذا الاسحار مبين) واعلم أنه تعالى لما أثبت بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات أثبت
بالدليل كونه تعالى قادرا على كل المقدورات وفي الحقيقة فكل واحد من هذين
التي يل على كمال علم الله وعلى كمال قدرته واعلم أن قوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة أيام قدمضى تفسيره في سورة يونس على سبيل الاستقصاء بقى
ما أن ذكره وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله تعالى ياقوته خضراء ثم نظر اليها
لهيبة فصارت ماء يرعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء قال
وبكر الاصم معنى قوله وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على
ايدي كون أحدهما ملتصقا بالآخر وكيف كانت الواقعة فذلك يدل على أن العرش
الماء كانا قبل السموات والارض وقالت المعتزلة في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل
المفهما لانه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد يتقنع بالعرش والماء لانه تعالى لما خلقهما فاما
أن يكون قد خلقهما منفعة أولا لمنفعة والثاني عبث في الأولى وهوانه خلقهما لمنفعة
ذلك المنفعة اما أن تكون عائدة الى الله وهو محال لكونه متعاليا عن النفع والضرر وأولى
غيره فوجب أن يكون ذلك الغير حيالا ن غير الحي لا ينفع وكل من قال بذلك قال ذلك
لحي كان من جنس الملائكة وأما أبو معلى الاصفهاني فقال معنى قوله وكان عرشه على
الله أي بناؤه السموات كان على الماء وقدمضى تفسير ذلك في سورة يونس وبين أنه تعالى
في السموات على الماء كانت أبداع وأعجب فان البناء الضعيف اذا لم يؤسس على أرض
لبة لم يثبت فكيف بهذا الامر العظيم اذا بسط على الماء * وههنا سوالات (السؤال
الاول) ما الفائدة في ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والارض (والجواب)
دلالة على كمال القدرة من وجوه (الاول) ان العرش مع كونه أعظم من السموات
لا يرضى كان على الماء فاولا لانه تعالى قادر على امساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك
(الثاني) انه تعالى أمسك الماء على قرار والازم أن يكون أقسام العالم غير متناهية

سنة بنها وبين عنوان ﴿ ٥٨ ﴾ خا كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث
ت من أما كتبها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار
بأنهم مقارها المتبوعة وينفص عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادئ وجودها وكالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستقر
اكنها في المات ولا يلائمه مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها ومستقرها

ومنها (في كتاب مئين) أي مثبت في الوجود الصقوف البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام أو المظهر لله فيه للتأطير ولما انتهى الأمر إلى أنه سبحانه محيط بجميع أحوال مافي الأرض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدى فطرته إلى منتهائها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والأرض والحكمة الداعية إلى ذلك فقيل (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) السموات في يومين والأرض في يومين وما عايناهما من أنواع الحيوانات والنبات

وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق مافي الأرض ليكون من ثبات خلقها وهو المسرف جعل زمان خلقه ستة زمان خلقها في قوله تعالى في أربعة أيام أي في ستة أوقات وأيام المراد بالأيام الأوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ بره أي في ستة أوقات أو مقدار ستة أيام فان اليوم في المعارف زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لأرض ولا سماء وفي خلقها مدرجاً مع القدرة التامة على خلقها دقة دليل على أنه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور وأما تخصيص ذلك بالعدد العين فأمر استأثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وإشارته صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الإشارة إلى كونها أجراماً مختلفة الطبائع ومتفاوتة الأعمار والأحكام (وكان يرشد) قبل خلقهما (على الله) ليس تحت شيء غيره سواء أن ينههما فرجة أو كان وضوعاً على مثله كما ورد

وذلك يدل على ما ذكرناه (والثالث) أن العرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمسكه الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه وذلك يدل أيضاً على ما ذكرناه (السؤال الثاني) هل يصح ما يروى أنه قيل يا رسول الله أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض فقال كان في عما فوقه هواء وتحت هواء (والجواب) أن هذه الرواية ضعيفة والأولى أن يكون الخبر المشهور أولى بالقبول وهو قوله صلى الله عليه وسلم كان الله وما كان معه شيء ثم كان عرشه على الماء (السؤال الثالث) اللام في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملاً يقتضى أنه تعالى خلق السموات والأرض لابتلاء المكلف فكيف الحال فيه والجواب ظاهر هذا الكلام يقتضى أن الله تعالى خلق هذا العالم الكائن لمصلحة المكلفين وقد قال بهذا القول طوائف من العقلاء ولكل طائفة فيه وجه آخر سوى الوجه الذي قال به الآخرون وشرح تلك المقالات لا يليق بهذا الكتاب والذين قالوا بأن أفعاله وأحكامه غير معللة بالمصالح قالوا لا من التعليل وردت على ظاهر الأمر ومعناه أنه تعالى فعل فلا لو كان يفعل من تجوز عليه رعاية المصالح لما فعله إلا إله الغرض (السؤال الرابع) الابتلاء إنما يصح على الجاهل بعواقب الأمور وذلك على تعالى محال فكيف بعقل حصول معنى الابتلاء في حق (والجواب) أن هذا الكلام على أسبيل الاستقصاء ذكرناه في تفسير قوله تعالى في أول سورة البقرة لعلمكم تتقون واعلم تعالى لما بين أنه خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم فهذا يوجب القطر بحصول الحشر والنشر لأن الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالعقاب وذلك لا يتم إلا مع الاعتراف بالمعاد والقيامة فعند هذا خاطب محمد عليه الصلاة والسلام وقال ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا أن هذا الأسحار مبين ومعناه أنهم يتكروا هذا الكلام ويحكمون بفساد القول بالبعث فان قيل الذي يمكن وصفه بأنه سحر ما يكون فعلاً مخصوصاً وكيف يمكن وصف هذا القول بأنه سحر قلنا الجواب عنه من وجوه (الأول) قال القائل معناه أن هذا القول خديعة منكم وضعتوها لمنع الناس عن لذات الدنيا وأحرازها لهم إلى الانقياد لدخول تحت طاعتكم (الثاني) أن معنى قوله أن هذا الأسحر مبين هو أن السحر أمر باطل قاله تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام ما جئتم به السحر إن الله سيضلعه فقولوا هذا الأسحر مبين أي باطل مبين (الثالث) أن القرآن هو الحاكم بحصول البعث وطا في القرآن بكونه سحراً لأن الطعن في الأصل يفيد الطعن في الفرع (الرابع) قرأه الكسائي أن هذا الأسحر يرددون النبي صلى الله عليه وسلم والساحر كاذب * قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما ينجسهم الأيوم يأتيهم ليس مصروف عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن) اعلم أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يكذبون

بالمآثر فلا دلالة فيه على إمكان الخلائ كيف لا ولول لدل على وجوده لا على إمكانه فقط ولا على وإن الماء أول ما حدث في العالم بعد العرش وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض نسبة بينهما (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جللتها أنتم ورتبها جميع ما يحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع في تضاعفهما من

تعاجيب الصنائع والعبر ما تسدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يتلقىكم (أيكم أحسن عملاً) فيجازيكم بالثواب والعقاب غنائمين المحسن من المسي وأما زدت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المنزنية على أنظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل ومما رتب أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسر عليه السلام ﴿ ٥٩ ﴾ بقوله أيكم أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل

من القلب والقلب عملاً مخصوصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذا الخلل في عمله كيف ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آردى أثره وأتمها طريقها النظري التفكير في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في النفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لأن أحدلاً لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الارض وتعلق بفعل البلوى أي تعقبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور السني يقتضي عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر

الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم ان هذا الاسحرمين فتحكي عنهم في هذه الآية نوعاً آخر من أباطيلهم وهو أنه متى تأخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم به أخذوا في الاستهزاء ويقولون ما السبب الذي حبسه عنا فأجاب الله تعالى بأنه اذا جاء الوقت الذي عينه الله لنزول ذلك العذاب الذي كانوا يتهزئون به لم ينصرف ذلك العذاب عنهم وأحاط بهم ذلك العذاب * بقى ههنا سؤالان (السؤال الاول) المراد من هذا العذاب هو عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة (الجواب) للفسرين فيه وجوه (الاول) قال الحسن معنى حكم الله في هذه الآية أنه لا يعذب أحد منهم بعذاب الاستئصال وأخر ذلك الى يوم القيامة فلما أخر الله عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي حبسه عنا (والثاني) ان المراد الامر بالجهاد ومازل بهم يوم بدر وعلى هذا الوجه تأولوا قوله وحاق بهم أي نزل بهم هذا العذاب يوم بدر (السؤال الثاني) ما المراد بقوله الى أمة معدودة (الجواب) من وجهين (الاول) ان الاصل في الامة هم الناس والفرقة فاذا قلت جاءت أمة من الناس فالمراد طائفة مجتمعة قال تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله واذا ذكر بعد أمة أي بعد انقضاء أمة وقتناها فكذا ههنا قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة أي الى حين تقضي أمة من الناس انقضت بعد هذا الوعيد بالقول لقالوا ماذا يحبسهم عنا وقد انقضت من الناس الذين كانوا متوعدين بهذا الوعيد وتسمية الشيء باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر أي في ذلك الحين (الثاني) ان اشتقاق الامة من الائم وهو المقصد كانه يعني الوقت المقصود بايقاع هذا الموعود فيه (السؤال الثالث) لم قال وحاق على لفظ الماضي مع ان ذلك لم يقع (والجواب) قد مر في هذا الكتاب آيات كثيرة من هذا الجنس والضابط فيها انه تعالى أخبر عن أحوال القيامة بلفظ الماضي مباينة في التأكيذ والتقرير * قوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فغور) الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير اعلم انه تعالى لما ذكر ان عذاب أولئك الكفار وان تأخر الأناة لابد وأن يحق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال ولئن أذقنا الانسان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ الانسان في هذه الآية فيه قولان (الاول) ان المراد منه مطلق الانسان و يدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى استثنى منه قوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات والاستثناء يخرج من الكلام ما لو لا لدخل فثبت ان الانسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر وذلك يدل على ما قلناه (الثاني) ان هذه الآية موافقة على هذا التقرير لقوله تعالى والعصر ان الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وموافقة أيضا لقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (الثالث) ان مزاج الانسان مجبول على الضعف والعجز قال ابن جريج

ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل أو الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقيح أيضا لاي الى الحسن والاحسن فقط لا لايان بأن المراد بالذات والمقصود الاصل مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع اما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على أتم الوجوه اللائقة وأكمل الاساليب الرائعة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يتحيد أحد عن سننه المستبين بل يهتدى

فقد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف والكثرة والقلّة وأما
عراض عن ذلك والوقوف في مهاوى الضلال فمعمول من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن أن ينظم ظهوره في سلك العلة
نافية لذلك الصنع البديع وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير صحح له ولا تقرّيب ولا يخفى ما فيه من الترغيب
الترقي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة **٦٠** نقاضها والله تعالى أعلم (ولئن قلت أنكم

معوثون من بعد الموت) لما يوجب قضية الابتلاء ترتب عليه الجزاء المترفع لما يظهر مراتب الأعمال يقولون الذين كفروا (أن وجهه لطاب في قوله تعالى أنكم جميع المكلفين فالوصول مصلته للتخصيص أي ولن الكافرون منهم وإن جه إلى الكافرين منهم بـوارد على طريقة الذم (ن هذا الاسحرمين) أي له في الخديعة أو البطلان الإشارة إلى القول المذكور إلى القرآن فإن الأخبار أن كونهم مبعوثين وإن لم تب كونه بطريق الوحي لو الآنهم عند سماعهم تخلصوا إلى القرآن لأنبائه وفي كل موضع وكونه علما دهم في ذلك فعمدوا إلى نبيه وتسميته سحرا تآمدا بهم في العناد وتقادبا عن الرشد وقيل هو إشارة نفس البعث ولا يلائمه سمية بالسحرفانه إنما يطلق شيء موجود ظاهرا لا له في الحقيقة ونفس البعث هم معدوم تحت وتعلق

في تفسير هذه الآية يا ابن آدم إذا نزلت بك نعمة من الله فأنت كفور فإذا رزعت منك فيؤس قنوط (والقول الثاني) أن المراد منه الكافر ويدل عليه وجوه (الاول) أن الأصل في الفرد المحلى بالثلف واللام أن يحمل على المعهود السابق لولا المانع وههنا لا مانع فوجب حمله عليه والمعهود السابق هو الكافر المذكور في الآية المتقدمة (الثاني) أن الصفات المذكورة للانسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر لانه وصفه بكونه يؤسا وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ووصفه أيضا بكونه كفورا وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضا بأنه عند وجد ان الراحة يقول ذهب السيآت عني وذلك جراءة على الله تعالى ووصفه أيضا بكونه فرحا والله لا يحب الفرحين ووصفه أيضا بكونه فخورا وذلك ليس من صفات أهل الدين ثم قال الناظرون لهذا القول وجب أن يحمل الاستثناء المذكور في هذه الآية على الاستثناء المقطع حرا لا نلزمنا هذه المحذورات (المسئلة الثانية) لفظ الاذاقة والذوق يفيد أقل ما يوجب به الظاهر فكان المراد أن الانسان يوجد ان أقل القليل من الخيرات العسالة يقع في الفرد والطغيان وبإدراك أقل القليل من المحنة وانبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران فالدنيا في نفسها قليلة والحاصل منها للانسان الواحد قليل والاذاقة من ذلك المقدار خير قليل ثم انه في سرعة الزوال يشهد أحلام النائم وخيالات الموسوسين فهذه الاذاقة قليل من قليل ومع ذلك فإن الانسان لا طاقة له بحملها ولا صبره على الاتيان بالمر بق الحسن معها وأما النعمة فقال الواحدى انها انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر أثرها على صاحبها لانها خرجت من جرح الاحوال الظاهرة نحو جراح وعوراء وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء والمضرة والضراء (المسئلة الثالثة) اعلم أن أحوال الدنيا غير باقية بل هي أبدا في التغير والزوال والتحول والانتقال الآن انضابط فيه امانا يحصل من النعمة إلى المحنة ومن اللذات إلى الآفات واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينتقل من المكروه إلى المحبوب ومن المحرمات إلى الطيبات (أما قسم الاول) فهو المراد من قوله وإذا ذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور وحاصل الكلام أنه تعالى حكم على هذا الانسان بأنه يؤس كفور وتقرّير بان يقال انه حال زوال تلك النعمة يصير يؤسا وذلك لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي ثم أنه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى فلا جرم يستبعد حدوث تلك النعمة فيقع في اليأس وأما المسلم الذي يعتقد أن تلك النعمة انما حصلت من الله تعالى وفضله واحسانه وطوله فانه لا يحصل له اليأس بل يقول له الله تعالى يردها إلى بعد ذلك أكمل وأحسن وأفضل مما كانت وأما حال كون تلك النعمة حاصلة فانه يكون كفورا لانه لما اعتقد أن حصولها انما كان على سبيل الاتفاق أو بسبب أن الانسان حصلها بسبب جده وجهده فيحسب لا يستغنى بشكر الله تعالى على تلك النعمة فالخاصل ان الكافر يكون عند زوال تلك

بة الكريمة بما قبها امان حيث ان البعث كما أشير إليه من ثبات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما **٦١** النعمة ومع ذلك ان أخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من ثماته لا يتلعمون في الردو يعدون ذلك من قبيل ما لا صحة سلا فضلا عن تصديق ما هذه من ثماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات اه لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان أخبرتهم بأنه يعيدهم تارة أخرى وهو أهون عليه يقولون

يقولون سبحانه الله عما يصفون وقرآنه وحجة والكسائي الاساخر على أن الاشارة الى القائل أو الى القرآن على اسلوب شعر شاعبه
وقرى بالفتح على تضمنين قلت معنى ذكرت أو على أن أنك بمعنى عنك في علك أى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على أن الرجاء والتوقع
باعتبار حال المخاطبين أى توقعوا ذلك ولا يثبتوا القول بانكاره أو على انه مجازاة معهم في الكلام خرج على المساعدة لئلا يسارعوا الى
اللبجاج والعتاد ريثما قرع اسماعهم بت القول بخلاف * ٦١ * ما الفوا وألقوا عبدآبهم من انكار البعث ويكون ذلك

أدعى لهم الى التامل والتدبر
وما فعلوه قائلهم الله أنى
يؤفكون (ولئن أخرنا عنهم
العذاب) المترتب على بعثهم
أو العذاب الموعود في قوله تعالى
فان تولوا فاني أخاف عليكم
عذاب يوم كبير وقيل عذاب
يوم بدر وعن ابن عباس
رضي الله عنهم أنه قتل جبريل
عليه السلام للمستزئذين

والظاهر أن المراد به العذاب
الشامل لا الكفرة دون ما يخص
بعض منهم على أنه لم يكن
موعودا يستجمل منه المجرمون
(الى أمة معدودة) الى طائفة
من الایام قليلة لان ما يحصره
العذ قليلة (ليقولان ما يحبسها)
أى أى شئ يمنع من المجئ
فكانه يريد به فيمنعه مانع وانما
كانوا يقولون بطريق
الاستعجال استهنزاد قوله تعالى
ما كانوا به يستهزئون ومراهم
ازكار المجئ والحبس رأسالا
الاعتراف به والاستفسار عن
حاسبه (الأيوم بأتهم) ذلك
(ليس مصر وفا) محبوسا
(عنهم) على معنى أنه لا يرفه
رافع أبدا ان ارى يده عذاب
الأخرة ولا يدفعه عنكم داف
بل هو واقع بكم ان ارى يده

النعمة بؤوسا وعند حصولها يكون كفورا (وأما القسم الثاني) وهو أن ينقل الانسان
من المكروه الى المحبوب والمحنة الى النعمة فههنا الكافر يكون فرحا فخورا أما قوة
الفرح فلان منتهى طمع الكافر هو الفوز بهذه السعادات الدنيوية وهو منكسر
للسعادات الاخروية الروحانية فاذا وجد الدنيا فكانه قد فاز بغاية السعادات فلا جرم
يعظم فرجه بها وأما كونه فخورا فلانه لما كان الفوز بسائر المطلوب نهاية السعادة
لا جرم يفخر به فيحاصل الكلام انه تعالى بين أن الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين
وعند الفوز بالنعمة لا يكون من الشاكرين ثم لما قرر ذلك قال الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات والمراد منه ضد ما تقدم فقوله الا الذين صبروا والمراد منه أن يكون عند البلاء
من الصابرين وقوله وعملوا الصالحات المراد منه أن يكون عند الراحة والخير من
الشاكرين ثم بين حالهم فقال أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فجمع لهم بين هذين المطلوبين
(أحدهما) زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله لهم مغفرة (والثاني) الفوز
بالثواب وهو المراد من قوله وأجر كبير ومن وقف على هذا التفصيل الذي ذكرناه علم ان
هذا الكتاب الكريم كما أنه مجز مجز بحسب ألفاظه فهو أيضا مجز بحسب معانيه * قوله
تعالى (فذلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا ولا أنزل عليه كنز
أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل) اعلم أن هذا نوع آخر من كليات
النكفار والله تعالى بين أن قلب الرسول ضائق بسببه ثم انه تعالى قواه وأيده بالآكرام
والتأييد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء
مكة قالوا يا محمد اجعل لنا ساجلا مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون اثنتا بالملائكة
يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فزلت هذه الآية واختلفوا في المراد بقوله تارك
بعض ما يوحى اليك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال المشركون للنبي صلى الله
عليه وسلم اثنتا بكتاب ليس فيه شئ آلهتنا حتى ننبئك ونؤمن بك وقال الحسن طابوا منه
لا يقول ان الساعة آتية وقال بعضهم المراد بنسبهم الى الجهل والتقليد والاصرار على
الباطل (المسئلة الثانية) أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام
أن يخون في الوحي والتزليل وأن يترك بعض ما يوحى اليه لان تجويزه يؤدي الى الشك
في كل الشرائع واشكاليف وذلك يقدح في النبوة وأيضا فالقصد من الرسالة تبليغ
تكليف الله تعالى وأحكامه فاذالم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تنفذ
فائدتها المطلوبة منها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك شئنا آخر سوى أنه عليه السلام فعل ذلك وللتاس فيه وجوه (الاول)
لا يتم أن يكون في معام الله تعالى أنه انما يترك التقصير في أداء الوحي والتزليل لسبب
يرد عليه من الله تعالى أمثال هذه التهديدات البليغة (الثاني) انهم كانوا لا يعقدون
بالقرآن وبتهاتون به فكان بضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم

هذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على
الاحث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يقدم المعمول حيث لا مجال لتقديم العامل كما في قوله
تعالى فاما البتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فان البتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين الجز ومين قد تقدما
على لا التاهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها

بقوله على ذلك (فلهذا تارك بعض ما يوحى اليك) من البينات الدالة على حقيقة نبوتك المتساذبة بكونها من عند الله عز وجل لمن له أذن واعية (وضائق به صدرك) أى عارض لك ضيق صدر يتلاونه عليهم وتبلغه اليهم في أثناء الدعوة والمحاجة (أن يقولوا) لأن يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على أحد من له أدنى بصيرة وتباديا في العناد على وجه الاقتراح (لولا أنزل عليه كفر) * ٦٤ * مال خطير مخزون يدل على صدقه (أوجاهه ملك

ملك) بصدقه قيل فله عبد الله بن أمية الخزومي * وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجل لنا جبال مكة ذهبان كنت رسولاً وقال آخرون اننا باللائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أؤدر على ذلك فنزلت فكانه عليه الصلاة والسلام لما عين اجتزأهم على اقتراح مثل هذه العظام غير قانعين بالينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوهم من الكبرية من كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالكذب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبلغها اليهم فعمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقبل (انما أنت نذير) ليس عليك الا الاذار بما أوحى اليك غير ما لبنا صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) يحفظ أحوالهم وأحوالهم فتوكل عليه في جميع أمورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار

يدعونه من دون الله لم يستجيبوا فلهذا السبب اختلف المفسرون على قولين بعضهم قال هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والمراد ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم في الايمان بالمعارضة فاعلموا انما أنزل بعلم الله والمعنى فانتبها على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم علمه بمنزل من عند الله ومعنى قوله فهل أنتم مسلمون أى فهل أنتم مخلصون ومنهم من قال فيه اضمار والتقدير فقولوا أيها المسلمون للكفار اعلموا انما أنزل بعلم الله والقول الثانى ان هذا خطاب مع الكفار والمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذا لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا أيها الكفار أن هذا القرآن انما أنزل بعلم الله فهل أنتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا أولى من القول الاول لانكم في اقوال الاول احتجتم الى أن جلتكم قوله فاعلموا على الامر باثبات أو على اضمار القول وعلى هذا الاحتمال لا حاجة فيه الى اضمار فكان هذا أولى وأيضاً فعود الضمير الى أقرب المذكورين واجب وأقرب المذكورين في هذه الآية هو هذا الاحتمال الثانى وأيضاً ان الخطاب الاول كان مع الرسول عليه الصلاة والسلام وحده بقوله قل فأتوا بدعوى سورتوا الخطاب الثانى كان مع جماعة الكفار بقوله وادعوا من استطعتم من دون الله وقوله فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الجماعة فكان جله على هذا الذى فتناه أولى بقى في الآية سوالات (السؤال الاول) ما الشئ الذى لم يستجيبوا فيه (الجواب) المعنى فان لم يستجيبوا لكم في معارضة القرآن وقال بعضهم فان لم يستجيبوا لكم في جلة الايمان وهو بعد (السؤال الثانى) من المشار اليه بقوله لكم والجواب ان جلتنا قوله فان لم يستجيبوا لكم على المؤمنين فذلك ظاهر وان جلتنا على الرسول ففته جوابان (الاول) المراد فان لم يستجيبوا لكم وللمؤمنين لأن الرسول عليه السلام والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لكم فاعلم (والثانى) يجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (السؤال الثالث) أى تعلق بين الشرط المذكور في هذه الآية وبين ما فيها من الجراء (الجواب) أن القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله تعالى فقال لو كان مفترى على الله لوجب أن يقدر الخلق على مثله ولم يقدر واعليه ثبت انه من عند الله فقوله انما أنزل بعلم الله كناية عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقول الحاكم هذا الحكم جرى بعلى (السؤال الرابع) أى تعلق لقوله وأن لا اله الا هو بحجرتهم عن المعارضة والجواب فيه من وجوه (الاول) أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يطلب من الكفار أن يستغيثوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر بحجرتهم عنها فحينئذ ظهر انها لا تنفع ولا تضر في شئ من المطالب البتة ومتى كان كذلك فقد بطل القبول باثبات كونهم آلهة فصار بحجرتهم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لالهية الاصنام ودليلا على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان قوله وأن لا اله الا هو اشارة الى ما ظهر من فساد القول بالاهية الاصنام (الثانى) انه ثبت في علم

على التذير في أقصى غاية من اصابة المحن (أم يقولون ما افتراه) اضرب بام المنقطة عن ذكر ترك

اعتمادهم بما يوحى وتها ونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل على حقيقة نبوته عليه الصلاة والسلام وشروع في ذكر ارتكابهم لاهو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمة للتوبيخ الابتكار والتعجب والصغير المستكن في افتراءه للثب صلى الله عليه وسلم

والبارز لما يوحى أى بل يقولون افتراه وليس من عند الله (قل) ان كان الامر كما تقولون (فاتوا) انتم أيضا (بعشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور أى أمثاله وتوجيه ابا باعتبار مماثلة كل واحدة منها أولان المطابقة ليست بشرط حتى بوصف المثني بالفرد كافي قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا أو لانعماء الى أن وجد الشبه ومدار مماثلة في الجميع شئ واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة ﴿ ٦٥ ﴾ الإعجاز فكان الجميع واحد (مفتريات) صفة أخرى لسور أخرت

عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة

بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم

وقعودهم عن المعارضة

وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به

غرض يدور عليه شئ في

مقام التحدى وانما ذكر على

نهمج المساهلة وارضاء العنان

ولانه لو عكس الترتيب

لربما توهم أن المراد هو

المماثلة في الافتراء والمعنى

فأتوا بعشر سور مماثلة له في

البلاغة مخلفات من عنده

أنفسكم ان صح أنى اختلفته

من عندي فأنكم أقدر على

ذلك منى لانكم عرب فصحاء

بإغاء قد مارستم مبادئ ذلك

من الخطب والشعار وحفظتم

الوقائع والايام وزا واتم

أساليب النظم والتبر (وادعوا)

للاستظهار في انعازة

(من استطعتم) دعاه

والاستعانة به من أمتكم التي

تزعون أنها عمدة لكم في كل

ماتأتون وما تذرهن والكهنة

ومدارهم الذين تجعون الى

آرائهم في الملمات ليسعدوكم

فيها (من دون الله) متعلق

بأدعوا أي متجاوزين الله تعالى

(ان كنتم صادقين) في أنى

الاصول ان القول بنفي الشريك عن الله من المسائل التي يمكن اثباتها بقول الرسول عليه السلام وعلى هذا فكأنه قيل لما ثبت عجز الخصوم عن المعارضة ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الرسالة ثم انه كان يخبر عن أنه لا اله الا الله فلما ثبت كونه محققا في دعوى النبوة ثبت قوله أن لا اله الا اله (الثالث) ان ذكر قوله وان لا اله الا اله جوار مجرى التهديد كآية قبل لما ثبت بهذا الدليل كون محمد عليه السلام صادقا في دعوى الرسالة وعلم أن لا اله الا اله فكأنوا خائفين من قهره وعذابه وازكوا الاصرار على الكفر واقبلوا الاسلام ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر آية التحدى فان لم تفعلوا وان تفعلوا فانفقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وأما قوله فهل أنتم مسلمون فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه الترغيب في زيادة الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه الترغيب في أصل الاسلام * قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) اعلم أن الكفار كانوا ينازعون محمد صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال فكانوا يظهرهون من أنفسهم ان محمد باطل ونحن محقون وانما نبالغ في منازعته لتحقيق الحق وابطال الباطل وكانوا كاذبين فيه بل كان غرضهم محض الحسد والاستكفاف من المناعة فأنزل الله تعالى هذه الآية لتقرير هذا المعنى ونظير هذه الآية قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الآخرة من نصيب وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان في الآية قولين (الاول) انها مختصة بالكفار لان قوله من كان يريد الحياة الدنيا يندرج فيه المؤمن والكافر والصدوق والزنديق لان كل أحد يريد المتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها الا ان آخر الآية يدل على ان المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر لان قوله تعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون لا يليق الا بالكفار فصار تقدير الآية من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط أي تكون ارادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالبا لسعادات الآخرة كان حكمه كذا وكذا ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فيه فمنهم من قال المراد منهم منكرو البعث فانهم يشكرون الآخرة ولا يرغبون الا في سعادات الدنيا وهذا قول الأصم وكلامه ظاهر (والقول الثاني) ان الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغرورهم مع الرسول عليه السلام الغنائم من دون أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها (والقول الثالث) ان المراد اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس (والقول الرابع) وهو الذي اختاره القاضي ان المراد من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها وعمل الخير قسمان انعماءات وإبصال المنفعة الى

افتريته فان ذلك يستلزم امكان ﴿ ٩ ﴾ خا الاتيان بمثله وهو أيضا يستلزم قدر تكلم عليه والجواب بخدوف يدل عليه المذكور (فان لم يستجيبوا لكم) أي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى أنه عليه الصلاة والسلام على كالأ من من أمره كأن أمره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى أمر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم كقوله من قال

* وان شئت حرمت النساء سواكم * أوله والمؤمنين لانهم أتباع له عليه الصلاة والسلام في الأمر بالاعتدال وفيه تبيين لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عليه الصلاة والسلام ويناصبوا معه لمعارضة المعارضين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وأرشاد الى أن ذلك بما يفيد الرسوخ في الإيمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل (فاعملوا) اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهاكمهم ٦٦ عليه السلام يقينا متأخرا لعين اليقين بحيث لا مجال

معه لشأنه رب يوجد من الوجوه كائن ماعداء من مراتب العلم ليس يعلم لكن لا لا شعار بانحطاط تلك المراتب بل يارتفع هذه المرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه أو ان ينووا واستروا علما كنتم عليه من العلم (أما أنزل) ملتبسا (يعلم الله) الخصوص به بحيث لا يحوم حوله القول والافهام مستتبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب (وأن لا اله الا هو) اي واعلموا أيضا أن لا شريك له في الألوهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد (فهل أنتم مسلمون) اي مخلصون في الاسلام أو يأتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخل تحت الأمر بالتعبد بالضمير في لم يستجبوا ولن

الحيوان ويدخل في هذا القسم اثنان البرصلة الرحم والصدقة وبناء القنابر وتسوية الطرق والسعي في دفع الشرور واجراء الانهار فهذه الاشياء اذا أتى بها الكافر لاجل الشاء في الدنيا فان بسببها تصل الخيرات والمنافع الى المحتاجين فكيف تكون من أعمال الخير فلا جرم هذه الأعمال تكون طاعات سواء صدرت من الكفار أو المسلمين وأما العبادات فهي انما تكون طاعات بنيات مخصوصة فاذا لم يؤت بتلك النية وانما أتى فاعلمها على طلب زينة الدنيا وتحصيل الرياء والسمعة فيها صار وجودها كعدمها فلا تكون من باب الطاعات واذا عرفت هذا فنقول قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها المراد منه الطاعات التي يصح صدورها من الكافر (القول الثاني) وهو أن تجري الآية على ظاهرها في العموم ونقول انه يندرج فيه المؤمن الذي يأتي بالطاعات على سبيل الرياء والسمعة ويندرج فيه الكافر الذي هذا صفته وهذا القول مشكل لان قوله أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بالموءن الا اذا قلنا المراد أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار بسبب هذه الأعمال الفاسدة والافعال الباطلة المرفوعة بالرياء ثم القائلون بهذا القول ذكروا أخبارا كثيرة في هذا الباب روى أن الرسول عليه السلام قال تعوذوا بالله من جب الحزن قبل وما جب الحزن قال عليه الصلاة والسلام واد في جهنم يلقى فيه القراء المراءون وقال عليه الصلاة والسلام أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة يدعى رجل جمع القرآن فيقال له ما علمت فيه فيقول يا ربقت به انا الليل والنهار فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك وبوئى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك فاذا علمت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقفت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك وبوئى من قبل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان جرى وقد قيل ذلك قال أبو هريرة رضى الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعيرهم النار يوم القيامة وروى أن أبا هريرة رضى الله عنه ذكر هذا الحديث عند معاوية قال الراوى فيكى حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق وقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها (المسئلة الثانية) المراد من توفية أجور تلك الأعمال هو أن كل ما يستحقون بها من الثواب فانه يصل اليهم حال كونهم في دار الدنيا فاذا خرجوا من الدنيا لم يبق معهم من تلك الأعمال أثر من آثار الخيرات بل ليس لهم منها الا النار واعلم أن العقل يدل عليه قطعا وذلك لان من أتى بالأعمال لاجل طلب الشاء في الدنيا ولجل الرياء لذلك لاجل انه غلب على قلبه حب الدنيا ولم يحصل في قلبه حب الآخرة اذ لو عرف حقيقة الآخرة وما فيها من

استطعت انى فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملسانكم الى السعادات والمعونة والمظاهرة فاعلموا أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك فيه تدفع الجرم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تنهكهم بهم وتسهل عليهم يكمال مخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم

والله اعلم بكم الله تعالى في كل شأن من شأنيهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضافت عليكم الخيل وحيث
 بكم العال او من حيث ان من يستمدون بهم أقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك
 قبل ظهور عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهور وأوضح واعلموا أيضاً ان الهتكم بمنزل عن رتبة الشركة في الاوهية وأحكامها
 فهل أنتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة ٦٧ في شبهة في حقيقته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك

فيدخل فيه الاذعان ليكون
 القرآن من عند الله تعالى
 دخولا اوليا أو منتقيا دون
 للعق الذي هو كون القرآن
 من عند الله تعالى وتاركون
 لما كنتم فيه من المكابرة والعناد
 وفي هذا الاستفهام ايجاب
 بليغ لما فيه من معنى الطلب
 واتنبه على قيام الموجب
 وزوال العذر واقاطع من أن
 يجبرهم آلهتهم من بأس الله
 عز سلطانه هذا والاول أنسب
 لما سلف من قوله تعالى
 وضائق به صدرك ولما سأتى
 من قوله تعالى فلا تك في
 مرية منه وأشد ارتباطا بما
 يعقبه كما ستحيط به خبرا (من
 كان يريد الحياة الدنيا وزينتها)
 أي ما يزينها ويحسنها من الصحة
 والامن والسعة في الرزق
 وكثرة الاولاد والرياسة وغير
 ذلك والمراد بالارادة ما يحصل
 عند مباشرة الاعمال لا مجرد
 الارادة القلبية لقوله تعالى
 (نوف اليهم أعمالهم فيها)
 وادخال كان عليها للدلالة
 على استمرارها منهم بحيث
 لا يكادون يريدون الآخرة
 أصلا وليس المراد بأعمالهم
 أعمال كلهم فانه لا يحد كل

السعادات لا تمتنع أن يأتي بالخيرات لأجل الدنيا وينسى أمر الآخرة فثبت ان الآتي
 بأعمال البر لأجل الدنيا لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في الدنيا عديم الطلب للآخرة ومن
 كان كذلك فاذا مات فانه يفوته جميع منافع الدنيا ويبقى عاجزا عن وجدانها غير قادر على
 تحصيلها ومن أحب شيئا ثم حيل بينه وبين المطلوب فانه لا بد وأن تشتعل في قلبه نيران
 الحسرات فثبت بهذا البرهان العقلي أن كل من أتى بعمل من الاعمال لطلب الاحوال
 الدنيوية فانه يجد تلك المنفعة الدنيوية اللأفة بذلك العمل ثم اذا مات فانه لا يحصل له
 منه الا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطا باطلا عديم اثر * قوله تعالى
 (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك
 يؤمنون به من كفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك في مربة منه انه الحق من ربك
 ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم أن تعلق هذه الآية بمقابلها ظاهر والتقدير أفمن كان
 على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار الا انه حذف
 الجواب لظهوره ومثله في القرآن كثير لقوله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان
 الله يضل من يشاء وقوله آمن هو فانت أناء الليل ساجدا وقولاه قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين لا يعلمون واعلم ان أول هذه الآية مشتمل على ألفاظ أربعة كل
 واحد منها مجمل (فالاول) ان هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه من هو
 (والثاني) انه ما المراد بهذه البينة (والثالث) ان المراد بقوله يتلوه القرآن أو كونه حاصلا
 عقيب غيره (والرابع) ان هذا الشاهد ما هو فهذه الالفاظ الاربعة مجملة فلهذا كثرت
 اختلاف المفسرين في هذه الآية (أما الاول) وهو أن هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه
 على بينة من ربه من هو فقيل المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وقيل المراد به من آمن
 من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره وهو الاظهر لقوله تعالى في آخر الآية أولئك
 يؤمنون به وهذا صيغة جمع فلا يجوز رجوعه الى محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالبينة
 هو البيان والبرهان الذي عرف به صحة الدين الحق والضمير في يتلوه يرجع الى معنى البينة
 وهو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو القرآن ومنه أي من الله ومن قبله كتاب موسى
 أي ويتلوه ذلك البرهان من قبل مجي القرآن كتاب موسى واعلم ان كون كتاب موسى
 تابعا للقرآن ليس في الوجود بل في دلالة على هذا المطلوب وامامانصب على الحال
 فالخاصل أنه يقول اجتمع في تقرير صحة هذا الدين أمور ثلاثة (أولها) دلالة البينات
 العقلية على صحته (وثانيها) شهادة القرآن بصحته (وثالثها) شهادة التوراة بصحته
 فبعد اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحته شك ولا ريب فهذا القول أحسن الافاويل
 في هذه الآية وأقربها الى مطابقة الالفاظ وفيها أقوال آخر (فالقول الاول) ان الذي
 وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه هو محمد عليه السلام والبينة هو القرآن والمراد
 بقوله يتلوه هو التلاوة بمعنى القراءة وعلى هذا التقدير قد اكر وفي تفسير الشاهد وجوها

متن ما يتناه ولا كل أحد ينال بكل ما يهواه فان ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كأنطق به قوله تعالى من كان
 يريد العاجلة عجزنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يرتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجراء والجزاء
 من أعمال البر وقد اطلقت وأربد بها ثمراتها فاعني نوصلي اليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاستناد
 الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء المفعول ورفع أعمالهم وقرئ يوف بالتخفيف ورفع لكون الله طامضا لقوله

وإن شاء جليل يوم مسجبه يقول لأغاث مالي ولا حرم (وهم فيها) أي في الحيلة الدنيا (لا يحسون) أي لا يمتصون والمناظر
عن ذلك بالبحس الذي هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شأبة حتى فيما أتوا كاعبر عن إعطائه بالتوفيق التي هي أعطاه الحقوق
مع أن أعمالهم بعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء الأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة في نفي
النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع في ٦٨ والصدور عن الكرم أصلا والمعنى أنهم فيها

خاصة لا ينقصون ثمرات
أعمالهم وأجورها نقصا
كلها مطرد ولا يحرمونها
حرمانا كلها وأما في الآخرة
فهم في الحرمان المطلق
والنقص المحقق كما ينطق به
قوله تعالى (أولئك) الخ
فإنه إشارة إلى المذكورين
باعتبار أرادتهم الحياة
الدنيا أو باعتبار توفيقهم
أجورهم من غير بحس
أو باعتبار ما وافقه من
معنى البعد لا يذنب بعد
مزالمتهم في سوء الحال أي
أولئك المريدون للحياة
الدنيا يوزن بينهم الموفون فيها
ثمرات أعمالهم من غير بحس
(الدين ليس لهم في الآخرة
الانثار) لأن همهم كانت
مصرفها في الدنيا وأعمالهم
مقصورة على تحصيلها وقد
اجتنبوا ثمرتها ولم يكونوا
يريدون بها شيئا آخر فلا جرم
لم يكن لهم في الآخرة الانثار
وعذابها المخلد (وحبط ما
صنعوا فيها) أي ظهر في الآخرة
حبوط ما صنعوه من الأعمال
التي كانت تؤدي إلى الثواب
لو كانت معمولة في الآخرة
أوحبط ما صنعوه في الدنيا
من أعمال البراء بشرط الاعتداد

(أحدها) أنه جبريل عليه السلام والمعنى أن جبريل عليه السلام يقرأ القرآن على محمد
عليه السلام (وثانيها) أن ذلك الشاهد هو إسان محمد عليه السلام وهو قول الحسن
ورواية عن محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنهما قال قلت لابي أنت التالى قال وما معنى
التالى قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت أنى هو ولكنه إسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما كان الإنسان إنما يقرأ القرآن ويتلوه بلسانه لا جرم جعل اللسان تابعا على
سبيل المجاز كما يقال عين باصرة وأذن سامعة ولسان ناطق (وثالثها) أن المراد هو علي بن
أبي طالب رضي الله عنه والمعنى أنه يتلوتك البينة وقوله منه أي هذا الشاهد من محمد
وبعض منه والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام (ورابعها)
أن لا يكون المراد بقوله ويتلوه القرآن بل حصول هذا الشاهد عقيب تلك البينة وعلى
هذا الوجه قالوا أن المراد أن صورة النبي عليه السلام ووجهه ومخالبه كل ذلك يشهد
بصدقه لأن من نظر إليه بهتله علم أنه ليس بمجنون ولا كاهن ولا ساحر ولا كذاب والمراد
بكون هذا الشاهد منه كون هذه الأحوال متعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم (القول
الثاني) أن الذي وصفت الله تعالى بأنه على بينة هم المؤمنون وهم أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد بالبينة القرآن ويتلوه أي ويتلو الكتاب الذي هو الحجة بمعنى ويعتبه
شاهد من الله تعالى وعلى هذا القول اختلفوا في ذلك الشاهد فقال بعضهم أنه محمد عليه
السلام وقال آخرون بل ذلك الشاهد هو كون القرآن وأفعاله على وجه يعرف كل من نظر
فيه أنه معجزة وذلك الوجد هو استعماله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة وكونه
بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثله وقوله شاهد منه أي من تلك البينة لأن أحوال
القرآن وصفاته من اقراءات متعلقة به (وثالثها) قال القراء ويتلوه شاهد منه يعني
الانجيل يتلوا القرآن وإن كان قد أنزل قبله والمعنى أنه يتلوه في التصديق وتقريره أنه تعالى
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل وأمر بالآيمان به واعلم أن هذين القولين وإن كانا
محمدين لأن القول الاول أقوى وأنم واعلم أنه تعالى وصف كتاب موسى عليه السلام
بكونه اماما ورجحا ومعنى كونه اماما أنه كان مقتدى العالمين وامامهم يرجعون اليه
في معرفة الدين والشرائع وأما كونه رجحا فلأنه يهدي إلى الحق في الدنيا والدين وذلك
سبب لحصول الرحمة والثواب فلما كان سببا للرحمة أطلق اسم الرحمة عليه اطلاقا لا اسم
المسبب على السبب ثم قال تعالى أولئك يؤمنون به والمعنى أن الذين وصفهم الله بأنهم على
بينة من ربهم في صحة هذا الدين يؤمنون واعلم أن المطالب على قسمين منهما ما يعلم صحته
بالبديهة ومنها ما يحتاج في تحصيل العلم به إلى طلب واجتهاد وهذا القسم الثاني على
قسمين لأن طريق تحصيل المعارف إما بالحجة والبرهان المستنبط بالعقل وإما بالاستفادة من
الوحي والالهام فهذان الطريقان هما الطريقان المذاهبان لكن الرجوع إليهما في تعريف
المجهولات فإذا اجتمعا واعتضدا كل واحد منهما بالآخر بلغا الغاية في القوة والثبوت

بها الاخلاص (وباطل) أي في نفسه (ما كانوا يعلمون) في أثناء تحصيل المطالبات الدينية ولاجل أن ثم
الاول من شأنها استتباع الثواب والاجر وأن عدم عدم مقارنته بالإيمان والنية الصحيحة وإن الثاني ليس له جهة صالحة قط
علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث
لا طائل تحته أصلا بالاسم الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة

الحاشية على الآية الأولى إلى أن صدور أعمال البر منهم وإن كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدينية وقرئ و بطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من الحفظ الديني مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الديني فبطل مطلقا وقرئ و باطلا ما كانوا يعملون على أن ما بها مية أوف معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام * ٦٩ * وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ

اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رجلا عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خير بأن ذلك إنما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الربا يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا غيره من يعمل أعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الربانية إلا ذلك والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا أوليا فانه عز وجل لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزدادوا علما و يقينا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلا و هيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون

ثم إن في أنبياء الله تعالى كثرة فاذا توافقت كلمات الانبياء على صحته وكان البرهان اليقيني قائما على صحته فهذه المرتبة قد بلغت في القوة الى حيث لا يمكن الزيادة عذبا فقصوله أفن كان على بينة من ربه المراد بالبينة الدلائل العقلية اليقينية وقوله و يتلوه شاهد منه اشارة الى الوحي الذي حصل لمحمد عليه السلام وقوله ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة اشارة الى وحي الذي حصل لموسى عليه السلام وعند اجتماع هذه الثلاثة قد بلغ هذا اليقين في القوة والظهور والجلاء الى حيث لا يمكن الزيادة عليه ثم قال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده والمراد من الأحزاب أصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود والنصارى والمجوس روى سعيد بن جبيرة عن أبي موسى إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وقال بعضهم لما دلت الآية على أن من يكفر به فالنار موعده دلت على أن من لا يكفر به لم تكن النار موعده ثم قال تعالى فلا تك في مرتبة منه انه الحق من ربك وفيه قولان (الأول) فلا تك في مرتبة من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله تعالى فكان متعلقا بما تقدم من قوله تعالى أم يقولون افتراه (الثاني) فلا تك في مرتبة من أن موعده للكافرين وقرئ مرة بضم الميم ثم قال ولكن أكثر الناس لا يؤمنون والتقدير لما ظهر الحق ظهورا في العاية فكأن أنت متابع له ولا تبال بالجهل سواء آمنوا أو لم يؤمنوا والاقرب أن يكون المراد لا يؤمنون بما تقدم ذكره من وصف القرآن * قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله و ينفونها عما جواهرهم بالآخرة هم كافرون) اعلم أن الكفار كانت لهم عادات كثيرة وطرق مختلفة منها شدة حرصهم على الدنيا ورغبتهم في تحصيلها وقد أبطل الله هذه الطريقة بقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآخر الآية ومنها أنهم كانوا ينكرون نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم و يقدحون في معجزاته وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله أفن كان على بينة من ربه ومنها أنهم كانوا يزعمون في الاصنام أنها شفعاؤهم عند الله وقد أبطل الله تعالى ذلك بهذه الآية وذلك لأن هذا الكلام افتراء على الله تعالى فلما بين وعيد المغترين على الله فقد دخل فيه هذا الكلام واعلم أن قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا إنما يورد في معرض المبالغة وفيه دلالة على أن الافتراء على الله تعالى أعظم أنواع الظلم ثم انه تعالى بين وعيد هؤلاء بقوله وأولئك يعرضون على ربهم وما وصفهم بذلك لانهم مختصون بذلك العرض لان العرض عام في كل العباد كما قال وعرضوا على ربك صفا وإنما أراد به أنهم يعرضون خفية ضحكون بأن يقولوا الاشهاد عند عرضهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فحصل لهم من الخزي والنكال

من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شوائبهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدينية وبيان أن ذلك بمنزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والاسلام ف قيل (أفمن كان على بينة من ربه) أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقته ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو

القرآن وبالشهادة أو بتأويل البرهان ذكر الصبر الرابع البها في قوله تعالى (و يتلووه) أي يسمعون (شاهد) يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز في نظم المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته. الأخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عندئذ كونه منزلاً يعلم الله ﴿ ٧٠ ﴾ بشهادة الإعجاز (منه) أي من القرآن غير خارج عنه

أو من جهة الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة لآثار القرآن الوارد من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفن كل من انصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا فهل أتم دخولا أوليا وقبل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقبل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقبل المراد بالبيئة دليل العقل والشاهد القرآن فالضمير في منه لله تعالى أو البيئة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظ والأول هو الأول ولما كان المراد بتلو الشاهد البرهان إقامة الشهادة بصحة كونه من عند الله تابعاً له بحيث لا يفارق في شهد من المشاهد فإن القرآن بيئة باقية على وجه

الأمز يد عليه وفيه سوالات (السؤال الأول) إذا لم يجوز أن يكون الله تعالى في مكان فكيف قال يعرضون على ربهم (والجواب) أنهم يعرضون على الأماكن المعدة للحساب والسؤال ويجوز أيضاً أن يكون ذلك عرضاً على من ساء الله من الخلق بأمر الله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين (السؤال الثاني) من الأشهاد الذين أضيف إليهم هذا القول (الجواب) قال مجاهد الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال قتادة ومقاتل الأشهاد الناس كما يقال على رؤس الأشهاد يعني على رؤس الناس وقال الآخرون هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فلننسلن الذين أرسل إليهم ولننسلن المرسلين والفقهاء في اعتبار قول الأشهاد البالغة في اظهار الفضيحة (السؤال الثالث) الأشهاد جمع فواحد والجواب يجوز أن يكون جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب وناصرو وأنصارو ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل شريف وأشرف قال أبو علي الفارسي وهذا كأنه أرجح لأن ما جاء من ذلك في التزويل جاء على فعل كقوله ويكون الرسول عليكم شهيداً وحسابك على هؤلاء شهيداً ثم لما أخبر عن حالهم في عذاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال فقال أللعنة الله على الظالمين وبين أنهم في الحال للمعنون من عند الله ثم ذكر من صفاتهم أنهم يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً يعني أنهم كاطلوا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضاعوا إليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة لأنه لا يقال في العاصي ينبغي عوجاً وإنما يقال ذلك فيمن يعرف كيفية الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم قال وهم بالآخرة هم كافرون قال الزجاج كلمة هم كرت على جهة التوكيد لشبهتهم في الكفر * قوله عز وجل (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) اعلم أن الله تعالى وصف هؤلاء المذنبين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض الذم (الصفة الأولى) كونهم مفترين على الله وهي قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً (والصفة الثانية) أنهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والخرى والنكال وهي قوله أولئك يعرضون على ربهم (والصفة الثالثة) حصول الخزي والنكال والفضيحة العظيمة وهي قوله ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم (والصفة الرابعة) كونهم ملعونين من عند الله وهي قوله أللعنة الله على الظالمين (والصفة الخامسة) كونهم صادين عن سبيل الله مانعين عن متابعة الحق وهي قوله الذين يصدون عن سبيل الله (الصفة السادسة) سعيهم في إلقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة وهي قوله ويغونها عوجاً (الصفة السابعة) كونهم كافرين وهي قوله وهم بالآخرة هم كافرون (الصفة الثامنة) كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله وهي

الدهرج شاهد بها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله ﴿ قوله ﴾ عزقاً (ومن قبله كتاب موسى) على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول فكانه قبل أن كان على بيته من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً له غير مفارق عنه ولعرفته في وصف التلو والتكبر في بيته وشاهد للتفخيم

(أما) أي مؤمنة في الدين ومعتدلة في العرض لهذا الوصف بصدور بيان ثلوا الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المثلوة ورجه) أي نعمة عظيمة على من أزيل اليهم وهم يعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤبدة بالقرآن العظيم وهم الآن من الكتاب (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء بني ٧١ هـ الذين من غير عشور على دقائق الحقائق وصفهم بأنهم (يؤمنون به)

أي يصدقون حق التصديق
حسبما تشهد به الشواهد
الحقة المعربة عن حقيقته
(ومن يكفر به) أي بالقرآن ولم
يصدق بتلك الشواهد الحقة
(من الأحزاب) من أهل مكة
ومن تحزب معهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم (فالتار
موعه) ردها إلى الحالة حسبما
نطق به قوله تعالى ليس لهم
في الآخرة إلا النار وفي جعلها
موعدا إشعارا بأن له فيها مالا
يوصف من أفانين العذاب
(فلا تلك في مريم منه) أي
في شك من أمر القرآن وكونه
من عند الله عز وجل غيبا
شهدت به الشواهد المذكورة
وظهر فضل من تمسك به
(أنه الحق من ربك) الذي
يريك في دينك ودينك (ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك
أما لقصور أنظارهم واختلال
أفكارهم وأما لغشاهم
واستكبارهم فنفي قوله تعالى
أفمن كان على بينة من ربه
مبتدأ حذف خبره لغشاء الحال
عن ذكره وتقديره أفمن كان
على بينة من ربه كأولئك
الذين ذكرت أعمالهم وبين
صيرهم ومآلهم يعني أن بينهما
تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد

قوله أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض قال الواحدى معنى الإعجاز المنعم من تحصيل
المراد يقال أعجزنى فلان أي معني عن مرادى ومعني معجزين في الأرض أي لا يمكنهم
أن يهربوا من عذابنا فإن هرب العبد من عذاب الله محال لأنه سبحانه وتعالى قادر على
جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالبعد والقرب والقوة والضعف (الصفة التاسعة)
أنهم ليس لهم أولياء يدفعون عذاب الله عنهم والمراد منه الرد عليهم في وصفهم الأصنام
بأنها شفعاؤهم عند الله والمقصود أن قوله أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض دل على
أنهم لا قدرة لهم على الفرار وقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء هو أن أحدا
لا يقدر على تخليصهم من ذلك العذاب فجمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع إلى
غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة ثم اختلفوا فقال
قوم المراد أن عدم نزول العذاب ليس لاجل أنهم قدروا على منع الله من إزال العذاب
ولالاجل أن لهم ناصرا يمنع ذلك العذاب عنهم بل إنما حصل ذلك الإمهال لأنه تعالى أمهاتهم
كى يتوبوا فيزولوا عن كفرهم فإذا أبوا الإثبات عليه فلا بد منه مضاعفة العذاب
في الآخرة وقال بعضهم بل المراد لم يكونوا معجزين بالله عما يريد إزاله عليهم من العذاب
في الآخرة وفي الدنيا ولا يجدون وليا ينصرهم ويدفع ذلك عنهم (والصفة العاشرة) قوله
تعالى بضاعف لهم العذاب قبل سبب تضعيف العذاب في حقهم أنهم كفروا بالله وبآلته
وبالشور فكفرهم بالمبدأ والمعاد صار سببا لتضعيف العذاب والأصوب أن يقال أنهم مع
ضلالهم الشديد سعوا في الضلال ومنع الناس عن الدين الحق فلهذا المعنى حصل هذا
التضعيف عليهم (الصفة الحادية عشرة) قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون والمراد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلب وعوى النفس واحتيج أصحابنا بهذه
الآية على أنه تعالى قد يخلق في المكلف ما ينفعه الإيمان روى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما أنه قال أنه تعالى منع الكافر من الإيمان في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا
ففي قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فهو قوله
يدعون إلى السجود فلا يستطيعون وحاصل الكلام في هذا الاستدلال أنه تعالى أخبر
عنهم أنهم لا يستطيعون السمع فاما أن يكون المراد أنهم ما كانوا يستطيعون سماع
الأصوات والحروف واما أن يكون المراد كونهم عاجزين عن الوقوف على دلائل الله
تعالى والقول الأول باطل لأن البديهة دلت على أنهم كانوا يسمعون الأصوات والحروف
فوجب حمل اللفظ على الثاني أجاب الجبائي عنه بأن السمع إما أن يكون عبارة عن
الحاسة الخصوصية أو عن معنى بخلقه الله تعالى في صماخ الأذن وكلاهما لا يقدر العبد
عليه لأنه لو اجتهد في أن يفعل ذلك أو يتركه لتعذر عليه وإذا ثبت هذا كان إثبات
الاستطاعة فيه محالا وإذا كان إثباتها محالا كان نفي الاستطاعة عنه هو الحق فثبت أن
ظاهر الآية لا يقدح في قولنا ثم قال المراد بقوله ما كانوا يستطيعون السمع أمهاتهم له

بتراب نارها وإراد الغاء بعد الممثلة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هئاتهم كأنه قيل
أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف بتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون في العاجل
والآجل كما قوله تعالى أفأنتخذ من دونه أولياء أي أبعد أن علمهم رب السموات والأرض أنتخذ من دونه أولياء

وقوله تعالى أفن يعلم أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن نسب إليه ما لا يليق به
 كقولهم للملائكة نبات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لا إلهتهم هؤلاء شفعاء ناعند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله
 تعالى مفترون عليه كذبوا هذا التركيب وإن كان سبكه على انكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن
 المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وإفادة ٧٢ * أنهم أظلم من كل ظالم كإني عنده ما سبلى من قوله

عز وجل لا جرم أنهم في
 الآخرة هم الآخسرون فإذا
 قيل من أكرم من فلان أولا
 أفضل منه فالمراد منه حتما
 أنه أكرم من كل كريم وأفضل
 من كل فاضل (أو لك)
 الموصوفون بالظلم البالغ الذي
 هو الافتراء على الله تعالى
 وبهذه الإشارة حصلت الغنية
 عن اسناد العرض إلى أعمالهم
 واكتفى باستناد اليهم حيث قيل
 (يعرضون) لأن عرضهم
 من تلك الحثيثة وبذلك العنوان
 عرض لأعمالهم على وجه
 أبلغ فإن عرض العامل بعمله
 أقطع من عرض عمله مم
 غيبته (على ربهم) الحق
 وفيه إيماء إلى بطلان رأيهم
 في اتخاذهم أربابا من دون الله
 عز وجل (ويقول الشهاد)
 عند العرض من الملائكة
 واليبيين أو من جوارحهم وهو
 جمع شاهد أو شهيد كاشحاب
 وأشراف (هؤلاء الذين كذبوا
 على ربهم) بالافتراء عليه
 كأن ذلك أمر واضح غني
 عن الشهادة بوقوعه وإنما
 المحتاج إلى الشهادة تعيين من
 صدر عنه ذلك فلذلك لا

ونفورهم عنه كما يقول القائل هذا كلام لا أستطيع أن أسمعوه وهذا مما يحجه سمعي وذكر
 غير الجباني عذرا آخر فقال انه تعالى نفى أن يكون لهم أولياء والمراد الاصنام ثم بين نفى
 كونهم أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون
 للولاية والجواب أما حل الآية على أنه لا قدرة لهم على خلق الحاسفة وعلى خلق المعنى فيها
 فباطل لأن هذه الآية وردت في معرض الوعيد فلا بد وأن يكون ذلك معنى تخصا بهم
 والمعنى الذي قالوه حاصل في الملائكة والانباء فكيف يمكن حل اللفظ عليه وأما قوله
 ان ذلك محمول على أنهم كانوا يستقلون سماع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وإبصار
 صورته فالجواب انه تعالى نفى الاستطاعة فحمله على معنى آخر خلاف الظاهر وأيضان
 حصول ذلك الاستقلال إما أن ينم عن التفهم والوصول إلى الغرض أول ما ينم فان منع
 فهو المقصود وأن لم يمنع منه فحينئذ كان ذلك سببا أجنبيا عن المعاني المعتبرة في التفهم
 والادراك ولا تختلف أحوال القلب في العلم والمعرفة بسببه فكيف يمكن جعله ذماليهم
 في هذا المعرض وأيضاً قد بينا مراراً كثيرة في هذا الكتاب أن حصول الفعل مع قيام
 العارف محال فلما بين تعالى كون هذا المعنى صارفاً عن قبول الدين الحق وبين فيه انه
 حصل حصولاً على سبيل اللزوم بحيث لا يزول البتة في ذلك الوقت كان المكلف في ذلك
 الوقت ممنوعاً عن الايمان وحينئذ يحصل المطلوب وأما قوله فإن جعل هذه الصفة من صفة
 الاوثان فعبید لأنه تعالى قال بضاعف لهم العذاب ثم قال ما كانوا يستطيعون السمع
 فوجب أن يكون الضمير في هذه الآية المتأخرة عائداً إلى عين ما عايناه الضمير المذكور
 في هذه الآية الأولى وأما قوله وما كانوا يبصرون فقيل المراد منه البصرة وقيل المراد منه
 أنهم عدلوا عن إبصار ما يكون حجة لهم (الصفة الثانية عشرة) قوله وأولئك الذين خسروا
 أنفسهم ومعناه أنهم اشتروا عبادة الألهة بعبادة الله تعالى فكان هذا الخسران أعظم
 وجوه الخسران (الصفة الثالثة عشرة) قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون والمعنى أنهم
 لما باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا لأنهم أعطوا الشر بف ورضوا بأخذ الحسب وهذا
 عين الخسران في الدنيا ثم في الآخرة فهذا الخسب يضيع ويهلك ولا يبقى منه أثر وهو
 المراد بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون (الصفة الرابعة عشرة) قوله لا جرم أنهم في الآخرة
 هم الآخسرون وتقريره ما تقدم وهو انه لما أعطى الشر بف ورفع رضى بالحسب
 الوضع فقد خسر في التجارة ثم لما كان هذا الخسب بحيث لا يبقى بل لا بد وأن يهلك
 وينفى انقلب تلك التجارة إلى الشهاية في صفة الخسارة فلهاذا قل لا جرم أنهم في الآخرة
 هم الآخسرون وقوله لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى
 صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم أنك محسن على معنى حقائك محسن وأما الخويون
 فلهم فيه وجوه (الأول) لا حرف نفى وجرم أى قطع فإذا قلنا لا جرم معناه انه لا قطع فاطم
 عنهم أنهم في الآخرة هم الآخسرون (الثاني) قال الزجاج ان كلمة لا نفى لما ظنوا انه

يقولون هؤلاء كتبوا على ربهم وبحور أن يكون المراد بالشهاد الحضاروهم جميع أهل الموقف على ما قاله
 قتادة ومقاتل ويكون قواهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذماليهم بذلك لاشهادهم عليهم بكاشم به وقوله تعالى ويقولون
 ويشهد الخ وتوطئة لما تعبه من قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على
 حالة حذ الأول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم إنا نعوذ بك

من الخزي على رؤس الاشهاد (الذين يصدون) أي كل من يقدرون على صدّه أو يفعلون الصد (عن سبيل الله) عن دمه التحويل (ويصفونها عوجا) انحرافا أي يصفونها بذلك وهي أبعد شئ منه أو يخون أهلها أن يجر فواعنها يقال بعيتك خيرا أو شرأى طلبت لك وهذا شامل لتكديهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله (وهم بالآخرة هم كافرون) أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لانهم يؤمنون بها ويرغمون أن لها * ٧٣ * سيلا سوياء يهدون الناس اليه وتكرر الضمير لتأكيد كفرهم

ونفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة وذكرنا جرم بمعنى كسب في تفسير قوله تعالى لا يجرمكم شأن قوم قال الأزهرى وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب (الثالث) قال سيبويه والاختصاص لا رد على أهل الكفر كذا ذكرنا جرم معناه حق وصحح والتأويل انه حق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر
ولقد طعنت بأعينه طفنة * جرمت فزاره بعدها أن يفضبوا
أراد حقت الطعنة فزاره أن يفضبوا * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) اعلم انه تعالى لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر أحوال المؤمنين والاختبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت وهو الأرض المطمئنة وخبت ذكره أي خفي فقوله أخبت أي دخل في الخبت كما يقال فحين صار إلى نجد أنجد وإلى تهامة أنهم ومنه الخبت من الناس الذي أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه ولفظ الاختبات ينعدي بالي وباللام فإذا قلنا أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه وإذا قلنا أخبت له فمعناه خشع له إذا عرفت هذا فنقول قولنا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة إلى جميع الأعمال الصالحة وقوله وأخبتوا إشارة إلى ان هذه الأعمال لا تنفع في الآخرة إلا مع الأحوال القلبية ثم ان فسرنا الاختبات بالطمأنينة كان المراد أنهم يعبدون الله وكانت قلوبهم عند أداء العبادات مطمئنة بذكر الله فارغة عن الاغنيات إلى ماسوى الله تعالى أو يقال انما قلوبهم صارت مطمئنة إلى صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقاب وأما ان فسرنا الاختبات بالخشوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين من ان يكونوا أتوا بها مع وجود الاخلال والتقصير ثم بين ان من حصل له هذه الصفات الثلاثة فهم أصحاب الجنة ويحصل لهم الخلود في الجنة قوله تعالى (مثل الغريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فلا تذكرونا) واعلم انه تعالى لما ذكر الغريقين ذكر فيهما مثلا لما يطبقا من اختلافهما قيل انه راجع إلى من ذكر آخر من المؤمنين والكافرين من قبل وقال آخرون بل يرجع إلى قوله أفن كان على بينة من ربه ثم ذكر من بعده الكافرين ووصفهم بأنهم لا يستطيعون السمع ولا يبصرون والسميع والبصير هم الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم واعلم ان وجه التشبيه هو انه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكان للجسد بصرا وسمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر وكان الجسد اذا كان أعمى أصم بغير محيى لا يهتدى إلى شئ من المصالح بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لا يبصر نوراً يهتدى به ولا يسمع صوتا فكذلك الجاهل الضال المضل يكون أعمى وأصم القلب فيبقى في ظلمات الضلالات حاراً تائها ثم قال تعالى أفلا تذكرون منهم على انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم اذا كان العلاج يمكنهما من الضرر والحاصل بسبب

ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة وذكرنا جرم بمعنى كسب في تفسير قوله تعالى لا يجرمكم شأن قوم قال الأزهرى وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب (الثالث) قال سيبويه والاختصاص لا رد على أهل الكفر كذا ذكرنا جرم معناه حق وصحح والتأويل انه حق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر
ولقد طعنت بأعينه طفنة * جرمت فزاره بعدها أن يفضبوا
أراد حقت الطعنة فزاره أن يفضبوا * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) اعلم انه تعالى لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر أحوال المؤمنين والاختبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت وهو الأرض المطمئنة وخبت ذكره أي خفي فقوله أخبت أي دخل في الخبت كما يقال فحين صار إلى نجد أنجد وإلى تهامة أنهم ومنه الخبت من الناس الذي أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه ولفظ الاختبات ينعدي بالي وباللام فإذا قلنا أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه وإذا قلنا أخبت له فمعناه خشع له إذا عرفت هذا فنقول قولنا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة إلى جميع الأعمال الصالحة وقوله وأخبتوا إشارة إلى ان هذه الأعمال لا تنفع في الآخرة إلا مع الأحوال القلبية ثم ان فسرنا الاختبات بالطمأنينة كان المراد أنهم يعبدون الله وكانت قلوبهم عند أداء العبادات مطمئنة بذكر الله فارغة عن الاغنيات إلى ماسوى الله تعالى أو يقال انما قلوبهم صارت مطمئنة إلى صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقاب وأما ان فسرنا الاختبات بالخشوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين من ان يكونوا أتوا بها مع وجود الاخلال والتقصير ثم بين ان من حصل له هذه الصفات الثلاثة فهم أصحاب الجنة ويحصل لهم الخلود في الجنة قوله تعالى (مثل الغريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فلا تذكرونا) واعلم انه تعالى لما ذكر الغريقين ذكر فيهما مثلا لما يطبقا من اختلافهما قيل انه راجع إلى من ذكر آخر من المؤمنين والكافرين من قبل وقال آخرون بل يرجع إلى قوله أفن كان على بينة من ربه ثم ذكر من بعده الكافرين ووصفهم بأنهم لا يستطيعون السمع ولا يبصرون والسميع والبصير هم الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم واعلم ان وجه التشبيه هو انه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكان للجسد بصرا وسمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر وكان الجسد اذا كان أعمى أصم بغير محيى لا يهتدى إلى شئ من المصالح بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لا يبصر نوراً يهتدى به ولا يسمع صوتا فكذلك الجاهل الضال المضل يكون أعمى وأصم القلب فيبقى في ظلمات الضلالات حاراً تائها ثم قال تعالى أفلا تذكرون منهم على انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم اذا كان العلاج يمكنهما من الضرر والحاصل بسبب

أراد حقت الطعنة فزاره أن يفضبوا * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) اعلم انه تعالى لما ذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر أحوال المؤمنين والاختبات هو الخشوع والخضوع وهو مأخوذ من الخبت وهو الأرض المطمئنة وخبت ذكره أي خفي فقوله أخبت أي دخل في الخبت كما يقال فحين صار إلى نجد أنجد وإلى تهامة أنهم ومنه الخبت من الناس الذي أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه ولفظ الاختبات ينعدي بالي وباللام فإذا قلنا أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه وإذا قلنا أخبت له فمعناه خشع له إذا عرفت هذا فنقول قولنا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة إلى جميع الأعمال الصالحة وقوله وأخبتوا إشارة إلى ان هذه الأعمال لا تنفع في الآخرة إلا مع الأحوال القلبية ثم ان فسرنا الاختبات بالطمأنينة كان المراد أنهم يعبدون الله وكانت قلوبهم عند أداء العبادات مطمئنة بذكر الله فارغة عن الاغنيات إلى ماسوى الله تعالى أو يقال انما قلوبهم صارت مطمئنة إلى صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقاب وأما ان فسرنا الاختبات بالخشوع كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين من ان يكونوا أتوا بها مع وجود الاخلال والتقصير ثم بين ان من حصل له هذه الصفات الثلاثة فهم أصحاب الجنة ويحصل لهم الخلود في الجنة قوله تعالى (مثل الغريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فلا تذكرونا) واعلم انه تعالى لما ذكر الغريقين ذكر فيهما مثلا لما يطبقا من اختلافهما قيل انه راجع إلى من ذكر آخر من المؤمنين والكافرين من قبل وقال آخرون بل يرجع إلى قوله أفن كان على بينة من ربه ثم ذكر من بعده الكافرين ووصفهم بأنهم لا يستطيعون السمع ولا يبصرون والسميع والبصير هم الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم واعلم ان وجه التشبيه هو انه سبحانه خلق الانسان مركبا من الجسد ومن النفس وكان للجسد بصرا وسمعا فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر وكان الجسد اذا كان أعمى أصم بغير محيى لا يهتدى إلى شئ من المصالح بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لا يبصر نوراً يهتدى به ولا يسمع صوتا فكذلك الجاهل الضال المضل يكون أعمى وأصم القلب فيبقى في ظلمات الضلالات حاراً تائها ثم قال تعالى أفلا تذكرون منهم على انه يمكنه علاج هذا العمى وهذا الصمم اذا كان العلاج يمكنهما من الضرر والحاصل بسبب

نفى عنهم الاستطاعة وأكفى في الثاني * ١٠ * خا بنى الاصفار فقال تعالى (وما كانوا يبصرون) لتعاليهم عن آيات الله البسوط في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع لتعليل المضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما ليعا على من أول الامر سوء العاقبة (أولئك) المتعونون بما ذكر من القبايح (الذين خسروا أنفسهم) باشتراء عبادة الآلهة

عصاة الله سرطانه (وصل عنهم ما كانوا يفترون) من الالهة وشفاقتهم أو خسروا ما بدلووا وصاح عنهم ما حصلوا كما سبق
 عنهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم) فيه ثلاثة أوجه الاول أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله
 والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق (أنهم في الآخرة هم الاخسر ون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده
 مقوله وفاقله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرا منهم فالمعنى ٧٤ ✽ ما حصل من ذلك الا ظهور خسرا منهم

والثالث أن لا جرم بمعنى لا بد
 أي لا بد أنهم في الآخرة هم
 الاخسر ون وأيا ما كان فغناه
 بهم أخسر من كل خاسر فبين
 أنهم أظلم من كل ظالم وهذه
 الآيات الكريمة كما ترى مقررة
 لما سبق من انكار المماثلة بين
 من كان على بينة من ربه وبين
 من كان يريد الحيلة الدنيا بأبلغ
 تقرير فانهم حيث كانوا أظلم
 من كل ظالم وأخسر من كل
 خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
 وبين أحد من الظلمة
 الاخسر بن فاختك بالمماثلة
 بينهم وبين من هو في أعلى
 مدارج الكمال ولما ذكر فريق
 كفار وأعمالهم وبين مصيرهم
 وما لهم شرع في بيان حال
 ندادهم أعنى فريق المؤمنين
 وما يؤل إليه أمرهم من
 لواقب الجيدة تكلمة لما عطف
 بن محاسنهم المذكورة في قوله
 مالي لئن كان على بينة من ربه
 لأبىة ليتبين ما بينهما من
 لتباين البين حالوما لا تقبل
 (أن الذين آمنوا) أي بكل
 أوجب أن يؤمن به فيدرج
 معه ما نحن بصدد من الايمان
 قرآن الذي عبر عنه بالكون
 لي بينة من الله واما ما حصل

حصول هذا العمى وهذا الصمم وجب على العاقل ان يسعى في ذلك العلاج بقدر الامكان
 واعلم أنه قد جرت العادة بانه تعالى اذا اورد على الكافر انواع الدلائل اتبعها بالقصص
 ليصير ذكرها مؤكدا لتلك الدلائل على ما قررنا هذا المعنى في مواضع كثيرة وفي هذه السورة
 ذكر انواعا من القصص (القصة الاولى) قصة نوح عليه السلام * قوله تعالى (ولقد أرسلنا
 نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم)
 اعلم انه تعالى قد بدأ بذكر هذه القصة في سورة نوح وقد أعادها في هذه السورة أيضا لما فيها
 من زوائد الغوائد بدائع الحكم وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي أني بفتح الهمة والمعنى أرسلنا نوحا بأنى لكم نذير مبين ومعناه أرسلناه
 ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين فلما اتصل به حرف الجر وهو الباء فتح كما
 فتح في كان وأما سائر القراء فقرأوا اني بالكسر على معنى قال اني لكم نذير مبين (المسئلة
 الثانية) قال بعضهم المراد من النذير كونه مهدياً للعصاة بالعقاب ومن المبين كونه مبيناً
 ما عدا الله للمطيعين من الثواب والاولى أن يكون المعنى انه نذير للعصاة من العقاب وانه
 مبين بمعنى انه بين ذلك الانذار على الطريق الاكل والبيان الاقوى الاظهر ثم بين تعالى
 ان ذلك الانذار إنما حصل في الشهي عن عبادة غير الله وفي الامر بعبادة الله لان قوله
 أن لا تعبدوا الا الله استثناء من التثني وهو وجب نفي غير المستثنى واعلم ان تقدير
 الآية كانه تعالى قال ولقد أرسلنا نوحا الى قومه بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير
 مبين ثم قال أن لا تعبدوا الا الله فقوله أن لا تعبدوا الا الله بدل من قوله اني لكم نذير
 ثم انه أكد ذلك بقوله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم والمعنى انه لما حصل الالم العظيم
 في ذلك اليوم أسند ذلك الالم الى اليوم كقولهم نهارك صائم وليك قائم * قوله تعالى
 (فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك الا الذين هم
 أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) اعلم انه تعالى لما حكى
 عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في نبوته
 بثلاثة أنواع من الشبهات (فالشبهة الاولى) انه بشر مثلهم والتفاوت الحاصل بين آحاد
 البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب اطاعة لجميع العالمين (والشبهة
 الثانية) كونه ما تبعه الأراذل من القوم كالحياسة وأهل الصنائع الخسيسة قالوا
 ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس والاشراف منهم ونظيره قوله تعالى في سورة
 الشعراء أنؤمن من لك واتبعك الارذلون (والشبهة الثالثة) قوله تعالى وما نرى لكم علينا من
 فضل والمعنى لا نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة
 الجدل فاذالم نشاهد فضلك علينا في شيء من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نعرف بفضلك
 علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات فهذا خلاصة الكلام في تقرير هذه الشبهات
 واعلم ان الشبهة الاولى لا تليق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على الإطلاق أما

لك باستماع الوحي والتدبر فيه وشاهدة ما يؤدى الى ذلك في الانفس والآفاق أو فعلوا الايمان كما ينبغي بطي ✽ الشبهتان ✽
 يمنع (وعلموا الصالحات وأخبتوا الى ربه) أي اطأوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض
 طيبة ومعنى أخبت دخل في الخبت كآتهم وأنجد دخل في نهامة ونجد (أو لك) المعنوتون بتلك النوعات الجميلة (أصحاب
 الجنة) فهما خادون) دائمون وبمديان تباين حالهما عقلاً لا ريدان تباينهما حساً

هذه (مثل الفريقين) الذي كذب بنى حالهما الجيب لأن المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعشى والاصم والبصير والسميع) أي حال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بالأعشى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الادخل في المبالغة والاقترب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع ﴿ ٧٥ ﴾ وبعدم الابصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسميع على أن تكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قوله من قال *

الى الملك القرم وبان الهمام *
وليت الكتبية في المردحم *
وأيا ما كان فالظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب التشبيه من تعامى الفريق الأول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتسامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبا ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وإنما لم يراع هذا الترتيب هنا لكون الاعشى اظهر وأشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح مع الاخبات حسبا فسر به فيما مر فلا يكون

الشبهتان الباقيتان فيمكن أن يتسكع بهما من أقرب نبوة سائر الانبياء وفي لفظ الآية مسائل (المسئلة الأولى) الملاء الاشراف وفي اشتقاقه وجوه (الأول) انه مأخوذ من قولهم ملأ بكذا اذا كان مطلقا وقدم ملأ بالامر والسبب في اطلاق هذا اللفظ عليهم انهم ملأوا بترتيب المهمات وأحسنوا في تدبيرها (الثاني) أنهم وصفوا بذلك لانهم يتألمون أي يظهرون عليه (الثالث) وصفوا بذلك لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس أجمعة (الرابع) وصفوا به لانهم ملأوا العقول الرأفة والآراء الصائبة ثم حكى الله تعالى عنهم الشبهة الأولى وهي قولهم ما نراك الا بشرا مثلبا وهو مثل ما حكى الله تعالى عن بعض العرب انهم قالوا لولا أنزل عليه ملك وهذا جهل لأن من حق الرسول أن يباشر الامة بالدليل والبرهان والتثبت والحجة لا بالصورة والخلقة بل نقول ان الله تعالى لو بعث الى البشر ملكا لكانت الشبهة أقوى في الطعن عليه في رسالته لانه يخطر بالبال ان هذه المعجزات التي ظهرت لعل هذا الملك هو الذي أتى بهما من عند نفسه بسبب أن قوته اكلى وقدرته أقوى فلهذه الحكمة ما بعث الله الى البشر رسولا الا من البشر ثم حكى الشبهة الثانية وهي قوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي والمراد منه قلة ما لهم وقلة جاههم ودناءة حرفهم وصناعتهم وهذا أيضا جهل لأن الرفعة في الدين لا تكون بالحسب والمال والمنصب العالية بل الفقراء هون على الدين من الغنى بل نقول الاتبيد ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة ثم حكى الله تعالى الشبهة الثالثة وهي قوله وما نرى لكم علينا من فضل وهذا أيضا جهل لأن الفضيلة المعتبرة عند الله ليست بالاعمال والعمل فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا في هذه الفضيلة ثم قالوا بعد ذلك هذه الشبهات لنوح عليه السلام ومن اتبعه بل نطنتكم كاذبين وفيه وجهان (الأول) أن يكون هذا خطا باع نوح ومع قومه والمراد منه تكذيب نوح في دعوى الرسالة (الثاني) أن يكون هذا خطا باع الاراذل فتسببهم الى أنهم كذبوا في أن آمنوا به واتبعوه (المسئلة الثانية) قال الواحدى الاراذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالته ورجل رذل الثياب والفعل والاراذل جمع الارذل مكقولهم كما برمجهم وقوله عليه الصلاة والسلام أحاسنكم اخلافا على هذا الاراذل جمع الجمع وقال بعضهم الاصل فيه أن يقال هو أرذل من كذا ثم كثر حتى قالوا هو الارذل فصارت الالف واللام عوضا عن الاضافة وقوله بادي الرأي البادي هو الظاهر من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه يقال بادية اظهرها وبرزها للنظر واختغا في بادي الرأي وذكر وافي وجوها (الأول) اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه (الثاني) يجوز أن يكون المراد اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي وما احتاطوا في ذلك الرأي وما أعطوه حقه من الفكر الصائب والتدبر الوافي (الثالث) أنهم لما وصفوا القوم بالاذالة قالوا كونهم كذلك بادي الرأي امر ظاهر لكل من يراهم والرأي على هذا المعنى من رأى العين لا من رأى القلب

التشبيه تمثيلا لاجمع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في أحدهما ومن التعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيلا بان ينزع من حال الفريق الأول في تصامهم ونعامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة تشبه بهيئة منتزعة من قدم مشعرى البصر والسمع فخط في مسلكه فوق

في صلبه الذي لم يجد الى مقصده سبيلا وينزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى
 ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منترعة بمن له بصروسمع يستعملهما في مهماته فيهندي الى سبيله وينال
 مرأته (هل يستويان) يعني الفريقين المذكورين والاستغناء انكارى مذكر لما سبق من انكار المائلة في قوله عز وجل
 أفن كان على بينة الآية (مثلا) أي حالوصفة وهو تميز من فاعل * ٧٦ يستويان (أفلا تدكرون) أي أتشكون

في عدم الاستواء وما بينهما
 من التباين أو تغفلون عنه
 فلا تدكرونه بالتأمل فيما
 ضرب لكم من المثل فيكون
 الانكار واردا على المعطوفين
 معا أو أنسمعون هذا فلا
 تدكرون فيكون راجعا الى
 دم التذكير بعد تحقق ما يوجب
 وجوده وهو المثل المضروب
 كافي قوله تعالى أفان مات
 أو قتل انقلبتم على أعقابكم
 فان الغاء هناك لانكار الانقلاب
 بعد تحقق ما يوجب عدمه
 من علمهم بخلو الرسل قبل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أو أفلا تفعلون التذكير
 أو أفلا تعلمون معنى الهمة
 انكار عدم التذكير واستبعاد
 صدوره عن المخاطبين وأنه
 ليس مما يصح أن يفهم لامن
 قبيل الانكار في قوله تعالى أفن
 أن على بينة من ربي وقوله تعالى
 هل يستويان فان ذلك لنفي
 المائلة ونفي الاستواء ولما بين
 من فاتحة السورة الكريمة
 الى هذا المقام أنها كتاب
 محكم الآيات مفصلها نازل
 في شأن التوحيد وترك عبادة
 غير الله سبحانه وأن الذي أنزل
 عليه نذرو بشر من جهنم
 تعالى وقرر في تضاعيف ذلك

ويتأ كدهذا التأويل بمنقل عن مجاهد أنه كان يقرأ الا الذين هم أراد لنا بادي رأى العين
 (المسئلة الثالثة) قرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادي بالهمزة والباقون بالياء غير مهموز
 فن قرأ بادي بالهمزة فالعنى أول الرأى وابتدأوه ومن قرأ بالياء غير مهموز كان من بدييدو
 أي ظهرو بادي نصب على المصدر كقولك ضربت أول الضرب * قوله تعالى (قال
 يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انزل مكموها
 واتم لهاكاهون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان تعالى لاحكى شبهات منكرو
 نبوة نوح عليه الصلاة والسلام حكى بعده ما يكون جوابا عن تلك الشبهات (فالشبهة
 الاولى) قولهم ما أنت الا بشر مثلنا فقال نوح حصول المساواة في البشرية لا يمنع من
 حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الدال على امكانه فقال أرأيتم ان
 كنت على بينة من ربي من معرفة ذات الله وصفاته وما يجب وما يمتنع وما يجوز عليه ثم انه
 تعالى آتاني رحمة من عنده والمراد بتلك الرحمة اما النبوة واما المنجزة الدالة على النبوة
 فعميت عليكم أي صارت مظنة مشبهة ملتبسة في عقولهم فهل أقدر على أن أجعلكم
 بحيث تصلون الى معرفتها شئتم أم أيتهم والمراد انى لا أقدر على ذلك البتة وعن قتادة والله
 لو استطاع نبي الله لآزمها ولكنه لم يقدر عليه وحاصل الكلام انهم لما قالوا وما نرى لكم
 علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام ان ذلك بسبب ان الحجة عميت عليكم واشتبهت فاما
 لو زكتم الضناد واللعجاء ونظرتم في الدلائل لظهر المقصود وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم
 فضلا عظيما (المسئلة الثانية) قرأ جرء والكسائي وحفص عن عامر فعميت عليكم بعض
 العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله بمعنى البست وشبهت والباقون بفتح العين مخففة الميم
 أي البست واشتبهت واعلم ان الشئ اذا بقي مجهولا محضاً أشبه المسمى لان العلم نور
 البصيرة الباطنة والابصار نور البصر الظاهر فحسن جعل كل واحد منهما مجازا عن الآخر
 وتحققة أن البينة توصف بالابصار قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة وكذلك توصف
 بالعمى قال تعالى فعميت عليهم الانبياء وقال في هذه الآية فعميت عليكم (المسئلة الثالثة)
 أنزل مكموها فيه ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير الغائب وضمير المخاطب وأجاز الفراء
 اسكان الميم الاولى وروى ذلك عن أبي عمر وقال وذلك ان الحركات توالى فسكنت الميم
 وهي أيضا مرفوعة وقبلها كسرة والحركة التي بعدها ضامة ثقيلة قال الزجاج جميع
 التحوين البصر بين لا يجيزون اسكان حرف الا حراف الا في ضرورة الشعر وما يروى عن
 أبي عمرو فلم يضبطه عنه الفراء وروى عن سيويه أنه كان يخفف الحركة ويختلسها وهذا
 هو الحق وانما يجوز الاسكان في الشعر كقول امرئ القيس * فاليوم أشرب غير مستخف
 * قوله تعالى (ويا قوم لأسألنكم عليه أجر ان أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين
 آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرفي من الله ان
 طردتهم أفلا تدكرون ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك

ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من التزغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة ولا

على كونه من عند الله تعالى وتسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة
 وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن نارة سحر أو أخرى مفتري وتبنيته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه
 على أبلغ وأبلغ أسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

التي على ما نقل عليه فاحمد السيرة الكريمة لنا أكد ذلك بطريق آخر هما أن ما غربه من التوحيد وقروا
مما أطبق عليه الانبياء فاطمة والثاني أن ذلك انما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيقته كلام أصلاً
ولينسلي بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أمهم ومقاساتهم الشدائد من جهنهم قليل (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) الواو
ابتدأ به واللام جواب قسم محذوف وحره الباء ﴿ ٧٧ ﴾ لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واو وان ولا يكاد تطلق

هذه اللام الامع قد لانها
مظنة التوقع وأن المخاطب
اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح هو ابن لك بن
منوش بن ادريس عليهما
السلام وهو أول نبي بعث بعده
* قال ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما بعث عليه الصلاة
والسلام على رأس أربعين
من عمره وليث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وقاش
بعد الطوفان ستين سنة وكان
عمره ألفاً وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن مائة
سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
وقيل وهو ابن مائتين وخمسين
سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد
الطوفان مائتين وخمسين سنة
فكان عمره ألفاً وأربعمائة
وخمسين سنة (انى لكم نذر)
بالكسر على ارادة القول أى
فقال أوقالا وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو والكسائي بالقح
على افتراء حرف الجر أى أرسلناه
ملتبساً بذلك الكلام وهو اى
لكم نذر بالكسر فلما اتصل به
الجار فتح كاقح في كائن والمعنى
على الكسر وهو قولك ان زيدا
كلاسد واقصر على ذكر كونه

ولا أقول الدين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم انى اذا لمن
الظالمين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان هذا هو الجواب عن الشبهة الثانية وهي
قولهم لا يتبعك الا الاراذل من الناس وتقرير هذا الجواب من وجوه (الاول) انه عليه
الصلاة والسلام قال أنا لأطلب على تبليغ دعوة الرسالة ما لا حتى يتفاوت الحال بسبب كون
المستجيب فقيراً أو غنياً وانما أجرى على هذه الطائفة الشاقة على رب العالمين واذا كان
الامر كذلك فسواء كانوا فقراء أو أغنياء لم يتفاوت الحال في ذلك (الثاني) كأنه عليه الصلاة
والسلام قال لهم انكم لما ظنتم انى طواهر الامور وجدتمونى فقيراً وظنتم انى انما
اشتغلت بهذه الحرفة لا توسل بها الى أخذ أموالكم وهذا الظن منكم خطأ فأتى لأسئلكم
على تبليغ الرسالة أجزان أجرى الاعلى رب العالمين فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين
بسبب هذا الظن الفاسد (والوجه الثالث) في تقرير هذا الجواب انهم قالوا ما نراك
الابشرا مثلاً الى قوله وما نرى لكم علينا من فضل فهو عليه السلام بين انه تعالى أعطاه
أنواعاً كثيرة توجب فضله عليهم ولذلك لم يسع في طلب الدنيا وانما يسع في طلب الدين
والاعراض عن الدنيا من أمهات الفضائل باتفاق الكل فلهذا المراد تقرير حصول
الفضيلة من هذا الوجه فاما قوله وما أنا بطارد الدين آمنوا فهذا كالدليل على ان القوم
سألوه طردهم رفعاً لانفسهم عن مشاركة أولئك الفقراء روى ابن جريج انهم قالوا ان
أحببت يا نوح أن نبعثك فاطردهم فانا لانرضى بشاركتهم فقال عليه الصلاة والسلام
وما أنا بطارد الذين آمنوا وقوله تعالى حكاية عنهم انهم قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم
أراذلنا بادي الرأي كالدليل على أنهم طلبوا منه طردهم لانه كالدليل على أنهم كانوا يقولون
لواتبعك أشرف القوم لو افقتناهم ثم انه تعالى حكى عنه انه ما طردهم وذكر في بيان
ما يوجب الامتناع من هذا الطرد أمور (الاول) انهم ملاقوا ربه وهذا الكلام يحتمل
وجوها منها انهم قالوا هم منافقون فيما أظهر واخفا تغريبهم فأجاب بان هذا الامر
ينكشف عند لقاء ربه في الآخرة ومنها انه جعله علة في الامتناع من الطرد وأراد انهم
ملاقوا ما وعدهم ربه فان طردهم استخصموني في الآخرة ومنها انه عليه السلام على
انما يجتمع في الآخرة فاعاقب على طردهم فلا جد من ينصرى ثم بين أنهم يبنون امرهم
على الجهل بالعواقب والاعتقار بالظواهر فقال ولكنى اراكم قوماً تجهلون ثم قال بعده
ويا قوم من ينصرى من الله ان طردهم افلاتذكرون والمعنى ان العقل والشرع تطابقا
على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر التقي ومن اهانة الفاجر الكافر فلو قلبت القصة
وعكست القضية وقربت الكافر الفاجر على سبيل التعظيم وطردت المؤمن التقي على
سبيل الاهانة كنت على ضد أمر الله تعالى وعلى عكس حكمه وكنت في هذا الحكم على
ضد ما أمر الله تعالى من إيصال الثواب الى المحققين والعقاب الى المبطلين وحينئذ اصبر
مستوجباً للعقاب العظيم فمن ذا الذى ينصرى من الله تعالى ومن الذى يخلى عنى من عذاب

عليه الصلاة والسلام نذر الان الآن دعوته عليه الصلاة والسلام كلت بطريق الانذار فقط ألا يرى الى قوله تعالى قفلت
استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً الخ بل لانهم لم يغيثوا مفاتيح اشارة عليه الصلاة والسلام
(مبين) أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور للجردا التوبيخ والازعاج بل للحدز
منه فينبغي صفة بلاكلا وصفه (ألا تعبدوا الا الله) أى بأن لا تعبدوا على أن مصدرية والياء متعلقة بارسلا

والله أعلم بما أرسلنا مبشرين بآياتهم من ربهم عن الشرك الآية وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه الصلاة والسلام وهو كونه نذيراً مبيناً ليكون أدخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لتلايف بين الكتاب ومضمونه بما ليس من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو بنذيراً ومفعول مبين وعلى قراءة الفتح بدل من أنى لكم نذير مبين وتعين لما يوجب وقوع المحذور وتبين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله ﴿ ٧٨ ﴾ تعالى (أنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) تعليل

لموجب النهي وتصریح بالمحذور وتحقيق للأنذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالآليم على الاستناد المجازي للبالغة يلقى نهاره صائم وهذه المقابلة وما في معناها بما قاله عليه الصلاة والسلام في أثناء الدعوة على ما عرى إليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه الصلاة والسلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسل المقارن لها وأقول لقد بعد جوابهم المنعروض حوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام بعد تناولها بالغاء التعقيبه قليل فقال الملا الذين كفروا من قومه أى الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا أى مطبق له لانهم ملوا كتابات الامور ولا نهم ملوا لقلوب هبة والمجالس أبهة ولا نهم ملوا بالاحلام الآراء الصائبة ووصفهم بكفر لنهم والتسجيل عليهم

الله افلا تدرون فعملون ان ذلك لا يصح ثم أكد هذا البيان بوجه ثالث فقال ولا أقول لكم عندى خزائن الله اى كالا سالككم فكذلك لادعى انى املك ما لا ولاى غرض فى المال لا أخذاً ولا دفعاً ولا اعلم الغيب حتى أصل به الى ما أريد لنفسى ولا اتباعى ولا أقول انى ملك حتى اتعظم بذلك عليكم بل طر بى الخضوع والتواضع ومن كان هذا شأنه وطريقه فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلاطين وانما شأنه طلب الدين وسبرته مخالطة الخاضعين والخاصين فلما كانت طريقتى توجب مخالطة الفقراء فكيف جعلتم ذلك عيباً على من اتمه أكد هذا البيان بطريق رابع فقال ولا أقول للذين تردى أعينكم لن يوتيهم الله خيراً الله أعلم بما فى أنفسهم وهذا كالدلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى التفاق فقال انى لا أقول ذلك لانه من باب الغيب والغيب لا يعلمه الا الله فربما كان باطنهم كظايرهم فيؤتيهم الله ملك الآخرة وأكون كاذباً فيما أخبرت به فانى ان فعلت ذلك كنت من الظالمين لنفسى ومن الظالمين لهم فى وصفهم بانهم لا يحيرهم مع ان الله تعالى آتاهم الخيرة فى الآخرة (المسئلة الثانية) احتج قوم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء وقالوا ان الانسان اذا قال أنا لادعى كذا وكذا فهذا انما يحسن اذا كان ذلك الشئ اشرف من أحوال ذلك القائل فلما كان قائل هذا القول هو نوح عليه السلام وجب أن تكون درجة الملائكة أعلى واشرف من درجات الانبياء ثم قالوا وكيف لا يكون الامر كذلك والملائكة داوموا على عبادة الله تعالى طول الدنياء من خلقوا الى أن تقوم الساعة وتام التقرير ان الفضائل الحقيقية الروحانية ليست الا ثلاثة أشياء (اولها) الاستغناء المطلق وجرى العادة فى الدنيا أن من ملك المال الكثير فانه يوصف بكونه غنياً وقوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله اشارة الى أنى لادعى الاستغناء المطلق (وثانيها) العلم التام واليه الاشارة بقوله ولا اعلم الغيب (وثالثها) القدرة اتامة الكاملة وقد تقرر فى الخواطر أن اكمل المخاوفات فى القدرة والقوة هم الملائكة واليه الاشارة بقوله ولا أقول انى ملك والمقصود من ذكر هذه الامور الثلاثة بيان انه ما حصل عندى من هذه المراتب الثلاثة الا ما يليق بالقوة البشرية والطاقة الانسانية فاما الكمال المطلق فانا لادع به واذا كان الامر كذلك فقد ظهر أن قوله ولا أقول انى ملك يلى على انهم اكمل من البشر وايضا يمكن جعل هذا الكلام جواباً عما ذكره من الشبهة فانهم طعنوا فى اتباعه با فقر فقال ولا أقول لكم عندى خزائن الله حتى اجعلهم اغنياء وطعنوا فيهم ايضا بانهم منافقون فقال ولا اعلم الغيب حتى اعرف كيفية باطنهم وانما جرى الاحوال على الظواهر وطعنوا فيهم بانهم قد باتون بافعال لا يكذبني فقال ولا أقول انى ملك حتى اكون مبراً عن جميع الدواعى الشهوانية والبواعث النفسانية (المسئلة الثالثة) احتج قوم بهذه الآية على صدور الذنب من الانبياء فقالوا ان هذه الآية دلت على ان طرد المؤمنين اطلب مرضاة الكفار من اصول المعاصي ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم طرد

ذلك من أول الامر لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة (ما تارك الا بشرى مثلاً) مرادهم ما أنت الا بشرى ﴿ فقراء ﴾ ثلث ليس فيك منية تنخصك من دوننا بما ندعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لأن ذلك محتمل ولكن لاراه وكذا الحال قولهم (وما تارك اتباعك الا الذين هم أراذلتنا بادى الرأى) فالغعلان من رؤى العين وقوله تعالى الا بشرى مثلاً حال من المفعول كذا قوله اتبعك فى موضع الحال منه اما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من رواية القلت

هو الظاهر فيها القول الثاني وتعلق الرأي في الأول بالثبوت لا بالشبهة فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع حجة الظاهر وأصرارهم عليه اذ بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعدا لتأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصرنا على ذكر الظن فيمأسا في وثور ايضا من أول الامر برأى المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من أنه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته وانتم ﴿ ٧٩ ﴾ اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا أن هو لا أراذلنا

أى اخسأنا وأدانينا جمع
أرذل فانه صار بالغلبة جاريا
بحرى الاسم كالكبر والاكابر
أوجع أرذل كأكاب وأكلب
كلب يعنون أنه لا عبرة باتباعهم
لك اذ ليس لهم رزائة عقل
ولا اصاله رأى وقد كان ذلك
منهم في بادى رأى أى ظاهرة
من غير تعمق من البدأ وفى أوله
من البدء والياء مبدلته من الهمة
لانكسار ما قبلها وقد قرأه
ابو عمر وبها واتصا به
على الظرفية على حذف المضاف
أى وقت حدوث بادى رأى
والعامل فيه اتبعك وانما استر
ذلهم مع كونهم أولى الالباب
الراحة لفقرهم فانهم لم يعلموا
الاطاهر الحياة الدنيا كان
الاشرف عندهم الاكثر منها
حظا والارذل من حرما
ولم يفقهوا أن ذلك لا ين عند الله
جناح بعوضه وأن النعم انما هو
نعم الاخرة والاشرف من فاز به
والارذل من حرمة نعوذ بالله
تعالى من ذلك (وما نرى لكم)
أى لك ولتبعك فغلب المخاطب
على الغائبين (علينا من فضل)
يعنون ان اتباعهم لك لا يدل
على نبوتك ولا يجديهم فضيلة
تستطيع اتباعنا لكم واقتصارهم

قراء المؤمنين اطلب مرضاة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون
ر بهم بالفداء والعشى يريدون وجهه وذلك يدل على اقدام محمد صلى الله عليه وسلم على
الذنب والجواب يحمل الطرد المذكور في هذه الآية على الطرد المطلق على سبيل التأييد
والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم على التقليل في أوقات معينة لرعاية
المصالح (المسئلة الرابعة) احتج الجبائي علانه لا يجوز الشفاعة عند الله في دفع العقاب
بقول نوح عليه السلام من نصرتنى من الله ان طردتهم معناه ان كان هذا الطرد محرما
فمن ذا الذى نصرتنى من الله أى من الذى يخلصنى من عقابه ولو كانت الشفاعة
جائزة لكانت في حق نوح عليه السلام أيضا جائزة وحيث يبطل قوله من نصرتنى من الله
واعلم ان هذا الاستدلال يشبه استدلالهم في هذه المسئلة بقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى
نفس عن نفس شيئا في قوله ولا هم نصرون والجواب المذكور هناك هو الجواب عن هذا
الكلام * قوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما وعدنا ان كنت
من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصيحى ان أردت
ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم ان الكفار لما أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه السلام عنها
بالجوابات الموافقة الصحيحة أورد الكفار على نوح كلامين (الاول) أنهم وصفوه بكثرة
المجادلة فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد
أكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا
يدل على ان الجدال في تقرير الدلائل وفي ازالة الشبهات حرفة الانبياء وعلى ان التقليد
والجهل والاصرار على الباطل حرفة الكفار (والثاني) أنهم استجلبوا العذاب الذى كان
يتوعدهم به فقالوا فأتنا بما وعدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه السلام أجاب عنه
بجواب صحيح فقال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين والمعنى أن ازال العذاب
ليس الى وانما هو خلق الله تعالى في فعله ان شاء كما شاء واذا أراد ازال العذاب فان أحدا
لا يجزمه أى لا يمنعه منه والمجزم هو الذى يفعل ما عنده لتعذر مراد الغير فيوصف بأنه أعجز
فقوله وما أنتم بمعجزين أى لا سبيل لكم الى فعل ما عنده فلا يمنع على الله تعالى ما يشاء من
العذاب ان أراد ازاله بكم وقد قيل معناه وما أنتم بمانعين وقيل وما أنتم بمصونين وقيل
وما أنتم بسابقين الى الخلاص وهذه الاقوال متقاربة واعلم ان نوحا عليه السلام لما أجاب
عن شبهاتهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة فقال ولا ينفعكم نصيحى ان أردت ان أنصح لكم أى
ان كان الله يريد أن يغويكم فانه لا ينفعكم نصيحى البتة واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن
الله تعالى قدير يد الكفر من العبد وأنه اذا أراد منه ذلك فانه يمنع صدور الايمان منه
قالوا ان نوحا عليه السلام قال ولا ينفعكم نصيحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد
أن يغويكم والتقدير لا ينفعكم نصيحى ان كان الله يريد أن يغويكم ويضلكم وهذا صريح

ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصریحهم بذاتهم فيما يسبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومراهم
انهم كانوا أرذل قبل اتباعهم لك ولا يرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا (بل نظنكم كاذبين) جميعا لكون
كلامكم واحدا ودعواكم واحدة اوبالك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم
عن نسبتهم الى المجازفة ومجازاة معه عليه الصلاة والسلام بطريق الإرادة على نهج الانصاف

(قال يا قوم أرايتم) إلى أخبروني وفيه إيماء إلى ركائز رأيهم المذكور (أن كنت على بينة) برهان ظاهر (من ربي) وشاهد يشهد بصحة دعواي (وأنا في رحمة من عنده) هي النبوة ويجوز أن تكون هي البينة نفسها حتى بها ائذنا بأننا مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه أفراد الضمير في قوله تعالى (فعميت عليكم) حيث ظاهر وإن أراد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالأفراد ٨٠ لا إرادة كل واحدة منها ولكن الضمير

للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة والتقدير قول آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الاعشى لا يمتدنى ولا يهدى غيره وفي قراءة أبي فمماها عليكم على الاستناد إلى الله عز وجل (أنزلكموها) أي أنكرهم على الاعتداء بها وهو جواب رأيهم وسادس جواب الشرط وقرأ أبو عمرو بالخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرافهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى نسيتكم الله (واتم لها كارهون) لانتخارونها ولا تاملون فيها ومحصول الجواب أخبروني أن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عندكم كما يمكن أن نكرهم على قبولها واتم معروض عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك وظاهره مشهور بمصدوره عنه عليه الصلاة والسلام بطريق اظهار الالباس عن الزامهم والتعود عن مجازتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي

في مذهبا أما المعتزلة فإنهم قالوا ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى أن أراد اغواء القوم لم ينفعوا بنصح الرسول وهذا مسلم فأننا نعرف أن الله تعالى لو أراد اغواء عبده فانه لا ينفعه نصيحنا صحبين لكن لم قلتم أنه تعالى أراد هذا الاغواء فان النزاع ما وقع الا فيه بل نقول أن نوحا عليه السلام انما ذكر هذا الكلام ليدل على أنه تعالى ما أغواهم بل فوض الاختيار اليهم وبينه من وجهين (الاول) أنه عليه السلام بين أنه تعالى لو أراد اغواءهم لما بين في النصيحة فائدة فلو لم يكن فيه فائدة لما أمر به بل ينصح الكفار وأجمع المسلمون على أنه عليه السلام ما موز بدعوة الكفار ونصيحتهم فقلنا أن هذا النصيح غير خال عن الفائدة واذالم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما أغواهم فهذا صار حجة لنا من هذا الوجه (الثاني) أنه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى اغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم إتيانهم بالإيمان ولصار نوح منقطعاً في مناظرتهم لانهم يقولون لك سلت أن الله اذا أغوا فانه لا يبيح في نصيحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة فاذا ادعيت بأن الله تعالى قد أغوا فانا فقد جعلتنا معذورين فليبررنا قبول هذه الدعوة فثبت أن الأمر لو كان كما قاله الخصم لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام ومعلوم أن نوحا عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاما يصير بسببه مقحما ملزما عاجزا عن تقرير حجة الله تعالى فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية لا تدل على قول المجبرة ثم انهم ذكروا وجوها من التأويلات (الاول) أو أنك الكفار كانوا مجبرة وكانوا يقولون أن كفرهم بإرادة الله تعالى فعند هذا قال نوح عليه السلام أن نصيحة لا ينفعهم أن كان الأمر كما قالوا ومثاله أن يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد لا أقدر على غير ما أنا عليه فيقول الوالد فلن ينفك إذا نصحتي ولا زجرى وليس المراد أنه يصدق على ما ذكره بل على وجه الإنكار لذلك (الثاني) قال الحسن معنى يغويكم أي يعذبكم والمعنى لا ينفعكم نصحي اليوم اذا نزل بكم العذاب فأنتم في ذلك الوقت لأن الإيمان عند نزول العذاب لا يقبل وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتهم قبل مشاهدة العذاب (الثالث) قال الجبائي أن الواية هي الخيبة من الطلب بدليل قوله تعالى فسوف يلقون غيا أي خيبة من خير الآخرة قال الشاعر * ومن يغو لا يعدم على الغي لأما * (الرابع) أنه اذا أمر على الكفر وعمادي فيه منعه الله تعالى اللطاف وفوضه إلى نفسه فهذا شبه ما اذا أراد اغواءه فلهذا السبب حسن أن يقال أن الله تعالى أغوا هذا جملة كانت المعتزلة في هذا الباب والجواب عن أمثال هذه الكلمات قد ذكرناه مرارا وأطوارا فلا فائدة في الإعادة (المسئلة الثانية) قوله ولا ينفعكم نصحي أن أردت أن أنصح لكم أن كان الله يريد أن يغويكم جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي أن يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لأن الرجل اذا قال لا أمر أنه أنت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم كون ذلك الطلاق من لوازم ذلك الدخول فاذا ذكر بعده شرطا آخر مثل أن يقول أن أكلت الخبز كان المعنى أن تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط

الحل لكنه محمول على أن مراده عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر ﴿مقدم﴾ فيها بصرف الإنكار إلى الإلزام حال كراهتهم لها إلى الإلزام مطلقا وهذا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبسببه يتنازأ أفراد البشر بعضها من بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتناب للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن الضمير للبينة عدم ادراكهم

لذكره عليه الصلاة والسلام عليها وبالرجة الذبوة التي أنكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم وكانوا
 انكم زعمتم أن عهد النبوة لا يتأله الا من له فضيلة على سائر الناس مستتعة لاختصاصه به دونهم أخبروني أن امتز
 عنكم زيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فحققت عليكم تلك الميزة ولم تصيبوها ولم
 تنالوها ولم تعملوا حيازتي لها وكوني عليها الى الآن ٨١ حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انزلكم

قبول نبوتي التسابعة لها
 والحال أنكم كارهون لذلك
 فيكون الاستغفار للحمل
 على الاقرار وهو الانسب بمقام
 الحاجة وحينئذ يكون الكلام
 عليه الصلاة والسلام جوابا
 عن شبههم التي ادرجوها
 في خلال مقالهم من كونه
 عليه السلام بشرا قصارى
 أمره أن يكون مثلهم من
 غير فضل له عليهم وقطعا
 لشأفة آرائهم الركيكة
 (واقوم لأسألكم عليه) أي
 على ما قلته في أثناء دعوتكم
 (مالا) تؤدونه الى بعدايمانكم
 واتباعكم لي فيكون ذلك
 أجر لي في مقابلة اهتدائكم
 (ان اجري الاعلى الله) الذي
 يشيئ في الآخرة وفي التعبير
 عنه حين نسب اليهم بالمال
 مالا يخفى من المزية (وما أنا
 بطارد الذين آمنوا) جواب
 عما حواه به بقولهم وما زارك
 اتبعك الا الذين هم أراذلنا من
 أنه لو اتبعه الاشراف لو افقوهم
 وأن اتبع الفقراء مانع لهم
 عن ذلك كما صرحوا به في
 قولهم أنؤمن لك واتبعك
 الارذلون فكان ذلك التماسا
 منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به

مقدم على المشروط في الوجود فلي هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك
 الشرط الاول اما ان لم يوجد الشرط المذكور الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط
 الاول هذا هو التحقيق في هذا التركيب فلهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر
 في اللفظ مقدم في المعنى والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى واعلم أن نوحا عليه السلام لما قرر
 هذه المعاني قال هوربكم واليه ترجعون وهذا نهاية الوعيد أي هو الهكم الذي خلقكم
 وربكم وبذلك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت وبعد الموت
 مرجعكم اليه وهذا في نهاية التحذير قوله تعالى (أم يقولون افتراء قل ان افتريته
 فعلى اجرامى وأنا برى مما يجرمون) اعلم أن معنى افتراء اختلقه وافعله وجاء به من
 عند نفسه والهاء ترجع الى الوحي الذي بلغه اليهم وقوله فعلى اجرامى الاجرام افتراح
 المحظورات واكتسابها وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلى عقاب اجرامى
 وفي الآية محذوف آخر وهو ان كنت افتريته فعلى عقاب جرمي وان كنت
 صادقا وكذبتوني فعلى عقاب ذلك التكذيب الا أنه حذف هذه البقية لدلالة الكلام
 عليه كقوله آمن هو فانت آمنه الدليل ولم يذكر البقية وقوله وأنا برى مما يجرمون أي
 أنا برى من عقاب جرمكم وأكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح عليه السلام
 وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في أثناء حكاية نوح وقولهم بعيد
 جدا أو أيضا قوله قل ان افتريته فعلى اجرامى لا يدل على أنه كان شاكا لأنه قول يقال
 على وجه الاستعارة عند اليأس من القبول * قوله تعالى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من
 قومك الا من قدام فلا تبأس بما كانوا يفعلون) فيد مسائل (المسئلة الاول) قال ابن
 عباس رضى الله عنهما لما جاء هذا من عند الله تعالى دعا على قومه فقال رب لا تذر على
 الارض من الكافرين ديارا وقوله فلا تبأس أي لا تحزن قال أبو زيد ابتأس الرجل
 اذا بلغه شئ يكرهه وأشد أبو عبيدة

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس * به وأقعد كرميانا نعم الببال

أي غير حزين ولا كاره (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم
 في القضاء واشدروا قالوا انه تعالى أخبر عن قومه أنهم لا يؤمنون بعد ذلك فلو حصل
 ايمانهم لكان امامهم بقاء هذا الخبر صدقا وم بقاء هذا العلم علما أو مع انقلاب هذا الخبر
 كذبا وم انقلاب هذا العلم جهلا والاول ظاهر البطلان لان وجود الايمان مع أن
 يكون الاخبار عن عدم الايمان صدقا وم كون العلم بعدم الايمان حاصلا حال وجود
 الايمان جمع بين التقيضين والثاني ايضا باطل لان انقلاب خبر الله كذبا وعلم الله جهلا
 محال ولما كان صدور الايمان منهم لا بد وأن يكون على هذين القسمين وثبت ان كل
 واحد منهما محال كان صدور الايمان منهم محال مع أنهم كانوا أموريين به وأيضا القوم
 كانوا أموريين بالايمان ومن الايمان تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه ومنه قوله انه

عليه الصلاة والسلام ١١ خا بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد (أنهم ملاقور بهم) تعليل لامتناعه عليه
 السلام عن طردهم أي أنهم فائزون في الآخرة ببقاء الله عز وجل كانه قبل لأطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لانهم مقررون في
 حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لثبوت وجوب ربانيتهم وتحت امتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا ببقاء ربهم
 موثقون به كالون أنهم ملاقور لمخالفة فكيف أطردهم وحله على معنى أنهم بلا قوته فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح

تأبى كطهرى او على خلاف ذلك مما تقرر فونهم به من بناء ايمانهم على بادية الرأى من غير نظر وتفكر وما على انما شق
عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كاترعون باباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على
طردهم كاسياتى وايضافهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادية الرأى بل انما لم يتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا
لاطرديك الدنيا وللايموء اخذة في الآخرة غايته أن ﴿ ٨٢ ﴾ لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء أن بناء الايمان على

ظواهر الرأى يؤدى الى
الرجوع عنه عند التأمل
فكانت لهم قالوا انهم اتبعوك
لانما لم فلا يثبتون على دينك بل
يردون عنه تفسف لا يخفى
(ولكي اراكم قوما تجهلون)
بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل
فيه جهلهم بلفاء الله عز وجل
وبما يتوهم عنده وباسيحاب
طردهم لغضب الله كاسياتى
وبر كاتر ايمانهم في التماس
ذلك وتوقف ايمانهم عليه
أنفة عن الانضمام معهم في سلك
واحد ووزعماءهم أن الرذالة
بالفقر والشرف باعنى واثار
صيغة الفعل للدلالة على التجدد
والاستمرار أو تنسافهون
على المؤمنين بنسبتهم
الى الخساسة (ويا قوم من
ينصرتنى من الله) بدفع حلول
سخطه عنى (ان طردهم)
فان ذلك أمر لا مرد له لكون
الطردهم ظلما وجبالا لول السخط
قطعا وانما لم يصرح به اشعارا
بأنه غنى عن البيان لاسيما غمما
قدم ما يلوح به من أحوالهم
فكانت قيل من دفع عنى
غضب الله تعالى أن طردهم
وهم تلك المثابة من الكرامة
والرافى كايمن عنه قوله تعالى

ان يؤمن من قومك الا من قدام فيلزم أن يقال انهم كانوا مأمورين بأن يؤمنوا بانهم
لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بالجمع بين التبيين وتقرير هذا الكلام قدم في هذا
الكتاب مرارا وأطوارا (المسئلة الثالثة) اختلفت المعتزلة في أنه هل يجوز أن ينزل الله
تعالى عذاب الاستئصال على قوم كان في المعلوم أن فيهم من يؤمن أو كان في أولادهم
من يؤمن فقال قوم انه لا يجوزوا احتجوا بما حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا وهذا يدل على أنه انما حسن منه تعالى ازالة عذاب الاستئصال عليهم
لاجل أنه تعالى علم أنه ليس فيهم من يؤمن ولا في أولادهم أحد يؤمن قال القاضي وقال
كثير من علمائنا ان ذلك من الله تعالى جائز وان كان منهم من يؤمن وأما قول نوح عليه
السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فذلك يدل على أنه انما سأل ذلك من
حيث انه كان في المعلوم أنهم يضلون عبادك ولا يلدون الا فاجرا كفارا وذلك يدل على أن
ذلك الحكم كان قولا بجموع هاتين العلتين وايضا فلا دليل فيه على انها لولم يحصل
لما جاز ازالة الاهلاك والاقرب أن يقال ان نوحا عليه السلام لشدة محبته لايانهم كان
سأل ربه أن يبقهم فأعلم أنه لا يؤمن منهم أحد ليزول عن قلبه ما كان قد حصل فيه من
ذلك المحبة ولذلك قال تعالى من بعد فلا تنس بما كانوا يفعلون أى لا تحزن من ذلك
ولا تنقم ولا تنظن أن في ذلك مذلة فان الدين عزيز وان قل عدد من تمسك به وبالباطل دليل
وان كثرة عدد من يقول به * قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغفون) واعلم أن قوله تعالى انه ان يؤمن من قومك الا من قدام
يقتضى تعريف نوح عليه السلام أنه معذبهم ومهلكهم فكان يحتمل أن يعذبهم بوجوه
العذاب فعرفه الله تعالى أنه يعذبهم بهذا الجنس الذى هو الفرق ولما كان السبيل
الذى به يحصل النجاة من الغرق تكون السفينة لاجرم أمره الله تعالى باصلاح
السفينة واعادها فأوحى الله تعالى اليه أن يصنعها على مثال جوف الطائر فان قيل
قوله تعالى واصنع الفلك أمر ايجاب أو أمر اباحة قلنا الاظهر انه أمر ايجاب لانه
لا سبيل له الى صون روح نفسه وأرواح غيره عن الهلاك الا بهذا الطريق وصون النفس
عن الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ويحتمل أن لا يكون ذلك الامر
أمر ايجاب بل كان أمر اباحة وهو بمنزلة أن يتخذ الانسان نفسه دارا يسكنها ويقم بها
اما قوله بأعيننا فهذا لا يمكن اجراؤه على ظاهره من وجوه (أحدها) انه يقتضى
أن يكون لله تعالى أعين كثيرة وهذا يناقض ظاهر قوله تعالى واصنع على عيني (وثانيها)
أنه يقتضى أن يصنع نوح عليه السلام ذلك الفلك بلك الاعين كما يقال قطعت بالسكين
وكتبت بالقلم ومعلوم ان ذلك باطل (وثالثها) انه ثبت بالدلائل القطعية العقلية كونه
تعالى منزها عن الاعضاء والجوارح والاجزاء والابعض فوجب المصير فيه الى التأويل

(أفلا تدرون) أى استمعرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تذكر من حالهم حتى وهو
تعرفوا أن ما أتونه بعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد
أفردت عن التعليل السابق وصدرت بما قوم (ولا أقول لكم) حين أدعى النبوة (عندى خزانة الله) أى رزقه وأمواله حتى تسندلوا
بها على كذبي يقولكم وما ترى لكم علينا من فضل بل نظنكم كافرين فان النبوة أمر من أن تنال

باسباب ذنوبه وهواها فجعل عن اداء المال والجاء (ولأعلم الغيب) أي لادعي في قول أي لكم نذير مبين أي أخاف عليكم عذاب يوم أقيم علم الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستعداد (ولأقول أي ملك) حتى تقولوا ما نراك إلا بشرا مثلهنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أي لادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشئ منها ﴿ ٨٣ ﴾ وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر (ولأقول)

مساعدة لكم كما تقولون وهو من وجوه (الاول) ان معنى باعيننا أي بعين الملك الذي كان يعرفه كيف يتخذ السفينة يقال فلان عين على فلان نصب عليه ليكون متحصنا عن أحواله ولا تحول عنه عينه (الثاني) أن من كان عظيم العناية بالشئ فإنه يضع عينه عليه فلما كان وضع العين على الشئ سببا لمالعة الاحتياط والعناية جعل العين كناية عن الاحتياط فلهاذا قال المفسرون معناه بحفظنا اباك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك وحاصل الكلام ان اقدامه على عمل السفينة مشروط بأمرين (أحدهما) ان لا يمنعه أعداؤه عن ذلك العمل (والثاني) أن يكون عالما بأنه كيف ينبغي تأليف السفينة وتركيبها ودفع الشر عنه وقوله ووحينا اشارة إلى أنه تعالى يوحى إليه أنه كيف ينبغي عمل السفينة حتى يحصل منه المطلوب وأما قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم معرّفون ففيه وجوه (الاول) يعني لا تطلب مني تأخير العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح عليه السلام ذلك دعا عليهم بعد ذلك وقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (الثاني) ولا تخاطبني في تعجيل ذلك العقاب على الذين ظلموا فاني لما قضيت ازال ذلك العذاب في وقت معين كان تعجيله ممتنعا (الثالث) المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان * قوله تعالى (ويصنع الفلك وكلمهم عليه ملا من قومه يسخر وامنه قال ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) أما قوله تعالى ويصنع الفلك ففيه مستثان (المسئلة الاولى) في قوله ويصنع الفلك قولان (الاول) انه حكاية حال ماضية أي في ذلك الوقت كان يصدق عليه أنه يصنع الفلك (الثاني) التقدير وأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك (المسئلة الثانية) ذكر وافي صفة السفينة أقوالا كثيرة (فأحدها) أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وقيل في أربع سنين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الاسفل النوح وحش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جلس هو ومن كان معه مع ما احتاجوا اليه من الزاد وحل معه جسد آدم عليه السلام (وثانيها) قال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع واعلم ان أمثال هذه المباحث لا تعجبني لانها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا وكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يدل على الجانب الصحيح والذي نعلم أنه كان في السعة بحيث ينسع للمؤمنين من قومه ولما احتاجون اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر المذكور في القرآن فأما غير ذلك القدر فغير مذكور أما قوله تعالى وكلمهم عليه ملا من قومه يسخره منه ففي تفسير الملا وجهان قيل جماعة وقيل طبقة من أشرفهم وكبرائهم واختلفوا فيما لاجله كانوا يسخرون وفيه وجوه (أحدها) انهم كانوا يقولون له يا نوح كنت تدعى

مساعدتهم بالذين تزدري أعينكم) أي (الذين تزدري أعينكم) أي تفقهمهم وتحقرهم من زراه اذا عابه واسنادا لا زدرأ إلى أعينهم بالنظر إلى قولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا واما الاشعار بأن ذلك لنصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك أي لأقول في شأن الذين استرذلتوهم لغفرهم من المؤمنين (ان يؤتيهم الله خيرا) في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خيرا الدارين ان قلت هذا القول ليس مما تستكره الكفرة ولا بما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام أصالة أو استنباحا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزانة مما نفعه عليه الصلاة والسلام عن نفسه بطريق التبرؤ والتزعة عنه فمن أي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة أن كلا النفيين رد قياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا أن النبوة تستتبع الامور المذكورة وأنها لا تنسحق ممن ليس على تلك الصفات فان العنور على مكانها واغتنام مقامها ليس

من دأب الاراذل فأجاب عليه الصلاة والسلام بنفي ذلك جميعا فأكثره قال لأقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير (الله أعلم بما في أنفسهم) من الايمان وانما أقصر على نفي القول المذكور مع أنه عليه الصلاة والسلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخين في الايمان جري على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بخالفه كلامهم

وارسلناهم الى مسلط الهدي به باب الخلق اجل احد ان يثبت القول الذي سمعتموه يعني باقي اموره على المشيئة والظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة (اني اذا) أي اذا قلت ذلك (لمن الظالمين) لهم يحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعرض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واستزادهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة ٨٤ الخزان وهو بعيد لان تبعه تلك الأقوال مغنية

عن التعليل يلزم الانتظام في زمرة الظالمين (فانوا نوح جداد لنا) خاصتنا (فأكثر جدانا) أي أطلنه أو أتيته بأثامه فان اكثار الجدل يفتق بعد وقوع أصله ولذلك طفت عليه بالغاء أو أردت ذلك فأكثرته كافي قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله لاجلهم عليه الصلاة والسلام أبرز لهم بينات واضحه المداويل وحجج تلغها العقول بالتقبول وألقهم الحجر برد شبههم الباطلة ضافت عليهم الحيل وعيت بهم العنا وقالوا (فأتينا بناعدنا) من العذاب المجمل والعذاب الذي أشير اليه في قوله نأخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المرد باليوم يوم القامة (ان كنت من الصادقين) فيما تقول (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) يعني ان ذلك ليس موكولا ولا هو ما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كثرتم به وعصيتوه بأنبياءه عاجلا وأجلا ان تعلق به مشيئته لتابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعد وكانه قيل لاتبين به امر خارج عن دائرة

رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارا (وثانيها) انهم كانوا يقولون له لو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الساق (وثالثها) انهم مارأوا السفينة قبل ذلك وما عرفوا كيفية الانتفاع بها وكانوا يتعجبون منه ويسخرون (ورابعها) ان تلك السفينة كانت كبيرة وهو كان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جدا وكانوا يقولون ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى الانهار العظيمة والى البحار فكانوا يبعدون ذلك من باب السفه والجنون (وخامسها) انه لما طالت مدته مع القوم وكان يندهم بالغرق ومباشاهدوا من ذلك المعنى خيرا ولا أثر غلب على ظنونهم كونه كاذبا في ذلك المقال فلما اشتغل بعمل السفينة لاجرم سخروا منه . كل هذه الوجوه محتملة ثم انه تعالى حكى عنه انه كان يقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وفيه وجوه (الاول) التقدير ان تسخروا منا في هذه الساعة فانا نسخر منكم سخرية مثل سخر بكم اذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرى في الآخرة (الثاني) ان حكمتم علينا بالجهل فيما صنع فانا نسخر بكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله تعالى وعذابه فأنتم أول بالسخرية منا (الثالث) أن تسخروا فانا لنسخر بكم واستجها لكم أفيح وأشد لأنكم لا تستجھلون الا لاجل الجهل بحقيقة الامر والاغترار بظاهر الحال كما هو عادة الاطفال والجهال فان قيل السخرية من آثار المعاصي فكيف يليق ذلك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام قلنا انه تعالى سمي المقالة سخرية كافي قوله تعالى وجزاء ستة ستة مثلها أما قوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية ومن هو أحد عاقبة وفي قوله من يأتيه وجهان (أحدهما) أن يكون استههما بمعنى أي كانه قيل فسوف تعلمون أنبيائه عذاب وعلى هذا الوجه فعل من رفع بلا ابتداء (والثاني) أن يكون بمعنى الذي ويكون في محل النصب وقوله تعالى ويحل عليه عذاب مقيم أي يجب عليه ويترتب به . قوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور فتناحل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الاعمى سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب انكشاف حتى هي التي يتبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء ووقعت غاية لقوله ويصنع الفلك أي فكان يصنعها الى أن جاء وقت الموعد (المسئلة الثانية) الامر في قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا يحتمل وجهين (الاول) انه تعالى بين انه لا يحدث شيء الا بأمر الله تعالى كما قال انما أمرنا الشيء اذا أردنا أن نقول له كن فيكون فكان المراد هذا (والثاني) أن يكون المراد من الامر ههنا هو العذاب الموعد به (المسئلة الثالثة) في التنور قولان (أحدهما) أنه التنور الذي يخبز فيه (والثاني) أنه غيره أما الاول وهو انه التنور الذي يخبز فيه فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد وهو لا ، اختلفوا فهم من قال انه تنور لنوح عليه السلام وقيل كان لا دم قال الحسن كان

لقوى البشر به وانما يفعله الله عز وجل (وما أنتم بمعجزين) بالهرب أو بالدفاع فكلمات فغوتى تنورا * الكلام (ولا يفتعكم نصحي) انصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته المحاض ارادة الخير والدلال عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع النبي ليقى وموضع الرشد ليقنى (ان أردت أن أنصح لكم) شرط حذف بوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان أردت أن أنصح لكم لا يفتعكم نصحي وهذه الجملة

دليل على ما حكي من جواب قوله تعالى (ان كان الله يريد أن يغويكم) والتقدير ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن يغويكم لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزء على الشرط وأما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وجل ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام ٨٥ متعلق بقولهم قد جادلنا فأكثرت جدنا مصدر رغبة عليه الصلاة

والسلام اظهارا للجزع عن الزامهم بالحج والنبات لثماذهم في العنادوا يذنا بأن ماسبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين ومحاض النصيح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصيح بارادته مع أنه محقق لاحالة الايدان بأن ذلك النصيح منه مقارن للارادة والاهتمام به والتحقيق المقاتلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم بمبالغة في بيان غلبة جنبه عز وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للشاعر تقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمها رتبة واللدلالة على تجردها

تنورا من جارة وكان لحواء حتى صار لنوح عليه السلام واختلفوا في موضعه فقال الشعبي انه كان بناحية الكوفة وعن علي رضي الله عنه أنه في مسجد الكوفة قال وقد صلى فيه سبعون نيا وقيل بالشام موضع يقال له عين وردان وهو قول مقاتل وقيل فالالتور بالهند وقيل ان امرأته كانت تخبز في ذلك التور فأخبرته بخروج الماء من ذلك التور فاشتغل في الحال بوضع تلك الاشياء في السفينة (القول الثاني) ليس المراد من التور تنور الخبز وعلى هذا التقدير ففيه أقوال (الاول) أنه انفجر الماء من وجه الارض كما قال فقبحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر والعرب تسمى وجه الارض تنورا (الثاني) ان التور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقد أخرج اليه الماء من ذلك الموضع ليكون ذلك معجزة له وأيضاً المعنى انه لما نبع الماء من أعلى الارض ومن الامكنة المرتفعة فسبغت لارتفاعها بالتناثر (الثالث) فال التور أى طلع الصبح وهو منقول عن علي رضي الله عنه (الرابع) فال التور يحتمل أن يكون معناه اشتد الامر كما يقال حي الوطيس ومعنى الآية اذارأيت الامر يشتد الماء بكثرة فأنج بنفسك ومن معك الى السفينة فان قيل فما الاصح من هذه الاقوال قلنا الاصل حل الكلام على حقيقته ولفظ التور حقيقة في الموضع السنى يخبر فيه فوجب حل اللفظ عليه ولا امتناع في العقل في أن يقال ان الماء نبع أولا من موضع معين وكان ذلك الموضع تنورا فان قيل ذكر التور بالالف واللام وهذا انما يكون معهود سابق معين معلوم عند السامع وليس في الارض تنور هذا شأنه فوجب أن يحمل ذلك على ان المراد اذارأيت الماء يشتد نيوعده والامر يقوى فأنج بنفسك ومن معك قلنا لا يبعد أن يقال ان ذلك التور كان معلوما لنوح عليه السلام بان كان تنور آدم أو حواء أو كان تنورا عينه الله تعالى لنوح عليه السلام وعرفه انك اذارأيت الماء يغور فاعلم أن الامر قد وقع وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى صرف الكلام عن ظاهره (المسئلة الرابعة) معنى فاربع على قوة وشدة تهيئها بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة في أن نفس التور لا يغور فالمراد فالر الماء من التور والذي روى أن فور التور كان علامة لهلاك القوم لا تمتنع لان هذه واقعة عظيمة وقد وعد الله تعالى المؤمنين النجاة فلا بد وأن يجعل لهم علامة بها يعرفون الوقت المعين فلا يبعد جعل هذه الحالة علامة لحدوث هذه الواقعة (المسئلة الخامسة) قال الليث التور لفظه عمت بكل لسان وصاحبه تنار قال الازهرى وهذا يدل على ان الاسم قد يكون أعجميا فعر به العرب فيصير عربيا والدليل على ذلك ان الاصل تنار ولا يعرف في كلام العرب تنور قبل هذا ونظيره ما دخل في كلام العرب من كلام الجهم الديباج والدينار والسندس والاستبرق فان العرب لما تكلموا بهذه الالفاظ صارت عربية واعلم أنه لما فار التور فقد ذلك أمر الله تعالى بأن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء (فالاول) قوله قلنا اجل

واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأنبأنا بعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من أول الامر ونسجلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقبل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى التفصيل غوى اذا بشم وهلك (هو يركم) خالقكم ومالك أمركم (والله ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم لا بحالة

حالاً من منبره أعنى قوله تعالى (وكلمهم عليه ملا من قومه مخزوا منه) استهزأ به لعملة السفينة أما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه وأمالانه كان يصنعها في ربة بها في أبعدمومض من الماء وفي وقت عرته عزة شددوا كانوا يتضحكون ويقولون يا نوح صرت نجاراً بعدما كنت نبياً وقيل لانه عليه الصلاة والسلام كان ينذرهم الفرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا أثر اعدوه ﴿٨٨﴾ من باب الحال ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك

فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكاراً أن يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة جيدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجها له عليه السلام في ذلك (قال ان تسخروا منا) مستجهلين لنا فيما نحن فيه (فانا نسخر منكم) أي نستجهدكم فيما أنتم عليه واطلاق السخر به عليه للمشاكله وجمع الضمير في منا اما لان سخر بهم منه عليه الصلاة والسلام سخر به من المؤمنين أيضاً ولانهم كانوا يسخرون منهم أيضاً الا أنه اكنى بذكر سخر بهم منه عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للجماعة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فكأن الكلام من الجانبين يتعلق استجها له عليه الصلاة والسلام ايهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه الصلاة والسلام ايهم بذلك والافعه عليه الصلاة والسلام ايهم جاهلين فيما باتون ويدرون من مطرد لا تعلق له بسخر بهم منهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى

عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجر بها ومرتساها ليس الا بسم الله وأمره وقدرته (فالغنى الاول) بشرى الى أن الانسان لا ينبغي أن يشرع في أمر من الأمور الا ويكون في وقت الشروع فيه ذاكر الاسم الله تعالى بالاذكار المقدسة حتى يكون ببركة ذلك الذكر سببا لتتمام ذلك المقصود (والثاني) يدل على انه لما ركب السفينة أخبر القوم بأن السفينة ليست سببا لحصول النجاة بل الواجب بطا الهمة وتعلق القلب بفضل الله تعالى وأخبرهم أنه تعالى هو المجرى والمرسى للسفينة فباكم أن تعولوا على السفينة بل يجب ان يكون تعولكم على فضل الله فانه هو المجرى والمرسى لها فلي التقدير الاول كان نوح عليه السلام وقت ركوب السفينة في مقام الذكر وعلى التقدير الثاني كان في مقام انكسر والبراءة عن الحول والقوة وقطع النظر عن الاسباب واستغراق القلب في نور جلال مسبب الاسباب واعلم أن الانسان اذا تفكر في طلب معرفة الله تعالى بالدليل والجهة فكأنه جلس في سفينة التفكير والتدبر وامواج الظلمات والضلالات قد علت تلك الجبال وارتفعت الى مصاعد الفلال فاذا ابتدأت سفينة الفكرة والروية بالحركة وجب أن يكون هناك اعتماد على الله تعالى وتضرعه الى الله تعالى وان يكون بلسان القلب ونظر العقل يقول بسم الله مجر بها ومرتساها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل النجاة وتخلص عن أمواج الضلالات واما قوله ان ربى لغفور رحيم فعبه سؤال وهو أن ذلك الوقت وقت الاهلاك واظهار انقهر فكيف يليق به هذا الذي كرو جوابه لعل القوم الذين ركبو السفينة اعتقدوا في أنفسهم انانا نجونا ببركة علمنا فانه تعالى بهم هذا الكلام لازالة ذلك العجب منهم فان الانسان لا يفلح عن أنواع الزلات وطمبات الشهوات وفي جميع الأحوال فهو محتاج الى ائانة الله وفضله واحسانه وان يكون رحيما لغفور الله * قوله تعالى (وهي تجرى بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل بعضنى من الماء قال لا عامم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المرفقين) واعلم ان في قوله وهي تجرى بهم في موج كالجبال مسائل (المسئلة الاولى) قوله وهي تجرى بهم في موج متعلق بالتقدير وقال اركبو فيها فركبوها يقولون بسم الله وهي تجرى بهم في موج كالجبال (المسئلة الثانية) الامواج العظيمة انما تحدث عند حصول الرياح القوية الشديدة العاصفة فهذا يدل على انه حصل في ذلك الوقت رياح عاصفة شديدة والمقصود منه بيان شدة الهول والفرع (المسئلة الثالثة) الجريان في الموج هو أن تجرى السفينة داخل الموج وذلك يوجب الفرق فالمراد أن الامواج لما أحاطت بالسفينة من الجوانب شبت تلك السفينة بما اذا جرت في داخل تلك الامواج * ثم حكى الله تعالى عنه انه نادى ابنه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أنه هل كان ابنا له وفيه أقوال (الاول) انه ابنه في الحقيقة والدليل عليه انه تعالى

لاظهاره جربا على فمخج الاخلاق الجيدة وانما أظهره جربا بما صنعوا بعد التيا والتي فان سخر بهم كانت مستمرة ﴿نص﴾ ومتجددة حسب تجديد مرورهم عليه ولم يكن يجبرهم في كل مرة والا قيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما أجابهم بعد بلوغ أذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكان سائلا سال فقال فامنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تسبوننا فيما نحن بصدد

من التاهب والمباشرة لأسباب الخلاص من العذاب إلى الجهل وتسخروا مثلاً لاجله فإننا نسبكم إليه فيما أنتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالآيمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جهتها استجبه لكم إيماناً وسخر بكم منكم والتشبيه في قوله تعالى (كأنهم سخرون) أما في مجرد التحقق والوقوع أو في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملائكة في الكيفيات والاحوال ﴿ ٨٩ ﴾ التي لا تليق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام فكلاً الأمرين واقع

في الحال وقيل تسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخر بكم إذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرق في الآخرة ولعل مراده تعاليمكم معاملة من يفعل ذلك لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداده لأن حالهم اذذاك ليس بما يلائم السخرية أو ما يجري مجراها فأم (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) وهو عذاب الفرق (ويحمل عليه) حلول الدين المؤجل (عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو تهديد ببلع ومن عبارة عنهم وهي أما استغفامية في حيز الرفع أو موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مقعولين أو مقعول واحدان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخر بتم استجها لهم إياه عليه الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذاباً قيل بعد استجها لهم فسوف

نص عليه فقال ونادى نوح ابنه نوح أيضاً نص عليه فقال يا بني وصرف هذا اللفظ إلى أنه به فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقة إلى مجازة من غير ضرورة وأنه لا يجوز والذين خالفوا هذا الظاهر إنما خالفوه لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً وهذا بعيد فإنه ثبت أن والدرس لو ناصلي الله عليه وسلم كان كافراً والدا إبراهيم عليه السلام كان كافراً بنص القرآن فكذلك ههنا القائلون بهذا القول اختلفوا في أنه عليه السلام لما قال رب لا تدرك على الأرض من الكافرين دناراً فكيف ناداهم بكفره فأجابوا عنه من وجوه (الاول) أنه كان ينافق أباه فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما أحب نجاته (والثاني) أنه عليه السلام كان يعلم أنه كافر لكنه ظن أنه لما شاهد الفرق والاهوال العظيمة فإنه يقبل الآيمان فصار قوله يا بني اركب معنا كالدلالة على أنه طلب منه الآيمان وتأكد هذا بقوله ولا تكن مع الكافرين أي تابعهم في الكفر واركب معنا (والثالث) أن شفقة الأبوة لعلها جعلت على ذلك النداء والذي تقدم من قوله الأمن سبق عليه القول كان كالمجمل فلهذا عليه السلام جوز أن لا يكون هو ذا خلافيه (القول الثاني) أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن البصري و يروى أن علياً رضي الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها والضير لأمه أنه قرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير أنه بفتح الهاء يريدان ابنها الا انها اكتفيا بالفتحة عن الالف وقال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه أنه قال ان ابني من أهلي وأنت تقول ما كان ابنه فقال لم يقل أنه مني ولكنه قال من أهلي وهذا يدل على قول (القول الثالث) أنه ولد على فراشه لغير رشدة والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانناهما وهذا قول خيب يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسيما وهو على خلاف نص القرآن أما قوله تعالى فخانناهما فليس فيه ان تلك الخيانة إنما حصلت بالسبب الذي ذكره قبل لابن عباس رضي الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول مزجي بمجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا تزوا به ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى الخبيثات للخبيثين

تعلون من يأتيه العذاب يعني أن ما أبشره ليس ﴿ ١٢ ﴾ خا فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من العذاب ولقد أصاب العلم بعد استجها لهم بحزن ووصف العذاب بالآخرة لما في الاستهزاء والمخزبة من حقوق الخزي والعارادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمالفة في التهديد وتخصيصه بالوجل وإيراد الاول بالآيمان في غاية الجزالة (حتى إذا جاء أمرنا) حتى هي التي بدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع

عليه السلام عليه ما حال من الضمير فيه وسخر وأمنه جواب لكلامه وقال استثنائي على تفيد سؤال سائل فلو كان له
وقيل هو الجواب وسخر وأمنه بدل من مر أو صفة للملا وقد عرفت أن الحق هو الأول لأن المقصود بيان تنابهم في أياديه عليه
الصلاة والسلام ومحله لأذيتهم لا سارعه عليه الصلاة والسلام إلى جوابهم كما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام (وفارالتور)
تبع منه الماء وارتفع بشدة كأنه تنور القدر بغليانها ﴿٩٠﴾ والتور تنور الخبر وهو قول الجمهور روى أنه قبل نوح عليه الصلاة

السلام إذا رأيت الماء يغور
من التور فاركب ومن معك
في السفينة فلما تبع الماء أخبرته
أمر أنه فركب وقبل كان تنور
أدم عليه الصلاة والسلام
وكان من جارة فصارت إلى نوح
والتابع منه وهو أمد شيء من
الماء على خرق العادة وكان في
الكوفة في موضع مسجد ها
هن عين الداحل مما يلي باب
كنة وكان عمل السفينة في
ذلك الموضع أوفى الهند وفي
موضع الشام يقال له عين وردة
وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما وصكر مة والزهرى
أن التور وجه الأرض وعن
قتادة أشرف موضع في الأرض
إلى أهلها وعن علي رضي الله
تعالى عنه فارالتور طلع الفجر
(قلنا أحل فيها) أي في السفينة
وهو جواب إذا (من كل) أي
من كل نوع لا بد منه في الأرض
(زوجين) الزوج ماله مشاكل
من نوعه فالد زوج الانثى
كما هي زوج له وقد يطلق على
مجموعهما فيقال الفرد
ولإزالة ذلك الاحتمال قيل
ثنتين) كل منهما زوج للآخر
نرى على الإضافة وإنما قدم
على أهلها وسائر المؤمنين

انما كان لانه أحب مفارقتهم أما قوله يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فنقول
قرأ حفص عن عاصم يا بني بفتح الياء في جميع القرآن والباقون بالكسر قال أبو علي الوجه
الكسر وذلك أن اللام من ابن ياء أو واو فإذا صغرت الحقت ياء التحقير فلزم أن ترد اللام
المحذوفة واللازم أن تحرك ياء التحقير بحركات الاعراب لكنها لا تحرك لأنها الوحركت لزم
أن تنقلب كما تنقلب سائر حروف المد واللين إذا كانت حروف اعراب نحو عصا وقفا ولو
انقلبت بطلت دلالتها على التحقير ثم إذا أضفت إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات (الاولى)
منها التحقير (والثانية) لام الفعل (والثالثة) التي للإضافة تقول هذا بني فإذا ناديته صار
فيه وجهان إثبات الباء وحذفها والاختيار حذف الياء التي للإضافة وإبقاء الكسرة
دلالة عليه نحو يا غلام ومن قرأ يا بني بفتح الياء فإنه أراد الإضافة أيضا كما أرادها من قرأ
بالكسر لكنه أبدل من الكسرة الفخسة ومن الباء الالف تخفيفا فصارت يا بني كما قال
﴿ يا بني غلاما تلوي واهجعي ﴾ ثم حنف الالف للتخفيف واعلم أنه تعالى لما حكى عن
نوح عليه السلام أنه دعاه إلى أن يركب السفينة حكى عن ابنه أنه قال سآوى إلى جبل
بعضنى من الماء وهذا يدل على أن الابن كان متمسدا في الكفر مصرا عليه مكذبا ليه
فيما أخبر عنه فعند هذا قال نوح عليه السلام لأعاصم اليوم من أمر الله الأمن رحم
وفيه سؤال وهو أن الذى رحمه الله معصوم فكيف يحسن استثناء المعصوم من العام
وهو قوله لأعاصم اليوم من أمر الله وذكروا في الجواب طرقا كثيرة (الاول) أنه تعالى
قال قبل هذه الآية وقال اركبوا فيها باسم الله بحمركم واهجرها واهجرها واهجرها واهجرها
أنه تعالى رحيم وأنه برحمة يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الفرق إذا عرفت
هذا فنقول إن ابن نوح عليه السلام لما قال سآوى إلى جبل بعضنى من الماء قال نوح
عليه السلام أخطأت لأعاصم اليوم من أمر الله الأمن رحم والمعنى الا ذلك الذى ذكرت
أنه برحمة يخلص هؤلاء من الفرق فصارت تقدير الآية لأعاصم اليوم من عذاب الله الله
الرحيم وتقديره لأفرار من الله إلى الله وهو نظير قوله عليه السلام في دعائه وأعوذ بك
منك وهذا تأويل في غاية الحسن (الوجه الثاني) في التأويل وهو الذى ذكره صاحب حل
العقد أن هذا الاستثناء وقع من مضمر هو في حكم الملفوظ لظهور دلالة اللفظ عليه
والتقدير لأعاصم اليوم لأحد من أمر الله الأمن رحم وهو كقولك لا تضرب اليوم إلا
زيدا فإن تقديره لا تضرب أحدا إلا زيدا إلا أنه ترك التصريح به لدلالة اللفظ عليه
فكذا ههنا (الوجه الثالث) في التأويل أن قوله لأعاصم أى لأعاصمة كما قالوا راحم
ولابن ومعناه نورم وذولين وقال تعالى من مهادن وقبلة راضية ومعناه ما ذكرنا
فكذا ههنا وعلى هذا التقدير العام هو ذو العصمة فدخل فيه المعصوم وحينئذ يصح
استثناء قوله الأمن رحمه منه (الوجه الرابع) قوله لأعاصم اليوم من أمر الله الأمن رحم
عنى بقوله الأمن رحمه نفسه لأن نوحا وطائفة هم الذين خصهم الله تعالى برحمة والمراد

مكونه بغير يقا فإمرته من الجمل لانه يحتاج إلى موازنة الاعمال منه عليه الصلاة والسلام في تمييز بعضه من ﴿ لأعاصم ﴾
هين وتعين الأزواج فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فخر الله تعالى إليه السباع
الطير وتغيرها فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذك في يده البنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة وأما البشر

فلما لم يحل الفلك باختيائه فحذف منه معنى الحمل والاهل انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حياهم بسبب
(واهلك) عطف على زوجين اولى اثنين والمراد امرأته وبنوه ونسأوهم (الامن سبق عليه القول) بانه من الفرقين
بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنهان وأمه واهله فانهما كانا كافرين والاستثناء
منه طعم ان اريد بالاهل الاهل ايماناً وهو الظاهر في ٩١ كما ستعرفه أو منصل ان اريد به الاهل قرابة ويكنى في صحة الاستثناء

المعلومية عند المراجعة الى
أحوالهم والتفحص عن أعمالهم
وتجى بعلى لكون السابق
ضاراً لهم كما جى باللام فيما
هو نافع لهم من قوله عز وجل
ولقد سقت لنساء الاعداء المرسلين
وقوله ان الذين سقت لهم
من الحسن (ومن آمن) من
غيرهم وافراد الاهل منهم
للاستثناء المذكور وإشار
صيفة الافراد في آمن بحافظة
على لظمن للايدان فقلهم
كما عرّب عنه قوله عز قائل
(وما آمن معه الا قليل) قبل
كانوا ثمانية نوح عليه الصلاة
والسلام وأهله وبنوه الثلاثة
ونسأوهم وعن ابن اسحق
كانوا خمسة خمسة رجال
وخمسة نسوة وعنه أيضاً أنهم
كانوا عشرة سوى نساءهم وقبل
كانوا اثنين وسبعين رجلاً
وامراً أو أولاد نوح سام وحام
ويافث ونسأوهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال
ونصفهم نساء واعتبار المعية
في إيمانهم للائتمار الى المعية في
مقر الامان والنجاة (وقال)
اي نوح عليه الصلوة والسلام
لمن معه من المؤمنين كما ينبغي
عنه قوله تعالى ان ربنا غفور
رحيم ولورجع الغنبر الى الله

لأعاصم لك الا الله بمعنى أن بسببه تحصل رحمة الله كما أضيف الاحياء الى عيسى عليه
السلام في قوله وأحيى الموتى لأجل ان الاحياء حصل بدعائه (الوجه الخامس) ان قوله
الامن رحم استثناء منقطع والمعنى لكن من رحم الله معصوم ونظيره قوله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن ثم انه تعالى بين بقوله وحال بينهما الموج أي بسبب هذه الحيلولة
خرج من أن يخاطبه نوح فكان من المفرقين * قوله تعالى (وقبل بأرض ابلي مارك
واسماء ألقى وغبض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقبل بعد القوم
الظالمين) اعلم ان المقصود من هذا الكلام وصف آخر لواقعة الطوفان فكان التقدير
انه لما انتهى أمر الطوفان قيل كذا وكذا بأرض ابلي مارك يقال بلغ الماء بيله بلعاً
اذا شربه وابتلع الطعام ابتلاعا ذالم مضغفه وقال أهل اللغة القصيح بلع بكسر اللام يلع
يقصها واسماء ألقى يقال ألقم الرجل عن عمله اذا كف عنه وألقمت السماء بعد
ما مطرت اذا أمسكت وغبض الماء يقال غاض الماء يغبض غبضاً ومغاضاً اذا نقص
وغبضته أنا وهذا من باب فعل الشيء وفعلته أنا ومثله جبر العظم وجبرته وفقر القوم وفقرته
ودلم اللسان ودلته ونقص الشيء ونقصته وقوله وغبض الماء أي نقص وما بقي منه شيء
واعلم ان هذه الآية مشتملة على ألفاظ كثيرة كل واحد منها دل على عظمة الله تعالى وعلو
كبريائه (فأولها) قوله وقبل وذلك لان هذا يدل على أنه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة
بحيث انه متى قيل قبل لم ينصرف العقل الى البه ولا يتوجه الفكر الى أن ذلك القائل
هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه على انه تقرر في العقول أنه لا حاكم في العالمين ولا
متصرف في العالم العلوي والعالم السفلي الا هو (وثانيها) قوله بأرض ابلي مارك واسماء
ألقى فان الحسن يدل على عظمة هذه الاجسام وشدة قوتها فاذا شعر العقل بوجود
موجود قاهر لهذه الاجسام مستول عليها متصرف فيها كيف شاء وأراد صار ذلك سبباً
لوقوف التوبة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قهره وكال قدرته ومشبته
(وثالثها) ان السماء والارض من الجمادات قوله بأرض واسماء مشعر بحسب الظاهر
على أن أمره وتكليفه نافذ في الجمادات فعند هذا يحكم الوهم بأنه لما كان الامر كذلك
فلا يمكن أن يكون أمره نافذاً على العقلاء كان أولى وليس مرادى منه أنه تعالى بأمر الجمادات
فان ذلك باطل بل المراد ان توجبه صيغة الامر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية
الشديدة بقر في الوهم نوع عظمتهم وجلاله تقرر كما لا وأما قوله وقضى الامر فالمراد
ان الذي قضى به وقدره في الازل قضاء جزماً حتماً فقد وقع تنبيهه على ان كل ما قضى الله
تعالى فهو واقع في وقته وأنه لا دافع لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه في أرضه وسعائه فان
قبل كيف يليق بحكمة الله تعالى ان يفرق الاطفال بسبب جرم الكفار قلنا الجواب عنه
من وجهين (الاول) ان كثيراً من المفسرين يقولون ان الله تعالى أعظم ارحام نساءهم قبل
الفرق بأربعين سنة فلم يفرق الامن بلغ سنه الى الاربعين ولقائل ان يقول لو كان الامر

تعالى لئلا يناسب أن يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل فحمل الأزواج وأدخلها
في الفلك وقال المؤمنين (اركبوا فيها) كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى
ينغصه واستعمله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان أظهر الروايات أنه عليه السلام
جعل الوحوش ونظائرها

في الجن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى لرعاية سباب المحبة والمكاتب في الفلك والشرقبة
 بمعنى الركوب العلو على شئ له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول
 يؤخر له حظ الاصل فيقال ركب الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيول والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح
 بحملية المفعول بكلمة فيقال ركب في السفينة وعليه الآية ﴿ ٩٢ ﴾ الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوها في الفلك وقوله

تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا
 في السفينة خرّقها (بسم الله)
 متعلق باركبوها حال من فاعله
 اى اركبوها مسمين الله تعالى
 او قلدين بسم الله (مجرىها
 ومرساها) نصب على
 الظرفية أى وقت جرىها
 وارسائها على انها اسما
 زمان او مصدران كالاجراء
 الارساء مجزوف الوقت كقولك
 أتيت خفوق العجم أو اسما
 مكان انتصبا بما في بسم الله
 من معنى الفعل أو ارادة القول
 ويجوز أن يكون بسم مجرّيا
 مرساها مستقلة من مبتدأ وخبر
 في موضع الحال من ضمير الفلك
 أى اركبوها فيها بمجرى ومرساة
 باسم الله بمعنى التقدير كقوله
 تعالى ادخلوها خالدين أو جملة
 مقتضية على أن نوحا أمرهم
 بتركوب فيها ثم أخبرهم بأن
 اجراءها وارساها باسم الله
 تعالى فيكونان كلامين له
 عليه الصلاة والسلام قيل كان
 ليه السلام اذا أراد أن يجرىها
 يقول بسم الله فيجرى وإذا
 أراد أن يرسياها يقول بسم الله
 فترسو ويجوز أن يكون الاسم
 مقحما كما في قوله إلى الحول
 ثم اسم السلام * عليكم ايراد

على ما ذكرتم لكان ذلك آية عجبية قاهرة ويعد مع ظهورها استمرارهم على الكفر وأيضا
 فهب انكم ذكرتم ما ذكرتم فاقولكم في اهلاك الطير والوحش مع انه لا تكليف عليهما
 البتة والجواب الثاني وهو الحق انه لا اعتراض على الله تعالى في افعاله لا يسأل عما يفعل
 وهم يسألون وأما المعتزلة فهم يقولون انه تعالى أعرف الاطفال والحيوانات وذلك مجرى
 مجرى اذنه تعالى في ذبح هذه البهائم وفي استعمالها في الاعمال الشاقة الشديدة وأما قوله
 تعالى واستوت على الجودي فالمعنى واستوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجودي
 وكان ذلك الجبل جلاما منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة ذلك
 الماء وكان ذلك الاستواء يوم عاشوراء وأما قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين ففيه
 وجهان (الاول) انه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرده (والثاني) أن
 يكون ذلك من كلام نوح عليه السلام وأصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل
 بسبب اجتماع قوم من الظلمة فاذا اهلكوا ونجا منهم قال مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى
 الداء عليهم فجعله من كلام البشر أليق * قوله تعالى (ونادى نوح ربه فقال رب اني من
 اهل) وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال بانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
 فلا تسألني ما ليس لك به علم اني أعطتك أن تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك ان
 أسألك ما ليس لي به علم والاذع فرى وترجى اكن من الخاسرين) وفيه مستثنان (المسئلة
 الاولى) اعلم ان قوله رب اني من اهل فقد ذكرنا الخلاف في أنه هل كان ابنته أم لا فلا
 نعيده ثم انه تعالى ذكر انه قال بانوح انه ليس من اهلك واعلم انه لما ثبت بالدليل انه كان
 ابنته لوجب حمل قوله انه ليس من اهلك على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون المراد
 انه ليس من اهل دينك (والثاني) انراد انه ليس من اهلك الذين وعدت أن أنجيهم معك
 والقولان متقاربان (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على ان العبرة بقرابة الدين
 لا بقرابة النسب فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن
 لما انتفت قرابة الدين لاجرم نفاه الله تعالى بأبلغ اللفاظ وهو قوله انه ليس من اهلك
 ثم قال تعالى انه عمل غير صالح قرأ الكسائي عمل على صيغة الفعل الماضي وغير بالنصب
 والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح بمعنى أشرك وكذب وكلمة غير نصب لانها تمت لمصور
 محذوف وقرأ الباقر عمل بالرفع وانتون وفيه وجهان (الاول) ان الضمير في قوله انه عائد
 الى السؤال يعني ان هذا السؤال عمل وهو قوله ان ابني من اهل وان وعدك الحق غير صالح
 لان طلب نجاة الكافر بعد ان سبق الحكم الجزم بانه لا يجي أحد منهم سؤال باطل
 (الثاني) أن يكون هذا الضمير عائدا الى الابن وعلى هذا التقدير ففي وصفه بكونه عملا غير
 صالح وجوه (الاول) ان الرجل اذا كثّر عمله واحسانه يقال له انه عمل وكرم وجوده فكذا
 ههنا لما كثّر اقسام ابن نوح على الاعمال الباطلة حكم عليه بأنه في نفسه عمل باطل (الثاني)
 أن يكون المراد انه ذو عمل باطل فمحذوف المضاف لدلالة الكلام عليه (الثالث) قال بعضهم

الله اجراؤها وارساؤها أى بغيره وأمره وقضى مجرىها ومرسياها على صيغة الفاعل مجزورى المحل * معنى ﴿
 سيقين لله عز وجل ومجرها ومرساها بفتح الميم مصدرين أو زمانين أو مكانين من جرى ورسا (انرى لغفور) للذنوب
 الخطايا (رحيم) لئباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم
 ست بسبب استحقاقهم لها بل بفضل الله سبحانه وغفرانه

ورجعت على ما عليه رأى أهل السنة (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه الأمر بالركوب أي فركبوا فيها
منهم وهي تجري ملتبسة بهم (في موج كالجبال) وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل
في ارتفاعه. وراكها وما قبل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالخوت فقبر ثابت
والمشهور أنه علاشوا مخ الجبال خمسة عشر ذراعاً وأربعين (٩٣) ذراعاً ولئن صح ذلك فهذا الجريان إنما هو قبل

أن يتفارق الخطب كما يدل عليه
قوله تعالى (ونادى نوح ابنه)
فإن ذلك مما يتصور قبل أن
تقطع العلاقة بين السفينة
والبراذ حيث يمكن جريان
ما جرى بين نوح عليه الصلاة
والسلام وبين ابنه من
المفاضة بالاستدعاء إلى السفينة
والجواب بالاعتصام بالجبل
وقرى ابنها وابنه بصفوف
الآلف على أن الضمير لامرأته
وكان ربيده وما يقال من أنه
كان لغير شدة لقوله تعالى
فخانتا هما فانكبا عظيمة
لا يقادر قدرها فإن جناب
الأنبياء صلوات الله تعالى
عليهم وسلامه أرفع من
أن يشار إليه بأصبع الطعن
وإنما المراد بالخيانة الخيانة
في الدين وقرى ابناء على
الندبة ولكنها حكاية سوء
حذف حرفها وأنت خير بأنه
لا يلزم الاستدعاء إلى السفينة
فانه صريح في أنه لم يقع في
حياته بأس بعد (وكان
في معزل) أي في مكان عزل فيه
نفسه عن أبيه وأخوته وقومه
بحيث لم يشاؤله الخطب باركبوا
واحتاج إلى النداء المذكور
وقيل في معزل عن الكفار

معنى قوله أنه عمل غير صالح أي أنه ولد زنا وهذا القول باطل قطعاً أنه تعالى قال لنوح
عليه السلام فلانساناً ليس لك به علم أي أعطاك أن تكون من الجاهلين وفيه مسئلتان
(المسئلة الأولى) أحجج بهذه الآية من قدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه
(الأول) أن قراءة عمل بالرفع والتنوين قراءة متواترة فهي محكمة وهذا يقتضي عود
الضمير في قوله أنه عمل غير صالح إما إلى ابن نوح وإما إلى ذلك السؤال فالقول بأنه عائد إلى
ابن نوح لا يتم إلا باضمار وهو خلاف الظاهر ولا يجوز الصبر إليه إلا عند الضرورة
ولا ضرورة ههنا لانا إذا حكمنا بعود الضمير إلى السؤال المتقدم قد استغنيا عن هذا
الضمير فثبت أن هذا الضمير عائد إلى هذا السؤال فكان التقدير أن هذا السؤال عمل غير
صالح أي قولك أن ابني من أهلي اطلب نجاته عمل غير صالح وذلك يدل على أن هذا السؤال
كان ذنباً ومعصية (الثاني) أن قوله فلانساناً نهى له عن السؤال والمذكور السابق هو
قوله أن ابني من أهلي فدل هذا على أنه تعالى نهى عن ذلك السؤال فكان ذلك السؤال ذنباً
ومعصية (الثالث) أن قوله فلانساناً ليس لك به علم يدل على أن ذلك السؤال كان قد
صدر لاعتق العلم والقول بغير العلم ذنب لقوله تعالى وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون
(الرابع) أن قوله تعالى أني أعطاك أن تكون من الجاهلين يدل على أن ذلك السؤال كان
محض الجهل وهذا يدل على غاية التقريع ونهاية الزجر وأيضاً جعل الجهل كناية عن
الذنب مشهور في القرآن قال تعالى يعملون السوء بجهالة وقال تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (الوجه الخامس) أن نوحاً عليه السلام
اصترف باقدامه على الذنب والمعصية في هذا المقام فانه قال اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس
لي به علم والاعتقلى وزجني أكن من الخاسرين واعتزافه بذلك يدل على أنه كان مذنباً
(الوجه السادس) في التمسك بهذه الآية أن هذه الآية تدل على أن نوحاً نادى ربه
لطلب تخليص ولده من الفرق والآية المقدمة وهي قوله ونادى نوح ابنه وقال يا بني
اركب معنا تدل على أنه عليه السلام طلب من أبيه الموافقة فتقول ما أن يقال أن طلب
هذا المعنى من الله كان سابقاً على طلبه من أولاد أو كان بالعكس والأول باطل لأن تقدير
أن يكون طلب هذا المعنى من الله تعالى سابقاً على طلبه من الابن لكان قد سمع من الله أنه
تعالى لا يخلص ذلك الابن من الفرق وأنه تعالى نهى عن ذلك الطلب وبعد هذا كيف قال
له يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وأما أن قلنا أن هذا الطلب من الابن كان
متقدماً فكان قد سمع من الابن قوله سأوى إلى جبل يعصمني من الماء وظهر بذلك كفره
فكيف طلب من الله تخليصه وأيضاً أنه تعالى أخبر أن نوحاً لما طلب ذلك منه وامتنع هو
صار من الفرق فكيف يطلب من الله تخليصه من الفرق بعد أن صار من الفرقين فهذه
الآية من هذه الوجوه الستة تدل على صدور المعصية من نوح عليه السلام وأعلم أنه لما
دلت الدلائل الكثيرة على وجوب نزيه الله تعالى الأنبياء عليهم السلام من المعاصي وجب

قد اتفرد عنهم وظن نوح أنه يزيد مفارقة لهم ولذلك دعا إلى السفينة وقيل كان يتفق أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان يعلم
أنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأحوال يزجر عما كان عليه ويقبل
الإيمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الأمن سبق عليه القول نصاً في كون ابنه داخل تحتهم بل كان كالجمل
في حماة شفقة الأبوة على ذلك (بابي) يقع الياء اقتصاراً عليه عن الآلف المبدلة من ياء الإضافة

في قوله تعالى وقرئ بفتح الباء اختصارا عليه من الاضافة لوسطه الماء والاتق لالتقاء النجسين لان الزاد بعد ساكنة (ارك معنا) قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في التخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعنيها وللايدان بضميق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اثناء اللعبة عن ذلك (ولانك مع الكافرين) اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك ﴿ ٩٤ ﴾ لافي الدين وان كان ذلك مما يوجب كيا يوجب ركوبه

معه عليه الصلاة والسلام
كونه معه في الإيمان لانه عليه
الصلاة والسلام بصدد
التحذير عن الهلكة فلا بلائمه
النهي عن الكفر (قال سآوى
الى جبل) من الجبال (يعصمى)
بارتفاعه (من الماء) زعمانه
أن ذلك كسائر المياه في أزمته
السيول المعتادة التي ربما يتقى
منها بالصعود الى الاربأوى له
ذلك وقد بلغ السيل الزبى
وجهاً لآب ذلك إنما كان لاهلاك
الكفرة وان لا يحبس من ذلك
سوى الاتجاه الى المجا المومنين
فلذلك أراد عليه الصلاة
والسلام ان يبين له حقيقة الحال
وبصرفه عن ذلك الفكر
الحال وكان مقتضى الظاهر
أن يجيب بما يطبق عليه كلامه
ويتعرض لنفي ما أثبت له الجبل
من كونه دأباً له من الماء
بأن يقول لا يصح منه مفيدا
لنفي وصف العصمة عنه فقط
من غير تعرض لنفيه عن غيره
ولالنفي الموصوف أصلاً لكنه
عليه الصلاة والسلام حيث
(قال لا عاصم اليوم من أمر الله)
ملك طريقة نفي الجنس المستظم
لنفي جميع أفراده العاصم ذاتاً
وضمته كما في قولهم ليس فيه

حل هذه الوجوه المذكورة على ترك الافضل والاكمل وحسنات الاربابيات المقربين
 فلهذا السبب حصل هذا العتاب والامر بالاستغفار لا يدل على سابقة الذنب كما قال اذا
 جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك
 واستغفره ومعلوم ان محي نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا ليست
 بذنب يوجب الاستغفار وقال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وليس جمعهم
 مذنبين فدل ذلك على ان الاستغفار فديكون بسبب ترك الافضل (المسئلة الثانية) قرأ
 نافع برواية ورش واسماعيل بتشديد النون واثبات الياء تسألني وقرأ ابن عامر ونافع برواية
 قالون بتشديد النون وكسر هاء من غيه اثبات الياء وقرأ أبو عمرو بخفيف النون وكسرها
 وحذف الياء تسألني أما التشديد فلنأكيد وأما اثبات الياء فعلى الاصل وأما ترك التشديد
 والحذف فلانخفيف من غير اخلال واعلم انه تعالى لما نهاه عن ذلك السؤال حكى عنه أنه
 قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والاعتفلى وترجى أكن من الخاسرين
 والمعنى انه تعالى للمأله فلا تسألني ما ليس لك به علم فقال عند ذلك قبلت يارب هذا
 التكليف ولأعود اليه الآن لا أقدر على الاحتراز منه الا بهاكت وهدايتك فلهذا بدأ
 اولاً بقوله اني أعوذ بك واعلم ان قوله اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم اخبار عما في
 المستقبل أى لأعود الى هذا العمل ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى فقال والاعتفلى
 وترجى أكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضى أمرين (أحدهما) في المستقبل
 وهو العزم على الترك واليه الاشارة بقوله اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم (والثاني)
 في الماضي وهو الندم على ما مضى واليه الاشارة بقوله والاعتفلى وترجى أكن من
 الخاسرين ونظم هذا الكلام بالبحث عن الزلة التي صدرت عن نوح عليه السلام في هذا
 المقام فنقول ان أمة نوح عليه السلام كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن
 اعلم ايمانه وجمع من المنافقين وقد كان حكم المؤمنين هو التجهاد وحكم الكافرين هو
 الفرق وكان ذلك معلوماً وأما أهل الاتفاق في حكمهم مخفياً وكان ابن نوح منهم وكان
 يجوز فيه كونه مؤمناً وكانت الشقة المفرطة التي تكون من الاب في حق الابن تحمله
 على حل أعماله وأفعاله لا على كونه كافراً بل على الوجوه الصحيحة فلما راه بمنزل من
 القوم طلب منه أن يدخل السفينة فقال سأوى الى جبل يصمى من الماء وذلك لا يدل
 على كونه كافراً وان يكون قد ظن أن الصعود على الجبل يجرى مجرى الركوب في السفينة
 في أنه يصونه عن الفرق وقول نوح لعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم لا يدل الا على
 انه عليه السلام كان يقرر عذابه انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وهذا أيضاً
 لا يدل على انه علم من ابنه أنه كان كافراً فعنده هذه الحالة كان قد بنى في قلبه ظن ان ذلك
 الابن مؤمن فطلب من الله تعالى تخليصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في
 السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فبعد ذلك أخبره الله تعالى بانه منافق وانه ليس من

داع ولا يجب أى أحد من الناس للبقاء فى نبي كون الجليل ماصما بالوجهين المذكورين وزاد ﴿ أهل ﴾

اليوم للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الملمات المعتادة التي ربما يهتص من ذلك بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضطاره بامر الله أي عذابه الذي أشير إليه حيث قيل حتى إذا جاء أمرنا فنفخنا النشأة ونهوى بالأمر وتنبهها لانه على

خلفه في منصبه ما دبروه من كبرياء اليه التي تخفى منها الهرب منك بعض للمهاجرين المعهوده وتعليقك في الذكور من امر الله لا يغيب وعذابه لا يرد وتعيد الحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عامهم من مر الله الا هو وانما قيل (الامن ربح) فخرجنا الشأمة الجليل بالابهام ثم التفسير بالاجال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمة في ذلك بوجوب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه الصلاة والسلام * ٩٥ * بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع اطماعه

الفارغة ومصرفه عن التعلل بالايغى عنه شيئا وارشاده الى العباد بالمعاد الحق عز جاه وقيل لما كان بعصم من امر الله الامكان من رحمة الله وهو العلق وقيل معنى لاعاصم لافا عصمة الامن رحمة الله تعالى (وحال بينهما الموج) اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاورة لابن ابنه وبين الجبل لقوله تعالى (فكان من المفريقين) اذ هو انما يفرع على جبلولة الموج بينه عليه الصلاة والسلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمنزل من كونه

عاصما وان لم يحمل بينه وبين المتنجي اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك أمرا مقرر الوقوع غير مقتصر الى البيان وفي اراد كان دون صار مبالغه في كونه منهم (وقيل بأرض ابلي) اي انشئ استعبره من ازدراد الحيوان ما أكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدبر بجي (ماءك) اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهوده فيها من العيون

أهل دينة فإزالة الصادرة عن نوح عليه السلام هو انه لم يستقص في تعريف ما يدل على نفاقه وكفره بل اجتهد في ذلك وكان يظن أنه موثمن مع أنه أخطأ في ذلك الاجتهاد لانه كان كافرا فلم يصدر عنه الاخطأ في هذا الاجتهاد كما قررنا ذلك في ان آدم عليه السلام لم تصدر عنه تلك الزلة الا لانه أخطأ في الاجتهاد فثبت بما ذكرنا ان الصادر عن نوح عليه السلام ما كان من باب الكبر وانما هو من باب الخطأ في الاجتهاد والله أعلم * قوله تعالى (قبل بانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أم من معك وأم سمعهم ثم مسحهم من عذاب أليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى أخبر عن السفينة انها استوت على الجودي فهناك قد خرج نوح وقومه من السفينة لاجل انهم نزلوا من ذلك الجبل الى الارض فقوله اهبط يحتمل أن يكون أمر بالخروج من السفينة الى أرض الجبل وان يكون أمر بالهبوط من الجبل الى الارض المستوية (المسئلة الثانية) انه تعالى وعده عند الخروج بالسلامة أولا ثم بالبركة ثانيا اما الوعد بالسلامة فيحتمل وجهين (الاول) انه تعالى أخبر في الآية المتقدمة ان نوحا عليه السلام تاب عن زلته ونضرع الى الله تعالى بقوله والاتفعل وتزحني أكن من الخاسرين وهذا التضرع هو عين التضرع الذي حكاه الله تعالى من آدم عليه السلام عند توبته من زلته وهو قوله بناططنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وتزحنا لنكونن من الخاسرين فكان نوح عليه السلام محتاجا الى أن يشره الله تعالى بالسلامة من التهديد والوعيد فلما قبل له بانوح اهبط بسلامة من حصوله الامن من جميع المكاه المتعلقة بالدين (والثاني) ان ذلك الفرق لما كان عاما في جميع الارض فعند ما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم انه ليس في الارض شيء مما يتفزع به من النبات والحيوان فكان كالخائف في انه كيف يعبرش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلامة منازال عنه ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولا يكون ذلك الا مع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة أردفها بان وعده بالبركة وهي عبارة عن الدوام والبقاء واشبات ونيل الامل ومنه بركة الابل ومنه البركة شرب الماء فيها ومنه تبارك وتعالى أي ثبت تعظيمه ثم اختلف المفسرون في تفسير هذا الثبات والبقاء فاذول الاول انه تعالى صبر نوحا أبا البشر لان جميع من بقي كانوا من نسله وعند هذا قال هذا القائل انه لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن من ذريته فالحق كلهم من نسله وذريته وقال آخرون لم يكن في سفينة نوح عليه السلام الامن كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالحق كلهم انما توادوا منه ومن أولاده والدليل عليه قوله تعالى وجعلنا ذريتهم بالافين فثبت ان نوحا عليه السلام كان آدم الاصغر فهذا هو المراد من البركات التي وعده الله بها (والقول الثاني) انه تعالى لما وعده بالسلامة من الآفات وعده بان موجبات السلامة والراحة والفرغة يكون في التزايد واشبات والاستقرار ثم انه تعالى

والانهار وجبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لامقام التغميم والتوهيل (و باسماء ألقب) اي أمسكى عن ارسال المطر يقال ألقمت السماء اذا انقطع مطرها وألقمت الحصى اي كفت (وغضب الماء) اي نقص ما بين السماء والارض من الماء (وقضى الامر) اي أنجز ما وعده الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه بأهله أو أم الامر (واستوت) اي استقرت تلك

على الجودي هو جبل بلو محل أو بالشام أو على رؤس غلبه الصلاة والسلام ركب في القلعة في ما شجر من شجره على
أشجار الحرم فسلم ذلك اليوم شكر أفاضل سنة (وقيل بعد القوم الضالين) أي هلاكهم والتمريض لوصف الظلم الإشتغال بعلمها
هلاك ولدت كبر ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الإعجاز
أصبتها ومليك من غرر المراتب أصبتها وقد تصدى لقصصها المهره ٩٦ * الثغنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه

أصفون فحري بأن نوجز
الكلام في هذا الباب ونقوض
الامر الى تأمل أولى الالباب
إله عنده علم الكتاب (ونادى
نوح ربه) أي أراد ذلك بدليل
القائه في قوله تعالى (فقال رب
ناجني من أهلي) وقد وعدتني
أنجسهم في ضمن الامر
بجملهم في القلعة أو النداء
على الحقيقة والقائه لتفصيل
ما فيه من الاجال (وان وعدك
الخلق) أي وعدك ذلك أو ان
كل وعدته حتى لا يتطرق
اليه خلف فيدخل فيه الوعد
المعهود دخولا أوليا (وأنت
أحكم الحاكمين) لاك أعلمهم
وأعدلهم وأتأنت كتر حكمته
من ذوى الحكم على أن الحاكم
من الحكم كالعارض من الدرع
وهذا الدعا هو عليه الصلاة
والسلام على طريقة دعا
أيوب عليه الصلاة والسلام
اذنادير به اني مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين (قال
يا نوح) لما كان دعاؤه عليه
الصلاة والسلام بتذكيره وعده
بجمل فكره مبنيا على كون كتمان
من أهله نفي أو لا يكونه منهم
على تعالى (انه يبين من أهلك)

لما شرفه بالسلامة والبركة شرح بعده حال أولئك الذين كانوا معه فقال وعلى أمهم من معك
واختلفوا في المراد منه على ثلاثة أقوال منهم من حمله على أولئك الاقوام الذين يجوا معه
وجعلهم أمما وجاعات لانه ما كان في ذلك الوقت في جيم الارض أحد من البشر الا هم
فلهذا السبب جعلهم أمما ومنهم من قال بل المراد عن معك نسلوا وتولدا قالوا وادل ذلك
انه ما كان معه الا الذين آمنوا وقد حكم الله تعالى عليهم بأقوله في قوله تعالى وما آمن معه
الا قليل ومنهم من قال المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك
والخيار هو القول الثاني ومن في قوله عن معك لا ابتداء الغاية والمعنى وعلى أم ناشئة من
الذين معك واعلم انه تعالى جعل تلك الامم الناشئة من الذين معه على قسمين (أحدهما)
الذين عطفهم على نوح في وصول سلام الله وبركاته اليهم وهم أهل الايمان (والثاني) أم
وصفهم بأنه تعالى سميتهم مدة في الدنيا ثم في الآخرة يسهم عذاب ألم فحكم تعالى بان
الامم الناشئة من الذين كانوا مع نوح عليه السلام لا بد وأن ينقسموا الى مؤمنين وإلى
كافرين قال المفسرون دخل في تلك السلامة كل مؤمن وكل مؤمنة الى يوم القيامة ودخل
في ذلك المنع وفي ذلك العذاب كل كافر وكافرة الى يوم القيامة ثم قال أهل التحقيق انه
تعالى انما عظم شأن نوح بإبصال السلامة والبركات منه اليه لانه قال بسلام منا وهذا
يدل على ان الصديقين لا يفرحون بالنعمة من حيث انها نعمة وانما يفرحون
بالنعمة من حيث انها من الحق وفي التحقيق يكون فرحهم بالحق وطلبهم للحق وتوجههم
الى الحق وهذا مقام شريف لا يعرفه الا خواص الله تعالى فان الفرح بالسلامة والبركة
من حيث هما سلامة وبركة غير الفرح بالسلامة والبركة من حيث انها من الحق غير
والاول نصيب عامة الخلق والثاني نصيب المربين ولهذا السبب قال بعضهم من آثر
العرفان للعرفان فقد قال الثاني ومن آثر العرفان لا يعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة
الوصول وأما أهل الضباب فقد قال في شرح أحوالهم وأهم سنتهم ثم يسهم منا عذاب
ألم فحكم به تعالى بعطيهم نصيبا من مناع الدنيا فدل ذلك على خسارة الدنيا فانه تعالى
لما ذكر أحوال المؤمنين لم يذكر البتة أنه يعطيهم الدنيا بل اولوا ذكر أحوال الكافرين
ذكرانه يعطيهم الدنيا وهذا تنبيه عظيم على خسارة السعادات الجسمانية والترغيب في
المقامات الروحية * قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت
ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) واعلم انه تعالى لما شرح قصة نوح عليه
السلام على التفصيل قال تلك أي تلك الآيات التي ذكرناها وتلك التفاصيل التي
شرحناها من أنباء الغيب أي من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق فقوله تلك في محل
الرفع على الابتداء ومن أنباء الغيب أخبرو نوحيا اليك خبرتان وما بعده أيضا خبر ثالث
ثم قال تعالى ما كنت تعلمها أنت ولا قومك والمعنى انك ما كنت تعرف هذه القصة بل قومك
ما كانوا يعرفونها أيضا ونظيره أن تقول لانسان لا تعرف هذه المسئلة لأنك لا تعلمها

الى ليس منهم أصلا لان مدار الالهية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر أو ليس من أهلك الذين
أمرتك صلته في الفناء لطروجه عنهم بالاستثناء وعلى القديرين ليس هو من الذين وعدها نجاتهم ثم حلي صميم يكونه منهم
على طريقة الاستثنائي الصفي بقوله تعالى (انه عمل خير صالح) أصله انه فاعل خير صالح فيعمل بغيره
سائفة كأي قول وان شاء * فانما هي أقبال وادمار

وايا غير صالح على فاسد ما لان الفاسد بما يطبق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيهما ومن قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما المتلويح بان نجاة من نجا انما هي اصلاحه وقرأ الكسائي ويعتوب انه عمل غير صالح اي علا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد ثبت ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه ﴿ ٩٧ ﴾ الا أنه جئ بالنهي على وجه عام يتدرج فيه ذلك اندراجا أولا فقبل

(فلا تسألني) اي اذا وقعت على جليلة الحال فلا تطلب مني (ماليس لك به علم) اي مطلب الان لم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤل الذي هو مفعول للسؤال أو طلبا لان لم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون انتهى واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز أن يكون المعنى ماليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون انتهى واردا في مشتبه الحال ويعفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يتدرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداه عليه الصلاة والسلام ربه عز و علا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء أهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه

بلدك فان قيل أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند اهل العلم قلنا تلك القصة بحسب الاجال كانت مشهورة اما التفصيل المذكورة فما كانت معلومة ثم قال فاصبر ان العاقبة للمتقين والمعنى يا محمد اصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار وفيد تنبيه على ان الصبر عاقبته النصر والظفر والفرج والسرور كما كان لنوح عليه السلام وقومه فان قال قائل انه تعالى ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم انه أعادها ههنا مرة أخرى فالغائبة في هذا التكرير قلنا ان القصة الواحدة قد ينفع بها من وجوه في السورة الاولى كان الكفار يستجلبون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكنا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة ذكر هذه القصة لاجل ان الكفار كانوا يبالغون في الاتيحاء فذكر الله تعالى هذه القصة لبيان ان اقدام الكفار على الاذاء والاتيحاء كان حاصلا في زمان نوح الا انه عليه السلام لما صبرنا للفتح والظفر فكنا في محمد كذلك لثبات المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر لم يكن تكريرها خالبا عن الفائدة في قوله تعالى (والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مغترون يا قوم لا أسئلكم عليه اجرا ان أجرى الا على الذي فطرني أفلا تعقلون) اعلم ان هذا هو القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة واعلم ان هذا موقوف على قوله ولقد أرسلنا نوحا وانذره ولقد أرسلنا الى عاد اخاهم هودا وقوله هودا عطف بيان واعلم انه تعالى وصف هودا بأنه أخوهم ومعلوم ان تلك الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت في النسب لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد وهذه القبيلة كانت قبيلة من العرب وكانوا بناحية اليمن ونظيره ما يقال للرجل بأخائهم ويا أخا سليم والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من أهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد اذ لم تحصل قرابة الدين وههنا أثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين فالافرق بينهما قلنا المراد من هذا الكلام اسمائة قوم محمد صلى الله عليه وسلم لان قومه كانوا يستعدون في مجمعة أنه واحد من قبيلهم أن يكون رسولا لهم من عدا الله فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من ثمود لازمة هذا الاستبعاد واعلم انه تعالى حكى عن هود عليه السلام انه دعا قومه الى أنواع من التكليف (فانوع الاول) انه دعاهم الى التوحيد فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مغترون وفيه سؤال وهو أنه كيف دعاهم الى عبادة الله تعالى قيل ان أقام الدلالة على ثبوت الاله تعالى فلنا دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والانس وقلا توجد في الدنيا طائفة يتكبرون وجود الاله تعالى ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله وختمه

لانجاء ابنه حين حال الموج ﴿ ١٣ ﴾ خا بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد ما يتفر به الى انغلاق بتلاطم الامواج أو يتفر بها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل ويا به تذكر الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في القاتل وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ومحمد حيلة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به اظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء أهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام

أَنْ يَدْفُوعَ إِلَى الْفَلَاحِ أَوْ يَدْعُوهُ لِمَجَانَّتِهِ وَاعْتَزَلَهُ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَصَدَهُ الْإِلْهَاءُ إِلَى الْجَبَلِ لِنَسْجِ بَنَصٍ فِي الْأَصْرَارِ عَلَى الْكَفَرِ لَظُهُورِ جَوَازِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَجَهْلِهِ بِأَمْحُصَارِ التَّجَاةِ فِي الْفَلَاحِ وَزَعَمَهُ أَنَّ الْجَبَلَ يُضَايِجِرِي بِجَرَاهِ أَوْلَاكَ رَاهَةً الْإِحْتِسَابِ فِي الْفَلَاحِ بَلْ قَوْلُهُ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يُعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ بَعْدَ مَا قَالَهُ نُوْحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ رَبِّمَا يَطْمَعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِيْمَانِهِ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ أَكُونُ مَعَهُمْ أَوْ سَأَوِي ﴿٩٨﴾ أَوْ يُعْصِمُنِي فَإِنْ أَفْرَادَ نَفْسَهُ بِنِسْبَةِ الْفَعْلَيْنِ

المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزله عنهم وامتناله ببعض ما أمر به نوح عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لو تأمل في شأنه حتى اتأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويذركما اشتبه عليه أنه ليس بؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) فغير عن ترك الأولى بذلك وقرئ: فلا تسألن بغيرياء الاضافه وبالنون الثقيلة بياوم بغيرياء (قال رب اني أعوذ بك أن أسألك أي أطلب منك من بعد ما ليس لي به علم) أي مطلوبوا لأعلم أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلبا لأعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشبهه الحلال أو لأعلم أنه صواب أو غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام بما وقع منه وانما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة واطهاسا للرجبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقته الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك

بالحسنى دخلت بلاد الهند فرأيت أولئك الكفار مطبعتين على الاعتراف بوجود الاله وأكثر بلاد الترك أيضا كذلك وانما الشأن في عبادة الاوثان فانها آفة عمت أكثر أطراف الارض وهكذا الامر كان في الزمان القديم أعني زمان نوح وهود وصالح عليهم السلام فهو لاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا إيماء ونهم من عبادة الاصنام فكان قوله اعبدوا الله معناه لاتعبدوا غير الله والدليل عليه أنه قال عقبيه مالكم من اله غيره وذلك يدل على أن المقصود من هذا الكلام منعهم عن الاشتغال بعبادة الاصنام وأما قوله مالكم من اله غيره فقرئ غير بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ بالجرف صفة على النافذ ثم قال ان أنتم الامفوتون يعني انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها وفي قولكم انها تستحق العبادة وكيف لا يكون هذا كذبا وانفراء وهي جمادات لا حس لها ولا ادراك والانسان هو الذي ركبها وصورها فكيف يليق بالانسان الذي صنعها أن يعبدها وأن يضع الجبهة على التراب تعظيها ثم انه عليه الصلاة والسلام لما أرشدهم الى التوحيد ومنعهم عن عبادة الاوثان قال وباقوم لأسألكم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذي فطرني وهو عين ما ذكره نوح عليه السلام وذلك لان الدعوة الى الله تعالى اذا كانت مطهرة عن دنس الطمع قوى تأثيرها في القلب ثم قال أفلا تعقلون يعني أفلا تعقلون اني مصيب في المنع من عبادة الاصنام وذلك لان العلم بصحة هذا المنع كأنه مركوز في بدائة العقول قوله تعالى (وباقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا البحرمين) اعلم أن هذا هو النوع الثاني من التكليف التي ذكرها هود عليه السلام لقومه وذلك لانه في المقام الاول دعاهم الى التوحيد وفي هذا المقام دعاهم الى الاستغفار ثم الى التوبة والفرق بينهما ما قد تقدم في أول هذه السورة قال أبو بكر الاصم استغفروا أي سلوه أن يغفر لكم ما تقدم من شرككم ثم توبوا من بعدهم بالندم على ما مضى وبالعزم على أن لا تعودوا الى مثله ثم انه عليه السلام قال انكم مني فاعلموا ذلك فانه تعالى بكثرة النعم عندكم وبقوتكم على الانتفاع بتلك النعم وهذا غاية ما يراود من السعادات فان النعم ان لم تكن حاصلة تؤدي الانتفاع وان كانت حاصلة الآن الحيوان قام به المنع من الانتفاع به لم يحصل المقصود أيضا اما اذا كثرت النعمة وحصلت القوة الكاملة على الانتفاع بها فهنا تحصل غاية السعادة والبهجة فقوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اشارة الى تكثير النعم لان مادة حصول النعم هي الامطار الموافقة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم اشارة الى كمال حال القوى التي بها يمكن الانتفاع بتلك النعمة ولا شك ان هذه الكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادات وان الزيادة عليها معتمة في صريح العقل ويجب على العاقل أن يتأمل في هذه الاضافات يعرف ما في هذا الكتاب الكريم من الاسرار الخفية وأما المفسرون فانهم قالوا القوم كانوا مخصوصين في الدنيا بتوعين من الكمال (أحدهما) أن يسألتهم ومن ارعهم كانت في غاية الطيب

أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا يحصى منه الا بالعبادة لله تعالى وأن ﴿٩٨﴾ والبهجة قدرته قاصرة عن البعثة من المكارة الا بذلك (والا تفقر لي) ما صدر عني من السؤال المذكور (وترحني) بقبول توبتي (اكن من الخامسين) أعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي التجاة وهلاك الإهذاء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادئ خلاص من قبل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى

في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبین وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلو من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجدوى والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقب قوله تعالى فكان من المفرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استغلاء بغرض مهم هو جعل قرابة الدين عامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم ﴿ ٩٩ ﴾ في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة

البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتل الذي هو اول القصة وكان حقا أن يقال واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها قتلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببغضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود تبعد بجناياتهم المتنوعة وثنية التفرع عليهم بكل نوع على حدة وقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله بامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقر بهم على الاستنزاه وترك المسارعة الى الامثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذا قتلتم نفسا الخ لتقر بهم على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصص القصة على ترتيبها لكان الغرض الذي هو تثنية التقرير ولظن أن المجموع تقرير واحد وما مانحن فيه فليس بما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك التكلفة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية عامرة لقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوفي الكلام على ترتيب الوقوع أيضا لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من

والهجة والدليل عليه قوله ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد (والثاني) أنهم كانوا في غاية القوة والبطش ولذلك قالوا من أشد مناقرة ولما كان القوم مقتدرين على سائر الخلق بهذين الامرين وعددهم هو عليه السلام انهم لو تركوا عبادة الاصنام واشتغلوا بالاستغفار والتوبة فان الله تعالى يقوى حالهم في هذين المطلوبين ويزيدهم فيها درجات كثيرة ونقل أيضا ان الله تعالى لما بعث هو دا عليه السلام اليهم وكذبوه وحسب الله عنهم المطر سنيين وأقم ارحام نساءهم فقال لهم هو دان آمنتم بالله احياء الله بلادكم ورزقكم المال والولد فذلك قوله يرسل السماء عليكم مدرارا والمدرار الكثير الدر وهو من ابيته المبالغة وقوله ويزدكم قوة الى قوتكم ففسروا هذه القوة بالمال والولد والشدة في الاعضاء لان كل ذلك مما يقوى به الانسان فان قيل حاصل الكلام هو ان هو دا عليه السلام قال لو اشتغلتم بعبادة الله تعالى لانفتحت عليكم ابواب الخيرات الدينية وايس الامر كذلك لانه عليه الصلاة والسلام قال خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثال فالامل فكيف الجمع بينهما وايضا قد جرت عادة القرآن بالترغيب في الطاعات بسبب ترتيب الخيرات الدينية والاخرى به عليها فاما الترغيب في الطاعات لاجل ترتيب الخيرات الدينية عليها فذلك لا يليق بالقرآن بل هو طريق مذكور في التوراة (الجواب) انه لما كثرت الترغيب في السعادات الاخرى يعلم بعد الترغيب أيضا في خير الدنيا بقدر الكفاية وأما قوله ولا تتولوا اجر من فعماء لا تعرضوا عني وعادعواكم اليه وأرغبكم فيه مجرمين أي مصرين على اجرامكم وانامكم ﴿ قوله تعالى ﴾ قاوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بباركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها انزى على صراط مستقيم اعلم انه تعالى لما حكى عن هو دا عليه السلام ما ذكره القوم حكى أيضا ما ذكره القوم له وهو اشياء (أولها) قولهم ما جئنا ببينة أي بحجة والبيئة سميت بيئة لانها تبين الحق من الباطل ومن العلوم أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزات الآن القوم يجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات (وثانيها) قولهم وما نحن بباركي آلهتنا عن قولك وهذا أبصارك لانهم كانوا يعترفون بأن النافع والضار هو الله تعالى وان الاصنام لا تنفع ولا تضر ومضى كان الامر كذلك وقد ظهر في بديهة العقل أنه لا تجوز عبادتها وتركهم آلهتهم لا يكون عن مجرد قوله بل عن حكم نظر العقل وبديهة النفس (وثالثها) قوله وما نحن لك بمؤمنين وهذا يدل على الاصرار والتقليد والجمود (ورابعها) قولهم ان نقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء يقال اعتراف كذا اذا غشيه وأصابه والمعنى انك شئت آلهتنا فجعلتك مجنوناً وأفسدت عقلك ثم انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك قال هو دا عليه السلام اني أشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه وهو ظاهر ثم قال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وهذا نظير

الجواب المستدعي لذكر ما مر من ثبوته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجي مفصلا ولا ريب في أن هذه المعاني أخذ بعضها بحجة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المتطوعة عليها بعضها من بعض وان ذلك إنما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم

أقضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الانجاز البالغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين لم ياتوهم من أول الامر الى أن يرد قوله انه ليس من أهلاك أنه ينجو بدعائه عليه الصلاة والسلام فنص على هلاكه من أول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو ﴿ ١٠٠ ﴾ عبارة عن تعلق الارادة الالهية بالازلية بما ذكر

من الفيض والافلاخ وبين بلوغ أمر الله محله وجريان قضاءه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلاك ونجاة من نجاة بتمام ذلك الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك بما جرى بين نوح عليه السلام وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه الصلاة والسلام قبولها بقوله (قبل يا نوح اهبط) أي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء (بسلام) ملتصقا بسلامة من المكارة كائنة (منا) أو بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين (و بركات عليك) أي خيرات نامة في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلصه من الخسران بفيضان أنواع الخيرات عليه في كل ما أبتى وما يندر (وعلى أم) ناشئة (بمن معك) الى يوم القيامة متشعبة فمن ابتدائية

ما قاله نوح عليه السلام اقومه فأجمعوا أمركم وشركاءكم الى قوله ولا تتظنون واعلم ان هذا معجزة قاهرة وذلك أن الرجل الواحد اذا قبل على القوم العظيم وقال لهم بالقوا في عداوتي وفي موجبات ايذائي ولا تؤجلون فانه لا يقول هذا الا اذا كان وثاقا من عند الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه عن كيد الأعداء ثم قال ما من دابة الا هوأخذ بناصيتها قال الازهرى ان ناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر اثبات هناك ناصية باسم منته واعلم أن العرب اذا وصفوا انسانا بالدابة والخضوع قالوا مانا صبة فلان الابد فلان أي انه مطيع له لان كل من أخذت بناصيته فقد قهرته وكانوا اذا أسروا الاسير فأرادوا اطلاقه والتمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة لقهره فخطبوا في القرآن بما يعرفون فقوله ما من دابة الا هوأخذ بناصيتها أي ما من حيوان الا هو تحت قهره وقدرته ومنقذة قضاءه وقدره ثم قال أن ربى على صراط مستقيم وفيه وجوه (الاول) انه تعالى لما قال ما من دابة الا هوأخذ بناصيتها أشعر ذلك بقدرة عالية وقهر عظيم فأتبعه بقوله أن ربى على صراط مستقيم أي انه وان كان قادرا عليهم لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم الا ما هو الحق والعدل والصواب قالت المعتزلة قوله ما من دابة الا هوأخذ بناصيتها يدل على التوحيد وقوله أن ربى على صراط مستقيم يدل على العدل فثبت ان الدين انما يتم بالتوحيد والعدل (الثاني) انه تعالى لما ذكر أن سلطانه قهر جهم الخلق أتبعه بقوله أن ربى على صراط مستقيم يعني أنه لا يخفى عليه مستقر ولا يفوته هارب فذكر الصراط المستقيم وهو يعني به الصراط الذي لا يكون لاحد سلك الا عليه كما قال أن ربك بالمرصاد (الثالث) أن يكون المراد أن ربى يدل على الصراط المستقيم أي بحث أو جعلكم بالهدى اليه * قوله زهوى (فن تولوا فبدأ بأنتعكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضررونه شيئا) ان ربى على كل شيء حفيظ) اعلم أن قوله فان تولوا يعني فان تولوا ثم فيه وجهان (الاول) تقدير الكلام فان تولوا لم أعاب على تفصيل في البلاغ وكنتم تحتجبين كأنه يقول أتم اذني أصررت على التكذيب (الثاني) فان تولوا فبدأ بأنتعكم ما أرسلت به اليكم ثم قال ويستخلف ربى قوما غيركم يعني يخلف بعدكم من هو اطوع لله منكم وهذا اشارة الى نزول عذاب الاستئصال ولا تضررونه شيئا يعني ان اهلاكم لا يخفى من ملكه شيئا ثم قال ان ربى على كل شيء حفيظ وفيه ثلاثة أوجه (الاول) حفيظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها (الثاني) يحفظن من شرككم ومكركم (الثالث) حفيظ على كل شيء يحفظه من الهلاك اذا شاء وبهلاكه اذا شاء * قوله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غايظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ومعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا افعة ويوم القيامة أذانا عادا كفروا ربهم أنابعدا لعدا قوم هود) اعلم أن قوله ولما جاء أمرنا أي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله بها سبع ايام وثمانية أيام

والمراد بالامم المؤمنة المتأسلة ممن معد الى يوم القيامة (وأم سمعهم) أي ومنهم على انه خبر خذف لدلالة ﴿ تدخل ﴾

ماسبق عليه فان اراد انهم انبأوا عليهم المشعبة منهم بكرة يدل على أن بعض من تشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم أم ممنعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام

ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أى وعلى أمهم الذين معك وانما سموا بالأم لانهم امم متحيزة
وجاعات متفرقة اولان جميع الامم انما شعبت منهم فحيث يكون المراد بالام المشار اليهم في قوله تعالى وأمم ستمتعهم بعض الامم
المتشعبة منهم وهى الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبين أمر الامم المؤمنة الناشئة منهم من غير معرض له ولا مدلول
عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره ﴿ ١٠١ ﴾ المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوف تبعيضية وأبتدأ بـ

فأمل (ثم يسمهم) اما في
الآخرة أوفى الدنيا أيضا
(منعذاب أليم) عن محمد بن
كعب القرطبي دخل في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيامة وفيما بعده من
المناع والعذاب كل كافر وعن
ابن زيد بطوا الله عنهم
راض ثم أخرج منهم نسلا
منهم من رحم ومنهم من عذب
وقيل المراد بالام المتعقة قوم
هود وصالح ولوط وشعيب
عليهم السلام وبالعذاب ما نزل
بهم (تلك) اشارة الى ما دُص
من قصة نوح عليه الصلاة
والسلام اما لكونها بتقصيها
في حكم البعيدة وللدلالة على
بعده من زلتها وهى مبتدأ خبره
(من انباء الغيب) أى من
جنسها أى ليست من قبيل
سائر الانباء بل هى تسجيح وحدها
منفردة عما عداها أو بعضها
(نوحيا اليك) خبر ثان
والضمير لها أى ومحاة اليك
او هو الخبر ومن أنباء متعلق به
فالتعير بصيغة المضارع
لاستحضار الصورة أو حال
من أنباء الغيب أى ومحاة اليك
(ما كنت تعلمها أنت ولا قومك)

تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وتسرعهم على الأرض على وجوههم حتى
صاروا كأنهم نخل خاوية فان قيل فهذه الرياح كيف تؤثر في اهلاكهم قلنا يحتمل أن
يكون ذلك لشدة حرها أو لشدة بردها أو لشدة قوتها فتخطف الحيوان من الأرض
ثم تضر به على الأرض فكل ذلك محتمل وأما قوله نجينا هودا فاعلم أنه يجوز أن يان البلية
على المؤمن وعلى الكافر معا وحيث تكون تلك البلية رحمة على المؤمن وعذابا على
الكافر فأما العذاب انما نزل بمن يكذب الانبياء عليهم السلام فانه يجب في حكمه الله تعالى
أن ينجي المؤمن منه ولولا ذلك لما عرف به كونه عذابا على كفرهم فلهذا السبب قال الله
تعالى ههنا نجينا هودا والذين آمنوا معه * وأما قوله برحمة منا فبقية وجوه (الاول) أراد
أنه لا يجوز أحد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة من الله (والثاني) المراد
من الرحمة ما هداهم اليه من الايمان بالله والعمل الصالح (الثالث) أنه رحمه في ذلك
الوقت وميزهم عن الكافرين في العذاب * وأما قوله ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد
من النجاة الاولى هى النجاة من عذاب الدنيا والنجاة الثانية من عذاب القيامة وانما وصفه
بكونه غليظا تنبيه على أن العذاب الذى حصل لهم بعد موتهم بالنسبة الى العذاب الذى
وقوه فيه كان عذابا غليظا والمراد من قوله تعالى ونجيناهم أى حكمنا بأنهم لا يستحقون
ذلك العذاب الغليظ ولا ينعون فيه واعلم أنه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى
الله عليه وسلم فقال وتلك عاد فها اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه تعالى قال سبروا
في الأرض فانظروا اليها واعتبروا * ثم انه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم
في الدنيا والآخرة فأما أوصافهم فهي ثلاثة (المصفة الاولى) قوله جعدوا بابات ربهم
والمراد انهم جعدوا دلالة المعجزات على الصدق أو جعدوا دلالة المحذورات على وجود
الصانع الحكيم اربط أنهم كانوا زنادقة (المصفة الثانية) قوله وعصوا رسله والسبب فيه
أنهم اذا عصوا رسلوا واحدا فقد عصوا جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين أحد من
رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود عليه السلام (المصفة الثالثة) قوله واتبعوا أمر كل جبار
عنيو المعنى ان السفلة كانوا يفلدون الرؤساء في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم والمراد من
الجبار المرتفع المتمرد والعنيد العنود والمعاند وهو المنازع المعارض * واعلم أنه تعالى لما ذكر
أوصافهم ذكر بعد ذلك أحوالهم فقال واتبعوا في هذه الدنيا عنة ويوم القيامة أى جعل
اللعن رديفا لهم ومتابعا ومصاحبا في الدنيا وفي الآخرة ومعنى اللعنة الابعاد من رحمة
الله تعالى ومن كل خير ثم انه تعالى بين السبب الاصل في نزول هذه الاحوال المكروهة بهم
فقال ألان عادا كفروا ربهم قيل أراد كفروا ربهم فحذف الباء وقيل الكفر هو الجحد
فالتقدير ألان عادا جعدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف أى كفروا نعمة ربهم
ثم قال ألان عادا جعدوا ربهم هود وفيه سؤالان (السؤال الاول) اللعن هو البعد فلما قال
وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة فالعاقبة في قوله ألان عادا (والجواب)

خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) أى من قبل ان يحاشا اليك واخبارك بها وأمن قبل هذا العلم الذى كسبته
بالوحي وأمن قبل هذا الوقت وأحوال من الهاء في نوحيا أى جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكر جهالهم تنبيه
على أنه عليه الصلاة والسلام يعلمه اذ لم يخاطب غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يعلموه فكيف بواحد منهم (فاعبر) متفرع على
الانذار أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل

هَذَا أَيْ وَاقْدَأَوْحِينَاهَا إِلَيْكَ أَوْ عَلَّمْتَهَا بِذَلِكَ فَاصْبِرْ عَلَى مَشَاقِ تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ وَأَذِيقْ قَوْمَكَ كَمَا صَبَرَ نُوْحٌ عَلَى مَا سَمِعَتْهُ مِنْ أَنْوَاعِ
الْبَلَاءِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْمُنْتَطَوِّلَةِ وَهَذَا نَاطِرٌ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ مَا يَوْحَى إِلَيْكَ الْخ (أَنَّ الْعَاقِبَةَ) بِالْظَهْرِ فِي الدُّنْيَا
وَيَالْفَوْزُ فِي الْآخِرَةِ (لِلْمُتَّقِينَ) كَمَا شَهِدَتْهُ فِي نُوْحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَوْمُهُ وَلَكَ فِيهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَهِيَ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ كَوْنَ الْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ لِلْمُتَّقِينَ وَهُوَ فِي أَقْصَى * ١٠٢ * درجَاتِ الْقُوَى وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ

مُتَّقُونَ بِمَا سَلِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَوْمَئِذٍ عَلَيْهِ الْخُطُوبُ وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا عَسَى يَعْزِيهِ مِنْ ضَيْقٍ صَدْرُهُ وَهَذَا عَلَى تَهْدِيرٍ أَنَّ رَادَّ الْقُوَى الدَّرَجَةِ الْأُولَى مِنْهُ اعْنَى التَّوَقُّفِ مِنَ الْعَذَابِ الْمُتَخَلِّدِ لِلتَّبَوُّعِ مِنَ الشَّرِكِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالزَّمَنُ كَلِمَةُ الْقُوَى وَبِحُجُوزِ أَنْ يَرَادَ الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ مِنْهُ وَهِيَ أَنْ يَتَزَنَّهُ عَمَّا يَشْغُلُ سِرَّهُ عَنِ الْحَقِّ وَيَنْتَبِلُ إِلَيْهِ بِشَرِّ أَشْرِهِ وَهُوَ الْقُوَى الْحَقِيقِي الْمَطْلُوبُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ فَإِنَّ الْقُوَى هَذَا الْمَعْنَى مَنْطُوقٌ عَلَى الصَّبْرِ الْمَذْكُورِ فَيُكَانُهُ قِيلَ فَاصْبِرْ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّابِرِينَ (وَالْيَعَادُ) مُتَعَلِّقٌ بِمُضْمَرٍ مَعْطُوفٍ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى أَرْسَلْنَا فِي قِصَّةِ نُوْحٍ وَهُوَ النَّاصِبُ تَوَلَّاهُ تَعَالَى (أَخَاهُمْ) أَيْ وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ أَيْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي النَّسَبِ كَقَوْلِهِمْ يَا أَخَا الْعَرَبِ وَتَقْدِيمُ الْجُرُورِ عَلَى الْمَنْصُوبِ هَهُنَا لِحَذَارٍ عَنْ لَاضْمَارِ قَبْلِ الذِّكْرِ وَقِيلَ مُتَعَلِّقٌ لِفِعْلِ الْمَذْكُورِ فَيَسْبِقُ وَأَخَاهُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى نُوْحٍ وَهُوَ قَدْ مَرَفَى سُورَةُ الْأَعْرَافِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى

التَّكْرِيرُ بِعِبَارَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ التَّكِيدِ (السُّؤَالُ الثَّانِي) مَا الْغَايَةُ فِي قَوْلِهِ لِعَادٍ قَوْمُ هُودٍ (الْجَوَابُ) كَانَ عَادَ عَادِينَ فَالْأَوَّلُ الْقَدِيمَةُ هُمُ قَوْمُ هُودٍ وَالثَّانِيَةُ هُمُ ذَاتُ الْعِمَادِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِإِزَالَةِ الْإِشْتِبَاهِ (وَالثَّانِي) أَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي التَّنْصِيبِ تَدُلُّ عَلَى مُزِيدِ التَّكِيدِ * قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالْيَعَادُ) صَالِحٌ لِحَقَائِلِ مَا قَوْمُ عِبَادِ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَى اللَّهِ أَنْزَلَ بِكُمْ فِي قَرِيبٍ مَجِيبٍ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَنْتَ أَتَانَا نَبِيًّا نَعْبُدُ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا فِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرْيَبٍ) أَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ قِصَّةُ صَالِحٍ مَعَ مُنُودٍ وَنُظَمَ هُمَا مِثْلُ النُّظْمِ الْمَذْكُورِ فِي قِصَّةِ هُودٍ لِأَنَّ هَهُنَا لَمْ يَأْمُرْهُمُ بِالْوَحِيدِ ذَكَرَ فِي تَقْرِيرِهِ دَلِيلَيْنِ (الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ) قَوْلُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَفِيهِ وَجْهَانِ (الْأَوَّلُ) أَنَّ الْبَاطِلَ مُخْلَقُونَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ وَهُوَ كَانَ مُخْلَقًا مِنَ الْأَرْضِ وَأَقُولُ هَذَا صَحِيحٌ لَكِنْ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُخْلَقٌ مِنَ الْمُنَى وَمِنْ دَمِ الطُّيْثِ وَالْمُنَى إِنَّمَا تَوَلَّدَ مِنَ الدَّمِ فَالْإِنْسَانُ مُخْلَقٌ مِنَ الدَّمِ وَالدَّمُ إِنَّمَا تَوَلَّدَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَهَذِهِ الْأَغْذِيَةُ أَمَّا حَيَوَانِيَّةٌ وَأَمَّا بَنَاتِيَّةٌ وَالْحَيَوَانَاتُ حَالُهَا كَحَالِ الْإِنْسَانِ فَوُجِبَ انْتِهَاءُ الْبُكْلِ إِلَى الْبَنَاتِ وَظَاهِرٌ أَنَّ تَوَلَّدَ الْبَنَاتُ مِنَ الْأَرْضِ فَيُثْبِتُ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ (وَالْوَجْهُ الثَّانِي) أَنَّ تَكُونَ كَلِمَةً مِنْ مَعْنَاهَا فِي التَّهْدِيرِ أَنْشَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مَتَى أُمِكنَ حَلُّ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى صَرْفِهِ عَنْهُ وَأَمَّا تَقْرِيرُ أَنَّ تَوَلَّدَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَرْضِ كَيْفَ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ فَقَدْ شَرَحْنَاهُ مَرَارًا كَثِيرَةً (الدَّلِيلُ الثَّانِي) قَوْلُهُ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا وَفِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجَحُ (الْأَوَّلُ) جَعَلَكُمْ عِمَارَهَا قَالُوا كَانَ مَلُوكُ فَارَسَ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ حَفْرِ الْأَنْهَارِ وَغَرَسِ الْأَشْجَارَ لِأَجْرٍ حَصَلَتْ لَهُمُ الْأَعْمَارُ صَوِيلَةً فَسَأَلَ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيََاءِ زَمَانِهِمْ رَبَّهُ مَا سَبَبُ تِلْكَ الْأَعْمَارِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ عَمْرُو بِلَادِي فَعَاشَ فِيهَا عِبَادِي وَأَخَذَ مَعَاوِيَةً فِي أَحْيَاءِ أَرْضِي فِي آخِرِ عَمْرِهِ فَقَبِلَ لَهُ مَا حَلَّكَ عَلَيْهِ فَقَالَ مَا حَلَّنِي عَلَيْهِ الْأَقْوَالُ الْقَائِلُ

لَيْسَ الْفَنَى يَبْقَى لَا يَسْتَضَاهُ بِهِ * وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارُ (الثَّانِي) أَنَّهُ تَعَالَى أَطْلَعَ أَعْمَارَكُمْ فِيهَا وَاسْتَقَاقَ وَاسْتَعْمَرَكُمْ مِنَ الْعَمْرِ مِثْلَ اسْتِنْقَاكِ مِنَ الْبَقَا (وَالثَّلَاثُ) أَنَّهُ مَا خُوِذَ مِنَ الْعَمْرِ أَيْ جُمِعَ لَهَا لَكُمْ طَوِيلُ أَعْمَارِكُمْ فَادْعَانِي انْتَقَلَتْ إِلَى غَيْرِكُمْ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي كَوْنِ الْأَرْضِ قَابِلَةً لِلْعِمَارَاتِ الشَّافِعَةَ لِلْإِنْسَانِ وَكَوْنِ الْإِنْسَانِ قَادِرًا عَلَيْهَا دَلَالَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ وَيَرْجِعُ حَاصِلُهُ إِلَى مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ أُخْرَى وَهِيَ قَوْلُهُ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَذَلِكَ لِأَنَّ حَدُوثَ الْإِنْسَانِ مَعَهُ أَنَّهُ حَصَلَ فِي ذَاتِهِ الْعَقْلُ الْهَادِي وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّصَرُّفَاتِ الْمُوَافَقَةِ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ وَكَوْنِ الْأَرْضِ مَوْصُوفَةً بِصِفَاتٍ مُضَابِقَةٍ لِلْمَصَالِحِ مُوَافِقَةً لِلْمَنَافِعِ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى وَجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ أَمَا قَوْلُهُ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ أَنْزَلَ بِكُمْ فِي قَرِيبٍ مَجِيبٌ يَعْنِي أَنَّهُ

(هُودًا) عَطَفَ بَيَانَ لِأَخَاهُمْ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ جَلَّتْهُمْ فَانَّهُ هُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِبَاعِ بْنِ قَرِيبٍ * الْخُلُودُ بْنُ الْعَوْصِ بْنِ أَرَمَ بْنِ سَامٍ بْنِ نُوْحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقِيلَ هُودُ بْنُ شَالِحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوْحٍ ابْنِ عَمٍّ أَيْ عَادَ وَانْمَاجِلُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ أَهْلُهَا وَأَعْرَفُ بِحَالِهَا وَأَرْغَبُ فِي اقْتِنَائِهَا (قَالَ) لَمَّا كَانَ ذِكْرُ أَسَالِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهِمْ مَطْلَعٌ لِسُؤَالِ عَمَّا قَالَ لَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ أَجَبَتْ عَنْهُ بِطَرِيقِ الْاسْتِثْنَاءِ قَبِيلُ

قال (يا قوم اعبدوا الله) أي وحده كما ينبغي عنه قوله تعالى (مآلکم من الغیر) فإنه استثناف یجرى مجرى البیان للعبادة بالمأمور بها والتعلیل الأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً إذ ليس لکم من الله سواء وغيره بالرفع صفة لأنه باعتبار محله وقرئ بالجر جلاله على إلفظه (ان أنتم) ما أنتم تأخذکم الا صنم شرکاء له أو بقولکم ان الله أمرنا بعبادتها (الامفترقون) عليه تعالى عن ذلک علواً کبيراً (يا قوم) لاسألکم عليه أجر الله ١٠٣ ﴿﴾ ان أجرى الاعلى الذى فطرنى) خاطب به کل بنى قومه ازاحة لما

عسى يتوهونه ومحاسنا للنصيحة فانها مادامت مشوبة بالمطامع يعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلاة فعل الغطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة بالشكر الذى لا يتأتى الا بالجرىان على موجب أمر الغالب معرض عن المطالب الدنيوية التى من جلتها الاجر (أفلا تعقلون) أى أتعقلون عن هذه القضية أو لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها أو تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئاً أصلاً فان هذا مما لا ينبغي أن يخفى على أحد من العقلاء (ويا قوم استغفروا ربکم) أى اطلبوا مغفرتهم لما سلف منکم من الذنوب بالایمان والطاعة (ثم تو بواله أى توسلوا اليه بالتوبة وأيضاً التبرؤ من الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده (يرسل السماء) أى المطر (عليکم مدراراً) أى كثير الدور (ويزدكم قوة) مضافة ومنفعة (الى قوتکم) أى يضاعفها لکم وانما رغبهم بکثرة المطر

قريب بالعلم والسمع محجب دعا المحتاجين بفضلهم ورحمة ثم بين تعالى أن صالحاً عليه السلام لما قرر هذه الدلائل قالوا يا صالح قد كنت فينا من جوا قبل هذا وفيه وجوه (الاول) انه لما كان رجلاً قوى العقل قوى الخاطر وكان من قبيلتهم قوى رجاءهم في أن ينصروهم ويهزم مذهبهم ويقرر طريقهم لانه متى حدث رجلاً فاضل في قوم طمعه ما فيه من هذا الوجه (الثالث) قال بعضهم المراد انك كنت تعطف على فقرائنا وتعين ضعفاءنا وتعود مرضانا وقوى رجاءنا فيك انك من الانصار والاحباب فكيف أظهرت العداوة والبغضة ثم انهم أضافوا الى هذا الكلام التعجب الشديد من قوله فقالوا انت هنا ان نعبد ما يعبد آباؤنا والمقصود من هذا الكلام التمسك بطريق التقليد وجوب متابعة الآباء والاسلام ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجيب ثم قالوا وانما نرى شك مما تدعوننا اليه من رب والشك هو أن يبقى الانسان متوقفاً بين النبی والآيات والرب هو الذى يظن به السوء وقوله وانما لى شك يعنى به انه لم يترجع في اعتقادهم صحة قوله وقوله من رب يعنى انه تزجع في اعتقادهم فساد قوله وهذا بالغ في تزييف كلامه ﴿﴾ قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فأتزبدوني غير تخسير) اعلم أن قوله ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين تام في امره الا ان خطاب المخائف على هذا الوجه أقرب الى القبول فكانه قال قد روي أنى على بينة من ربي وأنى نبى على الحقيقة وانظروا انى ان تابعتمكم وعصيت ربي في أوامر ربي فمضى عنى من عذاب الله فما تزبدوني على هذا التقدير غير تخسير وفى تفسير هذه الكلمة وجهان (الاول) ان على هذا التقدير تخسرون أعمالكم وتبطلونها (الثاني) ان يكون التقدير فأتزبدوني بما تقولونلى ويحكمونى عليه غير أن أخسركم أى أنسبكم الى الخسران وأقول لکم انکم خاسرون والقول الاول أقرب لان قوله من ينصرني من الله ان عصيته كالدلالة على انه أراد ان أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذى دعوتونى اليه لم ازد الا خسرانا في الدين فاصبر من الهالكين الخاسرين ﴿﴾ قوله تعالى (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلک وعد غير مكذوب) اعلم ان العادة فيمن يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام أن يندى بالدعوة الى عبادة الله ثم يدعى النبوة لابدؤا يطلبوا منه المجزوء أمر صالح عليه السلام هكذا كان ﴿﴾ يروى أن قومه خرجوا في عيد لهم فسألوه أن يأتيهم بآية وأن يخرجهم من صخرة معينة أشاروا اليها ناقة فدعا صالح ربه فخرجت الناقة كما سألوا واعلم أن تلك الناقة كانت معجزة من وجوه (الاول) انه تعالى خلقها من الصخرة (وثانها) انه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل (وثالثها) انه تعالى خلقها حاملاً من غير ذكر (ورابعها) انه خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة

لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم الفطرو أعفهم أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه الصلاة والسلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالناسل على الايمان والتوبة (ولا تقولوا) أى لا تعرضوا عما دعوتكم اليه (مجرمين) مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفاتنة للصبر (وما نحن بتاركى آلهتنا) أى بتاركى

عبادتها (عن قولك) أي صادقين عنه أي صادرا تركنا عن ذلك باستدحال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبل وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيد الباء واللام وهذا أقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف أجتنبنا لعبادته وحده ونذرنا كان بعدد آبائنا (و ما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين في شئ مما تأتي وتذرفين درج تحتها مادعاهم إليه من التوحيد وترك عبادة الألهة وفيه من الدلالة على شدة الشكية وتجاوز الحد في ﴿ ١٠٤ ﴾ العتوم لا يخفى (ان نقول الاعتراك) أي مانقول

الاقولنا اعتراك أي أصابك (بعض آلهتنا بسوء) بخنون سبكا ياها وصدرك عن عبادتها وخطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية بماسر من قولك ما لكم من الله غيره ان أتم الامتزون والتكيري سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في السوء كإبني عنه نسبة ذلك إلى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والال لقولان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيان صادرة عن المجانين فكيف نصدقهم ونؤمن به ونعمل بموجبه واقدس له كما في طريقة المخالفة والعناد إلى سبيل الرقي من الذي إلى الا على حيث

(وخامسها) ما روى أنه كان لها شرب يوم وكل القوم شرب يوم آخر (وسادسها) انه كان يحصل منها ابن كثير يكفي الخلق العظيم وكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي وليس في القرآن الا أن تلك النافذة كانت آية ومعجزة فأما بيان أنها كانت معجزة من أي الوجوه فليس فيه بيان * ثم قال فذروها تأكل في ارض الله والمراد انه عليه السلام رفع من القوم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا يتفقون بلينها على ما روى انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من استمرارهم على الكفر فان الخصة لا يحب ظهور رجة خصمه بل يسعى في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلهذا احتاط وقال ولا تمسوها بسوء فوعدهم ان مسوها بسوء بعذاب قريب وذلك تحذير شديد لهم من اقدامهم على قتلها ثم بين الله تعالى انهم مع ذلك عقروها وذبحوها ويحتمل انهم عقروها لابطال تلك الحجة وأن يكون لانها ضيقت الشرب على القوم وأن يكون لانهم رغبوا في شحمها ولحمها وقوله فإخذكم عذاب قريب يريد اليوم الثالث وهو قوله تمتعوا في داركم * ثم بين تعالى ان القوم عقروها فعند ذلك قال لهم صالح عليه السلام تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ومعنى التمتع التذلل بالمتاع والملاذاتي تدرك بالحواس ولما كان التمتع لا يحصل الا للحي عربه عن الحياة وقوله في داركم فيه وجهان (الاول) ان المراد من الدار البلد وتسمى البلاد بالدار لانه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر أي بلادهم (الثاني) ان المراد بالدار الدنيا وقوله ذلك وعد غير مكذوب أي غير كذب والمصدر قد يرد بلفظ المفعول كالجلود والمعتول وبأيكم المفتون وقيل غير مكذوب فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى لما أمرهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغبهم في الإيمان وذلك لانهم لما عقر والنافذة أخذهم صالح عليه السلام بزل العذاب فقالوا وما علامة ذلك فقال نصبر وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني حمرة وفي الثالث مسودة ثم بأنكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم قد اسودت أغنوا بالعذاب فاحتسبوا واستعدوا للعذاب فصحبهم اليوم الرابع وهي الصيحة والصاعقة والعذاب فان قيل كيف يدعى أن تظهر فيهم هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه السلام ثم يقولون مصرين على الكفر قلنا ما دامت الامارات غير باعة إلى حد الجزم واليقين لم يمتنع بقاؤهم على الكفر واذا صارت يقينية قطعية فقد انتهت إلى حد الاجلاء والايان في ذلك الوقت غير مقبول * قوله تعالى (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز) أخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين كأنهم اغنوا فيها الا انهم كفروا بهم الابعدا لثمود (اعلم ان مثل هذه الآية قد مضى في قصة عاد وقوله ومن خزي يومئذ فيه مسائل (المسئلة الاولى) الواو في قوله ومن خزي واو العطف وفيه وجهان (الاول) أن يكون التقدير نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا من العذاب النازل بقومهم ومن الخزي

أخبروا أو لاعت عدم مجيئه بالبينه مع احتمال كون ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجة في نفسه وان لم تكن * الذي * واضحة الدلالة على المراد وانما يعنى ترك الامتثال بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة بوضاحتها قالوا ما قالوا فالتهم الله

في سورة الاحقاف اتحاد لوني في استنادهم لغيرها ثم وابلوا كما نزل الله بها من سلطان او بما نشر كونه من الهة
خير الله اجاب بعض مقالهم الجماع المبنية على اعتماد كون الهتهم بما يضر او ينفع وانما يعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولاً منه عليه
الصلوة والسلام في حق الهتهم من كونها ١٠٥ يعزل عن الاولوية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى

واختصاصه بها وقد شق عليهم
ذلك وعدوه بما يورث شتاً حتى
زعموا انها نصيبه عليه الصلاة
والسلام بسوء مجازاة لصنيعه
معهما صرح عليه الصلاة
والسلام بالحق وصدد به
حيث اخبر ببراءته القديمة
عنها بالجملة الاسمية المصدرة
بان واشهد الله على ذلك وامرهم
بان يسمعو ذلك ويشمعوها به
استمناته بهم ثم امرهم بالاجتماع
والاحتشاد مع الهتهم جميعاً
دون بعض منها حسماً يشعروا به
قولهم بعض الهتنا والتعاون
في ايصال الكيد اليه عليه
الصلاة والسلام ونهاهم عن
الانظار والامهال في ذلك فقال
(فكيدوني جميعاً لا تنظروني)
أي ان صح ما لو حتم به من
كون الهتهم بما يقدر على
اضرار من ينال منها ويصد
عن عبادتها ولو بطريق ضمني
فان يرى منها ما فكروا انهم
معهما جميعاً وناشروا كيدى ثم لا
تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك
فالفاء لتفريع الامر على زعمهم
في قدرة الهتهم على ما قالوا
على البراءة كلها وهذا من
اعظم الجزات فانه عليه
الصلاة والسلام كان رجلاً

بالله في زعمهم وبقى العار فيه ما تورعتم ومنسوبة اليهم لان معنى الحزى العيب الذي يظهر
فصله من مستحياً من مثله خندق ما خندق اعتماداً على دلالة ما بقى عليه (الثاني)
ان يكون التقدير نجيباً صالحاً بدرجة مناوئتهم من خزي يومئذ (المسئلة الثانية) قرأ
الكسائي ونافع في رواية ورش وقالون واحدي الروايات عن الاعشى يومئذ يفتح الميم
وفي العار عذاب يومئذ والباقيون بكسر الميم فيهما فن قرأ بالفتح فعلى ان يوم مضاف الى
اذوان اذمبني والمضاف الى المبني يجوز جعله مبنياً لاري ان المضاف يكتسب من
المضاف اليه التعريف والتكثير فكذلك ههنا واما الكسر في اذ فالسبب انه يضاف الى
الجملة من المبتدأ والخبر فتلك اذ الشمس طاعة فلما قطع عنه المضاف اليه نون
ليدل التنوين على ذلك ثم كسرت الذال لسكونها وسكون التوين واما القراءة بالكسر
فعلى اضافة اخرى الى اليوم ولم يلزم من اضافته الى المبني ان يكون مبنياً لان هذه
الاضافة غير لازمة (المسئلة الثالثة) اخرى الذن العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة ولذلك
قال تعالى في المحار بين ذلك لهم خزي في الدنيا وانما سمي الله تعالى ذلك العذاب خزاناً لانه
فضيحة باقية باعتبارها امثالهم ثم قال ان ربك هو القوي العزيز وانما حسن ذلك لانه
تعالى بين انه اوصل ذلك العذاب الى الكافر وصاب اهل الايمان عنه وهذا التمييز لا يصح
الامن القادر الذي يقدر على قهر طائفة الاشياء فيجعل الشيء الواحد بالنسبة الى انسان
بلا وعدها وبالنسبة الى انسان آخر اراحة وريحاناً ثم انه تعالى بين ذلك الامر فقال واخذ
الذين ظلموا فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) انما قال اخذ ولم يقل اخذت لان الصيغة
محمولة على الصباح وايضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفواصل فكان الفاصل
كالعوض من تاء التانيث وقد سبق لها نظائر (المسئلة الثانية) ذكروا في الصيغة وجهين
قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد الصاعقة (الثاني) الصيغة صيغة عظيمة هائلة سمعوا
فانوا اجمع منها فاصبحوا وهم موتى جائئين في دورهم ومساكنهم وجنومهم سقوطهم
على وجوههم يقال انه تعالى امر جبريل عليه السلام ان يصيح بهم تلك الصيغة التي ماتوا
بها ويجوز ان يكون الله تعالى خلقها والصباح لا يكون الا الصوت الحادث في خلق وفي
وكذلك الصراخ فان كان من فعل الله تعالى فقد خلقه في خلق حيوان وان كان فعل
جبريل عليه السلام فقد حصل في فعله وخلق له الدليل عليه ان صوت الرعد اعظم من كل
صيحة ولا يسمى بذلك ولا يانه صراخ فان قيل فالسبب في كون الصيغة موجبة للموت
فكنافة وجوه (أخذها) ان الصيغة العظيمة انما تحدث عند سبب قوي يوجب توجع
الهيول او فلك التوجع الشديد وما تعدى الى صياح الانسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث
الموت (والثاني) انها شئ مهيّب فتحدث الهيئة العظيمة عند حدوثها والاعراض
التي تليها اذا قويت او جئت الموت (الثالث) ان الصيغة العظيمة اذا حدثت من
الضباب فلا يدون يصحبها برق شديد يحرق وذلك هو الصاعقة التي ذكرها ابن عباس

في حديث الجهم الصغير والجمع الكثير من عتاة قريظة ١٤٤ لما عاد الغلات الشداد وقد ساط بهم بما خاطبهم وحقهم والهجم وهجمهم
على ما اورد في المصنف والمضار يوصفهم على التصدي لاسباب المعازاة والمعاراة فلا يقدر على مباشرة شئ مما كفوه وظهر
عجزهم عن المصروف لئلا يكفوا لا رجوعاً الى ركن متين رفيع واحصم بجل متين حيث قال (اني توكلت على الله ربي وربكم)

يعني انكم وان بدأنتم في مضارتي مجهودكم لا تدرون على شيء مما تريدون في قاتي متوكل على الله تعالى وانما ينبغي ان يعطى الناس ما يستحقون
أدل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكالاتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالي وما لكم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني أمر
الابارادته ومشتبه ثم رهن عليه بقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي الا هو مالك لها فادرك عليها بصرفها كيف يشاء غير
مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك * ١٠٦ * (ان ربي على صراط مستقيم) تعليل لما يبدل عليه التوكل من

عدم قدرتهم على اضراؤه أي
هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم على اذ لا يضيع عنده
معصم ولا يفتن عليه ظالم
والاقتصار على اضافة الرب
الى نفسه اما بطريق الاكتفاء
لظهور المراد واما لان فائدة
كونه تعالى ما كالمهم ايضار اجماعه
اليه عليه الصلاة والسلام
(فان تولوا) أي تتولوا وتحذف
احدى النابتين أي ان تستمروا
على ما كنتم عليه من النولي
والاعراض (فقد أبلغتكم
ما أرسلت به اليكم) أي لم أعاتب
على تقريط في البلاغ وكنتم
محبوجين بان بلغكم الحق
فأيتهم الا التكذيب والحدود
(ويستخف ربي قوم غيركم)
استثنا بالوعيد لهم بأن الله
تعالى يهلكهم ويستخف في
ديارهم وأموالهم قوم آخرين
أو عطف على الجواب بالقاء
و يؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه بالجزم عطفاً على
الموضع كأنه قيل فان تولوا
يعذرنى ويهلككم ويستخف
مكانكم آخرين وفي اقتصار
اضافة الرب عليه عليه السلام
رمز الى اللطف به والتدبير

رضي الله عنهما * ثم قال تعالى فأصبحوا في ديارهم جائعين والجثوم هو السكون يقال للطير
اذ بان في أو كارهها انها جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت
فوصف الله تعالى هؤلاء المهلكين بأنهم سكنوا عند الهلاك حتى كأنهم ما كانوا أحياء
وقوله كأن لم يغنوا فيها أي كأنهم لم يوجدوا والمغنى المقام الذي يقيم الحى به يقال غنى
الرجل يمكن كذا اذا أقام به * ثم قال تعالى ألا ان عمود كفروا بهم الأبعد التمود قرأ حزة
وحفص عن عاصم ألا ان عمود غير ممنون في كل القرآن وقرأ الباقون؛ ود بالتوين ولثمود
كلاهما بالصرف والصرف للذهاب الى الحى أو الى الاب الأكبر ومنعه للتعريف
ولأنيت بمعنى القبلة * قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا اسلاما ما قال
سلام فأنث أن جاء بهل حشد فلما رأى أيديهم لا تفصل اليه شكرهم وأوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف انا رسلنا الى قوم لوط وامرنا فمأمة فضحك فبشرنا بما باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب) اعلم ان هذا هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة
وهنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الخويون دخلت كلمة قد ههنا لان السامع لقصص
الانبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة وقد لا توقع ودخلت اللام في لفظنا كبدا
الخبر ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة فهنا يفيد القطع بحصول ثلاثة وأما الزائد على هذا
العدد فلا سبيل الى اثباته الا بدليل آخر وأجمعوا على أن الاصل فيهم كان جبريل عليه
السلام ثم اختلفت الروايات فقيل أنه جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكا على
صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وهم الذين
ذكرهم الله في سورة والذاريات في قوله هل أتاك حديث ابراهيم وفي الحجر
ويذهب عن ضيف ابراهيم (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بالبشرى على وجهين
(الاول) ان المراد ما بشره الله بعد ذلك بقوله فبشرنا بما باسحق ومن وراء اسحق
يعقوب (الثاني) ان المراد منه أنه بشر ابراهيم عليه السلام بسلامة لوط وباهلاك
قومه * وأما قوله قالوا اسلاما ما قال سلام ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة
والكسائي قالوا سلم قال سلم بكسر السين وسكون اللام بغير ألف وفي والذاريات مثله
قال الفراء لا فرق بين القراءةين كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام لان في التفسير انهم لما
جاءوا سلموا عليه قال أبو علي الفارسي ويحتمل أن يكون سلم خلاف العدو والحرب كأنهم
لما امتنعوا من تناول ما قدمه اليهم نكروهم وأوجس منهم خيفة قال اناسم ولست بحرب
ولا عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما تمتنع من تناول طعام العدو وهذا الوجه عندي
بعيد لان على هذا التقدير ينبغي أن يكون تكلم ابراهيم عليه السلام بهذا اللفظ بعد
احضار الطعام الآن القرآن يدل على ان هذا الكلام انما وجد قبل احضار الطعام لانه
تعالى قال قالوا اسلاما ما قال سلام غالب أن جاء بهل حين ذوالقاء للتعقيب فدل ذلك على

للخطاطين (ولا تضروني) بوليكم (شيئا) من الضر لا يستحال ذلك عليه ومن جزم ويستخف أسقط منه النون * أن
(ان ربي على كل شيء حفيظ) أي رقيب مهين فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شيء فكيف
يضره شيء وهو المألف لكل (ولما جاء أمرنا) أي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالبحر

عظيمة كأنه (مناف) وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه (ونجيناهم من عذاب غليظ) أي كانت تلك النجاة نجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أديبارهم فقطعهم اربارا وبقيل أربا الثانية النجاة من عذاب الآخرة ولا عذاب ﴿ ١٠٧ ﴾ أعظم منه وأشد هذه النجاة وان لم تكن مفيدة بمجى الامر لكن بجى بها تكملة للنعمة

عليهم وتقرضاً بأن المهلكين
كما عبدوا في الدنيا بالاسم
فهم معذبون في الآخرة
بالعذاب الغليظ (وتلك عاد)
أنث اسم الإشارة باعتبار
القبيلة أولان الإشارة إلى
قبورهم وأثارهم (جحدوا
يأت بهم) كفروا بها
بعدما استيقنوها (وعصوا
رسوله) جمع الرسل مع أنه
لم يرسل اليهم غيره عذوبة
الصلاة والسلام تفضيلاً
لخالقهم وإظهاراً للكمال
كفرهم وعنادهم ببيان أن
عصيانهم له عليه الصلاة
والسلام عصيان لجميع الرسل
السابقين واللاحقين لاتفاق
كلهم على التوحيد لانفراق
بين أحد من رسله فيجوز أن
يراد بالآيات ما أتى به هود
وغيره من الانبياء عليهم السلام
وقه زيادة ملائمة لما تقدم
من جميع الآيات وما أتى
من قوله (واتبعوا) أمر كل
جبار عند من كبرائهم
ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال
والى تكذيب الرسل فكانه قيل
عصوا كل رسول واتبعوا
أمر كل جبار وهذا الوصف

أن يجيئه بذلك الجبل الحنيد كان بعد ذكر العلام (المسئلة الثانية) قالوا سلاما تقدره
سلاما عليك سلاما قال سلام تقدره أمرى سلام أى لست مريدا غير السلامة والصالح قال
الواحدى ويحتمل أن يكون المراد سلام عليكم فجاءه مرفوعا حكاية لقوله كما قال
وحذف عنه الخبر كاحذف من قوله فصبر جميل وإنما يحسن هذا الحذف إذا كان المقصود
معلوما بعد الحذف وههنا المقصود معلوم فلا جرم حسن الحذف ونظيره قوله تعالى فاصفح
عنهم وقل سلام على حذف الخبر واعلم أنه إنما سلم بعضهم على بعض رعاية للاذن المذكور
في قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلطوا على أهلها (المسئلة
الثالثة) أ كثر ما يستعمل سلام عليكم بغير ألف ولام وذلك لانه في معنى الدعاء فهو مثل
قولهم خير بين يديك فان قيل كيف جاز جعل النكرة مبتدأ قلنا النكرة إذا كانت
موصوفة جاز جعلها مبتدأ فاذا قلت سلام عليكم فالتكثير في هذا الموضع يدل على التمام
والكمال فكأنه قيل سلام كامل تام عليكم ونظيره قولنا سلام عليك وقوله تعالى قال سلام
عليك سأستغفرك ربى وقوله سلام قولنا من رب رحيم سلام على نوح فى العالمين
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فاما قوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فهذا أيضا جائز والمراد منه الماهية والحقيقة وأقول قوله سلام عليكم أكل من
قوله السلام عليكم لان التكثير في قوله سلام عليكم يفيد الكمال والمبالغة والتمام وأما
لفظ السلام فانه لا يفيد الا ماهية قال الاخفش من العرب من يقول سلام عليكم
فيعربى قوله سلام عن الالف واللام والتنوين والسبب في ذلك أن كثرة الاستعمال أباح
هذا التخفيف والله أعلم * ثم قال تعالى فإبئت أن جاء بعجل حنيدا قالوا مكث ابراهيم خمس
عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغمث لذلك ثم جاءه الملائكة فرأى اضيفا لم ير مثلهم فعجل وجاء
بعجل حنيد فقوله فإبئت أن جاء بعجل حنيد معناه فإبئت فى الجبى به بل بعجل فيه
أو التقدير فإبئت محيئه والعجل ولد البقرة أما الحنيد فهو الذى يشوى فى حفرة من
الارض بالحجارة المحماة وهومن فعل أهل البادية معروف وهو محنود فى الاصل كما قيل
طبيخ ومطبوخ وقيل الحنيد الذى يقطرد سمه يقال حنذت الفرس اذا ألقيت عليه الجبل
حتى تقطر عرقا ثم قال تعالى فلما رأى أيديهم لاتصل اليه أى الى العجل وقال الفراء الى
الطعام وهو ذلك العجل نكهرهم أى أنكرهم يقال نكهره وأنكره واستنكره واعلم أن
الاضيفان إنما امتعوا من الطعام لانهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون
وانما أتوه فى صورة الاضيف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوبا بالاضيافة وأما
ابراهيم عليه السلام فنقول اما أن يقال انه عليه السلام ما كان يعلم أنهم ملائكة
بل كان يعتقد فيهم أنهم من البشر أو يقال انه كان عالما بأنهم من الملائكة اما على
الاحتمال الاول فسيب خوفه أمران (أحدهما) أنه كان ينزل فى طرف من الارض
بعيد من الناس فلما امتعوا من الاكل خاف أن يريدوا به مكروها (وثانيها) ان من

ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشكول لكل فرد فمنهم من اتبع الامر من أوصاف الاسافل دون الرؤساء
وعند فصيل من عند عندا وعندا اذا طاعوا والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى وأطاعوا من حادهم الى الردى (وأتوا في هذه
النبيلة) بعد اداعن الرحمة وعن كل خير أي جعلت الالفة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للبالغة فكأنها لا تفرقهم وان
ذهبوا كل مذهب بل يدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في حجة اتباعهم رؤسائهم يعني انهم

ذہبوا کل مذهب بل تدور معہم حیثا داروا ووقعہ فی صحبۃ اتباعہم رؤسائہم یعنی انہم

اتخذ حذف الدلالة الأولى عليها وللايدان بكون كل من اللعنين نوطاً برأسه لم يجعدهما في قرن واحد بأن يقال وأجمعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لئلا يكفى قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ايذاناً باختلاف نوعي الحسنتين فالمراد بالحسنة الدينية بخلاف الصحة والكفاي والتوفيق * ١٠٨ * للخير وبالحسنة الآخروية الثواب والرحمة (الآن عاداً)

لا يعرف اذا حضر وقدم اليه طعام فان أكل حصل الامن وان لم يأكل حصل الخوف وأما الاحتمال الثاني وهو انه عرف انهم ملائكة الله تعالى فبسبب خوفه على هذا التقدير أيضاً أمر ان (أحدهما) انه خاف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه (والثاني) انه خاف أن يكون نزولهم لتعذيب قومه * فان قيل فأى هذين الاحتمالين أقرب وأظهر قلنا أما الذي يقول انه ما عرف انهم ملائكة الله تعالى فله أن يتخج بأمر (أحدهما) أنه تسارع الى احضار الطعام ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك (وثانها) أنه لما رآهم ممنوعين من الاكل خافهم ولو عرف كونهم من الملائكة لما استدبل بترك الاكل على حصول الشر (وثالثها) انه رآهم في أول الامر في صورة البشر وذلك لا يدل على كونهم من الملائكة وأما الذي يقول انه عرف ذلك احتج بقوله لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف بأى سبب ارسلوا * ثم بين تعالى أن الملائكة أزالوا ذلك الخوف عنه فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط ومعناه ارسلنا بالعباد الى قوم لوط لانه أصغر لقيام الدليل عليه في سورة أخرى وهو قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين لئلا عليهم حجارة * ثم قال تعالى وامر أنه فائمه بنفي سارة بنت آزر بن باحورا بنت عم ابراهيم عليه السلام وقوله فائمه قبل كانت فائمه من وراء الستر تستمع الى الرسل لانها خافت أيضاً وقبل كانت فائمه تحدم الاضياف و ابراهيم عليه السلام جالس معهم وبؤكدها التأويل قراءة ابن مسعود وامر أنه فائمه وهو قاعد * ثم قال تعالى فضحكك فبشرناها بما سحى واختلفوا في الضحك على قولين منهم من حله على نفس الضحك ومنهم من حل هذا اللفظ على معنى آخر سوى الضحك أما الذين حلوه على نفس الضحك فاختلفوا في أنها لم ضحكك وذكروا وجوها (الاول) قال القاضي ان ذلك السبب لا بد وأن يكون سبباً جرى ذكره في هذه الآية وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال ذلك الخوف عن ابراهيم عليه السلام حيث قالت الملائكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وعظم سرورها بسبب سروره بزوال خوفه وفي مثل هذه الحالة قد يضحك الانسان وبالجملة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة لابراهيم عليه السلام لا تخف فكان كالبشارة فقيل لها انجمل هذه البشارة بشارتين فكما حصلت البشارة بزوال الخوف فقد حصلت البشارة أيضاً بمحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من أول العمر الى هذا الوقت وهذا تأويل في غاية الحسن (الثاني) يحتمل أنها كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث فلما أظهرها انهم جاؤا لاهلاكهم لحقها السرور فضحكك (الثالث) قال السدي قال ابراهيم عليه السلام لهم ألا نأكل كلوا الا نأكل طعاما الا باليمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله تعالى هلى أوله وتحمدوه على آخره فقال جبريل لميكائيل عليهما السلام حق لئلا هذا الرجل أن يتخذ به خليلاً فضحكك امر أنه فرحاً منها بهذا الكلام (الرابع) ان سارة قالت لابراهيم عليه السلام أرسل الى ابن أخيك وضعه الى نفسك فان الله تعالى لا يترك قومه حتى

كفروا ر بهم) أى ربهم
أو نعمة ر بهم حلالة على
نقيضه الذى هو الشكر
أو جحدوه (الاباء العاد)
ذباب عليهم بالهلاك مع كونهم
هالكين أى هلاك تسجيلا
عليهم باستحقاق الهلاك
واستيجاب الدمار ونكرير
حرف التنبيه واعادة عاد للبالغة
في تفضيع حالهم والحث على
الاعتبار بقصتهم (قوم
هود) عطف بيان لعاد فائدة
التبميز عن عاد ثانية عاد ارم
والايماء الى أن استحقاقهم
للبعد بسبب ما جرى بينهم
وبين هود عليه الصلاة
والسلام وهم قومه (والى ثمود
أخاهم صالحاً) عطف على
ماسبق من قوله تعالى والى عاد
أخاهم هوداً و ثمود قبيلة من
العرب سموها باسم أبهم الاكبر
ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل انما سموها بذلك لقلة ما هم
من الثمد وهو الماء القليل
وصالح عليه الصلاة والسلام
هو ابى عبيد بن اسف بن ماشح
بن عبيد بن جادر بن ثمود
ولما كان الاخبار بارساله اليهم
مظنة لان يسئل ويقال ماذا
قال لهم قيل جواباً عنه بطريق

الاستئناف (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحده وعلى ذلك بقوله (مالك من اله غيره) ثم زيد فيما بينهم * يعذبهم *
على الايمان والتوحيد ويحتمل على زيادة الاخلاص فيه بقوله (هو أنشأكم من الارض) أى هو كونكم وخلقكم منها لاجرة
قصر قلب أو قصر افراد فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام منها خلق لجم افراد البشر منها لما مر مراراً من أنه خلقته
عليه الصلاة والسلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجاً مانطوباً على خلق جميع ذرياته التى ستوجد

الشيء لجميع الخلق من الأرض قدبر (واستمركم) من العمرى عمركم واستبقاكم (فيها) أو من العمارة أى أقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى عمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لملككم ﴿١٠٩﴾ (فاستغفروهم تو بوا اليه) فان ما فضل من فنون الاحسان داع

الى الاستغفار عما وقع منهم من التفریط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقل (ان ربي قريب) أى قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (محيب) لمن دعاه وساله وقد روى في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعنة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة وأخرته ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود أعنى الاجابة (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) أى كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومحال الرشاد أن تكون لتاسيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاضلا خيرا تقدمك على جيعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (قبل هذا) الذى بآمرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة أو قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على ما هم من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجواؤنا وقرأ أطلحة

بعذرهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم عليه السلام فلما أخبروه بأنهم انما جاؤا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها بمحصل الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة (الخامس) ان الملائكة لما أخبروا ابراهيم عليه السلام أنهم من الملائكة لامن البشر وانهم انما جاؤا لاهلاك قوم لوط طلب ابراهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء الجمل المشوى فطفر ذلك الجمل المشوى من الموضع الذى كان موضوعا فيه الى مرعاه وكانت امرأه ابراهيم عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك الجمل المشوى قد طفر من موضعه (السادس) انها ضحكت تبجبا من أن قوما اتاهم العذاب وهم في غفلة (السابع) لا يبعد أن يقال انهم بشرى بها بمحصل مطلق الولد فضحكت اما على سبيل التبعج فانه يقال انها كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة وابراهيم عليه السلام ابن مائة سنة واما على سبيل السرور ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بان ذلك الولد هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب (الثامن) انها ضحكت بسبب أنها تعجبت من خوف ابراهيم عليه السلام من ثلاث أنفس حال ما كان معه حشمه وخدمه (التاسع) ان هذا على التوسيم والتأخير والتقدير وامرأته قائمة فبشرناها باسحق فضحكت سرورا بسبب تلك البشارة فقدم الضحك ومعناه التأخير (الثاني) هو أن يكون معنى فضحكت حاضت وهو منقول عن مجاهد وعكرمة فلا ضحكت اى حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف فلما ظهر حبسها بشرت بمحصل الولد وانكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت قال أبو بكر الابارى هذه الآية ان لم يعرفها هو لاء فقد عرفها غيرهم حكى الليث في هذه الآية فضحكت طمئت وحكى الأزهرى عن بعضهم أن أصله من ضحكك الطلعة يقال ضحكك الطلعة اذا انشقت واعلم ان هذه الوجوه كلها زوائد وانما الوجه الصحيح هو الاول ثم قال تعالى ومن وراء اسحق يعقوب وفيه مشتلان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وجررة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع أما وجه النصب فهو أن يكون التقدير بشرناها باسحق ومن وراء اسحق وهبنا لهما يعقوب وأما وجه الرفع فهو أن يكون التقدير ومن وراء اسحق يعقوب مولود أو موجود (المسئلة الثانية) في لفظ وراء قولان (الاول) وهو قول الأكثرين ان معناه بعد أى بعد اسحق يعقوب وهذا هو الوجه الظاهر (والثاني) ان وراء ولد الولد عن الشعبي انه قيل له هذا البنت فقال نعم من وراء وكان ولد ولده وهذا الوجه عندي شديد التعسف واللفظ كانه ينبوعه * قوله تعالى (فالت ياو بلى ألد) وانما يجوز وهذا بلى شيخان هذا لشي عجيب قالوا أن تعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حبيب مجيد في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الفراء أصل الويل وى وهو الخزي ويقال وى لفلان أى خزي له فقوله وى لك أى خزي لك وقيل سبويه ويح زجر لمن أشرف على الهلاك وويل لمن وقع فيه قال الخليل ولم أسمع

مرجوا بالبد والهمزة (أنهنا ان نعبد ما يعبد آباؤنا) أى عبيدو والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية (واننا لفي شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة (مرىب) أى موقع في الريبة من أراه أى أوقعه في الريبة أى قلق النفس واستغناء الطمأنينة أو من أراب اذا كان ذار بية وأيهما كان فالاسناد مجازى والتونين فيه وفي شك للتخميم (قال يا قوم أرايتم) أى اخبروني (ان كنت

نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لخال المخاطبين وزغبة لحسن المحاوره لاستترالهم عن المكابرة (فمن نصرني من الله) أي ينجيني من عذابه والعدل الى الاظهار لزيادة التهوريل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه ﴿ ١١٠ ﴾ على تقدير العصيان حسبما عبر عنه قوله تعالى

(ان عصيته) أي بالمساهلة في تبلغ الرسالة والمجاراة معكم فيما ترون وتذرون فان العصيان من ذلك شأنه أبعدهم الموءاخذه بلبه أزم وانكار نصرتة أدخل فإتريدوني (اذن باستتباعكم اباي كايدي عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تقيدوني اذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزيدوه (غير تخسير) أي غير أن تجعلوني خاسرا بابطال أعمالى وتعرضي لمخطأ الله بالى أو فإتريدوني بما تقولون غير أن أنسبكم الى الخسران وأقول انكم انكم لخاسرون فازيادة على معناه والفاء ترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يفهم من كونه عليه الصلاة والسلام على بينة من ربه بإيتاء النبوة (ويا قوم هذه ناقة الله) الاضافة للتشريف لنبية على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلفة من حيث الخلق (لكم آية) عجيذة دالة على صدق نبوتى حال من ناقة الله والعالم فى افي هذه من معنى الفعل ولكم

على بناءه الا ويح ووبس وويلك وويه وهذه الكلمات مقاربة فى المعنى وأما قوله ياويلنا ففهم من قال هذه الالف ألف الندة وقال صاحب الكشاف الالف فى ويلنا مبدلة من ياء الاضافة فى ياويلتى وكذلك فى يالها يا عجبنا ثم أبدل من الياء والكسرة الالف والفتحة لان القتح والالف أخف من الياء والكسرة أما قوله ألدو أنا عجزو وهذا يعلى شيئا ففهم مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وآلد بهمة ومدة والباقون بهمرتين بلامد (المسئلة الثانية) لتأثلى أن يقول انها تعجب من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر بيان المقدمة الاولى من ثلاثة أوجه (أولها) قوله تعالى حكاية عنها فى معرض التعجب ألدو أنا عجزو (وثانيها) قوله ان هذا لشي عجب (وثالثها) قول الملائكة لها أنجيبن من أمر الله واما بيان ان التعجب من قدرة الله تعالى يوجب الفكر فلان هذا التعجب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى وذلك يوجب الكفر (والجواب) انها انما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فان الرجل المسلم لو أخبره بخبر صادق بأن الله تعالى يقبض هذا الجبل ذهب ابرير فلا شك انه يعجب نظرا الى أحوال العادة لا لاجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك (المسئلة الثالثة) قوله وهذا يعلى شيئا فاعلم ان شيئا منصوب على الحال قال الواحدى رحمه الله وهذا من لطائف التحوير غامضه فان كلمة هذا للاشارة فكان قوله وهذا يعلى شيئا قائم مقام أن يقال أشيرالى يعلى حال كونه شيئا والمقصود تعريف هذه الحالة الخصوصيه وهى الشيوخة (المسئلة الرابعة) قرأ بعضهم وهذا يعلى شيخ على انه خبر مبتدا محذوف أى هذا يعلى وهو شيخ أو يعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر أو يكونان معا خبرين ثم حكى تعالى ان الملائكة قالوا أنجيبن من أمر الله والمعنى انهم تعجبوا من تعجبها ثم قالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت والمقصود من هذا الكلام ذكر ما يزيل ذلك التعجب وتقديره ان رحمة الله عليكم متكثرة وبركاته لديكم متوافقة وهى النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق للخيرات العظيمة فاذا رأيت ان الله خرق العادات فى تخصيصكم بهذه الكرامات العالية الرفيعة وفى اظهار خوارق العادات واحداث البينات والمعجزات فكيف يليق به التعجب وأما قوله أهل البيت فانه مدح لهم فهو نصب على اثناء أو على الاختصاص ثم أكدوا ذلك بقولهم انه حبيب مجيد والحميد هو المحمود وهو الذى تحمد أفعاله والحميد الماجد وهو ذو الشرف والكرم ومن محامد الأفعال ايصال العبد المطيع الى مراده ومطلوبه ومن أنواع الفضل والكرم ان لا ينع الطالب عن مطلوبه فاذا كان من العلوم انه تعالى قادر على النكل وأنه حبيب مجيد فكيف يبنى هذا التعجب فى نفس الامر فثبت ان المقصود من ذكر هذه الكلمات ازالة التعجب * قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى بجادنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أو أمين) اعلم ان هذا هو الفصل الخامسة وهى قصة لوط عليه السلام واعلم أن الروح هو الخوف وهو ما أوجس

مال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا من ﴿ من ﴾ من هذه أو عطف بيان ولكم خبرا وطاملا فى آية (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل فى أرض الله) ترعى نباتها وتشرب ماؤها اضافة الارض الى الله تعالى لترمية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها (ولا تمسوها سو) بولغ فى التهى عن تعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذى هو من مبادئ الاصابة ونكر السوء أى لا تضربوها ولا تطردوها

وكان من بين من آمن بالله وحده من بني نوح (فأخذ من عذاب من يشاء) أي من بيت النور الذي روي عنهم
منه أن يخرج من صخرة تسمى الكتابة نافذة عشرة عشر مجترحة جوفاء وبراء وقالوا إن فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح
عليه الصلاة والسلام عليهم موافقتهم لأن فعلت ذلك لتؤمنن فقالونهم فصلي ودعار به فتخضعت الصخرة تخضض
استخرج بولدها فانصدعت عن نافذة عشرة عشر ﴿ ١١١ ﴾ كما وصفوا وهم ينظرون ثم أنجحت ولدا مثلها في العظم فأمن به

جند عن بن عمرو في جماعة ومنع
الباقي من الإيمان دواب بن عمرو
والجباب صاحب أو ثامر ورباب
كاهنهم فكتبت النافذة مع ولدها
رعى الشجر وترد الماعضا فترفع
رأسها من البحر حتى تشرب
كل ما فيها ثم تنفج فيحلبون
ما شاؤا حتى تمتلئ أو اتهم
فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادي فتهرب
منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو
ببطنه فتهرب مواشيهم
إلى ظهره فتشيق عليهم ذلك
(ففقروها) قيل زينت عقرها
لهم عيرة أم غنم وصدقة بنت
الخمار فقروها واقتسموا الجها
فرقى سبعة بجلا اسمه فارة فرقة
ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا
الفصيل عسى أن يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه
وانفجرت الصخرة بعد رثائه
فدخلها (فقال) لهم صالح
(تنعوا) أي عيشوا (في داركم)
أي في منازلكم أوفي الدنيا
(ثلاثة أيام) قيل قال لهم تعجبوا
وجوهكم غدا مصفرة وبعد
غد حجرة واليوم الثالث مسود
ثم يصحكم العذاب (ذلك) أشار
إلى ما يدل عليه الأمر بالتمتع
ثلاثة أيام من نزول العذاب

من الخليفة حين أنكر أضيافه والمعنى أنه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجي
البشرى بحصول الولد أخذ يجادلنا في قوم لوط وجواب لما هو قوله أخذ إلا أنه حذف
في اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن إبراهيم الروح جادلنا واعلم أن قوله
يجادلنا أي يجادل رسلنا فإن قيل هذه المجادلة أن كانت مع الله تعالى فهي جراءة على الله
والجرأة على الله تعالى من أعظم الذنوب ولأن المقصود من هذه المجادلة أن الله ذلك الحكم
وذلك يدل على أنه ما كان راضيا بقضاء الله تعالى وأنه كفر وإن كانت هذه المجادلة مع
الملائكة فهي أيضا عجيبة لأن المقصود من هذه المجادلة أن يتركوا أهلاك قوم لوط فإن
كان قد اعتقد فيهم أنهم من تلقاء أنفسهم يجادلون في هذا الإهلاك فهذا سوء ظن بهم
وإن اعتقد فيهم أنهم بأمر الله جاورا فهذا المجادلة تقتضي أنه كان يطلب منهم مخالفة أمر
الله تعالى وهذا منكسر (والجواب) من وجهين (الاول) وهو الجواب الاجمالي أنه تعالى
مدحه عقيب هذه الآية فقال إن إبراهيم خليل أواه منيب ولو كان هذا الجدل من
الذنوب لما ذكر عقبه ما يدل على المدح العظيم (والوجه الثاني) وهو الجواب التفصيلي
أن المراد من هذه المجادلة سعي إبراهيم في تأخير العذاب عنهم وتقريره من وجوه (الاول)
أن الملائكة قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية فقال إبراهيم أرايتم لو كان فيها خسون
رجل من المؤمنين أنههلكونها قالوا لا قال فأتبعون فأتبعون قالوا لا حتى يبلغ
الشمس قالوا لا قال أرايتم إن كان فيها رجل مسلم أنههلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها
لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة العنكبوت فقال ولما جاء رسلنا إبراهيم بالبرى
قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم
بمن فيها النجينة وأهلها الأمر أنه كانت من الغابر بن ثم قال ولما أن جاءت رسلنا لوطا سئ
بهم وضاق بهم ذرعا قالوا لا تخف ولا تحزن انما هو كوك وأهلك الأمر أنك فبان بهذا
أن المجادلة إبراهيم عليه السلام إنما كانت في قوم لوط بسبب مقام لوط فيما بينهم (الثاني)
يحتمل أن يقال أنه عليه السلام كان يميل إلى أن تلحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم رجاء
أنهم ربما أقدموا على الإيمان والتوبة عن المعاصي وربما وقعت تلك المجادلات بسبب
أن إبراهيم كان يقول إن أمر الله ورد بإيصال العذاب ومطلق الأمر لا يوجب الفور بل
يقبل التراخي فاصبروا مدة أخرى والملائكة كانوا يقولون إن مطلق الأمر يقبل الفور
وقد حصلت هناك قرآن دالة على الفور ثم أخذ كل واحد منهم بقرينة ذهبه بالوجه
المعلومة فحصلت المجادلة بهذا السبب وهذا الوجه عندى هو العمد (الوجه الثالث) في
الجواب لعل إبراهيم عليه السلام سأل عن لفظ ذلك الأمر وكان ذلك الأمر مشروطا
بشرط ما خلفوا في أن ذلك الشرط هل حصل في ذلك القوم أم لا فحصلت المجادلة بسببه
وبالجملة نرى العلماء في زماننا يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وذلك لا يوجب
القدح في واحد منها فكذلك هنا ثم قال تعالى إنا إبراهيم خليل أواه منيب وهذا مدح عظيم

عقبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيجه (وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتعاض المشهور بقوله
«و يوم شهدناه سليمان وعامرا» وغير مكذوب كان الواعد قائله أي بك فإن روي به صدقه ولا كذبه أو وعد غير كذب علم أنه
مصدق كالحلود والمعقول (فلما جاءنا) أي عذابنا وأمرنا بتركه وفيه ما لا يخفى من التهويل (نجينا صالحا والذين آمنوا معه)
متعلق بنجينا أو بآمنوا (برحمة) بسبب رحمة عظيمة (منا) وهي بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين الإيمان كما مر أو ملتبسين

فليظ على معنى أنه كانت تلك النجبة نجبة من خزي يومئذ أي من ذلته ومهانته أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسره العذاب القليظ فيماسبق فيكون المعنى ونجبتهم من عذاب يوم القيامة بعد نجبتنا إياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاعف البناء من المضاعف إليه هنا وفي المعارج ﴿ ١١٢ ﴾ في قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرى بالتوفيق

ونصب يومئذ (ان ربك)
الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم (هو القوى العزيز)
القادر على كل شيء والغالب
عليه لا غيره ولكون الاخبار
بنجبة الاولياء لاسيما عند الانبياء
بحلول العذاب أهم ذكرها
ولايم أخبر بهلاك الاعداء فقال
(وأخذ الذين ظلموا) عدل
عن المضمر الى المظهر تسجيلا
عليهم بالظلم واشعارا بعليته
لنزول العذاب بهم (الصيحة)
أي صيحة جبريل عليه الصلاة
والسلام وقبل آتتهم من السماء
صيحة فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شيء في الارض
فقطعت قلوبهم في صدورهم
وفي سورة الاعراف فاخذتهم
الرجفة ولعلها وقعت عقيب
الصيحة المستبعدة لتفوج الهواء
(فأصبحوا) أي صاروا
(في ديارهم) أي بلادهم
أو مساكنهم (جاثمين) هامدين
موتى لا يتحركون والمراد كونهم
كذلك عندما ابتداء نزول العذاب
بهم من غير اضطراب وحركة
كما يكون ذلك عند الموت المعتاد
ولا يتخفى ما فيه من الدلالة
على شدة الاخذ وسرعة الله بهم
انما عودك من حلول غضبك

من الله تعالى لآبراهيم أما الخليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره بل يتأني فيه فيؤخر ويعفو
ومن هذا حاله فانه يجب من غيره هذه الطريقة وهذا كالدلالة على أن جداله كان في أمر
متعلق بالحلم وتأخير العقاب ثم ضم الى ذلك ماله تعلق بالحلم وهو قوله أوأه منيب لان من
يستعمل الحلم في غيره فانه يتأوه اذا شاهد وصول الشدائد الى الغير فلما رأى مجي
الملائكة لاجل اهلاك قوم لوط عظم حزنه بسبب ذلك وأخذ يتأوه عليه فلذلك وصفه الله
تعالى بهذه الصفة ووصفه أيضا بأنه منيب لان من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على
الغير فانه منيب و يتوب ويرجع الى الله في إزالة ذلك العذاب عنهم أو يقال ان من كان
لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها كان أول ولا طريق الى
صون النفس عن الوقوع في عذاب الله الا بالتوبة والانابة فوجب فيمن هذا شأنه أن
يكون منيبا * قوله تعالى (يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم
عذاب غيرهم دود ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)
اعلم أن قوله يا ابراهيم أعرض عن هذا معناه ان الملائكة قالوا له اترك هذه المجادلة لانه
قد جاء أمر ربك بابطال هذا العذاب اليهم واذا لوح وجه دلالته النص على هذا الحكم فلا
سبيل الى دفعه فلذلك أمره بترك المجادلة ولما ذكرنا أنه قد جاء أمر ربك ولم يكن في هذا
اللفظ دلالة على ان هذا الأمر بما جاء لاجرم بين الله تعالى أنهم آتيهم عذاب غيرهم دود أي
عذاب لا سبيل الى دفعه وردته ثم قال ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وهو لاء
الرسول هم الرسل الذين بشروا ابراهيم بالولد عليهم السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما
انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبين القرأتين أربع فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب
مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله وذكر وافية ستة
أوجه (الاول) انه ظن انهم من الانس فخاف عليهم خبت قومه وان يعجزوا عن مقاومتهم
(الثاني) ساء بحببتهم لانه ما كان يجد ما ينفعه عليهم وما كان قادرا على القيام بحق ضيافتهم
(والثالث) ساء ذلك لان قومه منعوه من ادخال الضيف داره (الرابع) ساء بحببتهم لانه
عرف بالخطر انهم ملائكة وأنهم انما جاءوا لاهلاك قومه والوجه الاول هو الاصح لدلالة
قوله تعالى وجاء قومه بهرعون اليه وبقي في الآية ألفاظ ثلاثة لابد من تفسيرها
(اللفظ الاول) قوله سيئ بهم ومعناه ساء بحببتهم وساء بسوء فعل لازم مجاوز يقال سوت
فسي مثل شغلته فشغل وسرته فسر قال الزجاج أصله سوى بهم الا ان الواو سكنت
ونقلت كسرتها الى السين (واللفظ الثاني) قوله وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع
بوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعر يذرع يديه في سبه ذرعا على قدر سعة خطوته
فاذا حل عليه أكثر من طاقه ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومددته فجعل ضيق
الذرع عبارة عن قدر الوسع والطاقة فيقال مالى به ذرع ولا ذراع أى مالى به طاقة
والدليل على صحة ما قلناه انهم يحملون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بالامر

قبل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله ﴿ نوحا ﴾
عليه الصلاة والسلام فبجاء الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم اربع وهو يوم السبت تمنحطوا وكفتموا
بالانطاع فأتتهم الصيحة فقطعت قلوبهم فهلكوا (كما نلتم بغتوا) أي كاتهم لم يفتروا (فيها) في بلادهم أو في مساكنهم
وهو في موقع الحال أي أصبحوا جاثمين مائلين لمن لم يوجد

ولم يفهم في مقام قط (ألا ان نمود) وضع موضع الضمير لزيادة البيان ونونه أبو بكر هنا وفي النجم وقرأ أحفص هنا وفي الفرقان
والعنكبوت بغيتون (كفر وار بهم) صرح بكفرهم مع كونه معلوماً مسبقاً من أحوالهم فيجالحالهم وتعليل الاستعانة بهم
بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى (ألا بعدا لنمود) وقرأ الكساء بالتون (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم وهم
الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم جبريل ١١٣ مكره وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم
السلام وقال الضحاك كانوا

تسعة وعن محمد بن كعب
جبريل ومعه سبعة وعن السدي
أحد عشر على صور الغلمان
الوضاء وجوههم وعن
مسائل كانوا اثني عشر
ملكاً وأما أسند اليهم مطلق
الحي بالبري دون الارسال
لانهم لم يكونوا رسلين اليه
عليه السلام بل الى قوم
لوط قوله تعالى انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما جاءوا لدعوة
البشرى ولما كان المقصود في
السورة الكريمة ذكر سوء
صنيع الاعم السالف مع الرسل
المرسلة اليهم ولحق العذاب
بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع
قوم ابراهيم عليه الصلاة
والسلام عن لحن بهم العذاب
بل انما لحق بقوم لوط منهم
خاصة غير الاسلوب المطرد
فيما سبق من قوله تعالى والى
عاد اخاهم هود والى نمود
أخاهم صالح ثم رجع اليه
حيث قيل والى مدين أخاهم
شعيب (بالبري) اي ملتبسين
بها قيل هي مطلق البري
المتطهارة للبشارة بالولد من
سارة لقوله تعالى فبشرناها
بالحق الآية وقوله تعالى

ذراعاً) واللفظ الثالث) قوله هذا يوم عصيب أي يوم شديد وانما قيل للشديد عصيب
لانه يعصّب الانسان بالشر * قوله تعالى (وجاء قومهم يهرعون اليه ومن قبل كانوا
يعملون السات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أظهرنكم فاتقوا الله ولا تخزنون في ضيق
النس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما تريد
قال لو ان لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه
لما دخلت الملائكة دار لوط عايد السلام مضت امرأته عجوز السوء فثالثت لقومه دخل
دارنا قوم مارأيت أحسن وجوهاً ولا أنصف لباً ولا أطيب رائحة منهم فجاء قومهم
يهرعون اليه أي يسرعون ويبن تعالى أن اسراعهم ربما كان لطلب العمل الخبيث
بقوله ومن قبل كانوا يعملون السيات نقل أن اقوم دخلوا دار لوط وأرادوا أن يدخلوا
البيت الذي كان فيه جبريل عليه السلام فوضع جبريل عليه السلام يده على الباب
فلم يطيعوا ففجعه حتى كسروه ففتح أعينهم بيده فقاموا بالوط قد دخلت علينا
الشجرة وأظهرت الفتنة ولاهل القاعة في يهرعون قولان (الاول) ان هذا من باب
ما جاءت صرغته انما فعل فبدل على لفظ المنعول ولا يعرف له فاعل نسوا واع فذل في الامر
وأرعد زبدوز هي عمر ومن زهو (واقول الثاني) انه لا يجوز ورود انما فعل على لفظ
المنعول وهذه الاعمال حذف فاعلها فأولع بل أولع زيد أنه أولع طبعه وأرعد الرجل
أرعدته غضبه وزهني عمر ومعناه - عمله ماله زاهياً واهرع معناه أهرعد خوفاً وأجرسه
واختفوا أيضاً فقال بعضهم انه هراع هو الاسراع مع الزعدة وقال آخرون هو العدو
الشديد أماف قوله تعالى قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أظهرنكم فقيه قولان قال قتادة المراد
بناته اصله وقيل معاهد وسعدين جبر المراد نساء أمتد لانهن في أنفسهن بنات ولهن
أضافته اليه بالتبعية وقبول الدعوة قال أهل النحو يكفي في حسن الاضافة أدنى سبب
فانه كان بناتهم فكان كالأب لهم قال تعالى وأزواجه أمهاتهم وهواب لهم وهذا القول
عندي هو المختار ويدل عليه وجوه (الاول) ان اقدام الانسان على عرض بناته على
الأوباش واخبار أمر متباعد لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء (الثاني) وهو
انه قال هؤلاء بناتي هن أظهرنكم فبناته انما هي من صلبه فالتسكي للجمع العظيم أما النساء
أمتد ففیهن كفاية لذلك (الثالث) انه صححت الروايات انه كان له ثنتان وهما زنتا وزعورا
واطلاق لفظ البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت أن أقل الجمع ثلاثة فأما ما قالون بانقول
الاول فقد اتفقوا على أنه عليه السلام مادعا قوم الى الزنا بانسوان بل المراد انه دعاهم
الى ان تزوج بهن وفيه قولان (أحدهما) انه دعاهم الى التزوج بهن بشرط أن يقدموا
الایمان (والثاني) انه كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعتهم وهكذا كان
في أول الاسلام بدليل أنه عليه السلام زوج ابنته زينب من أبي العاص بن الربيع وكان
مشركاً وزوج ابنته من عتبة بن أبي لهب ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ولا تتكلموا بالمشركات

وبشرناهم بغيرهم حليم وقوله وبشرهم ١٥ مكره خا بعلام علمه وللشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب
عن ابراهيم الروح وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط وآباءه
بجاءته عليه الصلاة والسلام في شأنهم والظاهر أنها البشارة بالولد وستعرف ستر فرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار
تجيبهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بأنهم ما قالوا أوجب بأنهم (قالوا سلاماً) اي سلمنا أو سلم عليك سلاماً

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبُهُ بِقَالُوا أَيْ قَالُوا قَوْلًا سَلَامًا أَوْ ذَكَرُوا سَلَامًا (قَالَ سَلَامٌ) أَيْ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ أَوْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ حَيَاهُمْ
 بِأَحْسَنَ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ وَقُرِئَ سَلَامٌ كَرَمٌ فِي حَرَامٍ وَقُرِئَ ابْنُ أَبِي عُبَلَةَ قَالَ سَلَامًا وَعِنْدَهُ أَنَّهُ قَرَأَ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا (غَالِبٌ) أَيْ إِبْرَاهِيمُ
 (إِنْ جَاءَ بِعَجَلٍ) أَيْ فِي الْحِجَابِ أَوْ مَالِيتُ بِحَيْثُ يَعْمَلُ (حَنِيدٌ) أَيْ مَشُورٌ بِالرَّضْفِ فِي الْإِخْدُودِ وَقِيلَ سَمِينٌ يَقَطُرُ دَمُهُ
 لِقَوْلِهِ بِعَجَلٍ سَمِينٌ مِنْ حَنْدَتِ الْفَرَسِ إِذَا عَرَقَتْهُ بِالْجَلَالِ ﴿ ١١٤ ﴾ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَتَصَلُّ إِلَيْهِ) لَا يَمْدُون إِلَيْهِ

أَيْدِيَهُمْ لِلْأَكْلِ (نَكْرَهُمُ)
 أَيْ أَنْكَرَهُمْ يَقَالُ نَكْرَهُ
 وَأَنْكَرَهُ وَاسْتَنْكَرَهُ بِمَعْنَى وَانْتَابُوا
 أَنْكَرَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا نَزَلَ بِهِمْ
 ضَيْفٌ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِمْ
 ظَنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَحِجُّ بِخَيْرٍ وَقُدْرُو
 أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْتَكِبُونَ بِقَدَاحٍ
 كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَلِ
 وَلَا تَتَصَلُّ إِلَيْهِ أَيْدِيَهُمْ وَهَذَا
 الْإِنْكَارُ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ رَاجِعٌ إِلَى فَعْلِهِمْ
 الْمَذْكُورِ وَأَمَّا الْإِنْكَارُ الْمَتَعَلِّقُ
 بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَعْلُقُ لَهُ بِرُؤْيَا
 عَدَمِ أَكْلِهِمْ وَانْبَاوَقَ ذَلِكَ
 عِنْدَهُمْ بِتَدْنِيهِمْ لِعَدَمِ كَوْنِهِمْ
 مِنْ جَنْسٍ مَا كَانَ يَعْهَدُهُ مِنَ
 النَّاسِ الْأَيْرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى
 فِي سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ سَلَامٌ قَوْمٌ
 مُتَكَبِّرُونَ (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ)
 أَيْ أَحْسَنَ أَوْ أَضَرَّ مِنْ
 جَهَنَّمَ (خَفِيفَةً) لِمَا ظَنَّ أَنَّ
 نَزْلَهُمْ لِأَمْرِ أَنْكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَيْهِ أَوْ لِعَذَابٍ قَوْمَهُ وَانْتَابُوا
 أَخْرَأَ الْمَفْعُولُ الصَّرِيحُ عَنْ
 الظَّرْفِ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْإِخْبَارَ
 بِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 أَوْجَسَ مِنْ جَهَنَّمَ شَيْئًا
 هُوَ الْخَفِيفَةُ لِأَنَّهُ أَوْجَسَ الْخَفِيفَةُ
 مِنْ جَهَنَّمَ لِأَنَّ جَهَنَّمَ غَيْرُهَا
 وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ تَاخِيرَ مَا حَقَّقَهُ

حَتَّى يُؤْمِنَ وَقَوْلُهُ وَلَا تَنْتَكِبُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا فَقَالَ الْكَثِيرُونَ
 كَانَ لَهُ بَنَاتَانِ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ذِكْرُ الْأَتْنَيْنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ كَأَنَّهُ قَوْلُهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ اخْوَةٌ
 فَقَدْ صَدَقَتْ قَوْلُهُ بِكَمَا وَقِيلَ إِنَّهُنَّ كُنَّ أَكْثَرَ مِنَ اثْنَيْنِ ﴿ ١١٤ ﴾ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فِيهِ
 مُسْتَلْتَمَاتَانِ (الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى) ظَاهِرٌ قَوْلُهُ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ يَقْتَضِي كَوْنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ
 ظَاهِرًا وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ فَاسِدٌ وَلَئِنْ لَاطْهَارَةً فِي نِكَاحِ الرَّجُلِ بِلِ هَذَا جَارِجٍ قَوْلُنَا اللَّهُ أَكْبَرُ
 وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَبِيرٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَذْكَأَ خَيْرٌ نَزْلًا مِنْ شَجَرَةٍ الرُّقُومِ وَلَا خَيْرَ فِيهَا وَلِمَا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ
 أَعْلَ أَحَدًا وَأَعْلَ هَبْلٍ قَالَ النَّبِيُّ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ وَلَا مَقَارِبَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الصَّنَمِ (الْمَسْئَلَةُ
 الثَّانِيَّةُ) رَوَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَالْحَسَنِ وَعِيسَى بْنِ عَمْرٍاءَ قَرَأُوا هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
 بِاتِّصَابٍ عَلَى الْحَالِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَهَذَا بِمَعْنَى شَيْخَانِ الْإِنْسَانِ أَكْثَرُ الْخَوِ بَيْنَ اتَّقُوا
 عَلَى أَنَّهُ خُصًّا قَالُوا الْوَقْرَى هُوَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ كَانَ هَذَا ظَاهِرًا قَوْلُهُ وَهَذَا بِمَعْنَى شَيْخَانِ الْإِنْسَانِ
 كَلِمَةٌ مِنْ قُدْرَتِهِ فِي الْبَيِّنِ وَذَلِكَ يَنْتَعِ مِنْ جَعْلِ أَطْهَرٍ حَالًا وَطَوًّا فِيهِمْ قَالُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَتَخْشَوْنَ فِي ضَيْفِي فِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍاءُ وَنَافِعٌ وَالتَّخْزُونِي بِأَثْبَاتِ
 الْبَاءِ عَلَى الْأَصْلِ وَابْتِغَاءً مِنْهَا لِتُخَفِّفَ وَدَلَالَةً عَلَى الْكُسْرِ عَلَيْهِ (الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ)
 فِي لَفْظِ تَخْزُونِي وَجِهَانِ (الْأُولَى) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا تَقْضَوْنِي فِي أَضْيَافِي
 يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا هَجَمُوا عَلَى أَضْيَافِهِ بِالْمَكْرُوهِ لَحَقَتْهُ الْفَضِيحَةُ (وَالثَّانِي) لَا تَخْزُونِي فِي ضَيْفِي
 أَيْ لَا تَخْزُونِي فِيهِمْ لِيَنْ مَضِيفِ الضَّيْفِ يَلْزِمُهُ الْحِجَابَةُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ فَتَجِبُ بِوَصُولِ إِلَى الضَّيْفِ
 يَقَالُ خَرَى الرَّجُلُ إِذَا اسْتَحْيَا (الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَّةُ) الضَّيْفُ هُنَا قَائِمٌ مَقَامَ الْأَضْيَافِ كَمَا قَامَ
 الطُّفْلُ مَقَامَ الْأَطْفَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَوْ الطُّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّيْفُ
 مَصْدَرًا فَيُسْتَعْنَى عَنْ جَمْعِهِ كَمَا يَقَالُ رَجُلٌ صَوْمٌ ثُمَّ قَالَ الْأَسْمَاءُ مَنَ كَمِ رَجُلٌ رَشِيدٌ وَفِيهِ
 قَوْلَانِ (الْأُولَى) رَشِيدٌ بِمَعْنَى مُرْشِدٍ يَقُولُ الْحَقُّ وَيُرْهِدُهُ وَالْأُخْرَى عَنْ أَضْيَافِي
 (وَالثَّانِي) رَشِيدٌ بِمَعْنَى مُرْشِدٍ وَالْمَعْنَى الْأَسْمَاءُ فَيَكُنْ رَجُلٌ أُرْشِدُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الصَّلَاحِ
 وَأُسْعِدُهُ بِإِسْدَادِ الرَّشَادِ حَتَّى يَنْتَعِ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ الْقَبِيحِ وَالْأُولَى أَوَّلُ قَوْلِهِ تَعَالَى قَالُوا
 لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَفِيهِ وَجْوهٌ (الْأُولَى) مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَاجَةٍ وَلَا شَهْوَةٍ
 وَالتَّقْدِيرُ أَنْ مِنْ حَاجَتِنَا إِلَى شَيْءٍ فَكَانَتْ حَصْلَتُهُ فِيهِ نَوْعٌ مِنْ حَقٍّ فَلِهَذَا السَّبَبُ جَعَلَ فِي الْحَقِّ
 كِتَابَةً عَنْ نَوْبِ الْحَاجَةِ (الثَّانِي) أَنْ تَجْرِيَ اللَّفْظُ عَلَى ظَاهِرِهِ فَقَوْلُهُ مَعْنَاهُ إِنَّهُنَّ لَسْنَ لَنَا
 بِإِزْوَاجٍ وَلَا حَقٌّ لَنَا فِيهِنَّ الْبَتَّةُ وَلَا يَمِيلُ أَيْضًا طَبْعُنَا إِلَيْهِنَّ فَكَيْفَ قِيَامُهُنَّ مَقَامَ الْعَمَلِ
 الَّذِي زِيدَ بِهِ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَمَلِ الْخَبِيثِ (الثَّالِثُ) مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ لِأَنَّ دَعْوَتَنَا
 إِلَى نِكَاحِهِنَّ بِشَرَطِ الْإِيمَانِ وَنَحْنُ لَا نَجْعَلُكَ إِلَى ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ لَنَا فِيهِنَّ حَقٌّ ﴿ ١١٤ ﴾ ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى
 حَكِي عَنْ لُوطٍ أَنَّهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذَا الْكَلَامِ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
 وَفِيهِ مَسْئَلَتَانِ (الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى) جَوَابٌ لِمُحَذِّفِ لَدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرُ لِمَعْنَكُمْ
 وَلِإِنَّا نَفْتِي فِي دَفْعِكُمْ وَظَاهِرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ وَقَوْلُهُ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا

التَّحْقِيقُ بِوَجوبِ تَرْفِيفِ النَّفْسِ إِلَيْهِ فَيَتَكَبَّرُ عِنْدَ وَرُودِهِ عَلَيْهَا فَضْلٌ تَمَكِّنُ (قَالُوا لَا تَخَفْ) مَا قَالُوهُ بِمَجْرَمٍ مَا عَلَى
 رَأْيِ مَنْدَحَائِلِ الْخَوْفِ إِزَالَةً مِنْهُ بِلِ بَعْدَ إِظْهَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ قَالَ إِنَّا مَنَعْنَاكُمْ وَجُلُونا وَلَمْ
 يَذْكُرْ ذَلِكَ هَهُنَا كَقَوْلِهِ بِذَلِكَ (إِنَّا أَرْسَلْنَا) ظَاهِرُهُ أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ فِي مَعْنَى الْعَمَلِ لِتَنْهِي الْمَذْكُورِ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّا نَبْشُرُكَ تَعْلِيلٌ
 لِذَلِكَ فَإِنَّا رَسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ آخِرِينَ بِوَجوبِ أَمْنِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ أَيْ أَرْسَلْنَا بِالْعَذَابِ (إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) خَاصَّةً لِأَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ فَانْ قَوْلُهُ

تعالى قال فاخطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد أوجر الكلام اكتفاء بذلك (وامر أنه فائمه) وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة حسبها والمعتاد والجملة حال من ضمير قالوا أي قالوه وهي فائمه تسمع مقاتلهم (فضحكك) سرور ابن زوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما جميعا وقبل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت ﴿ ١١٥ ﴾ تقول لابراهيم اخيم اليك لو طافني أرى أن العذاب نازل بهؤلاء

القوم وقبل ضحكك حاضت ومنه ضحكك الشجرة اذا سال صيغها وهو بعيد وقرى بفتح الحاء (فبشرناها باسمحق) أي عقبا سرورها بسرور أتم منه على السنة رسلنا (ومن وراء اسحق يعقوب) بالنصب على أنه مدفوع لمادل عليه قوله بشرناها أي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرى بالرفع على الابتداء خبره الظرف أي من بعد اسحق يعقوب مولود أو موجود و كلا اليمين داخل في البشارة كيجي أواقع في الحكاية بعد أن ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا اليها مع أن الاصل في ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بسلام حلیم وبشروه بسلام عليم الايدان بأن ما بشر به يكون منهما ولو كونها عقيمة حريصة على الولد (قالت) استثناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فافعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت (يا ويلنا) أصل الويل الخرى ثم شاع في كل أمر فظيع والاف مبدلة من

على النار قال الواحدى وحذف الجواب ههنا لان الوهم يذهب الى أنواع كثيرة من المنع والدفع (المسئلة الثانية) أو أنى بكم قوة أي لو أنى ما تقوى به عليكم وتسمية موجب القوة بالقوة جائز قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل والمراد السلاح وقال آخرون القدرة على دفعهم وقوله أو أى الى ركن شديد المراد منه الموضع الحصين المنيع تشبيها به بالركن الشديدين الجليل فان قيل ما الوجه ههنا في عطف الفعل على الاسم قلنا قال صاحب الكشف قرى أو أى بالنصب باضمار أن كأنه قيل لو أنى بكم قوة أو أى باو اعلم ان قوله لو أنى بكم قوة أو أى الى ركن شديد لا بد من حل كل واحد من هذين الكلامين على فائدة مستقلة وفيه وجوه (الاول) المراد بقوله لو أنى بكم قوة كونه بنفسه قادر على الدفع وكونه متمكنا اما بنفسه واما بمعاونة غيره على قهرهم وتاديبهم والمراد بقوله أو أى الى ركن شديد هو أن لا يكون له قدرة على الدفع لكنه يقدر على التحصن بحصن ليأمن من شرهم بواسطة (الثالث) انه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استمر على نفسه وقال بل الاولى أن أى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعبادة الله تعالى وعلى هذا التفسير قوله أو أى الى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له به وبهذا الطريق لا يلزم عطف الفعل على الاسم ولذلك قال النبي عليه السلام رحم الله أخى لو طاكنا ياوى الى ركن شديد ﴿ قوله تعالى ﴾ (قالوا يا لوط اننا نرسل ربك لن يصلوا اليك فأسر يا هلاك بقطع من الليل ولا يلفت منكم أحدا الامر أنك انه مصيبتها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس أصبح بقر ب) اعلم أن قوله تعالى مخبرا عن لوط عليه السلام أنه قال لو أنى بكم قوة أو أى الى ركن شديد يدل على أنه كان في غاية القلق والحزن بسبب اقدام أولئك الاوباش على ما يوجب الفضيحة في حق أضيافه فلما رأته الملائكة تلك الحالة بشروه بأنواع من البشارات (أحدها) انهم رسل الله (وثانيها) ان الكفار لا يصلون الى ما هموا به (وثالثها) انه تعالى يهلكهم (ورابعها) انه تعالى ينجيهم مع أهله من ذلك العذاب (وخامسها) ان ركنك شديد وان ناصر لك هو الله تعالى فحصل له هذه البشارات وروى ان جبريل عليه السلام قال له ان قومك لن يصلوا اليك فاقح الباب فدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يبتدون الى بيوتهم وذلك قوله تعالى وقدر اوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم ومعنى قوله ان يصلوا اليك أي بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك ثم قال فأسر بأهلك قرأنا فع وان كثير فاسره وصوله والباقيون بقطع الالف وهما الغتان يقال سريت بالليل وأسريت وأشد حسان * أسرت اليك ولم تكن تسرى * فجاء بالفتين فن قرأ بقطع الالف فجاءه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذى أسرى بعده ومن وصل فجاءه قوله والليل اذا يسر والسرى السير في الليل يقال سرى يسرى اذا سار بالليل وأسرى بفلان

يا الاضافة كافي بالهفاو باحجابا وقرأ الحسن على الاصل وأمالها أبو عمرو وعاصم في رواية ومعنا دياو بلى احضرى فهذا أو ان حضورك وقبل هي ألف التدبى ووقف عليها ما السكت (أأندو أنا عجوز) بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة (وهذا) الذى تشاهدونه (بلى) أي زوجى وأصل البعل القائم بالامر (شيخا) وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الإشارة وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أي هو شيخ

او خبر بعد خبر أو هو الخبر أو يعلى بل من اسم الإشارة أو بيان له وكلنا الجنتين وقعت حال من الضمير في الدلتقير ما فيه من الاستبعاد وتعليقه أي ألدوكلنا على حالة منافية لذلك وإنما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة والسلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر أذ يذكر بما يولد الشيء من الشواب أما العجائز ذواتهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحاً ولان العكس في البيان بما يوهم من أول الامر نسبة المنافع من الولادة الى جانب ﴿ ١١٦ ﴾ إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه

ما لا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتهما من غير تعرض لحال النافذة لانها المستبعد وأما ولادة ولدها فلا تعلق بهما استبعاد (ان هذا) أي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا (لشيء عجب) بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوك في عبادته وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف الحقيقي وقد صددها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادي لاستبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى (قالوا أعجبين من أمر الله) أي قدرته وحكمته أو تكوينه أو شأنه أنكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها أن تتوقر ولا يزد هيها ما يزد هي سائر النساء من أمثال هذه الخوارق من أطفاف الله تعالى الخفية وإطائف صفة الغائضة على كل أحد مما تعلق بذلك مشيئته الازلية لاسيما على أهل بيت

اذ سير به بالليل والقطع من الليل بعضه وهو مثل القطعة يريد اخرجوا ليلا لتسبوا نزول العذاب الذي موعده الصبح قال نافع بن الارزق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبرني عن قول الله بقطع من الليل قال هو آخر المليل سحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقال آخرون هو نصف الليل فانه في ذلك الوقت قطع بنصفين * ثم قال ولا يلفت منكم أحد نهى من معه عن الالتفات والالتفات نظر الانسان الى ما وراءه والظاهر ان المراد انه كان لهم في البلدة أموال وأقشة وأصدقاؤه فلما لنگة أمرهم بأن يخرجوا ويتركوا تلك الاشياء ولا يلفتوا اليها البتة وكان المراد منه قطع تعلق القلب عن تلك الاشياء وقديراد منه الانصراف أيضا كقوله تعالى قالوا أجبنا لتلقنا أي لنصرفنا وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله ولا يلفت منكم أحد انه نهى عن التخلف * ثم قال الامر أنك قرأين كثير وأبوعرو الامر أنك بالرفع والباقيون بالنصب قال الواحدى من نصب وهو الاختيار فقد جعلها مستثناة من الال على معنى وأسر بأهلك الامر أنك والذي يشهد بحجة هذه القراءة ان في قراءة عبد الله فأسر بأهلك الامر أنك فأسقط قوله ولا يلفت منكم أحد من هذا الموضع وأما الذين رفعوا فالتقدير ولا يلفت منكم أحد الامر أنك فان قيل فهذه القراءة توجب انها أمرت بالانفات لان القائل اذا قال لا يلفت منكم أحد الا يزيد كان ذلك أمر الزيد بالقيام وأجاب أبو بكر الانباري عنه فقال معنى الالهةما الاستثناء المنقطع على معنى لا يلفت منكم أحد لكن امر أنك تلتفت فيصيبها ما أصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعاً كان التقاضا معصية ويتأكد ما ذكرنا بما روى عن قتادة انه قال انها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هذا العذاب التفت وقالت يا قوم ما فاعصا بها فخرج فاهلكها واعلم ان القراءة بالرفع أقوى لان القراءة بالنصب تمنع من خروجها مع أهلها لكن على هذا التقدير الاستثناء يكون من الال كانه أمر لوط بأن يخرج بأهله ويترك هذه المرأة فانها هالكة مع الهالكين وأما القراءة بالنصب فانها أقوى من وجه آخر وذلك لان مع القراءة بالنصب يبقى الاستثناء متصلاً ومع القراءة بالرفع يصير الاستثناء منقطعاً * ثم بين الله تعالى انهم قالوا له مصيبها ما أصابهم والمراد انه مصيبها ذلك العذاب الذي أصابهم ثم قالوا ان موعدهم الصبح روى انهم لما قالوا لوط عليه السلام ان موعدهم الصبح قال أريد ان تجل من ذلك بل الساعة فقالوا أليس الصبح بقرى قال المفسرون ان لوط عليه السلام لما سمع هذا الكلام خرج بأهله في الليل * قوله تعالى (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في الامر وجهان (الاول) ان المراد من هذا الامر ما هو ضد النهي ويدل عليه وجوه (الاول) ان لفظ الامر حقيقة في هذا المعنى مجاز في غيره دفعا للاشتراك (الثاني) ان الامر لا يمكن حمله ههنا على العذاب وذلك لانه تعالى قال فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وهذا

النبوة الذين ليست مرتبهم عند الله سبحانه كما تب سائر الناس وأن تسبح الله تعالى وتحمده وتحمده والى ذلك ﴿ الجمل ﴾ اشاروا بقوله تعالى (رحمة الله) التي وسعت كل شيء واستبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمرة لزيادة تشریفها (وبركاته) أي خبراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جللتها سابعة الاولاد وقبل الرحمة النبوة والبركات لا سباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد

ابراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم أهل البيت) نصب على المدح أو الاختصاص لانهم أهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكور لتعميم حكمه لابراهيم عليه الصلاة والسلام أيضا ليكون جوابهم لها جوابا باله ايضا ان خطر بياله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كما أنه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم بأهل بيت ﴿ ١١٧ ﴾ النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمة المستقيمة لكل خير الواسعة

الجليل هو العذاب فدلّت هذه الآية على ان هذا الأمر شرط والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فهذا الأمر غير العذاب وكل من قال بذلك قال انه هو الأمر الذي هو ضد النهي (والثالث) انه تعالى قال قبل هذه الآية انا أرسلنا الى قوم لوط فدل هذا على انهم كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب الى قوم لوط وبإبصال هذا العذاب اليهم اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى أمر جعلا من الملائكة بأن يجرؤوا تلك المدائن في وقت معين فلما جاء ذلك الوقت أقدموا على ذلك العمل فكان قوله فلما جاء أمرنا إشارة الى ذلك التكليف فان قيل لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال فلما جاء أمرنا جعلاوا عاليها سافلها لان الفعل صدر عن ذلك المأمور قلنا هذا لا يلزم على مذهبننا لان فعل العبد فعل الله تعالى عندنا وأيضا ان الذي وقع منهم انما وقع بأمر الله تعالى وبقدرته فلم يعد اضافته الى الله عز وجل لان الفعل كما تحسن اضافته الى المباشر فقد تحسن أيضا اضافته الى السبب (القول الثاني) أن يكون المراد من الأمر ههنا قوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقد تقدم تفسير ذلك الأمر (القول الثالث) أن يكون المراد من الأمر العذاب وعلى هذا التقدير فيحتاج الى الاضمار والمعنى ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليها سافلها (المسئلة الثانية) اعلم أن ذلك العذاب قد وصفه الله تعالى في هذه الآية بنوعين من الوصف (فالاول) قوله جعلنا عاليها سافلها روى ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه الواحدة تحت مدائن قوم لوط وقلعهما وصعد بهما الى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الخمر ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنكفئ لهم جرة ولم ينكب لهم انا ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الارض واعلم ان هذا العمل كان معجزة فاهرة من وجهين (احدهما) ان قلعه الارض واصعادها الى قريب من السماء فعل خارق للعادات (والثاني) ان ضربها من ذلك البعد البعيد على الارض بحيث لم تحرك سائر القرى المحيطة بها البتة ولم تصل الآفة الى لوط عليه السلام وأهله مع قرب مكانهم من ذلك الموضع معجزة فاهرة أيضا (الثاني) قوله وأمطرنا عليها حجارة من سجيل واخلقوا في السجل على وجوه (الاول) انه فارسي معرب وأصله سنككل وانه شيء مريب من الحجر والطين بشرط أن يكون في غاية الصلابة قال الأزهري لما عرّبه العرب صار عربيا وقد عربت حروفا كثيرة كالديباج والديوان والاستبرق (والثاني) سجيل أى مثل السجيل وهو الدال العظيم (والثالث) سجيل أى شديد من الحجارة (الرابع) مرسله عليهم من أسجلته اذا أرسلته وهو فعيل منه (الخامس) من أسجلته أى أعطيته تقديره مثل العطية في الادرار وقيل كان كتب عليها أسامى المعبذين (السادس) وهو من السجل وهو الكتاب تقديره من مكتوب في الازل أى كتب الله أن يعذبهم بها والسجل أخذ من السجل وهو الدلو العظيمة لانه يتضمن أحكاما كثيرة وقيل مأخوذ من المساجلة وهى المفاخرة (والسابع) من سجين أى من جهنم أبدلت النون لاما (والثامن) من السماء

الجملة هو العذاب فدلّت هذه الآية على ان هذا الأمر شرط والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فهذا الأمر غير العذاب وكل من قال بذلك قال انه هو الأمر الذي هو ضد النهي (والثالث) انه تعالى قال قبل هذه الآية انا أرسلنا الى قوم لوط فدل هذا على انهم كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب الى قوم لوط وبإبصال هذا العذاب اليهم اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى أمر جعلا من الملائكة بأن يجرؤوا تلك المدائن في وقت معين فلما جاء ذلك الوقت أقدموا على ذلك العمل فكان قوله فلما جاء أمرنا إشارة الى ذلك التكليف فان قيل لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال فلما جاء أمرنا جعلاوا عاليها سافلها لان الفعل صدر عن ذلك المأمور قلنا هذا لا يلزم على مذهبننا لان فعل العبد فعل الله تعالى عندنا وأيضا ان الذي وقع منهم انما وقع بأمر الله تعالى وبقدرته فلم يعد اضافته الى الله عز وجل لان الفعل كما تحسن اضافته الى المباشر فقد تحسن أيضا اضافته الى السبب (القول الثاني) أن يكون المراد من الأمر ههنا قوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقد تقدم تفسير ذلك الأمر (القول الثالث) أن يكون المراد من الأمر العذاب وعلى هذا التقدير فيحتاج الى الاضمار والمعنى ولما جاء وقت عذابنا جعلنا عاليها سافلها (المسئلة الثانية) اعلم أن ذلك العذاب قد وصفه الله تعالى في هذه الآية بنوعين من الوصف (فالاول) قوله جعلنا عاليها سافلها روى ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه الواحدة تحت مدائن قوم لوط وقلعهما وصعد بهما الى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الخمر ونباح الكلاب وصياح الديوك ولم تنكفئ لهم جرة ولم ينكب لهم انا ثم قلبها دفعة واحدة وضربها على الارض واعلم ان هذا العمل كان معجزة فاهرة من وجهين (احدهما) ان قلعه الارض واصعادها الى قريب من السماء فعل خارق للعادات (والثاني) ان ضربها من ذلك البعد البعيد على الارض بحيث لم تحرك سائر القرى المحيطة بها البتة ولم تصل الآفة الى لوط عليه السلام وأهله مع قرب مكانهم من ذلك الموضع معجزة فاهرة أيضا (الثاني) قوله وأمطرنا عليها حجارة من سجيل واخلقوا في السجل على وجوه (الاول) انه فارسي معرب وأصله سنككل وانه شيء مريب من الحجر والطين بشرط أن يكون في غاية الصلابة قال الأزهري لما عرّبه العرب صار عربيا وقد عربت حروفا كثيرة كالديباج والديوان والاستبرق (والثاني) سجيل أى مثل السجيل وهو الدال العظيم (والثالث) سجيل أى شديد من الحجارة (الرابع) مرسله عليهم من أسجلته اذا أرسلته وهو فعيل منه (الخامس) من أسجلته أى أعطيته تقديره مثل العطية في الادرار وقيل كان كتب عليها أسامى المعبذين (السادس) وهو من السجل وهو الكتاب تقديره من مكتوب في الازل أى كتب الله أن يعذبهم بها والسجل أخذ من السجل وهو الدلو العظيمة لانه يتضمن أحكاما كثيرة وقيل مأخوذ من المساجلة وهى المفاخرة (والسابع) من سجين أى من جهنم أبدلت النون لاما (والثامن) من السماء

الاستقبال لاستحضار صورتها أو طبق بمجادلتنا ظاهرة وأما ان فسرت بشارة الولد أو بإيعامها فدل سببها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة أهله كافة ومجادلتنا ايهاهم أنه قال لهم حين قالوا له انما مهلكوا أهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خسون رجلا من المؤمنين أتهم لكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم ان كان فيها رجل مسلم أتهم لكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان

ففيها لوطا قالوا نحن أعلم بما فيها نجسين وأهلها ان قيل المتبادر من هذا الكلام أن يكون ابراهيم عليه السلام قد علم أنهم من سلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلته في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح فرغ لهام أن ذهاب الروح انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف اننا أرسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ﴿ ١١٨ ﴾ ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة أمته

التي من جلتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف وأما الذي علمه عليه السلام بعد انتهى عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق (ان ابراهيم خليل) غير عجول على الانتقام من أساء اليه (أواه) كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس (متنب) راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة (يا ابراهيم) اي قالت الملائكة يا ابراهيم (أعرض عن هذا) الجدال (انه) اي الشأن (قد جاء أمر ربك) اي قدره الجاري على وفق قضائه الاذلى الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقضية لتظلم الموجدات على ترتيب خاص حسب تعلقاتها بالاشياء في أوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يجادل ولا بدعاء ولا يغيرهما (ولما جاءت رسلنا

الدنيا وتسمى سجيلا عن أبي زيد (والناسع) السجيل الطين لقوله تعالى حجارة من طين وهو قول عكرمة وقادة قال الحسن كان أصل الحجر هو من الطين الا انه صلب بمرور الزمان (والعاشر) سجيل موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة منه قوله تعالى من جبال فيها من برد * واعلم أنه تعالى وصف تلك الحجارة بصفات (فالصفة الاولى) كونها من سجيل وقد سبق ذكره (الثاني) قوله تعالى منضود قال الواحدى هو مفعول من التضد وهو وضع الشيء بعضه على بعض وفيه وجوه (الاول) ان تلك الحجارة كان بعضها فوق بعض في النزول فأتى به على سبيل المبالغة (والثاني) ان كل حجر فان ما فيه من الاجزاء منضود بعضها ببعض وملصق بعضها ببعض (والثالث) انه تعالى كان قد دخلها في معادنها ونضد بعضها فوق بعض وأعدّها لاهلاك الظلمة واعلم ان قوله منضود صفة للسجيل (الصفة الثالثة) مسومة وهذه الصفة صفة للاججار ومعناها المعلىة وقد مضى الكلام فيه في تفسير قوله والخليل المسومة واختلفوا في كيفية تلك العلامة على وجوه (الاول) قال الحسن والسدى كان عليها أمثال الخواتيم (الثاني) قال ابن صالح رأيت منها عند أم هانئ حجارة فيها خطوط حرة على هيئة الجزع (الثالث) قال ابن جريج كان عليها سيما لا تشارك حجارة الارض وتدل على انه تعالى انما خلقها للعذاب (الرابع) قال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من ربي به ثم قال تعالى عند ربك اى في خزائنه التي لا يتصرف فيها أحد الا هو ثم قال وماهى من الظالمين يعيد يعنى به كفار مكة والمقصود انه تعالى يرميهم بها عن أنس أنه قال سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن هذا فقال يعنى عن ظالمى أمك ما من ظالم منهم الا هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضعيف في قوله وماهى القرى اى وماتلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة من كفار مكة يعيد وذلك لان تلك القرى كانت في الشأم وهي قرب من مكة * قوله تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنصوا المكيال والميزان اى أراكم تخبرواى أخاف عليكم عذاب يوم محبط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خبر اكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بخفيض) اعلم ان هذا هو القصة السادسة من القصص المذكورة في هذه السورة واعلم ان مدين اسم ابن لبراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة وكثير من المفسرين يذهب الى أن مدين اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وأرسلنا الى أهل مدين فحنف الاهل واعلم اننا ايندنا ان الانبياء عليهم السلام يشعرون في أول الامر بالدعوة الى التوحيد فلهذا قال شعيب عليه السلام ما لكم من اله غيره ثم انهم بعد الدعوة الى التوحيد يشعرون في الاهم ثم الاهم ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في المكيال والميزان دعاهم الى ترك هذه العادة فقال ولا تنصوا المكيال والميزان والنقص فيه على وجهين (أحدهما) أن يكون

لوطا) قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين ﴿ الانفاء ﴾ القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان من حسان الوجوه فلذلك (سمى بهم) اى ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناس فخاف أن يقصدهم قومه ويجزع عن مدافعهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو عمرو سى وسيت باشمام السين الضم * روى أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع

شهادات فلما مشى معهم منطلقاً بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال أشهد بالله انها شر قرية في الارض فلا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت به قومها وقالت ان في بيت لو طرجا لآماراًيت مثل وجوههم قط (وضاق بهم ذرعاً) أي ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للجزع عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه وقيل ١١٩ ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل

وهو المساحة وكأنه قدر البدن مجازاً أي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجراحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعاً قصرها كما أن معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك أن القصير الذراع اذا مدها ليتناول ما يتناول الطويل الذراع تقاصر عنه ويحرج عن تعاطيه فضرِب مثلاً للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر (وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شد) (وجاء) أي لو طأوه وفي بيته مع أضيافه (قومه يهرعون اليه) أي يسرعون كما يمدفون دفعاً اطلب الفاحشة من أضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى (ومن قبل) أي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات أي جاؤا مسرعين والحال أنهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضرِبوا بما وتروا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم

الايفاء من قبلهم فينقصون من قدره (والآخر) أن يكون لهم الاستيفاء يأخذون أزيد من الواجب وذلك يوجب نقصان حق الغير وفي القسمين حصل النقصان في حق الغير ثم قال اني أراكم بخير وفيه وجهان (الاول) انه حذرهم من غلاء السعور وزال النعمة ان لم يتوبوا فكانه قال اتركوا هذا التطفيف والا أزال الله عنكم ما حصل عندكم من الخير والراحة (والثاني) أن يكون التقدير انه تعالى أنما كمال الخير الكثير والمال والرخص والسعة فلا حاجة بكم الى هذا التطفيف ثم قال واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط وفيه أبحاث (البحث الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما أخاف أي أعلم حصول عذاب يوم محيط وقال آخرون بل المراد هو الخوف لانه يجوز أن يتركوا ذلك العمل خشية أن يحصل لهم العذاب ولما كان هذا التخويف قائماً فالخاصل هو الظن لا العلم (البحث الثاني) انه تعالى توعدهم بعذاب محيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد والمحيط من صفة اليوم في الظاهر وفي المعنى من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب (البحث الثالث) اختلفوا في المراد بهذا العذاب فقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة لانه اليوم الذي نصب لاحاطة العذاب بالمعذبين وقال بعضهم بل يدخل فيه عذاب الدنيا والآخرة وقال بعضهم بل المراد منه عذاب الاستئصال في الدنيا كما في حق سائر الانبياء والا قرب دخول كل عذاب فيه واحاطة العذاب بهم كاحاطة الدائرة بما في داخلها فينالهم من كل وجه وذلك مباينة في الوعيد كقوله وأحيط بثمره ثم قال ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بانقسط فإن قيل وقع التكرير في هذه الآية من ثلاثاً وجه لانه قال أولاً ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فبالقائمة في هذا التكرير قلنا ان فيه وجوهاً (الاول) ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل فاحتج في المنع منه الى المباينة والنا كيد والتكرير يفيد التأكيد وشدة العناية والاهتمام (والثاني) ان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التقصيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل والنهي عن ضد الشيء مغاير للامر به وليس اقائل أن يقول النهي عن ضد الشيء أمر به فكان التكرير لازماً من هذا الوجه لانا نقول (الجواب) من وجهين (الاول) انه تعالى جمع بين الامر بالشيء وبين النهي عن ضده للمباينة كما تقول صل قرابتك ولا تقطعهم فبدل هذا الجمع على غاية التأكيد (الثاني) أن نقول لانسلم ان الامر كما ذكرتم لانه يجوز أن ينهى عن التقصيص وينهى أيضاً عن أصل المعاملة فهو تعالى منع من التقصيص وأمر بإيفاء الحق ليدل ذلك على انه تعالى لم يمنع عن المعاملات ولم ينه عن المبايعات وانما منع من التطفيف وذلك لان طائفة من الناس يقولون ان المبايعات لا تنفك عن التطفيف ومنهم المحققون فكانت المبايعات محرمة بالكلية فلا جل ابطال هذا الخيال منع تعالى في الآية الاولى من التطفيف وفي الآية الاخرى أمر بالإيفاء

مهرعين مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم) فتر وجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيئهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لالعدم مشروعية فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً وقد زوج النبي عليه الصلاة والسلام ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأياما كان فقد أراد به وقاية ضيقه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه

مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واطهار الشدة امتعاضة مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيزجروا عما أقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعاً بأن لانا كحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما نافي بينك من حق كما ستف عليه (فاتقوا الله) بترك الفواحش أو بإشراهن عليهم (ولا تخزون في ضي) أي لا تفضحوني في شأنهم فإن ١٢٠ اخزن اضيف الـ رـ جلـ وجاره اخزاه له أو لا تجعلوني من

الخرابة وهي الحياء (ليس منكم رجل رشيد) يمتدى الى الحق الصريح ويرعى عن الباطل القبيح (قالوا) معرضين عما تفهمهم به من الامر بتقوى الله والنهي عن اخزائه مجيبين عن أول كلامه (لقد علمت ما نافي بينك من حق) مستشهدين بعلمه بذلك يعنون أنك قد علمت أن لا سبيل الى النكاكة بيننا وبينك وما عرضت الا عرض سابري ولا مطعم انافي ذلك (وانك تعلم ما نريد) من اتيان الذكران ولما ينس عليه السلام من ارعواهم عما هم عليه من الغي (قالوا) انك بكلمة (قوة) أي لفعلت بكلمة ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرآناسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى (أو آوى الى ركن شديد) عطف على أنلى يكلم الى آخره لما فيه من معنى الفعل أي أوقويت على دفعكم بنفسى أو أويت الى ناصر عزى قوى أمتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروى عن النبي صلى الله عليه

وأما قوله ثالثاً ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير لانه تعالى خص المنع في الآية السابقة بالنقصان في المكيال والميزان ثم انه تعالى عمم الحكم في جميع الاشياء فظهر بهذا البيان انها غير مكررة بل في كل واحد منها فائدة زائدة (والوجه الثالث) انه تعالى قال في الآية الأولى ولا تنقصوا المكيال والميزان وفي الثانية قال أوفوا المكيال والميزان والاياء عبارة عن الاتيان به على سبيل الكمال والتام ولا يحصل ذلك الا اذا أعطى قدراً زائداً على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من أجزاء الرأس فالخالص انه تعالى في الآية الأولى نهى عن النقصان وفي الآية الثانية أمر باعطاء قدر من الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة فكأنه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً لتحصل له تلك الزيادة وفي الثانية أمر بالسعي في تنقيص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة وقوله بالقسط يعنى بالعدل ومعناه الامر بإيفاء الحق بحيث يحصل معه اليقين بالخروج عن العهدة فالامر بإتيان الزيادة على ذلك غير حاصل ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم والبخس هو النقص في كل الاشياء وقد ذكرنا ان الآية الأولى دلت على المنع من النقص في المكيال والميزان وهذه الآية دلت على المنع من النقص في كل الاشياء ثم قال ولا تعثوا في الأرض مفسدين فان قيل التعثوا الفساد التام فقوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين جار مجرى أن يقال ولا تفسدوا في الأرض مفسدين قلنا فيه وجوه (الأول) أن من سعى في ابصال الضرر الى الغير فقد حل ذلك الغير على السعي الى ابصال الضرر اليه فقوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين معناه ولا تسعوا في افساد مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعى منكم في افساد مصالح أنفسكم (والثاني) أن يكون المراد من قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين مصالح دنياكم وآخرتكم (والثالث) ولا تعثوا في الأرض مفسدين مصالح الآديان ثم قال بقية الله خير لكم قرى بقية الله وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي ثم نقول المعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف يعنى المال الحلال الذى يبقى لكم خير من تلك الزيادة الحاصلة بطريق البخس والتطفيف وقال الحسن بقية الله أي طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان ثواب الطاعة يبقى أبداً وقال قتادة حظكم من ربكم خير لكم وأقول المراد من هذه البقية اما المال الذى يبقى عليه في الدنيا واما ثواب الله واما كونه تعالى راضياً عنه والكل خير من قدر التطفيف اما المال الباقي فلان الناس اذا عرفوا انساناً بالصدق والامانة والبعد عن الحيانة اعتمدوا عليه ورجعوا في كل المعاملات اليه فيفتح عليه باب الرزق واذا عرفوه بالخيانة والمكر انصرفوا عنه ولم يخاطبوه اليه فتضيى أبواب الرزق عليه وأمان حملنا هذه البقية على الثواب فالامر ظاهر لان كل الدنيا تقضى وتنقضى وثواب الله باقى وأمان حملناه على حصول رضا الله

وسلم رحم الله أخى لوطاً كان بأوى الى ركن شديد روى أنه عليه السلام أغلق باباً دون أضيافه وأخذ يجادلهم تعالى من وراء الباب فتسروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكبر (قالوا) أي الرسل لما شهدوا عجزه عن مدافعة قومه (يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) يضرر ولا مكروه فاقح الباب ودعنا واباهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها

فتمسح جناحه وله جناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الشهاب يضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال عز وجل فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون التجاء التجاء فان في بيت لوط قومًا مسحرة (فأسر بأهلك) بالقطع من الأسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والقائد ترتب الأمر بالأسراء على الأخبار برسالتهم المؤذنة بورود الأمر والنهي من جنابه عز وجل البه ﴿١٢١﴾ عليه السلام (يقطع من الليل) بطائفته منه (ولا يلتفت منكم)

أى لا يتخلف أو لا ينظر الى ورأه (أحد) منك ومن أهلك وانما هموا عن ذلك ليحدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن أدنى وقفة أو لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيقولوا لهم (الامر أهلك) استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك وبؤيده أنه قرى فأسر بأهلك بقطع من الليل الامر أهلك وقرى بالرفع على البدل من أحد فالانفاتح بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان التنبه يقتضى كونه عليه السلام غير مأور بالأسراء بها والرفع كونه مأورا بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعى الأمر بالأسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسرى هي بنفسها كبارى وى انه عليه السلام لما أسرى بأهله تبعهم فلما سمعت هدة العذاب التفت وقالت يا قوم ما فادر كهذا فقتلها وأن يسرى بها عليه السلام من غير أمر بذلك اذ هو جب

تعالى فالامر فيه ظاهر فثبت بهذا البرهان ان بقية الله خير ثم قال ان كنتم مؤمنين وانما شرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين مفرين بالثواب والعقاب عرفوا ان السعى في تحصيل الثواب وفي الحذر من العقاب خيرا لهم من السعى في تحصيل ذلك القليل واعلم ان المعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فهذه الآية تبدل بظواهرها على ان من لم يجتز عن هذا التطويق فانه لا يكون مؤثما ثم قال تعالى وما أناعليكم بحفظ وفيه وجهان (الاول) أن يكون المعنى انى تحفظكم وأرشدكم الى الخير وما أناعليكم بحفظ أى لا قدرة لى على منعكم عن هذا العمل القبيح (الثاني) انه قد أشار فيما تقدم الى ان الاشتغال بالجنس والتطويق يوجب زوال نعمة الله تعالى فقال وما أناعليكم بحفظ يعنى لو لم تتركوا هذا العمل القبيح لزال نعم الله عنكم وأما لا قدر على حفظها عليكم في تلك الحالة ﴿قوله تعالى﴾ (قانا يا شبيب أصلاتك تأمرك أن تترك ما بعد أبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزمة والكسائى وحقق عن عاصم أصلاتك بغير واو والباقيون أصلو انك على الجمع (المسئلة الثانية) اعلم ان شعبا عليه السلام أمرهم بشيئين بالتوحيد وترك الجنس فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة فقوله ان تترك ما بعد أبائنا إشارة الى انه أمرهم بالتوحيد وقوله أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إشارة الى أنه أمرهم بترك الجنس أما الاول فقد أشار وفيه الى التمسك بطريقة التقليد لانهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد أبائهم يعنى الطريقة التى أخذناها من آبائنا وأسلافنا كيف نتركها وذلك تمسك بمحض التقليد (المسئلة الثالثة) في لفظ الصلاة ههنا قولان (الاول) المراد منه الدين والاعمال لان الصلاة أظهر شعار الدين فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين أو نقول الصلاة أصلها من الاتباع ومنه أخذ المصلى من الخيل الذى يتلو السابق لان رأسه يكون على صلوى السابق وهم اناحيتا الفخذين والمراد منك بأمرك بذلك (والثاني) ان المراد منه هذه الاعمال المخصوصة روى أن شعبيا كان كثير الصلاة وكان قومه اذا رأوه يصلى تعامن واوتضا حكاوا فقصدا بقولهم أصلو انك تأمرك بالسخرية والهزؤ وكما أنك اذا رأيت معنوها بطالع كناية عن ذكر كلاما فاسد اذ يقال له هذا من مطاعة تلك الكتب على سبيل الهزؤ والسخرية فكذا ههنا فان قيل تقدير الآية أصلو انك تأمرك أن تفعل في أموالنا ما نشاء وهم انما ذكروا وهذا الكلام على سبيل الانكار وهم ما كانوا ينكرون كونهم فاعلين في أموالهم ما يشاؤون فكيف وجه التأويل قلنا فيه وجهان (الاول) التقدير أصلو انك تأمرك أن تترك ما بعد أبائنا أو أن تترك فعل ما نشاء وعلى هذا فقله أو أن نفعل معطوف على ما في قوله ما بعد أبائنا (والثاني) أن تجعل الصلاة أمرة وناهية والتقدير أصلو انك تأمرك أن تترك عبادة الاوثان وتتهلك أن تفعل في أموالنا ما نشاء وقرأ ابن أبى عبله أو أن تفعل في أموالنا

التنبه انما هو عدم الأمر بالأسراء بها ﴿١٦﴾ خا لا انتهى عن الأسراء بها حتى يكون عليه السلام بالأسراء بها مخالفا للنهي لا يجدى نفع لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعى بقاء الاهل على العموم فيكون الأسراء بها مأورا به قطعاً وفي حل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كرى ما فر منه من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء

كذلك على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوا الا قليل منهم فان ابن عامر قرا ما نصب وان كان الاصح الرفع على
البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الاصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيا عنه بطريق الاستصلاح ولذلك
عليه على طريقة الاستثنا في قوله (انه مصيبها ما اصابهم) من العذاب وهو امطار الاجار وان لم يصبها الخسف والضيق في انه
للسان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة ١٢٢ ✽ خبر لان الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من

نفيهم شأن ما اصابهم ولا يحسن
جعل الاستثناء منقطعاً على
قراءة القسم (ان موعدهم
الصحيح) أي موعدهم
وهلاكهم لتعليل الامر
بالاسراء والنهي عن الالتفات
المشعر بالحث على الاسراع
(أليس الصحيح يقرب) تأكيد
للتعليل فان قرب الصحيح داع
الى الاسراع في الاسراء
للتباعد عن مواقع العذاب
وروى أنه قال للحلائكة متى
موعدهم هلاكهم قالوا الصحيح
قال أريد أسرع من ذلك
فقالوا ذلك وانما جعل ميقات
هلاكهم الصحيح لانه وقت
الدعة والراحة فيكون حلول
العذاب حينئذ أقطع ولاه
انصب يكون ذلك عبرة للناظرين
(فلما جاء امرنا) أي وقت عذابنا
وموعده وهو الصحيح (جعلنا
عاليها) أي على قري قوم لوط
وهي التي عبر عنها بالثؤتفات
وهي خمس مدائن فيها
أربعمائة ألف ألف (سافلها)
أي قلبناها على تلك الهيئة
وجعل عاليها مفعولاً لأول للجعل
وسافلها مفعولاً لثانيه وان
تحقق القلب بالعكس أيضاً

ما تشاء بناء الخطاب فيها وهو ما كان بأمرهم به من ترك التطفيف والتخس والاقتناع
بالحلال القليل وأنه خير من الحرام الكثير ثم قال تعالى حكاية عنهم انك لانت الحليم
الرشيد وفيه وجوه (الاول) أن يكون المعنى انك لانت السفيه الجاهل لأنهم عكسوا
ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية به كما يقال للحزيل الخسيس لوراك حاتم سجديك
(والثاني) أن يكون المراد انك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد (والوجه
الثالث) انه عليه السلام كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد فلما أمرهم بمغارقة طريقهم
قالوا له انك لانت الحليم الرشيد المعروف بالطريقة في هذا الباب فكيف تنهانا عن دين
ألفينا من آبائنا وأسلافنا والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفاً بالحلم
والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه * قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أئيب ويا قوم لا يجزئكم
شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ويا قوم لوط منكم
ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) اعلم أنه تعالى حكى عن شبيب عليه السلام ما ذكره في الجواب عن كلماتهم
فالاول قوله أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وفيه وجوه (الاول)
ان قوله ان كنت على بينة من ربي إشارة الى ما أتاه الله تعالى من العلم والهداية والدين
والنوة وقوله ورزقي منه رزقا حسنا إشارة الى ما أتاه الله من المال الحلال فانه يروى
أن شعبيا عليه السلام كان كثير المال واعلم أن جواب ان الشرطية مخدوف والتقدير
انه تعالى لما أتاني جميع السعادات الروحانية وهي البينة والسعادات الجسمانية وهي
المال والرزق الحسن فهل يسعني مع هذا الانعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه
في أمره ونهيه وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك لانهم قالوا له انك لانت الحليم
الرشيد فكيف يليق بك مع حكمك ورشدك أن تنهانا عن دين آبائنا فكانه قال انما
أقدمت على هذا العمل لان نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرني بهذا التبليغ والرسالة
فكيف يليق بي مع كثرة نعم الله تعالى علي أن أخالف أمره وتكليفه (الثاني) أن يكون
التقدير كأنه يقول لما أتت عندي أن الاشتغال بعبادة غدير الله والاشتغال بالخير
والتطفيف على منكر ثم أثار جل أريد اصلاح أحوالكم ولا أحتاج الى أموالكم لاجل
ان الله تعالى أتاني رزقا حسنا فهل يسعني مع هذه الاحوال أن أخون في وحي الله تعالى
وفي حكمه (الثالث) قوله ان كنت على بينة من ربي أي ما حصل عنده من المجزة وقوله
ورزقي منه رزقا حسنا المراد انه لا يسألهم أجرا ولا جعلاً وهو الذي ذكره سائر الانبياء
من قوامهم لا يسألكم عليه أجرا ان أجرى الاعلى رب العالمين (المسئلة الثانية) قوله ورزقي
منه رزقا حسنا يدل على أن ذلك الرزق انما حصل من عند الله تعالى وباعثه وأنه لا مدخل

لنحويل الامر ونقطع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها أشد عليهم وأشق من جعل ✽ لكسب ✽
سافلها عاليها وان كان مستلزما له * روى انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها ثم رفعها الى السما حتى سمع أهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجمل والامطار الى ضميره سبحانه باعثة ارا أنه ليسب لنفيهم الامر ونحويل
الخطب (وامطارنا عليها) على أهل المدائن أو شذاهم

حجارة من سجيل) من طين منحجر كقوله حجارة من طين وأصله سنك كل ضرب وقيل هو من أسجله إذا رسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية في الادرار أو من السجيل أى مما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فأبدلت نونه لاما (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضهم أثر بعض كقطار الأمطار (مسومة) معلقة للعذاب ﴿ ١٢٣ ﴾ وقيل معلقة يبيض وجرة أو يسما تميز به عن حجارة الأرض

أو باسم من ترمي به (عند ربك في خزائنه التي لا تبصر فيها غيره عز وجل (وما هي) أى الحجارة الموصوفة (من الظالمين) من كل ظالم (بعبود) فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وما لا يسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة ﴿ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امك ما من ظالم منهم الا وهو بمرض حجر بسطة عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من ظلمى مكة يمرض بها في مسائرهم وأسفارهم الى الشام وتذكروا البعيد على تأويل الحجارة بالحجر أو أجزائه على موصوف مذكر أى بشئ بعيد أو مكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الأرض الا انها حين هوت منها فهي أسرع شئ لحوقا بهم فكانها بكان قريب منهم أو لانه على زنة المصدر كازفير والسهيل والمصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث (والى مدين) أى أولاد

للحسب فيه وفيه تنبيه على أن الاعزاز من الله تعالى والاذلال من الله تعالى وإذا كان الكل من الله تعالى فأنا لا أبالي بمخالفتكم ولأفرح بموافقكم وانما أكون على تفرير دين الله تعالى وإيضاح شرائع الله تعالى (وأما الوجه الثاني) من الاجوبة التي ذكرها شعب عليه السلام فقوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه قال صاحب الكشف يقال خالفنى فلان الى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه إذاولى عنه وأنت قاصده ويقال الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء يريد أنه قد ذهب اليه وارد أو أن اذهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يعنى أنا أسبغكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبذابها دونم فهذا بيان اللغة وتحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا بأنه حلیم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصول الاصلح فكانه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلى فاعلموا أن الذى اختاره عقلى لنفسى لا بد وأن يكون أصوب الطرق وأصلحها والمدة الى توحيد الله تعالى وترك النجس والنقصان يرجع حاصلهما الى جزأين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وأما ما طلب عليهم ما غير تارك لهم ما فى شئ من الاحوال البتة فلما اعترفتم لي بالحلم والرشد وترون انى لا تترك هذه الطريق فاعلموا أن هذا الطريق خيرا للطريق وأشرف الاديان والشرائع (وأما الوجه الثالث) من الوجوه التي ذكرها شعب عليه السلام فهو قوله ان أريد الاصلاح ما استطعت والمعنى ما أريد الان أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وقوله ما استطعت فيه وجوه (الاول) أنه نظرف والتقدير مدة استطاعتى للاصلاح ومادمت متمكنة منه لا آؤف فيه جهدا (والثاني) انه يدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعت منه (والثالث) أن يكون مفعولا له أى ما أريد الان أصلح ما استطعت اصلاحه واعلم ان المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حلیم رشيد وانما أقروا به بذلك لانه كان مشهورا فيما بين الخلق بهذه الصفة فكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالى أنى لا أسعى الا فى الاصلاح وازالة الفساد والخصومة فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ابداء الناس فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضى منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة فانكم تعرفون أنى ابغض ذلك الطريق ولا أدور الا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتى وذلك هو الاصلاح والانداز وأما الاجبار على الطاعة فلا أقدر عليه ثم انه عليه السلام أكد ذلك بقوله وما توفى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وبين بهذا أن توكله واعتاده في تنفيذ كل الاعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته واعلم ان قوله عليه السلام توكلت اشارة الى محض التوحيد لان قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر وهو أنه لا ينبغي للانسان أن يتوكل على أحد الا على الله تعالى وكيف وكل ما سوى الحق سبحانه ممكن لذاته فان بذاته ولا يحصل الا بيجادته وتوكل به وإذا كان كذلك لم يجز التوكل الا على الله

مدين بن ابراهيم عليه السلام أو جعل اسم القبيلة بالغلبة أو أهل مدين وهو بلد بناء مدين فسبى باسمه (أخاهم) أى نسبهم (شعبيا) وهو ابن مكييل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مرابعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى شموذ أخاهم صالحا أى وأرسلنا الى مدين أخاهم شعبيا (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قبل فاذا قال لهم فقبل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدوا الله) وحده ولا تشركوا به شئنا (ما لكم من الله

بقيرة) تحقيق التوحيد وتعليل الامر به و بعد ما امرهم بما هو ملك امر الدين واول ما يجب على المكلفين بها هم عن ترتيب مبادئ ما اعتادوه من الجحس والتطيف عادة مستمرة فقال (ولا تنقصوا المكبال والميزان) كي تنسولوا بذلك الى الجحس حقوق الناس (اني اراكم بخير) أي ملتبسين بظروسة تفتنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكر اعليها أو اراكم بخير فلا تزيلوه ﴿ ١٢٤ ﴾ بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة

للهي عفت بعله أخرى أعنى قوله عز وجل (وأنى أخاف هلككم) ان لم تنتهوا عن ذلك (عذاب يوم محيط) لا يشد منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأحبط ثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للعذاب ما شتمل عليه منه كما اذا احاط بغيره ويجوز أن يكون هذا تعليل للامر والتهى جميعا (ويا قوم ردوا المكبال والميزان بالقسط) أى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة فى الكيل والوزن وان كان تفصلا مندوبا اليه لكنها فى الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما أمر بتسويتها وتعديلها صريح بما يغدو النهى عن

تعالى وأعظم مراتب معرفة المبدأ هو الذى ذكرناه وأما قوله والبه أئيب فهو اشارة الى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر لان قوله والبه أئيب يدل على انه لا مرجع للحق الا الى الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيب عليه السلام قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته فى كلامه بين قومه (وأما الوجه الرابع) من الوجوه التى ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله ويا قوم لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم قال صاحب الكشاف جرم مثل كسب فى تعديته تارة الى مفعول واحد وأخرى الى مفعولين يقال جرم ذنبا وكسبه وجرمه ذنبا وكسبه اياه ومنه قوله تعالى لا يجر منكم شقاقى أن يصيبكم أى لا يكسبكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير يجر منكم بضم الباء من أجرته ذنبا اذا جعلته جارماله أى كاسباله وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد وعلى هذا فلا فرق بين جرته ذنبا وأجرته اياه والقراءتان مستوئتان فى المعنى لا تفاوت بينهما الا أن المشهورة أفصح لفظا كان كسبه مالا أفصح من أكسبه اذا عرفت هذا فقول المراد من الآية لا تكسبكم معاداتكم اباى أى يصيبكم عذاب الاستئصال فى الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق ولقوم هود من الريح العقيم ولقوم صالح من الرجفة ولقوم لوط من الحسف وأما قوله وما قوم لوط منكم بعيد ففيه وجهان (الاول) ان المراد نفي البعد فى المكان لان بلاد قوم لوط عليه السلام قريبة من مدين (والثانى) ان المراد نفي البعد فى الزمان لان اهلاك قوم لوط عليه السلام اقرب الاهلاكات التى عرفها الناس فى زمان شعيب عليه السلام او على هذين التقديرين فان القرب فى المكان وفى الزمان يفيد زيادة المعرفة وبكال الوقوف على الاحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب فان قيل لم قال وما قوم لوط منكم بعيد وكان الواجب أن يقال بعيدين أجاب عنه صاحب الكشاف من وجهين (الاول) أن يكون التقدير ما اهلاكمهم شىء بعيد (الثانى) أنه يجوز أن يسوى فى قرب وبعيد وكثير وقليل بين المذ كروا المؤمنين ووردوا على زنة المصادرات التى هى الصهيل والتهيق ونحوهما (وأما الوجه الخامس) من الوجوه التى ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله واستغفروا ربكم عن عبادة الاوثان ثم توبوا اليه عن الجحس والنقصان ان ربى رحيم بأوليائه ودود قال أبو بكر الانبارى الودود فى أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده وقال الازهرى فى كتاب شرح أسماء الله تعالى ويجوز أن يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عبادة الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة فضاله واحسانه على الخلق واعلم أن هذا الترتيب الذى راعاه شعيب عليه السلام فى ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف وذلك لانه بين اولاً ظهور البينة وكثرة انعام الله تعالى عليه فى الظاهر والباطن يمنع عن الخيانة فى وحى الله تعالى ويصد عن التهاون فى تكليفه ثم بين ثانياً أنه مواظب على العمل بهذه

نقصهما بالغة فى الحمل على الايفاء والمع من الجحس وتنبها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والجحس ﴿ الدعوة ﴾

لي يجب عليهم اصلاح ما أفسدوه وجعلوه معيار الظلمهم وقانونا لعدوانهم (ولا تجحسوا الناس) بسبب نقصهما وعدم اعتدلهما (أشياءهم) التى يشترونها بها وفسد صريح بالتهى عن الجحس بعد ما علم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار بالامر بإبقائه اهتماماً بشأنه وترغيباً فى إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصهما ويجوز أن

يكون المراد بالامر باقية المكيل والميزان الامر بابقاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن الجنس تاما للنقص في المقدار وغيره نعمما بعد التخصيص كما في قوله تعالى (ولا تعشوا في الارض مفسدين) فان العشي يتم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل الجنس المكس كآخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى * أفى كل أسواق العراق اثاره * وفي كل مباح أمر ومكس درهم * والعشي في الارض السرقة وقطع * ١٢٥ * الطريق والقارة وفائدة الحال اخراج ما يقصده به

الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقرا الغلام وقيل معناه ولا تعشوا في الارض مفسدين أمر آخرتكم ومصالح دينكم (بقية الله) أي ما باقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما تجمعون بالجنس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم أن فيه خيرا كقوله تعالى يحق لله ان يوا وير في الصدقات (ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع الجحاة وذلك مشروط بالايان لا بحالة او ان كنتم مصدقين في مقالتي لكم وقبل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرى بقية الله بالقوانيصة وهي تقواه عن المعاصي (وما انا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القبائح وأحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم وانما انا صاحب مبلغ وقد اذذرت اذ اذذرت ولم آل في ذلك جهد أو ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع (قالوا

الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترا فكم يكونه حليما رشيدا ثم بين صحته بطريق آخر وهو أنه كان معروفا بمحصل موجبات الصلاح واخفاء موجبات الفتن فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته أشار الى نفي المعارض وقال لا ينبغي أن تحملكم عداوتي على مذهب ودين تفعون بسببه في العذاب الشديد من الله تعالى كما وقع فيه أقوام الانبياء المتقدمين ثم انه لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد الى تفرماد ذكره أولا وهو التوحيد والمنع من الجنس بقوله ثم تو بوا اليه ثم بين لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن ينعمهم من الايمان والطاعة لانه تعالى رحيم ودود يقبل الايمان والتوبة من الكافر والغاسق لان رحته لعباده وحبهم بوجب ذلك وهذا التقرير في غاية الكبر * قوله تعالى (قالوا يا شبيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنزك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمنا وما أنت علينا بنزير) اعلم انه عليه السلام لما بالغ في التقرير والبيان أجابوه بكلمات فاسدة فالاول قولهم يا شبيب مانفقه كثيرا مما تقول وفيه مسائل (المسئلة الاولى) نقائل أن يقول انه عليه السلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا مانفقه والعلماء ذكروا عنه أنواعا من الجوابات (فالاول) أن المراد مانفقه كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه افهامهم لشدة نفرتهم عن كلامه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (الثاني) انهم فهموه بقلوبهم ولكنهم ما أقاموا له وزنا فذكروا هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذ لم يبعأ بحديثه ما أدري ماتقول (الثالث) ان هذه الدلائل التي ذكرها ما أقتنهم في صحة التوحيد والنبوة والبعث وما يجب من ترك الغلظ والسرقة فقولهم مانفقه أي لم نعرف صحة الدلائل التي ذكرتها على صحة هذه المطالب (المسئلة الثانية) من الناس من قال الفقه اسم لعلم مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه واحتجوا بهذه الآية وهي قوله مانفقه كثيرا مما تقول فاضافه الفقه الى القول ثم صار اسما لنوع معين من علوم الدين ومنهم من قال انه اسم لمطلق الفهم يقال أوتي فلان فقهها في الدين أي فهمها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ير الله به خيرا يفقه في الدين أي يفهمه تأويله (والنوع الثاني) من الاشياء التي ذكروها قولهم وانا لنزك فينا ضعيفا وفيه وجهان (الاول) انه الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه (والثاني) ان الضعيف هو الاعي بلغه خبروا علم أن هذا القول ضعيف لوجوه (الاول) أنه ترك للاظهار من غير دليل (والثاني) ان قوله فينا يبطل هذا الوجه ألا ترى انه لو قال اننا لنزك فينا كان فاسدا لان الاعي أعجمي فيهم وفي غيرهم (الثالث) أنهم قالوا بعد ذلك ولولا رهطك لرجمنا فنفخوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصرة وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصرة والذين جلاوا اللفظ على ضعف البصر لعلمهم انما جلاوه عليه لانه سبب للضعف واعلم أن اصحابنا يجوزون العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن

يا شبيب أصلاتك تارك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام اياهم بعبادة الله وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والجون والضلال حيث لم يكنفوا بانكار الوحي الأمر بذلك حتى ادعوا أن لأمر به من العقل واللب أصلا وأنه من أحكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلاتك التي هي من نتائج

الوسوسة وأفاعيل المجانين تأمرك بأن تترك عبادة الآوثان التي توارثناها أباعن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا مع ان المصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باستناد الامر الى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك ﴿ ١٢٦ ﴾ وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضحكون

فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ أصولا تارك (أوان تفعل في أموالنا ما نشاء) جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهيه عن الجحس والنقص معطوف على ما أرى أوان نترك أن تفعل في أموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالناء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك اى صلاتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما نشاء وتجوز اللفظ على ما قبل يستدعي أن يراد بالترك معنيان تخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لانفس الايفاء فان ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعالهم وانما نقل عطفا على أن نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام اياهم وأمره بذلك والمعنى أصلاتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وجده على معنى أصلاتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام

الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لما بيناه وأما المعتزلة فتداخلتوا فيه فذهب من قال انه لا يجوز لكونه متعبدا فانه لا يمكنه الاحتراز عن التجاسات ولانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلا ينسج من النبوة كان أولى والكلام فيه لا يليق بهذه الآية لانما بينا أن الآية لا دلالة فيها على هذا المعنى (والنوع الثالث) من الاشياء التي ذكروها قولهم ولولا رهطك لرجناك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشف الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وقد كان رهطه على ملتهم قالوا لولا حرمة رهطك عندنا بسبب كونهم على ملتنا لرجناك والمقصود من هذا الكلام انهم يذنبوا أنه لاحرمة له عندهم ولا وقوعه في صدورهم وانهم انما يقتلوه لاجل احترامهم رهطه (المسئلة الثانية) الرجم في اللغة عبارة عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سمو القتل رجما وقد يكون بالقول الذي هو القذف كقوله رجما بانغيب وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وقد يكون بالشتم واللعن ومنه قوله الشيطان الرجيم وقد يكون بالطرده كقوله رجوما للشياطين اذا عرفت هذا ففي الآية وجهان (الاول) لرجناك لقتلناك (الثاني) لستناك وطرديناك (النوع الرابع) من الاشياء التي ذكروها قولهم وما أنت علينا بنزير ومعناه انك لالم تكن علينا عزير سهل علينا الاقدام على قتلك وايدناك واعلم أن كل هذه الوجوه التي ذكروها ليست دافعا لما قررره شعيب عليه السلام من الدلائل والبيئات بل هي جارية مجرى مقابلة الدليل والجملة بالشتم والسفاهة * قوله تعالى (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه

وراء كم ظهر يا نذر في بمانعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعملون من بآيته عذاب يخز به ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب) اعلم ان الكفار لما خوفوا شعيبا عليه السلام بالقتل والايذاء حكى الله تعالى عنه ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان من الكلام (فالنوع الاول) قوله يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهر يا نذر في بمانعملون محيط والمعنى ان اقوم زعموا انهم تركوا ايذاه رعاية لجانب قومه فقال أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلى اكراما رهطى والله تعالى أولى أن يتبع أمره فكانه يقول حفظكم اباى رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم اباى رعاية لحق رهطى وأما قوله واتخذتموه وراءكم ظهر يا فالعنى أنكم نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعاب به قال صاحب الكشف والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسى بكسر الهمة وقوله ان رى بمانعملون محيط يعنى انه عالم باحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (والنوع الثاني) قوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل والمكانة الحالة يتمكن بها صاحبها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطافكم من ايصال الشرور الى فاني أيضا عامل بقدر ما أتاني الله تعالى من

واستهزاه به من تلك الجهة بأياه دخول الهمة على الصلاة دون الامر ويستدعي أن يصدر ﴿ القدرة ﴾

عنه عليه السلام في انشاء الدعوة ما يدل على ذلك أو بوجهه وأنى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الاول والثاء في الثاني عطفا على أن نترك أى وأنا نفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما نشاء أنت من التوبة والايفاء (انك لانت الحليم الرشيد) وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما أرادوا بذلك

وصفه بضديهما كقول الخرنبة ذى النك أنت العزى الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكره على معنى
 انك لانت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بهما على الحقيقة فبأنه مقام الاستهزاء اللهم الآن يراد بالصلاة الدين كاقبل
 (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة) أى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا
 على مقالاتهم الشنعاء فى جعلهم أمره ونهيه * ١٢٧ * غير مستند الى سند (من ربي) ومالك أمورى وايراد حرف الشرط

مع جز منه عليه السلام بكونه
 على ما هو عليه من البينات
 والحجج لا اعتبار احوال المخاطبين
 ومراعاة حسن المحاوره معهم
 كما ذكرناه فى نظائره (ورزقنى
 منه) أى من لدنه (رزقا حسنا)
 هو النبوة والحكمة أيضا عبر
 عنهما بذلك تنبيهها على أنهما
 مع كونهما يشترقان فى حسن كيف
 لا وذلك مناط الحياة الابدية له
 ولأتمه وجواب الشرط مخدوف
 يدل عليه فحوى الكلام
 أى أنقولون فى شأنى ما تقولون
 والمعنى انكم نظمتونى فى سالك
 السفهاء والغواة وعددتم
 ما صدر عنى من الاوامر
 والنواهى من قبيل ما لا يصح
 أن يتفوه به عاقل وجاهلتموه
 من أحكام الوسوسة والجنون
 واستهزأتم بى وبأمرى حتى قلتم
 ان ما أمرتكم به من التوحيد
 وترك عبادة الاصنام والاجتناب
 عن الخبث والتطعيف ليس
 مما يأمركم به العقل ويقضى به
 قاضى الفطنة وإنما يأمركم به
 صلاتك التى هى من أحكام
 الوسوسة والجنون فأخبرونى
 ان كنت من جهة ربي ومالك
 أمورى ثابتا على النبوة والحكمة
 التى ليس وراءها غاية للكمال

القدرة ثم قال سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وفيه مسئلتان
 (المسئلة الاولى) افاضل أن يقول لم لم يقل فسوف تعلمون والجواب ادخال الفاء وصل
 ظاهر بحرف موضوع للوصل وأما مخدوف الفاء فانه يجعله جوابا عن سؤال مقدر
 والتقدير انه لما قال ويا قوم اعملوا على مكاتبتكم انى عامل فكأنهم قالوا فاذا يكون بعد
 ذلك فقال سوف تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء ههنا أكمل فى باب الغطاة
 والتحويل ثم قال وارتقبوا انى معكم رقيب والمعنى فانتظروا العاقبة انى معكم رقيب
 أى منتظر والرقب بمعنى الرقيب من رقبه كالضرب والصريم بمعنى الضارب والصارم
 أو بمعنى المراقب كالغدير والنديم أو بمعنى المرتقب كالغدير والرفيع بمعنى المغفور المرتفع
 * قوله تعالى (ولما جاء أمرنا نبينا شعيبا) والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا
 الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جائئين كأن لم يبقوا فيها الا بعد الدين كما بدت ثمود) روى
 الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم يعذب الله تعالى أميين بعذاب واحد الا قوم
 شعيب وقوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب أخذتهم من
 فوقهم وقوله ولما جاء أمرنا لم يحتمل أن يكون المراد منه ولما جاء وقت أمرنا ملكا من الملائكة
 بتلك الصيحة ويحتمل أن يكون المراد من الامر العقاب وعلى التقديرين فأخبر الله انه
 نجى شعيبا ومن معه من المؤمنين برحمة منه وفيه وجهان (الاول) أنه تعالى انما خلاصه
 من ذلك العذاب لحض رحمة تنبيهها على ان كل ما يصل الى العبد فليس الا بفضل الله
 ورحمته (والثانى) أن يكون المراد من الرحمة الايمان والطاعة وسائر الاعمال الصالحة
 وهى أيضا ما حصلت الاتوفاق لله تعالى ثم وصف كيفية ذلك العذاب فقال وأخذت
 الذين ظلموا الصيحة وانما ذكر الصيحة بالالف واللام اشارة الى المعهود السابق وهى
 صيحة جبريل عليه السلام فأصبحوا فى ديارهم جائئين والجائهم الملازم لمكانه الذى لا يتحول
 عنه يعنى أن جبريل عليه السلام لما صاح بهم تلك الصيحة زهق روح كل واحد منهم
 بحيث يقع فى مكانه ميتا كأن لم يبقوا فيها أى كأن لم يبقوا فى ديارهم احياء متصرفين
 مزردن ثم قال تعالى الابد المدين كما بدت ثمود وقد تقدم تفسير هذه اللفظة (واما
 قاس جالهم على ثمود لما ذكرنا أنه تعالى عذبهم مثل عذاب ثمود * قوله تعالى (وهقد
 أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملأه فاتبوا أمر فرعون وما أمر
 فرعون برشد يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا فى
 هذه لغتو يوم القيامة بئس الورد المورود) واعلم ان هذه هى القصة السابعة من القصص
 التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة وهى آخر القصص من هذه السورة أما قوله بآياتنا
 وسلطان مبين فبوجه (الاول) أن المراد من الآيات التوراة مضافا إليها من الشرائع
 والاحكام ومن السلطان المبين المعجزات القاهرة الباهرة والتقدير واقد أرسلنا موسى
 بشرائع وأحكام وتكاليف وأيدناه بمعجزات القاهرة وبنات باهرة (الثانى) ان الآيات

ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك رزقا حسنا أنقولون فى شأنى وأفعالى ما تقولون بما لا خير فيه ولا شروء هذا
 هو الجواب الذى يستدعيه السياق والسياق وبساعده النظم الكريم وأما ما قبل من أن المخدوف أيعجلى أن لا أمركم
 بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصى أو هل يسعى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحية والجسمانية أن أخون
 فى وحيه وأخالفه فى أمره

وذهية فمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان جل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدبتك بأمرك أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخلقنا في ذلك ونشقى عصانا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فانك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فيما مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به ﴿ ١٢٨ ﴾ وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن

الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني ما لا حلالا لاستغنى به عن العالمين أيسمح أن اخالف أمره أو أوافقكم فيما تاتون وما تدرون (وما أريد) بنهي اياكم عما أنما كم عنه من البخل والتطفيف (ان أخالفكم الى ما أنما كم عنه) أى أقصده بعد ما واثم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس (ان أريد) أى ما أريد بما أبشره من الامر والنهي (الا اصلاح) الآن أملككم بالنصيحة والوعظة (ما استطعت) أى مقدار ما استطعت من الاصلاح التقييده بالاحتراز عن الاكفاء بالاصلاح في الجملة لاعتبار ارادة النفس في وسعه منه (وما توفقي) أى كونى موقفا لتحقيق ما أنتحيه من اصلا حكم (الابالاه) أى بتأييده ومعونه يل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما أنا من مباديه الظاهرة فله عليه السلام تحقيق الحق وازاحة

هي المعجزات والبيّنات وهو قوله ان عندكم من سلطان بهذا وقوله ما أنزل الله بها من سلطان وعلى هذا التقدير في الآية وجهان (الاول) أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته (الثاني) أن يراد بالسلطان المبين العصا لأنه أشهرها وذلك لانه تعالى أعطى موسى تسع آيات بينات وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والافس ومنهم من أيد نقص الثمرات والافس باطلال الجبل ولفى البحر واختلقوا في أن الحجة لم سميت بالسلطان فقال بعض المحققين لان صاحب الحجة يقهر من لاجبة معه عند النظر كما يقهر السلطان غيره فلهذا توصف الحجة بأنها سلطان وقال الزجاج السلطان هو الحجة والسلطان سمي سلطانا لانه بحجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط والسليط ما يضاهيه ومن هذا قيل للزيت السليط وفيه قول ثالث وهو أن السلطان مشتق من التسليط والعلاء سلاطين بسبب كآلهم في القوة العلية والملوك سلاطين بسبب ما معهم من القدرة والمكنة الآن سلطنة العلماء أكمل وأقوى من سلطنة الملوك لان سلطنة العلماء لا تقبل التسخير والعزل وسلطنة الملوك تقبلهما ولان سلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلماء وسلطنة العلماء من جنس سلطنة الانبياء وسلطنة الملوك من جنس سلطنة الفراعنة فان قيل اذا حلت الآيات المذكورة في قوله بآياتنا على المعجزات والسلطان أيضا على الدلائل والمبين أيضا معناه كونه سببا للظهور لما للفرق بين هذه المراتب الثلاثة قلنا الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين وأما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الآن اسم للقدر المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس وبين الدلائل التي لم تتأكد بالحس وأما الدليل القاطع الذي نأكد بالحس فهو السلطان المبين ولما كانت معجزات موسى عليه السلام هكذا لا جرم وصفها الله بأنها سلطان مبين ثم قال الى فرعون وملائه يعنى وأرسلنا موسى بآياتنا بمثل هذه الآيات الى فرعون وملائه أى جاعته ثم قال فاتبعوا أمر فرعون ويحتمل ان يكون المراد أمره اياهم بالكفر بموسى ومعجزاته ويحتمل أن يكون المراد من الامر الطريق والشأن ثم قال تعالى وما أمر فرعون برشيد أى بمشرد الى خبر وقيل رشيد أى ذى رشد واعلم أن بعد طريق فرعون عن الرشد كان ظاهرا لانه كان دهر يانا فباللصانع والمعاد وكان يقول لاله العالم وانما يجيب على أهل كل بلد أن يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وأنكر أن يكون الرشد في عبادة الله ومعرفة فلسا كان هو نافيها هذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلمة ثم انه تعالى ذكر صفته وصفة قومه فقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وفيه بحثان (البحث الاول) من حيث اللغة يقال قدم فلان فلانا بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجلس (والبحث الثاني) من حيث المعنى وهو ان فرعون كان قدوة لقومه في الضلال حال ما كانوا في الدنيا وكذلك مقدمهم الى النار

لما عسى يوجهه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك (عليه توكلت) في ذلك معرضا ﴿ وهم ﴾ ضامهاته فانه القادر على كل مقدور وماعده عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداده والاستظهار (واليه أنيب) أى أرجع فيما تابصده ويجوز أن يكون المراد وما كونى موقفا لاصابة الحق بالصواب في كل ما أتى وأذر الاهدائه ومعونه عليه توكلت وهو اشارة الى محض

التوحيد الدائم والفعل والبدن أي عليه أقبل نشر اشرف نفسي في مجامع أموري وإثارة ضيقة الاستقبال على الماضي الانسب للثبوت والتحقيق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستئصال والحفاظ على قواعد حسن المجازة والمحاورة وتمهيد معاهد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به في أموره وحسم ﴿ ١٢٩ ﴾ أطماع الكفار وظاهر الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما

تهديهم بالرجوع الى الله تعالى الجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطرابي الجزاء أو ما يعمده (ويا قوم لا يجرم منكم) أي لا يكسبكم من جرمته ذنبا مثل كسبه مالا (شقاق) معادتي وأصلهما ان أحد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر (أن يصيبكم) مفعول ثان ليجر منكم أي يكسبكم معاداتكم لي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (وقوم هود) من الریح (أو قوم صالح) من الصيحة والرجعة وقرأ أن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارا ماله أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبه مالا واكسبه اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الآن الاول اصح وأدور على السنة الفصحى وقرأ ابو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لاضافته الى غير يمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن

وهم ينبعون أو يقال كما تقدم قوم في الدنيا فأدخلهم في البحر وأغرقهم فكذلك يتقدمهم يوم القيامة فيدخلهم النار ويحرقهم ويجوز أيضا أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد أي وما أمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيراً لذلك وإيضاحاً له أي كيف يكون أمره رشيداً مع ان عاقبته هكذا فان قيل لم يقل يقدم قومه فيورد هم النار بل قال يقدم قومه فأورد هم النار بلفظ الماضي قلنا لان الماضي قد وقع ودخل في الوجود فلا سبيل البتة الى دفعه فاذا عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل على غاية المبالغة ثم قال وبئس الورد المورد وفيه بحثان (البحث الاول) لفظ النار مؤنث فكان ينبغي أن يقال وبئس الورد المورد لان اللفظ الورد مذكر فكان التذكير والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فن ذكر غلب المنزل ومن أنث نبى على تأنيث الدار هكذا قاله الواحدي (البحث الثاني) الورد قد يكون بمعنى الورد فيكون مصدر او قد يكون بمعنى الورد قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقد يكون بمعنى المورد عليه كالماء الذي يورد عليه قال صاحب الكشف الورد المورد الذي حصل وروده فنبه الله تعالى فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردين الى الماء ثم قال وبئس الورد الذي يوردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ثم قال وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة والمعنى انهم أتبعوا في هذه الدنيا لعنة وفي يوم القيامة أيضا ومعناه ان اللعن من الله ومن الملائكة والانبياء ملتصق بهم في الدنيا وفي الآخرة لا يزول عنهم ونظيره قوله في سورة القصص وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ثم قال وبئس الزفد المرفود والزفده العطية وأصله الذي يعين على المطلوب سأل نافع بن الأزرق ابن عباس رضى الله عنهم عاين قوله وبئس الزفد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة قال قتادة تراءت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عوناً لشيء فقد رفته به ﴿ قوله تعالى (ذلك من آباء

القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما طئناهم ولكن طلوا أنفسهم فأنغث عنهم الهنث التي يدعون من دون الله من شيء لمجاة أمر ربك وما زادوهم غير تنبيذ) اعلم أنه تعالى لما ذكر قصص الاولين قال ذلك من آباء القرى نقصه عليك والغائبة في ذكرها أمور (أولها) ان الانتفاع بالدليل العقلي المحض انما يحصل للانسان الكامل وذلك انما يكون في غاية الندرة فاما اذا ذكرت الدلائل ثم أكسدت بأقاصيص الاولين صار ذكر هذه الاقاصيص كالوصل لتلك الدلائل العقلية الى العقول (الوجه الثاني) انه تعالى خلط بهذه الاقاصيص أنواع الدلائل التي كان الانبياء عليهم السلام يتسكون بها ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل وشبهاتهم في دفعها ثم يذكر عقبيهما أجوبة الانبياء عنها ثم يذكر عقبيها انهم لما أصرروا واستكبروا وقعوا في عذاب الدنيا وبقي عليهم اللعن والعقاب في الدنيا وفي الآخرة فكان ذكر هذه القصص سبباً لايصال الدلائل والجوابات

نطقت حمامة في غصون ذات ﴿ ١٧ ﴾ خا أوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهياً للشقاق عن كسب أصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدع كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجر منكم شئاً قوم الآية (وما قوم لوط منكم بعيد) زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم

فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بأصابعهم بل اكتفى بذكر قربهم اينما بان ذلك معنى عن ذكره لشهرته كونه منظوما في سطر ما ذكر من دواهي الامم المرقومة أو ليسوا بعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وافراد البعيد مع تذكره لان المراد وما اهلاكمهم على نية المضاف أو وما هم بشيء يبعد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لان حيث خصوصية كونهم قوماً أو ١٣٠ ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك

لكونه على زنة المصادر كالتميق والشيق ولما أُنذِرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارضائهم عما كانوا فيه يغمهون من طغيانهم بالجل على الاستغفار والتوبة فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) مفسر مثله في أول السورة (ان ربي رحيم) عظيم الرحمة للاتبين (ودود) مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل الامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما (قالوا) يا شعيب ما نفعك كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي ما نفعهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق البين على أحسن وجه وأبلغه وضافت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهج الحق والسلوك الى سبيل الشتياء كما هو دين المخم المحجوج يقابل الينيات بالسبب والابراق والارعاد فيجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع

عن الشبهات الى قلوب المنكرين وسببا لازالة القوة والغلظة عن قلوبهم فثبت ان احسن الطرق في الدعوة الى الله تعالى ما ذكرناه (الفائدة الثالثة) انه عليه السلام كان يذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تأمل لاحد وذلك معجزة عظيمة تدل على النبوة كما قررناه (الفائدة الرابعة) ان الذين يسمعون هذه القصص يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزديق والموافق والمنافق الى ترك الدنيا والخروج عنها لان المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجليل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة فاذا تكررت هذه الافا صيحت على السمع فلا بد وأن يلين القلب وتخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال فهذا كلام جليل في فوائد ذكر هذه القصص اما قوله ذلك من انباء القرى فقيه الباحث (البحث الاول) ان قوله ذلك اشارة الى الغائب والمراد منه ههنا اشارة الى هذه القصص التي تقدمت وهي حاضرة الان الجواب عنه ما تقدم في قوله ذلك الكتاب لارب فيه (الثاني) أن لفظ ذلك يشار به الى الواحد والاثنين والجماعة لقوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وأبضا يحتمل أن يكون المراد ذلك الذي ذكرناه هو كذا وكذا (البحث الثالث) قال صاحب الكشف ذلك مبتدأ من انباء القرى خبر نفعه عليك خير بعد خبر أي ذلك المذكور بعض انباء القرى مقصود عليك ثم قال منها قائم وحصيد والضيق في قوله منها يعود الى القرى شبه ما بقي من آثار القرى وجدرائها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقي منه شيء وبعضها هلك وما بقي منه أثر البتة ثم قال تعالى وما ظنناهم ولكن ظنوا أنفسهم وفيه وجوه (الاول) وما ظنناهم بالعذاب والاهلاك ولكن ظنوا أنفسهم بالكفر والمعصية (الثاني) ان الذي نزل بالقوم ليس بظلم من الله بل هو عدل وحكمة لاجل ان القوم اولوا ظلموا أنفسهم بسبب اقدامهم على الكفر والمعاصي فاستوجبوا الاجل تلك الاعمال من الله ذلك العذاب (الثالث) قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ما نفع صناعتهم من التعمير في الدنيا والرزق ولكن نفعوا حظا أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله تعالى ثم قال فما أغت عنهم آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء أي ما نفعهم تلك الالهة في شيء البتة ثم قال وما زادوهم غير تنبيذ قال ابن عباس رضى الله عنهما غير تخسير يقال تب اذا خسرو تبيبه غيره اذا أوقعه في الخسران والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام أنها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضار ثم انه تعالى أخبر انهم عند مماس الحاجة الى الميعن ما وجدوا منها شيئا لاجل نفع ولا دفع ضرر ثم كالم يجدوا ذلك فقد وجدوا ضده وهو ان ذلك الاعتقاد زال عنهم به منافع الدنيا والآخرة وجلب اليهم مضار الدنيا والآخرة فكان ذلك من أعظم موجبات الخسران * قوله تعالى (وكذلك أخذنا القرى وهي ظالمة ان أخذناهم شديدا في ذلك الآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجرعه للناس وذلك يوم

العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدججوا في ضمن ذلك أن في نصيب عاقبه * مشهود * ما يستوجب أقصى ما يكون من المواقظة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا (وانا لترك فينا) فيما بيننا (ضعيفا) لاقوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع (ولو لا رهطك) لو لا مراعاة جانبهم لا لولاهم بما نفعونا ولا بدافعونا (رجناك) فان ثمانية رهط هو اسم للثلاثة الى السبعة أو الى العشرة لهم وهم ألوف مولفة

بما لا يكاد ينوهم وقد أبد ذلك بقوله عز وجل (وما أنت علينا بنزير) مكرم محترم حتى تمتنع من رجك وانما تكف عنه المحافظة على حرمة رھطك الذين ينو على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولو لا رھطك كانه قيل وما أنت علينا بنزير بل رھطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من ﴿ ١٣١ ﴾ عظيمهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانية

حسبا يوجه كونه على بينة من ربه مؤيدامن عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والابانة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار (قال) عليه السلام في جوابهم (يا قوم أرھطى أعر عليكم من الله) فان الاستهانة بمن لا يعززالا به عز وجل استهانة بجناحه العزيز وانما أنكر عليهم أعز بقرينة رھطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه انما هو مطلق عزه رھطه لأن عزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لثبته التقرير وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا وترجيح جنة الرھط على جنة الله تعالى وثانيا بنفي العزة بالمرء والمعنى أرھطى أعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا (واخذتموه) بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الابأمره (وراءكم ظهر يا) أى شيئا منبؤا وراء الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهور والكسر لغير النسب كالامسي في النسبة الى الامس

مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم والمجحدري اذا أخذ القرى بألف واحدة وقرأ الباقون بألفين (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى لما أخبر الرسول عليه السلام في كتابه بما فعل بأثم من تقدم من الانبياء لما خافوا الرسل وردوا عليهم من عذاب الاستئصال وبين أنهم ظلوا أنفسهم فحل بهم العذاب في الدنيا قال بعده وكذلك اخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة فبين ان عذابه ليس بمقتصر على من تقدم بل الحال في أخذ كل الظالمين يكون كذلك وقوله وهي ظالمة الضمير فيه عائدا الى القرى وهو في الحقيقة عائدا الى أهلها ونظيره قوله وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت عيشتها واعلم أنه تعالى لما بين كيفية اخذ الامم المتقدمة تم بين انه انما يأخذ جميع الظالمين على ذلك الوجه أتبعه بما يزيد تأكيدا وتقوية فقال ان أخذهم أليم شديد فوصف ذلك العذاب بالايلام والشدة ولا منغصة في الدنيا الا لالم ولا تشديد في الدنيا وفي الآخرة وفي الوهم والعقل الاتشديد الالم واعلم ان هذه الآية تدل على أن من أقدم على ظلم فانه يجب عليه أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة للتلايقم في الاخذ الذي وصفه الله تعالى بانه أليم شديد ولا ينبغي أن يظن ان هذه الاحكام مختصة بأوثك المتقدمين لانه تعالى لما حكى أحوال المتقدمين قال وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة فبين ان كل من شارك أولئك المتقدمين في فعل ما لا ينبغي فلا بد وأن يشاركهم في ذلك الاخذ الالم الشديد ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة قال القفال تغري هذا الكلام أن يقال ان هؤلاء انما عذبوا في الدنيا لاجل تكذيبهم الانبياء واشراكهم بالله فاذا عذبوا في الدنيا على ذلك وهي دار العمل فلان يعذبوا عليه في الآخرة التي هي دار الجزاء كان أولى واعلم أن كثيرا ممن تنبه لهذا البحث من المفسرين عولوا على هذا الوجه بل هو ضعيف وذلك لان على هذا الوجه الذي ذكره القفال يكون ظهور عذاب الاستئصال في الدنيا دليلا على ان القول بالقيامة والبعث والتشرحق وصدق وظاهر الآية يقتضي ان العلم بان القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال وهذا المعنى كالمضاد لما ذكره القفال لان القفال يجعل العلم بعذاب الاستئصال أصلا للعلم بان القيامة حق فبطل ما ذكره القفال والاصوب عندي أن يقال العلم بان القيامة حق موقوف على العلم بان المدبر لوجود هذه السموات والارضين فاعل مختار لا موجب بالذات وما لم يعرف الانسان أن اله العالم فاعل مختار وقادر على كل الممكنات وان جميع الحوادث الواقعة في السموات والارضين لا تحصل الا بتكوينه وقضائه لا يمكنه أن يعتبر بعذاب الاستئصال وذلك لان الذين يزعمون ان المؤثر في وجود هذا العالم موجب بالذات لافاعل مختار يزعمون ان هذه الاحوال التي ظهرت في أيام الانبياء مثل الفرق والحرق والخسف والمسخ والصيحة كلها انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واتصال بعضها ببعض واذا كان الامر كذلك فحينئذ لا يكون

(ان ربى بما تعملون) من الاعمال السيئة التي من جلستها عدم مراعاتكم لجانبه (محيط) لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فحجاز بكم عليها ويحتمل أن يكون الانكار للرذائل والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجعه عليه السلام لقوته وعزته بل راعا جانب رھطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز بزلتم تراعوا اجابته القوي فكيف تراعون جانب رھطى الأذلة (ويا قوم اعملوا) لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وأنهم لا يرجعون

فجاءهم عليه من المعاصي حتى اجتروا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمه على ربه لولا حرمة ربه قال لهم على طريقة التهديد اعلموا (على مكاتبتكم) أي على غاية تمكثكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبغ التحكن وانما قاله عليه السلام ردا لما دعوا أنهم أقو يا قادرون على ربه وأنه ضعيف فيما بينهم لاعتزله أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة مقام ومقامه والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة في ١٣٢ وسار ما أنتم عليه مما لا خبر فيه وابتدأوا

جهدكم في مضارتي وإيقاع مافي نبتكم واخراج مافي أميتكم من القوة الى الفعل (اني عامل) على مكانتي حسبما يؤيدني الله وبوقتي بأنواع التأيسد والتوفيق (سوف تعلمون) لما هددهم عليه السلام بقوله اغفلوا على مكاتبتكم اني عامل كل مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فاذا يكون بعد ذلك فليل سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) وصف العذاب بالآخر اذ تعر بضامأ وعدوه عليه السلام به من الرجفانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا جناية عظيمة توجب (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لاعلى أنه فسيمه بل حيث أوعدوه بالرجم وكذبوه قبل سوف تعلمون من المعبذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على ربه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالعظيمة والاسمية

حصولها دليلا على صدق الانبياء فأما الذي يؤمن بالقيامة فلا يتم ذلك الايمان الا اذا اعتقد ان الله العالم فاعل مختار وأنه عالم بجميع الجزئيات واذا كان الامر كذلك لم يقطع بان حدوث هذه الحوادث الهائلة والوقائع العظيمة انما كان بسبب ان الله العالم خلقها وأوجدها وانها ليست بسبب طوابع الكواكب وقراناتها وحينئذ ينفع بسماع هذه القصص ويستدل بها على صدق الانبياء فثبت بهذا صحة قوله ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ثم قال تعالى ذلك يوم يجمعونه اليه الناس وذلك يوم مشهود واعلم انه تعالى لما ذكر الآخرة وصف ذلك اليوم بوصفين (أحدهما) انه يوم يجمعون له الناس والمعنى ان خلق الاولين والاخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون (والثاني) انه يوم مشهود وقال ابن عباس رضي الله عنهما يشهده البر والعاجر وقال آخرون يشهده أهل السماء وأهل الارض والمراد من الشهود الحضور والمقصود من ذكره انه بما وقع في قلب انسان انهم لما جمعوا في ذلك الوقت لم يعرف كل أحد الا واقعة نفسه فبين تعالى ان تلك الوقائع تصير معلومة لكل بسبب المحاسبة والمساءلة ثم قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود والمعنى أن تأخير الآخرة وافناء الدنيا موقوف على أجل معدود وكل ماله عدد فهو متناه وكل مكان متناه فافان لا بد وأن يفنى فيلزم أن يقال ان تأخير الآخرة سينتهي الى وقت لا بد وأن يعجز الله القيامه فيه وأن تحرب الدنيا فيه وكل ما هو اقرب * قوله تعالى (يوم يأتي لاتكلم نفس الا باذنه فبهم شئ وسعيدا فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما اشار لك ان بك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما اشار بك عطاء غير محذوذ) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بأن تحذف الياء والباقيون بآبائات الياء قال صاحب الكشاف وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونحوه قولهم لا أدرككم الخليل وسيبويه (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف فاعل يأتي هو الله تعالى كقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله وقوله أو يأتي بك وبعضه قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء أقول لا يعجبني هذا التأويل لان قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله حكاه الله تعالى عن أقوام والظاهر أنهم هم اليهود وذلك ليس فيه حجة وكذا قوله أو يأتي بك اماهنا فهو صريح بكلام الله تعالى واسناد فعل الايمان اليه مشكل فان قالوا فاقولك في قوله تعالى وجاء بك قلنا هناك تأويلات وأبضا فهو صريح فلا يمكن دفعه فوجب المصير الى التأويل اماهنا فليس اللفظ صريحا في اسناد الايمان الى الله تعالى فوجب الامتناع منه بل الواجب أن يقال المراد منه يوم يأتي الشئ المهيب الهائل المستعظم فحذف الله تعالى ذكره بتعيينه ليكون أقوى في التخويف (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف العامل في انتصاب الظرف هو قوله لاتكلم او اضمارا ذكر اما قوله لاتكلم نفس الا باذنه ففيه حذف والتقدير لاتكلم نفس فيه الا باذن الله تعالى فان

لان كذب الكاذب ليس بمرتبة كاتيان العذاب بل انما المرتبة ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استهامة * قيل * معلة العلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون أن يأتيه عذاب يخزيه وأما كاذب واما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب (وارتقبوا) وانتظروا ما أقول (اني معكم رقيب) منتظر فاعل بمعنى الرقيب كالصريح والمراقب كالشهير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه

عليه السلام لكمال الوثوق بأمره (ولما جاء أمرنا) أي هذا بنا كما ينبغي عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أو يوفيه فان الارتقاء مؤذن بذلك (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) وهي الايمان الذي وقفناهم له أو برحمة كاشفة عنهم ما بما ذكر بالاولى في قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعدي جري مجرى السبب المقضي لدخول الفاني في مولوه كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك ﴿ ١٣٣ ﴾ وعدي غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح (وأخذت الذين ظلموا)

عدل اليه عن الضمير نجيبا عليهم يا اظلم واشعارا بأن ما أخذهم انما أخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فزونه (الصيحة) قبل صاح بهم جبريل عليه السلام فهل كانوا وفي سورة الاعراف فأخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلمهم روادف الصيحة المستبعدة لتفوح الهواء المقضي اليها كما في ما قبل (فأصبحوا في ديارهم جائعين) ميتين لازمين لما كنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخ نفس مجي العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك أمرا مسل الوقوع غيا عن الاخبار به حيث جعل شرطها وجعل تجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تجيئه اهتماما بشأنها وايدانا بسبق الرحمة التي هي مقضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب جرارهم وجرأئهم (كأن لم يغنوا) أي لم يقيوا (فيها) متصرفين

قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين سائر الآيات التي توهم كونها مناقضة لهذه الآية منها قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ومنها أنهم يكذبون ويخلفون بالله عليه وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ومنها قوله تعالى وقفوههم انهم مسؤولون ومنها قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون والجواب من وجهين (الاول) أنه حيث ورد المنع من الكلام فهو محمول على ذكر الاعذار الكاذبة الباطلة وحيث ورد الاذن في الكلام فهو محمول على الجوابات الحقية الصحيحة (الثاني) ان ذلك اليوم يوم طويل وله موافق في بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام وفي بعضها يؤذن لهم فيكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم أيدهم وتشهد أرجلهم أما قوله ففهم شقي وسعيد ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الضمير في قوله ففهم لاهل الموقف ولم يذكر لانه معلوم ولان قوله لا تكلم نفس الا باذنه يدل عليه لانه قد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس (المسئلة الثانية) قوله ففهم شقي وسعيد يدل ظاهره على أن اهل الموقف لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل أليس في الناس مجانين وأطفال وهم خارجون عن هذين القسمين قلنا المراد من يحشر من أطلق للحساب وهم لا يخرجون عن هذين القسمين فان قيل قد اخرج القاضي بهذه الآية على فساد ما يقال ان اهل الاعراف لا في الجنة ولا في النار فاقولكم فيه قلنا لما سلم أن الأطفال والمجانين خارجون عن هذين القسمين لانهم لا يحاسبون فلم لا يجوز أيضا أن يقال ان أصحاب الاعراف خارجون عنه لانهم أيضا لا يحاسبون لان الله تعالى علم من حالهم ان ثوابهم يساوي عذابهم فلا فائدة في حسابهم فان قيل القاضي استدلل بهذه الآية أيضا على ان كل من حضر عرصة القيامة فانه لابد وأن يكون ثوابه زائدا أو يكون عقابه زائدا فأما من كان ثوابه مساويا لعقابه فانه وان كان جازا في العقل الآن هذا النص دل على أنه غير موجود قلنا الكلام فيه ما سبق من ان السعيد هو الذي يكون من اهل الثواب والشقي هو الذي يكون من اهل العقاب ونخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على ان القسم الثالث والدليل على ذلك ان أكثر الآيات مشتملة على ذكر المؤمنين والكافرين فقط وليس فيه ذكر ثالث لا يكون لامونا ولا كافرا مع ان القاضي اثبتة فاذا لم يلزم من عدم ذلك الثالث عدمه فكذلك لا يلزم من ذكر هذا الثالث عدمه (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى حكم الآن على بعض اهل القيامة بانه سعيد وعلى بعضهم بانه شقي ومن حكم الله عليه بحكم وعلم جهلا وذلك محال فثبت ان السعيد لا ينقلب شقيا والازم ان يصير خيرا الله تعالى كذا وعلم جهلا وذلك محال فثبت ان السعيد لا ينقلب شقيا وان الشقي لا ينقلب سعيدا وتقر بهذا الدليل مر في هذا الكتاب مرارا لا تحصى وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى ففهم شقي وسعيد قلنا يا رسول الله فعلى ماذا نعمل على شئ قد فرغ منه ام على شئ لم يفرغ منه فقال على شئ قد فرغ منه يا عمر وجفت به الاقلام وجرت به الاقدار ولكن كل ميسر لما خلق له وقالت المعتزلة نقل عن الحسن انه

في أطرافها متقلبين في اكنافها (ألا بعدا المدين كما بعدت ثمود) العدول عن الاعتدال الى الاطهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم أعني ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم لانهم اهل كتاب نوع من العذاب وهو الصيحة خبر ان هو لا يصح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغير تخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للكسور (واقد أرسلنا موسى بآياتنا

هِيَ الْآيَاتُ التَّسْعُ الْمَفْصَلَاتُ الَّتِي هِيَ الْعَصَا وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ وَالطُّوفَانُ وَالْجُرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمَ وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ وَالْأَيُّمُ
وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا آيَةً وَاحِدَةً وَعَدَمْنَهَا الظَّلَالُ الْجَبِلُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَانْهَ لِقَبُولِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ حِينَ آتَاهُ نَبَا سِرَائِيلَ وَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ
بِمَعْدُوفٍ وَقَعَ حَالًا مِنْ مَقْصُولٍ أَرْسَلْنَا أَوْ نَعْتًا لِمَصْدَرِهِ الْمَوْكَدُ أَيْ أَرْسَلْنَا حَالًا كَوْنَهُ مُتَعَلِّقًا بِآيَاتِنَا أَوْ أَرْسَلْنَا أَرْسَالًا مُتَعَلِّقًا بِهَا
(وَسُلْطَانٌ مَبِينٌ) هُوَ الْمَجْرَزَاتُ الْبَاهِرَةُ مِنْهَا أَوْ هُوَ الْعَصَا وَالْأَفْرَادُ ﴿ ١٣٤ ﴾ بِالذِّكْرِ لَظْهَارِ شَرَفِهَا لِكُونِهَا أَبْهَرَهَا

أَو الْمُرَادُ بِالْآيَاتِ مَا عَدَّاهَا
أَوْ هُمَا عِبَارَتَانِ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ
أَيْ أَرْسَلْنَا بِالْجَمَاعِ بَيْنَ كَوْنِهِ
آيَاتِنَا وَبَيْنَ كَوْنِهِ سُلْطَانًا لَهُ
عَلَى نَبَوْتِهِ وَاضِحًا فِي نَفْسِهِ
أَوْ مَوْضِحًا بِأَهَامِهِ إِنْ لَزِمَا
وَمَعْنَاهُ أَوْ هُوَ الْقَبْلَةُ وَالِاسْتِغْلَاءُ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَجَعَلَ لَكُمَا
سُلْطَانًا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
الْمُرَادُ مَا يَبْنِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
تَضَاعُفِ دَعْوَتِهِ حِينَ قَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ مَنْ رَبُّكَ مَا قَالَ
الْقُرُونُ الْأُولَى مِنَ الْخَفَائِقِ
الرَّائِقَةِ وَالْدَقَائِقِ الْإِلَاقَةِ
وَجَعَلَهُ عِبَارَةً عَنِ التَّوْرَةِ
أَوْ أَدْرَجَهَا فِي جَعْلِهِ الْآيَاتِ
بِرَدِّ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَّتْ) فَانْزُولُهَا إِنَّمَا كَانَ
بَعْدَ مَهْلِكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ
قَاطِبَةً لِيَعْمَلَ بِهِابْنُ سِرَائِيلَ
فِيمَا يَأْتُونَ وَمَا يَذَرُونَ وَأَمَّا
فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَلَمَّا كَانُوا
مَأْمُورِينَ بِعِبَادَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
عَزَّ سُلْطَانُهُ وَتَرَكَ الْعَظِيمَةَ
الشَّعْءَ الَّتِي كَانَ يَدْعِيهَا
الطَّاغُتَةُ وَيَقْبِلُهَا مِنْهُ فَتَنَهُ
الْبَاطِلُ وَبَارَسَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ
مِنَ الْأَسْرَى الْقَسْرَى وَتَخَصَّصَ
مَلَّتْ بِالذِّكْرِ مَعَ عُمُومِ رِسَالَتِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ كَافَّةً

قَالَ فِيهِمْ شَيْءٌ يَعْمَلُهُ وَسَعِيدٌ يَعْمَلُهُ فَلَمَّا الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ لَا يَدْفَعُ بِهِذِهِ الرِّوَايَاتُ وَأَيْضًا فَلَا تَزَاغُ
أَنَّهُ انْمَاشِقٌ بِعَمَلِهِ وَأَنَّمَا سَعِدٌ بِعَمَلِهِ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْعَمَلُ حَاصِلًا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَةِ كَانَ
الدَّلِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ بَاقِيًا وَعِلْمُ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا قَسَمَ أَهْلُ الْقِيَامَةِ إِلَى هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ شَرْحُ حَالِ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَالَ فَمَا الَّذِي شَقَّ وَفَوَاقِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ وَفِيهِ مَسَائِلُ (الْمَسْئَلَةُ
(الْأُولَى) ذَكَرُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهيقِ وَجُوهًا (الْأُولَى) قَالَ اللَّيْثُ الزَّفِيرُ أَنْ يَمْلَأَ
الرَّجُلُ صَدْرَهُ حَالًا كَوْنَهُ فِي الْغَمِّ الشَّدِيدِ مِنَ النَّفْسِ وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَالشَّهيقُ أَنْ يَخْرُجَ ذَلِكَ
النَّفْسُ وَقَالَ الْفَرَّاءُ يَقَالُ لِلْفَرَسِ أَنَّهُ عَظِيمُ الزَّفَرَةِ أَيْ عَظِيمُ الْبَطْنِ وَأَقُولُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا
عَظُمَ غَمُّهُ انْحَصَرَ رُوحُ قَلْبِهِ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ فَإِذَا انْحَصَرَ الرُّوحُ قُوِيَتْ الْحَرَارَةُ وَعَظُمَتْ
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى النَّفْسِ الْقَوِيَّةِ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَدْخِلَ هَوَاءً كَثِيرًا بَارِدًا حَتَّى
يَقْوَى عَلَى تَرْوِيجِ تِلْكَ الْحَرَارَةِ فَلِهَذَا السَّبَبِ بِعَظَمِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ اسْتَدْخَالَ الْهَوَاءُ فِي
دَاخِلِ الْبَدَنِ وَحِينَئِذٍ يَرْتَفِعُ صَدْرُهُ وَيَنْفُخُ جَنْبَاهُ وَلَمَّا كَانَتِ الْحَرَارَةُ الْفَرِيزِيَّةُ وَالرُّوحُ
الْحَيَوَانِيَّةُ مَحْصُورًا فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ اسْتَوْلَتِ الْبُرُودَةُ عَلَى الْأَعْضَاءِ الْخَارِجَةِ فَرَبَّ بِمَجْرَزَتِ
آلَتِ النَّفْسِ عَنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ الْكَثِيمِ الْمُسْتَشَقِّ فَبَقِيَ ذَلِكَ الْهَوَاءُ الْكَثِيرُ مَحْصُورًا فِي
الصَّدْرِ وَبَقِيَ مِنْ أَنْ يَخْتَنِقَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ وَحِينَئِذٍ يَجْتَهِدُ الطَّبِيعَةُ فِي اخْرَاجِ ذَلِكَ الْهَوَاءِ
فَعَمِلَ قِيَاسُ قَوْلِ الْأَطْبَاءِ الزَّفِيرُ هُوَ اسْتَدْخَالَ الْهَوَاءِ الْكَثِيرِ لَتَرْوِيجِ الْحَرَارَةِ الْخَاصَّةِ فِي
الْقَلْبِ بِسَبَبِ انْحِصَارِ الرُّوحِ فِيهِ وَالشَّهيقُ هُوَ اخْرَاجُ ذَلِكَ الْهَوَاءِ عِنْدَ مَجَاهِدَةِ الطَّبِيعَةِ
فِي اخْرَاجِهِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ تَدُلُّ عَلَى كَرْبٍ شَدِيدٍ وَغَمٍّ عَظِيمٍ (الْوَجْهُ
الثَّانِي) فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الزَّفِيرِ وَالشَّهيقِ قَالَ بَعْضُهُمُ الزَّفِيرُ بِمِثْلَةِ ابْتِدَاءِ صَوْتِ الْجَمَارِ بِالشَّهيقِ
وَأَمَّا الشَّهيقُ فَهُوَ بِمِثْلَةِ آخِرِ صَوْتِ الْجَمَارِ (الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) قَالَ الْحَسَنُ قَدْ ذَكَرْنَا
أَنَّ الزَّفِيرَ هَارَةٌ عَنِ الارتفاعِ فَتَقُولُ الزَّفِيرُ لِهَيْبِ جَهَنَّمَ يَرْفَعُهُمْ نَفْوَتُهُ حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى
أَعْلَى دَرَجَاتِ جَهَنَّمَ وَطَعَمُوا فِي أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ضَرَبَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِقَاعٍ مِنْ حَدِيدٍ
وَيُرْدُونَهُمْ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ جَهَنَّمَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
أَعْبَدُوا فِيهَا فَارْتَفَعَهُمْ فِي النَّارِ هُوَ الزَّفِيرُ وَانْخِطَاطُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى هُوَ الشَّهيقُ (الْوَجْهُ
الرَّابِعُ) قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الزَّفِيرُ مَا يَجْتَمِعُ فِي الصَّدْرِ مِنَ النَّفْسِ عِنْدَ الْبُكَاءِ الشَّدِيدِ فَيَنْقَطِعُ
النَّفْسُ وَالشَّهيقُ هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يَظْهَرُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ وَالْحَزَنِ وَرَبَّ مَا تَبِعَتْهَا
الْعَشِيَّةُ وَرَبَّمَا حَصَلَ عَقِبُهُ الْمَوْتُ (الْوَجْهُ الْخَامِسُ) قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الزَّفِيرُ فِي الْخَلْقِ
وَالشَّهيقُ فِي الصَّدْرِ (الْوَجْهُ السَّادِسُ) قَالَ قَوْمُ الزَّفِيرِ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ وَالشَّهيقُ الصَّوْتُ
الضَّعِيفُ (الْوَجْهُ السَّابِعُ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ يَرِدُنَادِمَةً
وَنَفْسًا عَالِيًا وَبُكَاءً لَا يَنْقَطِعُ وَحَزْنًا لَا يَنْدَفِعُ (الْوَجْهُ الثَّامِنُ) الزَّفِيرُ مَشْرَعٌ بِالْقُوَّةِ وَالشَّهيقُ
بِالضَّعْفِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَسَبِ اللَّغَةِ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَوْلُ لِمَ يَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الزَّفِيرِ
قُوَّةٌ مِلَهُمْ إِلَى عَالَمِ الدُّنْيَا وَالذَّاتُ الْجَسَدَانِيَّةُ وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّهيقِ ضَعْفُهُمْ عَنِ الِاسْتِعَادِ

لِالصَّالِحِينَ فِي الرَّأْيِ وَتَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَاتَّبَاعِ غَيْرِهِمْ لَهُمْ فِي الْوُرُودِ وَالصَّدُورِ وَأَنَّمَا يَصْرَحُ بِكُفْرِ فِرْعَوْنَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿ ١٣٥ ﴾ بِعَالَمِ
تَعَالَى وَانْهَمَا كَهَيْمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ بَلْ أَقْصَرَ عَلَى ذِكْرِ شَأْنِ مَلَّتْ قَتِيلٌ (فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ) أَيْ أَمْرَهُ بِالْكَفْرِ
بِمُجَابَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ لِلْإِذْنِ بِوُضُوحِ حَالِهِ فَكَانَ كُفْرُهُ وَأَمْرُهُ مَلَّتْ بِذَلِكَ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ الْوُجُودِ غَيْرُ مُجْتَاجٍ
إِلَى الذِّكْرِ صَرِيحًا وَأَنَّمَا الْمُجْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ شَأْنُ مَلَّتْ الْمُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ هَذَا إِلَى الْحَقِّ وَدَاعٍ إِلَى الضَّلَالِ فَنَبِيٌّ عَلَيْهِمْ سِوَاهُ اخْتِبَارِهِمْ

وإراد الغاء في اتباعهم اهمل ترتيب على أمر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمغاياتهم في الاتباع ومسارة فرعو
الى الكفر وأمرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم
ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه المشهور وطرقت الزائفة فيكون معنى فاتبوا فاستروا على الاتباع والغامض ما في قولك وعظمت
لم يتعظ وصحت به فلم يبرز جرفان الاتيان بالشيء * (١٣٥) بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان

فصل جديد وصنع حادث فقام
وترك الضمار لدفع توهم
الرجوع الى موسى عليه السلام
من أول الامر ولزيادة تقييح
حال المتبعين فان فرعون علم
في الفساد والافساد والضلال
والاضلال فاتباعه لفرط
الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الحال في قوله تعالى (و)
أمر فرعون برشيد) الرشد
ضد الخي وقد يراد به محمودية
العاقبة فهو على الاول بمعنى
المرشداً وذى الرشد حقيقة
لغوية والاسناد مجازي وعلى
الثاني مجاز والاسناد حقيقي
(يقدم قومهم) جميعاً من
الاشراف وغيرهم (يوم
القيامة) أى بتقديمهم من
قدمه بمعنى تقدمه وهو
استئناف لبيان حاله في الآخرة
أى كما كان قدوة لهم في الضلال
كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه أو لتوضيح عدم
صلاح ما ألهمه وسوء عاقبته
(فأوردتهم النار) أى يوردتهم
ويأثر بصيغة الماضى للدلالة
على تحقق الوقوع لا محالة
شبه فرعون بالظالم الذي
تقدم الواردة الى الماء واتباعه

بعالم الروحانيات والاستكمال بالانوار الالهية والمعارج القدسية ثم قال تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال قوم ان
عذاب الكفار منقطع وله نهاية واحتجوا بالقرآن والمعقول أما القرآن فأثبت منها هذه
الآية والاستدلال بها من وجهين (الاول) انه تعالى قال ما دامت السموات والارض
دل هذا النص على ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض نعم توافقا على ان
مدة بقاء السموات والارض متناهية فلمن أن تكون مدة عقاب الكفار منقطعة (الثاني)
ان قوله الا ما شاء ربك استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال ذلك العذاب في وقت
هذا الاستثناء وما تمسكوا به أيضا قوله تعالى في سورة عم ينساء لون لابئين فيها أحقابا
بين تعالى ان ابئهم في ذلك العذاب لا يكون الا أحقابا معدودة وأما العقل فوجهان
(الاول) ان معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لانهاية له ظلم وانه
لا يجوز (الثاني) ان ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون فيجبايان خلوهم عن النفع
أن ذلك النفع لا يرجع الى الله تعالى لكونه متعاليا عن النفع والضرر ولا الى ذلك المعاقب
لانه في حقه ضرر محض ولا الى غيره لان أهل الجنة مشغولون ب لذاتهم فلا فائدة لهم
في الالتذاذ بالعذاب الدائم في حق غيرهم فثبت ان ذلك العذاب ضرر خال عن جميع
جهات النفع فوجب أن لا يجوز وأما الجمهور الاعظم من الامة فقد انفقوا على ان
عذاب الكافر دائم وعند هذا احتجوا الى الجواب عن التمسك بهذه الآية أما قوله
خالدين فيها ما دامت السموات والارض فذكروا منه جوابين (الاول) قالوا المراد سموات
الآخرة وأرضها قالوا والدليل على ان في الآخرة سماء وأرضا قوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض ننبأ من الجنة حيث نشاء وأيضا
لا بد لاهل الآخرة بما يلقههم ويظلمهم وذلك هو الارض والسموات ولقائل أن يقول
التشبيه انما يحسن ويجوز اذا كان حال المشبه به معلوما مقررا فيشبه به غيره تأكيداً
لثبوت الحكم في المشبه ووجود السموات والارض في الآخرة غير معلوم وتقدر أن
يكون وجوده معلوما الا ان بقاءها على وجد لا يغني البتة غير معلوم فاذا كان أصل
وجودهما مجهولاً لا كثر الخلق ودوامهما ايضا مجهولاً لا كثر كان تشبيه عقاب الاشقياء
به في الدوام كلاما عديم الفائدة أقصى ما في الباب أن يقال لما ثبت بالقرآن وجود سموات
وأرض في الآخرة وثبت دوامهما وجب الاعتراف به وحينئذ يحسن التشبيه الا أن نقول
لما كان الطريق في اثبات دوام سموات اهل الآخرة ودوام أرضهم هو السمع ثم السمع دل
على دوام عقاب الكافر فيثبت الدليل الذي دل على ثبوت الحكم في الاصل حاصل بعينه
في الفرع وفي هذه الصورة أجدها على ان القياس ضائع والتشبيه باطل فكذلكها هنا
(والوجه الثاني) في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد بقولهم ما دامت
السموات والارض ونظيره أيضا قولهم ما اختلف الليل والنهار وما طمأ البحر وما أقام

بالمرردة والنار بلقاء الذي يدونه ثم قبل (وبئس الورد المورود) أى بئس الورد الذي يدونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
الهطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك (واتبعوا) أى الملا الذين تبعوا أمر فرعون (في هذه) أى في الدنيا (لعنة)
ضمنية حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضا حيث يلعنهم أهل الموقف فاطبة فهي
نابذة لهم حيثما ساروا دائرة معهم أينما داروا في الموقف

فكما اتبعوا فرعون اتبعهم الله في الدارين جزاء وفاؤا اكنى يدان حالهم الغطع وشانهم الشنيم عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فانك بحال من اغواهم واقامهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع ان يكونوا اعداء للشروع جعلت اللعنة وفداهم على طريقة التهكم قيل (بنس الرعد المرفود) أى بنس العون المعان وقد فسر الرعد بالعطاء ولا يلائمه المقام أصله ما يضاف الى غيره ليعمد، والمخصوص بالذم محذوف ﴿ ١٣٦ ﴾ أى ردهم وهى اللعنة في الدارين وكونه مرفودا

من حيث ان كل لعنة منها عينة ومدة لصاحبها ومدة لها (ذلك) اشارة الى ما قص من آباء الامم وبعده باعتبار تعضيه في الذكروا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره (من آباء القرى) المهلكة بما جنته أي أهلها (نفسه عليك) نبرا بعد خبر أى ذلك التبايعض أنباء القرى مقصوص عليك (منها) أى من تلك القرى (قائم وحصيد) أى ومنها حصيد حذ في دلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وماعفاو بطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب (وما ظلماتهم) بأن أهلكتهم (ولكن ظلوا أنفسهم) بأن جعلوا عرضة للهلاك باقتواف ما بوجه (فما غنت عنهم) فأنفقتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم (أكلتهم) أى يبدونهم (من ون الله) أو مصبغة المضارع حكاية للحال الماضية أو دلالة على استمرار عبادتهم لها (من شئ) في موضع المصدر أى

الجليل وانه تعالى خاطب العرب على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا هذه الاشياء بناء على اعتقادهم انها باقية أبد الاباد علمنا ان هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد الابد والدام الخالى عن الانقطاع ولقائل أن يقول هل تسلمون ان قول القائل خالدين فيها مادامت السموات والارض يمنع من بقائها موجوده بعد فناء السموات أو تقولون انه لا يدل على هذا المعنى فان كان الاول فادشكال لازم لان الله لما دل على أنه يجب أن تكون مدة كونهم في النار مساوية لمدة بقاء السموات ويمنع من حصول بقاءهم في النار بعد فناء السموات ثم ثبت انه لا بد من فناء السموات فمعهذا يلزمكم القول بانقطاع ذلك العذاب وأمان قلائم هذا الكلام لا يمنع بقاء كونهم في النار بعد فناء السموات والارض فلا حاجة بكم الى هذا الجواب البتة فثبت ان هذا الجواب على كلا التقديرين ضائع واعلم أن الجواب الحق عندي في هذا الباب شئ آخر وهو أن المجهود من الآية انه متى كانت السموات والارض دائيتين كان كونهم في النار باقيا فهذا يقتضى أن كلا حصل الشرط حصل المشروط ولا يقتضى انه اذا عدم الشرط بعدم الشرط الا ترى أننا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان أما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان لانه ثبت في علم المنطق أن استثناء نقيض القدم لا ينتج شيئا فكذا هذا اذا قلنا متى دامت السموات دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات دائمة لزم أن يكون عقابهم حاصلأما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات لم يلزم عدم عقابهم فان قالوا فاذا كان العقاب حاصلأما سواء بقيت السموات أو لم تبق لم يبق لهذا التشبيه فائدة قلنا بل فيه أعظم الفوائد وهو أنه يدل على نفاذ ذلك العذاب دهر اداها وزمانا لا يحيط العقل بطوله وامتداده فاما انه هل يحصل له أخرام لا فذلك يستفاد من دلائل أخرى وهذا الجواب الذى قرره جواب حق ولكنه انما يفسد انفسا ألف شئ من المعقولات (وأما الشبهة الثانية) وهى التمسك بقوله تعالى الاما اشار بك وقد ذكرنا فيه أنواعا من الاجابة (الوجه الاول) في الجواب وهو الذى ذكره ابن قتيبة وابن الانبارى والفراء قالوا هذا استثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله البتة كقولك والله لا ضرب بك الا أن أرى غير ذلك مع أن عزيمتك تكون على ضربه فكذا ههنا وطولوا في تقرير هذا الجواب وفي ضرب الامثلة فيه وحاصله ما ذكرناه ولقائل أن يقول هذا ضعيف لانه اذا قال لا ضرب بك الا أن أرى غير ذلك معناه لا ضرب بك الا اذا رأيت أن الاولى ترك الضرب وهذا لا يدل البتة على ان هذه الرواية قد حصلت أم لا بخلاف قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما اشار بك فان معناه الحكم بخلودهم فيها الامدة التى شاور بك فلهذا لا يفتيد على أن هذه المشبهة قد حصلت جزما فكيف يحصل قياس هذا الكلام على ذلك الكلام (الوجه الثانى) في الجواب أن يقال ان كلمة الاهنها وردت بمعنى سوى والمعنى أنه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض فهم منه أنهم يكونون في النار في جميع مدة بقاء السموات

شئ من الاغناء (لما جاء أمر ربك) أى حين مجى عذابه وهو منصوب بأغنت وقرى آلهتهم اللاتى ويدعون ﴿ والارض ﴾ على البناء المعجول (وما زادهم غير تنبيب) أى اهلاك وتخصير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها (وكذلك) أى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله (أخذر بك) وقرى أخذر بك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد (اذا أخذ القرى) أى أهلها وانما اسند اليها الاشارة بمسريان أثر اليها

حسبما ذكره قريء اذا اخذ (وهي ظالمه) حال من القري وهي في الخفيمة لاهلها لكن لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجر بت الحال عليهم او فائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بطلبهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم (ان اخذه اليم شديد) وجميع صعب على الماخوذ لا يرجي منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير (ان في ذلك) أي في اخذه تعالى الامم المهلكة أو في قصصهم (الآية) لعبرة (لن) خاف عذاب الآخرة) فانه المعبر به حيث يستدل ﴿ ١٣٧ ﴾ بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات

على أحوال عذاب الآخرة وأما من انكر الآخرة وأحال فناء العالم وزعم أن ليس هو ولا شيء من أحواله مستندا الى الفاعل المختار وأن ما يقع فيه من الحوادث فاما يقع لأسباب تقتضيه من أوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات للمأذكر من المعاصي التي يفتقر فيها الامم الهالكة فهو بمنزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار (ذلك) إشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم مجموع له الناس) أي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتفسير للدلالة على نبات معنى الجمع وتحقيق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو أبلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع (وذلك) أي يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له (يوم مشهود) أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والارضين فانسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواحي الناس مشهود* أي كثير شاهدوه ولو جعل

والارض في الدنيا ثم قال سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم فذكر أولافي خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له بقوله الاماشاء ربك والمعنى الاماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها (الوجه الثالث) في الجواب وهو أن المراد من هذا الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف فكأنه تعالى قال فاما الذين شقوا في النار الوقت وقوفهم للمحاسبة فانهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار وقال أبو بكر الاصم المراد الاماشاء ربك وهو حال كونهم في القبر والمراد الاماشاء ربك حال عمرهم في الدنيا وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة والمعنى خالدين فيها بمقدار مكثهم في الدنيا وفي البرزخ أو مقدار وقوفهم للحساب ثم يصبرون الى النار (الوجه الرابع) في الجواب قالوا الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق وتقريره أن نقول قوله لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود فاذا دخل الاستثناء عليه وجب أن يحصل وقت لا يحصل فيه هذا المجموع لكن ثبت في المعقولات أنه كما ينبغي المجموع بانتفاء جميع أجزائه فكذلك ينبغي بانتفاء فرد واحد من أجزائه فاذا انتهوا آخر الامر الى ان يصيروا ساكنين هامين خامدين فينبتل بهم فيهم زفير وشهيق فأنقذ أجزاء ذلك المجموع فحينئذ يصح ذلك الاستثناء من غير حاجة الى الحكم بانقطاع كونهم في النار (الوجه الخامس) في الجواب أن يحمل هذا الاستثناء على أن أهل العذاب لا يكونون أبدا في النار بل قد ينقلون الى البرد والمهزبر وسائر أنواع العذاب وذلك يكفي في صحة هذا الاستثناء (الوجه السادس) في الجواب قال قوم هذا الاستثناء يفيد اخراج أهل التوحيد من النار لان قوله فاما الذين شقوا في النار يفيد ان جملة الاشياء محكوم عليهم بهذا الحكم ثم قوله الاماشاء ربك بوجوب أن لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفي في زوال حكم الخلود عن المجموع زواله عن بعضهم فوجب أن لا يبقى حكم الخلود لبعض الاشياء ولما ثبت أن الخلود واجب للكفار وجب أن يقال الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من أهل الصلاة وهذا كلام قوي في هذا الباب فان قيل فهذا الوجه انما يتعين اذا فسدت سائر الوجوه التي ذكرتموها فلما الدليل على فسادها وأيضا فخل هذا الاستثناء مذكور في جانب السعداء فانه تعالى قال واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير محدود قلنا انما بهذا الوجه بينا ان هذه الآية لا تدل على انقطاع وعيد الكفار ثم اذا أردنا الاستدلال بهذه الآية على صحة قولنا في أنه تعالى يخرج الفساق من أهل الصلاة من النار قلنا اما حكمة الاعلى سوى فهو عدول عن الظاهر وأما حكمة الاستثناء على حال عمر الدنيا والبرزخ والموقف فبعيد أيضا لان الاستثناء وقع عن الخلود في النار ومن المعلوم أن الخلود في النار كيفية من كيفية الحصول في النار قبل الحصول في النار امتنع حصول الخلود في النار واذا لم يحصل الخلود لم يحصل المستثنى منه وامتنع حصول الاستثناء وأما قوله الاستثناء عائد الى الزفير

نفس اليوم مشهود فانما هو الغرض ﴿ ١٨ ﴾ خا من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك (وما نؤخره) أي ذلك اليوم المحوظ بعنوان الجمع والشهود (الا لاجل معدود) الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة (يوم بات) أي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة ٢ قوله في محفل الخ صدره * ومشهد قد كفت الغائبين به * أي ورب مشهد تكلمت فيه ونبت عن الغائبين عنه اه

وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل أي الله عز وجل فإن المقام مقام سبحانه شأن اليوم وفري بابات الباء في الأصل لا يحسن عسا
أي لا تتكلم بما يقع وينجي من جواب أو شفاعته وهو العامل في الظرف أو الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الأجل معدود أي ينشئ
الاجل يوم يأتي أو المضمحل المعهود أعني اذكر (الاباذنه) عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهذا في
وطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ﴿١٣٨﴾ ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما أن

نوله سبحانه يوم تأتي كل نفس
تجادل عن نفسها في آخرتها
أو المأذون فيه الجوابات الحقة
الممنوع عنه الاعتذار الباطلة نعم
قد يؤذن فيها أيضا لظاهر
بطلانها كما في قول الكفرة
والله ربنا ما كنا مشركين
ونظائره (فهم شقي) وجبت له
لنار بموجب الوعيد (وعيد)
أي ومنهم سعيد حذف الخبر
لأنه الأول عليه وهو من وجبت
له الجنة بمقتضى الوعد والضمير
لأهل الموقف المدلول عليهم
بقوله لا تكلم نفس أول للناس
وتقديم الشق على السعيد لأن
المقام مقام التحذير والإنذار
(فأما الذين شقوا) أي سبقت
لهم الشقاوة (في النار) أي
مستقرون فيها (لهم فيها
زفير وشهيق) الزفير إخراج
النفس والشهيق رده واستعمالها
في أول النهيق وآخره قال الشماخ
بوصف جبار الوحش * بعيد
مدى التطريب أول صوته *
زفير وتلوه شهيق بمخرج *
والمرابها وصف شدة كرههم
وتشبيه حالهم بحال من
استولت على قلبه الحرارة
وأنحصر فيه روحه أو تشبيه

والشهيق فهذا أيضا ترك للظاهر فلم يبق للآية محمل صحيح إلا هذا الذي ذكرناه وأما قوله
المراد من الاستثناء نقله من النار إلى الزمهرير فنقول لو كان الأمر كذلك لوجب أن
لا يحصل العذاب بالزمهرير إلا بعد انقضاء مدة السموات والأرض والأخبار الصحيحة
دلت على أن النقل من النار إلى الزمهرير وبالعكس يحصل في كل يوم مرارا فبطل هذا
الوجه وأما قوله إن مثل هذا الاستثناء حاصل في جانب السعداء فنقول أجمعت الأمة على
أنه يتم أن يقال إن أحدا يدخل الجنة ثم يخرج منها إلى النار فلاجل هذا الإجماع افترنا
فيه إلى حل ذلك الاستثناء على أحد تلك التأويلات أما في هذه الآية لم يحصل هذا
الإجماع فوجب اجراءها على ظاهرها فهذا إتمام الكلام في هذه الآية وأعلم أنه تعالى
لما ذكر هذا الاستثناء قال انزلك فعال لما يريد وهذا يحسن انطباقه على هذه الآية
إذا حملنا الاستثناء على إخراج الفساق من النار كما أنه تعالى يقول أظهرت القهر والقدرة
ثم أظهرت المغفرة والرحمة لأن فعال لما يريد وليس لاحد على حكم البتة ثم قال وأما الذين
سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك وفيه مسئلتان
(المسئلة الأولى) قرأ جزء والكسائي وحفص عن عاصم سعدوا بضم السين والباقون
بفتحها وإنما جازم السين لأنه على حذف الزيادة من أسعدوا لأن سعد لا يتعدى وأسعد
يتعدى وسعدوا أسعد بمعنى ومنه السعد من أسماء الرجال (المسئلة الثانية) الاستثناء في
باب السعداء يجب حمله على أحد الوجوه المذكورة فيما تقدم وههنا وجه آخر وهو أنه ربما
اتفق لبعضهم أن يرفع من الجنة إلى العرش وإلى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها إلا الله
تعالى قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقوله عطاء غير مجذوذ فيه
مسئلتان (المسئلة الأولى) جذبه يجذبه إذا قطعه وجذ الله دارهم فقوله غير مجذوذ أي
غير مقطوع ونظيره قوله تعالى في صفة نعيم الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة (المسئلة الثانية)
اعلم أنه تعالى لما صرح في هذه الآية أنه ليس المراد من هذا الاستثناء كون هذه الحالة
منقطعة فلما خص هذا الموضع بهذا البيان ولم يذكر ذلك في جانب الأشقياء دل ذلك على أن
المراد من ذلك الاستثناء هو الانقطاع فهذا إتمام الكلام في هذه الآية * قوله تعالى
(فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كعبه) آباؤهم من قبل وأنالو فوهم تصبيهم
غير مقصود (اعلم أنه تعالى لما شرح أقاصيص عبدة الأوثان ثم أثبتهم بأحوال الاشقياء
وأحوال السعداء شرح للرسول عليه الصلاة والسلام أحوال الكفار من قومه فقال
فلانك في مربة والمعنى فلا تكن الآن أنه حذف التون لكثرة الاستعمال ولأن التون
إذا وقع على طرف الكلام لم يبق عند التلفظ إلا مجرد الغنة فلا جرم أسقطوه والمعنى
فلانك في شك من حال ما يعبدون في أنها لا تضر ولا تنفع ثم قال ما يعبدون إلا كعبه
آباؤهم من قبل والمراد أنهم أشبهوا آباءهم في كونهم الجاهل والتقليد ثم قال وأنالو فوهم

صراخهم بأصوات الجبرو قري شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا * نصيبهم *
وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار ومن الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه (خالدین فيها) خلا أنه إن أريد
جدوث كونهم في النار فالأمر مقدرة (مادامت السموات

(والارض) اى مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأيد ونفى الانقطاع بناء على مناج قول العرب مادام تعاروما أقام
 نبروما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأيد لا تعليق قرارهم فيها دوام هذه السموات
 والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اراد التعليق فالمراد سموات الآخرة
 وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى ﴿١٣٩﴾ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض

نصيبهم غير منقوص فيحتمل أن يكون المراد انما وفوهم نصيبهم أى ما يخصهم من العذاب
 ويحتمل أن يكون المراد انهم وان كفروا وأعرضوا عن الحق فانما وفوهم نصيبهم من
 الرزق والخيرات الدنيوية ويحتمل أيضا ان يكون المراد انما وفوهم نصيبهم من ازالة
 العذر وازاحة العلل واظهار الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ويحتمل ايضا أن
 يكون الكل مرادا * قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة
 سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلالا ليوفيهم ربك أعمالهم
 انه بما يعملون خبير) اعلم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار
 التوحيد بين أيضا اصرارهم على انكار نبوته عليه السلام وتكذيبهم بكتابه وبين تعالى ان
 هؤلاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك
 مثلا وهو انه لما نزل التوراة على موسى عليه السلام اختلفوا فيه فقبله بعضهم وأنكره
 آخرون وذلك يدل على أن عادة الخلق هكذا ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى
 بينهم وفيه وجوه (الاول) ان المراد ولولا ما تقدم من حكم الله تعالى بتأخير عذاب هذه
 الامة الى يوم القيامة لكان الذى يستحقه هؤلاء الكفار عند عظيم كفرهم انزال عذاب
 الاستئصال عليهم لكن المتقدم من قضائه أخر ذلك عنهم في دنياهم (الثاني) لولا كلمة سبقت
 من ربك وهى ان الله تعالى اتيهم بحكم بين المختلفين يوم القيامة والا لكان من الواجب تميز
 الحق عن المبط في دار الدنيا (الثالث) ولولا كلمة سبقت من ربك وهى ان رحمة سبقت
 غضبه وان احسانه راجع على قهره والالقضى بينهم ولما قرر تعالى هذا المعنى قال وانهم
 لفي شك منه مريب يعنى ان كفار قومك لفي شك من هذا القرآن مريب ثم قال تعالى
 وان كلالا ليوفيهم ربك أعمالهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المعنى ان من مجلت
 عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسل ومن كذب فعالهم سواء في أنه تعالى يوفيههم جزاء
 أعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الوعد والوعيد فان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم
 وتوفية جزاء المعاصى وعيد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خبير تؤكد للوعد والوعيد
 فانه لما كان طالبا لجميع المعلومات كان عالما بمقاصير الطاعات والمعاصى فكان عالما
 بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فيجئد لا يضيع شئ من الحقوق والاجزبة وذلك نهاية
 البيان (المسئلة الثانية) قرأ أبو عمرو والكسائي وان مشددة التون لما خيفة قال أبو على
 اللام في لماهى التى تقتضيه ان وذلك لان حرف ان يقتضى ان يدخل على خبرها أو اسمها
 لام كقوله ان الله لغفور رحيم وقوله ان في ذلك آية والام الثانية هى التى تجئ بعد
 القسم كقولك والله لتفعلن ولما اجتمع لاما ن دخلت ما انفصل بينهما فكلمة ما على هذا
 التقدير زائدة وقال الفراء ما موصولة بمعنى من وبقية التقرير كما تقدم ومثله وان منكم
 لمن ليبطئن (والقراءة الثانية) في هذه الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم وان
 كلالا لمخففان والسبب فيه انهم أعلموا أن محففة كما تعمل مشددة لان كلمة أن تشبه

نتبوا من الجنة حيث نشاء
 وجزم كل أحد بان أهل
 الآخرة لا بدلهم من مظلة
 ومقلة دائمتين يكنى في تعليق
 دوام قرارهم فيها بدوامهما
 ولا حاجة الى الوقوف على
 تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما
 (الامام شافعي) استثناء من
 الخلود على طريقة قوله تعالى
 لا يدوقون فيها الموت الا الموتة
 الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح
 آباؤكم من النساء الا ما قد سلف
 وقوله تعالى حتى يلج الجمل
 في سم الخياط غير أن استحالة
 الامور المذكورة معلومة
 بحكم العقل واستحالة تعليق
 المشيئة بعدم الخلود معلومة
 بحكم النقل يعنى انهم مستقرون
 في النار في جميع الازمنة الا في
 زمان مشيئة الله تعالى اعدم
 قرارهم فيها واذلا امكان
 تلك المشيئة ولا زمانها بحكم
 النصوص القاطعة الموجبة
 للخلود فلا امكان لانتهاء
 مدة قرارهم فيها ولدفع
 ما عسى يتوهم من كون
 استحالة تعليق مشيئة الله تعالى
 بعدم الخلود بطريق الوجوب
 على الله تعالى قال (ان ربك
 فعال لما يريد) يعنى انه

في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته فاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته
 الدائمة الى ترتيب الاجزبة على أفعال العباد والعدول من الاضمار الى الاظهار لترتبة المهابة وزيادة التقرير وقيل
 هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يتخلدون فيه بل يمدون بالزهرير وبأنواع أخر من العذاب وبما هو أغلظ
 منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسولهم واهانتهم

آباهم وأنت تدري أنا وإن سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فخلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك أن تقول أنهم لبوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وهو العقوبات والآلام الروحانية التي لا يلفظ عليها في هذه الحياة الدنيا المنعمسون في أحكام ١٤٠ ✽ الطبيعة المقصور ادراكهم على ما ألفوا من

الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا ألقى إليهم ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المرتبة الاجالية المنبثقة عن التهويل وهذه العقوبات وإن كانت امة بهم وهم في النار لكنهم يدسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الابعى سوى وهو أوفق بما ذكر وقيل ما معنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض) الكلام فيه كاللزام فيما سبق خلا أنه لم يذكر ههنا أنهم فيها بهجة وسرور كما ذكر في أهل النار من أنه لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار (الاماشاء ربك) ان حمل على طريقة التعليق بالحال فقوله سبحانه (عطاء غير مجدوذ) نصب

الفعل فكما يجوز اعمال الفعل تاما ومحدوفا في قولك لم يكن زيد قائما ولم يكن زيد قائما فكذلك ان وان (والقراءة الثالثة) قرأ حزة وابن عمر وحفص وان كلا لما مشددتان قالوا واحسن ما قيل فيه ان أصل لما لما بالتثنية كقوله أكلأ لما والمعنى ان كلا ملمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جعما (المسئلة الثالثة) سمعت بعض الافاضل قال انه تعالى لما أخبر عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التوكيدات (أولها) كلفة ان وهي التأكيد (وثانيها) كلفة كل وهي أيضا تأكيد (وثالثها) اللام الداخلة على خبران وهي تفيد التأكيد أيضا (ورابعها) حرف ما اذا جعلناه على قول الفراء موصولا (وخامسها) القسم المضمر فان تقدير الكلام وان جميعهم والله ليوفينهم (سادسها) اللام الثانية الداخلة على جواب القسم (وسابعها) الزن المؤكدة في قوله ليوفينهم لجميع هذه الالفاظ السبعة الداخلة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على أن امر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والتشريع ثم أردفه بقوله انه بما يعملون خير وهو من أعظم المؤكيدات * قوله تعالى (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما أنطب في شرح الوعد والوعيد قال لرسوله فاستقم كما أمرت وهذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعماد والاعمال سواء كان مختصا به أو كان متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرائع ولا شك أن البناء على الاستقامة الحقيقية مشكل جدا وأنا أضرب لذلك مثلا يقرب صعوبة هذا المعنى الى الفعل السليم وهو ان الخط المستقيم الذي يفصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض الا أن عين ذلك الخط بما لا يتميز في الحس عن طرفيه فله اذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض بالعض في الحس فلم يقع الحس على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه اذا عرفت هذا في امثال فاعرف مثاله في جميع ابواب العبودية (فأولها) معرفة الله تعالى وتبصيل هذه المعرفة على وجه يقي العبد مصونا في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك وأيضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفا افراطا وتفریطا وهما مذمومان وانفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل الى أحد الجانبين والوقوف عليه صعب ثم العمل به أصعب فثبت أن معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة ويتعذر معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لاجرم قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام شيتنى هود وأخوانها وعن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روى عنك انك قلت

على المصدرية من معنى الجملة لان قوله في الجنة خالدون فيها يقتضى اعطاء وانعاما فكأنه قيل يعطهم عطاء ✽ شيتنى وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء أو مصدر بخن في الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما عدا الله لعباده الصالحين من النعم الروحاني الذي عبر عنه بالاعين رأيت ولأفان سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر المشبهة أو تعجب فان نسبة مشبهة الخروج الى الله تعالى يحتمل أن تكون على جهة عطاء مجدوذ وعلى جهة

عطاف غير مجذوذ فهو رافع للإبهام عن النسبة قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاف غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز أن يتعلق بكلا النعيتين أو بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه (فلانك في مرتبة) أي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخرية (ما يعبد هؤلاء) أي من جهة عبادة هؤلاء ﴿١٤١﴾ المشركين وسوء عاقبتهم وأمن حال ما يعبدونه من الاوثان

من عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكلال

حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعشى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا

أفلاتذكرون وقد قص عقيب ذلك من أبناء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثين اليهم ما تذكرو به المتذكر نهي رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والاجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف

فقيل (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) الذين قصت عليك قصصهم (من قبل) أي هم وآباؤهم سواء في الشرك

ما يعبدون عبادة الاكابر منهم أو ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار

صورته أو مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيحقيقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي

تماثل المسببات (وانما هو فهم) أي هؤلاء الكفرة (نصيبهم) أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائزهم من العذاب عاجلا وājلا كما وفينا آباءهم انصباهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بياننا واجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجب (غير متووص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه مقنوصا في حد نفسه

شيتني هود وأخواتها فقال نعم فقلت وبأى آية فقال بقوله فاستقم كما أمرت (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بالوضوء مرتبة في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة باداء الايل من الايل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى به وعندى أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل غوم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله فاستقم كما أمرت والعمل بالقياس انحراف عنه ثم قال ومن تاب معك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى من في محل الرفع من وجوه (الاول) أن يكون عطفا على الضمير المستتر في قوله فاستقم وأغنى الوصل بالجار عن تأكيد بضمير المتصل في صحة العطف أي فاستقم أنت وهم (والثاني) أن يكون عطفا على الضمير في أمرت (والثالث) أن يكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم (المسئلة الثانية) أن الكافر والغاسق يجب عليهما الرجوع عن الكفر والفسق ففي تلك الحالة لا يصح اشتغالهما بالاستقامة وأما التائب عن الكفر والفسق فانه يصح منه الاشتغال بالاستقامة على مناهج دين الله تعالى والبقاء على طريق عبودية الله تعالى ثم قال ولا تطغوا ومعنى الطغيان أن تجاوز المقدار قال ابن عباس يريد تواضعوا لله تعالى ولا تكبروا على أحد وقيل ولا تطغوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقيل لا تجاوزوا ما أمرتم به وحداكم وقيل ولا تعدوا عن طريق شكره والتواضع له عند عظم نعمد عليكم والاولى دخول الكل فيه ثم قال ولا تركنوا الى الذين ظلوا والركون هو السكون الى الشيء والميل اليه بالحبسة ونقيضه التفور عنه وقرأ العامة بفتح التاء والكاف والماضى من هذا ركن كعلم وفيه لغة أخرى ركن بركن قال الازهرى وليست بفصيحة قال المحققون الركون النهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شئ من تلك الابواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون ومعنى قوله فتمسككم النار أي انكم ان ركنتم اليهم فهذه عاقبة الركون ثم قال ومالكهم من دون الله من أولياء أي ليس لكم أولياء يخاصونكم من عذاب الله ثم قال ثم لا تنصرون والمراد لا تجدون من ينصركم من تلك الواقعة واعلم أن الله تعالى حكم بان من ركن الى الظلمة لا بد وأن تسه النار وإذا كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه * قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) اعلم أنه تعالى لما أمر بالاستقامة أردفه بالامر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) رأيت في بعض كتب القاضي أبي بكر الباقلاني أن الخوارج تمسكوا بهذه الآية في اثبات أن الواجب ليس الا الفجر والعشاء من وجهين (الاول) انهما واقعان على طرفي

تماثل المسببات (وانما هو فهم) أي هؤلاء الكفرة (نصيبهم) أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائزهم من العذاب عاجلا وājلا كما وفينا آباءهم انصباهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بياننا واجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجب (غير متووص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه مقنوصا في حد نفسه

مبنى على الدهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل (ولقد أتينا موسى الكتاب) أى التويزة (فاختلف فيه) أى فى
 وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال . . . عومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا
 عليه كثر أوجاء معه ملك وزعمهم أنك افتريته (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة
 حسب الحكمة الداعية الى ذلك (لقضى بينهم) أى لا وقع * ١٤٢ * القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العلة

الذى يستحقه المبطلون
 لتمييزوا به عن المحقين وقيل
 بين قوم موسى وليس بذلك
 (وانهم) أى وان كفار قومك
 أراده بعض من رجع اليهم
 ضمير بينهم للامن من الالباس
 (لئلا يشك) عظيم (منه) أى
 من القرآن وان لم يجزله ذكر
 فان ذكر آياته كتاب موسى
 ووقوع الاختلاف فيه لاسيما
 بصدد التسليم يتأدى به نداء
 غير خفى (مريب) موقع فى
 الرية (وان كلام التنوين
 عوض عن المضاف اللى أى
 وان كل المختلفين فيه المؤمنين
 منهم والكافرين وقرأ ابن
 شبر ونافع وأبو بكر بالتخفيف
 مع الاعمال اعتبارا لاصل
 (لما يوفيتهم ربك أعمالهم)
 أى أجزية أعمالهم واللام
 الاولى موطئة للقسام والثانية
 جواب للقسام المحذوف ولما
 مركبة من من الجارة
 وما الموصولة أو الموصوفة
 وأصلها من ما فقلت التون
 مما لا دغما فاجتمع ثلاث معيات
 فحذفت اولاهن والمعنى لمن
 الذى أولن خلق أولن فربى
 والله ليوفيتهم ربك وقرئ
 لما بالتخفيف على أن ما من بدة

النهار والله تعالى أوجب إقامة الصلاة طرفى النهار فوجب أن يكون هذا القدر كافيا
 قبل قوله وزلفا من الليل يوجب صلوات أخرى قلنا لانسلم فان طرفى النهار موصوفا
 بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون للاغاية ما فى الباب ان هذا يقتض
 عطف الصفة على الموصوف الا أن ذلك كثير فى القرآن والشعر (الوجه الثانى) أنه تعالى
 قال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يشعر بأن من صلى طرفى النهار كان اقامته
 كفارة لكل ذنب سواهما فبغير أن يقال ان سائر الصلوات واجبة الا ان اقامتهما يجز
 أن تكون كفارة لتلك سائر الصلوات واعلم أن هذا القول باطل بأجتماع الامة فلا يفتد
 اليه (المسئلة الثانية) كثرت المذاهب فى تفسير طرفى النهار والاقرب ان الصلاة التى
 تقام فى طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان أحد طرفى النهار طلوع الشمس والطرف
 الثانى منه غروب الشمس فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثانى لا يجوز أن
 يكون صلاة المغرب لانها داخله تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حل الطرف الثانى
 على صلاة العصر اذ عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول أبى حنيفة رحمه الله فى
 أن التنوير بالفجر أفضل وفى أن تأخير العصر أفضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على
 وجوب إقامة الصلاة فى طرفى النهار وبيننا أن طرفى النهار هما الزمان الاول اطلوع
 الشمس والزمان الثانى لغروبها وأجعت الامة على أن إقامة الصلاة فى ذلك الوقت من
 غير ضرورة غير مشروعة فقد تذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حله على المجاز وهو
 أن يكون المراد أقم الصلاة فى الوقت الذى يقرب من طرفى النهار لان ما يقرب من الشئ
 يجوز أن يطلق عليه اسمه واذا كان كذلك فكل وقت كان أقرب الى طلوع الشمس والى
 غروبها كان أقرب الى ظاهر اللفظ وإقامة صلاة الفجر عند التنوير أقرب الى وقت
 الطلوع من اقامتها عند الغروب وكذلك إقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شئ
 مثليه أقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شئ مثله والمجاز كما كان
 أقرب الى الحقيقة كان حل اللفظ عليه اولى فثبت أن ظاهر هذه الآية يقوى قول أبى
 حنيفة فى هاتين المسئلتين وأما قوله وزلفا من الليل فهو يقتضى الامر بإقامة الصلاة
 فى ثلاث زلف من الليل لان أقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم
 بوجوب النحر حتى يحصل زلف ثلاثة يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب الوتر
 حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب فى حق غيره لقوله تعالى واتبعوه ونظير هذه الآية
 بعينها قوله سبحانه وتعالى وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالذى هو
 قبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر والذى هو قبل غروبها هو صلاة العصر ثم قال تعالى
 ومن آتاه الليل فسبح وهو نظير قوله وزلفا من الليل (المسئلة الثالثة) قال المفسرون نزلت
 هذه الآية فى رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مات قول فى رجل أصاب من امرأة
 محرمة كلبا بصيبه الرجل من امرأته غير الجماع فقال عليه الصلاة والسلام ليتوضأ وضو

للفصل بين الامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفيتهم الآية وقرئ لما بالتنوين أى جميعا قوله * حسنا *
 سبحانه أكلالما وقرأ أبى وان كل لما ليوفيتهم على أن نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون) أى بما يعمل كل فرد
 من المختلفين من الخير والشعر (خير) بحيث لا يخفى عليه شئ من جلالة ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية أجزية
 أعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل أعمال الفريقين وما يستوجب كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء

موضوع بوجوب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فاستقم كما أمرت) لما بين في تضاعيف القصص
مكنة عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير الى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق
مذاب مثل أولئك المعذنين وأن نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب
يوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لو لم تسبق كلمة ﴿ ١٤٣ ﴾ القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومواخذتهم التامة

الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل
بآبائهم من قبل وأنهم يوفون
نصيبهم غير منقوص وأن كل
واحد من المؤمنين والكافرين
يوفي جزاء عمله أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة
كما أمر به في العقائد والاعمال
المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين
ولاسيما الاعمال الخاصة به
عليه السلام من تبليغ الاحكام
الشرعية والقيام بوظائف النبوة
وتحمل أعباء الرسالة بحيث
يدخل تحته ما أمر به فيما سبق
من قوله تعالى فاعلمك تارك
بعض ما يوحي اليك وضائق به
صدرك الآية وبالجملة فهذا
الامر منتظم لجميع محاسن
الاحكام الاصلية والفرعية
والكمالات النظرية والعملية
والخروج عن عهده في غاية
ما يكون من الصعوبة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيتني سورة هود (ومن تاب
معك) أي تاب من الشرك والكفر
وشاركك في الايمان وهو المعنى
بالبيعة وهو معطوف على المستكن
في قوله فاستقم وحسن من غير
تأكيد لكان الفصل القائم مقامه
وفي الحقيقة هو من عطف الجملة
على الجملة اذا المعنى وليستقم

حسنا ثم ليتم وليصل فانزل الله تعالى هذه الآية فقبل للنبي عليه الصلاة والسلام هذا
خاصة فقال بل هو للناس عامة وقوله وزلفا من الليل قال الليث زلفة من أول الليل طائفة
والجمع الزلف قال الواحدي وأصل الكلمة من الزلفي والزلفي هي القرى يقال أرزفته
فأرذلف أي قربته فأقرب (المسئلة الرابعة) قال صاحب الكشاف قرى زلفا بضمتين
وزلفا بسكان اللام وزلفي بوزن قري في فالزلف جمع زلف كظم جمع ظلمة والزلف بالسكون
نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلف بمعنى الزلفة كان القرى بمعنى
القرية وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل في تفسير قوله وزلفا من الليل وقرى ما من
الليل ثم قال ان الحسنات يذهبن السيئات وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) في تفسير
الحسنات قولان (الاول) قال ابن عباس المعنى ان الصلوات الخمس كفارات لسائر
الذنوب بشرط الاجتناب عن الكبائر (والثاني) روى عن مجاهد أن الحسنات هي قول
العبد سبحان الله والمجد لله والاله الا الله والله أكبر (المسئلة الثانية) احتج من قال ان
المعصية لا تضر مع الايمان بهذه الآية وذلك لان الايمان أشرف الحسنات وأجلها
وأفضلها ودلت الآية على أن الحسنات يذهبن السيئات فالإيمان الذي هو أعلى الحسنات
درجة يذهب الكفر الذي هو أعلى درجة في العصيان فلا ينقوى على المعصية التي هي
أقل السيئات درجة كان أولي فالنم يفد ازالة العقاب بالكلية فلا أقل من أن يفد ازالة
العذاب الدائم الموبد ثم قال تعالى ذلك ذكرى للذاكرين فقوله ذلك اشارة الى قوله فاستقم
كما أمرت الى آخرها ذكرى للذاكرين عظمتا لمعتظين وارشادا للمسترشدين ثم قال واصبر
فان الله لا يضيع أجر المحسنين قيل على الصلاة وهو كقوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها ﴿ قوله تعالى ﴾ (فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في
الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين) اعلم أنه
تعالى لما بين ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمران
(السبب الاول) أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال تعالى فلو لا كان
من القرون والمعنى فهلا كان وحكي عن الخليل أنه قال كل ما كان في القرآن من كلمة لا
فمعناه هلا لآلتي في الصافات قال صاحب الكشاف وما حلت هذه الرواية عنه بدليل قوله
تعالى في غير الصافات لو لا أن تداركه نعمة من ربه لشدنا بهاء ولولا رجال مؤمنون ولولا
أن شيتنا لك قد كنت تركز اليهم شيئا قليلا وقوله أولو بقية فالمعنى أولو فضل وخبر وعسى
الفضل والجود بقية لان الرجل يستقي بما يخرج من أجوده وأفضله فصار هذا اللفظ مثلا
في الجودة يقال فلان من بقية القوم أي من خبارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي
الرجال بقاءا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا
كان منهم ذو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وقرى أولو بقية بوزن لينة
من بقاء ببقية اذا راقبه وانتظره والبقية المرة من مصدره والمعنى فلو لا كان منهم أولو

من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك (ولا تطغوا)
ولا تحرفوا عما حدثكم بافراط أو تفریط فان كلالا في قصد الامور دميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا
أو تغليب الحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام (انه بما تعلمون بصير) فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي

الاية دلاله على وجوب اتباع المتصوص عليه من غيرا محراف بمجرد الرأى فانه طفيان وضلال وأما العمل بمنقضى الاجتهاد التابع لعل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما أمر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد (ولا تركنوا) أى لا تميلوا أدنى ميل (الى الذين ظلموا) أى الى الذين وجد منهم الظلم فى الجملة ومدار النهى هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قبل من أن ذلك للباقة فى النهى من حيث ﴿ ١٤٤ ﴾ ان كونهم جماعة مظنة الرخصة فى مداها منهم

انما يتم أن لو كان المراد النهى عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك (فتمسك) بسبب ذلك (النار) واذا كان حال الميل فى الجملة من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا حافظت بمن يميل الى الراشخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهاك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقى شرارهم على مؤانستهم ومعاشرتهم ينتهج بالترضى بهم ويمد عينيه الى زهرتهم الغائبة ويعصمهم بما أو توامن القطوف الدانية يهوى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بعزل عن أن تيل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الميل الى أحد طرفى الافراط والتفر يطلم على نفسه أو على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للفعول من أركنه (ومالكهم من دون الله من أولياء) أى من أنصار يتقدونكم من النار

مراقبة وخشعة من انتقام الله تعالى ثم قال الا قليلا ولا يمكن جملة استثناء متصلا لانه على هذا التقدير يكون ذلك ترغيبا لأولى البقية فى النهى عن الفساد الا قليلا من الناجين منهم كما تقول هلاقرأ قومك القرآن الا الصالحاء منهم تريد استثناء الصالحاء من المرغبين فى قراءة القرآن واذا ثبت هذا قلنا انه استثناء منقطع والتقدير لكن قليلا ممن أئجينا من القرون نهوا عن الفساد وسأمرهم تاركون للنهى (والسبب الثانى) لنزول عذاب الاستئصال قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه والترفة النعمة وصبي مترق اذا كان منهم البدن والمترف الذى أبطرته النعمة وسعة المعيشة وأراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات أى لم يمتنعوا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرىاسات وقرأ أبو عمرو فى رواية الجمعى واتبع الذين ظلموا ما أترفوا أى واتبعوا حراما أترفوا فيه ثم قال وكانوا محرمين ومعناه ظاهر قوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحمر ربك ولذلك خلقهم وتمت لك ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) اعلم أنه تعالى بين انه ما أهلك أهل القرى الا بظلم وفيه وجوه (الأول) ان المراد من الظلم ههنا الشرك قال تعالى ان الشرك اظلم اظلم عظيم والمعنى انه تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين فى المعاملات فيما بينهم والحاصل أن عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا أساؤا فى المعاملات وسعوا فى الأيذاء والظلم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى منها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد منها على الضيق والشح ويقال فى الاثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع النظم فعنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أى لا يهلكهم بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعامل بعضهم بعضا على الصلاح والسداد وهذا نأويل أهل السنة لهذه الآية قالوا والدليل عليه ان قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب انما نزل عليهم عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى عنهم من إيذاء الناس وظلم الخلق (والوجه الثانى) فى التناويل وهو الذى تختاره المعتزلة هو انه تعالى لو أهلكهم حال كونهم مصلحين لما كان متعاليا عن الظلم فلا جرم لا يفعل ذلك بل انما يهلكهم لاجل سوء أفعالهم ثم قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة والمعتزلة يحملون هذه الآية على مشيئة الاجاء والاجبار وقد سبق الكلام عليه ثم قال ولا يزالون مختلفين الا من رحمر ربك والمراد افتراق الناس فى الأديان والاخلاق والأفعال واعلم انه لا سبيل الى استقصاء مذاهب العالم فى هذا الموضوع ومن أراد ذلك فليطالع كتابنا الذى سميناه بالاباض الموثقة الا اننا ذكره هنا تقسما جامعاً للمذاهب فنقول الناس فريقان منهم من أقر بالعلوم الحسية كعلمنا بأن النار حارة والشمس مضيئة والعلوم البديهة كعلمنا بأن النقي والاثبات لا يجتمعان ومنهم من

والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسك النار ونفى الأولياء ليس بطريق نقي أن يكون لكل واحد منهم ﴿ انكرها ﴾ أولياء حتى يصدق أن يكون لهولى بل لمكان لكم بطريق انقسام الأحاد على الأحاد لكن لا على معنى نقي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نقي أن يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام (ثم لا تنصرون) من جهة الله سبحانه اذ قد سبق فى حكمه أن ينصركم بركونكم لهم

من لا يعرف الفقه معنى الاستنباط فانه لما روي ان الله تعالى يحب من عبده ان يفتي بغير علم لا يصير ولا أصلاً (والم
الصلوة طرفي النهار) أي غدوة وعشاء وانحصارها على الطريقة لكونه مضافاً الى الوقت (وزلغمان الليل) أي ساعات
منه قريبة من النهار فانه من أزلها اذقار به جمع ١٤٥ زلغمة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتها صلاتها صلاة

الغداة والعصر وقيل الظهر
موضع العصر لان ما بعد
الزوال عشي و صلاة الزلف
المغرب والعشاء وقرى زلفاً
بضمتين وضمة وسكون ككتبه
وسرور زلفي بمعنى زلفه كقوله
بمعنى قرينة (ان الحسنات)
التي من جلها بل عمدتها
ما أمرت به من الصلوات
(يذهبن السيئات) التي
قلما تلوم منها البشري بكثرته
وفي الحديث ان الصلاة الى
الصلاة كفارة لما بينهما
ما احتب الكبار وقيل ذلك
في أي البسر الانصاري
اذ قيل امرأة ثم ندم فأتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره بما فعل فقال عليه
السلام أنتظر أمر ربى قلما
صلى صلاة العصر نزلت
قال عليه السلام نعم اذهب
فانها كفارة لما عملت أو بمنع
من اقترافها كقوله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر (ذلك) إشارة الى
قوله تعالى فاستقم فما بعده
وقيل الى القرآن (ذكرى
لذا كرن) أي عظة للمتعتلين
(واصبر) على مشاق ما أمرت به
في تضايف الاوامر السابقة

أنكرها والمنكرون هم السوفسطائية والمقرون هم الجمهور والاعظم من أهل العالم وهم
فريقان منهم من سلم انه يمكن تركيب تلك العلوم البديهة بحيث يستخرج منها نتائج علمية
نظرية ومنهم من أنكره وهم الذين ينكرون أيضاً النظر الى العلوم وهم قليلون
والاولون هم الجمهور الاعظم من أهل العالم وهم فريقان منهم من لا يثبت لهذا العالم
الجسماني مبدأ أصلاً وهم الأقلون ومنهم من يثبت له مبدأ وهو لا فريقان منهم من يقول
ذلك المبدأ موجب بالذات وهم جمهور الفلاسفة في هذا الزمان ومنهم من يقول انه
فاعل مختار وهم أكثر أهل العالم ثم هؤلاء فريقان منهم من يقول انه ما أرسل رسولا الى
العباد ومنهم من يقول انه أرسل الرسول فالاولون هم البراهمة والقسم الثاني أرباب
الشرائع والاديان وهم المسلمون والنصارى واليهود والجوس وفي كل واحد من هذه
الطوائف اختلافات لاحد لها ولا حصر والعقول مضطربة والمطالب غامضة ومنازعات
الوهم والخيال غير منقطعة ولما حسن من بقرائط أن يقول في صناعة الطب العمر قصير
والصناعة طويلة والقضاء عسر والتجربة خطيرة فلان يحسن ذكره في هذه المطالب
العالية والمباحث الغامضة كان ذلك أولى فان قيل انكم حلتم قوله تعالى ولا يزالون
مختلفين على الاختلاف في الايمان فما الدليل عليه ولم لا يجوز أن يحمل على الاختلاف
في الالوان والالسنه والارزاق والاعمال قلنا الدليل عليه ان ما قبل هذه الآية هو قوله
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل هذا الاختلاف على ما يخرجهم من أن
يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية هو قوله الامن رحم ربك فيجب حمل هذا
الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه قوله الامن رحم ربك وذلك لبس الاما قلنا ثم
قال تعالى الامن رحم ربك اخرج أصحابنا بهذه الآية على أن الهداية والايمان لا تحصل
الا بتخليق الله تعالى وذلك لان هذه الآية تدل على أن زوال الاختلاف في الدين لا يحصل
الامن خصه الله برحمته وذلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسل
الرسول وازال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن
يقال تلك الرحمة هو انه سبحانه خلق فيه تلك الهداية والعرفه قال القاضي معناه الامن
رحم ربك بأن يصير من أهل الجنة والثواب فيرجه الله بالثواب ويحمل الامن رحمه الله
بالاطافه فصار مؤنثاً بالاطافه وتسهيله وهذان الجوابان في غاية الضعف (أما الاول)
فلان قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك يفيد أن ذلك الاختلاف انما زال بسبب
هذه الرحمة فوجب أن تكون هذه الرحمة جارية مجرى السبب المتقدم على زوال هذا
الاختلاف والثواب شيء متأخر عن زوال هذا الاختلاف فلا اختلاف جار مجرى
المتأخره ومجرى العلول فحمل هذه الرحمة على الثواب بعيد (وأما الثاني) وهو حمل هذه
الرحمة على الاطاف فتقول جمع الاطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة أيضاً
في حق الكافر وهذه الرحمة أمر اخص به المؤمن فوجب أن يكون شيئاً زائداً على تلك

وأما ما في صدره من الطغيان ١٩ خا والركون الى الدين ظلوا فليس في الاستهزاء منه مشقة فلا وجه لتعظيم الصلوة
اللهم الآن يراد به ما لا يمكن عادة خلق البشر عنه من أدنى ميل بحكم الطبيعة عن الاستقامة المأمور بها ومن يسره ميل بحكم
الشهوة الى ما لا يوجب له من المشقة فلا يفي (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي يوفيهما
أجوراً عالهما من غير خص أصلاً وبما عبر عن ذلك بنى الاضاعة مع أن عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا ولا الاعمال

سبحانه من القباح وازاز الاتابه في مرض الامور الواجبة عليه وانما بعد عن الصبر ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعطيل الامر بالصبر وفيه ايماء الى أن الصبر على ما ذكر من باب الاحسان (فلولا كان) فهلا كان (من القرون) الكائنة (من قبلكم) * ١٤٦ * على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض

صلته أو كائنة من قبلكم (أو لوبقية) من الرأى والعقل أو لأو لفضل وخبر سببها لان الرجل انما يستبق بما يخرج به عادة أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البتوى كائنية من القوى أى فهلا كان منهم ذوا بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيد أنه قرئ أولو ببقية وهى المرة من مصدر بقاء يبقيه اذا راقبه وانتظره اى أولو مراقبة وخشية من عذاب الله تعالى كأنهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم (ينهمون عن الفساد في الارض) الواقع منهم حسب ما حكى عنهم (الاقليلا ممن اتجينا منهم) استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم أنجيناهم لكونهم على تلك الصفة على أن من للبيان لا للبعض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصاً لأول البقية على النهى المذكور الاقليل من

الاطاف وأيضاً فحصول تلك الاطاف هل يوجب رجحان وجود الايمان على عدمه أو لا يوجب فأن لم يوجب كان وجود تلك الاطاف وعدمها بالنسبة الى حصول هذا المقصود سبباً فلم يك اطفا فيه وان أوجب الرجحان فقد بينا في الكتب العقلية انه متى حصل الرجحان فقد وجب وحينئذ يكون حصول الايمان من الله وبما سئل على أن حصول الايمان لا يكون الا بخلق الله انه عالم يتميز الايمان عن الكفر والعلم عن الجهل امتنع القصد الى تكوين الايمان والعلم وانما يحصل هذا الامتياز اذا علم كون أحد هذين الاعتقادين مطابقاً للمعتقد وكون الآخر ليس كذلك وانما يصح حصول هذا العلم ان لو عرف ان ذلك المعتقد في نفسه كيف يكون وهذا يوجب انه لا يصح من العبد القصد الى تكوين العلم بالشيء الا بعد ان كان عالماً وذلك يقتضى تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وهو محال فثبت ان زوال الاختلاف في الدين وحصول العلم والهداية لا يحصل الا بخلق الله تعالى وهو المطلوب ثم قال تعالى ولذلك خلقهم وفيه ثلاثة اقوال (القول الاول) قال ابن عباس وللرحمة خلقهم وهذا اختيار جمهور المعتزلة قالوا ولا يجوز أن يقال وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه (الاول) ان عود الضمير الى أقرب المذكورين أولى من عود الى أبعدهما وأقرب المذكورين ههنا هو الرحمة والاختلاف أبعدهما (والثاني) انه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الايمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه اذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف (الثالث) اذ افسرنا الآية بهذا المعنى كان مطابقاً لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان قيل لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال ولتلك خلقهم ولم يقل ولذلك خلقهم قلنا ان تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً فكان محمولا على الفضل والغفران كقوله هذا رحمة من ربى وقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين (والقول الثاني) ان المراد وللاختلاف خلقهم (والقول الثالث) وهو المختار انه خلق أهل الرحمة ولرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة ثلاثاً يختلفوا وأهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة لأهلها ولا وخلق النار لخلق لها أهلاً والذى يدل على صحة هذا التأويل وجوه (الاول) الدلائل القاطعة الدالة على أن العلم والجهل لا يمكن حصولهما في العبد الا بخلق الله تعالى (الثاني) أن يقال انه تعالى لما حكم على البعض بكونهم مختلفين وعلى الآخرين بأنهم من أهل الرحمة وعلم ذلك امتنع انقلاب ذلك والالزم انقلاب العلم جهلاً وهو محال (الثالث) انه تعالى قال بعده وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهذا نص صريح بان تعالى خلق أقواماً للهداية والجنة وأقواماً آخرين للضلالة والنار وذلك يقوى هذا التأويل * قوله تعالى (وكلانقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين

الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصالحاء منهم مریدا لاستثناء الصالحاء من المضمضين * من على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من التثنية اللازم للتخصيص فكأنه قيل ما كان من القرون أولو ببقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية (واتبع الذين ظلموا) بمباشرة الفساد وترك النهى عنه (ما أثر فوافيه) أى اتبعوا من الشهوات واهتموا

خبر بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرة الفساد في الظلم والأجرام عبارة (وكانوا مجرمين) أي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فساد الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك التمسك عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا واتبع الخ فيكون ﴿ ١٤٧ ﴾ العدول إلى المظهر لا دراج المباشر في معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم واللاشعار بعليّة ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترب على قوله الأقل لا إلى الأقل لا بمن أنجبتهم منهم فهو عن الفساد واتباع الذين ظلوا من مباشرة الفساد وتارك التمسك عنه فيكون الأظهار مقتضى الظاهر وقوله

وكانوا مجرمين عطف على أتروا أي اتبعوا الأتباع وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغبور بالآثام أو أريد بالأجرام اغفالههم للشكر وعلى اتبع أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ واتبع أي أتبعوا جرما أترؤا فتكون الواو للتحال ويجوز أن يفسر به الشهوة وبعضه تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى) أي ما صرح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكتها حسبا بلغك أنباؤها ويعلم من ذلك حال باقيهما من القرى الظالمة واللام لنا كيد النبي وقوله (يظلم) أي ملتبساً به

من القادة (أو لها) بتيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى وذلك لأن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وبلية فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة إذا عمت خفت فإذا سمع الرسول هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه (والقائدة الثانية) قوله وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وفي قوله في هذه وجوه (أحدها) في هذه السورة (وثانيها) في هذه الآية (وثالثها) في هذه الدنيا وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع وأعلم أنه لا يلزم من تخصص هذه السورة بمجيء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور في هذه السورة أكمل حالا مما ذكر في سائر السور ولولم يكن فيها الاقوله فاستقم كما أمرت لكان الأمر كما ذكرنا من أنه تعالى بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة الحق والموعظة والذكرى (أما الحق) فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة (وأما الذكرى) فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة (وأما الموعظة) فهي إشارة إلى التنفير عن الدنيا وتقيح أحوالها في الدار الآخرة والمذكورة لما هناك من السعادة والشقاوة وذلك لأن الروح إنما جاء من ذلك العالم إلا أنه لا يستغرقه في محبة الجسد في هذا العالم نسي أحوال ذلك العالم فالكلام الإلهي يذكره أحوال ذلك العالم فلهذا السبب صرح بطلاق لفظ الذكر عليه (ثم ههنا دقيقة أخرى عجبية) وهي أن المعارف الإلهية لا بد لها من قابل ومن موجب وقابلها هو القلب والقلب مالم يكن كاملا الاستعداد لقبول تلك المعارف الإلهية والتجليات القدسية لم يحصل الانتفاع بسماع الدلائل فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر إصلاح القلب وهو تثبيت الفؤاد ثم لما ذكر صلاح حال القابل أردفه بذكر الموجب وهو مجيء هذه السورة المستتلة على الحق والموعظة والذكرى وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة * قوله تعالى (وقل للذين لا يؤمنون اعلموا على مكاتبتكم أنا عاملون) وانتظروا أنامنتظرون والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) أعلم أنه تعالى لما بلغ الغاية في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب أتبع ذلك بأن قال للرسول وقل للذين لا يؤمنون ولم تؤثر فيهم هذه البيانات البالغة اعلموا على مكاتبتكم أنا عاملون وهذا عين ما حكاه الله تعالى عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه والمعنى أفعلوا كل ما تقدرون عليه في حق من الشرف فحين أيضا عاملون وقوله اعلموا وإن كانت صيغته صيغة الأمر إلا أن المراد منها التهديد كقوله تعالى لا يلبس واستغفر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وكن لهم في شاة فليؤمن ومن شاء فليكفر وانتظروا ما يعيدكم الشيطان من الحسد لأن فانا منتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع العقران والاحسان قال ابن عباس رضي الله عنهما وانتظروا الهلاك فانا منتظرون اككم

قبل هو حال من الفاعل أي ظالماتها والتكبير للتفخيم والإيدان بأن إهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصوره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والأفلاظلم فيما فعله الله تعالى به عباده كأنها ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وإن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى (وأهلها المصلحون) حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله أعنى بظلم

السببية أي لا يهلك القرى بسبب اشتراك أهلها بهم معصون يتعاطون الحق سبحانه بهم ولا يسمون إلى شربهم فساد البحر وولدت
لفرط رحته ومساحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراجم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى التي
المجيد وقيل الملك يتبع مع الشرك ولا يتبع مع الظلم وأنت تدري أن مقام ﴿ ١٤٨ ﴾ انتهى عن المنكرات التي أقبحها الأشراك

بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل
في الفساد في الأرض دخولا
أوليا ولذلك كان ينهى كل
من الرسل الذين قصت أنبأوهم
أمته أو لا عن الاشتراك عن
سائر المعاصي التي كانوا
يتعاطونها فالوجه حل الظلم
على مطلق الفساد الشامل
لشرك وغيره من أصناف
المعاصي وحل الإصلاح على
إصلاحه والإفلاح عنه يكون
بعضهم متصددين لتهنئته
وبعضهم متوجهين إلى الاعتناظ
غيره مصرين على ما هم عليه
من الشرك وغيره من أنواع
الفساد (ولو شأنا بك لجعل
الناس أمة واحدة) مجمعة
على الحق ودين الإسلام بحيث
لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن
لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين
على الحق (ولا زالون مختلفين)
في الحق أي مختلفين له كقوله
تعالى وما اختلف فيه إلا الذين
أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغير ما بينهم (المن رحمة ربك)
الاقوم ما قد هداهم الله تعالى
بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه
ولم يختلفوا فيه أي لم يختلفوه
وحله على مطلق الاختلاف

العذاب ﴿ ثم ﴾ انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة
فقال والله غيب السموات والأرض وأعلم أن مجموع ما يحتاج الإنسان إلى معرفته أمور
ثلاثة وهي الماضي والحاضر والمستقبل أما الماضي فهو أن يعرف الموجود الذي
كان موجودا قبله وذلك الموجود المتقدم عليه هو الذي نقله من العدم إلى الوجود وذلك
هو الإله تعالى وتقدس وأعلم أن حقيقة ذات الإله وكنهه هو به غير معلومة للبشر البتة
وانما العلوم للبشر صفاته ثم أن صفاته تسمان صفات الجلال وصفات الأكرام أما صفات
الجلال فهي سلوب كقولنا انه ليس بجوهر ولا جسم ولا كذا ولا كذا وهذه السلوب
في الحقيقة ليست صفات الكمال لأن السلوب عدم والعدم المحض والتبني الصرف
لا يكمل فيه فقولنا لا تأخذه سنة ولا نوم إنما أفاد الكمال لدلالته على العلم المحيط الدائم
المبرا عن التغير ولولا ذلك كان عدم النوم ليس يدل على كمال أصلا ألا ترى أن الميت
والجماد لا تأخذه سنة ولا نوم وقوله وهو يطعم ولا يطعم إنما أفاد الجلال والكمال
والكبرياء لأن قوله ولا يطعم يفيد كونه واجب الوجود لذاته غنيا عن الطعام والشراب
بل عن كل ما سواه فنثبت أن صفات الكمال والعز والعلوهي الصفات الثبوتية وأشرف
الصفات انشوتية الدالة على الكمال والجلال صفتان العلم والقدرة فلهذا السبب وصف
الله تعالى ذاته في هذه الآية بهما في معرض التعظيم والتثناء والمدح أما صفة العلم
فقوله والله غيب السموات والأرض والمراد أن علمه نافذ في جميع الكليات والجزئيات
والمعدومات والموجودات والحاضرات والغائبات وتام البيان والشرح في دلالة
هذا اللفظ على نهاية الكمال ما ذكرناه في تفسير قوله سبحانه وتعالى وعنده مفاتيح الغيب
لا يعلمها إلا هو وأما صفة القدرة فقوله واليه يرجع الأمر كله والمراد أن مرجع الكل
إليه وإنما يكون كذلك لو كان مصدر الكل ومبدأ الكل هو هو والذي يكون مبدأ
جميع الممكنات واليه يكون مرجع كل الحداثات والكائنات كان عظيم القدرة
نافذ المشيئة قهारा للعدم بالوجود والتحصيل جبارا له بالقوة والفعل والتكميل فهذان
الوصفان هما المذكوران في شرح جلال المبدأ ونعت كبريائه (والمرتبة الثانية) من
المراتب التي يجب على الإنسان كونه عالما بها أن يعرف ما هو مهم له في زمان حياته
في الدنيا وما ذلك الاتكامل النفس بالمعارف الروحية والجلال القلبية وهذه المرتبة
لهابدية ونهاية أما بدايتها فلا اشتغال بالعبادات الجسدانية والروحية أما العبادات
الجسدانية فأفضل الحركات الصلاة وأكمل السكنات الصيام وأنفع البر الصدقة
وأما العبادة الروحية فهي الفكر والتأمل في عجائب صنع الله تعالى في ملكوت
السموات والأرض كما قال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والأرض وأما نهاية هذه
المرتبة فلا انتهاء من الأسباب إلى مسببها وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات وتوجيه
حديقة العقل إلى نور عالم الجلال واستغراق الروح في أضواء عالم الكبرياء ومن وصل إلى

لشامل لما يصدر من الحق والمبطل بأبواب الاستثناء المذكورة (ولذلك) أي ولما ذكر من الاختلاف (خلقهم) أي هذه
الذين بقوا بعد الشياوهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للترجم فالضمير لمن واللام في معناها أولهما معا فالضمير للناس كافة
إلا لام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين (وتمت كلمة ربك) أي وعبدته أو قوله للبلائية (لا ملأ من جهنم من الجنة
الناس أجوعين) أي من عصائهم

تعالى (من أنباء الرسل) بيان لكلاوقوله تعالى (ماثبت به فؤادك) بدل منه والأظهر أن يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله تعالى ماثبت به فؤادك مفعول نقص وفأدته النبيه على ﴿ ١٤٩ ﴾ أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة

واحتياط أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال ومالتي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق (وبجاءك في هذه) السورة أو الأنباء المقصودة عليك (الحق) الذي لا يمجد عنه (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له باقرباس الى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقصودة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لبيان كون ذلك فيها لافي غيرها ولا عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترتبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل بتقديمه بتجاوب أطراف الظلم الكريم (وقل للذين لا يؤمنون) بهذا الحق

هذه الدرجة رأى كل ماسواء مهرولاتأتهاد في ساحة كبرياءه هالكا فانيا في فناء سناء أسمائه وحاصل الكلام أن أول درجات السبر الى الله تعالى هو عبودية الله وآخرها التوكل على الله فلهذا السبب قال فاعبده وتوكل عليه (والمرتبة الثالثة) من المراتب المهمة لكل عامل معرفة المستقبل وهو أنه يعرف كيف يصير حاله بعد انقضاء هذه الحياة الجسمانية وهل لاعماله أثر في السعادة والشقاوة واليه الاشارة بقوله تعالى وما ربك بفاقل عما تعملون والمقصود انه لا يضيع طاعات المطيعين ولا يهمل أحوال المتردين الجاحدين وذلك بأن يحضروا في موقف القيامة ويحاسبوا على التقير والقطمير ويعاتبوا في الصغير والكبير ثم يحصل عاقبة الامر فريق في الجنة وفريق في السعير فظهر ان هذه الآية وافية بالارشاد الى جميع المطالب العلوية والمقاصد القدسية وأنه ليس وراءها للعقول مرتقى ولا الخواطر منتهى والله الهادي للصواب تمت السورة بحمد الله وعونه وقد وجد بخط المصنف رضى الله عنه في النسخة المتعلقة منها تم تفسير هذه السورة قبل طلوع الصبح ليلة الاثنين من شهر رجب ختمه الله بالخير والبركة ستة احدى وستمائة وقد كان لي ولد صالح حسن السيرة فزوني في الغربة في عنفوان شبابه وكان قلبي كالمحترق لذلك السبب فانا أنشد الله اخواني في الدين وشركائي في طلب اليقين وكل من نظرت في هذا الكتاب وانتفع به أن يذكر ذلك الشاب بالرحمة والمغفرة وأن يذكر هذا المسكين بالدعاء وهو يقول ربنا لاتزعقلوبنا بعد اذ هدينا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*(سورة يوسف مائة واحدى عشرة آية مكية) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(التي آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقد ذكرنا في أول سورة يونس تفسير التلك آيات الكتاب الحكيم فقوله تلك اشارة الى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت اليك في هذه السورة المسماة الرهي آيات الكتاب المبين وهو القرآن وانما وصف القرآن بكونه مينا لوجوه (الاول) ان القرآن معجزة قاهرة وآية بيّنة لمحمد صلى الله عليه وسلم (والثاني) انه بين فيه الهدى والرشد والاحلال والحرام ولما بينت هذه الاشياء فيه كان الكتاب مينا لهذه الاشياء (الثالث) انه بينت فيه قصص الاولين وشرحت فيه أحوال المتقدمين ثم قال انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة بالفاظ عربية لتتمكنوا من فهمها ويفدروا على تحصيل المعرفة بها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على الكل

ولا يتعقلون به ولا يتذكرون (اعملوا على مكاتبتكم) على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان (انا عاملون) على حالتنا وهو الايمان به والانتعاض والتذكر به (وانتظروا) بنا الدوائر (انما نظرون) أن ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) ليرجع لامحالة أمرنا وأمرهم اليه وقرى على البناء للفاعل من رجوع رجوعا (فاعبده وتوكل عليه) فانه كاذبك والغاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى

وفري يعملون على تغليب المحاطب اى استهم يحازى لامتد ومنهم بموجب الاستحقاق * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام و بعدد من كتبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله * ١٥٠ * سبحانه وتعالى * (سورة يوسف عليه

السلام وهى مائة واحد
عشرة آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
(الر) الكلام فيه وفي محله
وفيمأريد بالاشارة والآيات
والكتاب في قوله تعالى (تلك
آيات الكتاب) عين ماسلف
في مطلع سورة بونس (المين)
من آيات بمعنى بان اى الظاهر
أمره في كونه من عند الله
تعالى وفي العجازه بنوعه
لا سيما الاخيار عن الغيب أو
الواضح معانيه للعرب بحيث
لا يشبه عليهم حقائقه
ولا يلتبس لديهم دقائقه
لنزوله على لغتهم أو بمعنى
بين اى المين لما فيه من الاحكام
والشرائع وخفايا الملك
والملكوت وأسرار التشاين
في الدارين وغير ذلك من الحكم
والمعارف والقصص وعلى
تقدير كون الكتاب عبارة
عن السورة فآياته انبأوه عن
قصة يوسف عليه السلام
فانه قد روى أن أحبار اليهود
قالوا رؤساء المشركين سلوا
محمد صلى الله عليه وسلم
لماذا انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف
عليه السلام ففعلوا ذلك

والبعض (المسئلة الثانية) احتج الجبائي بهذه الآية على كون القرآن مخلوقا من ثلاثة
أوجه (الاول) ان قوله انا أنزلناه يدل عليه فان القديم لا يجوز نزله وانزله وتحويله من
حال الى حال (الثاني) انه تعالى وصفه بكونه عربيا والقديم لا يكون عربيا ولا فارسيا
(الثالث) انه لما قال انا أنزلناه قرآنا عربيا دل على انه تعالى كان قادرا على ان ينزله لا عربيا
وذلك يدل على حدوثه (الرابع) ان قوله تلك آيات الكتاب يدل على انه مركب من
الآيات والكلمات وكل ما كان مركبا كان محدثا (والجواب) عن هذه الوجوه بأسرها
أن نقول انها تدل على ان المركب من الحروف والكلمات والالفاظ والعبارات محدث
وذلك لا نزاع فيه انما الذى ندعى قدمه شئ آخر فسط هذا الاستدلال (المسئلة الثالثة)
احتج الجبائي بقوله لعلمكم تعقلون فقال كلمة لعل يجب حملها على الجزم والتقدير
انا أنزلناه قرآنا عربيا لتعقلوا معانيه في أمر الدين اذ لا يجوز أن يرد بعلكم تعقلون
الشك لانه على الله محال فثبت ان المراد انه أنزله لارادة أن يعرفوا دلالة ذلك يدل على
انه تعالى أراد من كل العباد أن يعقلوا توحيده وأمر دينه من عرف منهم ومن لم يعرف
بخلاف قول المجبرة (والجواب) هب أن الأمر على ما ذكرتم الا أنه يدل على انه تعالى أنزل
هذه السورة وأراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولكن لم فتم اذها تدل على انه تعالى
أراد من الكل الايمان والعمل الصالح * قوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص
بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) روى سعيد بن جبيرة انه تعالى لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يتلو على قومه فقالوا يا رسول الله اوقصص علينا فترت هذه السورة فلا هاهنا عليهم
فقالوا لو حدثنا فنزل الله نزل أحسن الحديث كتابا فقالوا لو ذكرنا فنزل الله بان للذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله (المسئلة الثانية) القصص اتباع الخبر بعضها بعضها
وأصله في اللغة المتابعة قال تعالى وقالت لاخته قصصه أى اتبعي أثره وقال تعالى فارتدا
على آثارهما قصصا أى اتباعا وانما سميت الحكاية قصصا لان الذى يقصص الحديث يذكر
تلك القصة شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد
آية والقصص في هذه الآية يحتمل أن يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص يقال قص
الحديث قصه قصا وقصصا اذا طرده وساقه كما يقال أرسله رسله ارسالا ويجوز أن يكون
من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولك هذا قدرة الله تعالى أى مقدوره وهذا الكتاب علم
فلان أى معلومه وهذا رجاؤنا أى مرجونا فان جلنا على المصدر كان المعنى نقص عليك
أحسن الاقتصاص وعلى هذا التقدير فالحسن يعود الى حسن البيان لالى القصة
والمراد من هذا الحسن كون هذه الالفاظ فصيحة بالغة في الفصاحة الى حد الإعجاز
الأتري ان هذه القصة مذكورة في كتب النوارخ مع أن شيئا منها لا يشابه هذه السورة
في الفصاحة والبلاغة وان جلنا على المفعول كان معنى كونه أحسن القصص لما فيه

فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لمسايق ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف * من *
الذاتى محب ذلك بما يدل على الشرف الاضافى فقبل (انا أنزلناه) اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان
عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى (قرآنا عربيا) اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا التعت المتسارع
الى الفهم عند اطلاعهما فالامر ظاهر وان جعل

عبارته عن السورة فسميها قرأنا لما عرفته فيما شاف والسرى في ذلك أنه اسم جنس في قوله هل يقع على الكل والبعض كالكتاب أو لأنه مصدر بمعنى المفعول أي أنزلناه حال كونه مقرواً بلغتكهم (المحكم تعلقون) أي لكي تفهموا معانيه طرأوا بحيطوا بما فيه من البدائع خبراً وطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر (نحن نقص عليك) أي نخبرك ونحدثك واشتافه من قص أثره إذا تبعه لأن من يقص الحديث ﴿ ١٥١ ﴾ يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن لأنه يتبع ما

حفظ منه آية بعد آية (أحسن القصص) أي أحسن الاختصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع إيهام لما في اختصاص أهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتناء على ان فهمه من قوله عن وجل (بما أوحينا) أي بإيحائنا (اليك هذا القرآن) أي هذه السورة فإن كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصودا والتعرض لعنوان قرآنيها لتحقيق أن الاختصاص ليس بطريق الإلهام أو الوحي غير المتلو وأما لظهوره من سؤال المشركين بخلق علماء اليهود وأحسنته لأنه قد اقتصر على أبداع الطرائق الرائعة الرائقة وأعجب الأساليب الفاتنة اللائقة بالإكاد يخفى على من ظالم القصة من كتب الأولين والآخرين وأن كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا إيماء إلى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآننا عريباً أن يكون المراد بذلك المجموع فتأمل أو نقص عليك أحسن ما نقص من

من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها فإن إحدى الفوائد التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدر الله تعالى وأنه تعالى إذا قضى للإنسان خيراً ومكرمة فلو أن أهل العالم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه (والفائدة الثانية) دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان (والفائدة الثالثة) أن الصبر مفتاح الفرج كما في حق يعقوب عليه السلام فانه لما صبر فاز بمقصوده وكذلك في حق يوسف عليه السلام فأما قوله بما أوحينا اليك هذا القرآن فالعنى بوحينا اليك هذا القرآن وهذا التقدير أن جعلنا ما مع الفعل بمنزلة المصدر ثم قال وان كنت من قبله يريد من قبل أن نوحى اليك لمن العاقلين عن قصة يوسف واخوته لأنه عليه السلام انما علم ذلك بالوحي ومنهم من قال المراد انه كان من العاقلين عن الدين والشريعة قبل ذلك كما قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴿ قوله تعالى ﴾ (اذ قال يوسف لايه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) تقدير الآية اذكر اذ قال يوسف قال صاحب الكشف الصحيح أنه اسم عبراني لانه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف وقرأ بعضهم يوسف بكسر السين ويوسف بفتحها أو يضاروى في يونس هذه اللغات الثلاث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذ قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام (المسئلة الثانية) قرآن عامر يأتى بفتح التاء في جميع القرآن والباقيون بكسر التاء أما لفتح فوجهه أنه كان في الاصل يأتى على سبيل التذنية فحذفت الالف والهاء وأما الكسر فأصله يأتى فحذفت الباء واكتفى بالكسرة عنها ثم أدخل هاء الوقف فقال يأتى ثم كثر استعماله حتى صار كأنه من نفس الكلمة فادخلوا عليه الاضافة وهذا قول أغلب وابن الانبارى واعلم أن التحويل بين طولوا في هذه المسئلة ومن أراد كلامهم فليطالع كتبهم (المسئلة الثالثة) ان يوسف عليه السلام رأى في المنام أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت له وكان له أحد عشر نفرا من الاخوة ففسر الكواكب بالاخوة والشمس والقمر بالاب والام والسجود بتواضعهم له ودخولهم تحت أمره وانما حملنا قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا على الرؤيا اوجهين (الاول) أن الكواكب لا تسجد في الحقيقة فوجب حمل هذا الكلام على الرؤيا (والثاني) قول يعقوب عليه السلام لا تنقص رؤياك على اخوتك وفي الآية سوالات (السؤال الاول) قوله رأيتهم لي ساجدين فقوله ساجدين لا يليق الا بالعقلاء والكواكب جادات فكيف جازت اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق المجادات قلنا ان جباة من الفلاسفة الذين يزعمون أن الكواكب احياء ناطقة احتجوا بهذه الآية وكذلك احتجوا بقوله تعالى وكل في فلك يسبحون والجمع بالواو والنون مختص بالعقلاء وقال الواحدى انه تعالى لما وصفها بالسجود صارت كأنها تعقل فأخبر عنها كما يخبر

الانبياء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كأنها واخبر أو مصدر سمي به المفعول كالحلق والصيد ونصب أحسن على المفعولية وأحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه (وان كنت) ان مخففة من التثنية وضمير الشأن الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشأن كنت (من قبله) من قبل الحائنا اليك هذه السورة (لن العاقلين) عن هذه القصة لم تحظر بالكل ولم تفرع سمك

نصه باخبار اذ كرو و شروع في القصة انجاز الوعد باحسن الاقتصار او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بـ
اشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصود ويوسف اسم عبري لا عربي
خلوه عن سبب آخر غير التبريف وقبح السين وكسر ها ١٥٢ ﴿ على بعض القراءات بناء على التعلب به لا على أنه مضارع

بني للفعول أو الفاعل من أسف
لشهادة المشهورة بعجمته
(لايه) يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام وقد روى عنه عليه
السلام ان الكريم بن الكريم
بن الكريم بن يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم (يا بتي) أصله يا بتي
فعوض عن الياء ثانياً ثانياً
لتناسبها في الزيادة فلذلك
قلبت ها في الوقف على قراءة
ابن كثير وأبو عمرو يعقوب
وكثرها لأنها عوض عن حرف
يناسبها وقبحها ابن عامر
في كل القرآن لأنها حركة
أصلها أو لان الأصل يا بتي
فحذف الالف وبقي القحظة وانما
لم يحذف يا بتي لانه جمع بين العوض
والمعوض وقرئ بالضم اجراء
لها مجرى الالفاظ المؤنثة باناء
من غير اعتبار التوحيض
وعدم تسكينها كأصلها
لأنها حرف صحيح مغل
منه الاسم فيجب سحر بكها
ككاف الخطأ (اني رأيت)
من الرويا لامن الروية لقوله
لا تقصص رؤياك هذا تاويل
روياي ولان الظاهر أن وقوع

عن يعقل كما قال في صفة الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وكافي قوله يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم (السؤال الثاني) قال اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس
والقمر ثم أعاد اللفظ الرويا مرة ثانية وقال رأيتهم لي ساجدين فالقائدة في هذا التكرير
(الجواب) قال القفال رحمه الله ذكر الروية الأولى لتدل على أنه شاهد الكواكب
والشمس والقمر والثانية لتدل على مشاهدته كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال
اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له كيف رأيت فقال رأيتهم
لي ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحدهما من الروية والآخر من الرويا وهذا
القول لم يبين ان أيهما يحمل على الروية وأيها على الرويا فذكر قولاً بجملاً غير مبين
(السؤال الثالث) لم أخرج الشمس والقمر فلنا أخرهما لفضلهما على الكواكب لان
التخصيص بالذكور يدل على مزيد الشرف كافي قوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال
(السؤال الرابع) المراد بالسجود نفس السجود أو التواضع كما في قوله
تري الا كم فيه سجدا للحوافر * قلنا كلا هما محتمل والاصل في الكلام حله على حقيقته
ولا مانع أن يرى في المنام أن الشمس والقمر والكواكب سجدت له (السؤال الخامس)
متى رأى يوسف عليه السلام هذه الرويا قلنا لا شك أنه رآها حال الصغر فاما ذلك الزمان
بعينه فلا يعلم الا بالاخبار قال وهب رأى يوسف عليه السلام وهو ابن سبع سنين أن إحدى
عشرة عصا طولا كان مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة وثبت عليها
حتى ابتلتها فذكر ذلك لايه فقال اياك أن تذكر هذا اخوتك ثم رأى وهو ابن ثلثي عشرة
سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال لا تذكرها لهم فيكيدوا
لك كيدا وقيل كان بين روبا يوسف ومصير اخوته اليه أربع سنين وقيل ثمانون سنة
واعلم أن الحكماء يقولون ان الرويا الرديئة يظهر تعبيرا عن قريب والرويا الجيدة انما
يظهر تعبيرا بعد حين قالوا والسبب في ذلك أن رحمة الله تقتضي أن لا يحصل الاعلام
بوصول الشرا لا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخير فانه
يحصل مقدما على ظهوره بزمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول
ذلك الخيرا أكثر وأنتم (السؤال السادس) قال بعضهم المراد من الشمس والقمر أبوه
وخاتنه فالسبب فيه قلنا انما قالوا ذلك من حيث ورد في الخبر أن والدته توفيت وما دخلت
عليه حال ما كان بمصر قالوا ولو كان المراد من الشمس والقمر أباه وأمه لما ماتت لان
رويا الانبياء عليهم السلام لا بد وأن تكون حيا وهذه الحجة غير قوية لان يوسف عليه
السلام ما كان في ذلك الوقت من الانبياء (السؤال السابع) وما تلك الكواكب
قلنا روى صاحب الكشف أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد
أخبرني عن النجوم التي رأى يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل جبريل
عليه السلام وأخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا يهودي ان أخبرتك هل تسلم

مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يخص بروية راه دون راه فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس ﴿ قال ﴿
(أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضي الله عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله عليه وسلم فقال أخبرني
يا محمد عن النجوم التي رأى يوسف فسكت النبي عليه السلام فقل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال
عليه السلام اذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال عليه السلام جريان والطارق

والسبل والمطير والشمس والقمر والفرغ والناب وذو النكبين رها يوسف عليه السلام والشمس
القمر زلن من السماء وسجد له فقال اليهودي اى والله انها الاسماء وها قيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وحالته والكواكب
اخوته وانما آخر الشمس والقمر عن الكواكب لظاهر من يتمها وشرفهما على سائر الطوالع يعطفها عليهما كما في عطف
جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ﴿١٥٣﴾ وقد جوز ان تكون الواو بمعنى أى رأيت الكواكب مع

الشمس والقمر ولا يبعد
أن يكون ذلك إشارة إلى
تأخر ملاقاته عليه السلام
للمهاجرين ملاقاته لآخوته
وعز وحب أن يوسف

عليه السلام رأى وهو
ابن سبع سنين أن احدى
عشرة عصا طوا الا كانت
مركوزة في الارض

كهية الدارة واذا عصا
صغيرة تذب عليها حتى
اقلعنها وغلبتها
فوصف ذلك لا يسهل

فقال اياك أن نذكر
هذا الاخوتك ثم رأى وهو
ابن ثنتي عشرة سنة
لشمس والقمر والكواكب

أَبِيهِ فَقَالَ لَا تَقْعُهَا عَلَيْهِمْ
فِي غَوَاكِ الْغَوَاثِلِ وَقَبْلَ
كَانَ بَيْنَ رُؤْيَا يَوْسُفَ

اربعون سنة وقيل ثمانون
(رايتهم لى ساجدين)
استثناف بيان حالهم
الذراءهم عليها كائن

سائلًا سأل فقال كيف
رأيتهم فأجاب بذلك
وانما أجريت مجرى
المجرو ولاظهار العناية

قال نعم قال جريان والطارق والذئبال وقابس وعمودان والغلبى والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذوالكتفين زهايا يوسف والشمس والقمر نزلت من السماء وسجدت له
فقال اليهودى اى والله انها الاسماؤها واعلم ان كثيرا من هذه الاسماء غير مذكور
في الكتب المصنفة في صورة الكواكب والله اعلم بحقيقة الحال * قوله تعالى (قال يا بنى
لاتمصر روثاك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدومين وكذلك
يحجيتك ربك ويعلك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى اليعقوب كما أنعمها
على ابوك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) قرأ حفص يابى بن قحطية بالياء والباقيون بالكسر (المسئلة الثانية)
ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده اخوته لهذا
السبب وظهر ذلك المعنى ليعقوب عليه السلام بالامارات الكثيرة فلما ذكر يوسف
عليه السلام هذه الرويا وكان تأويلها ان اخوته وأبويه يتخضعون له فقال
لاتخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها فيكيدوا لك كيدا (المسئلة الثالثة) قال
الواحدى الرويا مصدر كالتبشرى واليقيا والنبيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا
المخجل في المنام جرى مجرى الاسماء قال صاحب الكشف الرويا بمعنى الروية الا انها
مختصة بما كان منها فى المنام دون النقطة فلا جرم فرق بينهما جرم فى التأنيث كما قيل القرية
والقرى وقرى رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمم الكسائي يقرأ بك رؤياك بالادغام وضم
الراء وكسرها وهى ضعيفة ثم قال تعالى فيكيدوا لك كيدا وهو منصوب باضمار ان والمعنى
ان قصصنا عليهم كادوك فان قيل فلم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى قلنا هذه اللام
تأكيدها لك قوله الرؤيا تبصرون وكهولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك
وقيل هى من صلة الكيد على معنى فيكيدوا كيدالك قال اهل التحقيق وهذا يدل على أنه
قد كان لهم علم بتعبرال رؤيا والام يعلموا من هذه الرويا ما يوجب حقا وغضبا ثم قال ان
الشيطان للانسان عدومين والسبب فى هذا الكلام انهم لو اقدموا على الكيد لكان
ذلك مضافا الى الشيطان ونظيره قول موسى عليه السلام هذان عمل الشيطان ثم ان
يعقوب عليه السلام قصد هذه النصيحة تعبر تلك الرويا وذكر أمورا (أولها) قوله وكذلك
يحجيتك ربك يعنى وكما اجبتك بمثل هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شان
كذلك يحجيتك لامر عظام قال الزجاج الاجنباء مشتق من جيت الشيء اذا خلصته
لنفسك ومنه جيت الماء فى الحوض واختلفوا فى المراد بهذا الاجتبا فقال الحسن
يحجيتك ربك بالنبوة وقال آخرون المراد منه اعلام الدرجة وتعظيم المرتبة فاما تعيين
النبوة فلا دلالة فى اللفظ عليه (وثانيها) قوله ويعلك من تأويل الاحاديث وفيه وجوه
(الاول) المراد منه تعبر الرويا سماء تأويلها لانه يؤل أمره الى ما رآه فى المنام يعنى تأويل
أحاديث الناس فيما يرى منه فى منامهم قالوا انه عليه السلام كان فى علم التعبراية

العقلاء في الضمير لو صفها بوصف ﴿ ٢٠ ﴾ خا العقلاء أعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لإظهار الغاية والاهتمام بما هو الأهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة (قال ياني) صغره للشقة أولها ولصغر السن وهو أيضا استئناف مبني على سؤال من قال فإذا قال يعقوب بعد سماع هذه الروايات العجيبة والمعارف يعقوب عليه السلام من

هذه الرواية أن يوسف بن عبد الله تعالى قال في كتابه الحكيم في مصطفية النبوة: ويحكم عليه بطريق الدار من كاضل في كرامته
الكرام حافى عليه حسد الاخوة وبغيرهم فقال صيانة لهم من ذلك ومن المشاق ومقاساة الاحزان وان كان وانما
بأن الله تعالى سمح في ذلك لا بحالة وطعم في حصوله بلا مشقة (لا يفسر رويك) هي مافي المنام كأن الرواية مافي العقلة
فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القرني والقربة ١٥٤ وحقيقتهما ارتسام الصورة المنحدرة من أفق المخيلة الى

الحسن المشترك والصادقة
منها ان تكون باتصال
النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن أدنى فراغ
فتصور بما فيها مما يليق
من المعاني الحاصلة هناك
ثم ان المخيلة تحاكيه
بصورة تناسبه فترسلها
الى الحسن المشترك فتصير
مشاهدة ثم اذا كانت
شديدة المناسبة لذلك
المعنى بحيث لا يكون
التفاوت الا بالكلية
والجبرية استغنت الروايات
عن التعبير والاحتاجت
اليه (على اخوتك
فيكيدوا) نصب باضمار
أن أي فيفعلوا (لك) أي
لا جلك ولا هلاكك
(كيدا) متبادرا استحال لا تقدر
على التصفي عنه وأخفا
عن فهمك لاتصدي
لمدافعته وهذا أوفق
بمقام التحذير وان كان
يعقوب عليه السلام يعلم
أنهم ليسوا بقادرين
على تحويل مادلت الروايات
على وقوعه وهذا

(والثاني) تأويل الاحاديث في كتب الله تعالى والاعبار المروية عن الانبياء المتقدمين
كما ان الواحد من علماء زماننا يشغل بتفسير القرآن وتأويله وتأويل الاحاديث المروية
عن الرسول صلى الله عليه وسلم (والثالث) الاحاديث جمع حديث والحديث هو الحادث
وتأويلها ما لها وما ل الحوادث الى قدرة الله تعالى وتكوينه وحكمته والمراد من
تأويل الاحاديث كيفية الاستدلال بأصناف المخلفات الروحية والجسمانية على قدرة
الله تعالى وحكمته وجلالته (وثالثها) قوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب واعلم أن
من فسر الاجتناب بالنبوة لا يمكنه أن يفسر اتمام النعمة ههنا بالنبوة أيضا والازم
التكرار بل يفسر اتمام النعمة ههنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات
الدنيا فلا كثر من الاولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والحنم واجلاله
في قلوب الخلق وحسن الشاء والحمد وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق
الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى وأما من فسر الاجتناب بنيل الدرجات العالية
فههنا يفسر اتمام النعمة بالنبوة ويتأكد هذا بامور (الاول) ان اتمام النعمة عبارة
عما به نصير النعمة تامة كاملة خالية عن جهات النقصان وما ذاك في حق البشر الا بالنبوة
فان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة الى كمال النبوة فالكمال
المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة (والثاني) قوله كما أنهم على أبيك من
قبل ابراهيم واسحق ومعلوم أن النعمة التامة التي بهما حصل امتياز ابراهيم واسحق
عن سائر البشر ليس الا بالنبوة فوجب أن يكون المراد باتمام النعمة هو النبوة واعلم انما
فسرنا هذه الآية بالنبوة لزم الحكم بأن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء وذلك لانه قال ويتم
نعمته عليك وعلى آل يعقوب وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب فلما كان
المراد من اتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا
أبناءه فوجب أن يبقى معمولا به في حق أولاده وأيضا ان يوسف عليه السلام قال اني
رأيت أحد عشر كوكبا وكان تأويله أحد عشر نفسا لهم فضل وكال ويستضيء بعلمهم
ودينهم أهل الارض لانه لاشئ أضوأ من الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضي أن يكون
جلة أولاد يعقوب أنبياء ورسلا فان قيل كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد قدموا على
ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام قلنا ذاك وقع قبل النبوة وعندنا العصمة انما
تعتبر في وقت النبوة لا قبلها (القول الثاني) أن المراد من قوله ويتم نعمته عليك خلاصه
من المحن ويكون وجه التشبيه في ذلك بابراهيم واسحق عليهما السلام هو انعام الله تعالى
على ابراهيم بانجائه من النار وعلى ابنه اسحق بخليصه من الذبح (والقول الثالث) أن
اتمام النعمة هو وصل نعمة الله عليه في الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم في الدنيا أنبياء
وملوكا ونفلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة واعلم أن القول الصحيح هو الاول لان
النعمة التامة في حق البشر ليست الا بالنبوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة اليها ثم انه

الاسلوب أكد من أن يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا لا ابتغاء وقد قيل عليه
انما جئ باللام لتضمينه معنى الاحتيال التعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد أي فيحتالوا لك ولا هلاكك خيلة
فيكيدوا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم

بمؤلفه الاحد عشر وهم يهوذا وزو بيل وشمعون ولاوى وريالون ويهوذا وبنو يعقوب من ليا التي بنى له
 ودان ونفثالي وجادواش بنوه من سرتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر وامانيلعين
 الذى هو شقيق يوسف عليه السلام واهم سراجيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اخنها ليا اوفى
 حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذذاك محرما فبلغن ١٥٥ * بداخل تحت هذا النهى اذ لا يتوهم مضمرته ولا يتخشى

معرته ولم يكن معدودا
 معهم في الرؤيا اذ لم يكن
 معهم في السجود ليوسف
 والمراد نهيه عن
 اقتصاص الرؤيا عليهم
 كلا أو بعضا (ان
 الشيطان للانسان عدو
 مبين) ظاهر العداوة
 فلا يلاو جهدا في اغواء
 اخوتك واضلالهم
 وحلهم على ما لا خير
 فيه وهو استئناف كأن
 يوسف عليه السلام
 قال كيف يصدر ذلك
 عن اخوتي الناشئين
 في بيت النبوة فقبل ان
 الشيطان يحلهم على
 ذلك ولما نهى عليها
 السلام على ان رؤياه
 شأن عظيم يستتبع منافع
 وحذره اشاعتها المؤدبة
 الى أن يحول اخوته بينها
 وبين ظهور آثارها
 وحصولها أو يوعروا
 سبيل وصولها شرع
 في نصيرها وتأويلها
 على وجه اجالي فقال
 (وكذلك) أى ومثل
 ذلك الاجتهاد البديع
 الذي شاهدت آثاره

عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله ان بك عليم حكيم قوله
 عليم اشارة الى قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله حكيم اشارة الى أن الله تعالى
 مقدس عن السفه والعيب لا يوضع النبوة الا في نفس قدسية وجوهرة مشرقة علوية فان
 قبل هذه البشارات التي ذكرها يعقوب عليه السلام هل كان قاطعا بمصحتها أم لا فان كان
 قاطعا بمصحتها فكيف حزن على يوسف عليه السلام وكيف جاز أن يشتبه عليه أن الذنب
 أكله وكيف خاف عليه من اخوته أن يهلكوه وكيف قال لاختوته وأخاف أن يأكله
 الذنب وأنتم عنه غافلون مع علمه بأن الله سبحانه سيحببه ويجعله رسولا فاما اذ قلنا انه عليه
 السلام ما كان عالما بمصحة هذه الاحوال فكيف قطع بها وكيف حكم بوقوعها حكما جازما
 من غير تردد قلنا لا يبعد أن يكون قوله وكذلك يجتنبك ربك مشروطا بأن لا يكدوه لان
 ذكر ذلك قد تقدم وأيضاف تقدير أن يقال انه عليه السلام كان قاطعا بأن يوسف عليه
 السلام سيصل الى هذه المناصب الا أنه لا يمنع أن يقع في المضايق الشديدة ثم يخلص منها
 ويصل الى تلك المناصب فكان خوفه لهذا السبب ويكون معنى قوله وأخاف أن يأكله
 الذنب الزجر عن التهاون في حفظه وان كان يعلم أن الذنب لا يصل اليه * قوله تعالى (لقد
 كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى ابينا منا ونحن
 عصبة ان أبانا في ضلال مبين) في هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر صاحب
 الكشف أسماء اخوة يوسف يهوذا وريال وشمعون ولاوى وريالون يشجر دينسة
 دان نفثالي جادواش ثم قال السبعة الاولون من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة
 الآخرون من سرتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له
 بنيامين ويوسف (المسئلة الثانية) قوله آيات للسائلين قرأ ابن كثير آية بغير ألف حله على
 شأن يوسف والباقيون آيات على الجمع لان أمور يوسف كانت كثيرة وكل واحد منها آية
 بنفسه (المسئلة الثالثة) ذكروا في تفسير قوله تعالى آيات للسائلين وجوها (الاول) قال ابن
 عباس دخل حبر من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع منه قراءة يوسف فعاد الى
 اليهود فاعلمهم أنه سمعها منه كما هي في التوراة فانطلق نفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له من
 علمك هذه القصة فقال الله علمني فتردد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وهذا الوجه
 عندي بعيد لان المفهوم من الآية ان في واقعة يوسف آيات للسائلين وعلى هذا الوجه
 الذي نقلناه ما كانت الآيات في قصة يوسف بل كانت الآيات في اخبار محمد صلى الله عليه
 وسلم عنها من غير سبق تعلم ولا مطالعة وبين الكلامين فرق ظاهر (والثاني) ان أهل مكة
 أكثرهم كانوا أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتكرون نبوته ويظهرون
 العداوة الشديدة معه بسبب الحسد فدكر الله تعالى هذه القصة وبين أن اخوة يوسف
 بالغوا في ايذائه لاجل الحسد وبالاخرة فان الله تعالى نصره وقواه وجعلهم تحت يده
 ورايته ومثل هذه الواقعة اذا سمعها العاقل كانت زاجرة له عن الاقدام على الحسد

في عالم المثال من سجد تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وفقه (يجتنبك ربك) يختارك لجناب كبريائه
 ويستنبوك اقتضال من جباه اذ اجتمع ويصطفيك على أشرف الخلائق وسرة الناس قاطبة ويزر مصداق
 تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسب ما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور
 الربية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا وأشباحا له من

لكن ان كان الظاهر بحسبها في عالم الشهادة **الحج** حجتك تلك الاجرام المقام بغيرك وبهوا اقباش وقاهم من
مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة وعزاده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما يصرح به حذرا
من اذاغته (ويطك) كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطير
نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتأويل (١٥٦) كانه قال وهو بملك (من تأويل الاحاديث)

أى ذلك الجنس من العلوم أو طرفا صالحا منه فنطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبست على تلقى ما سياتى بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الرويا اذهى احاديث الملك ان كانت صادقة أو احاديث النفس أو الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كالباطيل اسم جمع للباطل لاجمع أحداثته وقيل كانتهم جمعوا حديثا على أحدثه ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطع وأقطعة وافاطيع وقيل هو تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تأويلا لانه جعل المرئ آنالا الى ما يذكره المعبر يصدد التعبير ورجعه اليه فكأنه عليه

(والثالث) ان يعقوب لما عبر رؤيا يوسف وقع ذلك التعبير ودخل في الوجود بعد ثمانين سنة فكذلك ان الله تعالى لما وعد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنصر والظفر على الاعداء فاذا تأخر ذلك الموعود مدة من الزمان لم يدل ذلك على كون محمد عليه الصلاة والسلام كاذبا فيه فذكر هذه القصة نافع من هذا الوجه (الرابع) ان اخوة يوسف بالقوا في ابطال أمره ولكن الله تعالى لما وعد بالنصر والظفر كان الامر كما قدره الله تعالى لا كما سعى فيه الاعداء فكذلك واقعة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله لما ضمن له اعلاء الدرجة لم يضره سعي الكفار في ابطال أمره وأما قوله للسائلين فاعلم ان هذه القصة فيها آيات كثيرة لمن سأل عنها ولن لم يسأل عنها وهو قوله تعالى في أربعة أيام سواء للسائلين ثم قال تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أينا منا ونحن عصبة وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبة لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وانما قالوا أخوه وهم جميعا اخوة لان أمهما كانت واحدة والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سمو بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ونقل عن علي رضي الله عنه انه قرأ ونحن عصبة بالنصب قبل معناه ونحن بمجتمع عصبة (المسئلة الثانية) المراد منه بيان السبب الذي لاجله قصدوا اذياد يوسف وذلك ان يعقوب كان يفضل يوسف وأخاه على سائر الاولاد في الحب وانهم تأذوا منه لوجوه (الاول) انهم كانوا أكبر سنًا منهما (وثانيها) انهم كانوا أكثر قوة وأكثر قياما بمصالح الاب منهما (وثالثها) انهم قالوا ان نحن القائمون بدفع المفاسد والافات والمستغلون بتحصيل المنافع والخيرات اذا ثبت ما ذكرناه من كونهم مقدمين على يوسف وأخيه في هذه الفضائل ثم انه عليه السلام كان يفضل يوسف وأخاه عليهم لاجرم قالوا ان ابانا في ضلال مبين يعني هذا كيف ظاهر وضلال بين وهما سوا الات (الاول) ان من الامور المعلومه ان تفضيل بعض الاولاد على بعض يورث الحقد والحسد ويورث الافات فلما كان يعقوب عليه السلام عالما بذلك فلم يقدم على هذا التفضيل وايضا الاسن والاعلم والانفع أفضل فلم قلب هذه القضية (والجواب) انه عليه السلام ما فضلهم على سائر الاولاد الا في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم (السؤال الثاني) ان اولاد يعقوب عليه السلام ان كانوا قد آمنوا بكونه رسولا لحقمان عند الله تعالى فكيف اعترضوا عليه وكيف زيفوا طريقته وطعنوا في فعله وان كانوا مكذبين لنبوته فهذا يوجب كفرهم (والجواب) انهم كانوا مؤمنين بنبوته أبيهم مفرين بكونه رسولا حقا من عند الله تعالى الا انهم اعلمهم جوزوا من الانبياء عليهم السلام ان يفعلوا افعالا مخصوصة بمجرّد الاجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أبيهم في ذلك الاجتهاد وذلك لانهم كانوا يقولون هما صبيان ما بلغا العقل الكامل ونحن مقدمون عليهم في السن والعقل والكفاية والمنفعة وكثرة الخدمة والقيام بالمهمات واصرارهم على

الصلاة والسلام أشار بذلك الى ما سبق من يوسف عليه السلام من تعبير رؤيا صاحبي السجن **تقديم** ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها بانتماء النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه من جهة الوحي أو اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور أمره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ أن

لأن معرفته عليه السلام لذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والامارات والمجاملات من وقته
 لله تعالى لئلا يظن هذا الروي لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل أمثالها وتمييز ما هو آفاق منها وما هو أنفسي كيف لا وهي
 بل على كمال يمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك
 مالمو بما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها ﴿ ١٥٧ ﴾ في عالم الشهادة وأقوى وقوفا على النسب الواقعة بين

الصور المعانية في أحد
 ذينك العالمين وبين
 الكائنات الظاهرة على
 وفقها في العالم الآخر
 وأن هذا الشأن البديع
 لا بد أن يكون انموذجا
 لظهور أمر من انصف
 به ومدار الجريان أحكامه
 فان لكل نبي من الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام
 معجزة بها تظهر آثاره
 ونجى أحكامه (و يتم
 نعمته عليك) بأن يضم
 الى النبوة المستفادة
 من الاجتهاد الملك ويجعله
 تنماتها وتوسط ذكر
 التعليم المذكور بينهما
 لكونه من لوازم النبوة
 والاجتهاد ولرباطة ترتيب
 الوجود الخارجي ولما
 أشرنا اليه من كون
 أثره وسيلة الى تمام النعمة
 ويجوز أن يعد نفس
 الروي من نعم الله تعالى
 عليه فيكون جميع النعم
 الواصلة اليه بحسبها
 مصداقها تمام تلك
 النعمة (وعلى آل
 يعقوب) وهم أهله

تقديم يوسف علينا يخالف هذا الدليل وأما يعقوب عليه السلام فقلعه كان يقول زيادة
 المحبة ليست في الوسع والطاقة فليس لله على فيه تكليف وأما تخصيصهما بمنزلة البر
 فيحتمل انه كان لوجوه (أحدها) ان أمهما ماتت وهما صغار (وثانيها) لانه كان يرى
 فيه من آثار الرشد والتجاية مالم يجد في سائر الاولاد (وثالثها) لعله عليه السلام وان كان
 صغيرا الا انه كان يتخدم أباه بأشرف أنواع من الخدم وأشرف وأعلى مما كان يصدر عن سائر الاولاد
 والحاصل ان هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل النفس وموجبات الفطرة
 فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الحصين في دين الآخر أو في عرضه
 (السؤال الثالث) انهم نسبوا أباهم الى الضلال المبين وذلك مباغضة في الذم والطعن ومن
 بانع في الطعن في الرسول كثر لاسيما اذا كان الطاعن ولدا فان حق الابوة يوجب مزيد
 التعظيم (والجواب) المراد منه الضلال عن رعاية المصالح في الدنيا لا البعد عن طريق
 الرشد والصواب (السؤال الرابع) ان قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبنائنا من محض
 الحسد والحسد من أهيات الكبار لاسيما وقد أقدموا على الكذب بسبب ذلك الحسد
 وعلى تضییع ذلك الاخ الصالح وإقائه في ذل العبودية وتبعيده عن الاب المشفق وألقوا
 أباهم في الحزن الدائم والأسف العظيم وأقدموا على الكذب فابقيت خصلة مدمومة
 ولا طريق في الشر والفساد الا وقد أتوا بها وكل ذلك بقدر في العصمة والنبوة
 (الجواب) الامر كما ذكرتم الا ان الاعتبار عندنا عصمة الانبياء عليهم السلام في وقت
 حصول النبوة وأما قبلها فذلك غير واجب والله أعلم * قوله تعالى (اقتلوا يوسف
 أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم
 لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين) واعلم انه لما
 قوى الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل الا بأحد
 طريقين القتل أو التعريب الى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر
 يلبسه الحاسد أعظم من ذلك ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم يخل لكم وجه أبيكم والمعنى
 ان يوسف شغله عنا وصرف وجهه اليه فاذا فقدناه أقبل علينا بالليل والمحبة ونكونوا من
 بعده قوما صالحين وفيه وجوه (الاول) انهم علموا ان ذلك الذي عزموا عليه من الكبار
 فقالوا اذا فعلنا ذلك تنال الله ونصير من القوم الصالحين (والثاني) انه ليس المقصود
 ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند أبيكم ويصير أوبكم محبا لكم مشتغلا بشأنكم
 (الثالث) المراد انكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تنفرون لاصلاح مهمم فاذا
 زالت هذه الوحشة تفرغتم لاصلاح مهماتكم واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر
 بالقتل من كان على قولين (أحدهما) ان بعض اخوته قال هذا (والثاني) انهم شاوروا
 أجنبيا فأشار عليهم بقتله ولم يقل ذلك أحد من اخوته فأما من قال بالاول فقد اختلفوا
 فقال وهب انه شمعون وقال مقاتل روييل فان قيل كيف يليق هذا بهم وهم أنبياء قلنا من

من بنيهم وغيرهم فان رؤيت يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بأنوارها من نعم الله تعالى عليهم
 لدلائلها على مصير أمرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك
 النعمة لا بحالة وأما اذا أريد بتمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار أنهم

يا صبي الذي يحيا بان مداد عبيد احواله ليوسف من الطرفين الابرى الى انهم قبيحاً شتموا باخراج يوسف من ابيهم
من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف (أحب الى أينما) وحدا الخبر مع تعدد البتة لان أفضل من كذا لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الخفيف جاز الامر ان وقائدة لام
الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده ﴿ ١٦٠ ﴾ (ونحن عصبه) أي والحال أنا بحاجة قادرون

على الحل والعقد أحقاه
باصحة والعصبه والعصابة
العشرة من الرجال
فصاعدا سمو بذلك
لان الامور تعصب بهم
(ان أبانا) في ترجيحهما
علينا في المحبة مع فضلهما
عليهما وكونهما يعزل
من كفاية الامور بالصغر
والقلة (لن ضلال)
أي ذهاب عن طريق
التعديل اللائق وتنزيل
لن ممازله (مبين) ظاهر
لما روي أنه كان أحب
ليه لما يرى فيه من مخايل
الخبر وكانت اخوته
يحسدونه فلما رأى
الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فتضاعف
حسدهم حتى حلهم
على مباشرة مناقص عنهم
(اقتلوا يوسف أو اطرحوه
أرضاً) من جهة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا وقد قاله
بعض منهم مخاطبا للباقيين
بقضية الصبيغة فكانهم
رضوا بذلك كما روي
أن القائل شمعون وأودان
والباقون كانوا راضين
الامن قال لا تقتلوا الخ

لخاسرون وفيه سهوالات (السؤال الاول) ما فائدة اللام في قوله لن أكله الذئب
(والجواب) من وجهين (الاول) ان كلمة ان تفيد كون الشرط مستلزما للجزاء أي ان
وقعت هذه الواقعة فحين خاسرون فهذه اللام دخلت لتأكيد هذا الاستلزام (الثاني)
قال صاحب الكشف هذه اللام تدل على استمرار القسم وتقديره والله لن أكله الذئب لكننا
خاسرين (السؤال الثاني) ما فائدة الواو في قوله ونحن عصبه (الجواب) انها واو الحال
حلفوا لن حصل ما خافه من خطف الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بملهم
نعصب الامور وتكفي الخطوب انهم اذا القوم خاسرون (السؤال الثالث) ما المراد من
قولهم انا اذا الخاسرون (الجواب) فيه وجوه (الاول) خاسرون أي هالكون ضاعفوا عجزا
ونظيره قوله تعالى لن أطلعكم بشر امثلكم انكم اذا الخاسرون أي عاجزون (الثاني) انهم
يكونون مستحقين لان يدعى عليهم بالخسارة والدمار وان يقال خسروا الله تعالى ودمروهم
حين أكل الذئب أخاهم وهم حاضرون (الثالث) المعنى اننا لم نقدر على حفظ أخينا فقد
هلكت مواشينا وخسرناها (الرابع) انهم كانوا قد اتبعوا أنفسهم في خدمة أيهم
واجتهدوا في القيام بمهماتهم وانما تحملوا تلك المتاعب ليفوزوا منه بالدعاء والشهادة فقالوا
لو قصرنا في هذه الخدمة فقد أحبطنا كل تلك الاعمال وخسرنا كل ما صدر منّا من أنواع
الخدمة (السؤال الرابع) ان يعقوب عليه السلام اعتذر بعذر بن فلم أجابوا عن أحدهما
دون الآخر (الجواب) ان حقدهم وغبطهم كان بسبب العذر الاول وهو شدة حبه له
فلما سمعوا ذكر ذلك المعنى تعافوا عنه ﴿ قوله تعالى (فلا ذهابا به وأجمعوا أن يجعلوه
في غيابة الجب وأوحينا اليه لتبشئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) اعلم انه لا بد من
الاضمار في هذه الآية في موضعين (الاول) ان تقدير الآية قالوا لن أكله الذئب ونحن
عصبه انا اذا الخاسرون فأذن له وأرسله معهم ثم يصل به قوله فلما ذهابا به (والثاني) انه لا بد
لقوله فلما ذهابا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب من جواب اذ جواب لما غير مذكور
وتقديره ففعلوه فيها وحذف الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذکور دليلا عليه
وهنا كذلك قال السدي ان يوسف عليه السلام لما رزق اخوته أطعمه والى العداوة
الشديدة وجعل هذا الاخ يضربه فيستغيث بالأخ فيضربه ولا يرى فيهم رحما فيضربوه
حتى كادوا يقتلونه وهو يقول يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك فقال يهودا أليس قد
أعطيتني موثقان لا تقتلوه فأنطلقوا به الى الجب بدأونه فيه وهو متعلق بشفير البئر فزفوا
فيصه وكان غرضهم أن يبلطخوه بالدم ويعرضوه على يعقوب فقال لهم ردوا على قبضي
لا توارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا لتؤنسك ثم دلوه في البئر حتى اذا
بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسهط فيه ثم آوى الى ضجرة فقام بها وهو يبكي
فنادوه فظن انه رجعة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فقام يهودا فخنقهم
وكان يهودا يأتيه بالطعام وروي انه عليه السلام لما ألقى في الجب قال يا شاهدا غير

فجعلوا كأنهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع أو قاله كل واحد منهم مخاطبا ﴿ غائب ﴾
للبقية وهو أدل على مسامحتهم الى ذلك القول وتكبير أرضا وإخلاؤها من الوصف للاهم أي أرضا منكورة
بجهالة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل) بالجزم جواب للامري

من (لكم وحديثكم) ليعلم على ما كان ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يلهيهم في محبة اخذوا ذكر الوجه
 بصور معنى اقبله عليهم (وتكونوا) بالجزم عطفا على يخل أو بالنصب على اضماران أو الواو بمعنى مع مثل قوله
 ويكنو الحق وابشار الخطاب في لكم وما بعده للبيان في حلهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه واهتمامه
 بحصيل منافعه انما أكل (من بعده) من بعد ١٦١ يوسف أي من بعد الفراغ من امره أو قوله أو طرحه

(قوما صالحين) تائبين

الى الله تعالى عما جنبتهم
 أو صالحين مع أيكم
 باصلاح ما بينكم وبينه
 بعذرتههدونه أو صالحين
 في أمور دنياكم بانظامها
 بعده بنحو وجه أيكم
 (قال قائل منهم) هو هوذا
 وكان أحسنهم فيه رأيا
 وهو الذي قال فلن أبرح
 الأرض الخ وقيل رويل
 وهو استئناف مبنى على
 سؤال من سأل وقال
 اتقوا على ما عرض
 عليهم من خصليتي
 الضيع أم خائفهم في
 ذلك أحد قيل قال قائل
 منهم (لا تقبلوا يوسف)
 أظهره في مقام الاضمار
 استجلا بالشفقة عليهم عليه
 أو استعظا ما نقله وهو
 هو فانه يروى أنه قال لهم
 القتل عظيم ولم يصرح
 بينهم عن الحصلة
 الاخرى وأحاله على
 أولوية ما عرض عليهم
 بقوله (والقوة في غيابة
 الجب) أي في قعره وغوره
 سمي بها لغيته عن عين
 الناظر والجب البئر التي

غائب وبأقربا غير بعيد و بأقربا غير مغلوب اجعل لي من أمرى فرجا ومخرجا وروى
 ان ابراهيم عليه السلام لما أتى في النار جرد عن ثيابه فجاء جبريل عليه السلام
 بمقمصر من حر البر الجنة وألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
 فبعثه يعقوب في تيممة وعلقها في عنق يوسف عليه السلام فجاء جبريل عليه السلام
 فأخرجه وألبسه اياه ثم قال تعالى وأوحينا اليه لتبليهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون
 وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله وأوحينا اليه قولان (أحدهما) ان المراد
 منه الوحي والنبوة والرسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم القائلون بهذا
 القول اختلفوا في أنه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغاً وكان صبياً قال بعضهم
 انه كان في ذلك الوقت بالغاً وكان سبعة عشر سنة وقال آخرون انه كان صغيراً الا ان
 الله تعالى أكل عقله وجعله صالحاً لقبول الوحي والنبوة كما في حق عيسى عليه السلام
 (والقول الثاني) ان المراد من هذا الوحي الالهام كما في قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى
 وقوله وأوحى ربك الى النحل (والاول) أولى لان الظاهر من الوحي ذلك فان قيل كيف
 يجعله نبياً في ذلك الوقت وليس هناك أحد يبلغه الرسالة قلنا لا يتنع أن يشرفه بالوحي
 والتزويل بأمره بتبليغ الرسالة بعد أوقات ويكون فائدة تقديم الوحي تانيسه وتسكين
 نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه (المسئلة الثانية) في قوله وهم لا يشعرون قولان
 (الاول) المراد ان الله تعالى أوحى الى يوسف انك لتخبرن اخوتك بصنيعهم بعد هذا اليوم
 وهم لا يشعرون في ذلك الوقت بانك يوسف والمقصود تقوية قلبه بانه سيحصل له الخلاص
 عن هذه المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت قهره وقدرته وروى انهم حين دخلوا
 عليه لطلب الخطة وعرفهم وهم له منكرون وما بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال
 انه لخبيري هذا الجلام انه كان لكم أخ من أيكم يقال له يوسف فطرقتموه في البئر فتم
 لا يكمل أكله الذئب (والثاني) ان المراد اننا وأوحينا الى يوسف عليه السلام في البئر بانك
 تبني اخوتك بهذه الاعمال وهم ما كانوا يشعرون بيزول الوحي عليه والفائدة في اخفاء
 زول ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه فرما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله
 (المسئلة الثالثة) اذا جئنا قوله وهم لا يشعرون على التفسير الاول كان هذا أمر من الله
 تعالى نحو يوسف في ان يستتر نفسه عن أبيه وأن لا يخبره بأحوال نفسه فلم هذا السبب كتم
 أخبار نفسه عن أبيه طول تلك المدة مع علمه بوجد أبيه به خوفاً من مخالفة أمر الله تعالى
 وصبر على تجرع تلك المارة فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام أن
 يوصل اليه تلك الغموم الشديدة والهجوم العظيمة ليكثر رجوعه الى الله تعالى وينقطع
 تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول اليها الا بتحمل
 المحن الشديدة والله أعلم قوله تعالى (وجاءوا بأباهم عشاء ليكونوا قائلوا بائنا انا ذهبنا
 نستيق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن بنا ولو كنا صادقين وجاءوا على

لم تطو بعد لانتها أرض جيت جبا ٢١ خا من غير أن يزداد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الحب في
 الموضعين كان تلك الجب غيابات أو أراد بالجب الجنس أي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة (بلفظه)
 بأخذته على وجه الضمان عن الضياع والتلف فان الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع (بمعنى السيارة)
 أي بعض طائفة تسير في الأرض واللام في السيارة

يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ ثلثه طه على التابث لان بعض السياره سئل دعوه
 كاشرت صدره القنانه من الدم * ومنه قطعت بعض أصابعه (ان كنتم فاعلين) بمشورتي لم يبت القول عليهم بل
 انما عرض عليهم ذلك تايلف لقلوبهم وتوجيها لهم الى * ١٦٢ * رأيه وحذر من نسبتهم له الى الله تعالى

أو ان كنتم فاعلين
 ما أزمعتم عليه من ازالته
 من عند أبيه لاحتماله
 ولما كان هذا مظنة لسؤال
 سائل يقول فافعلوا
 بعد ذلك هل قبلوا
 ذلك منه أولا يجب
 بطريق الاستئناف
 على وجه أد رج في
 تضاعيفه قبولهم له بما
 سيحيى من قوله وأجمعوا
 أن يحملوه في غيابة
 الجب قليل (قالوا يا أبا نانا)
 خاطبوه بذلك تحريكا
 لسلسلة النسب بينه
 وبينهم وتذكيرا لابطنة
 الاخوة بينهم وبين
 يوسف عليه الصلاة
 والسلام ليتسببوا بذلك
 الى استزاله عليه السلام
 عن رأيه في حفظه منهم
 لما أحس منهم بأمارات
 الحسد والبغى فكانتهم
 قالوا (مالك) أى اى شئ
 لك (لا تأمنا) أى لا نجعلنا
 أمنا (على يوسف)
 مع أنك أبونا ونحن
 بنوك وهو أخونا (واناله
 لنا صحن) مريدونه
 الخيرو مشفقون عليه

فيصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على
 ما تصفون (اعلم انهم لما طر حوا يوسف في الجب رجعوا الى أبيهم ووثق المشاهدين
 ورواه ابن جنى عشا بضم العين والقصر وقال عشا من البكاء بعد ذلك فرج يعقوب
 وقال هل أصابكم في غنمكم شئ قالوا لا قال فافعل يوسف قالوا ذهبنان سبق وتركتنا يوسف
 عند متاعنا فأكلمه الذئب فبكى وصاح وقال أبى القميص فطرحة على وجهه حتى تخضب
 وجهه من دم القميص وروى أن امرأة نحاتت الى شريح فبكت فقال الشبي يا أبا نانا
 ما تراها تبكى قال قد جاء اخوة يوسف بكونهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضى
 الا بالحق واختلفوا في معنى الاستباق قال الزجاج يسابق بعضهم بعضا في الرمي ومنه قوله
 عليه الصلاة والسلام لا سبق الا في خوف أو نضل أو حافر يعنى بالنصل الرمي وأصل السبق
 في الرمي بالسهم هو أن يرمى اثنان ليتبين أيهما يكون أسبق سهما أو بعد غلوة ثم يوصف
 المتراميان بذلك فقل استبقا وتسابقا اذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أسبق سهما ويدل على
 صحة هذا التفسير ما روى أن في قراءة عبد الله انا ذهبنان نضل (والقول الثاني) في تفسير
 الاستباق ما قاله السدى ومقاتل نستبق نشد ونعد وليتبين أيما أسرع عدوا فان قيل
 كيف جاز أن يستبقوا وهم رجال بالغون وهذا من فعل الصبيان قلنا الاستباق منهم كان
 مثل الاستباق في الخيل وكانوا يجربون بذلك أنفسهم ويدربون بها على العدو ولانه كالآلة
 لهم في محاربة العدو ومدافة الذئب اذا اختلس الشاة وقوله فأكله الذئب قبل أكل
 الذئب يوسف وقيل عرضوا وأرادوا أكل الذئب المتاع والوجه هو الاول ثم قالوا وما انت
 بمؤ من نالوا وكنا صديقين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ليس المعنى أن يعقوب عليه
 السلام لا يصدق من يعلم أنه صادق بل المعنى او كنا عندك من أهل الثقة والصدق لانهما
 في يوسف لشدة محبتك اياه واطننت أنافذ كذبنا والحاصل انا وان كنا صديقين لكنك
 لا تصدقنا لانك تهتمنا وقيل المعنى انا وان كنا صديقين فانك لا تصدقنا لانه لم نظهر عندك
 اماره تدل على صدقنا (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على ان الايمان في أصل
 اللغة عبارة عن التصديق لان المراد من قوله وما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق واذا ثبت أن
 الامر كذلك في أصل اللغة وجب أن يبقى في عرف الشرع كذلك وقد سبق الاستقصاء فيه
 في أول سورة البقرة في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب ثم قال تعالى وجاءوا على فيصه بدم
 كذب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم لبوهم كونهم
 صادقين في مقالته قيل ذبحوا جديا ولطخوا ذلك القميص بدمه قال القاضي ولعل فرسهم
 في نزع فيصه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيدا لصدقهم لانه يعد
 أن يفعلوا ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقرن بها الخذلان فلو
 خر قوه مع لطخه بالدم لكان الايهام أقوى فلما شاهد بعقوب القميص صحبها علم كذبهم
 (المسئلة الثانية) قوله وجاءوا على فيصه أى وجاءوا فوق فيصه بدم كما يقال جاءوا على جمالهم

ليس فيما يماخض بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع رضى الله عنه * باجمال *
 ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (يرفع) أى ينسج في أكل الفواكه ونحوها فان الرفع
 هو الاتساع في الملاذ (ويلعب) بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعبد من باب التأهب للغزو وانما عبر واعن ذلك
 للعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استحباب يوسف عليه السلام بتصورهم له

وغيره من أفعاله ما يشبه ويرفع بكسر العين وبلعب بالرفع على الابتداء (وأناله لحافظون) من أن يناله مكروه أكدوا بها أنهم بأصناف لئلا يكبد من إيراد الجملة اسمية وتجليتها بأن واللام واسناد الحفظ إلى كلهم وتقديم له على الخبر احتياقي فحصلت من ذلك استئناف مبنى على ١٦٣ سؤال من يقول فإذا قال يعقوب عليه السلام فقبل قال (اني

ليحزني) اللام الابتداء
كافي قوله عز وجل ان
ربك ليحكم بينهم (أن)
تذهبوا به (اشدة مفارقة
على وقلة صبري عنه
(و) مع ذلك (أخاف أن
بأكله الذئب) لان
الارض كانت مذابة
والحزن ألم القلب بفوت
المحبوب والخوف ازواج
النفس لنزول المكروه
ولذلك أسند الاول الى
الذهاب به المفوت لاستمرار
مصاحبة ومواصلة
ليوسف والثاني الى
ما يتوقع نزوله من أكل
الذئب وقيل رأى في
النام أنه قد شد عليه
عليه السلام ذئب وكان
يحذره فقال ذلك وقد
لغهم العلة ان البلاء موكل
بالنطق وقرأ ابن كثير
ونافع في رواية البري
بالهمز على الاصل
وأبو غريرة وقفا وغاصم
وابن عامر وحزرة درجا
وقيل اشتاقه من تدابت
الريح اذا هاجت من كل
جانب وقال الاصمعي

باب (المسئلة الثالثة) قال أصحاب العربية وهم الفراء والمبرد والزجاج وابن الانباري
يدم كذباً في مكذوب فيه الا أنه وصف بالمصدر على تقدير دمى كذب وأكنه جعل
نفسه كذبا للبالغة قالوا والمفعول والفاعل يسميان بالمصدر كما يقال ماء سكب أي
مسكوب ودرهم ضرب الامير وثوب نسج الين والفاعل كقوله ان أصبح ماؤكم غورا
ورجل عدل وصوم ونساء نوح ولما سمي بالمصدر سمي المصدر أيضا بما فاعلوا العقل المعقول
ولجلد المجلود ومنه قوله تعالى يا ايكم المقتون وقوله اذا من قتم كل يمزق قال الشعبي قصة
يوسف كلها في قصصه وذلك لانهم لما القوه في الجب زعوا قيصه واطخوه بالدم وعرضوه على
أيده ولما شهد الشاهد قال ان كان قيصه قد من قبل ولما أتى بقميصه الى يعقوب عليه
السلام فأتى على وجهه ارتد بصيراهم ذكر تعالى أن اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام
واخضوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب عليه السلام بل سولت لكم
أنفسكم أمر قال ابن عباس معناه بل زينت لكم أنفسكم أمرا والتسويل تقدير معنى
في النفس مع الطمع في إتمامه قال الازهرى كأن التسويل تفعل من سؤل الانسان وهو
أمنته التي بطلها فترين لطالبها الباطل وغيره وأصله مهموز غيران العرب استشفوا فيه
الهمز وقال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اذا عرفت هذا
فتقول قوله بل رد قولهم أكله الذئب كأنه قال ليس كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم
في شأنه أمر أي زينت لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون واختلفوا في السبب الذي به
عرف كونهم كاذبين على وجوه (الاول) أنه عرف ذلك بسبب أنه كان يعرف الجسد الشديد
في قلوبهم (والثاني) أنه كان عالما بأنه حي لانه عليه الصلاة والسلام قال ليوسف وكذلك
يجتنبك ربك وذلك دليل قاطع على انهم كاذبون في ذلك (القول الثالث) قال سعيد بن جبير
لما جاء اعلی قيصه بدم كذب وما كان متخرا قال كذبتهم أو أكله الذئب لخرق قيصه وعن
السدي انه قال ان يعقوب عليه السلام قال ان هذا الذئب كان رحيا فكيف أكل لحمه
ولم يخرق قيصه وقيل انه عليه السلام لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله اللصوص فقال
كيف قتلوه وتركوا قيصه وهم الى قيصه أخرج منه الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف
بسبب ذلك كذبهم ثم قال يعقوب عليه السلام فصبر جيل وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
منهم من قال انه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير فصبر جيل أولى من الجرع
ومنهم من اخبر المبتدأ قال الخليل الذي أفعله صبر جيل وقال قطرب معناه فصبري صبر
جيل وقال الفراء فهو صبر جيل (المسئلة الثانية) كان يعقوب عليه السلام قد سقط
حاجباه وكان يرفعهما بخرقه فقبل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله
لعالى اليه يا يعقوب أتشكوني فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وروى عن عائشة
رضي الله عنها في قصة الافك قالت والله ان حلفت لاتصدقوني وان اعتذرت
لاتعذرني فثلى ومثلكم كمثل يعقوب وولده فصبر جيل والله المستعان على ما تصفون

الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى (وأتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالارتع والعب أول قوله اهتمامكم بخفضه (قالوا ان أكله
الذئب ونحن عصبه) أي والحال أنا جماعة كثيرة جدية بأن يعصب بنا الامور العظام وتكني الخطوب بأرأنا وتديبرنا
واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله (انا اذا خامسون) جواب مجزئ عن الجزاء أي لها الكون ضعفا وخورا
وصحرا أو مستحقون للهلاك اذا لاختاه

الذئب بعضهم وهم حضور وفيل ان لم يمدد على حقه وهو اعرضى عندنا فله السك ما شينا اذن ونحن نألفنا واما
اقتصره على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن فليس فيه ما يمتلي
انهم ياتون به عن قريب (فلما ذهبوا به وأجمعوا) أى أجمعوا ﴿ ١٦٤ ﴾ (أن يحملوه) مفعول له ولعلهم يقول أجمع

الامر ومنه فأجمعوا
أمركم ولا يستعمل ذلك
الافعال التي قويت
الدواعي الى فعلها (في
غيابة الجب) قيل هي
بئر ارض الاردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل
على ثلاثة فراسخ من
مئزل يعقوب عليه السلام
يكعنان التي هي من نواحي
الاردن كما أن مدين كذلك
وأما ما يقال من أنها
بئر بيت المقدس فبرده
التعليل بالنقاط السارة
ومحيطهم بأباهم عشاء ذلك
اليوم فان بين مئزل
يعقوب عليه السلام
وبين بيت المقدس
مر احل وجواب لما
محدوف ايذا نابض هوره
واشعارا بأن تفصيله
مما لا يحويه فلك العبارة
ومجمله فعلا به من الاذية
فها فعلوا بروي أنهم لما
برزوا الى الصحراء أخذوا
بؤذونه ويضر بؤنه
حتى كادوا يقتلونه ففعل
يصح ويستفيث فقال
يهوذا ما عاهدتموني أن

فأمر الله عز وجل في عذرها ما أنزل (المسئلة الثالثة) عن الحسن أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل فقال صبر لا شكوى فيه فمن شمل بصبره يدل عليه من القرآن قوله تعالى إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال مجاهد فصبر جميل أي من غير جزع وقال الثوري من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا بصييتك ولا تزكي نفسك وههنا بحث وهوان الصبر على قضاء الله تعالى واجب فاما الصبر على ظلم الظالمين ومكر الماكرين فمقتدر واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائلي والغير وههنا ان اخوة يوسف لما ظهر كذبهم وخيانتهم فلم يصبر يعقوب على ذلك ولم يلم بالحق في الغشيش والبحث سعيانه في تخليص يوسف عليه السلام عن البلية والشدة ان كان في الاحياء وفي اقامة القصص ان صحح أنهم قتلوه فثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم وبما يقوى هذا السؤال انه عليه الصلاة والسلام كان عالما بأنه حتى سليم لا يقال له وكذلك يجنبك ربك ويعلم من تأويل الاحاديث والظاهر انه اعلم هذا الكلام من الوحي واذا كان عالما بأنه حتى سليم فكأن من الواجب أن يسعى في طلبه وأيضا ان يعقوب عليه السلام كان رجلا عظيم القدر في نفسه وكان من بيت عظيم شريف وأهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون فيه ويعظمونه فلو بالغ في الطلب والتفحص اظهر ذلك واشتهر وزال وجه التلبس فالسبب في أنه عليه السلام مع شدة رغبته في حضور يوسف عليه السلام ونهاية حبه له لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجبات فثبت ان هذا الصبر في هذا المقام مذموم عقلا وشرعا (والجواب) هذه أن نقول لاجواب عنه الآن يقال انه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديدا للحمية جل وتعالى لا للمر عليه وأرضاه له عرف بقرائن الاحوال ان اولاده أوفياء وأنهم يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ في البحث فرما أقدموا على ايذائه وقتله وأيضاله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والحمية وان أمره سيكظم بالآخرة بما لم يرد هناك أسرار سرار أولاده وما رضى بالقائمين في السنة الناس وذلك لان أحد الولدين اذا ظلم الآخر وقع الاب في العذاب الشديد لانه ان لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلم وان انتقم فانه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذا البلية رأى ان الاصبوب الصبر والسكوت وتفويض الامر الى الله تعالى بالكلية (المسئلة الرابعة) قوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قسمين منه ما قد يكون جبلا وما قد يكون غير جبيل فالصبر الجبل هو أن يعرف أن منزل ذلك البلاء هو الله تعالى ثم يعلم أن الله سبحانه مالك الملك ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملك نفسه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاه من اظهار الشكاية (والوجه الثاني) أنه يعلم ان منزل هذا البلاء حكيم لا يجهل وعالم لا يغفل عليم لا ينسى رحيم لا يظني واذا كان كذلك فكان كل ما صدر عنه حكمة وصوابا فعند ذلك يسكت ولا يعترض (والوجه الثالث) أنه ينكشف له أن هذا البلاء من الحق فاستغراقه في شهود نور البلي ينهه عن الاشتغال

لا تغفلوا فتأتوا به الى البرقة فتعلق ثيابهم فزعرها من يديه فذلوه فيها فعلق بشفيرها فربطوا يديه **✽** بالشكاة **✽**
وزعوا قيصره لمارع مواعليه من تلطيخه بالدم احتيالا لايه فقال يا اخوتنا ردوا على قيصرى لا نوارى به فقالوا ادع الشمس
والقمر والاحد عشر كوكبا توئسك فذلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البرزءاء فسقط فيه ثم أوى
الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه

عليه السلام حينئذ في النار وجردهن ثياباً ثم جبريل عليه السلام بقبض من خبز الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى اسحق وأصحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في ثيمه وعقلها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجه من الثيمة فألبسه إياه (وإبراهيم عليه السلام) عند ذلك * ١٦٥ * تبشيره بما يؤول إليه أمره وإزالة لوحشته وإيناسه قليل كان ذلك قبل إدراكه كأوصى إلى

يحيى وعيسى وقيل كان
أذاك مدركا قال الحسن
رضي الله عنه كان له سبع
عشرة سنة (أنبئهم
بأمرهم هذا) أى
لتخلصن مما أنت فيه
من سوء الحال وضيق
الجمال وتحدثن أخوتك
بما فعلوا بك (وهم
لا يشعرون) بأنك يوسف
لنباين حالك حالك
هذا وحالك يومئذ لعلو
شأنك وكبر بادسلطانتك
وبعد حالك عن أوهامهم
وقيل بعد العهد المبديل
للهيئات المغيرة للأشكال
والأول أدخل في التسلية
روى أنهم حين دخلوا
عليه عتارين فعرفهم
وهم له متكرون دعا
بالصواع فوضعه على يده
ثم نفره فظن فقال انه
يخبرني هذا الجام أنه
كان لكم أخ من أبيكم
يقال له يوسف وكان
يدنيه دونكم وأنكم
انطلقتم به وألقيتموه
في غيابة الجب وقطم
لايكم أكله الذئب

بالشكايه من البلاد ولذلك قبل المحبة التامة لاتزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها
أولها دأبت بالوفاء لكان المحبوب هو النصب والحظ وموصل النصب لا يكون محبوبا
بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجليل أما إذا كان الصبر لاجل الرضا بقضاء الحق
سبحانه بل كان لسائر الاغراض فذلك الصبر لا يكون جيلا والضابط في جميع الافعال
والاقوال والاعتقادات ان كل ما كان لطلب عبودية الله تعالى كان حسنا والأفلا
وهنا يظهر صدق ما روى في الاثر استفت قلبك ولو أفناك المغنون فليأمل الرجل تأملا
شافيا ان الذي أتى به هل الحامل والباعث عليه طلب العبودية أم لا فإن أهل العلم لو
أفتونا بالشيء مع أنه لا يكون في نفسه كذلك لم يظهر منه نفع البتة ولما ذكر يعقوب قوله
فصبر جليل قال والله المستعان على ما تصفون والمعنى أن اقدامه على الصبر لا يمكن
الا بمعونة الله تعالى لان الدواعي النفسانية تدعو الى اظهار الجزع وهي قوية والدواعي
الروحانية تدعو الى الصبر والرضا فكانت وقعت المحاربة بين الصنفين فالحاصل اعانة
الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جليل مجرى مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان
على ما تصفون مجرى مجرى قوله واياك نستعين * قوله تعالى (وجاءت سيارة فارسلوا
واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه
بمن نفس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) اعلم أنه تعالى بين كيف سهل السبيل
في خلاص يوسف من تلك المحنة فقال وجاءت سيارة يعنى رفقة تسير للسفر قال ابن عباس
جاءت سيارة أى قوم يسبرون من مدين الى مصر فاخطوا الطريق فانطلقوا يهيمون على
غير طريق فخطوا على أرض فيها جب يوسف عليه السلام وكان الجب في قفرة بعيدة عن
العمران لم يكن الا لارعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين أتى فيه يوسف عليه السلام
فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخراعى ليطلب لهم الماء والوارد الذى يرد الماء
ليستقى القوم فادلى دلوه ونقل الواحدى عن عامة أهل اللغة أنه يقال أدلى دلوه اذا
أرسلها في البئر ولاهاذا نزعهما من البئر يقال أدلى بدلى ادلاء اذا أرسل ودلايدلوا اذا
جذب وأخرج والدلو معروف والجمع دلاء * قال يا بشرى هذا غلام وهمنا محذوف
والقدير فظهر يوسف قال المفسرون لما دلى الوارد دلوه وكان يوسف في ناحية من قعر
البئر تعلق بالحبل فنظر الوارد اليه ورأى حسنه نادى فقال يا بشرى وفيه مشتلان
(المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحركة والكسائى بشرى بغير الالف وبسكون الياء والباقيون
يا بشرى بالالف وفتح الياء على الاضافة (المسئلة الثانية) في قوله يا بشرى قولان (الاول)
انها كلمة تذكر عند البشارة ونظيره قولهم يا عجب من كذا وقوله يا أسفا على يوسف وعلى هذا
القول في تفسير النداء وجهان (الاول) قال الزجاج معنى النداء في هذه الاشياء التى
لا تحبب تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة فاذا قلت يا عجبها فكذلك قلت اعجبوا (الثاني)
قال أبو على كأنه يقول يا أيها البشرى هذا الوقت وفك ولو كنت ممن يخاطب لخوطبت

ويهمته بمن يخص ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بالاحكام على معنى أنا أنسأه بالوحى وازلنا من قلبه الوحشة التى اورتوه وهم
لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرق ومستوحش لا انيس له وقرئ أنبئهم بالنون على انه وعبد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون
متعلق بأوحينا لا غير (وجاءوا آباءهم عشاء) آخر التمارق وقرئ عشا وهو صغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع اعشى

يا بانا ان اذهبنا نسبق) اي متسابقين في العدو والرجى وقد يشترك الافعال والتعاضل كالانتماض والتأخر والظهور
(وتركنا يوسف عند متاعنا) اي ما نتجم به من الثياب والازواد وغيرهما (فلكله الذئب) هقيب ذلك من غيظي زمان
يعتاد فيه التقعد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة * ١٦٦ * الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يحدثه عليه

السلام عنده من باب
الغفلة وترك الحفظ المترم
لا سيما اذا لم يبرحوه
ولم يغيبوا عنه فكأنهم
قالوا اننا لم نقصر في
محافظة ولم تغفل عن
مراقبته بل تركناه في
مأمننا وجمعنا بمرأى منا
لان ميدان السباق لا يكون
عادة الا بحيث يتزاي
غايته وما فارقناه الاساعة
بسيرة يتناوب بينه مسافة
قصيرة فكان ما كان
(وما انت بمؤمن لنا)
بمصدق لنا في هذه
المقالة الدالة على هدم
نقصيرنا في امره (ولو كنا)
عندك وفي اعتقادك
(صادقين) موصوفين
بالصدق والثقة اشد
محبتك ليوسف فكيف
وانت سمى الظن بنا غير
واثق بقولنا وكلمة لوفي
امثال هذه المواقع ابيان
تحقق ما يفيد الكلام
السابق من الحكم
الموجب او المنفي على
كل حال مفروض من
الاحوال المقارنة له على
الاجال بادخالها على

الآن ولا مرت بالحضور واعلم ان سبب البشارة هو انهم وجدوا غلاما في قبة الحسن
وقالوا نبيعه بثن عظيم وبصير ذلك سيدا لحصول النعي (والقول الثاني) وهو الذي ذكره
السدي ان الذي نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما تقول يا زيد وعش
الاعمش انه قال دعا امرأة باسمها بشرى يا بشرى قال أبو علي الفارسي ان جعلنا البشرى
اسما للبشارة وهو الوجه جاز ان يكون في محل الرفع كما قيل يا رجل لاختصاصه بالنداء
وجاز ان يكون في موضع النصب على تقدير انه جعل ذلك النداء شائعا في جنس البشرى
ولم يخص كما تقول يا رجلا وباحسرة على العباد * وأما قوله تعالى وأسروه بضاعة ففيه
مستثنان (المسئلة الاولى) الضمير في وأسروه الى من يعود فيه قولان (الاول) انه عائد الى
الوارد وأصحابه أخفوا من الرقة أنهم وجدوه في الجب وذلك لانهم قالوا ان قلنا للسيارة
التظنه شاركونا فيه وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب أن نقول ان أهل الماء
جعلوه بضاعة عندنا على أن يبيعهم بمصر (والثاني) نقل عن ابن عباس أنه قال وأسروه
يعني أخوة يوسف أسروا شأنه والمعنى انهم أخفوا كونه أختا لهم بل قالوا انه عبد لنا أبقينا
وتابعهم على ذلك يوسف لانهم توقعوه بالقتل بلسان العبرانية والاول أولى لان قوله
وأسروه بضاعة يدل على ان المراد انهم أسروه حال محكموا بانه بضاعة وذلك انما يليق
بالوارد لا بأخوة يوسف (المسئلة الثانية) البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من
بضعت اللحم اذا قطعت قال الزجاج وبضاعة منصوبة على الحال كانه قال وأسروه حال
ما جعلوه بضاعة * ثم قال تعالى والله عليم بما يعملون والمراد منه أن يوسف عليه السلام
لما رأى الكواكب والشمس والقمر في النوم سجدت له وذكر ذلك حسده اخوته عليه
واحتالوا في ابطال ذلك الامر عليه فأوقعوه في البلاء الشديد حتى لا يتيسر له ذلك المقصود
وأنه تعالى جعل وقوعه في ذلك البلاء سببا الى وصوله الى مصر ثم تمادت وقائعه وتتابع
الامر الى أن صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم فكان العمل الذي عمله الاعداء
في دفعه عن ذلك المطلوب صيره الله تعالى سببا لحصول ذلك المطلوب فلهدا المعنى قال والله
عليم بما يعملون * ثم قال تعالى وشروه بثن بخش دراهم معدودة اما قوله وشروه ففيه قولان
(الاول) المراد من الشراء هو البيع وعلى هذا التقدير ففي ذلك البائع قولان (الاول) قال
ابن عباس رضي الله عنهما ان اخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا عادوا بعد
ثلاث تعرفون خبره فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا
هذا عبدنا أبقنا فقالوا لهم فبيعوه منافعاوه منهم والمراد من قوله وشروه أي باعوه
يقال شربت الشيء اذا بيعته وانما وجب حل هذا الشراء على البيع لان الضمير في قوله
وشروه وفي قوله وكانوا فيه من الزاهدين عائد الى شيء واحد لكن الضمير في قوله وكانوا فيه
من الزاهدين عائد الى الاخوة فكذا في قوله وشروه يجب أن يكون عائد الى الاخوة واذا
كان كذلك فهم باعوه فوجب حل هذا الشراء على البيع (والقول الثاني) أن بائع

ابعدا منه واشدها منافاة له لظهور بثبوته واتفاقه معه بثبوته واتفاقه مع غيره من الاحوال بطريق * يوسف *
الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع الثاني القوي فلا أن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغيرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله

في قوله (وكانوا على قميصه) محله النصب على الظرفية من قوله (بدم) أي جازأ فوق قميصه بدم كأنه يقول جاء على جماله بأجاء أو على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفاً (كذب) مصدر ووصف به الدم مما لا يمتدح ومصدر بمعنى المفعول أي مكذوب فيه ١٦٧ أو بمعنى ذى كذب أي ملابس كذب وقرئ كذبا على أنه

حال من الضمير أي جاؤا كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة أي كدر وقبل طرى قال ابن جني أصله من الكذب وهو القوق البياض الذي يخرج على اظفار الأحداث كأنه دم قد أترق قميصه روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليها السلام صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه علا وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالوم ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يرنق عليه قميصه وقبل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلاً يعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيراً ودليلاً على براءة يوسف عليه السلام حين قدم دبر (قال) استثناف مثنى على سؤال

يوسف هم الذين استخرجوه من البئر وقال محمد بن اسحق ركب أعلم أخوته باعوه أم السيارة وههنا قول آخر وهو أنه يحتمل أن يقال المراد من الشراء نفس الشراء والمعنى أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم علوا بقرائن الحال أن أخوة يوسف كذابون في قولهم أنه عبدنا ور بما عرفوا أيضاً أنه ولد يعقوب فكرهوا شراءه خوفاً من الله تعالى ومن ظهور تلك الواقعة إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالأخرة لأنهم اشتروه بغير قليل مع أنهم أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين وغرضهم أن يتوصلوا بذلك إلى تقليل الثمن ويحتمل أيضاً أن يقال إن الأخوة لما قالوا أنه عبدنا أبق صار المشتري عنهم الرغبة فيه قال مجاهد وكانوا يقولون استوثقوا منه ثلثاً بغير شيء ثم اعلم أنه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات ثلاث (الصفة الأولى) كونه بخس قال ابن عباس يريد حرماناً من الحر حرام وقال كل بخس في كتاب الله نقصان الأمانة حرام قال الواحدي سمو الحرام بخساً لأنه ناقص البركة وقال قتادة بخس ظلم والظلم نقصان يقال ظلمه أي نقصه وقال عكرمة والشعبي قليل وقيل ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً وقيل كانت الدراهم زبوا ناقصة العيار قال الواحدي رحمه الله تعالى وعلى الأقوال كلها فالبخس مصدر وضع موضع الاسم والمعنى بغير مخسوس (الصفة الثانية) قوله دراهم معدودة قيل تعدداً ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون إلا إذا بلغ أوقية وهي الأربعون ويعدون مادونها فقيل للقليل معدود لأن الكثير يمتنع من عددها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهماً وعن السدي اثنين وعشرين درهماً قالوا والأخوة كانوا أحد عشر فكل واحد منهم أخذ درهماً إلا يهودا لم يأخذ شيئاً (الصفة الثالثة) قوله وكانوا فيه من الزاهدين ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يرغب فيه وأصله القلة يقال رجل زهيد إذا كان قليل الطمع وفيه وجوه (أحدها) أن أخوة يوسف باعوه لأنهم كانوا فيه من الزاهدين (والثاني) أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين لأنهم التقطوه والمثقل لا شيء منها وإنه لا يبالي بشيء يبيعه أو لا يبيعه خافوا أن يظهر المستحق فيزعه من يدهم فلا جرم باعوه باوكس الاثمان (والثالث) أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين وقد سبق توجيه هذه الأقوال فيما تقدم والضمير في قوله فيه يحتمل أن يكون عائداً إلى يوسف عليه السلام ويحتمل أن يكون عائداً إلى الثمن البخس والله أعلم * قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لأمه أنه أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غائب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وفيه مسائل (المسألة الأولى) اعلم أنه ثبت في الأخبار أن الذي اشتراه أما من الأخوة أو من الواردين على المذهب به إلى مصر وباعه هناك وقيل إن الذي اشتراه قطيفر أو طيفر وهو العزيز الذي كان يلي خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بربوبية ومات في حياة يوسف عليه السلام فلك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف إلى

فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أم لا فقيل قال لم يكن ذلك (بل سولت لكم أنفسكم) أي زنت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تعدير شيء في النفس مع الطمع في اتامه قال الأزهري كان التسويل تفصيل من سؤال الإنسان وهو أمنتبه التي يطلبها فتزني لها بلها الباطل وغيره وأصله مهموز

وقيل من السبل وهو الاستعزاء (أمر) من الأمور منكر الوبس ولا يعرف (فصير جبل) أي قامري صير جبل أو
 قصير جبل أجل أو أمثل وفي الحديث الصبر الجليل الذي لا شكوى فيه أي إلى الخلق والافتد قال يعقوب عليه السلام إنما
 أشكوا بني وحرني إلى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان ير فعمها به مصابة فقيل له ما هذا قال طولنا زمان وكثرة الاخران
 فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب أنشكوك في قال يا رب ﴿ ١٦٨ ﴾ خطيئة فاغفره لي وقرأ في فصير اجبلا (والله

الاسلام فأبى واشتره العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة
 واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وأناه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث
 وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى
 عاش أربع مائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون
 موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وقيل ادخلوه السوق
 يعرضونه فترا ففوق في ثمنه حتى بلغ ثمنه ما يساويه في الوزن من المسك والورق والحرير
 فابتاعه قطيعر بذلك الثمن وقالوا اسم تلك المرأة زليخا وقيل راعيل * واعلم أن شيئا من هذه
 الروايات لم يدل عليه القرآن ولم يثبت أيضا في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف
 على شيء من هذه الروايات فالإيق بالعاقل أن يحترم من ذكرها (المسئلة الثانية) قولها كرمي
 مثواه أي منزله ومقامه عندك من قولك تويت بالمكان إذا تقيت به ومصدره الثواء والمعنى
 اجعلني منزله عندك كرميما حسنا مرصيا بدليل قوله أنه ربي أحسن مثواي وقال
 المحققون أمر العزيز أمر أنه باكرام مثواه دون اكرام نفسه يدل على أنه كان ينظر إليه
 على سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي ولما أمرها باكرام
 مثواه علل ذلك بأن قال عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا أي يقوم باصلاح مهماتنا أو نتخذه
 ولذا لأنه كان لا يولد له ولد وكان حصورا * ثم قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي كما
 أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز حتى توصل بذلك إلى أن
 صار متمكنا من الأمر والتهى في أرض مصر واعلم أن الكمالات الحقيقية ليست الا القدرة
 والعلم وأنه سبحانه لما حاول اعلاء شأن يوسف ذكره بهذين الوصفين اما تكليمه في صفة
 القدرة والمكنة فالله الاشارة بقوله مكنا ليوسف في الأرض واما تكليمه في صفة العلم فالله
 الاشارة بقوله ولتعلم من تأويل الاحاديث وقد تقدم تفسير هذه الكلمة * واعلم اننا ذكرنا
 أنه عليه السلام لما أتى في الجب قال تعالى وأوحينا إليه لتبينهم بإمرهم هذا وذلك يدل
 ظاهرا على أنه تعالى أوحى إليه في ذلك الوقت وعندنا الأرهاص جائز فلا يعبدان يقال ان
 ذلك الوحي إليه في ذلك الوقت ما كان لاجل بعثته إلى الخلق بل لاجل تقوية قلبه وازالة
 الحزن عن صدره ولجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام ثم أنه تعالى قال ههنا
 ولتعلم من تأويل الاحاديث والمراد منه ارساله إلى الخلق بتبليغ التكليف ودعوة
 الخلق إلى الدين الحق ويحتمل أيضا أن يقال ان ذلك الوحي الأول كان لاجل الرسالة
 والنبوة ويحمل قوله ولتعلم من تأويل الاحاديث على أنه تعالى أوحى إليه بزيادات
 ودرجات يصير بها كل يوم على حال مما كان قبله وقال ابن مسعود أشد الناس فراسة
 ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لا أمر أنها كرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة لما
 رأت موسى فقالت يا أبت استاجر وأبو بكر حين استخلف عمر قال تعالى * والله غالب
 على أمره وفيه وجهان (الأول) غالب على أمر نفسه لأنه فعال لما يريد لا دافع لقضائه ولا مانع
 على أمره

المستعان) أي المطلوب
 منه العون وهو انشاء
 منه علبه السلام
 للاستعانة المستمرة (على
 ما تصفون) على اظمه حال
 ما تصفون و بيان كونه
 كذبا واطهار سلامته
 فانه علم في الكذب قال
 سبحانه سبحانه ربك
 رب العزة عما يصفون
 وهو الا ليق بما سيحيى
 من قوله تعالى فصبر
 جميل عسى الله أن يأتيني
 بهم جميعا وتفسير المستعان
 عليه باحتمال ما يصفون
 من هلاك يوسف والصبر
 على الرزق فيه بياه تكديبه
 عليه السلام لهم في ذلك
 ولا تساعده الصيغة فانها
 قد غلبت في وصف
 الشيء بما ليس فيه كما شير
 إليه (وجاءت) شروع
 في بيان ما جرى على
 يوسف في الجب بعد
 الفراغ من ذكر ما وقع
 بين اخوته وبين أبيه
 والتفسير بالجحى ليس
 بالنسبة إلى مكانهم فان
 كنعان ليس بالجانب
 المصري من مدين بل

إلى مكان يوسف وفي اشارة على المرور أو الاتيان أو نحوهما إيماء إلى كونه عليه السلام في الكرامة ﴿ عن ﴾
 والثاني عند ملك مقدر والظاهر أن الجب كان في أتم المشاء فان المتبادر من اسناد الجحى إلى السبارة مطلقا في
 قوله عز وجل وجاءت (سبارة)

ي رفقته تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف بلفظه بعض السيرة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن الاناراء فأخطوا الطريق فزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه عليه السلام (فارسلوا واردهم) الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالا كان ذعر الخراعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى الجحى أعنى الجلب للابذان ﴿ ١٦٩ ﴾ بأن ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا

(فأدلى دلوه) أى أرسله الى الجلب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج (قال) استئناف مبنى على سؤال يقتضيه الحال (بابشرى هذا غلام) كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أو أنك حيث فاز بنعمة باردة وأى نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشرى وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللغظين وقرأ يابشرى بالادغام وهى اضافة وبشرى على قصد الوقف (وأسروه) أى أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الجلب وقالوا لهم دفعه البنا أهل الماء ليدع لهم بمصر وقيل الضمير لاختوة يوسف وذلك أن يهوذا كان بائعا

عن حكمه في أرضه ومماثه (والثاني) والله غاب على أمر يوسف يعنى ان انتظام أموره كان الهيا وما كان بسعيه واخوته ارادوا به كل سوء ومكر ووالله اراد به الخير فكان كما اراد الله تعالى ودبر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله واعلم ان من تأمل في احوال الدنيا وبجانب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله غاب ﴿ قوله تعالى ﴾ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين في الآية مسائل (المسئلة الاولى) وجه النظم أن يقال بين تعالى ان اخوته لما أساءوا اليه ثم انه صبر على تلك الشدائد والحن مكنه الله تعالى في الارض ثم لما بلغ أشده آناه الله الحكيم والعلم والمقصود بيان ان جميع ما فاز به من النعم كان كالجزء على صبره على تلك الحن ومن الناس من قال ان النبوة جزء على الاعمال الحسنة ومنهم من قال ان من اجتهد وصبر على بلاء الله تعالى وشكر نعماء الله تعالى وجد من نصب الرسالة واجتجوا على صحة قولهم بانه تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك الحن ذكر انه أعطاه النبوة والرسالة ثم قال وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على ان كل من أتى باطاعات الحسنة التي أتى بها يوسف فإن الله يعطيه تلك المناصب وهذا بعيد لاتفاق العلماء على ان النبوة غير مكتسبة واعلم ان من الناس من قال ان يوسف ما كان رسولا ولا نبيا البتة وانما كان عبدا أطاع الله تعالى فأحسن الله اليه وهذا القول باطل بالاجماع وقال الحسن انه كان نبيا من الوقت الذي قال الله تعالى في حقه وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا وما كان رسولا ثم انه صار رسولا من هذا الوقت أهنى قوله ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ومنهم من قال انه كان رسول من الوقت الذي ألقى في غيابة الجلب (المسئلة الثانية) قال أبو عبيدة تقول العرب بلغ فلان أشده اذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ في التقصان وهذا اللفظ يستعمل في الواحد والجمع يقال بلغ أشده وبلغوا أشدهم وقد ذكرنا تفسير الأشد في سورة الانعام عند قوله حتى يبلغ أشده وأما التفسير فروى ابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال ثلثا وثلاثين سنة وأقول هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية وذلك لان الاطباء قالوا ان الانسان يحدث في أول الامر ويتراد كل يوم شيئا فشيئا الى أن ينتهي الى غيابة الكمال ثم يأخذ في التراجع والانتقاص الى أن لا يبقى منه شيء فكانت حالته شبهة بحال القمر فانه بظهوره لالاضعيفا ثم لا يزال يزداد الى أن يصير بدرا تاما ثم يتراجع الى أن ينتهي الى العدم والمحاق اذا عرفت هذا فقول مدة دور القمر ثمانية وعشرون يوما وكسرها اذا جعلت هذه الدورة أربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة ايام فلا جرم رتبوا أحوال الابدان على الاسابيع فالانسان اذا ولد كان ضعيف الحلقة نحيف التركيب الى أن يتم له سبع سنين ثم اذا دخل في السبعة الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة ثم لا يزال في الترقى الى أن يتم له أربع عشرة سنة فاذا دخل في السنة الخامسة عشرة دخل في الاسبوع الثالث وهناك يكمل العقل ويبلغ الى حد التكليف

كل يوم بطعام فأتاه يومئذ فلم يجد فيه ﴿ ٢٢ ﴾ خا فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبى منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة أن يقلوه ولا يخفى ما فيه من البعد (بضاعة) نصب على الحالية أى أخفوا حال كونه بضاعة أى متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه أى قطعت للتجارة (والله عليم بما يعملون) وعبد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للابتذال

بالباع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل (وشروه) أي باعوه والمضير للوارد وأصحابه (بئس بحس) زيف ناقص العيار (دراهم) بدل من ثمن أي لادناير (معدودة) أي ضرمو زونه فهو بيان لقلة ونقصانه مقدار ابعديان نقصانه في نفسه اذا المعتاد فيما يبلغ أربعين العددون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها كانت عشرين درهما وعن السدي رضي الله عنه أنها كانت اثنين وعشرين درهما (وكانوا) أي البائعون ﴿١٧٠﴾ (فيه) في يوسف (من الزاهدين) من الذين لا يرغبون

فيما يديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن الخمس وسبب ذلك أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزع منه فبيعه من أول مساوم بأوكس من ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه من أخوته على ما حكى وهم غير راضين في شرائه خشية ذهاب مالهم لما ظن في أذانهم من الباقي والعدول عن صيغة الأفعال المنبئة عن اتخاذ لما من أن أخذهم إنما كان بطريق البضاعة دون الاجتهاد والافتاء وفيه متعلق بالزاهدين أن جعل اللام للتريف وبيان لما زهدوا فيه أن جلعت موصولة كأنه قبل في أي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لأن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفبر أو طفبر وبيان كونه

وتحرك فيه الشهوة ثم لا يزال يرتقي على هذه الحالة إلى أن يتم السنة الحادية والعشرين وهناك يتم الأسبوع الثالث ويدخل في السنة الثانية والعشرين وهذا الأسبوع آخر أسابيع النشو والنماء فإذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشو والنماء وينقل الإنسان منه إلى زمان الوقوف وهو الزمان الذي يبلغ الإنسان فيه أشده وتمام هذا الأسبوع الخامس يحصل الإنسان خمسة وثلاثون سنة ثمان هذه المراتب مختلفة في الزيادة والنقصان فهذا الأسبوع الخامس الذي هو أسبوع الشدة والكمال يتدأ من السنة التاسعة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين وقديمت إلى الخامسة والثلاثين فهذا هو الطريق المقول في هذا الباب والله أعلم بحقائق الاشياء (المسئلة الثالثة) في تفسير الحكم والعلم وفيه أقوال (الاول) ان الحكم والحكمة أصلهما حبس النفس عن هواها ومنعها مما يشينها فالمراد من الحكم الحكمة العلمية والمراد من العلم الحكمة النظرية وانما قدم الحكمة العلمية هنا على العلمية لان أصحاب الرياضات يشتغلون بالحكمة العلمية ثم يترقون منها إلى الحكمة النظرية وأما أصحاب الافكار العقلية والافانظار الروحية فانهم يصلون إلى الحكمة النظرية أولا ثم يتركون منها إلى الحكمة العملية وطريق يوسف عليه السلام هو الاول لانه صبر على البلاء والمحبة ففتح الله تعالى عليه أبواب المكاشفات فلهذا السبب قال آتينا حكما وعلما (القول الثاني) الحكم هو النوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين (والقول الثالث) يحتمل أن يكون المراد من الحكم صبره ونفسه مطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعينة عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبانية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس وتحقيق القول في هذا الباب ان جوهر النفس الناطقة خلقت قابلة للمعارف الكلية والانوار العقلية الا أنه قد ثبت عندنا بحسب البراهين العقلية وبحسب المكاشفات العلوية ان جواهر الارواح البشرية مختلفة بالماهيات فلهذا كفو بليدة ومنها حرة ونذلة ومنها شريفة وخسيسة ومنها عظيمة الميل إلى عالم الروحانيات وعظيمة الرغبة في الجسمانيات فهذه الاقسام كثيرة وكل واحد من هذه المقامات قابل للاشد والاضعف والاكل والانعص فاذا اتفق ان كان جوهر النفس الناطقة جوهر اشرف فاشرفا شديدا استعداد لقبول الاضواء العقلية والوائع الالهية فهذه النفس في حال الصغر لا يظهر منها هذه الاحوال لان النفس الناطقة انما تقوى على أفعالها بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وهذه الآلات في حال الصغر تكون الرطوبات مستوية عليها فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن فضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت تلك الآلات البدنية صالحة لان تستعملها النفس الانسانية واذا كانت النفس في أصل جوهرها شريفة فعند كمال الآلات البدنية تكمل معارفها وتقوى أنوارها ويعظم

من مصر لترتبة ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن ﴿١٧١﴾ لمعان الجنس وكان الملك يومئذ ابن بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به ذلك بعده قابوس بن مصعب فدعا إلى الاسلام فأبى وقبل كان الملك في أيامه فرعون موسى عليه السلام عاش أربعين سنة

سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد بأحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وقيل بثوبين أبيضين وقيل أدخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وزنه ورقا وزنه حريرا فاشتراه فطغبر بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذلك سبع عشرة * ١٧١ سنة وأقام في منزله مع امرأته من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة

واستوزره الربان وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا يشتراه (أكرمي مثواه) اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى أحسني نعمه (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا (أو نتخذ ولدًا) أي ننسأه وكان ذلك لما تفرس فيه من محال الرشد والتجربة ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عن يز مصر وابنة شعيب التي قالت يا بئس استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما (وكذلك) نصب على المصدرية وذلك إشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيجه أي مثل

لعمان الاضواء فيها فقولوه ولما بلغ أشده إشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتينا حكما وعلمنا إشارة الى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية والله أعلم * قوله تعالى (ورأوتني التي هو في بيتها من نفسه وغلفت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) اعلم ان يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال والحسن فلما رأته المرأة طمعت فيه ويقال أيضا ان زوجها كان عاجزا يقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل واحد منهما الوطء والجماع وغلفت الابواب والسبب ان ذلك العمل لا يؤتى به الا في المواضع المستورة لاسيما اذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد وقوله وغلفت الابواب أي أغلقتها قال الواحدى وأصل هذا من قولهم في كل شيء تثبت في شيء فلزمه قد غلق يقال غلق في الباطل وغلق في غضبه ومنه غلق الرهن ثم بعدى بالالف فيقال أغلق الباب اذا جعله بحيث يعسر فتحه قال المفسرون وانما جاء غلقت على التكثير لانهما غلقت سبعة ابواب ثم دعت الى نفسها ثم قال تعالى وقالت هيت لك وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويد اوصه ومعه هلم في قول جميع أهل اللغة وقال الاخفش هيت لك مفتوحة الهاء والياء ويجوز أيضا كسر التاء ورفعها قال الواحدى قال أبو الفضل المنذرى أفادني ابن التبريزي عن أبي زيد قال هيت لك بالعبرانية هيا لح أي تعالى عز به القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى بكة فتكلموا بها قال ابن الانباري وهذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما انفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجبل ولسان العرب والنزك في العساق ولغة العرب والحبيشة في ناشئة الليل (المسئلة الثانية) قرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان هيت بكسر الهاء وقح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك مثل حيث وقرأ هشام بن عمار عن أبي عامر هيت لك بكسر الهاء وفتح الياء وضم التاء مثل جئت من تهيات لك والباقون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء ثم انه تعالى قال ان المرأة لما ذكر هذا الكلام قال يوسف عليه السلام معاذ الله انه ربي أحسن مثواي فقولوه معاذ الله أي أعوذ بالله معاذًا والضمير في قوله انه للشان والحدث ربي أحسن مثواي أي ربي وسيدى ومالكي أحسن مثواي حين قال لك أكرمي مثواه فلا يلبق بالعتل أن اجاز به على ذلك الاحسان بهذه الجملة القبيحة انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الاحسان بالاساءة وقيل أراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم أولان عملهم يقتضى وضع الشيء في غيره موضعه وهنا سوالات (السؤال الاول) ان يوسف عليه السلام كان حراما كان عبدا لاحد فقولوه انه ربي يكون كذا وذلك ذنب وكبيرة (والجواب) انه عليه السلام أجرى هذا الكلام بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبدا له وايضا انه ربه وأنعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربه كونه مربيا له وهذا من باب المعارض الحسنة فان أهل الظاهر يحملونه على

ذلك التمكن القديم (مكنا يوسف في الارض) أي جعلناه فيها مكانا يقال مكنه فيه أي أثبته فيه ويمكن له فيه أي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكما أهلكتنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم أي ما لم نمكنكم فيها أو مكنناهم في الارض والمعنى كما جعلناه مثوى كريما في منزل العزيز أو مكننا عليا في قلبه حتى

مر امراته دون سائر حواشيده باكرام مثواه جعلناه مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها بين اهلها ومحبيها في قلوبهم كافة كافي قلب العزيز لانه الذي يؤدى الى الغيبة المذكورة في قوله تعالى (وتعلمه من تأويل الاحاديث) أى توفقه لتعريف بعض المنامات التي عدها رؤيا الملك وصاحب السجى لقوله تعالى ذلكما مما علمنى ربى سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها ﴿ ١٧٢ ﴾ الكلام ويستند عليها النظام كأنه قيل

ومثل ذلك التمكن
مكننا يوسف في الارض
وجعلنا قلب أهلها كافة
محال محبة ليرتبط عليه
ما ترتب مما جرى بينه
وبين امرأة العزيز
ولنعلمه بعض تأويل
الاجادى وهو تأويل
الرؤيا المذكورة في رؤى
ذلك الى الرياسة العظمى
ولعل ترك المعطوف عليه
للاشعار بعدم كونه
مرا دابالذات أو جعلناه
علة لعل محذوف كأنه
قيل ولهذه الحكمة البالغة
فعلنا ذلك التمكن
دون غيرها مما ليس له
عاقبة جيدة هذا لا يخفى
عليك أن الذى عليه
تدرو هذه الامور انما هو
التمكن في جانب العزيز
وأما التمكن في جانب
الناس كافة فتأديته
الى ذلك انما هي باعتبار
اشتماله على ذلك التمكن
فان الحق ان يكون ذلك
اشارة الى مصدر قوله
تعالى مكننا يوسف على
أن يكون هو عبارة عن
التمكن في قلب العزيز

كونه رباله وهو كان يعنى به انه كان مربيا له ومنعما عليه (السؤال الثاني) هل يدل قول يوسف عليه السلام معاذ الله على صحة مذهبنا في القضاء والقدر (والجواب) انه يدل عليه دلالة ظاهرة لان قوله عليه السلام أعوذ بالله معاذا طلب من الله أن يعيده من ذلك العمل وتلك الاعادة ليست عبارة عن اعطاء القسرة والعقل والآلة وازاحة الاعذار وازالة الموانع وفعل الاطاف لان كل ما كان في مقدور الله تعالى من هذا الباب فتدفعه فيكون ذلك اما طلبا لتحصيل الحاصل أو طلبا لتحصيل المستعصم وانه محال فليمان تلك الاعادة التي طلبها يوسف من الله تعالى لامعنى لها الا ان يخلق فيه داعية جازمة في جانب الطاعة وأن يزبل عن قلبه داعية المعصية وذلك هو المطلوب والدليل على ان المراد ما ذكرناه ما نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقع بصره على زيب قال يا معالي القلوب ثبت قلبي على دينك وكان المراد منه تقوية داعية الطاعة وازالة داعية المعصية فكذلكها هنا وكذا قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فالمراد من الاصبعين داعية الفعل وداعية الترك وهاتان الداعيتان لا يحصلان الا بخلق الله تعالى والا لا تفترق الى داعية أخرى وزم التسلسل فثبت ان قول يوسف عليه السلام معاذ الله من أدل الدلائل على قولنا والله أعلم (السؤال الثالث) ذكر يوسف عليه السلام في الجواب عن كلامها ثلاثة أشياء (أحدها) قوله معاذ الله (والثاني) قوله تعالى عنه انه ربى أحسن مثواى (والثالث) قوله انه لا يفلح الظالمون فوجه تعلق بعض هذا الجواب ببعض (والجواب) هذا الترتيب في غاية الحسن وذلك لان الانقياد لامر الله تعالى وتكليفه أهم الاشياء لكثرة انعامه وأطافه في حق العبد فتقوله معاذ الله اشارة الى أن حق الله تعالى ينبغ عن هذا العمل وأيضا حقوق الخلق واجبة الرعاية فلما كان هذا الرجل قد أنعم في حق يقبح مقابلة انعامه واحسانه بالاساءة وأيضا صوت النفس عن الضرر واجب وهذه المذلة ذلة قليلة ويذهبها خزى في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة واللذة القليلة اذا لمزها ضرر شديد فالعقل يقتضى تركها والاحتراز عنها فتقوله انه لا يفلح الظالمون اشارة اليه فثبت ان هذه الجوابات الثلاثة مرتبة على أحسن وجوه الترتيب * قوله تعالى (ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) في انه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا وفي هذه المسئلة قولان (الاول) ان يوسف عليه السلام هم بالفاحشة قال الواحدى في كتاب البسيط قال المفسرون الموثوق بعلمهم المرجوع الى روايتهم هم يوسف أيضا بهذه المرأة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة عنه قال جعفر الصادق رضى الله عنه باسناده عن علي رضى الله تعالى انه قال طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيها انه هم أن يحل التكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حل الهميان

أوفى منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة أنه عزير فيهما الا عن تمكين آخر يشبهه بكأمر * وجلس * في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا من أن ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لالى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقسم للدلالة على فخامة شان المشار اليه افعاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يخجل وهكذا ينبغي أن يحقق المقام وأما

التمكن بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجها المثمرة عليه كما عرفته لامن مبادئه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غايته ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضائه العمل بموجب النماذج المثبتة على الحوادث قبل وقوعها وهذا محققا لجعله غايته لولايته ومواقع من التدارك في أمر السنين فانما هو عمل بموجب الروايات السابقة ﴿ ١٧٣ ﴾ المعهودة اللهم الآن يراد بتعليم تأويل

الاحاديث ما سبق من تفهيم قوامض أسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حيث شئنا ممكن له في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولتعلّم معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الاجالى لذلك المعاني والاحكام وان كان غير متأخر عن تمكنه بذلك المعنى الآن لتعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من التوازل متأخر عن ذلك صالح لان يكون غايته (والله غالب على أمره) لا يستعصى عليه أمر ولا يمانعه شيء بل انما أمره لشيء اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شأنه المتعلقة بيوسف دخولا أوليا أو متوليا على أمر يوسف لا يكله الى

وجلس منها مجلس الخائن وعنه أيضا أنها استلقته وجلس بين رجلها بترجم ثيابه ثم ان الواحدى طول في كلمات عديدة الفائدة في هذا الباب وما ذكر آية يخرج بها ولا حديثا صحيحا يعمل عليه في تصحيح هذه المقالة وما أمعن النظر في تلك الكلمات العارضة عن الفائدة روى ان يوسف عليه السلام لما قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي ثم قال والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الانبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا الهم عنه فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب (والقول الثانى) ان يوسف عليه السلام كان برئاعن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب واعلم ان الدلائل الدالة على وجوب عصمة الانبياء عليهم السلام كثيرة ولقد استقصيناها في سورة البقرة في قصة آدم عليه السلام فلا نزيد الا نزيد ههنا وجوها (فالجمل الأولى) ان الزنا من منكرات الكبار والخيانة في معرض الامانة أيضا من منكرات الذنوب وأيضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة الموجبة للفضيحة النامة والعار الشديد أيضا من منكرات الذنوب وأيضا الصبي اذا تربي في حجر انسان وبقى مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه الى زمان شبابه وكل قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال أفحج أنواع الاساءة الى ذلك المنعم العظيم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول ان هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الاربع ومثل هذه المعصية لو نسبت الى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز اسنادها الى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيد بالعجرات القاهرة الباهرة ثم انه تعالى قال في غير هذه الواقعة كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه ولا شك ان المعصية التي نسبوها اليه أعظم أنواع السوء وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يلقى برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع انه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء وأيضا فلا ية تدل على قولنا من وجه آخر وذلك لاننا نقول هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تعيد المدح العظيم واثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن انسان اقدامه على معصية عظيمة ثم انه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والاثناء عقيب ان حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده أفحج الذنوب وأفحش الاعمال ثم انه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيب ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا والله أعلم (الثالث) ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والتواضع ولو كان يوسف عليه السلام أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى

غيره وقد أرى يده من الفتنة ما أرى يدمره غيب مرة فليكن الاما اراد الله من العاقبة الجميدة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم أن لهم من الامر شيئا وأنى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل وأولاياعاون اطوائف صنعه وخفيا فضله (ولما بلغ أشده) أى منتهى اشتداد جسمه وفوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم والاول هو الاظهر

أقوله تعالى (آتيناه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس وقفهما أونبوة (وعلم) أي تقمها في الدين وتكبرهما للتفخيم أي حكما وعلم لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آناه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد جعل آيتا وهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿ ١٧٤ ﴾ (تجزى المحسنين) أي كل من يحسن في عمله

فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا أن يخص بعلم تاويل روي الملك فان ذلك حيث كان عند تنهاى أيام البلاء صح أن يعد آيتاؤه من جملة الجزاء وأما روي صاحب السجين فقد ثبت عليه السلام بعد تنويرها في السجين بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعليّة الاحسان له وتنبية على أنه سبحانه انما آناه ما آناه لكونه محسنا في أعماله متقيا في عفو ان أمره هل جزاء الاحسان الا الاحسان (ورأوته التي هو في يدها) رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكننا يوسف الى هنا اعتراض بجي به أعوذجا للقصة ليعلم السامع

بالتو بقه لحكي الله تعالى عنه آتيانه بها كافي سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية (الرابع) ان كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب وايليس أقر أيضا ببراءته عن المعصية وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة واقدراودته عن نفسه فاستعصم وأيضاً قالت الآن حصى الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك وأما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قبضه فدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات (أولها) قوله لنصرف عنه السوء واللام للتأكيّد والمبالغة (والثاني) قوله والفحشاء أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (والثالث) قوله انه من عبادنا مع انه تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (والرابع) قوله المخلصين وفيه قراءة ثان تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لخضرته وعلى كلا الوجهين فانه من أدل الانقاط على كونه متزاهعا أضافوه اليه وأما بيان ان ايليس أقر بطهارته فلانه قال فبعتك لاغويتهم أجمة من الاعبادك منهم المخلصين فأقر بانه لا يمكنه اغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين فكان هذا اقرارا من ايليس بانه ما اغواء وما أضله عن طريقة الهدى وعند هذا نقول هو لا الجاهل الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من اتباع ايليس وجنوده فليقبلوا شهادة ايليس على طهارته ولعلمهم يقولون كئنا في أول الامر تلامذة ايليس الى أن نخرجنا عليه فزنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت امرأ من جند ايليس فارتقي * بي الدهر حتى صار ايليس من جندي فلومات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى فثبت بهذه الدلائل أن يوسف عليه السلام بري عما يقول هو لا الجاهل وإذا عرفت هذا فنقول الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين (المقام الاول) أن نقول لانسلم أن من أول الامر أنما يقه عليه السلام من الفتن التي ستحكي بتفاصيلها غاية جملة وعاقبة ﴿ يوسف ﴾ جيدة وأنه عليه السلام محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بزهده ولا يخفى أن مدار حسن التخص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكن البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانحاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك

مكنّا كما فعله الجمهورناه من القريب فتأمل والمرادة المطالبة من راد يرونا اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الزائد
اطالب الماد والكللا وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومطالبة المديون ومداواة الطبيب ونظائرهما ما يكون
من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت
أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها ١٧٥ ✽ صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني

على اعتبار دقيق تحققة
أن سبب الشيء يقام مقامه
وبطلق عليه اسمه
كافي قولهم كاتدين تدان
أي كاتجيزي تجيزي فان فعل
البادي وان لم يكن جزاء
لكنه لكونه سببا للجزاء
أطلق عليه اسمه وكذلك
ارادة القيام الى الصلاة
وارادة قراءة القرآن حيث
كانت سببا للقيام والقراءة
عبر عنهما بها فقول
اذنقم الى الصلاة فاذا
قرأت القرآن وهذه قاعدة
مطردة مستمرة ولما كانت
أسباب الافعال المذكورة
فيما نحن فيه صادرة
عن الجانب المقابل
لجانب فاعلمها فان مطالبة
الدائن للمطالبة التي
هي من جانب الغريم
وهي منه للمطالبة التي
هي من جانب الدائن
وكذا مداواة الطبيب
للمرض الذي هو من جانب
المرضى وكذلك مرادتها
فيما نحن فيه لجمال يوسف
عليه السلام نزل صدورهما
عن محالها بمنزلة صدور
مسيبتها التي هي تلك

يوسف عليه السلام هم بها والدليل عليه انه تعالى قال وهم بها اولاً أن رأى برهان ربه
وجواب لولاهنا مقدم وهو كما يقال قد كنت من المهالكين لولان فلا نخلصك وطعن
الزجاج في هذا الجواب من وجهين (الاول) أن تقديم جواب لولاشاذ وغير موجود في
الكلام الفصح (الثاني) ان لولايجاب جوابها باللام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال
ولقد همت ولهم بها لولاً وذكر غير الزجاج سؤالا ثالثاً وهو أنه لو لم يوجد لهم لما كان لقوله
لولان رأى برهان ربه فائدة واعلم ان ما ذكره الزجاج بعيد لانا نسلم أن تأخير جواب لولاً
حسن جائز إلا جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب وكيف ونقل عن سيديويه
أن قال انهم يقدمون الهم فلاهم والذي هم يشانه أعنى فكان الامر في جواز التقديم
والأخير مريباً بشدة الاهتمام وأما تعين به من الالفاظ بالنوع فذلك مما يليق بالحكمة
وأيضاً ذكر جواب لولاً باللام جائز أماً هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز ثم انما ذكر
آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى ان كادت لتبدي
به لولاً نر بطناً على قابها (وأما السؤال الثالث) وهو انه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله لولاً
ان رأى برهان ربه فائدة فتقول بل فيه أعظم الفوائد وهو بيان ان ترك الهم بها ما كان
لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل أن دلائل دين الله منعه عن ذلك
العمل ثم نقول ان الذي يدل على أن جواب لولاً ما ذكرناه ان لولاً تستدعي جواباً وهذا
المذكور يصلح جواباً له فوجب الحكم بكونه جواباً له لا يقال ان اضمره جواباً وترك
الجواب كثير في القرآن لانا نقول لاتزاح أنه كثير في القرآن الا أن الاصل أن لا يكون
محدوفاً وأيضاً فالجواب انما يحسن تركه وحذفه اذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه
وهنا يتقدم أن يكون الجواب محدوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعينه ذلك الجواب فان
هنا أنواعاً من الاضمارات يحسن اضمار كل واحد منها وليس اضمار بعضها أولى من
اضمار الباقي فظهر الفرق والله أعلم (المقام الثاني) في الكلام على هذه الآية أن نقول
سلمنا أن الهم قد حصل الا أن نقول ان قوله وهم بها لا يمكن حمله على ظاهره لان تعليق الهم
بذات المرء محال لان الهم من جنس القصد والقصد لا يتعلق بالذوات الباقية فثبت أنه
لا بد من اضمار فعل مخصوص يجعل متعلق ذلك الهم وذلك الفعل غير مذكوفهم زعموا
أن ذلك المضمر هو ايقاع القاحشة بهما ونحن نضمر شيئاً آخر يعاير ما ذكره ويبيانه من وجوه
(الاول) المراد انه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك القبيح لان الهم هو
القصد فوجب ان يحمل في حق كل أحد على القصد الذي يليق به فاللائق بالرأ القصد الى
تحصيل اللذة والتهم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد الى زجر العاصي
عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقال هممت بفلان أي بضربه وودفعه
فان قالوا فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله لولاً رأى برهان ربه فائدة قلنا بل فيه أعظم
الفوائد ويانه من وجهين (الاول) انه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لوهم بدفعها

الافعال فبنى الصيغة على ذلك وروى جانب الحقيقة بان أسند الفعل الى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل
ويجوز أن يراد بصيغة المبالغة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه انفصل وهو منها الترك
ويجوز ان يكون من الرويد وهو الفرق والتحمل وتعديتها بمعنى تضمينها معنى التخادعة فالمعنى خادعته (عن نفسه)
أي فعلت ما يفعله

الخادغ لصاحبة قن شئ لا ير يد اخر ارجه من يده وهو محتال ان ياخذ منه وهي عبارة عن التخل في واقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على السر أو للاستهجان بذكره وإيراد الموصول لتقرر المراد فان كونه في يدها ما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حالك ما أنت عليه مما لاخير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نراهه عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام ١٧٦ مشاهدته لحاسنها واستعصائه عليها مع كونه

تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والزهادة (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التثنية دون الافعال وقيل للبساعة في الايقاع والاحكام (وقالت هيت لك) قري بفتح الهاء وكسرهما مع فتح التاء وبناء كنباء أين وعيط وهيت كعير وهيت كحيث اسم فعل معناه أقبل وبادر والام للبيان أي لك أقول هذا كافي هم لك وقري هيت لك على صيغة الفعل بمعنى نهيات يقال هاء يهي كجاء يهي اذا نهى وهيت لك واللام صلة للفعل (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذاً مما تدعيني اليه وهذا اجتناب منه على اثم الوجوه وإشارة الى التعليل بأنه منكروها بل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهد بهما أراء الله تعالى من البرهان التبر على ما هو

لقتله أول كانت تأمر الحاضرين بقتله فاعلم الله تعالى ان الامتناع من ضربها أولى صونا للنفس عن الهلاك (والثاني) انه عليه السلام لو اشغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به فكان يترق ثوبه من قدام وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشهد بأن ثوبه لو يترق من قدام لكان يوسف هو الخائن ولو كان ثوبه يترق من خلف لكانت المرأة هي الخائنة فاعلم الله تعالى أعلم بهذا المعنى فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هار باعنها حتى سارت شهادة الشاهد حجة تله على رآته عن العصية (الوجه الثاني) في الجواب أن يفسر الهم بالشهوة وهذا مستعمل في اللغة الشائعة يقول القائل فيما لا يشتهي ما يهمني هذا وفيما يشتهي هذا هم الاشياء الى قسمي الله تعالى شهوة يوسف عليه السلام هما فغنى الآية وقد اشتهته واشتهاها لولأن رأى برهان ربه لدخل ذلك العمل في الوجود (الثالث) أن يفسر الهم بحديث النفس وذلك لان المرأة الفاتنة في الحسن والجمال اذا تزيت وتهبت للرجل الشاب القوى فلا بد وأن يقع هناك بين الحكمة والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتقوى داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة فانهم عبارة عن جوازب الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جوازب العبودية ومثال ذلك أن الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف اذا رأى الجلاب المبرد بالشئ فان طبيعته تحمله على شره الأندى به وهذا بمنعه منه فهذا لا يدل على حصول الذنب بل كلا كانت هذه الحالة أعدد كانت القوة في القيام بلوازم العبودية أكمل فتدظهر بحمد الله تعالى صحة هذا القول الذي ذهبنا اليه ولم يبق في بدا الواحدى الاجمرد التصلف وتعدد أسماء المفسرين ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك القول شبهة لاجبنا عنها لأنه ما زاد على الرواية عن بعض المفسرين واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما كتب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات فقلت الاولى أن لا تقبل مثل هذه الاخبار فقال على طريق الاستنكار فان لم تقبله لزمنا تكذيب الرواة فقلت له يا مسكين ان قبيلنا لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام وان ردناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة ولا شك أن صوت ابراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صوت طائفة من المجاهيل عن الكذب اذا عرفت هذا الاصل فتقول للواحدى ومن الذى يضمن لنا ان الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين والله أعلم (المسئلة الثانية) في ان المراد بذلك البرهان ما هو ما المحققون المبتون للعصمة فقد فسروا رؤية البرهان بوجوه (الاول) أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزانى من العقاب (والثاني) أن الله تعالى طهر نفوس الانبياء عليهم السلام عن الاخلاق الذميمة بل نقول انه تعالى طهر نفوس المتصلين به عنها كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الاخلاق وتذكير الاحوال الرادعة لهم عن الافدام على

عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل (انه ربى أحسن مثواى) ❀ المنكرات

تعليق للامتناع ببعض الاسباب الخارجية بما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره التنبيه على سببه الدافى الذى لا تكاد تنبه له لما سولته لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الاذان بفحامة مضمونها مع ما فيه من زيادة

عند وروده فضل تمكن فكانه قيل ان الشأن الخطير هذا وهو في اي سیدی العزیز أحسن مثواي أی أحسن نهدي حيث أمرک باکرامی فكيف يمكن أن أسئ اليه بالخيانة في حرمة وفيه ارشادها الى رماية حق العزیز بألف وجه وقيل الضمير لله عزوجل ور بی خبران ١٧٧ وأحسن مثواي خبران أو هو الخبر والاول بدل

من الضمير والمعنى ان الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عزوجل وعلى التقديرين ففي الاختصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضاها الامتناع عما دعت اليه ايدان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالة وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا وقوله تعالى (انه لا يفلح الظالمون) تعليل للامتناع المذكور رغب لتعليل والفلاح والظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كما صرح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كأنما من كان في ذلك المجازون لا احسان بالاساية والعصاة لامر الله تعالى دخولا أوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني بأهله (ولقد هبت به) بخلافه

المنكرات (والثالث) أنه رأى مكتوبا في سقف البيت ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا (والرابع) انه النبوة المسانعة من ارتكاب الفواحش والدليل عليه أن الانبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح فلو أنهم منعوا الناس عنها ثم أودعوا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقضا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وأيضاً ان الله تعالى عبر اليه يهود بقوله أنتم من الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما يكون عيبا في حق اليهود كيف ينسب الى الرسول المؤيد بالمعجزات * وأما الذين نسبوا المعصية الى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أمور (الاول) قالوا ان المرأة قامت الى صنم مكل بالدر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب فقال يوسف لم فعلت ذلك قالت استحي من الهى هذا أن برأت على معصية فقال يوسف أتستحيين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحي من الهى القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا أفعل ذلك أبدا قالوا فهذا هو البرهان (الثاني) نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمثل له يعقوب فرآه عاضا على أصابعه ويقول له أنعمل عمل الفجيار وأنت مكتوب في زمرة الانبياء فاستحي منه قال وهو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين قال سعيد بن جبيرة تمثل له يعقوب ففرض في صدره فخرجت شهوته من أنامله (والثالث) قالوا انه سمع في الهواء قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كاطير يكون له ريش فاذا زنا ذهب ريشه (والرابع) نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوسف عليه السلام لم يزرجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضه جبريل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة الاخرج ولما نقل الواحدى هذه الروايات تصلف وقال هذا الذي ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عن شاهد التنزيل فيقال له انك لا تأتينا البتة الا بهذه التصلقات التي لا فائدة فيها فأين هذا من الحجة والدليل وأيضا فان ترادف الدلائل على الشيء الواحد جازا وأنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعا عن الزنا بحسب الدلائل الاصلية فلما انضاف اليها هذه الزواجر قوى الازجار وكل الاحتراز والعجب أنهم يقولون ان جرودا دخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هناك بغير علمه قالوا فامتنع جبريل عليه السلام من الدخول عليه أربعين يوما وهنأ عوا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب اليه جبريل عليه السلام والعجب أيضا أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشغلا بفاحشة فاذا دخل عليه رجل على زى الصالحين استحيامته وفرو ترك ذلك العمل وهنأ انه رأى يعقوب عليه السلام عصى على أنامله فلم يلتفت اليه ثم ان جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام الى أن يركضه على ظهره فنسأل الله أن يصوننا عن الغي

اذالهم لا يتعلق بالاعيان اى ٢٣ خا قصدتها وعزمت عليها عما جاز ما لا يلزمها عنه صارف عينا بأشربت مبادئها وفعلت ما فعلت من الراودة وتغلبت الايوب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولطها نصبت هنالك لافعال أخر من بسط يدها اليه وفصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام لهرب نحو الباب والتأ كيد لدفع ما عسى ينوهم من

بما احتمال اقلها عما كانت عليه ، بما في مقابلة هذه السلام من الزناجر (ولهلم بها) بمخالطتها اي مائة اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصدها قصد الاختيار لا يرى الى ما سبق من استعصامه المني عن كمال كراهية له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الاستجبال باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما ١٧٨ وانما عبر عنه بالهم ليجرد وقوعه في محبة همها

في الذكر بطريق المشاكلة
لاشبهه به كما قيل ولقد
أشير الى تباينهما حيث
لم يلز في قرن واحد من
التعبير بأن قيل ولقد هما
بالخسالة أو هم كل
منهما بالآخر وصدر
الاول بما يقرر وجوده
من التوكيد القسبي
وعقب الثاني بما يغو
أثره من قوله عز وجل
(لولا أن رأى برهان ربه)
اي حجة الباهرة الدالة
على كمال فح الزناوسوء
سبيله والمراد برؤيته
لها كمال ايقانه بها
ومشاهدته لها
مشاهدة واصلة الى
مرتبة عين اليقين الذي
تحلى هناك حقائق
الاشياء بصورها
الحقيقية وتخلع عن
صورها المستعارة التي
يها تظهر في هذه الأنشأة
على ما نطق به قوله عليه
السلام حفت الجنة
بالكاره وحفت النار
بالشهوات وكأنه عليه
السلام قد شاهد اننا
بموجب ذلك البرهان
البر على ما هو عليه في

في الدين والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المختص في هذه المسئلة والله أعلم
(المسئلة الثالثة) في الفرق بين السوء والفحشاء وفيه وجوه (الاول) ان السوء جنابة
البد والفحشاء هو الزنا (الثاني) السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة
والفحشاء هو الزنا أما قوله انه من عبادنا المختصين اي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ومن
فتح اللام أراد الذين خلصهم الله من الاسواء ويحتمل أن يكون المراد أنه من ذرية ابراهيم
عليه السلام الذين قال الله فيهم انا أخلصناهم بخالصة (المسئلة الرابعة) قرأ ابن كثير
وابن عامر وأبو عمر والمختصين بكسر اللام في جميع القرآن والباقيون بفتح اللام قوله
تعالى (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر) والقياس يداهلدى الباب قالت ماجزاء من
أراد بأهلك سوا إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من
أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين اعلم انه تعالى
لما حكى عنها أنها همت أتبعه بكيفية طلبها وهرب به فقال واستبقا الباب والمراد أنه هرب
منها وحاول الخروج من الباب وعدت المرأة خلفه لتجذبه الى نفسها والاستباق طلب
السبق الى الشيء ومعناه تبادر الى الباب بمجنه كل واحد منهما أن يسبق صاحبه فان سبق
يوسف فتح الباب وخرج وان سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج وقوله واستبقا
الباب اي استبقا الى الباب كقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لاى من قومه واعلم
أن يوسف عليه السلام سبقها الى الباب وأراد الخروج والمرأة تعد وخلفه فلم تصل الا الى
دبر القميص فقدته اي قطعته طولا وفي ذلك الوقت حضر زوجها وهو المراد من قوله
والقياس يداهلدى الباب اي صادقا بعلها تقول المرأة لبعليها سيدى وانما لما يقل سيدهما
لان يوسف عليه السلام ما كان مملوكا لذلك الرجل في الحقيقة فمتد ذلك خافت المرأة من
التهمة فبادرت الى أن رمت يوسف بانفعل القبيح وقالت ماجزاء من أراد بأهلك سوا
الأن يسجن أو عذاب أليم والمعنى ظاهر * وفي الآية لطائف (احداها) ان ما يحتمل أن
تكون نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ايضا أن تكون استفهامية يعنى أى شئ
جزاؤه إلا أن يسجن كما تقول من في الدار لا زيد (وثانيها) أن حبها الشديد ليوسف حملها
على رعاية دقيقتين في هذا الموضع وذلك لانها بدأت بذكر السجن وأخرت ذكر العذاب
لان الحب لا يسعى في ايلام المحبوب وايضا انها لم تذكر أن يوسف يجب أن يعامل بأحد
هذين الامرين بل ذكرت ذلك ذكر اكبا صونا للمحبوب عن الذكر بالسوء والالم وايضا
قالت إلا أن يسجن والمراد أن يسجن يوما أو أقل على سبيل التخفيف فأما الجنس الدائم
فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين الا ترى أن فرعون
هكذا قال حين تهدم موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من

خدذاته أقبح ما يكون وأوجب ما يجب أن يخذرنه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم المسجونين
بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا المخدوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى
موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه
الشرطية بيان أن امتناعه

عليه السلام، لكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لحض العقوة والبراهمة مع وفور الدواعي الداخلية وتزنب القديسات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لأن حيث الصيغة تجري التمسيد للحكم المطلق كافي مثل قوله تعالى ان كاد يضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها فلا يحق هناك أصلًا وقد جوز أن يكون ﴿ ١٧٩ ﴾ وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز

التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما حتمت به ولكن حيث اتفق عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه اتفق الهم رأسا هذا وقد فسرهم عليه السلام بأنه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الخنان وبأنه حل نكته سراويله وقعد بين شه باورقته للبرهان بأنه سمع صوتا اياك واياها فلم يكثر ثم وثم الى أن تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أئمنه وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيما يذمها ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تنقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينه ثم رأى فيها واتقوا بومآ ترجعون فيه الى الله فلم ينجم فقال الله

المسجونين (وثائها) انها لما شاهدت من يوسف عليه السلام أنه استعصم منها مع انه كان في عنقوان العرو كالقوة ونهاية الشهوة عظم اعتقادها في طهارته ونزاهته فاستحيت أن تقول ان يوسف عليه السلام قصدني بالسوء وما وجدت من نفسي أن ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا التعريض فانظر الى تلك المرأة ما وجدت من نفسي أن ترميه بهذا الكذب وان هؤلاء الحشوية يرمونه بعد قريب من أربعة آلاف سنة بهذا الذنب القبيح (ورابعها) أن يوسف عليه السلام أراد أن يضرب بها ويدفعها عن نفسه وكان ذلك بالنسبة اليها جاريا مجرى السوء فقولها ماجزاء من أراد بأهلاك سوا جار مجرى التعريض فعلها بقلبها كانت تريد اقدامه على دفعها ومنعها وفي ظاهر الامر كانت توهم انه قصدني بما لا ينبغي واعلم أن المرأة لما ذكرت هذا الكلام ولطخت عرض يوسف عليه السلام احتاج يوسف الى ازالة هذه التهمة فقال هي راودتني عن نفسي وأن يوسف عليه السلام ما هتك سترها في أول الامر الا أنه لما خاف على النفس وعلى العرض أظهر الامر * واعلم أن العلامات الكثيرة كانت دالة على أن يوسف عليه السلام هو الصادق (فالاول) أن يوسف عليه السلام في ظاهر الامر كان عبدا لهم والبعده لا يمكنه أن يسلط على مولاة الى هذا الحد (والثاني) انهم شاهدوا أن يوسف عليه السلام كان بعدو وعدوا شديدا يخرج الرجل الطالب للمرأة لا يخرج من الدار على هذا الوجه (والثالث) انهم رأوا أن المرأة زينت نفسها على كل الوجوه وأما يوسف عليه السلام فما كان عليه أن يترتب بين النفس فكان الخاق هذه الفتنة بالمرأة أول (الرابع) انهم كانوا قد شاهدوا أحوال يوسف عليه السلام في المدة الطويلة غارا واعليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذا الفعل المشكوك في انفسه ما يقوى الظن (الخامس) ان المرأة ما نسبته الى طلب الفاحشة على سبيل التصريح بل ذكرت كلاما مجملًا مبهما وأما يوسف عليه السلام فانه صرح بالامر ولأنه كان متهمًا بالمقدرة على انصرم باللفظ المصرح فان الخائن خائف (السادس) قيل ان زوج المرأة كان عاجزا وآثار طلب الشهوة في حق المرأة كانت متكاملة فالخاق هذه الفتنة بها أولى فلما حصلت هذه الامارات الكثيرة الدالة على أن مبدأ هذه الفتنة كان من المرأة استجبا الزوج وتوقف وسكت لعلمه بأن يوسف صادق والمرأة كاذبة ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه بريء عن الذنب وأن المرأة هي المذنبة وهو قوله وشهد شاهد من أهلها وفي هذا الشاهد ثلاثة أقوال (الاول) انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيمًا واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الآن لا ندري أيكم اقدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة فلما نظر والى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من

عز وجل لجبريل ادرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فأنحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أنعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العز يزوقل وقيل ان كل ذلك الاخرافات وأبا طيل تجها الاذان وتزدها العقول والاذنان ويل لمن لا كهها ولقها أو سمعها وصدقها (كذلك) الكاف منصوب المحل

وذلك إشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أى مثل ذلك التبصير والتعريف بحرفائه برهانه
فما قبل أو الى التثبيت اللازم له أى مثل ذلك التثبيت ثبته (لنصرف عنه سوء) على الإطلاق فيدخل فيه خيانة السيد
دخولاً وأولياً (والفحشاء) والزنا لأنه مفرط في الفجح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منهم بالمعصية
ولا توجه اليها قاطوا الا لقل لنصرفه عن سوء والفحشاء وانما توجه اليه ١٨٠ بحج ذلك من خارج فصره الله

تعالى عنه بما فيه من
موجبات العفة والعصمة
فتأمل وقرئ بصرف
على اسناد الصرف الى
ضمير الرب (انه من عبادنا
المخلصين) تعليل لما سبق
من مضمون الجملة بطريق
التحقيق والمخلصون هم
الذين أخلصهم الله
تعالى لإطاعته بأن عصمهم
عما هو قادح فيها وقرئ
على صيغة الفاعل وهم
الذين أخلصوا دينهم لله
سبحانه وعلى كلا المعنيين
فهو منظم في سلوكهم
داخل في زمرة من
أول أمره بقضية الجملة
الاسمية لأن ذلك حدث له
بعد أن لم يكن كذلك
فانحسم مادة احتمال
صدور الهم بالسوء منه
عليه السلام بالكلية
(واستبقا الباب) متصل
بقوله ولقد همت به وهم
بها لولا أن رأى برهان
ربه وقوله كذلك الى
آخره اعتراض بحج به
بين المعطوفين تقريرا
لنزاهته عليه السلام

كيد كن ان كيد كن عظيم أى من عملكن ثم قال ليوسف أعرض عن هذا واكتبه وقال
لها استغفري لذنبك وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين (والثاني) وهو أيضا منقول
عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبيرة والخطاب ان ذلك الشاهد كان صيبا
أنطقه الله تعالى في المهدي فقال ابن عباس تكلم في المهدي أربعة صفار شاهد يوسف وابن
ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب قال الجبائي والقول الاول
أولى لوجوه (الاول) انه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله انها كاذبة
كافيا وبرهانا قاطعا لانه من البراهين القاطعة القاهرة والاستدلال بمنزلة القميص
من قبل ومن دبر دليل على ضعف العدول عن الحجة القاطعة حال حضورها وحصولها
الى الدلالة الظنية لا يجوز (الثاني) انه تعالى قال وشهد شاهد من أهلها وانما قال من
أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة لان الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة
ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والاضرار فالقصد بذكر كون ذلك الرجل من أهلها
تقوية قول ذلك الرجل وهذه الترجيحات انما يصار اليها عند كون الدلالة ظنية ولو كان
هذا القول صادرا عن الصبي الذي في المهدي لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين
أن يكون من أهلها وبين أن لا يكون من أهلها وبين أن لا يكون من أهلها وبين أن لا يكون من أهلها
(والثالث) ان لفظ الشاهد لا يقع في العرف الاعلى من تقدمت له معرفة بالواقعة واحاطة
بها (والقول الثالث) ان ذلك الشاهد هو القميص قال مجاهد ان شاهد كون قميصه
مشقوقا من دبر وهذا في غاية الضعف لان القميص لا يوصف بهذا ولا ينسب الى الادل
واعلم أن القول الاول عليه أيضا مشكال وذلك لان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على
براءة يوسف عليه السلام عن المعصية لان من المحتمل أن الرجل قصد المرأة لطلب الزنا
فالمرأة غضبت عليه فهرب الرجل فعدت المرأة خلف الرجل وجذبه لقصدها أن تضربه
ضربا وجيعا فعلى هذا الوجه يكون القميص مشقوقا من دبره أن المرأة تكون برية عن
الذنب والرجل يكون مذنباً (وجوابه) انما يثبت أن علامات كذب المرأة كانت كثيرة بالغة
بلغ اليقين فضموا اليها هذه العلامة الاخرى لاجل أن يقولوا في الحكم عليها لاجل
أن يكون ذلك جاريا مجرى المقويات والمبرجات ثم انه تعالى أخبر وقال فلما رأى قميصه
وذلك يحمل السيد الذي هو زوجها ويحمل الشاهد فلذلك اختلفوا فيه قال انه من
كيد كن أى ان قولك ماجزاء من أراد بأهلك سواء من كيد كن ان كيد كن عظيم فان قيل
انه تعالى لما خلق الانسان ضعيفا فكيف وصف كيد المرأة بالعظم وأيضا فكيد الرجال
قد يزيد على كيد النساء (والجواب) عن الاول ان خلق الانسان بالنسبة الى خلقه
الملائكة والسموات والكواكب خلقه ضعيفا وكيد النساء بالنسبة الى كيد البشر
عظيم ولانفاة بين القولين وأيضا فالتساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل
ما لا يكون للرجال ولان كيدهن في هذا الباب يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال واعلم

بقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وأبى هو واستبقا الباب ١٨١ أنه
أبى تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وأوصل
الفعل الى المجرور نحو واذا كاللهم أوضن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليها مع
أنه رادها محرم منه وسف وذا لا به حب

الاتهام الى الباب لانهم لما رأته يسرع الى الباب ليخلص منها أسرعت هي أيضا ليستعطف اليه وتغتمعه عن الفتح والخروج أو حير
عن اسراعها أثره بذلك مبالغة (وقد تفيصه من دير) اجتذبت من ورائه فأنشق طولاً وهو القديس أن الشق عرضاً هو
القط وقد قيل في وصف عطره رضي الله عنه انه كان اذا اعتلى قدوا اذا اعترض قطوا ستاداً القديس اليها خاصة مع أن قوة
يوسف أيضاً دخلا فيه اما لانها الجزء * ١٨١ * الاخير للعللة التامة واما لا يذان بمبالغتها في منعها عن الخروج

و بذل مجهودها في ذلك
لغوت المحبوب أو لخوف
الافتضاح (وألقيا
سيدها) اي صادفا
زوجها واذالم يكن ملكه
ليوسف عليه السلام
صحبا لم يقل سيدهما
قبل ألقيا مع بل وقيل
كان جالسا مع ابن عم
للرأة (لدى الباب) اي
البراني كما روى كعب
رضي الله عنه أنه لما هرب
يوسف عليه السلام
جعل فراش القفل ينثر
ويستقط حتى خرج
من الابواب (قالت)
استثاف مني على سؤال
سائل يقول لماذا كان
حين ألقيا العزيز عند
الباب ف قيل قالت
(ما جزاء من أراد بأهلك
سوا) من الزنا ونحوه
(الا ان يسجين أو عذاب
أليم) ما نافية اي ليس
جزاؤه الا السجن
أو العذاب الليم قبل
المراد به الضرب بالسياط
أو استقهامية أي أي
شي جزاؤه غير ذلك
أولئك ولقد أتت

أنه لما ظهر للقوم براءة يوسف عليه السلام عن ذلك الفعل المنكر حتى تعالى عنه أنه قال
يوسف أعرض عن هذا ف قيل ان هذا من قول العزيز وقيل انه من قول الشاهد ومعناه
أعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها وكان أمر
يوسف بكتان هذه الواقعة أمر المرأة بالاستغفار فقال واستغفري لذنبك وظهر ذلك
طلب المغفرة ويحتمل أن يكون المراد من الزوج ويكون معنى المغفرة العفو والصفح
وعلى هذا التقدير فالأقرب أن قائل هذا القول هو الشاهد ويحتمل أن يكون المراد
بالاستغفار من الله لأن أولئك الاقوام كانوا يثبتون الصانع الا انهم مع ذلك كانوا
يعبدون الاوثان بدليل أن يوسف عليه السلام قال أرباب متفرقون خيرأ الله الواحد
القهار وعلى هذا التقدير فيجوز أن يكون القائل هو الزوج وقوله انك كنت من الخاطئين
نسبة لها الى أنها كانت كثيرة الخطايا فيما تقدم وهذا أحد ما يدل على أن الزوج عرف
في أول الامر ان الذنب للمرأة لا ليوسف لانه كان يعرف منها اقدامها على ما لا ينبغي
وقال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها بالاستغفار قال صاحب
الكشاف وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث ويحتمل أن
يقال المراد انك من نسل الخاطئين في ذلك النسل سرى هذا العرق الخبيث فيك والله
أعلم * قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها
حبا انا لنزاها في ضلال مبين فلما سمعت نكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ
وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن
وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
لم لم يقل وقالت نسوة قلنا نسوة قلنا لوجهين (الاول) أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة ونائبته غير
حقيق فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث (الثاني) قال الواحدى تقديم الفعل يدعو الى
اسقاط علامة التأنيث على قياس اسقاط علامة التأنيث والجمع (المسئلة الثانية) قال
الكافي هن أربع امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازة وامرأة صاحب سجنه وامرأة
صاحب دوابه وزاد مقاتل وامرأة الحجاب والاشبه أن تلك الواقعة شاعت في البلد
واشتهرت وتحدث بها النساء * وامرأة العزيز هي هذه المرأة المعلومه تراود فتاها عن
نفسه الفتى الحدث الشاب والقناة الجارية الشابة * قد شغفها حبا وفيه مشتلان
(المسئلة الاولى) ان الشغاف فيه وجوه (الاول) ان الشغاف جلدة محيطه بالقلب يقال
لها غلاف القلب يقال شغفت فلانا اذا أصبت شغافه كما تقول كبדתه اذا أصبت كبده
فقوله شغفها حبا اي دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب (الثاني) أن حبه أحاط بقلبيها
مثل احاطة الشغاف بالقلب ومعنى احاطة ذلك الحب بقلبيها هو أن اشتغالها بحبه صار
حجابا بينها وبين كل ماسوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها الاياه (الثالث)
قال الزجاج الشغاف حبة القلب وسويداء القلب والمعنى أنه وصل حبه الى سويداء قلبها

في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدتها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضها
وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم موافقته على ما
بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في موافقته لها كرها عند بأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره

يسجنه وليكونا من الصغار من ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امر المحققا فمروا فاحضه غشا عن الاخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزأها فمضى تريد ايقاعه حسبما يقضيه قانون الالة وفي ايهام المريد تمويل بشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كالثامن كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العنيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تنوخواه ﴿ ١٨٢ ﴾ بحكم الغضب والحمية (قال) استئناف

وجواب عما يقال فإذا قال يوسف حينئذ قتل قال (هي روادتي من نفسي) أي طالبتي للمواتة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتتريه نفسه عما أسند اليه من الخيانة وعدم معرفته حق السيد ودفع ما عرضته له من الامر بين الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الادب مع الائمة الى الاعراض عنها وشهد شاهد من أهلها) قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها الذي الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشير وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها ن حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما أتى الله سبحانه الشهادة الى من هو من أهلها

وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم (المسئلة الثانية) قرأ جماعة من الصحابة والتابعين شعفا بالعين قال ابن السكيت يقال شعفه الهوى اذا بلغ الى حد الاحتراق وشعف الهناء البعير اذا بلغ منه الالم الى حد الاحتراق وكشف أبو عبيدة عن هذا المعنى فقال الشعف بالعين احراق الحب القلب مع لذة يجدها كما ان البعير اذا هني بالانطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح اليه وقال ابن الانباري الشعف رؤس الجبال ومعنى شعف بفلان اذا ارتفع حبه الى أعلى الموضع من قلبه (المسئلة الثالثة) قوله حبا نصب على التمييز ثم قال انالزها في ضلال ميين اي في ضلال عن طريق الرشيد بسبب حبها اياه كقوله ان أبانا في ضلال ميين ثم قال تعالى فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت لهن متكأ وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) المراد من قوله فلما سمعت بمكرهن أنها سمعت قولهن وانما سمى قولهن مكرأ لوجوه (الاول) أن النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن أنهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن لئيمه عذرها عذهن (الثاني) أن امرأ العنيز أسرت اليهن حبها ليوسف وطلبت منهن كتمان هذا السرف فلما أظهرن السر كان ذلك عذرا ومكرأ (الثالث) أنهن وقعن في غيبتها والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر (المسئلة الثانية) انما لما سمعت انهن يلتهن على تلك المحبة المفرطة أرادت ابداء عذرها فاتخذت مائدة ودعت جماعة من أكابرهن وأعدت لهن متكأ وفي تفسيره وجوه (الاول) المتكأ الفرق الذي يتكأ عليه (الثاني) أن المتكأ هو الطعام قال الغبي والاصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمى الطعام متكأ على الاستعارة (والثالث) متكأ أترجا وهو قول وهب وانكر أبو عبيد ذلك ولكنه محمول على أنها وضعت عذرها أنواع الفاكهة في ذلك المجلس (والرابع) متكأ طعاما يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام متى كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكأ عليه عند القطع ثم نقول حاصل ذلك انها دعت أولئك النسوة وأعدت لكل واحدة منهن مجلسا معينا وآتت كل واحدة منهن سكيناً اي لاجل أكل الفاكهة أو لاجل قطع اللحم ثم انها أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج اليهن ويعبر عليهن وانه عليه السلام ما قدر على مخالفتها خوفا منها فلما رأته أكبرته وقطعن أيديهن وهنما مسائل (المسئلة الاولى) في أكبرته قولان (الاول) أعظم منه (والثاني) أكبر من بمعنى حضن قال الازهرى والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وفيه وجه آخر وهو ان المرأة اذا خافت وفزعت فر بما أسقطت ولدها فخاضت فان صح تفسير الأكابر بالحيض فالسبب فيه ما ذكرناه وقوله وقطعن أيديهن كناية عن دهشتهم وحيرتهم والسبب في حسن هذه الكناية أنها لما دهشت فكأن تظن انها تقطع الفاكهة وكانت تقطع يد نفسها أو يقال انها لما دهشت صارت

ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأتقى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبياني المهد أنطقه الله ﴿ بحيث ﴾ تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبي

مريرة رضى الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهل البيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها أو من غيرهم (ان كان قصده قدم من قبل) اى ان علم أنه قدم من قبل من قبل ونظيره ان أحسنت الى فقد أحسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعديبا حسنا الى فاعتديبا حسنا السابق اليك (فصدقت) بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اى فقد صدقت وكذا الحال في ١٨٣ في قوله فكذبت وهى وان لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوا الآن

لكلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعرضان للانشاآت (وهو من الكاذبين) وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شئ وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارتقاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بأن يقع التقدم قبل عداوتها له عليه السلام من نفسها عند ارادته المخالصة للكشف بحرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة أعني مضمون الشرطية الثانية التى هى قوله عز وجل (وان كان قصده قدم من دبر فكذب وهو من الصاقين) الى

بحيث لا يتميز نصابها من حديدتها وكانت تأخذ الجانب الحاد من ذلك السكين بكفها فكان يحصل الجراحة في كفها (المسئلة الثانية) اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرنه بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل قيل كان فضل يوسف على الناس في الفضل والحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت بيوسف عليه السلام ليلة عرج بي الى السماء فقلت لجبريل عليه السلام من هذا فقال هذا يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى ثلاثا لو وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وهذا القول هو الذى اتفقوا عليه وعندى انه يحتمل وجهها آخر وهو أنهن انما أكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة وسما الراسات وانما الراس موضوع والاحتشام وشاهد من مهابة النبوة وهيئة الملكية وهى عدم الانفاتح الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقروبا تلك الهيبة والهيئة فتعجب من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وعظمته ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن وعندى أن حمل الآية على هذا الوجه أولى فان قيل فاذا كان الامر كذلك فكيف ينطبق على هذا التأويل قولها فذلكن الذى لمتننى فيه وكيف تصير هذه الحالة عذرا لها في قوة العشق وافرط المحبة فلنا قد تقرر ان المنوع متبوع فكأنها قالت لهن مع هذا الخلق العجيب وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة فحسنته يوجب الحب الشديد وسببته الملكية توجب اليأس عن الوصول اليه فلهذا السبب وقعت في المحبة والحسرة والارق والقلق وهذا الوجه في تأويل الآية أحسن والله أعلم (المسئلة الثالثة) قرأ أبو عمرو قلن حاشا لله باثبات الالف بعد الشين وهى رواية الاصمعي عن نافع وهى الاصل لانها من المحاشاة وهى التخمبة والتعبد والباقون بحذف الالف للتخفيف وكثرة دورها على اللسان اتباعا للمصحف وحاشا كلمة تعيد معنى التنزيه والمعنى ههنا تنزيه الله تعالى من الجرح حيث قدر على خلق جبل مثله وأما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء التجب من قدرته على خلق عفيف مثله (المسئلة الرابعة) قوله ما هذا بشرا ان هذا الاملاك كريم فيه وجهان (الاول) وهو المشهور ان المقصود منه اثبات الحسن العظيم له قالوا لانه تعالى ركز في الطباع أن لا يحى أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا يحى أقبح من الشيطان ولذلك قال تعالى في صفة جهنم طاعها كانه رؤس الشياطين وذلك لما ذكرنا انه تقرر في الطباع أن أقبح الاشياء هو الشيطان فكذا ههنا تقرر في الطباع أن أحسن الاحياء هو الملك فلما أرادت النسوة المبالغة في وصف يوسف عليه السلام بالحسن لاجرم شبهه بالملك (والوجه الثانى) وهو الاقرب عندى ان المشهور عند الجمهور ان الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة وجواذب الغضب ونوازع الوهم والخيال فطعمهم توحيد الله تعالى وشراهم الناء على الله تعالى ثم ان النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلتفت اليهن البتة ورأين عليه

التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب الى الوقوع وأدل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها أيضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال أو بتقدير القول اى شهد قائلا الخ وتسميتها شهادة مع أنه لاحكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديبها مؤذنا هابل لانها شهادة على الحقيقة وحكم

بصدق و كذبها إما على تقدير كون الشاهد هو النبي فظاهر أنه ما من قبل كلام النبوة ولا بصورة الشرطية للإيدان بأن ذلك ظاهر من العلام أيضاً وإما على تقدير كونه غيره فلا أن الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هو عليه إما مشاهدة أو أخباراً فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الأولى و بوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزء باثنته تالي الأولى و بوقوع تالي الثانية قاذن هو أخبار ١٨٤ بكتبها و صدقه عليه السلام لكنه ساق شهادة

مساقماً مؤمناً من الجرح والطن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهراً بين نفعها ونفعه وأما حقيقة فلا ترد فيها قطعاً لأن الشرطية الأولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالاً لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقها عليه السلام بأمره بمحقق الوجود وهو القدم من دبر فيكون محققاً البتة وهذا كإقيل فيمن قال لامرأة تزوجني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجت نفسي فقبل الرجل فاذا لازم لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بأمر مقرر تعجزه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعاً عن الاضافة كقول وبعد وبالفصح كأنهما جعلاً عليلين للجهتين فنعما

هبة النبوة وهبة الرسالة وسما الطهارة قلنا انما رأينا فيه أثراً من أثر الشهوة ولا شيئاً من البشرية ولا صفة من الانسانية فهذا قد تظاهر عن جميع الصفات المعروضة في البشر وقد ترقى عن حد الانسانية ودخل في الملكية فان قالوا فان كان المراد ما ذكرتم فكيف يتعهد عذر تلك المرأة عند النسوة فالجواب قد سبق والله أعلم (المسئلة الخامسة) القائلون بأن الملك أفضل من البشر احتجوا بهذه الآية فقالوا لا شك أنهم انما ذكرنا هذا الكلام في معرض تعظيم يوسف عليه السلام فوجب أن يكون اخراجه من البشرية وادخاله في الملكية سبباً لتعظيم شأنه وإعلاء مرتبته وانما يكون الامر كذلك لو كان الملك أعلى حالا من البشر ثم نقول لا يخلو اما أن يكون المقصود بيان كمال حاله في الحسن الذي هو الخلق الظاهر أو كمال حاله في الحسن الذي هو الخلق الباطن والأول باطل لوجهين (الأول) انهم وصفوه بكونه كريماً وانما يكون كريماً بسبب الاخلاق الباطنة لا بسبب الخلقة الظاهرة (والثاني) أنا نعلم بالضرورة ان وجه الانسان لا يشبه وجوه الملائكة البتة اما كونه بعيداً عن الشهوة والغضب معرضاً عن اللذات الجسمانية متوجهاً الى عبودية الله تعالى مستغرق القلب والروح فيه فهو أمر مشترك فيه بين الانسان الكامل وبين الملائكة واذا ثبت هذا فنقول تشبيه الانسان بالملك في الامر الذي حصلت المشابهة فيه على سبيل الحقيقة أولى من تشبيهه بالملك فيما لم تحصل المشابهة فيه البتة فثبت أن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك في هذه الآية انما وقع في الخلق الباطن لا في الصورة الظاهرة و ثبت انه متى كان الامر كذلك وجب أن يكون الملك أعلى حالا من الانسان في هذه الفضائل فثبت ان الملك أفضل من البشر والله أعلم (المسئلة السادسة) لغة أهل الحجاز اعمال ما عمل ليس وبها ورد قوله ما هذا بشر ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على لغة بني نعيم قرأ ما هذا بشراً وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشراً أي ما هو بعيد بملوك للبشران هذا الامك كريم ثم نقول ما هذا بشراً أي حاصل بشراً بمعنى هذا مشتمل ونقول هذا لك بشراً أم بكراً والقراءة المعتمدة هي الأولى ووافقتها المحقق ولقابلة البشر للملك قوله تعالى (قالت فذلكن الذي لم تكني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لم يكنن ويكنون من الصاغرين) اعلم ان النسوة لما قلن في امرأة العزيز قد شغفها حباً نالها في ضلال مين عظم ذلك عليها لجمعتهن فلما رأته أكبرته وقطعن أيديهن فعند ذلك ذكرت انهن بالوم أحق لانهن بنظرة واحدة لحقهن أعظم مما نالها مع انه طال مكثه عندها فان قيل فلم قالت فذلكن مع أن يوسف عليه السلام كان حاضراً (والجواب) عنه من وجوه (الأول) قال ابن الانباري أشارت بصيغة ذلكن الى يوسف بعد انصرفه من المجلس (والثاني) وهو الذي ذكره صاحب الكشف وهو أحسن ما قيل ان النسوة كن يقطن انها عشقت عبداً الكنعاني فلما رأينه ووقعن في تلك الدهشة قالت هذا الذي رأيتوه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لم تكني

الصرف للتأنيث والعلية وقرئ بسكون العين (فلما رأى خيصة قد من دبر) كأنه لم يكن رأى فيه ذلك بعد أول ما يندبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال (قال انه) أي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي أسندت الى يوسف وتدبر عقوبته بقولها ما جازاء من أراد بأهلك سوا إلى آخره لكن لا من حيث

صورة ذلك الإتيان والإستعداد لها بل مع قطع النظر عن قرينة التلاخلو فيه تعالى (من كيد كن) أي من جنس حيث كن
ومكر كن أشبه النساء لمن غير كن عن الأفادة وتدبير العقوبة وإن لم يكن تجريده عن الإضافة إليها إلا أنها المصورة به بصورة
الحق أفاد الحكم بكونه من كيدهن أفادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لمن عريق * ولا تحسبا
هذه الما الغدرو وحدها * سجيبة نفس كل غاية ﴿ ١٨٥ ﴾ هند * ورجع الضمير إلى قولها ما جازع من أراد بأهلك سوا

فقط عدول عن البحث
عن أصل ما وقع فيه النزاع
من أن ارادة السوء من هي
إلى البحث عن شعبته من
شعبه وجعله للسوء أو للامر
المعبر به عن طبعها في
يوسف عليه السلام
يأباه الخبر فإن الكيد
يستدعي أن يعتبر مع ذلك
هناك آخر من قبلها كما
أشرنا إليه (أن كيد كن
عظيم) فانه أطف
وأعلق بالقلب وأشد
تأثيرا في النفس وعن بعض
العلماء أني أخاف من النساء
ملا لأخاف من الشيطان
فانه تعالى يقول أن كيد
الشيطان كان ضعيفا
وقال للنساء أن كيد كن
عظيم ولأن الشيطان
يوسوس مسارقة وهن
يواجهن به الرجال
(يوسف) حذق منه
حرف النداء لقر به وكال
تفطنه للحديث وفيه
تقريب له وتلطيف لمحله
(أعرض عن هذا) أي
عن هذا الامر وعن
التحديث به واكتفه فقد

فيه يعني أن كن لم تصوره حق تصوره ولو حصلت في خيال كن صورته لترك كن هذه الملامة
واعلم انها لما أظهرت عذرها عند النسوة في شدة محبتها له كشفت عن حقيقة الحال فقالت
وأقذر أودنه عن نفسه فاستعصم واعلم أن هذا تصريح بأنه عليه السلام كان بريئا
عن تلك التهمة وعن السدى أنه قال فاستعصم بعد حل السر ويل وما الذي يحمله على
الحاق هذه الزيادة الفاسدة الباطلة بنص الكتاب ثم قال ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن
وليكونا من الصاغرين والمراد أن يوسف عليه السلام أن لم يوافقها على مرادها يوقع
في السجن وفي الصغار ومعلوم أن التواعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع
النفس عظيم الخطر مثل يوسف عليه السلام وقوله وليكونا كان حجة والكسائي يقفان
على وليكونا بالالف وكذلك قوله لنسفا والله أعلم * قوله تعالى (قال رب السجن أحب
إلى مما يدعونني إليه والاتصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهليين فاستجاب له
ربه فصرف عنه كيدهن أنه هو السميع العليم) واعلم أن المرأة لما قالت ولئن لم يفعل
ما أمره لیسجنن وليكونا من الصاغرين وسائر النسوة سمعن هذا التهديد فالظاهر أنهن
اجتمعن على يوسف عليه السلام وقتلن لامصلحة لك في مخالفة أمرها والواقع في السجن
وفي الصغار فعند ذلك اجتمع في حق يوسف عليه السلام أنواع من الوسوسة (أحدها) أن
زناها كانت في غاية الحسن (والثاني) انها كانت ذات مال وثروة وكانت على عزم أن تبذل
الكل ليوسف بتقدير أن يساعدها على مطلوبها (والثالث) أن النسوة اجتمعن عليه وكل
واحدة منهن كانت ترغبه وتخوفه بطريق آخر ومكر النساء في هذا الباب شديد (والرابع)
انه عليه السلام كان خائفا من شرها وافتادها على قتله واهلاكه فاجتمع في حق يوسف
جميع جهات الترهيب على موافقتها وجميع جهات التخويف على مخالفتها فخاف عليه
السلام أن تؤثر هذه الأسباب القوية الكثيرة فيه واعلم أن القوة البشرية والطاقة
الانسانية لا تفي بحصول هذه العصمة القوية فعند هذا التجأ إلى الله تعالى وقال رب السجن
أحب الي مما يدعونني إليه وقرئ السجن بالفتح على المصدر وفيه سؤال (السؤال الاول)
السجن في غاية المكروهية وما دعونه اليه في غاية المطلبية فكيف قال المشقة أحب الي
من اللذة (والجواب) أن تلك اللذة كانت تستعقب آلاما عظيمة وهي الذم في الدنيا
والعقاب في الآخرة وذلك المكروه هو اختيار السجن كان يستعقب سعادات عظيمة
وهي المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة فلهذا السبب قال السجن أحب الي مما
يدعونني اليه (السؤال الثاني) أن حبسهم له معصية كإلزام معصية فكيف يجوز أن
يجب السجن مع أنه معصية (والجواب) تقدير الكلام انه إذا كان لابد من التزام أحد
الامرین أعني الزنا والسجن فهذا أولى لانه متى وجب التزام أحد شيئين كل واحد منهما شر
فأخفهما ولاهما بالتحمل ثم قال والاتصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من
الجاهليين أصب اليهن أمل اليهن يقال صبا إلى اللهو يصوبصوا إذا مال واحتمل أصحابنا

ظهر صدقك وزاهدتك (واستغفري) ﴿ ٢٤ ﴾ خا أنت باهذه (لذنبك) الذي صدر عنك وثبت عليك (أنك كنت)
بسبب ذلك (من الحاطئين) من جملة القوم المتعمدين للذنب أو من جنسهم يقال خطي إذا اذنب عمدا وهو تليل الامر
بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما فاكنتي بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل

الغيرة (وقال نسوة) أى جماعة من النساء كن خمساً امرأة الساقى وامرأة الخبز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب
 السخن وامرأة الحاحب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأتي به غير حقيق كناية للمثوبة وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث (فى المدينة) ظرف لقال أى أشحن الامر فى مصر أو صفة لنسوة (امرأة
 العزيز) أى الملك بردن قطفيرا وضافهن لها إليه بذلك * ١٨٦ * العنوان دون أن يصرحن باسمها واسمها ليست

بهذه الآية على ان الانسان لا ينصرف عن المعصية الا اذا صرفه الله تعالى عنها قالوا لان
 هذه الآية تدل على انه تعالى ان لم يصرفه عن ذلك القبيح وقع فيه وتقريره ان القدرة
 والداعى الى الفعل والترك ان استويا امتنع الفعل لان الفعل رجحان لاحد الطرفين
 ومرجوحية للطرف الآخر وحصولهما حال استواء الطرفين جمع بين التقيضين وهو
 محال وان حصل الرجحان فى أحد الطرفين فذلك الرجحان ليس من العبد والاذنبت
 المراتب الى غير النهاية بل هو من الله تعالى فالصرف عبارة عن جعله مرجوحا لانه متى صار
 مرجوحا صار امتنع الوقوع لان الوقوع رجحان فلو وقع حال المرجوحية لحصل الرجحان
 حال حصول المرجوحية وهو يقتضى حصول الجمع بين التقيضين وهو محال فثبت بهذا ان
 انصرف العبد عن القبيح ليس الامن الله تعالى وتوجهه الى الطاعة ليس الامن الله تعالى
 ويمكن تقرير هذا الكلام من وجه آخر وهو انه كان قد حصل فى حق يوسف عليه السلام
 جميع الاسباب المرغوبة فى تلك المعصية وهو الانتفاع بالمال والجاه والتعجب بالمشكوك
 والطعوم وحصل فى الاعراض عنها جميع الاسباب المنفرة ومتى كان الامر كذلك فقد
 قويت الدواعى فى الفعل وضعفت الدواعى فى الترك فطلب من الله سبحانه وتعالى أن
 يحدث فى قلبه أنواعا من الدواعى المعارضة النافية لدواعى المعصية اذ لو لم يحصل هذا
 المعارض لحصل المرجح للوقوع فى المعصية خاليا عما يعارضه وذلك بوجوب وقوع الفعل
 وهو المراد بقوله أصب اليهن وأكن من الجاهلين * قوله تعالى (نحمد الله من بعد ما رأوا
 الآيات ليسبحنه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أراى أعصر خيرا
 وقال الآخر انى أراى أحمل فوق رأسى خيرا أنا كل الطير منه نبشأنا ويله انبارك من
 المحسنين) وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان زوج المرأة لما ظهر له براءة ساحة
 يوسف عليه السلام فلا جرم لم يتعرض له فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل
 يوسف عليه السلام على موافقتها على مرادها فلم يلتفت يوسف اليها فلما أيسست منه احتالت
 فى طريق آخر وقالت لزوجه ان هذا العبد العبرانى فضحنى فى الناس يقولون لهم انى راودته
 عن نفسه وأنا لا أقدر على اظهار عذرى فاما ان تأذن لى فأخرج واعتذر واما ان يحبسها كما
 حبستنى فعند ذلك وقع فى قلب العزيز ان الاصلح حبسها حتى يسقط عن السنة الناس ذكر
 هذا الحديث وحتى تقل القضية فهذه هو المراد من قوله ثم بدالهم من بعد ما رأوا الآيات
 ليسبحنه حتى حين لان البداء عبارة عن تغير الرأى عما كان عليه فى الاول والمراد من
 الآيات براءته بقدا القميص من دبر وخش الوجه والزنا الحكم اماها بقوله انه من
 كيد كنى ان كيد كنى عظيم وذكرنا انه ظهرت هناك أنواع أخر من الآيات بلغت مبلغ
 القطع ولكن القوم سكنوا عنها سميا فى اخفاء القضية (المسئلة الثانية) قوله بدالهم
 فعل وفاعله فى هذا الموضع قوله ليسبحنه وظاهر هذا الكلام يقتضى اسناد الفعل الى فعل
 آخر لأن الكو بين اتفقوا على ان اسناد الفعل الى الفعل لا يجوز فاذا قلت خرج ضرب

لنقص المبالغة فى اشاعة
 الخبر بحكم أن النفوس
 الى سماع أخبار ذوى
 الاخطار أميل كما قيل
 اذ ليس مرادهن تفضيح
 العز يزبل هى لنقص
 الاشباع فى اومها بقولهن
 (تراودناها) أى تطالبن
 بمواقته لهما وتحمل
 فى ذلك وتخاذل (عن
 نفس) وقيل تطلب منه
 الفاحشة وايشارهن
 لصيغة المصارع للدلالة
 على دوام المراودة والغنى
 من الناس الشاب واصله
 فتى اتولهم فتيان وافتوة
 شاذة وجمعه فتيه وفتيان
 ويستعار للمملوك وهو
 المراد ههنا وفى الحديث
 لا يقل احدكم عبدى
 وأمتى وليلق فتاى وفتاى
 وتعبرهن عن يوسف
 عليه السلام بذلك مضافا
 اليها الى العزيز الذى
 لا تستلزم الاضافة اليه
 الهوان بل ربما يشعر
 بنوع عزة لا يانة ما بينهما
 من التباين البين الناشئ
 عن المالكية والمملوكية

وكل ذلك لترية ما من من المبالغة والاشباع فى التلوم فان من لا زوج لها من النساء والها زوج دنى قد تعذر * لم ينفذ *
 فى مرادة الاخذ ان لاسما اذا كان فيهم علو الجناح وأما التى لها زوج وأى زوج عز يزمر فرأودتها الغيرة لاسما لعبدتها
 الذى لا كثرة بينها وبينه أصلا وتماذيا فى ذلك غاية الغنى ونهاية الضلال (قد شققها حبا) أى شق حبه شقاق
 قلبها وهو حجاب

أوجلت الحقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى قوادها وقرى شفقها بالعين من شفق البعير إذا هنتها فأحرقه بالقطران وعن أنصحك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشغف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشغف جنون والجملة خبر ثان أوحال من فاعل تراود أو من مفعوله وأياما كان فهو تكرير لاوم وتأكيد للمعنى بيان اختلال أحوالها القلبية كأحوالها ١٨٧ ❦ القلبية وجعلها تعليل لدوام المراودة من حيث الآنية

مصر إلى الاستدلال
على الاجل بالآخى
ومن حبب اللمة ميل
إلى تمهيد العذر من
قبلها ولن بذلك المقام
وانتصاب حبا على
التبشير لنقله عن الفاعلية
إذا لاصل قد شغفها
حب كإشتراليه (أنا الغراها)
أى نعلمها علما متاخبا
للمشاهدة والعيان فيما
صنعت من المراودة
والحبة المفرطة مستقرة
(في ضلال) عن طريق
الرشد والصواب وعن
سنن العقول (مبين)
واضح لا يخفى كونه
ضلالا على أحد أو مظهر
لامر هابئ الناس فالجملة
مقررة لمضمون الجملة
السابقتين المسوقتين
للامور والتشنيع وتسجيل
عليها بأنها فى أمرها
على خطأ عظيم وإنما
لم يقل أنها فى ضلال
مبين اشعارا بأن ذلك
الحكم غير صادر عن
مجاز فذيل عن علم ورأى
مع التلويح بأنهم
متنزهات عن أمثال

لم يفد البتة فعند هذا قالوا تقدير الكلام ثم بدالهم سبحانه لأنه أقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وأقول الذوق يشهد بأن جعل الفعل مخبر عنه لا يجوز وليس لاحد أن يقول الفعل خبر فجعل الخبر مخبر عنه لا يجوز لانا فنقول الاسم قد يكون خبرا كقولك زيد قائم فقائم اسم وخبر فعلمنا أن كون الشيء خبرا لا يتأني كونه مخبرا عنه بل نقول في هذا المقام شكوك (أحدها) أنا إذا قلنا ضرب فعل فالتحريك به فاعل هو ضرب فالفعل صار مخبر عنه فان قالوا الخبر عنه هو هذه الصيغة وهى اسم فنقول فعلى هذا التقدير يلزم أن يكون المخبر عنه بأنه فعل اسم لافعل وذلك كذب وباطل بل نقول الخبر عنه بأنه فعل ان كان فعلا فقد ثبت أن الفعل يصح الاخبار عنه وإن كان اسما كان معناه أنا أخبرنا عن الاسم بأنه فعل ومعلوم أنه باطل وفى هذا الباب مباحث عميقة ذكرناها فى كتب العقولات (المسئلة الثالثة) قال أهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه وعلى الطويل وقال ابن عباس يريد أنقطع المقالة وما شاع فى المدينة من الفاحشة ثم قيل الحين ههنا خمس سنين وقيل بل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس يوسف اثنتى عشرة سنة والصحيح أن هذه المقادير غير معلومة وإنما التقدير المعلوم أنه بقى محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادكر بعد أمة أما قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان فههنا محذوف والتقدير لما أرادوا حبسه حبسوه وحذف ذلك دلالة قوله ودخل معه السجن فتيان عليه قبل هما غلامان كانا للملك الأكبر بمصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب طعامه يريد أن يسمه وظن أن الآخر يساعده عليه فأمر بحبسهما بقى فى الآياتة سوالات (الاول) كيف عرفانه عليه السلام عالم بالتعبير (والجواب) لعله عليه السلام سألهما عن حزنهما وغمهما فذكر أنارأينا فى المنام هذه الرؤيا ويحتمل أنهما رأياه وقد أظهر معرفته بأمور منها تعبيرا لرؤيا فعند هذا ذكره ذلك (السؤال الثانى) كيف عرفا أنهما كانا عبيدين للملك (الجواب) لقوله فنسقى ربه خرا أى مولاؤه وقوله اذكرنى عند ربك (السؤال الثالث) كيف عرفا أن أحدهما كان صاحب شراب الملك والآخر صاحب طعامه (والجواب) رؤيا كل واحد منهما مناسب حرفته لأن أحدهما رأى أنه يعصر الخمر والآخر كأنه يحمل فوق رأسه خبزا (السؤال الرابع) كيف وقعت رؤية المنام (والجواب) فيه قولان (الاول) أن يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين هلم فلنخبر هذا العبد العبرانى برؤيا نختبره ههنا فسلاله من غير أن يكونا رأيا شيئا قال ابن مسعود ما كانا رأيا شيئا وإنما نحالم بالخبر اعلمه (والقول الثانى) قال مجاهد كانا قد رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف عليه السلام فسألهما عنها فقال الساقى أيها العالم انى رأيت كائى فى بستان فأذباصل عنبه حسنة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجذبتها وكان كاس الملك يبدى فعصرتهما ففشر به فذلك قوله انى أراى أعصر جرجرا وقال صاحب الطعام انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز وألوان الاطعمة

ماهى عليه (فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وسوء قائلتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهومتها وتسميته مكرأ لكونه خفية منها ككر الماكر وإن كان ظاهرا لغيرها وقيل استكنتهن سرها فأقشينه عليها وقيل إنما قل ذلك لترين يوسف عليه السلام (أرسلت اليهن) تدعوهم قيل دعأت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعندت) أى أحضرت وهيات (لهن منكأ) أى ما يتكنن عليه

من احماري والوسائد اوربنت لهن مجلس طعام وشرب لانهم كانوا يتناولون الطعام والشراب والخبز كعادة الرقيق ولذلك نهى الرجل أن يأكل منكاً وقيل منكاً طعاماً من قولهم اتكنا عند فلان أى طعمنا قال جيل فظلمنا نعمة وانكنا * وشربنا الخلال من قلبه وعن مجاهد منكاً طعاماً يخرج حراً كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يشكي على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد ١٨٨ * باشباع حركة الكاف كمنترجح في منترجح ونباع

في يبيع وقرئ منكاً وهو الاترج وأنشدوا وأهدت منكاً لبني ابرها * تحب بها العثمئة الوفاح أو ما يقطع من منك الشئ اذا تشكك ومنكاً من نكي اذا تشكى (وآنت كل واحدة منهن سكيناً) لتستعمله في قطع ما يبعد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سبق من تقطيع أيديهن (وقالت) ليوسف وهن مشغولات بما لجة السكاكين واعمالها فيما بأيديهن من النواك وأضرابها والعطف بالواو ربما يشير إلى أن قولها (اخرج عليهن) أى ابرز لهن لم يكن عقب ترتيب أمورهن ليم غرضها من استغفالهن (فلما رأينه) عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام أى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف

واذا سباع الطير تهش منه فذلك قوله تعالى وقال الآخرى اراتى أحمل فوق رأسى خبرنا تأكل الطير مند (السؤال الخامس) كيف عرف يوسف عليه السلام ان المراد من قوله اراتى أعصر خرا روثاً المتام (الجواب) او جوه (الاول) انه لو لم يقصد النوم كان ذكر قوله أعصر يفني عن ذكر قوله اراتى (والثاني) دل عليه قوله نبينا تأويله (السؤال السادس) كيف يعقل عصراً الحمر (الجواب) فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أن يكون المعنى أعصر عصب خرا أى العنب الذى يكون عصيره خرا فحذف المضاف (الثاني) ان العرب تسمى الشئ باسم ما يؤكل اليه اذا انكشف المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ ديساً وهو يطبخ عصيراً (والثالث) قال أبو صالح أهل عمان يسمون العنب بالخر فوفقت هذه اللفظة الى أهل مكة فنطقوا بها قال الضحكك نزل القرآن بألسنة جميع العرب (السؤال السابع) ما معنى التأويل في قوله نبينا تأويله (الجواب) تأويل الشئ ما يرجع اليه وهو الذى يؤل اليه آخر ذلك الامر (السؤال الثامن) ما المراد من قوله اننا ترك من الحسين (الجواب) من وجوه (الاول) معناه اننا ترك توثر الاحسان وتأتى بمكارم الاخلاق وجميع الافعال الحميدة قيل انه كان يعود مرضاهم ويؤنس حزنيهم فقالوا انك من المحسنين أى في حق الشركاء والاصحاب وقيل انه كان شديداً لمواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فقالوا انك من المحسنين في أمر الدين ومن كان كذلك فانه يوفق بما يقوله في تعبير الرويا وفي سائر الأمور وقيل المراد اننا ترك من المحسنين في علم التعبير وذلك لأمى عبر لم يخط كما قال وعلمنى من تأويل الاحاديث (السؤال التاسع) ما حقيقة علم التعبير (الجواب) القرآن والبرهان يدلان على صحته أما القرآن فهو هذه الآية وأما البرهان فهو انه قد ثبت انه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ والمانع لها من ذلك اشتغالها بتدبير البدن وفي وقت النوم يقل هذا التشاغل فتقوى على هذه المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من الاحوال تركت آثاراً مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فالعبر يستدل تلك الآثار الخيالية على تلك الادراكات العقلية فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور في الكتب العقلية والشرعية مؤكده له روى عن النبي عليه السلام أنه قال الرويا ثلاثة رؤيا ما يحدث به الرجل نفسه ورؤيا تحدث من الشيطان ورؤيا التي هي الرويا صادقة حقة وهذا تقسيم صحيح في العلوم العقلية وقال عليه السلام رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة * قوله عز وجل (قال لا تأتكم اطعام ترزقانه الا بتكمنا تأويله قيل أن ما تكما ذلكما علمنا ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بأخرة هم كفرون واتبع ملة أبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) في الآية مسائل (المسألة الاولى) اعلم ان المذكور في هذه الآية ليس بجواب لمأسأ لا عنه فلا بد ههنا من بيان الوجه الذى لاجله عدل عن ذكر الجواب الى هذا

تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تقوت عند ذكر خروجه عليهن كاحذف لتحقيق السرعة * الكلام في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك وفيه ايدان بسرعة امثاله عليه السلام بأمرها فيما لا يشاهد مضرت من الافاعيل (أكبره) عطشه وهن حسنة الفائق وجاله الرائع الرائق فإن فضل جماله على جمال كل جيل

كان كقصر القمر ليلة البدر على سائر الكواكب * عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقبل كان يرى تلاتاً ووجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاء للسكتة * وصبر راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي * خف الله واستغذا بالجمال ببرقع * فان لحث * ١٨٩ * حاضت في الحذور العواتق (وقطعن أيديهن)

أي جرحنها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتقاد حتى لم يعن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالغ بذلك ولم يشعرن به (وقلن حاش الله) تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعبجا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت الفة الأخيرة تخفيفا وهو خرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به إلا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فعنى حاشا لله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرك في سيقالك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال حاشا

الكلام والعلماء ذكروا فيه وجوها (الاول) انه لما كان جواب أحد السائلين أنه بصلب ولا شك انه متى سمع ذلك عظم حزنه وتشدد نفرتة عن سماع هذا الكلام فرأى أن الصلاح أن يقدم قبل ذلك ما يؤثر معه بعلمه وكلامه حتى اذا جاء بهما من بعد ذلك خرج جوابه عن أن يكون بسبب تمهية وعداوة (الثاني) لعلة عليه السلام أراد أن يبين أن درجته في العلم أعلى وأعظم مما اعتقدوا فيه وذلك لانهم طلبوا منه علم التعبير ولا شك أن هذا العلم مبني على الظن والتخمين فبين لهما انه يمكنه الاخبار عن الغيوب على سبيل القطع واليقين مع مجز كل الخلق عنه واذا كان الامر كذلك فإن يكون فائضا على كل الناس في علم التعبير كان أولى فكان المقصود من ذكر تلك المقدمة تقرير كونه فائضا في علم التعبير واصلا فيه الى ما لم يصل غيره (والثالث) قال السدي لا يأتىكم طعام ترزقانه في النوم بين بذلك أن علمه بتأويل الروايليس بمقصود على شيء دون غيره ولذلك قال الانبياء كما بتأويله (الرابع) لعلة عليه السلام لما علم أنهم اعتقدوا فيه وقبلا قوله فاورد عليهم ما يدل على كونه رسولا من عند الله تعالى فان الاشتغال باصلاح مهمات الدين أولى من الاشتغال بمهمات الدنيا (والخامس) لعلة عليه السلام لما علم أن ذلك الرجل سيصلب اجتهد في أن يدخله في الاسلام حتى لا يموت على الكفر ولا يستوجب العقاب الشديد وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة (والسادس) قوله لا يأتىكم طعاما ترزقانه الانبياء كما بتأويله محمول على البقعة والمعنى أنه لا يأتىكم طعام ترزقانه الا أخبركم أي طعام هو وأي لون هو وكه هو وكيف يكون عاقبة أي اذا أكله الانسان فهو يفيد الصحة أو السقم وفيه وجه آخر قيل كان الملك اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه فقال يوسف لا يأتىكم طعام الا أخبركم ان فيه سمأا لاهذا هو المراد من قوله لا يأتىكم طعام ترزقانه الانبياء كما بتأويله وحاصله راجع الى أنه ادعى الاخبار عن الغيب وهو يجرى مجرى قول عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فالوجوه الثلاثة الاول لتقرير كونه فائضا في علم التعبير والوجوه الثلاثة الاخر لتقرير كونه نبيا صادقا من عند الله تعالى فان قيل كيف يجوز حمل الآية على ادعاء المعجزة مع انه لم يتقدم ادعاء للنسبة قلنا انه وان لم يذكر ذلك لكن يعلم لانه لا بد وأن يقال انه كان قد ذكره وأيضاً في قوله ذلك كما بما علمني ربي وفي قوله واتبع ملة أبائي ما يدل على ذلك ثم قال تعالى ذلكم بما علمني ربي أي ليست اخبركم على جهة الكهانة والجهوم وإنما اخبركم بما بوحى من الله وعلم حصل بتعليم الله ثم قال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وفيه مسائل (المسألة الاولى) لقائل ان يقول في قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله توهم انه عليه السلام كان في هذه الملة فتقول جوابه من وجوه (الاول) ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء وليس من شرطه ان يكون قد كان خائضاً فيه (والثاني) وهو الاصح أن يقال انه عليه السلام كان عبدا لهم بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لا يظهر التوحيد والايان خوفا منهم على سبيل التقية ثم انه أظهره في هذا الوقت

بالتنوين وقراءة أبي عمرو يحذف الالف الاخيرة وقراءه الاعمش يحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيبدل على تنزيه منزلته وعدم التنوين لمراعاة أصله كما في قولك جلست من عن عينه وقوله عدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف

أى صار فى ناجية من أن يشارف مآرته به الله أى اطاعته أو لكانه أوجانب الغصبة لاجل الله (ما هذا بشرًا) على أعماق ما معنى ليس وهى لفظة اهل الحجاز لشاركتها فى نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم و بشرى أى بعدد مشتري لقيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذى لم يمهده مثاله فى البشر وقصر على الملكية بقولهن (ان هذا الاملاك كريم) بناء على ما ركز فى القول ١٩٠ من أن لاجى أحسن من الملك كما ركب فيها

أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل مثاه فى الحسن والتعجب وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال (قالت فذلكن) الغاء فصيحته والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذى وصفه به الآن من الخروج فى الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقصاى على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم الثانى عن المراتب البشرية هو (الذى لمتنى فيه) أى غيرتنى فى الافتتان به حيث رأيتنى بحلى بسببى الى العز يز ووضعت قدره بكونه من الممالك أو بالعنوان الذى وصفته به فيما سبق بقولهن امرأة العز يز عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر مبتدأ محذوف أى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتى فى أنفسكن

فكان هذا جاريا بحرى ترك ملة أولئك الكفرة بحسب الظاهر (المسئلة الثانية) تكرر لفظهم فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون لبيان اختصاصهم بالكفر واعل انكارهم للمعاد كان اشد من انكارهم للمبدأ فلاجل مبالغتهم فى انكار المعاد كرر هذا اللفظ للتأكيد واعلم ان قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اشارة الى علم المبدأ وقوله وهم بالآخرة هم كافرون اشارة الى علم المعاد من تأمل فى القرآن المجيد وتفكر فى كيفية دعوة الانبياء عليهم السلام علم أن المقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب صرف الخلق الى الاقرار بالتوحيد والمبدأ والمعاد وان ما وراء ذلك عبث ثم قال تعالى واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب وفيه سوالات (السؤال الاول) ما الفائدة فى ذكر هذا الكلام (الجواب) انه عليه السلام لما ادعى النبوة وتحدى بالهجرة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة وان أباه وجده وجد أبيه كانوا أنبياء الله ورسله فان الانسان متى ادعى حرفة أبيه وجده لم يستبعد ذلك منه وأيضا فكما أن درجة ابراهيم عليه السلام واسحق ويعقوب كان أمرا مشهورا فى الدنيا فاذا ظهر أنه ولد لهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له أتم وتأثر قلوبهم بكلامه أكمل (السؤال الثانى) لما كان نبيا فكيف قال انى اتبعت ملة آبائى والتبى لابد وان يكون مختصا بشريعة نفسه قلنا لعل مراده التوحيد الذى لم يتغير وأبضا لعله كان رسولا من عند الله الا أنه كان على شريعة ابراهيم عليه السلام (السؤال الثالث) لم قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ وحال كل المكلفين كذلك (والجواب) ليس المراد بقوله ما كان لنا أنه حرم ذلك عليهم بل المراد انه تعالى طهر آباءه عن الكفر ونظيره قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد (السؤال الرابع) ما الفائدة فى قوله من شئ (الجواب) ان أصناف الشرك كثيرة فذهب من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة فقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ هو لاء الطوائف والفرق وارشاد الى الدين الحق وهو أنه لا موجد الا الله ولا خالق الا الله ولا رازق الا الله ثم قال ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وفيه مسئلة وهى أنه قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ثم قال ذلك من فضل الله فقوله ذلك اشارة الى ما تقدم من عدم الاشراك فهذا يدل على ان عدم الاشراك وحصول الايمان من الله ثم بين أن الامر كذلك فى حقه بعينه وفى حق الناس ثم بين أن أكثر الناس لا يشكرون ويحب أن يكون المراد أنهم لا يشكرون الله على نعمة الايمان حكى أن واحدا من أهل السنة دخل على بشر بن المعتمر وقال هل تشكر الله على الايمان أم لا فان قلت لا فقد خالفت الاجماع وان شكرته فكيف تشكره على ما ليس فعلا له فقال له بشر انما شكره على انه تعالى أعطانا القدرة والعقل والآلة فيجب علينا أن نشكره على اعطائه القدرة والآلة فما أن نشكره على الايمان مع ان الايمان ليس فعلا له فذلك باطل وصعب الكلام على بشر فدخل عليهم تمامة بن الاشرس وقال انما لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا

وقلت فيه وفى ما قلتن فالآن قد علمت من هو وما قولكن فينا وأما ما يقال تعنى انكن لم تصورنه ﴿ عليه ﴾ بحق صورته ولو صورته بما عاينت لعذرتنى فى الافتتان به فلا يلأم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهده لهن تكيتهن وتديهن على ماصدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لم يد عليه وما ذكر من المقال فحق المتن: فما ظنهم، معذرتهم مقدما، فقلنا: الملكية انما لجمع من الجمال، الا انه،

والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو أيضا لا يلام ببولها فذلك الذي التفتي فيه فان عنوان
العصمة مما بنا في عيشة مرأها ثم بعد ما أقامت عليهن الحجة وأوضحت لديهن عذرهما وقد أصابهن من قبله
عليه السلام ما أصابها باحتلاهن ببقية سرها فقالت (وتقدراودته عن نفسه) حسبما قلت وسيمعت (فاستصم)
امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل * ١٩١ * على الامتناع البلغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو

يحتشد في الاستزادة منها
كافي استمسك واستجمع
الرأى وفيه برهان نير
على انه لم يصدر عنه
عليه السلام شيء مخل
باستعصامه بقوله معاذ الله
من الهم وغيره اعترفت
لهن أولا بما كن يسمعه
من مرأودتهما وأكدا
اظهارا لابتهاجها بذلك
ثم زادت على ذلك أنه
أعرض عنها على أبلغ
ما يكون ولم يعمل البهاق
ثم زادت عليه أيضا أنها
مستمرة على ما كانت
عليه غير مرغوبة عنه
لا بلوم العواذل
ولا باعراض الحبيب فقال
(وثلم لم يفعل ما أمره)
أي أمر به فيما سباني
كالم يفعل فيما مضى فخذف
الجار وأوصل الفعل
الى الضمير كافي أمرتك
الخبر فالضمير للوصول
أو أمرى إياه أي موجب
أمرى ومقتضاه
فما مصدرية والضمير
ليوسف وعبرت عن
مرأودتها بالامر اظهار
لجر بان حكومتها عليه

عليه كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا فقال بشر لما صعب الكلام سهل واعلم ان الذي
الزعم ثمانية باطل بنص هذه الآية وذلك لانه تعالى بين ان عدم الاشراك من فضل الله ثم
بين ان اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة وانما ذكره على سبيل الذم فدل هذا على انه
يجب على كل مؤمن ان يشكر الله تعالى على نعمة الايمان وحينئذ تقوى الحجة وتكمل
الدلالة قال القاضي قوله ذلك ان جعلناه اشارة الى التمسك بالتوحيد فهو من فضل الله
تعالى لانه انما حصل بالاطافه وتسهيله ويحتمل ان يكون اشارة الى النبوة (وال جواب) ان ذلك
اشارة الى المذكور السابق وذلك هو ترك الاشراك فوجب أن يكون ترك الاشراك من
فضل الله تعالى والقاضي يصرفه الى الاطاف والتسهيل فكان هذا تركا للظاهر وأما
صرفه الى النبوة فبعد لان اللفظ الدال على الاشارة يجب صرفه الى اقرب المذكورات
وهو هنا عدم الاشراك * قوله تعالى (يا صاحبي السجن) أرباب متفرقون خير أم الله
الواحد القهار ماتعبون من دونه الأسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من
سلطان ان الحكم الله أمر ألا تعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي
في السجن ويحتمل أيضا انه لما حصلت مرافقتها في السجن مدة قليلة أضيفا اليه واذا
كانت المرافقة القليلة كافية في كونه صاحبها فن عرف الله وأحبه طول عمره أولى بان
يبقى عليه اسم المؤمن العارف المحب (المسئلة الثانية) اعلم أنه عليه السلام لما ادعى النبوة
في الآية الاولى وكان اثبات النبوة مبينا على اثبات الالهيات لاجرم شرع في هذه الآية
في تقرير الالهيات ولما كان أكثر الخلق مقرين بوجود الاله العالم القادر وانما الشأن
في أنهم يتخذون أصناما على صورة الارواح الفلكية ويعبدونها ويتوقعون حصول
الشفع والضرر منها لاجرم كان سعي أكثر الانبياء في المنع من عبادة الاوثان فكان الامر
على هذا القانون في زمان يوسف عليه السلام فلهذا السبب شرع ههنا في ذكر ما يدل على
فساد القول بعبادة الاصنام وذكر أنواعا من الدلائل والحجج (الحجة الاولى) قوله أرباب
متفرقون خير أم الله الواحد القهار وتقرير هذه الحجة أن نقول ان الله تعالى بين أن كثرة
الالهة توجب الخلل والفساد في هذا العالم وهو قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا
فكثرة الالهة توجب الفساد والخلل وكون الاله واحدا يقتضي حصول النظام وحسن
الترتيب فلما قرر هذا المعنى في سائر الآيات قال ههنا أرباب متفرقون خير أم الله الواحد
القهار والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار (والحجة الثانية) ان هذه الاصنام
معمولة لاعاملة ومقهورة لافاهرة فان الانسان اذا أراد كسرها وبطلانها قدر عليها فهي
مقهورة لا تأثر لها ولا يتوقع حصول منفعة ولا مضرة من جهتها والله العالم فعال قهار
قادر يقدر على ايصال الخيرات ودفع الشرور والآفات فكان المراد أن عبادة الالهة
المقهورة الذليلة خير أم عبادة الله الواحد القهار فقوله أرباب اشارة الى الكثرة فجعل

واقضاء لامثال بأمرها (ليسجن) بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك أو إلهامها لسرعة
ترتب ذلك على عدم امثاله لامرأها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل (وليكونا) بالخفضة (من الصاغر)
أي الاذلاء في السجن وقد قرئ الغلغل بالثقل ولكن المشهورة أولى لان النون كتبت في المصحف ألفا على حكم
الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط

مؤتمنه للفهم وجوابه سادس اجوابين وقد انت بهذا الوعيد المنطوي على قنونا كما كيد مختصر منهن ليعلم بربك عليه السلام انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل وتغيبه العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابرار والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فاصنع يوسف حينئذ قيل (قال) مناجيل به عرسلطاه (رب السجن) الذي أوعدتني ﴿١٩٢﴾ باللقاء فيه وقرأ يعقوب بالقبح على المصدر

(أحب ال) أي آثر عدى
لانه مشقة قليلة نافذة
اثرها راحت جليلة أبدية
(مما يدعوني اليه)
من موافقاتها التي تؤدي
الى الشقاء والعذاب الاليم
وهذا الكلام منه
عليه السلام مبنى على مامر
من انكشاف الحقائق
لديه و بروز كل منها
بصورتها الالقية بها
فصيغة التفضيل ليست
على بابها اذ ليس له شائبة
محبة لما دعت اليه وانما هو
والسجن شران أهونها
وأقر بها الى الايثار
السجن والتعبير عن الايثار
بالحبة لحسم مادة طمعها
عن المساعدة خوفا من
الحبس والاقتصار على ذكر
السجن من حيث
ان الصغار من فروعه
ومستبعاته واسناد
الدعوة اليهن جميعا لان
النسوة رغبته في مطاوعتها
وخوفته من مخالفتها
وقيل دعونه الى أنفسهن
وقيل انما ابتلى عليه السلام
بالسجن لقوله هذا وكان
الاولى به أن يسأل الله

في مقابلته كونه تعالى واحدا وقوله متفرقون اشارة الى كونها مختلفة في الكبر والصغر واللون والشكل وكل ذلك انما حصل بسبب أن التاحث والصانع يجعله على تلك الصورة فتقوله متفرقون اشارة الى كونها مفهورة عاجزة وجعل في مقابلته كونه تعالى قهارا فهذا الطريق الذي شرحناه اشتملت هذه الآية على هذين النوعين الظاهرين (والحجة الثالثة)
ان كونه تعالى واحدا يوجب عبادته لانه لو كان له ثنان لم نعم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والافات عنا فيقع الشك في أننا نعبد هذا أم ذلك وفيه اشارة الى ما يدل على فساد القول بعبادة الاوثان وذلك لان تقدير أن تحصل المساعدة على كونها نافعة ضارة الاثرها كثيرة فحينئذ لا تعلم أن نفعنا ودفع الضرر عنا حصل من هذا الصنم أم من ذلك الآخر او حصل بمشاركتها ومعانتها وحينئذ يقع الشك في أن المستحق للعبادة هو هذا أم ذلك اما اذا كان المعبود واحدا ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة الا هو ولا معبود للخلق والكاينات الا هو فهذا أيضا وجه لطيف مستنبط من هذه الآية (الحجة الرابعة) ان تقدير أن يساعد على أن هذه الاصنام تنفع وتضر على ما يقوله اصحاب الطلسمات الأتية لا نزاع في أنها تنفع في أوقات مخصوصة وبحسب آثار مخصوصة والاله تعالى قادر على جميع المقدرات فهو قهار على الاطلاق نافذ المشيئة والقدره في كل الممكنات على الاطلاق فكان الاشتغال بعبادته أولى (الحجة الخامسة) وهي شريفة عالية وذلك لان شرط القهار أن لا يقهره أحد سواء وأن يكون هو قهارا لكل ماسواه وهذا يقتضي أن يكون الاله واجب الوجود لذاته اذ لو كان ممكنا لكان مفهورا لا قهارا ويجب أن يكون واحدا اذ لو حصل في الوجود واجبا لما كان قهارا لكل ماسواه فالاله لا يكون قهارا الا اذا كان واجبا لذاته وكان واحدا واذا كان المعبود يجب أن يكون كذلك فهذا يقتضي أن يكون الاله شيئا غير الفلك وغير الكواكب وغير النور والظلمة وغير العقل والنفس فأما من تمسك بالكواكب فهي أرباب متفرقون وهي ليست موصوفة بانها قهارة وكذا القول في الطبائع والارواح والعقول والنفوس فهذا الحرف الواحد كاف في اثبات هذا التوحيد المطلق وانه مقام عال فهذا مجموع الدلائل المستنبطة من هذه الآية بقي فيها سؤالان (السؤال الاول) لم سماها أربابا وليست كذلك (والجواب) لاعتقادهم فيها أنها كذلك وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير والمعنى انها ان كانت أربابا فهي خير ام الله الواحد القهار (السؤال الثاني) هل يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال انها خير ام الله الواحد القهار (الجواب) انه خرج على سبيل الفرض والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير ام الله الواحد القهار ثم قال ما تعبدون من دونه الأسماء سميتوها أتم وأباؤكم ما أنزل الله بهن من سلطان وفيه سؤال وهو انه تعالى قال فيما قبل هذه الآية أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وذلك يدل على وجود هذه المسميات ثم قال عقيب تلك الآية ما تعبدون من دونه الأسماء

تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والانصراف) ﴿١٩٣﴾ سميتوها أي ان لم تصرف (عني كيدهن) في تحييد ذلك الى وحسبته لدى بان تثبتني على ما أنا عليه من العصمة والعفة (أصعب اليهن) أي أمل الى اجابتهن أو الى أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى لطف الله تعالى جريا

عيسى بن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهم وبالغة في استبداء لطفه في صرف كيدهم باظهار أن لاطافة له بالدافعة كقول المستفيضة أدركني والاهلكت لأنه يطلب الاجبار والالقاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعو الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس ﴿ ١٩٣ ﴾ تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرى أصب اليهن

من الصباية وهي رقة الشوق (وأكن من الجاهلين) الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعله فهو والجاهل سواء أومن السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبايح لان الحكيم لا يفعل القبح (فاستجاب له ربه) دعاه السدى تضمنه قوله والاعتصم عن كيدهم الخ فان فيه استدعاء اصرف كيدهم على أبلغ وجه وأطفه كأمرو في اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف (فصرف عنه كيدهم) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة (انه هو السميع) لدعاء المتضرعين اليه (الطيب) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بداههم) أي ظهر للعزيز وأصحابه المتصددين للحل والعقد ريثما اكتفوا بأمر يوسف بالكتمان

سميتوها وهذا يدل على ان المسمى غير حاصل وبينهما تناقض (الجواب) ان الذات موجودة حاصلة الآن المسمى بالاله غير حاصل وبيانه من وجهين (الاول) أن ذوات الاصنام وان كانت موجودة الا انها غير موصوفة بصفات الالهية واذا كان كذلك كان الشيء الذي هو مسمى بالاله في الحقيقة غير موجود ولا حاصل (الثاني) يروى أن عبدة الاوثان مشبهة فاعتقدوا أن الاله هو النور الاعظم وأن الملائكة أنوار صغيرة ووضعوا على صورة تلك الانوار هذه الاوثان ومع بدهم في الحقيقة هون تلك الانوار السماوية وهذا قول المشبهة فانهم تصوروا جسماء كبيرا مستقرا على العرش ويعبدونه وهذا التخيل غير موجود البتة فصيح أنهم لا يعبدون الا مجرد الاسماء واعلم ان جماعة ممن يعبدون الاصنام قالوا نحن لا نقول ان هذه الاصنام آلهة العالم بمعنى انها هي التي خلقت العالم الا اننا نطلق عليها اسم الاله ونعبدها ونعظمها لاعتقادنا ان الله أمرنا بذلك فاجاب الله تعالى عنه فقال أما تسميتها بالآلهة فخأمر الله تعالى بذلك وما أنزل في حصول هذه التسمية حجة ولا برهانا ولا دليلا ولا سلطانا وليس لغير الله حكم واجب القبول ولا أمر واجب الالتزام بل الحكم والامر والتكليف ليس الاله ثم انه أمر أن لا تعبدوا الاياه وذلك لان العبادته نهاية التعظيم والاجلال فلا تليق الا بغير حصل منه نهاية الانعام وهو الاله تعالى لان منه الخلق والاحياء والعقل والرزق والهداية ونعم الله كثيرة وجهات احسانه الى الخلق غير متناهية ثم انه تعالى لما بين هذه الاشياء قال ولكن أ كثر الناس لا يعلمون وتفسيره ان أ كثر الخلق يسندون حدوث الحوادث الارضية الى الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية لاجل أنه تقرر في العقول أن الحادث لا بد له من سبب فاذا رأوا أن تغير أحوال هذا العالم في الحر والبرد والفصول الاربعة انما يحصل عند تغير أحوال الشمس في أرباع الفلك ربطوا الفصول الاربعة بحركة الشمس ثم لما شاهدوا ان احوال النبات والحيوان مختلفة بحسب اختلاف الفصول الاربعة ربطوا حدوث النبات وتغير أحوال الحيوان باختلاف الفصول الاربعة فهذا الطريق غلب على طباع أ كثر الخلق أن المديدر لحدوث الحوادث في هذا العالم هو الشمس والقمر وسائر الكواكب ثم انه تعالى اذا وفق انسانا حتى ترفى من هذه الدرجة وعرف أنها في ذواتها وصفاتها مفقورة الى موجد ومبدع قاهر قادر عليم حكيم فذلك الشخص يكون في غاية الندرة فلهذا قال ولكن أ كثر الناس لا يعلمون * قوله عز وجل (يا صاحبي السجن) أما أحدكما فسقى ربه خيرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذي فيه تستفتيان) اعلم أنه عليه السلام لما قرأ أمر التوحيد والنسوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكره والمعنى ظاهر وذلك لان الساقى لما قص رؤياه على يوسف وقد ذكرنا كيف قص عليه قال له يوسف ما أحسن ما رأيت أما حسن العنبة فهو حسن حاله وأما الاغصان الثلاثة فثلاثة ايام يوجه اليك الملك عند انقضاءهن فيردك الى عمالك فتصير كما كنت بل أحسن وقال الخباز لما قص عليه بسما رأيت

والاعراض عن ذلك (من بعد ﴿ ٢٥ ﴾) ما رأوا الآيات (الصغار فتلهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على برأته عليه السلام وفاعل بداءا مصدره أو الرأى المفهوم من السياق أو المصدر المدلول عليه بقوله (ليسجنه) والمعنى بداههم بداء أورأى أو سجنه المحتوم فائلين والله ليسجنه فاقسم المحذوف وجوابه مضمون للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء لا يستزال المرأة لزوجها وقتلها منه في الدرة والغارب

وكان مطوعة لها تقوده حيث شامت قال السدي انها قالت للعزيزان هذا العبد العبراني قد فعلت في الناس بحبرهم
باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فأخرج فأعذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد أرادت بذلك تحقيق
وعيد هاتلين به عريكته وتقاد لها قروته لما انصرفت حبال رجائها عن استباده بعرض الجمال والترغيب بنفسها
وتأخوها وقرى لتسجنه على صيغة الخطاب ﴿ ١٩٤ ﴾ بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده

على وجه التعظيم
أو خاطب به العزيز ومن
عنده من أصحاب الرأي
المباشرين للسجن
والحبس (حتى حين)
الى حين انقطاع قالة
الناس وهذا بادي الرأي
عند العزيز وذويه وأما
عندها فحتى يذله
السجن ويسخره لها
ويحسب الناس أنه المجرم
وقرى عتي حين بلغة
هذيل (ودخل معه)
أي في صحبته (السجن
فتيان) من فتیان الملاك
ومما يليه أحدهما شرايه
والآخر خبازه روى أن
جماعة من أهل مصر
ضمنوا لهما مالا ليسا
المالك في طعامه وشرايه
فأجاباهم الى ذلك ثم ان
الساق نكل عن ذلك
ومضى عليه الخباز فسم
الخبز فلما حضر الطعام
قال الساق لا تأكل أيها
المالك فان الخبز مسموم
وقال الخباز لا تشرب
أيها الملك فان الشراب
مسموم فقال الملك للساق
اشربه فشربه فلم يضره

السلال الثلاث ثلاثة أيام بوجه اليك الملك عند انقضائهم فيصليكم وتأكل الطير من
رأسك ثم نقل في التفسير أنهما قالامارا ياشيثا فقال قضى الامر الذي فيه تستفتيان
واختلف فيما لاجله قالامارا ياشيثا ففيل انهما وضامهاذا الكلام ليختبر اعلمه بالتعبير مع
أنهما مارا ياشيثا وقيل انهما لما كرها ذلك الجواب قالامارا ياشيثا فان قيل هذا الجواب
الذي ذكره يوسف عليه السلام ذكره بناء على الوحي من قبل الله تعالى أو بناء على علم التعبير
والاول باطل لان ابن عباس رضى الله عنهما نقل انه انما ذكره على سبيل التعبير وايضا قال
تعالى وقال الذي ظن انه ناج منهما ولو كان ذلك التعبير مبني على الوحي لكان الحاصل
منه القطع واليقين لا الظن والتخمين (والثاني) ايضا باطل لان علم التعبير مبني على الظن
والحسبان والقضاء هو الاكراه بالجزم والحكم البتة فكيف بنى الجزم والقطع على الظن
والحسبان (الجواب) لا يبعد أن يقال انهما لما سالا عن ذلك المنام صدقانه أو كذبا فان
الله تعالى أوحى اليه ان عاقبة كل واحد منهما تكون على الوجه المخصوص فلما نزل
الوحي بذلك الغيب عند ذلك السؤال وقع في الظن انه ذكره على سبيل التعبير ولا يبعد ايضا
أن يقال انه بنى ذلك الجواب على علم التعبير وقوله قضى الامر الذي فيه تستفتيان
ما عني به ان الذي ذكره واقع لا محالة بل عني به انه حكمه في تعبير ما سالا عنه ذلك الذي
ذكره * قوله عز وجل (وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان
ذكره به فلبث في السجن بضع سنين) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان
الموصوف بالظن هو يوسف عليه السلام أو الناجي فملى الاول كان المعنى وقال الرجل
الذي ظن يوسف عليه السلام كونه ناجيا وعلى هذا القول ففيه وجهان (الاول) أن
نحمل هذا الظن على العلم واليقين وهذا اذا قلنا بأنه عليه السلام انما ذكر ذلك التعبير بناء
على الوحي قال هذا القائل وورود لفظ الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن قال تعالى الذين
يظنون أنهم ملاقور بهم وقال اني ظننت أني ملاق حسابه (والثاني) ان نحمل هذا الظن
على حقيقة الظن وهذا اذا قلنا انه عليه السلام ذكر ذلك التعبير لابناء على الوحي بل على
الاصول المذكورة في ذلك العلم وهي لا تنفي الا الظن والحسبان (والقول الثاني) ان هذا
الظن صفة الناجي فان الرجلين السائلين ما كانا مؤمنين بآية يوسف ورسالة ولكنهما
كانا حاسني الاعتقاد فيه فكان قوله لا يفيد في حقيهما الامجد اظن (المسئلة الثانية)
قال يوسف عليه السلام لذلك الرجل الذي حكم بأنه يخرج من الحبس ويرجع الى خدمة
الملاك اذكرني عند ربك أي عند الملك والمعنى اذكر عنده أنه مظلوم من جهة اخوته لما
أخرجوه وباعوه ثم انه مظلوم في هذه الواقعة التي لاجلها حبس فهذا هو المراد من الذكر ثم
قال تعالى فأنساه الشيطان ذكره وفيه قولان (الاول) انه راجع الى يوسف والمعنى أن
الشيطان أنسى يوسف أن يذكره وعلى هذا القول ففيه وجهان (احدهما) ان تمسكه
بغير الله كان مستدرا كعليه وتقريره من وجوه (الاول) أن مصلحته كانت في أن لا يرجع

وقال للخباز كله فأبي فحرب بداية فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أن أدخلاه معه وتأخير الفاسل ﴿ في ﴾
عن المفعول للممر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل
تمسك ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فأوجس في نفسه خفة وتأخر السجن عن الظرف
لا سهام العكر أن تكون اللفة خيرا مقدا على المبتدا

وتكون الجملة الامن فاعل دخل فاعل (قال أحدهما) استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنع بعد ما دخل معه السجين فاجيب بانه قال أحدهما وهو الشراي (اني أراي) أي رأيتي والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية (أعصر خرا) أي عبا سماء بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصور قبل الخبر بلغه عثمان اسم الغيب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أعصر عبا (وقال الآخر) وهو الخباز * ١٩٥ (اني أراي أحل فوق رأسي خبرا) تأخير المفعول عن الظرف

للممر آنفا وقوله (تأكل الطير منه) أي تهمس منه صفة للخبر أو استئناف مبني على السؤال (نبتنا بتأويله) بتأويل ما ذكر من الرؤيا أو ما روي بأجزاء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فإن اسم الإشارة يشار به الى متعدد كما في قوله * فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق * أي كأن ذلك والسرف المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر أو بما روي أن الضمير انما يعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين الإيجاز أنه مجرى اسم الإشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قاله معا أو قاله أحدهما من

في تلك الواقعة الى أحد من المخلوقين وان لا يعرض حاجته على أحد سوى الله وان يقتدى بحجة ابراهيم عليه السلام فانه حين وضع في المخبئ ليرى الى النار جاء جبريل عليه السلام وقال هل من حاجة فقال أما اليك فلا فلما رجع يوسف الى المخلوق لاجرم وصف الله ذلك بان الشيطان أنساه ذلك التفويض وذلك التوحيد ودعا الى عرض الحاجة الى المخلوقين ثم لما وصفه بذلك ذكر انه بقى لذلك السبب في السجن بضع سنين والمعنى أنه لما عدل عن الانقطاع الى ربه الى هذا المخلوق عوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وحاصل الامر ان رجوع يوسف الى المخلوق صار سببا لامرين (أحدهما) انه صار سببا لاستيلاء الشيطان عليه حتى أنساه ذكر ربه (الثاني) أنه صار سببا لبقاء المحنة عليه مدة طويلة (الوجه الثاني) أن يوسف عليه السلام قال في ابطال عبادة الاوثان أأرباب متفرون خير أم الله الواحد القهار ثم انه ههنا أثبت ربا غيره حيث قال اذكرني عند ربك ومعاذ الله أن يقال انه حكم عليه بكونه باعني كونه الهابل حكم عليه باربوبة كما يقال رب الدار ورب الثوب على أن اطلاق لفظ الرب عليه بحسب الظاهر يناقض نفى الارباب (الوجه الثالث) انه قال في تلك الآية ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وذلك نفى للشرك على الإطلاق وتفويض الامور بالكلية الى الله تعالى فههنا الرجوع الى غير الله تعالى كالناقض لذلك التوحيد واعلم ان الاستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة الا ان حسنات الارباب سيأت المبررين فهذا وان كان جائزا للعامة اخلق الآن الاولى بالصدقين أن يقطعوا نظرم عن الاسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا بالاسباب (الوجه الثاني) في تأويل الآية أن يقال هب أنه تمسك بغير الله وطالب من ذلك الساقى أن يشرح حاله عند ذلك الملك الا أنه كان من الواجب عليه أن لا يخفى ذلك الكلام من ذكر الله مثل أن يقول ان شاء الله أو قدر الله فلما خلاه عن هذا المذكور وقع هذا الاستدراك (القول الثاني) أن يقال ان قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه راجع الى التاجي والمعنى ان الشيطان أنسى ذلك الفتى أن يذكر يوسف للملك حتى طال الامر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب ومن الناس من قال القول الاول أولى لما روي عنه عليه السلام قال رحم الله يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك مالبث في السجن وعن قتادة ان يوسف عليه السلام عوقب بسبب رجوعه الى غير الله وعن ابراهيم التيمي انه لما انتهى الى باب السجن قال له صاحبه ما حاجتك قال أن تذكرني عند ربك يوسف وعنه مالك لما قال يوسف للساقى اذكرني عند ربك قيل يا يوسف اتخذت من دوني وكلا لاطيان حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء أنساني ذكر المولى فقلت هذه الكلمة فويل لاختي * قال مصنف الكتاب فخر الدين الرازي رحمه الله والذي جربته من أول عمرى الى آخره ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير الله صار ذلك سببا الى البلاء والمحنة والشدة والرزية واذا عول العبد على الله ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من

جهنما وما اذا قاله كل منهما اثر ما قص مارآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة أحدهما من جهتهما ليعتد المرجع بل عبارة كل منهما بتأويله مستفسرا للمارة وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة

مفردة خاصة به (انبارك) نعليل لمرض روى باهيا عليه واستحسار هامة عليه السلام (من المحسنين) من الذين يجحدون عبارة الروايات بتضمن هدية بعض أهل السجى روى ما فيه تأويلها له تاويلها من العلماء استعماله كقول الناس ما يدل على علمه وفضله أو من المحسنين إلى أهل السجى أى فاحسن اليأس كشف غمنا كان قد أدركه ذلك روى أنه عليه السلام كان إذا مرض منهم رجل قام عليه وإذا مضى مكانه أوسع له وإذا احتاج * ١٩٦ * جمع له ومن قتادة رضى الله عنه

كان في السجى ناس قد انقطع رجاءوهم وطال حزهم فعمل يقول أبشروا واصبروا وتوجروا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى فقال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجى لو استطعت خليت سيلاك ولكني أحسن جوارك فكفى في أى يوت السجى شئت وعن الشعبي أنهما تخالما له ليمتحناه فقال الشراي أرا في بستان فاذا بأصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخبازاني أواني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة واذا سابع الطير تنهس منها (قال لا يا نيكما طعام ترزقانه) في مقامهما هذا حسب عادتكما المطردة

أول عمرى الى هذا الوقت الذي بلغت فيه الى السابع والخمسين فمضى هذا استقرار قلبي على انه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شئ سوى فضل الله تعالى وأحسنه ومن الناس من رجح القول الثاني لأن صرف وهوسة الشيطان الى ذلك الرجل أول من صرفها الى يوسف الصديق ولأن الاستعانة بالعباد في التخلص من الظلم جائزة وأعلم أن الحق هو القول الاول وما ذكره هذا القائل الثاني تمسك بظاهر الشر بعة وما قرره القائل الاول تمسك بأسرار الحقيقة ومكارم الشريعة ومن كان له فوق في مقام العبودية وشرب من مشرب التوحيد عرف ان الامر كما ذكرناه وأضاف في لفظ الآية ما يدل على ان هذا القول ضعيف لانه لو كان المراد ذلك لقال فأنا الشيطان ذكره له به (المسئلة الثالثة) الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائزة في الشريعة لا إنكار عليه الا انه لما كان ذلك مستدركا من المحققين المتوغلين في بحار العبودية لاجرم صار يوسف عليه السلام مؤاخذا به وعند هذا نقول الذي يصير مؤاخذا بهذا القدر لا يصير مؤاخذا بالاقدام على طلب الرضا ومكافاة الاحسان بالاساءة كان أولى فلما رأينا الله تعالى آخذ بهذا القدر ولم يؤاخذه في تلك القضية البتة وما عابه بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء علما أنه عليه السلام كان مبرأ من انسيبه الجهال والحشوية اليه (المسئلة الرابعة) الشيطان يمكنه القاء الوسوسة وأما النسيان فلا لانه عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرته عليه والالكان قد أزال معرفة الله تعالى عن قلوب بني آدم (وجوابه) انه يمكنه من حيث انه بوسوسته يدعو الى سائر الاعمال واشغال الانسان بآثار الاعمال يمنع عن استحضار ذلك العلم وتلك المعرفة (المسئلة الخامسة) قوله قلبت في السجى بضع سنين فيه بحثان (الاول) بحسب اللغة قال الزجاج اشتقاقه من بضع بمعنى قطعت ومعناه القطعة من القاد قال الفراء ولا يذكر البضع الا مع عشرة أو عشرين الى التسعين وذلك يقتضى أن يكون مخصوصا بما بين الثلاثة الى التسعة وقال هكذا رأت العرب يقولون ومارأيتهم يقولون بضع ومائة وروى الشعبي أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لصاحبه كم البضع قالوا الله ورسوله أعلم قال ما دون العشرة واتفق الا كثرون على أن المراد ههنا بضع سنين سبع سنين قالوا ان يوسف عليه السلام حين قال لذلك الرجل اذكرني عند ربك كان قد بقي في السجى خمس سنين ثم بقي بعد ذلك سبع سنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لما تضرع يوسف عليه السلام الى ذلك الرجل كان قد اقترب وقت خروجه فلما ذكر ذلك لبث في السجى بعده سبع سنين وروى ان الحسن روى قوله صلوات الله عليه وسلامه رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها للملئ في السجى هذه المدة الطويلة ثم بكى الحسن وقال نحن اذا تولى بنا أمر تضرعنا الى الناس * قوله تعالى (وقال الملك ائني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع خيل وأخرى باسات يأكلها الملا أفتوى في رؤيى ان كنتم للرؤيا تعبرون) قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) اعلم انه تعالى اذا أراد شيئا

(الانباتكم بتأويله) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الاحال * هيا له ما يأتيكما به بان ينبت لكم ما هيته وكيفيته وسائر أحواله (قل أن يأتيكما) وإطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام البهيم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روى في المنام وشبهه واذا بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتها

من قولهما بثباتنا وبإله ولا يبعد أن يراد بالثابتين الشيء الأول فالعني الأنبا تكلم بالأمور الأولى من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام
أن يراد به الثاني يجوز أن يراد به الأول فالعني الأنبا تكلم بالأمور الأولى من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام
يقول لهما اليوم أتيتكما طعام من ضفته كيت وكيت فجدد أنه كذلك ومراعاة عليه السلام بذلك بيان كل ما بهما
من الأمور المترتبة قبل وقوعها ١٩٧ وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه صريحا في ذلك بحسب الحال مع

هاتلأسباب ولما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر في النوم سبع بقرات سمان
خرجن من نهر بابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات
خضر قد انقصدت حياها وسجأ خربا بسات فالتوت اليبسات على الخضر حتى غلبن عليها
فجمع الكهنة وذكر هالهم وهو المراد من قوله يا أيها الملاء أقنوني في رؤياي فقال القوم
هذه الرؤيا مختلطة فلا تقدر على تأويلها وتعييرها فهذا ظاهر الكلام وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) قال الالبث العجف ذهاب السنن والفعل عجف يعجف والذكر أعجف
والاشئ عجفاء والجعم عجاف في الذكران والاناث وليس في كلام العرب أفعول وفعلاء جما
على فعال غير أعجف وعجاف وهي شاذة جملوها على لفظ سمان فقالوا سمان وعجاف لانهما
نقيضان ومن دأبهم حل الظير على الظير والتقيض على التقيض واللام في قوله للرؤيا
تعبرون على قول البعض زائدة لتقدم المفعول على الفعل وقال صاحب الكشف يجوز
أن تكون الرؤيا خبرا كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا آخر وحالا ويقال عبرت الرؤيا أعبرها عبارة وعبرتها تعييرا اذا فسرتها
وحكى الازهرى أن هذا مأخوذ من العبر وهو جانب النهر ومعنى عبرت النهر والطريق
قطعه الى الجانب الآخر قيل لما راى الرؤيا عابرا لانه تأمل جانبى الرؤيا فاتفكر في أطرافها
ويشغل من أحد الطرفين الى الآخر والاضغاث جمع الضغث وهو الحزمة من أنواع
النبث والحشيش بشرط أن يكون مما قام على ساق واستطال قال تعالى وخذ بيدك ضغثا
اذا عرفت هذا فتقول الرؤيا ان كانت مخلوطة من أشياء غير متناسبة كانت شبيهة بالضغث
(المسئلة الثانية) انه تعالى جعل هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن
وذلك لان الملك لما رآه قلق واضطرب بسببه لانه شاهدان الناقص الضعيف استولى على
الكامل القوى فشهدت فطرته بأن هذا ليس بجيد وانه منذر بنوع من أنواع الشر الا انه
ما عرف كيفية الحال فيه والشيء اذا صار معلوما من وجه وبقي مجهولا من وجه آخر عظم
تشوق الناس الى تكميل تلك المعرفة وقويت الرغبة في اتمام الناقص لاسيما اذا كان
الانسان عظيم الشأن واسم المملكة وكان ذلك الشيء دالا على الشر من بعض الوجوه
فهذا الطريق قوى الله داعية ذلك الملك في تحصيل العلم بتعريف هذه الرؤيا ثم انه تعالى أعجز
العبري الذين حضروا عند ذلك الملك عن جواب هذه المسئلة وعما عليهم ليصير ذلك سببا
لخلاص يوسف من تلك المحنة واعلم ان القوم ما نفوا عن أنفسهم كونهم عاين بعلم التعبير
بل قالوا ان علم التعبير على قسمين منه ما تكون الرؤيا فيه منتظمة فسهل الانتقال من
الامور المتخيلة الى الحقائق العقلية الروحية ومنه ما تكون فيه مختلطة مضطربة ولا يكون فيها
ترتيب معلوم وهو السمي بالاضغاث والقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم أخبروا
انهم غير عاين بتعريف هذا القسم وكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من أشياء كثيرة وما كان
كذلك فحق لا نتدبى اليها ولا يبيط عقولنا وفيه إيهام ان الكامل في هذا العلم والتعبير

ما فيه من مراعاة حسن
التخلص اليه مما اعتبره
من الرؤيتين المتعلقين
بالشراب والطعام
وقد جعل الضمير لما قصا
من الرؤيتين على معنى
لا يأتيكما طعام ترزقانه
حسب عادتكما الا أخبر
تكما بتأويل ما قصصنا
على قبل أن يأتيكما ذلك
الطعام الموقت مراد به
الاخبار بالاستحجال في
التنبئة وأنت خير بأن
النظم الكريم ظاهر
في تعدد آيات الطعام
والاخبار بالتأويل
وتجدهما وأن المقام
مقام اظهار فضله في
ضوء العلوم بحيث
يدخل في ذلك تأويل
رؤياهما دخولا أوليا
وإنما يكشف عليه السلام
بمجرد تأويل رؤياهما
مع أن فيه دلالة على
فضله لانهما لما نجاه
عليه السلام بالانتظام
في سمع المحسنين وآمنها
قد علمنا ذلك حيث قال
انا نراك من المحسنين
نوسم عليه السلام

فيهما خيرا وتوجهها الى قبول الحق فاراد أن يخرج آثره على عهدته من دعوة الخلق الى الحق فهذا قبل الخوض
في ذلك مقدمة تزيدها علما بعظم شأنه وثقة بمرءه وهو حقا على علو طيفه في مدافع العلوم نوهلا بذلك الى تحقيق
ماتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانت تأويل ما قصصنا على في طرف

التمام حيث رأينا مثاله في التمام والبرهان لكما كل جليل ودقيق من الأمور السجدة وأن لا يكون هناك مقدمة التمام حتى ان
الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم أيته لكما قبل آتيانه ثم أخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين
بل هو فضل الهى يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للتبوة فقال (ذلكما) أى ذلك التأويل والاخبار بالمعاني ومعنى البعد
في ذلك للإشارة الى علو درجته وبعد منزلته (مما علمنى ربي) ﴿ ١٩٨ ﴾ بالوحى والالهام أى بعض منه أو من ذلك

الجنس الذى لا يحوم
حول ادراكه العقول
وتتدلهما بذلك على
أن له علوما جمة ما
سمعا قطعة من جلتهما
وشعبة من دوحتهما
ثم بين أن نيل تلك الكرامة
بسبب اتباعه ملة آباءه
الانبياء العظام وامتناعه
عن الشرك فقال (انى
تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله) وهو استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ
من قوله ذلكما مما علمنى
ربى وتعليل له للتعليم
الواقع صلة للتوصل
لأدبته الى معنى انه مما
علمنى ربي لهذا السبب
دون غيره ولا يضمنون
الجملة الخبرية لان ما ذكر
يصدد التعليل ليس
بعلة لكون التساويل
المذكور بعضها ماعلمه
ربه أو لكونه من جنسه
بل لنفس تعليم ماعلمه
وكأنه قيل لماذا علمك
ربك تلك العلوم البديعة
فقيل لاني تركت ملة
الكفرة أى دينهم الذى
اجتمعوا عليه من الشرك

فيه قد يهتدى اليها فند هذه المقالة تذكر ذلك الشرابي واقعة يوسف فانه كان يعتقد فيه
كونه متخيرا في هذا العلم * قوله تعالى (وقال الذى نجماهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم
بأويله فأرسلون يوسف أبها الصديق أفتنا في سيم بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر وأخربا بسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) اعلم ان الملك
لما سأل الملائكة الرؤيا واعتزف الحاضرون بالجزع عن الجواب قال الشرابي ان في الحبس
رجلا فاضلا صالحا كثيرا العلم كثيرا اطاعة قصصتنا أنا والحجاز عليه منامين فذكرنا ويلهما
فصدق في الكل وما أخطأ في حرف فان أذنت مضيت اليه وجئت بالجواب فهذا هو قوله
وقال الذى نجماهما وأما قوله وادكر بعد أمة فنقول سيحى اذكر في تفسير قوله تعالى فهل
من مذكر في سورة القمر قال صاحب الكشف وادكر بالدال هو الفصحى عن الحسن
واذكر بالدال أى تذكر وأما الامة فقيه وجوه (الاول) بعد أمة أى بعد حين وذلك لان
الحين انما يحصل عند اجتماع الايام الكثيرة كأن الامة انما تحصل عند اجتماع الجمع
العظيم فالحين كان أمة من الايام والساعات (والثاني) قرأ الاشهب العقيلي بعد أمة
بكسر الهمزة والامة الثعنة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارزهم هناك القبور
والمعنى بعد ما أنعم عليه بالجنة (الثالث) قرى بعد أمة أى بعد نسيان يقال أمة بأمه أمها
اذناسى والصحيح انها بفتح الميم وذكره ابو عبيدة بسكون الميم وحاصل الكلام أنه ما أن
يكون المراد وادكر بعد مضى الاوقات الكثيرة من الوقت الذى أوصاه يوسف عليه
السلام بذكره عند الملك او المراد وادكره بعد وجدان الثعنة عند ذلك الملك او المراد
وادكر بعد النسيان فان قرر قوله وادكر بعد أمة يدل على أن الناسى هو الشرابي وأتم
تقاولون الناسى هو يوسف عليه السلام قلنا قال ابن الانبارى اذكر بمعنى ذكر وأخبروهذا
لا يدل على سبق النسيان فلعل الساقى انما لم يذكره الملك خوفا من أن يكون ذلك اذكارا
لذنبه الذى من أجله حبسه فبزداد الشر ويحتمل أيضا أن يقال حصل النسيان ليوسف
عليه السلام وحصل أيضا لذلك الشرابي وأما قوله فأرسلون خطابا بالملك والجمع
أو للملك وحده على سبيل التعظيم أما قوله يوسف أبها الصديق فقيه محذوف والتقدير
فأرسل وأناه وقال أبها الصديق والصديق هو البالغ في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه
لم يجرب عليه كذبا وقيل لانه صدق في تعبير رؤياه وهذا يدل على ان من اراد أن يتعلم من
رجل شيئا فانه يجب عليه أن يعظمه وأن يخاطبه بالالفاظ المشرفة بالاجلال ثم انه أعاد
السؤال بعين اللفظ الذى ذكره الملك ونعم ما فعل فان تعبير الرؤيا قد يختلف بسبب اختلاف
اللفظ كما هو مذکور في ذلك العلم اما قوله تعالى لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون فالمراد
لعلى أرجع الى الناس بفتواك لعلهم يعلمون فضلك وعلك وانما قال لعلى أرجع الى الناس
بفتواك لانه رأى يحجز سائر المعبرين عن جواب هذه المسئلة فخاف أن يحجز هو أيضا عنه

عبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ * فلماذا
لتركها بعد ملايستها وانما خبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائها بها عليه السلام والتعبير عن كفرهم
الله تعالى بسلب الايمان به للتصريح على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم
باطل على ما مر في قوله تعالى انه غل غمر صالح

(وهم بالآخرة) وما فيها من الجراء (هم كفرون) على الخصوص دون غيرهم لا فرطهم في الكفر (واتبعته آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاض بذلك الكرامات بسبب انه اتبعه آباءه الكرام ولم ينسح فله قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا للصاحبة في الايمان والتوحيد وتنفيرا للمعاصي عما كان عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركهم لله تعالى لان ١٩٩ * التحية مقدمة على التحية (ما كان) أي ماصح وما

استقام فضلا عن الوقوع

(لنا) معاشر الانبياء

لقوة نفوسنا ووفور علومنا

(أن نشرك بالله من شيء)

أي شيء كان من ملك أو

جنى أو انسى فضلا عن

المجاد البحت (ذلك) أي

التوحيد المدلول عليه

بقوله ما كان لنا أن

نشارك بالله من شيء (من)

فضل الله علينا) أي

ناشي من تأييده لنا بالنبوة

ورسايه ايانا لقيادة الامة

وهدايتهم الى الحق

وذلك مع كونه من

موجبات التوحيد

ودواعيه نعمة جليلة

وفضل عظيم علينا

بالذات (وعلى الناس)

كافة بواسطة حيث

عبر عن ذلك بذلك

العنوان عبر عن التوحيد

الذي يوجب بالشكر وقيل

(ولكن اكثر الناس لا

يشكرون) أي لا يوحدون

فان التوحيد مع كونه

من آثار ما ذكر من

التأييد شكره عز وجل

على تلك النعمة وانما

وضع الظاهر موضع

فهذا السبب قال لعلي ارجع الى الناس * قوله عز وجل (قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد بأكل ما قدمتم له من الا قليلا مما تحصدون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) اعلم انه عليه السلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال تزرعون وهو خبر بمعنى الامر كقوله والمطلقات يترصد والوالدات يرصدن وانما يخرج الخبر بمعنى الامر ويخرج الامر في صورة الخبر للبالغة في الانجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله وقوله دأبا قال أهل اللغة الدأب استمرار الشيء على حالة واحدة وهو دأب بفعل كذا اذا استمر في فعله وقد دأب يدأب دأبا بلودا أي زراعة متوالية في هذه السنين قال أبو علي الفارسي الا كثرون في دأب الاسكان وأهل الفقه لغة فيكون كشتم وشتم ونهر ونهر قال الزجاج وانتصب دأبا على معنى تدأبون دأبا وقيل انه مصدر وضع في موضع الحال وتقديره تزرعون دأبين فاحصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون كل ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في سنبله حتى لا يفيد ولا يقع السوس فيه لان ابقاء الحبة في سنبلها يوجب بقاءها على الصلاح ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد أي سبع سنين مجدبات والشداد الصعاب التي تشد على الناس وقوله يا كلن ما قدمتم له من هذا مجاز فان السنة لا تأكل فيجعل لكل أهل تلك السنين مسند الى السنين وقوله الا قليلا مما تحصدون الاحصان الارز وهو ابقاء الشيء في الحصن يقال أحصنه احصانا اذا جعله في حرز والمراد الا قليلا مما تخرجون أي تدخرون وكلها ألقاظ ابن عباس رضي الله عنهما وقوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال المفسرون والسبعة المتقدمة سنوا لخصب وكثرة النعم والسبعة الثانية سنو القحط والقلة وهي معلومة من الرؤيا وما حال هذه السنة فما حصل في ذلك المنام شيء يدل عليه بل حصل ذلك من الوحي فكانه عليه السلام ذكر انه يحصل بعد السبعة المخصبة والسبعة المجذبة سنة مباركة كثيرة الخير والنعم وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قيل لما كانت العجاف سبعة دل ذلك على أن السنين المجذبة لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم أن الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب وكان هذا أيضا من مدلولات المنام فلم قلتم انه حصل بالوحي والا لهما قلنا هب أن تبدل القحط بالخصب معلوم من المنام اما تفصيل الحال فيه وهو قوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون لا يعلم الا بالوحي قال ابن السكيت يقال غاث الله البلاد يغيتها غيثا اذا أنزل فيها الغيث وقد غيثت الارض تغاث وقوله يغاث الناس معناه يمحرون ويجوز أن يكون من قولهم آثاه الله اذا أنفذه من كرب أو غم ومعناه ينقذ الناس فيه من كرب الجذب وقوله وفيه يعصرون أي يعصرون السمسم دهن والغب خرا والزيتون زيتا وهذا يدل على ذهاب الجذب وحصول الخصب والخير وقيل يمحرون والضروع وقرى يعصرون من عصره اذا انجسه وقيل معناه يمحرون من أعصرت السمحابة اذا عصرت بالطر ومنه قوله وأترنا

الضمير ارجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهوم لعدم اختصاص غير الشاكر بالنس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة نظير فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة أسائر الناس أيضا ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيحبون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله

عليها حيث اعتدوا على قومهم لا يمشي على ذلك التوحيد التي قد بدت في الانبياء والافاق وقد اختلفت في ان الناس انما
مثلا ولكن اكثرهم لا يشكرون أي لا يعرفون تلك القوى والمجاهدات التي لا يدرى ما خلفت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة
التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والتقليدية (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن كما تقول يا ابي الله ناداهما بصوت
الصحة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفوقها ٢٠١ في المودة وتخلص النصيحة ليعلا عليه ويقبل مقلاته

وقد ضرب لهم امثالا
يتضح به الحق عندهما
حق انضاح فقال
(أرباب متفرقون)
لارتباط بينهم ولا اتفاق
يستبعد كمال منهم حسبا
أراد غير مراقب للآخرين
مع عدم استقلاله (خير)
لكما (ام الله) المعبود
بالحق (الواحد) المنفرد
بالالوهية (الفهار)
الغالب الذي لا يغالبه
أحدو بعدما نبههم على
فساد تعدد الارباب
بينهم اسقوط آلهتهم
عن درجة الاعتبار
رأسا فضلا عن الالوهية
فقال معهما للخطاب
لهم اولن على دينهما (ما)
عبدون من دونه) أي من
دون الله شيئا (الاسماء)
فارغة لا مطابق لها
في الخارج لان ما ليس
فيه مصداق اطلاق
الاسم عليه لا وجود
له أصلا فكانت عبادتهم
لتلك الاسماء فقط
(سميتوها) جعلتها
أسماء واما ما يذكر

من المعصيات ما يحتاج إلى قوله تعالى (وقال الملك اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى
ربك فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قل ما خطبكن
اذ راودن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأته العزيز الان
حخص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أي لم أخنه بالفيث وأن
الله لا يهدي كيدا الخائنين) اعلم أنه لما رجع الشرابي الى الملك وعرض عليه التعبير الذي
ذكره يوسف عليه السلام استحسنة الملك قتال اتوني به وهذا يدل على فضيلة العلم فانه
سبحانه جعل علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من
المن المحنة الاخرية فعاد الشرابي الى يوسف عليه السلام قال أجب الملك فأبى يوسف عليه
السلام أن يخرج من السجن الا بعد أن يتكف أمره وزول التهمة بالكلية عنه وعن
التي صلى الله عليه وسلم قال عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن
البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرج جوني ولقد
عجبت منه حين نأه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبنت في السجن ما لبثت
لا سرعت الاجابة وبادرتهم الى الباب ولما لبنت العذرات كان حليما ذا أناة واعلم أن
الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف الى أن تخصص الملك عن حاله هو اللائق بالحرم
والعقل وبيانه من وجوه (الاول) انه لو خرج في الحال فرما كان يبقى في قلب الملك من
تلك التهمة أثرها فلما التمس من الملك أن يتخصص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على برائه
من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلمحه بتلك الرذيلة وأن يتوسل بها الى
الطعن فيه (الثاني) ان الانسان الذي يبقى في السجن اثني عشر سنة اذا طلبه الملك وأمر
بإخراجه المظاهر أنه يبادر بالخروج فيخرج عريف منه كونه في نهاية العقل والصبر
واشبات وذلك بصير سببا لان يعتقد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم ولأن يحكم بان
كل ما قيل فيه كان كذبا وبهنا (الثالث) ان التماسه من الملك أن يتخصص عن حاله من تلك
النسوة يدل أيضا على شدة طهارته اذ لو كان ملوثا بوجه ما كان خائفا أن يذكر ما سبق
(الرابع) انه حين قال للشرابي اذ كرني عند ربك فسبب هذه الكلمة في السجن يضع
سنين وههنا طلبه الملك فلم يلتفت اليه ولم يقم لطلبه وزنا واشغل باظهار برائه عن التهمة
ولم له كان غرضه عليه السلام من ذلك أن لا يبقى في قلبه التفتات الى رد الملك وقبوله وكان
هذا العمل جارا يجرى التلافي لما صدر منه من التوسل اليه في قوله اذ كرني عند ربك
ليظهر أيضا هذا المعنى لذلك الشرابي فانه هو الذي كان واسطة في الحالين معا ما قوله
فاستله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ أن كثير
والكسائي فسله بغير همز والباقون فاستله بالهمز وقرأ طاصم برواية أبي بكر عنه النسوة
بضم النون والباقون بكسر النون وهما لغتان (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآية فيها
أنواع من اللطائف (اولها) ان معنى الآية فسل الملك بان يسأل ما شأن تلك النسوة

المسميات تربة لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود واذ انابان تسميتهن في البطلان وما حالهن
حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود (انتم وأباؤكم) بمعنى جهلكم وضللتكم (ما أزل الله بها)
أي بتلك التسمية المستبعدة للعبادة (من سلطان) من جهة تعالى على صحتها (ان الحكم) في أمر العبادة المفروضة
على تلك التسمية (الله) عز سلطانه لانه المستحق

لها بالذات افهوا الواجب بالذات الموحد للكل والمالك لأمرة (أمر) استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم
 الله فكانه قيل فاذا حكم الله في هذا الشأن فقبل أمر على السنة الايضاء عليهم السلام (الآن عبدوا) أي بأن لا تعبدوا (الاياه)
 حسبما تقتضي به فضيلة العقل أيضا (ذلك) أي تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه
 ابراهيم عقلا ونقلا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ٢٠١ * أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أولا

وما حالهن ليعلم برأتى عن تلك التهمة الا انه أقصر على ان يسأل الملك عن تلك الواقعة
 ثلاثا يشتمل اللفظ على ما يجري مجرى أمر الملك بعمل أو فعل (وثانيها) انه لم يذكر
 سيده مع أنها هي التي سعت في قتاله في السجن الطويل بل أقصر على ذكر سائر
 النسوة (وثالثها) أن الظاهر ان أولئك النسوة نسبته الى عمل قبيح وفعل شنيع عند
 الملك فاقصر يوسف عليه السلام على مجرد قوله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن
 وما شكمنهن على سبيل التعيين والتفصيل ثم قال يوسف عليه السلام بعد ذلك
 ان ربي يكيدهن عليهن وفي المراد من قوله ان ربي وجهان (الاول) انه هو الله تعالى
 لانه تعالى هو العالم بخفيات الامور (والثاني) أن المراد به الملك وجعله بنفسه
 لكونه مرسله وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن واعلم
 أن كيدهن في حقهما يحتمل وجوها (أحدها) ان كل واحدة منهن ربما طمعت فيه فلما
 لم يجد المطلوب أخذت تطعن فيه وتنسبه الى القبيح (وثانيها) لعل كل واحدة منهن بالغت
 في ترغيب يوسف في موافقة سيده على ما رادها يوسف علم أن مثل هذه الخيانة في حق
 السيد الذم لا تجوز فأشار بقوله ان ربي يكيدهن عليهن الى مبالغة في الترغيب في تلك
 الخيانة (وثالثها) انه استخرج منهن وجوها من المكر والحيل في تبخير صورة يوسف عليه
 السلام عند الملك فكان المراد من هذا اللفظ ذلك ثم انه تعالى حكى عن يوسف عليه
 السلام انه لما التمس ذلك أمر الملك باحضارهن وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف
 عن نفسه وفيه وجهان (الاول) ان قوله اذ راودتن يوسف عن نفسه وان كانت صيغة
 الجمع فالمراد منها الواحدة كقوله تعالى الذين قال لهم الناس قد جعوا لكم
 (والثاني) أن المراد منه خطاب الجماعة ثم ههنا وجهان (الاول) ان كل واحدة منهن
 راودت يوسف عن نفسها (والثاني) ان كل واحدة منهن راودت يوسف لاجل امرأة
 العزيز فاللفظ يحتمل لكل هذه الوجوه وعند هذا السؤل قلن حاش لله ما علمنا عليه من
 سوء وهذا كالتأكيد لما ذكرنا في أول الامر في حقها وهو قولهن ما هذا بشرا ان هذا
 الاملك كريم واعلم أن امرأة العزيز كانت حاضرة وكانت تعلم أن هذه المناظرات
 والتفحصات إنما وقعت بسببها ولاجلها فكشفت عن الغطاء وصرحت بالقول الحق
 وقالت الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) هذه شهادة جازمة من تلك المرأة بأن يوسف صلوات الله عليه كان مبرا عن كل
 الذنوب مطهرا عن جميع العيوب وههنا دقيقة وهي أن يوسف عليه السلام راعى جانب
 امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن ولم يذكر تلك المرأة
 البتة فعرفت المرأة أنه انما ترك ذكرها رعاية لحنها وتعظيم جانبها واخفاء الامر عليها
 فأرادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازال العطاء والوطاء واعتقت بأن
 الذنب كله كان من جانبها وأن يوسف عليه السلام كان مبرا عن الكل ورأيت في بعض

يعلمون شيئا أصلا فيعدون
 أسماء سموها من تلقاء
 أنفسهم معرضين عن
 البرهان العقلي والسلطان
 العقلي وبعد تحقيق الحق
 ودعوتها اليه وبيان
 لها مقدار الرفع ومرتبة
 علمه الواسع شرع في
 تفسير ما استفسراه
 ولكونه بمشامير الماسبق
 فصله عنه بتكرار الخطاب
 فقال (يا صاحبي السجن
 أما أحدكما) وهو
 الشرايبي وانما لم يعينه
 ثقة بدلالة التعبير وتوسلا
 بذلك الى ابهام أمر
 صاحبه حذارا من شافهته
 بما يسوءه (فيسق ربه)
 أي سيده (خيرا) روى
 أنه عليه السلام قال له
 ما رأيت من الكرامة
 وحسنها الملك وحسن
 حاله عنده وأما القضاء
 الثلاثة فثلاثة أيام تمضي
 في السجن ثم تخرج وتعود
 الى ما كنت عليه وقرأ
 عكرمة فيسق ربه على
 البناء للمفعول أي يسقى
 ما يروى به (وأما الآخر)

وهو الخباز (فبصلب فأكل الطير) ٢٦ * (خا من رأسه) روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت
 من السلال الثلاث ثلاثة أيام تمر ثم تخرج فتقتل (قضى) أي أتم وأحكم (الامر الذي فيه تستفتيان) وهو ما رأياه
 من الرؤيتين قطعاً لآله الذي هو عبارة عن

نجا أحدهما وهلك الآخر كما يوهمة أشداد النساء إليه إذا استغفرا لما يكون في الحادثة لا في حجبها يقال المستغفر
في الحادثة أي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استغفاه في حكمها وكذا الأفتاء فإنه يقال أفتى فلان في الواقعة الغلابة بكذا
ولا يقال أفتى في حكمها وأجوابها بكذا وما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ومعنى استغفراها فيه طلبها
لأويله بقولهما نبئنا بأويله وإنما عبر عن ذلك بالامر وعن ﴿ ٢٠٢ ﴾ طلب تأويله بالاستغفاره فهو تجميعا

لشانه إذا استغفرا لما
يكون في التوازن المشكلة
الحكم المبهمة الجواب
وإشارة صيغة الاستقبال
مع سبق استغفراها في
ذلك لما أتمها بصرده إلى
أن يقضى عليه السلام
من الجواب وطره واستناد
القضاء إليه مع أنه من
أحوال ما له لأنه في الحقيقة
عين ذلك المال وقد ظهر
في عالم المثال تلك الصورة
وأما توجده مع تعدد
رؤياهما فوارد على حسب
ما وجداه في قولهما
نبئنا بأويله لأن الامر
ما أتمها به وسبحنا الأجله
من سم الملك فأنهما
لم يستفتيا فيه ولا فيما هو
صورته بل فيما هو صورة
لما له وعاقبته فتأمل وإنما
أخبرهما عليه السلام
بذلك تحقيقا لتعبيره
وتأكيده وقيل لما عبر
برؤياهما مجدا وقالاما
رأينا شيئا فأخبرهما أن
ذلك كائن صدقنا وكذبنا
ولعل الجحود من الحجاز
اذلادعى إلى جحود

الكتب أن امرأة جاءت بزوجهما إلى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بأن
يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من إقامة الشهادة فقال الزوج لاحتاجة إلى ذلك
فأتى مقر بصدها حتى دعواها فقالت المرأة لما كرمني إلى هذا الحد فاشهدوا أنني أبرأت
ذمتك من كل حق لي عليك (المسئلة الثانية) قال أهل اللغة حصص الحق معناه وضخ
وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس من قولهم حصص البعير في بروكه إذا تمكّن
واستقر في الأرض قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصاة أي بانت حصاة الحق من حصاة
الباطل (المسئلة الثالثة) اختلفوا في أن قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام من وفيه
أقوال (الاول) وهو قول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام قال القراء ولا يبعد وصل
كلام انسان بكلام انسان آخر إذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى ان الملوكة إذا
دخلوا قريدا فسدوها وجعلوا أعرجا أهلها أذلة وهذا كلام بلقيس ثم انه تعالى قال وكذلك
يفعلون وأيضا قوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال ان
الله لا يخلف اليعاد بقی على هذا القول سوءالات (السؤال الاول) قوله ذلك إشارة إلى
الغائب والمراد ههنا الإشارة إلى تلك الحادثة الحاضرة (والجواب) أجبنا عنه في قوله
ذلك الكتاب وقيل ذلك إشارة إلى ما فعله من رد الرسول كأنه يقول ذلك الذي فعلت من
ردى الرسول إنما كان ليعلم الملك أني لم أخنه بالغيب (السؤال الثاني) متى قال يوسف
عليه السلام هذا القول (الجواب) روى عطام عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف
عليه السلام لما دخل على الملك قال ذلك ليعلم وإنما ذكره على لفظ القبة تعظيما للملك عن
الخطاب والاول أنه عليه السلام إنما قال ذلك عند عود الرسول إليه لأن ذكر هذا الكلام
في حضرة الملك سوء أدب (السؤال الثالث) هذه الحباثة وقعت في حق العزيز فكيف
يقول ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب (والجواب) قيل المراد ليعلم الملك أني لم أخن العزيز
بأنية وقيل أنه إذا خان وزيره فقد خان من بعض الوجوه وقيل إن الشرابي لما رجع إلى
يوسف عليه السلام وهو في السجن قال ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب ثم ختم الكلام
بقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ولعل المراد منه أني لو كنت خائنا لما خلصني الله تعالى
من هذه الورطة وحث خلصني منها ظهرا في كنت مبرا عما نسبوني إليه (والقول الثاني)
ان قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام امرأة العزيز والمعنى أني وإن أحلت الذنب عليه
عند حضوره لكني ما أحلت الذنب عليه عند غيبته أي لم أقبل فيه وهو في السجن خلاف
الحق ثم إنها ألقت في تأكيدها الحق بهذا القول وقالت وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني
أنى لما أقدمت على الكيد والمكر لأجرم اقتضعت وأنه لما كان يرشاعن الذنب لأجرم
طهره الله تعالى عنه قال صاحب هذا القول والذي يدل على صحته أن يوسف عليه السلام
ما كان حاضرا في ذلك المجلس حتى يقال لما ذكرت المرأة قولها الآن حصص الحق
أنارودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين في تلك الحالة يقول يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه

أشهر إلى الآن يكون ذلك لمراعاة جانبه (وقال) أي يوسف عليه السلام (لذي ظن أنه ناج) أو رعى ﴿ بالغيب ﴾
صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيد قوله تعالى قضى الامر الذي فيه تستفتيان وهو السير
إشارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال للذي ظنه

لصاحبه (من صاحبه وانما ذكر بوصف الجاه تمهيدا لمناط التوضيح بالذكر عند الملك وعنوان التعرّب المفهوم من التعبير المذكور وان كان أدخل في ذلك وأدعى الى تحقيق ماوصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لاصاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو معنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت أنى ملاق

حسا به فالعبر بالوصفي
كأين عنده قوله تعالى
قضى الامراخ وقبل
هو بمضاه والتعبير
بالاجتهاد والحكم
بقضاء الامر أيضا
اجتهادي (اذ كرني)
بما أنا عليه من الحال
والصفة (عند ربك)
سيدك وصفتي له بصفتي
التي شاهدتها (فأنساء
الشيطان) أي أنسى
الشرابي يوسفه
والقائه في قلبه أشغلا
توقه عن الذكر والالا
فالانساء في الحقيقة
الله عز وجل والقائه
للسبيبة فان توصيته عليه
السلام المتضمنة للاستعانة
بغيره سبحانه كانت باطنة
لما ذكر من الانساء
(ذكر ربه) أي ذكر
الشرابي له عليه السلام
عند الملك والأضافة
لاذني ملابسة أو ذكر
اخبار ربه (قلبت)
أي يوسف عليه السلام
بسبب ذلك الانساء
أو القول (في السجن
بضع سنين) البضع

بالغيب بل يحتاج فيه الى أن يرجع الرسول من ذلك المجلس الى السجن ويدكره تلك الحكاية ثم ان يوسف يقول ابتداء ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ومثل هذا الوصل بين الكلامين الاجنبيين ما جاء البتة في نثر ولا نظم فعلنا ان هذا من تمام كلام المرأة (المسئلة الرابعة) هذه الآية دالة على طهارة يوسف عليه السلام من الذنب من وجوه كثيرة (الاول) ان الملك لما رسل الى يوسف عليه السلام وطلبه فلو كان يوسف متهمًا بفعل فبيح وقد كان صدر منه ذنب وفحش لاستحال بحسب العرف والعادة أن يطلب من الملك أن يتفحص عن تلك الواقعة لانه لو كان قد أقدم على الذنب ثم انه يطلب من الملك أن يتفحص عن تلك الواقعة كان ذلك سببا منه في فضيحة نفسه وفي تجديد العيوب التي صارت من مدرسة مخفية والعاقل لا يفعل ذلك وهب أنه وقع الشك لبعضهم في عصمته أو في نبوته الا انه لا شك انه كان عاقلا والعاقل يتمتع أن يسعى في فضيحة نفسه وفي حل الاعداء على أن يبالغوا في اظهار عيوبه (والثاني) أن النسوة شهدن في المرة الاولى بطهارته وزاخرته حيث قلن حاش لله ما هذا بشر ان هذا الاملك كريم وفي المرة الثانية حيث قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء (والثالث) ان امرأة العزيز أقرت في المرة الاولى بطهارته حيث قالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وفي المرة الثانية في هذه الآية وأعلم أن هذه الآية دالة على طهارته من وجوه (اولها) قول المرأة أنا راودته عن نفسه (وثانيها) قولها وانه لمن الصادقين وهو اشارة الى انه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي (وثالثها) قول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب والخشوية يدكرون انه لما قال يوسف هذا الكلام قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت وهذا من رواياتهم الحبيثة وما صحت هذه الرواية في كتاب معتدل بهم لمحتونها بهذا الموضع سعيًا منهم في تحريف ظاهر القرآن (ورابعها) قوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يعني ان صاحب الخيانة لا بد أن يفتضح فلو كنت خائنًا لوجب ان افتضح وحيث لم افتضح وخلصني الله تعالى من هذه الورطة فكل ذلك يدل على اني ما كنت من الخائنين وهما وجه آخر وهو أقوى من الكل وهو أن في هذا الوقت تلك الواقعة صارت من مدرسة وتلك المحنة صارت منتهية فاقدمه على قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب مع انه خائنه باعظم وجوه الخيانة اقدم على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة بوجه ما والاقدم على مثل هذه الواقعة من غير فائدة أصلا لا يلقى باحد من العقلاء فكيف يليق اسناده الى سيد العقلاء وقدة الاصقياء ثبت ان هذه الآية تدل دلالة قاطعة على براءته بما يقوله الجهال والخشوية * قوله تعالى (وما يرى نفسي ان النفس لامارة بالسوء) الامارحمر في ان ربي غفور رحيم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن تفسير هذه الآية يختلف بحسب اختلاف ما قبلها لاننا ان قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب كلام يوسف كان هذا أيضا من كلام يوسف وان قلنا ان ذلك من تمام كلام المرأة كان هذا أيضا كذلك ونحن نفسر هذه الآية

ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القاطع وأكثر الاقوال انه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبي عليه السلام رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذ كرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم (وقال الملك) أي الريان (اني أرى) أي رأيت واثار

منه المخرج الحكيم الجليل المصطفى (سبع بقرات سمان) جمع سبعين وسبعة كرام في جمع كريم وكرم يقال رجال كرام ونسوة كرام (ياكلهن) أي أكلهن والعدول إلى المضارع لاستحضار الصورة تجديداً والجملة حال من البقرات أو صفة لها (سبع عجاف) أي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجاف والقياس بعجاف لأن فعلاء وأفعال لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس جلالاً لحد النقصين على الآخر ٢٠٤ * وانما لم يقل سبع عجاف بالإضافة لأن التثنية

موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخم وأربعة غلاظ وأما قولك ثلاثة فرسان وخمسة زكبان فليمران الفارس والراكب مجرى الاسماء روى أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقين سبع بقرات عجاف في غابة الهزال فابتلعت العجاف السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انقذجها (وأخر يابسات) أي وسبعاً آخر يابسات قد أدركت والنسوت على الخضر حتى غلبتها على ما روى وأمل عدم التعرض لذكره لاختفاء بما ذكر من حال البقرات (يا أيها الملأ) خطاب للأشراف من العلماء والحكماء (أفتوني في رؤياي) هذه أي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول إليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم

على كلا التقديرين أما إذا قلنا أن هذا من كلام يوسف عليه السلام فالحسنة تمسكوا به وقالوا أنه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبريل عليه السلام ولا حين هممت بك سرأوبك فعند ذلك قال يوسف وما أبرئ نفسي أن النفس لأمارة بالسوء أي بالزنا الأمار حرم في أي عصم ربي أن ربي غفور للهم الذي هممت به رحيم أي أوفعته لتاب علي واعلم أن هذا الكلام ضعيف فإنا بينا أن الآية المقدمة برهان قاطع على رآته عن الذنب بقي أن يقال فاجوابكم عن هذه الآية فنقول فيه وجهان (الاول) أنه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كان ذلك جارياً مجرى مدح النفس وتركيتها وقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما أبرئ نفسي والمعنى وما أركى نفسي أن النفس لأمارة بالسوء مبالغة إلى القبايح رغبة في المعصية (والوجه الثاني) في الجواب أن الآية لا تدل البتة على شيء مما ذكره وذلك لأن يوسف عليه السلام لما قال أني لم أخنه بالغيب بين أن ترك الحيانة ما كان لعدم الرغبة ولمدم ميل النفس والطبيعة لأن النفس أماراة بالسوء والطبيعة توافقة إلى الذات فينبهنا بهذا الكلام أن المترك ما كان لعدم الرغبة بل لقيام الخوف من الله تعالى أما إذا قلنا أن هذا الكلام من بقية كلام المرأة وفيه وجهان (الاول) وما أبرئ نفسي عن مرادته ومقصودها تصديق يوسف عليه السلام في قوله هي راودتني عن نفسي (الثاني) أنها لما قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قالت وما أبرئ نفسي عن الحيانة مطلقاً فأنى قد خنته حين قد أحدث الذنب عليه وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم وأودعته السجن كأنها أرادت الاعتذار مما كان فان قيل جعل هذا الكلام كلاماً ليوسف أولى أم جعله كلاماً للمرأة فلناجعله كلاماً ليوسف مشكلاً لأن قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق كلام موصول بعبارة بعض إلى آخره فالحق بان بهضه كلام المرأة والبعض كلام يوسف مع تخلل القواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعدوا أيضاً جعله كلاماً للمرأة مشكلاً أيضاً لأن قوله وما أبرئ نفسي أن النفس لأمارة بالسوء الأمار حرم ربي كلام لا يحسن صدوره الأيمن احتراز عن المعاصي ثم يذكّر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استغرقت جهدها في المعصية (المسئلة الثانية) قالوا ما في قوله الأمار حرم ربي بمعنى من والتقدير الأمن رحمة ربي وما من كل واحد منهما يقوم مقام الآخر كقوله تعالى فاستكفوا ما طلب لكم من النساء وقال ومنهم من مشى على أربع وقوله الأمار حرم ربي استثناء متصل أو منقطع فيه وجهان (الاول) أنه متصل وفي تقريره وجهان (الاول) أن يكون قوله الأمار حرم ربي أي الإله من الذي رحمة ربي بالعصاة كاللائكة (الثاني) الأمار حرم ربي أي الوقت رحمة ربي يعني أنها أماراة بالسوء في كل وقت إلا في وقت العصاة (والقول الثاني) أنه استثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينصرون الآية منا (المسئلة الثالثة) اختلف

وتفخيم أمر رؤياه (أن كنتم للرؤيا تعبرون) أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستتراً * الحكماء وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى ما هي صور وأمثال لها من الأمور الواقعية أو الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه أو لتهماً أي ذكرت ما لهما وعبرت

الرؤيا عبارة اثبت من صبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام اليان
أولتقوية العامل المؤخر لرعاية القواصل أولتضمين تعبرون معنى فعل متعبدا باللام كأنه قيل ان كنتم تندبون
لمبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستغلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر
(قالوا) استثناف مبنى على السؤال كأنه قيل ﴿ ٢٠٥ ﴾ فاذا قال الملاء للملك فقيل قالوا هي (أضغاث
أحلام) أى تخاليلها

جمع ضغث وهو فى الأصل
ما جمع من أخلاط النبات
وحزم ثم استعير لما تجتمع
القوة الخيلة من أحاديث
النفس ووساوس
الشیطان وترى بها فى المنام
والاحلام جمع حلم وهى
الرؤيا الكاذبة التى
لا حقيقة لها والاضافة
بمعنى من أى هى أضغاث
من أحلام أخرجوها
من جنس الرؤيا التى لها
عاقبة تؤل اليها ويعنى
بأمرها وجوها وهى
رؤيا واحدة مبالغة
فى وصفها بالبطلان
كافى قولهم فلان يركب
الحيل ويلبس العباء
لمن لا يملك الا فرسا واحدا
وعمامة فردة أولتضمينها
أشياء مختلفة من البقرات
السبع السمات والسبع
العجاف والسنايل السبع
الخضر والاخر اليابسات
فتأمل حسن موقع
الاضغاث مع السنايل
فقد درشأن التنزيل
(وما نحن بتأويل

الحكماء فى أن النفس الامارة بالسوء ماهى والمحققون قالوا ان النفس الانسانية شئ واحد
ولها صفات كثيرة فاذا مال الى العالم الالهى كانت نفسا مطمئنة واذا مال الى الشهوة
والغضب كانت أماراة بالسوء وكونها أماراة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه ان النفس
من أول حدوثها قد ألقت المحسوسات والتذت بها وعشقتها فاما شعورها بعالم المجرى
وميلها اليه فذلك لا يحصل الا نادرا فى حق الواحد فالواحد وذلك الواحد فاما يحصل له
ذلك التجرد والانكشاف طول عمره فى الاوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابه الى
العالم الجسدانى وكان ميلها الى الصعود الى العالم الاعلى نادرا لاجرم حكم عليها بكونها
أماراة بالسوء ومن الناس من زعم أن النفس المطمئنة هى النفس العقلية النطقية وأما
النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية والكلام فى تحقيق الحق
فى هذا الباب مذكور فى المعقولات (المسئلة الرابعة) تملك أصحابنا فى أن الطاعة
والايمان لا يتحصلان الا بالله بقوله الامارحم ربى قالوا دلت الآية على ان انصراف
النفس من الشر لا يكون الا برحمة ولفظ الآية مشعر بأنه متى حصلت تلك الرحمة حصل
ذلك الانصراف فتقول لا يمكن تفسير هذه الرحمة باعطاء العقل والقدرة والاطاف كما قاله
القاضى لان كل ذلك مشترك بين الكافر والمؤمن فوجب تفسيرها بشئ آخر وهو ترجيح
داعية الطاعة على داعية المعصية وقد أثبتنا ذلك أيضا بالبرهان القاطع وحينئذ يحصل
منه المطلوب * قوله تعالى (وقال الملك انى ترى به استخفافه لنفسى فلما كلمه قال انك
اليوم لدينا مكين أمين قال اجمعنى على خزان الأرض انى حفظ عليم) فى الآية مسئلت
(المسئلة الاولى) اختلفوا فى هذا الملك فمنهم من قال هو العزيز ومنهم من قال بل هو الرابن
الذى هو الملك الاكبر وهذا هو الاظهر لوجهين (الاول) ان قول يوسف اجمعنى على
خزان الأرض يدل عليه (الثانى) ان قوله استخلفه لنفسى يدل على انه قبل ذلك ما كان
خالصا له وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالفا لخالصه العزيز فدل هذا على ان هذا الملك هو
الملك الاكبر (المسئلة الثانية) ذكروا أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام وهو فى الحبس وقال قل اللهم اجعل لى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث
لا أحتمل فقيل الله دعاه وأظهر هذا السبب فى تخليصه من السجن وتقرير الكلام أن
الملك عظم اعتقاده فى يوسف لوجوه (أحدها) انه عظم اعتقاده فى علمه وذلك لانه لما عجز
القوم عن الجواب وقدر هو على الجواب الموافق الذى يشهد العقل بصحته ما لا يطع
اليه (وثانيا) انه عظم اعتقاده فى صبره وثباته وذلك لانه بعد ان بقى فى السجن بضع سنين
لما أذن له فى الخروج ما أسرع الى الخروج بل صبر وتوقف وطلب أولا ما يدل على براءة
حاله عن جميع التهم (وثالثها) انه عظم اعتقاده فى حسن ادبه وذلك لانه اقتصصر على قوله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وان كان غرضه ذكر امرأه العزيز فستر ذكرها ونعرض
لامر سائر النسوة مع انه وصل اليه من جهتها أنواع عظيمة من البلاء وهذا من الادب

الاحلام) أى المنامات الباطلة التى لا أصل لها (بما لين) لان لها تأويلا ولكن لانها لا تأويل لها
وانما التأويل للمنامات الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير فى تأويل
الاحلام ممن أن لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة العربية عن مجرد الانتقال من الدال

الى الله تعالى بحسب ما يقولون بغير الاخلاص او عيارتها الى التاويل التي عن التصرف والتكاف في ذلك لما بين الايل
والمال من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله (وقال الذي نبجأ منهما) أي من صاحبي يوسف وهو
الشرابي (وادكر) بغير المعجمة وهو الفصحى وعن الحسن بالمعجمة أي تذكر يوسف عليه السلام وشؤنه التي
شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال ﴿ ٢٠٦ ﴾ تاويلها على الملا (بعد أمة) أي مدة طويلة وقرئ

أمة بالكسر وهي
الذمة أي بعد ما أنعم عليه
بالجاء وأمه أي نسيان
والجملة حال من الموصول
أومن ضميره في الصلة
وقيل معطوفة على
نجا وليس بذلك لأن حق
كل من الصفة والصلة
أن تكون معاومة
الانتساب الى الموصوف
والموصول عند المخاطب
كما عند المتكلم ولذلك
قيل ان الصفات قبل
العلم بها أخبارا والاخبار
بعد العلم بها صفات وأنت
تدري أن تذكره بعد
أمة انما علم بهذه الجملة
فلما لم يلفظه مع نجاته
المعلومة قبل في سلك
الصلة (انا انبئكم
بتاويله) أي أخبركم به
بالتلويح عن عنده علمه
لا من تلقاء نفسي ولذلك
لم يقل انا فتبكم فيها
وعقبه بقوله (فارتلون)
أي الى يوسف وانما
لم يذكره ثقة بما سبق من
التذكر وما لحق من قوله
(يوسف أيها الصديق)
أي أرسل اليه فأنا فقال

العجيب (ورابعها) براءة حاله عن جميع أنواع التهم فإن الخصم أقبله بالطهارة والنزاهة
والبراءة عن الجرم (وخامسها) ان الشرابي وصف له جده في الطاعات واجتهاده في
الاحسان الى الذين كانوا في السجن (وسادسها) انه بقي في السجن بضع سنين وهذه الامور
كل واحد منها يوجب حسن الاعتقاد في الانسان فكيف مجموعها فلهذا السبب حسن
اعتقاد الملك فيه واذا أراد الله شئاً جمع أسبابه وقواها اذا عرفت هذا فنقول لما ظهر
للك هذه الاحوال من يوسف عليه السلام رغب أن يتخذ لنفسه فقال أشئني به
أستخلصه لنفسى روى أن الرسول قال ليوسف عليه السلام قم الى الملك متظففا من درن
السجن بالثياب النظيفة والهيئة الحسنة فكتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولما دخل عليه قال اللهم اني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم دخل عليه وسلم ودعاه بالعبرانية
والاستخلاص طلب خلوص الشئ من شوائب الاشراك وهذا الملك طلب أن يكون
يوسف له وحده وأنه لا يشاركه فيه غيره لان عادة الملوك أن ينفردوا بالاشياء النفيسة
الرفيعة فلما علم الملك أنه وحيد زمانه وفر يد أقرانه أراد أن يفرده روى أن الملك قال
ليوسف عليه السلام ما من شئ الا أحب أن نشركني فيه الا في اهل وفي أن لا تأكل معي
فقال يوسف عليه السلام اما ترى أن أكل معك وأنا يوسف بن يعقوب بن اسحق الذي يبيع
ابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال فلما كلمه وفيه قولان (أحدهما) ان المراد فلما كلم
الملك يوسف عليه السلام قالوا لان في مجالس الملوك لا يحسن لاحد أن يتدنى بالكلام
وانما الذي يتدنى به هو الملك (والثاني) ان المراد فلما كلم يوسف الملك قبل لما صار يوسف
الى الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك حدثا شايئا قال للشرابي هذا هو
الذي علمنا ويل رؤياي مم أن السحرة والكهنة ما علموها قال نعم فاقبل على يوسف وقال
اني أحب أن أسمع تاويل الرويا منك شفاها فاجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته
فبعد ذلك قال له الملك انك اليوم لدينا مكيين أمين يقال فلان مكيين عند فلان بين المكانة
أي المنزل وهي حالة يتمكن بها صاحبها ما يريد وقوله أمين أي قد عرفنا أمانتك وبرأتك
مناسبت اليه واعلم ان قوله مكيين أمين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل
والمناقب وذلك لانه لا بد في كونه مكيين من القدرة والعلم أما القدرة فلان بها يحصل
المكنة وأما العلم فلان كونه مكيين من أفعال الخير لا يحصل الا به اذ لو لم يكن عالما بما ينبغي
وبما لا ينبغي لا يمكنه تخصيص ما ينبغي بالفعل وتخصيص ما لا ينبغي بالترك فثبت أن كونه
مكيين لا يحصل الا بالقدرة والعلم أما كونه آمينا فهو عبارة عن كونه حكيما لا يفعل الفعل
لداعي الشهوة بل انما يفعله لداعي الحكمة فثبت ان كونه مكيين آمين يدل على كونه قادرا
وعلى كونه عالما بمواقع الخير والشر والصالح والفساد وعلى كونه بحيث يفعل لداعي
الحكمة لا لداعي الشهوة وكل من كان كذلك فانه لا يصدر عنه فعل الشر والسفة فلهذا

يا يوسف ووصفه بالبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجر بها لكونه ﴿ المعنى ﴾

بصد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براءة الاستهلال (أفتتاح في) بقرات ممان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سيلات خضر وأخر بابسات (أي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مراده بقرينة ما سبق
من معاملتهما ولدلالة مضمون الجادة

عليه حيث لا يمكن الوقوف في عالم الشهادة أي بين عالميها وحسب حال ظهوره عليه السلام في الفضل
عبر عن ذلك بالافاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولاً لبنا بتأويله وفي قوله أفنتم مع أنه المستفي وحده اشعار
بأن الرويا ليست له بل لغيره ممن له ملاسة بأمر العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما أذن بذلك حيث قال (على أرجح
إلى الناس) أي إلى الملك ومن عنده أولى أهل ﴿٢٠٧﴾ البلدان كان السجين في الخارج كاقيل فأثبتهم بذلك
(لعلهم يعلمون) ذلك

ويعلمون بمقتضاه أو يعلمون
فضلك ومكانك مع ما أنت
فيه من الحال فتخلص
منه وإنما لم يثبت القول
في ذلك بحجارة معه على نهج
الادب وحسراً
عن المجازفة إذ لم يكن
على يقين من الرجوع
فر بما اخترتم دونه
* لعل المتبادرون ما تعديني
* ولا من علمهم بذلك
فر بما لم يعلموه (قال)
استشفاف مبني على السؤال
كأنه قيل فإذا قال يوسف
عليه السلام في التأويل
فقيل قال (تزعون سبع
سنين دأباً) قرئ بفتح
الهمرز وسكونها وكلاهما
مصدر دأب في العمل
إذا جفد رزب وانتصابه
على الحالية من فاعل
تزعون أي دأبسين
أو تدأبون دأباً على أنه
مصدر مؤكّد لفعل
هو الحال أول عليه السلام
البقرات السمان والسنبلات
الحضر بسنين مختاصب
والجفاف والبياسات
بسنين مجدبة فأخبرهم

المعنى لما حاولت العترة اثبات انه تعالى لا يفعل القبيح قالوا انه تعالى لا يفعل القبيح لانه
تعالى عالم بقبح القبيح عالم بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا وإنما
يكون غنيا عن القبيح اذا كان قادراً واذا كان متزها عن داعية السفه فثبت ان وصفه
بكونه مكيماً أميناً نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى أن يوسف عليه السلام
قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليهم وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قال المفسرون لما عبر يوسف عليه السلام رويًا الملك بين يديه قال له الملك فأتري
أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصصة زرعاً كثيراً وتبنى الخزائن وتجمع
فيها الطعام فاذا جاءت السنوات المجدة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال
الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض أي على خزائن أرض
مصر وأدخل الالف واللام على الارض والمراد منه المعهود السابق روى ابن عباس
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أنه قال رحمه الله أخى
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه لما قال ذلك أخره
عنه سنة وأقول هذا من العجائب لانه لما تاني عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك
على أحسن الوجه ولما تسارع في ذكر الانكسار أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا
يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى (المسئلة الثانية) لفاؤل
أن يقول لم يطلب يوسف الامارة والنبي عليه الصلاة والسلام قال لعبد الرحمن بن سمرة
لاتسأل الامارة وأيضاً فكيف طلب الامارة من سلطان كافر وأيضاً لم يصبر مدة ولم أظهر
الرغبة في طلب الامارة في الحال وأيضاً لم يطلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أن هذا
يورث نوع تهمة وأيضاً كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله اني حفيظ عليهم مع انه تعالى
يقول فلا تزكوا أنفسكم وأيضاً لما الفائدة في قوله اني حفيظ عليهم وأيضاً لم ترك الاستثناء
في هذا فان الاحسن أن يقول اني حفيظ عليهم ان شاء الله بدليل قوله تعالى ولا تقولن لشيء
انني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فهذه أسئلة سبعة لابد من جوابها فنقول الاصل
في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجازله أن يتوصل
اليه بأي طريق كان انما قلنا ان ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه (الاول) انه كان
رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه رعاية مصالح الامة بقدر الامكان
(والثاني) وهو أنه عليه السلام علم بالوحى أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما
أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلهذا تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لاجله يقل
ضرر ذلك القحط في حق الخلق (والثالث) أن السعي في ائصال النفع إلى المستحقين ودفع
الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول واذا ثبت هذا فنقول انه عليه السلام كان مكلفاً
برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب فكان هذا الطريق واجبا عليه ولما كان واجبا سقطت الاسئلة

بأنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان
وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال (فاحصدتم) أي في كل سنة (فدروهم في سنبله)
ولا تدروهم كيلاً بأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدلل على ذلك

السبلات الحضر وأما أمرهم بذلك فلم يكن معطافاً فيما بينهم وحيث كانوا معاندين للزراعة لما أمرهم بها وجعلها
أمراً محقق الوقوع وتناولاً للروثا مصداقاً لما فيها من البقرات السمان (الاقليلا بما تكون) في تلك السنين وفيه
ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقصار على الاستثناء المأكول دون البذر ليكون ذلك معلوماً
من قوله تزرعون سبع سنين وبعدها تمام ما أمرهم به شرع ﴿٢٠٨﴾ في بيان بقية التأويل التي يظهر منها

حكمة الامر المذكور
فقال (ثم يأتي) وهو عطف
على تزرعون فلا وجه
لجملة بمعنى الامر حالهم
على الجدة والمبالغة
في الزراعة على انه يحصل
بالاخبار بذلك أيضاً
(من بعد ذلك) أي من بعد
السنين السبع المذكورات
والتأويل يقل من بعدهن
قصداً الى الإشارة
الى وصفهن فان الضمير
ساكت عن أوصاف
المرجع بالكلمة (سبع
شداد) أي سبع سنين
صحاب على الناس (ياكلن
ما قدمتم لهم) من الحبوب
المتروكة في سنايلها وفيه
تنبيه على أن أمره
عليه السلام بذلك كان
لوقت الضرورة واستناد
الاكل اليهن مع أنه حال
الناس فيهن مجازي
كافي نهاره صائم وفيه تلويح
بأنه تأويل لاكل الجفاف
السمان واللام في لهن
ترشح لذلك فكان
مادخر في السنايل من
الحبوب شئ قد هوى وقدم
لهن كالذي يقدم للنازل

بالكلمة وأما ترك الاستثناء فقال الواحدى كان ذلك من خطبة أوجبت عقوبة وهي أنه
تعالى أخرجه حصول ذلك المقصود سنة وأقول لعل السبب فيه انه لو ذكر هذا الاستثناء
لاعتقد فيه الملك انه انما ذكره لعله بأنه لا قدر له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلاجل
هذا المعنى ترك الاستثناء وأما قوله لم مدح نفسه فجاوبه من وجوه (الاول) لانسلم انه مدح
نفسه لكنه بين كونه موصوفاً بما تين الصفتين النافتين في حصول هذا المطلوب وبين
الباين فرقاً وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج الى ذكر هذا الوصف لان الملك وان علم كاله
في علوم الدين لكنه ما كان عالماً بأنه يبنى بهذا الامر ثم نقول هب انه مدح نفسه الان
مدح النفس انما يكون مذموماً اذا قصد الرجل به التناول والتفاخر والتوصل الى غير
ما يحل فأما على غير هذا الوجه فلانسلم أنه محرم فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد منه
تزكية النفس حال ما يعلم كونه غير متزكية والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم
بمن اتقى أما اذا كان الانسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه والله أعلم بقوله
ما الفائدة في وصفه نفسه بأنه حفيظ عليم قلنا انه جار مجرى أن يقول حفيظ بجميع
الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال علم بالجهات التي تصلح لان يصرف المال
اليها ويقال حفيظ بجميع مصالح الناس عليم بجهات حاجاتهم أو يقال حفيظ لوجوه
أبادك وكرمك عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذا باب واسع يمكن تكثيره
لمن أراد * قوله تعالى (وكذلك مكنا يوسف في الارض ينبأ منها حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون)
فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن يوسف عليه السلام لما اتى من الملك أن يجعله على
خزائن الارض لم يحك الله عن الملك انه قال قد فعلت بل الله سبحانه قال وكذلك مكنا
ليوسف في الارض فههنا المفسرون قالوا في الكلام محذوف وتقديره قال الملك قد فعلت
الآن تمكين الله في الارض يدل على ان الملك قد أجابه الى مسائل وأقول ما قاله حسن
الآن ههنا ما هو أحسن منه وهو ان اجابة الملك له سبب في عالم الظاهر وأما الموتر الحقيقى
فليس الا انه تعالى مكنته في الارض وذلك لان ذلك الملك كان ممكناً من القبول ومن ارد
فنسبة قدرته الى القبول والى ارد على التساوى ومادام بقى هذا التساوى امتنع حصول
القبول فلا بد وأن يترجح القبول على ارد في خاطر ذلك الملك وذلك الترجيح لا يكون
الا بترجح بخلق الله تعالى واذا خلق الله تعالى ذلك المرجح حصل القبول لا محالة فالتمكن
ليوسف في الارض ليس الا من خلق الله تعالى في قلب ذلك الملك بجميع القدرة
والداعية الجازمة التي عند حصولها يجب الاثر فهذا السبب ترك الله تعالى ذكر اجابة
الملك واقتصر على ذكر التمكن الالهى لان الموتر الحقيقى ليس الا هو (المسئلة الثانية) روى
ان الملك توجه وأخرج خاتم الملك وجعله في اصبعه وقلده بسيفه ووضع له سريراً من ذهب
مكلاً بالدر والياقوت فقال يوسف عليه السلام أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم

والافه في الحقيقة مقدم للناس فيهن (الاقليلا بما تحصنون) تخرزون مبدور الزراعة (ثم يأتي) فادبر
من بعد ذلك) أي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الفلال المدخرة (طام) لم يعبر عنه بالسنة تحاشياً
عن المدلول الاصلى لها من عام الفحط وتنبهها من أول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق (فيه
نفاث الناس)

من الغيث أي يطررون فقال غيثت البلاد إذا مطرت في وقت الحاجة أو في القوت يقال غائنا الله تعالى أي أمدها برقم
 المكاره حين أظلتنا (وفيه بعصرون) أي ما من شأنه أن يعصر من الغيب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه
 لكثرة ما تعرض لذلك العصر مع جواز الاكتفاء عنه بل ذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تعصر فهم في الجيوب
 اعلان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للجوب ﴿ ٢٠٩ ﴾ اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادأ أخرى غير المطر

وأما الرعاة جانب المستغنى
 باعتبار حالته الخاصة به
 بشارته وهى التى يدور
 عليها حسن موقع تغلبته
 على الناس فى القراءة
 بالفوقانية وقيل معنى
 يعصرون يحلبون
 الضروع وتكر برفيد
 اما للاشعار باختلاف
 أوقات ما يقع فيه من الغيث
 والعصر زمانا وهو ظاهر
 وعنوانا فان الغيث والفتون
 من فضل الله تعالى
 والعصر من فعل الناس
 واما ان المقام مقام
 تعداد منافع ذلك العام
 ولاجله قدم فى الموضوعين
 على الفعلين فان المقصود
 الاصلى بيان انه يقع فى
 ذلك العام هذا النفع
 وذلك النفع لا يبان انهما
 يقعان فى ذلك العام كما
 يفيد التأخير ويجوز
 أن يكون التقديم للقصر
 على معنى أن غيبتهم
 وعصرهم فى سائر السنين
 بمنزلة العدم بالنسبة الى
 عامهم ذلك وأن يكون
 ذلك فى الاخيرة لرعاة

فأدبر به أمره وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس أبائى وجلس على السر يرود انتله
 القوم وعزل الملك قطغير زوج المرأة المعلومه ومات بعد ذلك وزوجه الملك امرأته فلما
 دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طابت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرام وميشا
 وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يده الملك وكثير من الناس وباع من
 أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدرهم والدنانير فى السنة الاولى ثم بالخلى والجواهر
 فى السنة الثانية ثم بالدواب ثم بالضياء والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم سنين فقالوا والله
 ما رأينا ملكا أعظم شأننا من هذا الملك حتى صار لكل الخلق عبيده فلما سمع ذلك قال انى
 أشهد الله انى أعنت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لاحد
 ممن يطلب الطعام أكثر من حل البعير ثلاثين من الطعام على الباقيين هكذا رواه صاحب
 الكشف والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله وكذلك الكاف منصوبة بالتمكين وذلك
 اشارة الى ما تقدم يعنى به ومثل ذلك الانعام الذى أنعمنا عليه فى تفرينناياه من قلب الملك
 وانجائناياه من غم الحبس وقوله مكننا يوسف فى الارض أى أقدرناه على ما يريد برفع
 الموانع وقوله نبوا منها حيث يشاء ينبوا فى موضع نصب على الحال تقديره مكنناه متبوا
 وقرأ ابن كثير نشاء بالنون مضافا الى الله تعالى والباقيون بالياء مضافا الى يوسف واعلم ان
 قوله ينبوا منها حيث يشاء يدل على أنه صار فى الملك بحيث لا يذفعه احد ولا ينازعه منازع
 بل صار مستقلا بكل ماشاء وأراد تم بين تعالى ما يؤكده ان ذلك من قبله فقصر نصب
 برحمتنا من نشاء واعلم أنه تعالى ذكر أن اولان ذلك التمكين كان من الله لا من أحد سواه
 وهو قوله وكذلك مكننا يوسف فى الارض ثم أكد ذلك ثانيا بقوله نصيب برحمتنا من
 نشاء وفيه فائدتان (الفائدة الاولى) ان هذا يدل على أن الكل من الله تعالى قال
 القاضى تلك المملكة للملم يتم الابامور فعلها الله تعالى صارت كأنها حصلت من قبله
 تعالى وجوابه ان ادعى أن نفس تلك المملكة انما حصلت من قبل الله تعالى لان لفظ
 القرآن يدل على قولنا والبرهان القاطع الذى ذكرناه بقوى قولنا فصرف هذا اللفظ الى
 المحاز لاسبيل اليه (الفائدة الثانية) انه أتاه ذلك الملك بحض الشبهة الالهية والقدرة
 النافذة قال القاضى هذه الآية تدل على انه تعالى يجزى أمر نعمه على ما يقتضيه
 الصلاح قلنا الآية تدل على ان الامور معلقة بالشبهة الالهية والقدرة المحضة فأما رعاية
 قيد الصلاح فأمر اعتبرته أنت من نفسك مع أن اللفظ لا يدل عليه ثم قال تعالى ولا نضيع
 أجر المحسنين وذلك لان اصناعة الاجرام أن يكون للجبر والجهل أو للبخل والكل متمتع
 فى حق الله تعالى فكانت الاصناعة متمتعة واعلم أن هذا شهادة من الله تعالى على أن يوسف
 عاينه السلام كان من المحسنين ولو صدق القول بأنه جلس بين شعبها الاربع لامتنع أن
 يقال انه كان من المحسنين فهنا نلزم ما تكذيب الله فى حكمه على يوسف بأنه كان من
 المحسنين وهو عين الكفر أو لزم تكذيب الحشوى فيما رواه وهو عين الايمان والحق

المراد فى الاول رعاية حاله وقرئ ﴿ ٢٧٠ ﴾ هنا يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجها وهو
 المناسب للاغاثه ويجوز أن يكون المبني للفاعل ايضا منه كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغشون أى يغتهم الله ويغيث بعضهم
 بعضا وقيل معنى يعصرون يطررون من أعصرت السحابة

أما تصديق أعصمت معني مطررت ولعديته وأما محمد في الجار وإيصال الله على الأصل فاعصمت خطيهم والحكام هذا العام المبارك ليست مستبطة من رؤى الملك وأما نقلها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما أول الروايات أول وأمرهم بالتدبير اللائق في شأنه إبانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وأنه محيط بالمخطر بيان أحد فضلاء عميري صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استغاثتهما ﴿ ٢١٠ ﴾ في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا يأتيكما

بناويله وأتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد ولا وروية ما يدل عليها في المنام (وقال الملك) بعد ما جاءه السقير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نغير وقطير (أتوني به) لئلا أعلم من علمه وفضله (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) واستدعاه إلى الملك (قال) ارجع إلى ربك أي سيدك (فأما له ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي فقتله عن شأهن وأما لم يقل فأسأله أن يفتش عن ذلك حسا للملك على الجسد في التفتيش ليتبين برأته ويتضح نزاهته إذا السؤال مما يسمح الإنسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه إليه وأما المطلب فما قد يتسامح وينساهل فيه ولا يبالى به وأما لم يتعرض لامرأة العزيز مع مالتى منها مالتى من مقاساة الاحزان ومعاناة

ثم قال تعالى ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه الآية قولان (الاول) المراد منه أن يوسف عليه السلام وإن كان قد وصل إلى المنازل العالصة والدرجات الرفيعة في الدنيا لأن الثواب الذي أعده الله له في الآخرة خير وأفضل وأكمل وجهات الترجيح فقد ذكرناها في هذا الكتاب مرارا وأطوارا وحاصل تلك الوجوه أن الخير المطلق هو الذي يكون نفعها لاصدا دائما مفر ونا بالعظيم وكل هذه القيود الأربعة حاصلة في خيرات الآخرة ومفقودة في خيرات الدنيا (القول الثاني) أن لفظ الخير قد يستعمل لكون أحد الخيرين أفضل من الآخر كما يقال الجلاب خير من الماء وقد يستعمل لبيان كونه في نفسه خيرا من غير أن يكون المراد منه بيان التفضيل كما يقال الثريد خير من الله يعني الثريد خير من الخيرات حصل باحسان من الله إذ ثبت هذا فقولوه ولا أجر الآخرة خيرات جللناه على الوجه الاول لزم أن تكون ملاذ الدنيا موصوفة بالخيرية أيضا وأما أن جللناه على الوجه الثاني لزم أن لا يقال أن منافع الدنيا أيضا خيرات بل لعله يفيد أن خير الآخرة هو الخير وأما ما سواه فعبث (المسئلة الثانية) لا شك أن المراد من قوله ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون شرح حال يوسف عليه السلام فوجب أن يصدق في حقه أنه من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهذا تنصيص من الله عز وجل على أنه كان في الزمان السابق من المتقين وليس ههنا زمان سابق ليوسف عليه السلام يحتاج إلى بيان أنه كان فيه من المتقين الأذلك الوقت الذي قال الله فيه ولقد همت به وهم بها فكأن هذا شهادة من الله تعالى على أنه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وأيضاً قوله ولا نصيب أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه عليه السلام كان من المحسنين وقوله أنه من عبادنا المخلصين شهادة من الله تعالى على أنه من المخلصين فثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل الخشوي يقول أنه كان من الاخسرين المذنبين ولا شك أن من لم يقل بقول الله سبحانه وتعالى مع هذه التأكيدات كان من الاخسرين (المسئلة الثالثة) قال القاضي قوله تعالى ولا أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يدل على بطلان قول المرجئة الذين يزعمون أن الثواب يحصل في الآخرة لمن لم يتق الكبار قلنا هذا ضعيف لأننا نحن لفظ خير على أفعال التفضيل لزم أن يكون الثواب الحاصل للمتقين أفضل ولا يلزم أن لا يحصل لغيرهم أصلا وإن جللناه على أصل معنى الخبرية فهذا يدل على حصول هذا الخير للمتقين ولا يدل على أن غيرهم لا يحصل لهم هذا الخير ﴿ قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال أتوني بأخ لكم من أبيكم لا تروني أفي الكيل وأنا خير المتزائلين قال لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سزاود عنه أباه وأنا فلانعلون) اعلم أنه لما علم أن الخط في البلاد وصل أيضا إلى البلدة التي كان يسكنها يعقوب عليه السلام

الاشجان بمحافضة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما ﴿ وصعب ﴾ النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بأنها رآودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بنفطع الأيدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن أطلع مولاناك واكتفى بالإبقاء إلى ذلك

بقوله (انك اني بكدهن علمي) الحاجة فممن واحتراما من سوء فالفن عند الملك والخصام من المصنوعة مدافعة
عن أنفسهم متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فإذا كان بعد ذلك
ف قيل قال الملك انما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن (ما خطبك) اي شأنكن وهو الامر الذي يحق لعفته أن يخاطب
المرء فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف) وخادعته * ٢١١ (عن نفسه) ورغبته في الطاعة مولاته هل وجدت

فيه شيئا من سوء رية
(قلن حاش لله) تنزيها له
وتجبا من نزاهته وعفته
(ما علمنا عليه من سوء)
بالقن في بني جنس السوء
عنه بالتكبر وزيادة من
(قالت امرأت العزيز)
وكان حاضرة في المجلس
وقيل أقبلت النسوة
عليها يقررنها وقيل
خافت أن يشهدن عليها
بما قالت لهن ولقد راودته
عن نفسه فاستصم
ولئن لم يفعل ما أمره
ليسجنن وليكونا
من الصاغرين فأقرت
قائلة (الآن حصص
الحق) اي ثبت واستقر
أوتبين وظهر بعد خفاء
قوله الخليل وقيل هو
ما أخذ من الحصص وهي
القطعة من الجملة اي تبين
حصص الحق من حصص
الباطل كاتنين حصص
الاراضي وغيرها وقيل
بان وظهر من حصص
شعره اذا استأصله
بحيث ظهرت بشرة
رأسه وقرى على البناء
للمفعول من حصص

وصعب الزمان عليهم فقال لبيته ان يصمر رجلا صالحا غير الناس فاذهبوا اليه بدراهمكم
وخذوا الطعام فخرجوا اليه وهم عشرة ودخلوا على يوسف عليه السلام وصارت هذه
الواقعة كالسبب في اجتماع يوسف عليه السلام مع اخوته وظهور صدق ما أخبر الله
تعالى عنه في قوله ليوسف عليه السلام حال ما أقوه في الجب لتنبئهم بأمرهم هذا
وهم لا يشعرون وأخبر تعالى ان يوسف عرفهم وهم ما عرفوه البتة امانته عرفهم فلانه
تعالى كان قد أخبره في قوله لتنبئهم بأمرهم بأنهم يصلون اليه ويدخلون عليه وأيضا
الروايات التي رآها كانت دليلا على انهم يصلون اليه فلماذا السبب كان يوسف عليه السلام
مترصدا لذلك الامر وكان كل من وصل اليه من البلاد العبيدة يتحصص عنهم ويعرف
أحوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين هل هم اخوته أم لا فلما وصل اخوة يوسف الى باب
داره فتحصص عن أحوالهم فتعصاظهر له انهم اخوته واما انهم ما عرفوه فلو جوه (الاول)
انه عليه السلام أمر بحجابه بأن يوقفهم من البعد وما كان يتكلم معهم الا بالواسطة
ومنى كان الامر كذلك لاجرم انهم لم يعرفوه لاسيما مهابة الملك وشدة الحاجة بوجبان
كثرة الخوف وكل ذلك مما يمنع من التأمل التام الذي عنده يحصل العرفان (والثاني) هو
انهم حين أقوه في الجب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور الحية وتغير الزى والهبة
فانهم رأوه جالسا على سريره وعليه ثياب الحرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلم رأسه تاج
من ذهب والقوم أيضا انساوا واقعة يوسف عليه السلام لطول المدة فيقال ان من وقت
ما أقوه في الجب الى هذا الوقت كان قد مضى أربعون سنة وكل واحد من هذه الاسباب
يمنع من حصول المعرفة لاسيما عند اجتماعها (والثالث) ان حصول العرفان والتذكير
بخلق الله تعالى فعله تعالى ما خلق ذلك العرفان والتذكير في قلوبهم تحقيقا لما أخبره
عنه بقوله لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك من معجزات يوسف عليه السلام
ثم قال تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم
جهازهم ناسفروا وكذلك جهاز العروس والبيت وهو ما يحتاج اليه في وجهه قال وسمعت
أهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر قال الازهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر
لانه ليس بجيدة قال المغسرون حمل لكل رجل منهم بعيرا وأكرمهم أيضا بالنزول
وأعطاهم ما احتاجوا اليه في السفر فذلك قوله جهزهم بجهازهم ثم بين تعالى انه
لما جهزهم بجهازهم قال لهم اثقوني بأخ لكم من أبيكم واعلم انه لا بد من كلام سابق حتى
يصير ذلك الكلام سببا لسؤال يوسف عن حال أخيه وذكر وافيته وجوها (الاول) وهم
أحسنها ان عادة يوسف عليه السلام مع الكل أن يعطيه حل بعير لازيد عليه ولا ينقص
واخوة يوسف الذين ذهبوا اليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أجمال فقالوا ان لنا أباشيخا
كبيرا وأخا آخر يقي معه وذكرنا ان أباهم لاجل سنة وشدة حزنه لم يحضر وان أخاهم يقي
في خدمة أبيه ولا بد لهما ابضا من شيء من الطعام فجهر لهما ابضا بعيرين آخرين من

البعير مباركة اي أقسامها في الارض للاناخة قال * فخصص في صم الصف اثنتان * وناه يسلي نواة ثم صمما *
والمعنى أقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهوراظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام
فيما أحاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه

الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهدأ بقل على أن حب أيكم له أزيد من حبه لكم وهذا شئ عجيب لأنكم مع جلالكم وعظمتكم وأدبكم اذا كانت محبة أيكم لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل هذا على أن ذلك العجوبة في العقل وفي الفضل والأدب فيثبوت به حتى أراه وهذا السبب محتمل مناسب (والوجه الثاني) أنهم لما دخلوا عليه عليه السلام وأعطاهم الطعام قال لهم من أنتم قالوا نحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فحشنا ثم ارتقا قال عليكم جئتم عيوننا فقالوا معاذ الله نحن أخوة بنو أب واحد شيخ صديق نبي اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كئنا اثني عشر فهلك منا واحد وبقي واحد مع الأب ينسلي به عن ذلك الذي هلك ونحن عشرة وقد جئناك قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتوني بأخ لكم من أيكم ليبلغ إلى رسالة أيكم ففند هذا أقرعوا بينهم فأصابته القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلعوه عنده (والوجه الثالث) لعلهم لما ذكروا أباهم قال يوسف فلم تتركتموه وحيدا فريدا قالوا ما تركناه وحيدا بل بقي عنده واحد فقال لهم لم استخلصه لنفسه ولم خصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده فقالوا لا بل لاجل أنه يحبه أكثر من محبته لسائر الأولاد ففند هذا قال يوسف لماذا كرتم أن أباكم رجل عالم حكيم بعيد عن المجازفة ثم أنه خصه بمزيد المحبة وجب أن يكون زائدا عليكم في الفضل وصفات الكمال معاني أراكم فضلاء علماء حكماء فاشتاق نفسي إلى رؤيته ذلك الاخ فأتوني به والسبب الثاني ذكره المفسرون والأول والثالث محتمل والله أعلم * ثم إنه تعالى حكى عنه أنه قال ألا ترون أني أوف الكيل أي أعمه ولا أنقصه وأزيدكم حل بغير آخر لاجل أخيكيم وأنا خير المنزلين أي خير المضيقين لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافهم وأقول هذا الكلام بضعف الوجه الثاني وهو الذي نقلناه عن المفسرين لأن مدار ذلك الوجه على أنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ولوشافهم بذلك الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف برائتهم عن هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تهربون واعلم أنه عليه السلام لما طلب منهم احضار ذلك الاخ جمع بين الترهيب والترغيب أما الترهيب فهو قوله ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين وأما الترهيب فهو قوله فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تهربون وذلك لأنهم كانوا في نهاية الحاجة إلى تحصيل الطعام وما كان يمكنهم تحصيله إلا من عنده فاذا امتنعهم من الحضور عنده كان ذلك نهاية الترهيب والتخويف ثم اتهمهم بما سموه هذا الكلام من يوسف قالوا سزاود عنه آباء، وانافعا علون أي سبجته ومخال على أن نزلعه من يده وانافعا علون هذه المراودة والغرض من التكرير التأكيد ويحتمل أن يكون وانافعا علون أن نجيبك به ويحتمل وانافعا علون ككل ما في وسعنا من هذا الباب * قوله تعالى (وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم

لامضاء ما قضا، فلا يلحق بشأنه عليه السلام في الوثوق بأمره، والتوكل على ربه جل جلاله (بالغيب) ﴿لَهُمْ﴾ أي بظهر الغيب، وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي يمكن الغيب وراء الأستار والابواب المغلقة وأياما كان فالتصود بيان كمال زهاته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسلحتها (ما ن الله) اهـ

ويكلم الله تعالى (لأنه لم يزل يناديهم) أن لا يلقوه ولا يستدعوه بل يسلطه ويهتبه أولادهم في كيدهم إيطافا
للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضايقون قول الذين كفروا أي يضايقونهم في قولهم وفيه تعريض
بأمر الله في خباياها أمانته وبه في خيانه أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات زاهته عليه
السلام ويجوز أن يكون ذلك لما كسب أمانته ﴿ ٢١٣ ﴾ وأنه لو كان خائفا لما هدى الله عز وجل أمره

وأحسن عاقبته
(وما يرى نفسي) أي
لأنزهها عن السوء فله
عليه السلام هضم النفس
الكريمة البريئة عن كل
سوء وربما مكانها عن
التركة والاعجاب بحالها
عند ظهور كمال زاهتها
على أسلوب قوله عليه
السلام أناسيد ولد آدم
ولا فخر وأتحد شائبة
الله عز وجل عليه وإرازا
لسره المكنون في شأن
أفعال العباد أي لأنزهها
عن السوء من حيث هي
هي ولا أسند هذه القضية
إليها بمقتضى طبعها
من غير توفيق من الله
عز وجل (إن النفس)
البشرية التي من جللتها
نفس في حسد ذاتها
(لأماراة بالسوء) مائلة
إلى الشهوات مستعملة
للقوى والآلات في
تحصيلها بل إنما ذلك
بتوفيق الله تعالى وعصمته
ورحمته كما يفيد قوله
(الما رحم رب) من
النفوس التي يعصمها
من الوقوع في المهالك

لعلهم يعرفونها إذا نقلوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا
منع منا الصكبل فأرسل معنا أخانا نكتل وأنا له لحافظون قال هل أنتم عليه
الأكا منكم على أخيه من قبل فآله خير حافظا وهو أرحم الراحمين (في الآية مسائل
(المسئلة الأولى) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم لغتيانه بالالف والنون
والباقون لغتيانه بالياء من غير ألف وهما لغتان كالصبيان والصبيته والأخوان والأخوة
قال أبو علي الفارسي القية جمع فتى في العدد القليل والغتيان للكثير فوجه البناء الذي
للعدد القليل أن الذين يحيطون بما يحيطون بضاعتهم فيه من رحالهم يكونون قليلين لأن
هذا من باب الاسرار فوجب صونه إلا عن العدد القليل ووجه الجمع الكثير أنه قال
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال نفيد العدد الكثير فوجب أن يكون الذين يباشرون
ذلك العمل كثيرين (المسئلة الثانية) اتفق الاكثر على أن أخوة يوسف ما كانوا
عالمين بجعل البضاعة في رحالهم ومنهم من قال أنهم كانوا عارفين به وهو ضعيف لأن قوله
لعلهم يعرفونها يبطل ذلك ثم اختلفوا في السبب الذي لأجله أمر يوسف بوضع بضاعتهم
في رحالهم على وجوه (الأول) أنهم متى فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك
كان كراما من يوسف وسخاءا محضا فيبشعهم ذلك على العود إليه والحرص على معاملته
(الثاني) خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى (الثالث) أراد به
التوسعة على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط (الرابع) رأى أن أخذ ثمن الطعام من
أيده وأخوته مع شدة حاجتهم إلى الطعام يؤم (الخامس) قال القراء أنهم متى شاهدوا
بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو
وهم أنبياء وأولاد الانبياء فرجعوا ليعرفوا السبب فيه أو رجعوا ليردوا المال إلى مالكه
(السادس) أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم به عيب ولا منة (السابع) مقصوده
أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك إلا لأجل الإيذاء والعظم ولا يطلب زيادة في الثمن (الثامن)
أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الأكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه
(التاسع) أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من
قطع الطريق فوضع تلك الدراهم في رحالهم حتى تبقى مخفية إلى أن يصلوا إلى أبيهم
(العاشر) أراد أن يقابل مبالغتهم في الاساءة بمبالغته في الاحسان إليهم ثم انه تعالى حكى
عنهم أنهم لما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل وفيه قولان (الأول) أنهم
لما طلبوا الطعام لا يسهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه فقولهم منع منا الكيل إشارة
إليه (والثاني) أنه منع الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف فأن لم تأتوني به
فلا كيل لكم عندي والدليل على أن المراد ذلك قولهم فأرسل معنا أخانا نكتل قرأ حمزة
والكسائي يكتل بالياء والباقيون بالنون والقراءة الأولى تقوى القول الأول والقراءة
الثانية تقوى القول الثاني ثم قالوا وأنا له لحافظون فثبتوا كونهم حافظين له فلما قالوا

ومن بجاتها نفسى أوهى أماراة بالسوء في كل وقت والأوقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع
أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقدون الرحمة (انزى غفور رحيم)
عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طاعنها وبالع في الرحمة لها بعصمتها من الجحيم ان مقتضى ذلك وإشار
الاطهار في مقام الاضمار

مع التفرغ لعنوان الربوبية لمبادئ الغفرة والزجة وقيل الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت
 يعلم يوسف عليه السلام اني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما برى نفسي مع
 ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الامارح ربي اى الانفسا
 رجحها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور ﴿ ٢١٤ ﴾ لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا

يكون تأنيبه عليه السلام
 في الخروج من السجن
 لعدم رضاه عليه السلام
 بملأف الملك وأمره بين
 بين ففعل ما فعل حتى
 يتبين نزاهته وأنه انما
 سجن بظلم عظيم مع
 ماله من الفضل ونباهة
 الشان ليتفاهه الملك
 بما يليق به من الاعظام
 والاجلال وقد وقع
 (وقال الملك اتوني به
 استخلصه) أجعله
 خالصا (لنفسى)
 وخاصا بى (فلما كلمه)
 اى فاتوا به فحذف
 للابذان بسرعة الاتيان
 به فكأنه لم يكن بين
 لاهم باحضاره والخطاب
 معه زمان أصلا والضمير
 المستكن في كلمة يوسف
 والبارز للملك اى فلما كلمه
 سفا اثر ما أتاه فاستنطقه
 وشاهد منه ما شاهد
 (قال انك اليوم لدينا
 مكين) ذو مكانة وميزة
 رفيعة (أمين) مؤتمن
 على كل شئ واليوم ليس
 بباردة المكافاة والامانة
 بل هو ان التكلم والمراد

ذلك قال يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الا كما آمنكم على أخيه من قبل والمعنى
 انكم ذكرتكم قبل هذا الكلام في يوسف وضمتم لى حفظه حيث قلتم واناله لحافظون ثم
 ههنا ذكرتكم هذا اللفظ بعينه فهل يكون ههنا أمانى الاما كان هناك بمعنى لما لم يحصل
 الامان هناك فكذلك لا يحصل ههنا ثم قال فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قرأ حزنه
 والكسائي حافظا بالالف على التيسير والتفسير على تقدير هو خير لكم حافظا كقولهم
 هو خيرهم رجلا وقه دره فارسا وقيل على الحال والباقون حفظا بغير ألف على المصدر
 بمعنى خيركم حفظا بمعنى حفظ الله لبنيامين خير من حفظكم وقرأ الاعشى فله خير حافظا
 وقرأ أبو هريرة رضى الله عنه خير الحافظين وهو أرحم الراحمين وقيل معناه وثقت بكم
 في حفظ يوسف عليه السلام فكان ما كان فالآن أتوكل على الله في حفظ بنيامين فان
 قيل لم بعته معهم وقد شاهد ما شاهد قلنا لوجوه (أحدها) انهم كبروا ومالوا الى الخير
 والصالح (وثانيها) انه كان يشاهد انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل
 ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام (وثالثها) ان ضرورة القحط أوججت الى ذلك
 (ورابعها) لعله تعالى أوحى اليه وضمن حفظه وبإصلاحه اليه فان قيل هل يدل قوله فله خير
 حافظا على أنه أذن في ذهاب ابنه بنيامين في ذلك الوقت قلنا لا أكثرون قالوا يدل عليه
 وقال آخرون لا يدل عليه وفيه وجهان (الاول) التقدير انه لو أذن في خروجه معهم لكان
 في حفظ الله لافى حفظهم (الثانى) أنه لما ذكر يوسف قال فله خير حافظا أى ليوسف
 لانه كان يعلم أنه سى * قوله تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا
 يا بنيامين ابعثنا هذه بضاعتنا ردت الينا وبغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كبل بغير ذلك
 كبل يسير) اعلم ان المتاع ما يصلح لان يستغنى به وهو عام في كل شئ ويجوز أن يراد به ههنا
 الطعام الذى حملوه ويجوز أن يراد به أوعية الطعام ثم قال وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
 واختلف القراء في ردت فالأكثرون بضم الراء وقرأ علقمة بكسر الراء قال صاحب
 الكشاف كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكى قطرب انهم قالوا
 في قولنا ضرب زيد ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد وأما قوله ما نبغى
 في كلمة ما قولان (الاول) انها للبنى وعلى هذا التقدير ففيه وجوه (الاول) انهم كانوا
 قد وصفوا يوسف بالكرم والناطف وقالوا اتنا قد ننا على رجل في غاية الكرم أنزلنا
 وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل ذلك فقولهم ما نبغى اى بهذا الوصف
 الذى ذكرناه كذبا ولا ذكر شئ لم يكن (الثانى) انه بلغ في الأكرام الى غاية ما وراء هاشى
 آخر فانه بعد أن بلغ في اكرامنا أمر بضاعتنا فردت الينا (الثالث) المعنى انه رد بضاعتنا
 البنا فحين لا نبغى منك عند رجوعنا اليه بضاعة أخرى فان هذه التى معنى كافدنا
 (والقول الثانى) ان كلمة ما ههنا للاستفهام والمعنى لما رأوا انه رد اليهم بضاعتهم قالوا
 ما نبغى بعد هذا أى أعطانا الطعام ثم رد علينا ثم الطعام على أحسن الوجوه فإى شئ

تجديد مبدئهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين روى أنه عليه السلام لما جاءه ﴿ نبغى ﴾
 الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جدد فمادخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك
 من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان
 أبائى وكان الملك دع ف سمع لسانا فكلمه بما قاله

فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطيف في تلك الليالي فصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افراسيم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام للماعين له من امر الخزان كما يعرب عنه قوله عز وجل (قال اجعلني على خزان الارض) ﴿ ٢١٥ ﴾ اي ارض مصر اي ولي امرها من الاراد

والصرف (اني حفظ)

لها من لا يستحقها (عليهم)

بوجوه التصرف فيها

وفيه دليل على جواز طلب

الولاية اذا كان الطالب

من يقدر على اقامه العدل

واجراء احكام الشريعة

وان كان من يد الجائر

او الكافر وعن مجاهد

انه اسلم الملك على يده

عليه السلام ولعل اثاره

عليه السلام لتلك الولاية

خاصة انما كان للقيام بما هو

اهم امور السلطنة اذ ذاك

من تدبير امر السنين حسبا

فصل في التأويل لكونه

من فروع تلك الولاية

للمجرد دعوم الفائدة وجوب

العائدة كاقيل وانما يذكر

اجابة الملك الى ماسأله

عليه السلام من جعله

على خزان الارض

ايذنا بان ذلك امر

لامرله غنى عن التصريح

لا سيما بعد تقديم ما يندرج

تحت من احكام السلطنة

بهذا فيرهم من قوله انك

اليوم لدينا مكيين أمين

وللتنبية على أن كل ذلك

من الله عز وجل وانما الملك

بنبي وراء ذلك واعلم اننا اذا جئنا ما على الاستفهام صار التقدير أي شيء بنبي فوق هذا
الأكرام ان الرجل رد دراهمنا اليها فاذا ذهبنا اليه نمر أهلنا ونحفظ أخانا وزداد كبل
بغير بسبب حضور أخينا قال الاصمعي يقال ماره ييمره ميرا اذا أتاه بميرة أي بطعام ومنه
يقال ما عنده خير ولا مبر وقوله وزداد كبل بغير معناه ان يوسف عليه السلام كان يكبل
لكل رجل حل بغير فاذا حضر أخوه فلا يجوز أن يزاد ذلك الحمل وأما اذا جئنا كلمة ما على
التي كان المعنى لا ينبغي شيئا آخر هذه بضاعتنا ردت اليها فهي كافية لثمن الطعام
في الذهاب الثاني ثم يفعل كذا وكذا وأما قوله ذلك كبل يسير ففيه وجوه (الاول) قال
مقاتل ذلك كبل يسير على هذا الرجل الحسن لسخافته وحرصه على البذل وهو اختيار
الزجاج (والثاني) ذلك كبل يسير أي قصير المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بسبب
الحبس والتأخير (والثالث) أن يكون المراد ذلك الذي يدفع اليها دون أخينا شيء يسير
قليل فابعد أخانا معنا حتى نبدل تلك القلعة بالكثرة * قوله تعالى (قال لن أرسله معكم
حتى تؤتوني موثقا من الله) لأنني به الآن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم قال الله على
ما نقول وكيل) اعلم أن الموثق مصدر بمعنى الثقة ومعناه العهد الذي يوثق به فهو مصدر
بمعنى المفعول يقول لن أرسله معكم حتى تعطوني عهدا موثوقا به وقوله من الله أي عهدا
موثوقا به بسبب تأكده بالشهادته وبسبب القسم بالله عليه وقوله لأنني به دخلت
اللام ههنا لأجل أنيأتنا ان المراد بالموثق من الله الامين فتعديره حتى تحلفوا بالله لأنني به
وقوله الآن يحاط بكم فيه بحثان (الاول) قال صاحب الكشاف هذا الاستثناء متصل
بقوله الآن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لأنني به في تأويل المنى
فكان المعنى لا تمتعون من الاتيان به لعله من العلل الالعله واحدة (البحث الثاني) قال
الواحدى للمفسرين فيه قولان (أحدهما) ان قوله الان يحاط بكم معناه الهلاك قال
مجاهد الآن تموتوا كماكم فيكون ذلك عذرا عندى والعرب تقول أحبط بفلان اذا قرب
هلاكه قال تعالى وأحبط بقره أي أصابه ما بهلكه وقال تعالى وظنوا أنهم أحبط بهم
وأصله ان من أحاط به العدو وانسدت عليه مسالك النجاة دنا هلاكه ف قيل لكل من هلك
قد أحبطه (والقول الثاني) ما ذكره قتادة الآن يحاط بكم الآن تصيروا مغلوبين
مقهورين فلا تقدرتون على الرجوع ثم قال تعالى فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول
وكيل يريد شهيد لان الشاهد وكيل بمعنى انه وكول اليه هذا العهد فان وفية به جازاكم
بأحسن الجزاء وان غدرتم فيه كافاكم بأعظم العقوبات * قوله تعالى (وقال يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء
ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتبوكل المتوكلون) اعلم أن أبناء يعقوب لما عزمو
على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد قال لهم
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وفيه قولان (الاول) وهو قول

الفي ذلك قبل (وكذلك) أي مثل ذلك التمكن البالغ (مكنا يوسف) أي جعلناه مكانا (في الارض) أي ارض

مصر روى انها كانت أربعين فرسخا في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره

عز سلطانه من تشر يفه عليه السلام والمبالغة في كمال

ولأية والأشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر الآية حصل بعد السؤال ما لا يخفى (يتدبرونها) يترك من ذهبها (حيث يشاء) ويتخذ مبادء وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه وردأه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت ❦ ٢١٦ ❦ فقال عليه السلام أما السرير فاشدبه

ملكك وأما الخاتم فادبره
أمر لك وأما التاج فليس
من لباسي ولا لباس آباءي
فقال قد وضعته اجلالا لك
واقرا بأفضلك فجلس
على السرير ودانت له
الملوك وفوض إليه الملك
أمره وأقام العدل
بصره وأحبته الرجال
والنساء وباع من أهل
مصر في سني القحط
الطعام في السنة الأولى
بالدنانير والداهم
في الثانية بالخلى والجواهر
وفي الثالثة بالدواب
ثم بالضباع والعمار
ثم رقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا ما رأينا
كاليوم ملكا أجل
وأعظم منه ثم أعفهم
ورد إليهم أموالهم وكان
يعلم من أحد من المنارين
أكثر من حل بعير
تقسما بين الناس
نصيبا رجلا يعطاه
في الدنيا من الملك والفنى
وغيرهما من النعم
(من نشاء) بمقتضى
الحكمة الداعية
إلى المشيئة (ولا نضع

جمهور المفسرين أنه خاف من العين عليهم ولناهم مقامان (المقام الأول) أثبات أن
العين حق والذي يدل عليه وجوه (الأول) أطباق المتقدمين من المفسرين على أن المراد
من هذه الآية ذلك (والثاني) ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن
والحسين فيقول أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله عليهم (والثالث) ما روى
عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فرأيت شديدا
الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فرأيت معافى فقال إن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني
فقال بسم الله أرقبك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشبك قال فأقفت
(والرابع) روى أن نبى جعفر بن أبي طالب كانوا غلانا يعضا فقالت أسماء يا رسول الله
إن العين البهم سر بعة أفاسترق إهم من العين فقال لها نعم (والخامس) دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكى فقالوا يا رسول الله أصابته العين فقال
أفلا تسترقونه من العين (والسادس) قوله عليه السلام العين حق ولو كان شئ يسبق
القدر لسبق العين القدر (والسابع) قالت عائشة رضى الله عنها كان يؤمر العائى
أن يتوضأ ثم يغسل منه العين الذى أصيب بالعين (المقام الثانى) في الكشف عن ماهيته
فقول أن أباعلى الجبائى أنك هذا المعنى انكارا بلغا ولم يذكر في انكاره شبهة فضلا عن
حجة وأما الذين اعترضوا به وأقروا بوجوده فقد ذكروا فيه وجوه (الأول) قال الحافظ
أنه يعتمد من العين أجزاء فتصل بالشخص المستحسن فتؤثر فيه وتسرى فيه كآثار السم
والسم والنار وإن كان مخالفا في جهة التأثير لئنه الأشياء قال القاضي وهذا ضعيف
لأنه لو كان الأمر كما قال لوجب أن يؤثر في الشخص الذى لا يستحسن كآثاره في المستحسن
واعلم أن هذا الاعتراض ضعيف وذلك لأنه إذا استحسن شئ فقد يحب بقاءه كما إذا استحسن
ولد نفسه وبستان نفسه وقد يكره بقاءه أيضا كما إذا أحس الحاسد بشئ حصل لعدوه
فإن كان الأول فانه يحصل له عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله والخوف
الشديد بوجبا انحصار الروح في داخل القلب فيمتد بسخط القلب والروح جدا ويحصل
في الروح الباصرة كبقية فويه مستحقة وإن كان الثانى فانه يحصل عند ذلك الاستحسان
حسد شديد وحرز عظيم بسبب حصول تلك النعمة لعدوه والحرز ايضا بوجبا انحصار
الروح في داخل القلب ويحصل فيه سخونة شديدة فثبت أن عند الاستحسان القوى
تسخن الروح جدا فيسخن شعاع العين بخلاف ما إذا لم يستحسن فانه لا يحصل هذه
السخونة فظهر الفرق بين الصورتين ولهذا السبب أمر الرسول صلى الله عليه وسلم
العائى بالوضوء ومن أصابته العين بالاغسال (الوجه الثانى) قال أبو هاشم وأبو القاسم
البلخى أنه لا يمتنع أن تكون العين حقا ويكون معناه أن صاحب العين إذا شاهد الشئ
وأعجب به استحسنه كان المصلحة له في تكليفه أن يغير الله ذلك الشخص وذلك الشئ حتى

أجر المحسنين) بل توفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من تصديه ❦ لا يبقى ❦

الرجة المرفوعة وانها أجره ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قبل على سبيل
التوكيد (ولاجر الآخرة) أى أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو التعميم المقيم الذى لا تغايله (خير) لهم
أى المحسنين المذكورين وانما وضع

موضحة الرسول قبل (الذين آمنوا وكانوا يتقون) تدبها على أن المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صفتي الماضي والمستقبل (وجاء اخوة يوسف) بتارين لما أصاب أرض كنعان وبلا الدشام ما أصاب أرض مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين (فذخلوا عليه) أي على يوسف وهو في مجلس ولايته (فعرّفهم) لقوة فهمه وعدم مياينة أحوالهم ﴿٢١٧﴾ السابقة لحالهم يومئذ لقار قته اياهم وهم رجال وتشابهها تمهم

وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم ويعرفه أحوالهم لاسيما في زمن القحط وعن الحسن ماعرفهم حتى تعرفوا له (وهم له منكر ون) أي والحال أنهم منكرون له اطول العهد وتبين ما بين حاله عليه السلام في نفسه ومزله وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له أمر مستمر في حالتي المحضر والمغيب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم (ولما جهزهم بجهازهم) أي أصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر وأوقر كآبهم بما جاؤا له من الميرة وقرى بكسر الجيم (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) لم يقل بأخيتكم بالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من أنهم سألوه عليه

لا يبقى قلب ذلك المكلف متعلقا به فهذا المعنى غير ممتنع ثم لا يبعد أيضا انه لو ذكر ربه عند تلك الحالة وعدل عن الإعجاب وسأل ربه تقيّة ذلك فعنده تتعين المصلحة ولما كانت هذه العادة مطردة لاجرم قيل العين حق (الوجه الثالث) وهو قول الحكماء قالوا وهذا الكلام مبنى على مقدمة وهي انه ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة أعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بل قد يكون التأثير نفسانيا محضاً ولا يكون للقوى الجسمانية بها تعلق والذي يدل عليه ان اللوح الذي يكون قليل العرض اذا كان موضوعاً على الارض قدر الانسان على المشي عليه ولو كان موضوعاً فيما بين جدارين عالين لجز الانسان عن المشي عليه وما ذاك الا لان خوفه من السقوط منه يوجب سقوطه فعلمنا ان التأثيرات النفسانية موجودة وأيضاً ان الانسان اذا تصور كون فلان مؤذياً له حصل في قلبه غضب وبسخر مزاجه جداً فبدأ تلك السخونة ليس الا ذلك التصور النفساني ولان مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغير بدنه الخاص لم يبعد أيضاً أن يكون بعض النفوس بحيث تتعدى تأثيراتها الى سائر الابدان فثبت أنه لا يمتنع في العقل كون النفس مؤثرة في سائر الابدان وأيضاً جواهر النفوس مختلفة بالمساهية فلا يمتنع أن يكون بعض النفوس بحيث يؤثر في تغيير بدن حيوان آخر بشرط أن يراه ويتجسس منه فثبت ان هذا المعنى أمر محتمل والتجارب من الزمن الاقدم ساعدت عليه والنفوس النبوية نطقت به فعنده لا يبقى وقوعه شك واذ اثبت هذا ثبت ان الذي أطبق عليه المتقدمون من المفسرين في تفسير هذه الآية باصابة العين كلاماً حقيقياً لا يمكن رده (القول الثاني) وهو قول أبي علي الجبائي ان أبناء يعقوب اشتبهوا بمصر وتحدث الناس بهم وبجسدهم وكألهم فقال لا تدخلوا تلك المدينة من باب واحد على ما أنتم عليه من العدد والهيئة فلم يأمن عليهم حسد الناس أو يقال لم يأمن عليهم أن يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم واعلم ان هذا الوجه محتمل لانكاره الان القول الاول قدينا انه لا امتناع فيه بحسب العقل والمفسرون اطبقوا عليه فوجب المصبر اليه ونقل عن الحسن انه قال خاف عليهم العين فقال لا تدخلوا من باب واحد ثم رجع الى علمه وقال وما أغنى عنكم من الله من شيء وعرف ان العين ليست بشيء وكان قتادة يفسر الآية باصابة العين ويقول ليس في قوله وما أغنى عنكم من الله من شيء ابطال له لان العين وان صح فالله قادر على دفع أثره (القول الثالث) انه عليه السلام كان طالبا بان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله تعالى ما أذن له في اظهار ذلك فلما بحث أبناء اليه قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان غرضه أن يصل بنيامين الى يوسف في وقت الخلوة وهذا قول ابراهيم الخفي فاما قوله وما أغنى عنكم من الله من شيء فاعلم ان الانسان مأمور بان يراعى الاسباب المعبرة في

السلام جلازاً تداعى ﴿٢٨﴾ خا المتدلبين فاعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لاما قيل من انه لما رأوه وكلوه بالعبرية قال لهم من أنتم فاني أنكركم فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجننا فجننا فقال لهم لعلكم جتم عيوننا فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد هو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم أنتم ههنا

قالوا عشرة قال فابن الحادي عشر قالوا هو عند اسم يسوع به عن الهالك قال من يشهد به ثم قالوا من هو
وان ماتوا لولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة واخوتي ياخيمكم
من أيكم وهو يحمل رسالة من أيكم حتى أصدقكم فافزعوا فأصاب القرعة شمعون خلفوه عندها لا يساعده وروود
الامر بالاتيان به عند التجهيز والالحث عليه بإفناء الكيل * ٢١٨ * ولا الاحسان في الانزال والاقتصار

هذا العالم ومأمور أيضا بأن يعتقد ويحرم بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى وان الجنيد
لا ينبغي من القدر فان الانسان مأمور بان يحذر عن الاشياء المهلكة والاغذية الضارة
ويسعى في تحصيل المنافع ويدفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغي أن يكون جازما
بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله ولا يحصل في الوجود الا ما أراه الله فقوله عليه السلام
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب منفردة فهو اشارة الى رعاية الاسباب المعتبرة
في هذا العالم وقوله وما أغنى عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم الالتفات الى الاسباب
والى التوحيد المحض والبراءة عن كل شيء سوى الله تعالى وقول القائل كيف السبيل
الى الجمع بين هذين القولين فهذا السؤال غير مخصوص به وذلك لانه لا نزاع في انه لا بد من
اقامة الطاعات والاحتراز عن المعاصي والسيئات مع ائمانه عقدا السعيد من سعد في
بطن أمه وان اشق من شق في بطن أمه فكذا ههنا نأكل ونشرب ونحتز عن السموم
ومن الدخول في النار مع ان النار مع الموت والحياة لا يحصلان الا بتقدير الله تعالى فكذا ههنا
فظهر ان هذا السؤال غير مخصوص بهذا المقام بل هو بحث عن سر مسألة الجبر والقدر
بل الحق ان العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة وبعد ذلك السعي البالغ
والجد الجهد فانه يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فلا بد وان يكون بقضاء الله تعالى
ومشيئته وسابق حكمه وحكمته ثم انه تعالى أكد هذا المعنى فقال ان الحكم الله
واعلم ان هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا في القضاء والقدر وذلك لان الحكم عبارة
عن الالتزام والمنع من النقيض وسميت حكمة الدابة بهذا الاسم لانها تمنع الدابة عن
الحركات الفاسدة والحكم انما سمي حكما لانه يقضي ترجيح أحد طرفي الممكن على
الآخر بحيث يصير الطرف الآخر ممنوع الحصول فبين تعالى ان الحكم بهذا التفسير
ليس الله سبحانه وتعالى وذلك يدل على ان جميع الممكنات مستندة الى قضائه وقدره
ومشيئته وحكمه اما بقبر واسطة واما بواسطة ثم قال عليه توكلت وعليه فليتوكل
التوكلون ومعناه انه لما ثبت ان الكل من الله ثبت انه لا توكل الا على الله وان الرغبة
بنسب الا في رجحان وجود الممكنات على عدمها وذلك الرجحان المانع عن النقيض هو
الحكم وثبت بالبرهان انه لاحكم الله فلزم النطق بأن حصول كل الخيرات ودفع كل
الآفات من الله وذلك يوجب انه لا توكل الا على الله فهذا مقام شريف عظيم ونحن قد
أشرنا الى ما هو البرهان الحق فيه والشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله أطنب في تقرير هذا
المعنى في كتاب التوكل من كتاب احياء علوم الدين فن أراد الاستقصاء فيه فليطالع ذلك
الكتاب * قوله تعالى (ولمادخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان ينبغي عنهم من الله
من شيء) الحاجة في نفس يعقوب قضاهاءه لندو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) قال المفسرون لما قال يعقوب وما أغنى عنكم من الله من شيء صدقه الله في
ذلك فقال وما كان ذلك ان يفرق بين من الله من شيء وفيه بحثان (البحث الاول) قال ابن

على منع الكيل على
تقدير عدم الاتيان به
ولاجل بضاعتهم
في رحالهم لاجل
رجوعهم ولا عنتهم
بالاتيان به بطريق
المراودة ولا تعليمهم
عند أيهم ارسل
أخيمكم بمنع الكيل من
غير ذكر الرسالة على
أن استبقاء شمعون
لوقوع لكان ذلك طامة
ينسى عندها كل قبل
وقال (الأترون اني أوف
الكيل) أتمه لكم وياشار
صيغة الاستقبال مع
كون هذا الكلام بعد
التجهيز للدلالة على
ان ذلك عادة مستمرة
(وأنا خير الملتزمين)
جمله حاله أي الأترون
أني أوف الكيل لكم
ايفاء مستمرا والحال
اني في غاية الاحسان
في انزالكم وضيافتكم
وقد كان الامر كذلك
وتخصيص الروية
بالايفاء لوقوع الخطاب
في شأنه وأما الاحسان
في الانزال فقد كان

مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحنهم * عباس *
على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كعاملته مع
غيرهم من رعاية واجب العدل وأما الضيافة فليس للناس فيها حق فمنعهم في ذلك بائس (فانهم تأتوني به
فلا كيل لكم عندى) من يعد فضلا عن إيفائه (ولانهم يرون) بدخول بلادى فضلا عن

الاحسان في كل شيء والصفحة وهو اسم أبي يوسف منطوق على محل الجراء وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وإن ذلك كان معلوما عليه السلام (قالوا سزا ودعنه أبه) أي سخطا دعه عنه والاحتال في انتزاعه من يده ونجته في ذلك وفيه تبيين على عزة المطلب وصعوبة مناله (وانا لفاعلون) ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين أولقادرون عليه لاتعاني به (وقال) يوسف (لغنيانه) غلامه ﴿ ٢١٩ ﴾ الكياليين جمع فتى وقرى لغنيته وهي جمع قلة له (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم)

فانه وكل بكل رحل رجلا يعي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما توخاه من رجوعهم بأخيه كما يؤذن به قوله (لعلهم يعرفونها) أي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك أولكي يعرفوها وهو ظاهر التعليق بقوله (إذا انقلبوا إلى أهلهم) فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفرغ الاوعية قطعاً وأما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداءها حيث قيدت به (لعلهم يرجعون) حسبا أمرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع

لئلا ينسب الله عنهما ذلك التفرق ما كان يرد قضاء الله ولا مرا قدره الله وقال الزجاج ان العين لو قدر أن تصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون وقال ابن الأثيري لو سبق في علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وهذه الكلمات متقاربة وحاصلها ان الحدرا لا يدفع القدر (البحث الثاني) قوله من شيء يحتمل النصب بالفعولية والرفع بالفاعلية (أما الاول) فهو كقوله ما رأيت من أحد والتقدير ما رأيت أحدا فكذا ههنا تقدير الآية ان تفرقهم ما كان يغني عن قضاء الله شيئا أي ذلك التفرق ما كان يخرج شيئا من تحت قضاء الله تعالى (وأما الثاني) فكذلك ما جاءني من أحد وتقديره ما جاءني أحد فكذا ههنا التقدير ما كان يغني عنهم من الله شيء مع قضاءه أما قوله الحاجة في نفس يعقوب قضاها فقال الزجاج انه استثناء منقطع والمعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها يعني ان الدخول على صفة الفرق قضاء حاجة في نفس يعقوب قضاها ثم ذكروا في تفسير تلك الحاجة وجوها (أحدها) خوفه عليهم من اصابة العين (وثانيها) خوفه عليهم من حسد أهل مصر (وثالثها) خوفه عليهم من أن يقصدهم ملك مصر بشر (ورابعها) خوفه عليهم من أن لا يرجعوا اليه وكل هذه الوجوه متقاربة وأما قوله وانه لدوعلم لما علمناه فقال الواحدى يحتمل أن تكون مامصدرة والهاء عائدة الى يعقوب والتقدير وانه لدوعلم من أجل تعليلنا به ويمكن أن تكون ما بمعنى الذى والهاء عائدة اليها والتأويل وانه لدوعلم للشيء الذى علمناه بمعنى انما علمناه شيئا حصل له العلم بذلك الشيء وفي الآية قولان آخران (الاول) ان المراد بالعلم الحفظ أي انه لدو حفظ لما علمناه ومرأبته (والثاني) لدوعلم لفوائد ما علمناه وحسن آثاره وهو اشارة الى كونه عاملا بما علمه ثم قال ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيه وجهان (الاول) ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب (والثاني) لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة والعلم والمراد بأكثر الناس المشركون فانهم لا يعلمون بأن الله كيف أرشد أوليائه الى الطوبى التي تنفعهم في الدنيا والآخرة ﴿ قوله تعالى (ولمادخلوا على يوسف آوى لله أخله قال انى أنا أخوك فلا تبئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل المسقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقد صواع الملك ولن جاء به حل بعبوأنا به زعيم) اعلم انهم لما أتوه بأخيه بنيامين أكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكي وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بنى أخوك وحيدا فأجلسه معه على مائدة ثم أمر أن يزل منهم كل اثنين يبتا وقال هذا الاثنى له فارتكوه معي فأواه اليه ولما رأى يوسف نأسفه على أخيه هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف عليه السلام وقام اليه وطافه وقال انى أنا أخوك فلا تبئس بما كانوا يعملون اذا عرفت هذا

وما قبل انما فعله عليه السلام لما لم يرم من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور وأما أن عليه الجعل المذكور للرجوع من حيث ان دنائهم تحمّلهم على رد البضاعة لانهم لا يستخلون امسا كما هفاده حساباتهم أنها بقيت في رسالتهم نسيانا وظاهرا أن ذلك مما لا يحظر ببال أحد أصلا فان هيئة التعبية

نادى بان ذلك بطريق الفصل الذي يرى انهم يجب ان يكونوا في ذلك لانهم كانوا في ذلك على السواء
كما تحيط به خبرا (فارجعوا الي ايديهم قالوا) قبل ان يشتغلوا بفتح المناع (يا ابا نافع من الكيل) أي فيما بعد من الاخذ
من الدلالة على كون الامتياز من بعد مدمرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام (فارسل معنا اخانا) بنيامين الى مصر
وفيه ايدان بان مدار المنع عدم كونه معهم (نكتل) بسببه من الطعام ﴿ ٢٢٠ ﴾ ما شاء وقر أحمره والكسائي بالياء

على استناده الى الاخ
ليكونه سببا للاكتيال
أو يكتل لنفسه مع
اكتياله (وانا الحافظون)
من أن يصيبه مكروه
(قال هل آمنكم عليه
الا يا آمنتمكم على اخيه)
يوسف (من قبل)
وقد قلتم في حقه أيضا
ما قلتم ثم فعلمتم به ما قلتم
فلا أنق بكم ولا يحفظكم
وانما أفضو الأمر الى الله
(فالله خير حافظا) وقرئ
حفظا وانتصابها على
التميز والحالية على
القراءة الاولى توهم
تقيدها بالخبرية تلك الحالة
(وهو أرحم الراحمين)
فأرجو أن يرحني بحفظه
ولا يجمع على مصيتين
وهذا كما ترى مبل منه
عليه السلام الى الأذن
والارسل لما رأى فيه
من المصلحة (ولما فتحوا
مناهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم) أي فضلا
وقد علموا ذلك بامر
من دلالة الحال وقرئ
بنقل حركة الدال المدغمة
الى الراء كما قيل في قبل

فنقول قوله آوى اليه أخاه أي أنزله في الموضع الذي كان يأوي اليه وقوله اني أنا أخوك
فيه قولان قال وهب لم ير دانه أخوه من النسب ولكن أراد به اني أقوم لك مقام أخيك في
الانسان للأنستوحش بالتفرد والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد ترمي يفت
النسب لان ذلك أقوى في ازالة الوحشة وحصول الانس ولان الاصل في الكلام الحقيقة
فلا وجه لصرفه عنها الى المجاز من غير ضرورة وأما قوله فلا تبئس فقال أهل اللغة تبئس
تفعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتئاس اجتلاب الحزن والبؤس وقوله بما
كانوا يعملون فيه وجوه (الاول) المراد بما كانوا يعملون من أفعالهم على حسدنا
والحرص على انصراف وجه أبنائنا (الثاني) أن يوسف عليه السلام مابق في قلبه شيء
من العداوة وصار صافيا مع اخوته فأراد أن يجعل قلب أخيه صافيا معهم أيضا فقال فلا
تبئس بما كانوا يعملون أي لا تلثف الى ما صنعوه فيما تقدم ولا تلثف الى أعمالهم
المنكرة التي أقدموا عليها (الثالث) انهم انما فعلوا بيوسف ما فعلوه لانهم حسدوه على
اقبال الاب عليه وتخصيصه بمن يدا الاكرام فخاف بنيامين أن يحسدوه بسبب ان الملك
خصه بمن يدا الاكرام فأمنه منه وقال لا تلثف الى ذلك فان الله قد جمع بيني وبينك
(ارابع) روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا
يعبرون يوسف وأخاه بسبب ان جد هما أباهما كان بعد الاصلان وان أم يوسف أمرت
يوسف فسرق جونة كانت لا يبيها فيها أصنام رجاء أن يترك عبادتها اذا فقدها فقال له فلا
تبئس بما كانوا يعملون أي من التغير لنا عما كان عليه جدنا والله أعلم ثم قال تعالى فلما
جهزهم بهجازهم جعل السقاية في رحل أخيه وقدمضى الكلام في الجهاز والرحل
أما السقاية فقال صاحب الكشف مشرقة بنسب بها وهو الصواع قيل كان يسقي بها
الملك ثم جعلت صاعا يكال به وهو بعيد لان الاناء الذي يشرب الملك الكبير منه لا يصلح أن
يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسقي بها ويكال بها أيضا وهذا أقرب ثم قال وقيل كانت
من فضة موهبة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر وهذا أيضا
بعيد لان الآية التي يسقي الدواب فيها لا تكون كذلك والاول أن يقال كان ذلك الإله
شيئله قيمة أما الى هذا الحد الذي ذكره فلا ثم قال تعالى ثم أذن مؤذنا أيتها العبر انكم
لسارقون يقال اذنه أي أعله وفي الفرق بين اذن وبين اذن وجهان قال ابن الأباري أذن
معناه أعلم اعلا مابعد اعلام لان فعل يوجب تكرير الفعل قال ويجوز أن يكون اعلاما
واحدا من قبل ان العرب يجعل فعل بمعنى أفعل في كثير من المواضع وقال سبويه أذنت
وأذنت معناه أعلمت لا فرق بينهما والتأذين معناه التداء والتصويت بالاعلام وأما قوله
تعالى أيتها العبر انكم لسارقون قال أبو الهيثم كل ما سبر عليه من الابل والجمير والبغال
فهو عبر وقول من قال العبر الابل خاصة باطل وقيل العبر الابل التي عليها الاحمال لانها
تعبى أي تذهب وتجيئ وقيل هي قافلة الجمير ثم كثر ذلك حتى قيل لكل قافلة عبر كأنها جمع

وكيل (قالوا) استثنى بنى على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لا يسم ولله كان حاضرا عند
الفتح (يا ابا نافع) اذا فسر البني بالطلب فاما الاستفهامية منصوبة به فللعنى ماذا تفنى ورواها وصنفنا لك من احسان
الملك لنا وكرمه الداعي الى امتثال أمره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه بذلك وقالوا لما تقدمنا الي خير

رجل أرتأوا الكرماء لكونهم لا يفتخرون بما كرموا كرامته وقوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جملة مستأنفة موضوعة لعلها لا تنكسر من بلوغ اللطف فأتته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردت إلينا فضلا من حيث لا ندرى بعد ملين علينا من المن العظام هل من من يد على هذا فطلبه ولم يدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا أو القاعد عن طلب نظاره بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب ﴿ ٢٢١ ﴾ الامثال لامره والاتجاه إليه في استحلاب الرزق كما أشرنا إليه

وقوله تعالى ردت إلينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشاء وإيثار صيغة البناء للمفعول للايدان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل (ونعم أهلنا) أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة أي قد تستظهر بها ونعم أهلنا (ونحفظ أمانا) من المكارة حسبا وعدنا فأبصيه من مكروه (وزداد) أي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد (كيل بعير) أي وسق بعير زائد على أوساق أباعرنا على قضية التقييد (ذلك) أي ما يحمله أباعرنا (كيل يسير) أي مكيل قليل لا يقوم بأودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق

عبر وجمعها فعل كسقف وسقف اذا عرفت هذا فنقول أيها العير المراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قليل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذنا أنها العير انكم لسارقون فان قيل هل كان ذلك النداء بأمر يوسف أو ما كان بأمره فان كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله أن يتهم أقواما وينسبهم إلى السرقة كذبا وبهتان وان كان الثاني وهو انه ما كان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا أظهر برائتهم عن تلك التهمة قلنا العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوها (الاول) انه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال له اني أريد أن أحبسك ههنا ولا سبيل إليه الا بهذه الحيلة فان رضيت بها فالامر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك وعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنبا (والثاني) ان المراد انكم لسارقون يوسف من أبيه الا انهم ما أظهروا هذا الكلام والمعاريض لا تكون الا كذلك (والثالث) ان ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير يخرج عن أن يكون كذبا (الرابع) ليس في القرآن انهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام والا فرب إلى ظاهر الحال انهم فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد الا هم غلب على ظنونهم انهم هم الذين أخذوها ثم ان اخوة يوسف قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تفقدون من أفقده اذا وجدته فقيدا قالوا فقد صواع الملك قال صاحب الكشاف قرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضها والعين مجمعة وغير مجمعة قال بعضهم جمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع أصواع كباب وأبواب وقال آخرون لافرق بين الصاع والصواع والدليل عليه قراءة أبي هريرة قالوا فقد صاع الملك وقال بعضهم الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فالكوز اسم والسقاء وصف ثم قال ولما جاء به رجل بعير أي من الطعام وأتابه زعيم قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذي أذن وتفسير زعيم كقيل قال الكلبي الزعيم الكفيل بلسان أهل اليمن روى أبو عبيدة عن الكسائي زعمت به زعم زعما وزعامة أي كفلت به وهذه الآية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكى بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزعيم غارم فان قيل هذه كفالة بشيء مجهول قلنا حل بعير من الطعام كان معلوما عندهم فصحت الكفالة به الا ان هذه كفالة مال رد سرقة وهو كفالة بما لم يجب لانه لا يحل للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم ﴿ قوله تعالى (قالوا نال الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فاجزأوه ان كنتم كاذبين قالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه كذلك تجري الظالمين) قال البصريون الواو في والله بدل من التاء والتاء بدل من الواو فضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو أحق بالقسم وهو اسم الله

كأنه قيل أي حاجة إلى الازيد فضل ما قيل أو فذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضاهي ناله الملك أو سهل عليه لا تعاطفه أو أي مطلب يطلب من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو ممن يكتفون من محصله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فتستظهر بها ونعم أهلنا ونحفظ أمانا فأبصيه شيء من المكارة وزداد بسبه غير ما نكتله

لا تفسدنا كليل بعرفناى شئ * ينبغي ان هذه المباحي وقرى ما ينبغي على خطاياهم بغير طلبة السلام الى اى شئ * انى اراء هذه المباحي المستقلة على سلامتها اخينا وسعة ذات ابيدنا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان ما يصل الى التوبة والى الجملة الاستثنائية موضحة لذلك اوى شئ * ينبغي شاهد على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن المهاد الدول عليه بمعنى الانكار واما نافية فالمعنى ما ينبغي شيئا * ٢٢٢ * غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب

المراجعة اليه او ما ينبغي غير هذه المباحي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له واما اذا فسر البنى بمجاوزة الحدفا نافية فقط والمعنى ما ينبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكرنا والجملة المستأنفة لبيان ما دعوا من عدم البنى وقوله ونمير اهلنا عطف على ما ينبغي أى ما ينبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصل أمثاله من مير اهلنا وحفظ أخينا فان ذلك أهون شئ بواسطة احسانه وقد جوز أن يكون كلاما مبتدأ أى جملة اعتراضية تنذيلية على معنى وينبغي أن نمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعت في حاجة فلان ويجب أن أسعى وأنت خبير بأن شأن الجمل التذيلية أن يكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال

عز وجل قال المفسرون حلفوا على أمرين (أحدهما) على انهم ما جاؤا الاجل الفساد في الارض لانه ظهر من احوالهم امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالصحة لابلالاكل ولا بارسال الدواب في مزارع الناس حتى روى انهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم للانعث في زرع وكانوا مواظبين على أنواع الطلعات ومن كانت هذه صفته فالفاسد في الارض لا يليق به (والثاني) انهم ما كانوا سارقين وقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو انهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم الى مصر ولم يستحلوا أخذها والسارق لا يفعل ذلك البتة ثم لما بينوا براءتهم من تلك التهمة قال أصحاب يوسف عليه السلام فاجزأوه ان كنتم كاذبين فأجابوا وقالوا اجزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه قال ابن عباس كانوا في ذلك الزمان يستعيدون كل سارق بسرقة وكان استبعاد السارق في شرعهم يجري مجرى وجوب القطع في شرعنا والمعنى جزاء هذا الجرم من وجد المسروق في رحله أى ذلك الشخص هو جزاء ذلك الجرم والمعنى ان استعباده هو جزاء ذلك الجرم قال الزجاج وفيه وجهان (أحدهما) أن يقال جزأوه مبتدأ ومن وجد في رحله خبره والمعنى جزاء السرقة هو الانسان الذى وجد في رحله السرقة ويكون قوله فهو جزأوه زيادة في البيان كما تقول جزاء السارق القطع فهو جزأوه (الثاني) أن يقال جزأوه مبتدأ وقوله من وجد في رحله فهو جزأوه جملة وهي في موضع خبر المبتدأ والتقدير كأنه قيل جزأوه من وجد في رحله فهو هو الا أنه أقام المظهر مقام المضمرا لتأكيد والمبالغة في البيان وأنشد التحويون

لأرى الموت يسبق الموت شئ * نقص الموت الغنى والفقير
وأما قوله كذلك نجري الظالمين أى مثل هذا الجزاء الظالمين يريد اذا سرق استرق ثم قيل هذا من بقية كلام اخوة يوسف وقيل انهم لما قالوا جزأوه من وجد في رحله فهو جزأوه فقال أصحاب يوسف كذلك نجري الظالمين * قوله تعالى (فبدأوا بعينهم قبل واه أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كذا يوسف ما كان يأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله ترفع درجات من نشأ وفوق كل ذي علم عليم) اعلم ان اخوة يوسف لما أقروا بأن من وجد المسروق في رحله فجزأوه أن يسترق قال لهم الوذن انه لا بد من تفتيش أمتعتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأوا بعينهم قبل وعاء أخيه لازالة التهمة والاعوبة جمع الوعاء وهو كل ما اذا وضع فيه شئ أحاط به ثم استخرجها من وعاء أخيه وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير عاء أخيه قلب الواو وهمة فان قيل لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنه قلنا قالوا رجع ضمير الموث الى السقاية وضمير المذكر الى الصواع أو يقال الصواع بوثن ويد كرفكان كل واحد منهما جازأ أو يقال لعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواعا عن فتادة أنه قال كان لا ينظر في وعاء الاستغفر الله تابا بما قد فهم به

المذكور وقولك فلان نطق بالحق فالحق الجواب قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حله على معنى ينبغي أن نمير * حتى * أهلنا بعزل من ذلك أو ما ينبغي في الرأى وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال أخينا منا والجل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيم واصابة رأيهم أى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ولصنم كيث وذئ

فقال (قال الله جل جلاله) بعد ما علمت منكم ما قلتم (يعني تو توتوني مو تقام من الله) أي ما توفيق به من جهة الله عز وجل
وانما جعله يوفيقه الله تعالى لاننا كيد المهود به ما ذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وجل (لأنني به) جواب القسم
اذالمعنى حتى لمخوف بالله لأنني به (الآن محاط بكم) أي الآن تغلبوا فلا تطيقوا به أو الآن تمكروا وأصله من احاطة العدو
فان من احاط به العدو فقد هلك غايها وهو استثناء من ٢٢٣ أعم الاحوال أو أعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي

ينساق اليه أي لأنني
به ولا تمتنع منه في حال
من الاحوال أو لعله من
العلل الاحال الاحاطة
بكم أو لعله الاحاطة بكم
ونظيره قولهم أقسمت
عليك لما فعلت والافعلت
أي ما أريد منك الافعلك
وقد جوز الاول بلا
تأويل أيضا لأنني
به على كل حال الاحال
الاحاطة بكم وأنت تدرى
انه حيث لم يكن الاتيان
به من الافعال الممتدة
الشاملة للاحوال على
سبيل المعية كما في قولك
لازمك الآن تعطيني
حتى ولم يكن مراده عليه
السلام مقارنته على سبيل
البدل لما عد الحال
المستثناة كما اذا قلت
صل الآن تكون محدثا
بل مجرد تحققه ووقوعه
من غير اخلال به كما في
قولك لا نحن العام الآن
أحصر فان مرادك انما
هو الاخبار بعدم منع ما
سوى حال الاحصار
عن الحجج الا الاخبار

حتى انه لما لم يبق الا اخوه قال ما أرى هذا قد أخذ شيئا فقالوا لا نذهب حتى تنفص عن
حالنا أيضا فلما نظروا في متاعه استخرجوا الصواع من وعائه والقوم كانوا قد حكموا بأن
من سرق يسترق فأخذوا برقبته وجروا به الى دار يوسف ثم قال تعالى كذلك كذبنا يوسف
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وفيه بحثان (الاول) المعنى ومثل ذلك الكيد كذبا
ليوسف وذلك اشارة الى الحكم باسترقاق السارق أي مثل هذا الحكم الذي ذكره اخوة
يوسف حكمنا ليوسف (الثاني) لفظ الكيد مشعر بالحيلة والخديعة وذلك في حق الله
تعالى محال الا اننا ذكرنا قانونا معتبرا في هذا الباب وهو ان امثال هذه الالفاظ تحمل على
نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض وقررنا هذا الاصل في تفسير قوله تعالى ان الله
لا يستحيي فالكيد السعي في الحيلة والخديعة ونهاية القاء الانسان من حيث لا يشعر في
أمر مكروه ولا سبيل له الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى ثم اختلفوا
في المراد بالكيد ههنا فقال بعضهم المراد ان اخوة يوسف ساءوا في ابطال أمر يوسف والله
تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقال آخرون المراد من هذا الكيد هو انه تعالى أتى في
قلوب اخوته ان حكموا بأن جزاء السارق هو ان يسترق لاجرم لما ظهر الصواع في رحله
حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتكذب يوسف عليه السلام من امساك أخيه عند
نفسه ثم قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك والمعنى انه كان حكم الملك في السارق
أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فما كان يوسف قادر على حبس أخيه عند نفسه بناء
على دين الملك وحكمه الا انه تعالى كادله ما جرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو
الاسترقاق فقد بينا ان هذا الكلام توسل به الى أخذ أخيه وحبسه عند نفسه وهو معنى
قوله الا أن يشاء الله ثم قال زرفع در جات من نشاء وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ حرة
وعاصم والكسائي درجات بالتونين غير مضاف والباقون بالاضافة (المسئلة الثانية) المراد
من قوله زرفع در جات من نشاء هو انه تعالى يريه وجوه الصواب في بلوغ المراد ويخصه
بانواع العلوم وأقسام الفضائل والمراد ههنا هو انه تعالى رفع در جات يوسف على اخوته في
كل شيء واعلم ان هذه الآية تدل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لانه تعالى لما
هدى يوسف الى هذه الحيلة والفكرة مدحه لاجل ذلك فقال زرفع در جات من نشاء وأيضا
وصف ابراهيم عليه السلام بقوله زرفع در جات من نشاء عند ابراهيم ذكر دلائل التوحيد
والبراءة عن الهية الشمس والقمر والكواكب ووصف ههنا يوسف أيضا بقوله زرفع
در جات من نشاء لما هدهاه الى هذه الحيلة وكهين المرتبتين من التفاوت ثم قال تعالى وفوق
كل ذي علم عليم والمعنى ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا اعداء فضلا أن يوسف كان
زائدا عليهم في العلم واعلم أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية على انه تعالى عالم بذاته لا بالعلم
فقالوا لو كان عالما بالعلم لكان ذا علم ولو كان كذلك لحصل فوقة عليهم تمسكا بعموم هذه الآية
وهذا باطل واعلم أن اصحابنا قالوا دلت سائر الآيات على اثبات العلم لله تعالى وهي قوله

بمقارنته تلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم
منها منه قال المعنى الى التأويل المذكور (فلما أتوه موثقهم) صهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام
(قال الله على ما نقول) أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيثائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال

لا سحسار صورته المؤدى الى بئسهم ومحاوطينهم على تد لره ومن احبته (و ليل) مطلع رجب ربيع بغير من عتبه الله تعالى وحسنهم على مراعاة مباحاتهم (وقال) ناصحهم لما أزعج على ارسالهم جميعا (بابي لا تدخلوا) (مصر) (من باب واحد) نهامهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوى جمال وشاره حسنة وقد كانوا يجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى * ٢٢٤ * لدى الملك بخلاف الذوبة الاولى فكانوا مشتهرين

ان الله عنده علم الساعة وأزله بعلمه ولا يخيطون بشي من علمه وما تحمله من أنشي ولا تضع الا بعلمه واذا وقع التعارض فحين نحمل الآية التي تنسك الخصم بها على واقعة يوسف واخوته خاصة غاية ما في الباب أنه يوجب تخصيص العموم الا أنه لا بد من المصير اليه لان العالم مشتق من العلم والمشتق مركب والمشتق منه مفرد وحصول المركب بدون حصول المفرد محال في بدية العقل فكان الترجيح من جانبنا * قوله تعالى (فالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) اعلم أنه لما خرج الصواع من رحل أخى يوسف نكس اخوته رؤسهم وقالوا هذه الواقعة عجبية ان راحيل ولدت ولدين احصين ثم قالوا يا بني راحيل ما أ كثر البلاء علينا منكم فقال بنوامين ما أ كثر البلاء علينا منكم ذهبت باخى وضيعته في المغارة ثم تقولون لي هذا الكلام قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك فقال وضعه في رحلي من وضع البضاعة في رحالك واعلم أن ظاهر الآية يقتضى انهم قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغير ريب منه فان أحاه الذى هلك كان أيضا سارقا وكان غرضهم من هذا الكلام اناسنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لانهما من أم أخرى واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام على أقوال (الاول) قال سعيد بن جبير كان جده أبواؤه كافر ابعد الاوثان فأمرته أمه بان يسرق تلك الاوثان وبكسرها فاعله بترك عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة (والثاني) أنه كان يسرق الطعام من مأدته أبيه ويدفعه الى الفقراء وقيل سرق عناقا من أبيه ودفعه الى مسكين وقيل دجاجة (والثالث) أن عمه كانت تحبه جدا شديدا فأرادت أن تنسكه عند نفسها وكان قد بقي عندها منطقة لاسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدنها على وسط يوسف ثم قالت بانه سرقها وكان من حكمهم بان من سرق يسترق فتوسلت به هذه الحيلة الى امساكه عند نفسها (والرابع) انهم كذبوا عليه وبعثوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على يوسف بعد تلك الوقائع وبعد انقضاء تلك المدة الطويلة وهذه الواقعة تدل على ان قلب الحاسد لا يطهر عن الغل البتة ثم قال تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم واختلفوا في أن الضمير في قوله فاسرها يوسف الى أى شيء يعود على قولين قال الزجاج فاسرها ضمرا على شرطية التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما أنت لاني قوله انتم شر مكانا بجملة أو كلة لانهم يسمون الطائفة من الكلام كلمة كأنه قال فاسر الجمل أو الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا وفي قراءة ابن مسعود فاسرها بالتد كبير يد القول أو الكلام وطعن أبو على الفارسي في هذا الوجه فيما استدر كة على الزجاج من وجهين (الاول) قال الاضمار على شرطية التفسير يكون على ضربين (أحدهما) أن يفسر بمفرد كقولنا نمر جلاز يد في نعم ضمير فاعلهما و جلاز تفسير لذلك الفاعل المضمر والاخر ان يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فاذهي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد والمعنى القصة شاخصة ابصار الذين كفروا

لدي نوكل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقد ير العزير الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجلل القدرو قد كان عليه السلام يعوذ الحسين رضى الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان عليه السلام يقول كان أبو كايعة ذهابا سمعيل واسحق عليهم السلام رواء البخارى في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من أبواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع صحيح لوقوع المحذور قال (وادخلوا من أبواب متفرقة) يانالما هو المراد

بالتهى وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهار الكمال العناية وانما باناه المراد بالامر المذكور لا تحقيق لشي آخر (وما أغنى عنكم) أى لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيرى (من الله من شيء) أى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام القائل الحذر بالبركة كيف لا وقتل عرقاتنا ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد

ان ما وصاهم به ليس بما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير والحرية المنفعة عليه من العزيز القدير ذلك ليس بمدا فاعلة القدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه (ان الحكيم) مطلقا (الله) لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء عليه (لا على أحد سواه) (توكلت) في كل ما أتى وأذرو فيه دلالة على أن ترتيب الاسباب غير محال بالتوكل (وعليه) دون غيره ليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين ﴿ ٢٢٥ ﴾ في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا

بالاو وعطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فبدخل فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة ابواب فدخلوا منها وانما أكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه (ما كان) ذلك الدخول (بغنى) فيما سيأتى عند وقوع ما وقع (عنهم) عن الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم

والامر الله أحدثم ان العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر تدخل عليه أيضا نحو ان كقوله انه من بات ربه مجرما فانما لا تعني الابصار اذا عرفت هذا فنقول نفس المضمرة على شريطة التفسير في كلا القسمين متصل بالجملة التي حصل منها الاضمار ولا يكون خارجا عن تلك الجملة ولا مبينا لها وههنا التفسير منفصل عن الجملة التي حصل منها الاضمار فوجب أن لا يحسن (والثاني) انه تعالى قال أنتم شرمكنا وذلك يدل على انه ذكر هذا الكلام ولو قلنا انه عليه السلام أضمر هذا الكلام لكان قوله انه قال ذلك كذبا واعلم أن هذا الطعن ضعيف لوجوه (أما الاول) فلأنه لا يلزم من حسن القسمين الاولين فبح قسم ثالث وأما الثاني فلا تأمحل ذلك على انه عليه السلام قال ذلك على سبيل الخفية وبهذا التفسير يسقط هذا السؤال (والوجه الثاني) وهو ان الضمير في قوله فاسرها عائدا الى الاجابة كأنهم قالوا ان يمسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسر يوسف اجابتهم في نفسه في ذلك الوقت ولم يبداهم في تلك الحالة الى وقت ثان ويجوز أيضا أن يكون اضمار المقالة والمعنى أسر يوسف مقالتهم والمراد من المقالة متعلق تلك المقالة كما يراد بالخلق المخلوق وبالعالم المعلوم يعنى أسر يوسف في نفسه كبقية تلك السرققة ولم يبين لهم انها كيف وقعت وأنه ليس فيها ما يوجب الذم والطعن روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عوقب يوسف عليه السلام ثلاث مرات لاجل همه بهما عوقب بالحبس وقوله اذ كرني عند ربك عوقب بالحبس الطويل وقوله انكم اسارقون عوقب بقوله فقد سرق أخ له من قبل ثم حكى تعالى عن يوسف أنه قال أنتم شرمكنا أى أنتم شرمتمنا عند الله تعالى لما أقدمتم عليه من ظلم أخيك وعقوق أليك فاخذتم أخاكم وطرحتموه في الجب ثم قلمت لايكم ان الذنب أكله وأنتم كاذبون ثم يعقوبه بعشرين درهما ثم بعد المدة الطويلة والزمان المتمد ما زال الحقد والغضب عن قلوبكم فرميتوه بالسرققة ثم قال تعالى والله أعلم بما تصفون يريد أن سرققة يوسف كانت رضا لله وبالجملة فهذه الوجوه المذكورة في سرققة لا يوجب شيء منها عود الذم واللوم اليه والمعنى والله أعلم بان هذا الذى وصفتوه به هل يوجب عود مذمة اليه أم لا ﴿ ٢٢٦ ﴾ قوله تعالى (قالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا فخذنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده انا اد الطالمون) اعلم أنه تعالى بين انهم بعد الذى ذكروه من قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل أجابوا موافقته والعدول الى طريقة الشفاعة فانهم وان كانوا قد اعترفوا أن حكم الله تعالى في السارق ان يستعبد الا ان العفو واخذ الفداء كان أيضا جائزا فقالوا يا أيها العزيز ان له أباشيخا كبيرا أى فى السن ويجوز أن يكون فى القدر والدين وانما ذكروا ذلك لان كونه ابنا لرجل كبير القدر يوجب العفو والصفح ثم قالوا فخذنا مكانه يحتمل أن يكون المراد على طريق الاستبعاد ويحتمل أن يكون المراد على طريق الرهن حتى توصل الفداء اليك ثم قالوا اننا نراك من المحسنين وفيه وجوه (أحدها) اننا نراك من المحسنين لو فعلت ذلك (وثانيها)

الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت ﴿ ٢٢٧ ﴾ خا الدخول وانما التحقق حينئذ ما فاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سياتى فتأمل (من الله) من جهته (من شيء) أى شيئا ما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك فى بادى الرأى حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بما وجبه وانهم يجدوا من فضل الله تعالى فليس المراد بيان

سببية الدخول المذكور لعدم الاعطاء كافي قوله تعالى فلما جاءهم رمازادهم الأنورا فان محي النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببية الاعطاء مع كونها متوقفة في بادي الرأي كافي قولك حائف أن يعطى حتى عند حلول الاجل فلما حل لم يعطى شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل الاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببية اعدم الاعطاء فالما ل بيان عدم ترتب الغرض المقصود ﴿ ٢٢٦ ﴾ على التدبير المعهود مع كونه مرجوا للوجود لا بيان

ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من أنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يند ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل (الاحاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحرارة كائنه (في نفس يعقوب قضاها) أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتد أن للتدبير تأثيرا في تغير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته أن يكون دخولهم من أبواب منفردة فالعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله تعالى شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة

انما زال من المحسنين الينا حيث أكرمنا واطيننا بهذا الكثير وحصلتنا مطلو بنا على أحسن الوجوه وردت الينا ثمن الطعام (وثالثها) نقل انه عليه السلام لما اشتد القحط على القوم ولم يجدوا شيئا يشترون به الطعام وكانوا يبيعون أنفسهم منه فصار ذلك سببا لصبره أ أكثر أهل مصر عبيدا ثم انه أعنى الكل فاعلمهم قالوا انما زال من المحسنين الى عامة الناس بالاعتناق فكمن بحسنا أيضا الى هذا الانسان باعتاقه من هذه المحنة فقال يوسف معاذ الله أي أعوذ بالله معاذنا أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده أي أعوذ بالله أن آخذ بربنا بذب قال الزجاج موضع أن نصب والمعنى أعوذ بالله من أخذ أحد بغيره فلما سيطرت كلمة من انتصب الفعل عليه وقوله انما اذا الظالمون أي لقد تعديت وظلمت أن آذيت انسانا يجرم صدره عن غيره فان قيل هذه الواقعة من أولها الى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز من يوسف عليه السلام مع رسالته الاقدام على هذا التزوير والترويج وايضا الناس من غير سبب لاسيما يعلم أنه اذا حبس أخاه عند نفسه بهذه التهمة فانه يعظم حزن أبيه ويستدغمه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغ في النزو الى هذا الحد (والجواب) انه تعالى أمره بذلك تشديد للتحفة على يعقوب ونهاه عن العفو والصغى وأخذ البذل كما أمر تعالى صاحب موسى يقتل من لو ابقى لطغى وكفر * قوله تعالى (فلما استأسأ سوامنه خلصوا بمحبا قال كبيرهم ألم نعالوا أن أبكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أرح الارض حتى يأذن لي أبي ويحكم الله) وهو خير الحاكمين (في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انهم لما قالوا فخذ أحدنا مكانه وهو نهاية ما يمكنهم بذله فقال يوسف في جوابه معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فانه طعم طعمهم من يوسف عليه السلام في رده فعند هذا قال تعالى فلما استأسأ سوامنه خلصوا ونجيا وهو بالغة في بأسهم من رده وخلصوا نجيا أي تفردوا عن سائر الناس ببنائهم ولا شبهة ان المراد بنشاورون وينجولون الرأي فيما وقعوا فيه لانهم انما أخذوا بنسامين من أبيهم بعد الوثائق المؤكدة و بعد ان كانوا ثمينين في حق يوسف فلولم يعده الى أبيهم لحصلت محن كثيرة (أحدها) انه لو لم يعودوا الى أبيهم وكان شيئا كبيرا فبقاؤه وحده من غير أحد من أولاده محنة عظيمة (وثانيها) ان أهل بيتهم كانوا محتاجين الى الطعام أشد الحاجة (وثالثها) ان يعقوب عليه السلام ربما كان يظن ان أولاده هلكوا بالكلية وذلك غم شديد ولو عادوا الى أبيهم بدون بنين لم يعظم حياؤهم فان ظاهر الامر يروهم انهم خانوه في هذا الابن كما انهم خانوه في الابن الاول ولكن بؤهم أيضا انهم ما قالوا لتلك الوثائق المؤكدة وزنا ولا شك ان هذا الموضع موضع افكرة وحيرة وذلك بموجب التقاض والتشاور طلب الاصلح الا صوب فهذا هو المراد من قوله فلما استأسأ سوا منه خلصوا ونجيا (المسئلة الثانية) قال واحدي روى عن ابن كثير استأسأوا حتى اذا استأسأ الرسل بغير همز في يئس انه ن يئس ويأس مثل حسب ويحسب ومن قال استأسأ قلب العيين الى

في نفس يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستأسأ منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى ﴿ موضع ﴾ دفع الخاطرة وأما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم (وانه لدو علم) جليل (لما علموا) لتعليمنا بالوحي ونصب الاداة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير

حتى يبين في آية عند تخلف الأرواح حيث ثبت القول بأنه لا يبقى عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تارة كيد
الجملة بأن واللام وتذكير العلم وتعليله بالنقل لم يسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام
وعلم مرتبة علمه وفخامته مالا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أسرار القدر ويزعمون أنه يبقى عنه الحدروا ما ما يقال
من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحدز مع أنه ٢٢٧ لا يبقى شيئا من القدر فيباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادئ

(ولما دخلوا على يوسف

آوى إليه اخاه) بنيامين

أى ضمه إليه في الطعام

أوفى المنزل أوفيهما

روى أنهم لما دخلوا عليه

قالوا له هذا أخونا قد

جئناك به فقال لهم

أحسنتم وسجدوا

ذلك عندي فأكرمهم ثم

أضافهم وأجلسهم مثني

مثني فبنيامين وجدا

فبني وقال لو كان أخي

يوسف حيا لأجلسني

معه فقال يوسف بقي

أخوكم فريدا وأجلسه

معه على مائدة وجعل

يوكله ثم أنزل كل اثنين

منهم بينا فقال هذا

لا ثاني معه فيكون معي

فبات يوسف يضمه إليه

وبشم رائحته حتى أصبح

وسأله عن ولده فقال لي

عشرة بنين اشتقت

أسماءهم من اسم أخي

هلك فقال له أتحب أن

أكون أخاك بدل أخيك

الهالك قال من يجد أخا

مثلك ولكن لم يلدك

يعقوب ولا راحيل فبني

يوسف وقام إليه وعانقه

موضع الفاء فصار استعقل وأصله استأنس ثم خففت الهمزة قال صاحب الكشاف
استأنسوا يتسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كافي قوله استعصم وقوله خلصوا قال
الواحدى يقال خلص الشيء يخلص خلوصا إذا ذهب عنه الشائب من غيره ثم فيه وجهان
(الاول) قال الزجاج خلصوا أى انفردوا وليس معهم أخوهم (والثاني) قال الباقون
تبرزوا عن الأجانب وهذا هو الاظهر وأما قوله نجيا فقال صاحب الكشاف النجى على
معنيين يكون بمعنى المنجى كالعشير والسمير بمعنى العاشر والمساير ومنه قوله تعالى
وفر بناه نجيا بمعنى المصدر الذى هو التاجى كقيل التجوى بمعنى المتناجين فعلى هذا معنى
خلصوا نجيا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يتخالطهم سواهم نجيا أى مناجيا روى
نجوى أى فوجا نجيا أى مناجيا لتناجاة بعضهم بعضا وأحسن الوجوه أن يقال أنهم تمحضوا
تتاجيا لأن من كمل حصول أمر من الأمور فيه وصف بأنه صار عين ذلك الشيء فلما
أخذوا في التاجى على غاية الجد صاروا كأنهم فى أنفسهم صار وانفس التاجى حقيقة
أما قوله تعالى قال كبيرهم فقيل المراد كبيرهم فى السن وهو رويل وقيل كبيرهم فى العقل
وهو يهودا وهو الذى نهاهم عن قتل يوسف ثم حكى تعالى عن هذا الكبير أنه قال ألم تعلموا
أن أبناكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف وفيه مسئلتان (المسئلة
الاولى) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما قال يوسف عليه السلام معاذ الله أن تأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده غصب يهودا وكان إذا غضب وصاح فلا تسمع صوته حامل
الاورضت ويقوم شعره على جسده فلا يسكن حتى يضع يده على آل يعقوب يده عليه فقال
لبعض اخوته أكونى أسواق أهل مصر وأنا أكتفيكم الملك فقال يوسف عليه السلام
لأبن صغيره مسه فسه فذهب غضبه وهم أن يصبح فرضى يوسف عليه السلام رجله على
الارض وأخذ بلباسه وجذبه فسهط فمده قال بأبها العزيز فلما أبسوا من قبول
الشفاعة تذاكروا وقالوا ان أبانا قد أخذ علينا موثقا عظيما من الله وأيضاً نحن منهمون
بواقعة يوسف فكيف المخلص من هذه الورطة (المسئلة الثانية) لفظ ما فى قوله ما فرطتم
فيها وجوه (الاول) أن يكون أسله من قبل هذا فرطتم فى شأن يوسف عليه السلام
ولم تحفظوا عهد أيكم (الثاني) أن تكون مصدريته ومحله الرفع على الابتداء وخبره
انظر فوهو من قبل ومعه ما وقع من قبل نفر بطكم فى يوسف (الثالث) النصب عطفا على
مفعول ألم تعلموا والقدير ألم تعلموا أخذ أيكم موثقاكم ونفر بطكم من قبل فى يوسف
(الرابع) أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أى قدمتموه فى حق يوسف من
الحيانة العظيمة ومحله الرفع والنصب على الوجهين المذكورين ثم قال فلن أبرح الارض
أى فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لى أبى فى الانصراف إليه أو يحكم الله لى بالخروج
منها أو بالاتصاف بمن أخذ أخى أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب وهو خيرها لما كين
لانه لا يحكم الا بالعدل والحق وبالجملة فالمراد ظهور عذر يزول معه حياة وخجله من آبه

وتعرف إليه وعند ذلك (قال انى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنافيا مضى

فان الله تعالى قد أحسن النوا وجمعنا نجبر ولا تعلمهم بما أعلمك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعن وهب انه

لم يعرف إليه بل قال له اننا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تاتى منهم من الجسد والأذى

فقد أنتهم وروى انه قال له فانا لأفارقك قال قد علمت بأغتمام

والعمل في هذا حبسك يردوعد ولا سبيل لذلك الا ان السبيل الى ما لا يحتمل قال لا بل قال قل ما بال انك تطلب ما لا
 في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقة ليهيأى ردك بعد تسريحك معهم قال افعول فلما جهزهم بجهازهم جعل
 السقاية) أى الشربة قيل كانت مشربة جعلت صافيا كال به وقيل كانت تنقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت
 من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة موهبة بالذهب كانت اناء ٢٢٨ * مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلقي

طرفاه يستعمله الاطاحم
 وقيل كانت مرصعة
 بالجواهر (في رحل
 أخيه) بنيامين وقرئ
 وجعل على خذف جواب
 لما تقديره أمهلهم حتى
 انطلقوا (ثم أذن مؤذن)
 نادى مناد (أيها العبر)
 وهي الابل التي عليها
 الاحمال لانها تعبرأى
 تذهب ونجى وقيل
 هي قافلة الجبر ثم كثر
 حتى قيل لكل قافلة عبر
 كانها جمع عبروا أصلها
 فعل مثل سقف وسقف
 ففعل به ما فعل بيض
 وغيد والمراد أصحابها
 كما في قوله عليه السلام
 يا خيل الله اركبي روى
 انهم ارتحلوا وامهلهم
 يوسف حتى انطلقوا
 من لا وقبل خروجهم
 العمارة ثم أمر بهم
 فأدركوا ونودوا (انكم
 لسارقون) هذا الخطاب
 ان كان بأمر يوسف
 فلعنه أريد بالسرقه
 أخذهم له من أبيه
 ودخول بنيامين فيه
 بطريق التغليب والا

أوغره قاله انقطاعا الى الله تعالى في اظهار عذره بوجه من الوجوه * قوله تعالى (ارجعوا
 الى أيكم فقولوا يا ابا نانا انك سرقت وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل
 القريه التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانالصادقون) واعلم انهم لما تفكروا في الاصول
 ما هو ظاهر لهم ان الاصول هو الرجوع وان يذكر الالهيهم كيفية الواقعة على الوجه من
 غير تفاوت والظاهر ان هذا القول قاله ذلك الكبير الذي قال فلن أرح الارض حتى بأذن
 لي أبي قبل ان يروى ويلى وبقى هو في مصر وبعث سائر اخوته الى الاب فان قيل كيف حكموا
 عليه بأنه سارق من غير بينة لاسيما وهو قد أجاب بالجواب الشافي فقال الذي جعل الصواع
 في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحلكم (والجواب) ضمه من وجوه (الاول) انهم
 شاهدوا ان الصواع كان موضعا في موضع ما كان يدخله أحد الاله فلما شاهدوا انهم
 أخرجوا الصواع من رحله غلب على ظنونهم انه هو الذي أخذ الصواع وأما قوله وضع
 الصواع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هناك لما رجعوا
 بالبضاعة اليهم اعترفوا بانهم هم الذين وضعوها في رحالهم وأما هذا الصواع فان أحدالم
 يعترف بأنه هو الذي وضع الصواع في رحله فظهر الفرق فلهذا السبب غلب على ظنونهم
 انه سارق فشهدوا ببناء على هذا الظن ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر بقولهم وما شهدنا
 الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (والوجه الثاني) في الجواب ان تقدير الكلام ان انك
 سرقت في قول الملك وأصحابه ومثله كثير في القرآن قال تعالى انك لانت الحليم الرشيد أى
 عند نفسك وقال تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم أى عند نفسك وأما عندنا فلا فكدا
 ههنا (الوجه الثالث) في الجواب ان انك ظهر عليه ما يشبه السرقة ومثل هذا الشيء
 يسمى سرقة فان اطلاق اسم أحد الشبهين على الشبه الآخر جائز في القرآن قال تعالى
 وجزاء سينة سينة مثلها (الوجه الرابع) ان القوم ما كانوا أنبياء في ذلك الوقت فلا يبعد
 أن يقال انهم ذكروا هذا الكلام على سبيل المجازفة لاسيما وقد شاهدوا شيئا يوم ذلك
 (الوجه الخامس) ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يقرأ ان انك سرقت بالتشديد أى
 نسب الى السرقة فهذه القراءة لاحاجة بها الى التأويل لان القوم نسبوه الى السرقة
 الا انادى كرنا في هذا الكتاب ان أمثال هذه القرآت لاتدفع السؤال لان الاشكال انما
 يدفع اذا قلنا القراءة الاولى باطلة والقراءة الحقة هي هذه القراءة أما اذا سلمنا ان القراءة
 الاولى حقة كان الاشكال باقيا سواء صحت هذه القراءة الثانية أو لم تصح فثبت انه لا بد من
 الرجوع الى أحد الوجوه المذكورة اما قوله وما شهدنا الا بما علمنا فظاهر لانه يدل على
 ان الشهادة غير العلم بدليل قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وذلك يقتضى كون الشهادة
 مغايرة للعلم ولانه عليه السلام قال اذا علمت مثل الشمس فاشهدو ذلك ايضا يقتضى
 ما ذكرناه وليست الشهادة بأبضاعة من قوله أشهد لان قوله أشهد اخبار عن الشهادة
 والاخبار عن الشهادة غير الشهادة اذا ثبت هذا فنقول الشهادة عبارة عن الحكم الذهني

فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ اليماني سارقون باللام * وهو *
 (قالوا) أى الاخوة (وأقبلوا عليهم) جملة حالية من ضمير قالوا جى بها للدلالة على ان حاجتهم مما سمعوه لم يلبثته
 لحالهم (ماذا تفقدون) أى تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بأن فصل عنك لا بفتحك والمآل ماذا ضاع
 عنكم وصيغة المستقل

لا يفتقر الى صورة وقرى قد دون من قصده اذا وجدته قبيحا وخطا القديسين قالوا انهم انما سرقوا من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال زناه باظم ثم هار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا هم السارقين له وانما يمكن أن يضع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحترام عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لاخير فيه لاسيما بطريق التوكيد ﴿ ٢٢٩ ﴾ فلذلك غيروا كلامهم حيث (قالوا) في جوابهم

(نفقد صواع الملك)
ولم يقولوا سرقوه
أوسرق وقرى صاع
وضوع وضوع بفتح
الصاد وضعا وباهمال
العين وانجمها من
الصياغة ثم قالوا تربية
لما تلقوه من قلهم واردة
الاعتقاد أنه انما بقي
في رحلهم اتفاقا (ولم
جاءه) من عند نفسه
مظهره قبل التفتيش
(حمل بعير) من الطعام
جعله لاهل بيته تحقيق
الوعد لجزءهم بامتناع
وجود الشرط وعزمهم
على ما لا يخفى من أخذ
من وجد في رحله (وأنا به
زعيم) كقيل وأديه اليه
وهو قول المؤذن (قالوا
تالله) الجمهور على أن التاء
بدل من الواو ولذلك
لا تدخل الاعلى الجلالة
المعظمة أو الرب المضاف
الى الكعبة أو الرحمن
في قول ضعيف ولو قلت
تالرحيم لم يجز وقيل
من الباء وقيل أصل
بنفسها وأما كان فقيه
تعجب (لقد علمتم) علما

وهو الذي يسميه المتكلمون بكلام النفس وأما قوله وما كنا للغيب حافظين فقيه وجوه
(الاول) اننا قدر أننا انهم أخرجوا الصواع من رحله واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا
فان الغيب لا يعلمه الا الله (والثاني) قال عكرمة معناه لعل الصواع دس في متاعه بالليل
فان الغيب اسم لليل على بعض اللغات (والثالث) قال مجاهد والحسن وقتادة ما كنا نعلم
ان ابنك يسرق ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به الى الملك وما أعطيناك موثقا من الله في رده اليك
(والرابع) نقل ان يعقوب عليه السلام قال لهم فهب انه سرق ولكن كيف عرف الملك
ان شرع بني اسرائيل ان من سرق يسترق بل انتم ذكرتموه لغرض لكم فقالوا عند هذا
الكلام انما قد ذكرنا له هذا الحكم قبل وقوعنا في هذه الواقعة وما كنا نعلم ان هذه الواقعة
تقع فيها فقله وما كنا للغيب حافظين اشارة الى هذا المعنى فان قيل فهل يجوز من يعقوب
عليه السلام أن يسعى في اخفاء حكم الله تعالى على هذا القول قلنا لعله كان ذلك الحكم
مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلماذا أنكر ذكر هذا الحكم عند الملك الذي
ظنه كافرا ثم حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها
واعلم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه السلام بالغوا في ازالة التهمة عن
أنفسهم فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها والاكثرون اتفقوا على ان المراد من هذه القرية
مصر وقال قوم بل المراد منه قرية على باب مصر جرى فيها حديث السرقة والتفتيش ثم فيه
قولان (الاول) المراد واسأل أهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز والاختصار
وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب قال أبو علي الفارسي ودافع جواز هذا
في اللغة كدافع الضرورات واجاد المحسوسات (والثاني) قال أبو بكر بن الانباري المعنى
اسأل القرية والعير والجدار والحيطان فانها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرناه لانك من
اكابر انبياء الله فلا يبعد ان ينطق الله هذه الجملات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه
وفيه وجه ثالث وهو ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما كما لا فقد قال فيه سل السماء
والارض وجميع الاشياء عنه والمراد انه بلغ في الظهور الى اقامة التي مابق للشك فيه
بحال اما قوله والعير التي أقبلنا فيها فقال المفسرون كان قد صحبهم قوم من الكنعانيين
فقالوا يسلمهم عن هذه الواقعة ثم انهم لما اتفقا في التأكيد والتقرير قالوا ولنا لصادقون
يعني سواء نسبتنا الى التهمة أو لم تنسبنا اليها فحقن صادقون وليس غرضهم ان يثبتوا
صدق أنفسهم بأنفسهم لان هذا يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه بل الانسان اذا قدم
ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده وأنا صادق في ذلك يعني فأما فيما ذكرته
من الدلائل والبيات لتزول عنك الشبهة * قوله تعالى (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا
فصبر جيل عسى الله أن يأتيه بهم جيعة انه هو العليم الحكيم) اعلم ان يعقوب عليه السلام
لما سمع من أبناءه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروا كما في واقعة يوسف فقال بل سولت
لكم أنفسكم أمرا فصبر جيل فذكر هذا الكلام بعينه فهذه الواقعة الا انه قال في واقعة

جازما مطابقا للواقع (ما جئنا لتفسد في الارض) أي لنسرق فانه من أعظم أنواع الفساد وألغى فيه
أي افساد كان معار أو هان فضلا عما نسبتونا اليه من السرقة ونفي الجحى للفساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى
المقام من نفي الفساد مطلقا لكنهم جعلوا الجحى الذي يرتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيبا لغرض الفساد
مفعولا لاحله ادعاء اظهارا لكمال فقهه عندهم وتزييه لاستحالة صدوره عنهم

كَيْفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ الدَّالُّ بِظَاهِرِهِ عَلَى نَقِي الْمَالِقَةِ فِي الظُّلْمِ دُونَ نَقِي
الظُّلْمِ فِي الْجَمَلَةِ الَّذِي هُوَ مُقْتَضَى الْقَامِ مِنْ أَنَّ الْمَعْنَى إِذَا عَذِبْتَ مِنْ لَّا يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ كُنْتُ لَمْ تَظْلَامَا مَفْرَطًا فِي الظُّلْمِ
فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا إِنْ صَدَرَ عَنَّا أَفْسَادٌ كَانَ مَجْنُونًا لِّذَلِكَ مَرِيدِينَ بِهِ تَقْبِيحُ حَالِهِ وَظَهَارِ كَيْلِ تَزَاهَتِهِمْ عَنْهُ يَعْنُونَ أَنَّهُ
قَدْ شَاعَ يَتَنَكَّرُ فِي كَرْتِي مَجْنُونًا مَخْنٍ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانُوا ﴿٢٣٠﴾ عَلَى غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الدِّينَانَةِ وَالصِّيَانَةِ

فَيَأْتُونَ وَيَذَرْنَ حَتَّى
رَوَى أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَصْرَ
وَأَفْوَاهَ رَوَاحِلِهِمْ مَكْرُومَةً
ثَلَاثَتَنَازُلٍ زَرْعًا وَطَعَامًا
لَّاحِدٍ وَكَانُوا مُشَارِبِينَ
عَلَى فَنُونِ الطَّاعَاتِ وَعَلَامٍ
بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ عَنَّا
أَفْسَادٌ (وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ)
أَيَّ مَا كُنَّا نَوْصِفُ
بِالسَّرْقَةِ قَطُّ وَإِنَّمَا حَكَمُوا
بِعِلْمِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلْمَ
بِأَحْوَالِهِمْ الشَّاهِدَةُ
بِاسْتِزْمِ الْعِلْمِ بِأَحْوَالِهِمْ
الغَايَةِ وَإِنَّمَا يَكْتَفُوا
بَنِي الْأَمْرِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ
يَلِ اسْتَشْهَدُوا بِِعِلْمِهِمْ
بِذَلِكَ الزَّامَا لِلْمَجْعَةِ عَلَيْهِمْ
وَتَحْقِيقًا لِلتَّعَجُّبِ الْمَفْهُومِ
مِنْ تَدَا الْقِسْمِ (فَأَنَّا)
أَيَّ أَصْحَابِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ
السَّلَامِ (فَاجْزَاؤُهُ)
الضَّبْعُ الصَّوَاعُ عَلَى حَذْفٍ
الْمُضَافِ إِلَى فَاجْزَاءِ
سَرَفَتِهِ عِنْدَكُمْ وَفِي
شَرِيعَتِكُمْ (إِنْ كُنْتُمْ
كَاذِبِينَ) لَاقِي دَعْوَى
الْبَرَاءَةِ عَنِ السَّرْقَةِ فَانْهَمِ
صَادِقُونَ فِيهَا بَلْ فِيمَا
يَسْتَلْزِمُهُ ذَلِكَ مِنْ نَقِي
كُونَ الصَّوَاعُ فِيهِمْ

يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ وَقَالَ هَهُنَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا وَفِيهِ مَسَائِلُ (المسئلة الاولى) قَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ قَوْلُهُ بَلْ سَوَّلَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا لَيْسَ
الْمُرَادُ مِنْهُ هَهُنَا الْكُذْبُ وَالِاحْتِمَالُ كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي وَاقِعَةٍ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ بَلْ
سَوَّلَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا الْكُذْبَ عَنْ سَوَّلَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَخْرَاجَ بَنِيَامِينَ عَنْهُ وَالْمَصِيرَ بِهِ
إِلَى مَصْرٍ طَلِبًا لِلْمَنْفَعَةِ فَعَادَ مِنْ ذَلِكَ شَرُّ وَضُرُّهُ وَالْحُتْمَ عَلَى فِرَاسِهِ مَعَكُمْ وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ
قَضَاءَ اللَّهِ إِنَّمَا جَاءَ عَلَى خِلَافِ تَقْدِيرِكُمْ وَقِيلَ بَلْ الْمَعْنَى سَوَّلَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا خِيَلَتْ
أَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ أَنَّهُ سَرَقَ وَمَا سَرَقَ (المسئلة الثانية) قِيلَ إِنْ رَوَى بِلِ الْمَاعِزِ عَلَى الْإِقَامَةِ بِمَصْرٍ
أَمْرُهُ الْمَلِكُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَ أَخُوتهِ فَقَالَ أَتَرْكُونِي وَالصَّحْبَةَ صَحْبَةً لَاتَبَقِي بِمَصْرٍ أَمْرًا حَامِلِ
الْأَوْتَضَعِ حَمَلَهَا فَقَالَ يُوسُفَ دَعُوهُ وَلِمَا رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرُوهُ
بِالْوَاقِعَةِ بَكَى وَقَالَ يَا بَنِي لَا تَخْرُجُوا مِنْ عِنْدِي مَرَّةً الْوُفْقُ بِكُمْ عَنْهُمْ مَرَّةً فَتَقْصُ
يُوسُفَ وَفِي الثَّانِيَةِ نَقْصُ شَمْعُونَ وَفِي هَذِهِ الثَّالِثَةِ نَقْصُ رُوبِيلَ وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ عَسَى
اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا وَإِنَّمَا حَكَمَ بِهِذَا الْحُكْمَ أَوْجُوهُ (الاول) أَنَّهُ لِمَا طَالَ حَزْنُهُ وَبَلَاؤُهُ
وَمَحْنَتُهُ عَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا عَنْ قَرِيبٍ فَقَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ حَسَنِ الظَّنِّ
بِرَحْمَةِ اللَّهِ (والثاني) لَعَلَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَهُ مِنْ بَعْدِ مَحْنَةِ يُوسُفَ أَنَّهُ سَيُحْيِي وَأُطْهِرَتْ لَهُ عِلَامَاتُ
ذَلِكَ وَإِنَّمَا قَالَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ حِينَ ذَهَبُوا بِيُوسُفَ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ
فَضَاعَ يُوسُفَ وَبَقِيَ أَحَدٌ عَشَرَ وَلِمَّا رَسَلَهُمْ إِلَى مَصْرٍ عَادُوا ثَمَنَةً لِأَنَّ بَنِيَامِينَ حَبَسَهُ يُوسُفَ
وَاحْتَبَسَ ذَلِكَ الْكَبِيرَ الَّذِي قَالَ فَلَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَأْتِيَنِي أَيْ أَوْ يُحْكَمَ اللَّهُ لِي فَلَمَّا
كَانَ الْعَاصُونَ ثَلَاثَةً لَاجِرًا قَالَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ أَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ
بِحُكْمِهِ بِعَنِ هُوَ الْعَالِمُ بِمُخَفَاتِ الْأُمُورِ الْحَكِيمُ فِيهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمُنَاقِبِ لِلْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَالرَّحْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ * قَوْلُهُ تَعَالَى (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سِنَى عَلَى يُوسُفَ وَابْصُرْ عَيْنَا مِنْ
الْحَزَنِ فَهُوَ كَاطِمٌ قَالُوا تَا اللَّهُ تَعَالَى تَذَكَّرَ يُوسُفَ حَتَّى يَكُونَ حَرَضًا أَوْ يَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَحَسْبُكُمْ سِوَا مِنْ
يُوسُفَ وَأَخْبَهُ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ الْإِقَامُ الْكَافِرُونَ)
وَأَعْلَمُ إِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ أَبْنَانِهِ ضَافٍ فَلَهُ جِدَا وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَفَارَقَهُمْ ثُمَّ
بِالْآخِرَةِ طَلِبَهُمْ وَعَادَ إِلَيْهِمْ (أَمَّا الْقَامُ الْاول) وَهُوَ أَنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَفَرَّقَهُمْ فَهُوَ قَوْلُهُ وَتَوَلَّى
عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سِنَى عَلَى يُوسُفَ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا ضَافَ صَدْرُهُ بِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي سَمِعَهُ مِنْ أَبْنَانِهِ
فِي حَقِّ بَنِيَامِينَ عَظُمَ أَسْفُهُ عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ يَا سِنَى عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّمَا عَظُمَ حَزْنُهُ
عَلَى مَفَارِقَةِ يُوسُفَ عِنْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْوَجُوهُ (الاول) إِنْ الْحَزْنَ الْجَدِيدَ يَقْوَى الْحَزْنَ
الْقَدِيمَ الْكَامِنَ وَاقْدَحَ إِذَا وَقَعَ عَلَى الْقَدَحِ كَانَ أَوْجُمَ وَقَالَ مَتَمِّمْ بِنُورَةِ
وَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبِكَا * رَفِئِي لِنَدَارِفِ الدَّمُوعِ السَّوَالِفِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ أَبْنَانِهِ * لَقَبِرَ نَوِي بَيْنَ الْبُورِ وَالْكَادُوكِ

كَأَيُّ ذَنْبٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (فَأَنَّا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ) أَيَّ أَخَذَ مِنْ وَجْدِ الصَّوَاعِ (فِي رَحْلِهِ) * فَقُلْتُ *
حَيْثُ ذَكَرَ بِعنوانِ الْوُجْدَانِ فِي الرَّحْلِ دُونَ عِتْوَانِ السَّرْقَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمًا لَهَا فِي اعْتِقَادِهِمُ الْمُبْنَى عَلَى قَوَاعِدِ
الْعَادَةِ وَلِذَلِكَ أَجَابُوا بِمَا أَجَابُوا فَإِنَّ الْإِخْذَ وَالِاسْتِغْنَاءَ سَنَةً إِنَّمَا هُوَ حَزْنُ السَّارِقِ دُونَ مَنْ وَجَدَ فِي يَدِهِ مَالًا غَيْرَهُ كَيْفَمَا كَانَ
فَتَأْمَلْ وَاحِلَ كَلَامِ كُلِّ فَرِيقٍ عَلَى مَا لِي بِأَحْمَرِ رَأْيِهِ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ

الى معنى الكيد والبعد من الافتراء وقوله تعالى (فهو جزاؤه) فمر بالذلك الحكم أي فآخذة جزاؤه ~~كذلك~~ وذلك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كاهي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجدني رحله فهو هو على أن الأول لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضع (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الأوفى (نجزي الظالمين) ﴿ ٢٣١ ﴾ بالسرفقة تأكيد للحكم المذكور غيب تأكيد وبيان

أعجب السرفقة ولقد فعلوا ذلك نفة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون (فبدأ) يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش (بأوعيتهم) (بأوعيتهم) الاخوة العشرة أي بتفتيشها (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين لنفي التهمة روي أنه لما بلغت التوبة الى وعاءه قال ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه أطيب لفسك وأنفسنا (ثم استخرجوها) أي السقاية أو الصواع فانه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) لم يقل منه على رجوع الضمير الى الوعاء أو من وفائه على رجعه الى أخيه قصداً الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلمها همزة كافي اشاح في وشاح (كذلك) نصب على المصدر يقول الكافي مقحمة لاد لانه على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد أي مثل ذلك الكيد العجيب

فقلت له ان الاسي يبعث الاسي * فدعني فهذا كله قبر مالك وذلك لانه رأه قبراً فوجد حزنه على أخيه مالك فلاموه عليه فأجاب بأن الاسي يبعث الاسي وقال آخر

فلم تنسني أوفى المصيبات بعده * ولكن نكاه القرح بالقرح أوجع

(والوجه الثاني) ان بنيامين ويوسف كانا من أم واحدة وكانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكل فكان يعقوب عليه السلام ينسلي برويته عن رؤية يوسف عليه السلام فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلو فاعظم الالم والوجد (الوجه الثالث) ان المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتب سائر المصائب والزبايا وكان الاسف عليه أسفاً على الكل (الرابع) ان هذه المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية بحري الامور التي يمكن معرفتها والبحث عنها وأما واقعة يوسف فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه وأما السبب الحقيقي فما كان معلوماً له وأيضاً انه عليه السلام كان يعلم ان هؤلاء في الحياة وأما يوسف فما كان يعلم انه حي أوميت فلهذه الاسباب عظم وجدته على مفارقتها وقويت مصيبتة على الجهل بحاله (المسئلة الثانية) من الجهال من عاب يعقوب عليه السلام على قوله يا سفي على يوسف قال لان هذا اظهار الجزع وجار بحري الشكاية من الله وانه لا يجوز والعلماء بينوا انه ليس الامر كما ظنه هذا الجاهل وتقريره انه عليه السلام لم يذكر هذه الكلمة ثم عظم بكاءه وهو المراد من قوله وايضت عيناه من الحزن ثم أمسك لسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي وهو المراد من قوله فهو كظيم ثم انه ما أظهر الشكاية مع أحد من الخلق بدليل قوله انما أشكوا بني وحزني الى الله وكل ذلك يدل على انه لما عظمت مصيبتة وقويت محنته فانه صبر ونجس الفصة وما أظهر الشكاية فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء العظيم روي ان يوسف عليه السلام سأل جبريل هل لك علم يعقوب قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد ثم يموت قال فهل له فيه أجر قال نعم أجر مائة شهيد فان قيل روي عن محمد بن علي الباقر قال لم يرد يعقوب شيخ كبير فقال له أنت ابراهيم فقال أنا ابن ابنه والهموم غيرتني وذهبت يحسن وفوق فأوحى الله تعالى اليه حتى متى تسكون الى عبادي وعزتي وجلالي لو لم تشكني لابد لك لما خيرا من لحك ودما خيرا من دمك فكان من بعد يقول انما أشكوا بني وحزني الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب أخ مواخ فقال له ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك فقال الذي أذهب بصري البكاء على يوسف وقوس ظهري الحزن على بنيامين فأوحى الله تعالى اليه أناسي تشكوني الى غيري فقال انما أشكوا بني وحزني الى الله فقال يارب أمارح الشيخ الكبير قوس ظهري وأذهب بصري فأردد على ريماتي يوسف وبنيامين فأناه جبريل عليه السلام بالبشرى وقال لو كانا ميتين لشترتهما لك فاستمع طعاما للمساكين فان أحب عبادي الى الانبياء والمساكين

وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافناء المذكور باجرائه على السننهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فعني قوله عز وجل (كذلك يوسف) صنعه له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوها فاللام ليست كافي قوله فيكيد واليك كيدا فانها داخلية على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى (ما كان لياخذ أخاه في دين الملك) استئناف

وتعليل لذلك الكيد وصنعة لا تفسر ويان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن يأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر السارق أى في سلطانه قاله ابن عباس أوفى حكمه وقضاه فانه قتادة الابن لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يمكن الصنعة من اخذ أخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال ﴿ ٢٣٢ ﴾ من الاحوال (الآن يشاء الله) أى الاحال

مشيئة التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد أو الاحال مشيئته للاخذ بذلك الوجهه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المودبة اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرع مرتبا للكن لا على أن يكون القصر المستفاد من تقديم المحرور مأخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذا معنى لتعليله بعجز يوسف عن اخذ أخيه في دين الملك في شأن السارق قطعاً لا علاقة بين مطلق الكيد وبين الملك في أمر السارق أصلاً بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم تكشف بعض من ذلك لانه لم يكن يأخذ أخاه في دين الملك به الاحال مشيئته لا بمجرد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو

وكان يعقوب عليه السلام اذا أراد الغداء نادى مناديه من اراد الغداء فليقدم يعقوب واذا كان صائماً نادى مثله عند الافطار وروى انه كان يرفع حاجبيه بخرقته من الكبر فقال له رجل ما هذا الذي أرا بك قال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله اليه أنشكروني يا يعقوب فقال يارب خطيئة أخطأناها فغفرها لي قلنا اننا قد ولدنا على انه لم يأت الابا بالصبر والثبات وترك النجاسة وروى ان ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال له جئت لتقبضني قبل أن أرى حبيبي فقال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك وأشجوا لشجوك وأمال البكاء فليس من المعاصي وروى ان النبي عليه الصلاة والسلام بكى على ولده ابراهيم عليه السلام وقال ان القلب ليحزن والعين تدمع ولا نقول ما يخطئ الرب وانا عليك يا ابراهيم لحزون وأيضاً فاستبلاء الحزن على الانسان ليس باختياره فلا يكون ذلك داخلاً تحت التكليف وأما التأوه وارسال البكاء فقد يصبر بحيث لا يقدر على دفعه وأما ما ورد في الروايات التي ذكرت فالمعابة فيها انما كانت لأجل ان حسنات الابارسيات المربين وايضاً فبها دققة أخرى وهي ان الانسان اذا كان في موضع التحير والتردد لا بد أن يرجع الى الله تعالى فيعقوب عليه السلام ما كان يعلم أن يوسف بنى حياماً صارمينا فكان متوقفا فيه وبسبب توقفه كان يكثر الرجوع الى الله تعالى وينقطع قلبه عن الالتفات عن كل ماسوى الله تعالى الا في هذه الواقعة وكانت أحواله في هذه الواقعة مختلفة فر بما صار في بعض الاوقات مستغرق فيهم بذكر الله تعالى فان عن تذكر هذه الواقعة فكان ذكرها كلا سواها فلهذا السبب صارت هذه الواقعة بالنسبة اليه جارية مجرى الاتقاء في النار التحليل عليه السلام ويجرى الذبح لانه الذبح فان قيل أليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة أن يقول ان الله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور في قوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون قلنا قال بعض المفسرين انه لم يعط الاسترجاع أمة الا هذه الامة فأكرمهم الله تعالى اذا اصابتهم مصيبة وهذا عندى ضعيف لان قوله ان الله اشارة الى انما يكون لله وهو الذي خلقنا وأوجدنا وقوله وانا اليه راجعون اشارة الى أنه لا بد من الخسر والقيامه ومن المحال أن يقال ان أمة من الامم لا يعرفون ذلك فغن عرف عند نزول بعض المصائب به أنه حصل في أول الامر بخلق الله تعالى وأنه لا بد في العاقبة من رجوعه الى الله تعالى فهناك يحصل السلوة التامة عند تلك المصيبة ومن المحال أن يكون المؤمن بالله غير عارف بذلك (المسئلة الثالثة) قوله ما سنى على يوسف نداء الاسف وهو قوله يا نجبا والتقدير كأنه يشادى الاسف ويقول هذا وقت حصولك وأوان مجيئك وقد فرنا هذا المعنى في مواضع كثيرة منها في تفسير قوله حاش لله والاسف الحزن على ما فات قال الليث اذا جاءك أمر فحزنت له ولم تطقه فانت أسف أى حزين ومتأسف أيضاً قال الزجاج الاصل بأسنى الأنبا الاضافة مجوزا لبدالها بالانف لطفة بالانف والفتحة ثم قال تعالى وايضت

ارشاد اخوته الى الانقضاء المذكور وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر في تفسير من فسر ﴿ عينا ﴾ قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه أى مثل ذلك التعليم المستتب لما شرع مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فلا استثناء من أعم الاحوال كما أشر اليه ويجوز أن يكون من العلم والاسباب أى لم يكن يأخذ أخاه

الله من القتل أو تسبب من الأسباب الالهة مشيئة تعالى أو الاسباب مشيئة تعالى وإياها كان فهو متصل لأن أخذ السارق إذا كان ممن يرى ذلك ويعتده دينا لاسيما عند رضاه وأفتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الآن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك وأنت تدري أن المراد بدنيته ما عليه حينئذ فتغيره بمحل بالاتصال وإرادة مطلق ما يتدين به أعظم منه وما يحدث تفضي ﴿٢٣٣﴾ إلى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالحال إذ

المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه حينئذ ولم تتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذلك وإرادة عجزه مطلقا تؤدي إلى خلاف المراد فإن استثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة إلى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وأذنه في دين غير دين الملك (رفع درجات) أي رتبها كثيرة عالية من العلم وانتصا بها على المصدرية والظرفية أو على نزع الخافض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى (من نشاء) أي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وإيثار صفة الاستقبال للأشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل

عينا من الحزن وفيه وجوه (الاول) أنه لما قال يا أسنى علي يوسف غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها بيضت من بياض ذلك الماء وقوله وايضت عينا من الحزن كناية عن غلبة البكاء والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلو جلتنا الايضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا ولو جلتنا على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه أولى وهذا التفسير مع الدليل رواه الواحدى في البسيط عن ابن عن عباس رضى الله عنهما (واقول ثانى) أن المراد هو العمى قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين حتى كشف الله تعالى عنه بقصر يوسف عليه السلام وهو قوله فالتقوه على وجه أبي يأت بصير قيل ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام حينما كان في السجن فقال ان بصيرا أليك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على رأسه وقال ليت أمي لم تلدني ولم أك حزنا على أبي والقائلون بهذا التأويل قالوا الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمى فالحزن كان سببا للعمى بهذه الوساطة وإنما كان البكاء الدائم يوجب العمى لانه يورث كدورة في سواد العين ومنهم من قال ما عمى لكنه صار بحيث يدرك ادراك ضعيفا قبل ما جفت عينا بعقوب من وقت فراق يوسف عليه السلام إلى حين لقائه وتلك المدة ثمانون عاما وما كان على وجه الارض عبدا كرم على الله تعالى من يعقوب عليه السلام أما قوله تعالى من الحزن فأعلم أنه قرئ من الحزن برفع الحاء وسكون الزاى وقرأ الحسن بفتح الحاء والزاى قال الواحدى واختلفوا في الحزن والحزن فقال قوم الحزن البكاء والحزن ضد الفرح وقال قوم هما لغتان يقال أصابه حزن شديد وحزن شديد وهو مذهب أكثر أهل اللغة وروى يونس عن أبي عمرو قال إذا كان في موضع انصب فتحوا الحاء والزاى كقوله ترى أعينهم تفيض من الدمع حزنا وإذا كان في موضع الخفض أو الرفع ضبوا الحاء كقوله من الحزن وقوله أشكو بثي وحزنى إلى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء وأما قوله تعالى فهو كظيم فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم وهو الممسك على حزنه فلا يظهره قال ابن قتيبة ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور من كظم السقاء إذا شده على ملئه ويجوز أيضا أن يكون بمعنى مملوء من الغبط على أولاده وأعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة فيبين تعالى أنها كانت عرقه في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله يا أسنى والعين بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي يشد ولا يمكن خروج الماء منه وهذا ما لفت في وصف ذلك الغم أما قوله تعالى قالوا تالله تغفؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن السكيت يقال ما زلت أفعله وما فئت أفعله وما برحت أفعله ولا يكلم بهن الامع المحمد قال ابن قتيبة يقال ما فئت وما فئت لغتان فتياو فتوا إذا نسيت وانقطعت عنه قال النخعيون وحرف التي ههنا مضمر على معنى قالوا ما فتوا ولا

لها من الاعراب (وفوق كل ﴿٣٠﴾ خا ذى ﴿٣١﴾) من أولئك المرفوعين (عليم) لا يتناول شأوه وأعلم أنه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية أو الشرطية من ارشاده عليه السلام إلى نس الصواع في رجل أخيه وما يفرغ عليه من المقدمات المرتبة لاستيقاض أخيه مما يتم من قبله

والمعنى إرشادنا أخوته إلى الافتاء المذكور لأنه لم يكن ممكنا من أخذ أخيه بدونه أو إرشادنا كلامهم ومن يوصيه وأصحابه إلى ما صدر عنهم ولم نكتف بساكن من قبل يوسف فقط لأنهم لم يكن ممكنا من أخذ أخيه بذلك فتوا تعالى نرفع درجات إلى قوله تعالى عليهم توضيح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مرأته أذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع ﴿ ٢٣٤ ﴾ حسب استعدادة وفوق كل واحد منهم على

تفتؤ وجاز حذفه لأنه لو أريد الإثبات لكان باللام والتون نحو والله لتفعلن فلما كان بغير اللام والتون عرف أن كلمة لا مضرة وأنشدوا قول امرئ القيس * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * والمعنى لأبرح قاعد أو مثله كثير وأما المفسرون فقال ابن عباس والحسن وبجاهد وقتادة لا تزال تذكره وعن مجاهد لا تفرق من حبه كأنه جعل القنور وانفتوا أخوين (المسئلة الثانية) حكى الواحدى عن أهل المعاني أن أصل الحرض فساد الجسم والعقل للحرز والحب وقوله حرضت فلانا على فلان نأويله أفسدته وأحبه عليه وقال تعالى حررض المؤمنين على القتال إذا عرفت هذا فتقول وصف الرجل بأنه حررض إما أن يكون لإرادة أنه ذو حررض فحذف المضاف أو لإرادة أنه لما تناهى في الفساد والضعف فكأنه صار عين الحررض ونفس الفساد وأما الحررض بكسر الراء فهو الصفة وجاءت القراءة بهما معا إذا عرفت هذا فتقول للمفسرين فيه عبارات (أحدها) الحررض والحررض هو الفاسد في جسمه وعقله (وثانيهما) سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الحررض فقال الفاسد الدنف (وثالثها) أنه الذى يكون لا كالأحياء ولا كالأموات وذكر أبو روف أن أنس بن مالك قرأ حتى تكون حرضا بضم الحاء وتسكين الراء قال يعنى مثل عود الأشنان وقوله أو تكون من الهالكين أى من الأموات ومعنى الآية أنهم قالوا لا يهيم لك لا تزال تذكر يوسف بالحرز والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنفع بنفسك معه أو تموت من الغم كأنهم قالوا أنت الآن فى بلاء شديد وتخاف أن يحصل ما هو أزيد منه وأقوى وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء والأسف فإن قيل لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك قطعا قلنا إنهم كانوا هذا الأمر على الظاهر فإن قيل انما يقولون بهذا الكلام وهو قوله تائه فتؤ من هم قلنا لا يظهر أن هؤلاء ليسوا هم الأخوة الذين قد تولى عنهم بل هم الجماعة الذين كانوا فى الدار من أولاد وأولاده وخدمهم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام أنه قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله يعنى أن هذا الذى أذكره لا أذكره معكم وإنما أذكره فى حضرة الله تعالى والإنسان إذا ثبت شكواه إلى الله تعالى كان فى زمرة المحققين كما قال عليه الصلاة والسلام أعوذ برك من سخطك وأعوذ بعفوك من غضبك وأعوذ بك منك والله هو الموفق والبت هو التفريق قال الله تعالى وبث فيها من كل دابة فالحرز إذا ستره الإنسان كان هما وإذا ذكره لغيره كان بشاوقا والبت أشد الحزن والحزن أشد لهم وذلك لأنه متى أمكنه أن يمسك لسانه عن ذكره لم يكن ذلك الحزن مستويا عليه وأما إذا عظم وعجز الإنسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكره شاء أم أبى كان ذلك بشاوقا يدل على أن الإنسان صار طارعا عنه وهو قد استولى على الإنسان فتوله بثى وحزنى إلى الله أى لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الأعم الله وقرأ الحسن وحزنى بفحصين وحزنى بضمين قيل دخل على يعقوب رجل وقال يا يعقوب ضعف جسمك ونحف بدنك وما بفت سناطيا فقال الذى بك لكثرة غوى فأوحى

لا يقادر قدر علمه ولا يكنته كنهه يرفع كلامهم إلى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقدر رفع يوسف إلى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فإرشاد أخوته إلى الافتاء المذكور فكان ما كان وكأنه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن أخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك إلى الله عز وجل وجودا وعلموا العرض لوصف العلمانيين جهة الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التشكيك والالفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وجل وجلالة مقدار علمه المحبط ما لا يخفى وأما أن جعل عبارة عن التعليم المستيع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وإن لم يكن داخل تحت قدرته عليه السلام لكنه كان

داخل تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم النافع إلى هذا الحد علمناه ولم ﴿ الله ﴾ نقصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر عن أخوته اذ لم يكن ممكنا من أخذ أخيه الا بذلك فتوله نرفع درجات من نشاء توضيح قوله كذا وبيان لأن ذلك من باب الرفع إلى الدرجات العالية من العلم ومدح يوسف برفعها إليها وقوله

فوق كل ذي علم عليم تدبيل له أي زرع درجات عالية من العلم من نشأ رفقه وفوق كل منهم عليم هو أعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى والمعنى أن أخوة يوسف كانوا علماء لأن يوسف عليه السلام أفضل منهم وقرى درجات من نشأ به إضافة والاول أنسب بالتدبيل حيث نسب فيه الرفع إلى من نسب إليه الفوقية لا إلى درجته ويجوز أن يكون العليم في هذا ﴿ ٢٣٥ ﴾ التفسير أيضا عبارة عن الله عز وجل أي وفوق كل من أو لك

المرفوعين عليم يرفع كلامهم إلى درجته الالائية به والله تعالى أعلم (قالوا ان يسرق) يعنون بنيامين (فقد سرق أخه من قبل) يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة حبه على ما قيل من أنها كانت تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها اسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت إلى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق عليه السلام فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم أقبل به ما شاء ففخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان أخذني صباه صملا إلى أمه فكسره وألقا في الجيف وقيل دخل

الله إليه بايعقوب أنشكوني إلى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فأغفرها لي فغفرها له وكان بعد ذلك إذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني إلى الله وروى أنه أوحى الله إليه انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بياكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقي إلى الانبياء والمساكين فاصنع طعاما وادع إليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها ذبايح ولدها ذبكت حتى عمت ثم قال يعقوب عليه السلام وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من رجه واحسانه ما لا تعلمون وهو انه تعالى يأتي بالفرج من حيث لا أحسب فهو إشارة إلى أنه كان يتوقع وصول يوسف إليه وذكر السبب هذا التوقع أمورا (أحدها) ان ملك الموت أتاه فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا بني الله ثم أشار إلى جانب مصر وقال اطلبه ههنا (وثانيها) انه علم أن رؤيا يوسف صادقة لان امارات الرشد والكمال كانت ظاهرة في حق يوسف ورؤيا مثله عليه السلام لا تخطئ (وثالثها) انه تعالى أوحى إليه أنه سيوصله إليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلهذا بقي في القاق (ورابعها) قال السدي لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكال حاله في أقواله وأفعاله طمع أن يكون هو يوسف وقال بعد أن يظهر في الكفار مثله (وخامسها) علم قطعاً أن بنيامين لا يسرق وسمع أن الملك ما إذا وماض به فغلب على ظنه أن ذلك الملك هو يوسف فهذا جلة الكلام في المقام الاول (والمقام الثاني) أنه رجع إلى اولاده وتكلم معهم على سبيل اللطف وهو قوله يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه واعلم أنه عليه السلام لما طمع في وجدان يوسف بناء على الامارات المذكورة قال ابنيه تحسبوا من يوسف والحسب طلب الشيء بالحاسه وهو شبهه بالسمع والبصر قال أبو بكر الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقيل ههنا من يوسف لانه أعلم من مقام عن قال ويجوز أن يقال من لبعض والمعنى تحسبوا خبراً من أخبار يوسف واستعلوا بعض أخبار يوسف فذكرت كلمة من لما فيها من الدلالة على التبعض وقرئ تحسبوا بالجيم كقريء بهما في الحجرات ثم قال ولا تبذروا من روح الله قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن إليه وتركيب الزاء والواو والحاء فيبد الحركة والاهتراز فكلماً يهتز الانسان له ويلتذ بوجوده فهو روح وقال ابن عباس لا تبذروا من روح الله يريد من رحمة الله وعن قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله وهذه الالفاظ متقاربة وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمة ثم قال انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء ويحمده في الرخاء واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان أن الاله غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر فاذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت ان اليأس لا يحصل الا ان كان كافراً والله أعلم وقد بقي من مباحث هذه الآية

كنيسة فأخذت ثالا صغيراً من ذهب كانوا يبدونه فدفعته (فأسر ها يوسف) أي اكن الحرازة الحاصلة مما قالوا (في نفسه) لأنه أسرها بعض أصحابه كافي قوله تعالى وأسرت لهم اسراراً (ولم يبد لها لهم) لا قولاً ولا فعلاً صمغاً عنهم وحلما هو تأكيد لما سبق (قال) أي في نفسه وهو استئناف معني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كأنه قيل لماذا

قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقل قال (أنتم شر مكانا) أي منزلة حيث سرقتم احاكم من ايكم ثم طلقتم تفترور على البري وقيل بدل من أسرها والضحية للمقالة المفسرة بقوله أنتم شر مكانا (والله أعلم بما تصفون) أي عالم علما بالغا إلى أقصى المراتب بأن الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منابل انما هو افتراء علينا فالصفة لمجرد المبالغة لا لتفضيل عليه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم (قالوا) عندما شاهدوا ﴿ ١٣٦ ﴾ مخايل أخذ بنيامين مستعطفين

(يا أيها العزيز ان له ابا) لم يريدوا بذلك الاخبار بأن له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما أرادوا الاخبار بان له ابا (شيخا كبيرا) في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علاقة به تعلل عن شقيقه الهالك (فخذنا حدنا مكانه) فلما سنا عنده عزله من المحبة والشفقة (انما نراك من المحسنين) البينا قائم احسانك بهذه النعمة أو المنعوتين بالاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله) أي نعوذ بالله معاذ من (أن نأخذ) فنحن الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافا إلى المفعول به بعد حذف الجار (الامن) وجدنا متاعنا عنده) لان أخذ ناله انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها واثار صبغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك إلى سنن الملوك أو لاشعار بان

سؤالات (السؤال الاول) ان بلوغ يعقوب في حب يوسف الى هذا الحد العظيم لا يليق الا بمن كان غافلا عن الله فان من عرف الله أحبه ومن أحب الله لم يتفرغ قلبه لشيء سوى الله تعالى وأيضا القلب الواحد لا يتسع للحب المستغرق لشئين فلما كان قلبه مستغرقا في حب ولده امتنع أن يقال انه كان مستغرقا في حب الله تعالى (والسؤال الثاني) ان عند استيلاء الحزن الشديد عليه كان من الواجب عليه أن يشغل بذكر الله تعالى وبالتفويض اليه والتسليم لقضائه واما قوله بأنسى على يوسف فذلك لا يليق باهل الدين والعلم فضلا عن أكابر الانبياء (السؤال الثالث) لاشك أن يعقوب كان من أكابر الانبياء وكان أبوه وحده وعمه كلهم من أكابر الانبياء المشهورين في جهم الدنيا ومن كان كذلك ثم وقعت له واقعة هائلة صعبة في أعز أولاده عليه لم يبق تلك الواقعة خفية بل لا بد وأن تبلغ في الشهرة الى حيث يعرفها كل أحد لاسيما وقد انقضت المدة الطويلة فيها وبقي يعقوب على حزنه الشديد وأسفه العظيم وكان يوسف في مصر وكان يعقوب في بعض بلاد الشام قريبا من مصر فمقرب المسافة يمتنع بقاء مثل هذه الواقعة مخفية (السؤال الرابع) لم لم يبحث يوسف عليه السلام أحدا الى يعقوب وبعلم أنه في الحياة وفي السلامة ولا يقال انه كان يخاف اخوته لانه بعد ان صار ملكا فاهرا كان يمكنه ارسال الرسول اليه واخوته ما كانوا يقدرين على دفع الرسول (والسؤال الخامس) كيف جاز ليوسف عليه السلام أن يضع الصاع في وعاء أخيه ثم يستخرجه منه ويلصق به تهمة السرقة مع انه كان يرثا عنها (السؤال السادس) كيف رغب في الصاع هذه التهمة به وفي حبسه عند نفسه مع انه كان يعلم أنه برزاد حزن أيه ويقوى (والجواب عن الاول) ان مثل هذه المحنة الشديدة تزيل عن القلب كل ما سواه من الخواطر ثم ان صاحب هذه المحنة الشديدة يكون كثير الرجوع الى الله تعالى كثيرا لا يشغال بالدعاء والنصرع فيصير ذلك سببا للكمال الاستغراق (وعن الثاني) أن الدواعي الانسانية لا تزول في الحياة العاجلة فتارة كان يقول بأنسى على يوسف وتارة كان يقول فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأما بقية الأسئلة فالتقاضى أجاب عنها بجواب كلي حسن فقال هذه الوقائع التي نقلت البينا أمان يمكن تخريجها على الاحوال المعتادة أو لا يمكن فان كان الاول فلا إشكال وان الثاني فنقول كان ذلك الزمان زمان الانبياء عليهم السلام وخرق العادة في هذا الزمان غير مستبعد فلم يمتنع أن يقال ان بلدة يعقوب عليه السلام مع انها كانت قرية من بلدة يوسف عليه السلام ولكن لم يصل خبر أحدهما الى الآخر على سبيل نقض العادة بقوله تعالى (فنادوا عليه قالوا انما اياها العز يزمننا وأهلنا الضرع وجناب ضاعة من جنانا فوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال هل علمتم ما علمت يوسف وأخيه اذا تم جاهلون قالوا أنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من بنى وبصر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) اعلم أن المفسر بنى اتفقوا على ان ههنا محذوفا

الاخذوا واعطاه ليس مما يستبد به بل هو منوطا براه اولي الحل والعقد واثار من وجدنا متاعنا عنده ﴿ والتقدير ﴾ دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدنا لاصواع في الرحل على محمل غير السرقة (انا اذا) أي اذا أخذنا خسرنا وجدنا متاعنا عنده ولو رضاه (الضالون)

مذهبكم وما لذلك وهذا المعنى هو الذي أرشد بالكلام في أثناء الحوار وله معنى باطن هو أن الله عز وجل إنما أمرني بالوحى
تأخذ بنيامين لصالح علمها الله في ذلك فلما أخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحى (فلما استقيثا سوامنه) أى يئسوا
بن يوسف واجابته لهم أشد بأسا بدلالة صيغة الاستفعال وإنما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عودته
لله مما طابوه الدال على كون ذلك عنده ﴿ ٢٣٧ ﴾ في أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب أن يحتز عنه ويعاذ

منه بالله عز وجل ومن
تسميته ظلما بقوله انا
إذا الظالمون (خلصوا)
اعتزلوا وانفردوا عن
الناس (نجيا) أى ذوى
نجوى على أن يكون بمعنى
التجوى والتساجى
أو فوجا نجينا على أن
يكون بمعنى المنساجى
كالشعر والسمير بمعنى
المعاشرو والمسامرو منه
قوله تعالى وقر بئنا نجيا
ويجوز أن يقال هم نجى
كما يقال هم صديق لانه
بزنة المصادر من الزفير
والزئير (قال كبيرهم)
فى السن وهو رويل
أو فى العقل وهو يهوذا
أو رئيسهم وهم شعرون
(الم تعلموا) كأنهم أجمعوا
عند التساجى على الانقلاب
جلة ولم يرض به فقال
منكرا عليهم ألم تعلموا
(ان أباكم قد أخذ عليكم
موثقا من الله) عهدا
يؤتى به وهو خلفهم
بأنه تعالى وكونه من الله
لاذنه فيه وكون الخلف
باسمه الكريم (ومن قبل)
أى ومن قبل هذا

والقدير ان يعقوب لما قال لبنيه اذهبوا فتحسنوا من يوسف وأخيه قبلوا من أبيهم هذه
الوصية فعدوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فقالوا له يا أيها العزيز فان قيل
إذا كان يعسوب أمرهم أن يتحسبوا أمر يوسف وأخيه فلما ذاعدوا الى الشكوى
وطلبوا إيفاء الكيل قلنا لأن المتحسبين يتوسلون الى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف
بالجز وضييق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب ففعلوا نجر به فى
ذكر هذه الأمور فان رق قلبه لئلا ذكر ناله المقصود والاستكشاف لهذا السبب قدموا ذكر
هذه الواقعة وقالوا يا أيها العزيز ووالعزيز هو الملك انقاد المنيع مسنا وأهنا الضر وهو
الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم وجثا ببضاعة مزجاة
وفيه أبحاث (البحث الاول) معنى الأجزاء فى اللغة الدفع قليلا قليلا ومثله الترجية يقال
الريح تزجى السحاب قال الله تعالى ألم تر أن الله يزجى سحابا وزجيت فلانا بالقبول
دافعته وفلان يزجى العيش أى يدفع الزمان بالحيلة (والبحث الثانى) انما وصفوا تلك
البضاعة بانها مزجاة امالة فصانها أولادها بها أولهما جميعا والمفسرون ذكروا كل هذه
الاقسام قال الحسن البضاعة المزجاة القليلة وقال آخرون انها كانت رديئة واختلفوا
فى تلك الزدادة فقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت دراهم رديئة لاتقبل فى ثمن الطعام
وقيل خلق الفرارة والحبل وأتمعة رثة وقيل متاع الأعراب الصوف والسمن وقيل الحبة
الخضراء وقيل الاقط وقيل النعال والادم وقيل سويق الفل وقيل صوف العز وقيل ان
دراهم مصر كانت تنش فيها صورة يوسف والدراهم التى جاؤا بها ما كان فيها صورة
يوسف فما كانت مقبولة عند الناس (البحث الثالث) فى بيان أنه لم يسميت البضاعة
القليلة الرديئة مزجاة وفيه وجوه (الاول) قال الزجاج هى من قولهم فلان يزجى العيش
أى يدفع الزمان بالليل والمعنى اناجثنا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان وليست مما يتنفع
به وعلى هذا الوجه فالقدير ببضاعة مزجاة بها الايام (الثانى) قال أبو عبيد انما قيل
للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن يتفقهها قال وهى من
الأجزاء والأجزاء عند العرب السوق والدفع (الثالث) ببضاعة مزجاة أى مؤخرة
مدفوعة عن الاتفاق لا ينفق مثلها الا من اضطر واحتاج اليها لفقد غيرها ما هو أجود
منها (الرابع) قال الكلبي مزجاة لغة العجم وقيل هى من لغة القبط قال أبو بكر الانبارى
لا ينبغي أن يجعل لفظ عربى معروف الاشتقاق والتصرف منسوب الى القبط (البحث
الرابع) قرأ حمزة والكسائى مزجاة بالامالة لأن أصله الياء والباقون بالنصب والتفخيم
واعلم أن حاصل الكلام فى كون البضاعة مزجاة امالقتها أولادها بها أو لجمعها ما ولما
وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم بانها مزجاة قالوا له فاوف لنا الكيل والمراد ان
يسألهم اما بان يقيم الناقص مقام الزائد أو يقيم الردى مقام الجيد ثم قالوا وتصدق
علينا والمراد المساحة بما بين الثمين وأن يسعر لهم بالردى كما يسعر بالجيد واختلف الناس

ما فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه ولم تحفظوا عهد أبيكم وقد قلتم واناله لنا صحتون واناله لحافظون وما من يدة
ومصدرية وبحال المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا أى ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتقر بطمكم السابق
شأن يوسف عليه السلام ولا ضير فى الفصل بين العاطف والمطوف بالظرف وقد جوز

النصب عطفًا على اسم أن والخبر في يوسف آمن قبل على معنى الم تعلموا أن تقر بطمكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام وأن تقر بطمكم الكائن أو كائن في شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه أن مقتضى المقام أنما هو الأخبار بوقوع ذلك التفر يط لا يكون تفر بطمهم السابق واقعا في شأن يوسف كاهو مفاد الاول ولا يكون تفر بطمهم الكائن في شأنه واقعا من قبل كاهو مفاد الثاني على أن الظرف المقطوع عن الاضافة * ٢٣٨ * لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حا

عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة أو موصوفة ومحلهما النصب أو الرفع والحس هو النصب عطفًا على مفعول تعلموا أى ما فرطتموه بمعنى قدمنوه في حقه من الجبانة وأما النصب عطفًا على اسم أن أو الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله (فلن أرح الأرض) منفرع على ما ذكره وذكره إياهم من ميثاق أبيه وقوله تأتني به إلا أن يحاط بكم أى فلن أفرق أرض مصر جريا على قضية الميثاق (حتى يأذن لي أبى) في البراج بالانصراف اليه وكان أيمانهم كانت مضودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب عليه السلام (أو يحكم الله لي) بالخروج منها على وجه لا يؤدى إلى نقض الميثاق أو بخلاص أخى بسبب من الأسباب

في أنه هل كان ذلك طلبا منهم للصدقة فقال سفيان بن عيينة إن الصدقة كانت حلالا للانباء قبل محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وعلى هذا التقدير كأنهم طلبوا القدر الزائد على سبيل الصدقة وأنكر الباقر ذلك وقالوا حال الانبياء وحال أولاد الانبياء يتأق طلب الصدقة لأنهم يأغون من الخضوع للخلق وقيل عليهم الانقطاع الى الله تعالى والاستعانة به عن سواء وروى عن الحسن ومجاهد أنهما كرها أن يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق على قائلنا لأن الله لا يتصدق إنما يتصدق الذى يتبغى الثواب وإنما يقول اللهم أعطني أو تفضل فعلى هذا التصديق هو اعطاء الصدقة والمتصدق المعطى وأجاز الليث أن يقال للسائل متصدق وأباه الاكثرون وروى أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر ونضرعوا اليه اغرورقت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وقيل دفعوا اليه كتاب يعقوب فيه من يعقوب اسراييل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزير مصر اما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى نشدت يدا ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فيجاء الله وجهه لها برادوسا ما عليه واما أبى فوضع السكين على فقهه ليقتل فقدها الله واما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بمحبسه ملصقا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من البكاء عليه ثم كان لى ابن وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه قد سرق وانك حبسته عندك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلدسارفا فان رددته على والادعوت عليك دعوة تترك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب لم يمالك وعيل صبره وعرفهم أنه يوسف ثم حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في هذا المقام أنه قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه قيل انه لما قرأ كتاب أبيه يعقوب ارتعدت مفاسله وافتشرجلده ولان قلبه وكثر بكاءه وصرح بأنه يوسف وقيل انه لما رأى اخوته نضرعوا اليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلته الحيلة أدركته الرقة فصرح حينئذ بأنه يوسف وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف استفهام يفيد تعظيم الواقعة وهناه ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أفجع ما أقدمتم عليه وهو كما يقال للذنب هل تدرى من عصيت وهل تعرف من خالفت واعلم أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى وأوحينا اليه لتبينهم بأمره هذا وهم لا يشعرون وأما قوله وأخيه فالمراد ما فعلوه به من تعريضه للغم بسبب افراده عن أخيه لا يبه وأمه وإضا كانوا يؤذونه ومن جلة أقسام ذلك الإيذاء قالوا في حقه ان يسرق فقد سرق أخله من قبل وأما قوله إذا تم جاهلون فهو يجرى مجرى العذر كأنه قال أتم انما أقدمتم على ذلك الفعل الفيعج المنكر حال ما كنتم في جهالة العضا أوفى جهالة الغرور يعنى والان لستم كذلك ونظيره ما يقال في تفسير قوله تعالى ما عرك برك الكريم قيل انما ذكر تعالى هنا الوصف المعين ليكون ذلك جاريا مجرى الجواب وهو أن يقول العبد يارب غرقى كرمك فكندا ههنا انما ذكرتك الكلام ازالة للجهالة

روى أنهم كلوا العزير في اطلاقه فقال روييل أيها الملك لتردن اليه الخانا ولا يصحح صحة لاتبى بمصر * عنهم * حامل الاثقت وأدها وقفت كل شجرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا الايطاقون خلااته اذا مس من غضب واحد منهم سكت غضبه فقال يوسف لانه قد الى جنبه نفسه نفسه فقال روييل من هذا ان في هذا

بل قد زامن نذر يعقوب (وهو خير الحالكين) اذ لا يحكم الابالحق والعدل (ارجعوا) انتم (الى ابيكم) فقولوا يا ابا نانا
 (نكسرق) على ظاهر الحال وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه (الاباعلنا) وشاهدنا ان الصواع
 ستخرج من وعائه (وما كننا للغب) اى باطن الحال (حافظين) فنادى أن حقيقة الامر كما شاهدنا ثم بخلافه أو وما كنا
 لآين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق ﴿ ٢٣٩ ﴾ أو انا نال في هذا الامر وانك تصاب به كما أصبت يوسف

(واسأل القرية التي
 كنا فيها) اى مصر
 أو قرية بقرها حقهم
 المتأدى عندها أى أرسل
 الى اهلهما واسألهم
 عن القصة معروفة فيما
 بينهم وكانوا قوم من
 كنعان من جيران يعقوب
 عليه السلام وقيل من
 صنعاء (وانا لصادقون)
 تأكيد في محل القسم
 (قال) أى يعقوب عليه
 السلام وهو استئناف
 مبنى على سؤال نشأ
 سبق فكأنه قول فاذا
 كان عند قول المتوقف
 لآخوته ما قال قبل قال
 يعقوب عند ما رجعوا
 اليه فقالوا له ما قالوا وانما
 حذف للايدان بأن
 مسارعته الى قبوله
 ورجوعهم به الى أيهم
 أمر مسلم غنى عن البيان
 وانما المحتاج اليه جواب
 أيهم (بل سولت) أى
 زينت وسهلت وهو
 اضراب لاعن صريح
 كلامهم فانهم صادقون
 في ذلك بل عما يتضمنه

عنهم وتخفيف الامر عليهم ثم ان آخوته قالوا أنك لانت يوسف قال أنا يوسف قرأ ابن كثير
 بك على لفظ الخبر وقرأ نافع أينك لانت يوسف بفتح الالف غير مدودة وبالياء أبو عمرو وأينك
 بعد الالف وهو رواية قالون عن نافع والباقيون أينك بفتح الالف غير مدودة وبالياء أبو عمرو وأينك
 وقرأ أبى أو أنت يوسف فحصل من هذه القراءات ان من القراء من قرأ بالاستفهام
 ومنهم من قرأ بالخبر أما الاولون فقالوا ان يوسف لما قال لهم هل علمتم وتبسم فابصروا
 ثنياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهه يوسف فقالوا له استفهاما أينك لانت يوسف وبدل
 على صحة الاستفهام أنه قال أنا يوسف وانما أجابهم عما استفهموا عنه وأما من قرأ على
 الخبر فحجته ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع
 التاج عن رأسه وكان في فرقه علامة وكان يعقوب واسحق مثلها شبه الشامة فلما رفع
 التاج عرفوه بتلك العلامة فقالوا أنك لانت يوسف ويجوز أن يكون ابن كثير اراد
 الاستفهام ثم حذف حرف الاستفهام وقوله قال أنا يوسف فيه بحثان (البحث الاول)
 اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (البحث الثانى) انه انما صرح
 بالاسم تعظيما لما نزل به من ظم آخوته وما عوضه الله من الظفر والنصر فكانه قال أنا الذى
 ظلمتمونى على أعظم الوجوه والله تعالى أوصلنى الى أعظم المناصب انا ذلك العاجز الذى
 قصدتم قتله والقائه فى البئر ثم صرت كآرون ولهذا قال وهذا أخى مع انهم كانوا يعرفونه
 لان مقصوده أن يقول وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت ثم انه صار معنما عليه من قبل
 الله تعالى كآرون وقوله قد من الله علينا قال ابن عباس رضى الله عنهما بكل عرفى الدنيا
 والآخرة وقال آخرون بالجمع بيننا بعد التفرقة وقوله انه من يتق ويصبر معناه من يتق
 معاصى الله ويصبر على أذى الناس فان الله لا يضيع أجر المحسنين والمعنى انه من يتق
 ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين وفيه
 مسئلتان (المسئلة الاولى) اعلم أن يوسف عليه السلام وصف نفسه فى هذا المقام
 الشريف بكونه متقيا واول أنه أقدم على ما يقوله الحشوية فى حق زليخا كان هذا القول
 كذبا منه وذكر الكذب فى مثل هذا المقام الذى يؤمن فيه الكافرون يتوب فيه العاصى
 يليق بالعقلاء (المسئلة الثانية) قال الواحد روى عن ابن كثير فى طريق قبل انه من
 يتق بآيات الباء فى الحالين ووجهه أن يجعل من بمنزلة الذى فلا يوجب الجزم ويجوز على
 هذا الوجه أن يكون قوله ويصبر فى موضع الرفع الا أنه حذف الرفع طلبا للتخفيف كما
 يخفف فى عضد وشمع والباقيون يحذف الباء فى الحالين ﴿ قوله تعالى (قالوا تالله لند
 أترك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم
 الراحمين اذهبوا بقمصى هذا فاقوه على وجه أبى بات بصبرا وتوفى باهلكم أجمعين)
 اعلم أن يوسف عليه السلام لما ذكر لآخوته ان الله تعالى من عليه وان من يتق المعاصى
 ويصبر على أذى الناس فانه لا يضيعه الله صدقوه فيه واعتزوا قول الله بالفضل والمنزلة قالوا تالله

من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر عنهم ما يؤدى الى ذلك من قول أو فعل كأنه قبل لم يكن
 الامر كذلك بل زينت (لكم أنفسكم أمرا) من الامور فآتينوه يريد بذلك قتيامهم بأخذ السارق بسرقة (فصبر
 جيل) أى فامرى صبر جيل أو فصبر جيل أجل (عسى الله أن يأتيهم بهم جميعا) يوسف وأخيه والمتوقف بمصر

ورجته فأرجوان يرحى وياطف بي ولا يحب رجائي أو أعلم وحياءا والها من جهنم ما لا يعلمون من حياة يوسف
 رأى ملك الموت في المنام فساله هوجى وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه يسخر له أبواه وأخوه
 سمحا (يا بني اذهبوا فاحبسوا) اى تعرفوا وهو ٢٤٢ ﴿ تفعل من الحس وقرى بالجيم من الجس وهو الطم

اى تطلبوا (من يوسف
 وأخيه) اى من خبرهما
 ولم يذكر الثالث لان
 غيبته اختيارية لا يعسر
 ازالها (ولا تأسوا من
 روح الله) لا تفتطوا من
 فرجه وتنفسه وقرى
 بضم الراء اى من رحته
 التى يحى بها العباد
 وهذا ارشاد لهم الى
 بعض ما أبهم فى قوله
 وأعلم من الله ما لا تعلمون
 ثم حذرهم عن ترك
 العمل بموجب نبيه
 بقوله (انه لا يأس من
 روح الله الا القوم
 الكافرون) لعدم علمهم
 بالله تعالى وصفاته فان
 العارف لا يفتنى حال
 من الاحوال (فلما دخلوا
 عليه) اى على يوسف
 بعد ما رجعوا الى مصر
 بموجب أمر أبيهم وانما
 لم يذكر ذلك ايدانا
 بمسارعتهم الى ما أمروا
 به واشعارا بأن ذلك
 أمر محقق لا يفتقر الى
 الذكرو البيان (قالوا
 يا ايها العزيز) اى الملك
 القادر المتع (مستا

واذا كان متعبا فصدره الفصل قال المفسرون لما خرجت العبر من مصر متوجهة الى
 كنعان قال يعقوب عليه السلام لمن حضر عنده من أهله وقرابته وولد وولده انى لاجدر
 يوسف لولأن تفتدون ولم يكن هذا القول مع أولاده لانهم كانوا غائبين بدليل انه صلى
 السلام قال لهم اذهبوا فاحبسوا من يوسف وأخيه واختلفوا فى قدر المسافة فقيل
 مسيرة ثمانية أيام وقيل عشرة أيام وقيل ثمانون فرسها واختلفوا فى كيفية وصول تلك
 الراحة اليه فقال مجاهدت ربح فصفت القميص ففاحت روائح الجنة فى الدنيا
 وانصلت يعقوب فوجد ربح الجنة فعلم عليه السلام انه ليس فى الدنيا من ربح الجنة
 الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لاجدر ربح يوسف وروى الواحدى باسناده
 عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أما قوله اذهبوا فقميصى هذا
 فافقه على وجه أبى بات بصيرا فان نمرود الجبار لما ألقى ابراهيم فى النار نزل عليه جبريل
 عليه السلام بقميص من الجنة وطفقة من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على
 الطنفسة وقدم معه يحدته فكسا ابراهيم عليه السلام ذلك القميص استحق وكساه
 استحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله فى قصبة من فضة وعلقها فى عنقه فألقى
 فى الجب والقميص فى عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصى هذا والتحقيق أن يقال انه تعالى
 أوصل تلك الراحة اليه على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الراحة اليه من هذه
 المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة فيكون معجزة ولا بد من كونها معجزة لاحد هبة
 والاقر ان يعقوب عليه السلام حين أخبر عنه ونسبه فى هذا الكلام الى ما لا ينبى
 فظهر أن الأمر كما ذكر فكان معجزة له قال أهل المعانى ان الله تعالى أوصل به ربح
 يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة الحنة ومجيء وقت الروح والفرح من المكان
 البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة ثمانين
 سنة وذلك يدل على ان كل سهل فهو فى زمان الحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال
 سهل ومعنى لاجدر ربح يوسف أشم وعبر عنه بالوجود لانه وجد ان له بحاسة الشم وقوله
 لولأن تفتدون قال أبو بكر بن الانبارى أفتد الرجل اذا حزن وتغير عقله وفقد اذا جهل
 ونسب ذلك اليه وعن الاصمعى اذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو المفتد قال صاحب
 الكشف يقال شيخ مفتد ولا يقال عجوز مفتد لانها لم تكن فى شببتها ذات رأى حتى
 تفتد فى كبرها فقوله لولأن تفتدون اى لولأن تنسبونى الى الخرف ولما ذكر يعقوب
 ذلك قال الحاضرون عنده تالله انك لنى ضلالك القديم وفى الضلال ههنا وجوه (الاول)
 قال مقاتل يعنى بالضلال ههنا الشقاء يعنى شقاء الدنيا والمعنى انك لنى شقائك القديم
 بما تكابد من الاحزان على يوسف واجتنب مقاتل بقوله انا اذن لنى ضلال وسر يعنون
 لنى شقاء دنيانا وقال قتادة لنى ضلالك القديم اى لنى حيك القديم لانتشاء ولا تذهل عنه
 وهو كقولهم ان أبا نالى ضلال مبين ثم قال قتادة قد قالوا غلظة ولم يكن يجوز أن

وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا بضاعه من جاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة ﴿ يقولوها ﴾
 عنها واحتقارها لها من أزجته اذا دفعته وطردته والريح ترمى السحاب قبل كانت بضا عنهم من متاع الاعراب
 صوفًا وسمنًا وقيل الصنوبر وحبسة الخطراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لانوخذ
 الابوضعة وانما قدموا ذلك

يكون دريغ في الدنيا من همهم في الشقة والرافة وحرر من سلسله المرحوم هانا (أوفى تاليل)
 أي أنعم لنا (ونصدق علينا) رداً علينا البناقاله الضحك وإن جريح وهو الأنسب بحالهم نظراً إلى أمر أبيهم أو بالأعفاء
 أو بالمساحة وقبول المرحمة أو بالزيادة على ما يساورها تفضلاً وانما سموه تصدقاً تواضعاً أو أرادوا التصديق فوق
 ما عطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة ﴿ ٢٤٣ ﴾ الصدقة بنينا عليه الصلاة والسلام وانما يريدوا بما

أمر وابه استجلاً بالرافة
 والشفقة ليعشوا
 بما قدموا من رقة الحال
 رقة القلب والخوف على
 أن ماساقوه كلام
 ذو وجهين فإن قولهم
 ونصدق علينا (إن الله
 يجرى التصديقين)
 يحتمل الحمل على المحملين
 فاعله عليه السلام حله
 على المحمل الأول ولذلك
 (قال) مجيباً عما عرضوا به
 وضنوه كلامهم من
 طلب رداً عليهم (هل
 علم ما فعلتم يوسف
 وأخيه) وكان الظاهر
 أن يتعرض لما فعلوا بأخيه
 فقط وانما تعرض لما
 فعلوا يوسف لا شراكم
 في وقوع الفعل عليهما
 فإن المراد بذلك أفرادهم
 له عن يوسف وأذلاله
 بذلك حتى كان لا يستطيع
 أن يكلمهم إلا بجزو ذلة
 أي هل يتم عن ذلك بعد
 علمكم بجهنم فهو سؤال
 عن المألوم والمراد لازمه
 (إذا أنتم جاهلون)
 يتجه فلذلك أقدمتم
 على ذلك أو جاهلون

يقولوا لنبي الله وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات وقد كان
 يعقوب في وعوده يذكره ذاهبا عن الرشد والصواب وقوله فلما أن جاء البشير في أن قولان
 (الأول) أنه لا موضع لها من الأعراب وقد تذكر تارة كإيهنا وقد تحذف كقوله
 فلما ذهب عن إبراهيم الروح والمذهبان جميعا موجودان في أشعار العرب (والثاني)
 قال البصريون هي مع مافي موضع رفع بالفعل المضمر تقديره فلما ظهر أن جاء البشير أي
 ظهر مجيئ البشير فاضمر الرفع قال جمهور المفسرين البشير هو يودا قال أنا ذهبت
 بالقميص الملوخ بالدم وقلت إن يوسف أكله الذئب فذهب اليوم بالقميص فافرحه
 كما أحزنه قوله أنفاه على وجهه أي طرح البشير القميص على وجهه يعقوب أو يقال أنفاه
 يعقوب على وجهه نفسه فارتد بصيرا أي رجع بصيرا ومعنى الارتداد انقلاب الشيء إلى
 حاله قد كان عليها وقوله فارتد بصيرا أي صبره الله بصيرا كما يقال طالت التحلة والله تعالى
 أطالها واختلوا فيه فقال بعضهم أنه كان قد عصى بالكلية فأنه تعالى جعله بصيرا في هذا
 الوقت وقال آخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء وكثرة الأحران فلما ألقوا
 القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت
 أحزانه فعند ذلك قوى بصره وزال نقصان عنه فعند هذا قال ألم أقل لكم أني أعلم من الله
 ما لا تعلمون والمراد علمه بحياة يوسف من جهة الرؤيا لأن هذا المعنى هو الذي له تعلقي
 بما تقدم وهو إشارة إلى ما تقدم من قوله انما أشكوبني وحزني إلى الله وأعلم من الله
 ما لا تعلمون روى أنه سأل البشير وقال كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما صنع بالملك
 على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت التهمة ثم إن أولاد يعقوب
 أخذوا يعتذرون إليه وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم
 ربى انه هو الغفور الرحيم وظاهر الكلام أنه لم يستغفرهم في الحال بل وعدهم بأنه
 يستغفر لهم بعد ذلك واختلفوا في سبب هذا المعنى على وجوه (الأول) قال ابن عباس
 رضى الله عنهما والاكترون أراد أن يستغفر لهم في وقت السحر لأن هذا الوقت
 أوفق الأوقات لرجاء الاجابة (الثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية أخرى
 أخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لانها أوفق الأوقات الاجابة (الثالث) أراد أن يعرف أنهم
 هل تابوا في الحقيقة أم لا وهل حصلت توبتهم مقرونة بالاخلاص التام أم لا (الرابع)
 استغفر لهم في الحال وقوله سأستغفر لكم مغنا أي أداوم على هذا الاستغفار في الزمان
 المستقبل فقد روى انه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقبل قام
 إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يده إلى السماء وقال اللهم اغفر لي جرمي على
 يوسف وقلة صبري عليه واغفر لولادي ما فعلوه في حق يوسف عليه السلام فأوحى الله
 تعالى إليه قد غفرت لك ولهم أجمعين وروى أن أبناء يعقوب عليه السلام قالوا ليعقوب
 وقد غلبهم الخوف والبكاء ما نغني عنا إن لم يغفر لنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام

عاقبه وانما قاله نصحاً لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى هجرهم وتمسكهم لامعابته وتثبلا ويجوز أن يكون
 هذا الكلام منه عليه السلام منقطعاً عن كلامهم وتنبهها لهم على ما هو حقهم ووظيفة منهم من الاعراض عن جميع المطالب
 والتحصن في طلب بنيامين يل يجوز أن يغفر عليه السلام بطريق الوحي أو الإلهام

على وصية أبيه وأرساله إناهم للخمسة منه ومن أخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قل وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذبح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عز زمصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشددت يداه ورجلاه فرمى به في النار فجاء الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما أما أبي فوضع السكين على قفاه ليقبل ففداه الله تعالى وأما أنا فكان ﴿ ٢٤٤ ﴾ لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به

أخوته إلى البرية ثم أتوني
بقميصه ملطحا بالدم
فقالوا قد أكله الذئب
فذهبت عيناى من بكائى
عليه ثم كان لي ابن وكان
أخاه من أمه وكنت
أتسلى به فذهبوا به ثم
رجعوا وقالوا أنه سرق
وانك حبسته وانا أهل
بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فان رددته على
والادعوت عليك دعوة
تذكرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرأتم تلك
وعيل صبره فقال لهم
ما قل وقيل لما قرأه بكى
وكتب الجواب اصبر
كاصبر واتظفر كما ظفروا
(قالوا أنتك لانت يوسف)
استغفهم تفر يرو لذلك
أكدوه بان واللام قالوه
استغرابا وتعجبا وقرئ
انك بالايجاب قيل عرفوه
بروانه وشماله حين كلمهم
به وقيل تبسم فعرفوه
بنياه وقيل رفم التاج
عن رأسه فأواعلامه
بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها وقرئ

يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى قل صبرهم فظنوا أنها
الهلكة فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى أجاب دعوتك في ولدك وعقد
موافقهم بعدك على النبوة وقد اختلفت الناس في نبوتهم وهو مشهور * قوله تعالى
(فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع أبويه
على العرش وخروا له سجدا وقال يا بئرا ما رأيت من قوم لا يخافون الله) وقد جعلها ربى حقا
وقد أحسن بي اذا خرجني من السجن وجاء بكم من البدون بعد أن نزع الشيطان بيني
وبين اخوتي ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم اعلم أنه روى أن يوسف عليه
السلام وجهه إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بن معه وخرج يوسف عليه السلام
والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم تلقوا يعقوب عليه
السلام وهو يمشى يتوكأ على يهودا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون
مصر قال لا هذا ولدك يوسف فذهب يوسف ييدا بالسلام فخرج من ذلك فقال يعقوب عليه
السلام السلام عليك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع
وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ أما قوله آوى اليه أبويه ففيه بحثان (البحث
الاول) في المراد بقوله أبويه قولان (الاول) المراد أبوه وأمه وعلى هذا القول فقيل ان
أمه كانت باقية حية إلى ذلك الوقت وقيل انها كانت قد ماتت الآن الله تعالى أحياها
وأشهرها من قبرها حتى سجدت له تحقيقا لرؤيا يوسف عليه السلام (والقول الثاني) أن
المراد أبوه وخاتنه لان أمه ماتت في النفاس بأخيه بنيامين وقيل بنيامين باعبرانية
ابن الوجع ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخاتنه فسمها الله تعالى بأحد الابوين لان الرابة
تدعى أما لقيامها مقام الام أولان الخاتنة أم كما ان العم أب ومنه قوله تعالى
واله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحق (البحث الثاني) آوى اليه أبويه ضمهما اليه
واعتقهما فان قيل ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلنا كأنه حين استقبلهم
نزل بهم في بيت هناك أو خيمة فدخلوا عليه وضم اليه أبويه وقال لهم ادخلوا مصر أما قوله
ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ففيه أبحاث (البحث الاول) قال السدى انه قال هذا
القول قبل دخولهم مصر لانه كان قد استقبلهم وهذا هو الذي قررناه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما المراد بقوله ادخلوا مصر أى أقيموا بها آمين سمي الإقامة دخولا لا قتران
أحدهما بالآخر (البحث الثاني) الاستثناء وهو قول ان شاء الله فيه قولان (الاول)
انه عائد إلى الامن لآلى الدخول والمعنى ادخلوا مصر آمين ان شاء الله ونظيره قوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين وقيل انه عائد إلى الدخول على القول الذى
ذكرناه انه قال لهم هذا الكلام قبل ان دخلوا مصر (البحث الثالث) معنى قوله آمين
بمعنى على أنفسكم وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحدا وكانوا فيما سلف يخافون ملوك

أنتك وأنت يوسف على معنى أنتك يوسف وأنت يوسف فحذف الاول للدلالة الثاني عليه وفيه زيادة ﴿ مصر ﴾
استغراب (قال أنا يوسف) جوابا عن مستأثمهم وقد زاد عليه قوله (وهذا أخى) أى من أبوي، مسالفة في
تعريف نفسه وتقجيما لشأن أخيه وتكلمة لما أفاده قوله ها، علمت ما فعلت

يوسف وأخيه حسبا يقبده قوله (قدم الله علينا) فكانه قال هل علمتم ما علمتم بنامن التفریق والاذلال فانا يوسف وهذا أخى قدم الله علينا بالخلاص غما بتليانابه والاجتماع بعد الفقرة والعزة بعد الذل والانس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم رد بنيامين بأنه أخى لأخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليل بقوله (انه من يتق) أى يفعل ﴿ ٢٤٥ ﴾ التقوى في جميع أحواله أو يق نفسه غما يوجب سحق الله تعالى

وعذابه (ويصبر) على المحن أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصي التي تستلذها النفس (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجزهم وانما وضع المظهر موضع المخبر تنبيها على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان (قالوا تالله لقد آتاك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعمات الجليلة (وان كنا) وان الشأن كنا (لخاطئين) لمنعدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا وفيه اشعار بالنوبة والاستغفار ولذلك (قال لا تريب) أى لا تآنب ولا تأنب (عليكم) وهو تفصيل من التريب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما أن التجليد ازالة الجلد والتفريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرِب مثلا

مصر وقيل آمنين من القحط والشدّة والفاقة وقيل آمنين من أن يضربهم يوسف بالجرم السالف أما قوله ورفع أبويه على العرش قال أهل اللغة العرش السرير الرفيع قال تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذي كان يجلس عليه يوسف وأما قوله وخرّوا له سجدا ففيه اشكال وذلك لان يعقوب عليه السلام كان أبيا يوسف وحق الابوة عظيم قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا انا وبوالوالدين احسانا فقرن حق الوالدين بحق نفسه وايضا انه كان شيخا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ (والثالث) انه كان من أكابر الانبياء ويوسف وان كان نبيا الآن يعقوب كان أعلى حاله منه (والرابع) ان جد يعقوب واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جد يوسف ولما اجتمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبلغ يوسف في خدمة يعقوب فكيف استبحر يوسف أن يسجد له يعقوب هذا تقرر بالسؤال (والجواب) عنه من وجوه (الاول) وهو قول ابن عباس في رواية عطاء ان المراد بهذه الآية انهم خروا له أى لاجل وجد انه سجد الله تعالى وحاصل الكلام ان ذلك السجود كان سجودا للشكر فله سجود له هو الله الا ان ذلك السجود انما كان لاجله والدليل على صحة هذا التأويل ان قوله ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا مشعر بأنهم سعدوا بذلك السرير ثم سجدوا له ولو انهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير لان ذلك أدخل في التواضع فان قالوا فهذا التأويل لا يطابق قوله بأبى هذا تأويل روي من قبل والمراد منه قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قلنا بل هذا مطابق ويكون المراد من قوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين لاجلى أى انها سجدت لله لطلب مصلحة وللسمي في اعلاء منصبى واذا كان هذا محتملا سقط السؤال وعندي ان هذا التأويل متعين لانه لا يستبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بان يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكما لا نوبة (والوجه الثاني) في الجواب أن يقال انهم جعلوا يوسف كالقبة وسجدوا لله شكرا للنعمة وجدانه وهذا التأويل حسن فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان شعرا

ما كنت أعرف أن الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال فلان صلى للقبة وكذلك يجوز أن يقال سجد للقبة وقوله وخرّوا له سجدا أى جعلوه كالقبة ثم سجدوا لله شكر النعمة وجد انه (الوجه الثالث) في الجواب قد يسمى التواضع سجودا كقوله * ترى الاكم فيها سجدا للجوافر * وكان المراد ههنا التواضع الآن هذا مشكل لانه تعالى قال وخرّوا له سجدا والخرور الى السجدة مشعر بالاتباع بالسجدة على أكمل الوجوه وأجيب عنه بان الخرور قد يعنى به المرور فقط قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا يعنى لم يمرروا (الوجه الرابع) في الجواب

للتقريب الذى يذهب بماء الوجوه وقوله عز وجل (اليوم) منصوب بالتريب أو بالمقدّر خبر الاى لآثر بكم أو لا تريب مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة له فاطمكم بسائر الايام أو بقوله (يقفر الله لكم) لانه حينئذ يصفح عن جريرتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من النوبة (وهو أرحم الراحمين) يقفر الصفاير والكبائر

شرط المغفرة وبعضه انه روى عنه انه استعمل الصلوة قائما يدعو وقام يوسف خلعة يومئذ وقاموا جميعا اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في
ولدك وعقدوا ايديهم بعدك على النبوة فان صح ثبتت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبح الاستثناء وقيل المراد
الاستمرار على الدعاء فقد روى انه كان يستغفر كل * ٢٤٨ * ليلة جمعة في ثياب وعشرين سنة وقيل اقام الى الصلوة

في وقت السحر فلما فرغ
رفع يديه فقال اللهم
اغفر لي جزئي على
يوسف وقلة صبري عنه
واغفر لولدي ما أتوا
الى اخيهم فاوحى الله اليه
ان الله قد غفر لك ولهم
أجمعين (فلما دخلوا
على يوسف) روى انه
وجه يوسف الى ابيه
جهازا وما ثنى راحلة
ليخبره اليه بمن معه
فاستقبله يوسف والملك
في أربعة آلاف من الجن
والعظماء وأهل مصر
بأجمعهم فلقوا يعقوب
عليه الصلاة والسلام
وهو يشي متوكئا على
يهودا فنظر الى الخليل
والناس فقال يا هؤلاء
فرعون مصر قال لا بل
ولذلك فلما لقيه قال عليه
الصلوة والسلام السلام
عليك يا مذهب الاحزان
وقيل قال له يوسف
يا أبت بكيت على حسني
ذهب بصرك ألم تعلم أن
القيامة تجتمعنا فقال بلى
ولكني خشيت أن يسلب

بكم من البدو وهذا صريح في أن فعل العبد بعينه فعل الله تعالى وحل هذا على ان المراد
ان ذلك انما حصل باقدار الله تعالى وتيسيره عدول عن الظاهر ثم قال من بعد أن نزغ
الشیطان بني وبين اخوتي وقال صاحب الكشاف نزغ أفسد بيننا وأغوى وأصله من
نزغ الراكض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نحسه واعلم ان الجبائي
والكبي والقاضي احتجوا بهذه الآية على بطلان الخبر قالوا لانه تعالى أخبر عن يوسف
عليه السلام أنه أضاف الاحسان الى الله وأضاف التزغ الى الشيطان ولو كان ذلك
أيضا من الرحمن لوجب أن لا ينسب الا اليه كما في النعم (الجواب) ان اضافة هذا الفعل
الى الشيطان مجاز لان عندكم الشيطان لا يتمكن من الكلام الخفي وقد أخبر الله عند
فقال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فثبت أن ظاهر القرآن
يقضي اضافة هذا الفعل الى الشيطان مع انه ليس كذلك وأيضا فان كان اقدام المرء على
العصية بسبب الشيطان فاقدم الشيطان على العصية ان كان بسبب شيطان آخر
لزم التسلسل وهو محال وان لم يكن بسبب شيطان آخر فليقل مثله في حق الانسان فثبت
ان اقدام المرء على الجهل والفسق ليس بسبب الشيطان وليس أيضا بسبب نفسه لان
أحد الايميل طبعه الى اختيار الجهل والفسق الذي يوجب وقوعه في ذم الدنيا وعقاب
الآخرة ولما كان وقوعه في الكفر والفسق لا بد له من موقف وقد بطل القسمان لم يبق
الا أن يقال ذلك من الله تعالى ثم الذي يؤكده ذلك أن الآية المتقدمة على هذه الآية
وهي قوله اذ أخرجنى من السجين وجاء بك من البدو صريح في أن الكل من الله تعالى
ثم قال ان ربي لطيف لما يشاء والمعنى أن حصول الاجتماع بين يوسف وبين ابيه واخوته
مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال كان في غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى
لطيف فاذا أراد حصول شيء سهل أسياه به فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول ثم قال
انه هو العليم الحكيم أعني ان كونه لطيفا في أفعاله انما كان لاجل انه عليم بجميع
الاعتبارات الممكنة التي لانهاية لها فيكون عالما باوجه الذي يسهل تحصيل ذلك
الصعب وحكيم اي محكم في فعله حاكم في قضائه حكيم في أفعاله مبرأ عن العيب والباطل
والله أعلم * قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني ما تأويل الاحاديث فاطر السموات
والارض أنت وای في الدنيا والآخرة توفي مسلما والحقني بالصالحين) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) روى أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب وطاف به في خرائنه فادخله
خزائن الذهب والفضة وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح فلما دخله خزائن
القراطيس قال يا بني ما أغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مر احل قال
نهاني جبريل عليه السلام عنه قال سله عن السبب قال أنت أبسط اليه فساله فقال جبريل
عليه السلام أمرني الله بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلاخفتني وروى أن
يعقوب عليه السلام أقام معه أربعين سنة ولما قربت وفاته أوصى اليه أن يدفنه

ذلك في بحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل * بالشام
وأمرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي
وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (أوى اليه أبويه) اي أباه وخالته وتزبيلها منزلة الام كنز زيل العم منزلة الاب

في قوله عز وجل وآله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحق أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه وقال الحسن وابن اسحق كانت أمه في الحياة فلا حاجة إلى التأويل ﴿ ٢٤٩ ﴾ ومعنى آدمي إليه ضمهما إليه واعتقتهما وكأنه

عليه الصلاة والسلام
ضرب في الملتقى مضرباً
فنزله فدخلوا عليه
فآواهما إليه (وقال
ادخلوا مصران شاء
الله آمنين) من الشدائد
والمكاره قاطبة والمشيئة
متعله بالدخول على الأمن
(ورفع أبويه) عند
نزولهم بمصر (على
العرش) على السرير تكريماً
لهمافوق ما فعله لآخوته
(وخرأله) أي أبواه
واخوته (سجدوا) تحية له
فانه كان السجود عندهم
جائزاً يجرى التحية
والتكريم كالقيام
والمصافحة وتقبيل اليد
ونحوها من عادات الناس
الفاحشة في التعظيم
والتوقير وقيل ما كان
ذلك إلا انحناء دون تعظيم
الجباه وبأباه الخرو ووقيل
خرو الإجلاله سجد الله
شكراً ويرده قوله تعالى
(وقال يا أبت هذا نأويل
رؤياي) التي رأيتها
وقصصتها عليك (من
قبل) في زمن الصبا
(قد جعلها ربى حقاً)
صدقا واقعاً بعبئنه
والاعتذار بجعل يوسف

بأنشام إلى جنب أبيه اسحق فضى بنفسه ودفعه ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً
وعشرين سنة فعند ذلك تمت ملك الآخرة فتمنى الموت وقيل ماتناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيباً طاهر افتخاصم أهل مصر في دفعته كل أحد يحب أن يدفن في محلاتهم حتى
هموا بالقتال فرأوا أن الأصلح أن يعملوا له صندوقاً من مرمر ويحمله فيه ويدفونه
في النيل بمكان يرماء عليه ثم يصل إلى مصر لتصل بركته إلى كل أحد وولد له افرائيم
وميشاو ولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم دفن يوسف هناك إلى أن بعث الله
موسى فأخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر أبيه (المسئلة الثانية) من في قوله
من الملك ومن تأويل الاحاديث للتبعض لانه لم يوث الا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك
مصر وبعض التأويل قال الأصم انما قال من الملك لانه كان دون ملك فوقه واعلم أن
مراتب الموجودات ثلاثة الموتر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي
لا يوتر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض
المتضادة فلا يكون لها تأثير في شيء أصلاً وهذا القسمان متباعداً جدواً يتوسطهما
قسم ثالث وهو الذي يوتر ويتأثر وهو عالم الارواح فخاصية جوهر الارواح أنها ثقيل
الاثر والتصرف عن عالم نور جلال الله ثم انها اذا أقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه
وأثرت فيه فتعلق الروح بعالم الاجسام بالتصرف والتدبير فيه وتعلقه بعالم الالهيات
بالعلم والمعرفة وقوله فدايتني من الملك اشارة إلى تعلق النفس بعالم الاجسام وقوله
وعلتني من تأويل الاحاديث اشارة إلى تعلقها بحضرة جلال الله ولما كان لانهاية
لدرجات هذين النوعين في الكمال والقصان والقوة والضعف والجلاء والخفاء امتنع
أن يحصل منهما الانسان الامتداد متناه فكان الحاصل في الحقيقة بعضاً من أبعاض
الملك وبعضاً من أبعاض العلم فهذا السبب ذكر فيه كلمة من لانها دالة على التبعض
ثم قال فاطر السموات والارض وفيه أبحاث (البحث الاول) في تفسير لفظ الفاطر
بحسب اللغة قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري معنى الفاطر حتى احتكم
إلى اعرابيان في بيت فقال أحدهما أنا فطرتهما وأنا ابتدأت حفرها قال أهل اللغة أصل
الفطر في اللغة الشق يقال فطر ناب البعير اذا بدا وفطرت الشيء فانفطر أي شققه فانشق
وتفطر الارض بالنبات والشجر بالورق اذا تصدعت هذا أصله في اللغة ثم صار عبارة
عن الإيجاد لان ذلك الشيء حال عدمه كأنه في ظلمة وخفاء فلما دخل في الوجود صار
كأنه انشق عن العدم وخرج ذلك الشيء منه (البحث الثاني) أن لفظ الفاطر قديظن أنه
عبارة عن تكوين الشيء عن العدم المحض بدليل الاشتقاق الذي ذكرناه إلا أن الحق أنه
لا يدل عليه ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه قال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم بين
تعالى أنه انما خلقها من الدخان حيث قال ثم استوى إلى السماء وهي دخان فدل على أن
لفظ الفاطر لا يفيد أنه أحدث ذلك الشيء من العدم المحض (وثانيها) انه تعالى قال فطرة

بمزة القبله وجعل اللام كافي قوله ﴿ ٣٢ ﴾ خا * أليس أول من صلى قبلكم * تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع
على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذي لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فاعل تأخيره عنه ليصل به ذكر
كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به من قوله

(وقد احسن بي) المشهور استعمال الاحسان بالي وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله عز اسمه وبألو الذين احسانا وقبل هذا بتضعين لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذنه قوله تعالى ﴿ ٢٥٠ ﴾ ان ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أى

لطف بي بحسنالى غير هذا الاحسان (اذأخرجنى من السجن) بعدما اقبلت به ولم يصرح بقصة الحب حذارا من تثرير اخوته لان الظاهر حضورهم اوقع الكلام عقيب خروجهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى (وجاء بكم من البدو) أى البادية (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) أى أفسد بيننا بالاغواء وأصله من نخس الرأى الدابة وجلها على الجرى يقال نزع ونسعه اذا نخسه ولقد باع عليه الصلاة والسلام في الاحسان حيث أسند ذلك الى الشيطان (ان ربى لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لاجلله رفيق حتى يحبى على وجه الحكمة وانصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل (انه هو العليم) بوجوه المصالح (الحكيم) الذى يفعل كل شئ على قضية الحكمة روى أن يوسف أخذ يديه يوقب عليهما

الله الذى فطر الناس عليهم انه تعالى انما خلق الناس من التراب قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (وثالثها) أن الشئ انما يكون حاصله عند حصول مادته وصورته مثل الكوز فانه انما يكون موجودا اذا صارت المادة المخصوصة موصوفة بالصفة المخصوصة فعند عدم الصورة ما كان ذلك المجموع موجودا وبإيجاد تلك الصورة صار موجودا ذلك الكوز فلما ان كونه موجودا للكوز لا يقتضى كونه موجودا المادة الكوز فثبت ان لفظ الفاطر لا يفيد كونه تعالى موجودا للاجزاء التى منها تركبت السموات والارض وانما صار الينا كونه تعالى موجودا لها بحسب الدلائل العقلية لا بحسب لفظ القرآن واعلم أن قوله فاطر السموات والارض بوجه أن تخلق السموات مقدم على تخلق الارض عندما يقول الواو تفيد الترتيب ثم العقل يؤكده أيضا وذلك لان تعين المحيط بوجه تعين المركز أما حصول المركز وعينه فانه لا يوجب تعين المحيط لانه يمكن أن يحيط بالمركز الواحد محيطات لانها بالامكان أن يحصل للمحيط الواحد المركز واحد بعينه وأيضا اللفظ يفيد ان السماء كثيرة والارض واحدة ووجه الحكمة فيه قد ذكرناه في قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض (البحث الثالث) قال الزجاج نصبه من وجهين (أحدهما) على الصفة لقوله رب وهنداء مضاف في موضع انصب (والثاني) يجوز أن ينصب على نداء فان ثم قال أنت ولى في الدنيا والآخرة والمعنى أنت الذى تتولى اصلاح جميع مهماتى في الدنيا والآخرة فوصل الملك الفانى بالملك الباقى وهذا يدل على ان الايمان والطاعة كلده من الله تعالى اذ لو كان ذلك من العبد لكان المتولى نصالحه هو هو وحيتئذ يخل عموم قوله أنت ولى في الدنيا والآخرة ثم قال توفنى مسلما وأخفى بالصالحين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام حكى عن جبريل عليه السلام عن رب العزة أنه قال من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فلهذا المعنى من أراد الدعاء فلا بد أن يقدم عليه ذكر الله على الله فهو هنا يوسف عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه التناء وهو قوله رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض ثم ذكر عقيب الدعاء وهو قوله توفنى مسلما وأخفى بالصالحين ونظيره ما فعله الخليل صلوات الله عليه في قوله الذى خلقني فهو يهدين فمن هنا الى قوله رب هب لي حكما شاء على الله ثم قوله رب هب لي آخر الكلام دعاء فكذلكها هنا (المسئلة الثانية) اختلفوا في ان قوله توفنى مسلما هل هو طلب منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأل ربه المحقوق به ولم يمتن نبى قط الموت قبله وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء يريد اذ توفيتنى فتوفنى على دين الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة واعلم ان اللفظ صالح الامرين ولا يبعد في الرجل العاقل اذا اكل عقله أن يتنى الموت ويعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان كمال النفس

الصلاة والسلام قطاف به في خزانته فأدخله في خزان الورق والذهب وخزان الحلى وخزان * الانسانية * الثياب وخزان السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزان القراطيس قال باني ما عقلت عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانى مراحل قال امرنى جبريل قال أو ما تسأله

قال أنت أبسط اليه متى قال جبريل الله تعالى أمرني بذلك لقولك أخاف أن ياكله الذئب قال فهل أختفى وروى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعين يوماً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب

أبيه استحق فحضر بنفسه

ودفنه ثم عاد إلى مصر

وعاش بعد أبيه ثلاثاً

وعشرين سنة فلما تم

أمره وعلم أنه لا يدوم له

تاقت نفسه إلى الملك

الدائم الخالد فمضى الموت

فقال (رب قد آتيتني من

الملك) أي أعضائه عظيماً

وهو ملك مصر (وعلمني

من تأويل الأحاديث)

أي بعضاً من ذلك كذلك

أن أريد بتعليم تأويل

الأحاديث تفهيم غوامض

أسرار الكتب الأنبيائية

ودقائق سنن الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

فالترييب ظاهر وأمان

أريد به تعليم تعبير الروايات

كأهو الظاهر بلعل تقديم

إتياء الملك عليه في الذكر

لأنه بمقام تعداد النعم

الفائضة عليه من الله

سبحانه والملك أعرق

في كونه نعمته من التعليم

المذكور وإن كان ذلك

أيضاً نعمته جليلة في نفسه

ولا يمكن تشبيه هذا

الاعتذار فيعاقب لأن

التعليم هناك وارد على

نهج العلة العائبة للممكنين

فإن حل علم معنى التليد

الإنسانية على ما بيناه في أن يكون علماً بالالهييات وفي أن يكون ملكاً ومالكا متصرفاً في الجسمانيات وذكرنا أن مراتب التفاوت في هذين النوعين غير متناهية والكمال المطلق فيهما ليس إلا الله وكل ما دون ذلك فهو ناقص والناقص إذا حصل له شعور بتقصائه وذاق لذة الكمال المطلق بقي في القلق والمطلب وإذا كان الكمال المطلق ليس إلا الله وما كان حصوله للإنسان متمتعاً لم يبق في القلق أبداً في قلق المطلب وألم التعب فإذا عرف الإنسان هذه الحالة عرف أنه لا سبيل له إلى دفع هذا التعب عن النفس إلا بالمولود حينئذ يتخلى الموت (والسبب الثاني) لتخلى الموت أن الخطباء والبلغاء وإن أطبوا في مدامة الدنيا إلا أن حاصل كلامهم يرجع إلى أمور ثلاثة (أحدها) أن هذه السعادات سريرة الزوال مشرقة على القساء والألم الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجودها (وثانيها) أن الأراذل من الخلق يشاركون الأفاضل فيها بل ربما كان حصص الأراذل أعظم بكثير من حصص الأفاضل فهذه الجهات الثلاثة منفردة عن هذه اللذات ولم يعرف العاقل أنه لا سبيل إلى تحصيل هذه اللذات إلا مع هذه الجهات الثلاثة المنفردة لا جرم يتخلى الموت ليتخلص عن هذه الآفات (والسبب الثالث) وهو الأقوى عند المحققين رحمة الله أجبعين أن هذه اللذات الجسمانية لا حقيقة لها وإنما حاصلها دفع الآلام فلهذا الأكل عبارة عن دفع ألم الجوع ولذة الوقاع عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب الدغدغة المتولدة من حصول المتى في أوعية المتى ولذة الامارة والرئاسة عبارة عن دفع الألم الحاصل بسبب شهوة الانتقام وطلب الرئاسة وإذا كان حاصل هذه اللذات ليس إلا دفع الألم لا جرم صارت عند اعتلاء حقيقة خسيصة نازلة ناقصة وحينئذ يتخلى الإنسان الموت ليتخلص عن الاحتياج إلى هذه الأحوال الخسيسة (والسبب الرابع) أن مداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة أنواع لذة الأكل ولذة الوقاع ولذة الرئاسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أمالذة الأكل فقيها عيوب (أحدها) أن هذه اللذات ليست قوية فإن الشعور بالألم القوي الشديد والعياذ بالله منه أشد من الشعور باللذة الحاصلة عند أكل الطعام (وثانيها) أن هذه اللذة لا يمكن بقاؤها فإن الإنسان إذا أكل شبع وإذا شبع لم يبق شوقه للانتذاذ بالأكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية (وثالثها) أنها في نفسها خسيصة فإن الأكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبراق المجتمع في الفم ولا شك أنه شيء منفر مستفقد ثم لا يصل إلى المعدة تظهر فيه الاستحالة إلى الفساد والتلف والعفونة وذلك أيضاً منفر (ورابعها) أن جميع الحيوانات الخسيسة مشاركة فيها فإن الروث في مذاق الجعل كاللوز في مذاق الإنسان وكان الإنسان يكره تناول غذاء الجعل فكذلك الجعل يكره تناول غذاء الإنسان وأما اللذة المشتركة فيما بين الناس (وخامسها) أن الأكل إنما يطيب عند اشتداد الجوع وتلك حاجة شديدة والحاجة نفس وافر (وسادسها) أن الأكل يستحق عند

لزم تأخره عنه وأما الواقع ههنا فجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود

(فاطر السموات والأرض) مبدعهما وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادي أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد

وصفه بالربوبية بمبالغة في ترتيب مبادئ ما يتبعه من قوله (أنت وإلي) مالك أمور

(في الدنيا والآخرة) أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذا قد اعتمدت على نعمة الدنيا (توفي) أقبضني (مسلما والحقني بالصالحين) من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة ﴿ ٢٥٢ ﴾ فانما تتم النعمة بذلك قبل المداخلة فإياه الله

عز وجل طيبا طاهرا
فتخاضع أهل مصر
في دفته وتشاؤوا في ذلك
حتى هموا بالقتال فأروا
أن يصنعوا له تابوتا من
مصر فجعلوه فيه ودفعوه
في النيل ليمر عليه ثم يصل
إلى مصر ليكونوا شرعا
واحدا في التبرك به ووالده
إبراهيم وميثا ولا فرأى
نولون يوشع فتى موسى
عليه الصلاة والسلام
ولقد توارثت القرعنة
من العمالة بعده مصر
ولم يرزل بنو إسرائيل تحت
أيديهم على بقايا دين
يوسف وآبائه إلى أن بعث
الله تعالى موسى عليه
الصلاة والسلام (ذلك)
إشارة إلى ما سبق من نبأ
يوسف وما فيه من معنى
العباد من مرارا من
الدلالة على بعد منزلته
أو كونه بالانقضاء في حكم
البيد والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم وهو
مبتدأ خبره (من أنباء
الغيب) الذي لا يخوم
حواله أحد وقوله (نوحيد
الك) خبر به خبر أحوال
من الضمير في الخبر ويجوز
أن يكون ذلك اسما

العلاء قيل من كانت همته ما يدخل في بطنه فقيته ما يخرج من بطنه فهذا هو الإشارة
المختصرة في معاني الأكل وأمانته النكاح فكل ما ذكرناه في الأكل حاصل ههنا مع
أشياء أخرى وهي أن النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكثر الاشخاص فتكثر الحاجة
إلى المال فيحتاج الإنسان بسببها إلى الاحتياج في طلب المال بطرق لانهاية لها ور بما صار
هالكا بسبب طلب المال وأمانته الرياسة فيموجبها كثيرة والذي نذكره ههنا سبب واحد
وهو أن كل أحد يكره بالطبع أن يكون خادما مأمورا ويجب أن يكون مخدوما أمرا فإذا
سعى الإنسان في أن يصير رئيسا أمرا كان ذلك دالا على مخالفة كل ماسواه فكأنه
يتنازع كل الخلق في ذلك وهو يحاول تحصيل تلك الرياسة وجميع أهل الشرق والغرب
يحاولون إبطاله ودفعه ولأنك إن كثرة الأسباب توجب قوة حصول الأثر وإذا كان كذلك
كان حصول هذه الرياسة كالتعذر ونحصل فانه يكون على شرف الزوال في كل حين
وأوان بكل سبب من الأسباب وكان صاحبها عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال
وعند زوالها في الأسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال واعلم أن العاقل إذا
تأمل هذه المعاني علم قطعا أنه لا صلاح له في طلب هذه اللذات والسعي في هذه الخيرات
التيمة ثم إن النفس خلقت مجبولة على طلبها والعشق الشديد عليها والرغبة النائمة
في الوصول إليها وحينئذ نعتقد ههنا قياس وهو أن الإنسان مادام يكون في هذه الحياة
الجسمانية فانه يكون طالبا لهذه اللذات ومادام يطلبها كان في عين الآفات وفي لجة
الحسرات وهذا اللازم مكروه فلا نزوم أيضا مكروه فحينئذ ينبغي زوال هذه الحياة
الجسمانية والسبب في الأمور المرغوبة في الموت أن موجبات هذه اللذة الجسمانية
متكررة ولا يمكن الزيادة عليها والكرير يوجب الملالة أما مساعدات الآخرة فهي أنواع
كثيرة غير متناهية (قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله عليه) وهو مصنف هذا الكتاب
أنار الله برهانه أنا صاحب هذه الخاتمة والتوصل فيها وأوقعت الباب وبالغت في عيوب
هذه اللذات الجسمانية فربما كتبت المجلدات وما وصلت إلى القليل منها فلهذا السبب
صرت مواظبا في أكثر الأوقات على ذكر هذا الذي ذكره يوسف عليه السلام وهو قوله
رب قد أتيتني من الملك وعميتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي
في الدنيا والآخرة توفي مسلما والحقني بالصالحين (المسئلة الثالثة) تمسك أجمعنا في بيان
أن الإيمان من الله تعالى بقوله توفي مسلما وتقربه أن تحصيل الاسلام وابقائه إذا كان
من العبد كان طلبه من الله فاسدا وتقربه كأنه يقول افعل يا من لا يفعل والمعتزلة أبدا
يشنعون علينا ويقولون إذا كان الفعل من الله فكيف يجوز أن يقال للعبد افعل مع
أنك است فاعلاله فمن نقول ههنا أيضا إذا كان تحصيل الإيمان وابقاؤه من العبد لا من
الله تعالى فكيف يطلب ذلك من الله قال الجبائي والكبي معناه اطلب الماطف في
في الإقامة على الاسلام إلى أن أموت عليه فهذا الجواب ضئيف لأن السؤال وقع على

موصولا ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحية اليك (وما كنت لديهم) يريد اخوة ﴿ الاسلام ﴾
يوسف عليه الصلاة والسلام (إذا جعوا أمرهم) وهو جعلهم إياه في غيابة الجب (وهم يكفرون) به ويغفون له
العوائل حين تقف على ظواهر أسرارهم

سلي الله عليه وسلم فقيل له ذلك (وماتسألهم عليه) أي على الانبياء أو على القرآن (من اجر) من جعل كما يفعل
حجة الاخبار (ان هو الاذكر) عظمة من الله تعالى ﴿ ٢٥٤ ﴾ (للعالمين) كافة لأن ذلك مختص بهم (وكأن

من آية) أي كأي عدد
شئت من الآيات
والعلامات الدالة على
وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته وحكمته
غير هذه الآية التي جئت
بها (في السموات
والارض) أي كآنية
فيهما من الاجرام
الفلكية وما فيها من
الجموم وتغير أحوالها
ومن الجبال والبحار
وسائر ما في الارض من
العجائب الفاتنة للمحصر
(يأمرون عليها) أي
يشاهدونها ولا يعيرون
بها وقرى برفع الارض
على الابتداء ويبرون
خبير وقرى بصبها
على معنى ويطؤون الارض
يمرون عليها وفي مصحف
عبدالله والارض يشون
عليها والمراد ما يرون فيها
من آثار الامم الهالكة وغير
ذلك من الآيات والعبر
(وهم عنها معرضون)
غير ناظرين اليها
ولا متفكرين فيها
(وما يؤمن أكثرهم بالله)
في أفعالهم بوجوده
وخالقيته (الاهم
مشركون) بعبادتهم
غيره أو باتخاذهم الاخبار

من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التمتع واعتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه اذا ذكرها فر بما آمنوا فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية وكأنه إشارة
الى ما ذكره الله تعالى في قوله انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء قال أبو
بكر بن الانباري جواب لومخذوف لان جواب لولا يكون مقدها عليها فلا يجوز أن يقال
قت لوقت وقال القراء في المصادر يقال حرص يحرس حرصا ولغة أخرى شاذة حرص
يحرس حرصا ومعنى الحرص طلب الشيء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد وقوله و ماتسألهم
عليه من أجر معناه ظاهر وقوله ان هو الاذكر للعالمين أي هو تذكرة لهم في دلائل التوحيد
والعدل والنبوة والمعاد والقصص والتكليف والعبادات ومعناه أن هذا القرآن يشتمل
على هذه المنافع العظيمة ثم لا يتطلب منهم مالا ولا جعله لافلو كانوا عقالا قبلوا ولم يتردوا وقوله
تعالى وكأن من آية في السموات والارض يأمرون عليها وهم عنها معرضون يعني انه لا يجب
اذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك فان العالم مملوء من دلائل التوحيد والقدرة
والحكمة ثم انهم يأمرون عليها ولا يلتفتون اليها واعلم ان دلائل التوحيد والعلم والقدرة
والحكمة والرحمة لا بد وأن تكون من أمور محسوسة وهي اما الاجرام الفلكية واما
الاجرام العنصرية اما الاجرام الفلكية فهي قسمان اما الافلاك واما الكواكب اما
الافلاك فقد يستدل بمقاديرها المعينة على وجود الصانع وقد يستدل بكون بعضها فوق
البعض أو تحتها وقد يستدل بأحوال حركاتها ما بسبب ان حركاتها مسبوقة بالعلم فلا بد
من محرك قادر واما بسبب كيفية حركاتها في سرعتها وبطئها واما بسبب اختلاف
جهات تلك الحركات واما الاجرام الكوكبية فتارة يستدل على وجود الصانع بمقاديرها
واحيائها وحركاتها وتارة بالوانها واضوائها وتارة بتأثيراتها في حصول الاضواء
والاظلال والظلمات والنور واما الدلائل المأخوذة من الاجرام العنصرية فاما ان تكون
مأخوذة من بسائط وهي عجائب البر والبحر واما من المواليد وهي أقسام (أحدها)
الآثار العلوية كالزعد والبرق والسحاب والمطر والثلج والهواء وقوس قزح (وثانيها)
المعادن على اختلاف طبائعها وصفاتها وكيفياتها (وثالثها) النبات وخاصة الخشب
والورق والتمر واختصاص كل واحد منها بطبع خاص وطعم خاص وخاصة مخصوصة
(ورابعها) اختلاف أحوال الحيوانات في اشكالها وطبائعها وأصواتها وخلقتها
(وخامسها) تشريح أبدان الناس وتشريح القوى الانسانية وبيان المنفعة الحاصلة فيها
فهذه مجامع الدلائل ومن هذا الباب أيضا قصص الاولين وحكايات الاقدمين وان الملوك
الذين استولوا على الارض وخر بوالبلاد وقهروا العباد ماتوا ولم يبق منهم في الدنيا خير
ولأثرهم في الوزر والعقاب عليهم هذا ضبط أنواع هذه الدلائل والكتاب المحتوي على
شرح هذه الدلائل هو شرح جملة العالم الاعلى والعالم الاسفل والعقل البشري لا يفي
بالاحاطة به فللهذا السبب ذكره الله تعالى على سبيل الابهام قال صاحب الكشف قرئ

والرهبان اربابا أو بقولهم باتخاذهم تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿ والارض ﴾
أو بالنور والظلمة وهي جملة حالبة أي لا يؤمن أكثرهم الا في حال شركهم قبل نزول الآية في أهل مكة وقيل
في المنافقين وقيل في أهل الكتاب (فأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أي عقوبة

نفشاهم وتشعلهم (أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقية علامة (وهم لا يشعرون) بآياتها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلي) وهي الدعوة إلى التوحيد ﴿ ٢٥٥ ﴾ والایمان بالاخلاص وفسرها بقوله (أدعو إلى الله

على بصيرة) بيان وجهه واضحه غير عياء أو هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة (أنا) تأكيد للممكن في أدعوا وعلى بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبر على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (سبحان الله) وما أنا من المشركين مؤ كد لما سبق من الدعوة إلى الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) رد لقولهم لو شاء الله لازل ملائكة (نوحى إليهم) كما أوحينا إليك وقرئ بالياء (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحل وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقبوة (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بازل والآيات فيحذروا تكذيبك (ولدار الآخرة) أي الساعة أو الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصي (أفلا تعقلون) فتستعماوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت

والأرض بالرفع على انه مبتدأ ويرون عليها خبره وقرأ السدى والأرض بالنصب على تقدير أن يفسر قوله ويرون عليها بقولنا يطوفونها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها برفع الأرض اما قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فالمعنى انهم كانوا مترين بوجود الاله بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله الا انهم كانوا يشكون له شريكا في المعبودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقها وعنده أيضا انه قال نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب لانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعده أيضا ان اهل مكة قالوا لله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدا بل أشركوا وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاءنا عنده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده ولا شريك معه واحتجت الكرامية بهذه الآية على ان الايمان عبارة عن الاقرار بالاسان فقط لانه تعالى حكم بكونهم مؤمنين مع انهم مشركون وذلك يدل على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالاسان وجوابه معلوم اما قوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي عقوبة تغشاهم وتبسط عليهم وتغمرهم أو تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة وبغتة نصب على الحال يقال بغتهم الامر بغتا وبغتة اذا فاجأهم من حيث لم يتوقعوا وقوله وهم لا يشعرون كأننا كيد لقوله بغتة ﴿ قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وسبحان الله وما أنا من المشركين) قال المفسرون قل يا محمد انهم هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي ومنها جى وسمى الدين سبيلا لانه الطريق الذى يؤدى إلى الثواب ومثله قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك واعلم ان السبيل في أصل اللغة الطريق وشبههوا المعتقدات بها لما ان الانسان يمر عليها إلى الجنة ادعوا إلى الله على بصيرة وجهه وبرهان أنا ومن اتبعني إلى سبتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله لان كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دما بتقدار وسعه إلى الله وهذا يدل على ان الدعاء إلى الله تعالى انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو ان يكون على بصيرة بما يقول وعلى هدى وبقين فان لم يكن كذلك فهو محض الغرور وقال عليه الصلاة والسلام العلماء أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم اليه وقيل أيضا يجوز أن ينقطع الكلام عند قوله ادعوا إلى الله ثم ابتدأ وقال على بصيرة أنا ومن اتبعني وقوله وسبحان الله عطف على قوله هذه سبيلي أي قل هذه سبيلي وقول سبحان الله تزيها لله عما يشركون وما أنا من المشركين الذين اتخذوا مع الله ضدا وندا وكفوا واولدوا هذه الآية تدل على ان حرفة الكلام وعلم الاصول حرفة الانبياء عليهم السلام وان الله ما يشهم إلى الخلق الا لاجلها ﴿ قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار

قل (حتى اذا استأس الرسل) غاية لمحدوف دل عليه السياق أي لا يعرفهم تباديهم فيما فيه من الدعوة والرخاء فان من قبلهم قد أمهلوا حتى اس الرسل عن النصير عليهم في الدنيا وعن ايمانهم لانهم اكلهم في الكفر وتماديهم في الطغيان

من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) كذبهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب ﴿ ٢٥٦ ﴾ والعداوة من الكفار وانتظار النصر

من الله تعالى قد تطاولت وتبادت حتى استشعروا القسوط ونوهوا أن لا نصر لهم في الدنيا (جاءهم نصرنا) فجأة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وظنوا انهم قد اخلقوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلم يله أن أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحدث النفس وانما عبر عنه بالظن فهو بلا الخطب وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من أحد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم هم ومنزلة انهم في معرفة شؤن الله سبحانه من انهم وقبل الضمير ان المرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسول وقرئ بالتشديد أى ظن المرسل أنا القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على أن الضمير ين للرسول أى ظنوا أنهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا

الآخرة خير الذين اتقوا أفلا تعقلون اعلم انه قرأ حفص عن عاصم نوحى بالنون والباقون بالياء أفلا يعقلون قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورواية حفص عن عاصم تعقلون بالياء على الخطأ والباقون بالياء على الغائب واعلم ان من جملة شبه منكرى نبوته عليه الصلاة والسلام ان الله لو اراد ارسال رسول لبعث ملكا فقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم من أهل القرى فلما كان الكلى هكذا فكيف تعجبوا في حقك يا محمد والآية تدل على أن الله ما بعث رسولا الى الخلق من النسوان وأيضا لم يبعث رسولا من أهل البادية قال عليه الصلاة والسلام من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ثم قال أفلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة وقوله ولدار الآخرة خير والمعنى دار الحالة الآخرة لان الناس حائذين حال الدنيا وحال الآخرة ومثله قوله صلاة الاولى أى صلاة الفريضة الاولى وأما بيان ان الآخرة خير من الاولى فقد ذكرنا دلائله مرارا ﴿ قوله تعالى ﴾ حتى اذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اعلم انه قرأ عاصم وحزرة والكسائي كذبوا بالتخفيف وكسر الذان والباقون بالتشديد ومعنى التخفيف من وجهين (أحدهما) ان الظن واقع بالقوم أى حتى اذا استبأس الرسل من إيمان القوم فظن القوم ان الرسل كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر فان قيل لم يجر فيما سبق ذكر المرسل اليهم فكيف يحسن عود هذا الضمير اليهم قلنا ذكر المرسل يدل على المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم جرى في قوله أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير حائدا الى الذين من قبلهم من مكذبى الرسل والظن ههنا بمعنى النوهم والحسبان (والوجه الثانى) أن يكون المعنى ان الرسل ظنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا وهذا التأويل منقول عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا وانما كان الامر كذلك لاجل ضعف البشرية الا انه بعيد لان المؤمن لا يجوز أن يظن بالله الكذب بل يخرج بذلك عن الايمان فكيف يجوز مثله على الرسل وأما قراءة التشديد ففيها وجهان (الاول) أن الظن بمعنى اليقين أى وأيقنوا ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر منهم الايمان بعد ذلك فيمنع دعوا عليهم فهناك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال وورود الظن بمعنى العلم كثير في القرآن قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم أى يتيقنون ذلك (والثانى) أن يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير حتى اذا استبأس الرسل من ايمان قومهم فظن الرسل ان الذين آمنوا بهم كذبوهم وهذا التأويل منقول عن عائشة رضى الله عنها وهو احسن الوجوه المذكورة في الآية روى ان ابن أبي مليكة نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال وظن الرسل أنهم كذبوا لانهم كانوا بشرا لا ترى الى قوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فأنكرته وقالت ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا الا اوفى به انه سيفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا

أثرا أو على أن الاول لقومهم (فجى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فنجى على لفظ ﴿ من ﴾ المستقل بالتخفيف والتشديد وقرئ فجاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (اذ انزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة) (لقد كان في قصصهم) أى قصص

لا يبداء وأهمهم وينضره قراءة من قرأ بكسر ﴿ ٢٥٧ ﴾ القاف أو قصص يوسف واخوته (عبرة لاولى الالباب)

لذوي العقول المبرأ عن
شوائب أحكام الحس
(ما كان) أى القرآن
المدلول عليه بما سبق
دلالة واضحة (حديثاً
يفترى ولكن) كان
(تصديق الذى بين يديه)
من الكتب السماوية
وقرى بالرفع على أنه
خبر مبتدأ محذوف
أى ولكن هو تصديق
الذى بين يديه (وتفصيل
كل شئ) مما يحتاج اليه
فى الدين اذ ما من أمر دينى
الا وهو يستند الى القرآن
بالسنن أو بوسط
(وهدى) من الضلالة
(ورحمة) ينال بها خير
الدارين (اقوم يؤمنون)
أى يصدقونه لانهم
المتفعلون به وأما من
عداهم فلا يهتدون
بهدهاء ولا ينفعون
بجداه * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
علموا أرفاءكم سورة يوسف
فانه أياما سلم تلاحوا وعلماها
أهلدها وما ملكك يمينه
هون الله عليه سكرات
الموت وأعطاه القوة
أن لا يحسد مسلماً

من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم وهذا الرد والتأويل فى غاية الحسن من عائشة
وأما قوله جاءهم نصرنا أى لما بلغ الحال الى الحد المذكور جاءهم نصرنا فنجى من نساء قرأ
عاصم وابن عامر فنجى من نساء بنون واحدة وتشديد الجيم وقح الباء على الملم بسم فاعله
واختاره أبو عبيدة لانه فى المصحف بنون واحدة وروى عن الكسائى ادغام احدى
التونين فالأخرى وقرأ بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الباء قال بعضهم هذا خطأ
لان التون متحركة فلا تدغم فى الساكن ولا يجوز ادغام التون فى الجيم والباقون بنونين
وتخفيف الجيم وسكون الباء على الاستقبال على معنى ونحن نفعل بهم ذلك وأعلم ان هذا
حكاية حال الأثرى ان القصة فى الماضى وانما حكى فعل الحال كان قوله هذا من شيعته
وهذا من عدوه اشارة الى الحاضر والقصة ماضية * قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة
لاولى الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون) اعلم ان الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم الى الطرف
المجهول والمراد منه التأمل والتفكير ووجه الاعتبار بقصصهم أمور (الاول) ان الذى
قد رعى اعزاز يوسف بعد الفائه فى الحب واعلانه بعد حبسه فى السجن وتمليك مصر بعد
ان كانوا يظنون به انه عبد لهم وجمعه مع والديه واخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة
لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته (الثانى) ان الاخبار عنه جار مجرى
الاخبار عن الغيب فيكون معجزة دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الثالث) أنه
ذكر فى أول السورة نحن نقص عليك أحسن القصص ثم ذكر فى آخرها لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب تنبيهها على ان حسن هذه القصة انما كان بسبب انه يحصل منها العبرة
ومعرفة الحكمة والقدرة والمراد من قصصهم قصة يوسف عليه السلام واخوته وأبيه
ومن الناس من قال المراد قصص الرسل لانه تقدم فى القرآن ذكر قصص سائر الرسل الا ان
الاولى أن يكون المراد قصة يوسف عليه السلام فان قيل لم قال عبرة لاولى الالباب مع ان
قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ذوى عقول وأحلام وقد كان الكثير منهم لم يعتبر بذلك
قلنا ان جميعهم كانوا متمكنين من الاعتبار والمراد من وصف هذه القصة بكونها عبرة
كونها بحيث يمكن أن يعتبر بها العاقل أو نقول المراد من أولى الالباب الذين اعتبروا
وتفكروا وتأملوا فيها وانتفعوا بعبرتها لان أولى الالباب لفظ يدل على المدح والثناء فلا
يليق الالباء ذكرناه واعلم انه تعالى وصف هذه القصة بصفات (الصفة الاولى) كونها
عبرة لاولى الالباب وقد سبق تقريره (الصفة الثانية) قوله ما كان حديثاً يفترى وفيه قولان
(الاول) ان المراد الذى جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفترى لانه لم يقرأ
الكتب ولم يتلذذ لاحد ولم يخاطب العلماء فى الحال أن يفترى هذه القصة بحيث تكون مطابقة
لما ورد فى التوراة من غير تفاوت (والثانى) ان المراد انه ليس بكذب فى نفسه لانه لا يصح
الكذب منه ثم انه تعالى أكد كونه غير مفترى فقال ولكن تصديق الذى بين يديه وهو

* (سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين تقرأوا الآية وايها حسن واربعون) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر اسم للسورة ومخلة اما الرفع على ﴿ ٢٥٨ ﴾ انه خبر لبس المحذوف أى هذه السورة مسماة بهذا

اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة وسائر الكتب الالهية ونصب تصديقاً على تقدير ولكن كان تصديق الذي بين يديه كقوله تعالى ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله قاله الفراء والزجاج ثم قال ويجوز رفعه في قياس النحوي على معنى ولكن هو تصديق الذي بين يديه (والصفة الثالثة) قوله وتفصيل كل شئ وفيه قولان (الاول) المراد وتفصيل كل شئ من واقعة يوسف عليه السلام مع أيده واخوته (والثاني) انه تعالى الى كل القرآن كقوله ما فرطنا في الكتاب من شئ فان جعل هذا الوصف وصفا لكل القرآن أبقى من جعله وصفا لقصة يوسف وحدها ويكون المراد ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما اتصل بالدين قال الواحدي على التفسيرين جميعاً فهو من العام الذي أريد به الخاص كقوله ورحمتي وسعت كل شئ ير يد كل شئ يجوز أن يدخل فيها وقوله وأوتيت من كل شئ (الصفة الرابعة والخامسة) كونها هدى في الدنيا وسبباً لحصول الرحمة في القيامة تقوم بؤمنون خصهم بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا به كما قررناه في قوله هدى للمتقين والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة بحمد الله تعالى يوم الاربعاء السابع من شعبان ختم بالخبر والرضا سنة احدى وستمائة وقد كنت ضيق الصدر جداً بسبب وفاة الولد الصالح محمد تغمده الله بأرحمة والعفان وخصه بدرجات الفضل والاحسان وذكرت هذه الايات في مرثيته على سبيل الایجاز

فلو كانت الافكار مفقادة لنا * فدينك من حالك بالروح والجسم
واوكانت الاملاك ناخذ رشوة * خضعنا لها بالرق في الحكم والاسم
ولكنه حكم اذا حان حينه * سرى من مقر العرش في لجنة الهم
سابجى عليك العمر بالدم دائماً * ولم أعرف عن ذلك في الكيف والكلم
سلام على قبره فنت بقره * وأتحفك الرحمن بالكرم والجسم
وما صدني عن جعل جفني مدفناً * لجسمك الا انه أبداً بهمى
وأقسم ان مسوار فاني ورمي * احسب انار الحزن في مكمن العظم
حياتي وموتي واحده بعدكم * بل الموت أول من مداومة الغم
رضيت بما أمضى الاله بحكمه * لعلى بانى لا يتجاوزنى حكمى
وأنا أوصى من طالع كتابى واستفاد ما فيه من الفوائد النفيسة العالية أن يخص ولدى
ويخصنى بقرأة انفاحة ويدعو لمن قدمات في غربة بعيدا عن الاخوان والاب والام
بالرحمة والغفرة فاني كنت أيضاً كبير الدعا لمن فعل ذلك في حقى وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين والحمد لله رب العالمين

* (سورة الرعد اربعون وثلاث آيات مكية) *

سوى قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم باصنعوا قارعة وقوله ومن عنده علم

الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالاسم كما مر مراراً وقوله تعالى (تلك) على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الاول أشير به اليه ايذاناً بفخامته وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المراد مسروداً على نمط التعدي أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقدير قوله تعالى (آيات الكتاب) أى الكتاب العجيب الكامل الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيقية باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حينئذ حسب ما مر في مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن التعتوبه يظهر ما أريد من وصف الآيات بوصف ما أضيفت

اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك الثابتة من الكتاب الشهرة في الاتصاف بذلك الغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله في سورة يونس (والذى

أنزل اليك من ربك) أي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها (الحق) الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بأن يخص به الحقيقة لمرافقته فيها وليس * ٢٥٩ فيهِ ما يدل على أن ما عداه ليس بحق أصلا على أن حقيقته

مستنبعة لحقيقة سائر الكتب السماوية بكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمن عليه وفي التعبير عنه بالوصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشریف المنزل اليه والاعمال الى وجد بناء الخبر ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان حقيقة لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كاقيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار (الله الذي رفع السموات) أي خلقهن من رفعت على طريقة قولهم سبحان من كبر القيل وصغر البعوض لأنه رفعها بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض (غير

الكتاب قال الاصم هي مدينة بالاجماع سوى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال * (بسم الله الرحمن الرحيم) المراتك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم ان افا قد تكلمنا في هذه الالفاظ قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله اعلم وقال في رواية عطاء ان الله الملك الرحمن وقد أمالها أبو عمرو والكسائي وغيرهما وفتحها اجاعة منهم عاصم وقوله تلك اشارة الى آيات السورة المسماة بالمرحم قال انها آيات الكتاب وهذا الكتاب الذي أعطاه محمد ابان ينزله عليه ويجعله باقيا على وجه الدهر وقوله والذي أنزل اليك من ربك مبتدأ وقوله الحق خبره ومن الناس من تمسك بهذه الآية في نفى القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله والالكان من لم يحكم به كافر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وبالاجماع لا يكفر فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله واذا كان كذلك وجب ان لا يكون حقا لاجل ان قوله والذي أنزل اليك من ربك الحق يقتضي انه لاحق الاما أنزل الله فكل ما لم ينزله الله وجب أن لا يكون حقا واذا لم يكن حقا وجب أن يكون باطلا لقوله تعالى فإذا بعد الحق الا الضلال ومثبتوا القياس يجبون عنه بأن الحكم المثبت بالقياس نازل أيضا من عند الله لانه لما أمر بالعمل بالقياس كان الحكم الذي دل عليه القياس نازلا من عند الله ولما ذكر تعالى ان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان أكثر الناس لا يؤمنون به على سبيل الزجر والتهديد * قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم تلبقوا ربكم توفنون) اعلم انه تعالى لما ذكر ان أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبيه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد وهو هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز أن يكون الذي رفع السموات صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وقال الواحدى العمدة الاساطين وهو جمع عماد يقال عماد وعمد مثل اهاب وأهب وقال الفراء العمدة والعمد جمع العمود مثل أديم وأدم وأدم وقضيم وقضم وقضم والعماد والعمود ما يعمده الشئ ومنه يقال فلان عد قومه اذا كانوا يعتمدونه فيمابينهم (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى استدلل بأحوال السموات وبأحوال الشمس والقمر وبأحوال الارض وبأحوال النبات أما الاستدلال بأحوال السموات بغير عمد ترونها فالعنى ان هذه الاجسام العظيمة بقيت واقفة في الجوالعالى ويستحيل أن يكون بقاؤها هناك لاعيانها ولدواتها لوجهين الاول ان الاجسام متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز والثاني ان الخلاء لا نهاية له والاحياز المعترضة في ذلك الخلاء العسرف غير متناهية وهي بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصوله في

عمد) أي بغير عمد جمع عماد كاهاب وأهب وهو ما يعمده أي يسند يقال عمدت الحائط أي أديمته وقرئ عمد على جمع عود بمعنى عماد كرسل ورسول وباراد صيغة الجمع لجمع السموات لالان المنفى عن كل واحدة منها عمد لاعماد (ترونها) استئناف استشهده على ما ذكر من رفع

السموات بغير عمد وقيل صفة له مدحى بها اليها ما لان لها عمد غير مرتبة هي قدرة الله تعالى (ثم استوى) أى استوى (على العرش) بالحفظ والتدبير واستوى امره وعن أصحابنا ان الاستواء هو ٢٦٠ على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف

وأيا ما كان فليس المراد به
التصدي الى إيجاد العرش
وخلقه فلا حاجة الى
جعل كلمة ثم الترخي في
الرتبة (وسخر الشمس
والقمر) ذللهما وجعلهما
طائعين لما أريد منهما
من الحركات وسيرها
(كل) من الشمس والقمر
(يجرى) حسبما أريد
منهما (لأجل مسمى)
لمدة معينة فيها تم دورته
كالسنة للشمس والشهر
للقمر فان كلامهما يجري
كل يوم على مدار معين
من المدارات اليومية
أول مدة ينتهى فيها
حركاتهما ويخرج جميع
ما أريد منهما من القوة
الى الفعل أو الغاية يتم
عندها ذلك والجملة بيان
لحكم تسخيرهما (بدر)
بما صنع من الرفع
والاستواء والتسخير أى
يقضى ويقدر حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة
(الامر) أمر الخلق كله
وأمر ملكوته وروبوته
(يفصل الآيات) الدالة
على كمال قدرته وبالغ
حكمته أى أى جهاد فصلة
وهى ما ذكر من الأفعال

جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز بأسرها متشابهة فثبت ان حصول الاجرام الفلكية
فى احيازها وجهاتها ليس أمر او اجبا لذاته بل لابد من مخصص ومرجع ولا يجوز أن يقال
انها بقيت بسلسلة فوقها ولا عمد تحتها والاعاد الكلام فى ذلك الحافظ ولزم المرور الى
ما لا نهاية له وهو محال فثبت أن يقال الاجرام الفلكية فى احيازها العالية لاجل ان مدبر
العالم تعالى وتقدس أوقفها هناك فهذا برهان قاهر على وجود الاله القاهر القادر وبطل
أيضا على ان الاله ليس بجسم ولا يختص بحيز لانه لو كان حاصل فى حيز معين لامتنع
أن يكون حصوله فى ذلك الحيز لذاته ولعينه لما بيننا ان الاحياز بأسرها متساوية فيمتنع
ان يكون حصوله فى حيز معين لذاته فلا بد وأن يكون بتخصيص مخصص وكل ما حصل
بالفاعل المختار فهو محدث فاختصاصه بالحيز المعين محدث وذاته لا تنفك عن ذلك
الاختصاص وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث فثبت انه لو كان حاصل فى الحيز المعين
لكان حادثا وذلك محال فثبت انه تعالى متعال عن الحيز والجهة وأبضا كل ماساك فهو
سواء ولو كان تعالى موجودا فى جهة فوق جهة لكان من جملة السموات فدخل تحت
قوله الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فكل ما كان مختصا بجهة فوق جهة فهو
محتاج الى حفظ الاله بحكم هذه الآية فوجب أن يكون الاله منزها عن جهة فوق أو ما قوله
ترونها فقيه أقوال الاول أنه كلام مستأنف والمعنى رفع السموات بغير عمد ثم قال ترونها
أى وأتم ترونها أى مرفوعة بالاعاد الثانى قال الحسن فى تقرير الآية تقديم وتأخير
تقديره رفع السموات ترونها بغير عمد واعلم انه اذا أمكن حل الكلام على ظاهره كان
المصير الى التقديم والتأخير غير جائز والثالث أن قوله ترونها صفة للعمد والمعنى بغير عمد
مرئية أى لا سموات عمد ولكن لا تراها قافوا ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد
محيط بالدنيا ولا ترونها وهذا التأويل فى غاية السقوط لانه تعالى انما ذكر هذا
الكلام ليكون حجة على وجود الاله القادر ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة لانه
يقال ان السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأى دلالة لثبوتها على وجود الاله
وعندى فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو ان العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على ان هذه
الاجسام انما بقيت واقفة فى الجوال على بقدرة الله تعالى وحشده يكون عمدها هو قدرة
الله تعالى فتبين ان يقال انه رفع السماء بغير عمد ترونها أى لها عمد فى الحقيقة الآن تلك العمدة
هى قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه أياها فى الجوال العالى وأنهم لا يرون ذلك التدبير
ولا يعرفون كيفية ذلك الامساك * وأما قوله ثم استوى على العرش فاعلم انه ليس المراد
منه كونه مستقرا على العرش لان المقصود من هذه الآية ذكر ما يدل على وجود الصانع
ويجب أن يكون ذلك الشيء مشاهدا معلوما وان أحدا ما رأى انه تعالى استقر على العرش
فكيف يمكن الاستدلال به عليه وأيضا بتقدير أن يشاهد كونه مستقرا على العرش الآن
ذلك لا يشعر بكمال حاله وغاية جلاله بل يدل على احتياجه الى المكان والحيز وأبضا فهذا

العجبة وما يلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتعة للآثار الغريبة فى السفليات على * يدل *
موجب التدبير والتقدير فالجنتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تمة الاستواء واما
مفسر تان له أو الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمائر

الأطفال المذكورة وقوله كل يخرجني لأجل مسمى من تمة السخبر أو خبر أن عن قوله الله خبر بعد خبر والموصول صفة للبتدأ
يجي به الدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم * ٢٦١ * شأنه كافي قول الفرزدق * ان الذي سمك السماء نبي لنا * يتادعاه

أعز وأطول (لعلكم)
عند معالمتكم لها
وعشوركم على تقاصيلها
(يلقار بكم) بلاقته
الجزء (توقنون) فإن
من تدبرها حق التدبر
أيقن أن من قدر على
إبداع هذه الصنائع
البديعة على كل شيء
قدير وأن لهذه التدبيرات
المتينة عواقب وغايات
لا بد من وصولها وقد
بينت على أسنة الانبياء
عليهم السلام أن ذلك
ابتلاء المكلفين ثم
جزاؤهم حسب أعمالهم
فأذن لا بد من الإيقان
بالجزاء ولما قرر الشواهد
العلوية أردفها بذكر
الدلائل السقلية فقال
(وهو الذي مد الأرض)
أي بسطها طولا وعرضا
قال الاصم المدهو والبسط
إلى ما لا يدرك منتهاه
ففيه دلالة على بعد
مداها وسعة أقطارها
(وجعل فيها رواسي)
أي جبالا ثوابت في
أحيائها من الرسو وهو
ثبات الأجسام الثقيلة
ولم يذكر الموصوف
لاغناء غلبة الوصف

يدل على أنه ما كان بهذه الحالة ثم صار بهذه الحالة وذلك يوجب التغير وأيضا الاستواء
ضد الاعوجاج فظاهر الآية يدل على أنه كان معوجا مضطربا ثم صار مستويا وكل ذلك على
الله محال فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ يعني
أن من فوق العرش إلى ما تحت الثرى في حفظه وفي تدبيره وفي الاحتياج إليه * وأما
الاستدلال بأحوال الشمس والقمر فهو وقوله سبحانه وتعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري
لأجل مسمى واعلم أن هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة * الأول قوله وسخر الشمس
والقمر وحاصله يرجع إلى الاستدلال على وجود الصانع القادر القاهر بركات هذه
الأجرام وذلك لأن الأجسام متماثلة فهذه الأجرام قابلة للحركة والسكون فاختصاصها
بالحركة الدائمة دون السكون لا بد له من مخصص وأيضا أن كل واحدة من تلك الحركات
مختصة بكيفية معينة من البطء والسرعة فلا بد أيضا من مخصص لاسيما عند من يقول
الحركة الباطنية معناها حركات مخلوطة بسكنات وهذا يوجب الاعتراف بأنها تتحرك في
بعض الأحيان وتسكن في البعض فتحصول الحركة في ذلك الحيز المعين والسكون في الحيز
الآخر لا بد فيه أيضا من مرجح الوجه الثالث وهو أن تقدير تلك الحركات والسكنات
بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها وأدوارها متساوية بحسب المدة حاله عجبية
فلا بد من مقدرو الوجه الرابع أن بعض تلك الحركات مشرقية وبعضها مغربية وبعضها
مائلة إلى الشمال وبعضها مائلة إلى الجنوب وهذا أيضا لا يتم الابتدير كامل وحكمة بالغة
* النوع الثاني من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله كل يجري لأجل مسمى وفيه
قولان الأول قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة
أشهر ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد منها في ستة أشهر أخرى وكذلك القمر ثمانية
وعشرون منزلا فلما رد بقوله كل يجري لأجل مسمى هذا * وتحقيقه أنه تعالى قدر لكل
واحد من هذه الكواكب سيرا خاصا إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء
ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كل لحظه ولحظة حالة أخرى ما كانت
حاصلة قبل ذلك والقول الثاني أن المراد كونها متحركين إلى يوم القيامة وعند مجيء ذلك
اليوم تنقطع هذه الحركات وتبطل تلك السيرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله إذا الشمس
كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت وجمع الشمس
والقمر وهو كقوله سبحانه وتعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنه تعالى لما ذكر هذه
الدلائل قال يدبر الأمر وكل واحد من المفسرين حل هذا على تدبير نوع آخر من أحوال
العالم والاولى حله على الكل فهو يدبرهم بالإيجاد والاعدام والأحياء والاماتة والأغناء
والافتقار ويدخل فيه أنزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفيه دليل بحجب على
كمال القدرة والرحمة وذلك لأن هذا العالم المعلوم من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى أنواع
وأجناس لا يحيط بها إلا الله تعالى والدليل المذكور دل على أن اختصاص كل واحد منها

بها عن ذلك وانحصار مجيى فواعل جمعا لتفاعل في فوارس وهو الكونوا كس انما هو في صفات العقلاء وأما في غيرهم
فلا يرعى ذلك أصلا كافي قوله تعالى أياما معدودات وقوله الحج أشهر معلومات إلى غير ذلك فلا حاجة إلى أن يجعل
مفردا صفة لجمع القلة أعني أجلا ويعبر في جمع

الكثرة اعني جبالا انتظامها الطائفة من جوع القلة وتزئيل كل منها منزلة مفردة كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعيه كل من صيغتي الجمع انما هي باعتبار الافراد التي تحتها باعتبار * ٢٦٢ * انتظام جمع القلة الافراد وجمع الكثرة لجموع

القلة فكل منهما جمع جبل لأن جبالا جمع أجبل كما أن طوائف جمع طائفة ولا إلى أن يلتجأ إلى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما أن الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها (وأما هارا) بحارى واسعة والمراد ما جرى فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في معمولية فعل واحد اشارة الى أن الجبال منشأ للأنهار وبيان لقاعدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب التحل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيش بالماء والكلأ (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) أى اثنيين حقيقيين وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر وأكده الزوجين لئلا

بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الامن الله تعالى ومن المعلوم أن كل من اشتغل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء آخر الا بالبارى سبحانه وتعالى فانه لا يشغله شأن عن شأن أما العاقل فانه اذا تأمل في هذه الآية علم انه تعالى يدبر عالم الاجسام وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه تعالى في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته غير مشابه للمحدثات والممكنات ثم قال يفصل الآيات وفيه قولان الاول انه تعالى بين الآيات الدالة على الهيئته وعلمه وحكمته والثاني ان الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان أحدهما الموجودات الباقية الدائمة كالافلاك والشمس والقمر والكواكب وهذا النوع من الدلائل هو الذي تقدم ذكره والثاني الموجودات الحادثة المتغيرة وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والهزم بعد الصحة وكون الاحق في أنها العيش والعاقل الذكي في أشد الاحوال فهذا النوع من الموجودات والاحوال دلالتها على وجود الصانع الحكيم ظاهرة * وقوله يفصل الآيات اشارة الى أنه يتحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفصيل ثم قال لعلمكم بلقاءكم بكم توقنون واعلم أن الدلائل المذكورة كالتدل على وجود الصانع الحكيم فهي ايضا تدل على صحة القول بالحشر والنشر لان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على عظمتها وكثرتها فلا ينقدر على الحشر والنشر كان أولى يروى أن رجلا قال لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداءهم ويحجب دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجوالعالى وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش الى ما تحت الترى بحيث لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن ومن الاصحاب من تمسك بلفظ اللقاء على رؤية الله تعالى وقد مر تفرقه في هذا الكتاب مرارا وأطوارا * قوله تعالى (وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض واعلم أن الاستدلال بخلقه الارض واحوالها من وجوه الاول أن الشيء اذا تزايد حجمه ومقداره صار كأن ذلك الحجم وذلك المقدار يمتد فقوله وهو الذي مد الارض اشارة الى أن الله سبحانه هو الذي جعل الارض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا يزيد ولا ينقص والدليل عليه ان كون الارض أزيد مقدارا عما هو الآن وانقص منه أمر جائز ممكن في نفسه فاخصاصه بذلك المقدار المعين لا بد أن يكون بتخصيص وتقدير مقدر الثاني قال أبو بكر الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله وهو الذي مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما لا يقع البصر على منتهاه لان الارض لو كانت

يفهم أن المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنيين ذلك اثنيين باعتبار أن أي جعل * اصغر * من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود أو في الطعم كالجلو والبلساء أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية

كالحار والبارد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الأول ويكون الثاني استثناء لبيان كيفية ذلك الجعل (يعشى الليل النهار) استعارة تبعية تشبيهية مبنية على تشبيه إزالة * ٢٦٣ * نور الجيوب الظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالغطائية أي

يستر النهار بالليل
والتركيب وان احتمال
الكسب أيضا بالجمل
على تقديم المفعول الثاني
على الأول فان ضوء النهار
أيضا سائر الظلمة بالليل
الآن الانسب بالليل أن
يكون هو الغاشي وعد
هذا في تضايف الآيات
السلفية وان كان تعلقه
بالآيات العلوية ظاهرا
باعتبار أن ظهوره في
الارض فان الليل انما
هو ظلها وفيما فوق موقع
ظلالها ليل أصلا وان
الليل والنهار لهما تعلق
بالثمرات من حيث العقد
والانضاج على أنهما
أيضا زو جان متقابلان
مثلها وقرى يعشى من
التعشية (ان في ذلك)
أى فيما ذكر من مد
الارض وابتدائها بالرواسي
وأجراء الانهار وخلق
الثمرات واغشاء الليل
النهار وفي الإشارة بذلك
تنبيه على عظم شأن
المشار إليه في بابه (آيات)
باهرة وهى آثار تلك
الافاعيل البديعة جلست
حكمة صانعها في على
معناها فان تلك الآثار

أصغر حجما مما هى الآن عليه لما بكل الارتفاع به والثالث قال قوم كانت الارض مدورة
فدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقال آخرون كانت مجتمعة عند
البيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا اعلم أن هذا القول انما يتم اذا قلنا الارض
مسطحة لا كرة وأصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا
القول مشكل من وجهين الاول انه ثبت بالدلائل ان الارض كرة فكيف يمكن مدحاها
فيه فان قالوا وقوله مد الارض ينافي كونها كرة فكيف يمكن مدحاها قلنا لا نسلم أن
الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشهد كالسطح
والنفات الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل الا في علم الله الا ترى انه قال والجبال أوتادا
فجعلها أوتادا مع ان العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك ههنا والثاني ان هذه الآية
انما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع والشرط فيه أن يكون ذلك أمر مشاهدا
معلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير
مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فثبت ان التأويل الحق هو
ما ذكرناه والنوع الثاني من الدلائل الاستدلال بأحوال الجبال واليه الإشارة بقوله
وجعل فيهاروا سي من فوقها ثابتة باقية في أحيازها غير منقولة عن أماكنها يقال رساهذا
الوند وأرسيته والمراد ما ذكرناه واعلم ان الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع
القادر الحكيم من وجوه الاول ان طبيعة الارض واحدة فحصول الجبل في بعض
جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم قالت الفلاسفة هذه الجبال
انما تولدت لان البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تتولد في البحر طين الزجائم
يقوى تأثير الشمس فيها فيقلب حجرا كما يشاهد في كوز الفقا ثم ان الماء كان يغور
ويقل فينجبر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا وانما كانت البحار حاصلة في
هذا الجانب من العالم لان أوج الشمس وحضيضها متحركان في الدهر الا قدم كان
حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب الى
الارض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات فحين كان
الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال والآن لما انتقل الاوج الى
جانب الشمال والحضيض الى جانب الجنوب انتقلت البحار الى جانب الجنوب فبقيت
هذه الجبال في جانب الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه
الاول ان حصول الطين في البحر أمر عام ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم يحصل هذا
الجبل في بعض الجوانب دون البعض والثاني وهو اننا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك
الاحجار موضوعة سافا فسافا فكان البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض وبعده
حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكره والثالث ان أوج الشمس الآن
قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس الى الجانب

مستقرة في تلك الافاعيل منوطه بها ويجوز أن يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها تلك الافاعيل في تجميدية (لقوم
يتفكرون) فان التفكير فيها يؤدى الى الحكم بأن تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد
له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار

ما ريد لا معقب لحكمه وهو الجيد المجيد (وفي الأرض قطع) بجملة مساندة مستندة على طائفة أخرى من الآيات أي ببيان
كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة * ٢٦٤ * الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك

(متجاورات) أي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعاً متجاورات أي جعل في الأرض قطعاً (وجنات من أعناب) أي بساتين كثيرة منها (وزرع) من كل نوع من أنواع الحبوب وافراده لراحة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لساكنيها وسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى (وتخيل) لئلا يقع بينها وبين صفتها هي قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) فاصلة والصنوان جمع صنو كصنوان وقنوه هي النخلة التي لها رأسان وأصلها حدوق قرى يضم المصاد على لغة بني تميم وقيس وقرى جنات بالتصنيف عطفاً على زوجين وبالجر على كل الثمرات فاعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك القطع بمالها

الشمالي مضي قريب من تسعة آلاف سنة وبهذا التقدير أن الجبال في هذه المدة الطويلة كانت في الثغث فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء لكن ليس الأمر كذلك فعلمنا أن السبب الذي ذكره ضعيف * والوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح وقد يحصل فيها معادن النفط والقيز والكبريت فكأن الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحداً في الطبع وكون تأثير الشمس واحداً في الكل يدل دليلاً ظاهره على أن الكل يتقدير قادر قادر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات * والوجه الثالث من الاستدلال بأحوال الجبال أن بسببها تولد الانهار على وجه الأرض وذلك أن الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت البخارة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتكامل فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة ثم إنهما لكثرتا وقوتها تنقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض فتفثع الجبال في تولد الانهار هو من هذا الوجه ولهذا السبب في أكثر الأمر أي أن الله الجبال قرن بها ذكر الانهار مثل ما في هذه الآية ومثل قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً * والنوع الثالث من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بمجاوب خلقه النبات والبهيمة بالاشارة بقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) أن الحبة اذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نادت الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الاعلى الشجرة الصاعدة في الهواء وتخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا من المجانب لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من الجانب الاعلى من تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الاسفل منه جرم غائص في الأرض ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك انما كان بسبب تدبير المدير الحكيم والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشباً وبعضها يكون ثوراً وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة أيضاً يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع فالجوز له أربعة أنواع من القشور والقشور الاعلى وتحت القشرة الخشبية وتحت القشرة المحيطة باللبنة وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز رطباً وإيضاً فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالأترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحاضه بارد يابس وبزهره حار يابس ونوره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابس ولحمه وماؤه حار رطب فلو أن هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والافلاك لابد وأن يكون لاجل تدبير الحكيم القادر القديم (المسئلة الثانية) المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين والاختلاف اما من حيث الطعم كالحلو

من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الأرض ودحاها للانباء * والحامض * الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرى وزرع وتخيل بالجر عطفها على أعناب أو جنات (يسق) أي ماذا ذكر من القطع والجنات والزرع والتخيل وقرى بالتأنيث مراعاة للفظ والاول أوفق بمقام

بيان اتحاد الكل في حالة النسي (بما واحد) لا اختلاف في طبعه سواء كان النسي بماء الامطار أو بماء الانهار (وقد فضل) مع
 تأخذ أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا * ٢٦٥ * (بعضها على بعض) آخر منها (في الاكل) فيما يحصل

منها من الثمر والطعم
 وقرى بآلية على بناء
 الفاعل ردا على يدب
 ويفصل وبعشى وعلى
 بناء المفعول وفيه ما لا يخفى
 من الغمامة والدلالة
 على أن عدم احتمال
 استناد الفعل الى فاعل
 آخر من عن بناء الفعل
 للفاعل (ان في ذلك)
 الذي فصل من أحوال
 القطع والجنات (آيات)
 كثيرة عظيمة ظاهرة
 (لقوم بمقلون) يعملون
 على قضية عقولهم فان
 من عقل هذه الاحوال
 العجيبة لا يتلذذهم في الجرم
 بأن من قدر على ابداع
 هذه البدائم وخلق تلك
 الثمار المختلفة في الاشكال
 والالوان والطعوم
 والروائح في تلك القطع
 المتباينة المتجورة
 وجعلها حداثق ذات
 جمجمة قادر على اعادة
 ما أبداه بل هي أهون
 في القياس وهذه الاحوال
 وان كانت هي الآيات
 أنفسها لانها فيها
 الا أنه قد جردت عنها
 أمثالها مباغاة في كونها
 آية في تجريديتها مثلها

والحامض أو الطبيعة كالحر والبارد أو اللون كالأبيض والأسود فان قيل الزوجان لا بد
 وأن يكونا اثنين فما الغائدة في قوله زوجين اثنين قلنا قيل انه تعالى أول ما خلق العالم
 وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم
 ان المراد النوع أو الشخص أما لما قال اثنين علمنا ان الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين
 اثنين لأقل ولا زيد والحاصل ان الناس فيهم الآن كثرة الا انهم لما ابتدوا من زوجين
 اثنين بالشخص هما آدم وحواء فكذلك القول في جميع الاشجار والزرع والله أعلم
 * النوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بأحوال الليل والنهار
 واثباته الاشارة بقوله بعشى الليل النصار والمقصود ان الانعام لا يكمل الا بالليل والنهار
 وتعاقبهما كما قال فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ومنه قوله بعشى الليل النهار
 يطلبه حيثما قد سبق الاستقصاء في تقريره فيميا سلف من هذا الكتاب قرأ جرة
 والكسائي وأبو بكر عن عاصم بعشى بالتشديد وقبح الغين والباقون بالتخفيف ثم انه تعالى
 لما ذكر هذه الدلائل الثيرة والقواطع القاهرة قال ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون
 واعلم انه تعالى في أكثر الامر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر عقبيها
 ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون أو ما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه ان الفلاسفة
 يستندون حوادث العالم السفلي الى الاختلافات الواقعة في الاشكال الكوكبية فالحال نعم
 الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود فلهذا المعنى قال ان في ذلك آيات لقوم
 يتفكرون كأنه تعالى يقول بحال الفكر باق بعد ولا بد بعده هذا المقام من التفكير
 والتأمل لئتم الاستدلال * واعلم أن الجواب عن هذا السؤال من وجهين الاول أن نقول
 هب انكم أسندتم حوادث العالم السفلي الى الاحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية
 الا اننا أثبتنا الدليل القاطع على ان اختصاص كل واحد من الاجرام الفلكية وطبعه
 ووضعه وخاصيته لا بد وأن يكون بتخصيص المقدار القديم والمدير الحكيم فقد سقط هذا
 السؤال وهذا الجواب قد قدره الله تعالى في هذا المقام لانه تعالى ابتداء يذكر الدلائل
 السماوية وقد بينا أنها كيف تدل على وجود الصانع ثم انه تعالى أتبعها بالدلائل الارضية
 فان قال قائل لم لا يجوز أن تكون هذه الحوادث الارضية لاجل الاحوال الفلكية
 كان جوابنا أن نقول فهب ان الامر كذلك الا اناد للتأنيق تقدم على افتقار الاجرام
 الفلكية الى الصانع الحكيم فحينئذ لا يكون هذا السؤال قادحا في غرضنا والوجه الثاني
 من الجواب أن نقيم الدلالة على انه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث السفلية لاجل
 الاتصالات الفلكية وذلك هو المذكور في الآية التي تأتي بعده هذه الآية ومن تأمل
 في هذه الاطائف ووقف عليها علم ان هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والاخرين
 * قوله تعالى (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان
 وغير صنون ان نسي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك آيات لقوم

في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو المشار اليه * ٣٤ * خا الاحوال الكلبة والآيات أورادها الحادثة شيئا فشيئا
 في الازمنة وأحاديث الواقعة في الافطار والامكنة المشاهدة لاهلها في على معانيها وحيث كانت دلالة هذه
 الاحوال على مدلولاتها

أظهر بما سبق خلق كونهم آيات بحض العقل ولذلك لا يصرح الله بنفسه على بعض في الاكل الفاعل لكل عامل مع تحقق ذلك في الخواص والكميات بما توقف ﴿ ٢٦٦ ﴾ العشر عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك

الى التفكير أيضا وفيه نعرض بأن المشركين غير عاقلين (وان تعجب) يا محمد من شيء (فجعب) لا أعجب منه حقيق بأن يقصر عليه التعجب (قولهم) بعدم مشاهدة ما عد ذلك من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء قدير (أندا كناترايا) على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على أنه بمعنى القول أو في محل نصب على المفعولية منه على أنه مصدر العجب على الاولون كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قوله (أنا فى خلق جديد) وهو نبى أو نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيه اليه في حالة مناقضته وتكرير الهمزة في قولهم أثنا لا كيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالذلل عند كونهم ترابا

يعقلون) في الآية مسائل (المسألة الاولى) اعلم ان المقصود من هذه الآية اقامة الدلالة على انه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لاجل الاتصالات الفلكية والحرركات الكوكبية وتقريره من وجهين الاول انه حصل في الارض قطع مختلفة بالطبيعة والمادية وهى مع ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخية وبعضها تكون رخوة وبعضها تكون صلبة وبعضها تكون مبنية وبعضها تكون حجرية أو رملية وبعضها يكون طين الزجاجة ثم انها متجاورة وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على السوية فدل هذا على أن اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير والثانى ان القطعة الواحدة من الارض تسقى بماء واحد فيكون تأثير الشمس فيها متساويا ثم ان تلك الثمار تجبى مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى انك قد تأخذ عنقودا من العنب فيكون جميع حباته حلوة نضيجة الاحبة واحدة فانها بقيت حامضة يابسة ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة الطبايع والافلاك للكل على السوية بل نقول ههنا ما هو أعجب منه وهو أنه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثانى في غاية السواد مع ان ذلك الورد يكون في غاية الرقة والنعومة فيستحيل أن يقال وصل تأثير الشمس الى أحد طرفيه دون الثانى وهذا يدل دلالة قطعية على ان الكل بتدبير الفاعل الخمار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فهذا تمام الكلام في تقرير هذه الحجة وتفسيرها وبيانها واعلم ان يذكر هذا الجواب قدمت الحجة فان هذه الحوادث السلفية لا بد لها من مؤثر وبين ان ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والافلاك والطبايع فمنه هذا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل آخر سوى هذه الاشياء وعند هاتم الدليل ولا يبق بعده للفكر مقام البينة فلهذا السبب قال ههنا ان في ذلك آيات لقوم يعقلون لانه لا دافع لهذه الحجة الآن يقال ان هذه الحوادث السلفية حدثت للمؤثر البينة وذلك بقدرح في كمال العقل لان العلم بافتقار الحادث الى المحدث لما كان علما ضروريا كان عدم حصول هذا العلم قادحا في كمال العقل فلهذا قال ان في ذلك آيات لقوم يعقلون وقال في الآية المتقدمة ان في ذلك آيات لقوم يتفكرون فهذه الاطائف نفيسة من أسرار علم القرآن ونسأل الله العظيم أن يجعل الوقوف عليها سببا للفوز بالرحمة والغفران (المسألة الثانية) قوله وفي الارض قطع متجاورات قال أبو بكر الاصم أرض قرية من أرض اخرى واحدة طيبة وأخرى سبخة وأخرى حرة وأخرى رملية وأخرى تكون حصباء وأخرى تكون حراء وأخرى تكون سوداء وبالجملة فاختلاف بقاع الارض في الارتفاع والانخفاض والطبايع والخاصية أمر معلوم وفي بعض المصاحف قطع متجاورات والتقدير وجعل فيها رواسي وجعل في الارض قطع متجاورات وأما قوله وجنات من أعصاب وزرع ونخيل فنقول الجنة البستان الذى يحصل فيه النخل والكرم والزروع وتحفه تلك الاشجار

بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتعاديهم في التكبر ما لا يخفى وقيل ﴿ والدليل ﴾ وان تعجب من قولهم في انكار البعث فجعب قولهم والمسأل وان تعجب فقد تعجب في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فجعب

ولهم الدال عليه فتأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أي أن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة
بن هذه أفعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه ﴿٢٦٧﴾ الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والانسب

والدليل عليه قوله تعالى جعلنا لآدم ما يشاء من أعتاب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما
زرعاً قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخل صنوان وغير صنوان كلها
بالرفع عطفاً على قوله وجنات والباقون بالجر عطفاً على الأعتاب وقرأ حفص عن عاصم
في رواية القواس صنوان بضم الصاد والباقون بكسر الصاد وهما لغتان والصنوان
جمع صنو مثل قنوان وقنو ويجمع على أصناء مثل اسم وأسماء فإذا كثرت فهو الصنى
والصنى بكسر الصاد وفتحها والصنوان يكون الأصل واحداً وتثبت فيه التثنية
والثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو وذكر ثعلب عن ابن الأعرابي الصنوا مثل ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم ألا إن عم الرجل صنو أبيه أي مثله إذا عرفت هذا فنقول إذا فسرنا
الصنو بالتفسير الأول كان المعنى أن النخل منها ما ينبت من أصل واحد شجرتان وأكثر
ومنها ما لا يكون كذلك وإذا فسرناه بالتفسير الثاني كان المعنى أن أشجار النخل
قد تكون متماثلة متشابهة وقد لا تكون كذلك ثم قال تعالى نسق بناء واحد قرأ عاصم
وإن عامر يسقي بالياء على تقدير يسقي كله أو لتغليب المذكر على المؤنث والباقون بالياء
لقوله جنات قال أبو عمرو وما يشهد للتأنيث قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل
قرأ جريرة والكسائي بفضل بالياء عطفاً على قوله يدبر ويفصل ويعشى والباقون بالنون
على تقدير ونحن نفضل وفي الأكل قولان أحكامهما الواحدى حكى عن الزجاج أن الأكل
الثر الذي يؤكل وحكى عن غيره أن الأكل المهبأ للأكل وأقول هذا أولى لقوله تعالى
في صفة الجنة أكلها دائم وهوام في جميع المطعومات وابن كثير وناغم يقرآن الأكل
ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون بضم الكاف وهما لغتان * قوله تعالى (وان
تعجب فعجب قولهم أذا كناترأباً ثلثي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربههم وأولئك
الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فيه مسائل (المسئلة الأولى)
اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدأ ذكر بعده مسئلة
المعاد فقال وان تعجب فعجب قولهم وفيه أقوال الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما
ان تعجب من تكذيبهم إياك بعد ما كانوا قد حكموا عليك انك من الصادقين فهذا تعجب
والثاني ان تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً بعد ما عرفوا الدلائل
الدالة على التوحيد فهذا تعجب والثالث تقدير الكلام ان تعجب يا محمد فقد عجب
في موضع العجب لانهم لما اعترفوا بأنه تعالى مديبر السموات والارض وخالق الخلائق
أجمعين وأنه هو الذى رفع السموات بغير عمد وهو الذى سخر الشمس والقمر على وفق
مصلح العباد وهو الذى أظهر في العالم أنواع المعجائب والغرائب فمن كانت قدرته وافية
بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافية بإعادة الإنسان بعد موته لان القادر على
الاقوى الأكل فان يكون قادراً على الأقل الاضعف أولى فهذا تقرير موضع التعجب
ثم انه تعالى لما حكى هذا الكلام حكاه عليهم بثلاثة أشياء أولها قوله أولئك الذين كفروا

من الصفات (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود
بمنكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا برهم (ويستعجلونك بالسنة) بالعقوبة
لتي أئذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى الله عليه

وعلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم (قبل الحسنة) أي العافية والاحتسان اليهم بالإيمان (وقد خلت من قبلهم المثلثات) أي عقوبات أمثالهم من المكذبين خالفهم ﴿ ٢٦٨ ﴾ لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول

بر بهم وهذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيامة فهو كافر وإيمانهم من انكار البعث الكفر بر بهم من حيث أن انكار البعث لا يتم إلا بانكار القدرة والعلم والصدق أما انكار القدرة فكما إذا قيل إن الله العالم موجب بالذات لافعال بالاختيار فلا يقدر على الاعادة أو قيل أنه وإن كان قادرا لكنه ليس تام القدرة فلا يمكنه إيجاد الحيوان إلا بواسطة الأيوين وتأثيرات الطبائع والأفلاك وأما انكار العلم فكما إذا قيل أنه تعالى غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز هذا المطيع عن العاصي وأما انكار الصدق فكما إذا قيل أنه وإن أخبره أنه لا يمكنه أن يفعل لان الكذب جائز عليه ولما كان كل هذه الأشياء كقرا ثبت أن انكار البعث كفر بالله * الصفة الثانية قوله وأولئك الأغلال في أعناقهم وفيه قولان الاول قال أبو بكر الاصم المراد بالأغلال كفرهم وذاتهم وانقيادهم للاصنام ونظيره قوله تعالى أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا قال الشاعر * لهم عن الرشد أغلال واقيد * ويقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الرديء معناه أنه لازم لك وإنك مجازي عليه بالعذاب قال القاضي هذا وإن كان محتملا الآن حل الكلام على الحقيقة أولى وأقول يمكن نصرته قول الاصم بأن ظاهر الآية يقتضي حصول الأغلال في أعناقهم في الحال وذلك غير حاصل وأنهم يحملون اللفظ على أنه سيحصل هذا المعنى ونحن نحمله على أنه حاصل في الحال الآن المراد بالأغلال ما ذكرناه فكل واحد منا ترك الحقيقة من بعض الوجوه فلم كان قولكم أول من قولنا والقول الثاني المراد أنه تعالى يجعل الأغلال في أعناقهم يوم القيامة والدليل عليه قوله تعالى إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون والصفة الثالثة قوله تعالى وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والمراد منه التهديد بالعذاب المخلد المؤبد واحتج أصحابنا رحمه الله تعالى على أن العذاب المخلد ليس إلا لكفار بهذه الآية فقالوا قوله هم فيها خالدون يفيد أنهم هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم وذلك يدل على أن أهل الكبار لا يخلدون في النار (المسئلة الثانية) قال المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال فكان المراد وأن تعجب فعجب عندك ولقائل أن يقول قرأ بعضهم في الآية الأخرى بإضافة العجب إلى نفسه تعالى فيحتمل أن لا يعجب تأويله وقد بينا أن أمثال هذه اللفاظ يجب تنزيهها عن مبادي الاعراض ويجب حملها على نهايات الاعراض فإن الإنسان إذا تعجب من الشيء أنكره فكان هذا محمولا على الانكار (المسئلة الثالثة) اختلف القراء في قوله أنذا كنتا تريا أنا في خلق جديد وأمثاله إذا كان على صورة الاستفهام في الاول والثاني فذهب من يجمع بين الاستفهامين في الحرفين وهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحزة ثم اختلف هؤلاء فابن كثير يستفهمهم مرة واحدة لأنه لا يمدوا بوعمر ويستفهم بهم مرة مطولة بمد فيها وحزة وعاصم بهمزتين في كل القرآن ومنهم من لا يجمع بين الاستفهامين ثم اختلفوا فنافهم وابن عامر والكسائي يستفهم في الاول ويقرأ على الخبر في الثاني وابن عامر على

مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء أي يستعجلونك بهماستهزئين بانذارك منكبن لو وقوع ما نذرتم إياه والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين والستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينهما وبين العقاب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصص وقرئ المثلث بضمين بابناج الفاء العين والمثلث بفتح الميم وسكون الراء كما يقال السمرة والمثلث بضم الميم وسكون الراء تخفيف المثلث جمع مثله كركبة وركبات (وإنر بك لدومغفرة) عظيمة (للناس على ظلمهم) أنفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية أي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى أنر بك تغفور للناس لا يجعل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها (وإنر بالشد يد العقاب)

يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فآخبر ما استعجلوه ليس الإهمال وعنه عليه الصلاة والسلام ﴿ الخبر ﴾ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنت لأحد العيش ولولا وعيده وعقابه لانتكل كل أحد (ويقول الذين كفروا) وهم المستعجلون أيضا وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول ذمالهم ونعيا عليهم

كفرهم بآيات الله تعالى التي تحرلها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من جئس الآيات وقالوا
لولا أنزل عليه آية من ربه (مثل آيات موسى وعيسى * ٢٦٩) عليهما الصلاة والسلام عنادا ومكابرة والافق

أدنى آية أنزلت عليه
عليه الصلاة والسلام
غنيمة وعبرة لاولي
الالباب (انما أنت منذر)
مرسل للانداز من سوء
عاقبة ما يأتون ويذرون
كدأب من قبلك من
الرسول وابس عليك
الا لاتبان بما يعلم به نبوتك
وقد حصل ذلك بما
لا من يدعيه ولا حاجة
الى الزامهم والقاهم
الجر بالاتبان بما اقترحوا
من الآيات (ولكل قوم
هاد) معين لابلانات
بل بعنوان الهداية يعني
لكل قوم نبي مخصوص له
هداية مخصوصة يقتضى
اختصاص كل منهم
بما يختص به حكم لا يعلمها
الا الله أولئك قوم هاد
عظيم الشأن قادر على
ذلك هو الله سبحانه
وما عليك الانذارهم
فلا يهملك عنادهم
وانكارهم للآيات المنزلة
عليك وازدراؤهم بها
ثم عقبه بما يدل على كمال
علمه وقدرته وشمول
قضائه وقدره المبينين
على الحكم والمصالح
تنبيهها على أن تخصيص

الخير في الاول والاستفهام في الثاني تم اختلف هو لادم وجه آخر فنافع بهمرة غير مطولة
واين عامر والكسائي بهزتين أما نافع فكذلك الا في الصافات وكذلك ابن عامر
الا في الواقعة وكذلك الكسائي الا في العنكبوت والصافات (المسئلة الرابعة) قال
الزجاج العامل في أنذا كنا ترابا محذوف تقديره أنذا كنا ترابا نبعث ودل ما بعده على
المحذوف * قوله تعالى (ويستعجلونك بالسنة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات
وانزرك لذومغفرة للناس على ظلمهم وانزرك لشديد العقاب) اعلم أنه صلى الله عليه وسلم
كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة
أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الاولى
يكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له فجننا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزله على
مسيل الطعن فيه واطهار ان الذي بقوله كلام لأصل له فلهذا السبب حكى الله عنهم انهم
يستعجلون الرسول بالسنة قبل الحسنة والمراد بالسنة ههنا نزول العذاب عليهم كما قال
الله تعالى عنهم في قوله فأمطر علينا حجارة وفي قوله لن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله واتسقط السماء كازعمت علينا كسفا وانما قالوا ذلك طعنا منهم فيما ذكره
الرسول وكان صلى الله عليه وسلم يهددهم على الايمان بالثواب في الآخرة وبحصول
النصر والظفر في الدنيا فالقوم طلبوا منه نزول العذاب ولم يطلبوا منه حصول النصر
والظفر فهذا هو المراد بقوله ويستعجلونك بالسنة قبل الحسنة ومنهم من فسر الحسنة
ههنا بالامهال والتأخير وانما سموا العذاب سنة لانه يسوهم ويؤذنيهم * أما قوله
وقد خلت من قبلهم المثلثات فاعلم ان العرب يقولون العقوبة مثله ومثله مثل صدقة
وصدقة فالاولى لغة الحجاز والثانية لغة تميم فمن قال مثله فجمعه مثلثات ومن قال مثله
فجمعه مثلثات ومثلث باسكان التاء هكذا حكاه الواحدي عن الفراء والزجاج وقال ابن
الانباري رحمه الله المثلة العقوبة المبينة في المعاقب شيئا وهو تغير تبق الصورة معه فيجعة
وهو من قولهم مثل فلان بفلان اذا قبح صورته اما بقطع أذنه أو أنفه أو سمل عينيه أو بقر
بطنه فهذه هو الاصل ثم يقال العار الباقي والخزى اللازم مثله قال الواحدي وأصل هذا
الحرف من المثل الذي هو الشبه ولما كان الاصل أن يكون العقاب مشابها للمعاقب
ومما ثلله لاجرم سمي بهذا الاسم قال صاحب الكشف قري المثلثات بضمين لاتباع
الفاء العين والمثلثات بفتح الليم وسكون التاء كما يقال السمرة والمثلثات بضم الميم وسكون
التاء تخفيف المثلثات بضمين والمثلثات جمع مثله كركبة وركبات اذا عرفت هذا فنقول
معنى الآية ويستعجلونك بالعذاب الذي لم نعالجهم به وقد علموا منازل من عقوباتنا بالانم
الخالية فلم يعتبروا بها وكان ينبغي أن يردعهم خوف ذلك عن الكفر باعتبار ابحال من
سلف * أما قوله وانزرك لذومغفرة للناس على ظلمهم فاعلم ان أصحابنا تسمكوا بهذه الآية
على أنه تعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل انوبة ووجه الاستدلال به ان قوله

كل قوم نبي وكل نبي مجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم
لكن لا يهدى الامن تعلق بهدايته مشيئته النابعة لحكم استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) اى تحمله
فاموصولة أريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل

الخلق فقط والعلم تعد الى واحد أو اى شئ يحمل وعلى اى حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا وطورا فهي
استفهامية معلقة للعلم وحملها فهي مصدرية ﴿ ٢٧٠ ﴾ وما تنبض الارحام (وما تزداد) أى تنقص وتزداد

في الجنة كالخديج والنام
وفي المدة كاللؤلؤ في أقل
مدة الحمل والموالد
في أكثرها وفيما بينهما
قيل ان الضحك ولد
في سنتين وهرم بن حيان
في أربع ومن ذلك سمي
هرما وفي العدد كالواحد
فأفوقه يروى أن شريكا
كان رابع أربعاء يعلم
نقصها وازدادها لما فيها
فأفعلن متعديان كما في قوله
تعالى وغيض الماء وقوله
تعالى وازدادوا تسعا
وقوله وزداد كيل بعير
أو لازمان قد أسند الى
الارحام مجازا وهما
لما فيها (وكل شئ) من
الاشياء (عنده مقدار)
بقدر لا يمكن تجاوزه عنه
كقوله أنا كل شئ خلفناه
بقدر فان كل حادث من
الاعيان والاعراض له
في كل مرتبة من مراتب
التكوين ومبادئها وقت
معين وحال مخصوص
لا يكاد يجاوزه والمراد
بالعندية الحضور العلي
يل العلم الحضورى فان
تحقق الاشياء في أنفسها
في أى مرتبة كانت من
مراتب الوجود

والاستعداد لذلك علمه بالنسبة الى الله عز وجل (عالم الغيب) أى الغائب عن الحس ﴿ عليه ﴾
(والشهادة) أى الحاضره عبر عنهما بما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعلوم وبالشهادة الموجود وهو خبر
مبتدا محذوف أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب

على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الكبير) العظيم الشأن الذي كل شيء ذنوبه (المتعال)
سبح على كل شيء بقدرته أو المنة عن نعوت * ٢٧١ * المخلوقات وبعدها بين سبحانه أنه عالم بجميع أحوال

الانسان في مراتب
فطرته وتجبط بعالمى
الغيب والشهادة بين أنه
تعالى عالم بجميع ما يتنون
وما يذرون من الافعال
والاقوال وأنه لا فرق
بالنسبة اليه بين السر
والعلن فقال (سواء منكم
من أسر القول) في نفسه
(ومن جهر به) أظهره
لغيره (ومن هو مستخف)
مبايع في الاختفاء كأنه
مخفف (بالليل) وطالب
للزيادة (وسارب)
بارز يراه كل أحد (بالنهار)
من سرب سر وبأى برز
وهو عطف على من هو
مستخف أو على مستخف
ومن عبارة عن الاثنين
كأى قوله * تعالى فان
عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يذنب
يصطحبان * كأنه قيل
سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار
والا ستواء وان أسند
الى من أسر ومن جهر
والى المستخفى والسارب
لكنه في الحقيقة مسند
الى ما أسر وما جهر به
اوالى الفاعل من حيث
هو فاعل كأى الاخيرين

عليه وسلم كتحين الجذع ونوع الماء من بين أصابعه واشباع الخلق الكثير من الطعام
القليل فطلبوا منه معجزات فآخرة غير هذه الامور مثل فلق البحر وقلب العصا ثعباناً فان
قيل فما السبب في ان الله تعالى منهم وما أعطاهم قلنا انه تعالى لما أظهر المعجزة الواحدة
فقد تم الغرض فيكون طلب الباقي تحكما وظهور القرآن معجزة فإكان مع ذلك حاجة
الى سائر المعجزات وأيضاً فله تعالى علم انهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات
المتنسة وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال فلهذا السبب ما أعطاهم
الله تعالى مطلوبهم وقديين الله تعالى ذلك بقوله ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ونوا سمعهم
لتواوهم معرضون بين انه لم يعطهم مطلوبهم لعله تعالى انهم لا ينفقون به وأيضاً ففتح
هذا الباب يفضى الى ما لا نهاية له وهوانه كلما أتى بمعجزة جاء واحداً آخر فطلب منه معجزة
أخرى وذلك يوجب سقوط دعوة الانبياء عليهم السلام وانه باطل الوجه الثاني
في الجواب لعل الكفار ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات * ثم انه تعالى
لما حكى عن الكفار ذلك قال انما أنت منذر ولكل قوم هاد وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) اتفق القراء على التوئين في قوله هاد وحذف الياء في الوصل واختلفا
في الوقف فقرا ابن كثير بالوقف على الياء والباقيون بغير الياء وهو رواية ابن فليح عن ابن
كثير للتخفيف (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية وجوه الاول المراد ان الرسول
عليه السلام منذر لقومه مبين لهم ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع وانه تعالى سوى
بين الكل في اظهار المعجزة الا أنه كان لكل قوم طريق مخصوص لاجل استحقاق
التخصيص بتلك المعجزة المخصوصة فلما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام هو
السحر جعل معجزته ما هو اقرب الى طريقهم ولما كان الغالب في أيام عيسى عليه السلام
الطب جعل معجزته ما كان من جنس تلك الطريقة وهو احياء الموتى وبراء الاكثه
والابرص ولما كان الغالب في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل
معجزته ما كان لائقاً بذلك الزمان وهو فصاحة القرآن فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه
المعجزة مع كونها البق بطباعهم فبان لا يؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات أولى فهذا هو
الذى قرره القاضى وهو الوجه الصحيح الذى يبقى الكلام معه منتظماً والوجه الثانى
وهو ان المعنى انهم لا يجمعون كون القرآن معجزة فلا يضيق قلبك بسببه انما أنت منذر
فاعليك الان تنذر الى أن يحصل الايمان في صدورهم ولست بقادر عليهم ولكل قوم
هاد قادر على هدايتهم بالتخيق وهو الله سبحانه وتعالى فيكون المعنى ليس لك الا الانذار
وأما الهداية فمن الله تعالى واعلم أن أهل الظاهر من المفسرين ذكرناه هنا أقوالاً الاول
النذر والهادى شى واحد والتقدير انما أنت منذر ولكل قوم منذر على حدة ومعجزة كل
واحد منهم غير معجزة الآخر الثاني المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادى هو الله تعالى
روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والثالث

وتقديم الاسرار والاستخفاء لاطهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر والاعتسبه الى الكل
لهواء لما عرفته آنفاً (له) اى لكل من أسر أو جهر والمستخفى أو السارب (معقبات) ملائكة تعقب في حفظه جمع
لعملة من عقبه مبالغه عقبه اذا

جاء على عقبه كما بعضهم يعقب بعضا اولادهم يعقبون امواله وافعاله فينتسبونه او يعقب قاعدته النار في الثاني
والثالث للعبادة والمراد بالمعانيات الجماعات وقرئ معاقب ﴿٢٧٢﴾ جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء

من احدى القافين
(من بين يديه ومن خلفه)
من جميع جوانبه أو من
الاعمال ما قدم وآخر
(يحفظونه من أمر الله)
من بأسه حين أذنب
بالاستهمال والاستغفاره
أو يحفظونه من المضار
أو يراقبون أحواله من أجل
أمر الله تعالى وقد قرئ به
وقبل من بمعنى الباء وقبل
من أمر الله صفة ثانية
لمعقبات وقبل المعقبات
الحراس والجلالوزن حول
السلطان يحفظونه
في توهده من قضاء الله تعالى
(ان الله لا يغير ما بقوم)
من النعمة والعافية
(حتى يغيروا ما بأنفسهم)
من الاعمال الصالحة
أو ملكاتها التي هي فطرة
الله التي فطر الناس عليها
الى أضدادها (واذا
أراد الله بغيرهم سوءا)
اختيارهم واستحقاقهم
لذلك (فلا مرد له)
فلا رد له والعامل
في اذا ما دل عليه الجواب
ومالهم من دونه من وال)
بلى أمرهم ويدفع عنهم
السوء الذي أراد الله بهم
بما قدمت أيديهم من تغيير

المندر النبي والهادي على قال ابن عباس رضي الله عنهما وضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على صدره فقال أنا المندر ثم أو مالى منكب على رضى الله عنه وقال أنت الهادي
يا على بك يهتدى المهتدون من بعدى قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض
الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار علم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم
من أسرا قول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) في وجهه انظم وجوه الاول انه تعالى لما حكى عنهم انهم طلبوا
آيات أخرى غير ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بين انه تعالى عالم بجميع المعلومات
فيعلم من حالهم انهم طلبوا الآية الأخرى للاسترشاد وطلب البيان أو لاجل النعت
والعناد وهل ينفعون بظهور تلك الآيات أو يزداد اصرارهم واستكبارهم
فلو علم تعالى انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد وطلب البيان ومن يدالفائدة لظهره الله
تعالى وما منعهم عنه لكنه تعالى لما علم انهم لم يقولوا ذلك لاجل محض العناد لاجرم انه
تعالى منعهم عن ذلك وهو كقوله تعالى ويقولون لو أنزل عليه آية من ربه قتل انما
الغيب لله فانتظروا وقوله قل انما الآيات عند الله والشأنى ان وجهه انظم انه تعالى
لما قال وان تعجب فعجب قولهم في انكار البعث وذلك لانهم أنكروا البعث بسبب ان
أجزاء أبدان الحيوانات عند تفريقها وتفتتها يختلط بعضها ببعض ولا يبقى الامتياز فيبين
تعالى انه انما لا يبقى الامتياز في حق من لا يكون عالما بجميع المعلومات أماني حق من
كان عالما بجميع المعلومات فانه يبقى تلك الاجزاء بحيث يمتاز بعضها عن البعض ثم اخرج
على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام
الثالث ان هذا منصل بقوله ويستعملونك بالسبئة قبل الحسنة والمعنى انه تعالى عالم
بجميع المعلومات فهو تعالى انما ينزل العذاب بحسب ما يعلم كونه فيه مصلحة والله أعلم
(المسئلة الثانية) لفظ ماني قوله ما تحمل كل أنثى وما تفيض الارحام وما تزداد امان
تكون موصولة واما ان تكون مصدرية فان كانت موصولة فالعنى انه يعلم ما تحمله من
الولدانه من أى الاقسام أهو ذكر أم أنثى وتام او ناقص وحسن او فحيح وطويل او قصير
وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترتبة فيه ثم قال وما تفيض الارحام والغيبض هو
النقصان سواء كان لازما او متعديا يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى
وغيبض الماء والمراد من الآية وما تفيض الارحام الا انه حذف الضمير الراجع وقوله
وما تزداد أى تأخذه زيادة تقول أخذت منه حق وازددت منه كذا ومنه قوله
تعالى وازدادوا تسعا ثم اختلفوا فيما تفيضه الرحم وتزداده على وجوه الاول عدد
الولد فان الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة وأربعة يروى ان شريكاً كان
رابعا ربعة في بطن أمه الثاني الولد قد يكون مخدجا وقد يكون تاما الثالث مدة ولادته
قد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى والى

ما بينهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وايدان بأنهم بما يشروه من انكار البعث ﴿اربعة﴾
واستعمال السنة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه
(هو الذى يربكم البرق خوفاً) من الصاعقة (وطمعا)

في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما أن الخوف عليه النفس أو الرزق العبد والمطموع فيه الرزق
المتروك وقيل الخوف أيضا من المطر لكن ٢٧٣ الخائف منه غير الطامع فيه كالخفاف والحراث ويلاه

الترتيب اللهم إلا أن
يتكلف ما أشير إليه من
أن الخوف عتيد
والمطموع فيه متروك
وانتصابهما على
المصدرية أي قتحافوا
خوفا وتطمعون طمعا
أو على الحالية من البرق
أو الخاططين بأصماد ذوى
أو يجعل المصدر بمعنى
المفعول أو الفاعل مبالغا
أو على العلية بتقدير
المضاف أي إرادة خوف
وطمع أو بتأويل الاخاف
والاطماع ليتحد فاعل
العلة والفعل المعلل
وأما جعل المعلل هي
الرؤية التي تتضمنها
الاراء على طريقة قول
الناطقة * وحلت بيوتى
في يفاع منم * تحال به
راعى الجولة طائرا *
حذار على أن لا ينال
معاونى * ولا نسوى
حتى يمتن حرا را * أى
احلك بيوتى حذارا فلا
سبيل إليه لان ما وقع
في معرض العلة الغائية
لا سيما الخوف لا يصلح
علة لزويةتهم (وينشئ
السحاب) الغمام
المنسحب في الجو (القال)

أربعة عند الشافعى والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك والداستين وهرم بن حيان
بقي في بطن امه أربع سنين ولذلك سمي هرما الرابع الدم فانه تارة يقل وتارة يكثر الخامسة
ما ينقص بالسقط من غير أن يتم وما يزداد بالتام السادس ما ينقص بظهور دم الحيض
وذلك لانه اذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الواد ونقص و بمقدار حصول ذلك نقصان
يزداد أيام الحمل لتصير هذه الزيادة جارية لذلك النقصان قال ابن عباس رضى الله عنهما
كلما سال الحيض في وقت الحمل يوم ا زاد في مدة الحمل يوما يحصل به الجبرو يعتدل الامر
السابع ان دم الحيض فضلة تجتمع في بطن المرأة فاذا امتلأت عر وفها من تلك
الفضلات فاضت وخرجت وسالت من دواخل تلك العروق ثم اذا سالت تلك المواد
امتلات تلك العروق مرة أخرى هذا كله اذا قلنا ان كلمة ماموصولة أما اذا قلنا انها
مصدرية قلنا معنى انه تعالى يعلم حل كل شيء ويعلم غيب الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء
من ذلك ولا من أوقاته وأحواله وأما قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار فعناه بقدر ووجد
لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله في أول الفرقان وخلق كل
شيء بقدره تقدير او اعلم ان قوله كل شيء عنده بمقدار يحتمل أن يكون المراد من العندية
العلم ومعناه انه تعالى يعلم كيفية كل شيء وكيفية على الوجه المفصل المبين ومتى كان
الامر كذلك امتنع وقوع التغير في تلك المعلومات ويحتمل أن يكون المراد من العندية
انه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الازلية و ارادته السرمدية
وعند حكماء الاسلام انه تعالى وضع أشياء كلية وأودع فيها قوى وخواص وحررها
بحيث يلزم من حركاتها المقدره بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات
مخصوصة مقدره ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخو لهم وهومن
أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة ثم قال تعالى عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس
رضى الله عنهما يريد علم ما غاب عن خلقه وما شهدوه قال الواحدى فعلى هذا الغيب مصدر
يريد به الغائب والشهادة أراد بها الشاهد واختلفوا في المراد بالغائب والشاهد قال
بعضهم الغائب هو المعلوم والشاهد هو الموجود وقال آخرون الغائب ما غاب عن الحس
والشاهد ما حضر وقال آخرون الغائب ما لا يعرفه الخلق والشاهد ما يعرفه الخلق ونقول
المعلومات قسمان المعدومات والموجودات والمعدومات منها ما لا يتمتع وجودها
ومنها معدومات لا يتمتع وجودها والموجودات أيضا قسمان موجودات يتمتع وجودها
وموجودات لا يتمتع عدمها وكل واحد من هذه الأقسام الاربع له أحكام وخواص
والكل معلوم لله تعالى وحكى الشيخ الامام الوالد عن أبي القاسم الانصارى عن امام
الحرمين رحمه الله تعالى انه كان يقول لله تعالى معلومات لانهاية لها وله في كل واحد
من تلك المعلومات معلومات أخرى لانهاية لها لان الجوهر الفرد يعلم الله تعالى من حاله انه
يكن وقوعه في احياز لانهاية لها على البدل وموصوفا بصغات لانهاية لها على البدل وهو

بالله وهي جمع ثقيلة ٣٥ خا وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال
سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام (ويسبح الرعد) أى سامعه من العباد الراجين
للمط (لمنسين) (بمحمد) أى يصحون بسبحان الله والحمد لله وأسأله الى الرعد لجله

لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبحه عبارة عن دلالة على وحدانيته تعالى وقضيه الشوبه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان ﴿ ٢٧٤ ﴾ من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد بقول الله

لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحته وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي عليه الصلاة والسلام عن الرعد فقال ملاك من الملائكة موكل بالسحاب معد مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك (والملائكة) أي يسبح الملائكة (من خفيته) من هيئته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فبصيب بهما من يشاء) فهلك به بذلك (وهم) أي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يرحكم البرق وقد انفتحت إلى الغيبة أي أنا باسقاطهم عن درجة الخطأ واعراض عنهم وتعددنا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطأ كانه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراقة البرق

تعالى عالم بكل الأحوال على التفصيل وكل هذه الأقسام داخل تحت قوله تعالى عالم الغيب والشهادة ثم انه تعالى ذكر عقيقه قوله الكبير وهو تعالى يتمتع أن يكون كبيرا بحسب الجثة والحجم والمقدار فوجب أن يكون كبيرا بحسب القدرة والمقادير الالهية ثم وصف تعالى نفسه بأنه المتعال وهو المنزه عن كل ما لا يجوز عليه وذلك يدل على كونه منزها في ذاته وصفاته وأفعاله فهذه الآية دالة على كونه تعالى موصوفا بالعلم الكامل والقدرة التامة ومنزها عن كل ما لا ينبغي وذلك يدل على كونه تعالى قادرا على البعث الذي أنكره وعلى الآيات التي اقترحوها وعلى العذاب الذي استعملوه وأنه انما يؤخر ذلك بحسب المشيئة الالهية عند قوام وبحسب المصلحة عند آخرين وقرأ أن كثير المتعالي بآيات الباطني الوقف والوصل على الاصل والباقيون بحذف الياء في الخاتمين للتخفيف ثم انه تعالى أكد بيان كونه عالما بكل المعلومات فقال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وغرم وفيه وجهان الاول أن سواء مصدر والمعنى ذو سواء كما تقول عدل زيد وغرم وأي ذوا عدل الثاني أن يكون سواء بمعنى مستو وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى الاضمار الآن سيؤيه يستفح أن يقول مستو زيد وعمر ولان أسماء الفاعلين اذا كانت تكررات لا يبدأ بها ولقائل أن يقول بل هذا الوجه أولى لان جل الكلام عليه بغنى عن التزام الاضمار الذي هو خلاف الاصل (المسئلة الثانية) في المستخفي والسارب قولان الاول يقال أخفيت الشيء أخفيه اخفاء فخفي واستخفي فلان من فلان أي توارى واسترق قوله وسارب بالنهار قال الفراء والزجاج ظاهر بالنهار في سر به أي طريقه يقال خلاله سر به أي طريقه وقال الأزهرى تقول العرب سربت الابل تسرب سر با أي مضت في الارض ظاهرة حيث شاءت فاذا عرفت ذلك فعنى الآية سواء كان الانسان مستخفيا في الظلمات أو كان ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل قال ابن عباس رضي الله عنهما سواء ما أضمرته القلوب وأظهرته الالسنه وقال مجاهد سواء من يقدم على القبايح في ظلمات الليالي ومن يأتي بها في النهار الظاهر سبيل النوال والبقول الثاني نقله الواحدى عن الأخفش وقضرب انه قال المستخفي الظاهر والسارب التوارى ومنه يقال خفيت الشيء وأخفيته أي اظهرته وأخفيت الشيء استخفجته ويسمى النباش المستخفي والسارب التوارى ومنه يقال للداخل سر با وانسرب الوحش اذا دخل في السرب أي في كئسه قال الواحدى وهذا الوجه صحيح في اللغة الآن الاختيار هو الوجه الاول لاطباق أكثر المفسرين عليه وأيضا فالليل يدل على الاستتار والنهار على الظهور والانتشار ﴿ قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) اعلم أن الضمير في له عائد الى من في قوله

وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته وعقله من يعقلها من المؤمنين ﴿ سواء ﴿ أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيئته تعالى وهم أي الكفرة الذين حكيت هوانهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم (يجادلون في الله)

أخفى في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعمال العذاب استهزاء واقتراح الآيات قالوا وله عطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يرثكم ﴿ ٢٧٥ ﴾ البرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على

قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلامجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعمال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للمحال أي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدل وقد أريد به ما أصاب أربدين ربعة أخالبيد فانه أقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يغيانه الغوائل فدخل المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس في نفر من الاصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى الى أربدانه اذا رأيتني اكلم محمد عليه الصلاة والسلام فدار أربد من خلفه عليه الصلاة والسلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقد

سواء منكم من اسرار القول ومن جهر به وقيل على اسم الله في عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقباب واما المعقبات فيجوز أن يكون أصل هذه الكلمة معقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون من الاعراب والمراد المعتذرون ويجوز أن يكون من عقبه اذا جاء على عقبه فاسم المعقب من كل شئ ما خلف بعقب ما قبله والمعنى في كلا الوجهين واحدا اذا عرفت هذا فنقول في المراد بالمعقبات قولان الاول وهو المشهور الذي عليه الجمهور أن المراد منه الملائكة الحافظة وانما صرح وصفهم بالمعقبات اما لاجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يتعقبون أعمال العباد ويتبعونها بال حفظ والكتب وكل من عمل علانم عار اليه فقد عقب فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل وملائكة النهار روى عن عثمان رضى الله عنه انه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملاك فقال عليه السلام ملاك عن يمينك يكتب الحسنات وهو أمين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين اكتب فيقول لاله يتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب أراحنا الله منسبه فبنس القرن ما أقبل مر اقبله الله تعالى واستحياء منا وملكان من بين يديك ومن خلفك فهو قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه وملك قابض على ناصيتك فاذا اتوا وضعت بك رفعتك وان تجبرت فعمك وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة على وملك على فيك لا يدع ان تدخل الحيفة في فيك وملكان على عينيك فهو لاء عشرة ملاك على كل آدمي تبدل ملائكة الليل بملائكة النهار فهم عشرون ملكا على كل آدمي وعنه صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحجبون في صلاة الصبح وصلاة العصر وهو المراد من قوله وقرآن الفجر قرآن الفجر كان مشهودا قيل تصعد ملائكة الليل وهي عشرة وتنزل ملائكة النهار وقال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وفي الآية سوالات (السؤال الاول) الملائكة ذكور فلم ذكر في جمعها جمع الاناث وهو المعقبات والجواب فيه قولان الاول قال الفراء المعقبات ذكر ان جمع ملائكة معقبة ثم جمعت معقبة بمعقبات كما قيل ابناوات سعدور جالات يكر جمع رجال والذي يدل على التذكير قوله يحفظونه والثاني وهو قول الاخفش انما أنشئت لكثرة ذلك منها نحو نسبة وعلامة وهو ذكر (السؤال الثاني) ما المراد من كون أوئكت المعقبات من بين يديه ومن خلفه والجواب أن المستخفي بالليل والسارب بالنهار قد أحاط به هؤلاء المعقبات فيعدون عليه أعماله وأقواله بتأمها ولا يشد من تلك الاعمال والاقوال من حفظهم شئ أصلا وقال بعضهم بل المراد يحفظونه من جميع المهاالك من بين يديه ومن خلفه لان السارب بالنهار اذا سعى في مهماته فاما يحذر من بين

على سله وجعله عامر يومئذ اليه فرأى النبي عليه الصلاة والسلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هار بافتزل في بيت امرأته سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابر زيا ملك الموت ويقول

الدهر و يقول واللات لئن احسرتي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لا نقضتها برحمتي فارسل الله تعالى ملكا فلعنه بجماعة
فأرداه في التراب فخرجت على ركبتة في الوقت غدة عظيمة فعاد ﴿ ٢٧٦ ﴾ الى بيت السلولة وهو يقول غدة كغدة

البعر وموت في بيت
سلولة ثم دعا بفرسه
فركبه فأجراه حتى مات
على ظهره وقبل أربده
ماروى عن الحسن أنه
كان رجل من طواغيت
العرب فبعث النبي عليه
الصلاة والسلام نفرا
من أصحابه يدعونه الى الله
زوجل فقال لهم أخبروني
مما تدعونني اليه ما هو
ويم هو من ذهب أم من
فضة أم من نحاس أم
من حديد أم من در
ستعظموا مقالته فرجعوا
الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
كفر قلبا ولا اعنى على الله
منه فقال عليه الصلاة
والسلام ارجعوا اليه
فرجعوا اليه فآزاد
الامقالتة الاولى وأخبث
نرجعوا اليه عليه الصلاة
والسلام وأخبروه بما صنع
فقال عليه الصلاة
والسلام ارجعوا اليه
فرجعوا اليه فيفهاهم
ننده ينازعونه اذا رفعت
سجادة ووردت وبرقت
ورمت بصاعقة فاحترق
الكافر فجاءوا يدعون
ليخبروه عليه الصلاة

يديه ومن خلفه (السؤال الثالث) ما المراد من قوله من أمر الله والجواب ذكر القراء فيه
قولين الاول انه على التقديم والتأخير والتقدير له مقببات من أمر الله يحفظونه والثاني
ان فيه اضمارا أى ذلك الحفظ من أمر الله أى بما أمر الله به فحذف الاسم وأبقى خبره
كما يكتب على الكيس ألفان والمراد الذى فيه ألفان والقول الثالث ذكره ابن الانباري
ان كلمة من معناها الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وبعائنه والدليل على انه لا بد من
المصير اليه انه لا قدرة للملائكة ولا احد من الملائكة على أن يحفظوا أحدا من أمر الله
وبما قضاء عليه (السؤال الرابع) ما الفائدة في جعل هؤلاء الملائكة موكلين علينا
والجواب أن هذا الكلام غير مستبعد وذلك لان المتبحرين اتفقوا على ان التدبير في كل
يوم للكوكب على حدة وكذا القول في كل ليلة ولا شك ان تلك الكواكب لها أرواح
عندهم فذلك التدبيرات المختلفة في الحقيقة لتلك الارواح وكذا القول في تدبير القمر
والهلال والكذ خدا على ما يقوله المنجمون وأما أصحاب الطلسمات فهذا الكلام
مشهور في أسنتهم ولذلك تراهم يقولون أخبرني الطبايعي التام ومرادهم بالطبايعي التام
ان لكل انسان روحا فلكية يتولى اصلاح مهماته ودفع بلياته وآفاته واذا كان هذا متفقا
عليه بين قدماء الفلاسفة وأصحاب الاحكام فكيف يستبعد بحجته من الشرع وتتمام
التحقيق فيه ان الارواح البشرية مختلفة في جواهرها وطوائفها فبعضها خيرة وبعضها
شريرة وبعضها معززة وبعضها مذللة وبعضها اقوية القهر والسلطان وبعضها ضعيفة وخيفة
وكأن الامر في الارواح البشرية كذلك فكذا القول في الارواح الفلكية ولا شك أن
الارواح الفلكية في كل باب وكل صفة اقوى من الارواح البشرية وكل طائفة
من الارواح البشرية تكون متشاكفة في طبيعة خاصة وصفة مخصوصة لما نها تكون
في تربية روح من الارواح الفلكية مشاكفة لها في الطبيعة والخاصة وتكون تلك
الارواح البشرية كأنها أولاد لتلك الروح الفلكية ومتى كان الامر كذلك كان ذلك
الروح الفلكي معينها على مهماتها ومرشد لها الى مصالحها وعاصمها عما ينقصها
الآفات فهذا كلام ذكره محققو الفلاسفة واذا كان الامر كذلك علمنا أن الذي وردت
به الشريعة أمر مقبول عند الكل فكيف يمكن استنكاره من الشريعة * ثم في
اختصاص هؤلاء الملائكة وتسليطهم على بنى آدم فوائد كثيرة سوى التي مر ذكرها من قبل
الاول أن الشياطين يدعون الى الشرور والمعاصي وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات
والطاعات والثاني قال مجاهد ما من عبد الاومه ملك يحفظه من الجن والانس والهوام
في نومه ويقضته الثالث أنارى أن الانسان قد يقع في قلبه داع قوى من غير سبب ثم يظهر
بالآخرة ان وقوع تلك الداعية في قلبه كان سببا من أسباب مصالحه وخيراته وقد ينكشف
أيضا بالآخرة انه كان سببا لوقوعه في آفة أوفى معصية فيظهر ان الداعى الى الامر الاول
كان مريدا للخير والراحة والى الامر الثاني كان مريدا للفساد والحقنة والاول هو الملك

والسلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من ابن عتلم قالوا أوجى الى ﴿ الهادى ﴾
النبي صلى الله عليه وسلم (وهو شديد الحال) أى والحال أنه شديد المماحلة والمكابرة والمماكرة لاعدائه م
محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل

أما تكلف استعمال الجبل وقيل هو محال من المحل بمعنى القوة وقيل محول من المحول أو الحيلة أهل على غير قياس ويفضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل ﴿ ٢٧٧ ﴾ من حال محول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة

والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) أى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للابذان بعباستها الحق واختصاصها به وكونه بمنزلة من شائبة البطلان والضياح والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه أى الدعوة اللاتمة بخضرة كافي قوله عليه الصلاة والسلام من كانت هجرة إلى الله ورسوله فهجرت إلى الله ورسوله والنرض لوصف الحقبة لتربية معى الاستجابة والاولى هو الاول لقوله تعالى ومادعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك أربدوعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما أو من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الهادى والثاني هو الشيطان المعنوي الرابع أن الانسان اذا علم أن الملائكة تحصى عليه أعماله كان الى الخذر من المعاصى أقرب لان من آمن يعتقد جلالة الملائكة وعلو مراتبهم فاذا حاول الاقدام على معصية واعتقدا أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام عليها كما يزجره عنها اذا حضره من يعظمه من البشر واذا علم أن الملائكة تحصى عليه تلك الاعمال كان ذلك أبصارا دعاله عن او اذا علم أن الملائكة يكتبون بها كان الردع أكل (السؤال الخامس) ما الفائدة في كتابة أعمال العباد قلنا ههنا مقامات الاول ان تفسير الكتبة بالمعنى المشهور من الكتبة قال المتكلمون الفائدة في تلك الصحف وزنها ليعرف ربحان احدي الكتفين على الاخرى فانه اذا ربحت كفة الطاعات ظهر الخلائق انه من أهل الجنة وان كان بالصدف بالصدف قال القاضي هذا بعيد لان الاداة قد دلت على أن كل واحد قبل مماته عند المعاينة يعلم انه من السعداء أو من الاشقياء فلا يتوقف حصول تلك المعرفة على الميزان ثم أجاب القاضي عن هذا الكلام وقال لا يمتنع أيضا ما روينا لامر يرجع الى حصول سروره عند الخلق العظيم انه من أولياء الله في الجنة وبالضد من ذلك في أعداء الله والمقام الثاني وهو قول حكماء الاسلام أن الكتابة عبارة عن نفوس مخصوصة وضعت بالاصطلاح لتعريف المعاني الخصوصية فلو قدرنا كون تلك النفوس دالة على تلك المعاني لا عيانها وذواتها كانت تلك الكتبة أقوى وأكمل اذا ثبت هذا فنقول ان الانسان اذا أتى بعمل من الاعمال مرات وكرات كثيرة متوالية حصل في نفسه بسبب تكررها ملكة قوية راسخة فان كانت تلك الملكة ملكة سارة بالاعمال النافعة في السعادات الروحانية هضم ابتهاجه بها بعد الموت وان كانت تلك الملكة ملكة ضارة في الاحوال الروحانية عظم تضرره بها بعد الموت اذا ثبت هذا فنقول ان التكرير انكثير لما كان سببا لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكل واحد من الاعمال المتكررة أثر في حصول تلك الملكة الراسخة وذلك الاثر وان كان غير محسوس الا أنه حاصل في الحقيقة واذا عرفت هذا ظهر انه لا يحصل للانسان لمحبة ولا حركة ولا سكن الا ويحصل منه في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو آثارها الشقاوة قل أو كثر فهذا هو المراد من كتابة الاعمال عند هؤلاء والله أعلم بحقائق الأمور هذا كله اذا فسرنا قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه بالملائكة * القول الثاني وهو أيضا منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره أبو مسلم الاصفهاني المراد انه يستوى في علم الله تعالى السر والجمهور والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار المستظهر بالمعانونين والانصار وهم الملوك والامراء فمن جالى الليل فلن يغتوب الله أمره ومن سار نهارا بالمعقبات وهم الاحراس والاعوان الذين يحفظونه لم ينجم احراسه من الله تعالى والمعقب العون لانه اذا أبصر هذا ذاك فلا بد ان يبصر ذاك هذا فصير بصيرة كل واحد منهم معاقبة لبصيرة الآخر فهذه المعقبات لا تخلص من قضاء الله ومن قدره وهم وان ظنوا أنهم يخلصون

بمحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) أى الاصنام الذين يدعوهوهم المشركون فحذف العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون لهم بشئ) من طلباتهم (الا كباط كفيه الى الماء) أى الاستجابة كاشنة كاستجابة الماء لمن سطر كفه الله من بعد فلا استجابة منه من

المبنى للفاعل على ما ينضج العقل الظاهر حتى لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبنى للمفعول وإضافته إلى المبالغة
على استلزام المصدر من المبنى للفاعل للمصدر من المبنى للمفعول ﴿ ٢٧٨ ﴾ وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون

لهم بشئ فلا يستجاب
لهم الاستجابة كأنه
كاستجابة من بسط كفيه
إلى الماء كما في قوله *
وهضة دهر يا ابن مروان
لم تدع * من المسال
الامسحت او مجلف *
أى لم تدع فلم يسق
الامسحت او مجلف
(اليلغ) أى الماء بنفسه
من غير أن يؤخذ بشئ *
من اناء ونحوه (فاه
ما هو) أى الماء (بالغة)
ببالغ فيه أبدا لكونه
جادا لا يشبع بعطشه
ولا يستطيع إليه فضلا
عن الاستطاعة لما أراد
من البلوغ إلى فيه شبه
حال المشركين في عدم
حصولهم في دعاء آلهتهم
على شئ أصلا وركاكة
رأيهم في ذلك بحال
عطشان هائم لا يدري
ما يفعل قد بسط كفيه
من بعيد إلى الماء يبغي
وصوله إلى فيه من غير
ملاحظة التشبيه في جميع
مفردات الأطراف فإن
الماء في نفسه شئ نافع
بخلاف آلهتهم والمراد
نفي الاستجابة رأسا
الأنه قد أخرج الكلام

مخدومهم من أمر الله ومن قضائه فانهم لا يقدرون على ذلك البتة والمقصود من هذا
الكلام بعث السلاطين والأمراء والكبراء على أن يطلبوا الخلاص من المكارة عن
حفظ الله وعصمته ولا يقولوا في دفعها على الاعوان والانصار ولذلك قال تعالى بعده
واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وماله من دونه من وال * أمافونه تعالى ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فكلام جميع المفسرين يدل على أن المراد لا يغير ما هم فيه
من النعم بالزال الانتقام الأبان يكون منهم المعاصي والفساد قال القاضي والظاهر
لا يحتمل الا هذا المعنى لانه لا شئ مما يفعله تعالى سوى العقاب الا وقد يتدبى به في الدنيا
من دون تغيير يصدر من العبد فيما تقدم لانه تعالى ابتداء بالنعم ديناً ودنياً وبفضل في ذلك
من شاء على من يشاء فالمراد مما ذكره الله تعالى التغيير بالهلاك والعقاب ثم اختلفوا
فبعضهم قال هذا الكلام راجع إلى قوله ويستجلبونك بالسنة قبل الحسنة فبين تعالى
انه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا بالمعلوم منهم الاصرار على الكفر والمعصية حتى
قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن أو في عقبه من يؤمن فانه تعالى لا ينزل عليهم
عذاب الاستئصال وقال بعضهم بل الكلام يجري على اطلاقه والمراد منه أن كل قوم
بالغوا في الفساد وغيروا طريقهم في اطهار عبودية الله تعالى فان الله يزيل عنهم النعم
وينزل عليهم أنواعا من العذاب وقال بعضهم ان المؤمن الذي يكون مختلطاً بولئك
الاقوام فر بما دخل في ذلك العذاب روى عن أبي بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله
تعالى بعقاب واحج أبوعلى الجبائي والقاضي بهذه الآية في مسئلتين (المسئلة الاولى)
انه تعالى لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بأنفسهم من نعمة فيغير
الله حالهم من النعمة إلى العذاب (المسئلة الثانية) قالوا الآية تدل على بطلان قول
الجبيرة انه تعالى يتدبى العبد بالضلال والخذلان أول ما يبلغ وذلك أعظم من العقاب مع
انه ما كان منه تغيير والجواب ان ظاهر هذه الآية يدل على ان فعل الله في التغيير مؤخر
عن فعل العبد الان قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله يدل على ان فعل العبد مؤخر
عن فعل الله تعالى فوقع التعارض وأما قوله واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فقد احتج
أصحابنا به على ان العبد غير مستقل في الفعل قالوا وذلك لانه اذا كفر العبد فلا شك انه
تعالى يحكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة فلو كان العبد مستقلا
بتحصيل الايمان لكان قادرا على رد ما أراد الله تعالى وحينئذ يبطل قوله واذا أراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له ثبت ان الآية السابقة وان اشعرت بذهبهم الا أن هذه الآية
من أقوى الدلائل على مذهبنا قال الضحاك عن ابن عباس لم تغن المعقبات شيئا وقال عطية
عنه لا اراد لعذابي ولا ناقض لحكمي وماله من دونه من والى ليس لهم من دون الله من
يتولاهم وينع قضاء الله عنهم والمعنى ماله من والى ليس لهم من دون الله من
قوله

نخرج انتهكم بهم فقبل لا يستجيبون لهم شئاً من الاستجابة الاستجابة كأنه في هذه الصورة التي ﴿ تعالى ﴾
ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالنا وكباسا بالتوين
(ومادعاء الكافرين الا في ضلال)

بسم الله الرحمن الرحيم (وله) وحده (بسمه) يخضع وينقاد لشيء غيره لا تقلا ولا اشتراكا تصير بنظام القلب
والافراد (من في السموات والارض) من الملائكة ﴿ ٢٧٩ ﴾ والثقلين (طوعا وكرها) أى طائعين وكارهين

وانقياد طوع وكره أو
حال طوع وكره فان
خضوع الكل لعظمة الله

عز وجل وانقيادهم
لاحداث ما اراده فيهم

من احكام التكوين
والاعدام شأوا وأبوا

وعدم مداخلة حكم
غيره بل غير حكمه تعالى

في تلك الشؤون مما لا يخفى
على أحد (وظلالهم)

أى وتغادله تعالى ظلال
من له ظل منهم أعنى

الانس حيث تنصرف
على مشيئته وتأنى

لارادته في الامتداد
والنقلص والتأني هو الزوال

(بالقدو والآصال)
ظرف للوجود المقدر

أو حال من الظلال
وتخصيص الوقتين بالذكر

مع أن انقيادها متحقق
في جميع أوقات وجودها

لظهور ذلك فيهما والغدو
جمع غداة كفتى في جمع

فناء والآصال جمع أصيل
وقبل جمع أصل وهو جمع

أصيل وهو ما بين العصر
والغرب وقسيل الغدو

مصدر ويؤيده انه
قرئ والابصال أى

الدخول في الاصيل

تعالى (هو الذى ير بكم البرق خوفا وطمعا وينشى السحاب انشقال ويسبح الرعد بحمده
والملائكة من خيافته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو
شديد المحال) اعلم أنه تعالى لما خوف العباد بأنزال مالا مر دله اتبعه بذكر هذه الآيات
وهى مشتملة على أمور ثلاثة وذلك لانها دلائل على قدرة الله تعالى وحكمته وانها تشبه
النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه واعلم انه
تعالى ذكر ههنا أمورا أربعة الاول البرق وهو قوله تعالى ير بكم البرق خوفا وطمعا وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف في انتصاب قوله خوفا وطمعا وجوه
الاول لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الاعلى تقدير
حذف المضاف أى ارادة خوف وطمع أو على معنى اخافة واطماعا الثانى يجوز أن يكونا
منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وذا طمع
أو على معنى اخافا واطمعا الثالث أن يكونا حالا من المخاطبين أى خائفين وطماعين
(المسئلة الثانية) في كون البرق خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف
وقوع الصواعق ويطمع في نزول الغيث قال المتنبي

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
الثانى انه يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر وكن في جراه التمر والازبيب ويطمع فيه
من له فيه نفع الثالث ان كان شئ يحصل في الدنيا فهو خير بالنسبة الى قوم وشر بالنسبة
الى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج اليه في أوانه وشر في حق من يضره ذلك
اما بحسب المكان أو بحسب الزمان (المسئلة الثالثة) اعلم ان حدوث البرق دليل عجيب
على قدرة الله تعالى وبيان ان السحاب لا شك انه جسم مركب من أجزاء رطبة مائية
ومن أجزاء هوائية ونارية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد
رطب والنار جسم حار يابس وظهور الضد من الضد انام على خلاف العقل فلا بد من
صانع مختار يظهر الضد من الضد فان قيل لم لا يجوز ان يقال الريح احتقت في داخل
جرم السحاب واستولى البرد على ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه ثم ان ذلك الريح يمزجه
تمزقا عتيقا فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة والحركة العنيفة موجبة
للسخونة وهى البرق والجواب ان كل ما ذكرتموه على خلاف المعقول وبسانه من
وجوه الاول انه لو كان الامر كذلك لوجب أن يقال أيا يحصل البرق فلا بد وأن يحصل
الرعد وهو الصوت الحادث من تمزق السحاب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فانه كثيرا
ما يحدث البرق القوي من غير حدوث الرعد الثانى ان السخونة الحاصلة بسبب قوة
الحركة مقابلة للطبيعة المسائية الموجبة للبرد وعند حصول هذا العارض القوي كيف
تحدث النارية بل نقول التبران العظيمة تنطق بصب الماء عليها والسحاب كله ماء فكيف
يمكن ان يحدث فيه شملة ضعيفة نارية * الثالث من مذهبكم ان النار الصرفة لا لون

هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطراب وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه
قال تعالى فاذا ركعوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفعاما وعقولا بها تسجد لله
سبحانه كما خلقها للعباد حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر

فيها اثار العجلى كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراى سجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود على الاصحاب وانما حجة
 بأن اختصاص سجود الكافر بحالة الضرورة والشدة ﴿ ٢٨٠ ﴾ بالله سبحانه لا يجدى فان سجودهم لاصنامهم

لها البتة فذهب أنه حصلت النارية بسبب قوة المحاكاة الحاصلة بأجزاء السحاب لكن من
 أين حدث ذلك اللون الأحمر فثبت ان السبب الذي ذكره ضعيف وان حدوث النار
 الحاصلة في جرم السحاب مع كونه ماء خالصا لا يمكن الا بقدرة القادر الحكيم (النوع
 الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وينشئ السحاب اثقال قال
 صاحب الكشاف السحاب اسم جنس والواحدة سحابة والاثقال جمع ثقله لانك تقول
 سحابة ثقيلة وسحابة ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهى الثقال بالماء واعلم
 ان هذا أيضا من دلائل القدرة والحكمة وذلك لان هذه الاجزاء المائية اما أن يقال
 انها حدثت في جوف الهواء أو يقال انها تصاعدت من وجه الارض فان كان الاول وجب
 أن يكون حدوثها باحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب وأن كان الثاني وهو أن يقال
 ان تلك الاجزاء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت
 فثقلت فرجعت الى الارض فنقول هذا باطل وذلك لان الامطار مختلفة فتارة تكون
 القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون مقترنة وأخرى تكون متباعدة وتارة
 تدوم مدة نزول المطر زمانا طويلا وتارة قليلا فاختلاف الامطار في هذه الصفات مع ان
 طبيعة الارض واحدة وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد وأن يكون
 بتخصيص الفاعل المختار وأيضا فالجربة دلت على ان للدعاء والتضرع في نزول القيث أثر
 عظيما ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فقلنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل
 لا الطبيعة والخاصية (النوع الثالث) من الدلائل المذكورة في هذه الآية الرعد وهو
 قوله ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته وفيه أقوال (الاول) ان الرعد اسم ملك
 من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتلهيل عن ابن عباس
 رضى الله عنهما أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من
 الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا فما
 الصوت الذى نسمع قال زجره السحاب وعن الحسن انه خلق من خلق الله ليس بملك فعلى
 هذا القول الرعد هو الملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح لله تعالى وذلك الصوت أيضا
 يسمى بالرعد ويؤكد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سمع الرعد قال
 سبحان الذى سبحته وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينشئ السحاب الثقال
 فينطق أحسن النطق وبضحك أحسن الضحك فنطفه الرعد وضحكه البرق واعلم ان هذا
 القول غير مستبعد وذلك لان عند أهل السنة البنية ليست شرطاً لحصول الحياة فلا يبعد
 من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في اجزاء السحاب فيكون هذا
 الصوت المسموع فعلا له وكيف يستبعد ذلك ونحن نرى أن السمندل يتولد في النار
 والضفادع تتولد في الماء البارد والدودة العظيمة ربما تتولد في الثلوج القديمة وأيضا
 فاذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام ولا تسبيح الخصى في زمان محمد صلى

حالة الرخاء بمخل بالقصر
 المستفاد من تقديم الجار
 والمجرور فالوجه جل
 السجود على الانقياد ولان
 فتحقيق انقياد الكل في
 الابداع والاعداد له
 تعالى ادخل في التوبيخ
 اتخاذ أولياء من دونه
 من تحقيق سجودهم له
 تعالى وتخصيص انقياد
 العقلاء بالذكر مع كون
 غيرهم أيضا كذلك لانهم
 العمد وانقيادهم دليل
 انقياد غيرهم على أنه بين
 ذلك بقوله عز وجل
 (قل من رب السموات
 والارض) فانه لتحقيق
 أن خالقهما ومتولى
 أمرهما مع ما فيهما على
 الإطلاق هو الله سبحانه
 وقوله تعالى (قل الله)
 أمر بالجواب من قبله
 عليه الصلاة والسلام
 فاعاربا أنه متعين للجوابية
 فهو والخصم في تقريره
 سواء او امره بحكاية
 اعترافهم ايدانابه أمر
 لا بد لهم من ذلك كانه
 قيل احك اعترافهم
 فيكنهم بما ينزههم من
 لجة وألقهم بالجرأ وأمر
 بتلقينهم ذلك ان تلغوا

في الجواب حذرا من الازام فانهم لا يمتالكون اذ ذاك ولا يقدررون على انكاره (قل) الزامهم ﴿ الله ﴾
 وتبكيئا (أفأنتخذتم) لانفسكم والهجرة لانكار الواقع كما في قولك اضربت أباك لانكار الوقوع كما في قولك اضربت أبي
 والغاء للعطف على مقدر بعد الهمة اء اعلمته ان بهما هو الله الذي يتقاد لاه من فيهما كافة

فَاتَّخَذْتُمْ عَقِيبَهُ (مَنْ دُونَهُ أَوْلِيَاءُ) عَاجِزِينَ (لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا) يَسْجُدُونَ (وَلَا ضَرَّ) يَدْفَعُونَهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَضْلًا
عَنِ الْقُدْرَةِ عَلَى جَلْبِ النَّفْعِ أَغْيَرَهُ وَدَفَعَ الضَّرَرَ ﴿ ٢٨١ ﴾ عِنْدَهُ لَعَلِّي أَنْ يَكُونَ الْإِنْكَارُ مَتَوَجِّهًا إِلَى الْمُعْطُوفِينَ مَعًا

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ
إِذَا قُدِّرَ الْمُعْطُوفُ عَلَيْهِ
الْأَسْمَعُونَ بَلْ إِلَى تَرْبِ
الشَّائِي عَلَى الْأَوَّلِ مَعَ
وَجُوبِ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ
نَفِيسُهُ كَمَا إِذَا قُدِّرَ
أَسْمَعُونَ وَالْمَعْنَى أَبْعَدُ أَنْ
عَلِمْتَ أَنْ رُبَّمَا هُوَ اللَّهُ جَلَّ
جَلَالُهُ اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ عِجْرَةً وَالْحَالُ أَنَّ
قَضِيَّةَ الْعِلْمِ بِذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ
الْإِقْتِصَارُ عَلَى تَوَلِيهِ
فَعَكْسْتُمْ الْأَمْرَ كَافِي قَوْلِهِ
تَعَالَى كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِهِ بِهِ فَاتَّخَذُونَهُ
وَذَرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي
وَوَصَفَ الْأَوْلِيَاءَ هَهُنَا

بِعَدَمِ الْمَالِكِيَّةِ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ
فِي تَرْشِيحِ الْإِنْكَارِ وَتَأْكِيدِ
كَتْمِ اتَّخَاذِ هَذَا
بِالْجُمْلَةِ الْحَالِيَةِ أَعْنَى قَوْلِهِ
تَعَالَى وَهُمْ لَكُمْ عِدُوٌّ فَإِنْ
كَلَامُهُمَا يَنْبَغِي الْإِتِّخَاذَ
الْمَذْكُورَ يَوْ كَدَانِ كَارِهِ
(قُلْ) تَصَوُّرِ الْأَرَأَيْهِمْ
الرَّكِبَةَ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ
(هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى)
الَّذِي هُوَ الْمُشْرِكُ الْجَاهِلُ
بِالْعِبَادَةِ وَمُسْتَحَقُّهَا
(وَالْبَصِيرُ) الَّذِي هُوَ
الْمُوحِدُ الْعَالِمُ بِذَلِكَ أَوْ
الْأَوَّلُ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَعْبُودِ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ يَسْتَعِدُّ تَسْبِيحَ السَّحَابِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَهَذَا الشَّيْءُ الْمُسَمَّى بِالرَّعْدِ
مَلَكٌ أَوْ لَيْسَ بِمَلَكٍ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَلَكٍ لِأَنَّهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ قَالَتْ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَالْمُعْطُوفُ عَلَيْهِ مُغَايِرٌ لِلْمُعْطُوفِ وَالثَّانِي وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَعْدُ أَنْ يَكُونَ
مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَإِنَّمَا حَسَنَ إِفْرَادِهِ بِالذِّكْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ كَافِي قَوْلِهِ وَمَلَائِكَتُهُ
وَرَسُولُهُ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَالُ وَفِي قَوْلِهِ وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ (الْقَوْلُ
الثَّانِي) أَنَّ الرَّعْدَ اسْمٌ لِهَذَا الصَّوْتِ الْمُخْصُوصِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّعْدَ يَسْبِيحُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ
التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ وَمَا يَجْرِي بِحِجْرِهِمَا لَيْسَ الْوُجُودُ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى حَصُولِ التَّزْيِينِ
وَالتَّقْدِيسِ لِسُبْحَانِهِ وَتَعَالَى فَلَمَّا كَانَ حَدُوثُ هَذَا الصَّوْتِ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ مَوْجُودٍ
مَتَعَالٍ عَنِ الْقِصَصِ وَالْإِمْكَانِ كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ تَسْبِيحًا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ (الْقَوْلُ الثَّلَاثُ) أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كَوْنِ الرَّعْدِ مَسْجِيًا أَنْ يَسْمَعَ الرَّعْدُ
فَإِنَّهُ يَسْبِيحُ اللَّهَ تَعَالَى فَلِهَذَا الْمَعْنَى أُضِيفَ هَذَا التَّسْبِيحُ إِلَيْهِ (الْقَوْلُ الرَّابِعُ) مِنْ كَلِمَاتِ
الصَّوْفِيَةِ الرَّعْدُ صَعَقَاتُ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَرْقُ زَفَرَاتُ أَفْتِدَتِهِمْ وَالْمَطَرُ بِكَأْوِهِمْ فَإِنْ قِيلَ
وَمَا حَقِيقَةُ الرَّعْدِ فَلَنَا اسْتَفْصَيْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
أَمَّا قَوْلُهُ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ فَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مَنْ يَقُولُ عَنِ يَهُوَّاءَ الْمَلَائِكَةُ
أَعْوَانُ الرَّعْدِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَهُ أَعْوَانًا وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ أَيْ وَتَسْبِيحِ
الْمَلَائِكَةِ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَشْيَتِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمْ خَائِفُونَ مِنَ
اللَّهِ لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ فَإِنَّ آدَمَ فَإِنْ أَحَدُهُمْ لَا يَعْرِفُ مِنْ عَلَى يَمِينِهِ وَمِنْ عَلَى يَسَارِهِ وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْ
عِبَادَةِ اللَّهِ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ وَلَا شَيْءٌ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْحُكَمَاءِ يَذْكُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ
الْعُلُوبِيَّةَ انْتَهَتْ بِقُوَّةِ رُوحَانِيَّةِ فَلَيْسَ بِسَحَابٍ رُوحٌ مَعِينٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ الْفَلَاسِيَّةِ يَدْبُرُهُ
وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الرِّيَاحِ وَفِي سَائِرِ الْأَثَارِ الْعُلُوبِيَّةِ وَهَذَا عَيْنُ مَا نَقَلْنَاهُ مِنْ أَنَّ الرَّعْدَ اسْمٌ مَلَكٌ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسْبِيحُ اللَّهَ فَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ هُوَ عَيْنُ مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ
مِنَ الْحُكَمَاءِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ الْإِنْكَارُ (النُّوعُ الرَّابِعُ) مِنَ الدَّلَائِلِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ
الْآيَةِ قَوْلُهُ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيَصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْدَ ذِكْرِنَا مَعْنَى الصَّوَاعِقِ فِي
سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ زَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَامَرِ بْنِ الطَّفِيلِ وَأُرْبَدُ بْنُ رِبْعَةَ أَخِي
لِبَيْدَرِ رِبْعَةَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَاصِمَانَهُ وَيَجَادُّ لَانَّهُ وَرِيدَانِ الْقَتْلَ بِهِ
فَقَالَ أُرْبَدُ بْنُ رِبْعَةَ أَخُو لِبَيْدَرِ رِبْعَةَ أَخْبَرَنَا عَنْ بَنَاءٍ مِنْ نَحْنُ هُوَ أَمٌّ مِنْ حَدِيدٍ ثُمَّ أَنَّهُ
لَمَّا رَجَعَ أُرْبَدُ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَاحْرَقَتْهُ وَرَمَى عَامِرًا بَعْدَهُ كَعْدَةَ الْبَعِيرِ وَمَاتَ
فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَ الصَّاعِقَةِ عَجِيبٌ جِدًّا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَارٌ تُولَدُ مِنَ السَّحَابِ وَإِذَا
زَلَّتْ مِنَ السَّحَابِ فَرَبَّاهَا غَسَتْ فِي الْبَحْرِ وَاحْرَقَتْ الْحَيَاتَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَالْحُكَمَاءُ بِالْعَوَاقِفِ
وَصَفَ قُوَّتَهَا وَوَجْهَ الاسْتِدْلَالِ أَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ يَابِسَةٌ وَطَبِيعَتُهَا ضِدُّ طَبِيعَةِ السَّحَابِ فَوَجِبَ
أَنْ تَكُونَ طَبِيعَتُهَا فِي الْحَرَارَةِ وَالْبُيُوسَةِ أَوْ ضَعْفٌ مِنْ طَبِيعَةِ النَّبَرَانِ الْخَادِثَةِ عِنْدَنَا عَلَى

الْغَافِلِ وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعْبُودِ ﴿ ٣٦ ﴾ خَا الْعَالَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ) الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْكُفْرِ
وَالضَّلَالِ (وَالنُّورُ) الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَقَرِئَ بِأَلْيَاءٍ وَلِمَادِلِ النَّظْمِ الْكَرِيمِ عَلَى أَنْ

الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى إطلاقه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلاً ﴿ ٢٨٢ ﴾ وليس لهم في ذلك راحة تصلح أن تكون منشا

لغلطهم وخطئهم فضلاً عن الجحمة كذلك قليل (أم جعلوا الله) أي بل أجعلوا له (شركاء خلقوا كخلقهم) سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقهم هو الذي يتوجه إليه الانكار وأما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا الله تعالى شركاء خلقوا كخلقهم (فتشابه خلقهم عليهم) بسبب ذلك وقالوا هو لا خلقوا كخلقهم تعالى فاستحقوا بذلك العباد كما استحقها ليكون ذلك منشا لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمنزل من ذلك المرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم (قل) تحقّقوا للحق وارشادهم إليه (الله خالق كل شيء) كاذبة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العباد (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية المنفرد بالبوية (القهار) لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك

العادة لكنه ليس الامر كذلك فانها أقوى نيران هذا العالم فثبت ان اختصاصها بمن يد تلك القوة لا بد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل الاربعه قال وهم يجادلون في الله والمراد انه تعالى بين دلائل كمال علمه في قوله يعلم ما تحمّل كل انشي وبين دلائل كمال القدرة في هذه الآيات ثم قال وهم يجادلون في الله يعني هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوهاً أحدها أن يكون المراد الرد على الكفار الذي قال أخبرنا عن ربنا أن نحاس أم من حديد وثانيها أن يكون المراد الرد على جدالهم في انكار البعث وابطال الحشر والنشر وثالثها أن يكون المراد الرد عليهم في طلب سائر المعجزات ورابعها أن يكون المراد الرد عليهم في استئصال عذاب الاستئصال وفي هذه الواو قولان الاول انه المحال والمعنى فصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله وذلك أن ربه لما جادل في الله أحرقته الصاعقة والثاني انها او الاستئناف كأنه تعالى لما تم ذكر هذه الدلائل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله ثم قال تعالى وهو شديد المحال وفي لفظ المحال أقوال قال ابن قتيبة الميم زائدة وهو من الحول ونحوه ميم مكان وقال الأزهري هذا غلط قال الكلمة اذا كانت على مثال فعال أوله ميم مكسورة فهي أصلية نحو مهادر وملاك ومداس ومداد واختلفوا ثم أخذ على وجوه الاول قيل من قولهم محل فلان بفلان اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتحلّ لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فكان المعنى أنه سبحانه شديد المكر لاعدائه يهلكهم بطريق لا يتوقعونه الثاني ان المحال عبارة عن الشدة ومنه تسمى السنة الصعبة سنة المحل وما حلت فلانا محالاً أي قاومتنا أينما شد قال أبو مسلم ومحال فعال من المحل وهو الشدة ولفظ فعال يقع على المجازاة والمقابلة فكان المعنى انه تعالى شديد العقوبة وللمفسرين ههنا عبارات فقال مجاهد وقادة شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد العقوبة وقال الحسن شديد النعمة وقال ابن عباس شديد الحول الثالث قال ابن عرفة يقال ما حل عن أمره أي جادل فقوله شديد المحال أي شديد الجدال الرابع روى عن بعضهم شديد المحال أي شديد الحقد قالوا هذا لا يصح لان الحقد لا يمكن في حق الله تعالى إلا نافذ ذكرنا في هذا الكتاب ان أمثال هذه الانعاط اذا وردت في حق الله تعالى فانها تحمّل على نهابات الاعراض لا على مبادئ الاعراض فالمراد بالحقد ههنا هو أنه تعالى يريد ابطال الشره مع انه يخفى عنه تلك الارادة ﴿ قوله تعالى ﴾ (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ومادعا الكافرين الا في ضلال) اعلم أن قوله له دعوة الحق أي لله دعوة الحق وفيه بحثان (البحث الاول) في أقوال المفسرين وهي أمور أحدها ما روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال دعوة الحق قول لاله الا الله وثانيها قول الحسن ان الله هو الحق ودعاؤه هو الحق كأنه يومئ الى أن الانقطاع اليه في النداء هو الحق وثالثها ان عبادته هي

وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن ﴿ الحق ﴾ العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه مغاورة الاستعداد وفي جريانه هليها

ملاحظة وحفظا على الاسنة هذا كره وتلاوة وفي ثباته فيهما مع كونه مداحياتها الروحانية وما يملوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء ﴿ ٢٨٣ ﴾ السائل في أودية يابسة لم تجرعاتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة

في احياء الارض وما عليها
الباقي فيها حسبما يدور
عليه منافع الناس وفي
كونه حليسة تحلى به
النفوس وتوصل الى
البهجة الابدية ومتاعا
يتمتع به في المعاش والمعاد
بالذهب والفضة وسائر
القلزات التي يتخذونها
أنواع الآلات والادوات
وتبقى منتفعا بها سادة
طويلة ومثل الباطل
الذي ابتلى به الكفرة
لقصور نظرهم بما يظهر
فيها من غير مدخله له
فيها واخلاقا بصفاتها
من الابدال ابي فوقها
المضجى سر يعاقل
(أنزل من السماء) أى
من جهتها (ماء) أى
كثيرا أو نوعا منه وهو
ماء المطر (فسالت)
بذلك (أودية) واقعة
في مواقفه لاجتماع اودية
اذا لامطار لا تستوعب
الاقطار وهو جمع واد
وهو مفرج بين جبال
أو تلال أو أكام على
الشذوذ كناد وأندية
وناح وأنحية قالوا وجهه
أن فاعلا يحى بمضى

الحق والصدق واعلم ان الحق هو الوجود والوجود قسمان قسم يقبل العدم وهو حق
يمكن ان يصير باطلا وقسم لا يقبل العدم فلا يمكن أن يصير باطلا وذلك هو الحق الحقيقي
واذا كان واجب الوجود لذاته موجودا لا يقبل العدم كان أحق الموجودات بأن
يكون حقا هو هو وكان أحق الاعتقادات واحق الاذكار بأن يكون حقا هو اعتقاد
ثبوته وذكروا وجوده فثبت بهذا أن وجوده هو الحق في الموجودات واعتقاد وجوده هو
الحق في الاعتقادات وذكره بالثناء والالهية والكمال هو الحق في الاذكار فلهذا قال له
دعوة الحق (البحث الثاني) قال صاحب الكشف دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن
تضاف الدعوة الى الحق الذي هو تفيض الباطل كاتضاف اليه الكلمة في قوله كلمة الحق
والمقصود منه الدلالة على كون هذه الدعوة مختصة بكونها حقة وكونها خالية عن أمارات
كونه باطلا وهذا من باب اضافة الشيء الى صفته والثاني أن تضاف الى الحق الذي هو الله
سبحانه على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل
دعاء اليه فهو دعوة الحق ثم قال تعالى والذين يدعون من دونه عني الآلهة الذين يدعونهم
الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم شيء مما يطلبونه الاستجابة كاستجابة باسط كفيه
الى الماء والماء جاد لا يشعر بيسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر أن يجيب
دعاه ويبلغه فلهذا لم يدعوه جاد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر
على نفعهم وقيل شبهه وانى فلهذا فدعاهم لآلهتهم بمن أراد أن يعرف الماء يديه ليشربه
فيستطعها شربا أصابعه ولم تصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شر به وقرئ
تدعون بالثناء كباسط كفيه بالثوبين ثم قال وما دعاء الكافرين الا في ضلال أى الا في ضياع
لامنعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم ﴿ قوله تعالى
(والله يستجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) اعلم ان في
المراد بهذا السجود قولين (الاول) ان المراد منه السجود بمعنى وضع الجبهة على الارض
وعلى هذا الوجه ففقد وجهان أحدهما ان اللفظ وان كان عاما الآن المراد به
الخصوص وهم المؤمنون فبعض المؤمنين يسجدون لله طوعا بسهولة ونشاط ومن
المسلمين من يسجد لله كرها لصعوبة ذلك عليه مع انه يحمل نفسه على أداء تلك الطاعة
شاء أم أبى والثاني أن اللفظ عام والمراد منه أيضا العام وعلى هذا في الآية اشكال لانه
ليس كل من السموات والارض يسجد لله بل الملائكة يسجدون لله والمؤمنون من
الجن والانس يسجدون لله تعالى وأما الكافرون فلا يسجدون الجواب عنه من وجهين
الاول ان المراد من قوله والله يسجد من في السموات والارض أى ويجب على كل من في
السموات والارض أن يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول والثاني وهو أن
المراد من السجود التعظيم والاعتراف بالعبودية وكل من في السموات ومن في الارض
يعترفون بعبودية الله تعالى على ما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن

فعل كناسر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على أفعله كجرب وأجرية جمع فاعل أيضا
على أفعله فان أريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السبلان اليها حقيقي وان أريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي
كأن جرى النهر وابتشار التمثيل بها على

الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن مائل بها كما أشير اليه (بقدرها) اى سالت ملتبسة بمقدارها الذى عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس ﴿ ٢٨٤ ﴾ أو بمقدارها متفاوت قلة وكثرة بحسب

تفاوت مجالها صفرا وكبر الابل كونها مائلة لها منطبقه عليها بل بمجرد قلتها بصغر المستلزم اقله موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعى لكثرة الموارد فان مورد السيل الجارى في الوادى الصغير اقل من مورد السيل الجارى في الوادى الكبير هذا ان اريد بالادوية ما يسيل فيها امان اريد بها معناها الحقيقى فالعنى سالت مياهها بقدر تلك الادوية على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولاً من المعينين (فاحتمل السيل) الجارى في تلك الادوية اى جل معه (زبدا) اى غناه ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى (رايا) اى عاليا منتفخا فوقه بيا نالما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الجبل غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايدان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لامن جهة المحتمل لتحقيق المماثلة بينه وبين مائل به من الباطل الذى شأنه الظهور ﴿ محض ﴾

الله (وأما القول الثانى في تفسير الآية) فهو أن السجود عبارة عن الانقياد والخضوع وعدم الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل وتحقيق القول فيه أن ماسواه ممكن لذاته والممكن لذاته هو الذى تكون ماهيته قابلة لعدم الوجود على السوية وكل من كان كذلك امتنع رجحان وجوده على عدمه أو بالعكس اليتأثر بوجوده ومؤثر فيكون وجود كل ماسوى الحق سبحانه بايجاده وعدم كل ماسواه باعدامه فتأثيره نافذ في جميع الممكنات في طرفى اليجاد والاعدام وذلك هو السجود وهو التواضع والخضوع والانقياد ونظيره هذه الآية قوله بل له ما في السموات والارض كله فانتون وقوله وله أسلم من في السموات والارض وأما قوله تعالى طوعا وكرها فالمراد أن بعض الحوادث بما يميل الطبع الى حصوله كالخياة والغنى وبعضها بما يفر الطبع عنه كالموت والفقر والعسمى والحزن والزمانة وجميع أصناف المكروهات والكل حاصل بقضائه وقدره وتكوينه وابعاده ولا قدرة لاحد على الامتناع والمدافعة ثم قال تعالى وظلالهم بالغدو والآصال وفيه قولان الاول قال المفسرون كل شخص سواء كان مؤمنا أو كافرا فالظله يسجد لله قال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جازى التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله وعند هذا قال ابن الابارى لا يجد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافها ما تسجد بها وتخضع كاجل الله للجبال افها ما حتى اشغلت بتسبيح الله تعالى وحتى ظهر أثر التجلى فيها كما قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا والقول الثانى وهو أن المراد من سجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس فهى متعاقدة مستسلمة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خصص الغدو والآصال بالذكر لان انطلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين * قوله تعالى (قل من رب السموات والارض قل الله قل أفأنتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) اعلم انه تعالى لما بين ان كل من في السموات والارض ساجد لله بمعنى كونه خاضعا له عادالى الرد على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض قل الله ولما كان هذا الجواب جوابا يقر به المسئول ويعترف به ولا ينكره أمره صلى الله عليه وسلم أن يكون هو انذا كر لهذا الجواب تنبيه على انهم لا ينكرونه البتة ولما بين أنه سبحانه هو الرب لكل الكائنات قال قل لهم فلم اتخذتم من دون الله اولياء وهى جادات وهى لا تملك لانفسها نفعا ولا ضرا ولما كانت عاجزة عن تحصيل المنفعة لانفسها ودفع المضرة عن أنفسها فبان تكون عاجزة عن تحصيل المنفعة لغيرها ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك أولى فاذ لم تكن قادرة على ذلك كانت عبادتها

شأن الزبد لامن جهة المحتمل لتحقيق المماثلة بينه وبين مائل به من الباطل الذى شأنه الظهور ﴿ محض ﴾ في بادى الرأى من غير مداخله في الحق (وما يوقدون عليه في النار) أى يفعلون الايقاد عليه كأنها في انت برا الضمير للناس أضمر مع عدم

بقى الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب (ابتغاء حلية أو متاع) أى اطلب اتخاذ حلية وهى ما يزين ويكمل به
الحلى المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ ﴿ ٢٨٥ ﴾ متاع وهو ما يتبع به من الاواني والآلات المتخذة

من الرصاص والحديد
وغير ذلك من القلترات
(زبد) خبث (مثله) مثل
ما ذكر من زبد الماء
فى كونه رايافوقه فقوله
زبد مبتدأ خبره الظرف
المقدم ومن ابتدائية
دالة على مجرد كونه مبتدأ
وناشئ منه لتبعيضية
معرفة عن كونه بعضا
منه كما قيل لاخلال ذلك
بالتشديد وفى التعبير عن
ذلك بالوصول والتعرض
لما فى حيز الصلة من إيقاد
النار عليه جرى على سنن
الكبرياء باظهار اتهامون
به كما فى قوله تعالى فأوقدلى
يا هامان على الطين
وأشاره الى كيفية حصول
الزبد منه بذو بانه وفى
زيادة فى التار اشعار
بالبالغة فى الاعتقال
للاذابة وحصول الزبد
كما أشير اليه وعدم التعرض
لأخراجه من الارض
لعدم دخل ذلك العنوان
فى التمثيل كما أن لعنوان
انزال الماء من السماء دخلا
فيه حسبما فصل فيما سلف
بل له اخلال بذلك
(كذلك) أى مثل ذلك
الضرب البدع المشتل

محض العبث والسفه ولما ذكر هذه الحجة الظاهرة بين أن الجاهل بمثل هذه الحجة يكون
كالاعمى والعالم بها كالبصير والجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات والعلم بها كالنور وكان
كل أحد يعلم بالضرورة أن الاعمى لا يساوى البصير والظلمة لا تساوى النور كذلك كل
أحد يعلم بالضرورة أن الجاهل بهذه الحجة لا يساوى العالم بها فراحرة والكسائي وأبو بكر
وعمر وعن عاصم يستوى الظلمات والنور بالياء لانهما مقدمة على اسم الجمع والباقون بالياء
واختاره أبو عبيدة ثم أكد هذا البيان فقال أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة فتشابه
الخلق عليهم يعنى هذه الاشياء التى زعموا انها شركاء لله ليس لها خلق يشبه خلق الله حتى
يقولوا انها تشارك الله فى الخلقية فوجب ان تشاركه فى الالهية بل هؤلاء المشركون
يعلمون بالضرورة أن هذه الاصنام لم يصدر عنهم افعال البتة ولا خلق ولا أثر وإذا كان الامر
كذلك كان حكمهم بكونهم شركاء لله فى الالهية محض السفه والجهل وفى الآية مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم ان أصحابنا استدلوا بهذه الآية فى مسئلة خلق الافعال من وجوه
الاول أن المعتزلة زعموا أن الحيوانات تخلق حركات وسكنات مثل الحركات والسكنات
اتى بخلقها الله تعالى وعلى هذا التقدير فقد جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة ومعلوم أن
الله تعالى انما ذكر هذه الآية فى معرض الذم والانكار فدلت هذه الآية على أن العبد
لا يخلق فعل نفسه قال القاضى نحن وان قلنا ان العبد يفعل ويحدث الأنا لا نطلق
القول بانه يخلق ولو أطلقناه لم نقل انه يخلق كخلق الله لان أحدنا يفعل بقدره الله وانما
يفعل لجلب منفعة ودفع مضرة والله تعالى منز عن ذلك كله فثبت أن بتقدير كون
العبد خالقا الا انه لا يكون خلقه كخلق الله تعالى وأيضاف هذا الاثر لزم للمعجزة لانهم
يقولون عين ما هو خلق الله تعالى فهو كسب العبد وفعله وهذا عين الشرك لان الاله
والعبد فى خلق تلك الافعال بمنزلة الشريكين الذين لا مال لاحدهما الا والاخر فيه حق
وأيضافه هو تعالى انما ذكر هذا الكلام عيبا للكفار وذم اطرافتهم ولو كان فعل العبد
خلقاً لله تعالى لما بقى له هذا الذم فائدة لان للكفار ان يقولوا على هذا التقدير ان الله
سبحانه وتعالى لما خلق هذا الكفر فإفلم يذمنا عليه ولم ينسبنا الى الجهل والتقصير مع انه
قد حصل فينا لا بفعلنا ولا باختيارنا والجواب عن السؤال الاول ان لفظ الخلق اما أن
يكون عبارة عن الاخراج من العدم الى الوجود أو يكون عبارة عن التقدير وعلى
الوجهين فتقدير أن يكون العبد محدثا فانه لا بد وأن يكون حادثا أمأقوله والعبد وان
كان خالقا الا انه ليس خلقه كخلق الله قلنا الخلق عبارة عن اليجاد والتكوين
والاخراج من العدم الى الوجود ومعلوم أن الحركة الواقعة بقدره العبد لما كانت مثلاً
للمركبة الواقعة بقدره الله تعالى كان أحد المخواقين مثلاً للمخلوق الثانى وحينئذ يصح أن
يقال ان هذا الذى هو مخلوق العبد مثل لما هو مخلوق لله تعالى بل لا شك فى حصول المخالفة
فى سائر الاعتبارات الا أن حصول المخالفة فى سائر الوجوه لا يقدح فى حصول المماثلة

لى نكت راتعة (بضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق ومثل الباطل والحذف للبناء عن كمال التماثل بين الممثل
لمثله كان المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الائمة فى تضاعيف ذلك الى وجوه
مماثلة على أبدع وجوه وأنفها حسبما أشير اليه فى مواقعها بين عاقبة كل من

الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء ثمّة للغرض من التمثيل من الحق على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائد قبل ﴿٢٨٦﴾ (فأما الزيد) من كل منهما (فيذهب جفاه)

من هذا الوجه وهذا القدر يكفي في الاستدلال وأما قوله هذا لازم على المجرة حيث قالوا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فنقول هذا غير لازم لان هذه الآية دالة على أنه لا يجوز أن يكون خلق العبد مثلاً لخلق الله تعالى ونحن لانثبت للعبد خلقاً البتة فكيف يلزمنا ذلك وأما قوله لو كان فعل العبد خلقاً لله تعالى لما حسن ذم الكفار على هذا المذهب قلنا حاصله يرجع الى انه لما حصل المدح والذم وجب أن يكون العبد مستقلاً بالفعل وهو متقوض لانه تعالى ذم بالهيب على كفره مع انه عالم منه انه يموت على الكفر وقد ذكرنا ان خلاف المعلوم محال الوقوع فهذا تقرير هذا الوجه في هذه الآية وأما الوجه الثاني في التمسك بهذه الآية قوله قل الله خالق كل شيء ولا شك ان فعل العبد شيء فوجب أن يكون خاتمه هو الله وسواهم عليه ماتقدم والوجه الثالث في التمسك بهذه الآية قوله وهو الواحد القهار وليس يقال فيه انه تعالى واحد في أي المعاني ولما كان المذكور السابق هو الخالقية وجب أن يكون المراد هو الواحد في الخالقية القهار لكل ماسواه وحينئذ يكون دليلاً أيضاً على صحة قولنا (المسئلة الثانية) نزعهم ان الله تعالى لا يقع عليه اسم الشيء اعلم ان هذا النزاع ليس الا في اللفظ وهو ان هذا الاسم هل يقع عليه أم لا ونزع انه لا يقع هذا الاسم على الله تعالى واخرج عليه بأنه لو كان شيئاً لوجب كونه خالقاً لنفسه لقوله تعالى الله خالق كل شيء ولما كان ذلك محالاً لوجب أن لا يقع عليه اسم الشيء ولا يقال هذا عام دخله التخصيص لان العام المخصوص انما يخص اذا كان المخصوص أقل من الباقي وأخص منه كما اذا قلنا أكلت هذه الزمانة مع انه سقطت منها حبات ما أكلها وههنا ذات الله تعالى أعلى الموجودات وأشرفها فكيف يمكن ذكر اللفظ العام الذي يتناولها مع كون الحكم مخصوصاً في حقه والحجة الثانية تمسك بقوله تعالى ليس كمثل شيء والمعنى ليس مثل مثله شيء ومعلوم أن كل حقيقة فانها مثل مثل نفسها فإباري تعالى مثل مثل نفسه مع انه تعالى تبارك على أن مثل مثله ليس بشيء فهذا تنصيص على انه تعالى غير مسمى باسم الشيء والحجة الثالثة قوله تعالى وله الاسماء الحسنى فادعوه بها ذات هذه الآية على انه لا يجوز أن يدعى الله الاب بالاسماء الحسنى ولفظ الشيء يتناول أخص الموجودات فلا يكون هذا اللفظ مشعراً بمعنى حسن فوجب أن لا يكون هذا اللفظ من الاسماء الحسنى فوجب أن لا يجوز دعاء الله تعالى به هذا اللفظ والاصحاب تمسكوا في اطلاق هذا الاسم عليه تعالى بقوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأجاب الخصم عنه بأن قوله قل أي شيء أكبر شهادة سؤال متبرك الجواب وقوله قل الله شهيد بيني وبينكم كلام مبتدأ مستقل بنفسه لاتعلق له بما قبله (المسئلة الثالثة) تمسك المعتزلة بهذه الآية في انه تعالى عالم لذاته لا بالعالم وقادر لذاته لا بالقادرة قالوا لانه لو حصل لله تعالى علم وقدره وحياة لكانت هذه الصفات اما أن تحصل بخلق الله أولاً بخلقه والاول باطل والآخر المتسلسل والثاني باطل لان قوله الله خالق كل شيء يتناول الذات والصفات

أي مر ميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد (وأما ما يرفع الناس) منهما كالألأ الصافي والفلأ الخالص (فيكمث في الارض) أما الماء فثبت بعضها في منافعه ويسلك بعضها في عروق الارض الى العيون وانقنا والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضها أنواع الحلأ ويتخذ من بعضها أصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالكمث في الارض ما هو أعم من الكمث في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغير ترتيب اللفظ الواقع في الفلزات الموافقة للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملازمة بين حائلي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعبر انما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لا قبله (كذلك يضرب الله) أي مثل ذلك يضرب العجيب يضرب الله (الامثال) في كل باب اظهار الكمال اللطيف والعناية في الارشاد

والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل ونأ كيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴿٢٨٧﴾ حكمتنا ﴿٢٨٨﴾ اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول أو يجعل ذلك اشارة اليهما جميعاً وبعد ما بين شأن كل من الباطل والباطل حالاً وما لا أكل بيان شرع

في بيان حال أهل كل منها ما لا تكفيلا للدعوة وترهيبا لقبيل (الذين استجابوا لهم) اذ دعاهم الى الحق بفنون
للدعوة التي من جعلتها ضرب الامثال فانه ألطف ﴿ ٢٨٧ ﴾ ذرعة الى تفهيم القلوب الغبية وأدوى وسيلة

الى تسخير النفوس الآية
كيف لا وهو تصوير للعقول
بصورة المحسوس وازراز
لا وابد المعاني في هيئة
المانوس فأى دعوة أولى
منه بالاستجابة والقبول
(الحسنى) أى المثوبة
الحسنى وهى الجنة
(والذين لم يستجيبوا له)
وعادوا الحق الجلى
(لأنهم ما فى الارض)
من أصناف الاموال
(جميعا) بحيث لم يشذ منه
شاذ فى أقطارها وأجموعا
غير متفرق بحسب الازمان
(ومثله معه لا قدوابه)
أى بما فى الارض ومثله معه
جميعا ليتخلصوا عما بهم
وفيه من ترويل ما يلقاهم
ملا يحيط به البيان
فالوصول مبتدأ
والشرطية كما هى خبره
لكن لا على أنها وضعت
موضع السوإى فوقع
فى مقابلة الحسنى الواقعة
فى القرينة الاولى لمراعاة
حسن المقابلة فصار كأنه
قيل والذي لم يستجيبوا له
السوإى كما توهم
فان الشرطية وان دلت
على كمال سوء حالهم
لكنها بمنزل من القيام

حكمتنا بدخول التخصيص فبد فى حق ذات الله تعالى فوجب أن يبقى فيما سوى الذات على
الاصل وهو أن يكون تعالى خائفا لكل شئ سوى ذاته تعالى فلو كان الله علم وقدره اوجب
كونه تعالى خائفا لهما وهو محال وأيضاً تمسكوا بهذه الآية فى خلق القرآن قالوا الآية
دالة على أنه تعالى خالق لكل الاشياء والقرآن ليس هو الله تعالى فوجب أن يكون مخلوقاً
وأن يكون داخل تحت هذا العموم والجواب اقصى ما فى الباب ان الصيغة عامة الأنا
تخصصها فى حق صفات الله تعالى بسبب الدلائل العقلية * قوله تعالى (أنزل من
السماء ماء فسال أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا راييا ومما توفدون عليه فى النار
ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء
وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لهم
الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لا قدوابه أولئك
لهم سوء الحساب وما واهم جهنم وبئس المهاد أفن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق
كن هو أعمى انما يذكر أولوا الالباب) اعلم انه تعالى لما شبه المؤمن والكافرو الايمان
والكفر بالاعمى والبصير والظلمات والنور ضرب للايمان والكفر مثلاً آخر فقال
أنزل من السماء ماء فسال أودية بقدرها ومن حق الماء ان يستقر فى الاودية المنخفضة
عن الجبال والسهل بمقدار سعة تلك الاودية وصغرها ومن حق الماء اذا زاد على قدر
الاودية أن ينسبط على الارض ومن حق الزبد الذى يحمله الماء فيطفو ويربوه عليه أن
يتبدد فى الاطراف ويبطل سواء كان ذلك الزبد ما يجرى مجرى الغليان من البياض أو ما
يختلط بالماء من الاجسام الخفيفة ولما ذكر تعالى هذا الزبد الذى لا يظهر الا عند اشتداد
جوى الماء ذكر الزبد الذى لا يظهر الا بالنار وذلك لان كل واحد من الاجساد السبعة
اذا أذيت بالنار لا تبغى حلية أو متاع آخر من الامتعة التى يحتاج اليها فى مصالح البيت
فانه يفصل عنها من الزبد والخبث ولا ينفع به بل يضيع ويبطل ويبقى الخالص
فالحاصل ان الوادى اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء والاجساد
السبعة اذا أذيت لاجل اتخاذ الحلى أو لاجل اتخاذ سائر الامتعة انفصل عنها خبث
وزبد فيبطل ويبقى ذلك الجوهر المستفيع به فكنا ههنا أنزل من سماء الكبرياء والجلالة
الاحسان ماء وهو القرآن والاودية قلوب العباد وشبه القلوب بالاودية لان القلوب
تستقر فيها أنوار علوم القرآن كما ان الاودية تستقر فيها المياه النازلة من السماء وكأن
كل واحد فاما يحصل فيه من مياه الامطار ما يلبق بسعته أو ضيقه فكذلك ههنا كل
ما يلبق يحصل فيه من أنوار علوم القرآن ما يلبق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة
ضعفه وقصور فهمه وكأن الماء يعلو زبد الاجساد السبعة المذابة يخاطبها خبث ثم ان
ك الزبد والخبث يذهب ويضم ويبقى جوهر الماء وجوهر الاجساد السبعة كذا
هنا بيانات القرآن تختلط بها شكوك وشبهات ثم انها بالآخرة تزول وتضم ويبقى

نقط السوإى محبوبة بالام الداخلة على الموصول أو ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع فى تلك
سوء الحساب فى قوله تعالى (أولئك لهم سوء الحساب) وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ فى هذه الجملة
عن الموصول

الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها أعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لإيهام مصححين الشرطية الواقعة خبرا عنه أولا ولذلك ترك العطف ﴿ ٢٨٨ ﴾ فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا لله لهم

سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد كيد قس حسن المبالغة على أبلغ وجه وأكد ثم بين مؤدى ذلك فتقيل (وما واهم) أي مرجعهم (جهنم) وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسن بالجنة (وبئس المهاد) أي المستقر والخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى الذين استجابوا لهم متعلقة بقوله يضرب الله الأمثال أي الأمثال السالفة وقوله الحسنى صفة المصدر أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الأول وقوله أو أن لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين أي هما مثلا الفريقين وأنت خير بأن عنوان الاستجابة وعدمها المناسبة بينه وبين ما بدور عليه أمر

العلم والدين والحكمة والمكاشفة في العاقبة فهذا هو تقرير هذا المثل ووجه انطباق المثل على المثل به وأكثر المفسرين سكتوا عن بيان كيفية التشبيه (المسئلة الثانية) في المباحث اللفظية التي في هذه الآية في لفظ الأودية أبحاث (البحث الأول) الأودية جمع واد وفي الوادي قولان الأول أنه عبارة عن القضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل هذا قول عامة أهل اللغة والقول الثاني قال السهروردي يسمى الماء واديا إذا سال قال ومنه سمي الوادي واديا لخروجه وسيلانه وعلى هذا القول فالوادي اسم للماء السائل كالسيل الأول هو القول المشهور الآن على هذا التقدير يكون قوله سالت أودية مجازا فكان التقدير سالت مياه الأودية إلا أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (البحث الثاني) قال أبو علي الفارسي رحمه الله الأودية جمع واد ولا نعلم فاعلا جمع على أفعلة قال وبشبه أن يكون ذلك تعاقب فاعل وفعل على الشيء الواحد كالماء وعليه وشاهد وشهيد وناصر ونصير ثم إن وزن فاعل يجمع على أفعال كصاحب وأصحاب وطائر وأطيار ووزن فمبيل يجمع على أفعلة كجريب وأجربة ثم لما حصلت المناسبة المذكورة بين فاعل وفعل لاجرم يجمع الفاعل جمع الفعيل فيقال وادوا ودية ويجمع الفعيل على جمع الفاعل فيقال يديم وأيتام وشرير وأشرف هذا ما قاله أبو علي الفارسي رحمه الله وقال غيره نظير وادوا وأودية نادوا ندية للعجاس (البحث الثالث) إنما ذكر لفظ أودية على سبيل التنكير لأن المطر لا يأتي الأعلى طريق المناوبة بين البقاع فتسيل بعض أودية الأرض دون بعض * أما قوله تعالى بقدرها ففيه بحثان (الأول) قال الواحدى القدر والقدر مبلغ الشيء يقال كم قدر هذه الدراهم وكم قدرها ومقدارها أي كم تبلغ في الوزن فما يكون مساويا لها في الوزن فهو قدرها (البحث الثاني) سالت أودية بقدرها أي من الماء فإن صغر الوادي قل الماء وإن اتسع الوادي كثر الماء * أما قوله فاحتمل السيل زبداريا ففيه بحثان (البحث الأول) قال الفراء يقال أزبد الوادي أزبادا والزبد الاسم وقوله رابا قال الزجاج طافيا عاليا فوق الماء وقال غيره زبدا بسبب ارتفاعه يقال ربا ربا إذا زاد * أما قوله تعالى وماتوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع ز مثله فاعلم أنه تعالى لما ضرب المثل بالزبد الحاصل من الماء أتبعه بضرب المثل بالزبد الحاصل من النار وفيه مباحث (البحث الأول) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم يوقدون بالياء واختاره أبو عبيدة لقوله يرفع الناس وأيضا فليس ههنا مخاطب والباقوا بالياء على الخطاب وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الأول أنه خطاب للمذكورين في قوله قل أفقتنم من دونه أولياء والثاني أنه يجوز أن يكون خطابا عاميا راد به الكافة كأنه قال وماتوقدون عليه في النار أبها الموقدون (البحث الثاني) الإيقاد على الشيء على قسميه أحدهما أن لا يكون ذلك الشيء في النار وهو كقوله تعالى فاوقدلى بإهامان على الطيب والثاني أن يوقد على الشيء ويكون ذلك الشيء في النار فإن من أراد تذويب الأجر

التشليل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكره بالمثل نعم فليس يعمل في هذا السبعة المعنى أيضا كما في قوله سبحانه يضرب الله مثلا الذين آمنوا امرأة فرعون ونظائر على أن بعض الأمثال الضرورية

المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل الحق والباطل ولا مساع لجعل الفريقين مضراً بهم أيضاً
 بأن يحمل في حكم أن يقال كذلك يضرب الله الامثال ﴿ ٢٨٩ ﴾ للناس اذا لوجه حينئذ لتوبعهم الى المسيحين

وغير المسيحين فتأمل
 (أفنى يعلم أن ما أنزل اليك
 من ربك) من القرآن
 الذي مثل بالماء المنزل
 من السماء والابر الخالص
 في المنفعة والجدوى
 (الحق) الذي لاحق
 وراءه أو الحق الذي
 أشير اليه بالامثال
 المضروبة فيستجيب له
 (كن هو أعمى) عى
 القلب لا يشاهده وهو
 ناعلى علم ولا يقدر قدره
 وهو قى أقصى مراتب
 العلو والعظم فيبقى حاراً في
 ظلمات الجهل وغياهب
 الضلال أو لا يتذكر
 بما ضرب من الامثال
 أى كمن لا يعلم ذلك إلا أنه
 أريد زيادة تقيح حاله
 فعبدته بالاعمى وإراد
 الفاء بعد الهجزة لتوجيه
 الانكار الى ترتيب توهم
 المسائلة على ظهور
 حال كل منها بما ضرب
 من الامثال وبين المصير
 والمالك كانه قيل أبعدا
 بين حال كل من الفريقين
 وما لهما يتوهم المسائلة
 بينهما ثم استؤنف فقبل
 (انما يتذكر) بما ذكر من
 المذكرات فبقف على

السبعة جعلها في النار فلهذا السبب قال ههنا وماتوقدون عليه في النار (البحث
 الثالث) في قوله ابتغاء حلية قال أهل المعاني الذي يوقد عليه لا ابتغاء الحلية الذهب
 والفضة والذي يوقد عليه لا ابتغاء الامتعة الحديد والنحاس والرصاص والاسرب
 يتخذ منها الاواني والاشياء التي ينفع بها والمنافع كل ما يتمتع به وقوله زبد مثله أى زبد
 مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ثم قال تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل والمعنى
 كذلك يضرب الله الامثال للحق والباطل ثم قال أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
 الناس قال الغراء الجفاء الرمي والاطرارح يقال جفا الوادى غشاه يحفوه جفاه اذارماه
 والجفاء اسم للجمتمع منه المنضم بعضه الى بعض وموضع جفاء نصب على الحال
 والمعنى ان الزبد قد يعلم على وجه الماء ويربوو ينتفخ الا أنه بالآخرة يضمحل ويبقى الجوهر
 الصافي من الماء ومن الاجساد السبعة فكذلك الشبهات والخيالات قد تقوى وتغظم
 الا أنها بالآخرة تبطل وتضمحل وتزول ويبقى الحق ظاهر الا يشوبه شئ من الشبهات
 وفي قراءة روثية بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة روثية لانه كان يأكل الفارأما
 قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى ففيه وجهان الاول انه تم الكلان عند قوله
 كذلك يضرب الله الامثال ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى ومجمله
 الرفع بالابتداء وللذين خبره وتقديره لهم الخصلة الحسنى والحالة الحسنى الثانى أنه متصل
 بما قبله والتقدير كأنه قال الذى يبقى هو مثل المستجيب والذي يذهب جفاء مثل
 من لا يستجيب ثم بين الوجه في كونه مثلاً وهو انه لمن يستجيب الحسنى وهو الجنة ولن
 لا يستجيب أنواع الحسرة والعقوبة وفيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير كذلك يضرب
 الله الامثال للذين استجابوا لربهم الاستجابة الحسنى فيكون الحسنى صفة لمصدر محذوف
 واعلم أنه تعالى ذكر ههنا أحوال السعداء وأحوال الاشقياء أما أحوال السعداء فهي
 قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى والمعنى ان الذين أجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد
 والعدل والنوبة وبعث الرسل والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله فذهب الحسنى قال
 ابن عباس الجنة وقال أهل المعاني الحسنى هى المنفعة العظمى في الحسن وهى المنفعة
 الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالية عن الانقطاع المقرونة بالعظيم والجلال ولم
 يذكر الزيادة ههنا لانه تعالى قد ذكرها في سورة أخرى وهو قوله للذين أحسنوا الحسنى
 وزيادة وأما أحوال الاشقياء فهي قوله والذين لم يستجيبوا له فلههم أنواع أربعة من
 العذاب والعقوبة (فالتوع الاول) قوله لو أن لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه لا فتدوا
 به ولا فتدوا جعل أحد الشئين بد لامن الآخر ومعقول لا فتدوا به محذوف تقديره
 لا فتدوا به أنفسهم أى جعلوه فداء أنفسهم من العذاب والكنية في به عائدة الى ما فى قوله
 ما فى الارض واعلم أن هذا المعنى حق لان المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل
 ما سواه فانما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس فى الضرر والالم

ما يشهها من التفاوت والتأني ﴿ ٣٧ ﴾ خا (أولوا الباب) أى العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الاف ومعارضة
 الوهم (الذين يوفون بمهاد الله) بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف برؤيته تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله
 عليهم في كُتبه (ولا ينقضون

الميثاق) ما ترفعوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وعبره من الميثاق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة ﴿ ٢٩٠ ﴾ المستعمل (والذين يصلون ما أمر الله به أن

يوصل) من الرحم
وموالاة المؤمنين والايمان
بجميع الانبياء المجمعين
على الحق من غير تفريق
بين أحد منهم وبين راج
فيه مراعاة جميع حقوق
الناس بل حقوق كل
ما يتعلق بهم من الهر
والدجاج (ويخشون
ربهم) خشية جلال
وهيبة ورهبة فلا يعصونه
فيما أمر به (ويخافون
سوء الحساب) فيحاسبون
انفسهم قبل أن يحاسبوا
وفيه دلالة على كمال
فضاعته حسبا ذكر فيما
قبل (والذين صبروا)
على كل ما تكرهه النفس
من الافعال والتروك
(ابتغاء وجه ربهم)
طلب الرضا خاصة من
غير أن ينظروا الى جانب
الخلق رياء وسمعة ولا الى
جانب النفس زينة
عجبا وحيث كان الصبر
على الوجه المذكور ملاك
الامر في كل ما ذكر من
الصلات السابقة
واللاحقة أو رد على
صيغة الماضي اعتناء
شأنه ودلالة على وجوب
فقه فان ذلك مما لا بد منه

والتعبد وكان مالكا لما يساوى عالم الاجساد والارواح فانه رضى بأن يجعله فداء لنفسه
لان المحبوب بالعرض لا بد وأن يكون فداء لما يكون محبوبا بالذات (وانوع الثاني) من
انواع العذاب الذي أعده الله لهم هو قوله أولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج ذلك لان
كفرهم أحبط أعمالهم وأقول ههنا طائفتان فكل ما شغلك بالله وعبوديته ومحبة فهمي
الحالة السعيدة الشريفة العلوية القدسية لم كل ما شغلك بغير الله فهي الحالة الضارة
المؤذية الخسيسة ولاشك ان هاتين الطائفتين يقبلان الاشد والاضعف والاقول والا يزيد
ولاشك ان المواظبة على الاعمال المناسبة لهذه الاحوال توجب قوتها ورسوخها لما
ثبت في العقول ان كثرة الافعال توجب حصول الملكات الراسخة ولاشك انه لما كانت
كثرة الافعال توجب حصول تلك الملكات الراسخة وكل واحدة من تلك الافعال حتى
اللحظة واللحظة والخطور بالبال والاتفات الضعيف فانه يوجب أثرا في حصول تلك
الحالة في النفس فهذا هو الحساب وعند التأمل في هذه القصول يتبين للانسان صدق
قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اذا ثبت هذا فالسعداء هم
الذين استجابوا لربهم في الاعراض عما سوى الله وفي الاقبال بالكلية على عبودية الله تعالى
ولاجرم حصل لهم الحسنى * وأما الاشقياء فهم الذين لم يستجيبوا لربهم فلهذا السبب
وجب أن يحصل لهم سوء الحساب والمراد بسوء الحساب انهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن
المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذي هو الدنيا وبقوا محرومين عن الفوز
بخدمة حضرة المولى (والنوع الثالث) قوله تعالى وماؤاهم جهنم وذلك لانهم كانوا غافلين
عن الاستسعا بخدمة حضرة المولى عاكفين على لذات الدنيا فاذا ماتوا غافروا معشوقهم
فيحترقون هلى مفارقتها وليس عندهم شئ آخر يجبر هذه المصيبة فلذلك قال ماؤاهم جهنم ثم
انه تعالى وصف هذا المأوى فقال ويئس المهاد ولاشك ان الامر كذلك * ثم قال تعالى أفمن
يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى فهذا اشارة الى المثل المتقدم ذكره وهو ان
العالم بالشئ كالصبر والجاهل به كالاعمى وائس أحدهما كالأخر لان الاعمى اذا أخذ
يمشى من غير قائد فالظاهر انه يقع في البئر وفي المهالك وربما أسند ما كان على طريقه من
الامعة النافعة أما البصير فانه يكون آمنا من الهلاك والاهلاك ثم قال انما يذكر أولوا
الالباب والمراد انه لا يتفجع بهذه الامثلة الأرباب الابواب الذين يطلبون من كل صورة
معناها ويأخذون من كل فشرة لبابها ويعبرون بظاهرها كل حديث الى سره ولبابه * قوله
عز وجل (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) اعلم أن هذه الآية هل هي متعلقة بما

ما في انفس الصلوات كما في اعداد الاولى والرابعة والخامسة أو في اظهار أحكامها كما في الصلوات ﴿ ٢٩٠ ﴾ قبلها
ثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية
الخوف لكن اظهار أحكامها والجرى على موجبها

غير خال عن الاحتياج اليه (واقاموا الصلوة) المفروضة (وانفقوا مآثر قناتهم) أي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال أولئك لا يتهم بترك الزكاة أو عند ﴿ ٢٩١ ﴾ انفاقه واعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهرا

(وعلاية) لمن لم يكن
كأذى كرا أو الاول في
التطوع والثاني في الفرض
(ويدرون بالحسنة
السنية) أي يجازون
الاساءة بالا حسان
أو يدعون الحسنة السنية
فتعفوها عن ابن عباس
رضي الله عنهم ما يدفون
بالحسن من الكلام ما يرد
عليهم من سيئ غيرهم
وعن الحسن اذا حرموا
أعطوا واذا اطلبوا عفا
واذا قطعوا وصلوا وعن
ابن كيسان اذا اذنبوا
تابوا وقيل اذا راوا منكرا
أمروا بتغييره وتقديم
المجرب على المنصوب
لاظهار كمال العناية
بالحسنة (أولئك)
المنعوتون بالنعوت الجليلة
والملائكة الجليلة وهو
مبتدأ خبره الجملة الظرفية
أعني قوله تعالى (لهم
عقبى الدار) أي عاقبة
الدنيا وما ينبغي أن يكون
مال أمر أهلها وهي
الجنة وقيل الجار والمجرور
خبر لا أولئك وعقبى الدار
فاعل الاستقرار وأياما
كان فليس فيه قصر
حتى يرد أن بعض ما في

قبلها أم لا فيه قولان الاول انها متعلقة بما قبلها وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الاول
انه يجوز أن يكون قوله الذين يوفون بعهد الله صفة لاولى الابواب والثاني أن يكون ذلك
صفة لتأوله أفن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق والقول الثاني أن يكون قوله الذين
يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين يتقضون عهد الله
أولئك لهم اللعنة وأعلم أن هذه الآية من أولها الى آخرها جملة واحدة شرط وجزاء
وشرطها مشتمل على قيود وجزاءها يشتمل أيضا على قيود* أما القيود المعتمدة في الشرط
فهى تسعة (القيد الاول) قوله الذين يوفون بعهد الله وفيه وجوه الاول قال ابن عباس
رضي الله عنهم ما يريد الذي عاهدهم عليه حين كانوا في صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم
ألت بربك فأنابوا الى والثاني ان المراد بعهد الله كل أمر قام الدليل على صحته وهو من
وجهين أحدهما الأشياء التي أقام الله عليها دلائل عقلية قاطعة لا تقبل النسخ والتغير
والآخر التي أقام الله عليها الدلائل السمعية وبين لهم تلك الاحكام والحاصل انه دخل
تحت قوله يوفون بعهد الله كل مقام الدليل عليه و يصح إطلاق لفظ العهد على الجملة بل
الحق أنه لا عهد أوكد من الحجة والدلالة على ذلك ان من حلف على الشئ فأنما يلزمه
الوفاء به اذا ثبت بالدليل وجوبه لا بمجرد اليقين ولذلك ر بما يلزمه أن يبحث نفسه اذا كان
ذلك خبره فلا عهد أوكد من الزمان الله تعالى اياه ذلك بدليل العقل أو بدليل السمع
ولا يكون العبد موفيا بالعهد الا بان يأتي بكل تلك الأشياء كما أن الخالف على أشياء كثيرة
لا يكون بارا في عينه الا اذا فعل الكل ويدخل فيه الاتيان بجميع الأمور والانتفاء
عن كل المنهيات ويدخل فيه الوفاء بالعقود في المعاملات ويدخل فيه أداء الامانات
وهذا القول هو المختار الصحيح في تأويل الآية (القيد الثاني) قوله ولا يتقضون الميثاق
وفيه أقوال الاول وهو قول الأكثرين ان هذا الكلام قريب من الوفاء بالعهد فان الوفاء
بالعهد قريب من عدم نقض الميثاق والعهد وهذا مثل أن يقول انه لما وجب وجوده
لزم أن يمتنع عدمه فهذا ان المفهومات متغايران لأنهما متلازمان فكذلك الوفاء بالعهد
يلزمه أن لا ينقض الميثاق وأعلم أن الوفاء بالعهد من أجل مراتب السعادة قال عليه
السلام لايمان من لا أمانته ولا دين ان لا عهد له والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة
في القرآن والقول الثاني ان الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه فالحاصل ان قوله الذين
يوفون بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وقوله ولا يتقضون الميثاق اشارة
الى ما التزمه العبد من أنواع الطاعات بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات
والقول الثالث ان المراد بالوفاء بالعهد عهد ال بوبية والعبودية والمراد بالميثاق المواثيق
المذكورة في التوراة والانجيل وسائر الكتب الالهية على وجوب الايمان بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم عند ظهوره وأعلم أن الوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع
قال عليه السلام من عاهد الله فعدر كانت فيه خصلة من التفاني وعنه عليه السلام ثلاثة

حيز الصلة ليس من العزائم التي تخل اخلاها بالموصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان
ما استوجبه تلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لا ولي الابواب على طريقة المدح من غير أن يقصد

ان يكون الصبر المدد نور مدخل في التدرج (جنت عدن) بل من هب الدار وهدا خير من ان يجلو بها بالعلم
 الاقامة صار على الجنة من الجنات أي جنات يقيمون فيها وقيل ﴿ ٢٩٢ ﴾ هو بطن الجنة (ومن صلح من آباءهم)

جمع أبوى كل واحد منهم فكانه قيل من آباءهم وأمهاتهم (وأزواجهم وذرياتهم) وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تباعلهم تعظيم الشانهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو باشفاقه وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انفسهم وفي التقيد بالصلاح قطع اللطماع الفارغة لمن يمسك بمجر دخل الانساب (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة لهم بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم وأيد

أنا خصهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصته رجل أعطى عهداً ثم غدر ورجل استأجر أجيراً استوفى عمله وظلم أجره ورجل باع حراً فاسترق الحراً كل غنه وقيل كان بين معاوية وملك الروم عهد فأراد أن يذهب اليهم ويتنقض العهد فاذا رجل على فرس يقول وفاء بالعهد لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا ينبغي أن ينقض عهده ولا يحلها حتى ينقضى الامدو ينذر اليهم على سواقال من هذا قالوا عمرو بن عيينة فرجع معاوية (القيد الثالث) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وهنأسواأل وهوأن الوفاء بالعهد وترك تنقض الميثاق اشتغل على وجوب الاتيان بجميع المأمورات والاحتراز عن كل المنهيات لما الفائدة في ذكر هذه القيود المذكورة بعدهما والجواب من وجهين الاول انه ذكر ثلاث بظن ظان ان ذلك فيما بينه وبين الله تعالى فلا جرم أفرد ما بينه وبين العباد بالذكر والثاني انه ما أبداً عرفت هذا فتقول ذكر وافي تفسيره وجوهاً الاول ان المراد منه صلة الرحم قال عليه السلام ثلاث يأتين يوم القيامة لها ذوق الرحم تقول أي رب قطعت والامانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب كفرت واتقول الثاني ان المراد صلة محمد صلى الله عليه وسلم ومؤازرته ونصرته في الجهاد واتقول الثالث رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد فيدخل فيه صلة الرحم وصلة القرابة الثابتة بسبب اخوة الايمان كما قال انما المؤمنون اخوة ويدخل في هذه الصلة امدادهم بإيصال الخبرات ودفع الآفات بقدر الامكان وعبادة الرب وشهود الجنات وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الاذى عنهم ويدخل فيه كل حيوان حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض رحمه الله ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من خراسان فقال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن كل الاحسان وكان له دجاجة فأساء اليها لم يكن من المحسنين وأقول حاصل الكلام أن قوله الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل اشارة الى الشفقة على خلق الله (القيد الرابع) قوله ويخشون ربهم والمعنى انه وان أتى بكل ما قدر عليه في تعظيم أمر الله وفي الشفقة على خلق الله الا أنه لا بد وأن تكون الخشية من الله والخوف منه مسئولاً على قلبه وهذه الخشية نوعان أحدهما أن يكون خائفاً من أن يقع زيادة أو نقصان أو خلل في عباداته وطاعاته بحيث يوجب فساد العبادة أو يوجب نقصان ثوابها والثاني وهو خوف الجلال وذلك لان العبد اذا حضر عند السلطان المهيب القاهر فانه وان كان في عين طاعته الا أنه لا يزول عن قلبه مهابة الجلالة والرفعة والعظمة (القيد الخامس) قوله ويخافون سوء الحساب اعلم ان القيد الرابع اشارة الى الخشية من الله وهذا القيد الخامس اشارة الى الخوف والخشية وسوء الحساب وهذا يدل على ان المراد من الخشية من الله ما ذكرناه من خوف الجلال والمهابة والعظمة والالزم

ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى ان تعبت في الدنيا لتداسرتهم الساعة وتخصيص التكرار الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة لما قد مناه من أن له دخلاً في كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وأن شيئاً منها لا يعتد به الا

بأن يكون لا ابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس (فتم عقبى الدار) أي فتم عقبى الدار الجنة وفري بهنح التون والاصل نعم فسكن العين بقل حر كتم الى التون تارة ﴿ ٢٩٣ ﴾ وبدونه أخرى وعن النبي عليه الصلاة والسلام انه كان يأتي

قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فتم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين (والذين ينقضون عهد الله) أريد بهم من يقابل الاولين ويماندنهم في الاتصاف بنقائص صفاتهم (من بعد ميثاقه) من بعد ما وثقوه من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقص والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققة ضمن الحسنات المعدودة ليقعن معدنهم فلا وجه

التكرار (القيد السادس) قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فيدخل فيه الصبر على فعل العبادات والصبر على تحمل الامراض والمضار والغموم والاحزان والصبر على ترك المشتبهات وبالجملة الصبر على ترك للعاصي وعلى أداء الطاعات ثم ان الانسان قد يقدم على الصبر لوجوه أحدها أن يصبر ليقال ما أكل صبره وأشد قوته على تحمل النوزال وثانيها أن يصبر لئلا يعاب بسبب الجزع وثالثها أن يصبر لئلا تحصل شمانية الاعداء ورابعها أن يصبر لعله بأن لا فائدة في الجزع فالانسان اذا أتى بالصبر لأحد هذه الوجوه لم يكن ذلك داخلا في كمال النفس وسعادة القلب أما اذا صبر على البلاء لعله بان ذلك البلاء قسمه حكم بها القسام العلام المزعزعة عن العيب والباطل والسفه بل لابد أن تكون تلك القسمة مشتملة على حكمة بالغة ومصلحة راجحة ورضي بذلك لانه تصرف المالك في ملكه ولا اعتراض على المسالك في أن يتصرف في ملكه أو يصبر لانه صار مستغرا في مشاهدة المبلى فكان استغراقه في تجلي نور المبلى أذهله عن التألم بالبلاء وهذا أعلى مقامات الصديقين فهذه الوجوه الثلاثة هي التي يصدق عليها انه صبر ابتغاء وجه ربه ومعناه انه صبر لمجرد ثوابه وطلب رضا الله تعالى واعلم أن قوله ابتغاء وجهه فيه دققة وهي أن العاشق اذا صبر به معشوقه فرجا فطر العاشق لذلك الضارب وفرح به فقوله ابتغاء وجه ربه محمول على هذا المجاز يعني كما أن العاشق يرضى بذلك الضرب لانه اذا به بالنظر الى وجهه معشوقه فكذلك العبد يصبر على البلاء والمحنة ويرضى به لاستغراقه في معرفة نور الحق وهذه دققة لطيفة (القيد السابع) قوله وأقاموا الصلاة واعلم أن الصلاة والزكاة وان كانتا داخليتين في الجملة الاولى إلا أنه تعالى أفردهما بالذكر تبيينها على كونها أشرف من سائر العبادات وقد سبق في هذا الكتاب تفسير إقامة الصلاة ولا يمتنع ادخال التوافل فيه أيضا (القيد الثامن) قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان لم يتم بترك أداء الزكاة فالاولى اذاؤها سرا وان اتهم بترك الزكاة فالاولى اذاؤها في العلانية وقيل السر ما يؤديه بنفسه والعلانية ما يؤديه الى الامام وقال آخرون بل المراد الزكاة الواجبة والصدقة التي يوتى بها على صفة التطوع فقوله سر يرجع الى التطوع وقوله علانية يرجع الى الزكاة الواجبة (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة انه تعالى رغب في الاتفاق من كل ما كان رزقا وذلك يدل على انه لا رزق الا الحلال اذ لو كان الحرام رزقا لكان قد رغب تعالى في اتفاق الحرام وانه لا يجوز (القيد التاسع) قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة وفيه وجهان الاول انهم اذا أتوا بعصبة دروها ودفعوها بالتوبة كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعاذبن جبل اذا علمت سيئة فاعمل بحسنة تحوها والثاني أن المراد انهم لا يقابلون الشر بالشر بل يقابلون الشر بالخير كما قال تعالى واذا مروا بالناغو مروا كراما وعن ابن عمر رضي الله عنهما ليس الوصول من وصل ثم وصل تلك المجازاة

لنفيه عن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة عن لا يحوم حول أصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان أريد بالاتفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله واما دره السنة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق

فلان من مجازي احسانه عرجل بنقض العهد ومخالفة الامر وياستمر الفساد بدا حسبا بحكيه قوله عز وجل (ويعسدور في الارض) أي بالظلم ونهيج الفتى كيف يتصور منه مجازاة ٢٩٤ ❦ الاساءة بالاحسان على أن ذلك بشعر يان

له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي ينبغي عنها قوله تعالى (أولئك) الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح (لهم) بسبب ذلك (اللغة) أي الابداء من رحمة الله تعالى (ولهم) مع ذلك (سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فانه سادارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلمية الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فان مجازاة السببة بمثلها ما دون فيها ودفع الكلام السبي بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه بجملة وأما ما اعتبر اندراج تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق

لكنه من قطع ثم وصل وعطف على من لم يصله وليس الحليم من ظم ثم حلم حتى اذا هيجه قوم احتاج لكن الحليم من قدر ثم عفا وعن الحسن هم الذين اذا حرموا أعطوا واذا طلبوا هفوا ويروى أن شقيق بن ابراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متكررا فقال من أين أنت فقال من بلخ فقال وهل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقه أصحابه فقال اذا منعوا صبروا وان أعطوا شكروا فقال عبد الله طريقه كلابنا هكذا فقال وكيف ينبغي أن يكون فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا واعلم أن جملة هذه القيود التسعة هي القيود المذكورة في الشرط أما القيود المذكورة في الجزاء فهي أربعة (القيود الاولى) قوله أولئك لهم عقبي الدار أي عاقبة الدار وهي الجنة لانها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها قال الواحدى العقبي كالعاقبة ويجوز أن تكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى وقديحى مثل هذا أيضا على فعلى كالتجوى والدعوى وعلى فعلى كاند كرى والضربى ويجوز أن يكون اسما وهو هنا مصدر مضاف الى الفاعل والمعنى أولئك لهم ان تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنة (القيود الثانية) قوله جنات عدن يدخلونها وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الزجاج جنات عدن بدل من عقبي والكلام في جنات عدن ذكرناه مستقصى عند قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن وذكرنا هناك مذهب المفسرين ومذهب أهل اللغة (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يدخلونها بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله والباقون يفتح الياء وضم الخاء على اسناد الدخول اليهم (القيود الثالثة) قوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن عليه صلح بضم اللام قال صاحب الكشف والفتح أفصح (المسئلة الثانية) قال الزجاج موضع من رفع لاجل العطف على الواو في قوله يدخلونها ويجوز أن يكون نصبا كما تقول قد دخلوا وزيدا أي مع زيد (المسئلة الثالثة) في قوله ومن صلح قولان الاول قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا به وان لم يعمل مثل أعمالهم وقال الزجاج بين تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها أعمال صالحة بل الآباء والأزواج والذريات لا يدخلون الجنة الا بالأعمال الصالحة قال الواحدى والصحيح ما قال ابن عباس لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله مع في الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتى بالأعمال الصالحة ولودخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان مصلحا في عمله فهو يدخل الجنة واعلم أن هذه الحجة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيد سرورا وبهجة فاذا بشر الله المكلف بأنه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباءه وأزواجه وأولاده فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك وتقوى بهجت به ويقال ان من أعظم موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتناكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكرون الله على الخلاص منها والفوز بالجنة ولذلك قال تعالى

الواجبة ونكر يرأهم لأن كيدوا لا يذان باختلافها واستقلال كل منها في الثبوت (الله يسطر الرزق) ❦ في صفة ❦ أي بوسعه (لمن يشاء) من عباده (ويقدر) أي يضيئه على من يشاء حسبا بتقضيه الحكمة من غير أن يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما

بسطه للكافر املاء واستدراجا و زجلا بضيقه على المؤمنين زيادة لاجره فلا يغتر بسطه الكافر كما لا ينقطع قدره المؤمن (و فرحوا) أي أهل مكة فرح أشروا بطر لا فرح ٢٩٥ سرور بفضل الله تعالى (بالحياة الدنيا) وبإسباطهم

فيها من نعيمها (وما الحياة الدنيا) وما ينبت بها من النعيم (في الآخرة) أي في جنب نعيم الآخرة (الامتناع) الامتناع (الاشئ) نذر يتمتع به كجبال الزاكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحفظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أثر رواه في جنب ما أضرنا عنه شيء قليل النفع سريع النفاذ (ويقول الذين كفروا) أي أهل مكة وإشار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كائن ما أنزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طافة بعدم القبول ولذلك أمر

في صفة أهل الجنة انهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى وجعلني من المكرمين (المسئلة الرابعة) قوله وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو مات عنه وما روى عن سودة أنه لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في زمرة نسائك كالدليل على ما ذكرناه (اللقيد الرابع) قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طوله افرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على أمر الله وقال أبو بكر الاصم من كل باب من أبواب البر كباب الصلاة و باب الزكاة و باب الصبر ويقولون ونعم أعقبكم الله بعد الدار الاولى واعلم أن دخول الملائكة ان حملناه على الوجه الاول فهو مرتبة عظيمة وذلك لان الله تعالى أخبر عن هؤلاء المطيعين أنهم يدخلون الجنة الخلد ويحتمون بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم على أحسن وجه ثم ان الملائكة مع جلالته مراتبهم يدخلون عليهم لاجل التحية والاكرام عند الدخول عليهم بكرمهم بالتحية والسلام ويشر ونهم يقولهم فنعم عقبى الدار ولا شك أن هذا غير ما ذكره المتكلمون من أن الثواب منقعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبول الشهداء رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والخلقاء الاربعة هكذا كانوا يفعلون وأما أن حملناه على الوجه الثاني فتفسير الآية ان الملائكة طوائف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا راض نفسه بأنواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة ولسلك مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسى وروح علوى يختص بتلك الصفة من يد اختصاص فعند الموت اذا أشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة بها فيفيض عليها من ملائكة الصبر كالات مخصوصة نفسانية لا تظهر الا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر كالات روحانية لا تتجلى الا من مقام الشكر وهكذا القول في جميع المراتب (المسئلة الثانية) تمسك بعضهم بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر فقال انه سبحانه ختم مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التحية والاكرام والعظيم فكانوا به أجل مرتبة من البشر ولو كانوا أقل مرتبة من البشر لما كان دخولهم عليهم لاجل السلام والتحبة موجبا علو درجاتهم وشرف مراتبهم ألا ترى من عاد من سفره الى بيته فاذا قبل في معرض كمال مرتبته انه يزوره الامير والوزير والقاضى والمفتى فهنا يدل على ان درجة ذلك الزور أقل وأدنى من درجات الزائرين فكذلك ههنا (المسئلة الثالثة) قال الزجاج ههنا محذوف تقديره الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويقولون سلام عليكم فأضمر القول ههنا لان في الكلام دليلا عليه وأما قوله بما صبرتم

في الجواب بقوله تعالى (قل ان الله يضل من يشاء) اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها أى يخلق فيه الضلال لصرفه اختياره الى تحصيله ويدعه منهم كما فيه اعلم بأنه لا يجمع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كن كان على صفته في المكابرة والعناد وشدة الشك والغلوف والفساد فلا سبيل له الى الاهتدا

ولو جازته كل آية (ويهتدى اليه) أى الى جنبه الطلى الكثير هنا خصوصية الله لا لغيره على الرسل
ذلك غير مختص بالهتدين وفيه من نشر يفهم مالا ٢٩٦ يوصف (من آلب) أقبل الى الحق وتأمل في

تضاعيف ما نزل من
دلائله الواضحة وحقيقة
الانابة الدخول في نوبة
الخير وإيثار إيرادها
في الصلة على إيراد
المشينة كما في الصلة
الاولى للتنبيه على الداعى
الى الهداية بل الى
مشيئتها والاشمار بما دعا
الى المشينة الاولى من
الكابرة وفيه حث للكفرة
على الافلاع عما هم
عليه من الغرور والعدا
وايثار صيغة الماضي
للإيماء الى استدعاء الهدية
لسابقة الانابة كما أن إيثار
صيغة المضارع في الصلة
الاولى للدلالة على استمرار
المشينة حسب استمرار
مكابرتهم (الذين آمنوا)
بذلك عن أناب فان اراد
بالهداية الهداية المستمرة
فلا مر ظاهرا لظهور كون
الايان مؤديا اليها وان
أريد احدا منها فالمراد بالذين
آمنوا الذين صاروا أمرهم
الى الايمان كما في قوله
تعالى هدى للتقين أي
الصادقين الى التقوى
والافلا ايمان لا يؤدى
الى الهداية نفسها أو
أخبر مبتدأ محذوف أى

فتم عقبى الدار وفيه وجهان أحدهما انه متعلق بالسلام والمعنى انه انما حصلت لكم
هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وترك المحرمات والثاني أنه متعلق بمحذوف
والتقدير ان هذه الكرامات التى ترونها وهذه الخيرات التى تشاهدونها انما حصلت
بواسطة ذلك الصبر * قوله تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) اعلم انه
تعالى لما ذكر صفات السعداء وذكر ما يترب عليها من الاحوال الشريفة العالية أتبعها
بذكر حال الاشقياء وذكر ما يترب عليها من الاحوال المخزية المكروهة وأتبع الوعد
بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان كاملا فقال والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه وقد بينا أن عهد الله ما أزم عباد الله بواسطة الدلائل العقلية والسمعية لانها وكذا
من كل عهد وكل عمن اذا الايمان انما تفيد التوكيد بواسطة الدلائل على أنها توجب
الوفاء بمقتضاها والمراد من نقض هذه العهود أن لا ينظر المرء في الأدلة أصلا فيحسب
لا يمكنه العمل بموجبها أو بأن ينظر فيها ويعلم صحتها ثم يعاند فلا يعمل بعلمه أو بأن ينظر
في الشبهة فيعتقد خلاف الحق والمراد من قوله من بعد ميثاقه أى من بعد أن وثق الله
تلك الأدلة وأحكمها لانه لا شئ أقوى مما دل الله على وجوبه في أنه ينفع فعله وبضر تركه
فان قيل اذ كان العهد لا يكون الا مع الميثاق فما فائدة اشتراطه تعالى بقوله من بعد
ميثاقه قلنا لا يمتنع أن يكون المراد بالعهد هو ما كلف الله العبد به والمراد بالميثاق الأدلة
المؤكددة لانه تعالى قد يوجب كذا اليك العهد بدلائل أخرى سواء كانت تلك المؤكدات دلائل
عقلية أو سمعية ثم قال تعالى و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل وذلك في مقابلة قوله
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل
والمراد به قطع كل ما وجب الله وصله ويدخل فيه وصل الرسول بالوالات والمعانوة ووصل
المؤمنين ووصل الارحام ووصل سائر من له حق ثم قال و يفسدون فى الأرض وذلك
الفساد هو الدعاء الى غير دين الله وقد يكون بالظلم فى النفوس والاموال ونخر ببلاد
ثم انه تعالى بعد ذكر هذه الصفات قال أولئك لهم اللعنة واللعنة من الله الابعاد من خيرى
الدنيا والآخرة الى ضد هما من عذاب ونعمة ولهم سوء الدار لان المراد جهنم وليس فيها
الا ما يسوء الصائر البهائم * قوله تعالى (الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع) اعلم انه تعالى لما حكم على من نقض عهد الله
في قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة فكانه قيل
لو كانوا أعداء الله لما قبح الله عليهم أبواب النعم والذات فى الدنيا فأجاب الله تعالى عنه
بهذه الآية وهو أنه يسطر الرزق على البعض ويضيقه على البعض ولا تعلق له بالكفر
والايان فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن مضيقا عليه دون
الكافر فالدنيا دار امتحان قال الواحدى معنى القدر فى اللغة قطع الشئ على مساواة

هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح (وتطامن قلوبهم) أى تستقر وتسكن (بذكر الله) بكلامه المعجز * غيره *
الذى لا ريب فيه كقول تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله ان نحن نزلنا الذكرا واناله لحافظون ويملكون الآية
أعظم منه فيخرجوها

والعذول الى صبيحة المضارع لافادة دوام الاطمئنان ومجده حسب مجددا الآيات وتعددها (ألا بذكر الله) وحده (نطمئن

القلوب) دون غيره من الامور التي تميل اليها ﴿٢٩٧﴾ النفوس من الدنيا ويات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالتقصير من

حيث انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمطابقة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفقدتهم هوا حيث لم يطمئنا بذكر الله تعالى ولم يعدوا آية وهو أظهر الآيات وأبرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمة ومغفرته بعد التلق والاضطراب من خشية كذوله تعالى ثم تلبس جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسابه وتبلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما مر اليه أي قلوب الذين آمنوا وفيه إيحاء الى أن الانسان انما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الداعية على التأويل أعني قوله (طوبى

غيره من غير زيادة ولا نقصان وقال المفسرون معنى يقدر ههنا يضيق ومثله قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أي ضيق ومعناه انه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شي وأما قوله وفرحوا بالحياة الدنيا فهو راجع الى من يستألف الله رزقه وبين تعالى ان ذلك لا يوجب الفرح لان الحياة العاجلة بالنسبة الى الآخرة كالحقير القليل بالنسبة الى ما لانها ياتيه ﴿٢٩٨﴾ قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن للثواب) اعلم أن الكفار قالوا يا محمد ان كنت رسولا فأتنا بآية ومعجزة فاهرة ظاهرة مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام فاجاب عن هذا السؤال بقوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب وبيان كيفية هذا الجواب من وجوه (أحدها) كانه تعالى يقول ان الله أنزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات فاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فأضللكم عن تلك الآيات افاهرة الباهرة وهدى أقواما آخرين اليها حتى عرفوا بها صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة واذا كان كذلك فلا فائدة في تكثير الآيات والمعجزات (وثانيها) انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك لان الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أكثر من ان تصير مستهمة على العاقل فلما طلبوا بعد آيات أخرى كان موضع التعجب والاستعكار فكأنه قيل لهم ما عظم عنادكم ان الله يضل من يشاء من كان على صفته من التعميم وشدة الشكينة على الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان أنزلت كل آية ويهدي من كان على خلاف صفته (وثالثها) انه لما طلبوا سائر الآيات والمعجزات فكأنه قيل لهم لا فائدة في ظهور الآيات والمعجزات فان الاضلال والهداية من الله فلو حصلت الآيات الكثيرة ولم تحصل الهداية فانه لم يحصل الانتفاع بها ولو حصلت آية واحدة فقط وحصلت الهداية من الله فانه يحصل الانتفاع بها فلا تشتتوا بطلب الآيات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايات (ورابعها) قال أبو علي الجبائي المعنى ان الله يضل من يشاء عن رحمة وثوابه عقوبة له على كفره فليست من يجيبه الله تعالى الى ما يسأل لاستحقاقكم العذاب والاضلال عن الثواب ويهدي اليه من أناب أي يهدي الى جنة من تاب وأمر قال وهذا بين ان الهدى هو الثواب من حيث انه عقبه بقوله من أناب أي تاب والهدى الذي يفعله بالثواب هو الثواب لانه يستحقه على إيمانه وذلك يدل على انه تعالى انما يضل عن الثواب بالمعاقب لاعتن الدين بالكفر على ما ذهب اليه من خالفنا هذا تمام كلام أبي علي وقوله أناب أي اقبل الى الحق وحقيقته دخل في توبة الخير ﴿٢٩٩﴾ قوله تعالى (الذين آمنوا ونصحتم قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) اعلم أن قوله الذين آمنوا يدل من قوله من أناب قال ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت فان قيل أليس انه

لهم) أو خبر مبتدأ مضمر أو نصب على المدح ﴿٣٠٠﴾ ٣٨ خا فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشري وزلني والواو منقلبة من الياء مكوف وموسر وقرأ مكوزة الاعراب طيبى لتسلم الياء والمعنى أصابوا خيرا ومحلمها

النصب كسلاماتك أو الرفق

على الابتداء وأن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى (وحسن مآب) بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقبالك ﴿ ٢٩٨ ﴾ (كذلك) مثل ذلك الارسال العظيم الشأن

تعالى قال في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد الاطمئنان فكيف وصفهم ههنا بالاطمئنان والجلوب من وجوه (الاول) انهم اذا ذكروا العقوبات ولم يأمنوا من ان يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل واذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم الى ذلك وأحد الامرين لا يتنافى الآخر لان الوجع هو بذكر العقاب والطمأنينة بذكر الثواب ويوجد الوجع في حال فكرهم في المعاصي وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالصالحات (الثاني) ان المراد أن عليهم يكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله أما شكهم في أنهم أنوابا لصالحات على سبيل التمام والكمال فوجب حصول الوجع في قلوبهم (الثالث) انه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في ان الله تعالى صادق في وعده ووعدته وان محمد صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر عنه الا انه حصل الوجع والخوف في قلوبهم انهم هل أنوابا لطاعة الموجهة لثواب أم لا وهل احترازوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا واعلم ان تنافي قوله لا يذكرك الله تضمتين القلوب اجماعا دقيقة غامضة وهي من وجوه (الاول) ان الموجودات على ثلاثة اقسام مؤثر لا يتأثر ومثاثر لا يؤثر وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء فالنور الذي لا يتأثر هو الله سبحانه وتعالى والمثاثر الذي لا يؤثر هو الجسم فانه ذات قابلة للاسنان المختلفة والآثار المتشابهة وليس له خاصية الا قبول فقط وأما الموجود الذي يؤثر في شيء ويتأثر في شيء فموجودات الروحانية وذلك لانها اذا توجهت الى الحضرة الانسية صارت قابلة لآثار الفاضلة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكونيته وابتدائه واذا توجهت الى عالم الاجسام استأثقت الى التصرف فيها لان عالم الارواح مدبر لعالم الاجسام واذا عرفت هذا فاعلم ان كل توجه الى مضاعمة عالم الاجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد الى الاستيلاء عليها والتصرف فيها أما اذا توجه القلب الى مضاعمة الحضرة الانسية حصل فيه انوار الصمدية والاضواء الالهية فهناك يكون ساكنا فلهذا السبب قال لا يذكرك الله تضمتين القلوب (الثاني) ان القلب كلما وصل الى شيء فانه يطلب الانتقال منه الى حالة أخرى أشرف منها لانه لا سعادة في عالم الاجسام الا و فوقها مرتبة أخرى في اللذة والقبضة أما اذا انتهى القلب والعقل الى الاستعداد بالمعارف الالهية والاضواء الصمدية بقي واستقر فلم يقدر على الانتقال منه البتة لانه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها والكمال فلهذا المعنى قال لا يذكرك الله تضمتين القلوب (والوجد الثالث) في تفسير هذه الكلمة أن الاكسير اذا وقعت منه ذرة على الجسم الحامسي انقلب ذهبيا قباعا على كره الدهور والازمان صابرا على الذوبان الحاصل بالنار فاكسير جلال الله تعالى اذا وقع في القلب أولى أن يقلبه جوهر اباقيصاصا فيا نورانيا لا يقبل التغير والتبدل فلهذا قال لا يذكرك الله تضمتين القلوب ثم قال تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير كلمة

المصعوب بهذه المعجزة الباهرة (أرسلناك في أمة قد دخلت) أي مضت (من قبلها أمة) كثيرة قد أرسل اليهم رسل (لتتلو) لتقرأ (عليهم الذي أوحينا اليك) من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم الجبرور على النصب من قبيل الابهام ثم البيان كافي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبوله الله عند روده عليها (وهم) أي والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) بالابليس الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمة وأحاطت به نعمته والعدول الى الظاهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدر واقداره ولم يشكروا نعمه لاسيما ما أنعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع

الدينية والنبوية عليهم وقيل زلت في مشرك مكة حين أمروا بالسجود ففانوا وما الرحمن (قل هو) أي ﴿ طوبى ﴾ الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته (ربي) الرب في الاصل بمعنى القرية وهي تبليغ الشيء الى كاله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغته كالصوم والعدل وقيل هونعت أي خالقي ومبليغي الى مراتب الكمال وابراده قبل قوله

(لا اله الا هو) أي لا مستحق للعبادة سواء تلبية على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان أباجهل سمع النبي عليه السلام يقول يا الله بارحن فرجع ﴿ ٢٩٩ ﴾ إلى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى

قل ادعوا لله أو ادعوا

الرحمن الآية (عليه

توكلت) في جميع أموري

لا سيما في النصر عليكم

لا على أحد سواه (والله

خاصة) (كتاب) أي

توحيي كقوله تعالى

واستغفر لذنبك أمر

عليه السلام بذلك ابانة

لفضل التوبة ومقدارها

عند الله تعالى وأنها صفة

الانبياء وبعثا للكفرة

على الرجوع عما هم عليه

بأبلغ وجد وأطفه فانه

عليه السلام حيث

أمر بها وهو ممتزج عن

شأنه أقراف ما يوجب

من الذنب وان قيل

فتو بتهم وهم عاكفون

على أنواع الكفر

والمعاصي مما لا بد منه

أصلا وقد فسر المناب

بطلاق الرجوع فقيل

مرجعي ومرجعكم

وزيد فيحكم بيني وبينكم

وقد قيل فيبيني على

مصابرتكم فأمل (ولو

أن قرأنا) أي قرأنا

ما هو اسم أن والخبر

قوله تعالى (سيرت به

الجبس) (جواب

لومحذوف لانسياق

الكلام اليه بحيث يتلطفه

طوبى ثلاثة أقوال الاول انها اسم شجرة في الجنة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله يده تنبت الحلى والحلل وأن أغصانها التي من وراء سور الجنة وحكي أبو بكر الأصم رضى الله عنه ان أصل هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن والقول الثاني وهو قول أهل اللغة ان طوبى مصدر من طاب كبشرى وزانى ومعنى طوبى لك أصبت طيبا ثم اختلفوا على وجوه فقيل فرح وفرحة عين لهم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل نعم ما لهم عن هكرمة وقيل غبطة لهم عن الضحاك وقيل حسنى لهم عن قتادة وقيل خير وكرامة عن أبي بكر الأصم وقيل العيش الطيب لهم عن الزجاج وأعلم ان المعاني متعارفة والتفاوت يقرب من أن يكون في اللفظ والحاصل انه مبالغة في نيل الطيبات ويدخل فيه جميع اللذات وتفسيره أن أطيب الاشياء في كل الأمور حاصل لهم والتول اثالث ان هذه اللفظة ليست نعتية ثم اختلفوا فقال بعضهم طوبى اسم الجنة بالحشية وقيل اسم الجنة بالهندية وقيل البستان بالهندية وهذا القول ضعیف لانه ليس في القرآن الا نعر في لاسيما واشفاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر (المسألة الثانية) قال صاحب الكشاف الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبر ومعنى طوبى لك أي أصبت طيبا ومحملها انصب والرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن ما ب بارفع والنصب تدلك على محلها وقرأ مكورة الاعرابى طيبى لهم أما قوله وحسن ما ب فالمراد حسن المرجع والمقر وكل ذلك وعدم من الله بأعظم النعم ترغيبا في طاعته وتحذيرا عن المعصية ﴿ قوله تعالى ﴾ كذلك أرسلناك في أمة قد دخلت من قبلها أمة استلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب (اعلم ان الكفا في كذلك للتشبيه فقيل وجد التشبيه أرسلناك كما أرسلنا الانبياء قبلك في أمة قد دخلت من قبلها أمة وهو قول ابن عباس والحسن وفتادة وقيل كما أرسلنا الى أمة وأعطيناهم كتبنا تنلى عليهم كذلك أعطيناك هذا الكتاب وأنت تتلو عليهم فلماذا افترحوا غيره وقال صاحب الكشاف كذلك أرسلناك أي مثل ذلك الارسل أرسلناك بمعنى أرسلناك إرساله شأن وفضل على سائر الارسلات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد دخلت من قبلها أمة أي أرسلناك في أمة قد تقدمت أمة فهي آخر الامم وأنت آخر الانبياء اما قوله استلو عليهم الذي أوحينا اليك فالمراد لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن أي وحده والاه أنهم يكفرون بالرحمن الذي رحمة وسعت كل شيء وما بهم من نعمة فخذ وكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز عليهم قل هوربى الواحد المتعالى عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيعني على مصابرتكم ومحامدتكم قبل نزل قوله وهم يكفرون بالرحمن في عبد الله بن أمية الخزرجي وكان يقول أما الله فعرفه وأما الرحمن فلا عرفه الا صاحب اليمامة يعنون مسيلة

السامع من التالى والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدر واقدره العلى ولم يعدوه من قبيل الآيات فافترحوا غيره مما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والفتناد وتمادهم في الضلال والفساد فالعنى على الاول لو أن قرأنا سيرت به الجبال أي بانزاله أو تلاوته عليها وزعزعت عن مقامها

كأنه ذلك بالطور لمؤسى عليه الصلاة والسلام (أو قطعت به الأرض) أي شقت وجعلت أنهارا وهيونا كما فعل بالحجر حين ضم به عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعاً تصدع (٣٠٠) (أو كلم به الموتى) أي بعد أن احبى بقرانه

عليها كما أحيت عيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهي بته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لافي الانحياز إذ لا مدخل له في هذه الآثار وفي الذكير والاذنار والتخويف لاختصاصها بالعلماء مع أنه لا علاقة لها بكلام الموتى واعتبار فيض القول إليها محل بالمباينة المقصودة وتقدير المجزوء في المواضع الثلاثة على المرفوع المأمور غير مرة من قصد المبهام ثم التفسير لزيادة التفرير لأن تقديم ما حقه التأخير تبيي النفس مستشرفة ومتربة إلى المؤخراته ماذا فيمكن عند روده عليها أفضل يمكن وكلمة أوفى الموضوعين لمنع الخلو لانعاجع وافتتاحهم وإن كان متعلقاً بمجرد ظهوره مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه

الكذاب فقل تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وكقوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن وقيل انه عليه السلام حين صالح قر يشا من الحديثية كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال المشركون ان كنت رسول الله وقد قائلناك فقد ظننا ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فكتب كذلك ولما كتب في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا أما الرحمن فلا نعرفه وكانوا يكتبون باسمك اللهم فقال عليه السلام اكتبوا كما تريدون واعلم أن قوله وهم يكفرون بالرحن اذا جعلناه على هاتين الروايتين كل معناه انهم كفروا باطلاق هذا الاسم على الله تعالى لأنهم كفروا بالله تعالى وقال آخرون بل كفروا بالله اما جحد له واما لا يثبتهم الشر كما معد قال القاضي وهذا القول ألبق بالظاهر لان قوله تعالى وهم يكفرون بالرحن يقتضى انهم كفروا بالله وهو المفهوم من الرحمن وليس المفهوم منه الاسم كما قال قائل كفروا بمحمد وكذبوا به نكاح المفهوم هو دون اسمه * قوله تعالى (ولو أن فرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بها مصعوقاً راعاً وتحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد) اعلم انه روى ان أهل مكة قعدوا في فناء مكة فأتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفتح الميكان علينا واجعل لنا فيها أنهاراً تزرع فيها أو أحي لنا بعض أمواتنا نسألهم أحق مات قول أو باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى أو مسخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان فليست بأهون على ربك من سليمان فقل فلو أن فرأنا سيرت به الجبال أي من أما كلمها أي قطعت به الأرض أي شقت فجعلت أنهاراً وهيونا أو كلم به الموتى اكل هو هذا القرآن الذي أنزلناه عليك وحذف جواب أول كونه معلوماً وقال الزجاج المحذوف هو أنه لو أن فرأنا سيرت به الجبال وكذا وكذا لما آمنوا به كقوله ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ثم قال تعالى بل لله الأمر جميعاً يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وانس لاحد أن يتحكم عليه في أفعاله وأحكامه ثم قال تعالى أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وفيه مسئلتان (المسئلة الأولى) في قوله أفلم يأس قولان أحدهما أفلم يعلموا وعلى هذا التقدير ففيه وجهان الأول يأس علم في لغة النعم وهذا قول أكثر المفسرين مثل مجاهد والحسن وقناة واحتجوا عليه بقول الشاعر

ألم يأس الاقوام أنى أنا نبسه * وإن كنت هن أرض العشيرة نائبا وأنشد أبو عبيدة

أقول لهم بالشعب اذ بأسروني * ألم تياسوا أنى ابن فارس زهدم

أى ألم تعلموا وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول ينست بمعنى علمت البينة والوجه

السلام لا يظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنياً على عدم اشتغاله في زعمهم على الخوارق (٣٠١) الثاني يظ ظهورها به مبالغة في بيان اشتغاله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدر النكل خارق وابانة لركاكة رأيهم في شأنه الزفيغ كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي

لم يمدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز وصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى (بل الله الامر جميعا) أى له الامر الذى عليه يدور ذلك الاكوان وحودا وعدما يفعل ﴿ ٣٠١ ﴾ ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو اليه من الحكم البالغة وهو اضطراب عما تضمنته

الشرطية من معنى التنى لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه أى لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لان الامر كله له وحده فلا اضطراب ليس بتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدى اليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تضمنه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار (أفلم يأس الذين آمنوا) أى أفلم يعلموا على لغة هو اذن أوقوم من التمعن أو على استعمال اليأس فى معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجاعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أفلم تبين بطريق النفس والفناء للعطف على مقدر أى أغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا (أن لو يشاء الله) على حذف ضمير الشأن وتخفيف

الثانى ماروى أن عليا وابن عباس كلاهما يقرآن أفلم يأس الذين آمنوا قيل لابن عباس أفلم يأس فقال أفلم أن الكاتب كتبها وهو ناعس انه كان فى الخط يأس فزاد الكاتب سنة واحدة فصار يأس فقرأ يأس وهذا القول بعيد جدا لانه يقتضى كون القرآن محلا للتحريف والتخفيف وذلك يخرجده عن كونه حجة قال صاحب الكشف ما هذا القول والله الا فرية بلامر يقو القول الثانى قال الزجاج المعنى أو يؤس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء لان الله لو شاء اهتدى الناس جميعا وتقريره أن العلم بأن الشئ لا يكون يوجب اليأس من كونه والملازمة توجب حسن المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ اليأس لارادة العلم (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بقوله أن لو يشاء الله اهتدى الناس جميعا وكلة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره والمعنى انه تعالى ما شاء هداية جميع الناس والمعتزلة تارة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الاجاء وتارة يحملون الهداية على الهداية الى طريق الجنة وفيهم من يجرى الكلام على الظاهر ويقول انه تعالى ما شاء هداية جميع الناس لانه ما شاء هداية الاطفال والمجانين فلا يكون شائبا لهداية جميع الناس والكلام فى هذه المسئلة قد سبق مرارا ما فوله تعالى ولا يزال الذين كفروا نصيبهم بما صنعوا قارعة وتتحل قريبا من دارهم فغيبه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله الذين كفروا فيه قولان قيل أراد به جميع الكفار لان الوقائع الشديدة التى وقعت لبعض الكفار من القتل والسبي أو جرح حصول الغم فى قلب الكل وقيل أراد بعض الكفار وهم جماعة معينون والاف واللام فى لفظ الكفار للعموم والسابق وهو ذلك الجمع المعين (المسئلة الثانية) فى الآية وجهان الاول ولا يزال الذين كفروا نصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تفرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطار إلى بهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتى وعد الله وهو موتهم أو القيامة والقول الثانى ولا يزال كفار مكة نصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم ونصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بحيث كاحل بالحديبية حتى يأتى وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ثم قال ان الله لا يخلف الميعاد والغرض منه تقوية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه قال القاضى وهذا يدل على بطلان قول من يجوز الخلف على الله تعالى فى ميعاده وهذه الآية وإن كانت واردة فى حق الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اذ بعمومه يتناول كل وعيد ورد فى حق الفاسق وجوابنا ان الخلف غير تخصيص العموم غير ونحن لانقول بالخلف ولكننا نخصص عمومات الوعيد بالآيات الدالة على العفو قوله تعالى (واقد استهزى) يرسل من قبلك فامليت الذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفن هو قاتم

أن (اهتدى الناس جميعا) باظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا أو أعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما بوجه ذلك العلم بما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أى تخلف العلم الثانى عن العلم الاول وعلى التقدير من فالانكار انكار الوقوع كما فى قوله تعالى ألم يعدكم بكم وعدا حسنا لانكار الوقوع

كافي قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله ﴿٣٠٢﴾ تعالى اوشاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها

وذلك لانهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجمعوا على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرأنا فصل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنما نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى الآية فلا ضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أى فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يأت به حسبما يستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لاحد عليه تحكم أو اقتراح والباس بمعنى القنوط أى ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فلا انكار متوجه الى المعطوفين أو أعمل ذلك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أى الى تخلف القنوط عن العلم المذكور

على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمعوا أم نذون أم بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القور بل زين الدين كفروا ما كرههم وسدوا عن السبيل ومن يضل لله فإله من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من وافي اعلم ان القوم لما طالبوا سائر المعجزات من الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والسخرية وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتأذى من تلك الكلمات فآله تعالى أنزل هذه الآية نسيئله وتصويره على سفاهة قومه فقال له ان أوهام سائر الانبياء استهزوا بهم كأن قومك يستهزئون بك فأملت للذين كفروا أى أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ثم اخذتهم فكيف كان عقابي لهم واعلم أنى سأتقم من هؤلاء الكفار كما انتقم من أولئك المتقدمين والاملاء الامهال وان يتركوا مدة من الزمان في خفض وأمن كالأهمية الى لها في المرى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى أورد على المشركين ما يجرى مجرى الحجاج وما يكون توهمهاهم ونعيبا من عقولهم فقال أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكلبيات وإذا كان كذلك كان عالما بجميع أحوال النفوس وقادرا على تحصيل مطالبها من تحصيل المنافع ودفع المضار ومن يواصل الثواب اليها على كل الطاعات ويواصل العقاب اليها على كل المعاصي وهذا هو المراد من قوله قائم على كل نفس بما كسبت وما ذاك الا الحق سبحانه ونظيره قوله تعالى قائما بالقسط واعلم أنه لا بد لهذا الكلام من جواب واختلفوا فيه على وجوه (الاول) التقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كى ليس بهذه الصفة وهى الاصنام التى لا تنفع ولا تضر وهذا الجواب مضمر في قوله تعالى وجعلوا لله شركاء والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت كى لا تضر ولا تنفع ونظيره قوله تعالى أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وما جاء جوابه لانه مضمر في قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فكذلك ههنا قال صاحب الكشف يجوز أن يقدر ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه قوله وجعلوا والتقدير أفن هو بهذه الصفة لم يوجد ولم يعبدوه وجعلوا لله شركاء (والوجه الثاني) وهو الذى ذكره السيد صاحب حل العقد فقال نجعل الواو في قوله وجعلوا والحال ونضع للمبتدأ خبرا يكون المبتدأ معه جملة مقررلة لا يمكن ما يقرنها من الحال والتقدير أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود والحال انهم جعلوا لله شركاء ثم اقيم الظاهر وهو قوله الله مقام المضمر تقرير الالهية وتصير بحاجتها وهذا كاتقول جواد يعطى الناس ويفتيهم بوجود وبحرم مثلى واعلم انه تعالى لما قرر هذه الحجة زاد في الحجاج وقال قل سمعوا وما يقال ذلك في الامر المستحقر الذى بالغ في الحقارة الى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم فبعد ذلك يقال سمع ان شئت يعنى انه اخس من ان يسمى ويذكر والى ذلك ان شئت أر نضع له اسما فاعلم فكانه تعالى قال سمعوا بالآلهة على سبيل

والانكار على التقديرين انكار واقم كافي قوله الى أولاته تقور ونفأر ولا انكار او وقوع فان عدم التهديد قنوطهم من دعاء امر داه وقوله تعالى أن لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف أى أدم يأسوا من إيمانهم علما منهم أو عالين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وأنه لم يشأ ذلك أو آمنوا أى أفلم يقنطوا الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى

أفلم يباس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعد م تحقق مقدمها المنفهم من مكرانهم حسبما يحكيه كلمة
لو فالوصف المذكور من دواعي انكار بأسهم وقيل ﴿ ٣٠٣ ﴾ ان أباجهل وأضرابه قالوا لرسول الله صلى الله

عبيد وسلم ان كنت تدبافسيه
بقرا لك الجبال عن مكة
حتى تسع لنا ونخذ فيها
البساتين والقطائع
وقد سخرت لداود
عليه السلام فليست بأهون
على الله منه ان كنت نبيا
كازعت أو سخرنا به
الريح كما سخرت لاسليمان
عليه السلام لتجبر عليها
الى الشام فتمدق علينا
قطع الشقة البعيدة
أو ابعث اثنا رجلين
أو ثلاثة ممن مات من آبائنا
فزلت فني تقطيع الارض
حينئذ قطعها بالسير
ولا حاجة حينئذ
الى الاعتذار في اسناد
الافاعيل المذكورة
الى القرآن كما احتج اليه
في الوجهين الاولين
وعن الفراء أنه متعلق
بأقبله من قوله وهم يكفرو
بالرحن وما بينهما اعتراض
وهو بالحقيقة دال
على الجواب والتقدير ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال
أو قطعت به الارض
أو كلم به الموتى لكفروا
بالرحن والتذكير في كلمه
الموتى لتغليب المذكر
من الموتى على غيره
(ولا يزال الذين كفروا)

التهديد والمعنى سواء سمعتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به فانها في الحقايرة بحيث لا تستحق
أن يلتفت العاقل اليها ثم زاد في الحجاج فقال أم تنبؤنه بما لا يعلم في الارض والمراد أن تدرون
على أن تخبروه وتعلموه بأمر تعلمونه وهو لا يعلم وانما خص الارض بنبي الشريك عنهما وان
لم يكن شريك البتة لانهم ادعوا أن له شركا في الارض لاني غيره أم بظاهر من القول يعني
تموهون باظهار قول لا حقيقة له وهو كقولنا تعالى ذلك قواهم بأفواههم ثم انه تعالى بين
بعد هذا الحجاج سوطا يعقدهم فقال على وجه التحتميل لاهم عليهم بل زين الذين كفروا مكرهم
قال الواحدى معنى بل ههنا كما أنه يقول دع ذكر ما كنا فدين زين لهم مكرهم وذلك لانه تعالى
لما ذكر الدلائل على فساد قواهم فكانه يقول دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه لانه زين لهم
كفرهم ومكرهم فلا ينفعون بذلك هذه الدلائل قال القاضى لاشبهة في انه تعالى انما ذكر
ذلك لاجل أن يذمهم به واذا كان كذلك امتنع أن يكون ذلك المزين هو الله بل لابد أن
يكون اما شياطين الانس واما شياطين الجن واعلم أن هذا التأويل ضعيف لوجوه الاول
أنه لو كان المزين أحد شياطين الجن أو الانس فالمرين في قلب ذلك الشيطان ان كان
شياطنا آخر لزم التسلسل وان كان هو الله فقد زال السؤال والثاني أن يقال انقلب
لا يقدر عليها الا الله والثالث اننا قد دللنا على أن ترجيح الداعي لا يحصل الا من الله تعالى
وعند حصوله يجب الفعل اما قوله وصدوا عن السبيل فاعلم انه قرأ عاصم وحزرة والكسائي
وصدوا بضم الصاد وفي حم المؤمن وصدوا عن السبيل على ما لم يسم فاعله بمعنى ان الكفار
صددهم غيرهم وعندنا هل السنة ان الله صددهم والمرتلة فيه وجهان قيل الشيطان وقيل
أنفسهم وبعضهم لبعض كما يقال فلان معجب وان لم يكن ثم غيره وهو قول أبي مسلم
والباقون وصدوا بفتح الصاد في السورتين يعني أن الكفار صدوا عن سبيل الله أى
اعرضوا وقيل صرفوا غيرهم وهو لازم ومتعدد وحجة القراءة الاولى مشاكلها لما قبلها
من بناء الفعل للمفعول وحجة القراءة الثانية قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
قال ومن يضلل الله فاعلم ان اصحابنا تمسكوا بهذه الآية من وجوه اولها
قوله بل زين للذين كفروا مكرهم وقد بينا بالدليل ان ذلك المزين هو الله (وثانيها) قوله
وصدوا عن السبيل بضم الصاد وقد بينا ان ذلك الصاد هو الله (وثالثها) قوله ومن يضلل
الله فاعلم ان هاد وهو صريح في المقصود وتصريح أن ذلك المزين وذلك الصاد ليس الا
الله (ورابعها) قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق أخبر عنهم أنهم
سيعقون في عقاب الآخرة واخبار الله بمتنع التغير واذا امتنع وقوع التغير في هذا الخبر
امتنع صدور الايمان منه وكل هذه الوجوه قد خصناها في هذا الكتاب مرارا قال القاضى
من يضلل الله أى عن ثواب الجنة لكفره وقوله فاعلم ان هاد منبى بذلك ان الثواب لا ينال الا
بالطاعة خاصة فمن زاع عنها لم يجد اليها سبيلا وقيل المراد بذلك من حكم بانه ضال وسماء ضالا
وقيل المراد من يضلل الله عن الايمان بل بجمده كذلك ثم قال والوجه الاول اقوى واعلم ان

من أهل مكة (تصبيهم بمأصنعوا) أى بسبب ما صنعوه من الكفر والتأدي فيه وعدم بيانه اما المقصد الى تهويله
أ واستحقاقه وهو تصريح بما يشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلوة مع ما في سيغة الصنع عن الايدان
يسوخهم ذلالتى (قارعة) داهية تفرعهم وتقلعهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البليات والمصائب من القتل

والأسرو والنهب والسلب ونفديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التعرير
والاحكام مع ما فيه من بيان أن مدارا لاصابة من جهتهم ﴿ ٣٠٤ ﴾ آثر في اثر (أو نحل) تلك القارعة (قريبا)

الوجه الاول ضعيف جدا لان الكلام انما وقع في شرح ايمانهم وكفرهم في الدنيا ولم يجر
ذكر ذهابهم الى الجنة البتة فصرف الكلام عن المذكور الى غير المذكور بعيد وأيضا
فهب أنا نساعد على ان الامر كما ذكره الا انه تعالى لما أخبر أنهم لا يدخلون الجنة فقد
حصل المقصود لان خلاف معلوم الله ومخبره محال متمنع الوقوع واعلم انه تعالى لما أخبر
عنهم بتلك الامور المذكورة بين انه جمع لهم بين عذاب الدنيا وبين عذاب الآخرة
الذي هو أشق وانه لا دافع لهم عنه لافي الدنيا ولا في الآخرة أما عذاب الدنيا فبالقتل
والقتال واللعن والذم والاهانة وهل يدخل المصائب والامراض في ذلك ام لاختلفوا
فيه قال بعضهم انها تدخل فيه وقال بعضهم انها لا تكون عقابا لان كل أحد نزلت به
مصيبة فانه ما مور بالنصير عليها ولو كان عقابا لم يجب ذلك فالمراد على هذا القول من
الآية القتل والسبي واعتنام الاموال واللعن وانما قال وعذاب الآخرة أشق لانه
ازيد ان شئت بسبب القوة والشدة وان شئت بسبب كثرة الانواع وان شئت بسبب انه
لا يختلط بها شيء من موجبات الراحة وان شئت بسبب الدوام وعدم الانقطاع ثم بين
بقوله وما لهم من الله من وافي أي ان أحد لا يقيهم منازل بهم من عذاب الله قال الواحدى
أكثر لقراء وقفوا على ايقاف من غير ثبات ياء في قوله وافي وكذلك في قوله ومن يضل الله
فاله من هاد وكذلك في قوله والوهو الوجه لانك تقول في الوصل هذا هاد ووال ووافي
فتخذف الياء لسكونها والتساها مع التنوين فاذا وقفت اتخذف التنوين في الوقف
في الرفع والجرو الياء كانت اتخذف في الوقف فيصادف الوقف الحركة التي هي كسرة
في غير فاعل فتخذفها كما تخذف سائر الحركات التي تقع عليها فيصير هاد ووال ووافي وكان
ابن كثير يفت بياها في هادي ووال ووافي ووجه ما حكى سيبويه أن بعض من يؤتى به من
العرب يقول هذا داعي فيقعون بياها * قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون تجري
من تحته الانهار) كلها دائم وطلوها تلك عقي الذين اتقوا وعقبى المكافرين النار)
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لم يذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة
اتبعه بذكر ثواب المتقين وفي قوله مثل الجنة أقوال الاول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ
وخبره مخدوف والتقدير فيمافصنا عليكم مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة
جنة من صفتها كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره تجري من تحته الانهار
كما تقول صفة زيد اسم والرابع الخبر وقوله أكلها دائم لانه الخارج عن العادة كما قال
مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحته الانهار كما تعلمون من حال جناتكم الا أن هذه
أكلها دائم (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث أوها تجري من
تحته الانهار وثانيها ان اكلها دائم والمعنى ان جنات الدنيا لا يدوم ورفها وتمرها ومنافها
أما جنات الآخرة فتمار هادئة غير منقطعة وثالثها ان ظلمها دائم أيضا والمراد انه ليس
هناك حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ونظيره قوله تعالى لا يرون فيها شمس ولا نهارا ثم

أى مكانا قريبا
(من دارهم) فيفزعون
منها ويتطايروهم
شرارها شبهت القارعة
بالعدو المتوجه اليهم فاستند
اليها لاصابة تارة والحلول
أخرى ففيه استعارة
بالكنابة وتخييل وترشيع
(حتى يأتي وعد الله)
أى موتهم والقيام
فان كلامهم اوعدهم بموتهم
لامرله وفيه دلالة
على أن ما يصيبهم عند ذلك
من العذاب في غاية الشدة
وأن ما ذكر سابقه نفعه
يسيرة بالنسبة اليهم ثم حقق
ذلك بقوله تعالى (ان الله
لا يخلف الميعاد) أى الوعد
كالميلاد والميثاق بمعنى
الولادة والتوفاة لاستحالة
ذلك على الله سبحانه وقال
ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما أراد بالقارعة
السمرايا التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يبيتها وكانوا يبين اغارة
واختطاف وتخويف
بالحجوم عليهم في ديارهم
فلا صابة والحلول حيثند
من أحوا لهم ويجوز
على هذا أن يكون قوله
تعالى أو نحل قريبا

من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مراد به حلولة المدينة والمراد بوعده الله
ما وعده من فتح مكة (ولقد استهزى برسول) كثيرة خلت (من قبلك فاعليت للذين كفروا) أى تركتهم ملاوة
من الزمان في أمن ودعة كما يلى للبهيمة في الرعى وهذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عالماني

منهم من جعل ذلك رسل كثيرة كانت من قبله فامهلت الدين فملئوا بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان
المعنى لهم غير المستهين بل لارادة الجمع بين الوصفين أى فأملت للذين كفروا مع استهزائهم لباستهزائهم فقط
(ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أى عقابي ﴿ ٣٠٠ ﴾ ايهاهم وفيه من الدلالة على تنهاى كيفية في الشدة والقطاعة

ما لا يخفى (افن هو قائم)
أى رقيب مهين (على
كل نفس) كأنه من
كانت (ما كسبت) من
خبراً وشراً لا يخفى عليه
شئ من ذلك بل يجازى
كل عمله وهو الله تعالى
والخبر يذوق أى كمن
ليس كذلك انكار الفلك
وادخال الفاء لتوجيه
الانكار الى توهم المماثلة
فب ما علم مما فعل تعالى
بالمستهزين من الاملاء
المدبوا لاختد الشديد
ومن كون الامر كله لله
تعالى وكون هداية
الناس جميعاً منوطه
بمشيئة تعالى ومن تواتر
القوارع على الكفرة الى
أن باتى وعد الله كأنه
قيل الأمر كذلك ففى
هذا شأنه كالمس في عداد
الاشياء حتى نشر كونه
فالانكار متوجه الى ترتيب
المعطوف أعني توهم
المماثلة على المعطوف
عليه المقدراً عني كون
الامر كاذك كفى قولك
أعلم الحق فلا تعمل به
لالى المعطوفين جميعاً

انه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين ان ذلك عقبي الذين اتقوا يعنى عاقبة
أهل التقوى هى الجنة وعاقبة الكافرين النار وحاصل الكلام من هذه الآية ان ثواب
المؤمنين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام واعلم ان قوله اكملها دائم فيه
مسائل ثلاث (المسئلة الاولى) انه بدل على ان اكل الجنة لا تغنى كما يحكى عن جهنم
واتباعه (المسئلة الثانية) انه يدل على ان حركات أهل الجنة لا تنهى الى سكون دائم كما
يقوله أبو الهذيل وأتباعه (المسئلة الثالثة) قال القاضى هذه الآية تدل على ان الجنة
لم تخلق بعد لانها لو كان مخلوقة لوجب أن تغنى وان ينقطع أكلها لقوله تعالى كل من عليها
فان وكل شئ هالك الاوجه لكن لا ينقطع أكلها لقوله تعالى اكملها دائم فوجب ان
لا تكون الجنة مخلوقة ثم قال فلانكر ان يحصل الآن في السموات جنات كثيرة يتمتع بها
الملائكة ومن بعد حياتهم الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روى في ذلك الا ان الذى
نذهب اليه ان الجنة اخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة وال جواب أن دليلهم مركب من
آيتين احدهما قوله كل شئ هالك الاوجه والاخرى قوله اكملها دائم وظلها فاذا دخلنا
التخصيص فى أحد هذين العمومين سقط دليلهم فمن نخصص أحد هذين العمومين
بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة وهو قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض
أعدت للمؤمنين • قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك من

الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه ادعوا اليه ما ب)
اعلم أن فى المراد بالكتاب قوانين الاول انه القرآن والمراد ان أهل القرآن يفرحون بما أنزل
على محمد من أنواع التوحيد والعدل والتوبة والبعث والاحكام والقصص ومن الاحزاب
الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول الحسن وقتادة
فان قيل الاحزاب ينكرون كل القرآن قلنا الاحزاب لا ينكرون كل ما فى القرآن لانه
ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الانبياء والاحزاب
ما كانوا ينكرون كل هذه الاشياء والقول الثانى ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل
وعلى هذا التقدير فى الآية قولان الاول قال ابن عباس الذين آتيناهم الكتاب هم الذين
آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما
ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون يجران وممسانية باليمن واثنتان
وثلاثون بأرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية أهل
الكتاب وسائر المشركين قال القاضى وهذا الوجه أولى من الاول لانه لا شبهة فى ان من
أوتى القرآن فانه يفرحون بالقرآن أما اذا حملناه على هذا الوجه ظهرت الفائدة ويمكن
أن يقال ان الذين أوتوا القرآن يزاد فرحهم به لما أوفيه من العلوم الكثيرة والفوائد
العظيمة فلهذا السبب حكى الله تعالى فرحهم به والثانى والذين آتيناهم الكتاب اليهود
أعطوا التوراة والنصارى أعطوا الانجيل يفرحون بما أنزل فى هذا القرآن لانه مصدق

كما إذا قلت ألا تعلم فلا تعمل به ﴿ ٣٩ ﴾ خا وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) جملة مستقلة تنهى بها للدلالة على
الخبر أو خالصة أى أفن هذه صفاته كالمس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا يشركوا به ولا يصفونهم على الخبران قدر ما يصلح
لذلك أى أفن هذا شأنه لم يوجدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتخصيص على وحدانته ذاتاً
واسماً لنفسه على اختصاصه

بأنه خلق العباد مع خلقه من البيان بعد الإيمان بأمره فهو صواب لا يلهي التفسير وقوله تعالى (الذين
 تنبأ لهم أن ربك أنت أي سمعهم من هم وماذا أصبأهم أوصفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العباد فوهم نبأهم
 الشريعة (أم تظنونه) أي بل أنبؤن الله (بما لا يعلم في الأرض) أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى
 ولا يعرب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ ﴿٣٠٦﴾ بالتخفيف (أم بظاهر من القول) أي بل أقسمونهم

بشركاء بظاهر من
 القول من غير أن يكون له
 معنى وحقيقة كسمية
 الزنجي كافرًا كقوله
 تعالى ذلك قولهم
 بأفوههم وهاتيك
 الأساليب البدعية التي
 ورد عليها الآية الكريمة
 منادية على أنها خارجة
 عن قدرة البشر من كلام
 خلاق القوى والقدرة
 فتبارك الله رب العالمين
 (بل زين للذين كفروا)
 وضع الموصول موضع
 المضمرة فاعلمهم وتجيلا
 عليهم بالكفر (مكرهم)
 تمويههم بالإطيل
 أو كيدهم للإسلام
 بشركهم (وصدوا عن
 السبيل) أي سبيل الحق
 من صددهم وقرئ
 بكسر الصاد على نقل
 حركة الدال إليها
 وقرئ بفتحها أي
 صدوا الناس أو من
 صد صدودا (ومن
 يضل الله) أي يخلق
 فيه الضلال بسوء
 اختياره أو بخذله (فأله
 من هاد) يوفقهم للهدى
 (لهم عذاب) شاق

لما معهم ومن الأحزاب من سائر الكفار من ينكر بعضه وهو قول مجاهد قال القاضي
 وهذا لا يصح لأن قوله يفرحون بما أنزل اليك بجمع ما أنزل إليه ومعلوم أنهم
 لا يفرحون بكل ما أنزل إليه ويمكن أن يحجب فيقال إن قوله بما أنزل اليك لا يفيد العموم
 بدليل جواز إدخال لفظي الكل والبعض عليه ولو كانت كلمة ما للمعوم لكان إدخال لفظ
 الكل عليه تنكيرًا وإدخال لفظ البعض عليه نقصانًا أنه تعالى لما بين هذا جمع كل
 ما يحتاج المرء إليه في معرفة المبدأ والمعاد في الألفاظ قليلة منه فقال قل إنما أمرت أن
 أعبد الله ولا أشرك به إليه ادعوا إليه مآب وهذا الكلام جامع لكل ما ورد التكليف
 به وفيه فوائد (أولها) أن كلمة إنما للعصر ومعناه أني ما أمرت إلا بعبادة الله تعالى وذلك
 يدل على أنه لا تكليف وأمر ولا نهى إلا بذلك (وثانيها) أن العبادة غاية التعظيم وذلك يدل
 على أن المرء مكلف بذلك (وثالثها) أن عبادة الله تعالى لا يمكن إلا بعد معرفته ولا سبيل إلى
 معرفته إلا بالدليل فهذا يدل على أن المرء مكلف بالنظر والاستدلال في معرفة ذات
 الصانع وصفاته وما يجب ويجوز ويستحيل عليه (ورابعها) أن عبادة الله واجبة وهو
 يبطل قول نفاة التكليف ويبطل القول بالجبر المحض (وخامسها) قوله ولا أشرك به وهذا
 يدل على نفي الشركاء والانداد والاضداد بالكلية ويدخل فيه إبطال كل من أثبت
 معبودًا سوى الله تعالى سواء قال إن ذلك المعبود هو الشمس أو القمر أو الكواكب
 أو الأصنام والأوثان والأرواح العلوية أو يزدان وأمر من على ما يقوله الجوس أو النور
 والظلمة على ما يقوله الثنوية (وسادسها) قوله إليه ادعوا المراد منه أنه كما وجب عليه
 الاتيان بهذه العبادة فكذلك يجب عليه الدعوة إلى عبودية الله تعالى وهو إشارة إلى
 نبوته (وسابعها) قوله وإليه مآب وهو إشارة إلى الحشر والتشريع والبث والقيامه فأذا
 تأمل الإنسان في هذه الألفاظ القليلة وقف عليها عرف أنها محتوية على جميع المطالب
 المعنوية في الدين * قوله تعالى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا وثبتت أحوالهم بعد
 ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا وافي) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنه
 تعالى شبه أنزاله حكما عربيا بما أنزل إلى من تقدم من الأنبياء أي كما أنزلنا الكتب على
 الأنبياء بلسانهم كذلك أنزلنا عليك القرآن والكسابة في قوله أنزلناه تعود إلى ما في قوله
 يفرحون بما أنزل اليك يعني القرآن (المسئلة الثانية) قوله أنزلناه حكما عربيا فيه وجوه
 الأولى حكمته عربية مترجمة بلسان العرب الثاني القرآن مشتمل على جميع أقسام
 التكليف فالحكم لا يمكن إلا بالقرآن فلما كان القرآن سبيل الحكم جعل نفس الحكم على
 سبيل المبالغة الثالث أنه تعالى حكم على جميع المكلفين بقبول القرآن والعمل به
 فلما حكم على الخلق بوجوب قبوله جعله حكما واعلم أن قوله حكما عربيا يانصب على الحال
 والمعنى أنزلناه حال كونه حكما عربيا (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على
 حدوث القرآن من وجوه الأولى أنه تعالى وصفه بكونه منزلا وذلك لا يليق إلا بالحدث

(في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم ﴿الثاني﴾
 (وعذاب الآخرة أشق) من ذلك بالشدة والمدة (ومالهم من الله) من عذابه المذكور (من وافي) من حافظ بعضهم
 من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية من يده للتأكيد (مثل الجنة) أي صفتها العجيبة الشان التي في الثريا
 كاللؤلؤة من حدائق المتقون

من الحروف والاصول وهو مبدع الحروف على ما يشاء من الحروف والاصول (مخبر عن الحروف)
 الانظار) تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائدة الى الجنة أي وعدّها وهو الخبر عند غيره كقولك
 شأن زيد بآتيه الناس وبعضهم أنه أوعلى حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجرى الخ (أكلمها) ثمرها (دائم) لا ينقطع
 (وظلمها) أيضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ٣٠٧ * ظلال الدنيا (تلك) الجنة المنوعة بما ذكر (عقبى الذين

اتقوا) الكفرو والمعاصي
 أي ما أهم ومشتبه
 أمرهم (وعقبى الكافرين
 النار) لا يغبر وفيه ما لا يخفى
 من اطماع المتقين واقاط
 الكافرين (والذين
 آتيناهم الكتاب) هم
 المسلمون من أهل
 الكتاب كعبد الله بن
 سلام وكعب وأضرابهما
 ومن آمن من النصارى
 وهم ثمانون رجلا أربعون
 بنجران وثمانية باليمن
 واثنتان وثلاثون بالحشة
 (يفرحون بما أنزل اليك)
 اذ هو الكتاب الموعود
 في التوراة والانجيل (ومن
 الاحزاب) أي من
 أحزابهم وهم كفرتهم
 الذين تحزبوا على
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بالعداوة نحو كعب
 بن الاشرف والسيد
 والعاقب اسقني نجران
 وأتباعهما (من يشكر
 بعضه) وهو الشرائع
 الحادثة انشاء أو نسخا
 لا ما يوافق ما حرقوه
 والائني عليهم من أول
 الامر أن مدار ذلك

الثاني أنه وصفه بكونه عربيا والعربى هو الذى حصل بوضع العرب واصطلاحهم
 وما كان كذلك كان محدثا الثالث ان الآية دالة على انه انما كان حكما عربيا لان الله
 تعالى جعله كذلك ووصفه بهذه الصفة وكل ما كان كذلك فهو محدث والجواب ان كل
 هذه الوجوه دالة على ان المركب من الحروف والاصوات محدث ولا نزاع فيه والله أعلم
 (المسئلة الرابعة) روى ان المشركين كانوا يدعون الى مله آبائهم فتوعد الله تعالى على
 متابعتهم في تلك المذاهب مثل أن يصلى الى قبلتهم بعد ان حوله الله عنها قال ابن عباس
 الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته وقيل بل القرض منه حدث الرسول عليه
 السلام على القيام بحق الرسالة وتحذيره من خلافها ويتضمن ذلك أيضا تحذير جميع
 المكلفين لان من هو أرفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهم أحق بذلك وأولى * قوله تعالى
 (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن أتى بآية
 الا باذن الله لكل أجل كتاب بحجوه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) اعلم أن القوم
 كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات في ابطال نبوته (فالشبهة الاولى) قولهم مال هذا
 الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق وهذه الشبهة انما ذكرها الله تعالى في سورة
 أخرى (والشبهة الثانية) قولهم الرسول الذى يرسله الله الى الخلق لا بد وأن يكون من
 جنس الملائكة كما حكى الله عنهم في قوله لوما تأتينا بالملائكة وقوله لولا أنزل عليه ملك
 فأجاب الله تعالى عنه ههنا بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية
 يعنى ان الانبياء الذين كانوا قبله كانوا من جنس البشر لا من جنس الملائكة فاذا جاز ذلك
 في حقهم فلم لا يجوز أيضا مثله في حقهم (الشبهة الثالثة) عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله لما كان مستغلا بأمر النساء بل كان
 معرضا عنهن مستغلا بالنسك والزهد فأجاب الله تعالى عنه بقوله ولقد أرسلنا رسلا من
 قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية وبالجملة فهذا الكلام يصلح أن يكون جوابا عن الشبهة
 المقدمة ويصلح أن يكون جوابا عن هذه الشبهة فقد كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة
 امرأة مهيرة وسبع مائة سريرة ولد اودمائة امرأة (والشبهة الرابعة) قالوا لو كان رسولا
 من عند الله لكان أى شئ طلبنا منه من المعجزات أتى به ولم يتوقف ولم يكن الامر
 كذلك ههنا انه ليس برسول فأجاب الله عنه بقوله وما كان لرسول أن أتى بآية الا باذن الله
 وتقريره ان المعجزة الواحدة كافية في ازالة العذر والعلّة وفي اظهار المحجة والبيّنة
 فأما الزائد عليها فهو مفوض الى مشيئة الله تعالى ان شاء أظهرها وان شألم يظهرها
 ولا اعتراض لاحد عليه في ذلك (الشبهة الخامسة) أنه عليه السلام كان يخوفهم بنزول
 العذاب وظهور النصرة له ولقومه ثم ان ذلك الموعود كان يتأخر فلما لم يشاهدوا تلك
 الامور احتجوا بها على الطعن في نبوته وقالوا لو كان نبيا صادقا لما ظهر كذبه فأجاب الله
 عنه بقوله لكل أجل كتاب يعنى نزول العذاب على الكفار وظهور النصرة للاولياء

انما هو جنابايت أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم يشكروه وانالم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالوصول الاول فامتهم فانهم
 أيضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تمة بمنزلة أن يقال ومنهم من
 شكر بعضه (قل) الزا ما لهم ورد الانكارهم (انما أمرت أن أعبد الله

ولا أشرك به) أي شتمهم الأسماء والأهل الأشرار الذين أرادوا حصر الدين بالحدود على الرجال لا على النساء ولا على صباه
عبادته تعالى خاصة أي قل لهم إنا أمرت فيما أنزل إلي بعبادته وتوحيده وظهر أن لا سبيل لكم إلى إنكاره لأطباق جميع
الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا
قالكم تشركون به عزنا والمسيح وقرئ ولا أشرك به بالرفع ﴿٣٠٨﴾ على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به (إليه)

إلى الله تعالى خاصة على
التمجيد المذكور من التوحيد
أولى ما أمرت به من
التوحيد (ادعوا) الناس
لإلى غيره أو إلى شيء
آخر مما لم يطبق عليه
الكتب الإلهية والأنبياء
عليهم الصلاة والسلام
فأوجه إنكاركم (والإله)
إلى الله تعالى وحده
(ماب) مرجعي للجزء
وحيث كانت هذه الحجة
الباهرة لازمة لهم
لا يجدون عنها محيصا
أمر عليه الصلاة والسلام
بأن يخاطبهم بذلك الزاما
وتبكيته لهم ثم شرع في
رد إنكارهم لفروع
الشرائع الواردة ابتداء
أو بدلا من الشرائع
المسوخة ببيان الحكمة
في ذلك فقل (وكذلك
أنزلناه) أي ما أنزل إليك
وذلك إشارة إلى مصدر
أنزلناه أو أنزل إليك ومجمله
النصب على المصدرية
أي مثل ذلك الانزال
البدعي المنتظم لأصول
جمع عليها وفروع
متشعبة إلى موافقة

قضى الله بحصولها في أوقات معينة مخصوصة ولكل حادث وقت معين ولكل أجل كتاب
فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث فتأخر المواعيد لا يلبس على كونه كاذبا
(الشبهة السادسة) قالوا لو كان في دعوى الرسالة محققا لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى
على ثبوتها في الشرائع المتقدمة نحو التوراة والإنجيل لكنه لم ينسخها وحررها نحو تحريف
القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل فوجب أن لا يكون نبيا حقا فأجاب الله
سبحانه وتعالى عنه بقوله بمخالف ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ويمكن أبضا أن يكون
قوله لكل أجل كتاب كالمقدمة لقرار هذا الجواب وذلك لأننا شاهدنا أن الله تعالى يخلق حيوانا
محبب الخلق بدم الفطرة من قطرة من الطفرة ثم يمتدده مدة مخصوصة ثم يمتدده ويفرق
أجزائه وأعضائه فلما لم يمتدح أن يحيا أو لا يمتدح أن يموت ثانيا فكيف يمتنع أن يشرع الحكم
في بعض الأوقات ثم ينسخه في سائر الأوقات فكان المراد من قوله لكل أجل كتاب
ما ذكرناه ثم إنه تعالى لما قرر ذلك المقدمة قال بمخالف ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
والمعنى أنه يوجد تارة وعدم أخرى ويحيى تارة ويميت أخرى وبغنى تارة ويفقر أخرى
فكذلك لا يبعد أن يشرع الحكم تارة ثم ينسخه أخرى بحسب ما اقتضته المشيئة الإلهية
عند أهل السنة أو بحسب ما اقتضته رعاية المصالح عند المعتزلة فهذا تمام التحقيق
في تفسير هذه الآية ثم ههنا مسائل (المسئلة الأولى) قوله تعالى لكل أجل كتاب فيه
أقوال الأول أن لكل شيء وقته قدره فالآيات التي سألوها لها وقت معين حكم الله به
وكتبه في الوح المحفوظ فلا يتغير عن ذلك الحكم بسبب تحكيماتهم الفاسدة ولو أن الله
أعطاهم ما التمسوا وكان فيه أعظم الفساد الثاني أن لكل حادث وقته معين فحكم الله
بحصوله فيه كالحياة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة ولا يتغير البتة عن ذلك
الوقت والثالث أن هذا من المقلوب والمعنى أن لكل كتاب منزل من السماء أجل ينزله فيه
أي لكل كتاب وقت يعمل به فوق العمل بالنوراة والإنجيل وقد انقضى ووقت العمل
بأقرآن قد أتى وحضر والرابع لكل أجل معين كتاب عند الملائكة الحفظة فللإنسان
أحوال وألها لطفة ثم علفة ثم مضغة ثم بصير شيا ثم شقا وكذا القول في جميع الأحوال
من الإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحسن والقبح الخامس كل وقت معين مشتمل
على مصلحة خفية ومنفعة لا يعلمها إلا الله تعالى فإذا جاء ذلك الوقت حدث ذلك الحادث
ولا يجوز حدوثه في غيره وإعلم أن هذه الآية صريحة في أن الكل بقضاء الله وقدره وأن
الأمور مروهنة بأوقاتها لأن قوله لكل أجل كتاب معناه أن تحت كل أجل حادث معين
ويستحيل أن يكون ذلك التعيين لأجل خاصية الوقت فإن ذلك محال لأن الأجزاء
المعرضة في الأوقات المتعاقبة متساوية فوجب أن يكون اختصاص كل وقت بالحادث
الذي يحدث فيه بفعل الله تعالى واختياره وذلك يدل على أن الكل من الله تعالى وهو نظير
قوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة (المسئلة الثانية) بمخالف

ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه (حكما) حاكما بحكم في القضاء والوقائع بالحق ﴿ ما يشاء ﴾
أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لثبوتية وجوب مراعاته ونحتم المحافظة عليه (عربيا)
مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك الإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد المخالفة

الحكمة التي هي الحكمة ان ذلك منطقي الحكمة ان ذلك يستلزم فهمه وادراكه اجازة ولا فساد على استعمال الازال على اصول البيانات المجمع عليها حسبما يفيد قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ باباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل أجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع (ولئن اتبعت أهواؤهم) التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما أنزل ﴿ ٣٠٩ ﴾ اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعد التحويل

(بعد ما جاءك من العلم)

العظيم الشأن القائن

من ذلك الحكم العربي

أو العلم بمضمونه (مالك

من الله) من جنابه العزيز

والاتفات من التكلم

الى الغيبة وابراد الاسم

الجميل لقرينة المهابة قال

الازهرى لا يكون الها

حتى يكون معبود او

حتى يكون خالق اورازقا

ومدبرا (من ولى) يلى

أمرك وينصرك على

من يفيك الفوائل

(ولا واق) يفيك من

مصارع السوء وحيث

لم يستلزم في الناصر

على العدو في الواقى

من نكاته أدخل على

المعطوف حرف النفي

للتأكيد كقولك ما لي

دينار ولا درهم أو مالك

من بأس الله من ناصر

وواق لاتباعك أهواؤهم

وأمثال هاتيك القوارى

انما هي لقطع أطماع

الكفرة وتهيج المؤمنين

على الثبات في الدين

واللام في لئن موطنه

ومالك سادسد جواد

الشرط واقسم (ولقد

ما يشاء ويثبت قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم و ثبت ساكنة الشاء خفيفة الباء من اثبت يثبت والباقون بفتح الشاء وتشديد الباء من التثنية وحجة من خفف ان ضد المحو الاثبات لا التثنية ولان التشديد للتكثير وليس القصد بالمحو والتكثير فكذلك ما يكون في مقابله ومن شدد احتج بقوله وأشد تثنيته وقوله فثبتوا (المسئلة الثالثة) المحو ذهاب أثر الكتابة يقال محاه بمحو ومحوا اذا ذهب أثره وقوله ويثبت قال الحويون أراد ويثبت الا انه استغنى بتعدية الفعل الاول عن تعدية الثاني وهو كقوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات (المسئلة الرابعة) في هذه الآية قولان الاول انها عامة في كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ان الله يحمو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود والقائلون بهذا القول كانوا يدهون ويتضرعون الى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لأشقياء وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان هذه الآية خاصة في بعض الاشياء دون البعض وعلى هذا التقرير في الآية وجوه (الاول) المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر يدل عن الاول (الثاني) انه تعالى يحمو من ديوان الحفظة مالم يس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره ويطعن أبو بكر الاصم فيه فقال انه تعالى وصف الكتاب بقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال أيضا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره أجاب القاضي عنه بأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الذنوب والمباح لا صغيرة ولا كبيرة وللاصم أن يحجب عن هذا الجواب فيقول انكم باصطلاحكم خصصتم الصغيرة بالذنوب الصغيرة والكبيرة بالذنوب الكبيرة وهذا مجرد اصطلاح المتكلمين اما في أصل اللغة فالصغير والكبير يتناولان كل فعل وعرض لانه ان كان حقيرا فهو صغير وان كان غير ذلك فهو كبير وعلى هذا التقدير فقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها يتناول المباحات أيضا (الثالث) انه تعالى أراد بالمحو أن يذهب أثبت ذلك الذنب في ديوانه فاذا تاب عنه محي من ديوانه (الرابع) يحمو الله ما يشاء وهو من جاء أجله ويدع من لم يجئ أجله ويثبت (الخامس) أنه تعالى يثبت في أول السنة حكم تلك السنة فاذا مضت السنة محيت وأثبت كتاب آخر للمستقبل (السادس) يحمو نور القمر ويثبت نور الشمس (السابع) يحمو الدنيا ويثبت الآخرة (الثامن) انه في الارزاق والحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع الى الله تعالى (التاسع) تغير احوال العبد بما مضى منها فهو المحو وما حصل وحضر فهو الاثبات (العاشر) يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء من حكمه لا بطاع على غيبة أحد فهو المنفرد بالحكم كإشاء وهو المستقل بالاجداد والاعدام والاحياء والامانة والاغناء والافقار بحيث لا يطلع على تلك القيوب احد من خلقه واعلم ان هذا الباب فيه مجال عظيم فان قال قائل الستم تزعمون ان المقادير سابقة قد جف بها القلم

أرسلنا رسلا كثيرة كائنة (من قبلك وجعلناهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا كما جعلنا هالك وهوردا لما كانوا يعيرونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام الخ (وما كان رسول) منهم أى ماصح وما استقام ولم يكن في وسعه (ان يأتي بآية) مما اقترح عليه وحكم ما اتهم منه (الا ناذر الله) ومثيبتة المنية على

الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات لاسيما مثل هذه الأمور العظام والاثبات لما قدمنا وتخصي بمشهور الجلالة
بالإبقاء إلى العلة (لكل أجل) أي لكل مدة ووقت من المدد والاقوات (كتاب) حكم معين يكتب على العباد حسب اقتضيه
الحكمة فان الشرائع كلها الاصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك انه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة
حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال ٣١٠ المرضي بحسب الاوقات (بحمد الله ما يشاء)

أي ينسخ ما يشاء نسخه
من الاحكام لما تقتضيه
الحكمة بحسب الوقت
(ويثبت) بدله ما فيه
المصلحة أو يقيه على
حاله غير منسوخ أو يثبت
ما شاء اثباته مطلقاً أع
منهم ومن الانشاء
ابتداء أو يحوم من ديوان
الحفظة الذين يدينهم
كتب كل قول وعمل ما
لا يتعلق به الجزاء ويثبت
الباقى أو يحوسبات
النائب ويثبت مكانها
الحسنة أو يحوقرنا ويثبت
آخرين أو يحوقرنا الفسادات
من العالم الجسماني
ويثبت الكائنات أو يحوم
الرزق ويزيد فيه أو يحوم
الاجل أو السعادة
والشقاوة وبه قال ابن
مسعود وابن عمر رضي
الله عنهم والقائلون به
يتضرعون إلى الله تعالى
أن يجعلهم سعداء
وهذا رواه جابر عن النبي
عليه الصلاة والسلام
والانصب تعميم كل
من المحو والاثبات لينشئ
الكل ويدخل في ذلك

وليس الامر بأنف فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات قلنا ذلك المحو والاثبات
أيضاً ما حلف به القلم فلا يحو الا ما سبق في علمه وقضائه محو (المسئلة الخامسة) قالت
الرافضة ابتداء جاز على الله تعالى وهو أن يعقد شيئاً ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده
وتسكوا فيه بقوله بحمد الله ما يشاء ويثبت واعلم ان هذا باطل لان علم الله من لوازم ذاته
المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالاً (المسئلة السادسة) اما
أم الكتاب فالمراد أصل الكتاب والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشيء أماله ومنه
أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حوالها من القرى فكذلك أم
الكتاب هو الذي يكون أصلاً لجميع الكتب وفيه قولان (الاول) ان أم الكتاب هو
اللوح المحفوظ وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مثبت فيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال كان الله ولا شيء معه ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق
إلى قيام الساعة قال المتكلمون الحكمة فيه أن يظهر لللائكة كونه تعالى عالماً
بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان أحدهما الكتاب
الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب محل المحو والاثبات والكتاب الثاني هو
اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على تعيين جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو
ابن روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى في ثلاث
ساعات يقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فبعو ما يشاء ويثبت
ما يشاء والحكمة في تفسير هذين الكتابين كان عجيبة وأمر أعزاء (والقول الثاني)
ان أم الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات
والمعدومات وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق مدام عن الغير فالمراد بأم الكتاب هو
ذلك والله أعلم * قوله تعالى (واما الزينك بعض امدى نعدهم أو توفيك فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب) اعلم ان المعنى واما الزينك أو توفيك بعض الذي نعدهم من العذاب
أو توفيك قبل ذلك والمعنى سواء أريناك ذلك أو توفيك قبل ظهوره فالواجب عليك
تبليغ أحكام الله تعالى وأداء أمانته ورسالته وعلينا الحساب والبلاغ اسم أقيم مقام
التبليغ كالسراح والاداء * قوله تعالى (أولم يروا أنا أنأت الأرض نقصها من أطرافها
والله يحكم لا تعجب لحكمه وهو سر بع الحساب وقدمكر الذين من قبلهم فله المكر
جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار) اعلم انه تعالى لما وعد رسوله
بأن يري بعض ما وعدوه أو توفاه قبل ذلك بين في هذه الآية ان آثار حصول تلك
المواهب وعلاماتها قد ظهرت وقويت وقوله أولم يروا أنا أنأت الأرض نقصها من
أطرافها فيه أقوال (الاول) المراد أنا أنأت أرض الكفرة نقصها من أطرافها وذلك لان
المسلمين يستولون على أطراف مكة وأحدونها من أسكفرة قهراً وجبراً فانقص أحوال
الكفرة وازدياد قوة المسلمين من أقوى العلامات والامارات على أن الله تعالى ينجز وعده

مواد الانتكار دخولا أولياً وقرى بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أي أصله وهو اللوح المحفوظ اذا ما ﴿ ونظيره ﴾
من شيء من الذاهب والاثبات الا وهو مكتوب فيه كما هو (واما الزينك) أصله ان ترك وما من يدة لنا كبدمعنى الشرط
ومن ثمة ألحقت النون بالفعل (بعض الذي نعدهم) أي وعدناهم من ازال العذاب عليهم

والعدول الى صفة المضارع لحكاية الحال الماضية أو تعددهم وعددهم جدا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار
وفي ايراد البعض رمز الى ارادة بعض الموعود (أو تنويفك) قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) أي تبليغ أحكام الرسالة بتمامها
لا تحقيق مضمون ما بلغت من الوعيد الذي هو من جملتها (وعليها) لا عليك (الحساب) بحساسة أعمالهم السنية والمواظدة
بها أي كيفما دارت الحال أرى نيك بعض ما وعدنا ﴿ ٣١١ ﴾ هم من العذاب الدنيوي أو لم يركه فعلينا ذلك وما

عليك التبليغ الرسالة
فلا تنهم بما وراء ذلك
فتحن نكف بك وتم ما
وعدناك من الظفر ولا
يضجرك تأخره فان ذلك
لما نعلم من المصالح الخفية
ثم طيب نفسه عليه
الصلاة والسلام بطلوع
نباشره فقال (أو لم يروا)
استفهام انكارى والواو
للعطف على مقدر
يقضيه المقام أي أنكروا
نزول ما وعدناهم أو
أشكوا أو ألم ينظروا
في ذلك ولم يروا (أننا نأني
الارض) أي أرض
الكفر (تنقصها من
أطرافها) بأن تنقصها
على المسلمين شيئا فشيئا
ونقصها بدار الاسلام
ونقص منها أهلها
بالقتل والأسر والاجلاء
أليس هذا من ذلك ومثله
قوله عز سلطانه أفلا
يرون أننا نأني الارض
تنقصها من أطرافها
أفهم الغالبون وقوله
تنقصها حال من فاعل
نأني أو من مقوله وقرئ

ونظيره قوله تعالى أفلا يرون أننا نأني الارض تنقصها من أطرافها أفهم الغالبون وقوله
سزيم آياتنا في الآفاق (واقول الثاني) وهو ايضا متقول عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان قوله تنقصها من أطرافها المراد موت أشرافها وكبرائها وعلمائها وذهاب الصلحاء
والاخيار وقال الواحدى وهذا القول وان احتمله اللفظ الا أن الاثني بهذا الموضع هو
الوجه الاول ويمكن أن يقال هذا الوجه أيضا لا يليق بهذا الموضع وتقريره أن يقال أولم
يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز
ونقص بعد كمال واذا كانت هذه النعيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم من
أن يقب الله الأمر على هؤلاء الكفر فيجعلهم ذليلين بعد ان كانوا عزين ويحطهم
مقهورين بعد ان كانوا فاهرين وعلي هذا الوجه فيحسن اتصال هذا الكلام بما قبله وقيل
تنقصها من أطرافها يموت أهلها ويخرب ديارهم ويلاهم فهو لاء الكفرة كيف آمنوا
من أن يحدث فيهم أمثال هذه الوقائع ثم قال تعالى مؤكدا لهذا المعنى والله يحكم لامعقب
لحكمه معناه لاراد لحكمه والمعقب هو الذي يعقبه بارد والابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يعقب غير يند بالاقضاء والطلب فان قيل ما محل قوله لامعقب لحكمه
قلنا هو جلة محلها التصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه خاليا عن المدافع
والمعارض والمنازع ثم قال وهو سرير الحساب قال ابن عباس يريد سرير الانتقام
يعنى ان حجابها للمجازاة بالخير والشر يكون سرير عاقر يلا يدفعه دافع أو ما قوله وقدمه
الذين من قبلهم يعنى أن كفار الامم الماضية قد مكروا برسولهم وأنبيائهم مثل غرودمكر
ابراهيم وفرعون مكر موسى واليهود ومكر العيسى ثم قال فله المكر جميعا قال الواحدى
معناه ان مكر جميع الماكرين له ومنه أي هو حاصل بتخليقه وادارته لانه ثبت ان الله
تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد وأيضا فذلك المكر لا يضرا الا باذن الله تعالى ولا يؤثر
الابتغديرة وفيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكبرهم كأنه قيل له اذا كان
حدوث المكر من الله وتأثيره في الممكوره أيضا من الله وجب أن لا يكون الخوف الا من
الله تعالى وأن لا يكون الرجاء الا من الله تعالى وذهب بعض الناس الى ان المعنى فله جزاء
المكر وذلك لانهم لما مكروا بالموئمين بين الله تعالى انه يجازيهم على مكرهم قال الواحدى
والاول أظهر القولين بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد أن أكسب العباد بأسرها
معلومة الله تعالى وخلاف المعلوم تمتع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم الله وقوعه
فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان تمتع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد
على الفعل والترك فكان الكل من الله تعالى قالت المعتزلة الآية الاولى ان دلت على
قولكم فالآية الثانية وهى قوله يعلم ما تكسب كل نفس دلت على قولنا لان الكسب هو
الفعل المشتمل على دفع مضرة أو جلب منفعة ولو كان حدوث الفعل بخلق الله تعالى
لم يكن لقدرة العبد فيه أثر فوجب أن لا يكون للعبد كسب وجوابه ان مذهبا ان مجموع

تنقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كافي قوله عز وجل
وقدنا الى ما علموا من عمل فيجلنا هباء منثورا (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال
وعلى الكفر بالدلة والادبار حسبما يشاهد من الخايل والامثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم

على الاسم الجليل من الدلالة على الصنعة ويزية المهابة وتحقق معقول الخبر بالإشارة إلى الله تعالى وهو
اعتراضية حتى بها لنا كيد فصوص ما تقدمها وقوله تعالى (لا تعقب حكمه) اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه
جل جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل واقعه يحكم نافذا حكمه كما تقول جاز يدا لامعة على رأسه أي حاسر والمصقب
من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفه * ٣١٢ * بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب

لأنه يفتي غريمه بالاقضاء
والطلب (وهو سر يع
الحساب) فمما قليل
يحاسبهم ويجازيهم
في الآخرة بأفانين العذاب
غيب ما عندهم بالتقليل
والاسم والاجلاء حسبا
يرى وقال ابن عباس
رضي الله عنهما سر يع
الاتقام (وقدمكر)
الكفار (الذين) خلوا
(من قبلهم) من قبل
كفار مكة بأنبيائهم
والمؤمنين كما مكر هؤلاء
وهذا نسبية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بأنه
لا عبرة بمرهم ولا تأثير
يل لا وجود له في الحقيقة
ولم يصرح بذلك اكفاء
بدلالة القصر المستفاد
من تعاليه أعنى قوله
(قل الله المكر) أي جنس
المكر (جيبا) لا وجود
لمكرهم أصلا فهو عبارة
عن إيصال المكر وإلى
غير من حيث لا يشعر
به وحيث كان جميع ما
يأتون وما يذرون يعلم
الله تعالى وقدرته وإنما

القدرة مع الداعي مستلزم للفعل وعلى هذا التقدير فالكسب حاصل للعبد ثم انه تعالى
أكد ذلك التهديد فقال وسيعلم الكافر ان عقبي الدار وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ
نافع وابن كثير وأبو عمر وسيعلم الكافر على لفظ المفرد والباقيون على الجمع قال صاحب
الكشاف قرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله وقرأ جناح بن
حبيش وسيعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر (المسئلة الثانية) المراد بالكافر الجنس كقوله
تعالى ان الانسان لفي خسر والمعنى انهم وان كانوا جميعا لا بالعواقب فيسجلون من العقاب
الجمدة وذلك كالزجر والتهديد والقول الثاني وهو قول عطامير يد المستهزئين وهم خمسة
والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون والقول الثالث وهو قول ابن عباس يريد أباجهل
والقول الاول هو الصواب * قوله تعالى (ويقول الذي كفروا استمر سلاقل كفى بالله
شبهدا يبي ويبيكم ومن عنده علم الكتاب) اعلم انه تعالى حكى عن القوم انهم أنكروا
كونه رسولا من عند الله ثم انه تعالى اخبر عليهم بأمرين الاول شهادة الله على نبوته والمراد
من تلك الشهادة انه تعالى أظهر المعجزات الدالة على كونه صادقا ادعاء لرسالة وهذا
أعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الامر كذلك أما المعجزة فانه
فعل مخصوص بوجوب القطع بكونه رسولا من عند الله تعالى فكان اظهار المعجزة أعظم
مراتب الشهادة والثاني قوله ومن عنده علم الكتاب وفيه قراءتان احدا هما القراءة
المشهورة ومن عنده يعنى والذي عنده علم الكتاب والثانية ومن عنده علم الكتاب وكلمة من
ههنا لا ابتداء الغاية أي ومن عند الله حصل علم الكتاب أما على القراءة الاولى ففي نفسه
الآية وجوه (الاول) ان المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام وطلان الغارسي وتميم الدارى وروى عن سعيد بن جبيرة انه
كان يهطل هذا الوجه ويقول السورة مكتبة فلا يجوز ان يراد به ابن سلام وأصحابه لانهم
آمنوا في المدينة بعد الهجرة وأجيب عن هذا السؤال بأن قبل هذه السورة وان كانت
مكتبة الا أن هذه الآية مدنية وأيضاً فآيات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونها
غير معصومين عن الكذب لا يجوز وهذا السؤال واقع (والقول الثاني) أراد بان الكتاب
القرآن أي ان الكتاب الذي جئتكم به معجز فاهرو برهان باهر الا أنه لا يحصل العلم بكونه
معجز الا لمن علم ما في هذا الكتاب من الفصاحة والبلاغة واشتماله على الغيوب وعلى العلوم
الكثيرة فمن عرف هذا الكتاب على هذا الوجه علم كونه معجزة وقوله ومن عنده علم الكتاب
أي ومن عنده علم القرآن وهو قول الاصم (القول الثالث) ومن عنده علم الكتاب المراد به
الذي حصل عنده علم التوراة والانجيل يعنى ان كل من كان عالما بهذين الكتابين علم
اشتمالهما على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا أنصف ذلك العالم ولم يكذب كان
شاهدا على ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول حق من عند الله تعالى (القول الرابع) ومن
عنده علم الكتاب هو الله تعالى وهو قول الحسن وسعيد بن جبيرة والزجاج قال الحسن

لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبا بينه وقوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن فضيله ﴿ لا والله ﴾
شخصه أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه فظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من
مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر لله تعالى خيب يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم حيث

لا يختصبون أولئك المكر الذي بأشروه جميعاً إلا لهم على معنى أن ذلك ليس مكر منهم بل بالآلئاء هو بعينه مكر من الله تعالى لهم. وهما لا يشرون حيث لا يحق المكر السبي الأباهة (وسيعلم الكفار) حين يقضى بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما نكسبه (لمن حقى الدار) أى العاقبة الحميدة من الفريقين وأن جهنم أو ذاك يومئذ وقيل السين ما كيد وقوع ذلك وعلمهم به جند وقرئ سيعلم الكافر على أرادة الجنس ﴿ ٣١٣ ﴾ والكافرون والكفر أى أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة

المجهول من الاعلام أى
سجنه (ويقول الذين
كفروا الست رسلاً) قيل
قاله رؤساء اليهود وصيغة
الاستقبال لا استحضار
صورة لكنهم الشبهة تعجيباً
منها أولاد الله على جند
ذلك واستمراره منهم
(قل كفى بالله شهيداً بيني
وبينكم) فانه قد أظهر
علم رسالتي من الحجج
الطائفة والبيانات الساطعة
ما فيه من دوحه عن شهادة
شاهد آخر (ومن عنده
علم الكتاب) أى علم القرآن
وما عليه من النظم المعجز
أو من هو من علم أهل
الكتاب الذين أسلموا
لأنهم يشهدون بعينه عليه
الصلاة والسلام في كتبهم
والآية مدينة بالاتفاق
أو من عنده علم اللوح
المحفوظ وهو الله سبحانه
أى كفى به شاهداً بيننا
بالذي يستحق العبادة فإذ
قد نحن كتابه بالدعوة
الى عبادته وأبدى بأنواع
التأييد والذى يخص
بعلم ما في اللوح من الاشياء
السكينة الناطقة التي من
جلها رسالتي وقرئ
من عنده بالكسر وعلم

لا والله ما عني إلا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة والذى لا يعلم علم ما في اللوح الأهو
شهادتي وبنيكم وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يشهد على صحة حكمه بغيره وهذا
القول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جائزاً في الجملة إلا أنه خلاف
الاصل لا يقال شهد بهذا زيد والفقيد بل يقال شهد به زيد الفقيد وأما قوله ان الله تعالى
لا يشهد بغيره على صدق حكمه فبذلك لما جاز أن يعسم الله تعالى على صدق قوله بقوله
والذين والزيتون فأى امتناع فيما ذكره الزجاج وأما القراءة الثانية وهي قوله ومن عنده
علم الكتاب على من التجارة فالعلم ومن لانه علم الكتاب لان أحد الأعلام الكتاب الامن فضله
واحسانه وتعليمه ثم على هذه القراءة ففيه أيضاً قرأتان ومن عنده علم الكتاب والمراد العلم
الذى هو ضد الجهل أى هذا العلم إنما حصل من عند الله والقراءة الثانية ومن عنده علم
الكتاب يضم العين ويكسر اللام وقبح الميم على ما لم يسم فاعلمه والمعنى انه تعالى لما أمر نبيه ان
يشتج عليهم يشهادة الله تعالى على ما ذكرناه وكل لغة معنى لشهادة الله تعالى على نبوته إلا
أظهر القرآن على وفق دعواه ولا يعلم كون القرآن معجزاً إلا بعد الاطاعة بما في القرآن
واسمائه بين تعالى ان هذا العلم لا يحصل الامن عند الله والمعنى ان الوقوف على كون
القرآن معجزاً لا يحصل إلا اذا لمسرف الله تعالى ذلك العبدان لعلمه علم القرآن والله تعالى اعلم
بالصواب ثم تفسر هذه السورة يوم الاحد الثاني عشر من شعبان سنة احدى وستمائة
وأنا أنس من كل من نظرت في كتابي هذا وانتفع به ان يخص واسى محمد بالرحمة والقرآن
وان يذكرني بالدعاء وأقول في مرتبة ذلك اولد شعرا

أرى مع هذا العالم الثاني * مروجته مخافات وأحزان
خبراته مثل أحلام مفرقة * وشروقه البرايا ثم داني

(سورة ابراهيم عليه السلام خمسون وأيتان مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ان كتاب أنزلناه اليك يخرج الناس من الضلمات الى انور باذن ربهم الى صراط العزيز
الحميد) اعلم ان الكلام في ان هذه السورة مكية أو مدنية طريفة الاحاد ومن لم يكن في
السورة ما يصل بالاحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدنية سواء وانما يختلف الغرض في
ذلك اذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة وقوله ان الكتاب معناه ان السورة
المسموعة بالكتاب أنزلناه اليك اعرض كذا وكذا فقوله الرميبدأ وقوله كتاب خبره وقوله
أنزلناه اليك صفة لذلك الخبر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذات هذه الآية على ان القرآن
موصوف بكونه من لامن عند الله تعالى قالت المعتزلة انمازل والمنزل لا يكون قد بنا وجوابنا
ان الموصوف بانمازل والمنزل هو هذه الحروف وهي محدثة بالاتراع (المسئلة الثانية)
قالت المعتزلة اللام في قوله يخرج الناس لام الغرض والحكمة وهذا يدل على أنه تعالى

الكتاب على الاول مرتفع بالطرف ﴿ ٤٠ ﴾ خا المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن
عنده علم الكتاب بالكسروية والمفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر
عشر حسنات بوزن كل صحاب مضى وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من المؤمنين بعهد الله عز وجل ولا
أعلم بالصواب * سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخسرون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (ال) من الكلام فنه

وفي محله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبره على تقدير كون المبتدأ أول مبتدأ مضمر على تقدير كونه خبر المبتدأ المحذوف أو مسرودا على نط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى (أنزله اليك) صفة له وقوله تعالى (أخرج الناس) متعلق بأنزلناه أي أخرجهم كافة بما في تضاعفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحققة وقرئ يخرج الناس (من الظلمات) ﴿٣١٤﴾ أي يخرج به الناس من عقائد الكفر

والضلال التي كلها ظلمات محضه وجهالات صرفة

(إلى النور) إلى الحق الذي هو نور بحث لكن لا كيفما كان فانك لاتهدى من أحيت بل (بإذن ربهم) أي بتيسيره وتوفيقه وللأنباء

عن كون ذلك منوطا بأقبا لهم إلى الحق كما يفسح عنه قوله تعالى ويهدي إليه من أناب استعبره الأذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورد وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربة التي

هي عبارة عن تبليغ الشيء إلى كماله المتوجه إليه وشمل الأذن بهذا المعنى للكل

واضح وعليه يدور كون الانزال لأخراجهم جميعا وعدم تحقق الأذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء

اختيارهم غير محتمل بذلك والبلاء متعلق بالخروج أو مضمر وقع حالا من مفعوله أي ملتبسين بإذن ربهم

وجعله حالا من فاعله ياباه إضافة الرب إليهم لآلية

وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه

انما أنزل هذا الكتاب لهذا الغرض وذلك يدل على أن أفعال الله تعالى وأحكامه معاملة برعاية المصالح أجاب أصحابنا عنه بأن من فعل فعلا لاجل شيء آخر فهذا انما يفعله لو كان عاجزا عن تحصيل هذا المقصود الأبعد الواسطة وذلك في حق الله تعالى محال وإذا ثبت بالدليل أنه يتمتع بتبليغ أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل ثبت أن كل ظاهر أشعر به فانه مؤول محمول على معنى آخر (المسئلة الثالثة) انما شبه الكفر بالظلمات لانه نهاية ما يخير الرجل فيه عن طريق الهداية وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به طريق هدايته (المسئلة الرابعة) قال القاضي هذه الآية فيها دلالة على إبطال القول بالجبر من جهات أحدها انه تعالى لو كان يخلق الكافر في الكفر فكيف يصح إخراج منه بالكتاب وثانيها انه تعالى أضاف الإخراج من الظلمات إلى النور إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فان كان خالق ذلك الكفر هو الله تعالى فكيف يصح من الرسول عليه الصلاة والسلام إخراجهم منه وكان للكافر أن يقول انك تقول ان الله خلق الكفر فينا فكيف يصح منك أن تخرجنا منه فان قال لهم أنا أخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع فلهم أن يقولوا ان كان تعالى سيخلق فينا لم يصح ذلك الإخراج وان لم يخلق فينا فخرجنا من الظلمات لا يخرجنا من الظلمات صلى الله عليه وسلم انما يخرجهم من الكفر بالكتاب بان يتاوه عليهم ليتدبروه وينظروا فيه فيعملوا بانظر والاستدلال كونه تعالى عالما قادر احكاميا ويعلموا يكون القرآن معجزة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقبلوا منه كل ما داء اليهم من الشرائع وذلك لا يصح الا اذا كان الفعل لهم ويقع باختيارهم ويصح منهم أن يقدموا عليه ويتصرفوا فيه والجواب عن الكل أن نقول الفعل الصادر من العبد اما ان يصدر عنه حال استواء الداعي إلى الفعل والترك أو حال رجحان أحد الطرفين على الآخر والاول باطل لان صدور الفعل رجحان الجانب الوجود على جانب العدم وحصول الرجحان حال حصول الاستواء محال والثاني عين قولنا لانه يتمتع صدور الفعل عنه الأبعد حصول الرجحان فان كان ذلك الرجحان منه عاد السؤل وان لم يكن منه بل من الله تعالى فينتدبكون المؤثر الاول هو الله تعالى وذلك هو المطلوب والله أعلم (المسئلة الخامسة) احتج أصحابنا على صحة قولهم في أن فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله تعالى بإذن ربهم فان معنى الآية أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور الا بإذن ربهم والمراد بهذا الأذن اما الأمر واما العلم واما المشيئة والخلق وحمل الأذن على الأمر محال لان الإخراج من الجهل إلى العلم لا يتوقف على الأمر فانه سواء حصل الأمر أو لم يحصل فان الجهل متميز عن العلم والباطل متميز عن الحق وأيضاح حمل الأذن على العلم محال لان العلم يتبع المعلوم على ما هو عليه فالعلم بالخروج من الظلمات إلى النور تابع لذلك الخروج ويتمتع أن يقال ان حصول ذلك الخروج تابع للعلم بحصول ذلك الخروج ولما بطل هذان القسمان لم يبق إلا أن يكون المراد من الأذن المشيئة والتخليق وذلك يدل على أن الرسول صلى الله

وأيضا حة لغيره موصلا إلى الله عز وجل استعبره النور تارة والصراط أخرى فقيل (إلى صراط العزيز الحميد) ﴿٣١٥﴾ عليه وعلى وجه الإبدال بذكر العامل كافي قوله تعالى الذين استضعفوا من آمن منهم وإخلال البذل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لافي الجاز كافي قوله سبحانه حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل إلى

أي نور قبيل إلى صراط العز والحميد وإضافة الصراط إليه تعالى لأنه مقصده أو المين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة الجميدة (الله) بالجر عطف بيان للعز والحميد لجر يانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجيم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله أي العز والحميد الذي أضيف إليه الصراط الله (الذي له) ملكا وملكاً ﴿٣١٥﴾ (ما في السموات وما الأرض) أي ما وجد فيهما دخلاً فيها وخارجاً

عنهما متمكناً فيهما كما مر في آية الكرسي فقيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واطهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء يجعل الموصول خبراً مبنيّاً الفعول عن هذه التكنية وقوله عز وجل (وويل للكافرين) وعبدان كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل وهو تعريض الوال وهو التجاة وأصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك (من عذاب شديد) متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون متدقائين أو يلا كقولهم تعالى دعوا هؤلاء ثبوراً (الذين يستحبون الحياة الدنيا) أي يوثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره (على الآخرة)

عليه وسلم لا يمكنه اخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بمشيئة الله وتخليقه فان قيل لم لا يجوز أن يكون المراد من الاذن الاطاف قلنا لفظ الاطاف لفظ مجمل ونحن نفصل القول فيه فنقول المراد بالاذن إما أن يكون أمراً يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم أو لا يقتضي ذلك فان كان الثاني لم يكن فيه أمر البتة فامتنع أن يقال انه مما حصل بسببه ولا جله ففي الاول وهو أن المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وقد دللنا في الكتب العقلية على انه متى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب ولا معنى لذلك إلا الداعية الموجبة وهو عين قولنا والله أعلم (المسئلة السادسة) القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها إلا بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم والاعمال احتجوا عليه بهذه الآية وقالوا انه تعالى صرح في هذه الآية بأن الرسول هو الذي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان وذلك يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون كالمثب وأما المعرفة فهي إنما تحصل بالدليل والله أعلم (المسئلة السابعة) الآية دالة على ان طرق الكفر والبدعة كثيرة وان طريق الخير ليس إلا الواحد لانه تعالى قال ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فخرج عن الجهل والكفر بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهداية بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الجهل كثيرة وأما طريق العلم والايمان فليس إلا الواحد (المسئلة الثامنة) في قوله تعالى إلى صراط العز والحميد وجهان (الاول) انه يدل من قوله إلى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا من آمن منهم الثاني يجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل إلى أي نور قبيل إلى صراط العز والحميد (المسئلة التاسعة) قالت المعتزلة الفاعل إنما يكون آتياً بالصواب والصلاح تاركاً للقبيح والعيث اذا كان قادراً على كل المقدورات عالماً بجميع المعلومات غنياً عن كل الحاجات فانه ان لم يكن قادراً على الكل لم ينفعل القبيح بسبب العجز وان لم يكن عالماً بكل المعلومات لم ينفعل القبيح بسبب الجهل وان لم يكن غنياً عن كل الحاجات لم ينفعل القبيح بسبب الحاجة أما اذا كان قادراً على الكل عالماً بكل غنياً عن الكل امتنع منه الاقدام على فعل القبيح فقوله العز إشارة إلى كمال القدرة وقوله الحميد إشارة إلى كونه مستحقاً للمجد في كل أفعاله وذلك إنما يحصل اذا كان عالماً بالكل غنياً عن الكل فثبت بما ذكرنا ان صراط الله إنما كان موصوفاً بكونه شريفاً رفيعاً عالياً بكونه صراطاً مستقيماً لاله الموصوف بكونه عزاً حميداً فلهذا المعنى وصف الله نفسه بهذين الوصفين في هذا المقام (المسئلة العاشرة) إنما قدم ذكر العز يعزى ذكر الحميد لان الصحيح ان أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً ثم بعد ذلك العلم بكونه عالماً ثم بعد ذلك العلم بكونه غنياً عن الحاجات والعز هو القادر والحميد هو العالم الغني فلما كان العلم بكونه تعالى قادراً مقدماً على العلم بكونه عالماً بالكل غنياً عن الكل لا جرم قدم الله ذكر العز يعزى ذكر الحميد والله أعلم * قوله تعالى (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا)

أي الحياة الآخرة الأبدية (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة إلى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جليل لروم الاختصار وهو من صده صدوا قرئ يصدون من أصد المنقول من صد صدوداً اذا نكب وهو غير فصيح كما وقف فان في صده ووقفه لتدوحة عن تكلف النقل (ويغنونها) أي يغنون لها خذف الجار وأوصل الفعل إلى الفاعل

يطلبون لها (عوجا) أي زبغا وعوجا وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائفة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلوات الجبر على أنه يدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أو صافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا القانية للصحة عن وضامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة ﴿ ٣١٦ ﴾ والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من

الدلالة على تمايزهم في الغي ما لا يخفى أو انصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (أولئك في ضلال بعيد) وعلى الأول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من حقوق الويل بهم تأكيذا لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالتيساخ المذكرة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بيزة في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعيدة وان كان من أحوال الضلال إلا أنه قد وُصف به ووصفه مجازا للبانة كجده وداهية دهباء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد وفيه بعد فان الضلال قد يضر عن الطريق مكانا قريبا وقد يضر بعيدا وفي جعل الضلال محبطا بهم احاطة الطرف

على الآخرة و يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) قرأ نافع وابن عامر الله مر فوجا بالابتداء وخبره ما بعده وقبل التقدير هو الله والباقيون بالجر عطف على قوله العزيز الحميد (وههنا بحث) وهو أن جماعة من المحققين ذهبوا الى ان قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى وذهب قوم آخرون الى انه لفظ مشتق والحق عندنا هو الأول * ويدل عليه وجوه (الأول) ان الاسم المشتق عبارة عن شيء ما حصل له المشتق منه فالاسود مفهومه شيء ما حصل له السواد والناتق مفهومه شيء ما حصل له النطق فلو كان قولنا الله اسما مشتقا من معنى لكان المفهوم منه انه شيء ما حصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم كلي لا يمتنع من حيث هو وعن وقوع الشركة فيه فلو كان قولنا الله لفظا مشتقا لكان مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه ولو كان الامر كذلك لما كان قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المشتق هو قولنا الله وهو غير مانع من وقوع الشركة فيه ولما اجتمعت الامة على ان قولنا لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا ان قولنا الله جار مجرى الاسم العلم (الثاني) انه كالأردنان إذ ذكر سائر الصفات والاسماء ذكرنا أولا قولنا الله ثم وصفناه بسائر الصفات كقولنا هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس ولا يمكننا ان نعكس الامر فنقول الرحمن الرحيم الله فعلنا أن الله هو اسم علم لذات الخصوصية وسائر الالفاظ دالة على الصفات وانعوت (الثالث) ان ما سوى قولنا الله كالأسماء الدالة على الصفات السلبية كقولنا القدوس السلام أو على الصفات الاضافية كقولنا الخالق الرازق أو على الصفات الحقيقية كقولنا العالم القادر أو على ما يتركب من هذه الثلاثة فلو لم يكن قولنا الله اسما لذات الخصوصية لكان جميع اسماء الله تعالى ألفاظا دالة على صفاته ولم يحصل فيها ما يدل على ذاته الخصوصية وذلك بعيد لانه يبعد أن لا يكون له من حيث انه هو اسم مخصوص (والرابع) قوله تعالى هل تعلم له سميا والمراد هل تعلم من اسم الله غير الله وذلك يدل على ان قولنا الله اسم لذاته الخصوصية واذا ظهرت هذه المقدمة فالترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم تذكر عقيب الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور فاما أن يعكس فيقال هو الخالق المصور البارئ الله فذلك غير جائز واذا ثبت هذا فقول الذين قروا الله الذي له مافي السموات بالرفع أرادوا أن يجعلوا قوله الله مبتدأ ويجعلوا ما بعده خبرا عنه وهذا هو الحق الصحيح فأما الذين قرؤا الله بالجر عطف على العزيز الحميد فهو مشكل لما بينا أن الترتيب الحسن أن يقال الله الخالق واما ان يقال الخالق الله فهذا لا يحسن * وعند هذا اختلفوا في الجواب على وجوه (الأول) قال أبو عمرو ابن العلاء اقراءة بالحذف على التقديم والتأخير والتقدير صراط الله العزيز الحميد الذي له مافي السموات (والثاني) انه لا يبعد أن يذكر الصفة أولا ثم يذكر الاسم ثم يذكر الصفة مرة أخرى كما يقال مررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه فظهر قوله صراط العزيز الحميد الله الذي له مافي السموات وتحقيق القول فيه اننا بينا ان الصراط انما يكون ممدوحا محمودا

بما فيه ما لا يخفى من المبالغة (وما رسلنا) أي في الامم الخالية من قبلنا كما سيذكر اجبالا (من رسول الا) ملتبسا * اذا (بلسان قوم) متكلمة بلغة من أرسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أو لا وقرى بلسن وهو لغة فيه كبريش ووريش ولسن يضمنون ضمة وسكون كمدومعد (لبين لهم) مأمرا به فيتلوه منه يسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة

من لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين لعموم بعثته
 الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع
 واختلاف الكلمة ونطرق أبدي البحر بف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإنجاز دون غيره مثله قدح القادحين
 واتفاق الجميع فيه أمر قريب من الاجراء * ٣١٧ * وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد

النظم النسي عن
 العزة وجلالة الشأن
 المستتبع لفوائد غنية
 عن البيان على أن
 الحاجة الى الترجمة
 تتضاعف عند التعدد
 اذ لا بد لكل أمة من
 معرفة توافق الكل
 وتجاوزه حد وفقة
 بالقدرة من غير مخالفة
 ولو في خصلة فذة وانما
 يتم ذلك بمن يترجم عن
 الكل واحدا أو متعددا
 وفيه من التعذر ما يتأخّر
 الامتناع ثم لما كان
 اشرف الاقوام وأولاهم
 بدعوتهم عليه الصلاة
 والسلام قومه الذين
 بعث فيهم ولعنهم أفضل
 اللغات نزل الكتاب
 المتين بلسان عربي مبين
 وانتشرت أحكامه فيما
 بين الامم أجمعين وقيل
 الضمير في قومه لمحمد
 صلى الله عليه وسلم
 فانه تعالى ازل الكتب
 كلها عريضة ثم ترجعها
 جبريل عليه الصلاة
 والسلام أو كل من نزل
 عليه من الانبياء عليهم

اذا كان صراطا للعالم القادر الغني والله تعالى عبر عن هذه الامور الثلاثة بقوله العزيز
 الجيد ثم لما ذكر هذا المعنى وقت الشبهة في ان ذلك العزيز بمن هو فعطف عليه قوله الله
 الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك الشبهة (الثالث) قال صاحب الكشف
 الله عطف بيان للعزيز الجيد وتحقيق هذا القول ما قررناه فيما تقدم (الرابع) قد ذكرنا في
 أول هذا الكتاب ان قولنا الله في أصل الموضوع مشتق الا أنه بالعرف صار جاريا مجرى الاسم
 العلم في حيث يبدأ بذكره و يعطف عليه سائر الصفات فذلك لاجل أنه جعل اسم علم وأما في
 هذه الآية حيث جعل وصفا للعزيز الجيد فذلك لاجل انه جعل على كونه لفظا مشتقا لاجرم
 بقي صفة (الخامس) ان الكفار ربما وصفوا الوثنيين بكونه عز واحيدا فلما قل لنخرج الناس
 من الظلمات الى النور ياذن ربهم الى صراط العزيز الجيد بقي في خاطر عبدة الاوثان انه ربما
 كان ذلك العزيز الجيد هو الوثني فأزال الله تعالى هذه الشبهة وقال الله الذي له ما في
 السموات وما في الارض أى المراد من ذلك العزيز الجيد هو الله الذي له ما في السموات
 وما في الارض (المسئلة الثانية) قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض يدل على
 انه تعالى غير مختص بجهة العلوية وذلك لان كل ماسك وعلاك فهو سماء فلو حصل
 ذات الله تعالى في جهة فوق لكان حاصلا في السماء وهذه الآية دالة على ان كل ما في
 السموات فهو ملكه فلزم كونه ملكا لنفسه وهو محال فدلّت هذه الآية على انه منزّه عن
 الحصول في جهة فوق (المسئلة الثالثة) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى خالق
 لا محال العباد لانه قال له ما في السموات وما في الارض وأعمال العباد حاصلة في السموات
 والارض فوجب القول بأن أفعال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والملك عبارة عن القدرة
 فوجب كونها مقدورة لله تعالى واذا ثبت انها مقدورة لله تعالى وجب وقوعها بقدرته الله
 تعالى والالكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال واعلم ان قوله
 تعالى له ما في السموات وما في الارض يفيد الحصر والمعنى ان ما في السموات وما في الارض
 له لا لغيره وذلك يدل على انه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف
 على الكفار بالوعيد فقال وويل للكافرين من عذاب شديد والمعنى انهم لما تركوا عبادة
 الله تعالى الذي هو المالك للسموات والارض ولكل ما فيها الى عبادة ما لا يملك ضرا ولا
 نفعا ولا يخلق ولا يتخلف ولا يدرك لها ولا فعل قالو بل ثم الويل لمن كان كذلك وانما خص
 هؤلاء بالويل لان المعنى يولولون من عذاب شديد و يقولون ياويلهم ونظيره
 قوله تعالى دعوا هؤلاء ثبورا ثم ينهميهم الله تعالى بويلهم لانهم كانوا يولولون
 الذي يفيد أعظم العذاب وذكر من صفاتهم ثلاثة أنواع (الأول) قوله الذين يستحبون
 الحياة الدنيا على الآخرة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان شئت جعلت الذين صفة
 الكافرين في الآية المقدمة وان شئت جعلته مبتدأ وجعلت الخبر قوله أولئك وان شئت
 نصبته على الذم (المسئلة الثانية) الاستحباب طلب محبة الشيء وقول ان الانسان قد يجب

السلام بلغة من نزل عليهم ويردّه قوله تعالى ليبين لهم فانه خير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب
 وفي رجعه الى قوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه الصلاة والسلام ليبين الرسول
 لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف (فيض الله من يشاء) اضلاله أى يخلق فيه الضلال لباشارة أسبابه
 المؤدية اليه أو تخذه ولا يلفظ له بالمعنى أنه لا يجمع فيه الاطراف (ويهدى) بالتوفيق ويصح الاطراف (من يشاء)

هدايته لما فيه من الانابة والاهبال الى الحق والاتفات باسناد الفعلين الى الائم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصحة مثلها في قوله تعالى قتلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قبل فينبوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الابه وهدى من شاء هدايته لاسيما حقه لها والحذف للإيدان بأن مسارعة كل رسول الى ما أمر به ﴿ ٣١٨ ﴾ وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سننه

أمر بحق غنى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحصار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية امالانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن أو للباقة في بيان أن لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلالة على ذلك امرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى (وهو العزيز) فلا يغالب في مشيئته (الحكيم) الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الاحكام باقية وفيه أن ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين

الشيء ولكنه لا يجب كونه محبا لذلك الشيء مثل من يميل طبعه الى الفسق والفجور ولكنه يكره كونه محبا لهما أما إذا أحب الشيء وطلب كونه محبالة وأحب تلك المحبة فهذا هو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيوية ولا يكون الانسان كذلك الا اذا كان غافلا عن الحياة الاخرية وعن معايب هذه الحياة العاجلة ومن كان كذلك كان في نهاية الصفات المذمومة وذلك لان هذه الحياة موصوفة بأنواع كثيرة من العيوب فأحدها ان بسبب هذه الحياة افتتحت أبواب الآلام والا سقام والغموم والهموم والخاوف والاحزان وثانيها ان هذه اللذات في الحقيقة لاحاصل لها الادفع الآلام بخلاف اللذات الروحية فانها في أنفسها اللذات وسعادات وثانيها ان سعادات هذه الحياة منقصة بسبب الانقطاع والانقضاء وابعائها أنها حقيرة قليلة وبالجمل فلا يجب هذه الحياة الامن كان غافلا عن معايبها وكان غافلا عن فضائل الحياة الروحية الاخرية ولذلك قال تعالى والآخرة خير وأبقى فهذه الكلمة جامعة لكل ما ذكرناه (المسئلة الثالثة) انما قال يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لان فيه اختصارا والتقدير يستحبون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة فجمع تعالى بين هذين الوصفين ليبين بذلك ان الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموما ولا ابعداً يضاد الى اثارها على الآخرة فأما من أحبها يصل بها الى منافع النفس والى خيرات الآخرة فان ذلك لا يكون مذموماً حتى اذا آثرها على آخرته بأن اختار منها ما يضره في آخرته فهذه المحبة هي المحبة المذمومة (النوع الثاني) من الصفات التي وصف الله الكفار بها قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله واعلم ان من كان موصوفاً باستحباب الدنيا فهو ضال ومن منع الغير من الوصول الى سبيل الله ودينه فهو مضل فالمرتبة الاولى اشارة الى كونهم ضالين وهذه المرتبة الثانية وهي كونهم صادين عن سبيل الله اشارة الى كونهم مضلين (النوع الثالث) من تلك الصفات قوله وينذونهم عوجا واعلم ان الاضلال على مرتبتين المرتبة الاولى انه يسعى في صد الغير ومنعه من الوصول الى المنهج القويم والصراط المستقيم والمرتبة الثانية أن يسعى في القاء السكوك والشبهات في المذهب الحق ويحاول تقبيح صفته بكل ما يقدر عليه من الخيل وهذا هو انتهاء في الضلال والاضلال واليه الاشارة بقوله وينذونهم عوجا قال صاحب الكشاف الاصل في الكلام أن يقال وينذون لها عوجا فحذف الجار وأوصل الفعل ولما ذكر الله تعالى هذه المراتب الثلاثة لاحوال هؤلاء الكفار قال في صفتهم أولئك في ضلال بعيد وانما وصف هذا الضلال بالبعيد لوجوه الاول اننا بيننا أن أقصى مراتب الضلال هو الذي وصفه الله تعالى في هذه المرتبة فهذه المرتبة في غاية البعد عن طريق الحق فان شرط الضدين أن يكونا في غاية التباعد مثل السواد والبياض فكذلك ههنا الضلال الذي يكون واقعا على هذا الوجه يكون في غاية البعد عن الحق لابعقل ضلال أقوى وأكمل من هذا الضلال (والوجه الثاني) أن يكون

طريق الحق وأما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ولقد ﴿ المراد أرسلنا موسى) شروع في تفصيل ما أجل في قوله عز وجل وأرسلنا من رسول الا بلسان قومهم ليبين لهم الآية (بآياتنا) أى ملتبساً بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل (أن أخرج قومك) بمعنى أى أخرج لان الارسل فيه معنى القول أو بان أخرج كافي قوله تعالى وأن أقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر

وسواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون (من الظلمات) من الكفر والجهالات التي ادتهم الى أن يقولوا ياموسى اجعل لنا الهام كما هم آلهة (الى النور) الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به (وذكرهم بآيام الله) أى بنعمائه وبلائه كما ينبغي عنه قوله اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام ﴿ ٣١٩ ﴾ الخالية حسبا ينبغي عنه قوله تعالى ألم يأتكم

نبأ الذين من قبلكم
الآيات أو بآيامه المنظوية
على ذلك كما يلوح به قوله
تعالى اذ أنجاكم والالتفات
من التكلم الى الغيبة
بإضافة الايام الى الاسم
الجليل للايدان بفخامة
شأنها والاشعار بعدم
اختصاص ما فيها
من المعاملة بالخطاب
وقومه كما توهمه الاضافة
الى ضمير المتكلم أى عظمهم
بالتعظيم والترهب
والوعد والوعيد وقبل
أيام الله وقائعته التي وقعت
على الامم قبلهم وأيام
العرب وقائعها وحروبها
وملاحجها أى أنذرهم
وقائعته التي دهمت الامم
الدارجة ويرد ما تصدى له
عليه الصلاة والسلام
بصد الامثال من التذكير
بكل من السراء والضراء
بما جرى عليهم وعلى غيرهم
حسبا ينل عليك
(اننى ذلك) أى
في التذكير بها أو في مجموع
تلك الثمائم والبلاء
أو في أيامها (لايات)
عظيمة أو كثيرة دالة

المراد انه بعد درهم عن طريقه الضلال الى الهدى لانه قد تمكن ذلك في نفوسهم (والوجه
الثالث) أن يكون المراد من الضلال الهلاك والتقدير أولئك في هلاك بطول عليهم فلا
ينقطع وأراد بالبعد امتداده وزوال انقطاعه ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما أرسلنا من رسول الا
بلسان قومهم ليبين لهم فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزير الحكيم) في الآية
مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر في أول السورة كتاب أنزله اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور كان هذا انعاما على الرسول من حيث انه فوض اليه هذا
المنصب العظيم وانعاما بضاع على الخلق من حيث انه أرسل اليهم من خلصهم من ظلمات
الكفر وأرشدهم الى نور الايمان فذكر في هذه الآية ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان
في الوجهين أما بالنسبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام فلانه تعالى بين أن سائر الانبياء
كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فبعثت الى عامة الخلق فكان هذا الانعام
في حقك أفضل وأكمل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الى
قوم الا بلسان أولئك القوم فانه متى كان الامر كذلك كان فهمهم لاسرار تلك الشرعة
ووقوفهم على حقائقها أسهل وعن الغلط والخطأ أبعد فهذا هو وجه النظم (المسئلة
الثانية) اخرج بعض الناس بهذه الآية على ان اللغات اصطلاحية لا توقيفية قال لان
التوقيف لا يحصل الا بالرسالة والرسول وقد دلت هذه الآية على ان ارسال جميع الرسل
لا يكون الا بلغة قومهم وذلك يقتضى تقدم حصول اللغات على إرساله الرسل واذا كان
كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف فوجب حصولها بالاصطلاح (المسئلة
الثالثة) زعم طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية ان محمدا رسول الله لكن الى العرب
لا الى سائر الطوائف وتمسكوا بهذه الآية من وجهين (الاول) ان القرآن لما كان نازلا
بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه من الفصاحة الا للعرب وحيث لا يكون
القرآن بحجة الاعلى العرب ومن لا يكون عربيا لم يكن القرآن حجة عليه (الثانى) قالوا
ان قوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومهم المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك
يقتضى أن يقال انه ليس له قوم سوى العرب وذلك يدل على انه مبعوث الى العرب فقط
والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد من قومه أهل بلده وليس المراد من قومه أهل دعوته
والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى
الثقلين لان التحدى كواقع مع الانس فقد وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
(المسئلة الرابعة) تمسك أصحابنا بقوله تعالى بفضل الله من يشاء ويهدى من يشاء على ان
الضلال والهداية من الله تعالى والآية صريحة في هذا المعنى قال الاصحاب ومما يؤكد
هذا المعنى ما روى ان أبابكر وعمر أقبلتا في جماعة من الناس وقد ارتفعت أصواتهما فقال
عليه السلام ما هذا فقال بعضهم يا رسول الله يقول أبو بكر الحسنات من الله والسيئات

على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهى على الاول عبارة عن الايام سواء أريد بها أنفسها أو ما فيها
من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى
الظرفية ظاهر وأما على الثانى وهو كونه إشارة الى مجموع النعماء فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار إليها
المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع

وكلمة في بحر يديده مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (لكل ضبار) على بلائه (شكور) نعمائه وقبل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك الاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن أي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر والايان ويصبر أمره اليها لاني انصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المؤدى الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على قبله ﴿ ٣٢٠ ﴾ من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر

والايان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لانهم المستفوعون بها لالانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعني البلاء على متعلق الشكر أعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (واذ قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديه عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمخر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام وتعلق بالذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قدم سره خبيرة أي اذ كراههم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة والسلام بالترغيب لانه عند النفس أقبل وهي اليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت

من انفسباو يقول ع كلاهما من الله وتبع بعضهم أبابكرو بعضهم عمر فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله أبو بكر وأعرض عنه حتى عرف ذلك في وجهه ثم أقبل على عمر فعرف ما قاله وعرف البشرف في وجهه ثم قال أقضي بينكما كما قضى به اسرافيل بين جبريل وميكائيل قال جبريل مثل مقالتي يا عمر وقال ميكائيل مثل مقالتي يا أبابكر فقضاء اسرافيل ان القدر كله خير وشهره من الله تعالى وهذا قضائي بينكما قالت المعتزلة هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها وبيان من وجوه (الاول) انه تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا لسان قومه لبيان لهم والمعنى انا انما أرسلنا كل رسول بلسان قومه لبيان لهم تلك التكليف بلسانهم فيكون ادراكهم لذلك البيان أسهل ووقوفهم على المقصود والغرض أكمل وهذا الكلام انما يصح لو كان مقصود الله تعالى من ارسال الرسل حصول الايمان للمكافئين فأما لو كان مقصوده الاضلال وخلق الكفر فيهم لم يكن ذلك الكلام ملائما لهذا المقصود (والثاني) انه عليه السلام اذا قال لهم ان الله يخلق الكفر والاضلال فيكم فليهم أن يقولوا له يا فائدتي في بيانك وما المقصود من ارسالك وهل يمكننا أن نزيل كفر اخلاقه الله تعالى فينا عن أنفسنا وحينئذ تبطل دعوة النبوة وتفسد بمئة الرسل (الثالث) انه اذا كان الكفر حاصل لا يخلق الله تعالى ومشيئته وجب أن يكون الرضا به واجبا لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب وذلك لا نقوله عاقل (والرابع) اننا قد دللنا على ان مقدمة هذه الآية وهي قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على مذهب العدل وأيضاً مؤخرة الآية يدل عليه وهو قوله وهو اعز الحكميم فكيف يكون حكيماً من كان خالفاً للكفر والفساد ثم يدالها فثبت بهذه الوجوه أنه لا يمكن حل قوله فيض الله من يشاء ويهدي من يشاء على انه تعالى يخلق الكفر في العبد فوجب المصير الى اتنا ويل وقد استقصينا ما في هذه التاويلات في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى بضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ولا بأس باعادة بعضها فالاول ان المراد بالاضلال هو الحكم بكونه كافراً ضالاً كما يقال فلان بكفر فلانا ويضله أي يحكم بكونه كافراً ضالاً والثاني أن يكون الاضلال عبارة عن الذهاب بهم عن طريق الجنة الى النار والهداية عبارة عن ارشادهم الى طريق الجنة والثالث انه تعالى لما ترك الضلال على اضلاله ولم يتعرض له صار كأنه أضله والمهتدي لما أعانته بالاطاف صار كأنه هو الذي هداه قال صاحب الكشاف المراد بالاضلال التخيلة ومنع الاطاف والهداية التوفيق واللاطف والجواب عن قولهم أولان قوله تعالى لبيان لهم لا يليق به أن يضلهم قلنا قال الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان كل الفعل الثاني مشا كلاً للاول نسقته عليه وان لم يكن مشا كلاً لاستانفته ورفعته ونظيره قوله تعالى يريدون أن يطبقوا نور الله بالفواهم ويأبى الله قنوله ويأبى الله في موضع رفع لا يجوز الا ذلك لانه لا يحسن أن يقال يريدون أن يأبى الله فلما لم يمكن ضمم الثاني موضع الاول بطل العطف ونظيره أيضاً قوله لنبيين لكم ونقر في الارحام ومن ذلك قولهم أردت أن أزورك فيعني المطر بارفع غير منسوق على ما قبله لما ذكرناه ومثله قول الشاعر يريد أن يمر به فيجبه اذا عرفت هذا

مصدراً أو بمحذوف وقع حالاً منها ان جعلت اسماً أي اذكروا انعامه عليكم أو اذكروا ﴿ فنقول ﴾

نعمته كأنه عليكم وكذلك كلمة اذني قوله تعالى (اذا نجاكم من آل فرعون) أي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم أو يدل اشتمال من نعمة الله مرادها بالانعام أو العطية

(يسومونكم) يقولونكم من سامدة خسفا اذا اولاه ظلما واصل الصوم الذهاب في طلب الشيء (سوء العذاب) سوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم (ويذبحون أبناءكم) المولودين وانما عطفه على يسومونكم نه خراجه عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك ﴿ ٣٢١ ﴾ لان فرعون رأى في المنام أو قال له الكهنة انه

سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا (ويستحيون نساءكم) أى بقونهم في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عدم من جملة البلاء والجلل أحوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين أو منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما (وفي ذلكم) أى فيما ذكر من أفعالهم القبيحة (بلاء من ربكم) أى ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم الآن تجعل في تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق أو الاقدار والتكين (عظيم) لا يطاق ويجوز أن يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المسأل الذى هو الانجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له

فنتقول ههنا قال تعالى ليبين لهم ثم قال فيضل الله من يشاء ذكر فيضل بالرفع فذل على انه مذکور على سبيل الاستئناف وانه غير معطوف على ما قبله وأقول تقرير هذا الكلام من حيث المعنى كأنه تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلسانهم الذى ألفوه واعتادوه ثم قال ومع ان الامر كذلك فانه تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء والغرض منه التنبيه على ان تقوية البيان لا توجب حصول الهداية فربما قوى البيان ولا تحصل الهداية ورمضنا البيان وحصلت الهداية وانما كان الامر كذلك لاجل أن الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى أما قوله ثانيا لو كان الضلال حاصل بخلق الله تعالى لكان للكافر أن يقول له ما الغائبة في بيانك وحقك فتقول بعارضه ان الخصم يسلم ان هذه الآيات اخبار عن كونه ضالا فيقول له الكافر لما أخبر الهك عن كوني كافرا فان آمنت صار الهك كاذبا فهل أقدر على جعل اله كاذبا وهل أقدر على جعل علمه جهلا واذالم أقدر عليه فكيف يأمرني بهذا الايمان انت ان هذا السؤال الذى أورده الخصم علينا هو أيضا وارد عليه وأما قوله ثالثا يلزم أن يكون الرضا بالكفر واجبا لان الرضا بقضاء الله تعالى واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب قلنا ويلزمك أيضا على مذهبك أنه يجب على العبد السعى في تكذيب الله وفي تحجيله وهذا أشد استحالة مما ألزمته علينا لانه تعالى لما أخبر عن كفره وعلم كفره فازالة الكفر عنه يستلزم قلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وأما قوله رابعا ان مقدمة الآية وهى قوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور يدل على صحة الاعتراض فتقول قد ذكرنا ان قوله باذن ربهم يدل على صحة مذهب أهل السنة وأما قوله خامسا انه تعالى وصف نفسه في آخر الآية بكونه حكيمًا وذلك بنافي كونه تعالى خالقا للكفر مر بداله فتقول وقد وصف نفسه بكونه عزيزا والعزيز هو الغالب القاهر فلو أراد الايمان من الكافر مع انه لا يحصل أو أراد عمل الكافر منهم وقد حصل لما بقى عزيزا غالبا ثبت ان الوجوه التى ذكرها ضعيفة وأما التأويلات الثلاثة التى ذكرها فقد مرابطا لها في هذا الكتاب مرارا فلأفائدة في الاعادة * قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين انه انما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وذكر كمال انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفى تلك البعثة أتبع ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملتهم أقوامهم معهم تصبير الرسول عليه السلام على أذى قومه وارشادهم الى كيفية مكائدهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص بعض الانبياء عليهم السلام فبدأ بذكر

(واذا نذرتكم) من جملة مقال ﴿ ٤١ ﴾ خا مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله أى اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين ناذرتكم أى آذنا ابنا بليغا لانيق معه شائبة تشبهة لما في صيغة التفعّل من معنى التكلف المحمول في جمه سهانه على غائته التى هى الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذا أنجاكم أى اذكروا نعمته تعالى

في هذين الوفتين فإن هذا التأذن أيضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأذقل ربكم وأغدركمهم عليه الصلاة والسلام أولاً يستمعانه تعالى عليهم صريحاً وضمنه تذكيراً ما أصابهم قبل ذلك من الضر، ثم أمرهم ثانياً بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة عما تغدروا الشكر والوعد بالعذاب على تغدير الكفر والمراد ﴿٣٢٢﴾ بتذكير الاوقات تذكيراً ما وقع فيها من الحوادث.

مفصلة اذهى بحيطه
بذلك فاذا ذكرت ذكر
ما فيها كأنه مشاهد
معان (لئن شكرتم) يابى
اسرائيل ماخولتكم من
نعمه الانجاء واهلاك
العدو وغير ذلك من
النعم والآلاء الغائبة
للحصر وقابلتموه بالايان
والطاعة (لازيدنكم)
نعمه الى نعمه (ولئن
كفرتم) ذلك وعصمتوه
(ان عذابي لشديد)
فعمى يصيبكم منه
ما يصيبكم ومن عادة
الكرام التصريح بالوعد
واتعريض بالوعيد
ظنك بأكرم الأكرمين
وبجور أن يكون المذكور
تعليلاً للجواب المخدوف
أى لا عذبتكم واللام
فى الموضوعين موطنه
للقسم وكل من الجوابين
سادم سد جوابى الشرط
والقسم والجملة امام مفعول
لتأذن لانه ضرب من
القول أول قول مقدر بعده
كأنه قيل واذا تأذن
ربكم فقال الخ (وقال
مؤمنى ان تكفروا)

قصة موسى عليه السلام فقال ولقد أُرسلنا موسى بآياتنا قال الأصم آيات موسى عليه السلام هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وفاق البحر وانفجار العيون من الحجر واطلال الجبل وانزال المني والسلوى وقال الجبائي أُرسل الله تعالى موسى عليه السلام الى قومه من بني اسرائيل بآياته وهي دلالاته وكتبه المنزلة عليه وأمره أن يبين لهم الدين وقال أبو مسلم الاصفهاني انه تعالى قال في صفة محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أُرسلنا إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقال في حق موسى عليه السلام أن أخرج قومك من الظلمات الى النور والمقصود بيان ان المقصود من البعثة واحد في حق جميع الانبياء عليهم السلام وهو أن يسعوا في اخراج الخلق من ظلمات الضلالات الى أنوار الهدايات (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله أن أخرج قومك أي بأن أخرج قومك ثم قال أن ههنا نصلح أن نكون مفسرة بمعنى أي ويكون المعنى ولقد أُرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك كان المعنى قلناه أخرج قومك ومثله قوله وانطلق الملائكة منهم أن امشوا أي امشوا والتأويل قيل لهم امشوا وتصلح أيضا أن تكون المخففة التي هي الخبر والمعنى أُرسلناه بأن يخرج قومك الآن الجار حذف ووصلت ان بلفظ الامر وظاهر قولك كتبت اليه أن قم وأمرته ان قم ثم ان الزجاج حكى هذين القولين عن سيويه أما قوله وذكرهم بأيام الله فاعلم انه تعالى أمر موسى عليه السلام في هذا المقام بشيئين أحدهما أن يخرجهم من ظلمات الكفر والثاني أن يذكرهم بأيام الله وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال الواحدى أيام جمع يوم واليوم هو مقدار المدة من طلوع الشمس الى غروبها وكانت الايام في الاصل أيوام فاجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فأدغمت احداهما في الاخرى وغلبت الياء (المسئلة الثانية) انه يعبر بالايام عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها يقال فلان عالم بأيام العرب ويريد وقائعها وفي المثل من ير يومار له معناه من روى في يوم مسرورا بمصرع غيره يرى يوم آخر حزينًا بمصرع نفسه وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اذا عرفت هذا فالعنى عظمهم بالتعجب والترهيب والوعود والوعيد فالترهيب والوعيد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم بمن آمن بالرسول في سائر ما سلف من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله ووعذابه وانتقامه من كذب الرسل من سلف من الامم فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وعود وغيرهم من العذاب ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب واعلم ان أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء وهي الايام التي كانت بنو اسرائيل فيها تحت قهر فرعون ومنها ما كان أيام الراحة والنعيماء مثل انزال المني والسلوى وانفلاق البحر وتظليل النعام ثم قال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور والمعنى ان في ذلك التذكير والنبية دلائل لمن كان صبارا شكورا لان الحال امانا يكون حال محنة وبلية أو حال محنة وعطية فان كان الاول كان المؤمن صبارا وان كان الثاني كان شكورا وهذا

نعمه تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض) من الخلائق جميعا (فإن الله لعن) تنبيه
عن شكركم وشكر غيركم (حيد) مستوجب الحمد بذاته لكثرة ما يوجب من أباديه وإن لم يحمد أحد أو محمود يحمد
الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل

كان أدل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب أن أي أن تكفروا لم يرجع وبالله الاعليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله عندما ما عين منهم دلائل العناد ومخاليل الاصرار على الكفر والفساد وتبين أنه لا ينفعهم الترهيب ولا التعريض بالترهيب أو قاله غيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمعنيه وتخييرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ﴿ ٣٢٣ ﴾ ماجرى على الامم الخالية فقال (ألم يأتكم نبال الذين من قبلكم) ليتدبروا ما

أصاب كل واحد من حزبي المؤمنين والكافرين فيقلعوا غمهم عليه من الشر وينبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيخص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وأيضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء (قوم نوح) بدل من الموصول أو عطف بيان (وعاد) معطوف على قوم نوح (وثمود والذين من بعدهم) أي من بعد هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح ومعطوف عليه وقوله تعالى (لا يعلمهم

تذنيه على أن المؤمن يجب أن لا يخلو زمانه عن أحد هذين الأمرين فإن جرى الوقت على مآلئهم طبعه ووافق ارادته كان مشغولا بالشكر وان جرى بمآلئهم طبعه كان مشغولا بالصبر فان قيل ان ذلك التذكير آيات للكل فلما ذا خص الصبار الشكور بها قلنا فيه وجوه (الاول) انهم لما كانوا هم المتفعون بتلك الآيات صارت كأنها ليست آيات الا لهم كما في قوله هدى للعقيد وقوله انما أنت منذر من يخشاها (والثاني) لا يعد أن يقال الا بماع بهذا النوع من التذكير لا يمكن حصوله الا لمن كان صابرا أو شاكرا أما الذي لا يكون كذلك لم ينفع بهذه الآيات واعلم انه تعالى لما ذكر انه أمر موسى عليه السلام بأن يذكرهم بأيام الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام انه ذكرهم بها فقال واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب فتقوله اذ أنجاكم طرف للنعمة بمعنى الانعام أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت بقي في الآية سوء الآلات (الاول) ذكر في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فالفرق والجواب قال تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واولانه تفسير لقوله سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول أنا في قوم زيد وعمرؤ لانك أردت أن تفسر القوم بهما ومثله قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أنا ما ايضا عفا له العذاب فلانام لما صار مفسرا بمضاعفة العذاب لاجرم حذف عنه الواو وأما في هذه السورة فقد أدخل الواو فيه لان المعنى انهم يذبحونهم بغير التذبيح والتذبيح أيضا قوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لانه تفسير لما قبله (السؤال الثاني) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم والجواب من وجهين أحدهما ان تمكين الله اياهم حتى فعلوا ما فعلوا كان بلاء من الله والثاني وهوان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء هو الابتلاء وذلك قد يكون بالنعمة تارة وبالحنة أخرى قال تعالى وتبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أول لانه يوافق صدر الآية وهو قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم (السؤال الثالث) هب ان تذيب الابناء كان بلاء اما استحياء النساء كيف يكون بلاء الجواب كانوا يستخفونهن بالاستحياء وفي الخلاص منه نعمة وأيضا بقاؤهن منفردات عن الرجال فيه أعظم المضار ﴿ قوله تعالى ﴾ (واذا نذرتكم ان

الا الله) اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبلا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب التسابون يعني أنهم

يدعون علم الانساب وقد نفي الله تعالى علمها عن العباد (جاءتهم رسلهم) استئناف لبيان بنهم (بالبينات) بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فينب كل رسول لأمته طريق الحق وهذا هم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور (فردوا أيديهم في أفواههم) مشيرين بذلك الى ألسنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتبنيها للرسول على تلقاها والمحافظة عليها واقتطاعهم عن التصديق والايان باعلام أن لاجواب لهم سواء ﴿ ٣٢٤ ﴾ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) أي

ولا بد ههنا من معرفة حقيقة الشكر ومن البحث عن تلك النعم الزائدة الحاصلة عند الاشتغال بالشكر أما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطيئ النفس على هذه الطريقة وأما الزيادة في النعم فهي أقسام منها النعم الروحية ومنها النعم الجسمانية أما النعم الروحية فهي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة اقسام نعم الله تعالى وأنواع فضله وكرمه ومن كثرا حسانه الى الرجل أحبه الرجل لاحتالة فشغل النفس بمطالعة أنواع فضل الله واحسانه يوجب تأكدا بحبة العبد لله تعالى ومقام المحبة أهلى مقامات الصديقين ثم قد يترق العبد من تلك الحالة الى أن يصير حبه للنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعمة ولا شك ان منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفة ذنبت ان الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحية وأما مزيد النعم الجسمانية فلان الاستقرار دل على ان كل من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر بالجلمة فالشكر انما حسن موقعه لانه اشتغال بمعرفة المعبود وكل مقام حرك العبد من عالم الغرور الى عالم القدس فهو المقام الشريف العالى الذى يوجب السعادة فى الدين والدنيا وأما قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فالمراد منه الكفران لا الكفر لان الكفر المذكور فى مقابلة الشكر لبس الالكفران والسبب فيه ان كفران النعمة لا يحصل الا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله والجاهل بها جاهل بالله والجهل بالله من اعظم أنواع العقاب والعذاب وأيضا فههنا دققة أخرى وهى ان ماسوى الواحد الاحد الحق ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فوجوده انما يحصل باليجاد الواجب لذاته وعدمه انما يحصل باعدام الواجب لذاته واذا كان كذلك فكل ماسوى الحق فهو منقاد للحق مطواع له واذا كانت الممكنات بأسرها منقادة للحق سبحانه فكل قلب حضر فيه نور معرفة الحق وشرفى جلالة انقاد لصاحب ذلك القلب ماسواه لان حضور ذلك النور فى قلبه يستخدم كل ماسواه بالطبع واذا خلا القلب عن ذلك النور ضعف وصار خسيسا فيستخدمه كل ماسواه ويستحقه كل ما يغيره فهذا الطريق الذوق يحصل العلم بأن الاشتغال بمعرفة الحق يوجب افتتاح أبواب الخيرات فى الدنيا والآخرة وأما الاعراض عن معرفة الحق بالاشتغال بمجرد الجسمانيات يوجب افتتاح أبواب الآفات والخافات فى الدنيا والآخرة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وقال موسى ان تكفروا أذهبكم من فى الارض جميعا فان الله لغنى جيدالم بأتكم نيا الذين من قبلكم قوم نوح وهاد ونمودوا الذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانافى شك مما تدعوننا اليه مريب) اعلم ان موسى عليه السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات فى الدنيا وفى الآخرة والاشتغال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات فى الدنيا والآخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى صاحب الشكر وصاحب

على زعمكم وهى البينات التى أظهرها حاجة على صحة رسالتهم كقوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وماراهم بالكفر بها الكفر بدلائلها على صحة رسالتهم أو فوضوها خيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو ووضعوها عليها انجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو اسكتا بالانبياء عليهم السلام وأمرهم باطباق الافواه أو ردوها فى أفواه الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا أو تمثيلا أو جعلوا أيدي الانبياء فى أفواههم نجبان عنهم وعنادهم كما ينبى عنه تعجبهم بقوله أفى الله شك الخ وقيل الايدى بمعنى الايدى عبر بهاعن مواظبتهم ونصائحهم وشرائعهم التى هى مدار النعم الدينية والدينية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانتهم ردوها الى حيث جاءت

منه (وانافى شك) عظيم (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافى شكهم فى ذلك كفرهم ﴿ الكفران ﴾ انقطعى بما أرسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسطان مبين وقرى تدعون بالادغام (مريب) موقع فى الريبة من أرايه

وذى ربه من أرباب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء (قالت رسلهم) استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه لمقال كأنه قيل فاذ قالت لهم رسلهم فأجب بأنهم قالوا منكربين عليهم ومنجيين من مقاتلهم الحقاً (أفنى الله شك) بادخال لهزمة على الطرف للابتنان بأن مدار انكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلاً متفادين عن تطبيق الجواب على كلام ٣٢٥ الكفرة بأن يقولوا أنهم في شك مريب من الله تعالى مباغلة في تنزيه ساحة

السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة القول أى أفنى شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوده الايمان به وحده شك ما هو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبو اذ كان الانكار بما يوجب من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا (فاط السموات والارض) أى مبدعها وما فيها من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بتقصو ما أنتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالطرف لا اعتماداً على

الكفران أما المعبود والمشكور فانه متعال عن أن ينفع بالشكر أو يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغنى حميد والغرض منه بيان انه تعالى انما أمر بهذه الطاعات لمنافع عائدة الى العابد لا للمنافع عائدة الى المعبود والذي يدل على ان الامر كذلك ما ذكره الله في قوله ان الله لغنى وتفسيره أنه واجب الوجود لذاته واجب الوجود بحسب جميع صفاته واعتباراته فانه اولم يكن واجب الوجود لذاته لافقر رجحان وجوده على عدمه الى مرجح فلم يكن غنيا وقد فرضناه غنيا هذا خلف فثبت ان كونه غنياً يوجب كونه واجب الوجود في ذاته واذا ثبت انه واجب الوجود لذاته كان أيضاً واجب الوجود بحسب جميع كالاته اذ لو لم تكن ذاته كافية في حصول ذلك الكمال لافقر في حصول ذلك الكمال الى سبب منفصل فيثبت لا يكون غنياً وقد فرضناه غنياً هذا خلف فثبت ان ذاته كافية في حصول جميع كالاته واذا كان الامر كذلك كان حميداً لذاته لانه لا معنى للحميد الا الذى استحق الحمد فثبت بهذا التقرير الذى ذكرناه ان كونه غنياً حميداً يقتضى أن لا يزداد بشكر الشاكرين ولا ينقص بكفران الكافرين فلهذا المعنى قال ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغنى حميد وهذه المعاني من لطائف الاسرار واعلم ان قولنا ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً سواء حل على الكفر الذى يقابل الايمان أو على الكفران الذى يقابل الشكر فالغنى لا يتفاوت البتة فانه تعالى غنى عن العالمين في كالاته وفي جميع نعمت كبريائه وجلاله ثم انه تعالى قال ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وذكر أبو مسلم الاصفهانى انه يحتفل أن يكون ذلك خطاباً من موسى عليه السلام لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بمثل هلاك من تقدم ويجوز أن يكون مخاطبة من الله تعالى على لسان موسى لقومه يذكرهم أمر القرون الاولى والمقصود انما هو حصول العبرة باحوال المتقدمين وهذا المقصود حاصل على التقديرين لأن الأكثرين ذهبوا الى انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم واعلم انه تعالى ذكر أقواماً ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود ثم قال تعالى والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله وذكر صاحب الكشف فيه احتمالين الاول أن يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً والثانى أن يكون قوله والذين من بعدهم معطوف على قوم نوح وعاد وثمود وقوله لا يعلمهم الا الله فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله لان المذكور في القرآن جملة فأما ذكر العدد والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول الثانى ان المراد ذكر أقوام ما بلغنا أخبارهم أصلاً كذبوا رسلاً لم نعرفهم أصلاً ولا يعلمهم الا الله والقائلون بهذا القول الثانى طعنوا في قول من يصل الانتساب الى آدم عليه السلام كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب التسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب وقد نفي الله علمها عن العباد وعن ابن

الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الطرف خبره يفضى الى الفصل بين الموصوفى والصفة بالاجنبى أعنى المبتدأ والفاعل ليس باجنبى من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً (يدعوك) الى الايمان بارساله ايانا لا نادعوك اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه (اغفر لكم) نسبه أو يدعوك لاجل المغفرة كقولك دعوتك ليأكل معي (من

فتوبكم) أي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الاسلام ينحبه قبل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة ذون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك في تناول الخروج من المظالم وقبل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم (وبؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى ﴿ ٣٢٦ ﴾ وجعله منتهى أعماركم على تقدير الايمان

(قالوا) استئناف كما سبق
(ان أنتم) أي ما أنتم
(الابشر مثلنا) من غير
فضل يؤهلكم لما
تدعونه من النبوة
(تريدون) صفة ثانية
لبشر حلا على المعنى
كقوله تعالى أبشر
بهذوننا وأكلام مستأنف
أي تريدون بما تصدون
لهم من الدعوة والارشاد
(أن تصدونا) تخصص
العبادة بالله سبحانه (عما
كان يعبد آباؤنا) أي عن
عبادة ما استمر آباؤنا
على عبادته من غير شيء
بوجبه والا (فأتونا)
أي وان لم يكن الامر
كما قلنا بل كنتم رسلا
من جهة الله تعالى كما
تدعونه فأتونا (بسلطان
بين) يدل على فضلكم
واستحقاقكم تلك الرتبة
أو على صحة ما تدعونه
من النبوة حتى نترك
ما لم نزل نعبده أباعن جد
واقصد كانوا آتوهم
من الآيات الظاهرة
والبينات الباهرة
مانخرله صم الجبال

عباس بين عدنان وبين اسمعيل ثلاثون أبابا يعرفون ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في انسابه لا يحاوز معدن عدنان بن ادد وقال نعلوا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وتعلوا من النجوم ما تستدلون به على الطريق قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع على مقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان أمكن ذلك لم يبعد أيضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة فان قيل أي القولين أولى قلنا القول الثاني عندى أقرب لان قوله تعالى لا يعلمهم الا الله نفي العلم بهم وذلك يقتضي نفي العلم بذواتهم اذ لو كانت ذواتهم معلومة وكان المجھول هو مدد أعمارهم وكيفية صفاتهم لما صح نفي العلم بذواتهم ولما كان ظاهر الآية دليلا على نفي العلم بذواتهم لاجرم كان الأقرب هو القول الثاني ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم انه لما جاتهم رسلهم بالبينات والمعجزات أتوا بامور أولها قوله فردوا أيديهم في أفواههم وفي معناه قولان الاول ان المراد باليد والفم الجارحتان المعلومتان والثاني ان المراد بهما شيء غير هاتين الجارحتين وانما ذكرهما مجازا وتوسعا أما من قال بالقول الاول فقيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الضمير في أيديهم وأفواههم عائدا الى الكفار وعلى هذا التقدير فقيه احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها من الغيظ والضجر من شدة نفرتهم عن رؤية الرسل واستماع كلامهم ونظيره قوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذا القول مروى عن ابن عباس وابن مسعود رحمهما الله تعالى وهو اختيار القاضي والثاني انهم لما سمعوا كلام الانبياء عجبوا منه وصحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه والثالث انهم وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث وهذا مروى عن الكلبي والرابع انهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا هو الجواب عندنا عما ذكرتموه وليس عندنا غيره اقناطالهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به (الوجه الثاني) أن يكون الضمير راجعين الى الرسل عليهم السلام وفيه وجهان الاول ان الكفار اخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم الثاني ان الرسل لما أسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عند قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم بما وضع يده على فم نفسه وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة (الوجه الثالث) أن يكون الضمير في أيديهم يرجع الى الكفار وفي الأفواه الى الرسل وفيه وجهان الاول ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء عليهم السلام ونصائحهم وكلامهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل تكديبا لهم ورد

ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظام مكابرة وعنادا واراة لمن وراهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين (فألت لهم رسلهم) مجازاة معهم في أول مقابلتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه (ان نحن الابشر مثلكم) كما تقولون

(ولكن الله يمين) بالنسبة (على من يشاء من عباده) يعنون ان ذلك طغيه من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض لفضل
والامتنان من غير داعية توجه قالوه تواضعوا وهضما للنفس أو مأخوذ من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في
الدخول تحت الجنس ولكن الله يمين بالفضائل والكلمات والاستعدادات على من يشاء من بها وما يشاء ذلك الالعلمه
باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكلمات والاستعدادات ﴿ ٣٢٧ ﴾ هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنسبة (وما كان)

وما صح وما استقام (لنا
أن نأتيكم بسلطان) أو
بمحجة من الحجج فضلا
عن السلطان المبين
بشيء من الاشياء وسبب
من الاسباب (الاباذن الله)
فانه أمر يتعلق بمشيئته
تعالى ان شاء كان والا فلا
(وعلى الله) وحده دون
ما عده مطلقا (فليتوكل
المؤمنون) أمر منهم
للمؤمنين بالتوكل
ومقصودهم حل أنفسهم
عليه أثر ذي أثر لا يرى
الى قوله عز وجل (وملأنا)
أى أى عذرنا (ان لا
نتوكل على الله) أى فى
ان لا نتوكل عليه
والاظهار لاضمار التشا
بالتوكل عليه والاستلزام
بذكر سمع تعالى وتعليل
التوكل (وقد هدانا)
أى والحال أنه قد فعل
بنا ما يوجب ويستدعي
حيث هدانا (سبلنا)
أى أرشد كلامنا سبيله
ومنهاجه الذى شره
له أو وجب عليه سلوكه
فى الدين وحيث كانت
أذية الكفار بما يوجب

عليهم والثاني ان الكفار وضعوا أيديهم على أفواه الانبياء عليهم السلام منعاً لهم من
الكلام ومن بالغ في منع غيره من الكلام فقد يفعل به ذلك أما على القول الثاني وهو أن
ذكر اليد والفم توسع ومجاز فقيه وجوه الاول قال أبو مسلم الاصفهاني المراد باليد
ما نطق به الرسل من الحجج وذلك لان اسماع الحجج انعام عظيم والانعام يسمى يدا يقال
لفلان عندي يدا اذا أولاه معروفا وقد يذكر اليد والمراد منها صفقة البيع والعقد كقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فالبنات التي كان الانبياء
عليهم السلام يذكرونها ويقررونها نعم وأيد وأيضاً اليهود التي كانوا يأتون بها مع القوم
أيادي وجمع اليد في العدد القليل هو الايدي وفي العدد الكثير هو الايدي فثبت ان
بيانات الانبياء عليهم السلام وعهودهم صحح تسميتها بالايدي واذا كانت النصائح
والعهود انما تظهر من الغم فاذا لم تقبل صارت مردودة الى حيث جاءت ونظيره قوله
تعالى اذ لقونه بأستنكهم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم فلما كان القبول تلقياً
بالافواه عن الافواه كان الدفع رداً في الافواه فهذا تمام كلام أبي مسلم في تقرير هذا
الوجه (الوجه الثاني) نقل محمد بن جرير عن بعضهم ان معنى قوله فردوا أيديهم في
أفواههم انهم سكتوا عن الجواب يقال للرجل اذا أمسك عن الجواب رديه فيه
وتقول العرب كلت فلانا في حاجة فرديه في فيد اذا سكت عنه فلم يجب ثم انه زيف هذا
الوجه وقال انهم أجابوا بالكذب لانهم قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به (الوجه الثالث)
المراد من الايدي نعم الله تعالى على ظاهريهم وباطنيهم ولما كذبوا الانبياء فقد عرضوا
تلك النعم اللازمة والابطال فقوله ردوا أيديهم في أفواههم أى ردوا نعم الله تعالى عن
أنفسهم بالكلمات التي صدرت عن أفواههم ولا يبعد حمل في على معنى الباء لان حروف
الجر لا يمتنع اقامة بعضها مقام بعض (النوع الثاني) من الاشياء التي حكاه الله تعالى
عن الكفار قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به والمعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله أرسلكم فيه
لانهم ما أفروا بانهم أرسلوا واعلم ان المرتبة الاولى هو انهم سكتوا عن قبول قول الانبياء
عليهم السلام وحاولوا اسكات الانبياء عن تلك الدعوى وهذه المرتبة الثانية انهم صرحوا
بكونهم كافرين بتلك البعثة (والنوع الثالث) قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مررب قل صاحب الكشاف وقرئ تدعوننا بادغام النون مررب موقع في الرية أوزى
رية من أرابه والرية قاق النفس وأن لا تطمئن الى الامر فان قيل لماذا كروا في المرتبة
الثانية انهم كافرون برساتهم كيف ذكروا بعد ذلك كونهم شاكين مرتابين في صحة قولهم
قلنا كأنهم قالوا اما أن نكون كافرين برساتكم أو ان لم ندع هذا الجزم واليقين فلا أقل
من أن نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف
بنبوتكم والله أعلم * قوله تعالى (فالتدعونهم الى الله شك فاطر السموات والارض
يدعونكم لبغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا

القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكم الازمنة (ولنصبرن على ما آذنتونا)
بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خبير فيه (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) أى فليثبت المتوكلون
على ما أحدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون

والتعبير عنهم بذلك سبق ذكر انصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره (وقال الذين كفروا)
 لعل هؤلاء القائلين بعض المنكرين العائنين الغالين في الكفر من أولئك الائمة الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون
 جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا (رسلهم لنخر جنكم من أرضنا ولتعودن في ملتنا) لم يقتعوا
 بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعدما رأوا بينات ﴿ ٣٢٨ ﴾ الفاتئة للحصر حتى اجترأوا على مثل هاتيك

العظيمة التي لا يكاد
 يحيط بها دائرة الامكان
 فتحلوا على أن يكون
 أحد المحالين والعوداما
 بمعنى مطلق الصبرورة
 او باعتبار تغليب المؤمنين
 على الرسل وقدم في
 الاعراف وسيأتي في
 الكهف (فأوحى اليهم)
 أى الى الرسل (ربه)
 مالك أمرهم عند تناسي
 كفرا الكفرة وبلوغهم
 من العقوبة غاية لا ملطمع
 بعدها في ايمانهم (لنهلكن
 الظالمين) على اضمار
 القول أو على اجراء البجاء
 مجراء لكونه ضربا منه
 (ولنسكنكن الارض)
 أى أرضهم وديارهم
 عقوبة لهم بقولهم
 لنخر جنكم من أرضنا
 كقوله تعالى وأورثنا
 القوم الذين كانوا
 يستضعفون مشارق
 الارض ومغار بها (من
 بعدهم) أى من بعد
 اهلاكهم وقرى أهلكن
 وليسكنكنم بالياء اعتبارا
 لاوحى كقولهم حلف

تريدون أن تصدوننا عما كان يعبد آباؤنا فأنتوننا بسطان ميين) اعلم ان أولئك الكفار لما
 قالوا للرسل وانا لنرى شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم وهل تشكون في الله وفي
 كونه فاطر السموات والارض وفاطر الانفسنا وأرواحنا وأرزاقنا وجميع مصالحنا
 وانا لا ندعوك الا الى عبادة هذا الاله المزمع ولا تمنعكم الا عن عبادة غيره وهذه المعاني
 يشهد صريح العقل بصحتها فكيف قلتم وانا لنرى شك مما تدعوننا اليه مريب وهذا النظم
 في غاية الحسن وفي الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قوله أى الله شك استفهام على سبيل
 الانكار فلما ذكر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار وهو قوله فاطر
 السموات والارض وقد ذكرنا في هذا الكتاب ان وجود السموات والارض كيف يدل
 على احتياجه الى الصانع المختار الحكيم مرارا وأطوارا فلا نعيده ههنا (المسئلة
 الثانية) قال صاحب الكشاف أدخلت همزة لانكار على الظرف لان الكلام ليس
 في الشك انما هو في أن وجود الله تعالى لا يحتمل الشك وأقول من الناس من ذهب الى
 أنه قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة فالفطرة شاهدة بوجود الصانع المختار ويدل على ان
 الفطرة الاولى شاهدة بذلك وجوه (الاول) قال بعض العقلاء ان من اطعم على وجه صبي
 لظمة تلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى وجوب
 دار الجزاء وعلى وجود الله تعالى اما دلالتها على وجود الصانع المختار فلان الصبي العاقل
 اذا وقعت اللطمة على وجهه يصيح ويقول من الذى ضرب بنى وما ذا الا ان شهادة فطرته
 تدل على ان اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لاجل فاعل فعلها
 ولجل مختار أدخلها في الوجود فلما شهدت الفطرة الاصولية بافتقار ذلك الحادث مع
 فله وحقارته الى الفاعل فبان تشهد بافتقار جميع حوادث العالم الى الفاعل كان أولى
 وأما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي يتأدى ويصيح ويقول لم ضرب بنى ذلك
 الضارب وهذا يدل على أن فطرته شهدت بان الأفعال الانسانية داخله تحت الامر
 والنهى ومندرجة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اى فعل شاء
 واشتهى وأما دلالتها على وجوب حصول دار الجزاء فهو أن ذلك الصبي يطلب الجزاء
 على تلك اللطمة وما دام يمكنه طلب ذلك الجزاء فانه لا يتركه فلما شهدت الفطرة
 الاصولية بوجوب الجزاء على ذلك العمل القليل فبان تشهد على وجوب الجزاء على جميع
 الاعمال كان أولى وأما دلالتها على وجوب الشهادة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم
 ان العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا معنى للنبي الا الانسان الذى
 يقدر هذه الامور ويبين لهم هذه الاحكام فثبت ان فطرة العقل حاكمة بان الانسان لا بد له
 من هذه الامور الاربعة (الوجه الثانى) فى التنبيه على ان الاقرار بوجود الصانع بدیهى
 هو ان الفطرة شاهدة بان حدوث دار منقوشة بالنفوس المحيية مبنية على التركيبات
 اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل الا عند وجود نقاش عالم وبان حكيم ومعلوم

زيد ليخرجن غدا (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم أى ذلك ﴿ ان ﴾
 الامر محقق ثابت (لمن خاف مقامى) موقفي وهو الموقف الذى يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو
 قيامهم عليه . حفظى لاجماله وقيل لفظ المقام مقسم (وخاف وعيد) وعيدى بالعذاب أو عذابى

لموهود الكفار والمعنى ان ذلك حق للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى
 ن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا ووسائله القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
 هؤلاء الخلق فالضمير لرسول وقيل للكفرة وقيل للفریقین فالهمم سالوا ان ينصر الحق ويهلك المبتطل وهو عطف على أوحى
 ليهم وقرئ بلفظ الامر عطفاً على ﴿ ٣٢٩ ﴾ لهم لكن الظالمين أى أوحى إليهم بهم انهم لم يكن لهم الحق وقال لهم استفتحوا

(وخاب) أى خسرو هلاك

(كل جبار عنيد)

متصف بضد ما تصف

به المتقون أى فنصروا

عند استفتاحهم وظفروا

بناساً أو أوفلحو وأخاب

كل جبار عنيد وهم

قومهم الماعدون فالخيبة

بمعنى مطلق الحرمان

دون الحرمان عن المطلوب

أو ذلك باعتبار أنهم

كانوا يزعمون أنهم

على الحق أو استفتح

الكفار على الرسل

وخابوا ولم يفعلوا وإنما

قبل وخاب كل جبار عنيد

ذمهم وتنجبوا عليهم

بالتجبر والعناد لأن

بعضهم ليسوا كذلك وأنه

لم يصبهم الخيبة أو

استفتحوا جميعاً قصر

الرسول وأنجز لهم الوعد

وخاب كل عات متمرّد

فالخيبة بمعنى الحرمان

غيب الطلب وفى اسناد

الخبية الى كل منهم مالا

يخفى من المبالغة (من ورأه

جهنم) أى بين يديه فانه

مرصدا لها واقف على

شقيها فى الدنيا بموت

أن أمار الحكمة فى العالم العلوى والسفلى أكثر من أمار الحكمة فى تلك الدار المنخفضة
 فلما شهدت الفطرة الأصلية بافتقار النفس الى النقاش والبناء الى البانى فبان تشهد
 بافتقار كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم كان أولى (الوجه الثالث) ان الانسان
 اذا وقع فى محنة شديدة وبلية قوية لا يبق فى طنه رجاء المعاونة من أحد فكانه بأصل
 خلقه ومقتضى جبلته يتضرع الى من يخلصه منها ويخرجه عن علاقتها وحبازلها
 وما ذاك الا شهادة الفطرة بالافتقار الى الصانع المدبر (الوجه الرابع) ان الوجود اما أن
 يكون غنيا عن المؤثر أو لا يكون فان كان غنيا عن المؤثر فهو الموجود الواجب لذاته فانه
 لا معنى للواجب لذاته الا الموجود الذى لا حاجة به الى غيره وان لم يكن غنيا عن المؤثر فهو
 محتاج والمحتاج لابد له من المحتاج اليه وذلك هو الصانع المختار (الوجه الخامس)
 ان الاعتراف بوجود الاله المختار المكلف بوجود المعاد حوط فوجب المصير اليه فهذه
 مراتب أربعة أوها ان الاقرار بوجود الاله أحوط لانه لو لم يكن موجودا فلا ضرر
 فى الاقرار بوجوده وان كان موجودا فى انكاره أعظم المضار وثانيها الاقرار بكونه
 فاعلا مختارا لانه لو كان موجبا فلا ضرر فى الاقرار بكونه مختارا أما لو كان مختارا فى
 انكاره لكونه مختارا أعظم المضار وثالثها الاقرار بأنه كف عباده لانه لو لم يكلف أحد من
 عبيده شيئا فلا ضرر فى اعتقاده كلف العباد أماله لو كلف فى انكار تلك التكليف
 أعظم المضار ورابعها الاقرار بوجود المعاد فانه ان كان الحق انه لا معاد فلا ضرر
 فى الاقرار بوجوده لانه لا يعنى الا هذه الذات الحسمانية وهى حقيرة ومنفوعة وان
 كان الحق هو وجوب المعاد فى انكاره أعظم المضار فظهر أن الاقرار بهذه المقامات
 أحوط فوجب المصير اليه لان بداهة العقل حاكمة بأنه يجب دفع الضرر عن النفس بقدر
 الامكان (المسئلة الثالثة) لما أقام الدلالة على وجود الاله بدليل كونه فاطر السموات
 والارض وصفه بكمال الرحمة والكرم والجود وبين ذلك من وجهين (الاول) قوله يدعوكم
 ليغفر لكم من ذنوبكم قال صاحب الكشف لوقال قائل ما معنى التبعيض فى قوله من
 ذنوبكم ثم أجاب فقال ما جاء هكذا الا فى خطاب الكافرين كقوله أن عبدوا الله واتقوه
 وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
 وقال فى خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تجيبكم من عذاب أليم الى أن قال يغفر لكم
 ذنوبكم قال والاستقرار يدل على صحة ما ذكرناه ثم قال وكأن ذلك للفرقة بين الخطابين
 ولثلاث سوى بين الفريقين فى المعاد وقبل انه أراد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى
 بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم * هذا كلام هذا الرجل وقال الواحدى فى البسيط
 قال أبو عبيدة من زائدة وأنكر سيبويه زائدة فى الآية فادعاهم واذا قلنا انها ليست زائدة
 فههنا وجهان أحدهما انه ذكر البعض ههنا وأريد به الجميع توسعا والثانى ان من ههنا
 للبدل والمعنى انكون المغفرة بدلا من الذنوب فدخلت من تضمن المغفرة معنى البدل من

اليها فى الآخرة وقبل من وراء حياته ﴿ ٤٢ ﴾ خا وحقيقته ما توارى عنك (ويسى) معطوف على مقدر جوابا
 عن سؤال سائل كأنه قيل لماذا يكون اذن قليل يلقى فيها ويسى (من ماء) مخصوص لا كالماء المعهود (صديد) وهو
 قيح أو دم مختلط بدم يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لما بهم أو لا يمين

بالصديقته وبالامر وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قبل هو صفة لما أوحال منه والظاهر أنه استثناف مبنى على السؤال كأنه قبل فإذا يفعل به فقبل يتجرعه أى يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسقيه) أى لا يقارب أن يسقيه فضلاً عن الاساقعة بل ينقص به فيشربه بعد الشيا والتي جرعة غيب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة ٣٣٠ والعطش وأخرى بشربه على تلك الحال فان

السوخ أخذار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعاً وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالصاغة لما أنها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه أو من مفعوله أو منه ما جاعياً (ويأتية الموت) أى أسبابه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وأبهام رجليه (وما هو بميت) أى والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجي أسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من أصناف الموبقات (ومن ورأه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله فقيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتبار كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس

السنة وقال القاضي ذكر الاسم ان كلمة من ههنا تفيد التبعيض والمعنى انكم اذا كنتم فانه يغفر لكم الذنوب التي هي من الكبائر فأما التي تكون من باب الصغار فلا حاجة الى غفرانها لانها في أنفسها مغفورة قال القاضي وقد أبعد في هذا التأويل لان الكفار صغارهم ككبارهم في أنها لا تغفر الا بالآبوة وانما تكون الصغيرة مغفورة من المؤمنين الموحدين من حيث يزيدوا بهم على عقابها فأما من لا نواب له أصلاً فلا يكون شئ من ذنوبه صغيراً ولا يكون شئ منها مغفوراً ثم قال وفيه وجه آخر وهو ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وانابته فلا يكون للمغفورة منها الا ما ذكره وتاب منه فلهذا جلة أقوال الناس في هذه الكلمة (المسئلة الرابعة) أقول هذا الآية تدل على انه تعالى قد يغفر الذنوب من غير توبة في حق أهل الايمان والدليل عليه انه قال يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم وعد يغفر ان بعض الذنوب مطلقاً من غير اشتراط التوبة فوجب أن يغفر بعض الذنوب مطلقاً من غير التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانقاذ الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب أن يكون البعض الذي يغفر له من غير التوبة هو ما عدا الكفر من الذنوب فان قبل لم لا يجوز أن يقال كلمة من صلة على ما قاله أبو عبيدة أو نقول المراد من البعض ههنا هو الكل على ما قاله الواحدى أو نقول المراد منها ابدال السنة بالحسنة على ما قاله الواحدى أيضاً أو نقول المراد منه تمييز المؤمن عن الكافر في الخطاب على ما قاله صاحب الكشاف أو نقول المراد منه تخصيص هذا القرآن بالكبار على ما قاله الاسم أو نقول المراد منه الذنوب التي يذكرها الكافر عند الدخول في الايمان على ما قاله القاضي فنقول هذه الوجوه بأسرها ضعيفة أما قولها انها صلة فعناء الحكم على كلمة من كلام الله تعالى بأنها حشوش ضائع فاسد وأما قول لا يجوز الصير اليه من غير ضرورة فأما قول الواحدى المراد من كلمة من ههنا هو الكل فهو عين ما قاله أبو عبيدة لان حاصله ان قوله يغفر لكم من ذنوبكم هو انه يغفر لكم ذنوبكم وهذا عين ما نقله عن أبي عبيدة وحكى عن سيدي به انكاره وأما قوله المراد منه ابدال السنة بالحسنة فليس في اللغة ان كلمة من تفيد ابدال وأما قول صاحب الكشاف المراد تمييز خطاب المؤمن عن خطاب الكافر بمزيد التشريف فهو من باب انطامات لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الجواب فاسداً وأما قول الاسم فقد سبق ابطاله وأما قول القاضي فجوابه ان الكافر اذا أسلم صارت ذنوبه بأسرها مغفورة لقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له فثبت ان جميع ما ذكره من التأويلات تعسف ساقط بل المراد ما ذكرنا انه تعالى يغفر بعض ذنوبه من غير توبة وهو ما عدا الكفر وأما الكفر فهو أيضاً من الذنوب وانه تعالى لا يغفره الا بالآبوة واذا ثبت انه تعالى يغفر كبار كافر من غير توبة بشرط أن يأتي بالايمان فبان تحصل هذه الحانة للمؤمن كالأولى هذا ما خطر بالبال على سبيل الارتجال والله أعلم

الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنهم التي أرسلها الله تعالى عليهم ﴿ بحقيقة ﴾ بدعونه عليه الصلاة والسلام وخيبتهم في ذلك وقد وعدواهم بذلك صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بر بهم) أى صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالثلل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى

(أعمالهم كرماد) كتوك صفة من صفة مهتوك وماله منسوب وهو استئناف مبنى على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي علوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتناق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكرم حتى آل أمرهم الى هذا المالك فأجيب بأن ذلك كرماد (اشتدت به الريح) جلته وأسرع الزهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح ﴿ ٣٣١ ﴾ وصف به زمانها بمبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور ليريحها

بجففة الحال (النوع الثاني) بما وعد الله تعالى به في هذه الآية قوله وبوخركم الى أجل مسمى وفيه وجهان (الاول) المعنى انكم ان آمنتم أخر الله موتكم الى أجل مسمى والا عاجلكم بعذاب الاستئصال (الثاني) قال ابن عباس المعنى يتمكم في الدنيا بالطيبات واللذات الى الموت فان قيل أليس الله تعالى قال فاذا جاء أجلهم لا يسئ آخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا وبوخركم الى أجل مسمى قلنا قد تكلمنا في هذه المسئلة في سورة الانعام في قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم حكى تعالى ان الرسل لما ذكروا هذه الاشياء لا وئك الكفار قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأنتونابسلطان مبين واعلم أن هذا الكلام مشتمل على ثلاثة انواع من الشبه (فاشبهة الاولى) ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع أن يبلغ التفاوت بين تلك الاشخاص الى هذا الحد وهو أن يكون الواحد منهم رسولا من عند الله مطالعا على الغيب مخاطبا لزمره الملائكة والباقيون يكونون غافلين عن كل هذه الاحوال أيضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقنا في هذه الاحوال العلية الالهية الشريفة وجب أن تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث والوفاع وهذه الشبهة هي المراد من قولهم ان أنتم الا بشر مثلنا (والاشبهة الثانية) التمسك بطريقة التقليد وهي أنهم وجدوا آباؤهم وعلماءهم وكبراءهم مطبقين متفقين على عبادة الاوثان قالوا ويدان يقال ان أوئك القدماء على كثرتهم وقوة خواطرهم لم يعرفوا بطلان هذا الدين وان الرجل الواحد عرف فسادهم ووقف على بطلانه والعوام ربما زادوا في هذا الباب كلاما آخر وذلك ان الرجل العالم اذا بين ضعف كلام بعض المتقدمين قالوا له ان كلامك انما يظهر صحته لو كان المتقدمون حاضرين أما المناظرة مع الميت فسهلة فهذا كلام يذكرة الحق والزجاج وأوئك الكفار أيضا ذكروه وهذه الشبهة هي المراد من قوله تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا (والاشبهة الثالثة) أن قالوا المعجز لا يدل على الصدق أصلا وان كانوا سلوا على ان المعجز يدل على الصدق الآن الذي جاء به أوئك الرسل طعنوا فيه وزعموا انها أمور معتادة وانها ليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر والى هذا النوع من الشبهة الاشارة بقوله فأنتونابسلطان مبين فهذا تفسير هذه الآية بحسب الوسع والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن أتاكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) اعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم السلام جوابهم عنها (أما الشبهة الاولى) وهي قولهم ان أنتم الا بشر مثلنا فجوابه ان الانبياء سلوا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان التعامل في البشرية والانسانية لا يتبع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لان هذا المنصب

شبهت صنائهم المعدودة لا بذاتها على غير أساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طبرته الريح العاصفة أو استئناف مسوق لبيان أعمالهم للاصنام أو مبتدأ خبره محذوف كاهورأى سيدو به أى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم جملة مستأنفة بنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صنائهم أو أعمالهم لاصنامهم وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يقدررون) أى يوم القيامة (بما كسبوا) من تلك الاعمال (على شئ) ما أى لا يرون له أثر من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لأعمالهم للاصنام مع أن لها عقوبات هائلة لتصريح بطلان اعتقادهم

وزعمهم انها شفاعة لهم عند الله تعالى وفيه تمكيم بهم (ذلك) أى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من صلاحهم مع حساباتهم انهم على شئ (هو الضلال البعيد) عن طريق الحق والصواب وعن نيل الثواب (ألم تر) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم الروية والروية القلب

وقوله تعالى (ان الله خلق السموات والارض) ساد مشد مفعولها أي الم تعلم انه تعالى خلقهما (بالحق) ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ ذهابكم) بعدمكم بالمرّة (وبات تخلق جديد) أي تخلق بديكم خلقاً آخر مستأنفاً لعلقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط البديع ارشاداً **٣٣٢** إلى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق

مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبدل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال (واذلك) أي اذهابكم والاتبان بخلق جديد مكانكم (على الله عز) بتعذر أو تمسرفانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه (وبرزو الله جميعاً) أي يبرزون يوم القيامة وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار أولانه لامضى والاستقبال بالتسمية أي سبحانه والمراد ببرزوهم من قبورهم لأمر الله تعالى ومحاسنته أوله على ظنهم فانهم كانوا يفتنون عند ارتكابهم الفواحش سرا أنها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم

منصب عن الله على من يشاء من عباده فاذا كان الامر كذلك فقد استطاعت هذه الشبهة واعلم ان هذا المقام فيه بحث شريف دقيق وهو ان جماعة من حكماء الاسلام قالوا ان الانسان مالم يكن في نفسه وبذنه مخصوصاً بخواص شريفة علوية قدسية فانه يتمتع عقلاً حصول صفة النبوة وأما الظاهر يرون من أهل السنة والجماعة فقد زعوا ان حصول النبوة عطية من الله تعالى بهما الكل من يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان عن سائر الناس بمن يداشر اق نفساني وقوة قدسية وهو لاء تمسكوا بهذه الآية فانه تعالى بين ان حصول النبوة ليس الا بمحض المنّة من الله تعالى والعطية منه والكلام في هذا الباب غاض غائض دقيق واولون أجابوا عنه بأنهم لم يذكروا فضائلهم انفسانية والجسدية تواضعاً منهم واقصروا على قواهم ولكن الله عين على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه تعالى لا يخصهم بذلك الكرامات الاوهم موصوفون بالفضائل التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته (وأما الشبهة الثانية) وهي قواهم اطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقاً لانه يمدان يظهر الرجل الواحد مالم يطهر الخلق العظيم لجوابه عين الجواب المذكور عن الشبهة الاولى لان التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه ولا يمدان يخص بعض عباده بهذه العطية وأن يحرم الجمع العظيم منها (وأما الشبهة الثالثة) وهي قواهم ان لا يرغب في هذه المعجزات التي أتيت بها وانما تريد معجزات قاهرة قوية فالجواب عنها قوله تعالى وما كان لنا أن ناتيكم بساطن الا بآذن الله وشرح هذا الجواب ان المعجزة التي جنبها وتمسكنا بها حجة قاطعة وبينة قاهرة ودليل تام فأما الاشياء التي طلبوها فهي أمور زائدة والحكم فيها لله تعالى فان خلقها وأطهرها فله الفضل وان لم يخلقها فله العدل ولا يحكم عليهم بهم ظهور قدر التكفأة ثم انه تعالى حكى عن الانبياء والرسال عليهم السلام انهم قالوا بعد ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون والظاهر ان الانبياء لم أجابوا عن شبهاتهم بذلك الجواب فاقوم أخذوا في السفاهة والتخويف والوعيد وعند هذا قالت الانبياء عليهم السلام لا تخاف من تخويفكم ولا تلتفت الى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمدنا على فضل الله ولعل الله سبحانه كان قد أوحى اليهم ان أولئك الكفرة لا يقدرون على إيصال الشر والآفة اليهم وان لم يكن حصل هذا الوحي فلا يبعد منهم ان لا يلتفتوا الى سفاهتهم لما أن ارواحهم كانت مشرفة بالعارف الغاية مشرفة بأضواء عالم الغيب والروح متى كانت موصوفة بهذه الصفات فتلما إلى بالاحوال الجماعية وقما يقيم لها وزناً في حالتها السراء والضراء وطورى الشدة والرخاء فلهمذا السبب توكلوا على الله وهولوا على فضل الله وقطعوا أطماعهم بمحاسن الله والذي يدل على ان المراد ما ذكرناه قوله تعالى حكاية عنهم وما لنا أن لا توكل على الله وقد هدانا سبيلنا ونصبرن على ما آتونا يعني انه تعالى لما خصنا

(فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب بالاول على لفظ من يفهم **ب** هذه **ب** الالف قبل الهمزة (للذين استكبروا) رؤسائهم الذين استتبوهم واستغروهم (انا كنا) في الدنيا لكم تبعاً في تكذيب الرسل عليهم السلام والاعراض عن نصائحهم وهو جرم تابع كغيب في جرم غائب أو مصدر نعت به

مبالغة او على اضممار اى ذوى تبع (فهل انتم مفتونون) دافعون (صنا) والقاء للدلالة على سبيبة الاتباع للاغناء والمراد التوخيخ والعتاب والتقرىغ والتبكيك (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب كاسبق ويجوز * ٣٣٣ * أن تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل

أنتم مفتونون عنا بعض العذاب بعض الاغناء و يعضد الاول قوله تعالى فهل أنتم مفتونون عنا نصيبا من النار (قالوا) أى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لوهدانا الله) أى الإيمان و وقفنا له (لهديناكم) ولكن ضللتنا فأضللتنا كم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا أو لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغتنينا عنكم كما عرشناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص (سواء علينا أجزعنا) مالم يقنا (أم صبرنا) على ذلك أى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإنما أسند وهما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم

بهذه الدرجات الروحانية والمعارف الالهية الربانية فكيف يلحق بنا أن لا نتوكل على الله بل اللائق بنا أن لا نتوكل الا عليه ولا نعول فى تحصيل المهمات الا عليه فان فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة يتقبح به أن يرجع فى أمر من الامور الى غير الحق سواء كان ملكا له أو ملكا أو روحا أو جسما وهذه الآية دالة على انه تعالى يعصم أولياءه المخلصين فى عبوديته من كيد أعدائهم ومكرهم ثم قالوا ولنصبرن على ما آذيتونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وأن يصبر غاليا قاهرا وبالباطل لا بد وأن يصبر مغلوبا مقهورا ثم اعادوا قولهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون والغائدة فيدهم أنهم أمروا أنفسهم بالتوكل على الله فى قوله وما لنا أن لا نتوكل على الله ثم لا نفرغوا من أنفسهم أمرنا اتباعهم بذلك وقالوا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وذلك يدل على أن الأمر بالخير لا يؤثر قوله الا اذا أتى بذلك الخير ولا ورأت فى كلام الشيخ أنى حامدا لغزالى رحمه الله فصلا حسنا وحاصله ان الانسان اما أن يكون ناقصا أو كاملا أو خاليا عن الوصفين أما الناقص فاما أن يكون ناقصا فى ذاته ولكنه لا يسعى فى تقبص حال غيره وأما أن يكون ناقصا ويكون مع ذلك ساعيا فى تقبص حال الغير فالاول هو الضال والثانى هو الضال المضل وأما الكامل فاما أن يكون كاملا ولا يقدر على تكميل الغير وهم الاولياء واما أن يكون كاملا ويقدر على تكميل الناقصين وهم الانبياء ولذلك قال عليه السلام علماء أمتى كأئنياء نبي اسرائيل ولما كانت مراتب النقصان والكمال ومراتب الاكل والاضلال غير متناهية بحسب الكمية والكيفية لاجرم كانت مراتب الولاية والحياة غير متناهية بحسب الكمال والنقصان فالولى هو الانسان الكامل الذى لا يقوى على التكميل وانبيى هو الانسان الكامل المكمل ثم قد تكون قوته الروحانية النفسانية وافية بتكميل انسانين ناقصين وقد تكون أقوى من ذلك فينبى بتكميل عشرة ومائة وقد تكون تلك القوة قاهرة قوية تؤثر تأثير الشمس فى العالم فيقلب أرواح أكثة أهل العالم من مقام الجهل الى مقام المعرفة ومن طلب الدنيا الى طلب الآخرة وذلك مثل روح محمد صلى الله عليه وسلم فان وقت ظهوره كان العالم مملوا من اليهود وأكثرتهم كانوا مشبهة ومن النصارى وهم حواريه ومن الجوس وقبح مذاهبيهم ظاهروا ومن عبدة الاوثان وتخف دينهم أظهر من أن يحتاج الى بيان فلما ظهرت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سرت قوة روحه فى الارواح فقلب أكثرا أهل العالم من الشرك الى التوحيد ومن التجسيم الى التنزيه ومن الاستغراق فى طلب الدنيا الى التوجه الى عالم الآخرة فمن هذا المقام يتكشف للانسان مقام النبوة والرسالة اذا عرفت هذا فنقول قوله وما لنا أن لا نتوكل على الله اشارة الى ما كانت حاصلة لهم من كالات نفوسهم وقولهم فى آخر الامر وعلى الله فليتوكل المتوكلون اشارة الى تأثير أرواحهم الكاملة فى تكميل الارواح الناقصة فهذه أسرار عالية مخزونة فى ألفاظ القرآن فمن نظر فى علم القرآن وكان غافلا عنها كان محروما من أسرار علوم القرآن والله

للمخاطبين أيضا مبالغة فى النهى عن التوخيخ باعلام أنهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسليية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أنى لم أخذه و يؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذبلوا

جوابهم ببيان ان لاجدوى في ذلك فقالوا (مالنا من محيص) من منجي ومهرب من العذاب من حاص الجار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالبيت والمصيف أو مصدر كالغيب والمشيبي وهي جملة مفسرة لاجال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب أو حال مؤكدة أو بدل منه (وقال الشيطان) الذي أضل كلا الفريقين واستبهمهما عند ما عتبه بما قاله الاتباع للمستكبرين (لما قضى) ٣٣٤ (الامر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيباً في محفل الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) أي وعداً من حقه ان يخرج فأنجزه أو وعداً أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدكم) أي وعداً باطل وهو أن لا بعث ولا جزاء ولئن كان فلا صنم شفعاؤكم ولم يصرح بيطلانه لما دل عليه قوله (فأخلفكم) أي موعدى على حذف لمفعول الثاني أي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه كان قادراً على انجازه وأنى له ذلك (وما كانلى عليكم من سلطان) أي تسلط أو حجة تدل على صدق (الأن دعوتكم) الادعائى اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه أبرزه في مبرزه على طريقه حجة ينهم ضرب وجع مبالغته في نفى السلطان

أعلم وفي الآية وجه آخر وهو ان قوله وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون المراد منه ان الذين يظلمون سائر المجزات وجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله تعالى لا على ما ظنوا من ان شاء الله تعالى بظهورها أو ما ظنوا في آخر الآية ولنصبرن على ما آتينا وعلى الله فليتوكل المتوكلون المراد منه الامر بالتوكل على الله في دفع شر الناس الكفار وسفاهتهم وعلى هذا التقدير فالتكرار غير حاصل لان قوله وعلى الله فليتوكل وارد في موضعين مختلفين بحسب مقصودين متغايرين وقيل أيضاً الاول ذكر لاستحداث التوكل والثاني للسعي في إبقائه وادامته والله أعلم * قوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسولهم اخرجكم من أرضنا أولنعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن المسلمين ولنسكنكنكم الأرض من بعدهم ذلك لن يخاف مقامى وخاف وعيد واستفحوا وخاف كل جبار عنيد من ورأه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورأه عذاب غليظ) اعلم انه تعالى لما حكي عن الانبياء عليهم السلام انهم اكنفوا في دفع ضرور أعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطنه حكي عن الكفار أنهم بالغوا في السفاهة وقالوا اخرجكم من أرضنا أولنعودن في ملتنا والمعنى ليكون أحد الامرين لا محالة اما اخرجكم واما عودكم الى ملتنا والسبب فيه ان أهل الحق في كل زمان يكونون قليلين وأهل الباطل يكونون كثيرين والظلمة والفسقة يكونون متعاونين متعاضدين فلهذه الأسباب قدروا على هذه السفاهة فان قيل هذا يؤهم أنهم كانوا على ملتهم في أول الامر حتى يعودوا فيها قلنا الجواب من وجوه (الاول) ان أولئك الانبياء عليهم السلام انما نشؤوا في تلك البلاد وكانوا من تلك القبائل وفي أول الامر ما أظهروا المخالفة مع أولئك الكفار بل كانوا في ظاهر الامر معهم من غير اظهار مخالفة فالتقوم ظنوا هذا السبب انهم كانوا في أول الامر على دينهم فلهذا السبب قاوا أولنعودن في ملتنا (الوجه الثاني) ان هذا حكاية كلام الكفار ولا يجب في كل ما قالوه أن يكونوا صادقين فيه فاعلمهم توهموا ذلك مع انه ما كان الامر كما توهموه (والثالث) لعل الخطاب وان كان في الظاهر مع الرسل الآن المقصود بهذا الخطاب أتباعهم وأصحابهم ولا بأس أن يقال انهم كانوا قبل ذلك الوقت على دين أولئك الكفار (الرابع) قال صاحب التفسير العود بمعنى الصيرورة كثير في كلام العرب (الخامس) لعل أولئك الانبياء كانوا قبل ارسالهم على مله من الملل ثم انه تعالى أوحى اليهم بنسخ تلك الملّة وأمرهم بشريعة أخرى وبقي الاقوام على تلك الشريعة التي صارت منسوخة مصرين على سبيل الكفر وعلى هذا التقدير فلا يبعد أن يطلبوا من الانبياء أن يعودوا الى تلك الملّة (السادس) لا يبعد أن يكون المعنى اولنعودن في ملتنا أي الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عن ذكر معابرة ديننا وعدم التعرض له بالظن والتدح وعلى جميع هذه الوجوه فالسؤال زائل والله أعلم واعلم ان الكفار لما

عن نفسه كأنه قال انما يكونلى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من يابه ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً * ذكروا (فاستجبتلى) فاسترعتهم اجابتنى (فلا تلومونى) بوعدى اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة التفسير والاجاء كما يدل عليه الغاء وقرى بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرى بهم (ولوموا أنفسكم) حيث استجبتلى باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل

بمجرد تزوير وسويل ولم تستجيبوا بكم اذ دعاكم دعوة الحق لقرونه بالبينات والجمع وليس مراده التوصل عن توجة
اللائمة اليه بالمره بل بيان أنهم أحق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي
في ذلك أن يكون قدرته الكسابة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق أفعاله حسبما يختاره
وعليه تقرب السعادة والشقاوة وما قيل ﴿ ٣٣٥ ﴾ من أنه يستدعى أن يقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله

قضى عليكم الكفر
وأجبركم عليه ميني
على عدم الفرق بين
مذهب أهل الحق وبين
مسلك الجبرية (ما أنا
بمصرخكم) أي بمغيبكم
نمأتهم فيه من العذاب
(وما أنتم بمصرخي)
مما أنافيه وانما تعرض
لذلك مما أنتم لم يكن في حيز
الاحتمال مبالغة في بيان
عدم اصراخه اليهم
وايذا بانابانه أيضا مبتلى
بمثل ما ابتلوا به ومحتاج
الى الاصراخ فكيف
من اصراخ الغير ولذلك
آرا الجملة الاسمية فكان
ما مضى كان جوابا عنه
عن توخيهم وتقريرهم
وهذا جواب عن استغاثتهم
واستعانة به في استدفاع
مادهمهم من العذاب
وقرى بكسر الياء
(اني كفرت) اليوم
(بما أشركتوني من قبل)
أي بأشرككم ابائي
بمعنى تبرأت منه واستنكرته
كقوله تعالى و يوم القيامة
يكفرون بشرككم يعني
أن أشرككم لي بالله

ذكر وهذا الكلام قال تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض
من بعدهم قال صاحب الكشاف لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اصحار القول أو اجراء
الانحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حنيفة ليهلكن الظالمين وليسكننكم بالياء
اعتبارا لأوحى فان هذا اللفظ لفظ الغيبة ونظيره قولك أقسم زيد ليخرجن ولا يخرجن
والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونظيره قوله وأورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من أذى جاره أورثه الله داره وأعلم ان هذه الآية تدل على أن من توكل على ربه
في دفع عدوه كفاه الله امره عدوه ثم قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فقوله ذلك
اشارة الى أن ما قضى الله تعالى به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اثر ذلك
الامر حق لمن خاف مقامي وفيه وجوه (الاول) المراد موقفي وهو موقف الحساب لان
ذلك الموقف موقف الله تعالى الذي يقف فيه عباد يوم القيامة ونظيره قوله وأما من خاف
مقام ربّه وقوله ولن خاف مقام ربّه جنتان (الثاني) ان المقام مصدر كاقامة يقال قام
قيامًا ومقامًا قال الفراء ذلك لمن خاف قياي عليه ومرأيتي اياه كقوله أفن هو قائم على
كل نفس بما كسبت (الثالث) ذلك لمن خاف مقامي أي أقامتي على العدل والصواب فانه
تعالى لا يقضي الا بالحق ولا يحكم الا بالعدل وهو تعالى مقيم على العدل لا يميل عنه
ولا يخرف البنية (الرابع) ذلك لمن خاف مقامي أي مقام انعائدي عندي وهو من باب
اضافة المصدر الى المفعول (الخامس) ذلك لمن خاف مقامي أي لمن خافني وذكر المقام
ههنا مثل ما يقال سلام الله على المجلس القلاني العالي والمراد سلام الله على فلان فكذا
ههنا ثم قال تعالى وخاف وعيد قال الواحدي الوعيد اسم من أوعد ايعادا وهو
التهديد قال ابن عباس خاف ما أوعدت من العذاب وأعلم انه تعالى ذكر أولا قوله ذلك
لمن خاف مقامي ثم عطف عليه قوله وخاف وعيد فهذا يقتضي أن يكون الخوف من الله
تعالى مقيرا للخوف من وعيد الله ونظيره ان حب الله تعالى مغاير لحب ثواب الله وهذا
مقام شريف عال في اسرار الحكمة والتصديق ثم قال تعالى واستفتحوا وفيه
مسئلتان (المسئلة الاولى) للاستفتاح ههنا معنيان أحدهما طلب الفتح بالنصرة فقوله
استفتحوا أي واستنصروا الله على أعدائهم فهو كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
والثاني الفتح الحكيم والقضاء فقول ربنا واستفتحوا أي واستحكموا والله وسأولهم القضاء
بينهم وهو مأخوذ من الفتح وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اذا
عرفت هذا فقول كلا القولين ذكره المفسرون أما على القول الاول فالمستفتحون هم
الرسول وذلك لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أسوا من ايمانهم قال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس الآية وقال لوط
رب انصرنى على القوم المفسدين وأما على القول الثاني وهو طلب الحكومة والقضاء

سبحانه هو الذى يطعمكم في نصرتي لكم بان كل لكم على حق حيث جعلتموني معبودا وكنت أود ذلك وأرغب
فيه فاليوم كفرت بذلك ولم أجد له ولم أقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة أو كفرت
من قبل حين آيت السجود لآدم بالذي أشركتموني به والله تعالى كافى قوله سبحانه ما سخر كن لنا فيكون تعليلا لعدم
اصراخه فان الكافر

فإنه سبحانه يعمد من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة أو الشفاعة وأما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له
اذلا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان التعليل عدم اصراخهم بكفره بوجههم بسبيل من ذلك اولا المانع
من جهته (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تمت كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثاله لطف
للسامعين وإيقاظهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا ﴿ ٣٣٦ ﴾ هواقبهم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا

الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم) أي بأمره
أو بتوفيقه وهدايته
وفي الترمذ لوصف
الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم اظهرهم
للطف بهم والمدخلون هم
الملائكة عليهم السلام
وقرى على صيغة التكلم
فيكون قوله تعالى باذن
ربهم متعلقا بقوله تعالى
(يحييهم فيها سلام)
أي يحييهم الملائكة
بالسلام بأذن ربهم (ألم تر)
الخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم وقد علق بما بعده
من قوله تعالى (كيف
ضرب الله مثلا) أي كيف
اعتمد، ووضع في موضعه
الملائكة به (كلمة طيبة)
منصوب بمضمر أى جمل
كلمة طيبة هي كلمة التوحيد
أو كل كلمة حسنة كالسبيحة
والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة (كشجرة
طيبة) أي حكم بأنها
مثلها لانه تعالى صبرها
مثلها في الخارج وهو تسمير
أقوله ضرب الله مثلا

فلاولى أن يكون المستفتحون هم الائم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل
صادقين فمدنا ومنه قول كفار قرىش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء وكقول آخرين اننا بعذاب الله ان كنت من الصادقين (المسئلة
الثانية) قال صاحب الكشف قوله واستفتحوا معطوف على قوله أوحى اليهم وقرى
واستفتحوا باللفظ الأمر وعطفه على قوله تشهد لكن أى أوحى اليهم ربهم وقال لهم تشهد لكن
وقال لهم استفتحوا ثم قال تعالى وخاب كل جبار عنيد وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى)
ان قلنا المستفتحون هم الرسل كان المعنى ان الرسل استفتحوا فنصر واوظفوا بمقصودهم
وفازوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وان قلنا المستفتحون هم الكفرة فكان المعنى
ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم انهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل
جبار عنيد منهم وما أفلح بسبب استفاحه على الرسل (المسئلة الثانية) الجبار ههنا المتكبر
على طاعة الله تعالى وعبادته ومنه قوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا قال أبو عبيدة عن الاحمر
يقال فيه جبرية وجبروت وجبروت وحكي الزجاج الجبرية والجبر بكسر الجيم
والياء والتجبار والجبرياء قال الواحدي فهي ثمان لغات في مصدر الجبار وفي الحديث
ان امرأه حضرت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أمر أذبت عليه فقال دعوها فانها
جبارة أى متكبرة وأما العنيد فقد اختلف أهل اللغة في اشتقاقه قال انضر بن شبل
العود الخلاف والتباعد والترك وقال غيره أصله من العند وهو الناحية يقال فلان يمشى
عند أى ناحية فمضى عاندا وعندا أخذ في ناحية معرضا وعاندا فلان فلانا ذاجبا وكان منه
على ناحية اذا عرفت هذا فنقول كونه جبارا متكبرا اشارة الى الخلق المتعسائي وكونهم
عنيدا اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجابعا عن الحق منحرفا عنه ولا شك
أن الانسان الذي يكون خلقه هو التجبر والتكبر وفعله هو العنود وهو الانحراف عن
الحق والصدق كان خائبا عن كل الخبرات خاسرا عن جميع أقسام السعادات واعلم انه
تعالى لما حكم عليه بالخيبة ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بأمر الاول
قوله من وراءه جهنم وفيه اشكال وهو ان المراد امامه جهنم فكيف أطلق لفظ الوراء على
القدام والامام وأجابوا عنه من وجوه (الاول) أن لفظ وراء اسم لما يورى عنك وقدام
وخلف متوار عنك فصيح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما قال الشاعر

عسى الكبر الذي أمسيت فيه * يكون وراء فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراء كل أحد الثاني قال أبو عبيدة وابن السكيت الوراء من الاضداد
يقع على الخلف والقدام والسبب فيه ان كل ما كان خلفا فانه يجوز أن يتقلب قدما
وبالعكس فلا جرم جاز وقوع لفظ الوراء على القدام ومنه قوله تعالى وكان وراءهم
ملك يأخذ أى أمامهم ويقال الموت من وراء الانسان (الثاني) قال ابن الجبارى وراء
بمعنى بعد قال الشاعر * وليس وراء الله للمرء مذهب * أى وليس بعد الله مذهب اذا

كذلك شرف الامير زيد اكساه حلة وحمله على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلا من مثلا ثبت
وكشجرة صفها أو خبر مبتدا محذوف أى هي كشجرة وأن يكون أول مفعولى ضرب اجراءه مجرى جعل قدأخر
منه، ثانيهما أعنى مثلا لثلا يعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بارفع على الابتداء (أصلها ثابت)

ي ضارب بعروقه في الارض وقرا أنس بن مالك رضي الله عنه لشجرة طيبة ثابت أصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وأنسب بقريته أعنى قوله تعالى (وفرعها) أى أعلاها (في السماء) في جهة العلو ويجوز أن يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع (تؤتى أكلها) تعطى ثمرها (كل حين) وقته الله تعالى لا ثمرها (باذن ربها) بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنوعة اما النخلة كما * ٣٣٧ * روى مرفوعا وشجرة في الجنة (ويضرب الله

الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصور للعصاة بصور المحسوسات (ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) أى كمثل شجرة خبيثة قبل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالخنظل والكشوث ونحوهما وتغير الاسلوب للايدان بأن ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد (اجنت) استوصلت وأخذت جنتها بالكلية (من فوق الارض) لتكون عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار عليها (ثبت الله الذين آمنوا) يقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم ويمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها الحميدة (في الحياة الدنيا) فلا يزالون

ثبت هذا فنقول انه تعالى حكم عليه بالحياة في قوله وخاب كل جبار عنيد ثم قال من ورائه جهنم أى ومن بعده هذه الحياة يدخل جهنم (النوع الثاني) مما ذكره الله تعالى من أحوال هذا الكافر قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وفيه سؤالان (السؤال الاول) علام عطف ويسقى الجواب على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى من ماء صديد (السؤال الثاني) عذاب أهل النار من وجوه كثيرة فلم يخص هذه الحالة بالذكر الجواب يشبه أن تكون هذه الحالة أشد انواع العذاب فخصص بالذكر مع قوله وبأنيبه الموت من كل مكان وما هو ميت (السؤال الثالث) ما وجه قوله من ماء صديد الجواب انه عطف بيان والتقدير أنه لما قال ويسقى من ماء فكانه قيل وما ذلك الماء فقال صديد والمصديد ما يسيل من جلود أهل النار وقيل التقدير ويسقى من ماء كالصديد وذلك بأن يخلق الله تعالى في جهنم ما يشبه الصديد في الشق والغلظ والقذارة وهو أيضا يكون في نفسه صديدا لان كراهته تصدع عن تناوله وهو كقوله وسقوا ماء حميا فقطع اعماهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب (السؤال الرابع) ما معنى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الجواب التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار ويقال ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغا وأساغه اساغه واعلم أن يكاد فيه قولان (أحدهما) أن نفيه اثبات وإثباته نفي فقوله ولا يكاد يسيغه أى ويسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كنت أقوم أى قت بعد ابطاء قال تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يعنى فعلوا بعد ابطاء والدليل على حصول الاساغة قوله تعالى يصهر به مافي بطونهم والجلود ويحصل الصهر الابعد الاساغة وأيضا فان قوله يتجرعه يدل على انهم أساغوا الشيء بعد الشيء فكيف يصح أن يقال بعده انه يسيغه البته (والقول الثاني) ان كاد للمقاربة فقوله لا يكاد لنفي المقاربة يعنى ولم يقارب أن يسيغه فكيف يحصل الاساغة كقوله تعالى لم يكذبوا ما لم يقرب من رويتها فكيف يراها فان قيل فقد ذكرت الدلائل على حصول الاساغة فكيف يجمع بينهما وبين هذا الوجه قلنا ساعنه جوابان أحدهما ان المعنى ولا يسيغ جهه كانه يجرع البعض وما ساغ الجميع * الثاني أن الدليل الذي ذكرتم اعتمادا على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكافر الا ان ذلك ليس باساغة لان الاساغة في اللغة اجراء الشراب في الحلق بقبول النفس واستطابة المشروب والكافر يتجرع ذلك الشراب على كراهية ولا يسيغه أى لا يستطيبه ولا يشربه شر باجرة واحدة وعلى هذين الوجهين يصح حل لا يكاد على نفي المقاربة والله أعلم (النوع الثالث) مما ذكره الله تعالى في وعيد هذا الكافر قوله وبأنيبه الموت من كل مكان وما هو بميت والمعنى ان موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت وقيل من كل جزء من أجزاء جسده (النوع الرابع) قوله ومن ورائه عذاب غليظ وفيه وجهان الاول ان المراد من العذاب الغليظ كونه دائما غير منقطع الثاني انه في كل وقت

عنه اذا افتتوا في دينهم كزكريا ويحيى * ٤٣ * خا وجرجيس وشمسون والذين قتلهم أصحاب الاخدود (وفي الآخرة) فلا يملعون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولانهم شهيم أهوال القيامة أو عند سؤال القبر * روى أنه علمه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فأنته ملكان فجلسانه

في فبرة فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبيى محمد عليه الصلاة والسلام فينادى مناد من السماء انه صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بما نقول الثابت وهذا مثال ابتداء الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال الطبعي في تفسيره أخبرنى أبو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الخطاطيقول سمعت سهل بن عمار العملى ٣٣٨ يقول رأيت يزيد ابن هرون في منامى بعد موته

فقلت ما فعل الله بك قال أنا في قبرى ملكان فظان فقال من ربك وما دينك ومن نبيك فأخذت بالحيتى البيضاء فقلت اهما أثنى يقال هذا وقد علمت الناس نجوا بكما ثمانين سنة فذهبا (ويضل الله الظالمين) أى يخلق فيهم الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله وو صفهم بالظلم اما اعتبار وضعهم للشيء نى غير موضعه واما اعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله نى فطر الناس عليها لم يهتدوا الى القول ثابت أو كل من ظلم نفسه بالاقتصار على تقليد الاعراض هن نبات الواضحة فلا ثبت في مواقف الغنى ليهتدى الى الحق راد بالذين آمنوا حينئذ فخلصون في الايمان

يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله قال المفضل هو قطع الانفاس وجسها فى الاجساد والله أعلم * قوله تعالى (مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ) ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز (اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع عذابهم فى الآية المتقدمة بين فى هذه الآية ان أعمالهم بأسرها تصير ضائعة باطلة لا يذغون بشئ منها وعند هذا يظهر كل خسراتهم لانهم لا يجتهدون فى القيامة الا لعقاب الشديده وكل ما علموه فى الدنيا وجدوه ضائعا باطلا وذلك هو الحسران الشديده وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) فى ارتفاع قوله مثل الذين وجوه (الاول) قال سيويه التقدير فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا أو مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم وقوله كرماد جلة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (الثانى) قال الفراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا برهم كرماد فحذف المضاعف اعتمادا على ذكره بعد المضاعف اليه وهو قوله أعمالهم ومثله قوله تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه أى خلق كل شئ وكذا قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة (الثالث) أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول (الرابع) أن تكون أعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا واتقدير مثل أعمالهم وقوله كرماد هو الخبر (الخامس) أن يكون المثل صلة وتقديره الذين كفروا أعمالهم (المسئلة الثانية) اعلم أن وجه المسابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو أن الريح العاصف تظير الرماد وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر فكذا ههنا أن كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبر ولا أثر ثم اختلفوا فى المراد بهذه الاعمال على وجوه (الاول) أن المراد منها ما علموه من أعمال البر كالصدقة وصلة الرحم وبر الوالدين وإطعام الجائع وذلك لانها تصير محبطة باطلة بسبب كفرهم بالله والوجه فى خسراتهم انهم صيروها محبطة باطلة بسبب كفرهم ولولا كفرهم لانفعوا بها (واقول الثانى) أن المراد من تلك الاعمال عبادتهم للاصنام وما تكلفوه من كفرهم الذى ظنوه ايمانا وطريقا الى الخلاص والوجه فى خسراتهم انهم أتعبوا أبدانهم فيها الدهر الطويل لكى ينفعوا بها فصارت وبالاعليهم (واقول الثالث) أن المراد من هذه الاعمال كلا القسمين لانهم اذا رأوا الاعمال التى كانت فى أنفسهم خيرات قد بطلت والاعمال التى ظنوها خيرات وأفوا فيها أعمارهم قد بطلت أيضا وصارت من أعظم الموجبات لعذابهم فلا شك انه تعظم حسرتهم وندامتهم فلذلك قال تعالى ذلك هو الضلال البعيد (المسئلة الثالثة) قرئ الريح فى يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الريح كقولك يوم ماطر وليلة ساسكة

استحقون فى الايقان كما ينبغي هذه التثبيت لكنه يومهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لاعن ايقان * وانما خلة تحت مالأقارله من الشجرة المضروبة مثلا (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرى سما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة القتضية لذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى الموضعين من التفخمة وزينة هابة مالا يخفى مع ما فيه من

الايدان بالغاوت في ميدا التثبيت والاضلال فان ميذا صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلا غير ما هو ميذا صدور الآخر (المتر) تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أول كل أحد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى ادراك أى ألم تنظر (الى الذين بدأوا النعمة بالله) أى شكر نعمته تعالى بأن وضوا موضعده (كفرا) عظيما وخطا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها ﴿ ٣٣٩ ﴾ سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كأهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه

وأسكنهم حرمة الأمن
الذى يجي اليه ثمرات كل
شئ وجعلهم قوام بيته
وشرفهم بمحمد عليه
الصلاة والسلام فكفروا
ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا وأسروا ويوم بدر
فصاروا أذلاء مسلوبى
النعمة باقين بالكفر بدلها
وعن عمرو على رضى الله
عنهما هم الافجران من
قريض بنو المغيرة وبنو
أمية أما بنو المغيرة
فكفروهم يوم بدر وأما
بنو أمية فقتلوا الى حين
كأنهم مائتا ولان ما سئل
من قوله عز وجل قل
تمتعوا الآية (وأحلوا)
أى أنزلوا (قومهم)
بارشادهم إياهم الى
طريقة الشرك والاضلال
وعدم التعرض لحلولهم
لدلالة الاحلال عليه
اذ هو فرع الحلول كقوله
تعالى يقدم قومهم يوم
القيامة فأوردتهم النار
(دارالبوان) دار الهلاك
الذى لاهلاك وراءه
(جهنم) عطف بيان

وانما السكور لريحها قال القراء وان شئت قلت في يوم ذى عصوف وان شئت قلت في يوم عاصف الريح فحذف ذكر الريح لكونه مذكورا قبل ذلك وقرئ في يوم عاصف بالاضافة (المسئلة الرابعة) قوله لا يقدرון مما كسبوا على شئ أى لا يقدرون مما كسبوا على شئ منتهق به لافى الدنيا ولا فى الآخرة وذلك لانه ضاع بالكلية وفسد وهذه الآية دالة على كون العبد مكنسبا لافعاله واعلم انه تعالى لما تم هذا المثال قال ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجه النظم انه تعالى لما بين ان أعمالهم تصير باطلة ضائعة بين ان ذلك البطلان والاحباط انما جاء بسبب صدر منهم وهو كفرهم بالله واعراضهم عن العبودية فان الله تعالى لا يطل أعمال المخالسين ابتداء وكيف يليق بحكمته أن يفعل ذلك وانه تعالى ما خلق كل هذا العالم الاداعية الحكمة والصواب (المسئلة الثانية) قرأ حرة والكسائى خالق السموات والارض على اسم الغافل على انه خبير ان السموات والارض على الاضافة كقوله فاطر السموات والارض فائق الاصباح وجاعل الليل سكنا والياقون خلق على فعل الماضى السموات والارض بالنصب لانه مفعول (المسئلة الثالثة) قوله بالحق نظير لقوله في سورة يونس ما خلق الله ذلك الا بالحق وقوله في آل عمران ربنا ما خلقنا هذا باطلا وقوله في ص وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا أما أهل السنة فيقولون الا بالحق وهو دلالتهم على وجود الصانع وعلمه وقدرته وأما المعتزلة فيقولون الا بالحق أى لم يخلق ذلك عبثا بل لغرض صحيح ثم قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد والمعنى ان من كان قادرا على خلق السموات والارض بالحق فبأن يقدر على افناء قوم وامانتهم وعلى ايجاد آخرين واحيايتهم كان أولى لان القادر على الاصعب الاعظم بأن يكون قادرا على الاسهل الاضعف أول قال ابن عباس هذا الخطاب مع كفار مكة يريد أميتكم يا معشر الكفار وأخافى قوم اخيرا منكم وأطوع منكم ثم قال وما ذلك على الله بعزيز مما ذكرنا أن القادر على افناء كل العالم وايجادهم بأن يكون قادرا على افناء أشخاص مخصوصين وايجاد أمثالهم أولى وأحرى والله أعلم قوله تعالى (و برزوا لله جميعا فقال الضعفاء الذين استكبروا انا كنا لكم تبعاه فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيى) اعلم أنه تعالى لما ذكر أصناف عذاب هؤلاء الكفار ثم ذكر عقبيه أن أعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر في هذه الآية كيفية خجاتهم عند تمسك أتباعهم بهم وكيفية افئاضاحهم عندهم وهذا اشارة الى العذاب الروحاني الحاصل بسبب الفضيحة والخلالة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) برز معناني الآفة ظهر بعد الخفاء ومنه يقال للمكان الواسع البراز لظهوره وقيل في قوله وترى الارض بارزة أى ظاهرة لا يستترها شئ وامرأة بارزة اذا كانت تظهر للناس ويقال برز فلان على أقرانه اذا فاقهم وسببهم وأصله في الخيل اذا سبق أحد هاقيل برز عليها كأنه

لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التحويل (يصلونها) حال منها أى داخلين فيها مقاسين لحرها أو امتثان لبيان كيفية الحلول أو مفسر لافعل بقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار أنسب بالتفسير الاول

(وبس القرار) على حذف المحصور بالدم أي بس المخرجهم أو بس العرار فراحهم وبها وفيه بيان أن حلولهم وصلهم على وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهم في حيز الصلة وحكم التعجب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (لله) الفرد العمد الذي ليس كمثل شيء وهو الواحد القهار (أندادا) أشباها في النسبة أو في العباد (أيضوا) قومهم الذين يشابهونهم حسبما ضاوا (عن سبيله) ﴿٣٤٠﴾ القويم الذي هو التوحيد

ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى إلى احلالهم دار البوار لثنية التعجب وتكريره والإيدان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للاضلال أمر يقضى منه العجب ولو سبق النظم على نسق الوجود لم يفهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ أيضا بالغنم وأياما كان فلاس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالفرض وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية (قل) تهديد الأولئك الضالين المضلين ونعيا

خرج من غمارها فظهر إذا عرفت هذا فنقول ههنا أبحاث (البحث الأول) قوله ويرزوا ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو صدق وحق فصاركأنه قد حصل ودخل في الوجود ونظيره قوله ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة (البحث الثاني) قد ذكرنا أن البروز في اللفظ عبارة عن الظهور بعد الاستتار وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد فيه من التأويل وهو من وجوه (الأول) أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويطنون أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وعلوا أن الله لا يخفى عليه خافية (الثاني) أنهم خرجوا من قبورهم فبرزوا والحساب الله وحكمه (الثالث) وهو تأويل الحكماء أن النفس إذا فارقت الجسد فكأنه زال الغطاء والوطاء وبقيت مجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز لله (البحث الثالث) قال أبو بكر الأصم قوله ويرزوا الله هو المراد من قوله في الآية السابقة ومن وراءه عذاب غليظ واعلم أن قوله ويرزوا الله قريب من قوله يوم تبلى السرائر فإنه من قوة ولا ناصر وذلك لأن البواطن تظهر في ذلك اليوم والاحوال الكامنة تنكشف فإن كانوا من السعداء برزوا للحاكم الحكم بصفتهم القدسية وأحوالهم العلوية ووجوههم المشرقة وأرواحهم الصافية المستنيرة فتجلى لها نور الجلال ويعظم فيها اشراق عالم القدس فما أجل تلك الاحوال وإن كانوا من الأشقياء برزوا الموقف العظيمة ومنازل الكبرياء ذليلين مهينين خاضعين خاشعين واقعين في خزي الحجالة ومذلة الفضيحة وموقف المهانة والفرع نفوذ بالله منها ثم حكي الله تعالى أن الضعفاء يقولون للرؤساء هل تذكرون هل دفع عذاب الله عنا والمعنى أنه إنما تبعناكم لهذا اليوم ثم إن الرؤساء يعترفون بالخزي والعجز والذل قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما ننامن عذاب الله من محيص ومن المعلوم أن اعتراق الرؤساء والسادة والمتبوعين بمثل هذا العجز والخزي والتكال يوجب الحجالة العظيمة والخزي الكامل التام فكان المقصود من ذكر هذه الآية استيلاء عذاب الفضيحة والحجالة والخزي عليهم مع ما تقدم ذكره من سائر وجوه أنواع العذاب والعقاب نفوذ بالله منها والله أعلم (المسئلة الثانية) كتبوا الضعفاء بواو قبل الهجمة في بعض المصاحف والسبب فيه أنه كتب على لفظ من يفهم الالف قبل الهجمة فيجعلها إلى الواو ونظيره علماء بني إسرائيل (المسئلة الثالثة) الضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبرواهم السادة والكبراء قال ابن عباس المراد أكابرهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى أنا كئنا لكم تبعا أي في الدنيا قال الفراء وأكثر أهل اللغة التبع جمع تابع مثل خادم وخدم وياقرو بقر وحارس وحرس وراصد ورصد قال الزجاج وجاز أن يكون مصدر اسمي به أي كئنا ذوى تبع واعلم أن هذه التبعية يحتمل أن يقال المراد منها التبعية في الكفر ويحتمل أن يكون المراد منها التبعية في أحوال الدنيا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي هل يمكنكم دفع عذاب

عليهم وإيدان بأنهم لشدة بائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوا أنهم عن ذلك بحال ﴿الله﴾ أحق بأن يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عتات العظة ويخلوا شأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمر وابتاشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارة إلى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم (تمتعوا) بما أنتم عليه من الشهوات التي من جللتها

تقران النعم العظام واستبغ الناس في عبادة الاصنام (فان مصيركم الى النار) ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويتنصيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبا يلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوارخ فهو تعليل للامر المتأمرور به من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف أو قل لهم نصو ر الحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا * ٣٤١ * بأنهم لقرط انعماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلو بهم

ولا عا طف بشيهم
 ما مرون بذلك من قبل
 أمر الشهوة مذعنون
 لحكمه متقادون لآمره
 كدأب مأمور ساع
 في خدمة أمر مطاع
 فليس قوله تعالى فان
 مصيركم الى النار حيثئذ
 تعليل للامر بل هو
 جواب شرط ينصب
 عليه الكلام كأنه قبل
 هذه حالكم فان دتم
 عليه فان مصيركم الى
 النار وفيه التهديد
 والوعيد لافى الامر
 (قل لعبادي الذين
 آمنوا) خصهم بالاضافة
 اليه تنويعا لهم وتنبيها
 على أنهم المقيمون
 لوظائف العبودية
 الموفون بحقوقها وترك
 العاطف بين الامرين
 للايدان ببيان حالهما
 باعتبار القول تهديدا
 وتشريفا والمقول ههنا
 محذوف دل عليه الجواب
 أي قل لهم أقيموا وأنفقوا
 (بقيام الصلوة وبنفقوا
 مآرز قاهم) أي يداموا
 على ذلك وفيه ايدان

الله عسا فان قبل لما الفرق بين من في قوله من عذاب الله وبينه في قوله من شيء قلنا كلاهما للتبيين بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو عذاب الله أي بعض عذاب الله وعند هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا انهم قالوا لو هدانا الله لهدينناكم وفيه وجوه (الاول) قال ابن عباس معناه لو أرشدنا الله لأرشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله تعالى أضلهم ولم يهدهم فدعوا أتباعهم الى الضلال ولو هداهم لدعوهم الى الهدى قال صاحب الكشاف لعلمهم قالوا ذلك مع انهم كذبوا فيه ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون كما يحلفون لكم واعلم أن المعتزلة لا يجوزون صدور الكذب عن أهل القيامة فكان هذا القول منه مخالفا لاصول مشايخه فلا يقبل منه (الثاني) قال صاحب الكشاف يجوز أن يكون المعنى لو كننا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينناكم الى الايمان وذكر القاضي هذا الوجه وزينه بان قال لا يجوز حل هذا على اللطف لان ذلك قد فعله الله تعالى (والثالث) أن يكون المعنى لو اخلصنا الله من العقاب وهدانا الى طريق الجنة لهدينناكم والدليل على أن المراد من الهدى هذا الذي ذكرناه أن هذا هو الذي التمسوه وطلبوه فوجب أن يكون المراد من الهداية هذا المعنى ثم قال سواء علينا أجزعنا أم صبرنا أي مستوعينا الجزع والصبر والهزيمة وأم للتسوية ونظيره اصبوا أولات صبر واسواء عليكم ثم قالوا ما لنا من محبص أي منجى ومهرب والمحبص قد يكون مصدرا كالمغيب والمشبوب ومكانا كالبيت والمضيق ويقال حاص عنه وحاض بمعنى واحد والله أعلم * قوله تعالى (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بصرحكم وما أنتم بمصرخي اني كبرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم) اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع من كفر الانس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين أتباعه من الانس فقال تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر وفي المراد بقوله لما قضى الامر وجوه (الاول) قال المفسرون اذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أخذ أهل النار في اوم ابليس وتقرعهم فيقوم في النار فيما بينهم خطيبا ويقول ما أخبر الله عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر (الثاني) ان المراد من قوله قضى الامر لما انقضت المحاسبة والقول الاول أولى لان آخر أمر أهل القيامة استقرار المطيعين في الجنة واستقرار الكافرين في النار ثم يدوم الامر بعد ذلك (وأقول الثالث) وهو أن مذهبا ان الفساق من أهل الصلاة يخرجون من النار ويدخلون الجنة فلا يبعد أن يكون المراد من قوله لما قضى الامر ذلك الوقت لان في ذلك الوقت تنقطع الاحوال المعتبرة ولا يحصل بعده الا دوام ما حصل قبل ذلك وأما الشيطان فلما رآه ابليس لان لفظ الشيطان لفظ مفرد في تناول الواحد وابلليس

بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهن الى الامثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون القول ببقوا وينفقوا محذوف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله * محمد ندفنفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا * دلالة قل عليه وقبل هما جوابا أقيموا وأنفقوا قد أقيما مقامهما وليس

بذلك (سرا وعلانية) متصبا على المصدرة من الامر المقدر لامن جواب الامر المذكور أي انفقوا اتفاق ستر وعلانية والاحب في الاتفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حدث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والكون اليها كما هو صنيع الكفرة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) فبئس العاقبة ما يتلقى به تقصيره أو يقتدى به نفسه والمقصود في عقد المعاوضة ﴿٣٤٢﴾ بالبرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة

في نفي العقد ذاته اتفاق البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع (ولا خلل) ولا مخالفة فيشفع له خليل أو يسامحه بما لا يقتدى به نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لأثر فيه لما لهجوا بتعاطيه من البيع والمخالفة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالاتفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث أن كلا من فقد ان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانتفاع آثار البيع والخلل الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانساق في سبيل الله عز وجل أو من حيث أن ادخار

رأس الشباطين ورئيسهم فحمل اللفظ عليه أولى لاسيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافر قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الألبس هو الذي أضلنا فأتونه وبأسأونه فمئذ ذلك يقول هذا القول أما قوله أن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم ففيه مباحث (الاول) المراد أن الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفكم وتقرر الكلام أن النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا تصور كيفية السعادات الآخروية والكمالات الغسانية والله يدعو إليها ويرغب فيها كما قال والآخرة خير وأبقى (البحث الثاني) قوله وعد الحق من باب إضافة الشيء إلى نفسه كقوله حب الحصيد ومسجد الجامع على قول الكوفيين والمعنى وعدكم الوعد الحق وعلى مذهب البصر بين يكون التقدير وعد اليوم الحق أو الامر الحق أو يكون التقدير وعدكم الحق ثم ذكر المصدر تأكيدا (البحث الثالث) في الآية اضمحار من وجهين (الاول) أن التقدير أن الله وعدكم وعد الحق فصدقكم ووعدتكم فأخلفكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لأنهم كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان ولأنه ذكر في عهد الشيطان الاختلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله تعالى (الثاني) أن في قوله ووعدتكم فأخلفكم الوعد يقتضى مفعولا ثانيا وحذف ههنا العلم به والتقدير ووعدتكم أن لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب أما قوله وما كان عليكم من سلطان أي قدرة ومكنة وسلطان وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي والجنكم اليها الآن دعوتكم أي الإدعائي إليكم إلى الضلالة بوسوستي وتزيتي قال النحويون ليس الدعاء من جنس السلطان فقوله الآن دعوتكم من جنس قولهم ما تحبهم إلا انضرب وقال الواحدى انه استثناء منقضى أي لكن دعوتكم وعندي انه يمكن أن يقال كلمة الالهة استثناء حقيقي لأن قدرة الإنسان على حمل الغيرة على عمل من الأعمال تارة يكون بالقهر والقسر وتارة يكون بقوة الداعية في قلبه بالقاء الوسوس اليه فهذا نوع من أنواع التسلط ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على أن الشيطان لا قدرة له على تصريع الإنسان وعلى تعويج أعضائه وجوارحه وعلى ازالة العقل عنه كما يقوله العوام والخشوية ثم قال فلا تلوموني ولوموا أنفسكم يعني ما كان مني إلا الدعاء والوسوسة وكنتم تهتم لدلائل الله وشاهدتم بحجج أنبياء الله تعالى فكان من الواجب عليكم أن لا تعترفوا بقولي ولا تنتفعوا إلى فلما رجتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا على في هذا الباب وفي الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على أشياء (الاول) انه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب أن يقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فان الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه (الثاني) ظاهر هذه الآية يدل على أن الشيطان لا قدرة له على تصريع الإنسان وعلى تعويج أعضائه وعلى

المال وترك انفاقه ما يقع غالباً للتجار والمهاجرة لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره إلى وقت إزالة الموت وتخصيص التأكد بذلك ليل الطباع إلى المال وكونها مجبولة على حبه والضئ به ولا يبعد أن يكون تأكيدها لمضمون الامر بأقامة الصلاة أيضا من حيث أن تركها كثيرا ما يكون

بالاشتغال بالبيعات والمخالات كافي قوله تعالى وإذا زواجر أولهوا أنفضوا اليها وقرئ بالفتح فيه ما على إرادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطائي هو وقوعه في جواب هل فيه يعم أو خلال (الله) مبتدأ خبر (الذي خلق السموات) وما فيه من الأجرام العلوية (والأرض) وما فيه من أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بأقامة مراسم الطاعة شكر النعمه ﴿ ٣٤٣ ﴾ شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام

المثابرة على الشكر والطاعة

من النعم العظام والمن
الجسام حثا للمؤمنين
عليها وتقر بعالم الكفرة
المخلين بها الواضعين
موضعها الكفر والمعاصي
وفي جعل مبتدأ الاسم
الجليل والخبر الاسم
الموصول بتلك الأفعال
العظيمة من خلق هذه
الأجرام العظام وإنزال
الأمطار وإخراج الثمرات
وما ينلونها من الآبار
الحجبية ما لا يخفى من
تزية المهابة والدلالة
على قوة السلطان (وأنزل
من السماء) أي السحاب
فإن كل ما علك سماء أو
من الغلك فإن المبر منه
يتبدى إلى السحاب
ومنه إلى الأرض على ما
دلت عليه ظواهر
النصوص أو من أسباب
سماوية تثير الأجزاء
الرطبة من أعماق الأرض
إلى الجو فينقع سحابا
مطرًا وأيا ما كان فن
ابتدائية (ماء) أي نوعا
منه هو المطر وتقديم
المجرور على المنصوب إما

إزالة العقل عنه كما تقول الحشوية والعوام (الثالث) أن هذه الآية تدل على أن
الإنسان لا يجوز ذمه وأومه وعقابه بسبب فعل الغير وعند هذا يظهر أنه لا يجوز عقاب
أولاد الكفار بسبب كفر آبائهم أجاب بعض الأصحاب عن هذه الوجوه بأن هذا قول
الشیطان فلا يجوز التمسك به وأجاب الخصم عنه بأنه لو كان هذا القول مند باطلا
لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره وأيضاً فلا فائدة في ذلك اليوم في ذكر هذا الكلام الباطل
والقول الفاسد ألا ترى أن قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم كلام
حق وقوله وما كان لي عليكم من سلطان قول حق بدليل قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان إلا من اتبعك من العاوين (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على أن الشيطان
الأصلي هو النفس وذلك لأن الشيطان بين أنه ما أتى إلا بالسوسة فلو لا الميل الحاصل
بسبب الشهوة والغضب والوهم والخيال لم يكن أوسوسته تأثير البتة فدل هذا على أن
الشيطان الأصلي هو النفس فإن قال قائل يثبتنا حقيقة الوسوسة فلنا الفعل إنما يصدر
عن الإنسان عند حصول أمور أربعة يترتب بعضها على البعض ترتيباً لازماً طبعياً
وبيانه أن أعضاء الإنسان بحكم السلامة الأصلية والصلاحية الطبيعية صالحة للفعل
والترك والاقدم والاجام فإما يحصل في القلب ميل إلى ترجيح الفعل على الترك
أو بالعكس فإنه يمتنع صدور الفعل وذلك الميل هو الإرادة الجازمة والقصد الجازم ثم إن
تلك الإرادة الجازمة لا تحصل إلا عند حصول علم أو اعتقاد أو ظن بأن ذلك الفعل سبب
للفزع أو سبب للضرر فإن لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل الميل إلى الفعل وإلى
الترك فالخاصل أن الإنسان إذا أحس بشيء ترتب عليه شعوره بكونه ملاماً له أو بكونه
منافراً له أو بكونه غير ملام ولا منافراً فإن حصل الشعور بكونه ملاماً له ترتب عليه الميل
الجازم إلى الفعل وإن حصل الشعور بكونه منافراً له ترتب عليه الميل الجازم إلى الترك
وإن لم يحصل لأحد ولا ذلك لم يحصل الميل إلى ذلك الشيء ولا إلى ضده بل بقي الإنسان
كما كان وعند حصول ذلك الميل الجازم تصير القدرة مع ذلك الميل موجبة للفعل
إذا عرفت هذا فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة والداعي الحاصل أمر واجب
فلا يكون للشيطان مدخل فيه وصدور الميل عن تصور كونه خيراً أو تصور كونه شراً
أمر واجب فلا يكون للشيطان فيه مدخل وحصول تصور كونه خيراً أو تصور كونه
شراً عن مطلق الشعور بذاته أمر لازم فلا مدخل للشيطان فيه فليبقى للشيطان مدخل
في شيء من هذه المقامات إلا في أن يذكره شيئاً بأن يلقى إليه حديثه مثل أن الإنسان كان
خافلاً عن صورة امرأة فليلقى الشيطان حديثها في خاطر فالشيطان لا قدرة له إلا في هذا
المقام وهو عين ما حكى الله تعالى عنه أنه قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن
دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني يعني ما كان مني إلا مجرد هذه الدعوة فأما بقية المراتب
فما صدرت مني وما كان لي فيها أثر البتة * بقي في هذا المقام سؤالان (السؤال الأول)

اعتبار كونه مبدأ إنزوله أو تشريفه كافي قولك أعطاه السلطان من خزانته ما لا يملك من التشويق إلى المؤخر
(فأخرج به) بذلك الماء (من الثمرات) الفائنة للحصر أما لأن صبيح الجموع يتعاور بعضها موضع بعض وأما لأنه
ر يدبغرها جاعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستان فلان (ر زفا لكم) تعيشون به وهو بمعنى

المرزوق شامل للطعوم والملبوس مفعول لأخروج ومن للتبيين كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقا لا منه أو مصدر من أخرج بمعنى رزق أو للتبيين بدليل قوله تعالى فأخر جنسه ثمرات كأنه قيل أنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون رزقكم فلم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وخروج الثمرات وإن كان ﴿ ٣٤٤ ﴾ بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى

بافاضة صورها وكيفياتها على المواد المترجمة من الماء والتراب أو ودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعها أنواع الثمار وهو قادر على إيجاد الأشياء لأسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أن له تعالى في إنشائها مدرجا من طور إلى طور صنائع وحكما يحدد فيها الأولى الإصدار عبرا وسكونا إلى عظيم قدرته ليس ذلك في ابتدائها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقاً أن أريد به المرزوق ومفعول به أن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا لماكم (وسخر لكم الفلك) بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك (تجربى في البحر) جرياً تابعاً لإرادتكم (بأمره) بمشيئته التي ينطبعها كل شيء وتخصيصه بالذکر لتتبع على أن ذلك ليس بمزاولة الأعمال واستعمال الآلات

كيف يعقل تمكن الشيطان من النفوذ في داخل أعضاء الإنسان وإلقاء الوسوسة إليه والجواب للناس في الملائكة والشياطين قولان (القول الأول) أن ماسوى الله بحسب القسمة العقلية على أقسام ثلاثة المتخير والحال في التحيز والذي لا يكون متحيزاً ولا حالاً فيه وهذا القسم الثالث لم يبق الدليل البتة على فساد القول به بل الدلائل الكثيرة قامت على صحة القول به وهذا هو المسمى بالارواح فهذه الارواح ان كانت طاهرة مقدسة من عالم الروحانيات اقدسية فهم الملائكة وان كانت خبيثة داعية الى الشرور وعالم الاجساد ومنازل الظلمات فهم الشياطين اذا عرفت هذا فنقول فولى هذا التقدير الشيطان لا يكون جسمياً يحتاج الى الولوج في داخل البدن بل هو جوهر روحاني خبيث الفعل مجبول على الشر والنفس الانسانية ايضا كذلك فلا يبعد على هذا التقدير في أن يلقى شيء من تلك الارواح أنواعاً من الوسوس والاباطيل الى جوهر النفس الانسانية وذكر بعض العلماء في هذا الباب احتمالاً ثانياً وهو ان النفوس الناطقة البشرية مختلفة بالنوع فهى طوائف وكل طائفة منها في تدبير روح من الارواح السماوية بعضها فتوع من النفوس البشرية تكون حسنة الاخلاق كريمة الافعال موصوفة بالفرح والبشر وسهولة الامر وهى تكون منسوبة الى روح معين من الارواح السماوية وطائفة أخرى منها تكون موصوفة بالحسنة والقوة والغلاظة وعدم المبالاة بامر من الامور وهى تكون منسوبة الى روح آخر من الارواح السماوية وهذه الارواح البشرية كالاولاد لتلك الروح السماوى وكانت ائج الحاصلة وكالفروع المنفرعة عليها وذلك الروح السماوى هو الذى يتولى ارشادها الى مصالحها وهو الذى يخصها بالالهامات حاثي النوم واليقظة والقدماء كانوا يسمون ذلك الروح السماوى بالطباع الثام ولا شك ان لتلك الروح السماوى الذى هو الاصل والبنوع شعباً كثيرة ونتائج كثيرة وهى بأسرها تكون من جنس روح هذا الانسان وهى لاجل مشاكلتها ومجانستها يعين بعضها بعضاً على الاعمال الثلاثة بها والافعال المناسبة لطبائعها ثم انها ان كانت خيرة طاهرة طيبة كانت ملائكة وكانت تلك الاعانة مسماة بالالهام وان كانت شريرة خبيثة فيجيء الاعمال كانت شياطين وكانت تلك الاعانة مسماة بالوسوسة وذكر بعض العلماء أيضاً فيه احتمالاً ثالثاً وهو ان النفوس البشرية والارواح الانسانية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكلت فيهما فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المغارقة في بدن مشاكلي بدن تلك النفس المغارقة حدثت بين تلك النفس المغارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدن تلك النفس المغارقة فيصير لتلك النفس المغارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصبح تلك النفس المغارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاونة لها على افعالها واحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم ان كان هذا المعنى في أبواب الخير والبركات كان ذلك الهاماً وان

كما يتراعى من ظاهر الحال (وسخر لكم الانهار) ان أريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار ﴿ كان ﴾ العظام كما يومئذ كره عند البحر فتسخرها جعلها معدة لا تنفخ الناس حيث يتخذون منها جداول يسفون بها زروعهم وحنانهم وما أشبه ذلك وان أريد بها نفس الانهار فتسخرها بتسويرها لهم (وسخر لكم

الشمس والقمر دابين) يدان في سبهما وانارهما اصاله وخلافة واصلاحهما لما نطهما صلاحه من المكنونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلقة لهماكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانهم ضاجها ذكر سبحانه ونعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويرها شأنها وتنبيهها على رفعة مكانها وتنصيبها على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة لاشكروا في التعبير عن التصريف المتعلق ﴿ ٣٤٥ ﴾ بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل

والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزّة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستنباح ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال المأمرة بها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جلته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار أو للتفادي عن توهم كون الكل أعنى خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى أعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئة التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو

كان في باب الشركان وسوسة فهذه وجوه محتملة تقرعها على القول باثبات جواهر قدسية مبرأة عن الجسمية والتجزؤ والقول بالارواح الطاهرة والحيثية كلام مشهور عند قدماء الفلاسفة فليس لهم أن ينكروا اثباتها على صاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وسلم وأما القول الثاني وهوان الملائكة والشياطين لا بد وأن تكون أجساما فنقول ان على هذا التقدير يمتنع أن يقال انها أجسام كثيفة بل لا بد من القول بأنها أجسام لطيفة والله سبحانه ركبها تركيبا عجيبا وهي أن تكون مع لطافتها لا تقبل التفريق والتزق والفساد والبطلان وتنفوذ الاجرام اللطيفة في عرق الاجرام الكثيفة غير مستبعد ألا ترى ان الروح الانسانية جسم لطيف ثم انه نفذ في داخل عرق البدن فاذا عقل ذلك فكيف يستبعد نفوذ أنواع كثيرة من الاجسام اللطيفة في داخل هذا البدن أليس ان جرم النار يسرى في جرم الفحم وماء الورد يسرى في ورق الورود ودهن السمسم يجرى في جسم السمسم فكذلكها فظهر بما قررنا ان القول باثبات الجن والشياطين أمر لا تحيله العقول ولا تبطله الدلائل وان الاصرار على الانكار ليس الامن نتيجة الجهل وقلة الفطنة ولما ثبت ان القول بالشياطين ممكن في الجملة فنقول الاحق والاولى أن يقال الملائكة على هذا القول مخلوقون من النور والشياطين مخلوقون من الدخان والهلب كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وهذا الكلام من المشهورات عند قدماء الفلاسفة فكيف يليق بالعاقل أن يستبعد من صاحب شريعتنا صلى الله عليه وسلم (السؤال الثاني) لم قال الشيطان فلا تلو مني واوموا أنفسكم وهو ايضا ملوم بسبب اقدامه على تلك الوسوسة الباطلة والجواب أراد بذلك فلا تلو مني على ما فعلتم واوموا أنفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجب به هداية الله تعالى لكم ثم قال الله تعالى حكاية عن الشيطان انه قال ما أبا بمصرخكم وما أبا بتم بمصرخي وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قال ابن عباس يريد بغيتكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث يقال صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه وأصرخته أغثته (المسئلة الثانية) قرأ حزة بمصرخي بكسر الياء قال الواحدى وهي قراءة الاعمش وبحي بن وثاب قال الفراء ولعلها من وهم القراءة فان قل من سلم منهم عن الوهم ولعل ظن ان الباء في قوله بمصرخي خافضة لجملة هذه الكلمة وهذا خطأ لان الباء من المتكلم خارجة من ذلك قال ومما يرى انهم وهموافيه قوله نوله ماتولى ونصله جهنم يحرم الهاء ظنوا والله أعلم ان الجزم في الهاء وهو خطأ لان الهاء في موضع نصب وقد انجزم الفعل قبلها بسقوط الباء منه ومن التحويين من تكلف في ذكر وجه نصحته الآن الاكثرين قالوا انه لحن والله أعلم ثم قال تعالى حكاية عنه اني كفرت بما أشركتموني من قبل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما في قوله اني كفرت بما أشركتموني من قبل فيه قولان (الاول) انها مصدر بية والمعنى كفرت بأشراككم اياي مع الله تعالى في الطاعة والمعنى

آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ﴿ ٤٤ ﴾ خا ونيطبه انتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من اللسان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأما كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل

ما سألوه ولم تسالوه فخذف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرئ بنون كل على أن مانافية ومحل ما سألوه التنبص على
الحالية أي آتاكم من كل غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله التي أنعم بها عليكم (لأنحصوها) لا تطيقوا بحصرها ولو أجالا
فإنها غير متناهية وأصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدا معينان عقود الأعداد وضع حصاة ليحفظ بها فيه أيدان
بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا ﴿ ٣٤٦ ﴾ عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس

وان كان في أقصى مراتب
الفقر والافلاس ممنوا
بأصناف العنايا مبنى
بأنواع الرزايا فهو بحيث
لولا ملته أقيته متقلبا
في نعم لا تحصى ومن لا تحصى
ولا تعد كانه قد أعطى
كل ساعة وأن من النعماء
ما حواه حيلة الامكان
وان كنت في ريب من
ذلك فقد رآه ملك
ملك أقطار العالم
ودانت له كافة الامم وأذ
عنت اطاعته السراة
وخضعت لهيبته رقاب
العتاة وفاز بكل مرام
ونال كل مثال وحاز جيع
ما في الدنيا من أصناف
الاموال من غير نديزاجه
ولاشريك بساومه بل
قد رآه جميع ما فيهما من
حجر ومدر يوايت غالية
وتفائس در ثم قدر أنه
قد وقع من فقد مشروب
أو مضوم في حالة بلغت
نفسه الخلقوم فهمل
يشترى وهو في تلك
الحال بجميع ماله من
الملك والمال لقمة تبجي

انه محمدا كان يعتقد أولئك الاتباع من كون ابليس شريك الله تعالى في تدبير هذا العالم
وكفر به أو يكون المعنى انهم كانوا يطيعون الشيطان في أعمال الشر كما كانوا قد يطيعون
الله في أعمال الخير وهذا هو المراد بالاشراك (والثاني) وهو قول الفراء ان المعنى ان ابليس
قال اني كفرت بالله الذي أشركتني به من قبل كفركم والمعنى انه كان كفره قبل كفر أولئك
الاتباع ويكون المراد بقوله ما في هذا الموضع من والقول هو الاول لان الكلام انما
ينظم بالتفسير الاول ويمكن أن يقال أيضا الكلام منتظم على التفسير الثاني والتقدير
كأنه يقول لأناني لو سوسني في كفركم بدليل اني كفرت قبل ان وقعت في الكفر وما كان
كفري بسبب وسوسة أخرى والزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء
آخر سوى الوسوسة وعلى هذا التقدير ينظم الكلام أما قوله ان الظالمين لهم عذاب أليم
فلا يظهر انه كلام الله عز وجل وأن كلام ابليس تم قبل هذا الكلام ولا يبعد أيضا أن يكون
ذلك من بقية كلام ابليس قطعاً لا طمعاً أو شك الكفار عن الاعانة والاعانة والله أعلم
* قوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها بأذن ربهم فيحسبهم فيها سلام) وفيه مسئلتان المسئلة (الاولى) اعلم انه تعالى لما
بان في شرح أحوال الاشقياء من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وقد عرفت
ان الثواب يجب أن يكون منفعة خاصة دائمة مقرونة بالعظيم فالمنفعة الخاصة اليها
الاشارة بقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
وكونها دأمة أشير اليه بقوله خالدين فيها والعظيم حصل من وجهين أحدهما ان تلك المنافع
انما حصلت بأذن الله تعالى وأمره والثاني قوله يحسبهم فيها سلام لان بعضهم يجبي بعضا
بهذه الكلمة والملائكة يحسبونهم بها كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم والرب الرحيم يحسبهم أيضا بهذه الكلمة كما قال سلام قولاً من رب رحيم واعلم
السلام مشتق من السلامة والظاهر ان المراد انهم سلموا من آفات الدنيا وحسراتها
أو فزون آلامها وأسقامها وأنواع غموها وهمومها وما أصدق ما قالوا فان السلامة من
محن عالم الاجسام الكائنة الفاسدة من أعظم النعم لاسيما اذا حصل بعد الخلاص منها
الفوز بالهجرة الروحانية والسعادة الملكية (المسئلة الثانية) قرأ الحسن وأدخل الذين
آمنوا على معنى وأدخلهم أنا وعلى هذه القراءة فقوله بأذن ربهم متعلق بما بعده أي يحسبهم
فيها سلام بأذن ربهم يعني ان الملائكة يحسبونهم بأذن ربهم * قوله تعالى (ألم تر كيف ضرب
الله مثلاً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين
بأذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
أجئت من فوق الارض ماله من قرار) اعلم انه تعالى لما شرح أحوال الاشقياء
وأحوال السعداء ذكر مثالا بين الحال في حكم هذين القسمين وهو هذا المثل وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة

عن رواه وأشربة ترويه من ظمأ أم يختار الهلاك فذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفم * بها *
يعود اليه كلابل يبدل لذلك كل مانحوه اليه كان ما كان وليس في صفته شائبة الخسران فاذن تلك الاقمة والشر به
خير مما في الدنيا بالف ربه مع انها في طرف النجاة ينالها ما يشاء

من اللبالي والايام او ودرايه وداحتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولى والحين قد حان وآناه الموت
من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لأبه حامد فاذن هو خير من أموال الدنيا بجملة
ومطالبها برمتها مع أنه قد أصبح له كل آن من آيات اللبالي والايام حال اليقظة والنام هذا من الظهور والجلال بحيث لا يكاد
يخفى على أحد من الغلاء وان رمت العصور ٣٤٧ على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السردوق فاعلم

ان الانسان بمقتضى
حقيقته الممكنة بمعدل عن
استحقاق الوجود وما
ينبسه من الكمالات
اللائقة والملائكات الرائقة
بحيث لو انقطع ما بينه
وبين العناية الالهية
من العلاقة لما استقر له
القرار ولا اطمانت به
الدار الا في مطبوعة العدم
والبوار ومهاوى الهلاك
والدمار لكن يفيض عليه
من الجنب الاقدس تعالى
شأنه وتقدس في كل زمان
يمضي وكل آن يمر بمقتضى
من أنواع القبول
المتعلقة بذاته ووجوده
وسائر صفاته الروحانية
والنفسانية والحسبانية
مالا يحيط به نطاق التعبير
ولا يعلمه الا العليم الخبير
وتوضيحه أنه لا يستحق
الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاؤه وانما ذاك من جناب
المبدى الاول عز وجل
فكما لا يتصور وجوده
ابتداء عالم ينسند عليه
جميع أنحاء عدمه الاصلى
لا يتصور بقاؤه على
الوجود بعد تحققه بعلته

بها (فالصفة الاولى) لتلك الشجرة كونها طيبة وذلك يحتمل أموراً أحدها كونها طيبة
المنظر والصورة والشكل وثانيها كونها طيبة الرائحة وثالثها كونها طيبة الثمرة يعنى
ان الفواكه المتولدة منها تكون لذية مستطابة ورابعها كونها طيبة بحسب المنفعة يعنى
انها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها ويجب حل قوله شجرة طيبة على مجموع
هذه الوجوه لان اجتماعها يحصل كمال الطيب (والصفة الثانية) قوله اصلها ثابت أى
راسخ باق آمن من الانقلاص والانقطاع والزوال والفناء وذلك لان الشئ الطيب اذا كان
في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان كان يحصل الفرح بسبب وجدانه الا أنه يعظم
الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه أما اذا علم من حاله انه باق دائم لا يزول
ولا ينقضى فانه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به (والصفة الثالثة)
قوله وفرعها في السماء وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين الاول
ان ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثاني
انها متى كانت متساعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عقوبات الارض وقاذورات الابنية
فكانت ثمراتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب (والصفة الرابعة) قوله تؤتى أكلها
كل حين باذن ربها والمراد ان الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة وهى
ان ثمراتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الاوقات ولا تكون مثل الاشجار التي
يكون ثمارها حاضرة في بعض الاوقات ودون بعض فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله
تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة ان الرغبة في تحصيل مثل هذه
الشجرة يجب أن تكون عظيمة وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فانه لا يجوز له
أن يتغافل عنها وأن ينسأ في الفوز بها اذا عرفت هذا فنقول معرفة الله تعالى
والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته تشبه هذه الشجرة في هذه الصفات الاربع
أما الصفة الاولى وهى كونها طيبة فهى حاصلة بل نقول لا طيب ولا لذيذ في الحقيقة
الا هذه المعرفة وذلك لان اللذة الحاصلة بذناول الفاكهة المعينة انما حصلت لان ادراك
تلك الفاكهة أمر ملائم لزواج البدن فلاجل حصول تلك الملازمة والمناسبة حصلت تلك
اللذة العظيمة وههنا الملائم لجوهر النفس النطقية والروح القدسية ليس الا معرفة الله
تعالى ومحبته والاستغراق في الاتِّهـاج به فوجب أن تكون هذه المعرفة لذية جذابة نقول
اللذة الحاصلة من ادراك الفاكهة يجب أن تكون أقل حالا من اللذة الحاصلة بسبب
اشراق جوهر النفس بمعرفة الله وبيان هذا التفاوت من وجوه (أحدها) ان المدرجات
المحسوسة انما تصير مدرجة بسبب ان سطح الحاس يلقى سطح المحسوس فقط فاما أن يقال
ان جوهر المحسوس نفذ في جوهر الحاس فليس الامر كذلك لان الاجسام تمتنع بتدخلها
أما ههنا معرفة الله تعالى وذلك النور وذلك الاشراق صار ساريا في جوهر النفس متحداه
وكأن النفس عند حصول ذلك الاشراق تصير غير النفس التي كانت قبل حصول ذلك

مالم ينسند عليه جميع أنحاء عدمه الطامى لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي وأنت خير
بأن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي
مادخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست

كذلك اذلا سحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وإنما الاسحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تنهاى أعنى بقاءها على عدم إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادما وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل آن نعم لا تنهاى من وجوه شتى فسبحانك ﴿ ٣٤٨ ﴾ سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك العيون

بأنظارها ولا تطالعك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يشاهاى ونحن في معرفتك حايرون وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لانخصى ثناء عليك لاله الأنت نستغفرك ونتوب اليك (ان الانسان اظلم) يظلم النعمة باغفال شكرها أو بوضعها اياها في غير موضعها أو بظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلم في الشدة يشكوك ويحزج كفار في النعمة يجمع وينعم واللام في الانسان للجنس ومصدق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من أفراده ويدخل في ذلك الذي بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخول اوليا (واذا قال ابراهيم) أى واذا كر وقت قوله

الاشراق فهذا فرق عظيم بين البابين (والوجه الثاني) في الفرق ان في الالنداذبالفاكهة المدرك هو القوة الذائقة والمحسوس هو اطعم المخصوص وههنا المدرك هو جوهر النفس القدسية والمعلوم والمشعور به هو ذات الحق جل جلاله وصفات جلاله واكرامه فوجب ان تكون نسبة احدى اللذتين الى الاخرى كنسبة احدى المدركين الى الآخر (الوجه الثالث) في الفرق ان اللذات الحاصلة بتناول الفاكهة الطيبة كلما حصلت زالت في الحال لانها كيفية سريرة الاستحالة شديدة التغير أما كمال الحق وجلاله فانه تمتع التغير والتبدل واستعداد جوهر النفس لقبول تلك السعادة أيضا تتم التغير فظهر الفرق العظيم من هذا الوجه واعلم ان الفرق بين النوعين يقرب أن يكون من وجوه غير متناهية فليكتف بهذه الوجوه الثلاثة تنبيه للعقل السليم على سائرها وأما الصفة الثانية وهي كون هذه الشجرة ثابتة الاصل فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل وذلك لان عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر جوهر مجرد عن الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء وأيضاً مدد هذا الرسوخ انما هو من تجلي جلان الله تعالى وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور النور ومبدأ الظهور وذلك مما يمتنع عقلا زواله لانه سبحانه واجب الوجود لذاته وواجب الوجود في جميع صفاته والتغير والفناء والتبدل والزوال والنجس والمنع محال في حقه فثبت ان الشجرة الموصوفة بكونها ثابتة الاصل ليست الا هذه الشجرة (الصفة الثالثة) لهذه الشجرة كونها بحيث يكون فرعها في السماء واعلم ان شجرة المعرفة لها أغصان صاعدة في هواء العالم الالهى وأغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني اما النوع الاول فهي أقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام العظيم لامر الله ويدخل فيه انما في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الارواح وفي عالم الاجسام وفي أحوال عالم الافلاك والكواكب وفي أحوال العالم السفلى ويدخل فيه محبة الله تعالى والشوق الى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى والاستقصاء في ذكر هذه الاقسام غير مضموع فيه لانها أحوال غير متناهية وأما النوع الثاني فهي أقسام كثيرة ويجمعها قوله عليه السلام والشقة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة والرفقة والصنيع والتجاوز عن الذنوب والسعي في ابصال الخير اليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة الاساءة بالاحسان وهذه الاقسام أيضا غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فان الانسان كلما كان أكثر توغلا في معرفة الله تعالى كانت هذه الاحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل (وأما الصفة الرابعة) فهي قوله تعالى تؤق اكلها كل حين باذن ربها فهذه الشجرة أولى بهذه الصفة من الاشجار الجسمانية لان شجرة المعرفة موجبة لهذه الاحوال ومؤثرة في حصولها والسبب لا ينفك عن المسبب فائر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبارة كما قال فاعتبروا بأولى

عليه الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره تكبر ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج ﴿ الابصار ﴾

الفصيل والمراد به تأكيدهما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناباتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما كفروا بالنعم العامة وعصوا بأوامر ابراهيم عليه السلام حيث أسكنتهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة

والاجتناب عن عبادة الاصنام والشرك لعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويزودهم من الثمرات ونهى ملوك الناس اليهم من كل أوب سبحانه الله تعالى دعاه وجعله حراما آمنا يجي اليه ثمرات كل شيء فكفروا بذلك التعم العظام واستبدوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا الله أنادا وفعلوا ما فعلوا (رب اجعل هذا البلد) يعني مكة شرفها الله سبحانه (آمنا) أي ذا أمن وأمانا ﴿ ٣٤٩ ﴾ اهله بحيث لا يخاف فيه على مامر في سورة البقرة

والفرق بينه وبين ما فهم من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا والمسؤل هناك البلدية والأمن معا وههنا الأمن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حل على تعدد السؤال فعله عليه السلام سأل أولا كلا الأمرين فاستجيب له في أحدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهاال أو كان المسؤل أولا مجردا من المصحح للسكن كافي سائر البلاد وقد أجيب اليه ونائب الأمن المعهود أو كان هو المسؤل فيهما وقد أجيب اليه أيضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلى أولان المعتاد في البلدية

الابصار وأن يكون سماعه بالحكمة كما قال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونطقه بالصدق والصواب كما قال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم وقال عليه السلام قولوا الحق ولو على أنفسكم وهذا الانسان كما كان رسوخ شجرة المعرفة في أرض قلبه أقوى وأكمل كان ظهور هذه الآثار عنده أكثر وبما توغل في هذا الباب فصار بحيث كلما لاحظ شيئا لاحظ الحق فيه ور بما عظم ترقيه فيه فصار لا يرى شيئا الا وقد كان قد رأى الله تعالى قلبه فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى توتى أكلها كل حين باذن ربها وأيضا فاذا ذكرناه اشارة الى الالهامات النفسانية والملكات الروحانية التي تحصل في جواهر الارواح ثم لا يزال يصعد منها في كل حين والحظة ولحظة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل كثر هذه الشجرة وأما قوله باذن ربها فبها فبها دقيقة عجيبة وذلك لان عند حصول هذه الاحوال السنية والدرجات العالية قد يفرح الانسان بهما من حيث هي هي وقد يترقى فلا يفرح بهما من حيث هي هي وإنما يفرح بها من حيث انها من المولى وعند ذلك فيكون فرحه في الحقيقة بالمولى لا بهذه الاحوال ولذلك قال بعض المحققين من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالقائي ومن آثار العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول فقد ظهر بهذا التقرير الذي شرحناه والبيان الذي فصلناه ان هذا المثل الذي ذكره الله تعالى في هذا الكتاب مثال هاد الى عالم القدس وحضرة الجلال وسرادات الكبرياء فنسأل الله تعالى مزيد الاهداء والرحمة انه سميع مجيب وذكر بعضهم في تقرير هذا المثل كلاما لا بأس به فقال انما مثل الله سبحانه وتعالى الايمان بالشجرة لان الشجرة لا تستحق أن تسمى شجرة الا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وأغصان عالية كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء معرفة في القلب وقول باللسان وعمل بالابدان والله أعلم (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف في نصب قوله كلمة طيبة وجهان (الاول) انه منصوب بمصير والتقدير جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا (الثاني) قال ويجوز أن ينصب مثلا وكلمة بضر أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا وقوله كشجرة طيبة خبر مبتدأ محذوف والتقدير هي كشجرة طيبة (الثالث) قال صاحب حل العقدة أن الاوجه أن يجعل قوله كلمة عطف بيان والكاف في قوله كشجرة في محل النصب بمعنى مثل شجرة طيبة (المسئلة الثالثة) قال ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله والشجرة الطيبة هي الخلة في قول الأكثرين وقال صاحب الكشاف انها كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالخلة وشجرة التين والعنب والزمان وأراد بشجرة طيبة الثمرة الا أنه لم يذكر هاد لالة الكلام عليها أصلها أي أصل هذه الشجرة الطيبة ثابت وقرعها أي أعلاها في السماء والمراد الهواء لان كل ما سماك وعلا فو سما توتى أي هذه الشجرة أكلها أي ثمرها وما يوتى كل منها كل حين واختلفوا في تفسير هذا الخبر فقال ابن عباس سنة أشهر لان بين حملها الى صرامها سنة أشهر جاء

الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وان حل على وحدة السؤال ونكر الحكاية كما هو المتبادر فظاهر أن المسؤل كلا الأمرين وقد حكى أولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الأمن للجرد أن نعمة الأمن أدخل في استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تفرع الكفر على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم اذ المسؤل هو تهوا اليهم للمساكنة معهم لا لخير فقط وهو عين سوء الى المدينة

قد حكي بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لما سكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذا لم يصيبنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي * ٣٥٠ * فقال ربنا اني أسكت الآية وانما فصل

ما بينهما ثنية لا امتان وايدانا بأن كلامهما نعمة جليلة مستتعة لشكر كثير كافي قصة البقرة (واجنبي وبنى) بعدنى واباهم (أن نعبد الاصنام) وأجعلنا منها في جانب بعيد أى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملك الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ وأجنبي من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبي شره وأجنبي شره وأما اهل الحجاز فيقولون جنبي شره وفيه دليل على أن عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد ببنية أولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عينة رضي الله عنه على أن أحدا من أولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان الكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب

رجل إلى ابن عباس فقال نذرت أن لأكلهم أنخى حتى حين فقال الحين ستة أشهر وتلا قوله تعالى توتئى أكلها كل حين وقال مجاهد وابن زيد سنة لأن الشجرة من العام إلى العام تحمل الثمرة وقال سعيد بن المسيب شهران لأن مدة اطعام النخلة شهران وقال الزجاج جيع من شاهدنا من أهل اللغة يذهبون إلى أن الحين اسم كالوقت يصلح للجميع الأزمان كلها طالت أم قصرت والمراد من قوله توتئى أكلها كل حين أنه يتنفع بها في كل وقت وفي كل ساعة ليلا أو نهارا أو شتاء أو صيفا قالوا والسبب فيه أن النخلة إذا تزكر وأغلبها الثمر من السنة إلى السنة انتفعوا بها في جميع أوقات السنة وأقول هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية إلا أنهم بعدوا عن إدراك المقصود لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها فاننا نعلم بالضرورة أن الشجرة الموصوفة بالصفات الأربع المذكورة شجرة شرف ينفى لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وتملكها وإدخالها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن لان هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل واختلافهم في تفسير الحين أيضا من هذه الباب والله أعلم بالأمور ثم قال وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون والمعنى ان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني وذلك لان المعاني العقلية المحضة لا قبلها المحس والخيال والنوهم فاذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك المحس والخيال والنوهم تلك المنازعة وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب وأما قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجنثت من فوق الارض مالها من قرار فاعلم ان الشجرة الخبيثة هي الجهل بالله فانه أول الآفات وعنوان المخافات ورأس الشقاوات ثم انه تعالى شبهها بشجرة موصوفة بصفات ثلاثة (أولها) انها تكون خبيثة فيهم من قال انها الثوم لانه صلى الله عليه وسلم وصف الثوم بأنها شجرة خبيثة وقيل انها الكراث وقيل انها شجرة الخنظل لكثرة ما فيها من المضار وقيل انها شجرة الشوك واعلم ان هذا التفصيل لا حاجة اليه فان الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة وقد تكون بحسب الطعم وقد تكون بحسب الصورة والمظهر وقد تكون بحسب اشتغالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وان لم تكن موجودة الا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعا في المطلوب (والصفة الثانية) قوله اجنثت من فوق الارض وهذه الصفة في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجنثت استوصلت وحققة الاجنثات أخذ الجثة كلها وقوله من فوق الارض معناه ليس لها أصل ولا عرق فكذلك الشرك بالله تعالى ليس له جهة ولا ثبات ولا قوة (والصفة الثالثة) قوله مالها من قرار وهذه الصفة كالتمتة للصفة الثانية والمعنى انه ليس لها استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت واعلم ان هذا المثل في صفة الكاحية الخبيثة في غاية الكمال وذلك لانه

أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع * تعالى * تنعى على قر يش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه (رب انهم) أى الاصنام (أضلان كثيرا من الناس) أى تسبين له كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتناؤه به ورغبة في استجابته (فن تبعني) منهم فيما أدعوا اليه من

التوحيد وملة الاسلام (فانه مني) أي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به أو متصل بي لابتفك عني في أمر الدين (ومن عصاني) أي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للإيدان بأنه عليه السلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لانه لم يبلغه الدعوة (فأنت غفور رحيم) قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل ذنب فله تعالى ﴿ ٣٥١ ﴾ أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق

بينه وبين غيره (ربنا)

آثر عليه السلام ضمير

الجماعة لا لما قيل من تقدم

ذكره وذكر بنيه والاراعاء

في قوله رب انهن الخ

بل لان الدعاء المصدر به

وما أورده بصدد تمهيد

مبادئ اجابته من قوله

اجا بته من قوله

(اني أسكنت) الآية

متعلق بذريته فالتعرض

لوصف ربوبيته تعالى

لهم أدخل في القبول

واجابة السؤال (من ذريتي)

أي بعضهم أو ذرية

من ذريتي فغنى المفعول

وهو اسمعيل عليه السلام

وماسبيل له فان اسكانه

حيث كان على وجه

الاطمئنان متضمن

لاسكانهم روي أن هاجر

أم اسمعيل عليه السلام

كانت لسارة فوهبتها

من ابراهيم عليه السلام

فلما ولدت له اسمعيل

عليه السلام غارت

عليهما فزا شدته

أن يخرجهما من عندها

فأخرجهما الى أرض مكة

فأظهر الله تعالى عين زمزم

تعالى بين كونها موصوفة بالمضار الكثيرة وخالية عن كل المنافع أما كونها موصوفة بالمضار فالله الاشارة بقوله خبيثة وأما كونها خالية عن كل المنافع فالله الاشارة بقوله اجئت من فوق الارض مالها من قرار والله اعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) اعلم انه تعالى لما بين ان صفة الكلمة الطيبة أن يكون أصلها ثابته وصفة الكلمة الخبيثة أن لا يكون لها أصل ثابت بل تكون مقطعة ولا يكون لها قرار ذكر ان ذلك القول الثابت الصادر عنهم في الحياة الدنيا يوجب ثبات كرامة الله لهم وثبات ثوابه عليهم والمقصود بيان ان الثبات في المعرفة والطاعة يوجب الثبات في الثواب والكرامة من الله تعالى فتوجه يثبت الله أي على الثواب والكرامة وقوله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي بالقول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا ثم قال ويضل الله الظالمين يعني كما ان الكلمة الخبيثة ما كان لها أصل ثابت ولا فرع باسق وكذلك أصحاب الكلمة الخبيثة وهم الظالمون يضلهم الله عن كراماته ويمنعهم عن الفوز بثوابه وفي الآية قول آخر وهو القول المشهور ان هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثبته اياه على الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال حين يقال له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من الباء في قوله بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب مواظبتهم في الحياة الدنيا على هذا القول ولهذا الكلام تقرير عقلي وهو انه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لاله الا الله وعلى التأمل في حقائقها ودقائقها أكثر وأتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل قال ابن عباس من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبت الله عليه في قبره ويلقنه اياها وانما فسر الآخرة ههنا بالقبور لان الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة وقوله ويضل الله الظالمين يعني ان الكفار اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري وانما قال ذلك لان الله أضله وقواه ويفعل الله ما يشاء يعني ان شاء هدى وان شاء أضل ولا اعتراض عليه في فعله البته ﴿ قوله تعالى ﴾ (ألم الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا الله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) اعلم انه تعالى عاد الى وصف أحوال الكفار في هذه الآية فقال ألم ترى الذين بدلوا نعمة الله كفرا نزل في أهل مكة حيث أسكنهم الله تعالى حرمة الأمن وجعل عيشهم في السعة وبعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا قدر هذه النعمة ثم انه تعالى حكى عنهم أنواعا من الأعمال القبيحة (النوع الاول) قوله بدلوا نعمة الله كفرا وفيه

(بواد غير ذي زرع) لا يكون فيه زرع أصلا وهو وادي مكة شر فها الله تعالى (عند بيتك) ظرف لا سكنت

كقولك صليت بمكة عند الزكن لانه صفة لوادي أو بدل منه اذا المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادئه

بالمره لمحض التقرب الى الله تعالى والاتجاء الى جواره الكريم كإيئتي عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة

الملكها وهشمته عن المكاره في قوله تعالى (المحرم) حيث حرم التعرض له والتهاون به وأول

يزل معظمها منها يهايه الجارية في كل غصرا ومنع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا وتسميته اذذاك
 يتا ولم يكن له بناء وانما كان نشرا مثل الريبة تأتبه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول
 اليه الامر من بناءه عليه السلام فانه يترزع الى اعتبار عنوان الحرمة أيضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل
 فان تعدد بناء الكعبة العظيمة مما اريب فيه وانما الاختلاف ٣٥٢ في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة

البقرة بفضل الله تعالى
 (ر بنا ليقموا الصلاة)
 متوجهين اليه متبركين به
 وهو متعلق بأسكنت
 وتخصيصها بالذكر
 من بين سائر شعار الدين
 لفضلها وتكرير النداء
 وتوسيطه لظاهر كمال
 العناية باقامة الصلاة
 والاهتمام بعرض
 أن الغرض من اسكانهم
 بذلك الوادي البلغم ذلك
 المقصد الاقصى والمطلب
 الاسنى وكل ذلك لتهديد
 مبادئ اجابته دعائه واعطاء
 مسئوله الذي لا ينسى ذلك
 المرام الابيه ولذلك أدخل
 عليه الغاء فقال (فاجعل
 أفئدة من الناس) أي أفئدة
 من أفئدتهم فمن للتعبير
 ولذلك قيل لو قال أفئدة
 الناس لازدحت عليهم
 فارس والروم وأما ما زيد
 عليه من قولهم ولجت
 اليهود والنصارى فغير
 مناسب للمقام اذا المسؤل
 توجيه القلوب اليهم
 لمساكنة معهم لا توجيهها
 الى البيت المحج والاقبل
 نهوى اليه فانه عين الدعاء

وجوه (الاول) يجوز أن يكون بدلوا شكر نعمة الله كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر
 بسبب تلك النعم أنوا بالكفر فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا (والثاني)
 أنهم بدلوا نفس نعمة الله كفرا لانهم لما كفروا سلب الله تلك النعمة عنهم فبقى الكفر
 معهم بدلا من النعمة (الثالث) انه تعالى أنعم عليهم بالرسول والقرآن فاخترأوا الكفر على
 الايمان (والنوع الثاني) ما حكى الله تعالى عنهم قوله وأحلوا قومهم دار البوار وهو
 الهلاك يقال رجل بار أو قوم بور ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا وأراد بدار البوار جهنم
 بدليل انه فسرهما بجهنم فقال جهنم يصلونها وبئس القرار أى المقر وهو مصدر سمي به
 (النوع الثالث) من أعمالهم القبيحة قوله وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما حكى عنهم أنهم بدلوا نعمة الله كفرا ذكر أنهم بعد
 أن كفروا بالله جعلوا له أندادا والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول والمراد
 من الانداد الاشياء والشركاء وهذا الشريك يحتمل وجوها أحدها أنهم جعلوا للاصنام
 حظا فيما أنعم الله به عليهم نحو قولهم هذا لله وهذا لشركائنا وثانيها أنهم شركوا بين
 الاصنام وبين خالق العالم في العبودية وثالثها أنهم كانوا يصرحون بأثبات الشركاء لله
 وهو قولهم في الحج ليك لا شريك لك الا شريك هؤلاء تملكه ومالك (المسئلة الثانية) قرأ
 ابن كثير وابوعرو ليضلوا بفتح الياء من ضل يضل والباقون بضم الياء من أضل غيره
 يضل (المسئلة الثالثة) اللام في قوله ليضلوا عن سبيله لام العاقبة لان عبادة الاوثان سبب
 يودى الى الضلال ويحتمل أن تكون لام أى الذين اتخذوا الوثن كي يضلوا غيرهم هذا
 اذا قرئ بالضم فانه يحتمل الوجهين واذا قرئ بالتسبب فلا يحتمل الا لام العاقبة لانهم
 لم يريدوا ضلال أنفسهم وتحقق القول في لام العاقبة ان المقصود من الشيء لا يحصل
 الا في آخر المراتب كما قيل أو الفكرة آخر العمل وكل ما حصل في العاقبة كان شبيها
 بالامر المقصود في هذا المعنى والمشابهة أحد الامور المصححة لحسن المجاز فلهذا السبب
 حسن ذكر اللام في العاقبة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الانواع الثلاثة من الاعمال
 القبيحة قال قل تمتعوا فان مصيركم الى النار والمراد ان حال الكافر في الدنيا كيف كانت
 فانها بالنسبة الى ما سيصل اليه من العقاب في الآخرة تمتع ونعيم فهذا المعنى قال قل
 تمتعوا فان مصيركم الى النار وايضا ان هذا الخطاب مع الذين حكى الله عنهم أنهم بدلوا نعمة
 الله كفرا فأوثقوا في الدنيا في نعم كثيرة فلا جرم حسن قوله تعالى قل تمتعوا
 فان مصيركم الى النار وهذا الامر يسمى أمر التهديد ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شئتم
 وكوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا
 بقموا الصلاة وبنفخوا بآذانهم سرا وعلا نية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال)
 اعلم انه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا أمر
 المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال وفيه مسائل

بالبلدية قد حكى بعبارة أخرى كما مر أو لا ابتداء الغاية كقولك القلب منى سقيم أى أفئدة * المسئلة *
 ناس وقرئ أفئدة على القلب كآدر في أدور أو على أنه اسم فاعل من أفئت الرحلة أى عجلت أى ججاعة من الناس
 وأفئدة بطرح الهمزة أو على التعت من أفدت (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ

على البناء للمفعول من أهواء غيره وتهوى من باب علم أى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع وأول آثار هذه الدعوة ما روى أنه مرت رقة من جرهم تريد الشام فأرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا إن هذا الطائر أرائف على الماء فأشرفوا فإذا هم بها جرفقا والواها ان شئت كناسكك وأنسكك والماء ماؤك فأذنت لهم وكانوا معهما إلى أن شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج ﴿ ٢٥٣ ﴾ اسمعيل منهم كما هو المشهور (وارزقهم) أى ذريتي

الذين أسكنتهم هناك
أومع من يحتاج اليهم
من الناس وانما يخص
الدعاة بالمؤمنين منهم كما
في قوله وارزق أهلهم من
الثمرات من آمن منهم
بآله واليوم الآخر اكفاه
بذكر إقامة الصلاة
(من الثمرات) من
أنواعها بأن يجعل
يقرب منه قرى يحصل
فيها ذلك أو يجي إليه
من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما
حتى انه يجتمع فيه الفواكه
الريعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد
* روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن
الطوائف كانت من
أرض فلسطين فلما دعا
ابراهيم عليه السلام
السلام بهذه الدعوة
رفعها الله تعالى
ووضعها حيث وضعها
رزق الحرم وعن الزهري
رضي الله عنه أنه تعالى
نقل قرية من قرى الشام
فوضعها بالطائف
لدعوة ابراهيم عليه

(المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي لعبادى بسكون الباء والباقون بفتح الباء لالتقاء الساكنين فحرك الى النصب (المسئلة الثانية) في قوله يقيموا جهان الاول يجوز أن يكون جوابا لامر محذوف هو المقول تقديره قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا ليعموا الصلاة وينفقوا الثاني يجوز أن يكون هو أمرا موقولا محذوفا منه لام الامر أى ليعموا كقولك قل لزيد يضرب عمرا وانما جاز حذف اللام لان قوله قل عوض منه ولو قيل ابتداء يقيموا الصلاة لم يجز (المسئلة الثالثة) ان الانسان بعد الفراغ عن الايمان لا قدر له على التصرف في شئ الا في نفسه أو في ماله أما النفس فيجب شغلها بخدمة المعبود في الصلاة وأما المال فيجب صرفه الى البذل في طاعة الله تعالى فهذه الثلاثة هي الطاعات المعبرة وهى الايمان والصلاة والزكاة وتام ما يجب أن يقال في هذه الامور الثلاثة ذكرناه في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويعموا الصلاة وعمار زقناهم ينفقون (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة الآية تدل على أن الرزق لا يكون حراما لان الآية تدل على ان الانفاق من الرزق ممدوح ولا شئ من الانفاق من الحرام ممدوح فينتج ان الرزق ليس بحرام وقد مر تقرير هذا الكلام مرارا (المسئلة الخامسة) في انتصاب قوله سر او علانية وجوه أحدها أن يكون على الحال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وثانيها على الظرف أى وقت سر وعلانية وثالثها على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمراد اخفاء التطوع واعلان الواجب واعلم انه تعالى لما أمر بإقامة الصلاة وابتداء الزكاة قال من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال قال أبو عبيدة السبع ههنا الغداء والخلال المخالة وهو مصدر من خالط خللا ومخاله وهى المصادفة قال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالطة ولا قرابة فكانت على قوله تعالى يقول أنفقوا أو والكف في الدنيا حتى تجددوا ثواب ذلك الانفاق في مثل هذا اليوم الذى لا تحصل فيه مبايعة ولا مخالطة ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فان قيل كيف نفى المخالطة في هاتين الآيتين مع انه تعالى أثبت هاتين قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلنا الآية الدالة على نفى المخالطة محمولة على نفى المخالطة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على ثبوت المخالطة محمولة على حصول المخالطة بالحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى والله أعلم * قوله تعالى (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم النهار والليل وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) وآناكم من كل مأسألتوه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلول كفار) اعلم انه لما أطال اللام في وصف أحوال السعداء وأحوال الاشقياء وكانت العمدة العظمى والميزة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته وفي حصول الشقاوة فتم ان هذه المعرفة لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء

السلام (لعلهم يشكرون) تلك ﴿ ٤٥ ﴾ خا النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر اسم العبودية وقيل اللام في ليعموا لام الامر والمراد أمرهم بإقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يتأسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وحرص الحاجة واستئزال الرحمة واستجلاب الرأفة مالا يتخذه فانه عليه السلام يذكر كون

الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول و يذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم أشار الى أن جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواض مرافق العيش لمحض اقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهذج مجابى اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول (ربنا انك تعلم ما نحن في وما نعلن) من الحاجات وغيرها والمراد بما نحن في ٣٥٤ ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء أو لا

تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخاطر به من مسافيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نحن في على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما نحن في أقدم منه بما نعلن أولان مرتبة السر و اخفاء متقدمة على مرتبة العان اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية وقصده عليه السلام أن اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها ونفاتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخضع لعظمتك واشتدال عزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستنجال انيل أياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهاال وضرب الجماعة

والاشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة أنواع من الدلائل أولها خلق السموات والارض وثانيها خلق الارض واليهما الاشارة بقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وثالثها قوله وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ورابعها قوله ونخز لكم الغلاك تجري في البحر بأمره وخامسها قوله ونخز لكم الانهار وسادسها وسابعها قوله ونخز لكم الشمس والقمر دائبين وثامنها وتساعها قوله ونهز لكم النابل وانهار وعاشرها قوله وآتاكم من كل ما سألتموه وهذه الدلائل العشرة قد مر ذكرها في هذا الكتاب وتقريرها وتفسيرها مراراً وأطواراً ولا بأس بأن نذكر ههنا بعض الفوائد فاعلم ان قوله تعالى الله مبتدأ وقوله الذي خلق خبره ثم انه تعالى بدأ بذكر خلق السموات والارض وقد ذكرنا في هذا الكتاب أن السماء والارض من كم وجه تدل على وجود الصانع الحكيم وانما بدأ بذكرهما ههنا لانهما هما الاصلان اللذان يتفرع عليهما سائر الادلة المذكورة بعد ذلك فانه قال بعده وأنزل من السماء ماء وأخرج به من الثمرات رزقا لكم وفيه مباحث (الاول) اولها السماء لم يصح انزال الماء منها واولا الارض لم يوجد ما يستقر الماء فيه فظهر انه لا بد من وجودهما حتى يحصل هذا المقصود وهذا المطلوب (البحث الثاني) قوله وأنزل من السماء ماء وفيه قولان (الاول) أن الماء نزل من السحاب وسمى السحاب سماء اشتقاقاً من السهو وهو الارتفاع والثاني انه تعالى أنزله من نفس السماء وهذا بعيد لان الانسان ربما كان واقفاً على قلة جبل عال ويرى الغيم أسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم مطرا عليهم وإذا كان هذا أمراً مشاهداً بانصر كل انزعاع فيه باطلا (البحث الثالث) قال قوم انه تعالى أخرج هذه الثمرات بواسطة هذا الماء المنزل من السماء على سبيل العادة وذلك لان في هذا المعنى مصلحة للمكافئين لانهم اذا علموا ان هذه المنافع القليلة يجب أن تتحمل في تحصيلها المشاق والمناعب فلهنا نافع العظيمة الدائمة في الدار الآخرة أولى ان تتحمل المشاق في طلبها واذا كان المرء يترك الراحة واللذة طلباً لهذه الخيرات الحتمية فبأن يترك اللذات الدنيوية ليعوز بثواب الله تعالى ويتخلص عن عقابه أولى ولهذا السبب لمسا زال الشك في ان الآخرة أنال الله تعالى كل نفس مشتهاها من غير تعب ولا نصب هذا قول المتكلمين وقال قوم آخرون انه تعالى يحدث الثمار والزروع بواسطة هذا الماء النازل من السماء والمسئلة كلامية مضمرة وقد ذكرناها في سورة البقرة (البحث الرابع) قال أبو مسلم لفظ الثمرات يقع في الاغلب على ما يحصل على الاشجار ويقع أيضاً على الزروع والنبات كقوله تعالى كما ومن ثمرة اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده (البحث الخامس) قال تعالى فأخرج به من الثمرات رزقا لكم والمراد انه تعالى انما أخرج هذه الثمرات لاجل أن تكون رزقاً لنا والمقصود انه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات ايصال الخير والمنفعة الى المكافئين لان الاحسان لا يكون احساناً الا اذا قصد المحسن بفعله ايصال النفع الى

لان المراد ليس بمجرد علمه تعالى بسره وعلمه بل بجميع خفايا الملك والمذكوت وقد حققه بقوله ﴿الحسن﴾ على وجه الاعتراض (وما نحن في على الله من شيء في الارض ولا في السماء) لمانه العالم بالذات فامن أمر يدخل تحت الوجود كائن ما كان في زمان من الازمان الا وجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما نحن في على الله الخ دون أن يقول ويعلم ما في

السموات والارض محققا لمعناه بقوله تعلم ما تخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكله في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أى من شيء كائن فيهما أهم من أن يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو بتخفى وتقديم الارض على السماء مع توسط لايتهما باعتبار القرب ﴿ ٣٥٥ ﴾ والبعدهما المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والاتلفات

من الخطاب الى اسم الذات المستحقة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلو الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يخص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فلما نسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن الاستعراق على الوجهين (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أى مع كبرى وباسى عن الولد فيد الهبة به استعظاما للنعمة واطمئنازا لشكرها (اسمعيل واسحق) روى انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة (ان ربى) ومالك

المحسن اليه (البحث السادس) قال صاحب الكشف قوله من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حال من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لانه فى معنى رزق والتقدير ورزق من الثمرات رزقا لكم (فأما الحجة الرابعة) وهى قوله وسخر لكم الفلك لتجربى فى البحر بأمره ونظيره قوله تعالى ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام ففيها مباحث (البحث الاول) ان الانتفاع بما ينبت من الارض انما يكمل بوجود تلك الجارى فى البحر وذلك لانه تعالى خص كل طرف من أطراف الارض بنوع آخر من أنعمه حتى ان نعمة هذا الطرف اذا نقلت الى الجانب الآخر من الارض وبالعكس كثر الربح فى التجارات ثم ان هذا النقل لا يمكن الا بسفن البر وهى الجمال أو بسفن البحر وهى الغلج المذكورة فى هذه الآية فان قيل مامعنى وسخر لكم الفلك مع أن تركيب السفينة من أعمال العباد قلنا أماعلى قولنا ان فعل العبد خلق الله تعالى فلا سؤال وأماعلى مذهب المعتزلة فقد أجاب القاضي عنه فقال اولوانه تعالى خلق الاشجار الصلبة التى منها يمكن تركيب السفن ولولا خلقه للحديد وسائر الآلات ولولا تمر به العباد كيف يتخذوه ولولانه تعالى خلق الماء على صفة السيلان التى باعتبارها يصح جري السفينة ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القوية فيها ولولانه وسع الانهار وجعل فيها من العمق ما يجوز جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن فصار لاجل ان الله تعالى هو الخالق لهذه الاحوال وهو المديبر لهذه الامور والمسخر لها حسنت اضافة السفن اليه (البحث الثانى) انه تعالى اضاف ذلك التسخير الى أمره لان الملك العظيم قلما يوصف بأنه فعل وانما يقال فيه انه أمر بكذا تعظيما لشأنه ومنهم من حله على ظاهر قوله انما أمرنا شئ اذا أردناه أن نقوله كن فيكون وتحقيق هذا الوجه راجع الى ما ذكرناه (البحث الثالث) الفلك من الجمادات فتسخيرها مجاز والمعنى أنه لما كان يجرى على وجه الماء كما يشتهي الملاح صار كأنه حيوان مسخر له (الحجة الخامسة) قوله تعالى وسخر لكم الانهار واعلم ان ماء البحر قلما يتفع به فى الزراعات لاجرم ذكر تعالى انعامه على الخلق بتغيير الانهار والعيون حتى ينبعث الماء منها الى مواضع الزرع والنبات وايضا ماء البحر لا يصلح للشرب وانصالح لهذا المهم هو مياه الانهار (الحجة السادسة والسابعة) قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين واعلم ان الانتفاع بالشمس والقمر عظيم وقد ذكره الله تعالى فى آيات منها قوله وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ومنها قوله الشمس والقمر بحسبان ومنها قوله وجعل فيهما سراجا وقرا منيرا ومنها قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقوله دائبين معنى الدؤب فى اللغة مرور الشئ فى العمل على عادة مطردة يقال دأب يدأب دأبا ودأبا ودأبا وقد ذكرنا هذا فى قوله قال تزرعون سبع سنين دأبا قال المفسرون قوله دائبين معناه يدأبان فى سيرهما وانارتاهما وتأثيرهما فى ازالة الظلمة وفى اصلاح النبات والحيوان فان الشمس سلطان النهار والقمر

امرى (لسميع الدعاء) المجيبه من قولهم سميع الملك كلامه اذا اعتدبه وهى من اذنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف الى مفعوله أو فاعله باستناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع وكنه من تمة الحمد والشكر اذ هو وصفه تعالى بأن ذلك الجميل سننه المستمرة لتعليل على طريقة التذليل للهبة المذكورة وفيه ايدان بتضاعف النعمة فيها حث وقعت بعد الدعاء بقوله

زب هبلى من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقب ذكر هبتهما لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لأن النعم عليهم (رب اجعلنى مقيم الصلاة) مثار اعليها معد لالهاتها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال (ومن ذريتى) أى بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من أولادهما للاشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباعه ﴿ ٣٥٦ ﴾ وأن ذكرهم بطريق الاستطراد

لا كما في قوله ربنا انى
أسكنت الخ فان سكانه
مع عدم تحققه بلا
ملايسة ان أسكنه
انما هو مذكور بطريق
التهديد للدعاء الذى
هو مخصوص بذريته
وانما خص هذا
الدعاء ببعض ذريته
لعله من جهة الله
تعالى أن بعضا منهم
لا يكون مقيم الصلاة
كقوله تعالى ربنا
واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة
لك (ربنا ونقبل
دعاء) أى دعائى هذا
المتعلق بيجلى وجعل
بعض ذريتى مقيى
الصلاة ثابتين على ذلك
مجتنبين عن عبادة
الاصنام ولذلك جئ
بضمير الجماعة (ربنا
اغفرلى) أى ما فرط
منى من ترك الاولى
في باب الدين وغير ذلك
ما لا يسلم منه البشر
(واللهى) وقرئ
بالتوحيد ولا بوى
وهذا الاستغفار منه

سلطان الابل واولا الشمس لماحصات القصا. الا نعمة ولولاها لاختلفت مصالح العالم
بالكلية وقد ذكرنا منافع الشمس والقمر بالاستقصاء في اول هذا الكتاب (الحجة الثامنة
والثاسعة) قوله وتخير لكم الليل والنهار واعلم ان منافعهما مذكورة في القرآن كقوله
تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا قال المتكلمون لتستخبروا بالليل والنهار مجاز لانهم عراضا والاعراض
لا تستخبر (والحجة العاشرة) قوله وآتاكم من كل ما سألتموه ثم انما تعالى لما ذكر تلك النعمة
العظيمة بين بعد ذلك انه لم يقصر عليها بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتى على
بعضها التعديد والاحصاء فقال وآتاكم من كل ما سألتموه والمفعول محذوف تقديره من
كل مسؤل شيئا وقرئ من كل بالتثنية وما سألتموه في محله نصب على الحال أى آتاكم من
جميع ذلك غير سائلين ويجوز أن تكون ما موصولة والتقدير آتاكم من كل ذلك ما احتجتم
اليد ولم تصلح احوالكم ومعاشكم الا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال ثم انه
تعالى لما ذكر هذه النعم خال الكلام به بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الواحدى
النعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر يقال انعم الله عليه ينعم انعاما ونعمة أقيم الاسم مقام
الانعام كقوله أنعمت عليه انفاقا ونفقة بمعنى واحد وذلك لم يحجم لانه في معنى المصدر
ومعنى كقوله لا تحصوها أى لا تقدرون على تعدد جميعها لكثرها واعلم ان الانسان اذا أراد
أن يعرف ان الوقوف على أقسام نعم الله تمتع فقلبه ان يتأمل فى شئ واحد يعرف بحر
نفسه عنه ونحن نذكر منه مثالين (المثال الاول) ان الاطباء ذكروا ان الاعصاب قسمان
منها دماغية ومنها نخاعية أما الدماغية فانها سبعة ثم أنعموا أنفسهم في معرفة الحكم
الناشئة من كل واحد من تلك الارواح السبعة ثم عملا شئت فيه ان كل واحد من
الارواح السبعة تنقسم الى شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب أيضا الى شعب دقيقة
أدق من الشعر ولكل واحد منها ممر الى الاعضاء وأن شعرة واحدة اختلفت اما بسبب
الكمية أو بسبب الكيفية أو بسبب النقص لاختلفت مصالح البنية ثم ان تلك الشعب
الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحدة منها حكمة مخصوصة فاذا نظر الانسان
في هذا المعنى عرف ان الله تعالى بحسب كل شئ من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة
عظيمة لو فانت اعظم الضرر عليه وعرف قطعانه لاسبيل له الى الوقوف عليها والاطلاع
على أحوالها وعند هذا نقط بصفة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكما اعتبرت
هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والاوردة وفي كل واحد من الاعضاء
البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال حتى ترى
أقسام هذا الباب بحر الاساحل له واذا اعتبرت هذا في بدن الانسان الواحد فاعرف
أقسام نعم الله تعالى في نفسه وروحه فان عجائب عالم الارواح أكثر من عجائب عالم
الاجساد ثم لما اعتبرت حالة الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الافلاك

عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقبل اراد بوالديه آدم وحواء وقبل بشرط ﴿ والكواكب ﴾
الاسلام ويرد قوله تعالى الاقول ابراهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق المقام وسأبني تمامه في سورة
مريم بفضل الله تعالى (والمؤمنين) كافة من ذريته وغيرهم ولا يذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جئ بضمير
الجماعة (يوم يقوم الحساب) أى يثبت ويحقق محاسبة أعمال المكلفين على وجه

لعدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل أسند إليه قيام
 هله مجازاً أو حذف المضاف كافي وأسأل القربة وأعلم أن ما حكى عنه عليه السلام من الادعية والازكار وما يتعلق بها
 من بصادره عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه العية بل صدر عنه في أزمنة متفرقة حكى مرتباً للدلالة على سوء حال
 لكفرة بعد ظهروا أمره في الملة ﴿ ٣٥٧ ﴾ وارشاد الناس إليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية
 (ولا تحسبن الله غافلاً

عما يعمل الظالمون)
 خطاب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 والمراد تثبيته على ما كان
 عليه من عدم حسبانته
 عز وجل كذلك نحو
 قوله ولا تكون من
 المشركين ونظائره مع
 ما فيه من الايدان بكونها
 واجب الاحتراز عنه
 في الغاية حتى نهى عنه
 من لا يمكن تعاطيه أو نهى
 عليه السلام عن حسبانته
 تعالى تاركاً لعقابهم
 على طريقة العفو
 والتعير عنه بذلك للمبالغة
 في التنبه والايذان بان
 ذلك الحسبان بمنزلة
 حسبانته تعالى غافلاً
 عن اعمالهم اذ العلم
 بذلك مستوجب لعقابهم
 لا بحالة فتركه لو كان
 لكان للعقوبة عما يوجبها
 من أعمالهم الخبيثة
 وفيه تسلية لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 ووعدله أكيد ووعيد
 للكفرة وسائر الظالمين
 شديد أو نكل أحد من

والكواكب وطبقات العناصر ومجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا
 تعرف ان عقول جميع الخلائق اوركبت وجعلت عقلاً واحداً ثم بذلك العقل يتأمل
 الانسان في مجائب حكمة الله تعالى في أقل الاشياء لما ادرك منها الا القليل فسبحانه
 قدس عن أوهام المنوهمين (المثال الثاني) انك اذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في
 الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها أما الامور التي قبلها فاعرف ان تلك اللقمة من الخبر
 لا تتم ولا تكمل الا اذا كان هذا العالم بكليته قائماً على الوجه الاصوب لان الخنطة
 لا بد منها وانها لا تثبت الا بمعونة الفصول الاربعة وتركيب الطبائع وظهور الرياح
 والأمطار ولا يحصل شيء منها الا بعد دوران الافلاك واتصال بعض الكواكب ببعض
 على وجوه مخصوصة في الحركات وفي كيفيتها في الجهة والسرعة والبطء ثم بعد ان
 تكون الخنطة لا بد من آلات الطحن والخبز وهي لا تحصل الا عند تولد الحديد في أرحام
 الجبال ثم ان الآلات الحديدية لا يمكن اصلاحها الا بالآلات أخرى حديدية سابقة عليها
 ولا بد من انتهائها الى آلة حديدية هي أول هذه الآلات فتأمل انها كيف تكونت على
 الاشكال المخصوصة ثم اذا حصلت تلك الآلات فانظر انه لا بد من اجتماع العناصر
 الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبر من ذلك الدقيق فهذا هو
 النظر فيما تقدم على حصول هذه اللقمة وأما النظر فيما بعد حصولها فتأمل في تركيب بدن
 الحيوان وهو انه تعالى كيف خلق هذه الابدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة وأنه
 كيف يتضرر الحيوان بالاكل وفي أي الاعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكنك أن تعرف
 القليل من هذه الاشياء الا بعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية فظهر بما ذكرنا ان
 الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته الا بعرفة جملة هذه الامور والعقول قاصرة
 عن ادراك ذرة من هذه المباحث فظهر بهذا البرهان القاهر صحة قوله تعالى وان تعدوا
 نعمت الله لا تحصوها ثم انه تعالى قال ان الانسان اظلم من كفار قيل يظلم النعمة باغفال
 شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة بشكو ويجزع كفار في النعمة
 يجمع وينعم والمراد من الانسان ههنا الجنس يعني أن عادة هذا الجنس هو هذا الذي
 ذكرناه وههنا بحثان (البحث الاول) ان الانسان مجبول على النسيان وعلى المالة فاذا
 وجد نعمة نسيها في الحال وظلمها بترك شكرها وان لم ينسها فانه في الحال يظلمها فيقع في
 كفران النعمة وأيضاً ان نعم الله كثيرة فتنبى حاول التأمل في بعضها غفل عن الباقي (البحث
 الثاني) انه تعالى قال في هذا الموضع ان الانسان اظلم من كفار وقال في سورة النحل ان الله
 لغفور رحيم ولما تأملت فيه لاحظت في دققة كأنه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة
 فانت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها فما فصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظلوماً
 كفاراً ولى وصفان عند اعطائها وهما كونك غفوراً رحيماً والمقصود كأنه يقول ان كنت
 ظلوماً فأنا غفور وان كنت كفاراً فأنا رحيم أعلم عجزك وقصورك فلا أقبل تصغيرك

يستعمل عذابهم أو يتوهم اهمالهم للجمل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة
 الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويحاز بهم بذلك تغبراً وقطعيراً والمراد بالظالمين أهل مكة من عدت
 مساويعهم من تبديل نعمة الله تعالى كفر أو احلال قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنبي

هذه قوله تعالى قل تمتعوا الآية أوجنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا (انما يؤخرهم) عيهم متعبن بالخطيئة الدنياوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تخبر بتأخير ما تستوجب من العذاب الا ليم اذا تأخير للتشديد والغليظ ولا تحسبته تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا ﴿٣٥٨﴾ أولا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل

ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هولاء الحكمة وقرئ بانون وايقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر انما هو عذابهم تهويل الخطب وتقطيع الحال بيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لأنهم باقون باختيارهم والادلة على أن حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر ولا ليدان بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه واو قيل انما يؤخر عذابهم الخ لئلا يفهم ذلك (ايوم) هائل (تخصص فيه الابصار) ترتفع ابصار أهل الموقف فيدخل في زمرة الكفرة الملهودون دخولا أوليا أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في أماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين

الا بالتوفير ولا اجازي جفاء الابالوفاء ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة * قوله تعالى (واذ قل ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام رب انهم أضلآن كثيرا من الناس فمن تبني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) اعلم انه تعالى لما بين بالدلائل المقدمة انه لا معبود الا الله سبحانه وانه لا يجوز عبادة غيره تعالى البتة حتى عن ابراهيم عليه السلام مباثته في انكار عبادة الاوثان واعلم انه تعالى حتى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله أشياء (أحدها) قوله رب اجعل هذا البلد آمنا والمراد مكة أمنا ذا أمن فان قيل أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلنا سأل في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فلا يخافون وفي الثاني أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصلة لها وهي الخوف ويحصل لها ضد تلك الصفة وهو الامن كأنه قال هو بلد يخوف فأجعله آمنا وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة (وثانيها) قوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وفيه مسائل (المسألة الاولى) قرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه واجنبه وجنبه قال انقراء أهل الحجاز يقول جنبني يجنبني بالتخفيف وأهل نجد يقولون جنبني شربه وأجنبني شره وأصله جعل الشيء عن غيره على جانب وناحية (المسألة الثانية) نقال أن يقول الاشكال على هذه الآية من وجوه (أحدها) ان ابراهيم عليه السلام دعا ربه أن يجعل مكة آمنا وما قبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة وأغاروا على مكة (وثانيها) ان الانبياء عليهم السلام لا يعبدون الاوثان البتة واذا كان كذلك فما الغائدة في قوله اجنبني عن عبادة الاصنام (وثالثها) انه طلب من الله تعالى أن لا يجعل أبناء من عبده الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من أولاده مع انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قالوا انهم ما كانوا أبناء ابراهيم وانما كانوا أبناء آبائهم والدعاء مخصوص بالانبياء فنقول فاذا كان المراد من أولئك الانبياء أبناء من صلبهم وهم ما كانوا الا سمعيل واسحق وهما كانا من اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لا يعبدون الصنم فمقداد السؤال في انه ما الغائدة في ذلك الدعاء والجواب عن السؤال الاول من وجهين (الاول) أنه نقل انه عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة ذكر هذا الدعاء والمراد منه جعل تلك البلدة آمنة من الحراب والثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله واسئل القرية أي أهل القرية وهذا الوجه عليه أكثر المفسرين وعلى هذا التقدير فالجواب من وجهين (أحدهما) ما اختصت به مكة من حصول مزيد في الأمن وهوان الخائف كان اذا التجأ الى مكة أمن وكان الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك أمن الوحش فانهم يقربون من الناس اذا كانوا بمكة ويكونون مستوحشين عن الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل في مكة فوجب حمل الدعاء عليه (والوجه الثاني) أن يكون المراد من قوله اجعل هذا البلد آمنا أي بالامر والحكم يجعله آمنا وذلك الامر والحكم

واما يجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع (مهطعين) مسرعين الى الداعي * حاصل * متباين عليه بالخوف والذل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطفون هبة وخوفا حيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قبل (مقنعي رؤسهم) أي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى

شيء قال العنبي وابن عرفة وأنا كسيها ويقال أقنم رأسه أي طأطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما خالان بمادل عليه
 الابصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقة فلا ينافي الحالية (لا يرتد اليهم طرفهم)
 أي لا يرجع اليهم تحريك أجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أو لا ترجع اليهم
 أجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد ﴿ ٣٥٩ ﴾ إلى الرجوع إلى الطرف مجازاً وأوهو نفس الجفن قال

الفيروز آبادي الطرف
 العين لا يجمع لانه مصدر
 في الاصل وأسم جامع
 للعين أو لا يرجع نظرهم
 إلى أنفسهم فضلاً عن
 أن يرجع إلى شيء آخر
 فيكون مبهوتين وهو
 أيضاً حال أو بدل من
 مفتحي الخ أو استئناف
 والمعنى لا يزول ما عايناهم
 من شخوص الابصار
 ونأخيه عما هو من تمته
 الاضطاع والافتناع مع
 ما يمتد بين الشخصوص
 المذكور من المناسبة
 لترية هذا المعنى
 (وأفندتهم هواً) خالية
 من العقل والهم لغرط
 الحيرة والدش كاشها
 نفس الهواء الخالي من
 كل شاغل ومنه قيل
 للجان والحق قلبه
 هواً أي لا قوة ولا رأي
 فيه واعتبار خلوهما عن
 كل خير لا يناسب المقام
 وهو اما حال عاملها
 لا يرتد مفيدة لكون
 شخوص أبصارهم
 وعدم ارتداد طرفهم

حاصل لا محالة والجواب عن السؤال الثاني قال الزجاج معناه ثبتني على اجتناب عبادتها
 كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الاسلام وقائل أن يقول السؤال باق لانه لما
 كان من المعلوم انه تعالى يثبت الانبياء عليهم السلام على الاجتناب من عبادة الاصنام
 في القائدة في هذا السؤال والصحيح عندي في الجواب وجهان (الاول) انه عليه
 السلام وان كان يعلم انه تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس
 واظهاراً للحاجة والنافعة إلى فضل الله في كل المطالب (والثاني) ان الصوفية يقولون
 ان الشرك نوعان شرك جلي وهو الذي يقول به المشركون وشرك خفي وهو تعليق القلب
 بالوسائط وبالاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو أن يتقطعت نظرهم عن الوسائط ولا يرى
 متصرفاً سوى الحق سبحانه وتعالى فيحتمل أن يكون قوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام
 المراد منه أنه يعصمه عن هذا الشرك الخفي والله أعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث
 من وجوه (الاول) قال صاحب الكشاف قوله وبني أراد بذية من صلبه والقائدة في هذا
 الدعاء عين القائدة التي ذكرناها في قوله واجنبني (والثاني) قال بعضهم أراد من أولاده
 وأولاد أولاده كل من كانوا موجودين حال الدعاء ولا شبهة ان دعوته بمجابهة فهم
 (الثالث) قال مجاهد لم يعبد أحد من ولد ابراهيم عليه السلام صنماً والصنم هو التمثال
 المصنوع وليس بمصور فهو وثن وكفار قریش ما عبدوا التمثال وانما كانوا يعبدون أبحارا
 مخصوصة وأشجاراً مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز أن يرد
 بهذا الدعاء الا عبادة غير الله تعالى والحج كالصنم في ذلك (الرابع) ان هذا الدعاء مختص
 بالموثمين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن
 من لم يتبعه على دينه فإنه ليس منه ونظيره قوله تعالى لئلا يكون من أهل الكفر
 صالح (والخامس) لعله وان كان عام في الدعاء الا ان الله تعالى أجاب دعاءه في حق البعض
 دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم السلام ونظيره قوله تعالى في حق ابراهيم
 عليه السلام قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين
 (المسئلة الثالثة) احتج أصحابنا بقوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام على ان الكفر
 والايان من الله تعالى وتقرير الدليل ان ابراهيم عليه السلام طلب من الله أن يجنبه
 ويجنب أولاده من الكفر فدل ذلك على ان التبعيد من الكفر والتقريب من الايمان
 ليس الا من الله تعالى وقول المعتزلة انه محمول على الاطراف فاسد لانه عدول عن الظاهر
 ولائها قد ذكرنا وجوها كثيرة في افساد هذا التأويل ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه
 السلام انه قال رب انهن أضللان كثيراً من الناس وانفق كل الفرق على ان قوله أضللان
 مجاز لانها جادات والجماد لا يفعل شيئاً البتة الا انه لما حصل الاضلال عند عبادتها أضنف
 اليها كما تقول فتنهم الدنيا وغرتهم أي افتتوا بها واغتروا بسببها ثم قال فمن تبعني فإنه مني
 يعني من تبعني في ديني واعتقادي فإنه مني أي جار مجرى بعضي لفرط اختصاصه بي وقر به

بلافهم ولا اختبار أو جلة مستقلة (وأندرائس) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه أن تأخيرهم لماذا
 وأمره بأنذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر آيات العذاب والعدول
 إليه من الاضمار الاشعار بأن المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا تخويف للازعاج والايذاء

فالمناسب قدّم ذكرهم بعنوان أظلم والناس جميعاً فإن الانذار عام للفرّيقين كقوله تعالى انما تندبر من اتبع الذكر والايمان يعصمها من حيث كونها في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة أي أنذرهم وخوفهم (يوم يأتيهم العذاب) المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة أعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه ﴿ ٣٦٠ ﴾ القصر السابق (فيقول الذين ظلموا) أي فيقولون

والعدول عنه الى ما عليه
النظم الكريم للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار
بان ما قوه من الشدة انما
هو لظلمهم واثاره على
صيغة الفاعل حسبما
ذكرنا ولا للايدان
بأن الظلم في الجملة كاف
في الافضاء الى ما ذكر
من الاهوال من غير حاجة
الى الاستمرار عليه كما
بني عنه صيغة الفاعل
وعلى تقدير كون المراد
بالناس من يعم المسلمين
أيضاً فالعني الذين ظلموا
منهم وهم الكفار أو يقول
كل من ظلم بالشرك
والتكذيب من المنذرين
وغيرهم من الامم الخالية
فان اتيان العذاب يعصمهم
كما يشمر بذلك وعدهم
باتباع الرسل (ربنا أخرنا)
ردنا الى الدنيا وأمهلتنا
(الى أجل قريب) الى
أمد وحد من الزمان
قريب (نحب دعوتك)
أي الدعوة اليك والى
توحيدك وأدعوتك لنا
على أسنة الرسل فقبه

منى ومن عصاني في غير الدين فانك غفور رحيم واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان ابراهيم عليه السلام ذكر هذا الكلام والغرض منه الشفاعة في حق أصحاب الكبار من أمته والدليل عليه أن قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم صريح في طلب المغفرة والرحمة لأنك العصاة فنقول أولئك العصاة اما أن يكونوا من الكفار أو لا يكونوا كذلك والاول باطل من وجهين (الاول) انه عليه السلام بين في مقدمة هذه الآية أنه مبرأ عن الكفار وهو قوله واجنبني وبنى أن نعبد الاصلنام وأيضاً قوله فمن تبعني فانه مني يدل بفهم ومه على ان من لم يبعده على دينه فانه ليس منه ولا يهتم باصلاح مهماته (والثاني) ان الامة مجمعة على ان الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر غير جائزة ولما بطل هذا ثبت ان قوله ومن عصاني فانك غفور رحيم شفاعة في العصاة الذين لا يكونون من الكفار واذا ثبت هذا فنقول تلك المعصية اما ان تكون من الصغار أو من الكبار بعد التوبة أو من الكبار قبل التوبة والاول والثاني باطلان لان قوله ومن عصاني اللفظ فيه مطلق فيخص به بالصغيرة عدول عن الظاهر وأيضاً فالصغار والكبار بعد التوبة واجبة الغفران عند الخصوم فلا يمكن حل اللفظ عليه فثبت ان هذه الآية شفاعة في اسقاط العقاب عن أهل الكبار قبل التوبة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه السلام ثبت حصولها في حق محمد صلى الله عليه وسلم لوجوه الاول أنه لا فارق بالفرق والثاني وهو أن هذا المنصب أعلى المناصب فلو حصل لابراهيم عليه السلام مع انه غير حاصل لمحمد صلى الله عليه وسلم لكان ذلك نقصاً في حق محمد عليه السلام والثالث أن محمد صلى الله عليه وسلم مأثور بالافتداء لابراهيم عليه السلام لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً فهذا وجه قريب في اثبات الشفاعة لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اسقاط العقاب عن أصحاب الكبار والله أعلم اذا عرفت هذا فلنذكر أقوال المفسرين قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء انما كان قبل أن يعلم ان الله تعالى لا يغفر الشرك وقيل من عصاني بأقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله عن الكفر الى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب بل يعاملهم حتى يتوبوا أو يكون المراد أن لا تعجل اخراجهم فتغفر لهم التوبة واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة أما الاول وهو حل هذه الشفاعة على المعصية بشرط التوبة فقد أبطلناه وأما الثاني وهو قوله ان هذه الشفاعة انما كانت أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك فنقول هذا أيضاً بعيدا لاننا بينا ان مقدمة هذه الآية تدل على أنه لا يجوز أن يكون مراد ابراهيم عليه السلام من هذا الدعاء هو الشفاعة في اسقاط عقاب الكفر وأما الثالث وهو قوله المراد من كونه غفوراً رحيماً أن ينقله من الكفر الى الايمان فهو أيضاً بعيد لان المغفرة والرحمة مشعرة باسقاط العقاب ولا اشعار فيهما بالنقل من صفة الكفر الى صفة الايمان والله أعلم وأما الرابع وهو أن

اعمالهم أنهم صدقوه في أنهم مرسلون من عند الله تعالى (ونتبّع الرسل) فيما جاؤا به أي تتدارك ما فرطنا ﴿ تحمل ﴾ فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسل صلى الله عليه وسلم عصياناً لهم جميعاً واما باعتبار أن المحكي كلام ظالمى الامم جميعاً والمقصود بيان وعد كل

وأقسموا بالله جهنم بما فيه
لا يبعث الله من يموت
وصيغة الخطاب في جواب
القسم لمراعاة حال
الخطاب في أقسمتم كما في
قوله حلف بالله للخزرج
وهو أدخل في التوبيخ
من أن يقال ما لنا مراعاة
لحال القسم ذكر البيهقي
عن محمد بن كعب القرظي
أنه قال لاهل النار
خمس دعوات يجيبهم
الله تعالى في أربع منها
فاذا كانت الخامسة لم
يتكلموا بعدها أبدا
يقولون ربنا أمتنا انذار
وأحييتنا التثنية فاعترفتنا
بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل فيجيبهم الله
تعالى ذلكم بأنه اذا دعى
الله وحده كفرتم وان
شركت به تؤمنوا فالحكم لله
العلي الكبير ثم يقولون
ربنا أبصرنا وسمعنا
فارجعنا لعمل صالحا
انا موقنون فيجيبهم الله
تعالى فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا الآية
ثم يقولون ربنا أخرنا الى

أجل قريب نجيب دعوتك ونبيع ﴿ ٤٦ ﴾ خا الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا
أخربنا نعمل ما الحاضر الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يذكركم فيه من تذكر وجهكم النذير
فقد ووا لا الظالمين من نصبر فيقولون ربنا غلب علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسوا فيها
لا تكلمون فلا شكلمون بعدهم-

بدان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاءهم وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انابك
 نعوذوك بكنفك نلوذعز جارك ورجل ثناؤك ولا اله غيرك (وسكنتهم) من السكنى بمعنى التبوؤ والايطان وانما استعمل بكلمة
 في حيث قيل (في مساكن الذين ظلموا انفسهم) جر ياعلى الاصل لانه منقول عن مطلق السكنون الذى حقه التعدية بها
 أو من السكنون واللبث أى قررتم في مساكنهم ﴿ ٢٦٢ ﴾ مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير

مطمئنين لانفسكم بماقلوا
 بسبب مااجتروا من
 الموبقات وفي ايقاع
 الظلم على انفسهم بعد
 اطلاقه فيما سلف ايدان
 بأن غائلة الظلم آيلة الى
 صاحبه والمردبهم اما
 جميع من تقدم من الامم
 المهلكة على تقدير
 اختصاص الاستمهال
 والخطاب السابق
 بالمنذرين وأما وائلهم
 من قوم نوح وهو دعى
 تقدير مجموعهم للكل
 وهذا الخطاب ومايتلو
 باعتبار حال أو اخرهم
 (وتبين لكم) بشهادة
 الآثار وتواتر الاخبار
 (كيف فعلنا بهم) من
 الاهلاك والعقوبة
 بما فعلوا من الظلم
 وفساد وكيف
 منصوب بما فعله من
 الفعل وليس الجملة فاعلا
 لتبين كما قاله بعض الكوفيين
 بل فاعله ما دلته هي عليه
 دلالة واضحة أى فلما
 العجيب بهم وفيه من
 المبالغة ما ليس فى أن يقال

انى أسكنت من ذرى بنى بوادى آخر الآيات ثم انهاء عطشت وعطش الصبي فانتبهت بالصبي
 الى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عيناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
 ام اسمعيل ولا انها عجلت لكنت زمزم عينا معينا ثم ان ابراهيم عليه السلام عاد بعد كبر
 اسمعيل واشتغل هو مع اسمعيل برفع قواعد البيت قال القاضي أكثر الامور المذكورة
 في هذه الحكاية بعيدة لانه لا يجوز لابراهيم عليه السلام أن ينقل ولده الى حيث لا طعام
 ولما مع انه كان يمكنه ان ينقلهما الى بلدة أخرى من بلاد الشام لاجل قول سارة الا اذا
 قلنا ان الله اعلم انه يحصل هناك ماء وطعام وأقول أما ظهور ما زمزم فيحتل أن يكون
 ابراهيم عليه السلام لان ذلك عندنا جائز خلافا للمعتزلة وعند المعتزلة انه معجزة
 لابراهيم عليه السلام ثم قال ربنا ليقوموا الصلاة والامم متعلقة بأسكنت أى اسكنت قوما
 من ذرى بنى وهم اسمعيل وأولاده بهذا الوادى لازرع فيه ليقوموا الصلاة ثم قال واجعل
 أفئدة من الناس تهوى اليهم وفيه مباحث (البحث الاول) قال الاصمعى هوى بهوى هو يا
 بالفتح اذ سقط من علوا الى سفلى وقيل تهوى اليهم تريدهم وقيل تسرع اليهم وقيل تحيط
 اليهم وتحذر اليهم وتنزل يقال هوى الحجر من رأس الجبل بهوى اذا انحدر وانصب
 وهوى الرجل اذا انحدر من رأس الجبل (البحث الثانى) ان هذا الدعاء جامع للدين والدنيا
 أما الدين فلانه يدخل فيه ميل الناس الى الذهاب الى تلك البلدة بسبب التسك والطاعة لله
 تعالى وأما الدنيا فلانه يدخل فيه ميل الناس الى نقل المعاشات اليهم بسبب التجارات
 فلاجل هذا الميل ينسج عيشهم ويكثر طعامهم ولباسهم (البحث الثالث) كلمة من في قوله
 فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم تعيد البعض والمعنى فاجعل أفئدة بعض الناس
 مائلة اليهم قال مجاهد او قال أفئدة الناس لازدجت عليه فارس والروم وانترك والهند
 وقال سعيد بن جبيرة او قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة
 من الناس فهم المسلمون ثم قال وارزقهم من الثمرات وفيه بحثان (البحث الاول) انه لم يقل
 وارزقهم ثمرات بل قال وارزقهم من الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء اتصال
 بعض الثمرات اليهم (البحث الثانى) يحتل أن يكون المراد بإيصال الثمرات اليهم إيصالها
 اليهم على سبيل التجارات وانما يكون المراد عارة القرى بالقرب منها التحصيل تلك الثمار منها
 ثم قال اعلمهم بشكروا وذلك يدل على ان المقصود لا عاقل من منافم الدنيا أن يتفرغ لاداء
 العبادات واقامة الطاعات فان ابراهيم عليه السلام بين انه لما طلب تيسير المنافع على
 أولاده لاجل أن يتفرغوا لاقامة الصلوات وأداء الواجبات (المطلوب الرابع) قوله ربنا
 انك تعلم ما نخفى وما نعلن واعلم انه عليه السلام لما طلب من الله تيسير المسامح لأولاده
 وتسهيلها عليهم ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهايات الامور فى المستقبل وانه تعالى
 هو العالم بها والمحيط بأسرارها فقال ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن والمعنى انك أعلم
 بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا ما قبل ما نخفى من الوجود بسبب حصول الفرقة بينى وبين

ما فعلنا بهم كما مر فى قوله تعالى ليس يحسنه وقرى وبين (وضر بنا لكم الامثال) أى بينا لكم فى القرآن ﴿ اسمعيل ﴾
 العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين أو على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومهم لجمع الظالمين صفات
 ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم تعتبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم
 مما لكم على ما لكم وتقولوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب

الآجل فتردعوا عما كنتم فيه من القفر والمعاصي أو يدنا لكم انكم مثلهم في القفر واسحقاق العذاب والجل التلات في موقع الحال من ضمير أفسستم أي أفسستم بالخلود والحال أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا الجيب بهم ونبيهمنا كم على جليلة الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل (وقدمكم وامكرهم) حال من الضمير الاول في فعلناهم أو من الثاني أو منهما جميعا وانما قدم عليه ﴿٣٦٣﴾ قوله تعالى وضربناكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله أي فعلناهم

ما فعلنا والحال أنهم قدمكم وافي ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استغفروا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حدمعهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد ببيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم أو قدمكم وامكرهم المذكور في ترتيب مبادئ البقاء ومداغة أسباب الزوال فالقصد اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى (وعند الله مكرهم) أي جزاء مكرهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف الى فاعله أو أخذه تعالى بهم على أنه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرًا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكره لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لأنه وعيد مستأنف والجملة

اسماعيل وما نزلن من البكاء وقيل ما نخفي من الحزن المتحكم في القلب وما نزلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حيث قالت له عند الوداع الى من تكلمنا فقال الى الله اكلمكم قالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى ثم قال وما نخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وفيه قولان (احدهما) انه كلام الله عز وجل تصديقا لبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون (والثاني) انه من كلام ابراهيم عليه السلام يعني وما نخفى على الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ولا غف من غيب الاستغراق كأنه قيل وما نخفى عليه شيء ما نعلم قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وفيه مباحث (البحث الاول) اعلم ان القرآن يدل على انه تعالى انما أعطى ابراهيم عليه السلام هذين الولدين اعني اسمعيل واسحق على الكبر والشيوخوخة فأما مقدار ذلك السن فقير معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقيل لما ولد اسمعيل كان سن ابراهيم تسعا وتسعين سنة ولما ولد اسحق كان سنه مائة والثاني عشرة سنة وقيل ولد له اسمعيل لاربع وستين سنة ولما ولد اسحق تسعين سنة وعن سعيد بن جبير لم يولد لبراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر قوله على الكبر لان المنة بهبة الولد في هذا السن أعظم من حيث ان هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم ولان الولادة في تلك السن العالمية كانت آية لبراهيم * فان قيل ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عند ما سكن اسمعيل وهاجر أمه في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولد له اسحق فكيف يمكنه أن يقول الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق * قلنا قال القاضي هذا الدليل يقتضي ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الكلام في زمان آخر لا عقب ما تقدم من الدعاء ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان كان ظاهر الروايات بخلافه (البحث الثاني) على في قوله على الكبر بمعنى مع كقول الشاعر

اني على ما ترى من كبري * أعلم من حيث يؤكل الكنتف

وهو في موضع الحال ومعناه وهب لي في حال الكبر (البحث الثالث) في المناسبة بين قوله ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما نخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء وبين قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وذلك هو كأنه كان في قلبه أن يطلب من الله اعانتهم واعانة ذريتهم بعد موته ولكنه لم يصرح بهذا المطلوب بل قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن أي انك تعلم ما في قلوبنا وضمائرنا ثم قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وذلك يدل ظاهرا على انها يتبعان بعد موته وانه مشغول القلب بسببهما فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة بعد موته على سبيل الرزق والتعريض وذلك يدل على ان الاشتغال بالشاء عند الحاجة الى الدعاء أفضل من الدعاء قال عليه السلام حاكيا عن ربه أنه قال من شغله ذكرى عن مسألتي اعطيته أفضل ما أعطى السائلين ثم قال ان ربي

حال من الضمير في مكر أو مكرهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه (وان كان مكرهم) في العظم والشدة (لتزول منه الجبال) أي وان كان مكرهم في غابة المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقامها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة

تجله مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم أو المكر الذي يحقق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه التسمية يدور ما في ان الوصلية من التأكيدي المعنوي والجواب بخدوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيد كيدها ﴿ ٣٦٤ ﴾ كافي قوله تعالى وما كان الله ليذهبهم

وينصهره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجمله حينئذ حال من الضمير في مكر والامن قوله تعالى وعند الله مكرهم أى مكرهم مكرهم والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أيدى الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذا الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم ليزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجمله

لسميع الدعاء واهل انه لما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الايضاح والتصریح قال ان ربي لسميع الدعاء أى هو عالم بالمقصود سواء صرح به أو لم أصرح وقوله سميع الدعاء من قولك سمع المالك كلام فلان اذا اعتدبه وقبله ومنه سمع الله لمن حده (المطلوب الخامس) قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على ان أفعال العبد مخلوقة لله تعالى فقالوا ان قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اجنبتى وبنى أن تعبدا لاصنام يدل على ان ترك المنهيات لا يحصل الامن الله وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل الامن الله وذلك تصریح بان ابراهيم عليه السلام كان مصراً على ان الكل من الله (المسئلة الثانية) تقدير لا يقرب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي أى واجعل بعض ذريتي كذلك لان كلمة من قوله ومن ذريتي للتبويض وانما ذكر هذا التبويض لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته جمع من المكفرات وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين (المطلوب السادس) انه عليه السلام لما دعا الله في المطالب المذكورة دعا الله تعالى في أن يقبل دعاءه فقال ربنا وتقبل دعاء وقال ابن عباس بر يدعبدني بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله (المطلوب السابع) قوله ربنا اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وفيه مشتلان (المسئلة الاولى) لقائل أن يقول طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة الذنب فهذا يدل على انه كان قد صدر الذنب عنه وانه كان قاطعاً بأن الله يغفر له فكيف طلب تحصيل ما كان قاطعاً بحصوله والجواب المقصود منه الاتجاء الى الله تعالى وقطم الطمع الامن فضله وكرمه ورحمته (المسئلة الثانية) ان قال قائل كيف جازان يستغفر لأبويه وكانا كافرين فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان المنع منه لا يعلم الا بالتوقيف فاعلم لم يجد منه متعافظن كونه كافراً (الثاني) أراد بوالديه آدم وحواء (الثالث) كان ذلك بشرط الاسلام ولقائل أن يقول لو كان الامر كذلك لما كان ذلك الاستغفار باطلا ولو لم يكن باطلا لبطل قوله تعالى الاقول ابراهيم لأبيه لاستغفرنك وقال بعضهم كانت أمه مؤمنة ولهذا السبب خص آباءه بالذكر في قوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه والله أعلم وفي قوله يوم يقوم الحساب قولان (الاول) يقوم أى ثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونظيره قوله ترجلت الشمس أى اشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل (الثاني) أن يسند الى الحساب قيام أهله على سبيل المجاز مثل قوله واسأل القرية أى أهلها والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ ولا تحسن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقبى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفتدتهم هوا (اعلم انه لما بين دلائل التوحيد حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله ان يصونه عن الشرك وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة وأن يخلصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة ذكر بعد ذلك ما يدل على وجود

كما هي حال من ضمير مكرهم أى مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع ﴿ يوم ﴾ على معنى أنه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعاً من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجمله حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكر بهم والخال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال

أى في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عن وجل واذمكرك الذين كفروا الميثبوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى ﴿ ٣٦٥ ﴾ وقدمكروا الخ حالا من القول القدر أى فيقال لهم

ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الأقسام المذكور مع ما بنا فيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أى لم يكن الصادق عنهم مجرد الأقسام الذي ونحوه بل اجتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبا ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزلزل منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم أى وقد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزلزل منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها

يوم القيامة وما يدل على صفة يوم القيامة أما الذي يدل على وجود القيامة فهو قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون فالقصود منه التنبيه على أنه تعالى لو لم ينقم للظالم من الظالم لزم أن يكون اما غافلا عن ذلك الظالم أو عاجزا عن الانتقام أو كان راضيا بذلك الظلم ولما كانت الغفلة والعجز والرضا باظلم محالا على الله امتنع أن لا ينقم للظالم من الظالم فان قيل كيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله موصوفا بالغفلة والجواب من وجوه (الاول) المراد به الثبوت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وكقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا (والثاني) ان المقصود منه بيان انه لو لم ينقم لكان عدم الانتقام لاجل غفلته عن ذلك الظلم ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما لكل أحد لاجرم كان عدم الانتقام محالا (والثالث) ان المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على التقير والقطمير (الرابع) أن يكون هذا الكلام وان كان خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر الا أنه يكون في الحقيقة خطابا مع الامة وعن سفيان بن عيينة انه تسليمة للظالم وتهديد للظالم ثم بين تعالى انه انما يؤخر عقاب هؤلاء الظالمين ليوم موصوف بصفات (الصفة الاولى) انه لشخص فيه الابصار يقال لشخص بصير الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا يطر فيها وشخص البصر بدل على الخيرة والدخشة وسقوط القوة (والصفة الثانية) قوله مهطعين وفي تفسير الاضطباع اقول أربعة (أحدها) قال أبو عبيدة هو الاسراع يقال اضطبع البعير في سيره واستهطع اذا أسرع وعلى هذا الوجه فالعنى ان الغالب من حال من يبق ببصره شائعا من شدة الخوف ان يبق واقفا فين الله تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد فانهم مع شخصي اُبصارهم يكونون مهطعين أى مسرعين نحو ذلك البلا (القول الثاني) في الاضطباع قال أحد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع (والثالث) المهطع الساكت (الرابع) قال الألب يقول للرجل اذا فرودل اضطع (الصفة الثالثة) قوله مقتعي رؤسهم والافتناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع قوله مقتعي رؤسهم أى رافعي رؤسهم والمعنى ان المعتادين يشاهد البلا انه بطرق رأسه عنه لكي لا يراه فيبين تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد وانهم يرفعون رؤسهم (الصفة الرابعة) قوله لا يرتد اليهم طرفهم والمراد من هذه الصفة دوام ذلك الشخص قوله تشخص فيه الابصار لا يفيد كون هذا الشخص دواما دائما وقوله لا يرتد اليهم طرفهم يفيد دوام هذا الشخص وذلك يدل على دوام تلك الخيرة والدخشة في قلوبهم (الصفة الخامسة) قوله واقتدتهم هواء الهواء الذي لم تشغله الاجرام ثم جعل وصفا فقيل قلب فلان هواء اذا كان خاليا لا قوة فيه والمراد بيان ان قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والافكار اعظم ما بناه الله مكرهم كاذكرنا من قبل فليتأمل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يرد به ومن كل سرور لكثرة ما فيه من الحزن اذا عرفت هذه الصفات الخمسة فقد احتلوا

مخففة من الثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكر بها ما كروا على تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كاذكرنا من قبل فليتأمل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى انما لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كما قيل

فانه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الاخرى بل ما سلف آفامن وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم
 الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى أريد به تثبيتته عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من الثقة
 بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المنتظمين لذكر تعذيب الامم السالفة
 بسبب كفرهم وعصيانهم رسلكم بعد ما وعدهم ﴿ ٣٦٦ ﴾ بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم

فكانه قيل واذا قد
 وعدناك بعذاب
 الظالمين يوم القيامة
 وأخبرناك بما يلقونه
 من الشدائد وما يسألونه
 من الرد الى الدنيا وما
 أجبناهم به وقرعناهم
 بعدم تأملهم فى أحوال
 من سبقهم من الامم
 الذين أهلكتناهم بظلمهم
 بعد ما وعدنا رسلكم
 باهلاكهم فدم على ما
 كنت عليه من اليقين
 بعدم اخلاقنا رسلنا وعدنا
 (ان الله عزيز غلب
 لا يماكر وقادر لا يقادر
 (ذواتناقم) لا وائاه
 من أعدائه والجملة تعليل
 للنهى المذكور وتذييل له
 وحيث كان الوعد
 عبارة عما ذكرنا من
 تعذيبهم خاصة لم يذيل
 بأن يقال ان الله لا يخلف
 الميعاد بل تعرض لوصف
 العزة والانتقام المشعرين
 بذلك والمراد بالانتقام
 ما أشير اليه بالفعل وعبر
 عنه بالذكر (يوم تبدل
 الارض غير الارض)

فى وقت حصولها قيل انها عند المحاسبة دليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقيب
 وصف ذلك اليوم بأنه يوم يقوم الحساب وقيل انها تحصل عند ما تميز فريق عن فريق
 والسعداء يذهبون الى الجنة والاشقياء الى النار وقيل بل تحصل عند اجابة الداعى والقيام
 من القبور والاول اولى للدليل الذى ذكرناه والله اعلم * قوله تعالى (وأنذر الناس يوم
 يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلوا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وندع الرسل
 أولم تكونوا أفسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلوا أنفسهم
 وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربناكم الامثال) اعلم ان قوله يوم يأتيهم العذاب فيه
 ابحاث (البحث الاول) قال صاحب الكشف يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لقوله
 وأنذر وهو يوم القيامة (البحث الثانى) الالف واللام فى لفظ العذاب للمعهود السابق
 يعنى وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب الذى تقدم ذكره وهو شخصوهم بأبصارهم وكونهم
 مهطعين متعجبين رؤسهم (البحث الثالث) الانذار هو التخويف بذكر المضار والمفسرون
 مجمعون على أن قوله يوم يأتيهم العذاب هو يوم القيامة وحله أبو مسلم على انه حال المعاينة
 والظاهر يشهد بخلافه لانه تعالى وصف اليوم بأن عذابهم باتى فيه وانهم يسألون الرجعة
 ويقول لهم أولم تكونوا أفسمتم من قبل ما لكم زوال ولا يلى ذلك الا يوم القيامة
 وحجة أنى مسلم ان هذه الآية شبيهة بقوله تعالى وانفلقوا عما رزقناكم من قبل أن أتى
 أحدكم الموت فيقول رب ولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق ثم حكى الله سبحانه ما يقول
 الكفار فى ذلك اليوم فقال فيقول الذين ظلوا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك
 وندع الرسل واختلفوا فى المراد بقوله أخرنا الى أجل قريب فقال بعضهم طلبوا الرجعة
 الى الدنيا ليتلافوا ما فرطوا فيه وقال بعضهم بل طلبوا الرجوع الى حال التكليف بدليل
 قولهم نجيب دعوتك وندع الرسل وأما على قول أنى مسلم فأنه بل هذه الآية بظاهر فقال
 تعالى لمحببهم أولم تكونوا أفسمتم من قبل ما لكم من زوال ومعناه ما ذكره الله تعالى
 فى آية أخرى وهو قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من موت الى غير ذلك
 مما كانوا يذكرونه من انكار المعاد فقرعهم الله تعالى بهذا القول لان التقرع بهذا الجنس
 أقوى ومعنى ما لكم من زوال لاشبهته فى انهم كانوا يقولون لا زوال لنا من هذه الحياة الى
 حياة اخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة لأنهم كانوا يشكرون أن يزولوا عن حياة الى
 موت أو عن شباب الى هرم أو عن فقر الى غنى ثم انه تعالى زادهم تقرعاً آخر بقوله وسكنتم
 فى مساكن الذين ظلوا أنفسهم يعنى سكنتم فى مساكن الذين كفروا قبلكم وهم قوم نوح
 وعاد وثمود وظلوا أنفسهم بالكفر والمعصية لان من شاهد هذه الاحوال وجب عليه أن
 يعتبر فاذا لم يعتبر كان مستوجبا للذم والتقرع ثم قال وتبين لكم كيف فعلنا بهم وظهر لکم
 ان عاقبتهم عادت الى الوبال والخزى والشك فان قيل ولماذا قيل وتبين لكم كيف فعلنا بهم
 ولم يكن القوم يقولون بأنه تعالى أهلكتهم لاجل تكذيبهم قلنا انهم علموا أن أولئك المتقدمين

ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور أى ينجزه يوم الخ او معطوف عليه نحو وارتقب ﴿ كانوا ﴾
 يوم تبدل الارض غير الارض أو لانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له أحوال جنة يذكر كل مرة بعنوان
 مخصوص والتعديده مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخرة الى ذلك
 اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر

و باضمار لا يخلف وعدة يوم تبذل الخ وفيه أيضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الاحتذار ولا يجوز أن ينصب بقوله يخلف وعده لأن ما قبل أن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى إن الله عز وجل ذو انتقام جلة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم أن التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم ودانير عليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت ٣٦٧ الخ الحلقة خاتما اذا غبرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله

سنياتهم حسنات على بعض
الاقوال والآية الكريمة
ليست بنص في أحد
الوجهين فمن على رضى الله
عنه تبدل أرضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن
مسعود رضى الله عنه
تبدل الأرض بأرض
كالفضة بيضاء نقية
لم يسفك فيها دم ولم يعمل
عليها خطيئة وعن ابن
عباس رضى الله عنهما
هى تلك الأرض وانما تغير
صفاتها وأنشد
وما الناس بالناس الذين
عهدتهم * وما الدار
بالدار التى كنت تعلم *
وتبدل السموات بانشار
كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها أبوابا يبدل عليه
ما روى أبو هريرة رضى الله
عنه أنه عليه الصلاة
والسلام قال تبدل الأرض
غير الأرض فتبسط
وتمدد الأديم العكاظي
لا ترى فيها عرجا وأمتا
(والسموات) أى وتبدل
السموات غير السموات
حسب ما مر من التفصيل

كانوا طالعين للدين ثم انهم فنوا وانقرضوا فعند هذا يعلمون انه لا فائدة في طلب الدنيا
والواجب الجد والاجتهاد في طلب الدين والواجب على من عرف هذا أن يكون خائفا وجلالا
فيكون ذلك زجراله هذا اذا قرئ بالثناء اما اذا قرئ بالنون فلا شبهة فيه لأن التقدير كأنه
تعالى قال أو لم تبين لكم كيف فعلنا بهم وليس كل ما بين لهم تبينوه أما قوله ومضربنا لكم
الامثال فالمراد ما أورده الله في القرآن مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء
وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجل وذلك في كتاب الله كثير والله أعلم
بقوله تعالى (وقدم مكرهم وامكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) اعلم
انه تعالى لما ذكر صفة عقابهم أتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقدم مكرهم وامكرهم وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أن الضمير في قوله وقدم مكرهم الى ما ذا يعود على وجوه
(الاول) أن يكون الضمير عائدا الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا
القول الصحيح لأن الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات (والثاني) أن يكون المراد به
قوم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله وأندرت الناس بالحمد وقدم مكرهم فومك مكرهم
وذلك المكر هو الذى ذكره الله تعالى في قوله واذا يكر بك الذين كفروا يثبتوك أو يقتلوك
أو يخرجوك وقوله مكرهم أى مكرهم العظيم الذى استغروا فيه جهدهم (الثالث) ان
المراد من هذا المكر مانع ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا ربط
قوائمه الاربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت
عصيا ر بما وعلق على كل واحدة منهن قطعة لخم ثم انه جاس مع حاجبه في ذلك التابوت
فلما بصرت النور تلك الحجوم تصاعدت في جوف الهواء ثلاثة أيام وغابت الدنيا عن عين
نمرود ورأى السماء بجماله فتكس تلك المعصى التى علق عليها اللحم فسفلت النور
وهبطت الى الأرض فهذا هو المراد من مكرهم قال القاضى وهذا بعيد جدا لان الخطر فيه
عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ولا حجة في تأويل الآية البتة
(المسئلة الثانية) قوله وعند الله مكرهم فيه وجهان (الاول) أن يكون المكر مضافا الى
الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه
(والثاني) أن يكون المكر مضافا الى المفعول والمعنى وعند الله مكرهم الذى يكره بهم وهو
عذابهم الذى يستحقونه بأنهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون أما قوله تعالى وان
كان مكرهم لتزول منه الجبال فاعلم انه قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع
اللام الاخرى منه والباقون بكسر الاولى ونصب الثانية أما القراءة الاولى فمعناها ان
مكرهم كان معدا لأن تزول منه الجبال وليس المقصود من هذا الكلام الاخبار عن وقوعه
بل التعظيم والتهويل وهو كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وأما القراءة الثانية فالمعنى
ان لفظة ان في قوله وان كان مكرهم بمعنى ما واللام المكسورة بعدها يعنى بها المحذور ومن
سبيلها نصب الفعل المستقبل والنحويون يسمونها لام الحمد ومثله قوله تعالى وما كان الله

وتقديم تبدل الأرض لقرنها منا ولكون تبدلها أعظم أثرا بالنسبة اليها (وبرزوا) أى الخلائق أو الظالمون
المدلول عليهم بمعونة السباق والمراد بروزهم من أجداثهم التى في بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التى كانوا
يعملونها سرا ويزعون انها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع أنه لا عملهم الا بآذان
بذلك شكلهم بأشكال تناسلهم

وهو موقوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الارض بتقدير قدوا والابط
بينها وبين صاحبها الواو (لله الواحد القهار) الحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتحويل الخطب وترتبة
المهايلة واطهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق آيات العذاب الموعود
على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر ﴿ ٣٦٨ ﴾ اذا كان الواحد غلاب لا يعار وقادر لا يضار

ولا يعار كان في غاية ما يكون
من الشدة والصعوبة
(وترى المجرمين) عطف
على برزوا والعدول
الى صيغة المضارع
لاستحضار الصورة
أو للدلالة على الاستمرار
وأما البروز فهو دفعي
لا استمرار فيه وعلى تقدير
حالته برزوا فهو موقوف
على تبدل ويجوز عطفه
على عامل الظرف القدم
على تقدير كونه ينجزه
(يومئذ) يوم اذ برزوا له
عز وجل أو يوم اذ تبدل
الارض أو يوم اذ ينجز
وعده (مقرنين) قرن
بعضهم مع بعض حسب
اقتنائهم في الجرائم والجزاء
أو قرنوا مع الشياطين
الذين أغوؤهم أو قرنوا
مع ما اقترؤا من العقائد
الزائفة والملكات الردية
والاعمال السيئة غيب
تصور كل منها وتشكلها
بما يناسبها من الصورة
الموحشة والاشكال الهائلة
أو قرنت أيديهم وأرجلهم
الى رقابهم وهو حال
من المجرمين (في الاصفاة)

ليطلعكم على الغيب ما كان الله ليذره للمؤمنين والجبال ههنا مثل الامر التي صلى الله عليه
وسلم ولا مدين الاسلام واعلامه ودلائله على معنى ان ثبوتها كثبوت الجبال الراسية لان
الله تعالى وعذبيه اظهر دينه على كل الاديان ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد
هذه الآية فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله أى قد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم
والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال أى وكان مكرهم أو هن واضعف من أن تزول
منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته وقرأ على وعمر
أن كان مكرهم * قوله تعالى (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله ان الله عز ورتق انتقام) اعلم
انه تعالى قال في الآية الاولى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقال في هذه الآية
فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله والمقصود منه التنبيه على انه تعالى اولم يقيم القيامة
ولم ينتقم للظالمين من الظالمين لزم اما كونه غافلا واما كونه مخفيا في الوعد ولما تقرر
في العقول السليمة ان كل ذلك محال كان القول بأنه لا يقيم القيامة باطلا وقوله يخلف
وعده رسله يعنى قوله اننا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لا تغلبن أنوار رسله فان قيل هلا قيل
يخلف رسله وعده ولم يقدم المفعول الثانى على الاول فلنا يعلم انه لا يخلف الوعد أصلا ان
الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى لما لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه
اخلاف المواعيد فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرى يخلف وعده رسله يجر
الرسول ونصب الوعد والتقدير يخلف رسله وعده وهذه القراءة في الضعف كى قرأ قل
أولادهم شركائهم ثم قال ان الله عز رى غاب لا يما كر ذوات انتقام لا وليا * قوله تعالى
(يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين
يومئذ مقرنين في الاصفاد سرايلهم من فطران ونعشى وجوههم انار ليجرى الله كل
نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا أنما هو الله
واحد وليذكر أولوا الالباب) اعلم ان الله تعالى لما قال عز يز دوات انتقام بين وقت انتقامه
فقال يوم تبدل الارض غير الارض وعظم من حال ذلك اليوم لانه لا أمر اعظم في القول
والنفوس من تغيير السموات والارض وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الزجاج
في نصب يوم وجهين اما على الظرف لانتقام أو على البدل من قوله يوم يأتيهم العذاب
(المسئلة الثانية) اعلم ان التبدل يحتمل وجهين أحدهما أن تكون الذات باقية وتبدل
صفة بها بصفة اخرى والثانى أن تفتى الذات الاولى وتحدث ذات اخرى والدليل على ان ذكر
لفظ التبدل لارادة التغير في الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها
خاتما فقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك بيد الله سيئاتهم حسنات
ويقال بدلت قميص جبة أى نقلت العين من صفة الى صفة اخرى ويقال تبدل
زيد اذا تغيرت أحواله وأما ذكر لفظ التبدل عند وقوع التبدل في الذوات فكذلك
بدلت الدارهم دنائير ومنه قوله بدلتناهم جلودا غيرها وقوله بدلتناهم بجنتهم جنتين اذا

﴿ عرفت ﴾

في القيود أو الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أى مصنفين
(سرايلهم) أى قصاصهم (من فطران) جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالة من المجرمين أو من ضميرهم
في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في أو مستأنفة والقطران ما يخب من الابل فيطبخ فتنأ به
الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته

الى الجوف وهو اسود من شدة اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود ملاوثة لهم كالسراويل
ليجتمع عليهم الالوان الاربعه من العذاب لذعه ﴿٣٦٩﴾ وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش

والنتق على أن التفاوت
بينه وبين ما نشاهده
وبين النارين لا يكاد
يقادر قدره فكان
ما نشاهده منها أسماء
مسمياتها في الآخرة
فكرمه العليم نعوذ
وبكفته الواسع نلوذ
ويحتمل أن يكون ذلك
تمثيلاً لما يحيط بجوهر
النفس من الملكات
الردية والهنات الوحشية
فتجلب إليها الآلام
والغموم بل وأن يكون
القطران المذكور ههنا
مما لا يسوء في هذه النشأة
وجعله شعاعاً لهم من
العقائد الباطلة والأعمال
السنية المستحيلة لغفون
العذاب قد تجسدت
في النشأة الآخرة تلك
لصورة المستتعة لاشتداد
العذاب عضمتنا الله
سبحانه عن ذلك بمنه
وأطفه وقرى من قطران
أى نحاس مذاب متناه
حره (وتغشى وجوههم
النار) أى تعلوها وتحيط
بها النار التي تمس جسد
المسربل بالقطران
وتخصيص الوجوه
بالحكم المذكور مع عموم
النار أعضاءهم لكونها

عرفت ان اللفظ يحتمل لكل واحد من هذين المفهومين في الآية قولان (الاول) ان
المراد بتبديل الصفة لتبديل الذات قال ابن عباس رضى الله عنهما هي تلك الارض
الأنها تغيرت في صفاتها فتفسير عن الارض جبالها وتغير بحارها ونسوى فلا يرى فيها
عوج ولأمت وروى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبي صلى عليه وسلم انه قال يبدل
الله الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مداً لا يملأها فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً
وقوله والسموات أى تبدل السموات غير السموات وهو كقوله عليه السلام لا يقلل مؤمن
بكافراً ولا ذوعهد في عهد ولا ذوعهد في عهد بكافراً وتبديل السموات بانثثار
كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قرها وكونها أبواباً وانها تارة تكون
كالهلال وتارة تكون كالدهان (والقول الثاني) ان المراد بتبديل الذات قال ابن مسعود
تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة فهذا شرح
هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لان قوله يوم تبدل الارض المراد
هذه الارض والتبدل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة لا بد أن يكون الموصوف
موجوداً فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الارض وجب كون هذه الارض باقية
عند حصول ذلك التبدل ولا يمكن أن تكون هذه الارض باقية مع صفاتها عند حصول
ذلك التبدل واللامتنع حصول التبدل فوجب أن يكون الباقي هو الذات فثبت ان هذه
الآية تقتضى كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون ان عند قيام
القيامة لا يدم الله الذوات والاجسام وانما يعدم صفاتها وأحوالها واعلم انه لا يبعد أن
يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم ويجعل
السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلان كتاب الابرار لى عليين وقوله كلان
كتاب القهار لى سجين والله أعلم أما قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار فنقول أما البروز
فهو فقد فسرناه في قوله تعالى وبرزوا لله جميعاً وانما ذكر الواحد القهار ههنا لان الملك اذا
كان للمالك واحد غلب لا يغالب قهار لا يقهر فلا مستغاث لاحد الى غيره فكان الامر في
غاية الصعوبة ونظيره قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما وصف نفسه سبحانه
بكونه قهاراً بين عجزهم وذلته فقال وترى المجرمين يومئذ واعلم انه تعالى ذكر من صفات
عجزهم وذلته أموراً (فالصفة الاولى) كونهم مقرنين في الاصفاد يقال قرنت الشئ بالشئ
اذا شدته به ووصلته والقران اسم للجبيل الذى يشده شيان وجاء ههنا على التكثير كثرة
أولئك القوم والصفاد جمع صفد وهو القيد اذا عرفت هذا فنقول في قوله مقرنين ثلاثة
أوجه (أحدها) قال السكبي مقرنين كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو معنى قوله
واذا النفوس زوجت أى قرنت فيقرن الله تعالى نفوس المؤمنين بالخور العين ونفوس
الكافرين بفرائسهم من الشياطين واقول حظ البحث العقلى منه ان الانسان اذا فارق
الدنيا فاما ان يكون قد راض نفسه وهذبتها ودعاها الى معرفة الله تعالى وطاعته ومحبة

أعز الاعضاء الظاهرة وأشرفها ﴿٤٧﴾ خا كقوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها
تجم المشاعر والحواس

التي خلقت لادراك الحق وقد عرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كان الفؤاد أشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقدموها بالجهالات ولذلك قيل نطلع على ﴿ ٣٧٠ ﴾ الافئدة أو نخلوها عن القطران المغنى عن ذكر

غشيان النار لها ولعل
تخليتها عنه ليتعارفوا
عند انكشاف الاله
أحيانا ويتضاعف
عذابهم بالخرى على
رؤس الاشهاد وقرى
تغشى أى تغشى بخدف
احدى البنين والجملة
نصب على الحالية لاعلى
أن الواو حالية لانه
مضارع مثبت بل على
أنها معطوفة على الحال
قاله أبو البقاء (ليجزي
الله) متعلق بمضمر أى
يفعل بهم ذلك ليجزى
(كل نفس) مجرمة
(ما كسبت) من أنواع
الكفر والمعاصي جزاء
ووفقا لعملها وفيه ايدان
بأن جزاءهم مناسب
لاعمالهم أو بقوله برزوا
على تقدير كونه معطوفا
على تبدل والضمير للخلق
وقوله وترى المجرمين
الخ اعتراض بين المنعك
والمتعلق به أى برزوا
لحساب ليجزى الله كل
نفس مطيعة أو فاصية
ما كسبت من خيرا وشر
وقد اكتفى بذكر عقاب
العصاة تعويلا على
شهادة الحال لاسيما

أو ما فعل ذلك بل تركها متوغلة في اللذات الجسدانية مقبلة على الاحوال الوهمية
والخيالية فان كان الاول فذلك النفس تفارق مع تلك البهجة بالحضرة الالهية والسعادة
بالعبادة الصمدانية وان كان الثاني فذلك النفس تفارق مع الاسف والحزن والبلاء الشديد
بسبب الميل الى عالم الجسم وهذا هو المراد بقوله واذا النفوس زوجت وشيطان النفس
الكافرة هي الملكات الباطلة والحوادث الفاسدة وهو المراد من قول عطاء ان كل كافر
مع شيطانه يكون مقرونا في الاصفاذ (والقول الثاني) في تفسير قوله مقربين في الاصفاذ
وهو قرن بعض الكفار ببعض والمراد ان تلك النفوس الشقية والارواح المكذبة
الظلمانية لكونها متجانسة متشاككة ينضم بعضها الى بعض وتنادى ظلمة كل واحدة
بمنها الى الاخرى فأخذ كل واحدة منها الى الاخرى في تلك الظلمات والخسارات هي
المراد بقوله مقربين في الاصفاذ (والقول الثالث) قل زيد بن ارقم قرنت أيديهم وأرجلهم
الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل من ذلك ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل
بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء فاذا كانت تلك الملكات ظلمانية كدرة
صارت في المثال كلن أيديها وأرجلها قرنت وغلت في رقابها وأما قوله في الاصفاذ فقيه
وجهمان أحدهما ان يكون ذلك متعلقا بمقرنين والمعنى يقرون بالاصفاذ والثاني أن لا
يكون متعلقا به والمعنى انهم مقرونون مقيدون وحظ العقل معلوم مما سلفت الاشارة اليه
(الصفة الثانية) قوله تعالى سرايلهم من قطران السرايل جمع سرايل وهو القميص
والقطران فيه ثلاث ثبات قطران وقطران يفتح القاف وكسر هاء مع سكون الطاء
ويفتح القاف وكسر الطاء وهو شئ يتجلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ ويطلى به الابل
الجرب فيحرق الجرب بحرارته وحده وقد تصل حرارته الى داخل الجوف ومن شأنه أن
يتسارع فيه اشتعل النار وهو أسود اللون منتق الریح فتطلى به جلود أهل النار حتى
يصير ذلك الضئى كالسرايل وهي اغميص فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لدع
القطران وحرقة وسراع النار في جلودهم والابن الوحش ونبث الریح وأيضاً التفاوت
بين قطران القيامة وقطران الدنيا كما تفاوت بين النارين وأقول حظ العقل من هذا ان
جوهر الروح جوهر مشرق لامع من عالم القدس وغيبة الجلال وهذا البدن جار مجرى
السرايل والقميص له وكل ما يحصل للنفس من الآلام والنعوم فانما يحصل بسبب
هذا البدن فلهذا البدن اندع وحرقة في جوهر النفس لان الشهوة والحرص والغضب
انما تتسارع الى جوهر الروح بسببه وكونه للكثافة والكدورة والظلمة هو الذي يخفى
لعمان الروح وضوءه وهو سبب لحصول انتق والعمونة فشبه هذا الجسد بسرايل
من القطران والقطر وقرأ بعضهم من قطران والقطر التماس أو الصفر المذاب والآتى
المتناهي حره قال ابو بكر بن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك القطران ولا تغنيه
كما لا تهلك النار أجسادهم والاغلال التي كانت عليهم (الصفة الثالثة) قوله تعالى

معملا حطة سبق الرحمة الواسعة (ان الله سريع الحساب) اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ﴿ وتغشى ﴾
فما يكون من الزمان فيوفى الجزاء بحسبه أو سريع المحيى يأتي عن

فريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) اى ماذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله ﴿ ٣٧١ ﴾ سريع الحساب (بلاغ) كفاية في العظة والتذكير

من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع (للناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وأندر الناس أولهم ولهم مؤمنين كافة على تقدير شمولهم أيضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين (وليندروا به) عطف على مقدروا باللام متعلقة بالبلاغ أى كفاية لهم فى أن ينصحوا وينذروا به أو هذا بلاغ لهم ليفهموه وليندروا به على أن البلاغ بمعنى البلاغ كفى قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أى وليندروا به انزل أو تلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ اذا علمه وحذره واستعد له (وليعلموا) بالنأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التى هى اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق (أنما هوالة واحد)

وتغشى وجوههم النار ونظيره قوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله يوم يحسبون فى النار على وجوههم واعلم ان موضع المعرفة والشكره والعلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم والخيال هو الرأس وأثر هذه الاحوال انما تظهر فى الوجه فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار العقاب فيهما فنال فى القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة وقال فى الوجهه وتغشى وجوههم النار بمعنى تغشى ولما ذكر تعالى هذه الصفات الثلاث قال ليجزى الله كل نفس ما كسبت قال الواحدى المراد منه أنفس الكفار لان ما سبق ذكره لا يليق أن يكون جزاء لاهل الايمان وأقول يمكن اجراء اللفظ على عمومهم لان افظ الآية يدل على أنه تعالى يجزى كل شخص بما يليق بعمله وكسبه ولما كان كسب هؤلاء الكفار الكفر والمعصية كان جزاؤهم هو هذا العقاب المذكور ولما كان كسب المؤمنين الايمان والطاعة كان اللاتى بهم هو الثواب وأيضا نال تعالى لما عاقب المجرمين بجرمهم فلائى ثبت المطيعين على طاعتهم كان أولى ثم قال تعالى ان الله سريع الحساب والمراد أنه تعالى لا يظلمهم ولا يزيد على عقابهم الذى يستحقونه وحظ العقل منه ان الاخلاق الظلمانية هى المبادئ لحصول الآلام الروحانية وحصول تلك الاخلاق فى النفس على قدر صدور تلك الاعمال منهم فى الحياة الدنيا فان الملكات النفسانية انما تحصل فى جوهر النفس بسبب الافعال المنكره وعلى هذا التقدير فلك الآلام تتفاوت بحسب تلك الافعال فى كثرتها وقلتها وشدتها وضعفها وذلك يشبه الحساب ثم قال تعالى هذا بلاغ للناس أى هذا التذكير والموعظة بلاغ للناس أى كفاية فى الموعظة ثم اختلفوا فقيل ان قوله هذا اشارة الى كل القرآن وقيل بل اشارة الى كل هذه السورة وقيل بل اشارة الى المذكور من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب وأما قوله وليندروا به فهو معطوف على محذوف أى ليتصحوا وليندروا به أى بهذا البلاغ ثم قال وليعلموا أنما هوالة واحد وليذكر أولوالالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا فى هذا الكتاب مرارا ان النفس الانسانية لها شعبتان القوة النظرية وكال حالها فى معرفة الموجودات بأقسامها واجناسها وأنواعها حتى تصير النفس كالمرآة التى يعكس فيها قدس الملكوت ويظهر فيها جلال الالهوت ورئيس هذه المعارف والجلاء معرفة توحيد الله بحسب ذاته وصفاته وافعاله والشعبة الثانية القوة العملية وسعادتها فى أن تصير موصوفة بالاخلاق الفاضلة التى تصير مبادئ لصدور الافعال الكاملة عنها ورئيس سعادات هذه القوة طاعة الله وخدمته اذا عرفت هذا فتقول قوله وليعلموا أنما هوالة واحد اشارة الى ما يجزى مجزى الرئيس لكمال حال القوة النظرية وقوله وليذكر أولوالالباب اشارة الى ما يجزى مجزى الرئيس لكمال حال القوة العملية فان الفائدة فى هذا التذكر انما هو الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الخاتمة كالدليل القاطع فى انه

لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعى الى التأمل المؤدى الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر فى قوله تعالى (وليذكر أولوالالباب) أى ليتذكروا وما كانوا يعملونه

من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فبرئوا عما يرد عليهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويندفعوا بما يحظيهم من العقائد * ٣٧٢ * الحقة والأعمال الصالحة وفي تخصيص التذكار بأولى

الآليات تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لكل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيد به البلاغ من التوحيد وما يقرب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمرا حادنا وبالنسبة إلى أولى الآليات الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكير وروى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الأولى والعقبى آمين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده * (سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) قدم الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها (تلك) إشارة إلى أي * (اسم) تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل الموهوب الفنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به

لإسعاد الإنسان الامن هاتين الجهتين (المسئلة الثانية) هذه الآيات مشعرة بأن التذكير بهذه المواظ والنصائح واجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان المرء اذا سمع هذه التحذيرات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل فوصل الى معرفة التوحيد والشبهة واشتغل بالأعمال الصالحة (المسئلة الثالثة) قال القاضي أول هذه السورة وآخرها يدل على ان العبد مستقل بفعله ان شاء اطاع وان شاء عصى أما أول السورة فهو قوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فان قد ذكرنا هناك ان هذا يدل على ان المقصود من انزال الكتاب ارشاد الخلق كلهم الى الدين والتقوى ومنعهم عن الكفر والمعصية وأما آخر السورة فلان قوله وليتذكر أولوا الآليات يدل على أنه تعالى انما أنزل هذه السورة وانما ذكر هذه النصائح والمواظع لاجل أن ينفع الخلق بها فيصبروا مؤمنين مطيعين ويتركوا الكفر والمعصية فظهر ان أول هذه السورة وآخرها متطابقان في افادة هذا المعنى واعلم ان الجواب المستقصى عنه المذكور في أول السورة فلا فائدة في الاعادة (المسئلة الرابعة) هذه الآية دالة على أنه لا فضيلة للإنسان ولا منقبة له الا بسبب عقله لانه تعالى بين أنه انما أنزل هذه الكتب وانما بعث الرسل لذكركم أولى الآليات فلو لا الشرف العظيم والمرتبة العالية لأولى الآليات لما كان الامر كذلك قال المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه تفسيرا هذه السورة يوم الجمعة في أواخر شعبان سنة احدى وسمائة ختم بالخبر وانفقران في صحراء بغداد ونسأل الله الخلاص من العموم والاحزان والفوز بدرجات الجنان والخلاص من دركات النيران انه الملك المنان الرحيم الديان بحمد الله وحسن توفيقه وصلاته وسلامه على خاتم النبيين محمد وآله وسلم

(سورة الحجر تسعون وتسع آيات مكية)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الزكيات آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وبلههم الامل فسوف يعلمون) اعلم ان قوله تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله تعالى به محمد صلى الله عليه وسلم وتشكيك القرآن للتفخيم والمعنى تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان أما قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وعاصم ربما خفيفة الباء والياقون مشددة قال أبو حاتم أهل الحجاز يخففون ربما وقيس وبكر يثقلونها وأقول في هذه اللفظة لغات وذلك لان الراء من رب وردت مضمومة ومفتوحة أما اذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة ومخففة وسأكنه وعلى كل التقدير تارة مع حرف ما وتارة بدونها وأيضا تارة مع التاء وتارة بدونها وأنشدوا

(الر) قدم الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخواتها (تلك) إشارة إلى أي * (اسم) تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل الموهوب الفنى عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به

على الاطلاق أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن تجميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذهو والتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق ﴿ ٣٧٣ ﴾ وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت اليه من نعوت

الكمال لاعلى جملة
عبارة عن السورة اذهو
في الانصاف بذلك
ليست بتلك المرتبة
من الشهرة حتى يستغنى
عن التصريح بالوصف
على أنها عبارة عن
جميع آياتها فلا بد من
جعل تلك اشارة الى كل
واحدة منها وفيه من
التكليف ما لا يخفى كما
ذكر في سورة الرعد
(وقرآن) أى قرآن
عظيم الشأن (مبين)
مظهر لما في تضايفه
من الحكم والاحكام
أولسبيل الرشد والغي
أوفارق بين الحق
والباطل والحلال
والحرام ولقد فخم شأنه
العظيم مع ما جمع فيه من
وصفي الكآبة والقرآنية
على طريقتين احدهما
اشتغال على صفات كمال
جنس الكتب الالهية
فكانه كلها والثانية
طريقة كونه متمازا
عن غيره نسج وحده
بديعا في بابه خارجا
عن دائرة البيسان
وأخرت الطريقة
الثانية لما أن اشارة

أسمى ما يدريك أن رب فتية * باكرت لذتهم بأ ذكر مسرع
وزب بنسكين الباء وأنشدوا بيت الهذلي

أزهبران يشب القذال فأنى * رب هبضل مر من كفت هبضل
والهبضل جماعة منسجمة وأبضا هذه الكلمة قد تجبى حالي تشديد الباء وتخفيفها مع
حرف ما كقولك ربما ورتا مع التاء وحرف ما كقولك رتاور بما هذا كله اذا
كانت الراء من رب مضمومة وقد تكون مفتوحة فيقال رب ورتا حكا قطرب
قال أبو علي من الحروف ما دخل عليه حرف التانيث نحو ثم وثت ورب ورتا ولاولات
فهذه اللغات بأسرها رواها الواحدى في السبسط (المسئلة الثانية) رب حرف جر عند
سبويه ويلحقها ما على وجهين أحدهما أن تكون نكرة بمعنى شئ وذلك كقوله
رب مات نكرة النفوس من الام * رله فريجة كحل العقال

فأق هذا البيت اسم والدليل عليه عود الضمير اليه من الصفة فان المعنى رب شئ نكرهه
النفوس واذا عاد الضمير اليه كان اسما ولم يكن حرفا كما ان قوله تعالى أيجسبون أنما
نمدهم به من مال وبنين لما عاد الضمير اليه علمنا بذلك انه اسم وما يدل على ان ما قد يكون
اسما اذا وقعت بعد رب وقوع من بعدها في قول الشاعر

يارب من ينقص أزوادنا * رحن على نقصاته واغندبن

فكما دخلت رب على كلمة من وكانت نكرة فكذلك تدخل على كلمة ما فهذا ضرب
والضرب الآخر أن تدخل ما كافة كافي هذه الآية والتحويون يسمون ما هذه كافة
يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان له واذا حصل هذا الكف
فحينئذ تمها للدخول على ما لم تكن تدخل عليه ألا ترى ان رب انما تدخل على الاسم
المفرد نحو رب رجل يقول ذاك ولا تدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها هيأتها للدخول
على الفعل كهذه الآية والله أعلم (المسئلة الثالثة) اتفقوا على ان رب موضوعة
للتقليل وهي في التقليل نظيرة كم في التكثير فاذا قال الرجل ربما زارنا فلان دل ربما
على تقليله الزيادة قال الزجاج ومن قال ان رب يعنى بها الكثرة فهو ضد ما يعرفه أهل
اللغة وعلى هذا التقدير فهمنا سؤال وهو ان تمنى الكافر الاسلام مقطوع به وكلمة رب
تفيد الظن وأبضا ان ذاك التنى يكثر ويتصل فلا يلقى به لفظ ذر بما مع انها تفيد التقليل
والجواب عنه من وجوه (الاول) ان من عادة العرب انهم اذا أرادوا التكثير ذكروا
لفظا وضع للتقليل واذا أرادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود منه اظهار
التوقع والاستغناء عن التصريح بالغرض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم
على فعلك وان كان العلم حاصل بكثره الندم ووجوده بغير شك ومنه قول القائل
* قد أترك القرن مصغرا أنامله * (والوجه الثانى) في الجواب ان هذا التقليل أبلغ في
التهديد ومعناه انه بكفك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا العمل فكيف كثيره

الى امتياز عن سائر الكتب بعد التنبه على انطوائه على كالات غيره من الكتب أدخل في المدح كى لا يتوهم من أول
الامر أن امتازة عن غيره لاستقلاله بأوصاف خاصة به من غير اشتغال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا
الكلام في فائحة سورة النما خلا أنه قدم فعلا القاء على الكتاب لما سذكر هناك فلا بد من كونه السورة الكريمة

بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيهما من الاحكام والقصاص والمواظب شرع في بيان ما سمي منه
 قيل (ربما) بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ ﴿ ٣٧٤ ﴾ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة الاء

مشددا وفيه ثلث لغات
 فتح الراء وضهاا شديدا
 ومخففا وبزيادة التاء
 أيضا مشددا ومخففا
 ورب حرف جر لا يدخل
 الاعلى الاسم وما كافة
 مصححة لدخوله على
 الفعل وحقه الدخول
 على الماضي ودخوله
 على قوله تعالى (يود الذين
 كفروا) لما أن المترقب
 في اخباره تعالى كالماضي
 المقطوع في تحقق
 الوقوع فكانه قبل
 ربما ووالذين كفروا
 والمراد كفرهم بالكتاب
 والقرآن ويكونه من
 عند الله تعالى (لو كانوا
 مسلمين) متقادين لحكمه
 ومذنبين لامره وفيه
 ايدان بأن كفرهم انما
 كان بالجوذب بعد ما علموا
 كونه من عند الله تعالى
 وتلك الودادة يوم القيامة
 أو عند موتهم أو عند
 معاناة حالهم وحال
 المسلمين أو عند رؤيتهم
 خروج عصاة المسلمين
 من النار روى أبو موسى
 الأشعري رضي الله عنه
 أنه قال قال النبي صلى الله
 عليه وسلم اذا كان يوم

(والوجه الثالث) في الجواب انه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك الا في القليل (المسئلة
 الرابعة) اتفقوا على ان كلمة رب مختصة بالدخول على الماضي كما يقال ربما قصدني هو رب
 الله ولا يكاد يستعمل المستقبل بعدها وقال بعضهم ليس الامر كذلك والدليل عليه قول
 الشاعر ربما تكره النفوس من الامر وهذا الاستدلال ضعيف لاننا ان كلمة رب في
 هذا البيت داخل على الاسم وكلامها في انها اذا دخلت على الفعل وجب كون ذلك
 الفعل ماضيا فأين أحدهما من الآخر الا أني أقول قول هؤلاء الادباء لا يجوز دخول
 هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي وانما الرجوع فيه الى
 النقل والاستعمال ولو أنهم وجدوا يتماشرا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز تصحيح
 وكلام الله أقوى وأجل وأشرف فلم يتسكروا بوروده في هذه الآية على جوازه وصحته
 ثم نقول ان الادباء أجابوا عن هذا السؤال من وجهين (الاول) قالوا ان المترقب في
 اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قبل ربما ودوا (الثاني) ان
 كلمة ما في قوله ربما يود الذين كفروا اسم ويود صفة له والتقدير رب شي يوده ان الذين كفروا
 قال الزجاج ومن زعم ان الآية على اصحها كان وتقديره ربما كان يود الذين كفروا
 فقد خرج بذلك عن قول سيبويه الا ترى ان كان لا تضمر عنده ولم يجر عبد الله المقبول
 وأنت ترى ان عبد الله المقبول (المسئلة الخامسة) في تفسير الآية وجوه على مذهب
 المفسرين فان كل أحد حمل قوله ربما يود الذين كفروا على محمل آخر والاصح ما قاله الزجاج
 فانه قال الكافر كلما رأى حالا من أحوال العذاب ورأى حالا من أحوال المسلم ودلو كان
 مسلما وهذا الوجه هو الاصح وأما المتقدمون فقد ذكروا وجوها قال الضحاك المراد
 منه ما يكون عند الموت فان الكافر اذا شاهد علامات العقاب ودلو كان مسلما وقيل ان
 هذه الحالة تحصل اذا سودت وجوههم وقيل بل عند دخولهم النار ونزول العذاب
 فانهم يقوون أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونسب الرسل وروى أبو موسى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من
 شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم
 اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيفضل الله تعالى بفضل رحته فأمر باخراج كل من
 كان من أهل القبلة من النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعلى هذا القول أكثر المفسرين وروى مجاهد
 عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما يزال الله يرجم المؤمنين ويخرجهم من النار
 ويدخلهم الجنة بشفاعته الانبياء والملائكة حتى انه تعالى في آخر الامر يقول من كان
 من المسلمين فيدخل الجنة قال فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال القاضي هذه
 الروايات مبينة على انه تعالى يخرج أصحاب الكبائر من النار وعلى ان شفاعته الرسول
 مقبولة في اسقاط العقاب وهذا ان الاصلان عنده مر دودان فعند هذا حل هذا الخبر على

القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار االستم مسلمين قالوا ﴿ وجه ﴾
 بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم
 بفضل رحته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون

منها فحينئذ يولد الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة ﴿ ٣٧٥ ﴾ فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق أن ذلك محمول على

شدة ودادتهم وأمانفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقرر مستمرة في كل ان يمر عليهم وأن المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جئ بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراد فيما

يعكسون عنه تقول بعضهم قوادعنا كرمك عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده مقابله من الكناشب وقصده في ذلك التامد في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار برأته من التزايد وازاء أنه ممن يقلل لعلوا الهمة كثيرا عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة النما تسلك اذا كان الامر من الموضوع بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه هضم الحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل أن من أتات اليوم الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث لا يشبه

وجه يطابق قوله ووافق مذهبه وهو انه تعالى يؤخر ادخال طائفة من المؤمنين الجنة بحيث يغلب على ظن هؤلاء الكفرة انه تعالى لا يدخلهم الجنة ثم انه تعالى يدخلهم الجنة فيزداد غم الكفر وحسرتهم وهناك يودون لو كانوا مسلمين قال في هذه الطريق تصحح هذه الاخبار والله أعلم فان قيل اذا كان أهل القيامة قد يتمنون أمثال هذه الاحوال وجب أن يتمنى المؤمن الذي يقل ثوابه درجة المؤمن الذي يكثرت ثوابه والمنتهى لما لم يجدد يكون في الغصة وتأل القلب وهذا يقتضي أن يكون أكثر المؤمنين في الغصة وتأل القلب قلنا أحوال أهل الآخرة لا تقاس بأحوال أهل الدنيا فالله سبحانه أَرْضَى كل أحد بما فيه ونزع عن قلوبهم طلب الزيادة كما قال وزعنا ما في صدورهم من غل والله أعلم * أمأقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فقيه مسائل (المسئلة الاولى) المعنى دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم فتلك أخلاقهم ولا خلاق لهم في الآخرة وقوله ويلههم الأمل يقال لهيت عن الشيء الهى لهيا وجاء في الحديث ان ابن الزبير كان اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه قال الكسائي والاصمعي كل شيء تركته فقد لهيت عنه وأنشد

صرمت حباتك فله دنياها زينب * ولقد أطلت عناها لو نعتب

فقوله فله عنها أى اتركها وأعرض عنها قال المفسرون شغلهم الأمل عند الأخذ بحظهم عن الايمان والطاعة فسوف يعلمون (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين والدليل عليه انه تعالى قال لرسوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فتعلم أن اقبالهم على التمتع واستغراقهم في طول الأمل يلهمهم عن الايمان والطاعة ثم انه تعالى أذن لهم فيها وذلك يدل على المقصود قالت المعتزلة ليس هذا اذنا وتجوزا بل هذا تهديد وعيد قلنا ظاهر قوله ذرهم اذن أقصى ما في الباب انه تعالى نبه على ان اقبالهم على هذه الاعمال يضرهم في دينهم وهذا عين ما ذكرناه من انه تعالى أذن في شيء مع انه نص على كون ذلك الشيء مفسدة لهم في الدين (المسئلة الثالثة) دلل الآية على ان اشارة التلذذ والتهم وما يؤدى اليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين والاعبار في ذم الأمل كثيرة فمنها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان الحرص على المال وطول الأمل وعنه صلى الله عليه وسلم انه نقط ثلاث نقط وقال هذا ابن آدم وهذا الأمل وهذا الاجل ودون الأمل تسع وتسعون منية فان أخذته احدا هن والافالهم من ورائه وعن علي رضي الله عنه انه قال انما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فان طول الأمل ينسب الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق والله أعلم * قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم

على أحد الوجوه بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها بما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بجاههم فيه من الكفر والتكذيب كما خلق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية

أو ذهباً إلى الأشعار بأن من شأن العاقل إذا عارض له أمر يكون مظلوناً الحمد أو قليلاً ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يفارق
ضده فكيف إذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ﴿ ٣٧٦ ﴾ ستندم على ما فعلت ووربنا ندبم الإنسان على ما فعل فان

المقصود ليس بيان
كون الندم مرجو
الوجود بل يتيقن به أو
قليل الوقوع بل التنبية
على أن العاقل لا يبأس
ما يرجي فيه الندم أو
يقول وقوعه فيه فكيف
بقطعي الوقوع وأنه
يكفي قليل الندم في كونه
حاجراً عن ذلك الفعل
فكيف كثيره والمقصود
من سلوك هذه الطريقة
إظهار الترفع والاستغناء
عن التضرع بالعرض
بناء على ادعاء ظهوره
فالعنى لو كانوا يودون
الاسلام مرة واحدة
لوجب عليهم أن لا
يفارقوه فكيف وهم
يودونه كل أن وهذا
أوفق بمقام استزلالهم
عماهم عليه من الكفر
وهذان طريقان متمايزان
ذاتاً ومقاماً فمن ظنهما
واحداً فقد نأى عن
توفية المقام حقاً (ذرههم)
دعهم عن النهى عماهم
عليه بالنذكرة والنصيحة
اذلا سبيل إلى إرعائهم
عن ذلك وبالغ في تخليتهم
وشأنهم بل مرهم بتعاطي
ما يتعاطونه (يا كالوا)

انه تعالى لما توعد من قبل من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ذرههم يا كالوا
و يتنوعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اتبعه بما يؤيد كذا جرو هو قوله تعالى وما أهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم في الهلاك والعذاب وانما يقع فيه التقديم والتأخير فالذين
تقدموا كان وقت هلاكهم في الكتاب مجعلاً والذين تأخروا كان وقت هلاكهم في
الكتاب مؤخراً وذلك نهاية في الزجر والتحذير (المسئلة الثانية) قال قوم المراد بهذا
الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان الله يزيله بالملكين المعاندين كما بينه في قوم نوح
وقوم هود وغيرهم وقال آخرون المراد بهذا الهلاك الموت قال القاضي والاقرب ما تقدم
لانه في الزجر أبلغ فبين تعالى ان هذا الامهال لا ينبغي أن يغتر به العاقل لان العذاب مدخر
فان لكل أمة وقتاً معيناً في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقال قوم آخرون المراد بهذا
الهلاك مجموع الامرين وهو نزول عذاب الاستئصال ونزول الموت لان كل واحد منهما
يشارك الآخر في كونه هلاكاً فوجب حمل اللفظ على القدر المشترك الذي يدخل فيه
القسمان معاً (المسئلة الثالثة) قال القراء لو لم تكن الواو مذكورة في قوله ولها كتاب
كان صواباً كما في آية أخرى وهي قوله وما أهلكنا من قرية الا الهام نذرون وهو كما نقول
ما رأيت أحداً الا وعليه ثياب وأن شئت قلت الا عليه ثياب * اما قوله ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى من في قوله من أمة
زائدة مؤكدة كقولك ما جاني من أحد وقال آخرون انها ليست بزيادة لانها تفيد
التبعض أى هذا الحكم لم يحصل في بعض من ابعاض هذه الحقيقة فيكون ذلك في افادة
عموم النفي أكد (المسئلة الثانية) قال صاحب النظم معنى سبق اذا كان واقعا على
شخص كان معناه انه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمر أى جاز وخلفه وراه ومعناه انه
قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان كان بالعكس في ذلك كقولك سبق فلان عام
كذا معناه مضى قبل اثباته ولم يبلغه فقول ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون معناه
انه لا يحصل ذلك الاجل قبل ذلك الوقت ولا بعده بل انما يحصل في ذلك الوقت بعينه
والسبب فيه ان اختصاص كل حادث بوقته المعين دون الوقت الذي قبله أو بعده ليس على
سبيل الاتفاق الواقعي لا عن مرجح ولا عن محض فان رجحاً أحد طرفي الممكن على
الآخر لا مرجح محال وانما اخص حدوثه بذلك الوقت المعين لان اله العالم خصه به بعينه
واذا كان كذلك فقدره الاله وادراته اقتضت ذلك التخصيص وعلمه وحكمته تعلقا بذلك
الاختصاص بعينه ولما كان تغير صفات الله تعالى أعني القدرة والارادة والعلم
والحكمة متمتعاً كان تغير ذلك الاختصاص متمتعاً اذا عرفت هذا فنقول هذا الدليل
بعينه قائم في افعال العباد أعني ان الصادر من زيد هو الايمان والطاعة ومن عمرو هو
الكفر والمعصية فوجب أن يتمتع دخول التغير فيهما فان قاروا هذا انما يلزم لو كان
المتنضي لحسوث الكفر والايمان من زيد وعمرو هو قدرة الله تعالى ومشيئته أما اذا قلنا

و يتنوعوا بدنيهم وفي تقديم الاكل ايذان بأن تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالاكل والشارب ﴿ المتنضي ﴾
والمراد دوامهم على ذلك لاحدائه فانهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا امتناع ما ينص عبسهم من القوارع والزواجر
فان التمتع على ذلك الوجه

أمر حادث يصلح أن يكون متتابعاً على نخبته وشأنهم (ويليهم) و يشغلهم عن اتباعك وعن التفكير فيما هم يصيرون اليه
 وعن الإيمان والطاعة فإن الأكل والتبغ يفضيان إلى ذلك (الامل) والتوقع لطول الأعمار و بلوغ الأوطار واستقامة
 الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل الأخير فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للأمر حسب ما عرفت من تضمن الأمر
 بالترك للأمر به على طريقة المجاز أو على أن يكون ﴿ ٣٧٧ ﴾ المراد بالأفعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة

عاقبتها غير سامعين لسوء
 مغبتها أصلاً ولا ريب
 في ترتب ذلك على الأمر
 بالترك فإن النهي عما هم
 عليه من ارتكاب اقتراب
 ما يشوش عليهم تمنعهم
 ويغص عليهم عيشهم
 فأمر عليه السلام بتركه
 ليعرف غوافيهاهم فيه من
 حظوظهم فيدهمهم
 ما يدهمهم وهم عنه
 غافلون (فسوف يعلمون)
 سوء صنيعهم أو وخامة
 عاقبته أو حقيقة الحال
 التي أُلجأ بهم إلى التقي
 المذكور حيث لم يعلموا
 ذلك من جهنك وهو
 مع كونه وعيداً أي ما وعيد
 وتهديد اغب تهديد
 لتبيل الأمر بالترك فإن
 علمهم ذلك علة لترك النهي
 وانصيحة لهم وفيه
 الزام للحجة ومباعدة في
 الإنذار إذ لا يتحقق الأمر
 بالضد إلا بعد تكرار الإنذار
 وتقرر الجود والانتكار
 وكذلك ما ترتب عليه
 من الأكل والتبغ والالها
 (وما أهلكنا) شروع في
 بيان سرنا خير عذابهم

المقتضى لذلك هو قدرة زيد وعمر ومشيئتهما تطذيقاً لقدرة زيد وعمر ومشيئتهما
 كانتا موجبتين لذلك الفعل المعين فذاق تلك القدرة والمشيئة الموجبتين لذلك الفعل هو
 الذي قدر ذلك الفعل بعينه يعود الإلزام وإن لم تكونا موجبتين لذلك الفعل بل كانتا
 صالحتين له واضده كان رجحان أحد الطرفين على الآخر لم يكن لرجح قد عاد الأمر إلى أنه
 حصل ذلك الاختصاص لا لمخصص وهو باطل وإن كان لمخصص فذلك المخصص إن كان هو
 العبد عاد البحث ولزم التسلسل وإن كان هو الله تعالى فيحذف يعود البحث إلى أن فعل
 العبدان متين وتقدر بتخصيص الله تعالى وحينئذ يعود الإلزام (المسئلة الثالثة) دلت
 الآية على أن كل من مات أو قتل فأنما مات بأجله وإن من قال يجوز أن يموت قبل أجله
 فخطئ فإن قالوا هذا الاستدلال إنما يتم إذا قلنا قوله وما أهلكنا على الموت أما إذا قلناه
 على عذاب الاستئصال فكيف يلزم قلنا قوله وما أهلكنا ما إن يدخل تحته الموت
 أو لا يدخل فإن دخل فالاستدلال ظاهر لازم وإن لم يدخل فنقول إن ما لأجله وجب في
 عذاب الاستئصال أن لا يتقدم ولا يتأخر عن وقته المعين قائم في الموت فوجب أن يكون
 الحكم ههنا كذلك والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون
 لو ما تأتينا باللائكة أن كنت من الصادقين ما نزل الملائكة بالحق وما كانوا إذا منظرين
 أن نحن نؤمن بالذكر وإن الله لما ظفون اعلم أنه تعالى لما بالغ في تهديد الكفار ذكر بعده شبههم
 في إنكار نبوته (فالشبهة الأولى) أنهم كانوا يحكمون عليه بالمجنون وفيه احتمالان (الأول)
 أنه عليه السلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنهم مجنونون
 والدليل عليه قوله ويقولون أنه مجنون وما هو إلا ذكر للعالمين وأيضاً قوله أولم يتفكر وا
 ما بصاحبهم من جنة (والثاني) أنهم كانوا يستبعدون كونه رسولاً حقاً من عند الله تعالى
 فالرجل إذا سمع كلاماً مستبعداً من غيره فربما قال له هذا جنون وأنت مجنون لبعده ما يذكره
 من طريقة العقل وقوله إنك لمجنون في هذه الآية يحتمل الوجهين أما قوله يا أيها الذي نزل
 عليه الذكر إنك لمجنون ففيه وجهان الأول أنهم ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون
 إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكما قال قوم شعيب إنك لأنت الحليم الرشيد وكما
 قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم لأن البشارة بالعذاب ممتعة والثاني يا أيها الذي نزل عليه
 الذكر في زعمه واعتقاده وعند أصحابه وأتباعه ثم حكى عنهم أنهم قالوا في تقرير شبههم
 لو ما تأتينا باللائكة أن كنت من الصادقين وفيه مسئلتان (الأولى) المراد لو كنت صادقاً
 في ادعاء النبوة لا يتنبأ باللائكة يشهدون عندنا بصدقك فيما تدعيه من الرسالة لأن المرسل
 الحكيم إذا حاول تحصيل أمرٍ وله طريق يفضي إلى تحصيل ذلك المقصود قطعاً واطريق
 آخر قد يفضي وقد لا يفضي ويكون في محل الشك والشبهات فإن كان ذلك الحكيم
 أراد تحصيل ذلك المقصود فإنه يحاول تحصيله بالطريق الأول لا بالطريق الثاني وإنزال
 الملائكة الذين يصدقونك ويقررون قولك طريق يفضي إلى حصول هذا المقصود قطعاً

إلى يوم القيامة وعدم نظمهم ﴿ ٤٨ ﴾ خا في سلك الأمم الدار جنة في تحصيل العذاب أي ما أهلكنا
 (من قرية) من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو بإخلائها عن أهلها غيب أهلها كما فعل بآخرين
 (الاولها) في ذلك الشأن (كتاب) أي أجل مقدر مكتوب في اللوح

واجب المراجعة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة مقتضية له (معلوم) لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور الخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فنزلها لعمومها لا سيما بعدئذا كده بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما أهلكنا قريبة من القرى في حال من الأحوال الاحال أن يكون لها كتاب أى أجل وقت لمهلكها قد كتبناه لانهل كها قبل بلوغه ﴿ ٣٧٨ ﴾ معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع

بالظرف والجملة كما هي حال أى ما أهلكنا قريبة من القرى في حال من الأحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب أى أجل مقدره مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أى ما أهلكنا قريبة من القرى الا قريبة لها كتاب معلوم كافي قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضررهم لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضرر يع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الاى ليس لهم طعام من شئ من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم وأما توسيط

والظرف الذى تقرر به صحة ثبوتك طريق في محل الشكوك والشبهات فلو كنت صادقا في ادعاء النبوة لوجب في حكمة الله تعالى انزال الملائكة الذين يصرحون بتصديقك وحيث لم تفعل ذلك علمنا انك لست من النبوة في شئ ذهبتا تقر بهذه الشبهة وتظيرها قوله تعالى في سورة الانعام وقالوا لو انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا فضى الامر وفيه احتمال اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب ان لم يؤمنوا به فاقوم طالبوه بنزول ذلك العذاب وقالوا لو ما نأتينا بالملائكة الذين ينزلون عليكم بنزلون علينا بذلك العذاب الموعود وهذا هو المراد بقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولو لأجل مسمى لجاءهم العذاب ثم انه تعالى أجاب عن هذه الشبهة بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين فنقول ان كان المراد من قولهم اوما نأتينا بالملائكة هو الوجه الاول كان تقرر بهذا الجواب ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وعند حصول القائمة وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه وانزل عليهم الملائكة ليقوموا صريحا على كفرهم وعلى هذا التفسير فيجيب انزالهم عشا باطلا ولا يكون حقا فلماذا السبب ما أنزلهم الله تعالى وقال المفسرون المراد بالحق ههنا الموت والمعنى أنهم لا ينزلون الا بالموت والابعد عذاب الاستئصال ولم يبق بعد نزولهم انظار ولا مهال ونحن لا نريد عذاب الاستئصال بهذه الامة فلماذا السبب ما أنزلنا الملائكة وأما ان كان المراد من قوله تعالى اوما نأتينا بالملائكة استعجالهم في نزول العذاب الذى كان الرسول عليه السلام يتوعدهم به فنقرر الجواب ان الملائكة لا تنزل الا بعذاب الاستئصال وحكمنا في امة محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفعل بهم ذلك وأن نهلهم لما علمنا من ايمان بعضهم ومن ايمان اولاد الباقيين (المسئلة الثانية) قال اقرء والزجاج اولا واما غمان معناهما هلا وسعجلا في الخبر والاستفهام فخير مثل ذلك اولاً أنت فعلت كذا او منذ قوله تعالى اولاً أنتم لكننا مؤمنين والاستفهام كقولهم ولا نزل عليه ملك وكهذه الآية وقال اقرء اوما الميم فيد بدل عن اللام في اول او مثله استولى على الشئ واستوى عليه وحكى الاصمعي خالته وخالته اذا صادفته وهو خلى وخلى أى صدق (المسئلة الثالثة) قوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قرأ حزنه والنكسائ وحفص عن عاصم ما ننزل بالشون وبكسر الزاى والتشديد والملائكة بالنصب وقوع الانزال عليها والمنزل هو الله تعالى وقرأ أبو بكر عن عاصم ما ننزل على فعل ما لم يسم فاعله والملائكة بالرفع والباقيون ما ننزل الملائكة على اسناد فعل النزول الى الملائكة والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله وما كانوا اذا منظرين يعنى اوزنت الملائكة لم ينظر وأى لم يعملوا فان التكليف يزول عند نزول الملائكة قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من كلمتين من اذ هو واسم بمنزلة حين ألا ترى أنك تقول أتيتك اذ جئتني أى حين جئتني ثم ضم اليها ان فصار اذ ان ثم استقلوا الهمزة فحذفوها فصارا اذن ومجىء لفظه اذن دليل على اضممار فعل بعدهما والتقدير وما كانوا منظرين اذ كان ما طلبوا وهذا نأويل حسن ثم قال تعالى

الواو بينهما وان كان التيسر عدمه فلا يذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط ﴿ ٣٧٩ ﴾ انا فان مانحن فيه من الصفة أقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا الهامندرون فان امتناع إنفكاك الهلاك عن الاجل المقدر على وعن الانذار عادى جرى عليه السنة الالهية ولما بين أن الامم المهلكة كان

لكل منهم وقت معين لهلاكهم وأن هلاكهم لم يكن الاحتمال كان مكتوبا في اللوح بين أن كل أمة من الأمم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقبل (ماتسبى من أمة) من الأمم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها أى لايجب هلاكها قبل مجئ كتابها أو لا تمضى أمة قبل مضي أجلها فان سبق اذا كان واقعا على زمانى فعناء المجاوزة والتخفيف فاذا قلت ﴿ ٣٧٩ ﴾ سبق زيد عمر افناءه أنه مجاوزة وخلفه وراءه واذا كان واقعا

على زمان كان الامر بالعكس والسرفى ذلك أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المستقبل سابق يتحقق قبل تحققه وأما الزمانى فلما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ماسأى من الزمان فالسابق ماتسبى الى المتصدد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كأن ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الاهلاك (وما يستأخرون) أى وما يستأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم وإشار صيغة المضارع فى الفعلين بعدما ذكرنى الاهلاك بصيغة الماضى لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واستنادهما الى الامة بعد استناد الاهلاك الى القرية لما أن السبق والاستخار حال الامة

انما نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان النجوم انما قالوا بانها الذى نزل عليه الذكر لاجل اذهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله تعالى نزل الذكر على نبي ثم انه تعالى حقق قوله في هذه الآية فقال انما نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فأما قوله انما نحن نزلنا الذكر فهذه الصيغة وان كانت للجمع الآن هذا من كلام الملوك عند اظهار العظم فان الواحد منهم اذا فعل فعلا أو قال قولاً قال انا فعلنا كذا وقلنا كذا فكذا ههنا (المسئلة الثانية) الضمير في قوله له لحافظون الى اذ ايدود فيه قولان (الاول) انه عائد الى الذكر بنى وانا تحفظ ذلك الذكر من التحويل والزيادة والنقصان وتطير قوله تعالى في صفة القرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قيل فلم اشغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه ومحافظة الله فلا خوف عليه والجواب ان جههم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى آياه فانه تعالى لما أن حفظه فيضهم لذلك قال اصحابنا وفي هذه الآية دلالة قوية على كون التسمية آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لامعنى له الا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلولم تكن التسمية من القرآن لما كان القرآن مصونا عن التغير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا الجاز أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة (والقول الثانى) ان الكتابة في قوله له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانا نحمد لحافظون وهو قول الغراء وقوى ابن الانبارى هذا القول فقال لما ذكر الله الازل والمنزل دل ذلك على المنزل عليه فثبت الكتابة عنده لكونه امرام معلوما كفى قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر فان هذه الكناية عائدة الى القرآن مع أنهم لم يتقدم ذكره واما حسنت الكناية للسبب المعلوم فكذا ههنا لان القول الاول أرجح القولين وأحسنهما مشابهة اظاها التنزيل والله اعلم (المسئلة الثالثة) اذ قلنا الكناية عائدة الى القرآن فاختلفوا في انه تعالى كيف يحفظ القرآن قال بعضهم حفظه بأن جعله مجزأ مباحثا لكلام البشر فجوز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه لانهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن فيظهر لكل العقل أن هذا ليس من القرآن فصار كونه مجزأ كاحاطة السور بالمدينة لانه يحصنها ويحفظها وقال آخرون انه تعالى حسنه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته وقال آخرون انجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قبض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق الى آخر بقاء التكليف وقال آخرون المراد بالحفظ هو أن أحدا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا في هذا المراد من قوله وانا له لحافظون واعلم انه لم يتفق شئ من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف

دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخيرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اماعا اعتبار تقدم سبق في الوجود واما باعتبار أن المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكور للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية

القواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبنية لما سبق والمعنى آن تأخير عابدهم ذلالي يوم القيامة حسبما أشير إليه ببيان ودادتهم الاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشأنهم الى أن يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر أجلكم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جلتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة (وقالوا) شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد ايمان كفرهم بالكتاب ﴿ ٣٨٠ ﴾ وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو

مكة لغاية تماديهم في العتو والعتي (بأيها الذي نزل عليه الذكر) خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام واشعارا بوله حكمهم الباطل في قولهم (انك لمجنون) كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يعنون يامن بدعى مثل هذا الامر البديع الخارق العادات انك بسبب تلك الدعوى أو بشهادة ما يعتريك عند ما تدعى أنه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجده الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كافي وقوله تعالى اول انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه

والتحريف والتغيير اما في الكثير منه أو في القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي المجدد واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من أعظم المعجزات وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف وانقضى الآن قريبا من ستمائة سنة فكان هذا اخبارا عن الغيب فكان ذلك أيضا معجزا قاهرا (المسئلة الرابعة) احتج القاضى بقوله ان نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون على فساد قول بعض الامامية في أن القرآن قد دخله التغيير والزيادة والنقصان قال لانه لو كان الامر كذلك لما بقي القرآن محفوظا وهذا الاستدلال ضعيف لانه يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه فالامامية الذين يقولون ان القرآن قد دخله التغيير والزيادة والنقصان لعلمهم بقولون ان هذا الآية من جملة الزوائد التي ألحقت بالقرآن ثبت أن اثبات هذا المطلوب بهذه الآية يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه وانه باطل والله أعلم ﴿ قوته تعالى ﴾ ولقد أرسلنا من قبلك في سبع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ﴿ اعلم أن القوم لما أساؤا في الادب وخاطبوه بالسفاهة وقالوا انك لمجنون فآله تعالى ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء هكذا كانت وك اسوة في الصبر على سفاهتهم وجهالتهم بجميع الانبياء عليهم السلام فهذا هو النكلام في نظم الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الآية محذوف والتقدير وقد أرسلنا من قبلك رسلا لانه حذف ذكر الرسل دلالة الارسال عليه وقوله في سبع الاولين أى في أئمة الاولين واتباعهم قال الفراء الشيع الا اتباع واحدهم شعبة وشعبة الرجل اتباعه واسم شعبة امة سمو بذلك لان به ضمهم شايعة وعضا وشاكله وذكرنا الكلام في هذا الحرف عند قوله أولي بلسكم شيعة قال الفراء وقوله في سبع الاولين من اضافة المصنف الى الموصوف كقوله حق اليقين وقوله يجابن الغري وقوله وذلك دين القيمة أمافقوله وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون أى عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء والرسول ذلك الاستهزاء بهم كافة لولا ان ذكر تسليمة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن السبب الذي يحمل هؤلاء الجهال على هذه العادة الخبيثة أمور (الاول) انهم يستفتنون التزام الطاعات والعبادات والاحتراز عن الطيبات والنذات (الثاني) ان الرسول يدعوهم الى ترك ما نفوه من أديانهم الخبيثة ومذاهبهم الباطلة وذلك شاق شديد على الطباع (والثالث) أن الرسول متبوع مخدوم والاقوام يجب عليهم طاعته وخدمته وذلك أيضا في غاية المشقة (الرابع) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد يكون فقيرا ولا يكون له أعوان وانصار ولا مال ولا جاه فالتعمون والرؤساء يشغل عليهم خدمة من يكون بهذه الصفة (والخامس) خذلان الله ا لهم والقاء دواعي الكفر والجهل في قلوبهم وهذا هو السبب الاصل في هذه الاسباب وما يشبهها تقع الجهال والاضلال مع أكابر الانبياء عليهم السلام في هذه الاعمال الفبيحة والافعال المنكرة أمافقوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب

الى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد الفعل على صيغة المجهول لانهم أن ذلك ليس بفعله ﴿ المجرمين ﴾ فاعل أو لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لالى استناده الى الفاعل (لوما تأتينا) كلمة أو عند تركبها مع مانفيع مانفيعه عند تركبها مع لامن معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا أنه عند أرادته لا يلها

الافضل ظاهر أو مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الاسم ظاهر أو مقدر عند البصر بين والمراد ههنا هو الثاني
أي هلا آتينا (بالملائكة) يشهدون بحجة نبوتك وبعضدوك في الانذار بقوله تعالى لولا أنزل عليه ملك فيكون معه
نذيرا أو يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسلهم (ان كنت من الصادقين) في دعواك فان قدرة الله
تعالى على ذلك مما لا ريب فيه ﴿ ٣٨١ ﴾ وكذا احتياجه اليه في تمشية أمره فانما لا تصدقك بدون ذلك

أو ان كنت من جملة
تلك الرسل الصادقين
الذين عذبت أمهم
المكذبة لهم (مانزل
الملائكة) بالتون على
بناء الفعل لضمير الجلالة
من التنزيل وقرئ من
الانزال وقرئ تنزل
مضارعا من التنزيل
على صيغة البناء للمفعول
ومن التنزل بحذف
احدى التاءين وماضيا
منه ومن التنزيل
ومن الثلاثي وهو كلام
مسوق الى النبي صلى الله
عليه وسلم جوابا لهم
عن مقاتلهم المحكية
ورد لاقتراحهم الباطل
واشدة استدعاء ذلك
للجواب قدم رده على
ما هو جواب عن أولها
اعني قوله اننا نحن نزلنا
الذكر الآية كإفعل
في قوله تعالى قال انما
يأتيكم به الله فانه مع
كونه جوابا عن قولهم
فاننا بما تعدنا قد
على قوله ولا يتفهم
نحصى الآية مع كونه
جوابا عن أول كلامهم

المجرمين ففيه مستثنان (المسئلة الاولى) السالك ادخال الشيء في الشيء كادخال الخط
في الخيط والرمح في المطعون وقيل في قوله ما سلككم في سقر أي أدخلكم في جهنم وذكر
أبو عبيدة وأبو عبيد سلكته وأسلكته بمعنى واحد (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه
الآية على انه تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار فقالوا قوله كذلك نسلكه أي كذلك
نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين فالت معتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل
هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائدا اليه لا يقال انه تعالى قال وما يأتينهم من رسول
الا كانوا يستهزئون وقوله يستهزئون يدل على الاستهزاء فالضمير في قوله كذلك نسلكه هائد
اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا المراد من قوله كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين هو انه كذلك نسلك الكفر والضلال والاستهزاء بانبياء الله تعالى ورسله
في قلوب المجرمين لاننا نقول ان كان الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا الى الاستهزاء وجب
ان يكون الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا أيضا الى الاستهزاء لانهما ضميران تعاقبا
وتلاصقا فوجب عودهما الى شيء واحد فوجب أن لا يكونا مؤمنين بذلك الاستهزاء
وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بد وأن يكون مؤمنا بكفره والذي لا يكون كذلك هو
المسلم العالم بطلان الكفر فلا يصدق به وأيضا فلو كان تعالى هو الذي يسلك الكفر في قلب
الكفار ويخلق فيه فأحد أولى بالعدر من هؤلاء الكفار ولما كان على هذا التقدير يمتنع
ان يذمهم في الدنيا وان يعاقبهم في الآخرة عليه فثبت انه لا يمكن حمل هذه الآية على هذا
الوجه فنقول التأويل الصحيح ان الضمير في قوله تعالى كذلك نسلكه هائد الى الذكر الذي هو
القرآن فانه تعالى قال قبل هذه الآية اننا نحن نزلنا الذكر وقال بعده كذلك نسلكه أي هكذا
نسلك القرآن في قلوب المجرمين والمراد من هذا السالك هو انه تعالى يستعملهم هذا القرآن
ويخلق في قلوبهم حفظ هذا القرآن ويخلق فيها العلم بمعانيه وبين انهم لجهلهم واصرارهم
لا يؤمنون به مع هذه الاحوال عند اوجها فكان هذا موجبا للحق الذم الشديد بهم
ويدل على صحة هذا التأويل وجهان (الاول) ان الضمير في قوله لا يؤمنون به عائدا الى القرآن
بالاجماع فوجب أن يكون الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا اليه أيضا لانهما ضميران
متعاقبان فيجب عودهما الى شيء واحد (والثاني) ان قوله كذلك معناه مثل ما عملنا كذا
وكذا فعلم هذا السالك فيكون هذان شيئا هما هذا السالك يعمل آخر ذكره الله تعالى قبل هذه
الآية من أعمال نفسه ولم يجر لعمل من أعمال الله ذكر في سابقة هذه الآية الا قوله
اننا نحن نزلنا الذكر فوجب أن يكون هذان معطوفا عليه ومشبهابه ومتى كان الامر كذلك
كان الضمير في قوله نسلكه عائدا الى الذكر وهذا تمام تقرير كلام القوم والجواب لا يجوز
أن يكون الضمير في قوله نسلكه هائدا الى الذكر ويدل عليه وجوه (الاول) ان قوله كذلك
نسلكه مذكور بحرف النون والمراد منه اظهار نهاية التعظيم والجلالة ومثل هذا
التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له أثر قوي كامل بحيث صار المنازع والمدافع

الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا المذكر من شدة اقتضائه للجواب ويكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس
يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما أتيتهم
بهم الا ليدان بأنهم قد أخطوا في التعبير حسما أخطوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلور تبشهم أعلى من أن ينسب اليهم
مطلق الاثان الشامل للانتقال من أحد الامكنة

التساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالى وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل (الابالحق) أى ملتبسا بالوجه الذى يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجرى به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقتنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ﴿ ٣٨٢ ﴾ والذى اقترحوه من التنزيل لاجل

الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقايرة والاهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحى الذى لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وانما الذى يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كإفعل باضرا بهم من الامم السالفة وأوفعل ذلك لاستواء صلواتهم (وما كانوا اذا منظرين) جزاء الشرط مقدر وفيه ايدان بانتاج مقصد ماتهم لتقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافا الا قليلا قال صاحب النظم لفظه اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك اذ جئتني أى حين جئتني ثم ضم اليه

لهم فلو بما يقهروا فأما اذا فعل فعلا ولم يظهر له أثر البتة صار المنازع والمدافع غابا قاهرا فان ذكر اللفظ المشعر بنهاية العظمة والجلالة يكون مستغما في هذا المقام والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القرآن وتخفيفه وتعليقه في قلب الكافر لاجل أن يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله تعالى كالهدر الضائع وصار الكافر والشيطان كالغالب المدافع واذا كان كذلك كان ذكر النون المشعر بالعظمة والجلالة في قوله نسلكه غير لائق بهذا المقام فثبت بهذا الوجه ان التأويل الذى ذكره فاسد (والوجه الثاني) انه لو كان المراد ما ذكره اوجب أن يقال كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ولا يؤمنون به أى ومع هذا السعى العظيم في تحصيل ايمانهم لا يؤمنون أما لما يذكروا فليمتن أن قوله لا يؤمنون به كالتفسير والبيان لقوله نسلكه في قلوب المجرمين وهذا انما يصح اذا كان المراد أناسك الكفر والاضلال في قلوبهم (الوجه الثالث) ان قوله انما نحن زنا الذكربعيد وقوله يستهزؤون قريب وعود الضمير الى أقرب المذكورات هو الواجب أما قوله لو كان الضمير في قوله نسلكه عائدا الى الاستهزاء لكان في قوله لا يؤمنون به عائدا اليه وحينئذ يلزم التناقض فلنا الجواب عنه من وجوه (الاول) ان مقتضى الدليل عود الضمير الى أقرب المذكورات ولا مانع من اعتبار هذا الدليل في الضمير الاول وحصل المانع من اعتباره في الضمير الثاني فلا جرم فلنا الضمير الاول عائدا الى الاستهزاء والضمير الثاني طائد الى الذكر وتغريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل في القرآن أليس أن الجباني والنكبي واقاضى قالوا في قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهما ليسكن اليها فلما تفشها حلت حلا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهاما صالحا جعلناه لهما شركاء فيما آتاهاما فنعلى الله عما يشركون فقالوا هذه الضمائر من أول الآية الى قوله جعلناه شركاء عائدة الى آدم وحواء وأما في قوله جعلناه شركاء فيما آتاهاما فنعلى الله عما يشركون عائدة الى غيرهما فهذا ما اتفقوا عليه في تفاسيرهم واذا ثبت هذا ظهر أنه لا يلزم من تعاقب الضمائر عودها الى شئ واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل فكذا ههنا والله أعلم (والوجه الثاني) في الجواب قال بعض الادباء من أصحابنا قوله لا يؤمنون به تفسير للكنية في قوله نسلكه والتدبر كذلك نسلك في قلوب المجرمين أن لا يؤمنوا به والمعنى يجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا به (والوجه الثالث) وهو اننا بينا بالبراهين العقلية القاهرة أن حصول الايمان والكفر يتبع ان يكون بالعبد وذلك لان كل أحد انما يريد الايمان والصدق والعلم والحق وان احدا لا يقصد تحصيل الكفر والجهل والكذب فلما كان كل أحد لا يقصد الا الايمان والحق ثم انه لا يحصل ذلك وانما يحصل الكفر والباطل علما أن حصول ذلك الكفر ليس منه فان قالوا انما حصل ذلك الكفر لانه ظن انه هو الايمان فتقول فعلى هذا التقدير انما رضى بتحصيل ذلك الجهل لاجل جهل آخر سابق عليه فيقول

أن فصار اذ أن ثم استقلوا الهمزة فخذوها فجئى لفظه أن دليل على استمرار فعل بعدها والتقدير ﴿ الكلام ﴾ وما كانوا اذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى فلما انقضاء بتأخير عنايتهم الى يوم القيامة حسبا أجلا في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الخ وحال جائل الحكمة بينهم

و بين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا و بايمان بعض ذرارهم و اما نظم ايمان بعضهم في سبط الحكمة
فأبانه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه عجزا لتزليل الجليل
وأما قبل في تعليل عدم موافقة التزليل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لاحكمة
في أن تأتبعكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم الا لباسا ﴿ ٣٨٣ ﴾ أو أن انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول

القائدة بالزلهم وقد علم الله
تعالى من حال هؤلاء
الكفار أنه لو أنزل إليهم
الملائكة ليتوأمصرون
على كفرهم فيصبروا لزالهم
عيا باطلا ولا يكون حقا
فمع اخلال كل من ذلك
بقطعية الباقي لا يلزم
من فرض وقوع شيء
من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيد قوله تعالى
وما كانوا اذا منظرين
هذا على تقدير كون
اقتراحهم لتأنيب الملائكة
لاجل الشهادة أماعلى تقدير
كون ذلك لتعذيبهم فالعنى
انما تنزل الملائكة للتعذيب
الا تنزيلا ملتبسا بالحق
الذى تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة حتما
بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم
حسبا اقترحوا ما كان ذلك
التزليل ملتبسا بقتضى
الحكمة الموجبة لتأخير
عذابهم الى يوم القيامة
لار فقا بهم بل تشديدا
عليهم كما مر من قبل وحيث
كان في نسبة تنزيلهم
للتعذيب الى عدم موافقة
الحكمة نوع اجهام لعدم

الكلام الى ذلك الجهل السابق فان كان ذلك لاجل جهل آخر لم يتسلسل وهو محال
والاوجب انتهاء كل الجهالات الى جهل أول سابق حصل في قلبه لا بتحصيله بل بتخليق الله
تعالى وذلك هو الذى قلناه ان المراد من قوله كذا نسله في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
والمعنى نجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا به وهو انه تعالى يخلق الكفر والضلال فيها وأيضا
قدما المفسرين مثل ابن عباس وتلامذته أطبقوا على تفسير هذه الآية بأنه تعالى يخلق
الكفر والضلال فيها والتأويل الذى ذكره المعتزلة تأويل مستحدث لم يقبل به أحد من
المقدمين فكان مردودا وروى القاضى عن عكرمة أن المراد كذلك نسل القسوة في
قلوب المجرمين ثم قال القاضى ان القسوة لا تحصل الا من قبل الكافر بأن يستمر على كفره
و يعاند فلا يصح اضافته الى الله تعالى فيقال للقاضى ان هذا يجرى مجرى المكابرة وذلك
لان الكافر يجد من نفسه نفرة شديدة عن قبول قول الرسول ونبوة عظيمة عنه حتى انه كلما
راه تغير لونه واصفر وجهه ورم بما ارتدت أعضاؤه ولا يقدر على الانفاتح اليه والاصغاء
لقوله لحصول هذه الاحوال في قلبه أمر اضطرارى لا يمكنه دفعها عن نفسه فكيف يقال
انها حصلت بفعله واختياره فان قالوا انه يمكنه ترك هذه الاحوال والرجوع الى الانقياد
والقبول فتقول هذا مغالطة محضة لانك ان أردت انه مع حصول هذه النفرة الشديدة
في القلب والنبوة العظيمة في النفس يمكنه أن يعود الى الانقياد والقبول والطاعة والرضا
فهذا مكابرة وان أردت أن عند زوال هذه الاحوال النفسانية يمكنه العود الى القبول
والسليم فهذا حق الا انه لا يمكنه ازالة هذه الدواعى والصوراف عن القلب فانه ان كان
الفاعل لها هو الانسان لا فطر في تحصيل هذه الدواعى والصوراف الى دواعى سابقة عليها
ولزم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال وان كان الفاعل لها هو الله تعالى في حينئذ يصح ان
تعالى هو الذى يسلك هذه الدواعى والصوراف في القلوب وذلك عين ما ذكرناه والله أعلم
أما قوله تعالى وقد دخلت سنة الاولين ففيه قولان (الاول) انه تهديد لكفار مكة بقول قد
مضت سنة الله بهلاك من كذب الرسل في القرون الماضية (الثاني) وهو قول الزجاج وقد
مضت سنة الله في الاولين بأن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا أليق بظاهر اللفظ
﴿ قوله تعالى (ولو قمنا عليهم بآيات من السماء فظلموا فيه يرجون لقاولا انما سكرت أبصارنا
بل نحن قوم مسحورون) اعلم ان هذا الكلام هو المذكور في سورة الانعام في قوله ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس فلسوه بأيديهم اقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين والحاصل
ان القوم لما طلبوا نزول ملائكة يصرحون بتصديق الرسول عليه السلام في كونه رسولا
من عند الله تعالى بين الله تعالى في هذه الآية أن يتقدير أن يحصل هذا المعنى لقال الذين
كفروا هذا من باب السحر وهو لا الذين يظن اننا زاهم فنحن في الحقيقة لانناهم والحاصل
انه لما علم الله تعالى أنه لا فائدة في نزول الملائكة فلهمذا السبب ما أنزلهم فان قيل كيف
يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين في وجود ما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار

استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين
وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقبل المراد بالحق الوحى وقبل العذاب فتدبر
(ان نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم التزليل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه

وسأ بذلك وتسليه له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك
بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر لامصدر له وفعل لأفعل له (وإن الله لحافظون)
من كل ما يلبق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا وألبافيكوز وعيدا للمستهزئين وأما الحفظ عن مجرد
التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى * ٣٨٤ * المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع

ما يقدح فيه من الطعن
فيه والمجادلة في حقيقته
ويجوز أن يرد حفظه
بالاعجاز دليل على التنزيل
من عنده تعالى إذ لو كان
من عند غيره لطرقت
عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبب
الجلستين من الدلالة
على كمال الكبرياء والجلالة
وعلى فخامة شأن التنزيل
مالا يخفى وفي إيراد الثانية
بالجملة الاسمية دلالة
على دوام الحفظ والله
سبحانه أعلم وقيل الضمير
المجروح للرسول صلى الله
عليه وسلم كقوله تعالى
والله يعلمكم من الناس
وتأخير هذا الكلام وإن كان
جوابا عن أول كلامهم
الباطل رداله لما ذكر
أنفلا ولا رباطه بما يعقبه
من قوله تعالى (ولقد
أرسلنا) أي رسلا
وإنما لم يذكر دلالة
مابعده عليه (من قبلك)
متعلق بأرسلنا أو بمحذوف
هو نعت للمفعول المحذوف
أي رسلا كأنه من قبلك
(في شيع الأولين)

الواضح ولو جار حصول الشك في ذلك كانت السفسطة لازمة ولا يبيح حينئذ اعتماد على
الحسنة المشاهدة أجاب القاضي عنه بأنه تعالى ما وصفهم بالشك فيما يصبرون وإنما وصفهم
بأنهم يقولون هذا القول وقد يجوز أن يقدم الإنسان على الكذب على سبيل العناد
والمكابرة ثم سأل نفسه وقال أقبض من الجمع العظيم أن يظهروا الشك في المشاهدات
وأجاب بأنه يصح ذلك إذا جزمهم عليه غرض صحيح معتبر من موافاة على دفع حجة أو غلبة
خسهم وأيضا فهذه الحكاية إنما وقعت عن قوم مخصوصين سألو الرسول صلى الله عليه
وسلم أنزال الملائكة وهذا السؤال ما كان إلا من رؤساء القوم وكانوا قليلي العدد
واقدام العدد القليل على ما يجري مجرى المكابرة جاز (المسئلة الثانية) قوله تعالى فظنوا
فيه يرجون يقال ظل فلان نهارة يفعل كذا إذا فعله بانهار ولا تقول العرب ظل يظل
الليل كل عمل عمل بانهار كما لا يقولون بات بيت الأبطال والمصدر انظلول وقوله فيه يرجون
يقال عرج بعرج عروجا ومنه المعارج وهي المصاعد التي يصعد فيها والمفسرين في هذه
آية قولان (أحدهما) أن قوله فظنوا فيه يرجون من صفة المشركين قال ابن عباس
رضي الله عنهم اوظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون إلى ملكوت الله
تعالى وقدرته وسلطانه وإلى عبادة الملائكة الذين هم من خشيته مشفقون لشكوا في تلك
الرؤية وبقوام صبرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا أسائر المعجزات من انشقاق القمر
وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن
يأتوا بمثله (القول الثاني) أن هذا العروج للملائكة والمعنى أنه تعالى أوجعل هؤلاء
الكفار بحيث يروا أبوابا من السماء مفتوحة وتصعد منها الملائكة وتنزل أصفروا ذلك عن
وجهه وقالوا أن السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الباطل التي لا حقيقة لها
وقوله لقابوا أنما سكرت أبصارنا فيه مسئلتان (المسئلة الأولى) قرأ ابن كثير سكرت
بالتخفيف والباقون مشددة الكاف قال الواحدي سكرت غشيت وسدت بالسحر هذا
قول أهل اللغة قالوا وأصله من السكر وهو سد الشق ثلاثينفع الماء فكان هذه الأبصار
منعت من النظر كما ينم السكر الماء من الجرى والتشديد بوجوب زيادة وتكثيرا وقال
أبو عمرو بن العلاء هو مأخوذ من سكر الشراب يعني أن الأبصار حارت ووقع بها من فساد
النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل فاذا كان هذا معنى التخفيف فكسرت
بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد أخرى وقال أبو عبيدة سكرت أبصارنا أي
غشيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها وعلى هذا القول أصله من السكون يقال
سكرت الريح سكرًا إذا سكنت وسكر الحارس سكرًا ليلته ساكرة لا ربح فيها وقال أوس
جذلت على ليله ساهره * فليست بطلق ولا ساكرة

ويقال سكرت عينه سكرًا إذا تحيرت وسكنت عن النظر وعلى هذا معنى سكرت أبصارنا
أي سكرت عن النظر وهذا القول اختيار الزجاج وقال أبو على القاسي سكرت صارت

أي فرقههم وأحزابهم جمع شعبة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا تبعه * بحث
إليه إضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الغراء ومن حذف الموصوف عند البصر بين أي شيع
الأم الأولين

ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليثابروا به في كل ما ياتي ويدبر من امور الدين (وما ياتهم من رسول) المراد في اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لان في اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا وعلى سبيل البديل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض **٣٨٥** الا وهو قريب من الحال أى ما أتى شعبة من تلك الشيع

رسول خاص بها

(الا كانوا يستهزئون)

كاي فعله هؤلاء الكفرة

والجمله في محل نصب

على أنها حال مقدرة

من ضمير المفعول في

ياتيهم اذا كان المراد

بالاتيان حدوثه أوفى

محل الرفع على أنها

صفة رسول فان محله

الرفع على الفاعلية أى

الارسل كانوا يستهزئون

وأما الجر على أنها صفة

باعتبار لفظه فيفضي

الى زيادة من الاستغراقية

في الاثبات ويجوز أن

يكون منصوبا على

الوصفية بأن يقدر

الموصوف منصوبا على

الاستثناء وان كان المختار

الرفع على البداية وهذا

كما ترى تسليط رسول الله

صلى الله عليه وسلم بأن

هذه عادة الجهال مع

الانبياء عليهم السلام

وحيث كان الرسول

مصحوبا بكتاب من عند

الله تعالى تضمن ذكر

استهزائهم بالرسول

بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها وكان معنى السكر قطع الشيء عن
سننه الجاري فمن ذلك تسكير الماء وهورده عن سننه في الجرية والسكر في الشراب هو
أن يقطع عما كان عليه من المضاعف حال الصحو فلا ينفذ رأيه على حد نفاذه في الصحو
فهذه أقوال أربعة في تفسير سكرت وهي في الحقيقة مقاربة والله أعلم (المسئلة الثانية)
قال الجبائي من جوز قدرة السحرة على أن يأخذوا بأعين الناس حتى يروهم الشيء على
خلاف ما هو عليه لم يصح ايمانه بالانبياء والرسول وذلك لانهم اذا جوزوا ذلك فعل هذا
الذي يرى أنه محمد بن عبد الله ليس هو ذلك الرجل وانما هو شيطان ولعل هذه المعجزات
التي نشاهد هاليس لها حقائق بل هي تكون من باب الاراءه الباطلة من ذلك الساحر
واذا حصل هذا التجويز بطل الكل والله أعلم * قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الامن استرق السمع فأتبعه شهاب
مبين) اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكري النبوة وكان قد ثبت أن القول
بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد أتبعه تعالى بدلائل التوحيد ولما كانت دلائل
التوحيد منها سماوية ومنها أرضية بدأ منها بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا
في السماء بروجاً وزيناها للنظرين قال اثبت البرج واحد من بروج الفلك والبروج
جمع وهي اثنا عشر برجاً ونظيره قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وقال
والسماوات البروج ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو أن طبائع هذه البروج
مختلفة على ما هو متفق عليه بين أرباب الاحكام واذا كان الامر كذلك فالفلك مركب
من هذه الاجزاء المختلفة في الماهية والابعاض المختلفة في الحقيقة وكل مركب فلا بد له
من مركب يركب تلك الاجزاء والابعاض بحسب الاختيار والحكمة فثبت أن كون
السماوات مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب وأما قوله وزيناها
لنظرين - ففظناها من كل شيطان رجيم الامن استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقد
استقصينا الكلام فيه في سورة الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوماً للشياطين فلانعيد ههنا الا القدر الذي لا بد منه قوله وزيناها أى
بالشمس والقمر والنجوم للنظرين أى للمعتبرين بها والمستدلين بها على توحيد صانعها
وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم فان قيل ما معنى وحفظناها من كل شيطان
رجيم والشيطان لا قدرة له على هدم السماء فأى حاجة الى حفظ السماء منه قلنا لما منه
من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فحفظ الله السماء منهم كما قد يحفظ
منزل لناعن من تجسس نخشى منه الفساد ثم نقول معنى الرجيم في اللغة الرمي بالحجارة ثم قيل
للقتل رجم تشبيهاً بالرمي بالحجارة والرجم أيضاً السب والشتم لانه رمى بالقول القبيح
ومنه قوله لأرجنك أى لاسبئك والرجم اسم لكل ما يرمى به ومنه قوله وجعلناها رجوماً
لشياطين أى مرامي لهم والرجم القول بالظن ومنه قوله رجماً بالغيب لانه يرميه بذلك

استهزاءهم بالكتاب **٤٩** * خا ولذلك قيل (كذلك) اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء

الوحى مقر ونا بالاستهزاء أى مثل ذلك السلوك الذى سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به

من الكتاب (نسلكه) أى الذكر (في قلوب الجرمين) أى أهل مكة أو جنس الجرمين فيدخلون فيه دخولا أولياً ومحله

النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو

حال منه أي نسله سلكا مثل ذلك السلك أو نسل السالك حال كونه مثله أي مقر ونابالاستهزاء غير مقبول لما تنقض به الحكمة قائم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لتكون المشبهة مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الأمم السالفة أو الدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الإبرة والرمح في المطعون (لا يؤمنون به) أي بالذكر ٣٨٦ بحال من ضمير نسله أي غير مؤمن به أو بيان

للجملة السابقة فلأجل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء في تعيين البيانية الآن يجعل الضمير المجرور أيضا على أن البناء للاستهزاء في نسل الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بالاستهزاء والحال إمامة قدرة أو مقارنة للآيات أن بأن كفرهم مقارن للآلاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به (وقد خلت سنة الأولين) أي قد مضت طر يقهم التي سنّها الله تعالى في أهلا كهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جى به تكملة للتسليّة وتصريحاً بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقتربين المعاندين (بابا من السماء) أي بابا مالا بابا من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه (فقلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون)

الطن والرجم أيضا اللعن والطرّد وقوله الشيطان الرجيم قد فسروه بكل هذه الوجوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الشياطين لا تنجّب عن السموات فكانوا يبدّلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها إلى الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فكل واحد منهم إذا أراد استراق السمع رمى بشهاب وقوله الأمن استرق السمع لا يمكن حل لفظة لأنه من الاستثناء بدليل أن أقسامهم على استراق السمع لا يخرج السماء من أن تكون محفوظة منهم إلا أنهم ممنوعون من دخولها وإنما يحاولون القرب منها فلا يصح أن يكون استثناء على التحقيق فوجب أن يكون معناه لكن من استرق السمع قال الزجاج موضع من نصب على هذا التفسير قال وجاز أن يكون في موضع خفض والتقدير الأمن قال ابن عباس في قوله الأمن استرق السمع يريد الخططة البسيرة وذلك لأن المارد من الشياطين يعلمون برمي الشهاب فيخرفه ولا يقبله ومنهم من يتجلبه فيصير غولا يضل الناس في البراري وقوله فأتبعه ذكرنا معناه في سورة الاعراف في قصة بلع بن باعورا في قوله فأتبعه الشيطان معناه لحقه والشهاب شعله نار ساطع ثم يسمى الكواكب شهابا والسنان شهابا لأجل أنهم لما فيها من البرق يشبهان النار واعلم أن في هذا الموضع أحاديث دقيقة ذكرناها في سورة الملك وفي سورة الجن ونذكر منها ههنا أشكالا واحدا وهو أن نقول أن يقول إذا جوزتم في الجملة أن يصعد الشيطان إلى السموات ويختلط بالملائكة ويسمع أخبار الغيوب عنهم ثم انتهت من وتلق تلك الغيوب على الكهنة فلي هذا التفسير وجب أن يخرج الأخبار عن الغيبات عن كونه معجرا لأن كل غيب يخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم قام فيه هذا الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجرا لئلا على الصدق لا يقال أن الله تعالى أخبر أنهم معجزوا عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لأننا نقول هذا المعجز لا يمكن إثباته إلا بعد القطع بكون محمد رسولاً وكون القرآن حقا والقطع بهذا لا يمكن إلا بواسطة المعجز وكون الأخبار عن الغيب معجرا لا يثبت إلا بعد إبطال هذا الاحتمال وحينئذ يلزم الدور وهو باطل محال ويمكن أن يجاب عنه بأننا ثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بآثار المعجزات ثم بعد العلم بنبوته نقطع بأن الله تعالى أعجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الأخبار عن الغيوب معجرا وبهذا الطريق يدفع الدور والله أعلم * قوله تعالى (والأرض مدناها وألقينا فيها روائى وأبدنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن استهمه يرافقين) اعلم أنه تعالى لما شرح الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الأرضية وهي أنواع (النوع الأول) قوله تعالى والأرض مدناها قال ابن عباس بسطناها إلى وجه الماء وفيه احتمال آخر وذلك لأن الأرض جسم والجسم هو الذي يكون متدافا للجهات الثلاثة وهي الطول

بأنه أو غيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيد الطلول أو نزل الملائكة الذين في العرض * افترضوا آياتهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوحشين طول نهارهم (لقالوا) لفرط عبادهم وظلهم في المسكرة وتفاديه عن قبول الحق (انما سكرت أبصارنا) أي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من

قرأ سكرت أى حارت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلتي الحصر والاضراب دلالة على أنهم يتنون القول بذلك وأن ما يرونه لاحقيقة له وانما هو أمر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضونها وإيرادها بمد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرثيا ﴿ ٣٨٧ ﴾ لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر

عن الابصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار (ولقد جعلنا في السماء بروجا) قصورا بنزلها السبارات وهي البروج الانسا عشر المشهورة المختلفة الهياات والخواص حسب ابدل عليه الرصد والتجربة مع ما تنفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجمال ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجاء مرتبط به وان جعل بمعنى التضمير فهو مفعول ثان له متعلق بمخذوف أى جعلنا بروجا كائنه في السماء (وزيناها) أى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت (للنظر) اليها فعنى المتزيين ظاهرا أو للمفكرين المعبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة ترتيبها مدبرها فتبينها على نظام بدع مستمتع

والعرض والتخن واذا كان كذلك فتمدد جسم الارض في هذه الجهات الثلاثة مخصص بمقدار معين لما ثبت أن كل جسم فانه يجب أن يكون متناهيًا واذا كان كذلك كان تمدد جسم الارض مختصا بمقدار معين مع أن الازدياد عليه معقول والاتفاص عنه أيضا معقول واذا كان كذلك كان اختصاص ذلك التمدد بذلك القدر المقدر مع جواز حصول الازيد والانقص اختصاصا بأمراً جازم وذلك يجب أن يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر هو الله سبحانه وتعالى * فان قيل هل يدل قوله والارض مددناها على انها بسيطة * قلنا نعم لان الارض بتقدير كونها كرة فهي كرة في غاية العظمة والكبرة العظيمة يكون كل قطعة صغيرة منها اذا نظر اليها فانها ترى كالسطح المستوي واذا كان كذلك زال ما ذكره من الاشكال والدليل عليه قوله تعالى والجبال أوتادا سماءا أوتادام انه قد تحصل عليها سطوح عظيمة مستوية فكذا ههنا (النوع الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وألطينا فيها رواسى وهي الجبال اثوابت واحدها راسى والجمع راسية وجمع الجمع رواسى وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسى أن تميدبكم وفي تفسيره وجهان (الاول) قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كاسفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال لكيلا تميل بأهلها فان قيل أنقولون انه تعالى خلق الارض بدون الجبال قالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك أو تقولون ان الله خلق الارض والجبال معا قلنا كلا الوجهين محتمل (والوجه الثاني) في تفسير قوله وألطينا فيها رواسى يجوز أن يكون المراد انه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض ونواحيها لانها كالأعلام فلا تميل للناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال وهذا الوجه ظاهر الاحتمال (النوع الثالث) من الدلائل المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وألطينا فيها من كل شئ مؤزون وفيه بحثان (الاول) أن الضمير في قوله وألطينا فيها يحتمل أن يكون راجعا الى الارض وأن يكون راجعا الى الجبال الرواسى الآن رجوعه الى الارض أولى لان أنواع النبات المنتفع بها إنما تنوّد في الاراضى فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع ومنهم من قال رجوع ذلك الضمير الى الجبال أولى لان المعادن إنما تنوّد في الجبال والاشياء الموزونة في العرف والعادة هي المعادن لا النبات (البحث الثاني) اختلفوا في المراد بالموزون وفيه وجوه (الاول) أن يكون المراد انه مقدر بقدر الحاجة قال القاضى وهذا الوجه أقرب لانه تعالى يعلم المقدار الذى يحتاج اليه الناس وينفعون به فينبى تعالى في الارض ذلك المقدار ولذلك اتبعه بقوله وجعلنا لكم فيها معايش لان ذلك الرزق الذى يظهر بالنبات يكون معيشة لهم من وجهين (الاول) بحسب الاكل والانتفاع بعينه (والثاني) أن ينفع بالغارة فيه واقتلون بهذا القول قالوا الوزن انما يراد معرفة المقدار فكان اطلاق لفظ الوزن لارادة معرفة المقدار من باب اطلاق اسم السبب على

الآثار الحسنة (وحفظناها من كل شيطان رجيم) مرعى بالجحوم فلا يقدر أن يصعد اليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها (الا من استرق السمع) محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن اتعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنتقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واسترق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما ينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع (فأتبعه) أي تبعه ولحقه (شهاب) لهب محرق وهو شعلة نار ساطعة * ٣٨٨ * وقد يطلق على الكواكب والسنان لمافيهما من

من البريق (مبين)
ظاهر أمره للبصرين
قال معمر قلت لابن
شهاب الزهري أكلن
يرعى بالجوم في الجاهلية
قال نعم وإن الجهم ينقض
ويرعى به الشيطان
فيقله أو يخبئه ثلثا
يعود إلى استراق السمع
ثم يعود إلى مكانه قال
أفرايت قوله وأنا كنا
نقعد منها مقاعد الآية
قال غلظت وشد أمرها
حين بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
ابن قتيبة إن الرجم كان
قبل بعثه عليه الصلاة
والسلام ولكن لم يكن
في شدة الحراسة كما بعد
بعثه عليه الصلاة
والسلام قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما
إن الشياطين يركب
بعضهم بعضا إلى
السماء الدنيا يسترقون
السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا
يخطئ أبدا منهم من
يقتله ومنهم من يحرق

المسبب قالوا ويتأكد ذلك أيضا بقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار وقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (والوجه الثاني) في تفسير هذا اللفظ أن هذا العالم عالم الأسباب والله تعالى أنما يخلق المعادن والنبات والحيوان بواسطة تركيب طبائع هذا العالم فلا بد وأن يحصل من الأرض قدر مخصوص ومن الماء والهواء كذلك ومن تأثير الشمس والكواكب في الحر والبرد مقدار مخصوص وأوقدنا حصول الزيادة على ذلك القدر المخصوص أو النقصان عنه لم يتولد المعادن والنبات والحيوان فالله سبحانه وتعالى قدرها على وجه مخصوص بقدرته وعلمه وحكمته فكانه تعالى وزنها بوزن الحكمة حتى حصلت هذه الأنواع (والوجه الثالث) في تفسير هذا اللفظ أن أهل العرف يقولون فلان موزون الحركات أي حركاته حركات متناسبة حسنة مطابقة للحكمة وهذا الكلام كلام موزون إذا كان متناسبا حسنا بعيدا عن الغلو والسخف فكان المراد منه أنه موزون بوزن الحكمة والعقل وبالجملة فقد جعلوا لفظ الموزون كناية عن الحسن والتناسب فقوله وأنبأنا فيهما من كل شيء موزون أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن والظافة ومطابقة المصلحة (الوجه الرابع) في تفسير هذا اللفظ أن الشيء الذي ينبت من الأرض نوعان المعادن والنبات أما المعادن فهي بأسرها موزونة وهي الأجساد السبعة والأججار والأملاح والزاجات وغيرها وأما النبات فيرجع عاقبتها إلى الوزن لأن الحبوب توزن وكذلك الفواكه في الأكرث والله أعلم وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش فيه مستثنان (المسئلة الأولى) ذكرنا الكلام في المعاش في سورة الأعراف وقوله ومن لستم له برازقين فيقولون (القول الأول) أنه معطوف على محل لكم والتقدير وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (والقول الثاني) أنه عطف على قوله معايش والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وعلى هذا القول ففيه احتمالات ثلاثة (الأول) أن كلمة من مختصة بأهلاء فوجب أن يكون المراد من قوله ومن لستم له برازقين العلاء وهم العيال والمماليك والخدم والعبيد وتقرير الكلام أن الناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الخدام والمخدوم والمملوك والمماليك فإنه لو لانه تعالى خلق الأطعمة والأشربة وأعطى القوة الغاذية والمهاضمة والام يحصل لأحد رزق (والاحتمال الثاني) وهو قول الكلبي قال المراد بقوله ومن لستم له برازقين الوحش والطير فإن قيل كيف يصح هذا التأويل مع أن صيغة من مختصة بمن يعقل قلنا الجواب عنه من وجهين (الأول) أن صيغة من قد وردت في غير العقلاء والدليل عليه قوله تعالى والله خلق كل دابة من ما فنهم من عشي على بطنه ومنهم من عشي على رجلين ومنهم من عشي على أربع (والثاني) أنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فكانها عند الحاجة تطلب أرزاقها من

وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبئه فيصير غولا فيفضل الناس في البوادي قال ﴿خالقها﴾
أقرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبئ ولا يقتل وقال
الحسن وطائفة يقتل قال الأول أصح (والأرض مددناها) بسطناها وهو بانصب على الحذف على
شرطة التفسير ولم يقرأ بالرفع

لنجان الثصب للعطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده أعني قوله تعالى (وألقيناها
رواسي) أي جبالاً ثوابت وقدمى بيانه في أول الرعد (وأبتنا فيها) أي في الأرض أوفيهما وفي رواسيها (من كل شيء
موزون) بمران الحكمة ذاتا وصفة ومتدرا وقيل ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما ومن كل شيء مستحسن مناسب
أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة ﴿ ٣٨٩ ﴾ (وجعلنا لكم فيها معاش) ما تعيشون به من المطاعم والملابس

وغيرهما مما يتعلق به

البقاء وهي بياض صريحة

وقرى بالهمزة تشبيها

له بالشماثل (ومن لستم

له برازقين) عطف على

معاش أو على محل لكم

كأنه قيل جعلنا لكم

معاش وجعلنا لكم

من لستم برازقيه من

العيال والممالك والخدم

والدواب وما شبهها

على طريقة التغليب

وذكرهم بهذا العنوان

لردحسبنا أنهم أنهم

يكفون مؤنانهم

ولتحقيق أن الله تعالى

هو الذي يرزقهم وإياهم

أو جعلنا لكم فيها

معاش ولن لستم له

براززقين (وان من شيء)

ان لئن من مزبدة

لأن كبد وشئ في محل

الرفع على الابتداء

أي ما من شيء من الأشياء

الممكنة فيدخل فيه

ما ذكر دخولا وأوليا (الا

عندنا خزائنه) الظرف

خبر للبتداء وخزائنه

مرتفع به على أنه فاعله

لاعماده أو خبره والجملة

خالقها فصارت شبهة بمن يعمل من هذه الجهة فلم يعد ذكرها بصيغة من يعمل ألا ترى أنه
قال بآيها النمل ادخلوا مساكنكم فذكرها بصيغة جمع العتلاء وقال في الاصنام فاذهم
عدول وقال كل في ذلك يسبحون فكذا ههنا لا بعد إطلاق اللفظة المختصة بالعتلاء على
الوحش والطير لكونها شبهة بالعتلاء من هذه الجهة وسمعت في بعض الحكايات انه قلت
الماء في الاودية والجبال واشتد الحرفي عام من الاعوام فخبي عن بعضهم انه رأى بعض
الوحش رافعا رأسه الى السماء عند اشتداد عطشه قال فرأيت الغيوم قد أقبلت
وأمرت بحيث امتلأت الاودية منها (والاحتمال الثالث) اننا نحمل قوله ومن لستم له
براززقين على الاماء والعبيد وعلى الوحش والطير وانما أطلق عليها بصيغة من تغليب الجانب
العقلاء على غيرهم (المسئلة الثانية) قوله ومن لستم له برازقين لا يجوز أن يكون مجرورا
عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور لا يقال أخذت منك
وزيد الاباعادة الخافض كقوله تعالى واذا أخذنا من الذين ميثاقهم ومنك ومن نوح
واعلم أن هذا المعنى جائز على قراءة من قرأ نساءا ون به والارحام بالخفض وقد ذكرنا هذه
المسئلة هنالك والله أعلم * قوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم وأرسلنا الرياح لفاتح فارتنا من السماء ماء فأسقينا كوه وما أنتم له بخازنين)
اعلم أنه تعالى لما بين انه أنبت في الارض كل شيء موزون وجعل فيها معاش أتبعه بذكر
ما هو كالسبب لذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه (وهذا هو النوع الرابع) من
الدلائل المذكورة في هذه السورة على تقرير التوحيد وفي الآية مسائل (المسئلة
الاولى) قال الواحدى رحمه الله الخزان جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن
فيه الشيء أن يحفظ والخزانة أيضا عمل الخازن ويقال خزن الشيء يخزنه اذا أحرزه
في خزانة وعامة المفسرين على أن المراد بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه هو المطر
وذلك لانه هو السبب للارزاق ولعاش بني آدم وغيرهم من الطيور والوحش فلا ذكر
تعالى انه يعطيهم المعاش بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عنده أي في أمره
وحكمه وتدبيره وقوله وما ننزله الا بقدر معلوم قال ابن عباس رحمه الله يريد
قدر الكفاية وقال الحكم مامن عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يطر قوم ويحرم
قوم آخرون وما كان في البحر يعني ان الله تعالى ينزل المطر لكل عام بقدر معلوم غير انه
يصرفه الى من يشاء حيث شاء كما شاء ولقائل أن يقول لفظ الآية لا يدل على هذا المعنى
فان قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم لا يدل على أنه تعالى ينزله في جميع الاعوام على قدر
واحد واذا كان كذلك كان تفسير الآية بهذا المعنى تحكما من غير دليل وأقول أيضا
تخصيص قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه بالمطر تحكما محض لان قوله وان من
شيء يتناول جميع الأشياء الاما خصه الدليل وهو الموجود القديم الواجب لذاته وقوله
الا عندنا خزائنه اشارة الى كون تلك الأشياء مقدورة له تعالى وحاصل الامر فيه أن

خبر للبتداء الاول والخزان جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على المملوك والاسلاطين
من خزائن أرزاق الناس شهت مقدوراته تعالى الفاتحة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة
عن علوم العالمين ومصونة عن وصول أيديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة

مما تنة لا يجارده وتكونه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلاناخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخيلية (وما نزلها) أي ما يوجد وما تكون شيئا من تلك الاشياء ملتصقا بشئ من الاشياء (الابقدر معلوم) أي الاما لتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شئ بصفة معينة ﴿ ٣٩٠ ﴾ وقد رعين ووقت محدود دون ماعد ذلك

مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بدله من حكمه تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اخنص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبها هو في خزان القدرة وهو اما عطف على مقدار أي نزلها وما نزلها الخ أو حال مما سبق أي عندنا خزائن كل شئ والحال أنما نزلها لا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق الفضل من العالم العلوى الى العالم السفلى كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وكان ذلك بطريق التدرج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وأرسلنا الريح) عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض

المراد أن جميع الممكنات مقدورة له ومملوكة يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء الا أنه تعالى وان كانت مقدوراته غير متناهية الا ان الذي يخرجها منها الى الوجود يجب أن يكون متناهيا لان دخول ما لا نهائية له في الوجود محال فقوله وان من شئ الاعندنا خزائنه اشارة الى كون مقدوراته غير متناهية وقوله وما نزلها لا بقدر معلوم اشارة الى أن كل ما يدخل منها في الوجود فهو متناه ومن كان الخارج منها الى الوجود متناهيا كان لما تحالته مختصا في الحدوث بوقت مقدر مع جواز حصوله قبل ذلك الوقت أو بعده بدلا عنه وكان مختصا بجزء معين مع جواز حصوله في سائر الاحياز بدلا عن ذلك الجزء وكان مختصا بصفات معينة مع أنه كان يجوز في العقل حصول سائر الصفات بدلا عن تلك الصفات واذا كان كذلك كان اختصاص تلك الاشياء المتناهية بذلك الوقت المعين والجزء المعين والصفات المعينة بدلا عن أصدادها لا بد أن يكون بتخصيص مخصوص وتقدير مقدر وهذا هو المراد من قوله وما نزلها لا بقدر معلوم والمعنى انه لولا القادر المختار الذي خصص تلك الاشياء بتلك الاحوال الجائزة لا تمتنع اختصاصها بتلك الصفات الجائزة والمراد من الانزال الاحداث والانشاء والابداع كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وقوله وأنزلنا الحديد والله أعلم (المسئلة الثانية) تسلك بعض المعتزلة بهذه الآية في اثبات أن المعدوم شئ قال لان قوله تعالى وان من شئ الاعندنا خزائنه يقتضي أن يكون لجميع الاشياء خزائن وأن تكون تلك الخزائن حاصلة عند الله تعالى ولا جائز أن يكون المراد من تلك الخزائن الموجودة عند الله تعالى هي تلك الموجودات من حيث انها موجودة لانا بينا أن المراد من قوله تعالى وما نزلها لا بقدر معلوم الاحداث والابداع والانشاء والتكوين وهذا يقتضي أن يكون حصول تلك الخزائن عند الله متقدما على حدوثها ودخولها في الوجود واذا بطل هذا وجب أن يكون المراد أن تلك الذوات والحقائق والماهيات كانت متقررة عند الله تعالى بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى أنزل بعضها أي أخرج بعضها من العدم الى الوجود وإقائل أن يجيب عن ذلك بقوله لاشك ان لفظ الخزائن انما ورد ههنا على سبيل التخييل والتخييل فلم لا يجوز أن يكون المراد منه مجرد كونه تعالى قادرا على إيجاد تلك الاشياء وتكوينها وإخراجها من العدم الى الوجود وعلى هذا التقدير يسقط الاستدلال والمباحث الدقيقة باقية والله أعلم أما قوله تعالى وأرسلنا الريح اواقع فاعلم أن هذا هو النوع الخامس من دلائل التوحيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في وصف الريح بأنها اواقع أقوال (الاول) قال ابن عباس الريح اواقع للشجر والسحاب وهو قول الحسن وقتادة والضحاك وأصل هذا من قولهم لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى الماء فيها فحملت فكذلك الريح جارية تجري الفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يبعث الله الريح لتلقح السحاب فتحمل

لحمته في ما سبق وترشح ما خلق أي أرسلنا الريح (الواقع) أي حوامل شهت الريح التي تجرى بالخير من انشاء ﴿ الماء ﴾ سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالقيم ما لا يكون كذلك أو ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائع بمعنى المطيحات في قوله * ومخبط ما نطج الطوائع * أي المهلكات وقرئ وأرسلنا

الريح على ارادة الجنس (فانزلنا من السماء) بعد ما أنشأنا تلك الرياح سحباً ماطر (ماء فاسقينا كوه) أي جعلنا لكم سقياً وهو أبلغ من سقينا كوه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معد لهم ينفعون به متى شاؤوا (وما أنتم له بخازنين) نفى عنهم ما اتهمه لجنايه بقوله وان من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على إيجاده وخزنه في السحاب وأنزله وما أنتم على ذلك بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه ﴿ ٣٩١ ﴾ في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها

الماء ونحج في السحاب ثم انه يهصر السحاب ويدره كما تدر اللقحة فهذا هو تفسير القاحها للسحاب وأما تفسير القاحها للشجر فاذا ذكره فان قيل كيف قال اوافح وهي ملقحة والجواب مذهب اليه أبو عبيدة ان اوافح ههنا بمعنى ملافح جمع ملقحة وأنشد سهل بن أبي أخاه

ليكن يزيد يائس ذو ضراعة * وأشعث مما طوحته الطوائح

أراد المطوحات وقرر ابن الأباري ذلك فقال تقول العرب أبقل النبت فهو بأقل يريدون فهو مقل وهذا يدل على جواز ورود لافح عبارة عن ملقح (والوجه الثاني) في الجواب قال الزجاج يجوز أن يقال لها اوافح وان ألفت غير هالان معناها النسبة وهو كما يقال درهم وازن أي ذو وزن ورايح وسائف أي ذورح وذو سيف قال الواحدي هذا الجواب ليس بمقتضى لانه كان يجب أن يسمي اللافح بمعنى ذات اللقاح وهذا ليس بشيء لان اللافح هو المنسوب الى اللقحة ومن أفاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة فصح هذا الجواب والله اعلم (والوجه الثالث) في الجواب ان الريح في نفسها لافح وتقر به بطريقين (الاول) ان الريح حاملة للسحاب والدليل عليه قوله سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرايين يدي رحته حتى اذا أقلت سحباً نقلاً أي حلت فعلى هذا المعنى تكون الريح لافحة بمعنى أنها حاملة تحمل السحاب والماء (والطريق الثاني) قال الزجاج يجوز أن يقال للريح لفتحت اذا أتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تأت بالخير وهذا كما تقول العرب قد لفتحت الحرب وقد نجت ولدا أنكد يشبهون ما تشتمل عليه من ضرر وبالشمر بما تحمله الناقة فكذا ههنا والله أعلم (المسئلة الثانية) الريح هواء محرك وحركة الهواء بعد ان لم يكن متحركاً لا بد له من سبب وذلك السبب ليس بنفس كونه هواء ولا شيئاً من لوازم ذاته والا لدامت حركة الهواء بدوام ذاته وذلك محال فلم يبق إلا أن يقال انه يتحرك بحريك الغاغل المختار والاحوال التي تذكرها الفلاسفة في سبب حركة الهواء عند حدوث الريح قد حكيناها في هذا الكتاب مراراً فأبطلناها وبيننا انه لا يمكن أن يكون شيء منها سبباً لحدوث الرياح فبقي أن يكون محركها هو الله سبحانه وأما قوله وأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كوه وما أنتم له بخازنين فغيبه مباحث (الاول) ان ماء المطر هل ينزل من السماء أو ينزل من ماء السحاب وبتقدير أن يقال انه ينزل من السحاب كيف أطلق الله على السحاب لفظ السماء (وثانيها) انه ليس السبب في حدوث المطر ما يذكروه الفلاسفة بل السبب فيه أن الفاعل المختار ينزله من السحاب الى الأرض لغرض الإحسان الى العباد كما قال ههنا فأسقينا كوه قال الأزهري تقول العرب لكل ما كان في بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري أسقيته أي جعلته شرباً له وجعلت له منها مسقى فإذا كانت السقيا لسقيه قالوا اسقاه ولم يقولوا أسقاه والذي يؤكده هذا اختلاف الفراء في قوله نسقيكم مما في بطونه فقرأوا بالفتحة ولم يختلفوا في قوله وسقاهم ربه شرباً طهوراً

لتجعلها سقياً لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الفور (وانا نحن نحجي) بإيجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها عنها وقد يعبر عن الاحياء والامانة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للعصر وهو اماناً كيد الاول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضميراً للفصل لان اللام مانعة من ذلك كما قيل فان النخلة جوزوا دخول لام التأكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا هو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين (ونحن الوارثون) أي الباقون بعد فناء الخلق فاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكون في الكل أولاً وآخراً وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على أن المناخر ليس بوارث للتقدم كما

يتزاد من ظاهر الحال (ولقد علمنا المستقدمين منكم) من تقدم منكم ولادة وموتاً (ولقد علمنا المستأخرين) من تأخر ولادة وموتاً أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا ينجى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان

أنه أدخل في تذكر ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف سنة عن تبليغ الشيء إلى كماله اللائق به شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام اشعار بعلة الحكم ونشر يف له عليه الصلاة والسلام أي اذكر وقت قوله تعالى (للملائكة أتى خالق) فيمأسأى وفيه مالم يس في صبغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف بشبه ولا عاطف يلويه (بشراً) أي انسانا قيل ليس ﴿ ٣٩٤ ﴾ هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر

أن يكون قد قيل لهم أي خالق خلقاً من صفته كيت وكيت ولكن اقتصصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسماً كشفاً بلاقي وبياشرو قبل خلقاً بادي البشرية بلا صوف ولا شعر (من صلصال) متعلق بخالق أو بمخدوف وقع صفة لمفعوله أي بشراً كأننا من صلصال كأن (من حمامسون) تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشراً من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغبر والاسوداد وما ورد عليه من آثار انكون لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي فآيته أنه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا (فاذا سويته) أي صورته بالصورة الانسانية والخالقة البشرية أو سويت أجزأ بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي)

في الشمس أربعين سنة فصار صلصلاً لا كالحرف ولا يدري أحدا ما راد به وإير واشيان من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح وحقيقة الكلام أنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجفف فكانت الريح اذا مرت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصلاً (والقول الثاني) الصلصال هو المتك من قولهم صل اللحم واصل اذا أنتق وتغير وهذا القول عندى ضعيف لانه تعالى قال من صلصال من حمامسون وكونه حامسونا يدل على التثنية والتغير وظاهر الآية يدل على ان هذا الصلصال انما تولد من الحمامسون فوجب أن يكون كونه صلصلاً لا مغيراً لكونه حامسونا ولو كان كونه صلصلاً عبارة عن التثنية والتغير لم يبق بين كونه صلصلاً وبين كونه حامسونا تفاوت وأما الحمام فقال اللبث الحمامة بوزن فظلة والجمع الحمام والطين الاسود المتين وقال أبو عبيدة والاكثرون حاة بوزن كاة وقوله مسنون فيه أقوال (الاول) قال ابن السكيت سمعت اباعمر يقول في قوله مسنون أي متغير قال أبو الهيثم يقال سن الماء فهو مسنون أي تغير والدليل عليه قوله تعالى لم يتسنه أي لم يتغير (الثاني) المسنون المحكوك وهو مأخوذ من سنت الحجر على الحجر اذا حك كنه عليه والذي يخرج من بينهما يقال له السن وسمى السن مسنلان الحديد بسن عليه (الثالث) قال الزجاج هذا اللفظ مأخوذ من أنه موضوع على سن الطريق لانه متى كان كذلك فقد تغير (الرابع) قال أبو عبيدة المسنون المصبوب والسن الصب يقال سن الماء على وجهه سناً (الخامس) قال سيديويه المسنون المصور على صورة رطل من سنة الوجه وهي صورته (السادس) روى عن ابن عباس انه قال المسنون الرطب وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة لانه اذا كان رطباً يسيل وينسبط على الارض فيكون مسنوناً بمعنى انه مصبوب أما قوله تعالى والجان خلقناه فاختلفوا في ان الجان من هو فقال عطاء عن ابن عباس يريد ابليس وهو قول الحسن ومقاتل وقتادة وقال ابن عباس في رواية أخرى الجان هو اب الجن وهو قول الاكثرين وسمى جاناً لتواريه عن الاعين كما سمي الجنين جنيناً لهذا السبب والجنين متوار في بطن أمه ومعنى الجان في اللغة السائر من قولك جن الشيء اذا ستره فالجان المذكور ههنا يحتمل انه سمي جاناً لانه يستر نفسه عن أعين بني آدم أو يكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول كما يقال في لابن وتامر وما وافق وعيشة راضية واختلفوا في الجن فقال بعضهم انهم جنس غير الشياطين والاصح ان الشياطين قسم من الجن فكل من كان منهم مؤمنافاته لا يسمى بالشيطان وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم والدليل على صحة ذلك أن لفظ الجن مشتق من الاستسار فكل من كان كذلك كان من الجن وقوله تعالى خلقناه من قبل قال ابن عباس يريد من قبل خلق آدم وقوله من نار السموم معنى السموم في اللغة الريح الحارة تكون بالتهيار وقد تكون بالليل وعلى هذا فالريح الحارة فيهما نار ولها الفع وأوار على ما ورد في الخبر أنها الفع جهنم قبل سميت سمو لانهما بلطفها تدخل في مسام البدن وهي الخروق

النفخ اجراء الريح إلى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل الخفية لا فاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فاذا كملت استعدادها وأفضت عليه ما يحببه من الروح التي هي من أمرى (ففعوا له) أمر من وقع وقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد

الأنشاء كما قبل أي استظوا له (ساجدين) بحجة له وعظميا واسجدوا لله تعالى على انه عليه الصلوة والسلام بجزله القبله حيث ظهر فيه تعجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه * أليس أول من صلى لقبلكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنة (فمسجد الملائكة) أي فخلقهم فسواء فتفخ فيه الروح فمسجد الملائكة (كلهم) بحيث لم يشد منهم أحد (أجمعون) * ٣٩٥ * بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص

لا فائدة هذا المعنى بالجالية بل يفيدنا كيدا أيضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معا أكل أصناف السجود لكن شاع استعماله كيدا وقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صوتا للكلام عن الالفاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التعليق كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على الامر التحيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهد

الخفية التي تكون في جلد الانسان يبرز منها عرقه وبحار باطنه قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله منها الجن والناس هذه الآية فان قيل كيف يعمل خلق الجن من النار قلنا هذا على مذهبننا ظاهر لان البنية عندنا ليست شرطا لامكان حصول الحياة فالله تعالى قادر على خلق الحياة والعلم في الجوهر الفرد فكذلك يكون قادرا على خلق الحياة والعقل في الجسم الحار واستدل بعضهم على أن الكواكب تتم حصول الحياة فيها قال لان الشمس في غاية الحرارة وما كان كذلك امتنع حصول الحياة فيه فنتقض عليه بقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم بل المعتقد في نفي الحياة عن الكواكب الاجماع * قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اتي خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فمسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أي أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان هلك الالفه الى يوم الدين) اعلم انه تعالى لما ذكر حدوث الانسان الاول واستدل بذكره صلى وجود الاله القادر المختار ذكر بعده واقعته وهوانه تعالى أمر الملائكة بالسجود له فأطاعوه الا ابليس فانه أبي وتمرد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ما تفسير كونه بشرا فالمراد منه كونه جسما كشيء يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجسامهم عن أجسام البشر والبشره ظاهرا للجلد من كل حيوان وأما كونه صلصالا من حمأ مسنون فقد تقدم ذكره وأما قوله فاذا سويته ففيه قولان (الاول) فاذا سويته شكله بالصورة الانسانية والخلقة البشرية (والثاني) فاذا سويته أجزاءه بده باعتدال الطبايع وتناسب الامشاج كما قال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج وأما قوله ونفخت فيه من روحي ففيه مباحث (الاول) ان النفخ اجراء الريح في تجايف جسم آخر وظاهر هذا اللفظ يشعر بأن الروح هي الريح والامشاج وصفها بالنفخ لان البحث الكامل في حقيقة الروح سيجي في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وانما أضاف الله سبحانه روح آدم الى نفسه تشير بقوله وتكرما وقوله فقعوا له ساجدين فيه مباحث (أحدها) ان ذلك السجود كان لآدم في الحقيقة أو كان آدم كاتبة لذلك السجود وهذا البحث قد تقدم ذكره في سورة البقرة (وثانيها) ان المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام هم كل ملائكة السموات أو بعضهم أو ملائكة الارض من الناس من لا يجوز أن يقال ان أكابر الملائكة كانوا مأمورين بالسجود لآدم عليه السلام والدليل عليه قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة الملائكة ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون فقوله وله يسجدون يفيد الحصر وذلك يدل على انهم لا يسجدون الا لله تعالى وذلك يتناقض كونهم ساجدين لآدم عليه السلام أو لاحد غير الله تعالى أقصى ما في الباب أن يقال ان قوله

تحقيقه في تفسير سورة البقرة (الا بليس) استثناء متصل اما لانه كان جنسا مفردا مغمورا بأوفى من الملائكة فعدمه تظليا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله (أي أن يكون مع الساجدين) استثناء مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الابه والاستكبار ومنقطع فتصل به ما بعده أي لكن ابليس أبي أن

يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أذبح في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر والاستكبار مع تخفير آدم عليه الصلاة والسلام ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام (قال) استئناف مبني على سؤال من قال فإذا قال تعالى عند ذلك قفيل قال (يا ابليس مالك) أى أى سبب لك لأى غرض لك كما قيل لقوله تعالى مامعك (ألا تكون) فى أن لا تكون ﴿ ٣٩٦ ﴾ (مع الساجدين) لا تدم مع أنهم هم

ومنزلة في الشرف
منزلةهم وما كان التوبيخ
عند وقوعه ليجرد تخلفه
عنهم بل لكل من المعاصي
الثلاث المذكورة قال
تعالى في سورة الاعراف
قال مامعك ألا تسجد
إذا أمرتكم وفي سورة
ص قال يا ابليس مامعك
أن تسجد لما خلقت
بيدي ولكن اقصر
عند الحكاية في كل
موطن على ما ذكر
فيه اجترأ بما ذكر
في موطن آخر وأشارا
بأن كل واحدة من تلك
المعاصي الثلاث كافية
في التوبيخ وإظهار
بطلان ما ارتكبه وقد
تركت حكاية التوبيخ
رأساً في سورة البقرة
وسورة بنى اسرائيل
وسورة الكهف وسورة
طه (قال) أى ابليس
وهو أيضاً استئناف
مبنى على السؤال
الذى يتساق إليه
الكلام (لم أكن لاسجد)
اللام لتأكيد التوبيخ
أى يتنافى حالى ولا يستقيم

تعالى ففعواله ساجدين يفيد العموم إلا أن الخاص مقدم على العام (وثالثها) أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى كما نفع الروح في آدم عليه السلام وجب على الملائكة أن يسجدوا لله لأن قوله فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ففعواله ساجدين مذكور بقاء التعقيب وذلك بمنع من التراخي وقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الخليل وسيبويه قوله كلهم أجمعون تو كيد بعد تو كيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا ثم بعد هذا بقي احتمال آخر وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد منهم في وقت آخر فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكي الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه أجود لأن أجمعين معرفة فلا يكون حالاً وقوله الابليس أجمعوا على أن ابليس كان مأموراً بالسجود لآدم واختلّفوا في أنه هل كان من الملائكة أم لا وقد سبقت هذه المسئلة بالاستقصاء في سورة البقرة وقوله أبى أن يكون مع الساجدين استئناف وتقدره أن قالاً قال هلا سجد قفيل أبى ذلك واستكبر عنه أما قوله قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين فاعلم أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله قال يا ابليس أى قال الله تعالى له يا ابليس وهذا يقتضى أنه تعالى تكلم معه فعند هذا قال بعض المتكلمين أنه تعالى أوصل هذا الخطاب إلى ابليس على لسان بعض رسله إلا أن هذا ضعيف لأن ابليس قال في الجواب لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضى أن الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وأن ابليس تكلم مع الله تعالى بغير واسطة وكيف يعقل هذا مع أن مكالمة الله تعالى بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم ولعل الجواب عنه أن مكالمة الله تعالى إنما تكون منصباً عالياً إذا كان على سبيل الأكرام والأعظام فأما إذا كان على سبيل الإهانة والاذلال فلا وقوله لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حاء مسنون ففقد بحثان (الاول) اللام في قوله لاسجد لتأكيد التوبيخ ومعناه لا يصح منى أن أسجد لبشر (البحث الثاني) معنى هذا الكلام أن كونه بشراً يشعر بكونه جسماً كئيفاً وهو كان روحانياً لطيفاً فالفرقة حاصلة بينهما في الحال من هذا الوجه كأنه يقول البشر جسماني كئيف له بشرة وأنا روحاني لطيف والجسماني الكئيف أدون حالاً من الروحاني اللطيف والأدون كيف يكون مسجوداً والاعلى وأيضاً أن آدم مخلوق من صلصال تولد من حاء مسنون فهذا الأصل في غاية الدناءة وأصل ابليس هو النار وهى أشرف العناصر فكان أصل ابليس أشرف من أصل آدم فوجب أن يكون ابليس أشرف من آدم والأشرف يقيح أن يؤمر بالسجود للأدون فالكلام الاول إشارة إلى الفرق الحاصل بسبب البشرية والروحانية وهو فرق حاصل في الحال والكلام الثاني إشارة إلى الفرق الحاصل بحسب العناصر والأصل فهذا

منى لاني مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد (لبشر) أى جسم كئيف (خلقته من صلصال) مجموع ﴿ من حاء مسنون ﴾ اقتصر ههنا على الإشارة الاجالية إلى ادعاء الخيرية وشرف المادة كنفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقني من نار وخلقته من طين ولم يكف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من القرب الذي هو أخس العناصر وأسفلها

بل تعرض لكونه مخلوقاً منه في أحسن أحواله من كونه طيناً متغيراً وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكى عنه ههنا فاقصر على حكاية تعرضه لخلق الله عليه الصلاة والسلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل أسجد لمن خلقت طيناً وفي جوابه دليل على أن قوله تعالى مالك ليس استفساراً عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للنص ﴿ ٣٩٧ ﴾ عن المناقشة وأنى له ذلك كما قال لم امتنع عن أمثال الامر

ولا عن الانتظام في سلاك
الملائكة بل غلبا بلقي
بشأن من الخضوع
للمفعول ولقد جرى
خذه الله تعالى على سنن
قياس عقيم وزل عنه
أن ما يدور عليه فلك
الفضل والكمال هو
التحلي بالعارف الـ بانية
والتخلي عن الملكات
الردية التي أقبحها
التكبر والاستعصاء
على أمر رب العالمين
جل جلاله (قال فاخرج
منها) أي من زمرة
الملائكة العززين
لأمن السماء فان وسوسته
لأدم عليه الصلاة
والسلام في الجنة انما
كانت بهذا الطرد
وقوله تعالى فاهبط منها
ليس نصاً في ذلك فان
الخروج من بين الملائكة
هبوطاً أي هبوطاً ومن
الجنة على أن وسوسته
كانت بطريق النداء
فمن بابها كما روى عن
الحسن البصري
أو بطريق المشافهة
بعد أن احتال في دخولها

بمجموع شبهة ابليس وقوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم فهذا ليس جواباً عن تلك
الشبهة على سبيل التصريح ولكنه جواب عنها على سبيل التنبيه وتقريره ان الذي قاله
الله تعالى نص والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيماً ملعوناً
وتمام الكلام في هذا المعنى ذكرناه مستقصى في سورة الاعراف وقوله فاخرج منها قيل
المراد من الجنة عدن وقيل من السموات وقيل من زمرة الملائكة وتمام هذا الكلام مع
تفسير الرجيم قد سبق ذكره في سورة الاعراف وقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال
ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد بأعمالهم مثل قوله مالك يوم الدين فان قيل
كلمة الى تفيد انتهاء الغاية فهذا يشعر بأن اللعن لا يحصل الا الى يوم القيامة وعند قيام
القيامة يزول اللعن أجاوب عنه من وجوه (الاول) المراد منه التأيد وذكر القيامة أبعد
غاية ذكرها الناس في كلامهم كقولهم مادامت السموات والارض في التأيد (والثاني)
انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير أن يندب
فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذاباً ينسى اللعن معه فيصير الامن حينئذ كالزائل بسبب
أن شدة العذاب تذهل عنه ﴿ قوله تعالى ﴾ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لازين لهم في الارض ولا غوينهم
أجمعين الاعبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم (في الآية مسائل) المسئلة
الاولى قوله فانظرنى متعلق بما تقدم والتقدير اذا جلعتني رجيماً ملعوناً الى يوم الدين
فانظرنى فطلب الابقاء من الله تعالى عند اليأس من الآخرة الى وقت قيام القيامة لان
قوله الى يوم يبعثون المراد منه يوم البعث والشور وهو يوم القيامة وقوله قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم اعلم ان ابليس استنظر الى يوم البعث والقيامة وغرضه
منه أن لا يموت لانه اذا كان لا يموت قبل يوم القيامة وظاهره ان بعد قيام القيامة لا يموت
أحد فحينئذ يلزم منه أن لا يموت البتة ثم انه تعالى منه عن هذا المطلوب وقال انك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم واختلفوا في المراد منه على وجوه (أحدها) ان المراد من
يوم الوقت المعلوم وقت النفخة الاولى حين يموت كل الخلائق وانما سمي هذا الوقت
بالوقت المعلوم لان من العلوم انه يموت كل الخلائق فيه وقيل انما ساء الله تعالى بهذا
الاسم لان العالم بذلك الوقت هو الله تعالى لا غير كما قال تعالى انما اعلمها عند ربى لا يعلمها
لوقتها الا هو وقال ان الله عنده علم الساعة (وثانيها) ان المراد من يوم الوقت المعلوم هو
الذي ذكره ابليس وهو قوله الى يوم يبعثون وانما ساء تعالى يوم الوقت المعلوم لان ابليس
لما عينه وأشار اليه بعينه صار ذلك كالمعلوم فان قيل لما أجابه الله تعالى الى مطلوبه لم
أن لا يموت الى وقت قيام الساعة وبعد قيام القيامة لا يموت أيضاً فيلزم ان يندفع عنه
الموت بالكلية قلنا يحمل قوله الى يوم يبعثون الى ما يكون قبيل زمانه والوقت الذي يموت
فيه كل المكلفين قريب من يوم البعث وعلى هذا الوجه فيرجع حاصل هذا الكلام الى

وتوسل اليه بالحيلة كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤس الاشهاد لما يقتضيه
من الحكم البالغة (فانك رجيم) مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد برجم بالحجارة أو شيطان برجم بالشهاب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون (وان عليك اللعنة) الابعاد
عن الرحمة وحب

كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جبارا على السلا العباد قبل ان تنزلة من وان عليك الحق (الى يوم الدين) الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عتابه وجزائه اليه وان العتمة كالقنطرة ليست جزاء العتمة وانما هي حق ذلك يومئذ وفيه من اشهر بل لا يوصف وجعل ذلك أقصى امد العتة ليس لانها تنقطع هناك بل لانه عند ذلك يغضب بما ينسب به العتة من افاين العذاب قصير هي كالزائل وقيل انما حدث ﴿ ٣٩٨ ﴾ لانه لا يبعد غاية يضر بها الناس

كقوله تعالى خالد بن فيهما مادام السموات والارض وحيث يمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر من آخرت عقوبتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى (قال رب فانظرنى) أى أمهلنى وأخرنى ولا تمنى والفاء متعلق بمحذوف ينصب عليه الكلام أى اذا جعلتنى رجلاً فأمهلنى (الى يوم يعثون) أن آدم وذريته للجرء بعد فثامهم وأراد بذلك أن يجد فضحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحقاقه بعد يوم البعث (قال فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض الشمول ما سألنا الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تباعلهم في ذلك دليل على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم أو لا انشاء لانظار خاص به وقع

الوجه الاول (وانما) أن المراد بيوم الوقت المعلوم يوم لا يعلم الا الله تعالى وليس المراد منه يوم القيامة فان قيل انه لا يجوز أن يعلم المكلف متى يموت لان فيه اغراء بالمعاصي وذلك لا يجوز على الله تعالى أوجب عنه بأن هذا الزام انما يتوجه اذا كان وقت قيام القيامة معلوما للمكلف فاما اذا علم أنه ما أمهله الى وقت قيام القيامة الا انه تعالى ما أعلمه الوقت الذي تقوم القيامة فيه فلم يلزم منه الاغراء بالمعاصي وأوجب عن هذا الجواب بأنه وان لم يعلم الوقت الذي فيه تقوم القيامة على التعيين الا انه علم في الجملة ان من وقت خلقه آدم عليه الصلاة والسلام الى وقت قيام القيامة مدة طويلة فكأنه قد علم انه لا يموت في تلك المدة الطويلة أما قوله تعالى قال رب بما أغوينى لآزيتن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين ففيه بحثان (الاول) الباقى بما أغوينى للقسم وما مصدر يقوم جواب القسم لآزيتن والمعنى أقسم باغوائك اياى لآزيتن لهم ونظيره قوله تعالى فيعزتك لاغوينهم أجمعين الا أنه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفي قوله بما أغوينى أقسم باغواء الله وهو من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح اما بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه ونقل الواحدى عن قوم آخرين انهم قالوا الباء ههنا بمعنى السبب أى بسبب كوفى غاوى بالآزيتن كقول القائل أقسم فلان بمعصيته ليدخلن النار ويطاعته ليدخلن الجنة (البحث الثانى) اعلم ان المحاسب قد اوجبوا بهذه الآية على انه تعالى قد ير يد خلق الكفر في الكافر ويصد عن الدين ويغويه عن الحق من وجوه (الاول) ان ابليس استعمل وطلب البقاء الى قيام القيامة مع انه صرح بأنه انما يطلب هذا الامهال والابقاء لاغواء بنى آدم واصلالهم وانه تعالى أمهله وأجاب به الى هذا المطلوب ولو كان تعالى يراهم مصالح المكلفين في الدين لما أمهله هذا الزمان الطويل ولما مكنته من الاغواء والاصلال والسوسة (الثانى) ان أكابر الانبياء والاولياء مجدون ومجتهدون في ارشاد الخلق الى الدين الحق وان ابليس ورهطه وشيعته مجدون ومجتهدون في الضلال لاغواء فلو كان من اد الله تعالى هو الارشاد والهداية لكان من الواجب ابقاء المرشدين والمحققين واهلاك المضلين والمغوين وحيث فعل بالضد منه علمنا انه اراد بهم الخذلان والكفر (الثالث) أنه تعالى لما أعلمه بأنه يموت على الكفر وأنه ملعون الى يوم الدين كان ذلك اغراء له بالكفر والقبیح لانه اذا أبس عن المغفرة والفوز بالجنة مجتهداً حينئذ على أنواع المعاصي والكفر (الرابع) أنه لما سأل الله تعالى هذا العمر الطويل مع انه تعالى علم انه لا يستفيد من هذا العمر الطويل الا زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة بزاد استحقاقه لآلواع العذاب الشديد كان هذا الامهال سبباً لزيد عذابه وذلك يدل على أنه تعالى اراد به أن يزداد عذابه وعقابه (الخامس) أنه صرح بأن الله اغواء فقال رب بما أغوينى وذلك تصريح بأن الله تعالى اغواء لا يقال هذا كلام ابليس وهو ليس بحجة وأيضاً فهو معارض بقول ابليس فيعزتك لاغوينهم أجمعين فاضاف

اجابة لدعائه أى انك من جملة الذين أخرت آجالهم أو لا حسباً تقتضيه حكمة التكوين ﴿ الاغواء ﴾

فالقاء ليست رباط نفس الانظار بالاستنظار بل رباط الاخبار المذكور به كافي قوله * فان رحم فانت لذالك اهل * فانه لا مكان لجل القاء فيدر بطن ما فيه تعالى من الاهلية القدسية للرجة بوقوع الرجة الحادثة بل هي رباط الاخبار تلك الاهلة اللاحقة

وقوعها وإنا نستظاره كأن طلبا لتأخير الموت أذبه يفتق كونه من جعلهم لا تأخير العوبة كإقبل ونظمه في ذلك
في سلك من أخرت حقوبتهم إلى الآخرة في علم الله تعالى من سبق من الجن ولحق من الثقلين لأبلاهم مقام الاستغفار
مع الحياة ولأن ذلك التأخير معلوم من إضافة اليوم إلى الدين مع إضافته في السؤال إلى البحث كإعرفته وفي سورة
الأعراف قال أنظري إلى يوم يمشون قال انك ﴿ ٣٩٩ ﴾ من المنظرين بترك التوقيت والتداء والفناء في الاستظهار

وانظار تعويلا على ما ذكر
هنا وفي سورة ص فإن أراد
كلام واحد على أساليب
متعددة غير عن في الكتاب
العزيز أو أمان كل أسلوب
من أساليب النظم الكريم
لا بد أن يكون له مقام
يقضيه مغاير لمقام غيره
وأن ما حكى من اللعين
أما صدر عنه مرة وكذا
جوابه لم يرفع الإدفعه
فمقام المحاوره أن اقضى
أحد الأساليب المذكورة
فهو المطابق لمقتضى
الحال والبالغ إلى طبقة
الانحياز وما عداها قاصر
عن رتبة البلاغة فضلا
عن الارتقاء إلى معالم
الانحياز قد دمر تحقيقه
بتوفيق الله تعالى في سورة
الأعراف (إلى يوم الوقت
المعلوم) وهو وقت
النفخة الأولى التي علم
أنه يصعق عندها
من في السموات ومن
في الأرض الأمن شاء الله
تعالى و يجوز أن يكون
المراد بالآيام واحدا
والاختلاف في العبارات
لاختلاف الاعتبارات

الأقواء إلى نفسه لا نأقول (أما الجواب عن الأول) فهو أنه لما ذكر هذا الكلام فإن الله
تعالى ما أنكره عليه وذلك يدل على أنه كان صادقا فيما قال (وأما الجواب عن الثاني)
فهو أنه قال في هذه الآية رب بما أغويتني لاز ينلهم فالمراد ههنا من قوله لاز ينلهم هو
المراد من قوله في تلك الآية لا غويتهم أجمعين إلا أنه بين في هذه الآية أنه إنما أمكنه
أن ينلهم إلا بطيل لأجل أن الله تعالى أغواه قبل ذلك وعلى هذا التقدير فقد زال
التناقض ويتأكد هذا بما ذكره الله تعالى حكاية عن الشياطين في سورة القصص هؤلاء
الذين أغويتنا أغويتهم كما غويتنا (السؤال السادس) أنه قال رب بما أغويتني وهذا
اعتراف بأن الله تعالى أغواه فقول ما أن يقال أنه كان قد عرف بأن الله تعالى أغواه
أو ما عرف ذلك فإن كان قد عرف بأن الله تعالى أغواه امتنع كونه غاويا لأنه إنما يعرف
أن الله تعالى أغواه إذا عرف أن الذي هو عليه جهل وباطل ومن عرف ذلك امتنع بقاؤه
على الجهل والضلالة وأما قلنا بأنه ما عرف أن الله أغواه فكيف أمكنه أن يقول رب
بما أغويتني فهذا مجموع السؤالات الواردة في هذه الآية (أما الاشكال الأول)
فما حتمتة فيه طريقان (الأول) وهو طريق الجبائي أنه تعالى إنما مهمل إبليس تلك المدة
الطويلة لأنه تعالى علم أنه لا يتفاوت أحوال الناس بسبب وسوسته فبتقدير أن لا يوجد
إبليس ولا وسوسته فإن ذلك الكافر والمعاصي كان يأتي بذلك الكفر والمعصية فلما كان
الامر كذلك لا جرم أمهله هذه المدة (الطريق الثاني) وهو طريق أبي هاشم أنه لا يبعد
أن يقال أنه تعالى علم أن أقواما يقعون بسبب وسوسته في الكفر والمعصية إلا أن
وسوسته ما كانت موجبة لذلك الكفر والمعصية بل الكافر والمعاصي بسبب اختياره
اختار ذلك الكفر وتلك المعصية أقصى ما في الباب أن يقال الاحتراز عن القبح حال
عدم الوسوسة أسهل منه حال وجودها إلا أن على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزيادة
المشقة في أداء الطاعات وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما أن إزالة المشاق وإزالة
المتشابهات صار سببا لمزيد الشبهات ومع ذلك فلم يمتنع فعله فكذلك ههنا وهذان
الطريقان هما بعينه الجواب عن السؤال الثاني (وأما السؤال الثالث) وهوان
اعلامه بأنه يموت على الكفر بحمله على الجرأة على المعاصي والاكثار منها فإجوابه أن هذا
إنما يلزم إذا كان علم إبليس بموته على الكفر بحمله على الزيادة في المعاصي أما إذا علم الله
تعالى من حاله أن ذلك لا يوجب التفاوت البتة فالسؤال زائل وهذا بعينه هو الجواب عن
السؤال الرابع (وأما السؤال الخامس) وهوان إبليس صرح بأن الله تعالى أغواه
وأضله عن الدين فقد أجابوا عنه بأنه ليس المراد ذلك بل فيه وجوه أخرى (أحدها) المراد
بما خبتني من رحمتك لا خبتهم بالدعاء إلى معصيتك (وثانيها) المراد كما أضللتني عن طريق
الجنة أضلهم أنا أيضا عنه بالدعاء إلى المعصية (وثالثها) أن يكون المراد بالأغواء الأول
الخبية وبالثاني الاضلال (ورابعها) أن المراد بأغواء الله تعالى إياه هو أنه أمره بالسجود

فالتصير يوم البعث لأن غرض اللعين به يفتق و يوم الدين لما ذكر من الجزاء و يوم الوقت المعلوم لما ذكر أولا استنثاره
تعالى بعلمه قلل كلاما من هلاك الخلق جميعا وبشهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله ويبعث في أواسطه
و يعاقب في شفته * نرى اثنين موتته و بعثه أربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفتين

ونزل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة أريد أمر المؤمنين عررضي الله عنه فإذا أنا بحلقه عظيمة وكب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يارب سئمت بي عدوي ابليس اذا رأي ميتا وهو منظر الى يوم القيامة فاجيب ان يادم انك سترد الى الجنة ويؤخر العين الى النظرة ليفوق ألم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال للملك ﴿ ٤٠٠ ﴾ الموت صف كيف تذيب الموت فلما وصفه قال

يارب حسبي فضحك الناس وقالوا يا أبا اسحق كيف ذلك فأبى فلما واصل يقول الله سبحانه للملك لموت عقيب النخعة الاولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الارضين السبع واني ألبستك اليوم أثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضى وطلوني على رجيمي ابليس فأذقه الموت واجل عليه فيه رارة الاولين والآخرين من الثقلين أضغاثا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا دامنوا اغيظوا وغضبوا ويكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتقم بسبعين ألف كلاب من كلاليتها وادما نكا ليقتح أبواب التيران فينزل ملك الموت بصورة وانظر اليها أهل السموات والارضين لما توا بقتة من هولها فبنتهى الى ابليس فيقول قفلى يا خبيت لا ذنبك الموت كم

لا دم فافضى ذلك الى غيه يعنى انه حصل ذلك الغي عقبيه باختيار ابليس فأما ان يقال ان ذلك الامر صار موجبا لذاته لحصول ذلك الغي فعلوم أنه ليس الامر كذلك هذا اجله كلام القوم في هذا الباب وكله ضعيف اما قوله انه لا يتفاوت الحال بسبب وسوسة ابليس فنقول هذا باطل ويدل عليه القرآن والبرهان أما القرآن فنقوله تعالى فازلهما الشيطان فاضاف تلك الزلة الى الشيطان وقال فلا يخرج جنكما من الجنة فتنشى فاضاف الاخراج اليه وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان وكل ذلك يدل على أن لعمل الشيطان في تلك الافعال أثر وأما البرهان فلان بداية العقول شاهدة بأنه ليس حال من ابتلى بمجالسة شخص يرغب أبنافى القبايح ويتفرغ عن الخبرات مثل شخص كان حاله بالضد منه والعلم بهذا التفاوت ضرورى وأما قوله ان وجوده يصير سببا لزيادة المشقة في الطاعة فنقول تأثير زيادة المشقة انما هو في كثرة الثواب على أحد التقديرين وفي الالتقاء في العذاب الشديد على التقدير الثاني وهو التقدير الاكثر الاغلب وكل من براعى المصالح فان رعاية هذا التقدير الثاني أول عنده من رعاية التقدير الاول لان دفع الضرر العظيم أول من السعى في طلب النفع الزائد الذى لا حاجة الى حصوله أصلا ولما تقدم هذان الجوابان عن هذا السؤال قويت سائر الوجوه المذكورة وأما قوله المراد من قوله رب بما أغويتني الخيبة عن الرحة أو الاضلال عن طريق الجنة فنقول كل هذا بعيد لانه هو الذى خيب نفسه عن الرحة وهو الذى أضل نفسه عن طريق الجنة لانهما أقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن الرحة وأضل نفسه عن طريق الجنة فكيف يحسن اضافته الى الله تعالى فثبت ان الاشكالات لازمة وان أجوبتهم ضعيفة والله أعلم * أما قوله الاعبادك منهم المخلصين فقيه مسائل (الاولى) اعلم ان ابليس استثنى المخلصين لانه علم أن كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه وذكرت في مجلس الذكيران الذى حل ابليس على ذكر هذا الاستثناء أن لا يصير كتابا في دعواه فلما احتز ابليس عن الكذب علمنا ان الكتب في غاية الحساسية (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابن طاهر وأبو عمرو المخلصين بكسر اللام في كل القرآن والباقيون يفتح اللام وجه القراءة الاولى انهم الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم عن كل شائب يتناقض الايمان والتوحيد من فتح اللام فعناه الذين أخلصهم الله بالهداية والايمان والتوفيق والعصمة وهذه القراءة تدل على ان الاخلاص والايمان ليس الامن الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاخلاص جعل الشيء خالصا عن شائبة الغير فنقول كل من أتى بعمل فاما أن يكون قد أتى به لله فقط أو اعتبر الله فقط أو لمجموع الامرين وعلى هذا التقدير الثالث فاما أن يكون طلب رضوان الله راجعا أو مرجوحا أو معاد لا والتقدير الرابع أن يأتي به لا لفرض أصلا وهذا محال لان الفعل يكون الداعية محال (أما الاول) فهو الاخلاص في حق الله تعالى لان الحامل له على

من عمر أدركت وقرون أضلكت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك ﴿ ذلك ﴾ الموت بين صينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص البهار فتنة منه البهار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا يحبس له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويمرغ في التراب من المشرق

الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نصبت له الزبابة الكلابيت وصارت الارض كالجرة احتوشته الزبابة وطغوه بالكلاليب وبقي في النزوع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لا دم وحواء طلعا اليوم الى عدوك كيف يدق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أنعمت علينا نعمتك (قال رب اغفر لي) الباء للقسم وما مصدرية ﴿ ٤٠١ ﴾ والجواب (لاز بين لهم) أي اقسم يا غوثك اياي لاز بين لهم

المعاصي (في الارض) أي في الدنيا التي هي دار القرور
 وبقوله تعالى اخلد الى الارض
 واقسامه بعزة الله المفسرة
 بسلطانه وقهره لابنائ في اقسام
 بهذا فانه فرع من فروعها
 وأثر من آثارها فلهذا اقسام
 بها جميعا فحكى تارة قسمه
 بهذا وأخرى بذلك والسببية
 وقوله لاز بين جواب قسم
 مخدوف والمعنى بسبب تسبيلك
 لاغوائى اقسام لا فطن بهم مثل
 ما فعلت بي من التسبيل
 لاغوائهم بتزيين المعاصي
 وتسويل الاباطيل والمعتزلة
 أولوا الاغواء بالنسبة الى
 النفي أو التسبيل بأمره اياه
 بالسجود لا دم عليه الصلاة
 والسلام واعتذر وامن امهال
 الله تعالى وتسليطه له على
 اغوائ بني آدم بأنه تعالى قد علم
 منه ومن تبعه أنهم يموتون على
 الكفر ويصيرون الى النار
 أمهل أمهل يمهل وأن في امهاله
 تعريضاً لما خلقه لاستحقاق
 مزيد الثواب (ولاغوينهم
 اجعين) لا حلتهم على الغواية
 (الاعبادك منهم المخلصين)
 الذي أخلصتهم لطاعتك

ذلك الفعل طلب رضوان الله وما جعل هذه الداعية مشوية بداعية أخرى بل بقيت
 خالصة عن شوائب الغير فهذا هو الاخلاص (وأما الثاني) وهو الاخلاص في حق غير الله
 فظاهر أن هذا لا يكون اخلاصاً في حق الله تعالى (وأما الثالث) هو أن يشتغل على
 الجهتين الآن جانب الله يكون راجحاً فهذا يرجح أن يكون من المخلصين لأن المثل يقابله
 المثل فيبقى القدر الزائد خالصاً عن الشوب (وأما الرابع والخامس) فظاهر أنه ليس من
 المخلصين في حق الله تعالى والحاصل ان القسم الاول اخلاص في حق الله تعالى قطعاً
 والقسم الثاني يرجح من فضل الله أن يجعله من قسم الاخلاص وأما سائر الاقسام فهو
 خارج عن الاخلاص قطعاً والله أعلم * اما قوله تعالى قال هذا صراط على مستقيم ففيه
 وجوه (الاول) ان ابليس لما قال الاعبادك منهم المخلصين فلفظ المخلص يدل على
 الاخلاص فقوله هذا عائد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق على والى أي
 أنه يؤدي الى كرامتي وثوابي وقال الحسن معناه هذا صراط الى مستقيم وقال آخرون
 هذا صراط من مر عليه فكانه مر على وعلى رضوانى وكرامتي وهو كما يقال طريقك على
 (الثاني) ان الاخلاص طريق العبودية فقوله هذا صراط على مستقيم أي هذا الطريق
 في العبودية طريق على مستقيم (الثالث) قال بعضهم لما ذكر ابليس أنه يغوى بني آدم
 الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تغويص الامور الى الله تعالى والى ارادته
 فقال تعالى هذا صراط على أي تغويص الامور الى ارادتي ومشيئتي طريق على مستقيم
 (الرابع) معناه هذا صراط على تفريره وتأكيده وهو مستقيم حق وصدق وقراء بعقوب
 صراط على بالرفع والتووين على أنه صفة لقوله صراطى هو على بمعنى أنه رفيع مستقيم
 لا عوج فيه قال الواحدي معناه أن طريق التوفيق الى الله تعالى والايمان بقضاء الله
 طريق رفيع مستقيم * قوله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
 الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعه أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) اعلم ان
 ابليس لما قال لاز بين لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين أو هم
 هذا الكلام انه له سلطان على عباد الله الذين يكونون من المخلصين فين تعالى في هذه الآية
 أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين بل من
 اتبع منهم ابليس باختياره صار متبعاً له ولكن حصول تلك المتابعة أيضاً ليس لاجل ان
 ابليس يقهره على تلك المتابعة أو يجبره عليها والحاصل في هذا القول ان ابليس أو هم
 أن له على بعض عباد الله سلطاناً فين تعالى كذبه فيه وذكر انه ليس له على أحد منهم
 سلطان ولا قدرة أصلاً ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن ابليس أنه قال وما كان لى
 عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقال تعالى في آية أخرى انه ليس له سلطان
 على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطاننا على الذين تولونه والذين هم به مشركون
 قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن الشيطان والجن يمكنهم صرع

وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم ﴿ ٥١ ﴾ خا كيدى وقرى بكسر اللام أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى
 (قال هذا صراط) أي حق (على) أن أراعيه (مستقيم) لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
 المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى أنه طريق يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والظاهر أن ذلك
 لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لا فطن لهم صراطك

المستقيم ثم لا تذهبهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرى على من علوا الشرف (ان عبادي) وهم المثار اليهم المخلصين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وتصرف بالاغواء (الامن اتبعك من الغاوين) وفيه مع كونه تحقفا لما قاله الله تعالى تعظيم لشأن المخلصين وبيان لنزولهم ولا تقاطع مخالف الاغواء عنهم وأن اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وان جهنم لم وعدهم) أي موعد المتبعين والغاوين ﴿ ٤٠٢ ﴾ والاول انساب وأدخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة

الناس وازالة عقولهم كما يقول العامة ووربما نسبوا ذلك الى السحرة قال وذلك خلاف مانص الله تعالى عليه وفي الآية قول آخر وهو أن ابليس لما قال الاعبادك منهم المخلصين فذكر أنه لا يقدر على اغواء المخلصين صدقه الله في هذا الاستثناء فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين فلهمذا قال الكلبي العباد المذكورون في هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس واعلم أن على القول الاول يمكن أن يكون قوله الامن اتبعك استثناء لان المعنى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين فان لك عليهم سلطانا بسبب كونهم منافقين لك في الامر والنهي وأما على القول الثاني فيمتنع أن يكون استثناء بل تكون لفظة الابعني لكن وقوله ان جهنم لم وعدهم أجعين قال ابن عباس يريد ابليس وأشياعه ومن اتبعه من الغاوين ﴿ ثم قال تعالى لهاسبعة أبواب وفيه قولان (الاول) انها سبع طبقات بعضها فوق البعض وتسمى تلك الطبقات بالدركات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (والقول الثاني) ان قرار جهنم مقسوم سبعة أقسام وكل قسم باب معين وعن ابن جريج أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية قال الضحاك الطبقة الاولى فيها أهل التوحيد بعد بؤس عمل قدر أعمالهم ثم يخرجون (والثانية) لليهود (والثالثة) للنصارى (والرابعة) للصائبين (والخامسة) للنجس (والسادسة) للمشركين (والسابعة) للمنافقين وقوله لكل باب منهم جزء مقسوم فيه مستثنان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم في رواية أبي بكر جزء مقسوم والباقيون جزء يخفف الزاى وقرأ الزهري جزء بالتشديد كأنه حذف الهمة وألقى حركاتها على الزاى كقولك خب في خب ثم وقف عليه بالتشديد (المسئلة الثانية) الجزء بعض الشيء والجمع الاجزاء وجزأته جعلته أجزاء والمعنى انه تعالى يجزئ اتباع ابليس اجزاء بمعنى انه يجعلهم اقساماً وقرأ ويدخل في كل قسم من أقسام جهنم طائفة من هؤلاء الطوائف والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت مراتب العذاب والعقاب مختلفة بالغلظ والخفة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) اعلم انه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب اتبعه بصفة أهل الثواب وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله ان المتقين قولان (الاول) قال الجبائي وجهود المعتزلة القائلون بالوحد المراد بالمتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي قالوا لانه اسم مدح فلا يتناول الامن يكون كذلك (والقول الثاني) وهو قول جمهور الصحابة والتابعين وهو المنقول عن ابن عباس ان المراد الذين اتقوا الشرك بالله تعالى والكفر به وأقول هذا القول هو الحق الصحيح والذي يدل عليه هو ان المتقي هو الآتي بالتقوى مرة واحدة كما ان الضارب هو الآتي بالضرب مرة واحدة والقاتل هو الآتي بالقتل مرة واحدة فكما أنه ليس من شرط صدق

على أن جهنم مكان الموعد وأن الموعود بما لا يوصف في اللفظة (أجعين) تأكيد للضمير أوحال والعامل فيها الموعد ان جعل مصدر على قدر المضاف أو معنى الاضافة ان جعل اسم مكان (لهاسبعة أبواب) يدلخلونها كثرتهم وسبع طبقات يترأونها بحسب مراتبهم في الغواية والتابعة هي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من اتباع أو الغواية (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حسبما تقتضيه استعداده فأعلاها لموحدين والثانية لليهود الثالثة للنصارى والرابعة صائبين والخامسة للنجس السادسة للمشركين السابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن جهنم لمن ادعى الربوبية لظى لعبد النار والحطمة بدء الاصنام وسقر لليهود السعير للنصارى والجحيم للصائبين والهاوية للموحدين مثل حصرها في السبع لمحصار المهلكات في

مئوسات الخواص الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والنفسية وقرى بعض الزاى ويحذف الهمة والقاء ﴿ الوصف ﴾ ركنها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء أو من غيره في الظرف لاني مقسوم لان الصفة تعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهم مكفر (في جنات وعيون) أي مسترون فيها الذين لكل واحد منهم جنه وعين أول لكل منهم عدة منها قوله تعالى ولن

خاف مقامه به جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم (ادخلوها) على ارادة القول أمرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها أمر الله تعالى لللائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيًا للفعول على صيغة الماضي من الادخال (بسلام) متبسين بسلام اي سالمين أو مسلما عليكم (آمين) من الآفات والازوال (وزعنا ما في صدورهم من غل) اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ٤٠٣ ﴿﴾ أرجو أن أكون أنا وعثمان وطحمة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (اخوانا)

حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل ادخلوها أو من الضمير في آمين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيه معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين) ويجوز كونهما صفتين لـ اخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم (لا يسهم فيها نصب) اي تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجب من الكد في تحصيل ما يلبسهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاوله عمل أصلا أو بأن لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف أحوال بعد حال أحوال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بخرجين) أبد الابد لان تمام النعمة بالخلود (نبي عبادي) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين (أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) فذلك

الوصف بكونه صار با وقائلا كونه آتيا بجميع أنواع الضرب والقتل وكذلك ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقيا كونه آتيا بجميع أنواع التقوى والذي يقوى هذا الكلام ان الآتي بفرد واحد من افراد التقوى يكون آتيا بالتقوى لان كل فرد من أفراد الماهية فانه يجب كونه مشتملا على تلك الماهية فالآتي بالتقوى يجب ان يكون متقيا فثبت ان الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يصدق عليه كونه متقيا ولهذا التحقيق اتفق المفسرون على ان ظاهر الامر لا يفيد التكرار اذا ثبت هذا فنقول ظاهر قوله ان المتقين في جنات وعيون يقتضى حصول الجنات والعيون لكل من اتقى عن شيء واحدا لان الامة مجمعة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول هذا الحكم وأيضا فان هذه الآية وردت عقب قول ابليس الاعبادك منهم المخلصين وعقب قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلاجل هذه الدلائل اعتبرنا الايمان في هذا الحكم فوجب أن لا يزيد فيه قيد آخر لان تخصيص العام لما كان بخلاف الظاهر فكلما كان التخصيص أقل كان أوفق لمقتضى الاصل والظاهر ثبت ان قوله ان المتقين في جنات وعيون يناول جميع القائلين بلاه الله محمد رسول الله قولا واعقادا سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية وهذا تقرير بين وكلام ظاهر (المسئلة الثانية) قوله تعالى في جنات وعيون أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولمن خاف مقامه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فيكون المجموع أربعة وقوله ولمن خاف مقامه به جنتان يؤكد ما قلناه لان من آمن بالله لا ينفك قلبه عن الخوف من الله تعالى وقوله ولمن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة وأما العيون فيحتمل أن يكون المراد منها ما ذكر الله تعالى في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون بنابيع مغيرة لتلك الانهار فان قيل أنقولون ان كل واحد من المتقين يخص بعين أو تجرى تلك العيون من بعض الى بعض فيلزم لا يتمتع كل واحد من الوجهين فيحوز أن يخص كل أحد بعين ويتنفع به كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون فلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل أن يكون يجري من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الخلد والحسد وقوله ادخلوها بسلام آمين يحتمل أن القائل لقوله ادخلوها هو الله تعالى وان يكون ذلك القائل بعض ملائكته وفيه سؤال لانه تعالى حكم قبل هذه الآية بانها في جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن أن يقال لهم ادخلوها والجواب عنه من وجهين (الاول) لعل المراد به قيل لهم قبل دخولهم فيها ادخلوها بسلام (الثاني) لعل المراد لما ملكوا جنات كثيرة فكلما أرادوا أن ينقلوا من جنة الى أخرى قيل لهم ادخلوها وقوله ادخلوها بسلام آمين المراد ادخلوها الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال ومع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها

لما سلف من الوعد والوعد وقرئ به وفي ذكر المغفرة شعار بأن ليس المراد بالمتقين من ينقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايدان بأنهما بما يقتضيهما الذات وأن العذاب انما يتحقق بما يوجب من خارج (وبئثم) عطف على نبي عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من الشمرى في تضاعف الخوف و محال قوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله

التابعين له في ضمن الخوف وتذبيهم بمحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم (عن ضيف ابراهيم)
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم جبريل عليه الصلاة والسلام وملك كان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل
جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا أحد عشر على صور الغلمان
الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا وانما لم يتعرض في ٤٠٤ لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا امر سلين

الى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بل الى قوم لوط
حسبا بائي ذكره (اذ دخلوا
عليه) نصب بفعل مضمر
معطوف على نبي اى واذا ذكر
وقت دخولهم عليه أو خبر
مقدر مضاف الى ضيف اى
خبر ضيف ابراهيم حين
دخولهم عليه أو بنفس ضيف
على أنه مصدر في الاصل
(فقالوا) عند ذلك (سلاما)
اى نسلم سلاما وسلمنا وسلمت
سلاما (قال انامكم وجلون)
اى خائفون فان الوجـل
اضطراب النفس استوقع
مكروه قاله عليه الصلاة
والسلام حين امتنعوا من
أكل ما قرب اليهم من الجبل
الحديد لما ان المعتاد عندهم
أنه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل
من طعامهم ظنوا أنه لم يجي
بغير لا عند ابتداء دخولهم
لقوله تعالى فلما رأى أيديهم
لا تنصل له نكرهم وأوجس
منهم خيفة فلا مجال ليكون
خوفه عليه الصلاة والسلام
بسبب دخولهم بغير اذن
ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك
لاجابوا حينئذ بما اجابوا به
ولم يتصد عليه الصلاة

ثم قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل والغل الحقد الكامن في القلب وهو ما أخذ
من قلوبهم أغل في جوفه وتغل أى ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزاع الله ذلك من
قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أنه قال أرجوان أكون اننا وعثمان وطلحة
وازير منهم وحكي عن الحرب بن الاعور انه كان جالسا عند علي رضي الله عنه اذ دخل
زكريا بن طلحة فقال له على مرحبا بك يا ابن أخي أما والله اني لارجو أن أكون أنا
وأبوك بمن قال الله تعالى في حقهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال الحرب كلاب الله
أعدل من ان يجعلك وطلحة في مكان واحد قال رضي الله عنه فلن هذه الآية لأم لك
يا أعور وروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقص لبعضهم من بعض ثم يؤمر بهم
الى الجنة وقد نفي الله قلوبهم من الغل والنفس والحسد والقول اخوانا نصب على
الحال وليس المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالصة كما قال
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقوله على سرر متقابلين السرير معروف
والجمع اسرة وسرر قال أبو عبيدة يقال سرر وسرر بفتح الراء وكذا قيل فعل من المضاعف
فان جمعه فعل وفعل نحو سرر وسرر وجدد وجدد وقال المفضل بعض غيم وكلب يقتمون
لانهم يستغلون ضمنين متواليين في حرفين من جنس واحد وقال بعض أهل المعاني
السرير مجلس رفيع مهيا للسرور وهو مأخوذ منه لانه يجلس سروره قال البث وسرير
العيش مستقره الذي اطمأن اليه في حال سروره وفرحه قال ابن عباس ير يدعى سررم
ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاه الى الجانية وقوله
متقابلين المتقابل التواجه وهو تقيض التدابير ولا شك ان المواجهة أشرف الاحوال
وقوله لا يسهم فيها نصب النصب الابهاء والتعب أى لا ينالهم فيها تعب وما هم منها
بمخرجين والمراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكالا بلا نقصان وفوزا بلا حرمان
واعلم ان الثواب أربع شرائط وهى أن تكون منافق مقرونة بالتعظيم خالصة عن الشوائب
دائمة (أما القيد الأول) وهو كونها منقعة فاليه الإشارة بقوله ان المتقين في جنات وعيون
(وأما القيد الثاني) وهو كونها مقرونة بالتعظيم فاليه الإشارة بقوله ادخلوها بسلام آمنين
لان الله سبحانه اذا قال لعبيده هذا الكلام أشعر ذلك بنهاية التعظيم وغاية الاجلال (وأما
القيد الثالث) وهو كون تلك المنافع خالصة عن شوائب الضرر فاعلم ان المضار امانان
تكون روحانية واما ان تكون جسمانية أما المضار الروحانية فهي الحقد والحسد والغل
والغضب وأما المضار الجسمانية فكالا لاهاء والتعب وقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا على سرر متقابلين إشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يسهم فيها نصب إشارة الى
نفي المضار الجسمانية (وأما القيد الرابع) وهو كون تلك المنافع دائمة آمن من الزوال فاليه
الإشارة بقوله وما هم منها بمخرجين فهذا ترتيب حسن معقول بناء على القيود الاربع
المعتبرة في ماهية الثواب ولحكماء الاسلام في هذه الآية مقال فانهم قالوا المراد من قوله

والسلام لغريبا طعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى أنه لم يذكر ﴿ ونزعنا ﴾
ههنا رده عليه الصلاة والسلام سلامهم (قالوا اتوجل) لا تخف وقرى لا تاجل ولا توجل من أوجهه أى أخافه ولا توجل
من واجله بمعنى أوجهه (اننا بشرك) استئناف لتعليل النهي عن الوجل فاننا البشر به لا يكد يحوم حول ساحته خوف
ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في قافية وسلامة زمانا طويلا (بقلام) هو اسحق عليه

الصلاة والسلام قوله تعالى فبشرناها بما سبق ولم يتعرض ههنا للبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود (عليه) اذ ابلغ وفي موضع آخر بسلام حليم (قال ابشر متونى) بذلك (على أن مسنى الكبير) وأثر في تعجب عليه الصلاة والسلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة الولادة وزاد في ذلك فقال (فبم تبشرون) أى بأى أعجوبة تبشروننى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة ﴿٤٠٥﴾ بغير شئ أو بأى طريقة تبشروننى وقرئ بشديد التون المكسورة على ادغام

نون الجمع في نون الوقاية (قالوا بشرناك بالحق) أى بما يكون لا محالة أو باليقين الذى لا ليس فيه أو بطريقة هي حق وهو أمر الله تعالى وقوله (فلا تكن من القاطنين) من الآيسين من ذلك فان الله قادر على أن يخلق بشرا بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجز عاقر وقرئ من القاطنين وكان مقصده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادى المبني على سنة الله تعالى السلوكه فيما بين عباده لاستيعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبغي عنه قول الملائكة فلا تكن من القاطنين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه (قال ومن يقط) استفهام انكارى أى لا يقط (من رحمة ربه الا الضالون) المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحته وبكال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يباس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على أبلغ وجه اى

ونزعا ما في صدورهم من غل اشارة الى ان الارواح القدسية النطقية نقية مطهرة عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرأة عن حوادث الوهم والخيال وقوله اخوانا على سرر متقابلين معناه ان تلك النفوس لما صارت صافية عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاهوام ووقم عليها أنوار عالم الكبرياء والجلال فأشرقت بتلك الانوار الالهية وتلاأت بتلك الانضاء الصمدية فكل نور فاض على واحد منها انعكس منه على الآخر مثل المرايا المتعابلة المتحاذية فلكنونها بهذه الصفة وقع التعبير عنها بقوله اخوانا على سرر متقابلين والله أعلم * قوله تعالى (بئى عبادى ائى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) في الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) اثبتت الهمة الساكنة في نبي سورة وما أثبتت في قوله دف وجزء لان ما قبلها ساكن فهى تحذف كثيرا وتلقى حركتها على الساكن قبلها فنبي في الخط على تحقيق الهمة وليس قبل همة نبي ساكن فاجروها على قياس الاصل (المسئلة الثانية) اعلم ان عباد الله قسمان منهم من يكون متعبا ومنهم من لا يكون كذلك فلما ذكر الله تعالى أحوال المتقين في الآية المتقدمة ذكر أحوال غير المتقين في هذه الآية فقال بئى عبادى واعلم أنه ثبت في أصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم فههنا وصفهم بكونهم عبادا لهم ثم أثبت عقيب ذكر هذا الوصف الحكم بكونه غفورا رحيا فهذا يدل على ان كل من اعترف بالعبودية ظهر في حقه كون الله غفورا رحيا ومن أنكر ذلك كان مستوجبا للعقاب الاليم * وفي الآية لطائف (احداها) أنه أضاف العباد الى نفسه بقوله عبادى وهذا تشريف عظيم ألا ترى أنه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحانه الذى أسرى بعبد (وثانيها) أنه لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاثة * أولها قوله بئى * وثانيها قوله أنا * وثالثها ادخال حرف الالف واللام على قوله الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل ائى أنا المعبذ وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابى هو العذاب الاليم (وثالثها) أنه أمر رسوله ان يبلغ اليهم هذا المعنى فكان أنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة (ورابعها) أنه لما قال بئى عبادى كان معناه بئى كل من كان معترفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن قتاده قال بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو علم العبد قدر عفو الله تعالى ما تورع من حرام ولو علم قدر عقابه لجنع نفسه أى قتلها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون والنار بين أيديكم فنزل قوله بئى عبادى ائى أنا الغفور الرحيم والله أعلم * قوله تعالى (وبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بكلاما عظيم قال ابشر عوفى على أن مسنى الكبير فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن

ليس بى قنوط من رحته تعالى وانما الذى أقول لبيان منافاة حال لفيضان تلك النعمة الجليلة على وفي التعرض لوصف لربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسر هاء من قنوط بالفتح ولم تكن هذه المتناقضة من الملائكة مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة أيضا حسبا شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك لأنه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر ههنا (قال) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسطه بين قوله السابق وبين قوله

(فأخطبكم) أي أمركم وشأنكم الخطير الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة. (يها) (مرسلون) صريح في أن بينهما مقالة مطوية لهم أشير به إلى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذي كرمت على الآية فإن قوله الأخير ليس موصولاً بقوله الأول بل هو مبني على قوله تعالى فأخرج منها فاك رجلاً فان توسطاً لبيان قوله لا يذنبان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم إنبائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام ﴿ ٤٠٦ ﴾ بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجرداً عن ذلك مع تصديره

بالحق دليل على أن مقالته المطوية كانت متضمنة إيمان أن مجيئهم ليس مجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله أرسلوا فكانه قال عليه الصلاة والسلام ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فإذا هو فلا حاجة إلى الالتجاء إلى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذوي عدد والشارة لا تحتاج إلى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في ذكرها عليه الصلاة والسلام ومرمى ولا إلى أنهم بشروه في تضاعف الحال لازالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا بدوا بها فتأمل (قالوا) أنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وحيث بهم بطريق التذكير ذمهم واستهانة بهم (الآل لوط) استثناء متصل من الضمير في مجرمين أي إلى قوم أجزموا جميعاً والآل لوط فالتقوم والارسل شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى أنا أرسلنا إلى قوم أجزم كلهم الآل لوط لتلك الأولين ونهى الآخرين

من القاطنين قال ومن ينفذ من رحمة ربه (الاضالون) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير أمر النبوة ثم أورد فيه دلائل التوحيد ثم ذكر قصته أحوال القيامة وصفة الأشقياء والسعداء أتبعه بذكر قصص الانبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغياً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الانبياء ومحذراً من المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء فبدأ أولاً بقصة إبراهيم عليه السلام والضمير في قوله ونبتهم راجع إلى قوله عبادي والتقدير ونبي عبادي عن ضيف إبراهيم يقال أنباء القوم أنباء ونبتهم تنبئة إذا أخبرتهم وذكر تعالى في الآية أن ضيف إبراهيم عليه السلام بشروه بالولد بعد الكبر وبأنجاه المؤمنين من قوم لوط من العذاب وأخبروا أيضاً بأنه تعالى سيعذب الكفار من قوم لوط بعذاب الاستئصال وكل ذلك يقوى ما ذكره من أنه غفور رحيم للمؤمنين وإن عذابه عذاب أليم في حق الكفار (المسئلة الثانية) الضيف في الأصل مصدر ضاف بضيف إذا أتى إنساناً لطلب القرى ثم سمي به ولذلك وحذف اللفظ وهم جماعة فان قيل كيف سماهم ضيفاً مع امتناعهم عن الأكل قلنا لما ظن إبراهيم أنهم انما دخلوا عليه لطلب الضيافة جاز تسميتهم بذلك وقيل أيضاً أن من يدخل دار الإنسان ويأكل من البيت يسمى ضيفاً وإن لم يأكل وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً أي نسلم عليك سلاماً أو سلمت سلاماً فقال إبراهيم انامنكم وجلون أي خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لانهم دخلوا عليه بغير إذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من أوجله بوجهه إذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا توجل من واجله بمعنى أوجله وهذه القصة قد مر ذكرها بالاستقصاء في سورة هود وقوله قالوا لا توجل انما نبشرك بغلام عليكم فيه (المسئلة الأولى) قرأ حجة انما نبشرك بفتح النون وتخفيف الباء والباقيون نبشركم بالتشديد (المسئلة الثانية) قوله انما نبشرك استئناف في معنى التعليل لأنه عن الوجع والمعنى أنك بمشابهة الآمن المبشر فلا توجل (المسئلة الثالثة) قوله انما نبشرك بغلام عليكم بشروه بأمرين (أحدهما) ان الولد ذكر ولا آخر أنه بصبر عليهما واختلفوا في تفسير العليم فقيل بشروه بنبوته بعده وقيل بشروه بأنه عليهم بالدين ثم حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال أبشركموني على أن مسني الكبر فم تبشرون فحكي على ههنا الحال أي حالة الكبر وقوله فم تبشرون فيه مستثنان (المسئلة الأولى) لفظة ما ههنا استفهام بمعنى التعجب كأنه قال بأي أعجوبة تبشرون فان قيل في الآية اشكالان (الأول) أنه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وانكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر (الثاني) كيف قال فم تبشرون مع أنهم قد بينوا ما بشروه به وما عائد هذا الاستفهام قال القاضي أحسن ما قيل في الجواب عن ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شاماً ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وانما يحصل في حال الشباب فان

ويدل عليه قوله تعالى (انما التجوهم) أي لوطاً وآله (أجمعين) أي بما يصيب القوم فانه استئناف للخبر نجاتهم لعدم اجرامهم أوليان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بيناً وتعليله ﴿ قيل ﴾ فان من تعلق بهم النجاة بنجى من شمول العذاب أو منقطع من قوم وقوله تعالى انما التجوهم متصل باله لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا قوله تعالى (الا امرأته) استثناء من آل لوط أو من

ضخيمهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل التمجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف (فترنا
انهلنا الفارين) الباقين مع الكفرة لهلاك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما خلق فعل التقدير مع اختصاص ذلك
بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حله على معنى قلنا لانه يعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره
واساندهم له الى أنفسهم وهو فضل الله سبحانه لهم ﴿٤٠٧﴾ من الزلزال والاختصاص (فلما جاء آل لوط المرسلون)

شروع في بيان كيفية اهلاك
المجرمين وتجيبة آل لوط حسبما
أجل في الاستثناء ثم فصل
في التعليل نوع تفصيل ووضع
المظهر موضع الضمير للايدان
بأن يجيئهم لتحقيق ما رسلوا به
من الاهلاك والتجيبة وليس
المراد به ابتداء تجيئهم بل مطلق
كينوتهم عند آل لوط فان ما حكى
عنه عليه الصلاة والسلام بقوله
تعالى (قال انكم قوم منكرون)
انما قاله عليه الصلاة والسلام
بعد التلويح والتي حين ضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل
لما يشاهد من المرسلين عند
مقاساته الشدائد ومعاناته المكابد
من قومه الذين يريدون به
هم ما يريدون ماهو المعهود
والمعتاد من الاعانة والامداد
فيما يأتي ويذر عند تحججه
في تخليصهم انكار اخذ لانهم له
ترك نصرته في مثل تلك المضايقة
المعتربة له بسببهم حيث يكونوا
مباشرين معه لاسباب المدافعة
والممانعة حتى ألقاه الى أن قال
لوان لي بكم قوة أو آوى الى ركن
شديد حسبما فصل في سورة
هود لأنه قاله عند ابتداء
ورودهم له خوفا أن يطر قوه
بشر كما قبل كيف لا وهم بمجواهم
الحكي بقوله تعالى (قالوا بل جئناك

قيل فاذا كان معنى الكلام ما ذكرتم فلم قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قلنا
انهم يتنواون الله تعالى بشره بالولد مع بقاءه على صفة الشجوخة وقولهم فلا تكن من
القانطين لا يدل على أنه كان كذلك بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك
فقال ومن ينقطع من رحمة ربه الا الضالون وفيه جواب آخر وهو أن الانسان اذا كان
عظيم الرغبة في شيء وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول ذلك المراد فيه فاذا بشر
بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره ويصير ذلك الفرح القوى كإدهش له والمزيل
لقوة فهمه وذلك أنه يتكلم بكلمات مضطربة من ذلك الفرح في ذلك الوقت وقيل
أيضا انه يستطير تلك البشارة فر بما يعيد السؤال لسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرة
وأكثر طلبا للانداز بسماع تلك البشارة وطلباً لزيادة الطمأنينة والوثوق مثل قوله ولكن
ليطمئن قلبي وقيل أيضا استفهم بأمر الله تبشرون أم من عند أنفسكم واجتهادكم
(المسئلة الثانية) قرأناهم تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن وقرأ ابن كثير
بكسر النون وتشديدها والباقيون بفتح النون خفيفة اما الكسر والتشديد فقد يره
تبشرون أي أدغمت نون الجمع في نون الاضافة وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون
الجمع استغفالا لاجتماع المثلين وطلباً للتخفيف قال أبو حاتم حذف نافع الياء مع النون قال
واسقاط الحرفين لا يجوز وأوجب عنه بأنه أسقط حرفاً واحداً وهي النون التي هي علامة
للفرق وعلى أن حذف الحرفين جائز قال تعالى في موضع ولاتكن في موضع ولا تكن فاما فتح
النون فعلى غير الاضافة والنون علامة الرفع وهي مفتوحة أبداً وقوله بشرناك بالحق
قال ابن عباس يريد بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب
ابراهيم اسحق عليه السلام ويخرج من صلب اسحق مثل ما أخرج من صلب آدم فانه
تعالى بشرنا به يخرج من صلب اسحق أكثر الانبياء فتقوله بالحق إشارة الى هذا المعنى
وقوله فلا تكن من القانطين نهى لاراهيم عليه السلام عن القنوط وقد ذكرنا كثيراً ان
نهى الانسان عن الشيء لا يدل على كون النهي فاعلا للنهي عنه كما في قوله ولا تطمع
الكافرين والمنافقين ثم حكى تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه قال ومن ينقطع من رحمة
ربه الا الضالون وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذا الكلام حق لان القنوط من رحمة
الله تعالى لا يحصل الا عند الجهل بامور (أحدها) أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه
(وثانيها) أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد اليه (وثالثها) أن يجهل كونه
تعالى منزهاً عن الجهل والحاجة فكل هذه الامور سبب للضلال فلهذا المعنى
قال ومن ينقطع من رحمة ربه الا الضالون (المسئلة الثانية) قرأ أبو عمرو والكسائي ينقطع
بكسر النون ولا تنقطوا كذلك والباقيون بفتح النون وهما لغتان قنط ينقطع نحو ضرب
يضرب وقنط ينقطع نحو علم يعلم وحكى أبو عبيدة قنط ينقطع بضم النون قال أبو علي
الفارسي قنط ينقطع بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات يدل

بما كانوا فيه يمترون) أي بالعذاب الذي كنت تنوعدهم به فيمترون فيه ويكدبونك فدقشروا العصا ويتواله عليه الصلاة
والسلام جليلة الامر فأي يمكن أن يعتريه بعد ذلك المساء وضيق الذرع وليست كلمة بل اضربا عن موجب الخوف المذكور
على معنى حاجتنا لك بما تنكره لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضربا عما فهمه عليه الصلاة والسلام من ترك

التصرة والمعنى ماخذناك وماخلينا بينك وبينهم بل جثناك بمايدمرهم من العذاب الذي كانوا يكدونوك حين كنت تنوعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ماجرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارة الى ذكر بشارة لوط عليه الصلاة والسلام باهلاك قومه وتجيئة آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مبادئها اشير الى ذلك ﴿ ٤٠٨ ﴾ اجلا لثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال

بتغير الترتيب الوقوعي ثقة بمرآته في مواقع أخرى ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه الصلاة والسلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تقويض أمره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاؤ به وفوضوا أمره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به (وأيتناك بالحق) أي باليقين الذي لا مجال فيه للاعتراء والشك وهو عذابهم عبرته بذلك تنصيصا على نفى الامتزاء عنه أو المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى (وانا الصادقون) تأكيده أي أيتناك فيما قلنا بالخبر الحق أي المطابق للواقع وانا الصادقون في ذلك الخبر أو في كل كلام فيكون كالديل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيدهما كيد وبقوله تعالى (فأسر بأهلك) شروع في ترتيب مبادئ النجاة أي اذهب بهم في الليل وقرى بالوصل وكلاهما من السري وهو السري في الليل وقرى فسر من السير (يقطع من الليل) بطلقة منه أو من آخره قال * افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم * وقيل

على ذلك اجتماعهم في قوله من بعد ما قنطوا وحكاية أبي عبيدة تدل أيضا على أن قنط يفتح النون أكثر لأن المضارع من فعل يجي على فعل وي فعل مثل فسق يفسق ولا يجي مضارع فعل على فعل والله أعلم * قوله تعالى (قال فاخطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين الآل لوط انا لنجوه أجمعين الأمر أنه قدرنا انه لن الغارين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله فاخطبكم سؤال عما لاجله أرسلهم الله تعالى واخطب والشان والأمر سواء الا أن لفظ الخطب أدل على عظم الحال فان قيل ان الملائكة لما بشروهم بالولد الذكر العظيم فكيف قال لهم بعد ذلك فاخطبكم أيها المرسلون قلنا فيه وجوه (الاول) قال الاصم معناه ما الأمر الذي توجهتم له سوى البشرى (الثاني) قال القاضي انه علم أنه لو كان كمال المقصود إيصال البشارة لكان الواحد من الملائكة كافيا فلما رأى جمعا من الملائكة علم أن لهم غرضا آخر سوى إيصال البشارة فلا جرم قال فاخطبكم أيها المرسلون (الثالث) يمكن أن يقال انهم انما قالوا انا نبشركم بغلام عليم في معرض ازالة الخوف والوجل ألا ترى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما خاف قالوا له لا توجل انا نبشركم بغلام عليم ولو كان تمام المقصود من المجيء فهو ذكر تلك البشارة لكانوا في أول ما دخلوا عليه ذكروا تلك البشارة فلما لم يكن الأمر كذلك علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الطريق انه ما كان يجيئهم لتجريد هذه البشارة بل كان لغرض آخر فلا جرم سأله عن ذلك الغرض فقال فاخطبكم أيها المرسلون ثم حكى تعالى عن الملائكة انهم قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين وانما اقتصرنا على هذا القدر لعلم ابراهيم عليه السلام بان الملائكة اذا أرسلوا إلى المجرمين كان ذلك لاهلاكهم واستئصالهم وأيضاف قولهم الآل لوط انا لنجوه أجمعين يدل على أن المراد بذلك ارسال اهلاك القوم أما قوله تعالى الآل لوط فالمراد من آل لوط أتباعه الذين كانوا على دينه فان قيل قوله الآل لوط هل هو استثناء منقطع أو متصل قلنا قال صاحب الكشاف ان كان هذا الاستثناء استثناء من قوم كان منقطعاً لأن القوم موصوفون بكونهم مجرمين وآل لوط ما كانوا مجرمين فاختلف الجنس ان فوجب أن يكون الاستثناء منقطعاً وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلاً كأنه قيل إلى قوم قد أجمعوا كلهم الآل لوط وحدهم كما قال فاوجدنا فيهما غير بيت من المسلمين ثم قال صاحب الكشاف ويختلف المعنى بحسب اختلاف هذين الوجهين وذلك لأن آل لوط يخرجون في المنقطع من حكم ارسال لان على هذا التقدير الملائكة أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة وما أرسلوا إلى آل لوط أصلاً وأما في المتصل فالملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هو لاؤهم وبخوابهم ولاؤهم وأما قوله انا لنجوه أجمعين فاعلم انه قرأ حزة والكسائي منجوههم خفيفة والباقون مشددة وهما لغتان أما قوله تعالى الأمر أنه قال صاحب الكشاف هذا استثناء من الضمير المحرور في قوله لنجوههم وليس ذلك من باب الاستثناء من الاستثناء لأن

هو بعد ما مضى منه شيء صالح (واتبع أديارهم) وكن على أثرهم تنودهم وتسرع بهم وتطلع ﴿ الاستثناء ﴾ على أحوالهم ولعل إيتار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذا السوق ر بما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والاتفات المنهى عنه بقوله تعالى (ولا تلتفت منكم) أي منكم ومنهم (أحد) فبري

ناوراه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم أو لا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل
 نهوا عن ذلك ليوطنوا أنفسهم على المهاجرة أو هونى عن ربط القلب بما خلفوه أو هول الاسراع في السير فان الملتفت
 فلا يحلو عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة من الاسراء والانتفات لا يستدعى عدم وقوعه فان ذلك لما عرفت مرارا
 لاكتفاء بما ذكر في مواضع أخر (وامضوا حيث تؤمرون) ﴿٤٠٩﴾ الى حيث أمركم الله تعالى بالمضى اليه وهو الشام

أو مصر وحذف الصلتين
 على الاتساع المشهور واثار
 المضى الى ما ذكر على الوصول
 اليه والحق به لا يذنب بأهمية
 الجحاة ولراعاة المناسبة بينه
 وبين ما سلف من الغابرين
 (وقضينا) أى وأوحينا (اليه)
 مقضيا ولذلك عدى بالي
 (ذلك الامر) مبهم يفسره
 (أن دابر هؤلاء مقطوع)
 على أنه بدل منه واثار اسم
 الإشارة على الضمير للدلالة
 على اتصافهم بصفاتهم
 القبيحة التي هي مدار ثبوت
 الحكم أى دابر هؤلاء المجرمين
 وإيراد صيغة المفعول بدل
 صيغة المضارع لكونها أدخل
 في الدلالة على الوقوع وفي
 لفظ القضاء والتعبير عن العذاب
 بالامر والإشارة اليه بذلك
 وتأخير عن الجار والمجرور
 وإيهامه أو لا تمت تفسيره ثانيا من
 الدلالة على فخامة الامر و
 فظاعته ما لا يخفى وقرئ
 بالكسر على الاستئناف والمعنى
 أنهم يستأصلون عن آخرهم
 حتى لا يبقى منهم أحد
 (مصبحين) داخلين في الصبح
 وهو حال من هؤلاء أو من
 الضمير في مقطوع وجعله

الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه كما وقيل أهلكتهم الآل لوط
 الامر أنه وكما لو قال المطلق لامر أنه أنت طالق ثلاثا الاثنتين الواحدة وكما اذا قال
 المقر فلان على عشرة دراهم الاثلاثة الادرهما فاما في هذه الآية فقد اختلف الحكماء
 لان قوله الآل لوط متعلق بقوله أرسنا أو بقوله مجرمين وقوله الامر أنه قد متعلق بقوله
 منجهم فكيف يكون هذا استثناء من استثناء واما قوله قدرنا انها لمن الغابرين ففيه
 مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره يقال
 قدر هذا الشيء بهذا أى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات أى جعلها على
 مقدار الكفاية ثم يفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله عليه كذا وقدره عليه أى جعله
 على مقدار ما يكفى في الخير والشر وقيل في معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا وقيل
 قضينا والكل مقارب (المسئلة الثانية) قرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا لتخفيف الدال ههنا
 وفي الجمل وقرأ الباقون فيها بالتشديد قال الواحدى يقال قدرت الشيء وقدرته ومنه
 قراءة ابن كثير نحن قدرنا بئكم الموت خفيقا وقراءة الكسائي والذي قدر فهدى
 ثم قال والمشددة في هذا المعنى أكثر استعمالا لقوله تعالى وقدر فيها أوقاتها وقوله وخلق
 كل شيء فقدره تقديرا (المسئلة الثالثة) لقائل أن يقول لم أسند الملائكة فعل التقدير
 الى أنفسهم مع أنه لله تعالى ولم يبقوا وقدر الله تعالى والجواب انما ذكرناه هذه العبارة
 لما هم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا
 والمدير والامر هو الملك لا هم وانما يريدون بذكر هذا الكلام اظهار ما لهم من
 الاختصاص بذلك الملك فكذا ههنا والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله انها لمن الغابرين في
 موضع مفعول التقدير قضينا أنها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون
 ولا تكون ممن يبقى مع لوط فنصل الى الجحاة والله أعلم * قوله تعالى (فلا جناح لوط

المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا
 لصادقون) اعلم ان الملائكة لما بشروا ابراهيم بالولد واخبروه بأنهم مرسلون لعذاب قوم
 مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط والى آل لوط وقومه ما عرفوا أنهم ملائكة الله فلهذا
 قال لهم انكم قوم منكرون وفي تأويله وجوه (الاول) انه انما وصفهم بأنهم منكرون
 لانه عليه الصلاة والسلام ما عرفهم فلما هجموا عليه استنكر منهم ذلك وخاف أنهم دخلوا
 عليه لاجل شر يوصلونه اليه فقاتل هذه الكلمة (والثاني) أنهم كانوا شهابا مرسلا احسان
 الوجوه فخاف أن يجمع قومه عليه بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة (والثالث) أن النكرة
 ضد المعرفة فتوجه انكم قوم منكرون أى لا أعرفكم ولا أعرف أنكم من أى الاقوام
 ولاى غرض دخلتم على فعند هذه الكلمة قالت الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه
 يمترون أى بالعذاب الذى كانوا يشكون في نزوله ثم أكدوا ما ذكره بقواهم وأتيناك
 بالحق قال الكلبي بالعذاب وقيل باليقين والامر الثابت الذى لا شك فيه وهو عذاب

للمحمل على المعنى فان دابر ﴿٥٢﴾ خا هؤلاء بمعنى مدبرى هؤلاء (وجاء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن
 القوم عند وقوفهم على مكان الاضنياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما أشير الى ذلك اجالا حسماتيه عليه أى
 جاء أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أى مستبشرين باضيافه عليه الصلاة والسلام
 طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيف) الضيف حيث كان مصدرا في الاصل أطلق على الواحد

والتعدد والمذكر والمؤنث وإطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم في ربي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق انصافهم به وإظهار اعتناهم بشأنهم وتشعر مراعاة حقوقهم وجانبتهم من السوء ولذلك قال (فلا تقضحون) أي عندهم بأن تتم رضوا لهم يسؤ فعلوا أنه ليس لي عندكم قدر وحرمة أو لا تقضحون بفضيحة ضيفي فان من أسى إلى ضيفه قد أسى إليه يقال ﴿٤١﴾ ففضحه فضحا وفضيحة إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار

(واتقوا الله) في مباشرتهم لما يسؤني (ولا تخزون) أي لا تناووني ولا تهينوني بالتعرض لمن أجرتهم بثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد أن نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله ﴿فلا تقضحون﴾ أكثر تأثيرا في جانب عليه الصلاة والسلام وأجلب للعار إليه إذا تعرض للجار قبل شعور الجير بذلك بما يتسامح فيه وأما بعد الشعور به والمناسبة لمجانبته والذب عنه فذاك أعظم العار عبر عليه الصلاة والسلام عما يعتريه من جهتهم بعد التنبه المذكور بسبب لجأهم ومجاورتهم بخالفته بالخزي وأمرهم بتقوى الله تعالى في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف أنه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين التهيين عن أمرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام وكذلك قوله تعالى (قالوا أولم تنهك عن العالين) أي عن التعرض لهم بعتهم

أو تلك الأقوام ثم أكدوا هذا التأكيد بقولهم وإنا للصادقون * قوله تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبهم ادبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابرهؤلاء مقطوع مصحين) قرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الكشاف عن صاحب الاقليد فسر من السير والقطع آخر الليل قال الشاعر

افتحى الباب وانظري في الخجوم * كم علينا من قطع ليل بهم وقوله واتب ادبارهم معناه اتبع آثار بنائك وأهلك وقوله ولا يلتفت منكم أحد الفائدة فيه أشياء (أحدها) ثلاث يخلف منكم أحد فينال العذاب (وثانيها) ثلاث يرى عظيم ما ينزل بهم من البلاء (وثالثها) معناه الاسراع وترك الاهتمام لما خلف وراءه كما تقول امض لشأنك ولا تخرج على شيء (ورابعها) لوبيق منه متاع في ذلك الموضع فلا يرجع بسببه اليته وقوله وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس يعني الشام قال الفضل حيث يقول لكم جبريل وذلك لان جبريل عليه السلام أمرهم أن يمضوا الى قرية معينة أهلها ما عملوا مثل عمل قوم لوط وقوله وقضينا إليه عدى قضينا بال لانه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا اليه مضميا مبتوتا وظيره قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل وقوله ثم اقصوا الى ثم انه فسر بعد ذلك القضاء المبثوث بقوله أن دابرهؤلاء مقطوع وفي إجماعه أولا وتفسيره ثانيا فنحيم للامر وتعظيم له وقرأ الأعشى ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر فقال أن دابرهؤلاء وفي قراءة ابن مسعود قلنا أن دابرهؤلاء ودارهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله مصحين أي حال ظهور الصبح * قوله تعالى (وجاء أهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تقضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم تنهك عن العالين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاهلين لعمرك انهم الى سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا طائلاها سافلا وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمؤمنين وانهم السبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين) اعلم أن المراد بأهل المدينة قوم لوط وليس في الآية دليل على المكان الذي جاؤه الآن القصص يدل على أنهم جاؤا لوط قيل ان الملائكة كلما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل الى قوم لوط وقيل امرأة لوط أخبرتهم بذلك وبالجملة فاقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المرد مارا يناقظ أصبح وجهها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار لوط طلبها منهم لا أولئك المرد والاستبشار اطهار السرور فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه كلامين (الاول) قال ان هؤلاء ضيفي فلا تقضحون يقال فضحه يفضحه يفضحه فضحا وفضيحة إذا أظهر من أمره ما يلزمه به العار والمعنى ان الضيف يجب اكرامه فإذا قصدتهم بالسوء كان ذلك اهانة في ثم أكد ذلك بقوله واتقوا الله ولا تخزون فأجابوه بقولهم أولم تنهك عن العالين والمعنى الساقد نهية الثان تكلمنا في أحد من الناس اذا

عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو لله لطف على مقدر أي ألم تقدم اليك ولم تنهك عن ذلك فانهم قصدناه كانوا يتعززون لكل أحد من الغرياء بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه الصلاة والسلام عن أن يجبر أحد افكارهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لامن قبلنا اذ لو اترع منك لما تصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يلقون عمامهم عليه (قال هو لا بد بناتي) يعني نساء القوم فان نبي كما

أمة بعزلة أبهم أو بناته حقيقة أي فترجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم نبيهم وعدم لقاءهم لعدم مشروعية النكحة بين المسلمين والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود (ان كنتم فاعلين) أي قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لعمرك) قسم من الله تعالى بحجة النبي عليه الصلاة والسلام ومن الملائكة بحجة لوط عليه الصلاة والسلام والقرير لعمرك قسمي وهي احدى في العمر يختص به القسم ايشاره ٤١١ للحظة لكثرة دورانه على الالسنه (انهم في سكرتهم) غوايتهم أو شده غلتهم التي ازالته عقولهم

وتميزهم بين الخطا والصواب (بعمهون) يخبرون ويتأدون فكيف يسمعون النصيح وقيل الضمير لقرير والجملة اعتراض (فأخذتهم الصيحة) أي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها واديها) المدينة أو على قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى (سافلهما) مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفضاعة من العكس كما مر (وأمطرنا عليهم) في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب (حجارة) كائنة (من سجيل) من طين محجر أو طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود (ان في ذلك) أي فيما ذكر من القصة (لايات) لاعلامات يستدل بها على حقيقة الحق (للتوسمين) أي التفكيرين الذين يتنبئون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسبته (وانها) أي المدينة أو القرى (لبسبيل مقيم) أي طريق

فصدناه بالغاحشة (والكلام الثاني) ما قاله لوط قوله هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين قبل المراد بناته من صلبه وقبل المراد بناته قومه لان رسول الامه يكون كالأب لهم وهو قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفي قراءة أبي وهو أب لهم والكلام في هذه المباحث قدم بالاستقصاء في سورة هود عليه السلام اما قوله لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون فمقابل (المسئلة الاولى) العمر والعمر واحد وسمى الرجل عمر اغاؤا لأن يبقى ومنه قول ابن أحر * ذهب الشباب وأخلق العمر * وعمر الرجل يعمر وعمرًا فإذا أقسموا به قالوا لعمرك وعمرك فتحوالعين لا غير قال الزجاج لان القبح أخف عليهم وهم يكثران القسم بلعمرى ولعمرك فالتمزوا الأخف (المسئلة الثانية) في قوله لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون قولان (الاول) أن المراد ان الملائكة قالت لوط عليه السلام لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون أي في غوايتهم يعمهون أي يخبرون فكيف يقبلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك (والثاني) ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحجته وما أقسم بحجة أحد وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى قال الحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر مخدوف والمعنى لعمرك قسمي وحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه باب القسم بخذف منه الفعل نحو بالله لأفعلن والمعنى أحلف بالله فيحذف لعلم المخاطب بأنك حالف ثم قال تعالى فأخذتهم الصيحة أي صيحة جبريل عليه السلام قال أهل المعاني ليس في الآية دلالة على أن تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام فان ثبت ذلك بدليل قوى قيل به والا فليس في الآية دلالة الاعلى أنه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله مشرقين يقال شروق الشارق يشرق شروفا لكل ما طلع من جانب الشرق ومنه قولهم ما ذر شارق أي طلع طالع وقوله مشرقين أي داخلين في الشروق يقال أشرق الرجل اذا دخل في الشروق وهو بزوغ الشمس واعلم أن الآية تدل على انه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب (أحدها) الصيحة الهائلة المنكرة (وثانيها) أنه جعل ما عليها سافلها (وثالثها) أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل وكل هذه الاحوال قدم تفسيرها في سورة هود ثم قال تعالى ان في ذلك لايات للتوسمين يقال توسمت في فلان خيرا أي رأيته فيه أرامته وتفرسته فيه واختلفت عبارات المفسرين في تفسير التوسمين قبل التفكيرين وقيل الناظرين وقيل المتفكرين وقيل المتعبرين وقيل المتبصرين قال الزجاج حقيقة التوسمين في اللغة المتنبئون في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته والتوسم الناظر في السمة الدالة تقول توسمت في فلان كذا أي عرفت سمة ذلك وسبته فيه ثم قال وانها لبسبيل مقيم الضمير في قوله وانها عائد الى مدينة قوم لوط وقد سبق ذكرها في قوله وجاء أهل المدينة وقوله لبسبيل مقيم أي هذه القرى وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه لبسبيل مقيم ثابت لم يندرس ولم يخف والذين يعمرون من الجحاز الى الشام يشاهدونها ثم قال ان في ذلك لاية للتومنين أي

ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان في ذلك) فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها بحر أي من الناس يشاهدونها في ذهابهم وابلهم (لاية) عظيمة (للتومنين) بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلا فم انما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيصطلون ذلك على الاتفاق أو الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جردها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لاكل القصة كما فيما سلف (وان كان) ان تخففه من ان ضمير الشأن

التي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وإن الشان كان (أصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والأيكة والأيكة الشجرة المتنفة المتكاثفة وكان عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعث الله تعالى إليهم (الظالمين) مجاوزين عن الحد (فانتقمنا منهم) بالعذاب ردوى أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سبحانه فالتجوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة (وانهما) ٤١٢ * يعني سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين

فانه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما فذكر أحدهما منه على الآخر (لبامام ميين) بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومظهر البناء والوحد الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر) يعني ثمود (المرسلين) أي صالحا هان من كذب واحد من الانبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لانقاذهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الحبيبون نجيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجرواديين المدينة والشام كانوا يسكنونه (وآتيناهم آياتنا) وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من النافقة وسقياها وشربها ودرها وأوالدة المنصوبة لهم (فكانوا عنها معرضين) اعراضا كلبا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالافعال (وكانوا ينجحون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب

كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف أن ذلك انما كان لاجل أن الله تعالى انتقم لآيائهم من أولئك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على حوادث العالم ووقائعهم وعلى حصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلكية والله أعلم * قوله تعالى (وان كان أصحاب الأيكة الظالمين فانتقمنا منهم وانما لبامام ميين) اعلم أن هذه هي القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة (فأولها) قصة آدم وبليس (وثانيها) قصة ابراهيم ولوط (وثالثها) هذه القصة وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض فكذبوا شعيبا فأهلكهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والأيكة الشجر المتنف يقال أيكة وابل كشجرة وشجر قال ابن عباس الأيكة هوشجر القمل وقال الكلبي الأيكة الغيضة وقال الزجاج هؤلاء أهل موضع كان ذا شجر قال الواحدي ومعنى ان واللام للتوكيد وان ههنا هي المنخفضة من الثقلية وقوله فانتقمنا منهم قال المفسرون اشتد الحرف فيهم أياما ثم اضطرهم عليهم المكان نارافهلكوا عن آخرهم وقوله وانهم فيه قولان (الاول) المراد قري قوم لوط عليه السلام والأيكة (والقول الثاني) الضمير للأيكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرها وقوله لبامام ميين أي بطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به قال القراء والزجاج انما جعل الطريق اماما لانه يؤتم ويتبع قال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريد وقوله ميين ينجحون انه ميين في نفسه ويحتمل أنه ميين لغیره لان الطريق يهتدى الى المقصد * قوله تعالى (واقعد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينجحون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما ألقى عنهم ما كانوا يكسبون) هذا هو القصة الرابعة وهي قصة صالح قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وقوله المرسلين المراد منه صالح وحده ولعل القوم كانوا ابراهيمة منكربين لكل الرسل وقوله وآتيناهم آياتنا يريد النافقة وكان في النافقة آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم خلقها وظهور نتائجها عند خروجها وكثرة ابنها وأضاف الآيات اليهم وان كانت النافقة آية لصالح لانها آيات رسولهم وقوله فكانوا عنها معرضين يدل على أن النظر والاستدلال واجب وان التقليد مذموم وقوله وكانوا ينجحون من الجبال قد ذكرنا كيفية ذلك التحت في سورة الاعراف وقوله آمنين يريد من عذاب الله وقال القراء آمنين أن يقع سقفهم عليهم وقوله فما ألقى عنهم ما كانوا يكسبون أي مادفع عنهم الضر والبلاء ما كانوا يعملون من تحت تلك الجبال ومن جمع تلك الاموال والله أعلم * قوله تعالى (وما خلقت السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لا آتية فاصبر الصبر الجميل ان ربك هو الخلاق العليم) اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل الأهلك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم فأجاب عنه بأنى انما خلقت الخلق ليكونوا مشغولين

بالصنوع وتخريب الاعداء وناقضها أو من العذاب لحساب انهم أن ذلك يحرمهم منه * عن جابر رضى الله تعالى عنه (بالعبادة) أنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) وهكذا وقع في سورة هود قيل صاحب بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل آتتهم من السماء صيحة فيها صوت

كل صاعده وصوت كل شئ في الارض فتفطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاحراق فاخذتهم الرحمة اى الزلزلة ولعلها من روافد الصيحة المنتهية لتجوج الهواء وجاشد بانفسي اليها كما في سورة هود (فاغنى عنهم) ولم يدفع عنهم منازل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه نهكم بهم والقلة لتزيب عديم الاغناء الخالص بوقت نزول العذاب حسبا ﴿٤١٣﴾ كانوا يرجونه لاعدم الاغناء المطلق فانه امر مستر

(وما خلقنا السموات والارض

وما بينهما الا خلقا ملبسا بالحق والحكمة

والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار

الفساد واستقرار الشمرور

وانذاك اقتضت الحكمة

اهلاك امثال هؤلاء دفعا

لفسادهم وارشاد المن بقرى الى

الصالح او الاسباب العدل

والانصاف يوم الجزاء على

الاعمال كما ينبغي عنه قوله تعالى

(وان الساعة لا تيه) فينتقم

الله تعالى لك فيهما من كذبك

(فاصفح) اى اعرض عنهم

(الصفح الجليل) اعراضا

جبارا وتحمل أدبيتهم ولا تعجل

بالانتقام منهم وعاملهم معاملة

الصفوح الخليم وقيل هي

منسوخة بآية السيف (ان

ربك) الذى يبلغك الى غاية

الكمال (هو الخلاق) لك

ولهم ولسائر الموجودات على

الاطلاق (العليم) باحوالك

واحوالهم بتفاصيلها فلا

يخفى عليه شئ مما جرى بينك

وبينهم فهو خفيق بأن تكل

جميع الامور اليه يحكم بينكم

او هو الذى خلقكم وعلم تفاصيل

أحوالكم وقد علم أن الصفيح

اليوم اصلى الى أن يكون

بالعبادة والطاعة فاذا تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم ونظهير وجه الارض منهم وهذا النظم حسن الا أنه انما يستقيم على قول المعتزلة قال الجبائي دلت الآية على أنه تعالى ما خلق السموات والارض وما بينهما الا خلقا ملبسا بالحق والباطل لان كل ما فعل باطلا وأريد بفعله كون الباطل لا يكون حقا ولا يكون مخلوقا بالحق وفيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون أن أكثر ما خلقه الله تعالى بين السموات والارض من الكفر والمعاصي باطل واعلم ان أصحابنا قالوا هذه الآية تدل على أنه سبحانه هو الخالق لجميع أعمال العباد لانها تدل على أنه سبحانه هو الخالق للسموات والارض ولكل ما بينهما ولا شك أن أفعال العباد بينهما فوجب أن يكون خالقها هو الله سبحانه وفي الآية وجه آخر في النظم وهو أن المقصود من ذكر هذه القصص نصير الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام على سفاهة قومه فانه اذا سمع أن الامم السالفة كانوا يعاملون انبياء الله تعالى بمثل هذه المعاملات الفاسدة سهل تحمل تلك السفاهات على محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما بين انه أنزل العذاب على الامم السالفة فعند هذا قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الساعة لا تيه وان الله لينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل والانصاف فكيف يلبق بحكمته اهمال أمرك ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفيح عن سيئاتهم فقال فاصفيح الصفيح الجليل اى فأعرض عنهم واحمل ما تلقي منهم اعراضا جبارا يحلم واغضاه وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفيح فكيف يصبر منسوخا ثم قال ان ربك هو الخلاق العليم ومعناه انه خلق الخلق مع اختلاف طبائعهم وتفاوت أحوالهم مع علمه بكونهم كذلك واذا كان كذلك فانهما خلقهم مع هذا التفاوت ومع العلم بذلك التفاوت أما على قول أهل السنة فلمحض المشيئة والارادة وأما على قول المعتزلة فلاجل المصلحة والحكمة والله أعلم * قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا

من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما تمناه أزواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) اعلم انه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفيح الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بهالان الانسان اذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفيح والتجاوز وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان قوله آتيناك سبعا يحتمل أن يكون سبعا من الآيات وأن يكون سبعا من السور وأن يكون سبعا من القوائد وليس في اللفظ ما يدل على التعيين وأما المثاني فهو صيغة جمع واحدة مشاة والمثناة كل شئ يبنى أى يجعل اثنين من قولك ثبت للشيء اذا عطفته أو ضمت اليه آخره منه يقال ركبت الدابة ومررت فيها مثاني لانها تثبت بالخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه اذا عرفت هذا فنقول سبعا من المثاني

السيف أصبح فهو تمثيل للامر بالصفح على القديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضى الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلق مختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلى وابن مسعود وابوهريرة فرضي الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والصحاب والكوسجدين جبروقادة رحيمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال سابتها الأنفال والتوبة فأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يوصل بينهما بالسبعة وقيل يونس

أولها اسم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع (من الثاني) بيان السبع من التثنية وهي التكرير كان المدرا الفاتحة وهو الظاهر قسمتها ثلثي لتكرير قراءتها في الصلاة وأما تكرير قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بمبحث يكون مدار التسمية ولا ثلثي بما يتكرر بعدها في الصلاة وأما تكرير توليها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت سمعة بهذا الاسم قبل توليها الثاني إذا السورة مكينة بالاتفاق ﴿ ٤١٤ ﴾ وإن كان المراد غيرها من السور فوجه كونها من الثاني

أن كلاماً من ذلك تكرير قراءته وألفاظه أو فصوله ومواعظه أو من الثناء لاشتغاله على ما هو ثناء على الله واحدتها مشاة أو مشية صفة الآبة وأما الصحائف وهي الأسباع فلما وقع فيها من تكرير الصلوات والمواظع والوعود والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله تعالى كأنها ثلثي عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالثاني القرآن لما ذكر أولاً من مثني عليه بالاعجاز أو كتب الله تعالى كل ما في التبيين وعلى الأول للتبيين (والقرآن العظيم) أن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العاصم على الخاص وأن أريد به الأسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله * إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم * أي ولقد أتيناك لما يقال له السبع الثاني والقرآن العظيم (لا تمدن عينيك) لا تطمح بصرك طموح راغب ولأنك نظرتك (إلى ما تنظره)

مفهومة بسبعة أشياء من جنس الأشياء التي تثنى ولا شك أن هذا القدر مجمل ولا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل منفصل وللناس فيه أقوال (الأول وهو قول أكثر المفسرين) أنه فاتحة الكتاب وهو قول عرو على وابن مسعود وأبي هريرة والحسن وأبي العباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبيرة وقتادة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع الثاني رواه أبو هريرة والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة أنها سبع آيات وأما السبب في تسميتها بالثاني فوجه (الأول) أنها ثلثي في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة (والثاني) قال الزجاج سميت ثلثي لأنها ثلثي بعدها ما يقرأ معها (الثالث) سميت آيات الفاتحة ثلثي لأنها قسمت قسمين اثنين والدليل عليه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين والحديث مشهور (الرابع) سميت ثلثي لأنها قسمان ثناء ودعاء وأيضاً النصف الأول منها حق الزبوية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء (الخامس) سميت الفاتحة بالثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة في أوائل ما نزل من القرآن ومرة بالمدينة (السادس) سميت بالثاني لأن كلماتها مشاة مثل الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم في قراءته وغير المعصوب عليهم وغير الضالين (السابع) قال الزجاج سميت الفاتحة بالثاني لاشتغالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكوته واعلم أنا إذا قلنا قوله سبعا من الثاني على سورة الفاتحة فهنا أحكام (الأول) نقل القاضي عن أبي بكر الأصم أنه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب رأى أنها ليست من القرآن وأقول لعل جهته فيه أن السبع الثاني للآيات أنه هو الفاتحة ثم إنه تعالى عطف السبع الثاني على القرآن والمطوف مغاير للمطوف عليه وجب أن يكون السبع الثاني غير القرآن لأن هذا يشكك بقوله تعالى وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وكذلك قوله وملائكته وجبريل وميكال والنحوم أن يجب بأنه لا يعد أن يذكر الدليل ثم يعطف عليه ذكر بعض أجزائه وأقسامه لكونه أشرف الأقسام أما إذا ذكر شيء ثم عطف عليه شيء آخر كان المذكور أو لا معارياً للمذكور ثانياً وهذا ذكر السبع الثاني ثم عطف عليه القرآن العظيم فوجب حصول المغايرة والجواب الصحيح أن بعض الشيء مغاير لمجموعة فلم لا يكتفي بهذا القدر من المغايرة في حسن العطف والله اعلم (الحكم الثاني) أنه لما كان المراد بقوله سبعة من الثاني هو الفاتحة دل على أن هذه السورة أفضل سور القرآن من وجهين (أحدهما) أن أفرادها بالذكر مع كونها جزءاً من أجزاء القرآن لا بسواً يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة (والثاني) أنه تعالى لما أنزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها وإذا ثبت هذا فنقول لما رأينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره وما أقام سورة أخرى مقامها في شيء من الصلوات دل ذلك على

من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (أزواجنا منهم) أصنافاً من الكفرة فإن ما في الدنيا من ﴿ انه ﴾ أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقراً لا يعبأ به أصلاً وفي حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن فرائى أن أحد أوتي أفضل مما أوتي قد صغر عظيم وعظم صغيراً وروى أنه وافق من بصري وأدركات سبع قوافل يهوديني قريظة والنضير فيها أنواع البر والطي والجواهر وأسار الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال كالقوتيات بها

وأنتفأها في سبيل الله قليل لهم فقد أعطيتهم سبع أيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينظروا في سلك أرباعك استوى بهم ضعفه المسلمين وقيل أو أنهم المتعمون به وبإياه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للرحمن عليهم (وأخفض جناحك للمؤمنين) أي تواضع لهم ورافق بهم وأن جانبك لهم وطب نفسا من إيمان الأعداء (وقول أني أنا النذير المبين) أي المذنب المظهر لزول عذاب الله وحلوله ﴿ ٤١٥ ﴾ (كما أنزلنا على المقتسمين) قبل أنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ

أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عذانا وعدوانا ببعضه حتى موافق للتوراة والإنجيل و بعضه باطل يخالف لهما أو قسموه لأنفسهم استبراء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو قسموا ما قرؤا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحلوا وسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على أمداد ما هو المراد بالكلام من التسليط وعقب ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتى عليه الصلاة والسلام ما لم يوث أحد قبله ولا بعده مثله وقيل أنه متعلق بقوله أني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالانذار كما أنه قيل أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهوما جرى على بني قريظة والنض بأن جعل التوقع كالواقع وقد وقع كذلك وأنت خير بأن ما يشبه به العذاب المذلل بل أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المذنبين إذ به

أنه يجب على المكلف أن يقرأها في صلاته وأن لا يقيم سائر آيات القرآن مقامها وأن يحترز عن هذا الإبدال فإن فيه خطرا عظيما والله أعلم (القول الثاني) في تفسير قوله سبعاً من الثاني أنها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبيرة في بعض الروايات وبجاءه وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاقبوا وسميت هذه السور مثنى لأن الفرائض والحدود والأمثال والعبر ثبتت فيها وأنكر الربيع هذا القول وقال هذه الآية مكية وأكثر هذه السور السبعة مدنية وما نزل شيء منها في مكة فكيف يمكن جل هذه الآية عليها وأجاب قوم عن هذا الاشكال بأن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم أنزله على نبيه منها تجوما فلما أنزله إلى السماء الدنيا وحكم بآزله عليه فهو من جملة ما آتاه وان لم ينزل عليه بعد ولقال أن يقول أنه تعالى قال ولقد آتيناك سبعاً من الثاني وهذا الكلام إنما يصدق إذا وصل ذلك الشيء إلى محمد صلى الله عليه وسلم فاما الذي أنزله إلى السماء الدنيا وهو لم يصل بعد إلى محمد عليه السلام فهذا الكلام لا يصدق فيه وأما قوله بأنه لما حكم الله تعالى بآزله على محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك جارا بيجري ما نزل عليه فهذا أيضا ضعيف لأن إقامة ما لم ينزل عليه مقام المنازل عليه مخالف للظاهر (والقول الثالث) في تفسير السبع الثاني أنها هي السور التي هي دون الطوال والمئين وفوق الفصل واختار هذا القول قوم واحتجوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المئين مكان الإنجيل وأعطاني الثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالفصل قال الواحدى والقول في تسمية هذه السور مثنى كالقول في تسمية الطوال مثنى وأقول إن صحيح هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا غبار عليه وإن لم يصح فهذا القول مشكل لآنا بينا أن المسمى بالسبع الثاني يجب أن يكون أفضل من سائر السور وأجمعوا على أن هذه السور التي سموها بالثاني ليست أفضل من غيرها فيتم حل السبع الثاني على تلك السور (والقول الرابع) أن السبع الثاني هو القرآن كله وهو منقول عن ابن عباس في بعض الروايات وقول طائوس قالوا ودليل هذا القول قوله تعالى كتابا متشابها مثنى فوصف كل القرآن بكونه مثنى ثم اختلف القائلون بهذا القول في أنه ما المراد بالسبع وما المراد بالثاني أما السبع فذكروا فيه وجوها (أحدها) أن القرآن سبعة أسباع (وثانيها) أن القرآن مشتمل على سبعة أنواع من العلوم التوحيد والشدة والمعاد والقضاء والقدر وأحوال العالم والقصص والتكاليف (وثالثها) أنه مشتمل على الأمر والنهي والخبر والاستخبار والدعاء والقسم والأمثال وأما وصف كل القرآن بالثاني فلأنه كرر فيه دلائل التوحيد والشدة والتكاليف وهذا القول ضعيف أيضا لأنه لو كان المراد بالسبع الثاني القرآن لكان قوله والقرآن العظيم عطفا للشيء على نفسه وذلك غير جائز وأوجب عنه بأنه إنما حسن ادخال حرف العطف فيه لاختلاف

تحقق فائدة التشبيه وهي تأكيدهم بالانذار وتشدده وعذابه في قريظة والنضير مع صدم وقوعه إذا ذلك لم يسبق به وعد ووعد فهم منه في غفلة محضه وشك مربوب وتزليل التوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الإعجاز لكن إذا صادف مقام يقتضيه كافي قوله تعالى أنا قضايتك فحما مبينا ونظارة على أن تخصيص الأقسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للتصاري في الأقسام المنفرع على الموافقة

والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكاتبين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير تخصيص وقد جعل الموصول مفعولا أول لا ندر أي أنذر المصنفين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما نزلنا على المقتسمين وهم الاثناعشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقدم كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغزوا بالخارج * ٤١٦ * منافاته ساحرو يقول الآخر شاعر والآخر

اللفظين كقول الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليت الكنية في المزدحم
واعلم أن هذا وإن كان جائز الاجل وروده في هذا أثبت لأنهم أجمعوا على أن الأصل خلافه (والقول الخامس) يجوز أن يكون المراد بالسبب الفاتحة لأنها سبع آيات ويكون المراد بالثاني كل القرآن ويكون التقدير ولقد آتيناك سبع آيات هي الفاتحة وهي من جملة الثاني الذي هو القرآن وهذا القول عين الأول والتفاوت لبس الإقليل والله أعلم (المسئلة الثانية) لفظة من في قوله سبعا من الثاني قال الزجاج فيها وجهان (أحدهما) أن تكون للتبعض من القرآن أي ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي ينشئ بها على الله تعالى وآتيناك القرآن العظيم قال ويجوز أن تكون من صلة والمعنى آتيناك سبعا هي الثاني كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان المعنى اجتنبوا الاوثان لأن بعضها رجس والله أعلم أما قوله تعالى لا تمدن عينيك إلى متعنا به أزواجا منهم فاعلم أنه تعالى لما عرف رسوله عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو آتاه سبعاً من الثاني والقرآن العظيم نهاية عن الرغبة في الدنيا فخطر عليه أن يمد عينيه إليها رغبة فيها وفي مد العين أقوال (الأول) كأنه قيل له أنك أوتيت القرآن العظيم فلا تشغل نفسك وخطرك بالالتفات إلى الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال أبو بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي قد صغر عظيماً وعظم صغيراً وقيل وافقت من بعض البلاد سبع قوافل لليهود بنى قريظة والتضير فيها أنواع البر والصب والجواهر وسائر الامتعة قتل المسلمون أو كانت هذه الاموال لنا لتقويتها ولا تغناها في سبيل الله تعالى فقال الله تعالى لهم لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع (القول الثاني) قال ابن عباس لا تمدن عينيك أي لا تمن ما فضلنا به أنفسنا من متاع الدنيا وقرر الواحدى هذا المعنى فقال إنما يكون ماداً عينيه إلى الشيء إذا دام النظر ونحوه وإدامة النظر إلى الشيء تدل على استخسانه وتنبه وكان صلى الله عليه وسلم لا ينظر إلى ما يستحسن من متاع الدنيا وروى أنه نظر إلى نعم بنى مصطلق وقد عبت في أبوالها وأبعارها ففزع في ثوبه وقرأ هذه الآية وقوله عبت في أبوالها وأبعارها هو أن تحف أبوالها وأبعارها على أخذها إذا تركت من العمل أيام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهي أحسن ما تكون (والقول الثالث) قال بعضهم ولا تمدن عينيك أي لا تحسد أحد على ما أوتي من الدنيا قال القاضي هذا بعيد لأن الحسد من كل أحد فيجب لانه إرادة له وال نعم الغير عنه وذلك يجري مجرى الاعتراض على الله تعالى والاستباح لحكمه وقضائه وذلك من كل أحد فيجب فكيف يحسن تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم به وأما قوله تعالى أزواجا منهم قال ابن قتية أي أصنافاً من الكفار والزوج في اللغة الصنف ثم قال ولا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا

كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآيات وفيه مع ما فيه من الاشتراك للتاسق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعاً ولا معلوماً للذين ولا موعود الوقوع أنه لا داعي إلى تخصيص وصف التعصية بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم في ذلك فإن وصفهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع عما وصفهم القرآن بذلك وهل هو الانفس التعصية ولا إلى إخراجهم من حكم التنذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا بخصوصاً بهم بل عام للكلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثاني على الأول كما ترى وقيل أنه وصف لمفعول التنذير أقيم قائمه والمقتسمون هم القاعدون

في مداخل مكة كما حذر روفيه مع ما أمر أن قوله تعالى كما نزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول * فبقوى عليه الصلاة والسلام والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك أمر بالكدان كان الأمر هو الملك حسبا سلف في قوله تعالى قدرنا أنهم لن الغابر بن نعسف لا يفتي وأن أعمال الوصف الموصوف بما لا يجوز البصر بون فلا بد من الهرب إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جملة مفعولا غير صريح أي أنا التنذير المبين بعذاب مثل

قذاب بالمقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرط الذين تقاسموا على أن يتنوا صالحا عليه الصلاة والسلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن هذاهم حيث كان متحققا ومعلوم المنذر ينحسبا نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشبهاه العذاب المنذر لكن الوصول المذكور عقبه حيث لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حيثئذ فسواء جعلناه مفعولا أول للذير أو ما دل هو عليه من أنذر لا يكون ﴿٤١٧﴾ للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلاة ولا عنوان

الافتقار باللعن المزبور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ن ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلاة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بعزل من التقاسم على التثبيت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السبيين مفهم وما ولا وجودا تصحح وقوع أحدهما في جانب والآخري جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التثبيت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل

فيقوى بمكانهم الاسلام وينعش بهم المؤمنون والحاصل أن قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعابه أو واجامتهم نهي له عن الالتفات الى أموالهم وقوله ولا تحزن عليهم نهي له عن الالتفات اليهم وان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن ثم قال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض معناه في اللغة نقيض الرفع ومنه قوله تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة أي انهما تخفض أهل العاصي وترفع أهل الطاعات فالخفض معناه الوضع وجناح الإنسان يده قال البث يد الإنسان جناحه ومنه قوله واضم اليك جناحك من الرهب وخفض الجناح كتابة عن اللين والرفق والتواضع والمقصود أنه تعالى لما نهى عن الالتفات الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين ونظيره قوله تعالى أدله على المؤمنين أهزة على الكافرين وقال في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدها على الكفار رجاء بينهم ﴿قوله تعالى﴾ (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين) اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره بأن يقول للقوم اني أنا النذير المبين فيدخل تحت كونه نذيرا كونه مبلغا لجميع التكليف لان كل ما كان واجباترتب على تركه عقاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب فكان الاخبار بمحصل هذا العقاب داخل تحت لفظ النذير ويدخل تحته أيضا كونه شارحا لمراتب الثواب والعقاب والجنة والنار ثم أردفه بكونه مبينا ومعناه كونه آتيا في كل ذلك بالبيانات الشافية والبيانات الوافية ثم قال بعده كما أنزلنا على المقتسمين وفيه بحثان (البحث الاول) اختلفوا في أن المقتسمين من هم وفيه أقوال (الاول) قال ابن عباس هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب عددهم من أربعين وقال مقاتل بن سليمان كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقبات مكة وطرقها يقولون لمن يسلكها لا تغتر وابل خارج منا والمدة للنبوة فانه محزون وكانوا ينفرون الناس عنه بأنه ساحر أو كاهن أو شاعر فأنزل الله تعالى بهم خزينا فأتوا شرمية والمعنى أنذر تكلم مثل ما نزل بالمقتسمين (والقول الثاني) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات ان المقتسمين هم اليهود والنصارى واختلفوا في أن الله تعالى لم سماهم مقتسمين فقيل لانهم جعلوا القرآن عضين آمنوا بما وافق التوراة وكفروا بالباقي وقال عكرمة لانهم اقتسموا القرآن استهزاء به فقال بعضهم سورة كذالى وقال بعضهم سورة كذالى وقال مقاتل بن حبان اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين (والقول الثالث) في تفسير المقتسمين قال ابن زيد هم قوم صالح تقاسموا التبيتة وأهله فرمتهم الملائكة بالحجارة حتى قتلوه فعلى هذا الاقتسام من القسم لامن القسمة وهو اختيار ابن قتيبة (البحث الثاني) أن قوله كما أنزلنا على المقتسمين يقتضى تشبيه شئ بذلك فاذلك الشئ والجواب عنه من وجهين

الموصول مبتدأ على أن ﴿٥٣﴾ خا خبره الجملة القسمية لا يلبق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم أن اقرب من الاقوال المذكورة أنه متعلق بالاول وأن المراد بالمقتسمين أهل مصلته صفة مبنية لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف التصب على المصدرية وحديث

جلا لهما المقام عن التشبيه من لواحق النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ابتداء مما لا تزال الكتابين على أهلها وعدم العرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن العرض بيان المماثلة بين الآيتين لابن متعلق بهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الخ للتشبيه على ما بين الآيتين ﴿ ٤١٨ ﴾ من الثنائي فان الاول على وجه التكرمة والامتنان

وشأن ينه وبين الثاني ولا يفتح ذلك في وقوعه مشبه به فان ذلك انما هو لمسلية عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لازمة تعود الى ذاته كافي الصلاة الخلية فان التشبيه فيها ليس لكون راحة الله تعالى الغائضة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وآله اتم وكل مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وانما ذلك للتقدم في الوجود والتخصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلا عن اهم أفضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقسام انكار الاتصاف بهم مع تحقق ما ينفيهم من الانزال المذكور وايدنا بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي

(الاول) التقدير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فافسوه الى حق وباطل فان قيل فعلى هذا القول كيف توسط بين المشبه والمشبه به قوله لا تمدن عينيك الى آخرة قلنا لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم (والوجه الثاني) أن يتعلق هذا الكلام بقوله وقول اني أنا النذير المبين واعلم أن هذا الوجه لا يتم الا بأحد أمرين اما التزام الضمارة الحذف اما الضمارة الحذف فهو أن يكون التقدير اني أنا النذير المبين عذابا كما أنزلناه على المقتسمين وعلى هذا الوجه المفعول محذوف وهو المشبه ودل عليه المشبه به وهذا كما تقول رأيت كالمقر في الحسن أي رأيت انسانا كالمقر في الحسن وأما الحذف فهو أن يقال الكاف زائدة محذوفة والتقدير اني أنا النذير المبين ما أنزلناه على المقتسمين وزيادة الكاف له نظير وهو قوله تعالى ليس كمثل شيء والتقدير ليس مثله شيء وقال بعضهم لاجابة الى الضمارة والحذف والتقدير اني أنا نذير أي أنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين وقوله الذين جعلوا القرآن عضين فيه بحثان (البحث الاول) في هذا اللفظ قولان الاول انه صفة للمقتسمين والثاني انه مبتدأ وخبره هو قوله لنسألتهم وهو قول ابن زيد (البحث الثاني) ذكر أهل اللغة في واحد عضين قولين (الاول) أن واحدها عضه مثل عزة وبره وثبة وأصلها عضوة من عضيت الشيء اذا فرقه وكل قطعة عضه وهي مما نقص منها واوهي لام الفعل والعضية التجزئة والتفريق يقال عضبت الجزر والشاة تعضية اذا جعلتها أعضاء وقسمتها وفي الحديث لا تعضية في ميراث الا فيما احتمل القسمة أي لا تجزئة فيما لا يحتمل القسمة كالجوهرة والسيف فقولهم جعلوا القرآن عضين يريد جزؤا أجزاء فقالوا سحر وشعر وأساطير الاولين ومفتري (والقول الثاني) أن واحدها عضه وأصلها عضه فاستقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عضه كما قالوا شفته والاصل شفها بدليل قولهم شافهت مشافهة وسنة وأصلها سته في بعض الاقوال وهو مأخوذ من العضد بمعنى الكذب ومنه الحديث اياكم والعضه وقال ابن السكيت العضه بأن يعضد الانسان ويقول فيه ما ليس فيه وهذا قول الخليل فماروى الليث عنه فعلى هذا القول معنى قوله تعالى جعلوا القرآن عضين أي جعلوه مفتري وجعت العضه جمع ما يعقل الملحقة من الحذف ففعل الجمع بالواو والنون عوضا عما لحقه من الحذف * قوله تعالى (فور بك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما توأمروا) أعرض عن المشركين انا فكيفناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعاون) في الآية مسائل (المسألة الاولى) قوله فور بك لنسألتهم أجمعين يحتمل أن يكون راجعا الى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين لان عود

هي مطلق الوحي وتوسط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حل ما أوتى في الضمير ﴿ ٤١٨ ﴾ هي عليه الصلاة والسلام ولقد بين أولاء وشأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغناء به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة

الدنيا وعبر عن اثباتها لاهلها بالتمتع النبي عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بغدغ ايمان المنهمكين فيها وأمر
بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم الندارة حسبما فصل في تضعيف
مأثرتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية اثباته على وجه أدمج فيه ما يريح شبه المنكرين ويستزله عن العناد
من بيان مشاركته لما لا يرغب لهم في كونه وحيا * ٤١٩ * صادقا فأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قبل

المعنى قل اني أنا النذير
المبين كما قد أنزلنا
في الكتب انك ستأتي
نذيرا على أن المقتسمين
أهل الكتاب انتهى
يريد أن ما في كما موصولة
والمراد بالمشاهدة المستفادة
من الكاف الموافقة وهي
مع ما في حيزه ما في محل
التصعب على الحالة
من مفعول قل أي قل
هذا القول حال كونه
كما أنزلنا على أهل
الكتابين أي موافقا
لذلك فالانصب حينئذ
حل الاقتسام على
التحريف ليكون وصفهم
بذلك تعريضا فاعملوا
من تحريفهم وكتابتهم
لنت النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى
عضين جمع عضته وهي
الفرقة أصلها عضوة
فعلة من عضى الشاة
نعضية اذا جعلها أعضاء
وانما جئت جمع السلامة
جبر السخوف وكسبن
وعزبن والتعبير عن
تجزئة القرآن بالعضية
التي هي تقر ببق الأعضاء

الضمير الى الاقرب أولى ويكون التقدير انه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين
عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن سائر المعاصي ويحتمل أن يكون راجعا الى
جميع المكلفين لان ذكرهم قد تقدم في قوله قل اني أنا النذير المبين أي لجميع الخلق وقد
تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين فيعود قوله فور بك لنسألهم أجمعين على الكل ولا
معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر أو عن الايمان بل السؤال
واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل فان قيل كيف الجمع بين
قوله لنسألهم أجمعين وبين قوله فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان أجابوا عنه من
وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسئلون سؤال الاستفهام لانه تعالى
علم بكل أعمالهم وانما يسئلون سؤال التقرع يقال لهم لم فعلتم كذا ولتأكل أن يقول
هذا الجواب ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا النفي بقوله فيؤمئذ فائدة لان مثل هذا السؤال
على الله تعالى محال في كل الاوقات (والوجه الثاني) في الجواب أن يصرف النفي الى
بعض الاوقات والآيات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل ولتأكل أن يقول قوله
فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان هذا تصريح بأنه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم
فلو حصل السؤال في جزء من أجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض (والوجه الثالث) أن
نقول قوله فيؤمئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يفيد عموم النفي وقوله فور بك لنسألهم
أجمعين عائد الى المقتسمين وهذا خاص ولا شك أن الخاص مقدم على العام أما قوله
فاصدع بما تؤمر فاعلم أن معنى الصدع في اللغة الشق والفصل وأنشد ابن السكيت لجرير
هذا الخليفة فارضوا ما قضى لكم * بالحق يصدع ما في قوله حيف

فقال يصدع يفصل ويصدع التوم اذا تفرقوا ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون قال القراء
يتفرقون والصدع في الزجاجة الابانة أقول ولعل ألم الرأس انما سمي صدعا لان قحف
الرأس عند ذلك الألم كأنه يشق قال الازهرى وسمى الصبح صدعا كما يسمى فلقا وقد
انصدع وانفلق الفجر وانفطر الصبح اذا عرفت هذا فقول فاصدع بما تؤمر أي فرق بين
الحق والباطل وقال الزجاج فاصدع أظهر ما تؤمر به يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها
جهارا كقولك صرح بها وهذا في الحقيقة يرجع أيضا الى الشق والتفريق أما قوله بما
تؤمر ففيه قولان (الاول) أن يكون ما معنى الذي أي بما تؤمر به من الشرائع فيعذف
الجار كقوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به (الثاني) أن تكون ما مصدرية أي فاصدع
بأمرك وشأنك قالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال
تعالى وأعرض عن المشركين أي لاتبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة
قال بعضهم هذا منسوخ بأية القتال وهو ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة
بهم فلا يكون منسوخا ثم قال انا كفيته المشركين قيل كانوا خمسة نفر من المشركين

من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق الذين ربما وجدان فيما لا يضره
التبعض من المثليات للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضته اذا بهته وعن
عكرمة العضه السجربلسان قرئش فتقصاتها على الاول واووعلى الثاني هاء (فوربك لنسألهم أجمعين) أي
لنسأل ان يوم القيامة

أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبخ وتغريغ (عما كانوا يعملون) في الدنيا من قول وفعل وترك
 فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والعصية دخولا ولبا والجزئ بينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديدونا كيدا لو عيد
 ما لا يخفى والغناء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفي العرض لوصف الرتبة مضافا إليه عليه الصلاة
 والسلام اظهارا للطف به عليه الصلاة والسلام ﴿ ٤٢٠ ﴾ (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صريح بالحجة

إذا تكلم بها جهارا
 أو افرق بين الحق
 والباطل وأصله الابانة
 والتمييز وما مصدرية
 أو موصولة والعائد
 محذوف أي ما تؤمر به
 من الشرائع المودعة
 في تضاعيف ما أوتيته
 من المثاني السبع والقرآن
 العظيم (وأعرض
 عن المشركين) أي
 لا تلتفت الى ما يقولون
 ولاتبال بهم ولا تصد
 للانتقام منهم (انا كفيلاك
 المستهزئين) بقصمهم
 وتدميرهم قيل كانوا خسة
 من أشراف قريش
 الولدين المغيرة والعاص
 بن وائل والحزن بن قيس
 بن السلاطمة والاسود
 بن عبد يغوث والاسود
 بن المطلب يساعون
 في إيذاء النبي صلى الله
 عليه وسلم والاستهزاء به
 فزل جبريل عليه الصلاة
 والسلام فقال قد أمرت
 أن أكفيكم فأومأ الى ساق
 الوليد فر بنبال فتعلق
 بشو به سهم فلم يعطف
 تعظما لاخذه فأصاب

الولدين المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد
 يغوث قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكم فأومأ الى عقب
 الوليد فر بنبال فتعلق بشو به سهم فلم يعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه
 مات وأومأ الى أخص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت
 رجله حتى صارت كالراحات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى وأشار الى أنف
 عدي بن قيس فانتفخت فيها فمات وأشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة
 فجعل ينطح برأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات واعلم ان المفسرين
 قد اختلفوا في عددهؤلاء المستهزئين وفي أسمائهم وفي كيفية طريق استهزائهم ولا حاجة
 الى شيء منها والقدر المعلوم انهم طبقة لهم قوة وشوكة ورياسة لأن أمثالهم هم الذين
 يقدرون على اظهار مثل هذه السفاهة مع مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في علوقه
 وعظم منصبه ودل القرآن على ان الله تعالى أفتاهم وأبادهم وأزال كيدهم والله أعلم
 ﴿ قوله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من
 الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ﴾ اعلم انه تعالى لما ذكر أن قوم يدسفهون عليه
 ولا سيما أولئك المقتسمون وأولئك المستهزئون قال له ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
 بما يقولون لأن الجبل البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك فغند هذا قاله فسبح
 بحمد ربك فامر به بأربعة أشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف الناس
 في أنه كيف صار الاقبال على هذه الطاعات سببا لزال ضيق القلب والحزن فقال
 العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات انكشفت له أضواء
 عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلي حقة واذا صارت حقة
 خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها
 وعند ذلك يزول الحزن والغم وقالت المعتزلة من اهتدوا به الله تعالى عن القباح سهل
 عليه تحمل المشاق فانه يعلم انه عدل مبره عن انزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فحينئذ
 يطيب قلبه وقال أهل السنة اذا نزل بالعباد بعض المكاهة فرغ الى الطاعات كأنه يقول
 نجب على عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو القنيتي في المكروهات وقوله واعبد ربك
 حتى يأتيك اليقين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الموت وسمى الموت باليقين لانه أمر
 متيقن فان قيل فأي فائدة لهذا التوقف مع أن كل أحد يعلم انه اذا مات سقطت عنه
 العبادات قلنا المراد منه واعبد ربك في زمان حسانك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة
 عن هذه العبادة والله أعلم ثم تفسير هذه السورة والمجد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا
 محمد وآله وسلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وحكي الاصم عن بعضهم ان كلهم امدنية
 وقال آخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدني ومساواه فكي وعن قتادة بالكس

عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت ﴿ واعلم ﴿
 رجله حتى صارت كالراحات وأشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمى والى أنف الحزن فانتفخت فمات والى
 الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (الذين

يحملون مع الله الها آخر) وصفهم بذلك تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنا الخطاب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجتمعوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه (فسوف يعلمون) عاقبة ماياتون ويذرون (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من كلات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحملة الجملة بالتاكيد لا فائدة تحقيق * ٤٢١ * ما تضمنه من التسليمة وصيغة الاستقبال لا فائدة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجب

من أقوال الكفرة (فسبح بحمده بك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والخرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي العرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والاشعار بعله الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد (وكن من الساجدين) أى المصلين يكفك ويكشف الغم عنك أو فترهه عما يقولون ملتبسا بحمده على أن هذا الحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان اذا حزن به أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك) دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى واشار الاظهار رباً لعنوان السالف آتفا لتاكيد ماسبق من اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام

واعلم ان هذه السورة تسمى سورة النعم وهى مائة وعشرون وثمان آيات (مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن معرفة تفسير هذه الآية مرتبة على سؤالات ثلاثة (فالسؤال الاول) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب يوم القيامة وهو الذى يحصل عند قيام الساعة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئاً من ذلك احتجوا بذلك على تكذيبه وطلبوا منه الاتيان بذلك العذاب وقالوا له انتباه وروى أنه لما نزل قوله تعالى اقترب الساعة وانشق القمر قال الكفار فيما بينهم ان هذا زعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كأن فلان أخرت قالوا ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظر ايامها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه والحاصل انه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه الى الكذب فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه وفي تقرير هذا الجواب وجهان (الاول) انه وان لم يأت ذلك العذاب الا أنه كان واجب الوقوع والشيء اذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد انه قد أتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها قد جاءك الغوث فلا تجزع (الوجه الثاني) وهو أن يقال ان أمر الله بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع فأما المحكوم به فاعلم ان يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجئ ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود والحاصل كأنه قيل أمر الله وحكمه بوقوع العذاب قد حصل ووجد من الازل الى الابد فصح قولنا أتى أمر الله الا أن المحكوم به والمأمور به انما لم يحصل لانه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت (السؤال الثاني) قالت الكفار هب اناس لنا لك يا محمد صحة ما تقول من أنه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا أننا نعبد هذه الاصنام فانها شفعاؤنا عند الله فهي تشفع لنا عنده فنخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الاصنام فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون فزعه نفسه عن شركة الشركاء والاضداد والانداد وأن يكون لاحد من الارواح والاجسام أن يشفع عنده الاباذنه وما في قوله عما يشركون يجوز أن تكون مصدرية والتقدير سبحانه وتعالى عن اشراكهم ويجوز أن تكون بمعنى الذى أى سبحانه وتعالى عن هذه الاصنام التى جعلوها شركاء لله لانها جادات خبيثة فأى مناسبة بينهما وبين

والاشعار بعله الامر بالعباد (حتى يأتبك اليقين) أى الموت فانه متيقن المحقق بكل شئ مختلف واسناد الاتيان اليه للايدان بأنه متوجه الى الحى طالب للوصول اليه والمعنى دم على العباد ما دمت حيا من غير اخلال لحظة * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستنهزين بحمد صلى الله عليه وسلم

(سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (اتى امر الله) أى الساعة أو ما يعمها
وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتخيم والنهويل واللايدان بأن تحققه في نفسه واتباعه منوط
بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتباعه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوق في سلك الواقع أو عن اتیان مباديه
القريبة على نهمج اسناد حال الاسباب الى المسببات وأياما كان ففيه * ٤٢٢ * تنبيه على كمال قرب به من الوقوع

واتصاله وتكميل لحسن
موقع التفرع في قوله
عز وجل (فلا تستعجلوه)
فان النهى عن استعجال
الشيء وان صرح تفرعه
على قرب وقوعه أو على
وقوع أسبابه القريبة
لكنه ليس بمثابة تفرعه
على وقوعه اذ بالوقوع
يستعمل الاستعجال
رأسا لا بما ذكر من قرب
وقوعه ووقوع مباديه
والخطاب للكفرة
خاصة كما تدل عليه
القراءة على صيغة نهى
الغائب واستعمالهم
وان كان بطريق
الاستهزاء ولكنه حل
على الحقيقة وهو اعنه
بضرب من التهمك لاعم
المؤمنين سواء أريد
بأمر الله ما ذكر أو
العذاب الموعود للكفرة
خاصة أما الاول فلا يه
لا يتصور من المؤمنين
استعجال الساعة أو ما
يعمها وغيرها من العذاب
حتى يعمهم النهى عنه
وأما الثاني فلا ن
استعمالهم بطريق

أدون الموجودات فضلا عن أن يحكم بكونها شركاء لمدير الأرض والسموات (السؤال
الثالث) هب انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسراء وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف
يمكنك أن تعرف هذه الاسرار التي لا يعلمها الا الله وكيف صرت بحيث تعرف اسرار
الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح من
أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون وتقر بهذا الجواب انه
تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده وأمر ذلك العبد بأن يبلغ الى سائر الخلق
ان اله العالم واحد كلفهم معرفة التوحيد والعبادة وبين أنهم ان فعلوا ذلك فازوا بخير
الدنيا والآخرة وان تردوا وقوا في شر الدنيا والآخرة فهذا الطريق صار مخصوصا
بهذه المعارف من دون سائر الخلق وظهر بهذا الترتيب الذى لخصناه أن هذه الآيات
منظمة على أحسن الوجوه والله أعلم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع
وعاصم وحزرة والكسائي ينزل بالياء وكسر الزاى وتشديد هاء الملائكة بالنصب وقرأ ابن
كثير وأبو عمر وينزل بضم الياء وكسر الزاى وتخفيفها والاول من التفعيل والثاني من
الافعال وهما الغتان (المسئلة الثانية) روى عن عطاء عن ابن عباس قال يريد بالملائكة
جبريل وحده قال الواحدى وتسمية الواحد باسم الجمل اذا كان ذلك الواحد رئيسا
مقدما جائز كقوله تعالى انا أرسلنا نوحا الى قومه وانا أنزلناه وانا نحن نزلنا الذكر وفي حق
الناس كقوله الذين قال لهم الناس فيه قول آخر سياتى شرحه بعد ذلك وقوله بالروح
من أمره فيه قولان (الاول) أن المراد من الروح الوحي وهو كلام الله ونظيره قوله تعالى
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده
قال أهل التحقيق الجسد موات كسيف مظلم فاذا اتصل به الروح صار حيا لطيفا نورانيا
فظهرت آثار النور في الحواس الخمس ثم الروح أيضا ظلمانية جاهلة فاذا اتصل بالعقل بها
صارت مشرقة نورانية كما قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعملون شيئا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ثم العقل أيضا ليس بكامل التورانية والصفاء
والاشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم
الارواح والاجساد وعالم الدنيا والآخرة ثم ان هذه المعارف الشريفة الالهية لاتكمل
ولا تصفو الا بنور الوحي والقرآن اذا عرفت هذا فنقول القرآن والوحي به تكمل
المعارف الالهية والمكاشفات الربانية وهذه المعارف بهابشرق العقل وبصفو وبكمل
والعقل به يكمل جوهر الروح والروح به يكمل حال الجسد وعند هذا يظهر أن الروح
الاصلى الحقيقى هو الوحي والقرآن لان به يحصل الخلاص من ردة الجهالة ونوم الغفلة
وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية الى أوج الملكية فظهر أن اطلاق لفظ الروح
على الوحي في غاية المناسبة والمساكمة ويمحقوى ذلك انه تعالى أطلق لفظ الروح على
جبريل عليه السلام في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وعلى عيسى عليه السلام

الحقيقة واستعمال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفت فلا ينظمهما صيغة واحدة والاتجاه * في قوله *
الى ارادة معنى مجازى يعمها معسا من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل
الجليل وما روى من انه لما نزلت اقتربت

الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتي ننظر ما هو كان فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فزنت اقرب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قر بها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فزنت اني امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستجلبوه اطعموا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لاماتوهم من ﴿ ٤٣٣ ﴾ أن التصدير بالغائب انه بمعزل عن آياته حسبما تحققت

بل لان مناط امتثالهم انما هو وقوفهم على أن المراد بالآيات هو الاتيان الادعائي لا التحقيقي الموجب لاستحالة الاستجبال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما أن النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستجبال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم الوقوع المستجبل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستجبل كائن من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استجبالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعد للكفرة خاصة لكن الذي يقضي به الاجاز ان ينزل بلى انه خاص بالكفرة كما استفد عليه ولما كان استجبالهم ذلك من نتائج اشراكهم

في قوله روح الله وانما حسن هذا الاطلاق لانه حصل بسبب وجودهما حياة القلب وهي الهداية والمعارف فلما حسن اطلاق اسم الروح عليهما هذا المعنى فلان يحسن اطلاق لفظ الروح على الموحى والتنزيل كان ذلك أولى (والقول الثاني) في هذه الآية وهو قول أبي عبيدة ان الروح ههنا جبريل عليه السلام والباء في قوله بالروح بمعنى مع كقولهم خرج فلان بتيابه أي مع ثيابه وركب الأمير بسلاحه أي مع سلاحه فيكون المعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل والاول اقرب وتقرير هذا الوجه أنه سبحانه وتعالى ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم جبريل وحده بل في أكثر الاحوال كان ينزل مع جبريل أفواجا من الملائكة ألا ترى ان في يوم بدر وفي كثير من الغزوات كان ينزل مع جبريل عليه السلام أقوام من الملائكة وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ملك الجبال وتارة ملك البحار وتارة رضوان وتارة غيره وقوله من أمره يعني ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بأمر الله تعالى ونظير قوله تعالى وما ننزل الا بأمر ربك وقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقوله وهم من خشيتهم مشفقون وقوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الاعمال الا بأمر الله تعالى واذنه وقوله على من يشاء من عباده يريد الانبياء الذين خصهم الله تعالى برسالته وقوله أن أُنذروا قال الزجاج أن يدل من الروح والمعنى ينزل الملائكة بأن أُنذروا أي أعلموا الخلائق أنه لا اله الا أنا والانذار هو الاعلام مع التخويف (المسئلة الثالثة) في الآية فوائد الفائدة الاولى أن وصول الوحي من الله تعالى الى الانبياء لا يكون الا بواسطة الملائكة ومما يهوى ذلك أنه تعالى قال في آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله سبحانه ثم أتبعه بذكر الملائكة لانهم هم الذين يتلقون الوحي من الله ابتداء من غير واسطة وذلك الوحي هو الكتب ثم ان الملائكة يتوصلون ذلك الوحي الى الانبياء فلا جرم كان الترتيب الصحيح هو الابتداء بذكر الله تعالى ثم بذكر الملائكة ثم بذكر الكتب وفي الدرجة الرابعة بذكر الرسل اذا عرفت هذا فقول اذا أوحى الله تعالى الى الملك فعمل ذلك الملك بأن ذلك الوحي وحى الله علم ضروري أو استدلالى ويتقدير أن يكون استدلاليا فكيف الطريق اليه فهذه مقامات ضيقة وتنام العلم بها لا يحصل الا بالاستدلال فكيف الطريق الى كيفية وحى الله اليه وكيفية تبليغ الملك ذلك الوحي الى الرسول فلما اذا أجرينا هذه الامور على الكلمات المأوذة صعب المرام وزال النظام وذلك لان آيات القرآن ناطقة بأن هذا الوحي والتنزيل انما حصل من الملائكة أو نقول هب ان آيات القرآن لم تدل على ذلك الا أن احتمال كون الامر كذلك قائم في بدعيه العقل

المستنع لسببه الله عز وجل الى ما لا يليق به من الحجز والاحتياج الى التغير واعتقاد أن احدا يحجزه عن انجاز وعده وامضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه ان صمم بحج العذاب فالاصنام تخلصنا عنه

بشفاعتها رد ذلك فقبل بطريق الاستئناف (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تزهو وتقدس بذاته وجل عن أشرا كهم المؤدى الى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن ان يكون له شريك في دفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشرا كهم واستمراره والانتفات الى الغيبة للإيدان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شأنهم ﴿ ٤٢٤ ﴾ لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بال مؤمنين تقوت هذه النكتة كما يفوت

ارتباط المنهى عنه بالنزعة عنه وقرئ على صيغة الخطاب (ينزل الملائكة) بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيه الجالبا بديان تقديس جناب الكبرياء وتعالى عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه شيء في شيء وايدان بانه دين أجمع عليه جمهور الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمر وادعوه الناس اليه مع الإشارة الى سر البعثة والشرع وكيفية لقاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول عليه الصلاة والسلام بآتيان ما واعدهم به وبافترا به اذاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بذلك واظهار البطون رأبهم في الاستجبال والتكذيب وإشرا صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام

واذا عرفت هذا فنقول لا نعلم كون جبريل عليه السلام صادقا معصوما عن الكذب والتليس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على أن محمد أصلي لله عليه وسلم صادق وصدقه يتوقف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله تعالى لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بأن جبريل صادق بحق مبرأ عن التليس وعن أفعال الشيطان وحينئذ يلزم الدور فهذا مقام صعب أما اذا عرفنا حقيقة النبوة وعرفنا حقيقة الوحي زالت هذه الشبهة بالكلية والله أعلم (المسئلة الرابعة) هذه الآية تدل على أن الروح المشار اليها بقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره ليس الا مجرد قوله لا اله الا أنا فأتقون وهذا كلام حق لأن مراتب السعادات البشرية أربعة أولها النفسانية وثانيها البدنية وفي المرتبة الثالثة الصفات البدنية التي لا تكون من الوازم وفي المرتبة الرابعة الامور المنفصلة عن البدن (أما المرتبة الاولى) وهي الكمالات النفسانية فاعلم ان النفس لها قوتان احدهما استعدادها لقبول صور الموجودات من عالم الغيب وهذه القوة هي القوة السمعية بالقوة النظرية وسعادة هذه القوة في حصول المعارف وأشرف المعارف وأجلها معرفة انه لا اله الا هو واليه الإشارة بقوله أن أنذروا أنه لا اله الا أنا والقوة الثانية للنفس استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم وهذه القوة هي القوة السمعية بالقوة العملية وسعادة هذه القوة في الاتيان بالاعمال الصالحة وأشرف الاعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى واليه الإشارة بقوله فأتقون ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية لا جرم قدم الله تعالى كالات القوة النظرية وهي قوله لا اله الا أنا على كالات القوة العملية وهي قوله فأتقون (وأما المرتبة الثانية) وهي السعادات البدنية فهي أيضا قسمان الصحة الجسدية وكالات القوى الحيوانية أعني القوى السبع عشرة البدنية (وأما المرتبة الثالثة) وهي السعادات المتعلقة بالصفات العرضية البدنية فهي أيضا قسمان سعادة الاصول والفروع أعني كمال حال الآتياء وكمال حال الاولاد (وأما المرتبة الرابعة) وهي أخس المراتب فهي السعادات الحاصلة بسبب الامور المنفصلة وهي المال والجاه فنثبت ان أشرف مراتب السعادات هي الاحوال النفسانية وهي محصورة في كالات القوة النظرية والعملية فلهذا السبب ذكر الله ههنا أعلى حال هاتين القوتين فقال أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فأتقون ﴿ ٤٢٤ ﴾ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون) اعلم أنه تعالى لما بين فيما سبق ان معرفة الحق لذاته وهي المراد من قوله أنه لا اله الا أنا ومعرفة الخير لاجل العمل به وهي المراد من قوله فأتقون روح الارواح ومظلم السعادات ومنبع الخسرات والكرامات اتبعه بذكر الدلائل على وجود الصانع الاله تعالى وكمال قدرته وحكمته واعلم انا بينا ان دلائل الالهيات اما التمسك بطريقة الامكان في الذوات وفي الصفات أو التمسك بطريقة الحدوث في الذوات وفي الصفات أو بمجموع الامكان والحدوث

قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان ريسا أو هو ومن معه من حفظه الوحي بأمر الله تعالى وقرئ ﴿ في ﴾ ينزل من الانزال ونزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التزييل (بالروح) أي بالوحي الذي من جلته

العران على وجه استعاره فانه يحى القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بانفعل او بما هو حال من مفعوله أى ملتبس بالروح (من أمره) ﴿ ٤٢٥ ﴾ بيان للروح الذى أراده الوحي فانه أمر بالخير وأحوال

منه اى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه أو صفه له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من أمره الناشئ منه أو متعلق به ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيا بينهم اى يزيلهم بأمره (على من يشاء من عبادهم) أن يزيلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك (أن أنذروا) بدل من الروح اى يزيلهم ملتبسين بأن أنذروا أى بهذا القول والمحاطون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والأمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للأمر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وأن اما محققة من أن وضيم الشأن الذى هو اسمها محذوف أى يزيلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو مفسرة على أن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كأنه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عبادهم أنذروا فلا يحمل لها من الاعراب أو مصدرية ﴿ ٥٤ ﴾ خا لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وأن أم وجهك حسبا ذكر فى أوائل سورة هود فعملها الجر على البدلية أيضا والانذار الاعلام خلافاً منه مختص بالاعلام المحذوران نذر بالشئ اذا علمه فحذره

فى الذوات أو الصفات فهذه طرق ستة والطريق المذكور فى كتب الله تعالى المنزلة هو التمسك بطريقة حدوث الصفات وتغيرات الاحوال ثم هذا الطريق يقع على وجهين (أحدهما) أن يتمك بالظاهر فالظاهر ترقيا الى الاخفى فالاخفى وهذا الطريق هو المذكور فى أول سورة البقرة فانه تعالى قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم فجعل تعالى تغير أحوال نفس كل واحد دليلا على احتياجه الى الخالق ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الآباء والامهات واليه الاشارة بقوله والذين من قبلكم ثم ذكر عقبيه الاستدلال بأحوال الارض وهى قوله الذى جعل لكم الارض فربا لئلا الارض أقرب اليامن السماء ثم ذكر فى المرتبة الرابعة قوله والسماء بناء ثم ذكر فى المرتبة الخامسة الاحوال المتولدة من تركيب السماء بالارض فقال وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم (اثنان من الدلائل القرآنية) أن يحتاج الله تعالى بالاشرف فلاشرف نازل الى الادون فالادون وهذا الطريق هو المذكور فى هذه السورة وذلك لانه تعالى ابتداء فى الاحتجاج على وجود الاله المختار بذكر الاجرام العالية الفلكية ثم مضى بذكر الاستدلال بأحوال الانسان ثم لث بذكر الاستدلال بأحوال الحيوان ثم رجع بذكر الاستدلال بأحوال النبات ثم ختم بذكر الاستدلال بأحوال العناصر الاربعة وهذا الترتيب فى غاية الحسن اذا عرفت هذه المقدمة فنقول (النوع الاول) من الدلائل المذكورة على وجود الاله الحكيم الاستدلال بأحوال السموات والارض فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقد ذكرنا فى تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض ان لفظ الخلق من كم وجه يدل على الاحتياج الى الخالق الحكيم ولا بأس بأن نعيد تلك الوجوه ههنا فنقول الخلق عبارة عن التقدير بمقدار مخصوص وهذا المعنى حاصل فى السموات من وجوه (الاول) ان كل جسم متناه فيقسم السماء متناه وكل ما كان متناهيا فى الحجم والقدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد والانقص أمر اجزاؤا وكل جأز فلا بد له من مقدر ومخصص وكل ما كان مفقرا الى الغير فهو محدث (الثانى) وهوان الحركة الازلية متممة لان الحركة تقتضى المسبوقية بالغير والازل يتنا فيه فالجمع بين الحركة والازل محال اذا ثبت هذا فنقول اما أن يقال ان الاجرام والاجسام كانت معدومة فى الازل ثم حدثت أو يقال انها وان كانت موجودة فى الازل الا انها كانت ساكنة ثم تحركت وعلى التقديرين فلحركاتها أول فحدثت الحركة من ذلك المبدأ دون ما قبله أو ما بعده خلق وتقدير فوجب افتقاره الى مقدر وخالق ومخصص له (الثالث) ان جسم الفلك مركب من اجزاء بعضها حصلت فى عمق جرم الفلك وبعضها فى سطحه والذى حصل فى العمق كان يعقل حصوله فى السطح وبالعكس واذا ثبت هذا كان اختصاص كل جزء بموضعه المعين أمر اجزاؤا فيفتقر الى المخصص والمقدر وبقية الوجوه المذكورة فى أول سورة الانعام واعلم انه سبحانه لما احتج بالخلق والتقدير على حدوث

فلا يحمل لها من الاعراب أو مصدرية ﴿ ٥٤ ﴾ خا لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وأن أم وجهك حسبا ذكر فى أوائل سورة هود فعملها الجر على البدلية أيضا والانذار الاعلام خلافاً منه مختص بالاعلام المحذوران نذر بالشئ اذا علمه فحذره

وأنذرهم بالامر اندازا أى أعلمهم وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا فى القاموس أى أعلموا الناس (أنه لا اله الا أنا) فالضمير الشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته الغيبة * ٤٢٦ * عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايدان من أول

الامر بفحامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الشأن بهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل يتمكن كانه قبل أنذروا أن الشأن الخطير هذا وانباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث انصاف المنذر يربى بزيادة من الاشراك وذلك كاف فى كون اعلامه اندازا وقوله سبحانه (فاتقون) خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والقاء فصيح ما إذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى يتزىل الملازمة على الانبياء عليهم السلام وأمرهم بأن يندروا الناس أنه لا شريك له فى الالهية فاتقون فى الاخلال بضمونه ومباشرة ما يتأخيه من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستجمال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعى للتوحيد شرع فى تحرير الأدلة العقلية قبيل (خلق

السموات والارض قال بعده تعالى عما يشركون والمراد أن القائلين بقدوم السموات والارض كانهم أثبتوا لله شريكا فى كونه قديما أزليا فانه نفسه عن ذلك و بين أنه لا قديم الا هو وهذا البيان ظهر أن القائدة المطلوبة من قوله سبحانه وتعالى عما يشركون فى أول السورة غير القائدة المطلوبة من ذكر هذه الكلمة ههنا لان المطلوب هناك ابطال قول من يقول ان الاصنام تشفع للكفار فى دفع العقاب عنهم والمقصود ههنا ابطال قول من يقول الاجسام قديمة والسموات والارض ازيلية فانه الله سبحانه نفسه عن أن يشاركه غيره فى ازيلية القدم والله أعلم * قوله تعالى (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) اعلم أن أشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب هو الانسان فلما ذكر الله تعالى الاستدلال على وجود الاله الحكيم بأجرام الافلاك اتبعه بذكر الاستدلال على هذا المطلوب بالانسان واعلم أن الانسان مركب من بدن ونفس فتقوله تعالى خلق الانسان من نطفة إشارة الى الاستدلال ببدنه على وجود الصانع الحكيم وقوله فاذا هو خصيم مبين إشارة الى الاستدلال بأحوال نفسه على وجود الصانع الحكيم أما الطريق الاول فقرر به أن نقول لا شك أن النطفة جسم متشابه الاجزاء بحسب الحس والمشاهدة الا أن من الأطباء من يقول انه يختلف الاجزاء فى الحقيقة وذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع فان الغذاء يحصل له فى المعدة هضم أول وفى النكبد هضم ثان وفى العروق هضم ثالث وعند وصوله الى جواهر الاعضاء هضم رابع فى هذا الوقت وصل بعض اجزاء الغذاء الى العظم وظهر فيه اثر من الطبيعة العظمية وكذا القول فى اللحم والعصب والعروق وغيرها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن عندهم هيجان الشهوة يحصل ذوبان من جملة الاعضاء وذلك هو النطفة وعلى هذا التقدير تكون النطفة جسما متشابه الاجزاء والطبائع اذا عرفت هذا فنقول النطفة فى نفسها اما أن تكون جسما متشابه الاجزاء فى الطبيعة والماهية أو يختلف الاجزاء فيها فان كان الحق هو الاول لم يجز أن يكون مقتضى تولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة فى جوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تأثرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت فى مادة متشابهة الاجزاء وجب أن يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عولوا فى قولهم البسائط يجب أن تكون اشكالها الطبيعية فى الكرة فلو كان مقتضى تولد الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب أن يكون شكلها الكرة وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا أن مقتضى لحدوث الايدان الحيوانية ليس هو الطبيعة بل فاعل مختار هو الخلق بالحكمة والتدبير والاختيار وأما القسم الثانى وهو أن يقال النطفة جسم مركب من اجزاء مختلفة فى الطبيعة والماهية فنقول بتقدير أن يكون الامر كذلك فانه يجب أن يكون تولد البدن منها بتدبير فاعل مختار حكيم وبيانه من وجوه (الاول) ان النطفة رطوبة سرية الاستحالة واذا كان كذلك كانت الاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع

السموات والارض بالحق) أى أوجدتهما على ما هما عليه من الوجه الفائق واللفظ الأدنى (تعالى) * والنسبة * وتقدس بذاته لاسيما بأفعاله التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن اشراكهم المهورد وعن شركة ما يشركونه به من

الباطل الذي لا يبدى ولا يعيدو بعد ما نبه على صفة الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيها من خلقة فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال ﴿ ٤٢٧ ﴾ (خلق الانسان) اى هذا النوع غير الفرد الاول منه (من نطفة)

جاء لا حلا ولا حرا
سبيل لا تحفظ شكلا ولا
وضعا (فاذا هو) بعد
الخلق (خصيم) منطوي
محاذل عن نفسه مكافئ
لخصوم (مبین) لخبته
لقن بها وهذا أنسب
بمقام الامتنان باعطاء
القدرة على الاستدلال
بذلك على قدرته تعالى
ووحده أو مخصص
خلقه منكره قائل
من يحيى العظام وهى
رميم وهذا أنسب بمقام
تعداد هبات الكفرة
روى أن أبى بن خلف
الجبلى أتى النبي عليه
السلام بعظم رميم فقال
يا محمد أترى الله تعالى
يحيى هذا بعد ما قدم
فترأت (والانعام)
وهى الأزواج الثمانية
من الابل والبقر والضأن
والمعزوات تصابح بمعصر
يفسره قوله تعالى
(خلقها) أو بالعطف
على الانسان وما بعده
بيان ما خلق لاجله
والذى بعده تفصيل
لذلك وقوله تعالى (لكم)
امامه متعلق بخلقها وقوله
(فيها) خبر مقدم وقوله

والنسبة فالجزء الذى هو مادة الدماغ يمكن حصوله فى الاسفل والجزء الذى هو مادة القلب قد تحصل فى الفوق واذا كان الامر كذلك وجب أن لا تكون أعضاء الحيوان على هذا الترتيب المعين أمر ادا ما ولا أكثر يا وحيث كان الامر كذلك علمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس الابتدبير الفاعل المختار الحكيم (والوجه الثانى) ان النطفة بتقدير انها جسم مركب من اجزاء مختلفة الطبائع الا أنه يجب أن يشتمل تحليل تركيبها الى أجزاء يكون كل واحد منها فى نفسه جسما بسيطا واذا كان الامر كذلك فلو كان المدبر لها قوة طبيعية لكان كل واحد من تلك البسائط يجب أن يكون شكله هو البكرة فكان يلزم أن يكون الحيوان على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا أن مدبر ابدان الحيوانات ليس هى الطبائع ولان تأثيرات الانجم والافلاك لان تلك التأثيرات متشابهة فعلمنا ان مدبر ابدان الحيوانات فاعل مختار حكيم وهو المطلوب هذا هو الاستدلال بأبدان الحيوانات على وجود الاله المختار وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة وأما الاستدلال على وجود الصانع المختار الحكيم بأحوال النفس الانسانية فهو المراد من قوله فاذا هو خصيم مبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى بيان وجه الاستدلال وتقريره ان النفوس الانسانية فى أول الفطرة أقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس سائر الحيوانات ألا ترى أن ولد الدجاجة كما يخرج من قشر البيضة يميز بين العدو والصيدى فيهرب من الهرة ويلجئ الى الام ويميز بين الغداء الذى يوافقه والغذاء الذى لا يوافقه وأما ولد الانسان فانه حال انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين العدو والصيدى ولا بين الضار والنافع فظهر ان الانسان فى أول الحدوث أنقص حالا وأقل فطنة من سائر الحيوانات ثم ان الانسان بعد كبره يقوى عقله ويعظم فهمه ويصير بحيث يقوى على مساحة السموات والارض ويقوى على معرفة ذات الله وصفاته وعلى معرفة أصناف المخلوقات من الارواح والاجسام والفلكيات والعنصريات ويقوى على اراد الشبهات القوية فى دين الله تعالى والخصومات الشديدة فى كل المطالب فانتقل نفس الانسان من تلك البلاء المفرطة الى هذه الكياسة المفرطة لا بد وأن يكون بتدبير المختار حكيم ينقل الارواح من نقصانها الى كمالها ومن جهالاتها الى معارفها بحسب الحكمة والاختيار فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين واذا عرفت هذه الدققة أمكنك التنبيه لوجه كثيرة (المسئلة الثانية) انه تعالى إنما يخلق الانسان من النطفة بواسطة تغيرات كثيرة مذكورة فى القرآن العزيز منها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الا انه تعالى اختصر ههنا لاجل ان ذلك الاستقصاء مذكور فى سائر الآيات وقوله فاذا هو خصيم مبين فيه بحثان (الاول) قال الواحدى الخصيم بمعنى الخصام قال أهل اللغة خصيمك الذى يخاصمك وفعل بمعنى مفاعل معروف كالنسب

(دفة) متدأ وهو ما بدأ به فيبقى من البرد والجملة حال من المفعول أو الظرف الاول خبر للبتد المذكور وفيها حال من دفة اذ لو تأخر لكان صفة (ومنافع) هى درهاور كوبرها وحملها والحرائث بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع أنه الانسب بمقام الامتنان بالنعمة وتقديم الدفة على المنافع

لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى (ومنها تأكلون) أى تأكلون ما يؤكل منها من الحبوب والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للابناء الى أنها الاتى عند الاكل كفى السابق واللاحق فان الدفء والمنافع ﴿٤٢٨﴾ والجمال يحصل منها وهى باقية على حالها

ولذلك جعلت محال لها بخلاف الاكل وتقدم انظر للآيدان بأن الاكل منها هو المعتاد ألتعتمد فى العاش وأن الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع أن فدمر اعاة للفواصل ويحتمل أن يكون معنى الاكل منها أكل ما يحصل ببيها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وبأثمان نتاجها وألبانها وجلودها (ولكم فيها) مع ما فصل من أنواع المتساعف الضرورية جال اى زينة فى أعين الناس ووجاهة عندهم (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراعيها بالعشى (و حين تسرحون) تخرجونها بالغداة من حظائرهما الى مسارجها فالفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقين لان ما يدور عليه أمر الجمال من تزين الافنية والاكتاف بها

بمعنى المناسب والعشير بمعنى المعاشر والاكيل والشريب ويجوز أن يكون خصم فاعلا من خصم يخصم بمعنى اختصم ومنه قراءة حرة تأخذهم وهم يخصمون (البحث الثانى) لقوله فاذا هو خصم مبين وجهان (أحدهما) فاذا هو منطبق بمجادل عن نفسه منازع للخصوم بعد ان كان نقطة قدرة وجاد الاحس له ولا حركة والمقصود منه ان الانتقال من تلك الحالة الحسنة الى هذه الحالة العالية الشريفة لا يحصل الا بتدبير مدبر حكيم عليم (والثانى) فاذا هو خصم لربه مشكرك على خاقه قائل من يحى العظام وهى رميم والقرص منه وصف الانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادى فى كفران النعمة والوجه الاول أوفق لان هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم لتقرير وقاحة الناس وتماديهم فى الكفر والكفران * قوله تعالى (والانعام خلقتكم لكم فيها دافء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جال حين تريحون وحين تسرحون) ونحمل أنفالكهم الى بلد لم تكونوا بالقيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن أشرف الاجسام الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهى الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب ثم هذه الحيوانات قسمان قسمان منها ما ينفع الانسان بها ومنها ما لا يكون كذلك والقسم الاول أشرف من الثانى لانه لما كان الانسان أشرف الحيوانات وجب فى كل حيوان يكون انتفاع الانسان به أكل وأكثراً أن يكون أكل وأشرف من غيره ثم نقول والحيوان الذى ينفع الانسان به اما أن ينفع به فى ضروريات معيشته مثل الاكل واللبس أو لا يكون كذلك وانما ينفع به فى أمور غير ضرورية مثل الزينة وغيرها والقسم الاول أشرف من الثانى وهذا القسم هو الانعام فلهذا السبب بدأ الله بذكره فى هذه الآية فقال والانعام خلقها لكم واعلم أن الانعام عبارة عن الأزواج الثمانية وهى الضأن والغزل والابل والبقر وقديقال أيضا الانعام ثلاثة الابل والبقر والغنم قال صاحب الكشف وأكث ما يقع هذا اللفظ على الابل وقوله والانعام منصوبة وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله تعالى والبقر قدرنا منازل ويجوز أن يعطف على الانسان أى خلق الانسان والانعام قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتداء وقال لكم فيها دافء ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتداء وقال فيها دافء قال صاحب النظم احسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جال والتقدير لكم فيها دافء ولكم فيها جال (المسئلة الثانية) انه تعالى لما ذكر انه خلق الانعام للمكلفين اتبعه بتعديد تلك المنافع واعلم أن منافع النعم منها ضرورية ومنها غير ضرورية والله تعالى بدأ بذكر المنافع الضرورية فالمنفعة الاولى قوله لكم فيها دافء وقد ذكر هذا المعنى فى آية أخرى فقال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها والدفء عند أهل اللغة ما يستد فآ به من

وتجواب دعائها ورغائها انما هو عند رودها وصدورها فى ذئك الوقين وأما عند كونها * الأكسية *

فى المراعى فيقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند كونها فى الحظائر لا يراها ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الراحة على السرخ لتقدم الورود على الصدور ولكونها أظهر

منه في استمتاع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الاس وابتهج ادا فيها حضور بعد عيبه واقبال بعد ادبار على
أحسن ما يكون ملائى البطون مرتعة ﴿ ٤٢٩ ﴾ الضلوع حافلة الضروع وقرى حيناتريحون وحينا

تسرحون على أن كلا
الفعلين وصف لحينا
بمعنى ترريحون فيه
وتسرحون فيه (وتحمل
أنفالكهم) جمع ثقل
وهو متاع المسافرين وقيل
أنفالكهم أجرامكم
(الى بلد) قال ابن عباس
رضى الله عنهما أر يده
الين ومصر والشام
واعله نظرا الى انها متاجر
أهل مكة وقال عكرمة
أر يده مكة واعله نظرا
ان أنفالكهم واحالهم
عند النفل من متاجرهم
أكثر وحاجتهم الى
الجملة أمس والظاهر
انه عام لكل بلد صحيح
(لم تكونوا بالغية)
واصلين اليه بأنفسكم
مجردين عن الاثقال
لولا الايل (الابشق
الانفس) فضلا عن
استحبابهم معكم وقرى
بفتح الشين وهما الغتان
بمعنى الكلفة والمشقة
وقيل المفروح مصدر
من شق الامر عليه شقا
وحقيقته راجعة الى الشق
الذى هو المصداق
والمكسور انصف كانه
يذهب نصف القوة

الاكسية قال الاصمعي ويكون الدفء السخونة يقال اقدف في دق، هذا الحائط أى
في كنهه وقرى دق بطرح الهمزة والفاء حر كنهها على الفاء والمنفعة الثانية قوله وله منافع
قالوا المراد نسلها ودرها وانما عبر الله تعالى عن نسلها ودرها بلفظ المنفعة وهو اللفظ
الدال على الوصف الاعم لان النسل والدر قد ينفع به في الاكل وقد ينفع به في البيع
بالقود وقد ينفع به بأن يندل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام
بلفظ المنافع ليتناول الكل والمنفعة الثالثة قوله ومنها تأكلون فان قيل قوله ومنها
تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه قد يؤكل من غيرها وأيضاً منفعة الاكل
مقدمة على منفعة اللبس فلم أخرج منفعته في الذكر قلنا الجواب عن الاول ان الاكل منها
هو الاصل الذي يعتمد عليه الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالدجاج والبط
وصيد البر والبحر فيشبه غير المعتاد وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أيضاً ان غالب
أطعمتكم منها لانكم تحرثون بالقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وأيضاً تكتسبون
باكرء الابل وتذنعون بألبانها وتاجها وجلودها وتشترون بها جميع أطعمتكم والجواب
عن السؤال الثاني ان اللبس أكثر بقاء من المطعوم فلها قدمه عليه في الذكر (واعلم)
ان هذه المنافع الثلاثة هي المنافع الضرورية الحاصلة من الانعام وأما المنافع الحاصلة
من الانعام التي هي ليست بضرورية فأمور (المنفعة الاولى) قوله تعالى ولكم فيها جمال
حين ترريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشى الى مراحيها حيث تأوى اليه
ليلا يقال سرح القوم بالهم سرحا اذا أخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة هذه
الاراحة أكثر ما تكون أيام الربيع اذا سقط الغيث وكثر الكلاء وخرجت العرب للنجدة
وأحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت واعلم ان وجه التجميل بها ان الراعى اذا روجها
بالعشى وسرحها بالغداة تزينت عند تلك الاراحة والتسريح الافنية وتجاوب فيها
الثغاء والغاز وفرحت أربابها وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكيين لها فان
قيل لم قدمت الاراحة على التسريح قلنا لان الجمال في الاراحة أكثر لانها تقبل ملائى
البطون حافلة الضروع ثم اجتمعت في الحضائر حاضرة لاهلها بخلاف التسريح فانها
عند خروجها الى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار فظهر ان
الجمال في الاراحة أكثر منه في التسريح (والمنفعة الثانية) قوله وتحمل أنفالكهم الى بلد
لم تكونوا بالغية الابشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم وفيه مسئلتان (الاولى) الاثقال
جمع ثقل وهو متاع المسافرين لم تكونوا بالغية الابشق الانفس قال ابن عباس يريد من مكة
الى المدينة أو الى الين أو الى الشام أو الى مصر قال الواحدى هذا قوله والمراد كل بلد
لونه كلفتم بلوغه على غير ابل لشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجر أهل مكة
كانت الى هذه البلاد وقرى بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وأكثر القراء على كسر
الشين والشق المشقة والشق نصف الشيء وحل اللفظ ههنا على كلام المعنيين جائز فان

لما ياله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية أو على تقدير مضاف اى الابشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من أع
الاشياء اى لم تكونوا بالغية بشى من الاشياء الابشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا
لله السابقة الى الجملة افعلة المقدمة لحدوث الاشياء بأن هذه النعمة

ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول الاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ وخاصة بالابل وبحسب المتعلق * ٤٣٠ * بالضرار بين في الارض المتقلين فيها للتجارة

وغبرها في احياء غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فوجوده في جميع أصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما أو في عامة الاوقات (ان ربكم رؤوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة وبسر لكم الامور الشاقة (والخيل) هو اسم جنس للفرس لا واحده من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل (والبعال) والجمير لتركبوها) تعليل بمعظم منافعها والا فلا تنفع بها بالكل ايضا لا ريب في تحققة (وزينة) عطف على محل تركبوها وتجر يده عن الام لا يكون فاعلا تفاعل الفعل المعلن دون الاول وتأخير ليكون الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف اي وتزينوا بهازينة وقرى بغيروا وای خلاها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدرا او قاعا موقع الحال من فاعل تركبوها أو مفعوله اي متزينين بها أو متزينان بها (ويخلق ما لا تعلمون) اي يخلق في الدنيا

جلناه على المشقة كان المعنى لم تكونوا بالغيد بالباشقة وان جلناه على نصف الشئ كان المعنى لم تكونوا بالغيد الا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم ويرجم عند التحقيق الى المشقة ومن الناس من قال المراد من قوله والانعام خلقها ابل فقط بدليل انه وصفها في آخر الآية بقوله وتحمل أنقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه وهذا الوصف لا يليق الا بالابل قلنا المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصلة في الكل وبعضها يختص ببعض والدليل عليه ان قوته ولكم فيها جال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الابل والله أعلم (المسئلة الثانية) اخرج منكموا كرامات الاولياء بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على ان الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق النفس وحمل الاثقال على الجمال ومثبتوا الكرامات يقولون ان الاولياء قد ينقلون من بلد الى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة فكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا ولما بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور لانه لا يقال بانفرد وجوابه أنا نخصص عموم هذه الآية بالدالة الدالة على وقوع الكرامات والله أعلم * قوله (والخيل والبعال والجمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) اعلم أنه تعالى لما ذكر منافع الحيوانات التي ينفع الانسان بها في المنافع الضرورية والنجاة الاصلية ذكر بعده منافع الحيوانات التي ينفع بها الانسان في المنافع التي ليست بضرورية فقال والخيل والبعال والجمير لتركبوها وزينة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله والخيل والبعال والجمير عطف على الانعام أي وخلق الانعام لكذا وكذا وخلق هذه الاشياء للركوب وقوله وزينة أي وخلقها زينة ونظيره قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا المعنى وحفظناها حفظا قال الزجاج نصب قوله وزينة على أنه مفعول له والمعنى وخلقها للزينة (المسئلة الثانية) اخرج القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية فقالوا منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكر الله تعالى علمنا أنه يحرم أكله ويمكن أيضا أن يقوى هذا الاستدلال من وجه آخر فيقال انه تعالى قال في صفة الانعام ومنها تأكلون وهذه الكلمة تفيد الحصر فيقتضي أن لا يجوز الاكل من غير الانعام فوجب أن يحرم أكل لحم الخيل بمقتضى هذا الحصر ثم انه تعالى بعد هذا الكلام ذكر الخيل والبعال والجمير وذكر انها مخلوقة للركوب فهذا يقتضي ان منفعة الاكل مخصوصة بالانعام وغير حاصلة في هذه الاشياء ويمكن الاستدلال بهذه الآية من وجه ثالث وهو ان قوله لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة ولو حل أكلها لما كان تمام المقصود من خلقها هو الركوب بل كان حل أكلها أيضا مقصودا وحيث يخرج جواز ركوبها عن أن يكون تمام المقصود بل يصير بعض المقصود وأجاب الواحد في جواب في غاية الحسن فقال لودلت هذه الآية على

غير ما عده من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فاعدول الى صيغة * تحريم * الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أولا ستحضر الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس

من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشبه اليه بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ^(٤٣١) على قلب بشر ويموز أن يكون هذا الخبر أباه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لسا به دلالة

على قدرته الباهرة الموجهة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نور وجمال الى جمال وعظم الى عظم ثم ينفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) التصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمة ووعد المحضوم بيان طريق المستقيم الموصل

تحريم أكل هذه الحيوانات لكان تحريم أكلها معلوما في مكة لاجل أن هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان لحوم الجمر الاهلية حُرمت عام خير باطلا لان التحريم لما كان حاصلًا قبل هذا اليوم لم يبق تخصيص هذا التحريم بهذه الشبهة فائدة وهذا جواب حسن متين (المسئلة الثالثة) القائلون بأن أفعال الله تعالى معللة بالصالح والحكم احتجوا بظاهر هذه الآية فانه يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لاجل المنفعة الفلانية ونظيره قوله كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقونه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والكلام فيه معلوم (المسئلة الرابعة) القائل أن يقول لما كان معنى الآية انه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها وليجعلها زينة لکم فلم ترك هذه العبارة وجوابه انه تعالى اودر هذا الكلام بهذه العبارة لاصار المعنى ان التزين بها أحد الامور المعتبرة في المقصود وذلك غير جائز لان التزين باشي يورث المحب والتبذير والتكبر وهذه أخلاق مذمومة والله تعالى نهى عنها وزجر عنها فكيف يقول اني خلقت هذه الحيوانات لتحصيل هذه المعاني بل قال خلقها لتركبوها فتدفعوا عن أنفسكم بواسطتها ضرر الاعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات فهذا هو لفائدة في اختيار هذه العبارة واعلم أنه تعالى لما ذكر أولا أحوال الحيوانات التي ينفع الانسان بها انتفاعا ضروريا وثانيا أحوال الحيوانات التي ينفع الانسان بها انتفاعا غير ضروري بقى القسم الثالث من الحيوانات وهي الاشياء التي لا ينفع الانسان بها في الغالب فذكرها على سبيل الاجال قتال ويخلق ما لا تعلمون وذلك لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجائب أحوالها لكان المذكور بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء ومقاتل والضحك عن ابن عباس أنه قال ان على يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيها جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمال الى جماله ثم ينفض فيخلق الله من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى أن تقوم الساعة ^(٤٣٢) وقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل ومنها جبار ولوشاء لهذا كم أجمعين) اعلم أنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل أي انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها لاجل اعذار الامة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الواحدى القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصدا اذا أدرك الى مطلوبك اذا عرفت هذا في الآية خذفي والتقدير وعلى الله بيان قصد السبيل ثم قال ومنها جبار أي عادل مائل ومعنى الجور في اللغة الميل عن الحق

لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد ينصب الاداة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه أو مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عاينه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق اكن

لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادله وقد فعل ﴿ ٤٣٢ ﴾ ذلك حيث ابداع هذه البدائع التي كل واحد

منها الاحب يهتدى بناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتباً من جلته هذا الوحي الشاطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدال بتلك الادلة المفصلة الى معالم الهدى المنجية عن فيات الضلالة ومهاسوى الردى الايرى كيف بين أولاترهب جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن أن يحوم شائبة توهم الاشراك ثم أوضح سرقاء الوحي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكيفية أمرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيتهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعالیه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريق الاستدلال فبدأ بفعاله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم فضل أفعاله المتعلقة بما بينهما

والسكنانية في قوله ومنها جارء تعود على السبيل وهي مؤنثة في لغة الخباز يعني ومن السبيل ما هو جارء غير قاصد للحق هو انواع الكفر والضلال والله أعلم (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة دللت الآية على أنه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العلل والاعذار لانه تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكذا على اللوجب قال تعالى والله على الناس حج البيت ودلت الآية أيضا على انه تعالى لا يبضل أحدا ولا يغويه ولا يبصده عنه وذلك لانه تعالى او كان فاعلا للضلال لقال وعلى الله قصد السبيل وعليه جارءها أوقال وعليه الجارء فللم يقل كذلك بل قال في قصد السبيل انه عليه ولم يقل في جور السبيل انه عليه بل قال ومنها جارء دل على انه تعالى لا يبضل عن الدين أحدا أجاب أصحابنا أن المراد على الله بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب الصحيح فلما أن بين كيفية الاغواء والاضلال فذلك غير واجب فهذا هو المراد والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله ولو شاء لهداكم أجمعين يدل على انه تعالى ماشاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة او تفيد انتقاء شئ لا انتقاء شئ غيره قوله ولو شاء لهداكم معناه لو شاء هدايتكم لهداكم وذلك يفيد انه تعالى ماشاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم وذلك يدل على المقصود وأجاب الاصم عنه بأن المراد لو شاء أن يلجئكم الى الايمان لهداكم وهذا يدل على ان مشيئة الاجلء لم تحصل وأجاب الجبائي بان المعنى ولو شاء لهداكم الى الجنة والى نيل الثواب لكنه لا يفعل ذلك الا بمن يستحقه ولم يرد به الهدى الى الايمان لانه مقدور جميع المكلفين وأجاب بعضهم فقال المراد لو شاء لهداكم الى الجنة ابتداء على سبيل التفضل الا أنه تعالى عرفكم بالمنة العظيمة بما نصب من الادلة وبين فن تمسك بها فاز بتلك المنازل ومن عدل عنها فاتته وصار الى العذاب والله أعلم واعلم ان هذه الكلمات قد ذكرناها مرارا وأطوارا مع الجواب فلافائدة في الاعادة ﴿ قوله تعالى ﴾ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه يسمون ثبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والاعتباب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) اعلم ان أشرف أجسام العالم السفلى بعد الحيوان النبات فلما قرر الله تعالى الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بمجائب أحوال الحيوانات أتبعه في هذه الآية بذكر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بمجائب أحوال النبات واعلم ان الماء المنزل من السماء هو المطر وأما ان المطر نازل من السحاب أو من السماء فقد ذكرناه في هذا الكتاب مرارا والحاصل ان ماء المطر قسمان أحدهما هو الذي جعله الله تعالى شرابا لنا وكل شئ وهو المراد بقوله لكم منه شراب وقديين الله تعالى في آية أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شئ حي فان قيل أفقولون ان شرب الخلق ليس الامن المطر أو تقولون قديكون منه وقد يكون من غيره وهو الماء الموجود في قعر الارض أجاب القاضي بأنه تعالى بين ان المطر شرابنا ولم ينف أن نشرب من غيره ولقائل أن يقول ظاهر الآية يدل على الحصر لان قوله لكم منه

فبدأ بفعاله المتعلق بانفس مخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته ﴿ شراب ﴾ على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كاترى بيان للسبيل التوحيد غيب بيان وتعديله أي بتعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة

القصد اليه وقوله تعالى (ومنها) في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه وامانة ذي الموصوف كافي قوله تعالى
ومنادون ذلك وقدم في قوله تعالى ومن الناس من ﴿ ٤٣٣ ﴾ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ أى بعض السبيل

أو بعض من السبيل
فانها تؤنث وتذكر (جاء)
أى مائل عن الحق
منحرف عنه لا يوصل
سالكه اليه وهو طررق
الضلال التي لا يكاد
يحصى عددها المندرج
كلها تحت الجأرو على
الثاني نفس السبيل
المستقيم والضمير في
منها راجع إليها بتقدير
المضاف أى ومن جنسها
لما عرفت من أن تعديل
السبيل وتقويمه ابتداء
ابتداء على وجه الاستقامة
والعدالة لا تقويمه بعد
انحرافه وأيا ما كان
فليس في النظم الكريم
تغيير الأسلوب رعاية
لامر مطلوب كإقيل فان
ذلك انما يكون فيما
اقتضى الظاهر سبكا
معينا ولكن يعدل عن
ذلك لتكن أهم منه
كافي قوله سبحانه الذي
يطعمني ويسقيني واذا
مرضت فهو يشفين
فان مقتضى الظاهر ان
يقال والذي يستعني
ويشفين ولكن غير الى
ما عليه النظم الكريم
تماما عن اسناد ما نكرهه

شراب يفيد الحصر لان معناه منه لامن غيره اذا ثبت هذا فنقول لا يمتنع أن يكون
الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر يسكن هناك والدليل عليه قوله تعالى
في سورة المؤمنين وأترلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الارض ولا يمتنع أيضا
في غير العذب وهو الجران يكون من جملة ماء المطر والقسم الثاني من المياه
النازلة من السماء ما يجعله الله سببا لتكوين النبات واليه الإشارة بقوله ومنه
شجر فيه تسميون الى آخر الآية وفيه مباحث (البحث الاول) ظاهر هذه الآية
يقضى ان اسامة الشجر ممكنة وهذا انما يصح لو كان المراد من الشجر الكلا والعشب
وهنا قولان (الاول) قال الزجاج كل ما ثبت على الارض فهو شجر وأنشد
يطعمها اللحم اذا عر الشجر * يعنى أنهم يسقون الخيل اللبن اذا أجذبت الارض وقال
ابن قتيبة في هذه الآية المراد من الشجر الكلا وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعنى الكلا ولقائل أن يقول انه تعالى قال والنجم والشجر يسجدان والمراد من
النجم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق هكذا قال المفسرون وبالجملة
فلما عطف الشجر على النجم دل على التغاير بينهما ويمكن أن يجاب عنه بأن عطف الجنس
على النوع وبالضد مشهور وأبضا فلفظ الشجر مشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم
اذا اختلط أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرماح اذا اختلطت وقال تعالى حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلا فوجب جواز
اطلاق لفظ الشجر عليه (القول الثاني) ان الابل تقدر على رعى ورق الاشجار الكبار
وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى ما ذكرناه في القول الاول (البحث الثاني) قوله فيه تسميون
أى في الشجر ترعون مواشيكم يقال أسميت الماشية اذا خليتها ترعى وسامت هى تسوم
سوما اذا رعت حيث شاءت فهى سوام وسائمة قال الزجاج أخذ ذلك من السومة وهى
العلامة وتأويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات وقال غيره لانها تعلم للارسال في
المرعى ونعم الكلام في هذا اللفظ قد ذكرناه في سورة آل عمران في قوله تعالى والخيول
المسومة أما قوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ففيه مباحث
(البحث الاول) هو ان النبات الذي ينبت الله من ماء السماء قسمان أحدهما معدل على
الانعام واسامة الحيوانات وهو المراد من قوله فيه تسميون والثاني ما كان مخلوقا لكل
الانسان وهو المراد من قوله ينبت لكم به الزرع والزيتون فان قيل انه تعالى بدأ في هذه
الآية بذكر ما يكون مرعى للحيوانات وأتبعه بذكر ما يكون غذاء للانسان وفي آية أخرى
عكس هذا الترتيب فبدأ بذكر ما كولا الانسان ثم بما رعاه سائر الحيوانات فقال كولا
وارعوا أنعامكم فا الغائدة فيه قلنا أما الترتيب المذكور في هذه الآية فبينه على مكارم
الاخلاق وهو أن يكون اهتمام الانسان بمن يكون تحت يده أكمل من اهتمامه بحال
نفسه وأما الترتيب المذكور في الآية الإخرى فالله قصود منه ما هو المذكور في قوله عليه

النفس اليه سبحانه وليس ﴿ ٥٥ ﴾ خا المراد بيان قصد السبيل مجرد اعلام أنه مستقيم حتى يصح اسناد أنه
جاء اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو أريد ذلك لم يوجد لتغيير الأسلوب نكتة وقد بين ذلك
في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الأدلة لهداية الناس اليه ولا إمكان لاسناد مثله

اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بأن يقال وجارها حتى يصرف ذلك الاستدلاله تعالى الى غيرة لشكته تستدعيه ولايتوهمه متوهم حتى يقتضى الحال دفع ذلك بأن يقال ﴿ ٤٣٤ ﴾ لا جأرها ثم يغيبك النظم عن ذلك لداعية أقوى

منه بل الجملة الظرفية اعتراضية بجى بها البيان الحاجة الى البيان والتعديل واطهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الأدلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاعتداء بالنية فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رجليه بل هو محض بحكمته حيث يستدعى تسوية المحسن والمسي والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه أشير بقوله تعالى (ولو شاء لهداكم أجمعين) أى لو شاء أن يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه بالنية مستلزمة لا هداية لكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها والاحكامه في تلك المشيئة لما أن

السلام بدأ بنفسك ثم بمن تعول (البحث الثاني) قرأ عاصم في رواية أبي بكر نبت بالنون على التفخيم والباقون بالياء قال الواحدي والياء أشبه بما تقدم (البحث الثالث) اعلم ان الانسان خلق محتاجا الى الغذاء والغذاء اما ان يكون من الحيوان أو من النبات والغذاء الحيوانى أشرف من الغذاء النباتى لان تولد أعضاء الانسان عند أكل أعضاء الحيوان أسهل من تولدها عند أكل النبات لان المشاهدة هناك أكل وأثم والغذاء الحيوانى انما يحصل من اسامد الحيوانات والسعى في نبتها بواسطة الرعى وهذا هو الذى ذكره الله تعالى في الاسامة وأما الغذاء النباتى قسمان حبوب وفواكه أما الحبوب فاليها الاشارة بلفظ الزرع وأما الفواكه فأشرفها الزيتون والتخيل والاعناب أما الزيتون فلانه فاكهة من وجهه وادام من وجه آخر لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة في الاكل والطلى واشتعال السرج وأما اميتياز التخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر معلوم وكأنه تعالى لما ذكر الحيوانات التى ينفع الناس بها على التفصيل ثم قال في صفة البقية ويخلق ما لا تعلمون فكذلك ههنا لما ذكر الانواع المنتفع بها من النبات قال في صفة البقية ومن كل الثمرات تنبيهها على ان تفصيل القول في أجناسها وأنواعها وصفاتها ومنافعها لا يمكن ذكره في مجلدات فالاولى الاقتصار فيه على الكلام المجمل ثم قال ان في ذلك لاية تقوم يتفكرون وههنا بحثان (الاول) في شرح كون هذه الاشياء آيات دالة على وجود الله تعالى فنقول ان الحبة الواحدة تقع في الطين فاذا مضت على هذه الحالة مقادير معينة من الوقت نفدت في داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الارض ونداوتها فتنفخ الحبة فيشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الارض الى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الارض وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ثم ان تلك الشجرة لاتزال تزداد وتنمو وتقوى وتم يخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمرة تشتمل على أجسام مختلفة الطبائع مثل العنب فان قشره وعجمه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماؤه حاران رطبان لطيفان اذا عرفت هذا فنقول نسبة الطبائع السفلية الى هذا الجسم متشابهة ونسبة التأثيرات الفلكية والتحريكات الكوكبية الى الكل متشابهة ومع تشابه نسب هذه الاشياء ترى هذه الاجسام مختلفة في الطبع والطعم واللون والرائحة والصفة فدل صريح العقل على ان ذلك ليس الا لاجل فاعل قادر حكيم رحيم فهذا تقدير هذه الدلالة (البحث الثاني) انه تعالى ختم هذه الآية بقوله لقوم يتفكرون والسبب فيه انه تعالى ذكر أنه أنزل من السماء ماء فأنبث به الزرع والزيتون والتخيل والاعناب ولقائل أن يقول لانسم الله تعالى هو الذى أنبتنا ولم لا يجوز أن يقال ان هذه الاشياء انما حدثت وتولدت بسبب تعاقب الفصول الاربعه وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب واذا عرفت هذا السؤال فالحال يتم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون هذا الدليل تاما وافيابا فاداة هذا المطلوب بل

الذى عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئى الذى عليه يترتب يكون الاعمال التى بها ينط الجراء هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه

البه على نفع الاستقامة وإيتار حرف الاستعلاء على أداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تشبيلي من غير أن يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا ﴿ ٤٣٥ ﴾ كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم

فالقصد صدر بمعنى
الفاعل والمراد بالسبيل
الجنس كما مر وقوله
تعالى ومنها جار معطوف
على الجملة الأولى والمعنى
أن قصد السبيل وأصل
إليه تعالى بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه
ولو شاء لهداكم جميعا
إلى الأول وأنت خير
بأن هذا حق في نفسه
ولكنه يعزل عن زكته
موجبة لتوسطه بين
ما سبق من أدلة التوحيد
وبين ما لحق ولما بين
الطريق السمعى للتوحيد
على وجه اجالى وفصل
بعض أدلته المتعلقة
بأحوال الحيوانات وعقب
ذلك ببيان السر الداعى
إليه بعثا للخطاطين
على التأمل فيما سبق
وحشا على حسن التلقى
لما لحق أتبع ذلك ذكر
ما يدل عليه من أحوال
النبات فقيل (هو الذى
أنزل) بقدرته القاهرة
(من السماء) أى من
السحاب أو من جانب
السماء (ماء) أى نوعا منه
وهو المطر وأخبره عن
المجرور لما مر من أحوال

يكون مقام الفكر والتأمل باقيا فلهذا السبب ختم هذه الآية بقوله لقوم يتفكرون
* قوله تعالى (وتنزل لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أن في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه أن في ذلك لايات لقوم يذكرون) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أن الله تعالى أجاب في هذه الآية عن السؤال الذى ذكرناه من وجهين (الأول) أن نقول هب أن حدوث الحوادث في هذا العالم السفلى مستندة إلى الاتصالات الفلكية والتشكلات الكوكبية لأنه لا بد لحركاتها واتصالاتها من أسباب وأسباب تلك الحركات اما ذواتها واما أمور مغايرة لها والأول باطل لوجهين (الأول) أن الاجسام متماثلة فلو كان جسم علة لصفة لكان كل جسم واجب الاتصاف بتلك الصفة وهو محال (والثاني) أن ذات الجسم لو كانت علة لحصول هذا الجزء من الحركة لوجب دوام هذا الجزء من الحركة بدوام تلك الذات ولو كان كذلك لوجب بقاء الجسم على حالة واحدة من غير تغير أصلا وذلك يوجب كونه ساكنا و يمنع من كونه متحركا فثبت أن القول بأن الجسم متحرك لذاته يوجب كونه ساكنا لذاته وما أفضى ثبوته إلى عدمه كان باطلا فثبت أن الجسم يمنع أن يكون متحركا لكونه جسميا فبقى أن يكون متحركا لغيره وذلك الغير أن أما يكون سارا يافيه أو مبايناعنه والأول باطل لأن البحث المذكور عائد في أن ذلك الجسم بعينه لم يختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فثبت أن محرك اجسام الافلاك والكواكب أمور مباينة عنها وذلك المبين أن كان جسميا أو جسميا نيا عاد التقسيم الأول فيه وإن لم يكن جسميا ولا جسميا نيا فاما أن يكون موجبا بالذات أو فاعلا مختارا والأول باطل لأن نسبة ذلك الموجب بالذات إلى جميع الاجسام على السوية فلم يكن بعض الاجسام يقبل بعض الآثار المعينة أولى من بعض ولما بطل هذا ثبت أن محرك الافلاك والكواكب هو الفاعل المختار القادر الممتزج عن كونه جسميا وجسمانيا وذلك هو الله تعالى فالخاصل أنا ولو حكمنا باستناد حوادث العالم السفلى إلى الحركات الفلكية والكوكبية فهذه الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن أسنادها إلى أفلاك أخرى والازم التسلسل وهو محال فوجب أن يكون خالق هذه الحركات ومديرها هو الله تعالى وإذا كانت الحوادث السفلية مستندة إلى الحركات الفلكية وثبت أن الحركات الفلكية حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه فكان هذا اعترافا بأن الكل من الله تعالى وبأحداثه وتخايقه وهذا هو المراد من قوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر يعنى أن كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لا بد وأن يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخير قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل في هذا المقام لاجرم ختم هذه الآية بقوله أن في ذلك لايات لقوم يعقلون يعنى أن كل من كان عاقلا علم أن القول بالتسلسل باطل ولا بد من الانتهاء في آخر الامر إلى الفاعل المختار القدير فهذا تقر بأحد الجوابين والجواب الثانى

أن المصود هو الاخبار بأنه أنزل من السماء شيئا هو الماء لأنه أنزله من السماء والسرفيه ما سلف من أن عندنا خير ما حقه التقديم يعنى الذهن متقبلا مشتاقا إليه فيمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن (لكم منه شراب) أى ما تشر بونه وهو أما من تقع بالطرف الأول أو مبتدأ وهو خبره والجملة صفة

لما والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعية وليس في تقديمه إجماع حصر المشروب فيه حتى يقتصر الى الاعتذار بأنه لا بأس به لأن مياه البون والابار منه لقوله تعالى ﴿ ٤٣٦ ﴾ فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فأسكنناه

في الارض وقيل الطرف
لاول متعلق بأنزل والثاني
خبر لشراب والجملة صفة
لماء وأنت خير بأن
ما فيه من توسط المنسوب
بين المجوررين وتوسط
الثاني منهما بين الماء
وصفته عملا يليق بجزالة
نظم التنزيل الجليل
(ومنه شجر) من ابتدائية
أى ومنه يحصل شجر
ترعاه المواشي والمراد به
ما ينبت من الارض سواء
كان له ساق أو لا وتبعية
مجازا لانه لما كان سقيه
من الماء جعل كأنه منه
كقوله * أسمته الآبال
في ربابه * يعنى به المطر
الذى ينبت به الكلاء
الذى تأكله الابل فتسمى
أسمتها وفي حديث عكرمة
لأننا كلوا ثمن الشجر فانه
سحت يعنى الكلاء (فيه
تسميون) ترعون من سامت
الماشية وأسماها صاحبها
وأصلها السومة وهى
العلامة لأنها تؤثر بالرعى
علامات في الارض
(ينبت) أى الله عز وجل
وقرى بالنون (لكم به)
بما أنزل من السماء (الزرع
والزيتون والنخيل

عن ذلك السؤال أن نقول نحن نقيم الدلالة على انه لا يجوز أن يكون حدوث النبات والحيوان لاجل تأثير الطبايع والافلاك والانجم وذلك لان تأثير الطبايع والافلاك والانجم والشمس والقمر بالنسبة الى الكل واحد ثم زى انه اذا تولد الغيب كان قشره على طبع وعجمه على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه على طبع رابع بل نقول انما زى في الورد ما يكون أحدهما وجهى الورقة الواحدة مند في غاية الصفرة والوجه الثاني من تلك الورقة في غاية الحمرة وتلك الورقة تكون في غاية الرقة واللطافة ونعلم بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك الى وجهى تلك الورقة الرقيقة نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة لاتفعل الافعلا واحدا ألا ترى انهم قالوا شكل البسيط هو الكرة لان تأثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب أن يكون متشابها والشكل الذى يتشابه جميع جوانبه هو الكرة وأيضا اذا وضعنا الشمع فاذا استضاء خمسة أذرع من ذلك الشمع من أحد الجوانب وجب أن يحصل مثل هذا الاثر في جميع الجوانب لان الطبيعة المؤثرة يجب أن تتشابه نسبتها الى كل الجوانب اذا ثبت هذا فنقول ظهر ان نسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك والطبايع الى وجهى تلك الورقة اللطيفة الرقيقة نسبة واحدة وثبت ان الطبيعة المؤثرة متى كانت نسبتها واحدة كان الاثر متشابها وثبت ان الاثر غير متشابه لان أحدهما يبنى تلك الورقة في غاية الصفرة والجانب الثاني في غاية الحمرة فهذا يفيد القطع بأن المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال ليس هو الطبيعة بل المؤثر فيها هو الفاعل المختار الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى وهذا هو المراد من قوله وما ذرا لكم في الارض مختلفا ألوانه واعلم انه لما كان مدار هذه الحلقة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب أن يكون نسبته الى الكل نسبة واحدة فلما بدل الحس في هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها وتاخر أحوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس واجبا بالذات بل فاعلا مختارا فهذا تمام تقدير هذه الدلائل وثبت ان ختم الآية الاولى بقوله لقوم يتفكرون والآية الثانية بقوله لقوم يعقلون والآية الثالثة بقوله لقوم يذكرون والذى نبه على هذه الفوائد النفيسة والدلائل الظاهرة والمجملات على أطرافه في الدين والدنيا (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم كلها بالرفع على الابتداء والخبر هو قوله مسخرات وقرأ حفص عن عاصم والنجوم بالرفع على أن يكون قوله والنجوم ابتداء وانما جعلها على هذا لئلا يكرر لفظ التسخير اذا العرب لاتقول مسخرت هذا الشئ مسخرنا فجوابه ان المعنى انه تعالى مسخر لنا هذه الاشياء حان كونها مسخرة تحت قدرته و ارادته وهذا هو الكلام الصحيح والتقدير انه تعالى مسخر للناس هذه الاشياء وجعلها موافقة لمصالحهم حال كونها مسخرة تحت قدرة الله تعالى وأمره واذنه وعلى هذا التقدير فالتكرير الخالى عن الفائدة غير لازم والله أعلم بقى في الآية سوالات (الاول) التسخير عبارة عن القهر والقسر ولا يليق ذلك الابن هو قادر بجوز أن يقهر فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي

والاعشاب) بيان انهم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على الجمادات على التجدد والاستمرار وانها استنه الجارية على مر الدهور أو لا تستحضر صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول

الصريح لما رافقنا مع ما في تقديم أولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون (٤٣٧) لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجهه وفاكهة من وجهه وتقديم

التخيل على الاعناب
اظهار أصالتها وبقائها
وجمع الاعناب للاشارة
الى ما فيها من الاشتغال
على الاصناف المختلفة
وتخصيص الانواع
المعدودة بالذكر مع
اندرجها تحت قوله
تعالى (ومن كل الثمرات)
الاشعار بفضلها
وتقديم الشجر عليها
مع كونه غذاء للانعام
لحصوله بغير صنع من
البشر أول الارشاد الى
مكارم الاخلاق فان
مقتضاها أن يكون
اهتمام الانسان بأمر
ما تحت يده أكل من
اهتمامه بأمر نفسه أولان
أكثر الخاطئين من
أصحاب المواشي ليس
لهم زرع ولا ثمر وقيل
المراد بتقديم ما يسام لا
تقديم غذائه فانه غذاء
حيواني للانسان وهو
أشرف الاغذية وقرى
يثبت من الثلاثي مسندا
الى الزرع وما عطف
عليه (ان في ذلك) أي
في أنزال الماء وابنائ
ما فصل (لاية) عظيمة

الجمادات والشمس والقمر والجواب من وجهين الاول انه تعالى لما دبر هذه الاشياء على طريقه واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعباد المتفاد المطواع فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير وعن الوجه الثاني في الجواب وهو لا يستقيم الاعلى مذهب أصحاب علم الهيئة وذلك لانهم يقولون الحركة الطبيعية للشمس والقمر هي الحركة من المغرب الى المشرق والله تعالى يحرك هذه الكواكب بواسطة حركة الفلك الاعظم من المشرق الى المغرب فكانت هذه الحركة قسرية فلهذا السبب ورد في اللفظ التسخير (السؤال الثاني) اذا كان لا يحصل للنهار والليل وجود الاسباب حركات الشمس كان ذكر النهار والليل مغنيا عن ذكر الشمس والجواب ان حدوث النهار والليل ليس بسبب حركة الشمس بل حدوثهما بسبب حركة الفلك الاعظم الذي دللنا على ان حركته ليست الا بغير بك الله سبحانه وأما حركة الشمس فانها علة لحدوث السنة لحدوث اليوم (السؤال الثالث) ما معنى قوله مسخرات بأمره والمؤثر في التسخير هو القدرة لا الامر والجواب ان هذه الآية مبنية على ان الافلاك والكواكب جمادات أم لا ولا أكثر المسلمين على انها جمادات فلا جرم حلوا الامر في هذه الآية على الخلق والتقدير واغظ الامر بمعنى الشان والفعل كثير قال تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ومن الناس من يقول انها ليست جمادات فهنا يحمل الامر على الاذن والتكليف والله أعلم * قوله تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتسخر جوار منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) اعلم انه تعالى لما احتج على اثبات الاله في المرتبة الاولى بأجرام السموات وفي المرتبة الثانية ببدن الانسان ونفسه وفي المرتبة الثالثة بعجائب خلقه الحيوانات وفي المرتبة الرابعة بعجائب طبائع النبات ذكر في المرتبة الخامسة الاستدلال على وجود الصانع بعجائب أحوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء واعلم ان علماء الهيئة قالوا لثلاثة أرباع كرة الارض غائصة في الماء وذلك هو البحر المحيط وهو كاية عنصر الماء وحصل في هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال بعده والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب أو بالنوص واعلم ان منافع البحار كثيرة والله تعالى ذكر منها في هذه الآية ثلاثة أنواع (المنفعة الاولى) قوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وفيه مسائل (الاولى) قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز وقد طرو يطرو وطراوة وقال الفراء طرا بطرا طرا ممدودا وطراوة كما يقال شقي بشقي شقاء وشقاوة واعلم ان في ذكر الطري مرید فائدة وذلك لانه لو كان السمك كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري فانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث لا بحسب الطبيعة بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد

دالة على تفرد تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر في أن الحبة أو النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنسبط في أعماق الارض وينشق أعلاها وان كانت منكسة في الوقوع ويخرج منه أساق فينبو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة

على أجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع على نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لاني نهاي جمع انحاء
المواد واستواء نسبة الطائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة ﴿ ٤٣٨ ﴾ الى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره

لا يمكن أن يشبهه شيء
في شيء من صفات
الكمال فضلا عن
أن يشاركه أخس الاشياء
في أخص صفاته التي
هي الالوهية واستحقاق
العبادة تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وحيث افقر
سلوك هذه الطريقة
الى ترتيب المقدمات
الفكرية قطع الآية
الكرامة بالتفكير (وسخر
لكم الليل والنهار)
يتعاقبان خلفه لئلا تم
ومعاشكم ولعقد الثمار
وانضاجها (والشمس
والقمر) يدان في سيرهما
وانارتها أصالة وخلافة
واصلاحهما لما ينط
بهما صلاحا من
المكونات التي من جلتها
ما فصل وأجل كل
ذلك لمصالحكم ومنافعكم
وليس المراد بتسخيرها
لهم تمكينهم من تصرفها
كيف شاؤوا كما في قوله
تعالى سبحانه الذي
سخر لنا هذا ونظأره
بل هو تصرفه تعالى
لها حسبما يرتب عليه
منافعهم ومصالحهم
كأن ذلك تمخير لهم

(المسئلة الثانية) قال ابو حنيفة رحمه الله لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث
قالوا لان لحم السمك ليس بلحم وقال آخرون انه يحنث لانه تعالى نص على كونه لحما في هذه
الآية وليس فوق بيان الله بيان * روى ان أبا حنيفة رحمه الله لما قال بهذا القول وسمعه
سفيان الثوري فأنكر عليه ذلك واحتج عليه بهذه الآية بعث اليه رجلا وسأله عن رجل
حلف لا يصلي على البساط فصلى على الارض هل يحنث أم لا قال سفيان لا يحنث فقال
السائل أليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا قال فعرف سفيان أن ذلك
كان بتلقين أبي حنيفة ولقائل أن يقول هذا الكلام ليس بقوى لان أقصى ما في السبب
ان ارتكنا العمل بظاهر القرآن في لفظ البساط للدليل الذي قام عليه فكيف يلزمنا ترك
العمل بظاهر القرآن في آية أخرى والفرق بين الصورتين من وجهين (الاول) انه لما حلف
لا يصلي على البساط فلو أدخلنا الارض تحت لفظ البساط لزما أن نمنعه من الصلاة لانه
ان صلى على الارض المفروشة بالبساط لزمه الحنث لا بحالة ولو صلى على الارض التي
لا تكون مفروشة لزمه الحنث أيضا على تقدير أن يدخل الارض تحت لفظ البساط فهذا
يقضي منعه من الصلاة وذلك مما لا سبيل اليه بخلاف ما اذا دخلنا لحم السمك تحت لفظ
اللحم لانه ليس في منعه من أكل اللحم على الإطلاق محذور فظهر الفرق (الثاني) انا
نعلم بالضرورة من عرف أهل اللغة أن وقوع اسم البساط على الارض الخالصة بمجازا ما
وقوع اسم اللحم على لحم السمك فلم يعرف انه مجاز فظهر الفرق والله أعلم وحجة أبي حنيفة
رحمه الله أنه منبى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم
منه لحم السمك بدليل انه اذا قال الرجل لعلامة اشترجه الدارهم لجماعة بالسمك كان
حقيقا بالانكار والجواب ان أريأناكم في كتاب الايمان تارة تعتبرون اللفظ وتارة تعتبرون
العرف وما أريأناكم ذكرتم ضابطا بين القسمين والدليل عليه انه اذا قال لعلامة اشترجه
الدارهم لجماعة فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار عليه مع انكم تقولون انه يحنث
باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين والله أعلم
(المنفعة الثانية) من منافع البحر قوله تعالى وتسخر جوامنه حلية تلبسونها والمراد بالحلية
الؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم
لانهم من جلاتهم ولان افدامهم على التزين بها انما يكون من أجلهم فكانت زينتهم
ولباسهم ورأيت بعض أصحابنا تمسكوا في مسألة انه لا يجب الزكاة في الحلي المباح بحديث
عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا زكاة في الحلي فقلت هذا الحديث ضعيف
الرواية وبتقدير الصحة فيمكن أن يقال فيه لفظ الحلي لفظ مفرد محلي بالالف واللام وقد
بيننا في أصول الفقه ان هذا اللفظ يجب حله على المعهود السابق والحلي الذي هو المعهود
السابق هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في هذه الآية وهو قوله وتسخر جوامنه حلية
تلبسونها فصار بتقدير صحة ذلك الخبر لا زكاة في الآتي وحينئذ يسقط الاستدلال به والله

وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في السخرات ﴿ اعلم ﴾
من صعوبة المأخذ بالنسبة الى مخاطبين واشار صيغة الماضي للدلالة على أن ذلك أمر واخذ مستمر وان تجددت آثاره
(والنجوم مسخرات بأمره) مبتدأ وخبر أي سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها

من التثليث والربيع وهو ما مضى من المرات لله تعالى أو المخلوق لم يرد له ومثبته وحيث لم يكن هو ومنافع الجحوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقرين (٤٣٩) لم ينسب تسخيرها اليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه

يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ رفع الشمس والقمر أيضا وقرئ بنصب الجحوم على انه مفعول أول الفعل مقدر يني عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له أي وجعل الجحوم مسخرات بامر أو على انه معطوف على المنصوبات المقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في مسخر من معنى نفع أي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها وادبرها كيف شاء أو الما خلقن له بإيجاده وتقديره أو الحكمة أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع أي أنواعا من التسخير وما قيل من أن فيه إيذانا بالجواب عما عصى فقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها بأن ذلك ان سلم فلا ريب

أعلم (المنفعة الثالثة) قوله تعالى وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله قال أهل اللغة مخز السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت جرى الفلك بالرياح إذا عرفت هذا فقول ابن عباس مواخر أي جوارى إنما حسن التفسير به لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله يعني لتركبوه للتجارة فطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضل الله تعالى واحسانه فلعلمكم تقدمون على شكره والله أعلم * قوله تعالى (وألق في الارض رواسي أن تمتد بيكم وأنهارا ووسلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالجمهم يهتدون) اعلم ان المقصود من هذه الآية ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الارض (فالنعم الأولى) قوله وألق في الارض رواسي أن تمتد بيكم وفيه مستثنان (المسئلة الأولى) قوله أن تمتد بيكم يعني للامتداد بكم على قول الكوفيين وكرهه أن تمتد بيكم على قول البصريين وذكرنا هذا عند قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا والميدان الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ما يمد يمينا (المسئلة الثانية) المشهور عن الجمهور في تفسير هذه الآية ان قالوا ان السفينة اذا ألقيت على وجه الماء فانها تتمد من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فاستوت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال الثقيل فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل هذه الجبال ولقائل أن يقول هذا يشك من وجوه (الاول) ان هذا التعليل اما أن يذكر مع تسليم كون الارض والماء ثقيلة بالطبع أو مع المنع من هذا الاصل ومع القول بأن حركات هذه الاجسام بطباعها أولست بطباعها بل هي واقعة بتخليق الفاعل المختار ما على التقدير الاول فهذا التعليل مشكك لان على هذا الاصل لا شك ان الارض أثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص في الماء ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق طافيا عليه امتنع أن يقال انها تتمد وتميل وتضطرب وهذا بخلاف السفينة لانها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب نجويفات مملوءة من الهواء فلهذا السبب تبقى الخشبة طافية على الماء فحينئذ تضطرب وتميل وتميل على وجه الماء فاذا أرسيت بالاجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق وأما على التقدير الثاني وهو أن يقال ليس للارض ولا للماء طبائع توجب الثقل والرسوب والارض إنما تنزل لان الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك وإنما صار الماء محيطا بالارض لمجرد اجراء العادة وليس ههنا طبيعة للارض ولا للماء توجب حاله مخصوصة فقول فخلق الله التقدير حلة سكنون الارض هي ان الله تعالى يخلق فيها السكون وعلة كونها مائدة مضطربة هي ان الله تعالى يخلق فيها الحركة وعلى هذا التقدير فانه يفسد القول بأن الارض كانت مائدة مائلة فخلق الله الجبال وأرساها عليها لتبقى ساكنة لان هذا إنما يصح اذا كانت طبيعة الارض توجب الميدان وطبيعة الجبال توجب الارساء والثبات ونحن إنما نتكلم الآن على تقدير نفي الطبايع الموجبة لهذه الاحوال فثبت ان هذا التعليل

في انها أيضا أمور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصوص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فبينا حسابا ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يوفكون وقال تعالى ولئن سألهم من زل من السماء ماء
فاجبي به الارض من يمدونها يقولن الله الآية ﴿٤٤٠﴾ وانما ذلك أدلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لايتوهم

مشكل على كل التقديرات (السؤال الثاني) هو أن ارساء الارض بالجبال انما يعقل
لاجل ان تبقى الارض على وجه الماء من غير أن تميد وتميل من جانب الى جانب وهذا انما
يعقل اذا كان الماء الذي استقرت الارض على وجهه واقفا فقول فاما مقتضى لسكون
ذلك الماء ووقوفه في حيزه المخصوص فان قلت المقتضى لسكونه في ذلك الحيز المخصوص
هو أن طبيعته المخصوصة توجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فلم لا نقول مثله في الارض وهو
أن الطبيعة المخصوصة التي للارض توجب وقوفها في ذلك الحيز المعين وذلك يفسد القول
بأن الارض انما وقفت بسبب أن الله تعالى أرساها بالجبال فان قلت المقتضى لسكون
الماء في حيزه المعين هو أن الله تعالى سكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص فلم لا نقول
مثله في سكن الارض وحينئذ يفسد هذا التعليل أيضا (السؤال الثالث) ان مجموع
الارض جسم عظيم في تقدير أن تميد كليته وتضطرب على وجه البحر المحبطل تظهر تلك
الحالة للناس فان قيل أليس ان الارض تحركها البخارات المحققة في داخلها عند الزلازل
وتظهر تلك الحركات للناس فبم تنكرون على من يقول انه لولا الجبال لتحركت الارض
الا انه تعالى لما أرساها بالجبال الثقال لم تقو الرياح على تحريكها فلنا تلك البخارات انما
احتقنت في داخل قطعة صغيرة من الارض فلما حصلت الحركة في تلك القطعة الصغيرة
ظهرت تلك الحركة قال القائلون بهذا القول ان ظهور الحركة في تلك القطعة المعينة من
الارض يجري مجرى اختلاج يحصل في عضومعين من بدن الانسان أما لو حركت كلية
الارض لم تظهر تلك الحركة ألا ترى ان الساكن في السفينة لا يحس بحركة كلية السفينة
وان كانت واقعة على أسرع الوجوه وأقواها فكذلكها هذا ما في هذا الموضع من
المباحث الدقيقة العميقة والذي عندي في هذا الموضع المشكل أن يقال ثبت بالدلائل
الباقية ان الارض كرة وثبت ان هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى
خشونات تحصل على وجه هذه الكرة اذا ثبت هذا فنقول لو فرضنا ان هذه الخشونات
ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات
اصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بآني سبب لان الجرم البسيط المستدير اما أن يجب كونه
متحركا بالاستدارة على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا لأنه بآني سبب يتحرك على هذا
الوجه أما لما حصل على ظاهر سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالحشونات الواقعة
على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه نحو مركز العالم وتوجه
ذلك الجبل نحو مركز العالم بشبهه العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الود الذي ينم
كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على وجه الارض كالآواتاد
المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة فكانت مانعة للارض من البدو والميل
والاضطراب بمعنى أنها منعت الارض من الحركة المستديرة فهذا ما وصل اليه بحثي
في هذا الباب والله أعلم بمراده (النعمة الثانية) من النعم التي أظهرها الله تعالى على وجه

أن يشاركه شيء في شيء
فضلا عن أن يشاركه
الجماد في الالهوية (ان
في ذلك) اي فيما ذكر
من السخرية المتعلقة بما
ذكر مجلا ومفصلا
(الآيات) باهرة متكاثرة
(لقوم يعقلون) وحيث
كانت هذه الآثار العلوية
متعددة ودلالة ما فيها
من عظيم القدرة والعلم
والحكمة على الوحدانية
أظهر جمع الآيات وعلقت
بمجرد العقل من غير
حاجة الى التأمل والتفكير
ويجوز أن يكون المراد
لقوم يعقلون ذلك فالشارح
اليه حينئذ تعجيب
الدقائق المودعة في
العلويات المدلول عليها
بالسخرية التي لا تصدى
لمعرفتها الالهة من
أساطين علماء الحكمة
ولاربيب أن احتياجها
الى التفكير أكثر (وما
ذرا) عطف على قوله
تعالى والتجور رفعوا نصبا
على انه مفعول لجعل اي
وما خلق (لكم في الارض)
من حيوان ونبات حال
كونه (مختلفا ألوانه)
أي أصنافه فان اختلافها

غالبا يكون باختلاف ألوان مسخرة لله تعالى أولا خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات أو جعل ﴿الارض﴾
ذلك مختلف الألوان أي الاصناف لتنعما من ذلك بأي صنف شتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب
بأن ذكر الخلق لهم

من عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوماً قليلاً لحوال كون ما خلق لهم عن الزم المرام صعب المثال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أى خلق وأثبت على أن قوله ﴿ ٤١ ﴾ مختلفاً ألوانه حال من مفعوله (ان في ذلك) الذى ذكر من

التسخيرات ونحوها (لاية) بينة الدلالة على أن من هذا الشأن واحد لاندله ولا ضد (اقوم يذكر) فان ذلك غير محتاج الى تذكر ما عسى

يفعل عنه من العلوم الضرورية وأما ما يقال من أن اختلا فهما في الطباع والهبآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فدارهما او خبا به من حسيان ما ذكر

دليلاً على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من

حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة يجرى به الاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شئ في الألوهية (وهو الذى سخر البحر) شروع

في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبحر حيواناً ونباتاً أى جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب

الارض هي انه تعالى أجرى الانهار على وجه الارض واعلم انه حصل ههنا بحثان (البحث الاول) ان قوله وأنهاراً معطوف على قوله وألقى في الارض رواسى والتقدير وألقى رواسى وانهاراً وخلق الانهار لا يعبدان يسمى بالالقاء فيقال ألقى الله في الارض أنهاراً كما قال وألقى فيها رواسى والالقاء معناه الجعل الا ترى انه تعالى قال في آية أخرى وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها والالقاء يقارب الانزال لان الالقاء يدل على طرح الشئ من الاعلى الى الاسفل الآن المراد من هذا الالقاء الجعل والخلق قال تعالى وألقى عليك محبة متى (البحث الثانى) أنه ثبت في العلوم العقلية ان أكثر الانهار انما تتفجر منابها في الجبال فلهذا السبب لما ذكر الله تعالى الجبال اتبع ذكرها بتفجير العيون والانهار (النعمه الثالثة) قوله تعالى وسبلاً لعلكم تهتدون وهى أيضاً معطوفة على قوله وألقى في الارض رواسى والتقدير وألقى في الارض سبلاً ومعناه أنه تعالى أظهرها وبيّنها لاجل ان تهتدوا بها في أسفاركم ونظيره قوله تعالى في آية أخرى وسلك لكم فيها سبلاً وقوله لعلكم تهتدون أى لكي تهتدوا واعلم أنه تعالى لما ذكر انه أظهر في الارض سبلاً معينة ذكر أنه أظهر فيها علامات مخصوصة حتى يتمكن المكلف من الاستدلال بها فيحصل بواسطتها الى مقصوده فقال وعلامات وهى أيضاً معطوفة على قوله في الارض رواسى والتقدير وألقى في الارض رواسى وألقى فيها أنهاراً وسبلاً وألقى فيها علامات والمراد بالعلامات معالم الطرق وهى الاشياء التى يما يهتدى وهذه العلامات هى الجبال والرياح ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرق قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدى هو التراب والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة فسكون وهو نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجم تخفيفاً فان قيل قوله أن يمد بكم خطاب الحاضرين وقوله وبالنجم هم يهتدون خطاب للقائمين فما السبب فيه قلنا ان قر يشا كانت تكثر أسفارها لطلب المال ومن كثرت أسفاره كان عمله بالنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم فقوله وبالنجم هم يهتدون اشارة الى قر يشا للسبب الذى ذكرناه والله اعلم واختلف المفسرون في فهم من قال قوله وبالنجم هم يهتدون فمخض بالبحر لانه تعالى لما ذكر صفة البحر وما فيه من المنافع بين ان من يسير فيه يهتدون بالنجم ومنهم من قال بل هو مطلق يدخل فيه السير في البر والبحر وهذا القول أولى انه أعم في كونه نعمة ولان الاهتداء بالنجم قد يحصل في الوقتين معا ومن الفقهاء من يجعل ذلك دليلاً على ان المسافرين اذا عيت عليه القبله فانه يجب عليه أن يستدل بالنجوم و بالعلامات التى في الارض وهى الجبال والرياح وذلك صحيح لانه كما يمكن الاهتداء بهذه العلامات في معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها في معرفة طلب القبله واعلم ان اشتباه القبله اما ان يكون بعلامات لائحه أو لا يكون فان

والغوص والاصطياد (لتأكلوا منه لمخاطربا) ﴿ ٥٦ ﴾ خا هو السمك والتعبير عنه بالبحر مع كونه حيواناً للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبية على وجوب المسارعة الى أكله كيلا يتسارع

اليه الفساد كما ينبغي عنه جعل البحر مبدأ أكله ولا يذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ما رزقنا ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله ﴿ ٤٤٢ ﴾ والجواب أن معنى الإيمان العرف ولا ريب

في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسلم لم يكن بمثابة الأمر ألا يرى إلى أن الله تعالى سمي الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة (وليس يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة) كما أولوا والمرجان (تلبسونها) عبر في مقام الامتنان عن ليس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم ولوكون لبسهن لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه مقبلة ومدبرة ومعتصة برشح واحدة تشقه بحير ومها من النحر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبغوا) عطف على تسخر جوامها عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتهمة مبادى الانتفاع ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة بخدوقة أى لتبغوا بذلك ولتبغوا ذكره ابن الأنبارى أو متعلق بفعل محذوف أى وفعل ذلك لتبغوا (من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (واهلكم تشكرون) أى

كانت لأئحة وجب أن يجب الاجتهاد ويتوجه إلى حيث غلب على الظن أنه هو القبلة فان تبين الخطأ وجب الاعادة لانه كان مقصرا فيما وجب عليه وان لم تظهر العلامات فهنا طريقتان (أحدهما) ان يكون تخيرا في الصلاة إلى أى جهة شاء لان الجهات المتساوت وامتنع التجميع لم يبق الا التحخير (والطريق الثانى) ان يصلى إلى جميع الجهات فيشتد يعلم يقين انه خرج عن العهدة وهذا كما يقوله الفقهاء فيمن نسي صلاة لا يعبر فيها بعينها ان الواجب عليه في القضاء أن يأتي بالصلوات الخمس ليكون على يقين من قضاء ما لزمه ومنهم من يقول الواجب منها واحدة فقط وهذا غلط لانه لما لزمه ان يفعل الكل كان الكل واجبا وان كان سبب وجوب كل هذه الصلوات فوت الصلاة الواحدة والله أعلم * قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يبعثون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على وجود الاله القادر الحكيم على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت تلك الدلائل كما انها كانت دلائل فكذلك أيضا كانت شرحا وتفصيلا لأنواع نعم الله تعالى وأقسام احسانه أتبعه بذكر ابطال عبادة غير الله تعالى والمقصود أنه لما دلت هذه الدلائل الباهرة والبيئات الزاهرة القاهرة على وجوده القادر حكيم وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم والعطى لكل هذه الخيرات فكيف يحسن في العقول الاشتغال بعبادة موجود سواء لاسمى اذا كان ذلك الموجود جادا لا يفهم ولا يقدر فلهذا الوجه قال بعد تلك الآيات أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون والمعنى أفمن يخلق هذه الاشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شئ أفلا تذكرون فان هذا القدر لا يحتاج إلى تدبر وتفكر ونظر ويكتفى فيه أن تنزهوا على ما في عقولكم من ان العبادة لتليق بالاعظم واعظم وأنتم ترون في الشاهدا ناسا عاقلا فاهما ينعم بالنعمة العظيمة ومع ذلك فتعلمون انه يوجب عبادته فهذه الاصنام جادات محضة وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزون الاشتغال بخدومتها وطاعتها (المسئلة الثانية) المراد بقوله من لا يخلق الاصنام وانها جادات فلا يليق بها اللفظة من لانها أولى العلم وأجيب عنه من وجوه (الاول) ان الكفار لما سموها آلهة وعبدوها لاجرم اجريت مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (والوجه الثانى) في الجواب أن السبب فيه المشاكلة بينه وبين من يخلق (والثالث) أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف من لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بهاي عنى ان الآلهة التي تدعونها حالهم منخطة عن حال من لهم أرجل وأيدواذان وقلوب لان هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف يصح منهم عبادتها وليس المراد أنه لو صححت لهم هذه الاعضاء لصح أن يعبدوا فان قيل

تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها باطاعة والتوحيد ولعل تخصبص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر ﴿ قوله ﴾ من حيث ان فيها قطع المسافة طويلا مع أحوال ثقيلة في مدة قليلة من غير منازلة اسباب السفر بل من غير حر كة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط القوز بالمطلوب بين الانتفاع والشكر

للإيدان باستغاثته عن التصريح به وبمحصلهما معا (والى في الأرض رواسي) أي جبالا ثوابت وقدم تحقيقه في أول سورة الرعد (أن تعبدكم) كراهة ﴿ ٤٤٣ ﴾ أن تميل بكم وتضطرب أولًا لتعبد بكم فإن الأرض قبل أن تخلق

فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتهما وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد وقيل للمخلق الله تعالى الأرض جعلت تور فقالت الملائكة ما هي بقمر احد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) أي وجعل فيه أنهارا لان في القى معنى الجعل (وسبلالكم تهتدون) بها الى مقاصدكم (وعلامات) معا يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل ويرجع وقد نقل أن جماعة يشمون العراب ويتعرفون به الطرقات (وبالجمهم يهتدون) بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الزياوالفرقدان وبنات النعش والجدي وقرى بضمتين وبضممة وسكون وهو جمع كرهن

قوله أفن يخلق كن لا يخلق المقصود منه الزام عبدة الاوثان حيث جعلوا غير الخالق مثل الخالق في التسمية بالاله وفي الاشتغال بعبادتها فكان حق الزام أن يقال أفن لا يخلق كن يخلق والجواب المراد منه أن من يخلق هذه الاشياء العظيمة ويعطي هذه المنافع الجليلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية باسم الاله وفي الاشتغال بعبادتها والاقدام على غاية تعظيمها فوقع التعبير عن هذا المعنى بقوله أفن يخلق كن لا يخلق (المسئلة الثالثة) احتج بعض أصحابنا بهذه الآية على أن العبد غير خالق لافعال نفسه فقال انه تعالى ميز نفسه عن سائر الاشياء التي كانوا يعبدونها بصفة الخالقية لان قوله أفن يخلق كن لا يخلق الغرض منه بيان كونه متمازا عن الانداد بصفة الخالقية وانه لما استحق الالهية والمعبودية بسبب كونه خالقا فهذا يقتضي ان العبد لو كان خالقا لبعض الاشياء لوجب كونه الها معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والابتعاد قالت المعتزلة الجواب عنه من وجوه (الاول) ان المراد أفن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والأرض والانسان والحيوان والنبات والبحار والنجوم والجبال كن لا يقدر على خلق شيء أصلا فهذا يقتضي ان من كان خالقا لهذه الاشياء فانه يكون الها ولم يلزم منه ان من يقدر على افعال نفسه ان يكون الها (والثاني) ان معنى الآية ان من كان خالقا كان أفضل ممن لا يكون خالقا فوجب امتناع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها والدليل عليه قوله تعالى ألهم أرجل يمشون بها ومعناه ان الذي حصل له رجل يمشى بها يكون أفضل من الذي حصل له رجل لا يقدر أن يمشى بها وهذا يوجب ان يكون الانسان أفضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فهذا هو المقصود من هذه الآية ثم انما لا تدل على ان من حصل له رجل يمشى بها ان يكون الها فكذلك ههنا المقصود من هذه الآية بيان ان الخالق أفضل من غير الخالق فيمتنع التسوية بينهما في الالهية والمعبودية ولا يلزم منه ان يعجز حصول صفة الخالقية يكون الها (والوجه الثالث) في الجواب ان كثير من المعتزلة لا يطلقون لفظ الخالق على العبد قال الكعبي في تفسيره انما نقول اننا نخلق افعالنا قال ومن أطلق ذلك فقد أخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذن خلق من الطين كهيئة الطير وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين واعلم ان أصحاب أبي هاشم يطلون لفظ الخالق على العبد حتى ان أباعبد الله البصير بالغ وقال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وذلك عبارة عن الظن والحسبان وهو في حق العبد حاصل وفي حق الله تعالى محال واعلم ان هذه الاجوبة قوية والاستدلال بهذه الآية على صحة مذهبنائس بقوى والله أعلم اما قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما بين بالآية المتقدمة ان الاشتغال بعبادة غير الله باطل وخطأ بين بهذه الآية ان العبد لا يمكنه ألا يتيان بعبادة الله تعالى وشكر نعمه والقيام

ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير اقربش فانهم كانوا كثيرى التردد للتحارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرفي النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كائنه قبل وبالنجم خصوصا هو لاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم

(افن يخلق) هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاويل البديعة أو يخلق كل شيء (كن لا يخلق) شيئا أصلا وهو
تبكيتم للكفرة وابطال لاشرا كههم وعبادتهم الاصنام بانكار ٤٤٤ مابسترله ذلك من المشابهة بينها وبينه

بحقوق كرمه على سبيل الكمال والتمام بل العبد وان أعجب نفسه في القيام بالطاعات
والعبادات وبالغ في شكر نعمة الله تعالى فانه يكون مقصرا وذلك لان الاشتغال
بشكر النعم مشروط بعلمه بتلك النعم على سبيل التفصيل والتحصيل فان ما لا يكون متصورا
ولامفهوما ولا معلوما امتنع الاشتغال بشكره الا ان العلم بنعم الله تعالى على التفصيل غير
حاصل للعبد لان نعم الله تعالى كثيرة واقسامها وشعبها واسعة عظيمة وعقول الخلق قاصرة
عن الاحاطة بمباديها فضلا عن غاياتها فثبت انها غير معلومة على سبيل التفصيل وما كان
كذلك امتنع الاشتغال بشكره على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لانها بتلك النعم فهذا
هو المفهوم من قوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني انكم لا تعرفونها على سبيل
التمام والكمال واذا لم تعرفوها امتنع منكم القيام بشكرها على سبيل التمام والكمال وذلك
يدل على ان شكر الخلق قاصر عن نعم الحق وعلى ان طاعات الخلق قاصرة عن رغبة الحق
وعلى ان معارف الخلق قاصرة عن كنهه وجلال الحق وبما يدل قطعا على ان عقول الخلق
قاصرة عن معرفة اقسام نعم الله تعالى ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه
ادنى خلل لتغص العيش على الانسان ولتني ان يتفق كل الدنيا حتى يزول عنه ذلك الخلل
ثم انه تعالى يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الاكمل الاصلح مع الانسان لاعلمه
بوجود ذلك الجزء ولا بكيفية مصالحه ولا بدفع مفاسده فليكن هذا المثال حاضرا في
ذهنكم ثم تأمل في جميع ما خلق الله في هذا العالم من المعادن والنبات والحيوان وجعلها
مهية لا تتفادع بها حتى تعلم ان عقول الخلق نفى في معرفة كملة الرحمن في خلق
الانسان فضلا عن سائر وجوه الفضل والاحسان فان قيل فلما قرعتم ان الاشتغال
بالشكر موقوف على حصول العلم باقسام النعم ودلائلها على ان حصول العلم باقسام النعم
محال أو غير واقع فكيف أمر الله الخلق بالقيام بشكر النعم قلنا الطريق اليه أن يشكر الله
تعالى على جميع نعمه مفصلها ومجملها فهذا هو الطريق الذي به يمكن الخروج عن عهدة
الشكر والله أعلم (المسئلة الثانية) قال بعضهم انه ليس لله على الكافر نعمة وقال الاكثرون
لله على الكافر والمؤمن نعم كثيرة والدليل عليه ان الانعام بخلق السموات والارض
والانعام بخلق الانسان من النطفة والانعام بخلق الانعام وبخلق الخيل والبغال والحمير
وبخلق اصناف النعم من الزرع واليتون والتخيل والاعناب وبتسخير البحر لياكل
الانسان منه لمخاطريا وبتسخير منه حلية يلبسها كل ذلك مشترك فيبين المؤمن والكافر
ثم أكد تعالى ذلك بقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وذلك يدل على ان كل هذه
الاشياء نعم من الله تعالى في حق الكل وهذا يدل على ان نعم الله واسعة الى الكفار والله
أعلم أما قوله ان الله يغفور رحيم اعلم انه تعالى قال في سورة ابراهيم وان تعدوا نعم الله
لا تحصوها ان الانسان اظلم كفار وقال ههنا ان الله لغفور رحيم والمعنى انه لما بين ان
الانسان لا يمكنه القيام بآداء الشكر على سبيل التفصيل قال ان الله لغفور رحيم اي غفور

سبحانه وتعالى بعد
تعداد ما يقتضي ذلك
اقتضاء ظاهر او تعقيب
الهمزة بالفاء لتوجيه
الانكار الى ترتب توهم
المشابهة المذكورة على
ما فصل من الامور
العظيمة الظاهرة
الاختصاص به تعالى
المعلومة كذلك فيما بينهم
حسبا يؤذن به ما تناوله
من قوله تعالى ولئن
سألهم الآيتين والاقصار
على ذكر الخلق من بينها
لكونه اعظمها وأظهرها
واستباعد اياها ولكون
كل منها خلقا مخصوصا
أي أبعد ظهورا واختصاصا
تعالى بعبودية هذه الثن
الواضحة الدلالة على
وحدانيته تعالى وتفرده
بالالوهية واستبداده
باحتقاق العبادة يتصور
المشابهة بينه وبين ما هو
بعزل من ذلك بالرة
كما هو قضية اشراكهم
ومدارها وان كان على
تشبيه غير الخالق بالخالق
لكن التشبيه حيث كان
نسبة تقويم بالنسبين
اختير ما عليه النظم
الكريم مراعاة لحق

سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينهما وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتذنيها * للتقصير
على كمال فمح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس بمجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لنزلة الربوية الى مرتبة الجمادات
ولا ريب في انه افصح من الاول والمراد بن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه

بما يخص العقلاء للمشاكلة أو العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فإن من يخلق حيث لم يكن
كن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فأنظركم ٤٤٥ بالجماد أو أيا ما كان فدخلوا الأصنام في حكم عدم المعاملة والمشاكلة

أما بطريق الاندراج
تحت الموصول العام
وأما بطريق الانفهام
بدلالة النص على الطرية
البرهانية لا بأنها هي
المرادة بالموصول خاص
(أفلا تذكرون) أي
ألا تلاحظون فلا
تذكرون ذلك فإنه
لوضوحه بحيث لا يفتق
إلى شيء سوى التذكر
(وان تعدوا نعمت الله
تذكيرا جاعلا لتعبدوا له تعالى
بعد تعدد ادطائفة منها
وكان الظاهر إرادته
عقبها تكلمها لها على
طريقة قوله تعالى ويخلق
مالا تعلمون ولعل فصل
ما بينهما بقوله تعالى
أفمن يخلق كمن لا يخلق
أفلا تذكرون للمبادرة
إلى الزام الحجّة والقائه
الحجج اثر تفصيل ما فصل
من الأفاضل التي هي
أدلة الوجدانية مع
ما فيه من سرسقف عليه
ودلائلها عليها وإن
لم تكن مقصورة على
حيثية الخلق ضرورة
ظهور دلائلها عليها
من حيثية الانعام أيضا
لكنها حيث كانت من
مستبعات الحيثية الأولى
استغنى عن التصريح
بها ثم بين حالها

للتصغير الصادر عنكم في القيام بشكر نعمه رحيم بكم حيث لم يقطع نعمه عنكم بسبب
تقصيركم أما قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ففيه وجهان (الأول) أن الكفار كانوا مع
اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى يسرون ضروبا من الكفر في مكابد الرسول عليه السلام
فجعل هذا زجرا لهم عنها (والثاني) أنه تعالى زيف في الآية الأولى عبادة الأصنام بسبب
أنه لا قدرة لها على الخلق والانعام وزيف في هذه الآية أيضا عبادتها بسبب أن الإله يجب
أن يكون عالما بالسر والعلانية وهذه الأصنام جادات لا معرفة لها بشيء أصلا فكيف
تحسن عبادتها أما قوله والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فاعلم أنه
تعالى وصف هذه الأصنام بصفات كثيرة (فالصفة الأولى) أنهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
قرأ حفص عن عاصم يسرون ويعلنون ويدعون كلها بالياء على الحكاية عن الغائب وقرأ
أبو بكر عن عاصم يدعون بالياء خاصة على المغاية وتسرون وتعلنون بالياء على الخطاب
والباقون كلها بالياء على الخطاب عطفا على ما قبله فان قيل ليس ان قوله أفمن يول الآيات
أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئا وقوله ههنا لا يخلقون شيئا يدل
على نفس هذا المعنى فكان هذا محض التكرير وجوابه أن المذكور في أول الآية أنهم
لا يخلقون شيئا والمذكور ههنا أنهم لا يخلقون شيئا وأنهم يخلقون غيرهم فكان هذا زيادة
في المعنى وكأنه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذاتهم وصفاتهم فيبن أولانها لا تخلق شيئا ثم
بين ثانيا أنها لا تخلق غيرا فهي مخلوقة لغيرها (والصفة الثانية) قوله أموات غير أحياء
والمعنى أنها لو كانت آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جاز عليها الموت
كالحي الذي لا يموت سبحانه وتعالى وأمر هذه الأصنام على العكس من ذلك فان قيل لما
قال أموات علم أنها غير أحياء فما الفائدة في قوله غير أحياء والجواب من وجهين (الأول)
أن الإله هو الحي الذي لا يحصل عقيب حياته موت وهذه الأصنام أموات لا يحصل عقيب
موتها الحياة (والثاني) أن هذا الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية
الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغرابي فقد يحسن أن يعبر عن المعنى الواحد
بالعبارات الكثيرة وغرضه منه الإعلام بكون ذلك المخاطب في غاية الغباوة وأنه انما يعبد
تلك الكلمات لكون ذلك السامع في نهاية الجهالة وأنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة
الواحدة (الصفة الثالثة) قوله وما يشعرون أبان يعثون والضمير في قوله وما يشعرون عائد
إلى الأصنام وفي الضمير في قوله يعثون قولان (أحدهما) أنه عائد إلى العابدين للأصنام
يعني أن الأصنام لا يشعرون متى تبعث عبدهم وفيه تنكير بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون
وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم (والثاني) أنه عائد إلى الأصنام
يعني أن هذه الأصنام لا تعرف متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس أن الله يبعث الأصنام
ولها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بها إلى النار فان قيل الأصنام جادات والجمادات
لا توصف بأنها أموات ولا توصف بأنهم لا يشعرون كذا وكذا والجواب عنه من وجوه

بطريق الاجال أي ان تعدوا نعمته الفائضة عليكم مما ذكره وما لم يذكر حسبا يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الأرض جميعا (لا تحصوها) أي لا تطبقوا حصرها وضبط عددها وواجبالا فضلا عن القيام بشكرها
وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله

سبحانه (انما قلنغفور) حيث يستمر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلهم بالمعصية على ذلك (رحيم) حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم لقطع الحرمان بما تاتون ﴿٤٦﴾ وتذرون من أصناف الكفر التي من جلتها

عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأية نعمة فالجمله تعليل للحكم بعلم الاجزاء وتقديم وصف المغفرة على نعم الرحمة لتقدم التخلية على التخلية (والله يعلم ماتسرون) تضمرونه من العقائد والاعمال (وما تعلمون) أي تظهرونه منهما وحذف العائل لمراماة الفواصل أي يستوى بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلمكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين عليه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن أولان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية (والذين يدعون) شروع في تحقيق كون الاصنام معزل من استحقاق العبادة

(الاول) ان الجماد قد يوصف بكونه ميتا قال تعالى يخرج الحي من الميت (الثاني) ان القوم لما وصفوا تلك الاصنام بالالهية والمعبودية قيل لهم ليس الامر كذلك بل هي اموات ولا يعرفون شيئا فزلت هذه العبارات على وفق معتقدهم (والثالث) أن يكون المراد بقوله والذين يدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله انهم اموات لا بدلهم من الموت غير احياء أي غير باقية حياتهم وما يشعرون ايان يعشون أي لا علم لهم بوقت بعثهم والله أعلم * قوله تعالى (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين) اعلم انه تعالى لما زيف فيما تقدم طريقه عبدة الاوثان والاصنام وبين فساد مذهبهم بالدلائل القاهرة قال الهكم اله واحد ثم ذكر تعالى ما لاجله أصر الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد فقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون والمعنى ان الذين يؤمنون بالآخرة يرغبون في الفوز بالثواب الدائم ويخافون الوقوع في العقاب الدائم اذا سمعوا الدلائل والترغيب والترهيب خافوا العقاب فتأملوا وتفكروا فيما يسمعون فلا جرم ينفعون بسماع الدلائل ويرجعون من الباطل الى الحق أما الذين لا يؤمنون بالآخرة وينكر ونها فانهم لا يرغبون في حصول الثواب ولا يرهبون من الوقوع في العقاب فيبقون منكبين لكل كلام يخالف قولهم ويستكبرون عن الرجوع الى قول غيرهم فلا جرم يقون مصرين على ما كانوا عليه من الجهل والضلال ثم قال تعالى لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والمعنى انه تعالى يعلم ان اصرارهم على هذه المذاهب الفاسدة ليس لاجل شهيد تصوروها أو اشكال تخيلوه بل ذلك لاجل التقليد والنفرة عن الرجوع الى الحق والشغف بنصرة مذاهب الاسلاف والتكبر والخوة فلهمذا قال انه لا يحب المستكبرين وهذا الوعيد يتناول كل المنكبين * قوله تعالى (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الاسماء ما يزرون) اعلم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد واورد الدلائل القاهرة في أبطال مذاهب عبدة الاصنام ذكر بعد ذلك شبهات منكبرى النبوة مع الجواب عنها (فاشبهة الاولى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتج على صحة نبوة نفسه بكون القرآن معجزة طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاولين وليس هو من جنس المعجزات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ان ذلك السائل من كان قيل هو من كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا داخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمهم وفود الحاج مما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) لقائل ان يقول كيف يكون تنزيل ربهم اساطير الاولين وجوابه من وجوه (الاول) انه مذکور على سبيل المنعرج كقوله تعالى عنهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لجنون وقوله يا ايها

وتوضيحه بحيث لا يني فيه شائبة ريب بتعدد اوصافها واحوالها المتأينة لذلك منافاة ظاهرة وتلك * الذي الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبية على كمال حقاقة عيبتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح أي والاكهة الذين يعبدون الكفار (من دون الله) سبحانه وقرئ على صيغة المبني

للمفعول وعلى الخطاب (لا يخلقون شيئا) من الاشياء اصلا أى ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقين وبين المخلوقة تلازم بحسب المفهوم وان تلازما ﴿ ٤٤٧ ﴾ في الصدق أثبت لهم ذلك صريحا فقبل (وهم يخلقون)

أى شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقة لانها ذات ممكنة مفقورة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما ثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقة والخالقية ولا يذنب بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثانى عبارة عن التحت والتصوير رعاية للشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لاعدتهم وأعجز عنهم وايداننا بكمال ركائز عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول أيضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذا القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلا ولما أن اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقبل (اموات) وهو خبر ثان للموصول لا الضمير كما قبل

الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وقوله يا أيها الساحر ادع لنا ربك (الثانى) أن يكون التقدير هذا الذى تذكرونه انه منزل من ربكم هو أساطير الاولين (الثالث) يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزله الله لكنه أساطير الاولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق واعلم انه تعالى لما حكى شبههم قال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا الام العاقبة وذلك لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين لاجل أن يحملوا الأوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن ذكر هذه اللام كقوله فالتفتوه ألف عرون ليكون لهم عدوا وحزنا وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا بل يوصل ذلك العقاب بكليته اليهم وأقول هذا يدل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن تخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل معنى وقوله ومن أوزار الذين يضلونهم معناه يحصل للرؤساء مثل أوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إيمان ادع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل أجر من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيء وإيمان ادع دعا الى ضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء واعلم أنه ليس المراد منه أنه تعالى يوصل العقاب الذى يستحقه الاتباع الى الرؤساء وذلك لان هذا لا يليق بعبد الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى وأن ليس للانسان الاماسى وقوله ولا تزوروا وزرا وأخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة فيجوز عظم عقابه حتى ان ذلك العقاب يكون مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع قال الواحدى ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لخف عن الاتباع بعض أوزارهم وذلك غير جائز لقوله عليه السلام من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ولكنها الجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقوله بغير علم يعنى ان هؤلاء الرؤساء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال ثم انه تعالى ختم الكلام بقوله ألساء ما يزررون والمقصود المبالغة في الزجر فان قيل انه تعالى لما حكى عن القوم هذه الشبهة لم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فما السبب فيه قلنا السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن مجزأ بطريقين (الاول) أنه صلى الله عليه وسلم تحدثهم بكل القرآن وتارة بمشروسة وتارة بسورة واحدة وتارة بحديث واحد وعجزوا عن المعارضة وذلك يدل على كونه مجزأ (الثانى) انه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها في آية أخرى وهو قوله أكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا وابتليها بقوله قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ومعناه أن القرآن مشتمل على الاخبار عن الغيوب وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السموات والارض فلما ثبت كون القرآن مجزأ بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة والله أعلم * قوله تعالى (قد مكر الذين

أؤخبر مبتدا محذوف وحيث كان بعض الاموات بما يعتره الحياة سابقا أولا حقا كاجساد الحيوان ولما تطف الى ينشئها الله تعالى حيوانا احتز عن ذلك فقيل (غير أحياء) أى لا يعترها الحياة أصلا فهي أموات على الاطلاق وأما قوله تعالى (وما يشعرون أبان)

يَبْعَثُون) أَيْ مَا بَشَرَ أُولَئِكَ الْآلِهَةُ أَيْ أَنْ يَبْعَثَ عِبْدَتَهُمْ فَعَلَى طَرِيقَةِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ لِأَنْ شَعُورَ الْجَدِّ بِالْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ
بِدَيْهِ اسْتِحْصَالَهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ فَكَيْفَ بِمَا لَا يَعْلَهُ إِلَّا الْعَلِيمُ ﴿٤٤٨﴾ الْخَبِيرُ فِيهِ إِذْ بَانَ الْبَعْثُ مِنْ لَوَازِمِ

التكليف وأن معرفة وقته بما لا بد منه في الالهية (الهكم الله واحد) لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخفيض للنسبة غيبة إقامة الحجة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحوالها التي من جراتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلكهم (قلوبهم منكورة) للوحدانية جاحدة لها وألآيات الدالة عليها (وهم مستكبرون) عن الاعتراف بها أوعن الآيات الدالة عليها والفناء للإيدان بأن اصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل لظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من الحجج والبراهين اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الإنكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للأشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث

من قبلهم فأتى الله ببيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين كُأَيُّ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنْ الْخَزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اعْلَمُوا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَالِغَةُ فِي وَصْفِ وَعِيدِ أُولَئِكَ الْكَافِرِينَ فِي الْمَرَادِ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْلَانِ (الْأَوَّلُ) وَهُوَ قَوْلُ الْكَثَرِ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُ نَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ بْنِ صَرْحَا عَظِيمًا يَبْأَبِلَ طُولَ خَمْسَةِ أَفْذِرَاعٍ وَقَبِيلُ فَرَسَخَانٍ وَرَامَ مِنْهُ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ لِيُقَاتِلَ أَهْلَهَا فَالْمَرَادُ بِالْمَكْرَهَةِ بِنَاءُ الْمَصْرَحِ لِقَاتِلَةِ أَهْلِ السَّمَاءِ (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) وَهُوَ الْأَصَحُّ أَنَّ هَذَا عَامٌ فِي جَمِيعِ الْمُبْطِلِينَ الَّذِينَ يُجَاحِلُونَ الْحَقَّ الضَّرَرُ وَالْمَكْرُ بِالْحَقِّقِينَ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى فَأَتَى اللَّهَ بَيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَفِيهِ مَسْتَلْتَانِ (الْمَسْئَلَةُ الْأُولَى) أَنَّ الْإِتْبَانَ وَالْحُرْكََةَ عَلَى اللَّهِ مَحَالٌ فَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَمَّا كَفَرُوا أَنَّهُمْ اللَّهُ يَزَالُزِلُ قَلْعَ بَيْتِهِمْ بَيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَسَاسِ (الْمَسْئَلَةُ الثَّانِيَةُ) فِي قَوْلِهِ فَأَتَى اللَّهَ بَيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ قَوْلَانِ (الْأَوَّلُ) أَنَّ هَذَا مُحْضُ التَّمْثِيلِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ رَتَبُوا مَنْصُوبَاتٍ لِيَكْرُوا بِهَا أُنْبِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَعَمِلَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَنْصُوبَاتِ مِثْلَ حَالِ قَوْمِ نُوْأَيْنَانَ وَعَمْدُوهُ بِالْأَسَاطِينِ فَازْهَدِمَ ذَلِكَ الْبِنَاءَ وَضَعَفَتْ تِلْكَ الْأَسَاطِينُ فَسَقَطَ السَّقْفُ عَلَيْهِمْ وَظَهَرَ قَوْلُهُمْ مِنْ حَفَرٍ يَبْزُلُ أَخِيهِ أَوْ قَعَهُ اللَّهُ فِيهِ (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) أَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَسْقَطَ عَلَيْهِمُ السَّقْفَ وَأَمَاتَهُمْ تَحْتَهُ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْنَى أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَفِيهِ سَوْأَلٌ وَهُوَ أَنَّ السَّقْفَ لَا يَخْرُجُ مِنَ فَوْقِهِمْ فَمَا مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ (الْأَوَّلُ) أَنَّ يَكُونُ الْمَقْصُودُ التَّكْبِيرُ (وَالثَّانِي) رُبَّمَا خَرَّ السَّقْفُ وَلَا يَكُونُ تَحْتَهُ أَحَدٌ فَلَمَّا قَالَ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ دَلَّ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَهُ وَحِينَئِذٍ يَفِيدُ هَذَا الْكَلَامُ أَنَّ الْإِنْبِيَةَ قَدْ تَهَدَمَتْ وَهُمْ مَاتُوا تَحْتَهَا وَقَوْلُهُ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَنَّ حُلَّتَهُ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى مُحْضِ التَّمْثِيلِ فَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ اعْتَمَدُوا عَلَى مَنْصُوبَاتِهِمْ ثُمَّ تَوَلَّدَ الْبَلَاءُ مِنْهَا بِإِعْيَانِهَا وَإِنْ حُلَّتْ عَلَى الظَّاهِرِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ نَزَلَ ذَلِكَ السَّقْفُ عَلَيْهِمْ بَقْعَةً لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَعْظَمَ فِي الزَّجْرِ لِمَنْ سَلَكَ مِثْلَ سَبِيلِهِمْ ثُمَّ يَبِينُ تَعَالَى أَنَّ عَذَابَهُمْ لَا يَكُونُ مَقْصُورًا عَلَى هَذَا الْقَدْرِ بَلَى اللَّهُ تَعَالَى يَخْزِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْخَزْيُ هُوَ الْعَذَابُ مَعَ الْهَوَانِ وَفَسَّرَ تَعَالَى ذَلِكَ الْهَوَانُ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُمْ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشَاقُونَ فِيهِمْ وَفِيهِ إِبْجَاحٌ (الْأَوَّلُ) قَالَ الزَّجَاحُ قَوْلُهُ أَيْنَ شُرَكَائِي مَعْنَاهُ أَيْنَ شُرَكَائِي فِي زَعْمِكُمْ وَاعْتِقَادِكُمْ وَظَهَرَ قَوْلُهُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَقَالَ أَيْضًا وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا حَسَنْتُ هَذَا لِأَنَّهُ يَكْفِي فِي حَسَنِ الْإِضَافَةِ إِذْ سَبَبُ هَذَا كَمَا يَقَالُ لِمَنْ يَحْمِلُ خَشْبَةً خَذَطَ رُفُوكَ وَآخَذَ طَرْفِي فَأَضْيَفَ الطَّرْفُ إِلَيْهِ (الْبَحْثُ الثَّانِي) قَوْلُهُ تَشَاقُونَ فِيهِمْ أَيْ تَعَادُونَ وَتُخَاصِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِهِمْ وَقِيلَ الْمَشَافَقَةُ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ

وَالْجَزَاءُ الْمَتَوَعُّدُ إِلَى الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِقَابُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوَدَّى إِلَى قِصَرِ الظَّرْفِ عَلَى الْعَاجِلِ وَالْأَعْرَاضِ ﴿وَاحِدٌ﴾ عَنْ الدَّلَائِلِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الْمَوْجِبِ لِنَكَارِهَا وَانْكَارِ مَوْذَاهَا وَالْإِسْتِكْبَارِ عَنْ اتِّبَاعِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَنَصْدِيقُهُو أَمَا الْإِعْمَانُ هَاوٍ مَعَهَا

فقد هو لا محالة إلى التامل في الآيات والدلائل ورغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لعالم الله تعالى (الاجزم) أي حقا وقد من تحقيقة في سورة هود (ان ﴿ ٤٤٩ ﴾ كماله يعلم ما يسرون) من قلوبهم (وما يعنون) من

استكبارهم وقولهم للقرآن أساطير الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجاز بهم بذلك (انه لا يحب المستكبرين) تحليل لما تضمنته الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها ولا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر (واذا قيل لهم) أي لأولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غيب بيان ضلالهم (ماذا انزل ربكم) القائل الواقدون عليهم والمسبون أو بعض منهم على طريق التهمك وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أي أي شيء انزل أو ما الذي انزله (قالوا أساطير الأولين) أي مائد عون زو له أو المنزل بطريق السخرية أحاديث الأولين وأباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة بنفرون عن رسول الله صلى الله

أحد الخصمين في شق وكون الآخر في الشق الآخر (البحت الثالث) قرأنا فم تشاقون بكسر النون على الاضافة والباقون يفتح النون على الجمع ثم قال تعالى قال الذين أنوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفيه بختان (الاول) قال الذين أنوتوا العلم قال ابن عباس يريد الملائكة وقال آخرون هم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين والفائدة فيه أن الكفار كانوا يشكرون على المؤمنين في الدنيا فاذا ذكر المؤمن هذا الكلام يوم القيامة في معرض اهانة الكافر كان وقع هذا الكلام على الكافر وتأثيره في ابدانه أكمل وحصول الثماتة به أقوى (البحت الثاني) المرجحة احتجوا بهذه الآية على أن العذاب مخصص بالكافر قالوا لان قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على أن ماهية الخزي والسوء في يوم القيامة مخصصة بالكافر وذلك يفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم وأنا كدهذا بقول موسى عليه السلام ان قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف عذاب هؤلاء الكفار من وجه آخر فقال الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قرأ حرة يتوفاهم الملائكة بالياء لان الملائكة ذكور والباقون باناء للفظ ثم قال فأتقوا السلم ما كنا نعمل من سوء وفيه قولان (الاول) أنه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من الموت قال ابن عباس أسلموا وأقروا الله بالعبودية عند الموت وقوله ما كنا نعمل من سوء أي قالوا ما كنا نعمل من سوء والمراد من هذا سوء الشرك فقالت الملائكة ردا عليهم وتكديبا بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون من التكذيب والشرك ومعنى بلى رد لقولهم ما كنا نعمل من سوء وفيه قولان (الاول) انه تعالى حكى عنهم لقاء السلم عند القرب من الموت (والقول الثاني) انه تم الكلام عند قوله ظالمي أنفسهم ثم عاد الكلام الى حكاية كلام المشركين يوم القيامة والمعنى انهم يوم القيامة ألقوا السلم وقالوا ما كنا نعمل في الدنيا من سوء ثم ههنا اختلفوا فالذين جوزوا الكذب على أهل القيامة قالوا هذا القول منهم على سبيل الكذب وانما أقدموا على هذا الكذب لغاية الخوف والذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم قالوا معنى الآية ما كنا نعمل من سوء عند أنفسنا أو في اعتقادنا وأما بيان أن الكذب على أهل القيامة هل يجوز أم لا فقد ذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين واعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا ما كنا نعمل من سوء قال بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون ولا يبعد أن يكون قائل هذا القول هو الله تعالى أو بعض الملائكة ردا عليهم وتكديبا لهم ومعنى بلى الرد لقولهم ما كنا نعمل من سوء وقوله ان الله عليهم بما كنتم تعملون يعني انه عالم بما كنتم عليه في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب فانه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم ثم صرح بذكر العقاب فقال (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) وهذا يدل على تفاوت منازلهم في العقاب فيكون عقاب بعضهم أعظم من عقاب بعض وانما صرح تعالى بذكر الخلود

عليه وسلم عند سؤال ﴿ ٥٧ ﴾ خا وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام (ليحملوا) متعلق بقاوا أي قالوا ما قالوا ليحملوا (أوزارهم) الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شيء ينكبة أصواتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا

(ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان ههنا يضلله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في ﴿ ٤٥٠ ﴾ نفس الامر من غير أن يكون غرضاً وصيغة

الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أى يضلونهم غير عالين بأن ما يدعون اليه طريق الضلال وأما حله على معنى غير عالين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والاضلال على أن يكون العامل في الحال قالوا وتأيد به سأتى من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث أن أوزار الضلال و الاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فبرده أن الحمل المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذاب النبوي كما ستقف عليه أحوال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذى لب وإنما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على

ليكون الغم والحزن أعظم ثم قال (فلبئس مثوى المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الانبياء وتفسير التكبر قد مر في هذا الكتاب غير مرة والله أعلم بقوله تعالى (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير وانعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الاقوام الذين اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين وذكر انهم يحملون أوزارهم ومن أوزار اتباعهم وذكر أن الملائكة تتوفاهم ظلمى أنفسهم وذكر انهم في الآخرة يلقون السلم وذكر انه تعالى يقول لهم ادخلوا أبواب جهنم أتبعه بذكر وصف المؤمنين الذين اذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً وذكر ما عده لهم في الدنيا والآخرة من منازل الخيرات ودرجات السعادات ليكون وعد هؤلاء مذكراً ووعيد أولئك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال القاضي يدخل تحت التقوى ان يكون تاركاً لكل المحرمات فاعلاً لكل الواجبات ومن جمع بين هذين الامرين فهو مؤمن كامل الايمان وقال أصحابنا ير يد الذين اتقوا الشرك وأيقنوا أنه لا اله الا الله محمد رسول الله وأقول هذا أولى مما قاله القاضي لاننا بينا أنه يكفي في صدق قوله فلان قائل أو ضارب كونه أتياً بقتل واحد وضرب واحد ولا يتوقف صدق هذا الكلام على كونه أتياً بجميع أنواع القتل وجميع أنواع الضرب فعلى هذا قوله وقيل للذين اتقوا يتناول كل من أتى بنوع واحد من أنواع التقوى الا انما أجمعنا على أنه لا بد من التقوى عن الكفر والشرك فوجب أن لا يزيد على هذا القيد لانه لما كان تقييد المطلق خلاف الاصل كان تقييد المقيد أكثر تحاشفاً للاصل وأيضاً فلانه تعالى انما ذكر هؤلاء في مقابلة أولئك الذين كفروا وأشركوا فوجب أن يكون المراد من اتقى عن ذلك الكفر والشرك والله أعلم (المسئلة الثانية) نقائل أن يقول انه قال في الآية الاولى قالوا أساطير الاولين وفي هذه الآية قالوا خيراً فلم رفع الاول ونصب هذا أجاب صاحب الكشف عنه بأن قال المقصود منه الفصل بين جواب المقرو جواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعموا وأطيعوا الجواب على السؤال ينشأ مكشوفاً مفعولاً الا انزال فقالوا خيراً أى انزل خيراً وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الاولين وليس من الانزال في شئ (المسئلة الثالثة) قال المفسرون هذا كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وأمره فيقولون انه ساحر وكاهن وكذاب فيأتى المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أنزل الله عليه فيقولون خيراً والمعنى أنزل خيراً ويحتمل أن يكون المراد الذى قالوه من الجواب موصوف بأنه خير وقولهم خير جامع لكونه حقاً وصواباً وليكونهم معترفين بصحته ولزومه فهو بالضد من قول الذين لا يؤمنون بالآخرة ان ذلك أساطير الاولين على وجه التكذيب (المسئلة الرابعة) قوله للذين

أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً اذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق والحقيق ﴿ أحسنوا ﴾ بالاتباع وبين البطل (الاساء مايزرون) أى بنس شيئا يزرونه ما ذكر (قدمكر الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى أنفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من

العذاب العاجل أي قدسوا ومنصوبات ليذكروا بها رسل الله تعالى (فأتى الله) أي أمرة وحكمه (بنيانهم) وقرئ
 يتهمهم ويوتهم (من القواعد) وهي الاساطين * ٤٥١ * التي تيممه أو أساسه فضعفت أركانها (فخر عليهم

السقف من فوقهم)
 أي سقط عليهم سقف
 بنيانهم إذ لا تصور له
 القيام بعد تهدم القواعد
 شبهت حال أولئك الما
 كرين في تسويتهم المكاييد
 والمنصوبات التي أرادوا
 بها الإيقاع برسل الله
 سبحانه وفي إبطاله تعالى
 تلك الحيل والمكاييد
 وجعله أياها أسبا با
 لهلاكهم بحال قوم
 بنيانينا وعدوه بالاساطين
 فأتى ذلك من قبل
 أساطينه بأن ضعفت
 فسقط عليهم السقف
 فهلكوا وقرئ فخر
 عليهم السقف بضمين
 (وأنهم العذاب) أي
 الهلاك والدمار (من
 حيث لا يشعرون) بانيانه
 منه بل يتوقعون آتيان
 مقابله بما يريدون ويشتهون
 والمعنى أنا هؤلاء الما كرين
 القائلين للقرآن العظيم
 أساطير الأولين سيأتيهم
 من العذاب مثل ما أتاهم
 وهم لا يحتسبون والمراد به
 العذاب العاجل لقوله
 سبحانه (ثم يوم القيامة
 يخز بهم) فإنه عطف
 على مقدر يشجب عليه

أحسنوا وما بعده بدل من قوله خيرا وهو حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا هذا القول
 ويجوز أيضا أن يكون قوله للذين أحسنوا أخبارا عن الله والتقدير أن المتقين لما قيل لهم
 ماذا أنزل ربكم قالوا خير أثم أنه تعالى أكد قولهم وقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا
 حسنته وفي المراد بقوله للذين أحسنوا قولان أما الذين يقولون إن أهل لاله لا اله الا الله
 يخرجون من النار فإنهم يحملونه على قول لاله الا الله مع الاعتقاد الحق وأما المعتزلة
 الذين يقولون إن فساق أهل الصلاة لا يخرجون من النار يحملون قوله أحسنوا على من
 أتى بالإيمان وجيم الواجبات واحترز عن كل المحرمات وأما قوله في هذه الدنيا
 فقيه قولان (أحدهما) أنه متعلق بقوله أحسنوا والتقدير للذين اتقوا بعمل الحسنة
 في الدنيا فلهم في الآخرة حسنة وتلك الحسنة هي الثواب العظيم وقيل تلك الحسنة هو
 أن ثوابها يضاعف بعشر مرات وبسبع مائة وإلى ما لا نهاية له (والقول الثاني) أن قوله
 في هذه الدنيا متعلق بقوله حسنة والتقدير للذين أحسنوا أن تحصل لهم الحسنة في الدنيا
 وهذا القول أولى لأنه قال بعده ولدار الآخرة خير وعلى هذا التقدير في تفسير هذه
 الحسنة الحاصلة في الدنيا وجوه (الأول) يحتمل أن يكون المراد ما يستحقونه من المرح
 والتعظيم والثناء والرفعة وجميع ذلك جزاء على ما عملوه (والثاني) يحتمل أن يكون المراد به
 الظفر على أعداء الدين بالحجة وبالغلبة لهم وباستغنام أموالهم وفتح بلادهم كما جرى بدر
 وعند قح مكة وقد أجلوهم عنها وأخرجوهم إلى الهجرة وإخلاء الوطن ومفارقة الأهل
 والولد وكل ذلك ما يعظم موقعه (والثالث) يحتمل أن يكون المراد أنهم لما أحسنوا بمعنى
 أنهم أتوا بالطاعات فتح الله عليهم أبواب المكاشفات والمشاهدات والالطاف كقوله تعالى
 والذين اهتدوا زادهم هدى وأما قوله ولدار الآخرة خير فقد بينا في سورة الانعام في قوله
 ولدار الآخرة خير للذين يتقون بالدلائل القطعية العقلية حصول هذا الخير ثم قال ولنعم
 دار المتقين أي لنعم دار المتقين دار الآخرة فقد ثبت سابق ذكرها هذا إذا لم يجعل
 هذه الآية متصلة بما بعدها فإن وصلتها بما بعدها قلت ولنعم دار المتقين جنات عدن
 فترفع جنات على أنها اسم لنعم كما تقول نعم الدار دار ينزلها زيد أما قوله جنات عدن فقيه
 مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنها كانت موصولة بما قبلها فقد ذكرنا وجه ارتفاعها
 وأما أن كانت مقطوعة فقال الزجاج جنات عدن مرفوعة باضمار هي كأنك لما قلت
 ولنعم دار المتقين قيل أي دار هي هذه الممدوحة فقلت هي جنات عدن وإن شئت قلت
 جنات عدن رفع بالابتداء ويدخلونها خبره وإن شئت قلت نعم دار المتقين خبره والتقدير
 جنات عدن نعم دار المتقين (المسئلة الثانية) قوله جنات يدل على القصور والبساتين
 وقوله عدن يدل على الدوام وقوله تجري من تحتها الأنهار يدل على أنه حصل هناك أبديّة
 يرتفعون عليها وتكون الأنهار جارية من تحتهم ثم أنه تعالى قال لهم فيها ما يشاءون
 وفيه بحثان (الأول) أن هذه الكلمة تدل على حصول كل الخيرات والسعادات وهذا

الكلام أي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء وأما هو أعم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم في الدنيا
 ويوم القيامة يخز بهم أي يذاهم بهذاب الخزي على رؤس الاشهاد وأصل الخزي ذل يستحي منه ونم للإيمان إلى
 ما بين الجزأين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي

الزمانى وتغير السبك بتقديم الظرف لبس لقصر الخبر على يوم القيامة كما هو المشاهر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن ﴿ ٤٥٢ ﴾ بأن لهم جزاء آخر وافتتق النفس متقية الى وروده

سائلة عنه بأنه ما دام
تبقها بأنه في الآخرة
فسبق الكلام على وجه
يؤذن بأن المقصود
بالذكر اخراؤهم لا كونه
يوم القيامة والضمير
اما للمفتري في حق
القرآن الكريم أولهم
ولن مثلوا بهم من
الماكرين كما أشير اليه
وتخصيصه بهم بأية
السابق والسابق كما
ستقف عليه (ويقول)
لهم تفضيحا وتوبيخا
فهو بيان للاخراء (أين
شركائى) أضافهم اليه
سبحانه حكاية لاضافتهم
الكاذبة ففيه توبيخ
اثر توبيخ مع الاستهزاء
بهم (الذين كنتم
تشاقون فيهم) أى
تخاصمون الانبياء
والمؤمنين في شأنهم
بأنهم شركاء حقاقين
ينوالكم بطلانها والمراد
بالاستفهام استحضارها
للاستفاعة أو المدافعة على
ظرفقة الاستهزاء
والتبكيت والاستفسار
عن مكانهم لا يوجب
غيبتهم حقيقة حتى
يعتذر بأنه يجوز أن يحان

أبلغ من قوله فيها ما انتهى الانفس ولذا لا عين لان هذين القسامين داخلان في قوله لهم
فيها ما يشاؤون مع أقسام أخرى (الثاني) قوله لهم فيها ما يشاؤون يعنى هذه الحالة لا تحصل
الانى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر وذلك يدل على أن الانسان لا يجد كل
ما يريد في الدنيا ثم قال تعالى كذلك يجزى الله المتقين أى هكذا يكون جزاء التقوى ثم انه
تعالى عاد الى وصف المتقين فقال الذين تتوفاهم الملائكة طيبين وهذا مذكور في مقابلة
قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم وقوله الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين
في قوله كذلك يجزى الله المتقين وقوله طيبين كلمة مختصرة جامعة للعانى الكثيرة وذلك
لانه يدخل فيه أتياهم بكل ما أمروا به واجتنبوا به عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم
موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين
عن العلائق الجسمية متوجهين الى حضرة القدس والطهارة ويدخل فيه أنه طاب
لهم قبض الارواح وانهم لم يقبض الامم البشارة بالجنة حتى صاروا كأئمتهم مشاهدون
لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت وأكثر المفسرين على ان هذا التوفى هو قبض الارواح
وان كان الحسن يقول انه وفاة الحشر ثم بين تعالى أنه يقال لهم عند هذه الحالة ادخلوا
الجنة فاتحج الحسن بهذا على أن المراد بذلك التوفى وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض
الارواح في الدنيا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ومن ذهب الى القول الاول وهم
الاكثرون يقولون ان الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأئمتهم ادارهم وكأئمتهم
فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة أى هى خاصة بكم كأئمتهم فيها وقوله تعالى (هل
ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر بك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم
الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيأت ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون)
اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية لشكرى النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن
ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون
في التصديق بنبوتك الا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال ان القوم لما
طعنوا في القرآن بأن قالوا انه أساطير الاولين وذكر الله تعالى أنواع التهديد والوعيد لهم
ثم اتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا وصدقا وصوابا عاد الى بيان أن أولئك
الكفار لا ينجرون عن الكفر بسبب البيانات التي ذكرناها بل كانوا لا ينجرون عن
تلك الاقوال الباطلة الا اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد وأنهم أمر بك وهو عذاب
الاستئصال واعلم أن على كلا التفسيرين فقد قال تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم أى
كلام هؤلاء وأفعالهم يشبه كلام الكفار المتقدمين وأفعالهم ثم قال وما ظلمهم الله
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والتقدير كذلك فعل ان الذين من قبلهم فأصابهم الهلاك المجل
وما ظلمهم الله بذلك فانه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم ولكنهم ظلموا أنفسهم بأن كفروا
وكذبوا الرسل فاستوجبوا منازل بهم ثم قال فأصابهم سيأت ما عملوا والمراد أصابهم

بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا فيها أو بأنهم لما ينفعوهم فكأنهم عذاب
غيب بل يكفى في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك
شركاء ولا ما كنهم على أن قوله ليتفقدوها ليس بسيدفانه قد تبين عندهم الامر

حيث قد فرجوا عن ذلك الرغم الباطل فكيف تصور منهم التقدير بكسر النون أى تشاقتنى على ان مشاقاة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لاسيما ﴿٤٥٣﴾ في شأن متعلق به سبحانه مشاقاة عز وجل (قال الذين أوتوا العلم)

من أهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين أوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اى يقولون توبخناهم واطهارا للشجاعة بهم وتقرير الماكانوا يعطونهم وتحققا لما وعدوهم به وايتارصيغة الماضي للدلالة على تحققة وتحم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف (ان الخرزى) الفضيحة والذل والهوان (البوم) منصوب بالخرزى على رأى من يرى اعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا أنه مغفر في الظرف وايراده للاشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق (والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسله (الذين تتوفاهم الملائكة) بتأنيث الفعل وقري بتذكيره وبادغام

عقاب سيئات ما عملوا وحاق بهم اى نزل بهم على وجه أحاط بجوانبهم ما كانوا به يستهزئون اى عقاب استهزائهم * قوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) كذلك فعل الذين من قبلهم ففعل على الرسل الابلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تخصص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين) اعلم أن هذا هو التشبه الثالثة لمنكرى النبوة وتقريرها انهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن في النبوة فقالوا لو شاء الله الايمان لحصل الايمان سواء جئت أولم تجئ ولو شاء الله الكفر فانه يحصل الكفر سواء جئت أولم تجئ واذا كان الامر كذلك فانكل من الله تعالى ولا فائدة في بحثك وارسالك فكان القول بالنبوة باطلا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن هذه التشبه هي عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الانعام في قوله سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم واستدلال المعتزلة به مثل استدلالهم بتلك الآية والكلام فيه استدلالا واعتراضا عين ماتقدم هناك فلا فائدة في الاعادة ولا بأس بأن نذكر منه القليل فنقول الجواب عن هذه التشبه هي انهم قالوا لما كان الكل من الله تعالى كان بعثة الانبياء عينا فنقول هذا اعتراض على الله تعالى فان قولهم اذالم يكن في بعثة الرسول من يد فائدة في حصول الايمان ودفع الكفر كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى فهذا القول جار مجرى طلب العلة في أحكام الله تعالى وفي أفعاله وذلك باطل بل الله تعالى أن يحكم في ملكه وملكوته ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يجوز أن يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذلك والدليل على أن الانكار انما توجه الى هذا المعنى انه تعالى صرح في آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى أن سنته في عبيده ارسال الرسل اليهم وأمرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان أمر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر الا أنه تعالى هدى البعض وأضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع العباد وهي أنه يأمر الكل بالايمان وينهاهم عن الكفر ثم يخلق الايمان في البعض والكفر في البعض ولما كانت سنة الله تعالى في هذا المعنى سنة قديمة في حق كل الانبياء وكل الامم والملل وانما يحسن منه تعالى ذلك بحكم كونه الهامزا عنها عن اعتراضات المعتزتين ومطالبات المنازعين كان يراد هذا السؤال من هؤلاء الكفار موجبا للجهل والضلال والبعد عن الله فثبت ان الله تعالى انما يحكم على هؤلاء باستحقاق الخزي واللعن لالانهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ بل لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الانبياء والرسول وهذا باطل فلا جرم استحقوا

التأني في التأمل والدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيقهم باهم لما فيه من الهول والموصول في محل الجر على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو في محل التصب أو الرفع على الذم وفأنته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين

الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره أى على الكافر ين المستر بن على الكفر أن يوفاهم الملائكة (ظالمى أنفسهم) أى حال كونهم مستر بن على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم ﴿ ٤٥٤ ﴾ وأى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد

وبدلوا فطرة الله تبدلوا
(فألقوا السلم) أى
فيلقون والعدول الى
صيغة الماضي للدلالة
على تحقق الوقوع وهو
عطف على قوله تعالى
ويقول أين شركائى
وما بينهما جله اعتراضية
جئى بها لتحقيق لما حاق
بهم من الخزي على
رؤس الاشهاد
أى فيسالمون ويتركون
المشاقة ويزلون عما
كانوا عليه في الدنيا
من الكبر وشدة الشكيمة
قائلين (ما كنا نعبد
في الدنيا (من سوء)
أى من شرك قالوه
منكرين لصدوره عنهم
كقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين وإنما
عبدا عنه بالسوء اعترافا
بكونه سيئا لانكارا
لكونه كذلك مع
الاعتراف بصدوره
عنهم ويجوز أن يكون
تفسيرا للسلم على أن
يكون المراد به الكلام
الدال عليه وعلى
التقديرين فهو جواب
عن قوله سبحانه أين
شركائى كما في سورة

على هذا الاعتقاد من يد النعم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح الذى يعول عليه في هذا
الباب وأما من تقدمنا من المتكلمين والمفسرين فقد ذكروا فيه وجه آخر فقالوا ان
المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شيب عليه السلام له انك
لانت الخليم الرشيد ولو قالوا ذلك معقدين لكانوا مؤمنين والله أعلم (المسئلة الثانية)
اعلم أنه تعالى لما حكي هذه الشبهة قال كذلك فعل الذين من قبلهم أى هؤلاء الكفار ابدأ
كانوا متمسكين بهذه الشبهة ثم قال فهل على الرسل الابلاغ المبين أم المعتبرة فقالوا معناه
ان الله تعالى ما منم أحدا من الايمان وما أوقعه في الكفر والرسل ليس عليهم الا التبليغ
فلا يلغوا التكليف وثبت أنه تعالى ما منم أحدا عن الحق كانت هذه الشبهة ساقطة
أما أصحابنا فقالوا معناه انه تعالى أمر الرسل بالتبليغ فهذا التبليغ واجب عليهم فاما ان
الايمان هل يحصل أم لا يحصل فذلك لا يتعلق للرسل به ولكنه تعالى يهدى من يشاء
باحسانه ويضل من يشاء بخذلانه (المسئلة الثالثة) احتج أصحابنا في بيان ان الهدى
والضلال من الله بقوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وهذا يدل على انه تعالى كان أبدا في جميع الملل والامم أمرا بالايمان وناهبا عن الكفر ثم
قال ففهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى ففهم من هدا الله الى الايمان
والصدق والحق ومنهم من أضله عن الحق وإعماه عن الصدق وأوقعه في الكفر والضلال
وهذا يدل على ان أمر الله تعالى لا يوافق إرادته بل قد يأمر بالشئ ولا يريد ونهى عن
الشئ ويريد كما هو مذهبنا والحاصل ان المعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان
أما العلم والارادة فقد يختلفان ولفظ هذه الآية صريح في قولنا وهو ان الامر بالايمان
عام في حق الكل أما ارادة الايمان فخاصة بالبعث دون البعض أجاب الجبائى بأن المراد
فهم من هدى الله لنيل ثوابه وجنته ومنهم من حقت عليه الضلالة أى العقاب قال وفى
قوله حقت عليه دلالة على انها العذاب دون كلمة الكفر لان الكفر والمعصية لا يجوز
وصفهما بأنه حق وأيضاً قال تعالى بعده فسبروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين وهذه العاقبة هى آثار الهلاك لمن تقدم من الامم الذين استأصلهم الله تعالى
بالعذاب وذلك يدل على أن المراد بالضلال المذكور هو عذاب الاستئصال وأجاب الكعبي
عنه بأن قال قوله ففهم من هدى الله أى من اهتدى فكان في حكم الله مهتديا ومنهم من
حقت عليه الضلالة يريد من ظهرت ضلالته كما يقال للظالم حق ظلمك وتبين ويجوز أن
يكون المراد حق عليهم من الله أن يضلهم اذا ضلوا كقوله ويضل الله الظالمين وأعلم اننا بينا
في آيات كثيرة بالدلائل العقلية القاطعة ان الهدى والضلال لا يكونان الا من الله تعالى
فلا فائدة في الاعادة وهذه الوجوه المتعسفة والتأويلات المستكرهة قد بينا ضعفها
وسقوطها مرارا فلا حاجة الى الاعادة والله أعلم (المسئلة الرابعة) في الطاغوت قولان
(أحدهما) ان المراد به اجتنبوا عبادة ما تعبدون من دون الله فسمى الكل طاغوتا

الانعام لاعتق قول أولى العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لمادهم من الخزي والسوء (بلى) رد عليهم ﴿ ولا يمتنع ﴾
من قبل أولى العلم وأثبت لما نفوه أى بلى كنتم تعملون ما تعملون (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه
وهذا أوانه (فادخلوا أبواب جهنم) أى كل صنف باب به العذله وقيل أبوابها أصناف عذابها

فالدخول عبارة عن الملابس والمقاساة (خالد بن فيها) ان أر يد بالدخول حدوثة فالحال مقدرون أو يد مطلق الكون فيها فهي مقارنة (فلبس مشوى المتكبر بن) ﴿ ٤٥٥ ﴾ عن التوحيد كما قال تعالى قلو بهم منكروهم مستكبرون

وذكرهم بعنوان التكبر
للاشعار بعليته لثوائهم
فيها والخصوص بالذم
محذوف أى جهنم
وتأويل قولهم ما كنا
نعمل من سواها ما كنا
عاملين ذلك في اعتقادنا
روما للمحافظ على
أن لا كذب ثمة يرد له الرد
الذكور وما في سورة
الانعام من قوله تعالى
انظر كيف كذبوا على
أنفسهم (وقيل للذين
اتقوا) أى المؤمنين
وصفوا بالتقوى اشعارا
بأن ما صدر عنهم من
الجواب ناشئ عن التقوى
(ماذا أنزل ربكم فالوا
خيرا) سلوكوا في الجواب
مسلك السؤال من
غير تلعم ولا تغيير في
الصورة والمعنى أى أنزل
خيرا فانه جواب مطاوعة
للسؤال سبكا وللواقع
في نفس الامر مضبونا
وأما الكفرة فانهم خذ
لهم الله تعالى كإغير وا
الجواب عن نهج الحق
الواقع الذي ليس له من
دافع غير صورته
وعدلوا بها عن سنن
السؤال حيث رفعوا

ولا يمتنع أن يكون المراد اجتنوا طاعة الشيطان في دعائه لكم (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ومنهم من حقت عليه الضلالة يدل على مذهبنا لانه تعالى لما أخبر عنه أنه حقت عليه الضلالة امتنع أن لا يصدر منه الضلالة والا لانقلب خبر الله الصدق كذبا وذلك محال ومستلزم المحال محال فكان عدم الضلالة منهم محالا ووجود الضلالة منهم واجبا عقلا فهذه الآية دالة على صحة مذهبنا من هذه الوجوه الكثيرة والله أعلم ونظائر هذه الآية كثيرة منها قوله في يها هدى وفر يقا حق عليهم الضلالة وقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وقوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ثم قال تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين والمعنى سيروا في الارض معتبرين لتعرفوا ان العذاب نازل بكم كما نزل بهم ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة فانه لا يهتدى فقال ان تحرص على هذا هم أى ان تطلب بجهلك ذلك فان الله لا يهتدى من يضل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وحزرة والكسائي يهتدى بفتح الياء وكسر الدال والباقون لا يهتدى بضم الياء وفتح الدال أما القراءة الاولى ففيها وجهان (الاول) فان الله لا يرشد أحدا أضله و بهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما (والثاني) أن يهتدى بمعنى يهتدى قال القراء العرب تقول قد هدى الرجل يريدون قد اهتدى والمعنى أن الله اذا أضل أحدا لم يصبر ذلك مهتديا وأما القراءة المشهورة فالوجه فيها ان الله لا يهتدى من يضل أى من يضل له فالراجع الى الموصول الذي هو من محذوف ومقدور وهذا كقوله من يضل الله فلا هادى له وكقوله فمن يهتدي من بعد الله أى من بعد اضلال الله اياه ثم قال تعالى وما لهم من ناصرين أى وليس لهم أحد ينصرهم أى يعينهم على مطلوبهم في الدنيا والآخرة وأقول أول هذه الآيات موهم للمذهب المعتزلة وآخرها مشتمل على الوجوه الكثيرة الدالة على قولنا وأكثر الآيات كذلك مشتملة على الوجهين والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وأفسوا بالله جهد أيمانهم لايأتى الله من موت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يخفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقوله كن فيكون) وفيه مسئلتان (الاولى) اعلم ان هذا هو الشبهة الرابعة لمنكرى النبوة فقالوا القول بالبعث والحشر والنشر باطل فكان القول بالنبوة باطلا (أما المقام الاول) فتقريره ان الانسان ليس الا هذه البينة المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه وبطل ذلك المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فثابته وعدمه فالذى يعود يجب أن يكون شيئا مغايرا للاول فلا يكون عينه (وأما المقام الثانى) وهو أنه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة وتقريره من وجهين (الاول) أن محمدا كان داعيا الى تقرير القول بالمعاد فاذا بطل ذلك ثبت أنه كان داعيا الى القول بالباطل ومن كان كذلك لم يكن رسولا صادقا (الثانى) أنه يقرر نبوة نفسه وجوب طاعته بناء على الترغيب في الثواب

لا ساطع روما لما مر من انكار الغزول روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي عليه السلام فادعوا الوافد كفه المقتسمون وأمرهم بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول اناشروا فدان رجعت الى قومي دورنا سطلهم امر محمد وأراه فيلقى أصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم ورضى عنهم فليخبرونه بتحقيقه الحال فهم الذين قالوا خيرا (الذين أحسنوا) أي أعمالهم أو فعلوا الإحسان (في هذه الدار) (الدنيا حسنة) أي مثوبة حسنة ﴿ ٤٥٦ ﴾ مكافأة فيها (ولدار الآخرة) أي مثوبتهم فيها

فيها (خير) مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو خير على الإطلاق فيجوز اسناد الخبرية إلى نفس دار الآخرة (ولعم دار المتقين) أي دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة إحسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا يحمل له من الأعراب أو بدل من خيرا أو تفضير له أي أنزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم جنات ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) صفة للجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (تجري من تحتها الأنهار) أو كلاهما حال على تقدير علميته (لهم فيها) في تلك الجنات (ما يشاؤون) الظرف الأول خبر لما والثاني حال منه والعمل ما في الأول أو متعلق به أي حاصل لهم فيهما

والترهيب عن العقاب وإذا بطل ذلك بطلت نبوته إذا عرفت هذا فقول قولهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت معناه أنهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن الشيء إذا فني وصار عدا محضاً ونفياً صرافاً فانه بعد هذا العدم الصرفي لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئاً آخر غيره وهذا القسم واليمين إشارة إلى أنهم كانوا يدعون العلم الضروري بأن عوده بعينه بعد عدمه محال في بدية العقل وأقسموا بالله جهد أيمانهم على أنهم يجدون من قلوبهم وعقولهم هذا العلم الضروري وأما بيان أنه لما بطل القول بالبعث بطل القول بالنبوة فلم يذكره على سبيل التصريح لانه كلام جلي متبادر إلى العقول فتركوه لهذا العذر ثم انه تعالى بين ان القول بالبعث ممكن ويدل عليه وجهان (الاول) أنه وعد حق على الله تعالى فوجب تحقيقه ثم بين السبب الذي لاجله كان وعدا حقا على الله تعالى وهو التمييز بين المطيع وبين العاصي وبين الحق والمبطل وبين الظالم والمظلوم وهو قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وهذه الطريقة قد بالغنا في شرحها وتقرر بها في سورة يونس (والوجه الثاني) في بيان إمكان الحشر والشتر ان كونه تعالى مو جدا للشيء ومكونا لها لا يتوقف على سبق مادة ولا مدة ولا آلة وهو تعالى انما يكونها بمحض قدرته ومشئته وليس لقدرة دافعه ولا مشيئته مانع فعبر تعالى عن هذا النفاذ الخالي عن المعارض بقوله انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وإذا كان كذلك فكما أنه تعالى قدر على الإيجاد في الابتداء وجب أن يكون قادرا عليه في إعادة ثبت بهذين الدليلين القاطعين ان القول بالحشر والنشر والبعث والقيامة حق وصدق والقوم انما طعنوا في صحة النبوة بناء على الطعن في هذا الأصل فلما بطل هذا الطعن بطل أيضا طعنهم في النبوة والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم حكاية عن الذين أشركوا وقوله بلى أثبات لما بعد النفي أي بلى بعثهم وقوله وعدا عليه حقا مصدر مؤكد أي وعدا بالبعث وعدا حقا لا خلف فيه لان قوله بعثهم دل على قوله وعدا بالبعث وقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه من أمور البعث أي بلى بعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما أقسموا فيه ثم قال تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول كن فيكون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) نقائل أن يقول قوله كن ان كان خطابا مع المعلوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان هذا أمرا يتحصّل الحاصل وهو محال والجواب ان هذا تمثيل لنفي الكلام والمعاية وخطاب مع الخلق بما يعقلون وليس خطابا للمعلوم لان ما أراد الله تعالى فهو ~~كائن~~ على كل حال وعلى ما أراد من الأسراع ولو أراد خلق الدنيا والآخرة فيهما من السموات والأرض في قدر لمح البصر لقدرة على ذلك ولكن العباد خوطبوا بذلك على قدر عقولهم (المسئلة الثانية) قوله تعالى قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي اذا أردنا حدوث شيء فليس إلا أن نقول له

يشاؤون من أنواع المشتهات وتقديعه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة أو لما مر مرارا من أن تأخير ﴿ احدث ﴾ ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فيضلل تمكن (كذلك) مثل ذلك الجزاء الاوئي (يجزي الله المتقين) اللام

للجنس أي كل من يتقى من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المقول المذكورون دخولا أوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى
أو للعهد فيكون فيه تحسيرا للكرة (الذين تتوفاهم ﴿ ٤٥٧ ﴾ الملائكة) نعمت للمحقين وقوله تعالى (طيبين) أي

طاهرين عن دنس الظلم
لا تفهم حال من الضمير
وقائده الايدان بان ملاك
الامر في التقوى هو
التمهارة عماد كرا الى
وقت تفهم فقيده
لاحو من على الاستمرار
على ذلك ولغيرهم على
تحصيله وقيل فرحين
طبي النفس بشاره
الملائكة اياهم بالجنة أو
طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية
الى جناب القدس
(يقولون) حال من
الملائكة أي قائلين لهم
(سلام عليكم) قال
القرطبي رحمه الله اذا
استدعت نفس المؤمن من
جاءه ملك الموت عليه
السلام فقال السلام
عليك يا ولي الله تعالى
يقر أعليك السلام وبشره
بالجنة (ادخلوا الجنة)
اللام للعهد أي جنات
عدن الخ ولذلك جردت
عن التعت والمراد دخولهم
لها في وقته فان ذلك
بشارة عظيمة وان تراخي
المبشر به لادخول القبر
الذي هو روضة من

احدث فيحدث عقيب ذلك من غير توقف (المسئلة الثالثة) قرأ ابن عامر والكسائي
فيكون بنصب النون والباقون بالرفع قال القراء القراءة بالرفع وجهها أن يجعل قوله
أن نقوله كلاما تاما ثم يخبر عنه بأنه سيكون كما يقال ان زيدا يكتيد أن أمر فيفعل
فترفع قولك فيفعل على أن تجعله كلاما متبدا وأما القراءة بالنصب فوجهها أن تجعله
عطفا على أن نقول والمعنى أن نقول كن فيكون هذا قول جبيع النخوين قال الزجاج
ويجوز أن يكون نصبا على جواب كن قال أبو علي لفظه كن وان كانت على لفظة
الامر فليس القصد به هنا الامر انما هو والله أعلم الاخبار عن كون الشيء وحدوثه واذا
كان الامر كذلك فحينئذ يطل قوله انه نصب على جواب كن والله أعلم (المسئلة الرابعة)
احتج بعض أصحابنا بهذه الآية على قدم القرآن فقالوا قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا
أردناه أن نقوله كن فيكون يدل على انه تعالى اذا أراد احدث شيئا قاله كن فيكون
فلو كان قوله كن حاديا لافقر احداه الى أن يقول له كن وذلك يوجب التسلسل وهو
محال فثبت ان كلام الله قديم واعلم ان هذا الدليل عندى ليس في غاية القوة ويانه من
وجوه (الاول) ان كلمة اذا لا تفيد التكرار والدليل عليه ان الرجل اذا قال لا أمره اذا
دخلت الدار فانت طالق فدخلت الدار مرة طلقت طلقة واحدة فلو دخلت ثانيا لم تطلق
طلقة ثانية فعلمنا ان كلمة اذا لا تفيد التكرار واذا كان كذلك ثبت أنه لا يلزم في كل
ما يحدثه الله تعالى أن يقول له كن فلم يلزم التسلسل (والثاني) ان هذا الدليل ان صح
لزم القول بقدم لفظة كن وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان لفظة كن مركبة
من الكاف والنون وعند حضور الكاف لم تكن النون حاضرة وعند مجيء النون
تتولى الكاف وذلك يدل على ان كلمة كن يمتنع كونها قديمة وانما الذي يدعى أصحابنا
كونه قديما صفة معايرة للفظه كن فالذي تدل عليه الآية لا يقول به أصحابنا والذي
يقولون به لا تدل عليه الآية فسقط التمسك به (والثالث) ان الرجل اذا قال ان فلانا
لا يقدم على قول ولا على فعل الا ويستعين فيه بالله تعالى فان عاقلا لا يقول ان استعانته
بالله فعل من أفعاله فيلزم أن يكون كل استعانة مسبقة باستعانة أخرى الى غير النهاية
لان هذا الكلام بحسب العرف باطل فكذلك ما قالوه (الوجد الرابع) ان هذه الآية
مشعرة بحدوث الكلام من وجوه (الاول) ان قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه
يقضى كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث (والثاني) انه علق القول
بكلمة اذا ولاشك ان لفظة اذا تدخل للاستقبال (والثالث) ان قوله أن نقوله لا خلاف
ان ذلك ينبئ عن الاستقبال (والرابع) ان قوله كن فيكون يدل على ان حدوث الكون
حاصل عقيب قوله كن فكون كلمة كن متقدمة على حدوث الكون زمان واحد والمتقدم
على المحدث زمان واحد يجب أن يكون محدثا (والوجه الخامس) انه معارض بقوله تعالى
وكان امر الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا الله نزل أحسن الحديث فليستوا

ديانها اذ ليس في البشارة به ﴿ ٥٨ ﴾ خا ما في البشارة بدخول نفس الجنة (بما كنتم تعملون) بسبب ثباتكم على
التقوى والطاعة أو بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفى التوفى للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق (هل
نظرون) أي ما ينظر كفار مكة المار ذكرهم (الا ان تأنيهم الملائكة) لقبض ارواحهم

بالعذاب جعلوا متظنين ذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لآلآته يحتملهم البتة حقوق الأمر منه صدر بل لما شرعهم لآسبابه
الموجبة له المؤدية إليه فكانهم يقصدون آتيانه ويتصدون ﴿٤٥٨﴾ لوروده وقرئ بتذكير الفعل (أوبأى أمر

زبك) التعرض أو صف
الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه الصلاة
والسلام أشعار بأن آتيانه
أطف به عليه الصلاة
والسلام وإن كان عذابا
عليهم والمراد بالامر
لعذاب الديني لا القيامة
لكن لآلآنا نتظارها
يجماع انتظار آتيان
الملائكة فلا يلائمه
العطف بأولائها ليست
نصا في العناد إذ يجوز
أن يعتبر منع الخلو وراد
بإيرادها كقافية كل واحد
من الأمرين في عذابهم
بل لأن قوله تعالى فيما
سأتي ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون فأصابهم الآية
صريح في أن المراد به
ما أصابهم من العذاب
الديني (كذلك) أي
مثل فعل هؤلاء من الشرك
والظلم والكذب
والاستهزاء (فعل الذين)
خلوا (من قبلهم) من
الأمم (وما ظلمهم الله)
بما سبى من عذابهم
(ولكن كانوا) بما كانوا
مستمرين عليه من القبائح
الموجبة لذلك (أنفسهم
يظلمون) كان الظاهر

بحديث مثله ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة فإن قيل فهب إن هذه الآية لا تدل على
قدم الكلام ولكنكم ذكرتم أنها تدل على حدوث الكلام فما الجواب عنه قلنا نصرف
هذه الدلائل إلى الكلام المسموع الذي هو مركب من الحروف والأصوات ونحن نقول
بكونه محدثا مخلوقا والله أعلم ﴿٤٥٨﴾ قوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم
في الدنيا حسنة ولا أجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلوهم يتوكلون) أعلم
أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم أفسدوا بالله جهدا بمنهم على انكار البعث والقيامة
دل ذلك على أنهم تبادوا في النفي والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يبعد أقدامهم على
إيذاء المسلمين وضربهم وإنزال العقوبات بهم وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا عن
تلك الديار والمساكن فذكر تعالى في هذه الآية حكم تلك الهجرة وبين ما لهؤلاء المهاجرين
من الحسنات في الدنيا والآخر في الآخرة من حيث هاجروا وصبروا وتوكلوا على الله وذلك
ترغيب لغبرهم في طاعة الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في سنة
من الصحابة صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبريل ولية نقر يش فجعوا بعد نبؤتهم
أبردوهم عن الإسلام أما صهيب فقال لهم أن أرا رجل كبير أن كنت لكم لم أنفعكم وإن كنت
عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله فلما رآه أبو بكر قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم
الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريدوا لم يخلق الله النار لا طاعه فكيف
ظنك به وقد خلقها وأما سائرهم فقد قالوا بعض ما أراد أهل مكة من كلمة الكفر والرجوع
عن الإسلام فتركوا عذابهم ثم هاجروا فنزلت هذه الآية وبين الله تعالى بهذه الآية عظم
محل الهجرة ومحل المهاجرين فالوجه في ظاهره لأن بسبب هجرتهم ظهرت قوة الإسلام كما
أن بنصرة الأنصار قويت شوكتهم ودل تعالى بقوله والذين هاجروا في الله أن الهجرة إذا لم
تكن لله لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى بلد وقوله من بعد ما ظلموا معناه
أنهم كانوا مظلومين في أيدي الكفار لأنهم كانوا يعذبونهم ثم قال لنبؤتهم في الدنيا حسنة
وفيه وجوه (الأول) أن قوله حسنة صفة للمصدر من قوله لنبؤتهم في الدنيا والتقدير
لنبؤتهم تبوءة حسنة وفي قراءة على رضي الله عنه لنبؤتهم ابواءة حسنة (الثاني) لتبؤتهم
في الدنيا بمنزلة حسنة وهي الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل
المشرق والمغرب وعن عمر أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة أكبر (والقول الثالث) لنبؤتهم
مباداة حسنة وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم وهذا قول الحسن والشعبي
وقتادة والتقدير لنبؤتهم في الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة يعني المدينة ثم قال تعالى
ولا أجر الآخرة أكبر وأعظم وأشرف لو كانوا يعلمون والضمير إلى من يعود فيه قولان
(الأول) أنه عائد إلى الكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم
الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم (والثاني) أنه راجع إلى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك

أن يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أثر ما عليه النظم الكريم لا فائدة إن غائلة ﴿٤٥٩﴾ زادوا
ظلمهم آية البهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه
من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس

(فأصابهم) عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم فلك ظلم لأنفسهم
(سبئات ماعلوا) أى أجزية أعمالهم السبئية * ٤٥٩ * على طريقة تسمية المسبب باسم سببه أى أنا بفظاعته لأعلى
حذف المضاف فانه

يؤمنهم ان لهم اعمالا غير
سبئاتهم (وحق بهم)
أى أحاط بهم من الحيق
الذى هو احاطة الشر
وهو أبلغ من الاصابة
وأقطع (ما كانوا به
يستهللون) من العذاب
(وقال الذين أشركوا)

أى أهل مكة وهو بيان
لفن آخر من كفرهم
والعدول عن الاضمار
الى الموصول لتقر يعهم
بما في حيز الصلة وذمهم
بذلك من اول الامر
(لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شئ) أى
لو شاء عدم عبادتنا لشيئ
غيره كما تقول لما عبدنا
ذلك (نحن ولا آباؤنا)

الذين نفتدى بهم في ديننا
(ولا حرما من دونه
من شئ) من السوائب
والبحار وغيرها وانما قالوا
ذلك تكذيبا للرسول
عليه الصلاة والسلام
وطعنا في الرسالة رأسا
متسكين بأن ما شاء الله
تعالى يجب وما لم يشأ
يتم فلو أنه شاء أن
نوحده ولا نشرك به شيئا
ولا نحرم ما حرمنا شيئا

لماذا وفى اجتهدهم وصبرهم ثم قال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وفى محل الذين وجوه
(الاول) انه بدل من قوله والذين هاجروا (والثاني) أن يكون التقدير هم الذين صبروا
(والثالث) أن يكون التقدير أعنى الذين صبروا وكلا الوجهين مدح والمعنى انهم صبروا
على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانفس
فى سبيل الله وبالجملة فقد ذكروا فيه الصبر والتوكل أما الصبر فلا يسعى فى قهر النفس وأما
التوكل فلا ينقطع بالكلية من الخلق والتوجه بالكلية الى الحق (فالاول) هو مبدأ
السلوك الى الله تعالى (والثاني) آخر هذا الطريق ونهايته والله أعلم * قوله تعالى
(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات
والزبر) أى انك الذكركرتين للناس منازل اليهم واعلمهم يتفكرون فأمن الذين مكروا
السبئات أن يحسف الله بهم الارض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم
فى تغلبهم فاهمهم بمنزلة أو يأخذهم على تخوف فان ربكم رؤوف رحيم (فى الآية مسائل
(المسئلة الاولى) اعلم ان هذا هو الشبهة الخامسة لتكرى النبوة كانوا يقولون الله اعلى
واجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر بل لو أراد بعثة رسولنا لكان يبعث
ملكاً وقد ذكرنا تقرير هذه الشبهة فى سورة الانعام فلانبعده ههنا ونظير هذه الآية قوله
تعالى حكاية عنهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا أنؤمن لبشر ين مثنا وقالوا ما هذا
الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم
وقال أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك فيكون معه
نذيراً فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم والمعنى
ان عادة الله تعالى من أول زمان الخلق والتكليف أنه لم يبعث رسولا الا من البشر فهذه
العادة مستمرة لله سبحانه وتعالى وطعن هؤلاء الجهال بهذا السؤال الركيك أيضا طعن
قديم فلا يلتفت اليه (المسئلة الثانية) دلت الآية على انه تعالى ما أرسل أحدا من النساء
ودلت أيضا على انه ما أرسل ملكا لكن ظاهر قوله جاعل الملائكة رسلا يدل على ان
الملائكة رسل الله الى سائر الملائكة فكان ظاهر هذه الآية دليلا على انه ما أرسل رسولا
من الملائكة الى الناس قال القاضى وزعم أبو على الجبائى انه لم يبعث الى الانبياء عليهم
السلام الا من هو بصورة الرجال من الملائكة ثم قال القاضى لعله أراد ان الملك الذى
يرسل الى الانبياء عليهم السلام بحضرة أمهم لانه اذا كان كذلك فلا بد من أن يكون أيضا
بصورة الرجال كما روى ان جبريل عليه السلام حضر عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى صورة دحية الكلبي وفى صورة سرافقة وانما قلنا ذلك لان المعلوم من حال الملائكة
ان عند ابلاغ الرسالة من الله تعالى الى الرسول قد يبقون على صورتهم الاصلية الملكية
وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو

كما يقوله الرسل ويقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك
ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الفعل الشنيع
(فعل الذين من قبلهم) من الامم أى أشير كوا باله وحر مواحله ورد وارسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطا

وهدهم الى الحق (فهل على الرسل) الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه (الابلاغ المبين) أى ليست
وظيفةهم الاتباع الرسالت بل بغاوا وصحوا أو موضحا وابانه طريق الحق ﴿ ٤٦٠ ﴾ وظاهرا احكام الوحي الذى من جنتها

تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باختياره من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنتهدينهم سبلنا وأما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شأوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفةهم ولا من الحكمة التى عليها يدور أمر التكليف فى شئ حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يرتب عليه اثواب والعقاب من أفعال العباد لا بد فى تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيار بقله وصرف اختيارهم الجزئى الى تحصيله والالكان الثواب والعقاب اضطرار بين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شأنهم الاتباع أو امر الله تعالى ونوايه لتحقيق مضمونها واجراء موجهها

عليهم امرتين وعليه تأولو لقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى ولما ذكر الله تعالى هذا الكلام اتبعه بقوله فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى المراد بأهل الذكر وجوه (الاول) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد أهل التوراة والذكر هو التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكربعنى التوراة (الثانى) قال الزجاج فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معانى كتب الله تعالى فانهم يعرفون ان الانبياء كلهم بشر (والثالث) أهل الذكر أهل العلم باخبار الماضين اذ العالم بالشئ يكون ذا كراهة (والرابع) قال الزجاج معناه سلوا كل من يدرك بعلم وتحقيق وأقول الظاهر ان هذه الشبهة وهى قولهم الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر انما تمسك بها كفار مكة ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله بان يرجعوا فى هذه المسئلة الى اليهود والنصارى لينبذوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها فان اليهودى والنصرانى لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها (المسئلة الثانية) اختلف الناس فى انه هل يجوز للمجتهد تقليد المجتهد منهم من حكم بالجواز واحتج بهذه الآية فقال الملم يكن احدا للمجتهدين عالما وجب عليه الرجوع الى المجتهد الآخر الذى يكون عالما لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون فان لم يجب فلا أقل من الجواز (المسئلة الثالثة) احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا المكلف اذا نزلت به واقعة فان كان عالما بحكمها لم يجز له القياس وان لم يكن عالما بحكمها وجب عليه سؤال من كان عالما بها لظاهر هذه الآية ولو كان القياس حجة لما وجب عليه سؤال العالم لاجل انه يمكنه استنباط ذلك الحكم بواسطة القياس فثبت أن تجويز العمل بالقياس يوجب ترك العمل بظاهر هذه الآية فوجب أن لا يجوز والله أعلم وجوابه انه ثبت جواز العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع أقوى من هذا الدليل والله أعلم ثم قال تعالى بالبينات والزبر وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) ذكروا فى الجواب لهذه الباء وجوها (الاول) ان التقدير وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر الارجالا يوحى اليهم وأنكر الفراء ذلك وقال ان صلة ما قبل الاية تأخر الى ما بعد الاووالدليل عليه ان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الامع صلته غالم بصرف هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه (الثانى) ان التقدير وما أرسلنا من قبلك الارجالا يوحى اليهم بالبينات والزبر وعلى هذا التقدير فتقوله بالبينات والزبر متعلق بالمستثنى (الثالث) ان الجواب لهذه الباء محذوف والتقدير ارسلناهم بالبينات وهذا قول الفراء قال وظهير مامرا الاخوانك يزيد مامرا الاخوانك ثم يقول من يزيد (الرابع) أن يقال الذكربعنى العلم والتقدير فاسألوا أهل الذكر بالبينات والزبر ان كنتم لاتعلمون (الخامس) أن يكون التقدير ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر فاسألوا أهل الذكر (المسئلة الثانية) قوله تعالى بالبينات والزبر لفظة جامعة لكل ما تكامل به الرسالة لان مدار أمرها على المعجزات الدالة على صدق من

على الناس قسرا والجماء وايراد كلمة على للايدان بانهم فى ذلك مأمورون أو بان ما يلغونه حق للناس عليهم يدعى اغاؤه وهذا ظهر أن حل قولهم لو شاء الله الخ على الاستعزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب (ولقد بحثنا فى كل أمة رسولا) تحقيق كيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان ان الاجلاء ليس من وظائف

الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال الاختيارية لهم أي بعثنا في كل أمة من الأمم الخالية رسولا خاصا بهم (أن عبد الله) ﴿٤٦١﴾ يجوز أن تكون أن مفسرة لما في البعث من معنى القول

وان تكون مصدرية أي بعثنا بان عبد الله وحده (واجتنبوا الطاغوت) هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلال (فمهم) أي من تلك الأمم والنساء فصيحة أي قبلوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فنفروا فمهم (من هدى الله) الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله (وممنهم من حقت عليه الضلالة) أي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا امرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الاحتمال حاصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه الا بطريق القسر والالجاء حتى

يدعى الرسالة وهي البنات وعلى التكليف التي يبلغها الرسول من الله تعالى الى العباد وهي الز برغم قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ظاهر هذا الكلام يقتضي ان هذا الذكر مقرر الى بيان رسول الله والمقرر الى البيان مجمل فظاهر هذا النص يقتضي ان القرآن كله مجمل فلهذا المعنى قال بعضهم متى وقم التعارض بين القرآن وبين الخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن مجمل والدليل عليه هذه الآية والخبر مبين له بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل والجواب ان القرآن منه محكم ومنه من مشابه والمحكم يجب كونه مبينا فثبت ان القرآن ليس كله مجمل بل فيه ما يكون مجملا وقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على المجملات (المسئلة الثانية) ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لكل ما أنزل الله تعالى على المكلفين فمعهذا قال نقاة القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول بيان كل ما أنزل الله تعالى على المكلفين من الاحكام لاحتمال أن يبين المكلف ذلك الحكم بطريقة القياس ولمادات هذه الآية على أن المبين لكل التكليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم علمنا ان القياس ليس بحجة وأوجب عنه بانه صلى الله عليه وسلم لما بين ان القياس حجة فغن رجوع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى أفأمن الذين مكروا السيئات المكر في اللغة عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ولا بد ههنا من اضممار والتقدير المكرات السيئات والمراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى والا قربان المراد سعيهم في ابداء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على سبيل الخفية ثم انه تعالى ذكر في تهديدهم أمور أربعة (الاول) ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون (والثاني) ان يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون والمراد ان يأتيهم العذاب من السماء من حيث يفجؤهم فيهلكهم بغتة كما فعل بقوم لوط (والثالث) ان يأخذهم في قلبهم فاهم بمعجزين وفي تفسير هذا القلب وجوه (الاول) انه يأخذهم بانعقوبة في أسفارهم فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما أنه قادر على اهلاكهم في الحضر وهم لا يعجزون الله بسبب ضررهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله حيث كانوا وحمل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (وثانيهما) تفسير هذا اللفظ بانه يأخذهم بالليل والنهار في أحوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تنصرفهم في الامور التي تصرف فيها مثالهم (وثالثها) أن يكون المعنى أو يأخذهم في حال ما ينقلبون في قضايا أفكارهم فيحول الله بينهم وبين اتمام تلك الخيل قسرا كما قال ولونشاء لطمسنا على أعينهم فاستنبوا الصراط فأنى يهضرون وحمل لفظ القلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله وقلوبك الامور فانهم اذا قلبوها فقد تقلبوا فيها (والنوع الرابع) من الاشياء التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية

يستدل بعد مهم على عدم تغلق مشيئة تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) ياء عشر قر يش (في الارض فانظروا) في اكنافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود ومن سار سرتهم ممن حقت عليه الضلالة اهلككم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسيرة على محرد الاخبار بثبوت الضلالة

عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايدان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالبيان وترتيب النظر على السبيل انه بعده
وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ﴿ ٤٦٢ ﴾ ما عبدنا من دونه من شيء (ان تحرص)

على سبيل التهديد قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف وفي تفسير التخوف قولان (الاول)
التخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى انه تعالى لا يأخذهم
بالعذاب ولا يل يخيّفهم ولا يمتّ يعذبهم بعده وتلك الاخافة هو انه تعالى يهلك فرقة وتخاف
التي تليها فيكون هذا أخذاً ورد عليهم بعد أن يمر بهم قبل ذلك زماناً طويلاً في الخوف
والوحشة (والقول الثاني) ان التخوف هو التنقص قال ابن الاعرابي يقال تخوفت
الشيء وتخيفته اذا تنقصته وعن عمرانه قال على المنبر ما يقولون في هذه الآية فسكتوا فقام
شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في
اشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد

تخوف الرجل منها تامكافدا * كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه
تفسير كتابكم اذا عرفت هذا فنقول هذا التنقص يحتمل أن يكون المراد منه ما يقع
في اطراف بلادهم كما قال تعالى أو لا يرون اننا انأت الارض ننقصها من اطرافها والمعنى انه
تعالى لا يعاجلهم بالعذاب ولكن ينقص من اطراف بلادهم الى القرى التي تجاورهم
حتى يخلص الامر اليهم فيحشرون يهلكهم ويحتمل أن يكون المراد انه ينقص أموالهم
وأنفسهم قليلاً قليلاً حتى يأتي الفناء على الكل فهذا تفسير هذه الامور الاربعة والحاصل
انه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الارض أو بعذاب ينزل من السماء وبافات تحدث دفعة
واحدة حال ما لا يكونون عالمين بعلا ماتها ودلائلها وبافات تحدث قليلاً قليلاً الى أن يأتي
الهلاك على آخرهم ثم ختم الآية بقوله فان ربكم لرؤف رحيم والمعنى انه يعمل في أكثر
الامر لانه رؤف رحيم فلا يعاجل بالعذاب ﴿ قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من
شيء يتغيّبوا ظلاله عن اليمين والשמائل يسجدوا لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات
وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما خوف المشركين بالانواع
الاربعة المذكورة من العذاب اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم
العلوي والسفلي وتدبير أحوال الارواح والاجسام ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة
القاهرة والقوة الغير المتناهية لا يعجز عن ابصال العذاب اليهم على أحد تلك الاقسام
الاربعة (المسئلة الثانية) قرأ حزنه والكسائي أولم يروا بالناء على الخطاب وكذلك في
سورة العنكبوت أولم يروا أن الله يبدأ الخلق ثم يعيده بالناء على الخطاب والباقيون بالياء
فيهما كناية عن الذين مكروا السيئات وايضا ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم
الارض أو يأتيهم العذاب أو يأخذهم فكذا قوله أولم يروا وقرأ أبو عمر ووحده تغيبوا
بالناء والباقيون بالياء وكلاهما جائز لتقدم الفعل على الجمع (المسئلة الثالثة) قوله أولم
يروا الى ما خلق الله لما كانت الرؤية هي ما ينبغي النظر وصلت بالي لان المراد به الاعتبار

خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقرى بفتح الراء وهى
لغية (على هداهم)
أى ان تطلب هدايتهم
بجهدك (فان الله لا يهدي
من يضل) أى فاعلم
أنه تعالى لا يخلق الهداية
جبراً وقسرافين يخلق
فيه الضلالة بسوء
اختياره والمراد به قرىش
وانما وضع الموصول موضع
الضمير للتصيص على
انهم ممن خفت عليه
الضلالة ولا شعاربطة
الحكم ويجوز أن يكون
المذكور علة للجزاء
المخوف أى ان تحرص
على هداهم فليست
بقادر على ذلك لان
الله لا يهدي من يضل
وهو لاء من جلتهم
وقرى لا يهدي على
بناء المفعول أى لا يقدر
أحد على هداية
من يضل الله تعالى وقرى
لا يهدي بفتح الهاء
وادغام تاء بهندى في
الدال ويجوز أن يكون
يهدى بمعنى يهتدى
وقرى يضل بفتح الياء
وقرى لا هادى لمن يضل
ولن أضل (ومالهم

من ناصرين) ينصرونهم في الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار ﴿ والاعتبار ﴾
الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الاحاد الى الاحاد لان المراد في طائفة من الناصرين من كل
منهم (وأقسموا بالله) شروع في بيان فن آخر من ابطالهم وهو انكارهم البعث (جهنم أيمانهم) مصدر في موقع

الحال اى جاھدين فى ايمانهم (لا يبعث الله من يموت) ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق (بلى) اى بلى
بيعتهم (وعدا) مصدر مؤكد لما دل عليه ﴿ ٤٦٣ ﴾ بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه أو لمخوف أى وعد

بذلك وعدا (عليه) صفة
لوعدا أى وعدا ثابتا عليه
انجازه لا متاعا الخلف
فى وعده أولا لان البعث من
مقتضيات الحكمة (حقا)
صفة أخرى له أو نصب
على المصدرية أى حق
حقا (ولكن أكثر الناس)
لجهلهم بشئ الله عز شأنه
من العلم والقدرة والحكمة
وغيرها من صفات الكمال
وبما يجوز عليه وما لا يجوز
وعدم وقوفهم على سر
التكوين والغاية
القصوى منه وعلى
ان البعث مما يقتضيه
الحكمة التى جرت عادته
سبحانه بما عاينها
(لا يعلمون) أنه يبعثهم
فيبتون القول بعدمه
أو أنه وعد عليه حق
فيكتبونه قائلين لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا من قبل
ان هذا الاساطير الاولين
(اليمن لهم) غاية لما دل
عليه بلى من البعث والضمير
لن يموت اذا تبين لهم
المؤمنين أيضا فانهم
وان كانوا عالمين بذلك
لكنه عند معاشة حقيقة
الحال يتضح الامر فيصير
علمهم الى مرتبة عين

والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتى يكون معها انظر الى الشئ وتأمل لاحواله وقوله الى
ما خلق الله من شئ قال أهل المعاني اراد من شئ له ظل من جبل وشجرو بناء وجسم قائم
ولفظ الآية يشعر بهذا القيد لان قوله من شئ يتغيب ظلاله عن اليمين والشمائل يدل على
ان ذلك الشئ كيف يقع له ظل على الارض وقوله يتغيب ظلاله اخبار عن قوله شئ وليس
بوصف له ويتغيب يتفعل من النى يقال فاء الظل بىء فيما اذا رجع وعاد بعد ما نسخنه ضياء
الشمس وأصل النى الرجوع ومنه فى المولى وذكرنا ذلك فى قوله تعالى فان فاوا فان الله
غفور رحيم وكذلك فى المسلمين لما يعود على المسلمين من مال من خالف دينهم ومنه قوله تعالى
ما افاء الله على رسوله منهم وأصل هذا كله من الرجوع اذا عرفت هذا فنقول اذا عدى فاء
فانه يعدى اما بزيادة الهمة أو بتضعيف العين أما التعدية بزيادة الهمة فكقوله ما افاء
الله وأما بتضعيف العين فكقوله فباء الله الظل فتغيا وتغيا مطاوع فباء قال الازهرى تغيب
الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتغيب لا يكون الا بالعتشى بعد ما انصرفت عنه
الشمس والظل ما يكون بالغداة وهو ما مله الشمس كما قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا النى من برد الشئ تذوق

قال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة ان رؤية قال كل ما كانت عليه الشمس فرالت عنه فهو
فىء وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ومنهم من أنكر ذلك فان ابا زيد أنشد للناطقة
الجمدى

فسلام الاله يمدو عليهم * وفيؤ الغروس ذات الظلال

فهذا الشعر قد وقع فيه لفظ النى على ما مله الشمس لان ما فى الجنة من الظل
ما حصل بعد ان كان زائلا بسبب نور الشمس وتقول العرب فى جم فى أفياء وهى للعدد
القليل وفيؤ للكثير كالنفوس والعيون وقوله ظلاله أضاف الظلال الى مفرد ومعناه
الاضافة الى ذوى الظلال وانما حسن هذا لان الذى عاد اليه الضمير وان كان واحدا
فى اللفظ وهو قوله الى ما خلق الله الأنة كثير فى المعنى ونظيره قوله تعالى لتستووا على
ظهوره فاضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد أى يديه الكثرة وهو
قوله ما تركون هذا كله كلام الواحدى وهو بحث حسن أما قوله عن اليمين والشمائل
ففيه بحثان (الاول) فى المراد باليمين والشمائل قولان (الاول) ان يمين الفلك هو المشرق
وشماله هو المغرب والسبب فى تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين ان أقوى جانبي
الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية فلما كانت الحركة الفلكية اليومية آخذة من
المشرق الى المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله اذا عرفت هذا فنقول
ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الاظلال الى الجانب الغربى
فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربى وقع الاظلال فى الجانب الشرقى
فهذا هو المراد من تغيب الظلال من اليمين الى الشمال وبالعكس وعلى هذا التقدير فالاظلال

البقيى أى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هى ومعابيتها بصورها الحقيقية الشأن
(الذى يختلفون فيه) من الحق المنظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا
(وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق (انهم كانوا كاذبين) فى كل ما

يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعير عن الحق بالوصول للدلالة على فحاشته وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية ﴿ ٤٦٤ ﴾ لبعث المشار إليه باعتبار وروده في معرض الرد

على المخالفين وإبطال مقالة المعاندين المستدعي للتعريض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم إلى الأذعان للحق فإن الكفرة إذا علموا أن تحقيق البعث إذا كان لتبيين أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان ذلك أجزالهم عن إنكاره وأدعى إلى الاعتراف به ضرورة أنه يدل على صدق الرزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلي لأصلين رغماً لانفك وإظهاراً لكذبك ولأن تكرار الغايات أدل على وقوع الفعل المغيهاً والافعالية الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو الجزء الذي هو الغاية القصوى للحق المغيهاً بمعرفته عز وجل عبادته وإتمامه يذكر ذلك لتكرار ذكره في مواضع أخرى وشهرته وإتمامه يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وإن الذين كفروا كانوا كاذبين بل جحى بصيغة العلم لأن ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن إظهار ما كان ممهلاً قبل ذلك بأن يعبر به

في أول النهار بتبدى من يمين الفلك على الربع الغربي من الأرض ومن وقت انحدار الشمس من وسط الفلك بتبدى الاظلال من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقي من الأرض (القول الثاني) أن البلدة التي يكون عرضها أقل من مقدار الميل فإن في الصيف تحصل الشمس على يسارها وحينئذ يقع الاظلال على يمينهم فهذا هو المراد من انتقال الاظلال عن الإيمان إلى الشك والبعكس هذا ما حصلته في هذا الباب وكلام المفسرين فيه غير ملخص (البحت الثاني) لقائل أن يقول ما السبب في أن ذكر الميمن بلفظ الواحد والشمائل بصيغة الجمع وأجيب عنه بأشياء (أحدها) أنه وحدا الميمن والمراد الجمع ولكنه اقتصر في اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدبر (وثانيها) قال الفراء كأنه إذا وحده ذهب إلى واحدة من ذوات الاظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها وذلك لأن قوله ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع على ما بيناه فيجتمعا كلا الأمرين (وثالثها) إن العرب إذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (ورابعها) أنا إذا فسرنا الميمن بالشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت الميمن واحدة وأما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الاظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة فلذلك عبر الله تعالى عنها بصيغة الجمع والله أعلم (المسئلة الرابعة) أما قوله سبحانه ففيه احتمالات (الاول) أن يكون المراد من السجود الاستسلام والافتقار يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليترك وسجدت النحلة إذا ماتت لكثرة الحمل ويقال اسجد لقردا سوء في زمانه أي اخضع له قال الشاعر * ترى الأكف فيها سجداً للحوافر * أي متواضعة إذا عرفت هذا فنقول أنه تعالى دبر النبرات الفلكية والأشخاص الكوكبية بحيث يقع أضواؤها على هذا العالم السفلي على وجوه مخصوصة ثم أنا شاهدان تلك الأضواء وتلك الاظلال لا تقع في هذا العالم الأعلى وفق تدبير الله تعالى وتقديره فتشاهدان الشمس إذا طلعت ووقت للأجسام الكثيفة اظلال تمتد في الجانب الغربي من الأرض ثم كلما ازدادت الشمس طلوعاً وارتفاعاً ازدادت تلك الاظلال تقلصاً وانتقالاً إلى الجانب الشرقي إلى أن تصل الشمس إلى وسط الفلك فإذا انحدرت إلى الجانب الغربي ابتدأت الاظلال بالوقوع في الجانب الشرقي وكلما ازدادت الشمس انحداراً ازدادت الاظلال تمسداً وتزايداً في الجانب الشرقي وكما أننا شاهد هذه الحالة في اليوم الواحد فكذلك نشاهد أحوال الاظلال مختلفة في التيامن والتياسر في طول السنة بسبب اختلاف أحوال الشمس في الحركة من الجنوب إلى الشمال والبعكس فلما شاهدنا أحوال هذه الاظلال مختلفة بسبب الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الأرض وغربها وبسبب الاختلافات الواقعة في طول السنة في يمين الفلك ويساره ورأينا أنها واقعة على وجه مخصوص وترتيب معين علمنا أنها متفاداة لقدرة الله خاضعة لتقديره وتديره فكانت السجدة عبارة عن هذه

فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون وأما كذب الكافرين فليس من هذا ﴿ الحالة ﴾ القليل فإيتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل أنفسهم وقدم تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما يخص الاستناد بهم حيث لم يقل

ولم يخلوا ان الكافرين الاية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا (انما قولنا) استثناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبية على اية ٤٦٥ * البعث ومنه يظهر كيفيته فا كافة وقولنا مبتدأ

وقوله (شيء) أى أى شيء كان ماعز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببة أى لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لانه كان شيئا قبل ذلك (اذا أردناه) ظرف لقولنا أى وقت ارادتنا لوجوده (أن نقول له كن) خبر للمبتدأ (فيكون) اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أى فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى أمرنا ما نقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف أى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمر حتى يقال انه يلزم منه أحد المحالين اما خطاب المعلوم أو تحصيل الحاصل أو يقال انما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب

الحالة فان قيل لم لا يجوز أن يقال اختلاف حال هذه الاطلال معلل باختلاف سير النير الاعظم الذى هو الشمس لالاجل تقدير الله تعالى وتدبيره قلنا قد دللنا على ان الجسم لا يكون متحركا لذاته اذ لو كانت ذاته علة لهذه الجزء المخصوص من الحركة لبقى هذا الجزء من الحركة لبقاء ذاته ولو بقي ذلك الجزء من الحركة لامتنع حصول الجزء الآخر من الحركة ولو كان الامر كذلك لكان هذا سكونا لا حركة فالقول بان الجسم متحرك لذاته يوجب القول بكونه ساكنا لذاته وانه محال وما أفضى ثبوته الى نفيه كان باطلا فعلمنا ان الجسم يمتنع كونه متحركا لذاته وأيضا فقد دللنا على ان الاجسام متماثلة في تمام الماهية فاختصاص جرم الشمس بالقوة المعينة والخاصية المعينة لا بد وأن يكون بتدبير الخالق المختار الحكيم اذ ثبت هذا فنقول هب ان اختلاف أحوال الاطلال انما كان لاجل حركات الشمس الا اننا لما دللنا على ان محرك الشمس بالحركة الخاصة ليس الا الله سبحانه كان هذا دليلا على ان اختلاف أحوال الاطلال لم يقع الابتدبير الله تعالى وتخليته فثبت ان المراد بهذا السجود الانقياد والتواضع وظهوره قوله والتجهم والشجر يسجدان وقوله وظلالهم بالغدو والاصال قدم بيانه وشرحه (والقول الثانى) في تفسير هذا السجود ان هذه الاطلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد قال أبو العلاء المعرى في صفة واد

بحرف بطل الخنج فيه سجوده * والارض زى الراهب المتعبد

فلما كانت الاطلال تشبه بشكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وكان الحسن يقول أما ظلك فسجد ربك وأما أنت فلا تسجد له بمسما صنعت وقال مجاهد ظل الكافر يصلى وهو لا يصلى وقيل ظل كل شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجدا أم لا واعلم ان الوجه الاول أقرب الى الحقائق العقلية والثانى أقرب الى الشبهات الظاهرة (المسئلة الخامسة) قوله يسجد حال من الظلال وقوله وهم داخرون أى صاغرون يقال دخر يدخر دخورا أى صغر يصغر صغارا وهو الذى يفعل ما تأمره شاء أم أبى وذلك لان هذه الاشياء منقادة لقدرة الله تعالى وتدبيره وقوله وهم داخرون حال أيضا من الظلال فان قيل الظلال ليست من العقلاء فكيف جاز جمعها بالواو والنون قلنا لانه تعالى لما وصفهم بالطاعة والدخور أشبهوا بالعلاء أما قوله تعالى والله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة ففيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان السجود على نوعين سجود هو عبادة كسجود المسلمين لله تعالى وسجود هو عبارة عن الانقياد لله تعالى والخضوع ويرجع حاصل هذا السجود الى انهما في نفسها ممكنة الوجود والعدم قابلة لهما وانه لا يترجح أحد الطرفين على الآخر المرجح اذا عرفت هذا فنقول من الناس من قال المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثانى وهو التواضع والانقياد والدليل عليه ان اللائق بالدابة ليس الا هذا السجود ومنهم من قال

التكوين فيه كما يفيد ٥٩ * خا قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتى المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها

وتصور لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الأمر المطاع فالعنى انما انجسا دنا
لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ﴿ ٤٦٦ ﴾ ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذى هو قول مخصوص

وجب أن يعبر عن مطلق
الاجباد بالقول المطلق
فتأمل وفي الآية الكريمة
من الفخامة والجزالة
ما يحار فيه العقول والالباب
وقرى بنصب يكون
عطفاً على نقول
أو تشبيهه بالجواب الأمر
(والذين هاجروا في
الله) أى في شأن الله
تعالى ورضاه وفي حقه
ولوجهه (من بعد ما
ظلموا) وأعلمهم الذين
ظلمهم أهل مكة من
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأخرجهم
من ديارهم فهاجروا
الى الحبشة ثم بوأهم
الله تعالى المدينة حسبا
وعد بقوله سبحانه
(لنبؤنهم في الدنيا
حسنة) أى مباداة حسنة
أو تبوئة حسنة كما قال
قنادة وهو الانسب بما
هو المشهور من كون
السورة غير ثلاث آيات
من آخرها مكية وأما
ما نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما من
انها نزلت في صهيب
وبلال وعمار وخباب
وعابس وجبير وأبي

المراد بالسجود ههنا هو المعنى الاول لان الالاق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى لان
السجود بالمعنى الثانى حاصل في كل الحيوانات والنباتات والجمادات ومنهم من قال
السجود لفظ مشترك بين المعنيين وحل اللفظ المشترك لأفاده مجموع معنييه جائز فحمل
لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معا أما في حق الدابة فمعنى التواضع وأما في
حق الملائكة فمعنى سجدوا للمسلمين لله تعالى وهذا القول ضعيف لانه ثبت ان استعمال
اللفظ المشترك لأفاده جميع مفهوماته معا غير جائز (المسئلة الثالثة) قوله من دابة قال
الاخفش يريد من الدواب وأخبارنا الواحد كما نقول ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من
الرجال مثله وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض (المسئلة الثالثة) لقائل أن
يقول ما الوجه في تخصيص الدواب والملائكة بالذكر فنقول فيه وجوه (الاول) انه
تعالى بين في آية الظلال ان الجمادات بأسرها متفاداة لله تعالى وبين بهذه الآية أن
الحيوانات بأسرها متفاداة لله تعالى لان أحسها الدواب وأشرفها الملائكة فلما بين في
أحسها في أشرفها كونها متفاداة لله تعالى كان ذلك دليلا على انها بأسرها متفاداة
خاصة لله تعالى (والوجه الثاني) قال حكماء الاسلام الدابة اشتقاها من الديق
والديق عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب
فلما بين الله تعالى الملائكة عن الدابة علمنا انها ليست ما يدب بل هي أرواح محضة مجردة
ويكن الجواب عنه بأن الجناح للطيران مغاير للديق بدليل قوله تعالى وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه والله أعلم أما قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون ربهم
من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) المقصود من هذه الآية
شرح صفات الملائكة وهي دلالة قاهرة قاطعة على عصمة الملائكة من جميع الذنوب
لان قوله وهم لا يستكبرون يدل على أنهم متفادون لاصانعهم وخالقهم وانهم ما خلفوه في
أمر من الأمور ونظيره قوله تعالى وما تتنزل إلا بأمر ربك وقوله لا يسبقونه بالقول وهم
بأمره يعملون وأما قوله ويفعلون ما يؤمرون فهذا أيضا يدل على أنهم فعلوا كل
ما كانوا أموريين به وذلك يدل على عصمتهم عن كل الذنوب فان قالوا هب ان هذه الآية
تدل على أنهم فعلوا كل ما أمروا به فلم قلتم انها تدل على أنهم تركوا كل ما نهوا عنه قلنا
لان كل من نهى عن شيء فقد أمر بتركه وحينئذ يدخل في اللفظ اذا ثبت بهذه الآية
كون الملائكة معصومين من كل الذنوب وثبت ان ابليس ما كان معصوما من الذنوب
بل كان كافرا لزم القطع بأن ابليس ما كان من الملائكة (والوجه الثاني) في بيان هذا
المقصود انه تعالى قال في صفة الملائكة وهم لا يستكبرون ثم قال لا بليس أستكبرت أم
كنت من العالمين وقال أيضا له اخرج منها لما يكون لك ان تكبر فيها فثبت ان الملائكة
لا يستكبرون وثبت ان ابليس تكبر واستكبر فوجب أن لا يكون من الملائكة وأيضلا
ثبت بهذه الآية وجوب عصمة الملائكة ثبت ان القصة الخبيثة التي يذكرونها في حق

جندل بن سهيل أخذهم المشركون فبعولوا بعد بوئهم ليردوهم عن الاسلام فأما صهيب فقال لهم ﴿ هاروت ﴾
أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله
عنه قال رب السبع باصهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم البعصهيب لولم يخف الله لم بعصه

فانما يناسب ما حكى عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما قلناه عنه من نزول الآية في أصحاب ٤٦٧ هـ الهجرتين على أن يكون نزولها بالمدنية بين المهجرتين

وأما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرى لشؤنيهم ومعناه اثابة حسنة أولئك لهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة (ولاجر الآخرة) أى أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة (أكبر) مما يجعل لهم في الدنيا وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل (لو كانوا يعملون) الضمير للكفار أى لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين أى لو علموا ذلك زادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما أصابهم من المهاجرين وشدائد (الذين صبروا) على الشدائد

هاروت وماروت كلام باطل فان الله تعالى وهو أصدق القائلين لما شهد في هذه الآية على عصمة الملائكة وبراءتهم عن كل ذنب وجب القطع بان تلك القصة كاذبة باطلة والله أعلم واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف ولولا انهم يجوزون على أنفسهم الاقدام على الكبائر والذنوب والام لم يحصل الخوف والجواب من وجهين (الاول) انه تعالى حذرهم من العقاب فقال ومن يقل منهم اى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم لهذا الخوف يتركون الذنب (والثاني) وهو الاصح ان ذلك الخوف خوف الاجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والدليل على صحته قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم كان الخوف منه أعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والكبرياء والله أعلم (المسئلة الثانية) قالت المشبهة قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم هذا يدل على ان الاله تعالى فوقهم بالذات واعلم اننا بالغنا في الجواب عن هذه الشبهة في تفسير قوله تعالى القاهر فوق عباده والذي زعمه هؤلاء ان قوله يخافون ربهم من فوقهم معناه يخافون ربهم من ان ينزل عليهم العذاب من فوقهم واذا كان اللفظ محتملا لهذا المعنى سقط قولهم وايضا يجب حل هذه الفوقية على الفوقية بالقدرة والقهر كقوله وانا فوقهم قاهرون والذي يقوى هذا الوجه انه تعالى لما قال يخافون ربهم من فوقهم وجب أن يكون المقضى لهذا الخوف هو كون ربهم فوقهم لما ثبت في أصول الفقه ان الحكم المرتب على الوصف يشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف اذا ثبت هذا فنقول هذا التعليل انما يصح لو كان المراد بالفوقية الفوقية بالقهر والقدرة لانها هي الموجبة للخوف أما الفوقية بالجهة والمكان فهي لا توجب الخوف بدليل ان حارس البيت فوق الملك بالمكان والجهة مع انه أخس عبيده فسقطت هذه الشبهة (المسئلة الثالثة) دلت هذه الآية على ان الملائكة مكلفون من قبل الله تعالى وان الامر والنهي متوجه عليهم كسائر المكلفين ومتى كانوا كذلك وجب أن يكونوا قادرين على الخير والشر (المسئلة الرابعة) تمسك قوم بهذه الآية في بيان ان الملك أفضل من البشر من وجوه (الاول) انه تعالى قال والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وذكرنا ان تخصيص هذين النوعين بالذكر انما يحسن اذا كان أحد الطرفين أخس المراتب وكان الطرف الثاني أشرفها حتى يكون ذكر هذين الطرفين منبها على الباقي واذا كان كذلك وجب أن يكون الملائكة أشرف خلق الله تعالى (الثاني) ان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل على انه ليس في قلوبهم تكبر وترف وقوله ويقعون ما يؤمرون يدل على ان أعمالهم خالية عن الذنب والمعصية فجميع هذين الكلامين يدل على أن بواطنهم وظواهرهم مبرأة عن الاخلاق الفاسدة والافعال الباطلة وأما البشر فليسوا كذلك ويدل عليه القرآن والخبر اما القرآن فقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وهذا الحكم عام في الانسان واقول

من أذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحل النصب أو الرفع على المدح (وعلى ربهم) خاصة (يتوكلون) منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة امام عطفية على الصلة وتقديم الجار والمحرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على

دوام التوكل أحوال من صبر صبروا (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله أجل من أن يكون له رسول * ٤٦٨ * من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ

أي جرت السنة الإلهية
حسبما اقتضته الحكمة
بأن لا يبعث الدعوة العامة
الإبشرا يوحى إليهم
بواسطة الملك أو امره
ونواهيهم ليلغوها للناس
ولما كان المقصود من
الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تنبيه
الكفار على مضمونه
صرف الخطاب إليهم
ف قيل (فاستلوا أهل
الذكر) أي أهل الكتاب
أو علماء الأخبار أو كل
من يذكر بعلم وتحقيق
ليعلموا ذلك (ان كنتم
لاتعلمون) حذف جوابه
لدلالة ما قبله عليه وفيه
دلالة على أنه لم يرسل
للدعوة العامة ملكا وقوله
تعالى جاعل الملائكة
رسلا معناه رسلا إلى
الملائكة أو إلى الرسل
ولا امرأة ولا صبيا
ولا ينافيه نبوة عيسى
عليه الصلاة والسلام
وهو في المهد لانها أعم
من الرسالة وإشارة إلى
وجوب المراجعة إلى العلماء
فيما لا يعلم (بالبينات
والزبر) بالمعجزات
والكتب والباء متعلق

مراتبه أن تكون طبيعة الإنسان مقتضية لهذه الأحوال الذميمة وأما الخبر فتقوله عليه
السلام ما من إلا وقد عصي أو هم بالمعصية غير يحيى بن ذكريا ومن المعلوم بالضرورة أن
المبرأ عن المعصية والهم بها أفضل من عصي أو هم بها (الوجه الثالث) أنه لا شك أن الله
تعالى خلق الملائكة قبل البشر بأدوار متطاولة وأزمان ممتدة ثم أنه وصفهم بالطاعة
والخضوع والخشوع طول هذه المدة وطول العمر مع الطاعة يوجب مزيد الفضيلة
لوجهين (الأول) قوله عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في أمته فضل الشيخ على الشاب
وما ذاك إلا لأنه لما كان عمره أطول فإظهار أن طاعته أكثر فكان أفضل (والثاني) أنه
صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فلما
كان شروع الملائكة في الطاعات قبل شروع البشر فيهما لم ينالوا فضلهم الذين سنوا
هذه السنة الحسنة وهي طاعة الخالق القديم الرحيم والبشر إنما جاؤا بعدهم واستنوا
سنتهم فوجب بمقتضى هذا الخبر أن كل ما حصل للبشر من الثواب فقد حصل مثله للملائكة
ولههم ثواب القدر الزائد من الطاعة فوجب كونهم أفضل من غيرهم (الوجه الرابع) في
دلالة الآية على هذا المعنى قوله يخافون ربهم من فوقهم وقد بينا بالدليل أن هذه الفوقية
عبارة عن الفوقية بالرتبة والشرف والقدرة والقوة فظاهر الآية يدل على أنه لا شيء
فوقهم في الشرف والرتبة إلا الله تعالى وذلك يدل على كونهم أفضل المخلوقات والله أعلم
* قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو له واحد فإلى فارهبون وله ما في
السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعم فمن الله ثم إذا مسكم
الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فر يق منكم يربهم بشركون ليكفروا
بما آتيناهم فتنعوا فاسوف تعلمون) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن كل ما سوى الله
سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام فهو متقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه
اتبعة في هذه الآية بالتهى عن الشرك وبالأمر بأن كل ما سواه فهو ملكه وملكه وأنه
غنى عن الكل فقال لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو له واحد وفي الآية مسائل (المسئلة
الأولى) لتقابل أن يقول أن الإلهين لا بد وأن يكونا اثنين فما القائدة في قوله الهين اثنين
وجوابه من وجوه (أحدها) قال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا
اثنين الهين (وثانيها) وهو الأقرب عندي أن الشيء إذا كان مستنكرا مستقبحا فن أراد
المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببا لوقوف
العقل على ما فيه من القبح إذا عرفت هذا فالقول بوجود الإلهين قول مستفح في
العقول ولهذا المعنى فإن أحدهم العقلاء لم يقل بوجود الهين تنسا وبين في الوجوب
والقدم وصفات الكمال فتقوله لا تتخذوا الهين اثنين المقصود من تكريره تأكيد التنفير
عنه وتكميل وقوف العقل على ما فيه من القبح (وثانيها) أن قوله الهين لفظ واحد يدل
على أمرين ثبوت الإله وثبوت تعدد فإذا قيل لا تتخذوا الهين لم يعرف من هذا اللفظان

بمتدروغ جوابا عن سؤال من قال بم إرسالوا قبل أرسلوا بالبينات والزبر وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم * انتهى
مع رجاء لا عند من يجوز أنه ما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو على نية التقديم قيل اداة
الاستثناء أي ما أرسلنا من قبلك بالبينات

والارجال الاضد من يجوز آخر صلة ما قبل الالى ما بعده أو بما وقع صفة للمستثنى أى الاجزى الامتسحين بالبنات أو بنوحى
على المفعول اذ والخالية من القائم مقام فاعل ﴿ ٤٦٩ ﴾ يوحى وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض أو بقوله
لاتعلمون على ان الشرط

للتبكت كقول الاجبران
كنت علمت لك فأعطى
حتى (وأنزلنا اليك
الذكر) أى القرآن
وانما سمى به لانه تذكير
وتنبية للعاقبين (لتبين
للناس) كافة ويدخل
فيهم أهل مكة دخولا
أوليا (منازل اليهم) فى
ذلك الذكر من الاحكام
والشرائى وغير ذلك
من أحوال القرون
المهلكة بأفانين العذاب
حسب أعمالهم الموجبة
لذلك على وجه التفصيل
بيانا شافيا كإني عنه
صيغة التفعيل فى الفعلين
لا سيما بعد ورود الثانى
أولا على صيغة الافعال
ولما ان التبيين أعم من
التصريح بالمقصود
ومن الارشاد الى ما يدل
عليه دخل تحته القياس
على الاطلاق سواء كان
فى الاحكام الشرعية
أو غيرها ولعل قوله
عزو جى (ولعلمهم
يتفكرون) اشارة الى
ذلك أى ارادة ان يتأملوا
فيتبينوا الحقائق وما فيه
من العبر ويحتزوا عما

النهى وقس عن اثبات الاله أو عن اثبات التعدد أو عن مجموعهما فلا قال لاتتخذوا
الهيى اثنين ثبت ان قوله لاتتخذوا الهيى نهى عن اثبات التعدد فقط (ورابعها) ان
الاثنينى منافية للالهية وتقريره من وجوه (الاول) انالوفرضنا موجودين يكون كل
واحد منهما واجبا لذاته لكنا مشتركين فى الوجوب الذاتى ومتباينين بالتعين وما به
المشاركة غير ما به المباينة فكل واحد منهما مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن
فثبت ان القول بان واجب الوجود أكثر من واحد ينفى القول بكونهما واحداً واجبى
الوجود (الثانى) انالوفرضنا الهيى وحاول أحدهما تحريك جسم والاخر تسكينه
امتنع كون أحدهما أولى بالفعل من الثانى لان الحركة الواحدة والسكون الواحد
لا يقبل القسمة أصلا ولا التفاوت أصلا واذا كان كذلك امتنع أن تكون القدرة على
أحدهما أكمل من القدرة على الثانى واذا ثبت هذا امتنع كون احدى القدرتين أولى
بالأثر من الثانية واذا ثبت هذا فاما أن يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال
أولا يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال أولا يحصل مراد واحد منهما المتة فحينئذ
يكون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها فثبت أن كونهما اثنين ينفى كون كل
واحد منهما الها (الثالث) انالوفرضنا الهيى اثنين لكنا ما أن يقدر احدهما على ان
يستر ملكه عن الآخر أولا يقدر فان قدر فذلك اله والاخر ضعيف وان لم يقدر فهو
ضعيف (والرابع) وهو ان أحدهما اما أن يقوى على مخالفة الآخر أولا يقوى عليه
فان لم يقوى عليه فهو ضعيف وان قوى عليه فذلك الآخر ان لم يقوى على الدفع فهو ضعيف
وان قوى عليه فالاول المغلوب ضعيف فثبت ان الاثنينى والالهية متضادتان فقوله
لاتتخذوا الهيى اثنين المقصود منه التنبيه على حصول المنافا والمضادة بين الالهية
وبين الاثنينى والله أعلم واعلم انه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال انما هو اله واحد والمعنى
انه لما دلت الدلائل السابقة على انه لا بد للعالم من الاله وثبت ان القول بوجود الالهين
محال ثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الحق الصمد ثم قال بعده فايى فارهبون وهذا رجوع
من الغيبة الى الحضور والتقدير انه لما ثبت ان الاله واحد وثبت ان المتكلم بهذا
الكلام اله فحينئذ ثبت انه لا اله للعالم الا المتكلم بهذا الكلام فحينئذ يحسن منه
أن يعدل من الغيبة الى الحضور ويقول فايى فارهبون وفيه دققة أخرى وهى أن قوله
فايى فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يهرب الخلق الامنه وان لا يرغبوا الا فى فضله
واحسانه وذلك لان الوجود اما قديم واما محدث أما القديم الذى هو الاله فهو واحد
وأما ما سواه محدث وانما حدث بتخليق ذلك القديم وبإيجاده واذا كان كذلك فلا رغبة
الا لله ولا رهبة الا منه فبفضله تندفع الحاجات وتكون ينه بتخليقه تنقطع الضرورات
ثم قال بعده وله مافى السموات والارض وهذا حق لانه لما كان الاله واحدا والواجب
لذاته واحدا كان كل ما سواه حاصل بتخليقه وتكوينه وإيجاده فثبت بهذا البرهان صحة

يؤدى الى مثل ما أصاب الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيآت) هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وراموا صدا صحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا الهلاك الانبياء كإفيل ولا من يجر
الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما أصاب

أولئك من فنون العذاب المعنوية والسيئات نعت لمصدر محذوف أى مكروا والمكرات السيئات التي قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل أى عملوا السيئات فقولہ ﴿ ٤٧٠ ﴾ تعالی (أن يخسف الله بهم الارض)

فمفعول لأن أو السيئات صفة لما هو المفعول أى لأن أفاضل الماكرون العقوبات السبئية وقوله أن يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالغناء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أى أنزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذى من جلته أنباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا فى ذلك ألمية ~~فكروا~~ فأمّن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيهِ الانكار الى المعطوفين معا أو أنفكروا فأمّنوا على توجيهِه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكير بما لا يكا ديفله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة أى أمكر فأمّن الذين مكروا الخ (أو بأيتهم العذاب من حيث لا يشعرون) بآتيانه أى فى حالة غفلتهم أو من مأمنهم أو من حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف منازل الماكرين

قوله ما فى السموات والارض واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأن أفعال العباد من جملة ما فى السموات والارض فوجب أن تكون أفعال العباد لله تعالى وليس المراد من كونها لله تعالى أنها مفعولة لاجله ولغرض طاعته لأن فيها المباحات والمحظورات التي يوتى بها الغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فوجب أن يكون المراد من قولنا أنها لله تعالى واقعته بتكوينه وتخليقه وهو المطلوب ثم قال بعده وله الدين واصبا الدين همنا الطاعة والواصب الدائم يقال وصب الثشي يصب وصبوا اذا دام قال تعالى ولهم عذاب واصب ويقال واظب على الثشي وواصب عليه اذا دام ومفازة واصبة أى بعيدة لا غاية لها ويقال للعليل واصب لكون ذلك المرض لازماله قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب فى حال الحياة أو بالوت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة أبدا وعلم ان قوله واصباحا والعامل فيه ما فى الظرف من معنى الفعل وأقول الدين قد يعنى به الانقياد يقال يا من دانت له الرقاب أى انقادت فقولہ وله الدين واصبا أى انقياد كل ماسوا له لازم أبدا لان انقياد غيره له معلل بان غيره ممكن لذاته والممكن لذاته يلزمه أن يكون محتاجا الى السبب فى طر فى الوجود والعدم والماهيات يلزمها الامكان لزوما ذاتيا والامكان يلزمه الاحتياج الى المؤثر لزوما ذاتيا ينتج ان الماهيات يلزمها الاحتياج الى المؤثر لزوما ذاتيا فهذه الماهيات موصوفة بالانقياد لله تعالى انصافا دائما واجبا لازما متمتع التغير وأقول فى الآية دقيقة أخرى وهى ان العقلاء اتفقوا على أن الممكن حال حدوثه محتاج الى السبب المرجع واختلفوا فى الممكن حال بقاءه هل هو محتاج الى السبب قال المحققون انه محتاج لان علته الحاجة هى الامكان والامكان من لوازم الماهية فيكون حاصل الماهية حال حدوثها وحال بقاءها فتكون علة الحاجة حال حدوث الممكن وحال بقاءه فوجب أن تكون الحاجة حاملة حال حدوثها وحال بقاءها اذا عرفت هذا فقولہ وله ما فى السموات والارض معناه ان كل ماسوى الحق فانه محتاج فى انقلابه من العدم الى الوجود أو من الوجود الى العدم الى مرجع ومخصص وقوله وله الدين واصبا معناه ان هذا الانقياد وهذا الاحتياج حاصل دائما أبدا وهو اشارة الى ما ذكرناه من ان الممكن حال بقاءه لا يستغنى عن المرجع والمخصص وهذه دقائق من أسرار العلوم الالهية مودعة فى هذه الالفاظ الغائضة من عالم الوحي والنبوة ثم قال تعالى أفعبر الله تتقون والمعنى انكم بعدما عرفت ان الله العالم واحد وعرفت ان كل ماسوا محتاج اليه فى وقت حدوثه ومحتاج اليه أيضا فى وقت دوامه وبقاءه فبعد العلم بهذه الاصول كيف يعقل أن يكون للانسان رغبة فى غير الله تعالى أو رهبة عن غير الله تعالى فهذا المعنى قال على سبيل التلجب أفعبر الله تتقون ثم قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه مسائل (المسألة الاولى) انه لما بين بالآية الاولى ان الواجب على العاقل أن لا يتنق غير الله بين فى هذه الآية انه يجب عليه أن لا يشكر أحدا

(أو يأخذهم فى تغلبهم) أى فى حالة تغلبهم فى مسايرهم ومتاخرهم (فاهم بمحزون) بمتمتعين أو فائسين ﴿ الا الله ﴾ بالهرب والفرار على ما يوهمه حال القلب والسير والغاء اما لتعليل الاخذ أو لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته

وفظاعته حسبا قال عليه السلام ان الله ليعلى للظالم حتى اذا احدهم يقلته وايرادا بجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لاني الدوام (أوباخذهم على تخوف) أى تخافة وحذر ﴿ ٤٧١ ﴾ عن الهلاك والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيتحوفوا

فأأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا القلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيها بالآخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبثة عن السكون بالاتبان وقيل التخوف التقصص قال قائلهم * تخوف الرجل منها تاء مكافدا * كما تخوف عود النعمة السفن * أى يأخذهم على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بد كرا الاحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه على هلاكهم بأى وجه كان لا الحصر فيها (فان) بكم لرؤف رحيم (فان) لا يعاجلكم بالعقوبة ريحلم عنكم مع استحقاقكم لها (أولم يروا) استغفاهم انكارى وقرى على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم ينظروا ولم يروا متوجهين (الى ما خلق الله من شيء) أى من كل شيء (يتفأظلاله) أى يرجع شيئا فشيئا حسبا

الا الله تعالى لان الشكر انما يلزم على النعمة وكل نعمة حصلت للانسان فهى من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله فثبت بهذا ان العاقل يجب عليه أن لا يخاف وان لا يتق أحد الا الله وأن لا يشكر أحد الا الله تعالى (المسئلة الثانية) اخرج أصحابنا بهذه الآية على ان الايمان حصل بخلق الله تعالى فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فهى من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ينتج ان الايمان من الله وانما قلنا ان الايمان نعمة لان المسلمين مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان وأيضاف النعمة عبارة عن كل ما يكون منتفعا به وأعظم الاشياء فى النفع هو الايمان فثبت ان الايمان نعمة واذا ثبت هذا فنقول وكل نعمة فهى من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله وهذه اللفظة تفيد العموم وأيضا مما يدل على ان كل نعمة فهى من الله لا أن كل ما كان موجودا فهو اما واجب لذاته واما ممكن لذاته والنواجب لذاته ليس الا الله تعالى والممكن لذاته لا يوجد الا المرجح وذلك المرجح ان كان واجبا لذاته كان حصول ذلك الممكن بايجاد الله تعالى وان كان ممكنا لذاته عاد التقسيم الاول فيه ولا يذهب الى التسلسل بل ينتهى الى ايجاد الواجب لذاته فثبت بهذا البيان ان كل نعمة فهى من الله تعالى (المسئلة الثالثة) النعم اما دينية واما دنيوية أما النعم الدينية فهى اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به وأما النعم الدنيوية فهى اما نفسانية واما بدنية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحته أنواع خارجة عن الحصر والتحديد كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والاشارة الى تفصيل تلك الانواع قد ذكرناها مرارا فلا نعيد هنا (المسئلة الرابعة) انما دخلت النفاء في قوله فمن الله لان الباء في قوله بكم متصلة بفعل مضمر والمعنى ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله ثم قال تعالى ثم اذامسكم الضر قال ابن عباس يريد الاستقام والامراض والحاجة فالبه تجارون أى ترفون أصواتكم بالاستغاثة وتضرعون اليه بالدعاء يقال جار يجار جوارا وهو الصوت الشديد كصوت البقرة وقال الاعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليك * طورا سجدوا وطورا جوارا

والمعنى انه تعالى بين ان جميع النعم من الله تعالى ثم اذا اتفق لاحد مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فالى الله يجار أى لا يستغيث أحد الا الله تعالى لعلمه بانه لا مفرع للخلق الا هو فكانه تعالى قال لهم فأين أنتم عن هذه الطريقة فى حال الرخاء والسلامة ثم قال بعده ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم يشركون بين تعالى ان عند كشف الضر وسلامة الاحوال يغفرون وفريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر فى أن لا يفرع الا الى الله تعالى وفريق منهم عند ذلك يتغيرون فيشركون بالله غيره وهذا جهل وضلال لانه لما شهدت فطرته الاصلية وخلقته الغريزية عند نزول البلاء والضراء والآفات والمخافات أن لا مفرع الا الى الواحد ولا مستغاث الا الواحد فعند

يقضيه ارادة الخالق تعالى فان النفي ومطامع الافاء وقرى بتأنيث الفعل (عن اليمين والشمال) أى ألم يروا الاشياء التى لها ظلال متفبئة عن ايمانها وشماتها أى عن جانبي كل واحد منها استعبر لهما ذلك من عيى الانسان وشمالم (سجد الله) حال من خلال كقوله تعالى

وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتعالى لا رادته تعالى في الامتداد والنقص
وغيرهما غير متمتع عليه فيما سخرها له وقوله تعالى ﴿ ٤٧٢ ﴾ (وهم داخرون) أى صاغرون منقادون حال من

الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وإيراد الصيغة الخاصة بالعلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغارها فانها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقاد لما قدر لها من النفوذ الواقعة على الأرض ملنصة بها على هيئة الساجد والحال أن أصحابها من الاجرام داخرة منقاد لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقاد لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بمماثل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاجار التي لا يظهر اطلالها أثر سوى النفوذ بما ذكر

زوال البلاء والضراء وجب أن يبقى على ذلك الاعتقاد فأما أنه عند زوال البلاء يقر بأنه لا مستغاث الا الله تعالى وعند زوال البلاء يثبت الاضداد والشركاء فهذا جهل عظيم وضلال كامل ونظير هذه الآية قوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم بشركون ثم قال تعالى ليكفروا بما آتيناكم وفي هذه اللام وجهان (الاول) انها لام كي والمعنى انهم أشركوا بالله غيره في كشف ذلك الضر عنهم وغرضهم من ذلك الاشراك أن ينكروا كون ذلك الانعام من الله تعالى ألا ترى ان العليل اذا اشتد وجعه تضرع الى الله تعالى في ازالة ذلك الوجع فاذا زال أحال زواله على الدواء الفلاني والعلاج الفلاني وهذا أكثر أحوال الخلق وقال مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي رحمه الله في اليوم الذي كنت أكتب هذه الاوراق وهو اليوم الاول من محرم سنة اثنين وستمئة حصلت زلزلة شديدة وهذه عظيمة وقت الصبح ورأت الناس يصيحون بالدعاء والتضرع فلما سكنت وطاب الهواء وحسن أنواع الوقت نسوا في الحال تلك الزلزلة وعادوا الى ما كانوا عليه من تلك السفاهة والجهالة وكان هذه الحالة التي شرحها الله تعالى في هذه الآية تجرى مجرى الصفة اللازمة لجوهر نفس الانسان (والقول الثاني) ان هذه اللام لام عاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا يعني أن عاقبة تلك التضرعات ما كانت الا هذا الكفر واعلم أن المراد بقوله بما آتيناكم فيه قولان (الاول) أنه عبارة عن كشف الضر وازالة المكروه (والثاني) قال بعضهم المراد به القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من النبوة والشرائع واعلم انه تعالى توعدهم بعد ذلك فقال فتمنعوا وهذا لفظ أمر والمراد منه التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله قل آمنوا به اولا تؤمنوا ثم قال تعالى فسوف تعلمون اي عاقبة أمركم وما يزل بكم من العذاب والله أعلم * قوله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لئن لم كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الأساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) اعلم انه تعالى لما بين بالدلائل القاهرة فساد أقوال أهل الشرك والتشبيه شر في هذه الآية تفاصيل أقوالهم وبين فسادها وسخاها (فالتويع الاول) من كلماتهم الفاسدة انهم يجعلون لما لا يعلمون نصيبا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) الضمير في قوله لما لا يعلمون الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) أنه عائذ الى المشركين المذكورين في قوله اذا فر بق منكم برهم بشركون والمعنى ان المشركين لا يعلمون (والثاني) أنه عائذ الى الاصنام أى لا يعلم الاصنام ما يفعل عبادها قال بعضهم الاول أولى لوجوه (أحدها) أن نفى العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز (وثانيها) ان الضمير في قوله ويجعلون عائذ الى المشركين فكذلك في قوله لما لا يعلمون يجب أن يكون عائذ اليهم (وثالثها) أن قوله لما لا يعلمون جمع

من ارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغارها وأما الجوان فظله يتحرك بحركه وقيل المراد بالواو باليمن والشمائل بين الفلك وهو جانبها يشرق لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبها

الغربي المقابل له فان الظلال في أول النهار تبدي من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ﴿ ٤٧٣ ﴾ ما بين سجود الظلال وأصحابها من الاجرام السفلية الثابتة

في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود مخلوقات المحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال أو لا قيل (ولله يسجد) أي له تعالى وحده يخضع وينقاد لانشئ غيبيه استقلالاً أو اشتراكاً فالعصر ينظم القلب والافراد الآن الانسب بحال مخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين (ما في السموات) فاطبة (وما في الارض) كائناً ما كان (من دابة) بيان لما في الارض وتقديمه لقلته وللإيقاع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لفائدة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله (والملائكة) عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً واجلالاً أو على أن يراد بمافي السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ﴿ ٦٠ ﴾ خا ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من

بالواو والتون وهو بالعتلاء أبقى منه بالانصام التي هي جمادات ومنهم من قال بل القول الثاني أول اوجوه (الاول) انا اذا قلنا انه عائد الى المشركين افقرنا الى اضممار فان التقدير ويجعلون لمسايعلون الها أو لمسايعلون كونه نافعاً صاروا اذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم يفتقر الى الاضممار لان التقدير ويجعلون للماعلم لها ولا فهم (والثاني) انه لو كان العلم مضافاً الى المشركين لفسد المعنى لان من المحال أن يجعلوا نصيباً من رزقهم للمسايعلونه فهذا ما قيل في ترجيح أحد هذين القولين على الآخر واعلم انا اذا قلنا بالقول الاول افقرنا فيه الى الاضممار وذلك يحتمل وجوهاً (أحدها) ويجعلون للمسايعلونه حقاً ولا يعملون في طاعته نفعاً ولا في الاعراض عنه ضرراً قال مجاهد يعملون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون للمسايعلونه انه ينفعهم ويضرهم نصيباً وثانيها) ويجعلون للمسايعلونه الهيتاً (وثانيها) ويجعلون للمسايعلونه السبب في صبر ورثها معبوده (ورابعها) المراد استحضار الاصنام حتى كأنها قلنتها لا تعلم (المسئلة الثانية) في تفسير ذلك النصيب احتمالات (الاول) المراد منه انهم جعلوا لله نصيباً من الحرث والانعام يتقربون الى الله تعالى به ونصيباً الى الاصنام يتقربون به اليها وقد شرحت ذلك في آخر سورة الانعام (والثاني) ان المراد من هذا النصيب البحرية والسائبة والوصيلة والحام وهو قول الحسن (والثالث) ربما اعتقدوا في بعض الاشياء انه انما حصل باعانة بعض تلك الاصنام كما كان المتبحرين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لرحل كذا من المعادن والنبات والحيوانات وللمشترى أشياء أخرى فكذا ههنا واعلم انه تعالى لما حكى عن المشركين هذا المذهب قال الله لتسأن وهذا في هؤلاء الاقوام خاصة بمنزلة قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وعلى التقديرين فأقسم الله تعالى بنفسه أنه يسألهم وهذا تهديد منه شديد لان المراد أنه يسألهم سؤال توبيخ وتهديد وفي وقت هذا السؤال احتمالان (الاول) انه يقع ذلك السؤال عند القرب من الموت ومعابنة ملائكة العذاب وقيل عند عذاب القبر (والثاني) انه يقع ذلك في الآخرة وهذا أولى لانه تعالى قد أخبر بما يجري هناك من ضروب التوبيخ عند المسئلة فهو الى الوعيد أقرب (النوع الثاني من كلامهم الفاسدة) انهم يجعلون لله البنات ونظيره قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله أقول أظن أن العرب انما أطلقوا لفظ البنات لان الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون اشبهوا النساء في الاستتار فطلقوا عليهم لفظ البنات وأيضاً قرص الشمس يجري مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ونوره القاهر فأطلقوا عليه لفظ التأنيث فهذا ما يغلب على الظن في سبب اقدامهم على هذا القول الفاسد والمذهب الباطل ولما حكى الله تعالى عنهم هذا القول قال سبحانه وفيه وجوه (الاول) أن يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد اليه (والثاني) تعجب الخلق من هذا الجهل القبيح وهو وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتهما

ملائكة السموات وبقوله والملائكة ﴿ ٦٠ ﴾ خا ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (وهم) أي الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من

ضمير الفاعل في يسجد مستندا الى الملائكة أو استئناف أخبار عنهم بذلك (يخافون ربهم) أي مالات امرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلو الحكم (من فوقهم) أي يخافونه ﴿ ٤٧٤ ﴾ جل وعلا خوف هبة واجلال وهو فوقهم

بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإبراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الجلالة وإيدان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات يخصصون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلا لله عز وجل أرف ذلك بحكاية تنبيه سبحانه وتعالى للمكافئين عن الاشرار قبيل (وقال الله) عطفًا على قوله والله يسجدواظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة

بالولدية الى الله تعالى (والثالث) قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الاول ثم قال تعالى ولهم ما يشتهون أجازا الفراء في ما وجهين (الاول) أن يكون في محل النصب على معنى ويجعلون لانفسهم ما يشتهون (والثاني) أن يكون رفعا على الابتداء كأنه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدأ فقال ولهم ما يشتهون يعني البنين وهو كقوله أم له البنات ولكم البنون ثم اختار الوجد الثاني وقال لو كان نصيبا لقال ولانفسهم ما يشتهون لانك تقول جعلت نفسك كذا وكذا ولا تقول جعلت لك وأبي الزجاج أجازة الوجه الاول وقال ما في موضع رفع لا غير والتقدير ولهم الشيء الذي يشتهونه ولا يجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه ما تشتهي ولا تقول جعل له ما يشتهي وهو يعني نفسه ثم انه تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالوالد البنت لنفسه فلا يرضيه لنفسه كيف ينسبه لله تعالى فقال واذا بشرأحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التبشير في عرف اللغة تخص بالخبر الذي يفيد السرور الا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغير بشرة الوجه ومعلوم ان السرور كما يوجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجب فوجب أن يكون لفظة التبشير حقيقة في القسمين وبناء كدهنا بقوله بشرهم بعذاب أليم ومنهم من قال المراد بالتبشير ههنا الاخبار والقول الاول أدخل في التحقيق أما قوله ظل وجهه مسودا فاعني أنه يصير متغيرا تغيره غم ويقال لمن لقي مكرها فدا سوده وجهه غما وحزنا وأقول انما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم وذلك لان الانسان اذا قوى فرحه انشرح صدره وانبسط روح قلبه من داخل القلب ووصل الى اطرافه ولا سيما الى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد واذا وصل الروح الى ظاهر الوجه أشرق الوجه وتلاأ واستنار وأما اذا قوى غم الانسان احتقن الروح في باطن القلب ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه فلا جرم يربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الارضية والكثافة فثبت ان من لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم كودة الوجه وغبرته وسواده فلهذا السبب جعل يابض الوجه واشراقه كناية عن الفرح وغبرته وكودته وسواده كناية عن الغم والحزن والكراهية ولهذا المعنى قال ظل وجهه مسودا وهو كظيم أي امتلأ غما وحزنا ثم قال تعالى يتوارى من القوم من سوء أي يخفي ويتغيب من سوء ما يشعر به قال المفسرون كان الرجل في الجاهلية اذا ظهر آثاره اطلق بأمر أنه توارى واخفى عن القوم الى أن يعلم ما يولد له فان كان ذكرا انتبهج به وان كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدير فيها انه ماذا يصنع بها وهو قوله أيمسكه على هون أم يدسه في التراب والمعنى أيجبسه والامسكه ههنا بمعنى الحبس كقوله أمسك عليك زوجك واتم بالأمسكه ذكره بضمير الذكر لان هذا الضمير عائذ على ما في قوله ما يشعر به والهون الهوان قال انضمر ابن شميل يقال انه أهون عليه هونا وهوانا وأهنته هونا وهوانا وذكرنا هذا في سورة

بالذكر للإيدان أنه متعين الالهية وانما المنهى عنه هو الاشرار به لأن المنهى عنه مطلق اتخذ الأنعام الهين بحيث يتحقق الاتهم برؤس ايم ما كان أي قال تعالى لجميع المكلفين (لاتخذوا الهين اثنين) واتخاذ كالعديم أن يصغى النشة مفضة

عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى (انما هو
الواحد) للدلالة على أن المقصود اثبات ﴿ ٤٧٥ ﴾ الوحدة وانها من لوازم الالهية وأما الالهية فأمر مسلم

الشؤون له سبحانه واليه
أشير حيث أسند اليه
القول وفيه الثقات
من التكلم الى الغيبة على
رأى من أكثرني في تحقيق
الاثبات بكون الاسلوب
الملتفت عنه حق الكلام
ولم يشترط سبق الذكر
على ذلك الوجه (فإني
فارهبون) الثقات من
الغيبة الى التكلم لترتبة
المهابة والقضاء الرتبة
في القلوب ولذلك قدم
المفعول وكرر الفعل أي أن
كنتم راهبين شيئا فإني
ارهبوا فارهبون لا غير
فإني ذلك الواحد الذي
يسجد له ما في السموات
والارض (وله ما في
السموات والارض)
خلقاً ولم يكاتفر بإعلاء
انقياد ما فيها له سبحانه
خاصة وتحقيق تخصيص
الرهبة به تعالى وتقديم
الظرف لتقوية ما في اللام
من معنى الاختصاص
وكذا في قوله تعالى
(وله الدين) أي
الطاعة والانقياد
(واصبا) أي واجبا
ثابتا لازواله لما تقرر
أنه الاله وحده الحقيقي

الانعام عند قوله عذاب الهون وفي ان هذا الهون صفة من قولان (الاول) انه صفة
المولودة ومعناه أنه يسكنها على هون منه لها (والثاني) قال عطاء عن ابن عباس انه صفة
للآب ومعناه انه يسكنها مع الرضا به وان نفسه وعلى رغم أنفه ثم قال أم يدسه في التراب
والدس اخفاء الشيء في الشيء بروي ان العرب كانوا يحفرون حفيرة ويحعلونها فيها حتى
تموت وروى عن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله اني واريت ثمانى بنات في الجاهلية
فقال عليه السلام اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله اني ذوابل فقال اهد
عن كل واحدة منهن هدبا وروى أن رجلا قال يا رسول الله ما أجد حلاوة الاسلام منذ
أسمت فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى ان تربتها فأخرجتها الى فانتهت بها
الى واد بعيد القفر فألقىتها فيه فقالت يا أبة قلتنى فكلها ذكرت قولها لم يتغنى شيء فقال
عليه السلام ما كان في الجاهلية فتدهمه الاسلام وما في الاسلام بهدمه الاستغفار واعلم
انهم كانوا مختلفين في قتل البنات فخيرهم من يحفر الحفيرة ويدفنها فيها الى أن تموت ومنهم
من يردها من شاطئ جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يدبحها وهم كانوا يفعلون
ذلك تارة للغيرة والحمية وتارة خوفا من الفقر وانفاقة ولزوم النفقة ثم انه تعالى قال الأساء
ما يحكمون وذلك لانهم بلغوا في الاستنكاف من البنت الى أعظم الغايات (فأولها)
انه يسود وجهه (وثانيها) انه يخشى عن القوم من شدة نفرتة عن البنت (وثالثها) ان الولد
محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب شدة نفرتة عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على أن
النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزد عليه اذا ثبت هذا فالشيء الذي بلغ
الاستنكاف منه الى هذا الحد العظيم كيف يليق بالعاقل أن ينسبه لاله العالم المقدس
العالى من مشابهة جميع المخلوقات وظهير هذه الآية قوله تعالى ألكم الذكر وله الانثى
تلك اذا قسمه صيرنى (المسئلة الثانية) قال القاضي هذه الآية تدل على بطلان الجبر
لانهم يضيفون الى الله تعالى من الظلم والفواحش ما اذا أضيف الى أحدهم أجهد نفسه
في البراءة منه والتباعد عنه فحكمهم في ذلك مشابه لحكم هؤلاء المشركين ثم قال بل
أعظم لان اضافة البنات اليه اضافة قبيح واحد وذلك أسهل من اضافة كل القبائح
والفواحش الى الله تعالى فيقال للقاضي انه لما ثبت بالدليل استحالة الصاحبة والولد على
الله تعالى أردفه الله تعالى بذكر هذا الوجه الاقناعى والافليس كل ما قبح منا في العرف
قبح من الله تعالى ألا ترى لو أن رجلا زين اماءه وعبيده وبائع في تحسين صورهن ثم بالغ
في تقوية الشهوة فيهن وفيهن ثم جمع بين الكل وأزال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق
حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على
العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقه بالدلائل القطعية اليقينية وقد ثبت بالبراهين
القطعية امتناع الولد على الله فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية أما أفعال
العباد قد ثبت بالدلائل اليقينية القاطعة ان خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الخلق

بأن يرهب وقيل واصبا من الوصف أي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) الهمة للإنكار والغاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق
أي أعقب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات

للسجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيته عن اتخاذ الابداد وكون الدين له واصحابه المستدعي ذلك لخصيص القوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكره تفوت فخطيئون (وما يكمل) ﴿٤٧٦﴾ أي أي شيء يلايسكم وبصاحبكم (من نعمة)

أية نعمة كانت (فمن الله) فهي من الله فاشترطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بأنهم منه تعالى لا لكونها منه تعالى (ثم اذا مسكم الضر) مساسا يسيرا (فاليه تجمعون) تتضرعون في كشفه لالي غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك * طورا سجدوا وطورا جوارا * وقرئ تجرون بطرح الهزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن أدنى اصابة وإرادة بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتخليه الضر بلام الجنس المغيدة لاساس أدنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع إيراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها

أحد البابين بالآخر لولا شدة التعصب والله أعلم ثم قال تعالى الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى والمثل السوء عبارة عن الصفة السوء وهي احتياجهم الى الولد وكرهتهم الاثا خوف الفقر والعار والله المثل الاعلى أي الصفة العالمة المقدسة وهي كونه تعالى منزها عن الولد فان قيل كيف جاء والله المثل الاعلى مع قوله فلا تضر بوا لله الامثال قلنا المثل الذي يذكره الله حق وصدق والذي يذكره غيره فهو الباطل والله أعلم * قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السئتهم الكذب ان لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفرون تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزينا لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (اعلم انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وفتح قواهم بين انه يهل هو لاء الكفار ولا عاجلهم بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة والكرم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم من دابة من وجهين (الاول) انه قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فأضاف الظلم الى كل الناس ولا شك أن الظلم من المعاصي فهذا يقتضى كون كل انسان آتيا بالذنب والمعصية والانبياء عليهم السلام من الناس فوجب كونهم آتين بالذنب والمعصية (والثاني) أنه تعالى قال ما ترك على ظهرها من دابة وهذا يقتضى ان كل من كان على ظهر الارض فهو آت بالظلم والذنب حتى يلزم من افناء كل من كان ظالما افناء كل الناس أما اذا قلنا الانبياء عليهم السلام لم يصدر عنهم ظلم فلا يجب افناؤهم وحينئذ لا يلزم من افناء كل الظالمين افناء كل الناس وأن لا يبقى على ظهر الارض دابة ولما لم علمنا ان كل البشر ظالمون سواء كانوا من الانبياء أو لم يكونوا كذلك والجواب ثبت بالدليل أن كل الناس ليسوا ظالمين لانه تعالى قال ثم أو رثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات أي من العباد من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات مقتصد والسابق ظالما للفسد ذلك التقسيم فعلمنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل أنه لا يجوز أن يقال كل الخلق ظالمون واذ ثبت هذا فقول الناس المذكورون في قوله ولو يؤاخذ الله الناس اماكن العصاة المستحقين للعقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين ومن الذين أثبتوا لله البنات وعلى هذا التقدير فبسط الاستدلال والله أعلم (المسئلة الثانية) من الناس من احتج بهذه الآية على ان الاصل في المضار الحرمة فقال او كان الضر مشروعا لكان اما أن يكون مشروعا على وجه يكون جزاء على جرم صادر منهم أو لا على هذا الوجه والقسمان باطلان فوجب أن لا يكون مشروعا أصلا أما بيان فساد القسم الاول فلقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

للمخاطبين ببناء المصاحبة وإيراد ما للمعربة عن العموم لا ينفخ من الجزالة والفخامة وله ل إيراد اذا دون ﴿ما ترك﴾ ان التوسل به الى تحقق وقوع الجواب (ثم اذا كشف الضر عنكم) وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تبادى زمان مساس الضر و وقوع الكشف بعد برهة مدبرة بل

للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه (اذا فريق منهم بشر كونا) فان ترتيبها على ذلك في ابعاد غاية من الضلال (٤٧٧) ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا من التبيين والفرق بين

الكفرة وانوجه الى الكفرة في البيان كانه قبل اذا فريق كافروه، اتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبروا زجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البرقهم مقصد من تبعية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايدان بكمال فيج ما ارتكبه من الاشراك والكفران (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كائنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل (فتتبعوا) أمر تهديد والاتفات الى الخطاب للايدان بنهاى السخط وقرى بالياء مبينا للمفعول عطفا على ليكفروا على أن يكون كفران النعمة والتمتع غرضالهم من الاشراك ويجوز أن يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيدا كيدهم عن أخذ شديد حيث

ماترك على ظهرها من دابة والاستدلال به من وجهين (الاول) ان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها من دابة يقتضى انه تعالى ما أخذهم بظلمهم وأنه ترك على ظهرها من دابة (والثاني) انه لما دلت الآية على ان لازمة أخذ الله الناس بظلمهم هو أن لا يترك على ظهرها دابة ثم اننا شاهدنا تعالى ترك على ظهرها دواب كثيرين فوجب القطع بانه تعالى لا يؤاخذ الناس بظلمهم فثبت بهذا انه لا يجوز أن تكون المضار مشروعة على وجه تقع اجزية عن الجرائم (وأما القسم الثاني) وهو أن يكون مشروعا ابتداء على وجه يقع اجزية عن جرم سابق فهذا باطل بالاجماع فثبت ان مقتضى هذه الآية تحريم المضار مطلقا وبأن كد هذا أيضا بآيات أخرى كقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وكقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكقوله عليه السلام لا ضرر ولا ضرار في الاسلام وكقوله ملعون من ضر مسلما فثبت بمجموع هذه الآيات والاخبار أن الاصل في المضار الحرمة فنقول اذا وقعت حادثة مشتهة على الضرر من كل الوجوه فان وجدنا ناصا خاصا يدل على كونه مشروعا فاضينا به تقديم الخاص على العام والافضينا عليه بالحرمة بناء على هذا الاصل الذي قررناه ومنهم من قال هذه القاعدة تدل على ان كل ما يريده الانسان وجب أن يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر رغب غير مشروع يقتضى هذا الاصل وكل ما يكرهه الانسان وجب أن يحرم لان وجوده ضرر والضرر غير مشروع فثبت ان هذا الاصل يتناول جميع الوقائع الممكنة الى يوم القيامة ثم نقول القياس الذي يتسك به في اثبات الاحكام اما أن يكون على وفق هذه القاعدة أو على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يعنى عنه والثاني باطل لان النص راجع على القياس والله اعلم (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على ان الظلم والمعاصي ليست فعلا لله تعالى بل تكون افعالا للعباد لانه تعالى أضاف ظلم العباد اليهم وما أضافه الى نفسه فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم وايضا فلو كان خلقا لله تعالى لكانت مؤاخذتهم بها ظلما من الله تعالى ولما منع الله تعالى العباد من الظلم في هذه الآية فبان يكون منزها عن الظلم كان أولى قالوا ويدل أيضا على ان أعمالهم مؤثرة في وجوب الثواب والعقاب ان قوله بظلمهم الباء فيه تدل على العلية كما في قوله ذلك بأنهم شاقوا الله واعلم ان الكلام في هذه المسائل قد ذكرناه مرارا فلا نعيده والله اعلم (المسئلة الرابعة) ظاهر الآية يدل على ان اقدام الناس على الظلم بوجوب اهلاك جميع الدواب وذلك غير جائز لان الدابة لم يصدر عنها ذنب فكيف يجوز اهلاكها بسبب ظلم الناس والجواب عنه من وجهين (الاول) اننا نسلم ان قوله ماترك على ظهرها من دابة يتناول جميع الدواب وأجاب أبو على الجبائي عن ذلك المراد لو يؤاخذهم الله بما كسبوا من كفر ومعصية ليجل هلاكهم وحينئذ لا يبقى لهم نسل ثم من العلوم أنه لا أحد الا في أحد آياته من يستحق

لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف (ويجملون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدد الجناياتهم أى يفعلون ما يفعلون من الجوار الى الله تعالى عند مماس الضرر من الاشراك به عند كشفه ويجعلون (لا يعلمون) أى لا يعلمون حقيقة وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركا لله سبحانه جملة

وسفاهه ويرعون انهما تنفعهم وتسق لهم على ان ماموصولة والعائد اليها محذوف ولما لاعلم له أصلا وليس من شأنه ذلك فاموصولة أيضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة (٧٨) جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم

التي وصفوها بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أي لعدم علمهم والمجحول له محذوف للعلم بكانه (نصيبا مازقناهم) من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها (تالله لتألن) سؤال توبيخ وتقرع (عما كنتم تفترون) في الدنيا بانها آلهة حقيقة بأن يتقرب اليها وفي تصديرا للجملة بالتسمي وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنجي عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكثانة الذين يقولون للملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك أو تعجب من جرأتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة (ولهم ما يشتهون) من البنين وما مرفوعة المحل على أنه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالبة وسبحانه أعترض في حاق موقعة وجعلها منصوبة بالعطف على

العذاب واذا هلكوا فقد بطل نسلهم فكان يلزمه أن لا يبقى في العالم أحد من الناس واذا بطلو واجب أن لا يبقى أحد من الدواب أيضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصلحتهم فهذا وجه لطيف حسن (والوجه الثاني) ان الهلاك اذا ورد على الظلم ورد أيضا على سائر الناس والدواب فكان ذلك الهلاك في حق الظلمة عذبا وفي حق غيرهم امتحانا وقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عليه السلام (والوجه الثالث) انه تعالى لو أخذهم لانقضاء القطر وفي انقطاعه انقطاع النبت فكان لا يتبقى على ظهرها دابة وعن أبي هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضره الله فقال لا والله بل ان الحباري في وكرها لتوت بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد يجعل يملك في حجره بذنوب ابن آدم فهذه الوجوه الثلاثة من الجواب مفرعة على تسليم أن لفظة الدابة يتناول جميع الدواب (والجواب الثاني) ان المراد من قوله ماترك على ظهرها من دابة أى ماترك على ظهرها من كافر فالمراد بالدابة الكافر والدليل عليه قوله تعالى أو تلك كالانعام بل هم أضل والله اعلم (المسئلة الخامسة) الكناية في قوله عليها عائدة الى الارض ولم يسبق لها ذكر الا أن ذكر الدابة يدل على الارض فان الدابة انما تدب عليها وكثيرا ما يكتفى عن الارض وان لم يتقدم ذكرها لانهم يقولون ما عليها مثل فلان وما عليها أكرم من فلان يعنون على الارض ثم قال تعالى ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ليتوالدوا وفي تفسيره هذا الاجل قولان (الاول) وهو قول عطاء عن ابن عباس انه يريد أجل القيامة (والقول الثاني) ان المراد منتهى العمر وجه القول الاول أن معظم العذاب يوافقهم يوم القيامة ووجه القول الثاني ان المشركين يؤخذون بالعقوبة اذا انقضت أعمارهم وخرجوا من الدنيا (النوع الثالث) من الاقاويل الفاسدة التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله ويجعلون لله ما يكرهون واعلم ان المراد من قوله ويجعلون أى البنات التي يكرهونها لانفسهم ومعنى قوله يجعلون يصفون الله بذلك ويحكمون به له كقوله جعلت زيدا على الناس أى حكمت بهذا الحكم وذكرنا معنى الجعل عند قوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ثم قال تعالى ونصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى قل انقراء والزجاج موضع أن نصب لان قوله أن لهم الحسنى بدل من الكذب وتقدير الكلام وتصنف ألسنتهم أن لهم الحسنى وفي تفسير الحسنى ههنا قولان (الاول) المراد منه البنون يعنى انهم قالوا لله البنات ولنا البنون (والثاني) انهم مع قولهم بآيات البنات الله تعالى يصفون انفسهم بانهم فازوا برضوان الله تعالى بسبب هذا القول وأنهم على الدين الحق والمذهب الحسن (الثالث) انهم حكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله تعالى فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة قلنا كلهم ما كانوا منكرين للقيامة فقد قيل انه كان في العرب جمع يقرون بالبعث والقيامة ولذلك فانهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مراكبه

البنات أى يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار * وأيضا * (واذا بشرا أحدهم بالاني) أى أخبر بولادتها (ظل وجهه) أى صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء

من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش (وهو كظيم) ممتلئ خنقا وغيظا (ينواري) أى يستخفى
(من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوءه والتعبر ﴿ ٤٧٩ ﴾ عنها بالاسقاطها عن درجة العقلاء (ايمسكه)

أى مترددا فى أمره محدثا
نفسه فى شأنه ايمسكه
(على هون) ذل وقرى
هوان (أم يدسه) يخفيه
(فى التراب) بالوآد
والذكير باعتبار لفظ
ماورقى بالثأيت (الألساء
ما يحكمون) حيث يعملون
ما هذا شأنه عند هم
من الهون والحقارة لله
المتعالى عن الصاحبة
والوالد والحال انهم
يتحاشون عنه ويختارون
لانفسهم البنين خدار
الخطا جعلهم ذلك
لله سبحانه مع ابائهم اياه
لاجعلهم البنين لانفسهم
ولاعدم جعلهم له سبحانه
وبجوران يكون مداره
التعكيس لقوله تعالى تلك
اذ قسمه ضميرى (للذين
لا يؤمنون بالآخرة)
من ذكرت قبائحهم (مثل
السوء) صفة السوء الذى
هو كالثل فى القبح وهى
الحاجة الى الولد ليقوم
مقامهم عند موتهم وإيثار
الذكور للاستظهار بهم
ووأد البنات لدفع العار
وخشية الاملاق المنادى
كل ذلك بالجزو والقصور
والشيخ البالغ ووضع

وأبضا فتقدير انهم كانوا منكرين للقيامة فاعلمهم قالوا ان كان محمد صادقا فى قوله بالبعث
والنشور فانه يحصل لنا الجنة والبواب بسبب هذا الدين الحق الذى نحن عليه ومن
الناس من قال الاول أن يحمل الحسنى على هذا الوجه بدليل انه تعالى قال بعده لاجرم
أن لهم النار فردقوا لهم عليهم واثبت لهم النار فدل هذا على انهم حكموا لانفسهم بالجنة
قال الزجاج لاردقوا لهم والمعنى ليس الامر كما وصفوا جرم فعلهم أى كسب ذلك القول
لهم النار فعلى هذا لفظ أن فى محل النصب بوقوع الكسب عليه وقال قطرب أن فى
موضع رفع والمعنى وجب أن لهم النار وكيف كان الاعراب فالمعنى هو انه يحق لهم النار
ويجب ويثبت وقوله وأنهم مفرطون قرأ نافع وقتيبة عن الكسائى مفرطون بكسر الراء
والباقون مفرطون بفتح الراء أما قراءة نافع فقال الفراء المعنى أنهم كانوا مفرطين على
أنفسهم فى الذنوب وقيل أفرطوا فى الافراء على الله تعالى وقال أبو على الفارسي كأنه من
أفرط أصارذا فرط مثل أجب أى صارذا جرب والمعنى أنهم ذوو فرط الى النار كأنهم
قد أرسلوا من يهيج لهم مواضع فيها وأما قراءة قوله مفرطون بفتح الراء فنيه قولان
(الاول) المعنى انهم متروكون فى النار قال الكسائى يقال ما أفرطت من القوم أحدا
أى ما تركت وقال الفراء تقول العرب أفرطت منهم ناسا أى خلفتهم وأنسينهم (والقوم
الثانى) مفرطون أى مجنونون قال الواحدي رحمه الله وهو الاختيار ووجهه ما قال أبو
زيد وغيره فرط الرجل أحما به يفرطهم فرطا وروطا اذا تقدمهم الى الماء ليصلح الدلاء
والارسان وأفرط القوم القسارط وفرطوه اذا قدموه فعنى قوله مفرطون على هذا
التقدير كأنهم قدموا الى النار فهم فيها فرط للذين يدخلون بعدهم ثم بين تعالى ان مثل
هذا الصنع الذى يصدر من مشركى قريش قد صدر من سائر الامم السابقين
فى حق الانبياء المتقدمين عليه السلام فقال تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم
الشیطان أعمالهم وهذا يجرى مجرى التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله
من الغم بسبب جهالات القوم قالت المعتزلة الآية تدل على فساد قول المجبرة من وجوه
(الاول) انه اذا كان خالق أعمالهم هو الله تعالى فلا فائدة فى التزيين (والثانى) ان ذلك
التزيين لما كان بخلق الله تعالى لم يجزئ الشيطان بسببه (والثالث) ان التزيين هو الذى
يدعو الانسان الى الفعل واذا كان حصول الفعل فيه بخلق الله تعالى كان ضروريا فلم
يكن التزيين داعيا (والرابع) ان على قولهم الخالق لذلك العمل أجبدر أن يكون وليا لهم
من الداعى اليه (والخامس) أنه تعالى أضاف التزيين الى الشيطان ولو كان ذلك المزين
هو الله تعالى لكانت اضافته الى الشيطان كناية وجوابه ان كان مزين القبائح فى عين
الكفار هو الشيطان فزين تلك الوسوس فى عين الشيطان ان كان شيطانا آخر لم
التسلسل وان كان هو الله تعالى فهو المطلوب ثم قال تعالى فهو وليهم اليوم وفيه
احتمالان (الاول) ان المراد منه كفار مكة بقوله فهو وليهم اليوم أى الشيطان ويتولى

الموصول موضع الضمير الاشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (والله) سبحانه وتعالى (المثل
الاعلى) أى الصفة الحميدة الشأن التى هى مثل فى العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الواسع
والزهادة من صفات المخلوقين ويدخل فيه علو متعالى عما قالوه علما

كبيراً (وهو العزيز) المتفرد بجمال القدرة لاسيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل بمنتهى الحكمة البالغة وهذا أيضاً من جملة صفاته ﴿ ٤٨٠ ﴾ العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار

(بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي من جعلتها ماعداً من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايدان بأن ما أتوه من القبائح قد تنافى الى أمد لا غاية وراه (ماترك عليها) على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى (من دابة) أي ماترك عليها شيئاً من دابة قطب أهل كها بالمرّة بشؤم ظم الظالمين وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلاً يقول ان الظالم لا يضر الانفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجبل يهلك في حجره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الأبناء فيلزم أن لا يكون في الأرض ذابئة لما أنها مخلوق لنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً

اغواهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الأمم قبلك فيكون على هذا التقدير رجم عن أخبار الأمم الماضية الى الاخبار عن كفار مكة (الثاني) انه أراد باليوم يوم القيامة يقول فهو ولي أولئك الذين كفروا يزن لهم أعمالهم يوم القيامة وأطلق اسم اليوم على يوم القيامة لشهرة ذلك اليوم والمقصود من قوله فهو وليهم اليوم هو انه لا ولي لهم ذلك اليوم ولا ناصر وذلك لانهم اذا عاينوا العذاب وقدرزل بالشيطان كزوله بهم ورأوا انه لا مخلص له منه كما لا مخلص لهم منه جاز أن يؤخروا بان يقال لهم هذا وليكم اليوم على وجه السخرية ثم ذكر تعالى أن مع هذا الوعيد الشديد قد أعلم الله الحجة وأزاح العلة فقال وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المعنى انما أنزلنا عليك القرآن لتبين لهم بواسطة بيانات هذا القرآن الاشياء التي اختلفوا فيها والمختلفون هم أهل الملل والاهواء وما اختلفوا فيه هو الدين مثل التوحيد والشرك والجبر والقدر واثبات المعاد ونفيه ومثل الاحكام مثل أنهم حرموا أشياء تحل كالجيرة والسائبة وغيرهما وحلوا أشياء تحرم كالبيتة (المسئلة الثانية) الايام في قوله لتبين تدل على أن أفعال الله تعالى معاملة بالاعراض ونظيره آيات كثيرة منها قوله كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وجوابه أنه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التأويل (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشف قوله هدى ورحمة معطوفان على محل قوله لتبين لأنهما اتصبا على أنه مفعول لهما لانهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت الايام في قوله لتبين لانه فعل المخاطب لأفعل المنزل وانما ينصب مفعولاً له ما كان فعلاً لذلك الفاعل (المسئلة الرابعة) قال الكلبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لا ينبغي كونه كذلك في حق الكل كما أن قوله تعالى في أول سورة البقرة هدى للمعتقين لا ينبغي كونه هدى لكل الناس كما ذكره في قوله هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث انهم قبلوه فأتبعوا به كافي قوله انما أنزلت منذر من يخشاها لانه انما انتفع بانذاره هذا القوم فقط والله أعلم * قوله تعالى (والله أنزل من السماء ماء فأحى به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعلوة نستقبكم بما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) اعلم اننا قد ذكرنا ان المقصود الاعظم من هذا القرآن العظيم تقرير اصول أربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء والقدر والمقصود الاعظم من هذه الاصول الاربعة تقرير الانبيات فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات وقد ذكرنا في أول هذه السورة أنه تعالى لما أراد ذكر دلائل الالهيات ابتداء بالاجرام الفلكية وثني بالانسان وثلاث بالحیوان وربم بالنبات وخمس بذكر أحوال البحر والأرض فههنا في هذه

(ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يؤخرهم الى أجل مسمى) لا عمارهم أولعنا بهم كي يتوالدوا * الآية * أو يكثر عذابهم (فاذا جاء أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن ذلك الاجل أي لا تأخرون وصيغة الاستفصال للاشعار بعجزهم عنه مع طمأنينة (ساعة) فذة وهي مثل في قلة المدة

(ولا يستقدمون) أي لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيئ الاجل مبالغة في بيان عدم الاستنخار بنظمه في سلك ما يمتنع كافي قوله تعالى ﴿ ٤٨١ ﴾ وليست اثوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا

حضر أحدهم الموت قال اني نبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان مات كافر امع أنه لا توبه له رأسا قد نظم في سبط من لم تقبل توبته لا يذان بأنهما سيان في ذلك وقدم في تفسير سورة يونس (ويجعلون لله) أي يشبثون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم (ما يكرهون) لانفسهم بما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف السنتهم الكذب) أي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده الحسنى وقرئ الكذب وهو جمع الكذوب على أنه صفة اللسنة (لا جرم) رد لكلامهم ذلك واثبات لقبضه أي حقا (أن لهم) مكان ما ملوا من الحسنى (النار) التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم

الآية لما عاد الى تقرير دلائل الالهيات بدأ ولا يذكر الفلكيات فقال والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها والمعنى أنه تعالى خلق السماء على وجه ينزل منه الماء ويصير ذلك الماء سببا لحياة الارض والمراد بحياة الارض نبات الزرع والشجر والنور والثمر بعد أن كان لا يثمر وينفع بعد ان كان لا ينفع وتقرير هذه الدلائل قد ذكرناه مرارا كثيرة ثم قال ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم لم يسمع (والنوع الثاني) من الدلائل المذكورة في هذه الآيات الاستدلال بعجائب أحوال الحيوانات وهو قوله وان لكم في الانعام لعلوة نسقيكم مما في بطونه قد ذكرنا معنى العبرة في قوله لعلوة لاولى الابصار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحجرة والكسائي نسقيكم بضم النون والباقون بالفتح أما من فتح النون فخرجه ظاهرة تقول سقيته حتى روى أسقيته قال تعالى وسقاهم ربه شرابا طهورا وقال والذي هو يطعمني ويسقيني وقال وسقاهم حميما ومن ضم النون فهو من قواك أسفاه اذا جعل له شرابا كقوله وأسقيناهم ماء فراتا وقوله فأسقيناهم والمعنى ههنا انا جعلناه في كثرته وادامته كالسقى واختار أبو عبيد الضم قال لانه شرب دائم وأكثر ما يقال في هذا المقام أسقيت (المسئلة الثانية) قوله مما في بطونه الضمير عائد الى الانعام فكان الواجب أن يقال مما في بطونها وذكر الخويون فيه وجوها (الاول) ان لفظ الانعام لفظ مفرد وضع لافادة جمع كالحط والقوم والبقر والنعم فهو بحسب اللفظ لفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره ضمير الجمع وهو التأنيث فلهذا السبب قال ههنا في بطونه وقال في سورة المؤمن في بطونها (الثاني) قوله في بطونه أي في بطون ما ذكرنا وهذا جواب الكسائي قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع ربي وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره أي ذكر هذا الشيء واعلم ان هذا انما يجوز فيما يكون تأنيثه غير حقيقي أما الذي يكون تأنيثه حقيقيا فلا يجوز فانه لا يجوز في مستقيم الكلام أن يقال جاريتك ذهب ولا غلامك ذهبت على تقدير أن يحمله على التسمية (الثالث) ان فيه اضممار او التقدير نسقيكم مما في بطونه الابن اذ ليس كلها ذات ابن (المسئلة الثالثة) الفرث سرجين الكرش روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال اذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثا وأعلاه دما وأوسطه لبنا فيجري الدم في العروق والابن في الضرع وبنى الفرث كما هو فذاك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث ولقائل أن يقول الدم والابن لا يتولدان البتة في الكرش والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح بجماعتها وما رأى أحدا في كرشها لادما ولا لبنا ولو كان تولد الدم والابن في الكرش لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير اليه بل الحق ان الحيوان اذا تناول

في السواى (وانهم) ﴿ ٦١ ﴾ خا مفرطون) أي مقدمون اليها من أفرطته أي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من أفرطت فلانا خلقني اذا خلقته ونسنته وقرئ بالتشديد وقبح الراى من فرطته في طلب الماء وبكسر الراى المبهدة من التفریط في الطاعات

ويكسر الخفقة من الإفراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من أحوالهم الاخر وبه كما عطف عليه (تالله لقد أرسلنا الى أم من قبلك) نسبية رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٨٢ وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم

على ذلك أى أرسلنا اليهم رسلا فدعوههم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك (فزين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة فمكفوا عليها مصيرين (فهو وليهم) أى قرينهم وبئس القرين (اليوم) أى يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أوفى الدنيا وأوفى القامة على طريق حكاية الحال الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والى معنى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لاناصر لهم غيره مبالة فى نفي الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة أعمالهم فهو وليهم ولا لانهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى ولي أمثالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) هو عذاب النار (وما أنزلنا عليك الكتاب) أى القرآن (اللتين) استثناء مفرغ من أمم العال أى ما أنزلناه عليك

الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرهما فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فاما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى يحصل منه فى الكبد ينطبخ فيها وبصيرد ما وذلك هو الهضم الثانى ويكون ذلك الدم مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية أما الصفراء فذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما ذلك الدم فانه يدخل فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع والضرع لحلم غددي رخو أبيض فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه الى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض من صورة الدم الى صورة اللبن فهذه والقول الصحيح فى كيفية تولد اللبن فان قيل فهذه المعانى حاصلة فى الحيوان الذكر فلم يحصل منه اللبن قلنا الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شئ على الوجه اللائق به الموافق لمصلحة فزاج الذكر من كل حيوان يجب أن يكون حارا يابساً ومنزاج الانثى يجب أن يكون باردا رطبا والحكمة فيه ان الولد انما يتكون فى داخل بدن الانثى فوجب أن تكون الانثى مختصة بمزيد الرطوبات لوجهين (الاول) ان الولد انما يتولد من الرطوبات فوجب أن يحصل فى بدن الانثى رطوبات كثيرة لتصير مادة لتولد الولد (والثانى) ان الولد اذا كبر وجب أن يكون بدن الام قابلا للتمدد حتى ينقسم لذلك الولد فاذا كانت الرطوبات غالبة على بدن الام كان بدنهما قابلا للتمدد فينقسم للولد فثبت بما ذكرناه تعالى خص بدن الانثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة ثم ان الرطوبات التى كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان فى رحم الام فعند نفعصال الجنين تنصب الى الثدي والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير اذا عرفت هذا فاعلم ان السبب الذى لاجله يتولد اللبن من الدم فى حق الانثى غير حاصل فى حق الذكر فظهر الفرق اذا عرفت هذا التصور فقول المفسرون قالوا المراد من قوله من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد فى موضع واحد فالفرث يكون فى أسفل الكرش والدم يكون فى أعلاه واللبن يكون فى الوسط وقد دللت على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة ولان الدم لو كان يتولد فى أعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قام أن يبقى الدم وذلك باطل قطعاً وأما نحن فنقول المراد من الآية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء الاطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش وهذا اللبن يتولد من الاجزاء التى كانت حاصلة فيما بين الفرث وألام كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً فصفاه الله تعالى عن تلك الاجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التى باعتبارها صارت لبناً موافقاً لبدن الطفل فهذا ما حصلناه فى هذا المقام والله أعلم (المسئلة الرابعة) اعلم ان حدوث اللبن فى الثدي واتصافه بالصفات التى باعتبارها يكون موافقاً لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيب

لعله من العلل اللتين (لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحكام الافعال (واسرار) وأحوال المواد (وهى ورجة) معطوفان على محل لتين أى وللهادى والرجة (تقوم يؤمنون) وانما انتصبا ليكونهما اثرى فاعل الفعل

المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينصب لفقد ان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقديمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالؤمنين لانهم المغتنون آثاره ﴿٨٣﴾ (والله أنزل من السماء) من السحاب أو من جانب السماء

حسبما وهذا تكرير لما سبق تأكيده المضمونه وتوطئة لما يعقبه من أدلة التوحيد (ماء) نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم الجبرور على المنسوب لأمير مرار من التشويق الى المؤخر (فاجبي به الارض) بما أنبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها (أى بعد يدها وما يفيد الفاء من التعقيب العاوى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة (ان فى ذلك) أى فى انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به (لا آية) وآية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته (تقوم يسمون) هذا التذكير ونظائر سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم (وان لكم فى الانعام لعبرة عظيمة) أى عبرة تحارفى فى ذكركها العقول وتهمم فى فهمها أبواب الفحول (نسفيكم) استثنافى ابيان ما أبهم أولا من العبرة (مما فى بطونه) أى بطون الانعام والتذكير هنا

وأسرار بديعة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الابتديير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم وبيانه من وجوه (الاول) أنه تعالى خلق فى أسفل المعدة منفذا يخرج منه نقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شئ من ذلك الماء كولد والمشروب الى أن يكمل انهضامه فى المعدة ويجذب ما صغاه منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من الجائزات التى لا يمكن حصولها الابتديير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى بقاء الغذاء فى المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ واذا حصلت الحاجة الى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح فتوصل الانطباق تارة والانفتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى الابتديير الفاعل الحكيم (الثانى) انه تعالى أودع فى الكبد قوة تجذب الاجزاء الطائفة الحاصلة فى ذلك الماء كولد والمشروب ولا تجذب الاجزاء الكثيفة وخلق فى الامعاء قوة تجذب تلك الاجزاء الكثيفة التى هى الثفل ولا تجذب الاجزاء الطائفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلقت مصلحة البدن وفسد نظام هذا التركيب (الثالث) انه تعالى أودع فى الكبد قوة هاضمة طابخة حتى ان تلك الاجزاء المطييفة تطبخ فى الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى أودع فى المرارة قوة جاذبة للصغراء وفى الطحال قوة جاذبة للسوداء وفى الكليذة قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم الصافى الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن الابتديير الحكيم العليم (الرابع) ان فى الوقت الذى يكون الجنين فى رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو أعضائه ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذى يكون غذاءه فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لالى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المتغذى فانصباب ذلك الدم فى كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى الابتديير الفاعل المختار الحكيم (والخامس) ان عند تولد اللبن فى الضرع أحدث تعالى فى حمة الثدي ثقبوا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحمة انفصل اللبن عنهما فى تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا فحينئذ لا يخرج منها الا ما كان فى غاية الصغاء واللاطفة وأما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى فى الداخل والحكمة فى احداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة فى رأس حمة الثدي أن يكون ذلك كالصفاء فكل ما كان اطبقا خرج وكل ما كان كثيفا احتبس فى الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا لما شار بين (السادس) انه تعالى ألهم ذلك الصبي الى المص فان الام كلما ألقت حمة الثدي فى فم الصبي فذلك الصبي فى الحال يأخذ فى المص فلولان الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك

لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عدده سبويه فى المفردات المبنية على أفعال كالكياس وأخلاق كما أن تأنيده فى سورة المؤمنین لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعث فان اللبن لجمعية أوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ

بقبح بالنون ههنا وفي سورة المؤمنين (من بين فرت ودم لبنا) الفرت فضالة ما يبق من العلف في الكرش المنهضة
بعض الانهضام وكيف ما يبق في المعى وعن ابن عباس ؓ ٤٨٤ ؓ رضى الله عنهما ان البعجة اذا اعتلفت وانطبخ

العلق في كرشها كان
أسفله فرتنا وأوسطه
لبنا وأعلاه دما ولعل
المراد به ان أوسطه
يكون مادة اللبن وأعلاه
مادة الدم الذي يغذو
البدن لان عدم تكونهما
في الكرش مما لا يرب
فيه بل الكبد تجذب
صفوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثقله
وهو الفرت ثم يمسكها
ريتا يعضها فيحدث
أخلاطاً ربة معها
مائية فتنبه القوة المبرزة
تلك المائية بما زاد على
قدر الحاجة من المرتين
الصفراء والسوداء
وتدفعها الى الكلية
والمرارة والطحال ثم
توزع الباقي على الاعضاء
بمحبها فتجري على كل
حقة على ما يليق به
بتقدير العزيز العليم ثم
ان كان الحيوان أنثى زاد
أخلاطها على قدر
غذائها لاستيلاء البرد
والرطوبة على مزاجها
فيندفع الزائد أولاً لاجل
الجنين الى الرحم فاذا
انفصل انصب ذلك
الزائد أو بعضه الى
الضروع فيبيض لمجاورته
لحومها التغذوية البيضاء

العمل المخصوص والالم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي (السابع) انما يبقا
انه تعالى انما خلق اللبن من فضلة الدم وانما خلق الدم من الغذاء الذي يتناوله الحيوان
فالشاة لما تناولت العشب والماء قاله تعالى خلق الدم من اطيف تلك الاجزاء ثم خلق
اللبن من بعض اجزاء ذلك الدم ثم ان اللبن حصلت فيه اجزاء ثلاثة على طبائع متضادة
خافيه من الدهن يكون حارار طباً ومافيه من المائية يكون باردار طباً ومافيه من الجبذة
يكون بارد ابابسا وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناولته الشاة فظهر
بهذا ان هذه الاجسام لا تزال تنقلب من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة مع انه لا يناسب
بعضها بعضا ولا يشاكل بعضها بعضا وعند ذلك يظهر ان هذه الاحوال انما تحدث بتدبير
فاعل حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فسبحان من تشهد جميع
ذرات العالم الاعلى والاسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته له الخالق والامر تبارك
الله رب العالمين أما قوله سائعا للشار بين فغناه جاريا في خلقهم لذيذها هنيئا يقال ساع
الشراب في الخلق وأساعه صاحبه ومنه قوله ولا يكاد يسيغه (المسئلة الخامسة) قال
أهل التحفة بق اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختر سبحانه وكذلك يدل
على امكان الحشر والنشر وذلك لان هذا العشب الذي يأكله الحيوان انما يتولد من
الماء والارض فخالق العالم دبّر تدبيراً قلب ذلك الطين نباتا وعشباً ثم اذا أكله الحيوان
دبّر تدبيراً اخر قلب ذلك العشب دما ثم دبّر تدبيراً آخر قلب ذلك الدم لبناً ثم دبّر تدبيراً
آخر فحدث من ذلك اللبن الدهن والجن فهدا يدل على انه تعالى قادر على أن يقلب هذه
الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع أيضاً أن يكون
قادراً على أن يقلب اجزاء أبدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك
فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمر ممكن غير ممتنع والله اعلم
ثم قال تعالى ومن ثمرات التخيّل والاعناب تتخذون منه سكرًا ورزقا حسنا اعلم انه تعالى
لما ذكر بعض منافع الحيوانات في الآيه المتقدمة ذكر في هذه الآيه بعض منافع
النبات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فان قيل لم تعلق قوله ومن ثمرات التخيّل والاعناب
قلنا بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات التخيّل والاعناب أى من عصيرها وحذف
لدلالة نسقيكم قبله وقوله تتخذون منه سكرًا بيان وكشف عن كنه الاسماء (المسئلة
الثانية) قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات لاعلى التخيّل لانه يصير التقدير ومن
ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليست له ثمرة أخرى (المسئلة الثالثة) في تفسير السكر
وجوه (الاول) السكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكر او سكر انحورشدرشدا ورشدا
وأما الرزق الحسن فسأر ما يتخذ من التخيّل والاعناب كالرب والخل والدبس والنثر
والزبيب فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله في معرض الانعام اجابوا عنه من وجوه
(الاول) ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآيه

وبلذ طعمه فيصير لبناً ومن تدبر في بدائمه صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ؓ في
ومجار بها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المنصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه

وقدرته وحكمته وتناهي رافته في الاولى تبعية لما أن الالبان بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسب فصل ٤٨٥ * والثانية ابتدائية كقوله سقيت من الحوض لان بين

الفرث والدم بدء الاسقاء وهي متعلقة بنسبكم وتقدمه على المفعول لما مر مرارا من أن تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا للفضل بممكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم منضمنا ووصف منافى لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتناوبا بحيث لا يترادى ناراها فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا أو حال من ليناقدم عليه لتكثيره ولالتنبية على انه موضع العبرة (خالصا) عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بني أحدهما عليه مع كونهما مكتنفين له (سائعا للشاربين) سهل المرور في حلقهم قبل لم يعض أحد بالابن وقرى سيفا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين

في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة (الثاني) انه لا حاجة الى التزام هذا النسخ وذلك لانه تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وخطاب المشركين بها والخمر من أشربتهم فهي منفعة في حقهم ثم انه تعالى نبه في هذه الآية أيضا على تحريمها وذلك لانه ميز بينهما وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن لا يكون السكر رزقا حسنا ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا بحسب الشرعية وهذا انما يكون كذلك اذا كانت محرمة (القول الثاني) ان السكر هو النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله الى حد السكر ويحتج بأن هذه الآية تدل على أن السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنفعة دل الحديث على أن الخمر حرام قال عليه السلام الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من أثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ (والقول الثالث) ان السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر * جعلت أعراض الكرام سكرا * أي جعلت ذمهم طعاما لك قال الزجاج هذا بالخمر أشبه منه بالطعام والمعنى انك جعلت تخمر بأعراض الكرام والمعنى انه جعل شغفه بغيبة الناس وعزيق أعراضهم جارا بما جرى شرب الخمر واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الوجوه التي هي دلائل من وجوه وتعدد النعم العظيمة من وجه آخر قال ان في ذلك لآية لقوم يعقلون والمعنى ان من كان عاقلا علم بالضرورة ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى فيخرج بحصولها على وجود الاله القادر الحكيم والله اعلم * قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون ثم كلوى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا تخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) اعلم أنه تعالى لما بين ان اخراج الالبان من النعم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات التخيل والاعتاب دلائل قاهرة وبيئات باهرة على ان لهذا العالم اله قادرا مختارا حكما فكذلك اخراج العسل من النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المقصود وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله وأوحى ربك الى النحل يقال وحى وأوحى وهو الالهام والمراد من الالهام انه تعالى قرر في أنفسها هذه الاعمال المجيبة التي تنجز عنها العقلاء من البشر وبيانه من وجوه (الاول) انها تبني البيوت المسدسة من أصلاص متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الابالات وأدوات مثل المسطر والفرجار (والثاني) انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال سوى المسدسات فانه يبق بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة أما اذا كانت تلك البيوت مسدسة فانه لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة فاهاء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية

وهين (ومن ثمرات التخيل والاعتاب) متعلق بما يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب أى واطعمكم من ثمرات التخيل ومن الاعتاب أى من عصرهما وقوله تعالى (تخذون منه سكرا) استئناف لسان كنه

الاطعام وكشفه أو بقوله تتخذون منه وتكرر الظرف للتأكيد أو خبر ابتداء محذوف صفته تتخذون أي ومن ثمرات التخليل والاعتاب ثم تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان ﴿ ٤٨٦ ﴾ في الكلام كلمة من سائق نحو قوله

تعالى وامانا الاله مقام معلوم وتذكر الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف أعنى المصير ولان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو التبيذ وقيل هو الطعم (ورزق احسنا) كالتر والدبس والزيب والخل والآية ان كانت سابقة للزول على تحريم الخمر فسدالة على كراهتها والافجاعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية (باهرة تقوم بعقول) يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل (وأوحى ربك الى النحل) أي ألهمها وقذف في قلوبها وعلما بوجه ليعلمه الالعليم الخبير وقرئ بفحوتين (أن اتخذني) أي بأن اتخذني على أن مصدرية ويجوز أن تكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وتأنيت الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على المعنى ولانه جمع نحلة والتأنيت لغة

والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب (والثالث) ان النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقي ويكون نافذا لحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران وذلك أيضا من الاعاجيب (والرابع) انها اذا نفرت من وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطنبور والملاهي والآلات الموسيقا وبواسطة تلك الاطلاق يقدرون على ردها الى وكرها وهذا أيضا حالة عجيبة فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على من يد الذكاء والكياسة وكان حصول هذه الانواع من الكياسة ليس الاعلى سبيل الالهـام وهي حالة شبيهة بأوحى لاجرم قال تعالى في حقها وأوحى ربك الى النحل واعلم ان الوحي قد ورد في حق الانبياء لقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا وفي حق الاولياء أيضا قال تعالى واذا أوحيت الى الخواص وبين وبمعنى الالهـام في حق البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفي حق سائر الحيوانات كما في قوله وأوحى ربك الى النحل ولكل واحد من هذه الاقسام معنى خاص والله أعلم (المسئلة الثانية) قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز ولذلك أنتها الله تعالى وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحد الالهـام قال تعالى أن اتخذني من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف أن اتخذني هي أن المفسرة لان الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون أي ينون ويسقفون وفيه لغتان قرئ بهما ضم الراء وكسرها مثل يعكفون ويعكفون واعلم أن النحل نوعان (أحدهما) ما يسكن في الجبال والغياض ولا يتعهدا أحد من الناس (والنوع الثاني) التي تسكن بيوت الناس وتكون في تعهدات الناس فالاول هو المراد بقوله أن اتخذني من الجبال بيوتا ومن الشجر والثاني هو المراد بقوله ومما يعرشون وهو خلايا النحل فان قيل مامعنى من في قوله أن اتخذني من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلنا أريد به معنى الإيهامية وأن لا يتبع بيوتها في كل جبل وشجر بل في مساكن توافق مصالحها وتليق بها (المسئلة الثانية) ظاهر قوله تعالى أن اتخذني من الجبال بيوتا أمر وقد اختلفوا فيه فمن الناس من يقول لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول ولا يبعد أن يتوجه عليها من الله تعالى أمر ونهى وقال آخرون ليس الامر كذلك بل المراد منه انه تعالى خلق فيها غرائز وطباع توجب هذه الاحوال والكلام المستقصى في هذه المسئلة مذكور في تفسير قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ثم قال تعالى ثم كلمني من كل الفرات لفظه من ههنا للتبعض أو لابتداء الغاية ورأيت في كتب الطب أنه تعالى دبر هذا العالم على وجهه وهوانه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع ذلك الطل

أهل الحجاز (من الجبال بيوتا) أي أو كاد اجمع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء (ومن الشجر) على (ومما يعرشون) أي يعرشه الناس أي يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس وينونه للنحل والمعنى اتخذني لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذ لم يكن لك أرباب والا فتأخذني ما يعرشونه

لك وايراد حرف التبعية لما انها لا تبني في كل جبل وكل سجر وكل عرس ولا في كل مكان منها (ثم هي من كل العرات)
من كل ثمرة تشتهيها حلوها و مرها (فاسلكي) ﴿ ٤٨٧ ﴾ ما أكلت منها (سبل ربك) أي مسالكه التي يراها بحيث

يحصيل فيها بقدرته
القاهرة النور المرعسلا
من أجوافك أو فاسلكي
الطرق التي ألهمك
في عمل العسل أو فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل
ربك لا تنوع عليك ولا
تلبس (ذللا) جمع
ذلول وهو حال من
السبل أي منذلة غير
متوعدة ذلها الله سبحانه
وسهلها لك أو من الضمير
في اسلكي أي اسلكي
منقادة لما أمرت به
(يخرج من بطونها)
استئناف عدل به عن
خطاب النحل لبيان ما
يظهر منها من تعاجيبه
صنع الله تعالى التي هي
موضع العبرة بعدما أمرت
بما أمرت (شراب) أي
عسل لانه مشروب
واحب به وبقوله تعالى
كل من زعم أن النحل
تأكل الأزهار والأوراق
العطرة فتسحق في بطنها
عسلا ثم تأتي ادخارا
للشئاء ومن زعم انها
تلتقط بأفوها أجزاء
قليلة حلوة صغيرة متفرقة
على الأزهار والأوراق
ونضعها في بيوتها فإذا

على أوراق الأشجار فقد تكون تلك الأجزاء الطليعة لطيفة صغيرة متفرقة على الأوراق
والأزهار وقد تكون كثيرة بحيث يجمع منها أجزاء محسوسة (أما القسم الثاني)
فهو مثل الترنجيبين فإنه ظل ينزل من الهواء ويجمع على أطراف الطرفاء في بعض
البلدان وذلك محسوس (وأما القسم الاول) فهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل حتى
انها تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفوها وتأكلها وتغذي بها
فإذا شبت التقطت بأفوها مرة أخرى شيئا من تلك الأجزاء وذهبت بها الى بيوتها
ووضعتها هناك لانها تحاول أن تدخل لنفسها غذاءها فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء
الطليعة شيء كثير فذاك هو العسل ومن الناس من يقول ان النحل تأكل من الأزهار
الطليعة والأوراق العطرة أشياء ثم انه تعالى يقلب تلك الاجسام في داخل بدن العسلا
ثم انها تأتي مرة أخرى فذاك هو العسل والقول الاول أقرب الى العقل وأشد مناسبة
الى الاستقراء فان طبيعة الترنجيبين قريية من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه ظل
يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار فكذلك ههنا وأيضاً فحين نشاهد
ان هذا النحل إنما تغذي بالعسل ولذلك فانا اذا استخرجنا العسل من بيوت النحل
نترك لها بقية من ذلك لاجل أن تغذي بها فعلنا انها إنما تغذي بالعسل وانها إنما تقع
على الأشجار والأزهار لانها تغذي بتلك الأجزاء الطليعة العسلية الواقعة من الهواء
عليها اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ثم كل من كل الثمرات كلمة من ههنا تكون لا ابتداء
الغاية ولا تكون للتبعية على هذا القول ثم قال تعالى فاسلكي سبل ربك والمعنى ثم كل
كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك في الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل
العسل أو يكون المراد فاسلكي في طلب تلك الثمرات سبل ربك أما قوله ذللا فقيه قولان
(الاول) انه حال من السبل لان الله تعالى ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو الذي
جعل لكم الأرض ذلولاً (الثاني) انه حال من الضمير في فاسلكي أي وأنت أبهال النحل ذلل
منقادة لما أمرت به غير متمتعة ثم قال تعالى يخرج من بطونها وفيه بحثان (الاول) ان
هذا رجوع من الخطاب الى الغيبة والسبب فيه ان المقصود من ذكر هذه الاحوال أن
يحتج الانسان المكلف به على قدرة الله تعالى وحكمته وحسن تديره لاحوال العالم
العلوي والسفلي فكانه تعالى لما خاطب النحل بما سبق ذكره خاطب الانسان وقال
انا ألهمنا هذا النحل لهذه الجحائب لاجل أن يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
(البحث الثاني) انه قد ذكرنا ان من الناس من يقول العسل عبارة عن أجزاء طليعية يحدث
في الهواء وتقع على أطراف الأشجار وعلى الأوراق والأزهار فيلتقطها الزبور بغمه
فإذا ذهبنا الى هذا الوجه كان المراد من قوله يخرج من بطونها أي من أفوهاها وكل
تجويف في داخل البدن فإنه يسمى بطناً ألا ترى انهم يقولون بطن الدماغ وعنوانها
نجاويف الدماغ وكذلك ههنا يخرج من بطونها أي من أفوهاها وأما على قول أهل الظاهر

اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطن بالأفواه (يختلف ألوانه) أي بياض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن
النحل أو الفصل أو الذي أخذت منه العسل (فيه شفاء للناس) اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره
كما في سائر الامراض اذ قلما يكون

مجهون لا يكون فيه غسل مع أن التكبر فيه مشعر بالتبعض ويجوز كونه للتخيم وعن قتادة إن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكى بطنه ﴿٤٨٨﴾ فقال عليه الصلاة والسلام اسقه العسل فذهب ثم رجع

فقال قد سقيته فأنفع فقال اذهب فأسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ كما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن ولما بين الله تعالى من أحوال التحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فطليكم بالشفاين العسل والقرآن (إن في ذلك) الذي ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى (آية) عظيمة (لقوم يفكرون) فإن من تفكر في اختصاص التحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها أحد في المهندسين إلا بالآلات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك ويهديها إليه جل جلاله (وأنه خلقكم) لما ذكر سبحانه من عجائب أحوال ما ذكر من الماء والنبات والآنعام والتحليل أشار

وهو أن التحلة تأكل الأوراق والثمار ثم تبقى فذلك هو العسل فالكلام ظاهر ثم قال شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس اعلم أنه تعالى وصف العسل بهذه الصفات الثلاثة (والصفة الأولى) كونه شراباً والامر كذلك لأنه تارة يشرب وحده وتارة يتخذ منه الأشربة (والصفة الثانية) قوله مختلف ألوانه والمعنى إن منه أحمر وأبيض وأصفر ونظيره قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود والمقصود منه إبطان القول بالطبع لأن هذا الجسم مع كونه متساوي الطبيعة لما حدث على ألوان مختلفة دل ذلك على أن حدوث تلك الألوان بتدبير الفاعل المختار لا لاجل إيجاب الطبيعة (والصفة الثالثة) قوله فيه شفاء للناس وفيه قولان (الأول) وهو الصحيح أنه صفة للعسل فإن قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ويخرج المرار قلنا إنه تعالى لم يقل أنه شفاء لكل الناس ولكل داء وفي كل حال بل لما كان شفاء للعصا ومن بعض الأدوية صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء والذي يدل على أنه شفاء في الجملة أنه قل مجنون من المعاجين الاوتامه وكاله انما يحصل بالعجن بالعسل وأيضاً فالأشربة المتخذة منه في الأمراض البلغمية عظيمة النفع (والقول الثاني) وهو قول مجاهد إن المراد أن القرآن شفاء للناس وعلى هذا التقدير فقصه تولد العسل من التحل تمت عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس أي في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدة مثل هذا الذي في قصة التحل وعن ابن مسعود أن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور واعلم أن هذا القول ضعيف ويدل عليه وجهان (الأول) أن الضمير في قوله فيه شفاء للناس يجب عوده إلى أقرب المذكورات وما ذاك إلا قوله شراب مختلف ألوانه وأما الحكم بعود هذا الضمير إلى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب (والثاني) ما روى أبو سعيد الخدري أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكى بطنه فقال اسقه عسلاً فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً فقال عليه الصلاة والسلام اذهب واسقه عسلاً فذهب فسقاه فكأنما نشط من عقال فقال صدق الله وكذب بطن أخيك وحملوا قوله صدق الله وكذب بطن أخيك على قوله فيه شفاء للناس وذلك انما يصح لو كان هذا صفة للعسل فإن قال قائل ما المراد بقوله عليه السلام صدق الله وكذب بطن أخيك قلنا لعله عليه السلام علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع أنه عليه السلام كان عالماً بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك كان هذا جارياً بجرى الكذب فلهذا السبب أطلق عليه هذا اللفظ ثم أنه تعالى ختم الآية بقوله إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون واعلم أن تقرير هذه الآية من وجوه (الأول) اختصاص التحل بتلك العلوم الدقيقة والمعارف الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة وسائر الأحوال التي ذكرناها (والثاني) اهتدائها إلى جميع تلك الأجزاء العسلية من أطراف الأشجار

إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا ﴿٤٨٩﴾ والأوراق ﴿٤٩٠﴾ من أتب العمر في أربع الأولى سن الشهور والماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل

وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة (ثم يتوفاكم) حسبما تنص فيه مشيئة المبتدئ على حكم بالغه بأجل مختلفه أطفالا وشبابا وشيوخا ﴿ ٤٨٩ ﴾ (ومنكم من رد) قبل توفيه أي يعاد (الى أرذل العمر) أي أخسه

وأخفوه وهو خمس وسبعون سنة على ما روى عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وأربعا والرد على الوصول والبلوغ ونحوهما الإيدان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه في الخلق ولا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة (لكيلا يعلم بعد علم) كثير (شيئا) من العلم أو من المعلومات أو لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء وقيل لكيلا يقل بعد عقله الأول شيئا (إن الله عليم) بمقادير أعماركم (قدير) على كل شيء يمت الشاب النسيب وتبين الهرم القاني وفيه تنبيه على أن تفاوت الأجل ليس بالاعتقادي بقادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمر جنتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم

والأوراق) (والثالث) خلق الله تعالى تلك الأجزاء النافعة في جواهرها ثم القاؤها على أطراف الأشجار والأوراق ثم الهام الحاصل إلى جمعها بعد تفرقها وكل ذلك أمور عجيبة دالة على أن الله العالم بترتيبها على رعاية الحكمة والمصلحة والله أعلم بقوله تعالى (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) لماذا كرتعالى بعض عجائب أحوال الحيوانات ذكر بعده بعض عجائب أحوال الناس فمنها ما هو مذکور في هذه الآية وهو إشارة إلى مراتب عمر الإنسان والعقل ضبوطها في أربع مراتب أولها سن النشو والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط القليل وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الكبير وهو سن الشيخوخة فاحتج تعالى بانتقال الحيوان من بعض هذه المراتب إلى بعض على أن ذلك التناقل هو الله تعالى والأطباء الطبائيون قالوا مقتضى لهذا الانتقال هو طبيعة الإنسان وأنا أحيى كلامهم على الوجه المختص وأبين ضعفه وفساده وحينئذ ينبغي أن ذلك التناقل هو الله سبحانه وعند ذلك يصح بالدليل العقلي ما ذكر الله تعالى في هذه الآية قال الطبائيون إن بدن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني والدم جوهران حاران رطبان والحرارة إذا عملت في الجسم الرطب قلت رطوبته ووافدته نوع ينس وهذا مشاهد معلوم قالوا فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقل ما فيه من الرطوبة حتى تتصلب الأعضاء ويظهر فيه الانعقاد ويحدث العظم والغضروف والعصب والوتر والباطوسائر الأعضاء فإذا تم تكون البدن وكل فعند ذلك يفصل الجنين من رحم الأم ومع ذلك فالرطوبات زائدة والدليل عليه أنك ترى أعضاء الطفل بعد انفصاله من الأم لينة لطيفة وعظامه لينة قريية الطبع من الغضاريف ثم إن ما في البدن من الحرارة يعمل في تلك الرطوبات ويقاها قالوا ويحصل للبدن ثلاثة أحوال (الحالة الأولى) أن تكون رطوبة البدن زائدة على حرارته وحينئذ تكون الأعضاء قابلة للتدد والازدياد والنماء وذلك هو سن النشو والنماء ونهايته إلى ثلاثين سنة أو خمس وثلاثين سنة (الحالة الثانية) أن تصبح رطوبات البدن أقل ما كانت فتكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية الأصلية لأنها لا تكون زائدة على هذا القدر وهذا هو سن الوقوف وسن الشباب وغايته خمس سنين وعند تمامه يتم الأربعون (والحالة الثالثة) أن تقل الرطوبات وتصبح بحيث لا تكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية وعند ذلك يظهر نقصان ثم هذا النقصان قديكون خفيا وهو سن الكهولة وتتمامه إلى ستين سنة وقديكون ظاهرا وهو سن الشيخوخة وتتمامه إلى مائة وعشرين سنة فهذا هو الذي حصله الأطباء في هذا الباب وعندني أن هذا التعليل ضعيف ويدل على ضعفه وجوه (الأول) أن تقول إن في أول ما كان المني منيا وكان الدم دما كانت الرطوبات غالبة وكانت الحرارة الغريزية معمورة وكانت ضعيفة بهذا السبب

على بعض في الرزق) أي جعلكم ﴿ ٦٢ ﴾ متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل مما أعطى بماليكم (فالذين فضلوا) فيه على غيرهم (برادى رزقهم) الذي رزقهم إياه (على ما ملكتم أيانهم) على ما ليكم الذين هم شركاؤهم في الخلقة والمرزوق به (فهم)

أى الملاك والمماليك (فيه) أى فى الرزق (سواء) أى لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم فى التصرف و يشاركونهم فى التدبير
والغالب لئلا لالة على ترتب التساوى على الرد أى لا يردونه * ٤٩٠ * عليهم ردا مستتبعا للتساوى وانما يردون عليهم

منه شيئا يسيرا فحيث
لا يرضون بما سوا من مآلبيهم
لانفسهم وهم أمثالهم
فى البشرية والمخلوقة
لله عز سلطانه فى شئ
لا يختص بهم بل يسمهم
وابا لهم من الرزق الذى
هم أسوة لهم فى استحقاقه
فبالله يشاركون بالله
سبحانه وتعالى فيما لا يلىق
الابه من الالهية
والمعبودية الخاصة بذاته
تعالى لذاته بعض مخلوقاته
الذى هو بمنزل من درجة
الاعتبار وهذا كما ترى
مثل ضرب الكمال قباحة
ما فعله المشركون تفرعا
عليهم كقوله تعالى هل
لكم مما ملكت أيمانكم
من شركاء فيما رزقناكم
فأنتم فيه سواء الآية
(أفبعمة الله يحجدون)
أحيث يفعلون ما يفعلون
من الاشراك فان ذلك
يقضى أن يضيفوا لهم
الله سبحانه الفائضة
عليهم الى شركائهم
ويحجدوا كونهما من
عند الله تعالى أو حيث
أنكروا أمثال هذه الحجج
البالغة بعدما أنعم الله بها
عليهم والياء لتضمنين

ثم انهم مع ضعفها قويت على تحليل أكثر تلك الرطوبات وابانتهم من حد الدموية والنوية
الى ان صارت عظامها وغضروفها وعصاها ورباطها وعند ما تولدت الاعضاء وكل البدن قلت
الرطوبات فوجب أن تكون الحرارة الغريزية قوة أزيد مما كانت قبل ذلك فوجب أن
يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكاله أزيد من تحليلها قبل تولد البدن ومعلوم أنه
ليس الامر كذلك لان قبل تولد البدن انتقل جسم المني والدم الى ان صار عظاما وعصبا
وأما بعد تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشرة فلو كان تولد هذه الاعضاء
بسبب تأثير الحرارة فى الرطوبة لوجب أن يكون تحليل الرطوبات بعد كمال البدن أكثر من
تحليلها قبل تكون البدن ولما لم يكن الامر كذلك علمنا ان تولد البدن انما كان بتدبير قادر
حكيم يدبر أبدان الحيوانات على وفق مصالحها وأنه ما كان تولد البدن لاجل ما قالوه
من تأثير الحرارة فى الرطوبة (والوجه الثانى) فى إبطال هذا الكلام أن نقول ان الحرارة
الغريزية الحاصلة فى بدن الانسان الكمال ما أن تكون هي عين ما كان حاصلها فى جوهر
النطفة أو صارت أزيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزى الحاصل فى جوهر
النطفة كان بمقدار جرم النطفة ولاشك ان جرم النطفة كان قليلا صغيرا فهذا البدن
بعد كبره لو لم يحصل فيه من الحرارة الغريزية الا ذلك القدر كان فى غاية القلة ولم يظهر منه
فى هذا البدن أثر أصلا وأما الثانى ففيه تسليم ان الحرارة الغريزية تتزايد بحسب تزايد
الجثة والبدن واذا تزايدت الحرارة الغريزية ساعة فساعة وثبت ان تزايدها يوجب تزايد
القوة والصحة ساعة فساعة فوجب ان يبقى البدن الحيوانى أبدا فى التزايد والتكامل
وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان زياد حال البدن الحيوانى وانتقاصه ليس بحسب
الطبيعة بل بسبب تدبير الفاعل المختار (والوجه الثالث) وهو الذى أوردناه على الاطباء
فى كتابنا الكبير فى الطب فنلنا هب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية
فلما قلنا ان الحرارة الغريزية يجب أن تنصير أو قل مما كانت وأن ينقل الانسان من
سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه أنه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة
الغريزية بعد ذلك تؤثر فى تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية حتى
صارت بحيث لا تبقى بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحالة ضعفت الحرارة
الغريزية أيضا لان الرطوبة الغريزية كالغذاء الحرارة الغريزية فاذا قل الغذاء
ضعف المغذى فالحاصل ان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها
توجب ضعف الحرارة الغريزية ويلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى الى أن
تنتهى الى حيث لا يبقى من الرطوبة الغريزية شئ وحينئذ تنطفئ الحرارة الغريزية
ويحصل الموت هذا منتهى ما قالوه فى هذا السبب وهو ضعيف لاننا نقول ان الحرارة
الغريزية اذا أثرت فى تجفيف الرطوبة الغريزية وقلتها فلم لا يجوز أن يقال ان القوة الغاذية
توردها فند هذا قالوا القوة الغاذية انما تقوى على ايرادها لو كانت الحرارة
الغريزية قوية فاما عند ضعفها فلا فنقول فلهنا لزم الدور لان الرطوبة الغريزية انما تنقل

الحجود معنى الكفر نحو وجدوا بها والفاء للعطف على مقدروها داخله فى المعنى على الفعل أى أيشركون * وتنقص *
به فيجحدون نعمته وقرى * فيجحدون على الخطاب أو ليس الموالى برادى رزقهم على مآلبيهم بل ان الذى أرزقهم واباهم
فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئا أو تيسا

هو زرقاء حرة على أيديهم وهم جميعاً في ذلك سواء لحرية لهم على ممالكهم إلا أنه ممنون ذلك فيجحدون بحمد الله وهو رد على زعم المفضلين وعلى فعلهم المؤذن بذلك ٤٩١ * أو ما المفضلون يرادى به من فضلهم على ممالكهم فيستأووا في ذلك جميعاً مع أن

المفضل ليس إلا لبلوهم أبشرون أم بكثرون إلا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه قيل فلم يردوه عليهم والجلة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم بمائلسون وأطعموهم بما تطعمون فاروى عنه بعد ذلك الاورداؤه

رداؤه وازاراه زاره من غير تفاوت (والله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم (أزواجا) لأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق سواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام (وجعل لكم من أزواجكم) وضع الظاهر موضع المضمرة الايدان بان المراد جعل لكل منكم من زوجته لامن زوج غيره (بنين) وبأن نتيجة الأزواج

وتنص اولم تكن القوة الغاذية وافية بإيراد بداهها وانما تجز القوة الغاذية عن هذا الاراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وانما تكون الحرارة الغريزية ضعيفة أن اوقلت الرطوبة الغريزية وانما تحصل هذه القوة اذا تجزت الغاذية عن إيراد البدل فثبت ان على القول الذى قالوه يلزم الدور وانه باطل فثبت ان تعاليل انتقال الانسان من سن الى سن بما ذكره من اعتبار الطبايع يوجب عليهم هذه المحالات المذكورة فكان القول به باطلا ولما بطل هذا القول وجب القطع باسناد هذه الاحوال الى الله القادر الخار الحكيم الرحيم الذى يدبر أبدان الحيوانات على الوجه الموافق لمصالحها وذلك هو المطلوب وقد كنت أقرأ يوما من الايام سورة والمرسلات فلما وصلت الى قوله تعالى ألم تخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقد رنا فعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين فثبت لاشك ان المراد بهؤلاء المكذبين هم الذين نسبوا تكون الابدان الحيوانية الى الطبايع وتأثير الحرارة فى الرطوبة وانما ومن من صميم قلبى يارب العزة بأن هذه التدبيرات ليست من الطبايع بل من خالق العالم الذى هو أحكم الحاكمين وأكرم الأكرمين اذا عرفت هذا فقد صح بالدليل العقلى صدق قوله والله خلقكم لانه ثبت أن خالق أبدان الناس وسائر الحيوانات ليس هو الطبايع بل هو الله سبحانه وتعالى وقوله ثم يتوفاكم فديننا ان السبب الذى ذكره فى صيرورة الموت فاسد باطل وأنه يلزم عليه القول بالدور ولما بطل ذلك ثبت أن الحياة والموت انما حصلا بتخليق الله وتقديره وقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر قد بينا بالدليل ان الطبايع لا يجوز أن تكون علة لانتقال الانسان من الكمال الى النقصان ومن القوة الى الضعف فلزم القطع بان انتقال الانسان من الشباب الى الشيخوخة ومن الصحة الى الهرم ومن العقل الكمال الى ان صار خرفا غافلا ليس بمقتضى الطبيعة بل بفعل الفاعل المختار واذا ثبت ما ذكرنا ظهر ان الذى دل عليه لفظ القرآن قد ثبت صحته بقاطع القرآن ثم قال تعالى ان الله عليم قدير وهذا كالاصل الذى عليه تفريع كل ما ذكرناه وذلك لان الطبيعة جاهلة لا تميز بين وقت المصلحة ووقت المفسدة فهذه الانفعالات فى هذا الانسان لا يمكن اسنادها اليها أما الله العالم ومدبره وخالقه فهو الكامل فى العلم الكامل فى القدرة فلاجل كمال علمه يعلم مقادير المصالح والمفاسد ولاجل كمال قدرته بقدرته على تحصيل المصالح ودفع المفاسد فلاجرم أمكن اسناد تخليق الحيوانات الى اله العالم فلا يمكن اسناده الى الطبايع والله أعلم (المسئلة الثانية) فى تفسير الفاظ الآية قال المفسرون والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر وهو اردؤه واضعفه يقال رذل الشيء يردل رذالا وأرذله غيره ومنه قوله الا الذين هم أرادنا ومنه قوله واتبعك الارذلون وقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر هل يتناول المسلم أو محتص بالكافر فيه قولان (الاول) أنه يتناوله قيل أنه العمر الطويل وعلى هذا الوجه نقل عن علي رضى الله عنه أنه قال أرذل العمر خمس وسبعون سنة

هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعي ونحشد أى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهم بذلك ايذانا بوجه المنة فانهم يتخذ من البيوت أمم

خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على النبات وثاخير المنسوب في الموضوعين عن المجرور للممر * ٤٩٢ * من انشوا بقى وتقديم المجرور باللام على المجرور بن الايدان

من أول الامر يعود منفعة الجمل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له أى جعل لمصلحتكم بما يناسبكم أزواجاً وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بين وحفدة (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ ومن الحلالات ومن للتعبيض اذ المرزوق في الدنيا أعوذج لما في الآخرة (أفبالباطل يؤمنون) وهوان الاضام تنفعهم وأن الجسائر ونحوها حرام والقائه في المعنى داخله على الفعل وهي العطف على مقدر أى يكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (و بنعمت الله تعالى الفاضلة عليهم ماذكرو بما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونهم الى الاضنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أولايهام الاختصاص بالغة أول رعاية الفواصل

وقال قتادة تسعون سنة وقال السدى انه الحرف * والقول الاول أولى لان الحرف معناه زال العقل فتقوله ومنكم من ردى الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً يدل على انه تعالى انما رده الى أرذل العمر لاجل أن يزبل عقله فلو كان المراد من أرذل العمر هوزوال العقل لصار الشئ عين الغاية المطلوبة منه وانه باطل والقول الثانى ان هذا ليس في المسلمين والمسلم لا يزبد بسبب طول العمر الاكرامة على الله تعالى ولا يجوز أن يقال في حقه انه يرد الى أرذل العمر والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيبين تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ماردوا الى أسفل سافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر وقوله ان الله عليم قال ابن عباس يريد بما صنع أولياؤه وأعداؤه قد ير على ما يريد (المسئلة الثالثة) هذه الآية كاتدل على وجوده العالم الفاعل المختار فهي أيضاً تدل على صحة البعث والقيامة وذلك لان الانسان كان عدماً محضاً فوجد الله ثم أعده مرة ثانية فدل هذا على انه لما كان معدوماً في المرة الاولى وكان عوده الى العدم في المرة الثانية جائزاً فكذلك لما صار موجوداً ثم عدم وجب أن يكون عوده الى الوجود في المرة الثانية جائزاً وأيضاً كان ميتاً حين كان نقطة ثم صار حياً ثم مات فلما كان الموت الاول جائزاً كان عود الموت جائزاً فكذلك لما كانت الحياة الاولى جائزة وجب أن يكون عود الحياة جائزاً في المرة الثانية وأيضاً الانسان في أول طفولته جاهل لا يعرف شيئاً ثم صار عالماً عاقلاً فها هو فلما بلغ أرذل العمر عاد الى ما كان عليه في زمان الطفولة وهو عدم العقل والفهم فعدم العقل والفهم في المرة الاولى عاد بعينه في آخر العمر فكذلك العقل الذي حصل ثم زال وجب أن يكون جائز العود في المرة الثانية وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن الذي مات وعدمه فانه يجوز عود وجوده وعود حياته وعود عقله مرة أخرى ومتى كان الامر كذلك ثبت أن القول بالبعث والحشر والنشر حق والله أعلم * قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالذين فضلوا يراى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يحقدون) اعلم ان هذا اعتبار حال أخرى من أحوال الانسان وذلك اننا نرى أكيس الناس واكثرهم عقلاً وفهم ما يفتى عمره في طلب القدر القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ونرى أجهل الخلق وأقلهم عقلاً وفهماً تنفتح عليه ابواب الدنيا وكل شئ خطر بباله ودار في خياله فانه يحصل له في الحال ولو كان السبب جهد الانسان وعقله اوجب أن يكون الاعقل أفضل في هذه الاحوال فلما رأينا ان الاعقل أقل نصيباً وان الاجهل الاخس أوفر نصيباً علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام كما قال تعالى أنهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * يؤس اللبيب وطيب عيش الاحق

واعلم ان هذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا البحر لاساحله وقد

والانفات الى الغيبة الايدان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم * كنت من السامعين تعجيبهم بما فعلوه (و يعبدون من دون الله) لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخى أى يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (ما لا يملك لهم رزقاً من السموات

والارض شيئا) ان جعل الرزق مصدر افشيثا نصب على المفعولية منه أى ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئا لأن السموات
مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل ﴿٤٩٣﴾ اسم الممرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات

والارض صفة لرزقا

أى كأننا منها ما يجوز

كونه تأكيداً لك

أى لا يملك رزقا ما شيئا

من الملك (ولا يستطيعون)

أن يملكوه اذ لا استطاعة

لهم رأسا لانها موات

لا حراك بها فالضمير

للالهة ويجوز أن يكون

للكفرة على معنى أنهم

مع كونهم أحياء

متصرفين في الامور

لا يستطيعون من ذلك

شيئا فكيف بالجماد الذى

لا حس به (فلا تضربوا

لله الامثال) التفات الى

الخطاب للابن بالاهتمام

بشأن النهى أى

لا تشر كوا به شيئا والتعبير

عن ذلك بضرب المثل

للقصد الى النهى عن

الاشراك به تعالى في

شأن من الشؤن فان

ضرب المثل مبناء تشبيه

حالة بحالة وقصة بقصة

أى لا تشبهوا بشأنه تعالى

شأن من الشؤن واللام

مثلها في قوله تعالى

ضرب الله مثلا للذين

كفروا امرأة نوح

وضرب الله مثلا للذين

آمنوا امرأة فرعون

كنت مصاحبا لبعض الملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه وكانت
الجنائب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وركبوا باحضرت الاطعمة
الشهية والفواكه العطرة عنده وما كان يمكنه تناول شئ منها وكان الواحد منا صحيح المزاج
قوى البنية كامل القوة وما كان يجد ملء بطنه طعاما فذلك الملك وان كان يفضل على
هذا الفقير في المال الآن هذا الفقير كان يفضل على ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب
واسع اذا اعتبره الانسان عظم نفعه منه اما قوله فالذين فضلوا برادى رزقهم على
ما ملكت أيما نفعهم فغيبه قولان (الاول) ان المراد من هذا الكلام تقر بما سبق في الآية
المقدمة من أن السعادة والخوسة لا يحصلان الا من الله تعالى والمعنى أن المولى
والمالك أنار رزقهم جميعا ففهم في رزق سواء فلا يحسن المولى أنهم يردون على ممالكهم
من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزق أجرت اليهم على أيديهم وحاصل القول فيه أن
المقصود منه بيان أن الرزق هو الله تعالى وأن المالك لا يرزق العبد بل الرزق للعبد
والمولى هو الله تعالى وتحقيق القول أنه ربما كان العبد أكل عقلا وأقوى جسما
وأكثر وقفا على المصالح والمفاسد من المولى وذلك يدل على أن ذلة ذلك العبد وعزة ذلك
المولى من الله تعالى كما قال تعالى من تشاء وتذل من تشاء (والقول الثاني) أن المراد من هذه
الآية الرد على من أثبت شر يكال الله تعالى ثم على هذا القول فغيب وجهان (الاول) أن
يكون هذا ردا على عبدة الاوثان والاصنام كأنه قيل انه تعالى فضل الملوك على ممالكهم
فجعل المملوك لا يقدر على ملك مع مولا فلما لم يجعلوا عبيدكم معكم سواء في الملك فكيف
تجعلون هذه الجمادات معى سواء في العبودية (والثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما
نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا ان عيسى بن مريم ابن الله فالمعنى انكم
لا تشركون عبيدكم فيما ملكتم فتكونون سواء فكيف جعلتم عبدى ولد الى وشرىكا
في الالهية ثم قال تعالى فهم فيه سواء معنى الغاء في قوله فهم حتى والمعنى فالذين
فضلوا بجاعلى رزقهم لعبيدهم حتى تكون عبيدهم فيهم معهم سواء في الملك ثم قال
أفبنتمة الله يمجدون وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ عاصم في رواية أبى بكر
تمجدون بانه على الخطاب لقوله خلقكم وفضل بعضكم والباقيون بالياء لقوله فهم
فيه سواء واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لقرب الخبر عنه وايضا فظاهر الخطاب أن يكون
مع المسلمين والمسلمون لا يخاطبون بتمجيد نعمة الله تعالى (المسئلة الثانية) لاشبهة
في أن المراد من قوله أفبنتمة الله يمجدون الانكار على المشركين الذين أورد الله تعالى
هذه الحجة عليهم فان قيل كيف يصيرون جاحدين بنعمة الله عليهم بسبب عبادة الاصنام
قلنا فيه وجهان (الاول) انه لما كان المعطى لكل الخيرات هو الله تعالى فن أثبت لله
شرىكا فقد اضاف اليه بعض تلك الخيرات فكان جاحدا لكونها من عند الله تعالى وايضا
فان أهل الطبائع وأهل التجوم يضيفون أكثر هذه النعم الى الطبايع والى التجوم وذلك
بوجب كونهم جاحدين لكونها من الله تعالى (والوجه الثاني) قال الزجاج المراد أنه

لامثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية وظأروا والفاء للدلالة على ترتب النهى على ما عده من النعم
الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى يعزل من أن ملك لهم من أقطار السموات والارض
شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضل في الرزق ونعمة الأزواج والاولاد (ان الله يعلم) لتعليل

لأنهم المذكور ووعد على المنهى عنه أى انه تعالى يعلم كنه ١٠١: رون وأنه في غاية العظم والتهج (وأتم لاتعلمون) ذلك والامام فاعلموه وأنه تعالى يعلم كنه الاشياء وأتم * ٤٩٤ * لاتعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف

الامثال لما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وأتم لاتعلمون ذلك فتعلمون فيما تعلمون فيه من مهوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلا) أى ذكرنا وأردشنا يستدل به على تبيان الحال بين جنباه عز وجل وبين ما شرعوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادى بفساد ما ارتكبه نداء جليا (عبد المملوك لا يقدر على شئ) بدل من مثلا وتفسيره والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لا شترأ كهما في كونها عبد الله سبحانه وقد أدمج فيه أن الكل عبيده تعالى وبعدد القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون الذين لهما تصرف في الجمل وفي ايهام المثل

تعالى لما قرر هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعند هذا قال أفبنيمة الله في تقريره هذه البيانات وإيضاح هذه البيئات يحجودون (المسئلة الثانية) الباء في قوله أفبنيمة الله يجوز أن تكون زائدة لان المحجود لا يعدى بالباء كما تقول خذا الخطام والخطام وتعلقت زيدو يزيد ويجوز أن يراد بالمحجود الكفر فعدى بالباء لكونه بمعنى الكفر والله أعلم * قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعت الله هم يكفرون) اعلم ان هذا نوع آخر من أحوال الناس ذكره الله تعالى ليستدل به على وجود الاله المختار الحكيم وليكون ذلك تنبيها على انعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم فقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا قال بعضهم المراد انه تعالى خلق حواء من ضلع آدم وهذا ضعيف لان قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل بل هذا الحكم عام في جميع الذكور والاناث والمعنى أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم مثل قوله فاقتلوا أنفسكم وقوله فسلوا على أنفسكم أى بعضكم على بعض ونظير هذه الآية قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا قال الاطباء وأهل الطبيعة التفاوت بين الذكر والانثى انما كان لاجل ان كل من كان أسخن من اجا فهو الذكر وكل من كان أكر بردا ورطوبة فهو المرأة ثم قالوا المنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما في الانوثة وان انصب الى الخصية اليمنى ثم انصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد ذكرا في طبيعة الاناث وان انصب الى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى في طبيعة الذكور واعلم ان حاصل هذا الكلام أن الذكورة علتها الحرارة واليبوسة والانوثة علتها البرودة والرطوبة وهذه العلة في غاية الضعف فقدر أنثى في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة واو كان الموجب للذكورة والانوثة ذلك لا متع ذلك ثبت أن خالق الذكر والانثى هو الاله القديم الحكيم وظهر بالدليل الذي ذكرنا صحة قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ثم قال تعالى وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة قال الواحدى أصل الحفدة من الحفد وهو الحفدة في الخدمة والعمل يقال حفد بحفد وحفدا وحفودا وحفدا اذا أأسرع ومنه في دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد والحفدة جمع الحافد والحافد كل من يخف في خدمتك ويسرع في العمل بطاعتك يقال في جمعه الحفد بغيرهاء كما يقال الرصد معنى الحفدة في اللغة الاعوان والخدام ثم يجب أن يكون المراد من الحفدة في هذه الآية الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من

أولاً ثم بيانه بما ذكره لا يخفى من الفخامة والجزالة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبدأى * أزواجكم * رزقناه بطريق الملك واللغات الى التكلم للاشعار باختلاف حال ضرب المثل والرزق (منا) من جنباتنا الكبير المتعالي (رزقاً حسناً)

حلالا طبيا او مستحسنا عند الناس مرضيا (فهو يتفق منه) تفضلا واحسانا والغناء لتقريب الانفاق على الرزق كانه
 قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق ﴿ ١٩٥ ﴾ واثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر

للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي (سرا وجهرا) أى حال السر وجهرا أو انفاق سر وانفاق جهرا والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجنب عن قبوله جهرا والاشارة الى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايدان بفضلله عليه والعدول عن تطبيق القرينين بأن يقال وحراما لكما للاموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسميه لتوخي تحقيق الحق بأن الاحرار ايضا تحت رتبة عبوديته سبحانه وتعالى وأن ما لكتبتهم لما لا يكونه ليست الابان يرزقهم الله تعالى اياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فاظنك بالجداد ومالك المالك خلاق العالمين (هل يستونون) جمع الضمير للايدان بأن المراد بما ذكر

أزواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية اذ عرفت هذا فنقول قيل هم الاخوان وقيل هم الاصهار وقيل ولد الوالد والاول دخول الكل فيه لما بينا ان اللفظ يحتمل لكل بحسب المعنى المشترك الذي ذكرناه ثم قال تعالى ورزقكم من الطيبات لما ذكر تعالى انعامه على عبده بالنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعمات الطيبة سواء كانت من النبات وهى الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من الحيوان ثم قال أقبال باطل يؤمنون قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى بالاصنام وقال مقاتل يعنى بالشيطان وقال عطاء يصدقون انلى شر يكأ وصاحبة ولدا وبنعمة الله هم يكفرون أى بأن يضيفوها الى غير الله ويتركوا اضافتها الى الله تعالى وفى الآية قول آخر وهو أنه تعالى لما قال ورزقكم من الطيبات قال بعده أقبال باطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون والمراد منه انهم يحرمون على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم مثل الحبة والسابة والوصيلة ويبيعون لانفسهم محرمات حرما الله عليهم وهى الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح على النصب يعنى لم يحكمون بتلك الاحكام الباطلة وبانعام الله فى تحليل الطيبات وتحريم الخبيثات يحجدون ويكفرون والله أعلم * قوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضر بوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) اعلم انه تعالى لما شرح أنواعا كثيرة فى دلائل التوحيد وتلك الانواع كانها دلائل على صحة التوحيد فكذلك بدأ بذكر أقسام النعم الجليلة الشريفة ثم اتبعها فى هذه الآية بالرد على عبدة الاصنام فقال ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون أما الرزق الذى يأتى من جانب السماء فبمعنى به الغيث الذى يأتى من جهة السماء وأما الذى يأتى من جانب الارض فهو النبات والثمار التى تخرج منها وقوله من السموات والارض من صفة التكررة التى هى قوله رزقا كأنه قيل لا يملك لهم رزقا من الغيث والنبات وقوله شيئا قال الاخفش جعل قوله شيئا بدلا من قوله رزقا والمعنى لا يملكون رزقا لا قليلا ولا كثيرا ثم قال ولا يستطيعون والفائدة فى هذه اللفظة ان من لا يملك شيئا فديكون موصوفا باستعانة أن يملكه بطريق من الطرق فبين تعالى ان هذه الاصنام لا يملك وليس لها ايضا استطاعة تحصيل الملك فان قيل انه تعالى قال ويعبدون من دون الله مالا يملك فعبير عن الاصنام بصيغة ما وهى لغبر أولى العلم ثم قال ولا يستطيعون والجمع بالواو والنون مختص بالولى العلم فكيف الجمع بين الامرين والجواب أنه عبر عنها باللفظ ما اعتبارا لما هو الحقيقة فى نفس الامر وذكر الجمع بالواو والنون اعتبارا لما يعتقدون فيها انها آلهة ثم قال تعالى فلا تضر بوا لله الامثال وفيه وجوه (الاول) قال المفسرون يعنى لاتشبهوه بخلقه (الثانى) قال الزجاج أى لاتجعلوا الله مثالا لانه واحد لا مثل له (الثالث) أقول يحتمل أن يكون المراد أن عبدة الاوثان كانوا يقولون ان اله العالم أجل وأعظم من أن يعبد اله الواحد

من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لافردان معينان منهما أى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سياتى فى البشرية والمخلوقة لله سبحانه وأن ما يفقه الاحرار ليس بماله دخل فى المحادة ولا فى تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى

اباهم فحيث لم يستوفوا الفريضة فاطنكم رب العالمين حيث تشركون به ما لا دليل أدل منه وهو الاصنام (الحمد لله)
 أي كماله لانه مولى جميع النعم لا يستحق أحد غيره ﴿ ٤٩٦ ﴾ وان ظهرت على أيدي بعض الوسايط فضلا

عن استحقاق العباد
 وفيه ارشاد الى ما هو الحق
 من أن ما يظهر على يد
 من ينفق مما ذكر راجع
 الى الله سبحانه كما لوح به
 قوله تعالى رزقناه
 (بل أكثرهم لا يعلمون)
 ماذا كرفيضفون نعمه
 تعالى الى غيره ويعبدونه
 لاجلها وفي العلم
 عن أكثرهم للاشعار
 بأن بعضهم يعلمون ذلك
 وانما لا يعملون بموجبه
 عندا كقوله تعالى يعرفون
 نعمة الله ثم يشكرونها
 وأكثرهم الكافرون
 (وضرب الله مثلا) أي مثلا
 آخر يدل على ما دل عليه
 المثل السابق على وجه
 أوضح وأظهر وبعد
 ما بهم ذلك لتتظفر النفس
 الى وروده وتزفقه حتى يتمكن
 لديها عند وروده بين قبيل
 (رجلين أحدهما أبكم)
 وهو من ولد أخرس
 (لا يقدر على شيء)
 من الاشياء المتعلقة بنفسه
 أو بغيره بجحد أو فراسه
 لقلة فهمه وسوء ادراكه
 (وهو كل) نقل وعيال
 (على مولا) على من يعوله
 وبلى أمره وهذا بيان

منا بل نحن نعبد الكواكب أو نعبد هذه الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله
 الاكبر الاعظم والدليل عليه العرف فان أصاغر الناس يخدمون أكابر حضرة الملك
 وأولئك الاكابر يخدمون الملك فكذلك ههنا فعند هذا قال الله تعالى لهم اتركوا عبادة
 هذه الاصنام والكواكب ولا تضر بوالله الامثال التي ذكرتموها وكونوا مخلصين
 في عبادة الاله الحكيم القدير ثم قال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون وفيه وجهان (الاول) ان الله
 تعالى يعلم ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه الاصنام وأنتم لا تعلمون ذلك ولو
 علمتموه لتركتم عبادتها (الثاني) ان الله تعالى لما نهاكم عن عبادة هذه الاصنام فاتركوا
 عبادتها واتركوا دليلكم الذي عولتم عليه وهو قولكم الاشغال بعبادة عبيد الملك أدخل
 في التعظيم من الاشغال بعبادة نفس الملك لان هذا قياس والقياس يجب تركه عند ورود
 النص فلم نأل ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
 لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستتوبون الحمد
 لله بل أكثرهم لا يعلمون) اعلم انه تعالى أكد ابطال مذهب عبدة الاصنام بهذا المثل وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذا المثل قولان (الاول) أن المراد اننا لو فرضنا عبدا
 مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثيرا لاتفق سرا وجهرا فصریح العقل
 يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فللم تميز التسوية بينهما مع
 استوائهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل أن يسوى بين الله القادر
 على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة (والقول الثاني) ان المراد
 بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر فانه من حيث انه بقي محروما عن عبودية
 الله تعالى وعن طاعته صار كالعبد الدليل الفقير العاجز والمراد بقوله ومن رزقناه منارزقا
 حسنا هو المؤمن فانه مشغول بالتعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله فبين تعالى
 انهما لا يستويان في المرتبة والشرف والقرب من رضوان الله تعالى واعلم ان القول
 الاول أقرب لان ما قبل هذه الآية وما بعدها انما ورد في اثبات التوحيد وفي الرد على
 التثالين بالشرك فعمل هذه الآية على هذا المعنى أولى (المسئلة الثانية) اختلفوا
 في المراد بقوله عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فقبل المراد به الضم لانه عبد بدليل قوله ان كل
 من في السموات والارض الآت الرحمن عبدا وأما أنه مملوك ولا يقدر على شيء فظاهر
 والمراد بقوله ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا عابد الضم لان الله
 تعالى رزق المال وهو ينفق من ذلك المال على نفسه وعلى أتباعه سرا وجهرا اذا ثبت هذا
 فتقول هما لا يستويان في بديهة العقل بل صريح العقل يشهد بان ذلك القادر أكمل حالا
 وأفضل مرتبة من ذلك العاجز فهنا صريح العقل يشهد بأن عابد الضم أفضل من ذلك
 الضم فكيف يجوز الحكم بكونه مساويا رب العالمين في العبودية (والقول الثاني)
 أن المراد بقوله عبدا مملوكا عبد معين وقيل هو عبد لثمان بن عفان وحلوا قوله

لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى ﴿ ومن ﴾
 (أتينا بوجهه) أي حيث يرسله مولا في أمر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولا ولو كانت مصلحة بسيرة
 وقرى على البناء للمفعول وعلى صيغة

الماضي من التوجه (لآيات بحر) بفتح وكفاية مهم البتة (هل يستوى هو) مع ما فيه من الاوصاف المذكورة (ومن
 يأمر بالعدل) أي من هو منطبق ففهم ذورأي ❦ ٤٩٧ ❦ وكفاية ورشد ينفع الناس بحشهم على العدل الجامع

لجامع الفضائل (وهو)
 في نفسه مع ما ذكر من
 نفعه العام للخاص
 والعالم (على صراط
 مستقيم) ومقابلة
 الصفات المذكورة بهذين
 الوصفين لانهما في حاق
 ما يقابلها فان محصل
 الصفات المذكورة
 عدم استحقاق المأمورية
 وملخص هذين استحقاق
 كمال الآمرة المستتبع
 لحيازة المحاسن بأجمعها
 وتغيير الاسلوب حيث لم
 يقل والاخر أمر بالعدل
 الآية لمراعاة الملازمة
 بينه وبين ما هو المقصود
 من بيان التباين بين
 القرينتين واعلم أن كلا
 من الفعلين ليس المراد
 بهما حكاية الضرب
 الماضي بل المراد انشاؤه
 بما ذكر عقبيه ولا يبعد
 أن يقال ان الله تعالى
 ضرب مثلا بخلق الفريقين
 على ما هما عليه فكان
 خلقهما كذلك للاستدلال
 بعدم تساويهما على
 امتناع التساوي بينه
 سبحانه وبين ما يشركون
 فيكون كل من الفعلين
 حكاية للضرب الماضي

ومن رزقناه منارزقا حسنا على عثمان خاصة (واقول الثالث) انه عام في كل عبد
 بهذه الصفة وفي كل حرب هذه الصفة وهذا القول هو الاظهر لانه هو الموافق لما أراد الله
 تعالى في هذه الآية والله أعلم (المسئلة الثالثة) احتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد
 لا يملك شيئا فان قالوا ظاهر الآية يدل على أن عبدا من العبيد لا يقدر على شيء فلم قلتم ان
 كل عبد كذلك فتقول الذي يدل عليه وجهان (الاول) انه ثبت في أصول الفقه أن
 الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم
 وكونه عبد اوصف مشعر بالذل والمهورة وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور
 عقيبه فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على شيء هو كونه عبدا وهذا الطريق ثبت
 العموم (الثاني) انه تعالى قال بعده ومن رزقناه منارزقا حسنا فغير هذا القسم الثاني عن
 القسم الاول وهو العبد بهذه الصفة وهو أنه يرزقه رزقا فوجب أن لا يحصل هذا الوصف
 للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني وبين القسم الاول ولو ملك العبد لكان الله
 قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا أو كثيرا فثبت بهذين
 الوجهين ان ظاهر الآية يقتضي ان العبد لا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ثم اختلفوا فروى
 عن ابن عباس وغيره التشدد في ذلك حتى قال لا يملك الطلاق أيضا وأكثرا نقضها قالوا
 يملك الطلاق انما لا يملك المال ولا ماله تعلق بالمال واختلفوا في أن المالك اذا ملكه شيئا
 فهل يملكه أم لا وظاهر الآية ينبغي بقي في الآية سوالات (الاول) لم قال مملوكا لا يقدر
 على شيء وكل عبد فهو مملوك وغير قادر على التصرف فلنا ما ذكر المملوك فليحصل الامتياز
 بينه وبين الحر لان الحر قد يقال انه عبد لله وأما قوله لا يقدر على شيء فديحصل الامتياز
 بينه وبين المكاتب وبين العبد المأذون لانهما يقدران على التصرف (السؤال الثاني)
 من في قوله ومن رزقناه ما هي قلنا الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرار رزقناه ليطابق
 عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة (السؤال الثالث) لم قال يستوون على الجمع قلنا معناه
 هل يستوى الاحرار والعبيد ثم قال الحمد لله وفيه وجوه (الاول) قال ابن عباس الحمد لله
 على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد (والثاني) المعنى ان كل الحمد لله وليس شيء من
 الحمد للاصنام لانها لا نعمة لها على أحد وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يعني انهم لا يعلمون
 ان كل الحمد لله وليس شيء منه للاصنام (الثالث) قال القاضي في التفسير قال للرسول
 عليه الصلاة والسلام قل الحمد لله ويحتمل أن يكون خطابا لمن رزقه الله رزقا حسنا أن
 يقول الحمد لله على ان ميمه في هذه القدرة عن ذلك العبد الضعيف (الرابع) يحتمل أن
 يكون المراد ان الله تعالى لما ذكر هذا المثل وكان هذا مثلا مطا بقا للعرض كاشفا عن المقصود
 قال بعده الحمد لله يعني الحمد لله على قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة ثم قال بل أكثرهم
 لا يعلمون يعني انهم غايبة ظهورها وانها وضوحها لا يعلمها ولا يفهمها هؤلاء الضلال
 والله أعلم ❦ قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل

(ولله) تعالى خاصة ❦ ٦٣ ❦ خالا لا حد غيره استقلال ولا اشتراكا (غيب السموات والارض) أي الامور الغائبة
 عن علوم الخلقين قاطبة بحث لاسمها اهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما
 اما اعتبار الرفع

ففيهما جالاً وأما لا وأما باعتبار الغيبة عن أهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث العلومية سبحانه
 عنه عنوان الغيبة لأن حيث المحلوقية والملوكية وإن ﴿ ٤٩٨ ﴾ كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار بأن

علمه سبحانه حضوري
 فإن تحقق الغيوب في
 أنفسها علم بالنسبة إليه
 تعالى ولذلك لم يقل ولله
 علم غيب السموات
 والارض (وما أمر
 الساعة) التي هي أعظم
 ما وقع فيه المعارة من
 الغيوب المتعلقة بهما من
 حيث غيبتا عن أهلها
 أو ظهور آثارها فيهما
 عند وقوعها فإن وقت
 وقوعها بعينه من
 الغيوب المختصة به سبحانه
 وإن كان اثنتاهما من
 الغيوب التي نصبت عليهما
 الأدلة أي ما شأنها في
 سرعة المجيء (الاكلح
 البصر) أي كرجع
 الطرف من أعلى الحدة
 إلى أسفلها (أو هو) أي
 يل أمرها فيما ذكر (أقرب)
 من ذلك وأسرع زماناً
 بأن يقع في بعض من زمانه
 فإن ذلك وإن قصر عن
 حركة أنية لها هو به
 اتصالية منطبقه على
 زمانه هو به كذلك
 قابل للانقسام إلى
 أبعاض هي أزمنة أيضاً
 بل في آن غير متعصم من
 ذلك الزمان وهو أن

على مولاة أي بما يوجهه لايات بخبر هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط
 مستقيم) أعلم أنه تعالى أبطل قول عبدة الاوثان والاصنام بهذا المثل الثاني وتقديره
 انه كما تقرر في أوائل العقول أن الايكم العاجز لا يكون مساوياً في الفضل والشرف
 للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية فلان يحكم بأن الجاد لا يكون مساوياً
 لرب العالمين في المعبودية كان أولي ثم نقول في الآية مسئلتان (المسئلة الاولى) انه تعالى
 وصف الرجل الاول بصفات (الصفة الاولى) الايكم وفي تفسيره أقوال نقلها الواحدى
 (الاول) قال أبو زيد رجل أبكم وهو العي المفهم وقد بكم بكم وبكامة وقال أيضاً الايكم
 الاقطع اللسان وهو الذي لا يحسن الكلام (الثاني) روى ثعلب عن ابن الأعرابي الايكم
 الذي لا يعقل (الثالث) قال الزجاج الايكم المطبق الذي لا يسمع ولا يبصر (الصفة الثانية)
 قوله لا يقدر على شئ وهو إشارة إلى العجز اتلم والقصان الكامل (و الصفة الثالثة) قوله
 كل على مولاة أي هذا الايكم العاجز كل على مولاة قال أهل المعاني أصله من الغلط الذي
 هو تقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته فلم يقطع وكل لسانه اذا غلظ فلم يقدر
 على الكلام وكل فلان عن الأمر اذا ثقل عليه فلم يثبت فيه فقوله كل على مولاة أي غايظ
 وثقل على مولاة (الصفة الرابعة) قوله أي بما يوجهه لايات بخبر أي أيخبره ومعنى
 التوجيه أن ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا
 فتوجه إليه وقوله لايات بخبر معناه لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم ثم قال تعالى هل يستوى
 هو أي هذا الموصوف بهذه الصفات الأربع ومن يأمر بالعدل واعلم أن الأمر بالعدل
 يجب أن يكون موصوفاً بالنطق والالام يكن أمراً أو يجب أن يكون قادر الآن الأمر مشعر
 بعلم المرتبة وذلك لا يحصل إلا مع كونه قادراً أو يجب أن يكون عالماً حتى يتمكن التمييز بين
 العدل وبين الجور فثبت أن وصفه بأنه يأمر بالعدل يتضمن وصفه بكونه قادراً عالماً
 وكونه أمراً يتناقض كون الاول أبكم وكونه قادراً يتناقض وصف الاول بأنه لا يقدر على
 شئ وبأنه كل على مولاة وكونه عالماً يتناقض وصف الاول بأنه لايات بخبر ثم قال وهو على
 صراط مستقيم معناه كونه عاد لا مبرأ عن الجور والعبث اذا ثبت هذا فنقول ظاهر
 في بديهة العقل ان الاول والثاني لا يستويان فكذا ههنا والله أعلم (المسئلة الثانية)
 في المراد بهذا المثل أقوال كافي المثل المتقدم (فالاول) قال مجاهد كل هذا مثل الما خلق
 وما يدعى من دونه من الباطل وأما الايكم فخل الصنم لانه لا ينطق البتة وكذلك لا يقدر
 على شئ وأيضاً كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه وأيضاً إلى أي مهم توجه
 الصنم لم لايات بخبر وأما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه (والقول الثاني) ان المراد
 من هذا الايكم هو عبد العثمان بن عفان كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان فيه خير
 ومولاه وهو عثمان بن عفان كان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم
 (والقول الثالث) أن المقصود منه كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل حر

ابتداء تلك الحركة أو أمراً ها الاكاشي الذي يستقرب ويقال هو كالمح البصر أو هو أقرب وأما ﴿ موصوف ﴾
 كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتبان (ان الله على كل شئ قدير) ومن
 جملة الاشياء أن يجيئها أسرع ما يكون

فهو قادر على ذلك أو مأمراً إقامة الساعة التي كنهها وكيفيةها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي امانة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل ﴿ ٤٩٩ ﴾ صور الاكوان اجمعين وقد أنكرها النكرون وجعلوها

من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة الثاني الاكلخ البصر أو هو أقرب على مامر من الوجهين ان الله على كل شئ قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه بخصوصه غائب عن أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة (والله اخرجكم من بطون أمهاتكم) عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يبتغون معاً في سلاك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهزة وقرئ بكسرهما أيضاً جسم الام زيت الهاء فيه كما زيدت في اوراق من أراق وشئت زيادتها في الواحدة قال * امهتي

موصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا القول أولى من القول الاول لان وصفه تعالى اياهما بكونهما رجلين يمنع من حمل ذلك على الوثن وكذلك بالكم وبالكل وبالتوجه في جهات المنافع وكذلك وصف الآخر بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وأيضاً فالقصود تشبيه صورة بصورة في أمر من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدي الصورتين مغايرة للآخرى (وأما القول الثاني) فضعيف أيضاً لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك غير مختص بشخص معين بل أياً حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود والله أعلم * قوله تعالى (والله غيب السموات والارض ومأمراً الساعة الاكلخ البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير والله أخر جكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون أم يروا الى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمكنهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) اعلم انه تعالى لما ذكر في الآية الاولى مثل الكفار بالابكم العاجز ومثل نفسه بالذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم انه يمتنع أن يكون أمراً بالعدل وأن يكون على صراط مستقيم الا اذا كان كاملاً في العلم والقدرة ذكر في هذه الآية بيان كونه كاملاً في العلم والقدرة أما بيان كمال العلم فهو قوله والله غيب السموات والارض والمعنى علم الله غيب السموات والارض وأيضاً فقوله والله غيب السموات والارض يفيد الحصر معناه ان العلم بهذه الغيوب ليس الله وأما بيان كمال القدرة فقوله ومأمراً الساعة الاكلخ البصر أو هو أقرب والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفتأ الانسان في ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله الاكلخ البصر الجمع النظم بسرعة يقال لمح بصيرة لمحاو لمحانا والمعنى ومأمراً قيام القيامة في السرعة الاكلخ البصر العين والمراد منه تقرير كمال القدرة وقوله أو هو أقرب معناه ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ولا شك ان الحدقة مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ فلمح البصر عبارة عن المرور على جملة تلك الاجزاء التي منها تألف سطح الحدقة ولا شك ان تلك الاجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من انات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الانات فلماذا قال أو هو أقرب الا انه لما كان أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وافكارنا هو لمح البصر لاجرم ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيها على ما ذكرناه ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك بل المراد بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الابهام عن المخاطبين انه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر لمح البصر أو بما هو أسرع قال القاضي هذا لا يصح لان اقامة الساعة ليست حال تكليف حتى يقال انه تعالى يأتي بها في زمان بل الواجب أن يخلقه دفعة واحدة في وقت واحد وبغارق ما ذكرناه في ابتداء خالق السموات والارض لان تلك الحال حال تكليف فلم يمتنع أن يخلقهما

خندق والياس أبي * (لا تعلمون شيئاً) في موقع الحال اي غير عالين شيئاً أصلاً (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج أي جعل لكم هذه الاشياء

الات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتذكروها بافتدكم وتنهبوا لمسا بينهما من المشاركات والمباينات بتكرار الاحساس فيحصل لكم * ٥٠٠ * علوم بديهية تمكنون بالنظر فيها من تحصيل

العلوم الكسبية والافتدة
جمع فؤاد وهو وسط
القلب وهو من القلب
كالقلب من الصدور وهو
من جوع الفلة التي جرت
بجري جوع الكثرة
وتقديم المجرور على
النصوصات لما من
الايدان من أول الامر
بكون المجعول نافعا لهم
وتشويق الى المؤخر
ليتمكن عند روده عليها
فضل تمكن العلمكم
تشكرون) كي تعرفوا
ما أنعم به عليكم طورا غب
طور فتشكروه وتقديم
السمع على البصر لما انه
طريق ياتي الوحي أولان
ادراكه أقدم من ادراك
البصر وافراده باعتبار
كونه مصدرا في الاصل
(أمروا) وقرى بالثناء
(الى الطير) جمع طائر
أى ألم ينظروا اليها
(مستخرات) مذللات
للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب
المساعدة له وفيه مبالغة
من حيث ان معنى التسخير
جعل الشيء منقاد الآخر
تصرف فيه كيف يشاء
تسخير البحر والافلاك

كذلك لما فيه من مصلحة الملائكة واعلم أن هذا الاعتراض انما يستقيم على مذهب
القاضي أما على قولنا في أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فليس له قوة والله اعلم ثم انه
تعالى عاد الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فقال والله أخرجكم من بطون
أمهاتكم لاتعلمون شيئا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فراحزة والكسائي أمهاتكم
بكسر الهجزة والباقون بضمها (المسئلة الثانية) أمها تكلم أصله أماتكم الا انه
زيد الهاء فيه كازيد في اراق فليل اهراق وشدت زيادتها في الواحدة في قوله
* أمهتي خندف والباس أبي * (المسئلة الثالثة) الانسان خلق في مبدأ الفطرة خاليا
عن معرفة الاشياء ثم قال وجعل لكم السمع والا بصار والافتدة والمعنى ان النفس
الانسانية لما كانت في اول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله فانه تعالى أعطاها هذه
الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم وتتمام الكلام في هذا الباب يستدعى مزيد تقرير
فقول التصورات والتصديقات اما أن تكون كسبية واما أن تكون بديهية
والكسبيات انما يمكن تحصيلها بواسطة تركيبات البديهيات فلا بد من سبق هذه العلوم
البديهية وحينئذ لمسائل أن يسأل فيقول هذه العلوم البديهية اما أن يقال انها كانت
حاصلة منذ خلقنا أو ما كانت حاصلة (والاول) باطل لاننا بالضرورة نعلم اننا حين كنا جنينا
في رحم الام ما كنا نعرف ان النبي والاثبات لا يجتمعان وما كنا نعرف أن الكل أعظم من
الجزء (وأما القسم الثاني) فانه يقتضى ان هذه العلوم البديهية حصلت في نفوسنا بعد
انها ما كانت حاصلة فحينئذ لا يمكن حصولها الا بكسب وطلب وكل ما كان كسبيا
فهو مسبوق بعلم أخرى فهذه العلوم البديهية تصير كسبية ويجب أن تكون مسبوقة
بعلم أخرى الى غير نهاية وكل ذلك محال وهذا سؤال قوى مشكل وجوابه أن نقول
الحق ان هذه العلوم البديهية ما كانت حاصلة في نفوسنا ثم انها حدثت وحصلت أما قوله
فيلزم أن تكون كسبية قلنا هذه المقدمة ممنوعة بل نقول انها لما حدثت في نفوسنا بعد
عدمها بواسطة اعانة الحواس التي هي السمع والبصر وتقريره ان النفس كانت في مبدأ
الخلقة خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر فاذا أبصر افضل شيئا
مرة بعد أخرى ارتسم في خياله ماهية ذلك البصر وكذلك اذا سمع شيئا مرة بعد أخرى
ارتسم في سمعه وخياله ماهية ذلك المسموع وكذا القول في سائر الحواس فيصير حصول
الحواس سببا لحضور ماهيات المحسوسات في النفس والعقل ثم ان تلك الماهيات على
قديمين أحد القسمين ما يكون نفس حضوره موجبا تاما في جزم الذهن باسناد بعضها الى
بعض بالثبوت أو الاثبات مثل أنه اذا حضر في الذهن ان الواحد ماهو وان نصف الاثنين
ماهو كان حضور هذين التصويرين في الذهن حلة تامة في جزم الذهن بأن الواحد محكوم
عليه بأنه نصف الاثنين وهذا القسم هو عين العلوم البديهية (القسم الثاني) ما لا يكون
كذلك وهو العلوم النظرية مثل أنه اذا حضر في الذهن ان الجسم ماهو وان المحدث ماهو

والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير * فان
ال سقوط فتسخيرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى
(في جوار السماء) أى في الهواء المتساعد من الارض

والسكك والروح أبعد منه واضافته الى السماء لما أنه في جانبها من الناظر ولاظهار كال القدرة (مايسكنهن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطها ﴿ ٥٠١ ﴾ ووقوفهن (الاله) عز وجل بقدرة الواسعة فان ثقل جسدها ورقة

قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير واما مستأنف (ان في ذلك) الذي ذكر من تسخير الطير للطير ان بأن خلقها خلقه تمكن بهامنه بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذنا كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت أجنحتها وأذنا بها لا يطبق ثقلها تخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تتلاقى به بحجم كبير (لايات) ظاهرة (قوم يؤمنون) أي من شأنهم أن يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المستفوعون به (والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايدان من أول الامر بأنه لصحتهم ومنفعتهم

فان مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم الذهن بأن الجسم محدث بل لا بد فيه من دليل منفصل وعلوم سابقة والحاصل ان العلوم الكسبية انما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البدئية وحدوث هذه العلوم البدئية انما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها وحدوث هذه التصورات انما كان بسبب اعانة هذه الحواس على جزئياتها فظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس فلماذا السبب قال تعالى والله أخرجهكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصول هذه الحواس سبيلا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق الذي ذكرناه. وهذه اباحت شريفة عقلية محضة مدرجة في هذه الآيات وقال المفسرون وجعل لكم السمع لتسموا مواعظ الله والابصار لتبصروا دلائل الله والافئدة لتعقلوا عظيمة الله والافئدة جمع فؤاد نحو أغربة وغراب قال الزجاج ولم يجمع فؤاد عن أكثر العدد وما قيل فيه فتدان كاقيل غراب وغربان وأقول لعل الفؤاد انما جمع على بناء جمع القلة تذييها على أن السمع والبصر كثيران وأن الفؤاد قليل لان الفؤاد انما خلق للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وأكثر الخلق ليسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالافعال البهيمية والعصافات السبعة فكان فؤادهم ليس بفؤاد فلماذا السبب ذكر في جمعه صيغة جمع القلة فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله أخرجهكم وهذا يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج عن البطن ومعلوم أنه ليس كذلك والجواب ان حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال والله أعلم أما قوله ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء مايسكنهن الا الله ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وحنة والكسا في ألم تروا بالنساء والباقيون بآيائه على الحكاية لمن تقدم ذكره من الكفار (المسئلة الثانية) هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فانه لو لانه تعالى خلق الطير خلقه معها يمكنه الطيران وخلق الجو خلقه معها يمكن الطيران فيه لما أمكن ذلك فانه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره أخرى مثل ما يعمل السائح في الماء وخلق الهواء خلقه لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولو لاذلك لما كان الطيران ممكنا وأما قوله تعالى مايسكنهن الا الله فالله اعني ان جسدا للطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فوجب أن يكون المسك له في ذلك الجو هو الله تعالى ثم من الظاهر ان بقاءه في الجو معلقا فعله وحاصل باختياره ثبت ان خالق فعل العبد هو الله تعالى قال القاضي انما أضاف الله تعالى هذا الامساك الى نفسه لانه تعالى هو الذي أعطى الآلات التي لاجلها يمكن الطير من تلك الافعال فلما كان تعالى هو المسبب لذلك لاجرم صحت هذه الاضافة الى الله تعالى والجواب ان هذا ترك المظاهر بغير دليل وانه

لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى (من يوتئكم) أي من يوتئكم المعبودة التي تدنونها من الجحيم والمدرتين لذلك المحمول المبهم في الجملة ونأ كيد لما سبق من التشويق (سكننا) فعل بمعنى مفعول أي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم وتسكنون الله من غير أن ينقل من مكانه أي جعل بعض يوتئكم بحيث

تسكنون اليه وتطمئنون به (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) اي بيوتا آخر مغارة لبيوتكم الممهودة هي الخيام والقباب والابخية والفساطيط (تستخفونها) نجدونها خفيفة سهلة * ٥٠٢ * المأخذ (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم

لا يجوز لاسيما والدلائل العقلية دلت على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ثم قال تعالى في آخر الآية ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وخص هذه الآيات بالمومنين لانهم هم المستفدون بها وان كانت هذه الآيات آيات لكل الغلاء والله أعلم * قوله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها أثنا متاعا الى حين) اعلم ان هذا نوع آخر من دلائل التوحيد وأقسام النعم والفضل والسكن المسكن أنشد الفراء جاء الشتاء ولما أخذ سكنا * يا وحب كفى من حفر القراميص

والسكن ما سكنت اليه وما سكنت فيه قال صاحب الكشاف السكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت أو الف واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقله بل الانسان ينقل اليه (والقسم الثاني) القباب والخيام والفساطيط واليها الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله من مكان الى مكان واعلم ان المراد الانطاع وقد عمل العرب البيوت من الادم وهي جلود الانعام أي يخف عليكم حملها في أسفاركم فرأفأع وابن كثير وأبو عمرو يوم ظعنكم بفتح العين والباقون ساكنة العين قال الواحدى وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر واعلم ان الظعن سير البادية لتجمعة او حضور ماء أو طلب مرتع وقد يقال لكل شاخص لسفر طاعن وهو ضد الخافض وقوله ويوم اقامتكم بمعنى لا ينقل عليكم في الحالين وقوله ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للعرز وقوله أثنا الاثاث أنواع متاع البيت من الفرش والاكسية قال الفراء ولاواحدله كما أن المتاع لاواحدله قال واوجعت فقلت أشنة في القليل وأث في الكثير لم يبعد وقال أبو زيد واحدها أثناة قال ابن عباس في قوله أثنا يرد طنافس وبسطا وبياها وكسوة قال الخليل وأصله من قولهم أث النبات والشعر اذا كثرت وقوله متاعا أي ما يتمتعون به وقوله الى حين يريد الى حين البلا وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد الحين وقيل الى يوم القيامة فان قيل عطف المتاع على الاثاث والعطف يقتضى المغايرة وما الفرق بين الاثاث والمتاع قلنا الاقرب ان الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله في الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويزين به * قوله تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسكم) كذلك يتم نعمته عليكم اعلمكم تسلمون فان تولوا فإنا معكم البلاء المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) اعلم ان الانسان اما أن يكون مقيما

في النقص والجل والنقل وقرى بفتح العين (ويوم اقامتكم) وقت نزولكم في الضرب والبناء (ومن اصوافها وأوبارها وأشعارها) عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التوزيع أي وجعل لكم من اصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثنا) أي متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث (ومتاعا) أي شيئا يتمتع به بفنون التمتع (الى حين) الى أن تقضوا منه أو طارك أو الى أن يلى ويفنى فانه في معرض البلا والفناء وقيل الى أن تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل (والله جعل لكم مما خلق) من غير صنع من قبلكم (ظلالا) أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام الشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالبية الحرارة (وجعل لكم

من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع * أو * بين المفاعيل كالذى مر غير مرة (وجعل لكم سرايل) جمع سربال وهو كل ما يلبس أي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر

كفاه يدكر أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لأن وقاينه هي الأهم عندهم للمرافة (وسرايل) من الدروع والجواش (تقيكم بأسكم) أي البأس الذي يصل * ٥٠٣ * الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن

ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ثم بما يخص المسافرين من لهم قدرة على الحياص وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الخ ثم بما يعين لا يقدر على ذلك ولا يأت به الا الاطلاع حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالاً الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرايل الخ ثم بما لاغنى عنه في الحروب حيث قال وسرايل تتقيكم بأسكم ثم قال (كذلك) أي مثل ذلك الانعام البائع (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي ارادة أن تنظر وفيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والافقية فترفعوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تمشكون وتقادوا الامر واقراد

أو مسافراً والمسافر إما أن يكون غنياً يمكنه استحباب الخيام والفساطيط أو لا يمكنه ذلك فهذه أقسام ثلاثة (أما القسم الأول) فإليه الإشارة بقوله والله جعل لكم من بيوتكم سكناً (وأما القسم الثاني) فإليه الإشارة بقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً (وأما القسم الثالث) فإليه الإشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وذلك لأن المسافرين إذا لم يكن له خيمة يستظل بها فإنه لا بد وأن يستظل بشيء آخر كالجدران والأشجار وقد يستظل بالنعيم كما قال وظللنا عليكم الغمام ثم قال وجعل لكم من الجبال أنكناً واحداً لا كنان كن على قياس أحوال وحل ولكن المراد كل شيء وفي شيء يقال استكن وأكن إذا صار في كن واعلم أن بلاد العرب شديدة الحروب حاجتهم الى الظل ودفع الحر شديدة فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة وأيضاً البلاد المعتدلة والافاق المعتدلة نادرة جداً والغالب اماً غلبة الحر أو غلبة البرد وعلى كل التقديرات فلا بد للانسان من مسكن يأوى اليه فكان الأنعام بتحصيله عظيماً ولما ذكر تعالى أمر المسكن ذكر بعده أمر اللبس فقال وجعل لكم سرايل تقيكم الحروب وسرايل تقيكم بأسكم السرايل القمص واحدها سر بال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سر بال من قميص أو درع أو جوشن أو غيره والذي يدل على صحة هذا القول أنه جعل السرايل على قسمين أحدهما ما يكون واقياً من الحر والبرد (والثاني) ما يتقي به عن البأس والحروب وذلك هو الجوشن وغيره وذلك يدل على أن كل واحد من القسمين من السرايل فان قيل لم ذكر الحر ولم يذكر البرد أجابوا عنه من وجوه (الأول) قال عطاء الخراساني المخطاطون بهذا الكلام هم العرب وبلادهم حارة فكانت حاجتهم الى ما يدفع الحرق فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال ومن أصوافها أو بارها أو أشعارها وسائر أنواع الثياب أشرف الانه تعالى ذكر ذلك النوع لانه كان القميص بها أشد واعتبادهم باللبس أكثر ولذلك قال ونزل من السماء من جبال فيها من برد لمعرفتهم بذلك وما نزل من الثلج أعظم ولكنهم كانوا لا يعرفونه (والوجه الثاني) في الجواب قال المبردان ذكر أحد الضدين تنبيه على الآخر قلت ثبت في العلوم العقلية ان العلم بأحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر فان الانسان متى خطر به الحر خطر به البرد أيضاً البرد وكذا القول في النور والظلمة والسواد والبياض فلما كان الشعور بأحدهما مستتبعا للشعور بالآخر كان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر (والوجه الثالث) قال الزجاج ما وقع من الحر في من البرد فكان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر فان قيل هذا بالضد أولى لان دفع الحر يكتفي فيه السرايل التي هي القمص من دون تكلف زيادة وأما البرد فإنه لا يتدفع الا بتكلف زائد قلنا القميص الواحد لما كان دافعا للحر كان الاستكثار من القميص دافعا للبرد فصح ما ذكرناه وقوله وسرايل تقيكم بأسكم يعني دروع الحديد ومعنى البأس الشدة ويريد ههنا شدة الطعن والضرب والرمي واعلم أنه تعالى لما عده أقسام نعمة الدنيا قال كذلك يتم نعمته عليكم

النعمة اما لان المراد بها المصدر أو الاظهار ان ذلك بالنسبة الى جانب الكبرياء شيء قليل وقرى تسلمون أي تسلمون من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلمة له أي فان

أعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى اليهم من البينات والعبور والعضات (فانما عليك البلاغ المبين) أى فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح ﴿ ٥٠٤ ﴾ وقد فعلته بما الامر بدعليه فهو من باب وضع السبب

موضع المسبب (يعرفون نعمت الله) استئناف لبيان أن توليهم وأعرضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم انها بشفاعه ألهتنا أو بسبب كذا أو قيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناهم ثم أنكروا عبادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار أو اسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه (وأكثروهم الكافرون) أى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر قالكم عليهم مطلق الكفر المؤذن بالكمال

أى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وأنعم بها عليكم فانه يتم نعمة الدين والدنيا والدين عليكم لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يأهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه ونقل عن ابن عباس أنه قرأ لعلكم تسلمون بفتح التاء والمعنى انا أعطيتكم هذه السراييل لتسلموا عن بأس الحرب وقيل أعطيتكم هذه النعم لتتفكروا فيها فتؤمنوا فسلموا من عذاب الله ثم قال تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين أى فان تولوا يا محمد وأعرضوا وآثر والذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة في الكفر فعلى أنفسهم جنوا ذلك وليس عليك الا ما فعلت من التبليغ التام ثم انه تعالى ذمهم بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وذلك نهائية في كفران النعمة فان قيل ما معنى ثم قلنا الدلالة على أن انكارهم أمر يستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة أن يعترف لان ينكروا في المراد بهذه النعمة وجوه (الاول) قال القاضي المراد بها جميع ما ذكره الله تعالى في الآيات المتقدمة من جميع أنواع النعم ومعنى أنهم أنكروا هو أنهم ما أفردوه تعالى بالشكر والعبادة بل شكروا على تلك النعم غير الله ولا أنهم قالوا انما حصلت هذه النعم بشفاعه هذه الاصنام (والثاني) ان المراد أنهم عرفوا أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق ثم ينكرونها ونبوته نعمة عظيمة كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (الثالث) يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها أى لا يستعملونها في طلب رضوان الله تعالى ثم قال تعالى وأكثروهم الكافرون فان قيل ما معنى قوله وأكثروهم الكافرون مع أنه كان كلهم كافرين قلنا الجواب من وجوه (الاول) انما قالوا أكثروهم لانه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة بمن لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل معتمدا فأراد بالاكثر الباقين الاصحاء (الثاني) أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وحينئذ نقول انما قالوا أكثروهم لانه كان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام وما ظهر له كونه نبيا حقا من عند الله (الثالث) انه ذكر الاكثر والمراد الجميع لان أكثر الناس يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذا كر الجميع وهذا كقوله الحمد لله بل أكثروهم لا يعاون والله أعلم * قوله تعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون) وإذا رأى الذين طلبوا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) اعلم أنه تعالى لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكرواها وذكر أيضا من حالهم ان أكثروهم الكافرون أتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث من كل أمة شهيدا وذلك يدل على ان أولئك الشهداء يشهدون عليهم بذلك الانكار وبذلك الكفر والمراد بهؤلاء الشهداء الانبياء كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقوله ثم لا يؤذن للذين كفروا فيه وجوه (أحدها) لا يؤذن لهم في الاهتذار لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (وثانيها) لا يؤذن لهم في كثرة الكلام (وثالثها) لا يؤذن لهم في الرجوع الى دار الدنيا الى

من حيث الكمية لا ينافي كالفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم ﴿ التكليف ﴾ لم يعرفوا نقصان العقل أو التفريط في النظر أولم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر

(ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يشهد لهم بالايمان والطاعة وغلبيتهم بالكفر والعصيان وهو يوم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذا عذر لهم وثم الدلالة على ﴿ ٥٠٥ ﴾ أن ابتلاءهم بالنار عن الاعتذار المنبئ عن الاقنطاط الكلي وهو

عند ما يقال لهم اخسوا فيها ولا تتكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم وأطم (ولاهم يستعذبون) يسترضون أى لا يقال لهم أرضوا ربكم اذا الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكروا وخوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث محقق بهم ما يحق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى (واذا رأى الذين ظلموا العذاب الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم) فلا يخفف عنهم) ذلك (ولاهم ينظرون) أى يهملون كقوله تعالى بل تأتيتهم بغنة فتبتهم (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان أو الشياطين الذين شاركهم فى الكفر بالجل عليه وقارنوه فى الغي والضلال (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) أى نعبدهم أو نطيعهم ولعلهم قال ذلك طمعا فى توزيع

التكليف (ورابعها) لا يؤذن لهم فى حال شهادة الشهود بل يسكت اهل الجمع كالهم يشهد الشهود (وخامسها) لا يؤذن لهم فى كثرة الكلام ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى ثم قال ولاهم يستعذبون الاستعذاب طلب العتاب والرجل انما يطلب العتاب من خصمه اذا كان على جرم أنه اذا عاتبه رجع الى الرضا فاذا لم يطلب العتاب منه دل على أنه راسخ فى غضبه وسطوته ثم انه تعالى أكد هذا الوعيد فقال واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم والمعنى ان هؤلاء المشركين اذا رأوا العذاب ووصلوا اليه فعند ذلك لا يخفف عنهم العذاب ولاهم أيضا ينظرون أى لا يؤخرون ولا يهملون لان التوبة هناك غير موجودة وتحقيقه ما يقوله المتكلمون من ان العذاب يجب أن يكون خالصا عن شوائب النفع وهو المراد من قوله لا يخفف عنهم العذاب ويجب أن يكون العذاب دائما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون * قوله تعالى (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وألقوا الى الله تومئذ السلم وصل عنهم ما كانوا يفترون) اعلم ان هذا أيضا من بقية وعيد المشركين وفى الشركاء قولان (الاول) أنه تعالى يبعث الاصنام التى كان يعبدونها المشركون والمقصود من اعادتها ان المشركين يشاهدونها فى غاية الذلة والخقارة وأيضا انها تكذب المشركين وكل ذلك مما يوجب زيادة الغم والحسرة فى قلوبهم وانما وصفهم الله بكونهم شركاء لوجهين (الاول) ان الكفار كانوا يسمونها بانها شركاء الله (والثانى) ان الكفار جعلوا لهم نصيبا من أموالهم (والقول الثانى) ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وهو قول الحسن وانما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن أولئك الشركاء أنهم ألقوا الى الذين أشركوا انهم لكاذبون والاصنام جادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب أن يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول وهذا بعيد لانه تعالى قادر على خلق الحياة فى تلك الاصنام وعلى خلق العقل والنطق فيها وحينئذ يصح منها هذا القول ثم حكى تعالى عن المشركين أنهم اذا رأوا تلك الشركاء قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فان قيل فافأئذتهم فى هذا القول قلنا فيه وجهان (الاول) قال أبو مسلم الاصفهاني مقصود المشركين احواله هذا الذنب على هذه الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله تعالى أو ينقص من عذابهم فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام قال القاضي هذا بعيد لان الكفار يعلمون علما ضروريا فى الآخرة ان العذاب سيزل بهم وأنه لا نصرة ولا فدية ولا شفاعة (والقول الثانى) ان المشركين يقولون هذا الكلام فنجبان حضور تلك الاصنام مع أنه لا ذنب لها واعترافا بأنهم كانوا مخطفين فى عبادتها ثم حكى تعالى ان الاصنام يكذبونهم فقال فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون والمعنى انه تعالى يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام حتى تقول هذا القول وقوله انكم لكاذبون بدل من القول والتقدير فألقوا اليهم انكم لكاذبون فان

العذاب بينهم كإني عنه قوله ﴿ ٦٤ ﴾ خا سبحانه (فألقوا) أى شركاؤهم (اليهم القول انكم لكاذبون) فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الاللهدافعة والخصم عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانه اعدائهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا ارضين لعادتهم لهم

فكان قبادتهم المنكرين عبادة لهم كقالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لأنهم أوكذبوهم في نسبتهم * ٥٠٦ * شركاء وأكلمة تزيهه الله سبحانه عن الشرك والشياطين

وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالغاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الآن دعوتكم فاستجبتم لي فكانت لهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم أهواءكم (والتوا) أي الذين أشركوا (إلى الله يومئذ السلام) الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا (ووصل ضمهم) أي ضاع و بطل (ما كانوا يفترون) من ان سبحانه شركاء أو أنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبينوا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) بالتمنع عن الاسلام والجل على الكفر (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذي كانوا يستخون به بكفرهم قبل في زيادة عذابهم حبات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال (تألف) أحدا هن فيجد صاحبها جتها

قبل ان المشركين ما قالوا إلا أنهم لما أشاروا إلى الاصنام قالوا ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم دونك وقد كانوا صادقين في كل ذلك فكيف قلت الاصنام انكم لكاذبون قلنا فيه وجوه والاصح أن يقال المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هو ان هؤلاء الذين كنا نقول انهم شركاء الله في العبادة فلا يصح كذبوهم في اثبات هذه الشركة وقيل المراد انكم لكاذبون في قولكم اننا نستحق العبادة ويدل عليه قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ثم قال تعالى وألقوا إلى الله يومئذ السلم قال الكلبي استسلم العابد والمعبود وأقروا لله بالربوبية وبالبراءة عن الشركاء والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون وفيه وجهان وقيل ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان من ان الله شركاء وصاحبة ولدوا وقيل بطل ما كانوا يأملون من ان آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى * قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم إلى كفره صدأ غير عن سبيل الله وفي تفسير قوله وصدوا عن سبيل الله وجهان قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح انه يتناول جلة الايمان بالله والرسول وبالشرائع لان اللفظ عام فلا معنى للتخصيص وقوله زدناهم عذابا فوق العذاب فالعني انهم زادوا على كفرهم صدغبرهم عن الايمان فهم في الحقيقة ازدادوا كفرا على كفرهم فلا جرم يزيدهم الله تعالى عذابا على عذاب وأيضاً اتباعهم انما اقتدوا بهم في الكفر فوجب أن يحصل لهم مثل عقاب اتباعهم لقوله تعالى ولا يحملن أثقالهم على رقابهم ممن آثقالهم ولقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها وزر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن المفسرين من ذكر تفصيل تلك الزيادة فقال ابن عباس المراد بتلك الزيادة خمسة أثمان من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة بالليل واثنان بالنهار وقال بعضهم زدناهم عذابا بالحيات وعقارب كما مثال البخت فيستغيثون بالهرب منها إلى النار ومنهم من ذكر لكل عقرب ثلثمائة فقرة في كل فقرة ثلثمائة فقرة من سم وقيل عقاربها أبواب كالنخل الطوال ثم قال تعالى بما كانوا يفسدون أي هذه الزيادة من العذاب انما حصلت معللة بذلك الصد وهذا يدل على ان من دعا غيره إلى الكفر والضلال فقد عظم عذابه فكذلك اذا دعا إلى الدين واليقين فقد عظم قدره عند الله تعالى والله أعلم * قوله تعالى (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئناك شهيدا على هؤلاء وزنا عليك الكتاب تبانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) اعلم ان هذا نوع آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي واعلم ان الامة عبارة عن القرن والجماعة اذا ثبت هذا فنقول في الآية قولان (الاول) ان المراد ان كل نبي شاهد على أمته (والثاني) ان كل جم وقرن يحصل في الدنيا فلا بد أن يحصل فيهم واحد يكون شهيدا عليهم أما الشهيد على الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الرسول بدليل قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

أربعين خريفاً وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار (بما كانوا يفسدون) * شهداء متعلق بقوله زدناهم أي زدناهم عذابهم بسبب استمرارهم على الفساد وهو الصد المذكور (ويوم نبعث) تكرر بالمسبق تشدداً للتهديد (في كل أمة شهيدا عليهم) أي نبياً

(من أنفسهم) من جنسهم قطعاً لمعذرهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة ائمتناهم على الامم تكون بمحض منهم (وجئناك) اشارة لفظ المجيء على البعث ﴿٥٠٧﴾ لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق

شهادته وثبت أيضاً أنه لا بد في كل زمان بعد زمان الرسول من الشهيد فحصل من هذا ان عصرنا من الاعصار لا يخلو من شهيد على الناس وذلك الشهيد لا بد وان يكون غير جائز الخطا والا ففقر الى شهيد آخر ويمتد ذلك الى غير النهاية وذلك باطل فثبت أنه لا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجج بقولهم وذلك يقتضي أن يكون اجماع الامة حجة قال أبو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الانسان حتى انها تشهد عليه وهي الاذن والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه انه قال في صفة الشهيد انه من أنفسهم وهذه الاعضاء لاشك انها من أنفسهم أجاب القاضي عنه من وجوه (الاول) انه تعالى قال شهيدا عليهم أي على الامة فيجب أن يكون غيرهم (الثاني) انه قال من كل أمة فوجب أن يكون ذلك الشهيد من الامة وآحاد الاعضاء لا يصح وصفها بأنها من الامة وأما حلال هؤلاء الشهداء على الانبياء فبعد ذلك لان كونهم انبياء مبعوثين الى الخلق امر معلوم بالضرورة فلا فائدة في حل هذه الآية عليه ثم قال تعالى ووزنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) وجه تعلق هذا الكلام بما قبله انه تعالى لما قال وجئناك شهيداً على هؤلاء بين انه أراح عنهم فيما كفوا فلا حجة لهم ولا معذرة (المسئلة الثانية) من الناس من قال القرآن تبيان لكل شيء وذلك لان العلوم امدانية أو غير دنيية أما العلوم التي ليست دنيية فلا تعلق لها بهذه الآية لان من المعلوم بالضرورة ان الله تعالى انما مدح القرآن بكونه مشتقاً على علوم الدين فاما ما لا يكون من علوم الدين فلا تنفك اليه وأما علوم الدين فاما الاصول واما الفروع أما علم الاصول فهو بتمامه موجود في القرآن وأما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الاماورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب وذلك يدل على انه لا تكليف من الله تعالى الاماورد في هذا القرآن واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافياً ببيان كل الاحكام وأما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبياناً لكل شيء لانه يدل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة فاذا ثبت حكم من الاحكام بأحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن وهذه المسئلة قد سبق ذكرها بالاستقصاء في صورة الاعراف والله أعلم (المسئلة الثالثة) روى الواحدى باسناده عن الزجاج انه قال تبياناً في معنى اسم البيان ومثل التبيان التلقا وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الاحرفان تبياناً وتلقا واذا تركت هذين اللفظين استوى لك القياس فقلت في كل مصدر تفعال بفتح التاء مثل تسيار وتذكار وتكرار وقلت في كل اسم تفعال بكسر التاء مثل تقصير وتمثال * قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لكم تذكرون) واعلم انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب أتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق

الوقوف (شهادته على هؤلاء) الامم وشهادتهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيداً وقيل على أمتك والعامل في الطرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة (وزننا عليك الكتاب) الكامل في المكتوبة الحقيق بأن يخص باسم الجنس وهو اما استئناف أو حال بتقدير قد (تبياناً) بياناً بليغاً (لكل شيء) بتعلق بأمر الدين ومن جملة ذلك أحوال الامم مع انبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيداً عليهم وكذا من جملة ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيداً عليهم عليهم الصلاة والسلام والتبيان كالتلقا في كسر أوله وكونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار ان فيه نصاعاً على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحاشا على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرقي الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من

وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحاشا على الاجماع وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرقي الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من

الحق في كونه تدينا فان المبالغة باعتبار الكلمة دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد انه من قولك فلا ين ظلام لعبيد وظلام لعبيد، ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار ﴿٥٠٨﴾ (وهدي ورحمة) للعالمين فان حرمان

الكفرة من مقام آثاره من تفریطهم لامن لجهة الكتاب (و بشري للمسلمين) خاصة أو يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك (ان الله يأمر) أي فيما نزلت به يمانا لكل شيء وهدي ورحمة وبشري للمسلمين واثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار (بالعدل) بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفریط هو رأس الفضائل كلها يتدرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والحمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والخبث في الحكم الاعتقادية التوحيد المتسقط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر

والآداب عموما وخصوصا في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في بيان فضائل هذه الآية روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون الجمعي قال ما سألت أولا الاحياء من محمد عليه السلام ولم يتقرر الاسلام في قلبي فخصرت ذات يوم فيمنها هو يحدثني اذا رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينما أنا أحدثك اذا يجبر بل نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وإيتاء ذي القربى أي صلة ذي القربى وينهى عن الفحشاء والزنا والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة والنجى الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان في قلبي فأثبت أباطال فأخبرته فقال يا معشر قريش اتبعوا ابن أخي ترشدوا واولئك كان صادقا وكاذبا فانه ما يأمركم الا بكارم الاخلاق فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم من عه الدين قال يا معشر الناس أن يتبعوني وتدع نفسك وجهده عليه فأبى أن يسلم فنزل قوله انك لا تهدي من أحببت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أجمع اية في القرآن لخبر وشهر هذه الآية وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحب الأمر الله تعالى به في هذه الآية وليس من خلق سيئ الا نهى الله تعالى عنه في هذه الآية وروى القاضي في تفسيره عن ابن ماجه عن علي رضي الله عنه انه قال أمر الله تعالى نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب فخرج وأنامعه وأبو بكر فوققنا على مجلس عليهم الوقار فقال أبو بكر عن القوم فقالوا من شبان بن ثعلبة فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشهادتين والى ان ينصروه فان قر يشا كذبوه فقال مقرون بن عمرو والام دعونا أبا قر يش فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال مقرون بن عمرو دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وعن هكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد فاستعاده ثم قال ان له الخلاوة وان عليه لطلاوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبخته والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير هذه الآية كثر الناس في تفسير هذه الآية قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله والاحسان أداء الفرائض وقال في رواية أخرى العدل خلم الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا أحببت ان يزداد ايمانا وان كان كافرا أحببت أن يصير أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد والاحسان الاخلاص فيه وقال آخرون يعنى بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تفعل الا ما هو احسان وقوله وإيتاء ذي القربى يريد صلة الرحم بالمال فان لم يكن فبالدعاء روى أبو سلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعجل الطاعة ثوبا صلة الرحم ان أهل البيت ليكونون نجارا فتنبى أموالهم وبكر

ومن الحكم العملية التعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية ﴿٥٠٨﴾ عددهم الجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) أي الاتيان بأمر به على الوجه الثلاثي وهو ما يحسب الكمية كالنطوع بالنوافل

او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء
 ذى القربى) أى اعطاء الاقارب ما يحتاجون **٥٠٩** اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه (وينهى
 عن الفحشاء) الافراط

في مشايعة القوة الشهوية
 كالزنا مثلاً (والمنكر)
 ما ينكر شرعا أو عقلا
 من الافراط في اظهار
 آثار القوة الغضبية
 (والبغى) الاستعلاء
 والاستيلاء على الناس
 والتجبر عليهم وهو
 من آثار القوة الوهمية
 الشيطانية التي هي
 حاصلة من رذيلتي
 القوتين المذكورتين
 الشهوية والغضبية
 وليس في البشر شر الا وهو
 مندرج في هذه الاقسام
 صادر عنه بواسطة
 هذه القوى الثلاث
 ولذلك قال ابن مسعود
 رضى الله عنه هي أجمع
 آية في القرآن الحي والشر
 ولولم يكن فيه غير هذه
 الآية الكريمة لكفت
 في كونه تبياناً لكل شيء
 وهدى (يعظكم)
 بما أمر وينهى وهو
 اما استثناف واما حال
 من الضميرين في الفعلين
 (لعلكم تذكرون)
 طلباً لان تعظوا بذلك
 (أو فوا بعهده الله) هو
 البيعة لرسول الله

عدهم اذا وصلوا أرحامهم وقوله وينهى عن الفحشاء قيل الزنا وقيل البخل وقيل كل
 الذنوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة وسواء كانت في القول أو في الفعل وأما المنكر فقيل انه
 الكفر بالله تعالى وقيل المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وأما البغى فقيل الكبر والطلم
 وقيل أن تبغى على أخيك واعلم ان في المأمورات كثرة وفي المنهيات أيضاً كثرة وانما حسن
 تفسير لفظ معين لشيء معين اذا حصل بين ذلك اللفظ وبين ذلك المعنى مناسبة أما اذا لم
 تحصل هذه الحالة كان ذلك التفسير فاسداً فاذا فسرنا العدل بشيء والاحسان بشيء آخر
 وجب أن نبين أن لفظ العدل يناسب ذلك المعنى ولفظ الاحسان يناسب هذا المعنى فلما لم
 نبين هذا المعنى كان ذلك مجرد التحكم ولم يكن جعل بعض تلك المعاني تفسير لبعض تلك
 الالفاظ أولى من العكس فثبت ان هذه الوجوه التي ذكرناها ليست قوية في تفسير هذه
 الآية وأقول ظاهر هذه الآية يدل على انه تعالى أمر بثلاثة أشياء وهي العدل والاحسان
 وايتاء ذى القربى ونهى عن ثلاثة أشياء وهي الفحشاء والمنكر والبغى فوجب أن يكون
 العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ثلاثة أشياء متغايرة ووجب أن تكون الفحشاء
 والمنكر والبغى ثلاثة أشياء متغايرة لان العطف يوجب المتغايرة فنقول أما العدل فهو
 عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفریط وذلك أمر واجب الرعاية في جميع
 الاشياء ولا بد من تفصيل القول فيه فنقول الاحوال التي وقع التكليف بها اما
 الاعتقادات واما اعمال الجوارح أما الاعتقادات فالعدل في كلها واجب الرعاية
 (فأحدها) قال ابن عباس ان المراد بالعدل هو قول لاله الا الله وتحقيق القول فيه ان في
 الاله تعطيل محض وإثبات أكثر من اله واحد تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل
 هو إثبات الاله الواحد وهو قول لاله الا الله (وثانيها) ان القول بان الاله ليس بموجود
 ولا شيء تعطيل محض والقول بأنه جسم وجوه ومركب من الاعضاء ومختص بالمكان
 تشبيه محض والعدل إثبات اله موجود متحقق بشرط أن يكون منزها عن الجسمية
 والجوهرية والاعضاء والاجزاء والمكان (وثالثها) ان القول بان الاله غير موصوف
 بالصفات من العلم والقدرة تعطيل محض والقول بأن صفاته حادثة متغيرة تشبيه محض
 والعدل هو إثبات ان الاله عالم قادر على الاعتراف بأن صفاته ليست حادثة ولا متغيرة
 (ورابعها) ان القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والقول بان العبد
 مستقل بأفعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل أن يقال ان العبد يفعل الفعل لكن
 بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه (وخامسها) القول بأن الله تعالى لا يؤخذ
 عبده على شيء من الذنوب مساواة عظيمة والقول بأنه تعالى يخلد في النار عبده العارف
 بالعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار كل من قال واعتقد انه لاله
 الا الله فهذه أمثلة ذكرناها في رعاية معنى العدل في الاعتقادات وأما رعاية العدل فيما
 يتعلق بأفعال الجوارح فنذكر ستة أمثلة منها (أحدها) ان قوما من نفاة التكليف

صلى الله عليه وسلم فأنها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (اذا عاهدتم) أى حافظوا
 على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تنقضوا الايمان) التي تحلفون بها عند المعاهدة
 (بعد توكلها) حسب ما هو العهد في أثناء العهود لعل أن يكون النهي مقيدا بالتوكيد

مختصا به (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهد اذ قيا فان الكفيل مراعى لحلال المكفول به محافظ عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك (ولا تكونوا) (٥١٠) فيما تصنعون من النقض (كالتى

نقضت عزلها) أى ما عزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت أى كالرأى التى نقضت عزلها من بعد ابرامه واحكامه (أنكأنا) طاقات نكثت فلها تجمع نكث وانصابه على الحالية من عزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرفاء المعنوية قيل هى ربيعة بنت سعد بن تيم وكانت خرفاء اتخذت مغز لا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع ولكنها عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى لا تكونوا وفى الجار والمجرور الواقع موقع الخبر أى مشاهدين لأمراء شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة

يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشئ من الطاعات ولا يجب عليه الاحتراز عن شئ من المعاصى وليس لله عليه تكليف أصلا وقال قوم من الهند ومن المانوية انه يجب على الانسان أن يجتنب عن كل الطيبات وأن يبالغ فى تعذيب نفسه وأن يحتز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى ان المانوية يخصصون أنفسهم ويحتزون عن التزويج ويحتزون عن أكل الطعام الطيب والهند يحرقون أنفسهم ويرمون أنفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والوسط المعتدل هو هذا الشرع الذى جاء نابه محمد صلى الله عليه وسلم (وثانيها) ان التشديد فى دين موسى عليه السلام غالب جدا والتساهل فى دين عيسى عليه السلام غالب جدا والوسط العدل شريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل كان شرع موسى عليه السلام فى القتل العمد استيفاء القصاص لا بمحالة وفى شرع عيسى عليه السلام العفو أما فى شرعنا فان شاء استوفى القصاص على سبيل المائلة ران شاء استوفى الدية وان شاء عفا وأيضا شرع موسى يقتضى الاحتراز العظيم عن المرأة حال حيضها وشرع عيسى يقتضى حل وطء الحائض والعدل ما حكم به شرعنا وهو انه يحرم وطؤها احترازا عن التلطيح بتلك الدماء الخبيثة أما لا يجب اخراجها عن الدار (وثالثها) انه تعالى قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا يعنى متباعدين عن طرفي الافراط والتفريط فى كل الامور وقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العبادات قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولما أخذ قوم فى المساهلة قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والمراد من الكل رعاية العدل والوسط (ورابعها) ان شريعتنا أمرت بالخنان والحكمة فيه ان رأس ذلك العضو جسم شديد الجس ولاجله عظم الالتذاذ عند الوقوع فلو بقيت تلك الجلدة على ذلك العضو بقى ذلك العضو على كمال القوة وشدة الاحساس فيعظم الالتذاذ أما اذا قطعت تلك الجلدة بقى ذلك العضو عاريا فيبقى الشباب وسائر الاجسام فيتصاب ويضعف حسه ويقل شوره فقبل الالتذاذ بالوقوع فقل الرغبة فيه فكان الشريعة انما أمرت بالخنان سعيا فى تقليل تلك اللذة حتى يصير ميل الانسان الى قضاء شهوة الجماع الى حد الاعتدال وأن لا تصير الرغبة فيه غالبية على الطبع فلا خصاء وقطع الآلات على ما تذهب اليه المانوية مذموم لانه افراط وابقاء تلك الجلدة مبالغة فى تقوية تلك اللذة والعدل الوسط هو الاتيان بالخنان فظهر بهذه الامثلة ان العدل واجب الرأية فى جميع الاحوال ومن الكلمات المشهورة قولهم وبالعدل قامت السموات والارض ومعناه ان مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب وهى المغلوب وتقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من الارض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة فى هذا العالم واحترق كل ما فى هذا العالم

وذخلا بينكم واصل الذخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه (أن تكون أمة) أى بان تكون جماعة * ولو * (هى أربى) أى أزيد عددا وأوفر مالا (من أمة) من جماعة أخرى أى لا تعمدوا بقوم أكثر منكم وقتلهم وأكثر منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذرا وأشوكة فى أعادى خليفائهم فنصوا وعهد بهم وخالفوا أعدائهم (انما يلوكم الله به)

أى بأن تكون أمة أربى من أمة أى بعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة
رسوله عليه السلام أم تغفرون بكثرة قريبش وشوكتهم ﴿٥١١﴾ وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال

(وليبين لكم يوم القيامة
ما كنتم فيه تختلفون)

حين جازاكم بأعمالكم ثوابا
وعقابا (ولو شاء الله مشيئة

قسر والجزاء لجللكم أمة
واحدة) متفقة على

الاسلام (ولكن لا يشاء
ذلك لكونه من أحوال

لقضية الحكمة بل (يضل
من يشاء) اضلاله أى يخلق

فيه الضلال حسب ما يصرف
اختياره الجزئى اليه

(ويهدى من يشاء) هدايته
حسب ما يصرف اختياره

الى تحصيلها (ولتأمن
جمع ما يوم القيامة) عما كنتم

نعملون) فى الدنيا وهذا
إشارة الى ما لوح به

من الكسب الذى عليه
يدور أمر الهداية

والضلال (ولا تتخذوا
أيمانكم دخلا بينكم)

نصر يحالنى منه بعد
التصميم تأكيد ومبالغة

فى بيان قبح المنهى عنه
وتمهيد لقوله سبحانه

(فترل قدم) عن محجة
الحق (بعد ثبوتها) عليها

ورسوخها فيها بالايان
وأفراد القدم وتكبرها

للإيذان بأن زل قدم
واحدة أى قدم كانت

ولو كان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجود على هذا العالم وكذا القول فى
مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطونها فان الواحد منها لو كان أزيد مما هو
الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم فظهر بهذا السبب الذى
ذكرناه صدق قولهم بالعدل قامت السموات والأرض فهذه إشارة مختصرة الى شرح
حقيقة العدل وأما الاحسان فاعلم ان الزيادة على العدل قد تكون احسانا وقد تكون
إساءة مثله ان العدل فى الطاعات هو أداء الواجبات اما الزيادة على الواجبات فهي أيضا
طاعات وذلك من باب الاحسان وبالجملة فاللباقة فى أداء الطاعات بحسب الكمية
وبحسب الكيفية هو الاحسان والدليل عليه ان جبريل للمسال النبى صلى الله عليه وسلم
عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان قالوا
لمسمى هذا المعنى بالاحسان قلنا كأنه باللباقة فى الطاعة يحسن الى نفسه ويوصل الخير
والفعل الحسن الى نفسه والحاصل ان العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات
والاحسان عبارة عن الزيادة فى تلك الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية
وبحسب الدواعى والصوارف وبحسب الاستغراق فى شهود مقامات العبودية والربوبية
فهذا هو الاحسان واعلم ان الاحسان بالتفسير الذى ذكرناه دخل فيه التعظيم لمر الله
تعالى والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله أقسام كثيرة وأشرفها
وأجلها صلة الرحم لاجرم انه سبحانه أفرده بالذكر فقال وإيتاء ذى القربى فهذا تفصيل
القول فى هذه الثلاثة التى أمر الله تعالى بها وأما الثلاثة التى نهى الله عنها وهى الفحشاء
والمنكر والبغى فنقول انه تعالى أودع فى النفس البشرية قوى أربعة وهى الشهوانية
البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه القوة الرابعة أعنى
العقلية الملكية لا يحتاج الانسان الى تأديبها وتهذيبها لانها من جواهر الملائكة ومن
نتائج الارواح القدسية العلوية انما يحتاج الى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة
الاول اما القوة الشهوانية فهي انما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوانية وهذا النوع
مخصوص باسم الفحش ألا ترى انه تعالى سعى الزنا فاحشة فقال انه كان فاحشة وساء سبيلا
فتوله تعالى وينهى عن الفحشاء المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة
عن اذن الشريعة وأما القوة الغضبية السبعية فهي أبدا تسعى فى إبطال الشر والبلاء
والإيذاء الى سائر الناس ولا شك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالنكر عبارة عن الإفراط
الحاصل فى آثار القوة الغضبية وأما القوة الشيطانية فهي أبدا تسعى فى
الاستعلاء على الناس والترفع واطهار الرئاسة والتقدم وذلك هو المراد من البغى فانه
لا معنى للبغى الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكرنا ان هذه الالفاظ
الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة ومن العجائب فى هذا الباب ان العقلاء
قالوا خمس هذه القوى الثلاثة هى الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية والله

عزت أوهانت مخذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا سوء) أى العذاب الدنيوى (بما صدقتم) بصدودكم
أو بصدكم غيركم (عن سبيل الله) الذى ينظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وأرد جعل ذلك سبيلا
إفتره (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم)

ولأنشروا بمحمد الله) اى لاتخذوا بمقابلته عهده تعالى وبيعة رسوله عليه السلام وآياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهد والايان (ثمنا قليلا) أى لاتسبدلوا بها ﴿٥١٢﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش بعدون ضعفة

المسلمين ويشتطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا (ان ماعند الله) فمن وجل من النصر والنعيم والثواب الاخرى (هو خير لكم) بما بعدونكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعطيل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى (ما عندكم) تعطيل للخبرة بطريق الاستئناف أى ما تتمتعون به من نعم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جيعا (ينفذ) وان جم عددو وينقض وان طال أمده (وما عند الله) من خزان رحمة الدينوية والاخروية (باقى) لانفادله اما الاخروية فظاهرة وأما الدينوية فمخفية كانت موصولة بالآخروية ومستتعبة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي اثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام لا لا يخفى وقوله تعالى (وليجزبن) بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرر للوعد المستفاد

تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التى هى نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذى هو نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغى الذى هو نتيجة القوة الوهمية فهذا ما وصل اليه عقلى وخاطرى في تفسير هذه الالفاظ فان يك صوابا فى الرحمن وان يك خطأ ففى ومن الشيطان والله ورسوله عنده برئان والمجد لله على ما خصنا بهذا النوع من الفضل والاحسان انه الملك الديان ثم قال تعالى يعظكم اعلمكم تذكرن والمراد بقوله تعالى يعظكم أمره تعالى بتلك الثلاثة ونهيهم عن هذه الثلاثة لعلمكم تذكرن وفيه مسئلتان (الاولى) انه تعالى لما قال فى الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ اردفه بهذه الآية مشتملة على الامر بهذه الثلاثة والنهي عن هذه الثلاثة كان ذلك تنبيها على أن المراد بكون القرآن تبيانا لكل شئ هو هذه التكاليف الستة وهى فى الحقيقة كذلك لان جوهر النفس من زمرة الملائكة ومن نتائج الارواح العالية القدسية الا أنه دخل فى هذا العالم خاليا عاريا عن العلاقات فلذلك الثلاثة التى أمر الله بها هى التى ترقبها بالمعارف الالهية والاعمال الصالحة وتلك المعارف والاعمال هى التى ترقبها الى عالم الغيب وسرادات القدس ومجاورة الملائكة المقربين فى جوار رب العالمين وتلك الثلاثة التى نهى الله عنها هى التى تصدها عن تلك السعادات وتمنعها عن الفوز بتلك الخيرات فلما أمر الله تعالى بتلك الثلاثة ونهى عن هذه الثلاثة فقد نهى على كل ما يحتاج اليه المسافرون من عالم الدنيا الى مبداء عرصة القيامة (المسئلة الثانية) قال الكعبى الآية تدل على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء وذلك من وجوه (الاول) انه تعالى كيف ينهاهم عما اخترعه فيهم وكيف ينهى عما يريد تحصيله فيهم ولو كان الامر كما قالوا لكان كأنه تعالى قال ان الله يأمركم أن تفعلوا خلاف ما خلقه فيكم وينهاكم عن أفعال خلقها فيكم ومعلوم ان ذلك باطل فى بديهة العقل (والثانى) انه تعالى لما أمر بالعدل والاحسان وابتأ ذى القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فلو انه تعالى أمر بتلك الثلاثة ثم انه ما فعلها لدخل تحت قوله أن أمرن الناس بالبر تنسون أنفسكم وتحت قوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (الثالث) ان قوله اعلمكم تذكرن ليس المراد منه الترجي والتنبي فان ذلك محال على الله تعالى فوجب أن يكون معناه انه تعالى يعظكم لارادة أن تسذكروا طاعته وذلك يدل على انه تعالى يريد الايمان من الكل (الرابع) انه تعالى لو صرح وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتأ ذى القربى ولكنه يمنع منه ويصد عنه ولا يصن العبد منه ثم قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ولكنه يوجد كل هذه الثلاثة فى العبد شاء أم أبى وأراد منه ومنعه من تركه ومن الاحتراز عنه لحكم كل أحد عليه بالكاكة وفساد النظم والتركيب وذلك يدل على كونه سبحانه متعاليا عن فعل القبائح واعلم ان هذا النوع من الاستدلال كثير وقد مر الجواب عنه والمعتد فى دفع هذه المشاغبات التعويل على سؤال الداعى وسؤال العلم

من قوله تعالى ان ماعند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات ﴿ والله ﴾ فى الدين والالتفات غمايضة ظاهرا للحال من ان يقال ولجيز ينكم أجزكم بأحسن

ما كنتم تعملون للوصل الى التعرض لاغمالهم والاشعار بطليتها للجزاء أي والله تجزي (الذين صبروا) على أذية
المشركين ومشاق الاسلام التي من جلتها الوفاء ﴿٥١٣﴾ بالعهد والفقير وقرى بالياء من غير الفات (أجرهم)

مفعول ثان لتجزي أي
لتعطينهم أجرهم الخاص
بهم بمقابلة صبرهم على
مأموناه من الامور
المذكورة (بأحسن
ما كانوا يعملون) أي
لتجزيهم بما كانوا
يعملونه من الصبر
المذكور وأما أضيف
اليه الاحسن للاشعار
يكمل حسنه كافي قوله
سبحانه وحسن ثواب
الآخرة لا لافادة قصير
الجزاء على الاحسن
منه دون الحسن فان
ذلك مما لا يخطر ببال
أحد لا سيما بعد قوله
تعالى أجرهم أول تجزيهم
بحسب أحسن أفراد
أعمالهم على معني
لتعطينهم بمقابلة الفرد
الادنى من أعمالهم
المذكورة مانع طيه بمقابلة
الفرد الاعلى منها من
الاجر الجزيل لا انانه طي
الاجر بحسب افراده
المتفاوتة في مراتب
الحسن بأن تجزي الحس
منها بالاجر الحسن
والاحسن بالاحسن
وفيه ما لا يخفى من العدة
الجميلة باغفار ما عسى

والله أعلم (المسئلة الثالثة) اتفق المتكلمون من أهل السنة ومن المعتزلة على أن تذكر
الاشياء من فعل الله لا من فعل العبد والدليل عليه هو أن التذكر عبارة عن طلب المتذكر
فحال الطلب إما أن يكون له به شعور أو لا يكون له به شعور فان كان له شعور فذلك الذكر
حاصل والحاصل لا يطلب تحصيله وان لم يكن له به شعور فكيف يطلبه بعينه لان توجيه
الطلب اليه بعينه حال ما لا يكون هو بعينه متصورا محال اذا ثبت هذا فنقول قوله لعلمكم
تذكرون معناه ان المقصود من هذا الوعد أن يقدموا على تحصيل ذلك التذكر فاذا لم
يكن التذكر فعلا له فكيف طلب منه تحصيله وهذا هو الذي يحتاج به أصحابنا على ان قوله
تعالى لعلمكم تذكرون لا يدل على انه تعالى يريد منه ذلك والله أعلم * قوله تعالى (وأوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم
ما تفعلون ولا تكونوا كاتى نفقت غزاهما من بعد قوة ان كانوا يتخذون ايمانكم دخلا
بينكم ان تكون أمة هي أربى من أمة انما يلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم
فيه تختلفون) اعلم انه تعالى لما جمع كل المامورات والمنهيات في الآية الاولى على سبيل
الاجال ذكر في هذه الآية بعض تلك الاقسام فبدأ تعالى بالامر بدالوفاء بالعهد وفي الآية
مسائل (المسئلة الاولى) ذكر وافي تفسير قوله بعهد الله وجوها (الاول) قال صاحب
الكشاف عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم أي ولا تنقضوا ايمان البيعة بعدتوكيدها
أي بعدتوثيقها باسم الله (الثاني) ان المراد منه كل عهد يلتزمه الانسان باختياره قال ابن
عباس والوعد من العهد وقال ميمون بن مهران من عاهدته وف بعهده مسلما كان
أو كافرا فاما العهد لله تعالى (الثالث) قال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في
الاموال من حق (الرابع) عهد الله هو اليمين بالله وقال هذا القائل انما يجب الوفاء باليمين
اذا لم يكن الصلاح في خلافه لانه عليه السلام قال من حلف على يمين ورأى غير ما خيرا منها
فليأت الذي هو خير ثم ليكفر (الخامس) قال القاضي العهد يتناول كل أمر يجب الوفاء
بمقتضاه ومعلوم ان أدلة العقل والسمع أو كذا في لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه من
اليمين ولذلك لا يصح في هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح ذلك في اليمين ور بما ندب
فيه خلاف الوفاء ولقائل أن يقول انه تعالى قال وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فهذا يجب
أن يكون مختصا باليهود التي يلتزمها الانسان باختيار نفسه لان قوله اذا عاهدتم يدل
على هذا المعنى وجب أن لا يبق المعنى الذي ذكره القاضي معتبرا ولانه تعالى قال في آخر
الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا وهذا يدل على أن الآية واردة فبين آمن بالله
والرسول وأيضاً يجب أن لا يحمل هذا العهد على اليمين لا لما حمله عليه لكان قوله بعد
ذلك ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها تكرار لان الوفاء بالعهد والنعم من النقص
متقاربان لان الامر بالفعل يستلزم النهي عن الترك الا اذا قيل ان الوفاء بالعهد عام

يعتريهم في تضاعف الصبر ﴿٦٥﴾ خا من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أول تجزيهم بجزا
أحسن من أعمالهم واما التفسير بما ترجح فوله من أعمالهم كالواجبات والندوبات أو بما ترجح تركه أيضا كالحرمان
والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون

ما يستوى فعله وتركه كإباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الأعمال الحسنة المخصوصة
والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لخراج ﴿ ٥١٤ ﴾ بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير

الرجحة الواسعة في مقام
توسيع حياها (من عمل
صالحا) أى غلاصالحا
أى عمل كان وهذا شروع
في تحريض كافة المؤمنين
على كل عمل صالح
غلب ترغيب طائفة
منهم في الثبات على
ما هم عليه من عمل
صالح مخصوص دفعا
لنهم اختصاص الاجر
الموفور بهم وبعمالهم
المذكور وقوله تعالى
(من ذكر أو أنسى) مبالغة
في بيان شموله لكل
(وهو موثمن قيده به
اذلا اعتداد بأعمال
الكفرة في استحقاق
الثواب أو تخفيف العذاب
لقوله تعالى وقدمنا إلى
ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وإيثار إيراد
بالجملة الاسمية الحالية
على نظمها في سلك
الصلة لإفادة وجوب
دوامه ومقارنته للعمل
الصالح) فلحينية حياة
طيبة (في الدنيا يعيش
عيشا طيبا أما ان كان
موسرا فظاهر وأما ان
كان معسرا فيطيب
عيشه بالقناعة والرضا

فدخل تحته اليمين ثم انه تعالى خص اليمين بالذكور تنبيهها على انه أولى أنواع العهد
بوجوب الرعاية وعند هذا نقول الاولى أن يحمل هذا العهد على ما يلتزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه المباينة على الايمان بالله وبرسوله ويدخل فيه عهد الجهاد وعهد
الوفاء بالقرائن من المنذورات والاشياء التي أكدها بالخلف واليمين وفي قوله ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها بما حدث (الاول) قال الزجاج يقال وكدت وأكدت لغتان
جيدتان والاصل الواو والهز بقل منها (البحث الثاني) قال أصحاب أبي حنيفة رحمه الله
يمين اللغو هي يمين الغموس والدليل عليه انه تعالى قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
فهي في هذه الآية عن نقض الايمان فوجب أن يكون كل يمين قابلا للبر والحنث
وعين الغموس غير قابلة للبر والحنث فوجب أن لا تكون من الايمان واحتج الواحدى
بهذه الآية على ان يمين اللغو هي قول العرب لا والله وبلى والله قال انما قال تعالى بعد
توكيدها للفرق بين الايمان المؤكدة بالعزم وبالعقد وبين لغو اليمين (البحث الثالث)
قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لاننا اذا علمنا ان الخير دل على انه
مضى كان الصلاح في نقض الايمان جازا نقضها ثم قال وقد جعلتم الله عليكم كفيلا هذه واو
الحال أى لا تنقضوها وقد جعلتم الله كفيلا بآلوفاء بسبب ذلك الحلف ثم قال ان الله يعلم ما تفعلون وفيه
ترغيب وترهيب والمراد فيجاز بكم على ما تفعلون ان خيراف خير وان شراف شر ثم انه تعالى
أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض وقال ولا تكونوا كآتي نقضت غزلها من بعد قوة
أنكثا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في المشبه به قولان (الاول) انها امرأة من قریش
يقال لها رايطة وقيل ربطة وقيل تلقب جعراء وكانت حنفاء تقول الغزل هي وجواربها
فاذا غزرت وأبرمت أمرتهن فنقضن ما غزلن (والقول الثاني) ان المراد بالمثل الوصف
دون التعيين لان المقصد بالامثال صرف المكلف عنه اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان
حسنا وذلك يتم به من دون التعيين (المسئلة الثانية) قوله من بعد قوة أى من بعد قوة
الغزل بآرامها وقتها (المسئلة الثالثة) قوله انكثا قال الازهرى واحد هانكث وهو
انزل من الصوف والشعيريم وينسج فاذا أحكمت النسيجة قطعها ونكثت خيوطها
المبرمة ونفشت تلك الخيوط وخلطت بالصوف ثم غزلت ثانية والنكث المصدر ومنه يقال
نكث فلان عهده اذا نقضه بعد احكامه كما ينكث خيط الصوف بعد ابرامه (المسئلة
الرابعة) في انتصاب قوله انكثا وجوه (الاول) قال الزجاج انكثا منصوب لانه بمعنى
المصدر لان معنى نكثت نقضت ومعنى نقضت نكثت وهذا غلط منه لان الانكثاجم
نكث وهو اسم للمصدر فكيف يكون قوله انكثا بمعنى المصدر (الثاني) قال الواحدى
انكثا مفعول ثان كان تقول كسره أقطعا وفرقه أجزاء على معنى جعله أقطعا وأجزاء
فكدها هنا قوله نقضت غزلها انكثا أى جعلت غزلها انكثا (الثالث) ان قوله انكثا

بالقصة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان **حال**
معسرا فظاهروا ان كان موسرا فلا بدعه الحرص وخوف الفوات أن تنهأ بعيشه (وليجزئهم) في الآخرة (أجرهم
أحسب ما كانوا يعملون) حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة

الى الموصول مراعاة جانب المعنى كان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ واشار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حين * ٥١٥ * الصلاة وما يرتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب

الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالغاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل (فاذا قرأت القرآن) أي اذا أردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة (فاستعذ بالله) فاسأله عز جاره أن يعينك (من الشيطان الرجيم) من وسوسه وخطراته كي لا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعانة عند ارادتها للتنبيه على انها الغيرة عليه الصلاة والسلام وفي سائر الاعمال الصالحة أهم

حال مؤكدة (المسئلة الخامسة) قال ابن قتية هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل المرأة التي غزلت غزلا وأحكمتها فلما استحكمت نفعتها فجعلته انكاثا ثم قال تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال الواحدى الدخول والدغل الغش والخيانة قال الزجاج كل ما دخله عيب قيل هو مدخول وفيه دخل وقال غيره الدخول ما أدخل في الشيء على فساد ثم قال ان تكون أمة هي أربى من أمة أربى أى أكثر من ربها الشيء ير بواذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فيقضون حلف الاولين ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقوله ان تكون معناه انكم تتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب أن تكون أمة أربى من أمة في العدد والقوة والشرف فقوله تتخذون ايمانكم دخلا بينكم استفهام على سبيل الانكار والمعنى اتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب أن أمة أزيد في القوة والكثرة من أمة أخرى ثم قال تعالى انما يلوكم الله به أى بما يامرهم وينهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيتبين الحق من المبطل بما يظهر من درجات الثواب والعقاب والله أعلم * قوله تعالى (واوشاء الله ليجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ونسئل عما كنتم تعملون اعلم انه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه أتبعه ببيان انه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء وعلى سائر أبواب الايمان ولكنه سبحانه يحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء أما المعتزلة فانهم حاولوا ذلك على الاجراء أى لو أراد أن يجمعهم الى الايمان أوالى الكفر لقدر عليه الا أن ذلك يبطل التكليف فلا جرم ما لجأهم اليه وفوض الامر الى اختيارهم في هذه التكليف وأما قول أصحابنا فيه فهو ظاهر وهذه المناظرة قد تكررت مرارا كثيرة وروى الواحدى ان عزير قال يارب خلقت الخلق فضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يعزير أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والامحوت اسمك من النبوة قالت المعتزلة ويمأيدل على ان المراد من هذه المشيئة مشيئة الاجراء انه تعالى قال بعده ونسئل عما كنتم تعملون فلو كانت أعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سوء الهم عنها عبثا والجواب عنه قد سبق مرارا والله أعلم * قوله تعالى (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حباة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) اعلم انه تعالى لما حذر في الآية الاولى عن نقض اليهود والايمان على

فانه عليه السلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأنظركم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراء من الاعمال والامر للنسب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء لا وجوب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب

ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة
والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لخراج ﴿ ٥١٤ ﴾ بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير

فدخل تحتها اليمين ثم انه تعالى خص اليمين بالذكر تنبيها على انه أولى أنواع العهد
بوجوب الرعاية وعند هذا نقول الاولى أن يحمل هذا العهد على ما يلزمه الانسان
باختياره ويدخل فيه المداينة على الايمان بالله وبرسوله ويدخل فيه عهد الجهاد وعهد
الوفاء باللمتزمات من المنذورات والاشياء التي أكدها بالخلف واليمين وفي قوله ولا تنقضوا
الايمان بعد توكيدها ما بحث (الاول) قال الزجاج يقال وكدت وأكدت لغتان
جيدتان والاصل الواو والهجرة بدل منها (البحث الثاني) قال أصحاب أبي حنيفة رحمه الله
يمين الغموس يمين الغموس والدليل عليه انه تعالى قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
فنهى في هذه الآية عن نقض الايمان فوجب أن يكون كل يمين قابلا للبر والحنث
ويمين الغموس غير قابلة للبر والحنث فوجب أن لا تكون من الايمان واحتج الواحدى
بهذه الآية على ان يمين الغموس قول العرب لا والله وبلى والله قال ابن ابي عمير
توكيدها للفرق بين الايمان المؤكدة بالعزم وباعتدو بين نعو اليمين (البحث الثالث)
قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لاننا بينا ان الخبر دل على انه
متى كان الصلاح في نقض الايمان جاز نقضها ثم قال وقد جعلتم الله عليكم كفيلا هذه واو
الحال أى لا تنقضوها وقد جعلتم الله كفيلا عليكم بالوفاء وذلك ان من حلف بالله تعالى
فكأنه قد جعل الله كفيلا بالوفاء بسبب ذلك الحلف ثم قال ان الله يعلم ما تفعلون وفيه
ترغيب وترهيب والمراد فيجوز انكم على ما تفعلون ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم انه تعالى
أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض وقال ولا تكونوا كالكاذبين نقضت غزلها من بعد قوة
أنكنا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في المشبه به قولان (الاول) انها امرأة من قر يش
يقال لهارياطة وقيل ربطة وقيل ثلق جعرا وكانت حنماء تفزل الغزل هي وجواربها
فاذا غزلت وأبرمت أمرتهن فنقضن ما غزلن (واقول الثاني) ان المراد بالثلل الوصف
دون التعيين لان القصد بالامثال صرف المكاف عنه اذا كان فيجاء والداء اليه اذا كان
حسنا وذلك يتم به من دون التعيين (المسئلة الثانية) قوله من بعد قوة أى من بعد قوة
الغزل بآرامها وقتها (المسئلة الثالثة) قوله انكنا قال الازهرى واحد هانكت وهو
انزل من الصوف والشعيريم وينسج فاذا أحكمت النسيجة قطعها ونكت خيوطها
المبرمة ونفشت تلك الخيوط وخلطت بالصوف ثم غزلت ثانية والنكت المصدر ومنه يقال
نكت فلان عهده اذا نقضه بعد احكامه كما ينكت خيط الصوف بعد ابرامه (المسئلة
الرابعة) في انتصاب قوله انكنا وجوه (الاول) قال الزجاج انكنا منصوب لانه بمعنى
المصدر لان معنى نكتت نقضت ومعنى نقضت نكتت وهذا غلط منه لان الانكنا كجم
نكت وهو اسم لامصدر فكيف يكون قوله انكنا بمعنى المصدر (الثاني) قال الواحدى
انكنا مفعول ثان كما تقول كسره أقطاعا وفرقه أجزاء على معنى جعله أقطاعا وأجزاء
فكذا همنا قوله نقضت غزلها انكنا أى جعلت غزلها انكنا (الثالث) ان قوله انكنا

الرجحة الواسعة في مقام
توسيع حياها (من عمل
صالحا) أى غلا صالحا
أى عمل كان وهذا شروع
في تحريض كافة المؤمنين
على كل عمل صالح
غيب ترغيب طائفة
منهم في الثبات على
ما هم عليه من عمل
صالح مخصوص دفعا
لنهم اختصاص الاجر
الموفور بهم وبعمالهم
المذكور وقوله تعالى
(من ذكر أو أنسى) مبالغة
في بيان شموله لكل
(وهو موثمن قيده به
اذلا اعتداد بأعمال
الكفرة في استحقاق
الثواب أو تخفيف العذاب
لقوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا واينثار اراده
بالجملة الاسمية الحالية
على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب
دوامه ومقارنته للعمل
الصالح (فلتحيينه حياة
طيبة) في الدنيا بعيش
عيشا طيبا أما ان كان
موسرا فظاهر وأما ان
كان معسرا فطيب
عيشه بالقتاعة والرضا

بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم بطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان ﴿ حال ﴾
معسرا فظاهروا ان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن تنهأ بعيشه (ولتحزينهم) في الآخرة (أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون) حسبا نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة

الى الموصول لرعاية جانب المعنى كان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ واشار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز * ٥١٥ * الصلاة وما يرتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب

اللائم للافراد واذا قد انتهى الامر الى أن مدار الجزاء المذكور هو

صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالقاء الارشاد

الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد قبل (فاذا قرأت القرآن) أى اذا أردت قراءته عبر بها

عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم السبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقرأة (فاستعذ بالله)

فاسأله عز جاره أن يعيذك (من الشيطان الرجيم) من وساوسه وخطراته كي لا يوسوسك عند القرأة

فان له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة

عند ارادتها للتنبيه على انها الغيرة عليه الصلاة والسلام وفي سائر الاعمال الصالحة أهم

حال مؤكدة (المسئلة الخامسة) قال ابن قتبية هذه الآية متصلة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل المرأة التي غزت غزلا وأحكمتها فلما استحكمت نفذته فجعلته انكاثا ثم قال تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال الواحدى الدخول والغسل والغسل والخيانة قال الزجاج كل ما دخله عيب قبل هو مدخول وفيه دخل وقال غيره الدخول ما أدخل في الشيء على فساد ثم قال ان تكون أمة هي أربى من أمة أربى أى أكثر من ربها الشيء يربو اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز فهاهم الله تعالى عن ذلك وقوله ان تكون معناه انكم تتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب أن تكون أمة أربى من أمة في العدد والقوة والشرف فقوله تتخذون ايمانكم دخلا بينكم استفهام على سبيل الانكار والمعنى أن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب أن أمة أزيد في القوة والكثرة من أمة أخرى ثم قال تعالى انما يلوكم الله به أى بما أمركم وبهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيتميز الحق من المبطل بما يظهر من درجات الثواب والعقاب والله أعلم * قوله تعالى (ولو شاء الله لجمع لكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء وتسنلن عما كنتم تعملون) اعلم انه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد ونحرىم نقضه أتبعه ببيان انه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء وعلى سائر أبواب الايمان ولكنه سبحانه يحكم الالهية بضل من يشاء ويهدي من يشاء أما المعتزلة فأنهم حاولوا ذلك على الاجراء أى أو أراد أن يجمعهم الى الايمان أو الى الكفر لقد ر عليه الآن ذلك يبطل التكليف فلا جرم ما الجأهم اليه وفوض الامر الى اختيارهم في هذه التكليف وأما قول أصحابنا فيه فهو ظاهر وهذه المناظرة قد تكررت مرارا كثيرة وروى الواحدى ان عزير قال يارب خلقت الخلق فضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يعزير أعرض عن هذا فأعاده ثانيا فقال أعرض عن هذا فأعاده ثالثا فقال أعرض عن هذا والامحوت اسمك من النبوة قالت المعتزلة ويميل على ان المراد من هذه المشيئة مشيئة الاجاء انه تعالى قال بعده وتسنلن عما كنتم تعملون فلو كانت أعمال العباد بتخلق الله تعالى لكان سوء الهمم عنها عيبا والجواب عنه قد سبق مرارا والله أعلم * قوله تعالى (ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتنزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا ان ما عند الله هو خيرا لكم ان كنتم تعملون ما عندكم ينغد وما عند الله باق ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) اعلم انه تعالى لما حذر في الآية الاولى عن نقض العهود والايمان على

فانه عليه السلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فاطنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القرأة من الاعمال والامر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء الوجوب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب

المرءه ابوه ريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحجرة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ ﴿ ٥١٦ ﴾ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام

قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأه جبريل عليه السلام عن القلم عن الوح المحفوظ (انه) الضمير للشأن أو للشيطان (ليس له سلطان) تسلط ولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى اليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم واثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على الحق كإن اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجدد وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعادة التوكيد والجملة لتعليل الامر بالاستعاذة أو لجوابه المنوى أى بعذك أو نحوه (انما سلطانه) أى تسلطه وولايته بدعوته المستتعبة للاستجابة لاسلطانه بالقسر والالغاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكايته عنه وما كان لى عليكم من سلطان الآن دعوتكم

الاطلاق حذر فى هذه الآية فقال ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم وليس المراد منه التحذير عن نقض مطلق الايمان والالزم التكرير الحالى عن القائدة في موضع واحد بل المراد نهى أولئك الاقوام المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض أيمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون المراد من هذه الآية نهى الذين يابعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض عهده لان هذا الوعيد وهو قوله فترل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشرائعه وقوله فترل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد عافية ومحنة بعد نعمة فان من نقض عهد الاسلام فقد سقط عن الدرجات العالية ووقع في مثل هذه الضلالة ويدل على هذا قوله تعالى وتذوقوا السوء أى العذاب بما صدقتم أى بصدكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم أى ذلك السوء الذى تذوقونه سوء عظيم وعقاب شديد ثم أكد هذا التحذير فقال ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يريد عرض الدنيا وان كان كثيرا الان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعملون يعنى انكم وان وجدتم على نقض عهد الاسلام خيرا من خيرات الدنيا فلا تلتفتوا اليه لان الذى أعد الله تعالى على البقاء على الاسلام خير وأفضل وأكمل مما تجدونه في الدنيا على نقض عهد الاسلام ان كنتم تعملون التفاوت بين خيرات الدنيا وبين خيرات الآخرة ثم ذكر الدليل القاطع على ان ما عند الله خير مما تجدونه من طيبات الدنيا فقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفيه بحثان (الاول) الحسن شاهد بأن خيرات الدنيا منقطعة والعقل دل على ان خيرات الآخرة باقية والباقي خير من المنقطع والدليل عليه ان هذا المنقطع اما أن يقال انه كان خيرا ما لا يشربا أو كان خيرا دنيا خسيسا فان قلنا انه كان خيرا عاليا شريفا فالعلم بأنه سيقطع يجعله منفصا حال حصوله وأما حال حصول ذلك الانقطاع فانها تعظم الحسرة والحزن وكون تلك النعمة العالية الشريفة كذلك ينقص فيها ويقلل مرتبتها وتغتر الرغبة فيها وأمان قلنا ان تلك النعمة المنقطعة كانت من الخيرات الخسيسة فمعنا من الظاهر ان ذلك الخير الدائم وجب أن يكون أفضل من ذلك الخير المنقطع فثبت بهذا ان قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق برهان قاطع على ان خيرات الآخرة افضل من خيرات الدنيا (البحث الثاني) ان قوله وما عند الله باق يدل على ان زعيم أهل الجنة باق لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والآية حجة عليه واعلم ان المؤمن اذا آمن بالله فقد التزم شرائع الاسلام والايمان وحيتن يجب عليه أمران (احدهما) أن يصبر على ذلك الالتزام وأن لا يرجع عنه وأن لا ينقضه بعد ثبوته (والثاني) أن يأتي بكل ما هو من شرائع الاسلام ولو ازمه اذا عرفت هذا فقول انه تعالى رغب المؤمنين في القسم الاول وهو الصبر على ما التزموه فقال ولجئ بن الذين صبروا أى على ما التزموه من شرائع الاسلام بأحسن ما كانوا يعملون أى يحجزهم على أحسن أعمالهم وذلك لان المؤمن قديما

فاستجبت لى وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أى يتخذونه وليا ويستجيون دعوته ﴿ بالمباحات ﴾ وبطبيعته فان المنصور بمنزل من ذلك (والذين هبه) سبحانه هم وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذى جعلهم

على الاشرار بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غيب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى ﴿ ٥١٧ ﴾ الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وأن من لم يتوكل عليه

تعالى ينظم في سلاك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الجمل على التوكل والتحذير عن مقابله واشار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما أن اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينهما وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولوروعى الترتيب السابق لان فصل كل من القرينين عما يقابلها واذا بدأنا آية مكان آية أي اذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسكنها بها (والله أعلم بما ينزل)

بالمباحات وبالمدوبات وبالواجبات ولا شك انه على فعل المدوبات والواجبات يشاب لا على فعل المباحات فلهذا قال وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ثم انه تعالى رغب المؤمنين في القسم الثاني وهو الاتيان بكل ما كان من شرائع الاسلام فقال من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفي الآية سوالات (السؤال الاول) لفظة من في قوله من عمل صالحا تفيد العموم فالفائدة في ذكر الذكر والأنثى والجواب ان هذه الآية للوعد بالخيرات والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتأكيد وازالة لوهم التخصيص (السؤال الثاني) هل تدل هذه الآية على ان الايمان مغاير للعمل الصالح والجواب نعم لانه تعالى جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب وشرط الشيء مغاير لذلك الشيء (السؤال الثالث) ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر بشرط الايمان فظاهر قوله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاثر سواء كان مع الايمان أو كان مع عدمه والجواب ان افادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروط بالايمان اما افادته لاثري غير هذه الحياة الطيبة وهو تخفيف العقاب فانه لا يتوقف على الايمان (السؤال الرابع) هذه الحياة الطيبة تحصل في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة والجواب فيه ثلاثة أقوال (الاول) قال القاضي الاقرب انها تحصل في الدنيا بدليل انه تعالى أعقبه بقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ولا شبهة في ان المراد منه ما يكون في الآخرة ولقائل أن يقول لا بعد أن يكون المراد من الحياة الطيبة ما يحصل في الآخرة ثم انه مع ذلك وعدهم الله على انه انما يجز بهم على ما هو أحسن أعمالهم فنه لا امتناع فيه فان قيل بتقدير أن تكون هذه الحياة الطيبة انما تحصل في الدنيا فاهي والجواب ذكروا فيه وجوها قيل هو الرزق الحلال الطيب وقيل عبادة الله مع أكل الحلال وقيل القناعة وقيل رزق يوم يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه فغني بما رزقني وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال الواحدى وقول من يقول انه القناعة حسن مختار لانه لا يطيب عيش أحد في الدنيا الا عيش القانع واما الحرص فانه يكون أبدا في الكد والعناء * واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه (الاول) انه لما عرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى وعرف أنه تعالى محسن كريم لا يفعل الا الاصول كان راضيا بكل ما قضاه وقدره وعلم ان مصلحته في ذلك اما الجاهل فلا يعرف هذه الاصول فكان أبدا في الحزن والشقاء (وثانيها) ان المؤمن أبدا يستحضر في عقله أنواع المصائب والمحزن ويقدرو وقوعها وعلى تقدير وقوعها يرضى بها لان الرضاء بقضاء الله تعالى واجب فعند وقوعها لا يستعظمها بخلاف الجاهل فانه يكون غافلا عن تلك المعارف فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه (وثالثها) ان قلب المؤمن منشراح

أولا وآخرا وبأن كل من ذلك ما نزلت حينما نزلت الاحكام تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تغلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما للشرائع الامصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة

امامه عرضة لتوبيخ الكفرة والتنبية على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات
ملايخني من نزوية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض أو حالية ﴿ ٥١٨ ﴾ وقرى بالتخفيف من الانزال (قالوا) أي

الكفرة الجاهلون بحكمة
النسخ (انما أنت مفتر)
أي مقول على الله تعالى
تأمر بشئ ثم يدرك
فتفى عنه وحكاية
هذا القول عنهم ههنا
للايدان بأن ذلك كفر
ناشئة من نزغات الشيطان
وأنه وإلههم (بل أكثرهم
لا يعلمون) أي لا يعلمون
شيئا أصلاً ولا يعلمون
أن في النسخ حكماً بالغة
واسناد هذا الحكم الى
الاكثر لما أن منهم من
يعلم ذلك وإنما يتكره
هنادا (قل زله) أي
القرآن المدلول عليه
بالآية (روح القدس)
يعني جبريل عليه السلام
أي الروح المطهر من
الادناس البشرية
واضافة الروح الى
القدس وهو الطهر
كاضافة حاتم الى الجود
حيث قيل حاتم الجود
للمبالغة في ذلك الوصف
كانه طبع منه وفي صيغة
التفعيل في الموضعين
اشعار بأن التدرج
في الانزال مما تقتضيه
الحكم البالغة (من
ربك) في اضافة الرب

بنور معرفة الله تعالى والقلب اذا كان مملو من هذه المعارف لم ينسج الاحزان الواقعة
بسبب أحوال الدنيا أما قلب الجاهل فانه خال عن معرفة الله تعالى فلا جرم بصير مملو من
الاحزان الواقعة بسبب مصائب الدنيا (ورابعها) ان المؤمن عارف بأن خيرات الحياة
الجسمانية خسيصة ولا يعظم فرحها بوجدانها وغمها بفقدانها أما الجاهل فانه لا يعرف
سعادة أخرى تعارها فلا جرم يعظم فرحها بوجدانها وغمها بفقدانها (وخامسها) ان
المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة الغير سريرة القلب فلولاً تغيرها وانقلابها لم تصل
من غيره اليه واعلم ان ما كان واجب التغير فانه عند وصوله اليه لا يتقلب حقيقة ولا
تبدل ماهيته وعند وصوله اليه يكون أيضاً واجب التغير فعند ذلك لا يطبع العاقل قلبه
عليه ولا يقيم له في قلبه وزناً بخلاف الجاهل فانه يكون غافلاً عن هذه المعارف فيطبع
قلبه عليها ويعانقها معانقة العاشق لمعشوقه وعند فوته وزواله يحترق قلبه ويعظم البلاء
عنده فهذه وجوه كافية في بيان ان عيش المؤمن العارف أطيب من عيش الكافر هذا
كله اذا فسرنا الحياة الطيبة بأنها في الدنيا (واقول الثاني) وهو قول السدي ان هذه
الحياة الطيبة انما تحصل في القبر (واقول الثالث) وهو قول الحسن وسعيد بن جبر ان
هذه الحياة الطيبة لا تحصل الا في الآخرة والدليل عليه قوله تعالى يا أيها الانسان انك
كادح الى ربك كدحاً فلاقية بين ان هذا الكدح باق الى أن يصل الى ربه وذلك ما قلناه
وأما بيان ان الحياة الطيبة في الجنة فلانها حياة بلاموت وغنى بلا فقر وصحة بلا مرض
وملك بلا زوال وسعادة بلا شقاء ثبت ان الحياة الطيبة ليست الا تلك الحياة ثم انه تعالى
ختم الآية بقوله ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقد سبق تفسيره والله أعلم
* قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)
اعلم انه تعالى لما قال قبل هذه الآية ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون أرشد
الى العمل الذي به يتخلص أعماله عن الوسواس فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) الشيطان ساع في انقاء الوسوسة في
القلب حتى في حق الانبياء بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيه والاستعاذة بالله مانعة للشيطان من انقاء الوسوسة بدليل
قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فلهذا
السبب أمر الله تعالى رسوله بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى تلك القراءة مصونة عن
الوسوسة (المسئلة الثانية) قوله فاذا قرأت القرآن خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
الا أن المراد به الكل لان الرسول لما كان محتاجاً الى الاستعاذة عند القراءة فغير الرسول
أولى بها (المسئلة الثالثة) الفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر هذه الآية يدل على
ان الاستعاذة بعد قراءة القرآن واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين قال الواحدى

الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه صلى الله عليه وسلم بالس * وهو ﴿
في اضافته الى ياء التكلم المبنية على التلقين المحض (بالحق) أي ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقضية له بحجت
لا يفرقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على أن النسخ حق

(ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناس يخوتهم وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح الالفة بالحال رخصت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ﴿ ٥١٩ ﴾ ليثبت من الافعال (وهدي و بشري للمسلمين) النقادين

لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتا وهداية و بشارة وفيه تعرض بحصول أصداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار (ولقد نعلم أنهم يقولون) غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء (انما يعلمه) أي القرآن (بشر) على طريق البت مع ظهور انه نزله الروح القدس عليه الصلاة والسلام وتخلية الجملة بفنون التأكيدي تحقيق ما تضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمررون على تفوه تلك العظيمة بعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا وبسارا كما يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليها ويسمع ما يقرآنه وقيل عباسا غلاما حو بطب بن عبد العزيز قد أسلم وكان صاحب كتب

وهو قول أبي هريرة ومالك وداد قالوا والفائدة فيه انه اذا قرأ القرآن استحق به ثوابا عظيما فان لم يأت بالاستعاذة وقت الوسوسة في قلبه وتلك الوسوسة تحبط ثواب القراءة أما اذا استعاذ بعد القراءة اندفعت الوسواس وبقي الثواب مصونا عن الاحباط أما الاكثرون من علماء الصحابة والتابعين فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة وقالوا معنى الآية اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ وليس معناه استعذ بعد القراءة ومثله اذا كنت فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا أي اذا أردتم القيام الى الصلاة فاغسلوا وأيضا لما ثبت ان الشيطان في الوسوسة في اثناء قراءة الرسول بدليل قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ومن الظاهر انه تعالى انما أمر الرسول بالاستعاذة عند القراءة لدفع تلك الوسواس فهذا المقصود انما يحصل عند تقديم الاستعاذة (المسئلة الرابعة) مذهب عطاء انه يجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت القراءة في الصلاة أو غيرها وسألف الفقهاء اتفقوا على انه ليس كذلك لانه لا خلاف بينهم انه ان لم يتعوذ قبل القراءة في الصلاة فصلاته ماضية وكذلك حال القراءة في غير الصلاة لكن حال القراءة في الصلاة أكد (المسئلة الخامسة) المراد بالشيطان في هذه الآية قيل ابليس والاقرب انه للجنس لان الجحيم المردة من الشياطين حظا في الوسوسة واعلم انه تعالى لما أمر رسوله بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يومهم ان الشيطان قدرة على التصرف في أبدان الناس فأزال الله تعالى هذا الوهم وبين انه لا قدرة له البتة الاعلى الوسوسة فقال انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ويظهر من هذا ان الاستعاذة انما تفيد اذا حضر في قلب الانسان كونه ضعيفا وان لا يمكنه التحفظ عن وسوسة الشيطان الا بعصمة الله تعالى ولهذا المعنى قال المحققون لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله تعالى والتفويض الحاصل على هذا الوجه هو المراد من قوله وعلى ربهم يتوكلون ثم قال انما سلطانه على الذين يتولونه قال ابن عباس يطيعونه يقال توليته أي أطعته وتوليت عنه أي أعرضت عنه والذين هم به مشركون الضمير في قوله به الى ماذا يعود وفيه قولان (الاول) انه راجع الى ربهم (والثاني) انه راجع الى الشيطان والمعنى بسببه وهذا كما تقول للرجل اذا تكلم بكلمة مؤذية الى الكفر كفرت بهذه الكلمة أي من أجلها فكذا ذلك قوله والذين هم به مشركون أي من أجله ومن أجل حله اياهم على الشرك بالله صاروا مشركين * قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي و بشري للمسلمين) اعلم انه تعالى شرع من هذا الموضع في حكاية شهادات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها تقول كفار قريش

وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلم مع كونه أنه قد دخل في ظهور كذبهم للايدان بأن مدار خطاهم ليس نسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عليه السلام معدنا للعلوم الاولين والآخرين (لسان الذي

يهدون اليه العجى) الخاد الامالة من الحد القبر اذا مال حفرة عن الاستقامة فخر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ﴿ ٥٢٠ ﴾ أى لغة الرجل الذي يعملون اليه القول عن الاستقامة

أعجمية غير بينة وقرئ بفتح السين والحاء وتعريف اللسان (وهذا) أى القرآن الكريم (لسان عربى مبین) ذو بيان وفصاحة والجلتان مستأ نقتان لا بطل طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فان زعمتم أن بشر يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذى أعجز جميع أهل الدنيا والتشبه في أثناء الطعن بأذنان أمثال هذه الخرافات الركيكة دال على كمال تجرهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير مغلطة من البشر (لا يهديهم الله) الى الحق أو الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك اسوء حالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) وهذا تهديد لهم ووعد على على ما هم عليه من الكفر

والله ما محمد الا يستخر بأصحابه اليوم بأمرى وأمرى وغدا ينهى عنه وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فانزل الله تعالى قوله واذا بدلنا آية مكان آية ومعنى التبدل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وتبدل الآيات رفعها بآية أخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل فى الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من النسخ والمنسوخ والغليظ والتخفيف أى هو أعلم بجميع ذلك فى مصالح العباد وهذا توسيع للكفار على قوله انما أنت مفتر أى اذا كان هو أعلم بما ينزل فبالأهم ينسبون محمد صلى الله عليه وسلم الى الافتراء لاجل التبدل والنسخ وقوله بل أكثرهم لا يعلمون أى لا يعلمون حقيقة القرآن وفائدة النسخ والتبدل وأن ذلك لمصلحة العباد كما ان الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهى عنها بأمره بضد تلك الشربة وقوله قل زله روح القدس من ربك تفسير روح القدس مر ذكره فى سورة البقرة وقال صاحب الكشف روح القدس جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو المظهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح القدس وحاتم الجواد وزيد الخير والقدس المطهر من الماء ومن فى قوله من ربك صلة للقرآن أى ان جبريل نزل القرآن من ربك ليثبت الذين آمنوا أى ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قافوا فيه هو الحق من ربنا حكم لهم بآيات القسم فى الدين وصحة اليقين بأن الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوف على محل ليثبت والتقدير تثبيتهم وارشادوا وبشارة وفيد نرى بض بحلول اضداد هذه الصفات لغيرهم (المسئلة الثانية) وقد ذكرنا ان عذاب أى مسلم الاصفهاني ان النسخ غير واقع فى هذه الشريعة فقال المراد ههنا اذا بدلنا آية مكان آية فى الكتب القديمة مثل انه حول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة قال للمشركون انت مفتر فى هذه التبدل وأما سائر المفسرين فقالوا النسخ واقع فى هذه الشريعة والكلام فيه على الاستقصاء مذكور فى سائر السور (المسئلة الثالثة) قال السافعى رحمه الله القرآن لا ينسخ بالسنة واحتج على صحته بقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية وهذا يقتضى ان الآيات لا تنسخ منسوخة الا بآية أخرى وهذا ضعيف لان هذه تدل على أنه تعالى يبدل آية بآية أخرى ولا دلالة فيها على انه تعالى لا يبدل آية الا بآية وأيضاً خبر بل عليه السلام قد ينزل بالسنة كما ينزل بالآية وأيضاً فالسنة قد تكون مثبتة والآية وأيضاً فهذا حكاية كلام الكفار فكيف يصح التعلق به والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واتم نعم انهم يقولون انما يعلم بشر لسان الذى يهدون اليه العجى) وهذا لسان عربى مبین ان الذين لا يؤمنون بآية الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) أعلم ان المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكبرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمداً انما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لانه يستفيد منها انسان آخر ويعلمها منه واختلفوا فى

﴿ هذا ﴾ بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد قولهم انما أنت مفتر وقلب الامر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بخصيق

انه منزك من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما ما قوله تعالى ولم تعدن الا به لما يحيى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى أعلم أن المغترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر أى تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بأن ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى ككلامه تعالى ﴿ ٥٢١ ﴾ والتصريح بالكذب للعبارة في بيان قبحه وصيغة

المضارع رعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يغترى الكذب ويلي ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يتقرب عقابا عليه ليرتد عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله (هم الكاذبون) على الحقيقة أو الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيب اماته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك أن الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر يخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله النبي عنه معا والذين

هذا البشر الذى نسب المشركون النبي صلى الله عليه وسلم الى التعل من قبل هو عبد بنى عامر بن لوى يقال له بعيش وكان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد بنى الحضرمى صاحب كتب وكان اسمه جبرا وكانت قر يش تقول عبد بنى الحضرمى يعلم خديجة وخديجة تعلم حمدا وقيل كان بكه نصرانى أعجمى اللسان اسمه بلعام ويقال له أبو مسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان الفارسى وبالجملة فلا فائدة في تعدد هذه الاسماء والحاصل ان القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم أنه اتعافى بها بالوحى وهو كاذب فيدعى انه تعالى اجاب عنه بأن قال لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ومعنى الالحاد فى اللغة الميل يقال لحدوا لحد اذا مال عن القصد ومنه يقال لامال عن الحق ملحد وقرأ حجة والكسافى يلحدون بفتح الياء والحاء والباقون بضم الياء وكسر الحاء قال الواحدى والاولى ضم الياء لانه لغة القرآن والدليل عليه قوله ومن يرد فيه بالماد بظلم والالحاد قد يكون بمعنى الامالة ومنه يقال الحدت له لحد اذا حفرته في جانب القبر ما نال عن الاستواء وقبر ملحد وملحد ومنه الحمد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يله عن دين الى دين آخر وفسر الالحاد فى هذه الآية بالغولين قال الفراء يميلون من الميل وقال الزجاج يميلون من الامالة أى لسان الذى يميلون القول اليه أعجمى وأما قوله أعجمى فقال أبو الفتح الموصلى تركيب ح ج م وضع فى كلام العرب للابهام والاختفاء وضد البيان والابضاح ومنه قولهم ر جل أعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يفصحان وعجم الذنب سمي بذلك لاستناره واختفائه والعجماء البهيمة لانها لا توضح ما فى نفسها وسموا صلاتى الظهر والعصر عجماء وبن لان القراءة حاصلة فيهما بالسر لا بالظهر فأما قولهم أعجمت الكتاب فغناه أزلت عجمته وأفعلت قد بأتى والمراد منه السلب كقولهم أشكيت فلانا اذا أزلت ما يشكوه فهذا هو الاصل فى هذه الكلمة ثم ان العرب نسى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بلسانهم أعجم وأعجميا قال الفراء وأحد بن يحيى الأعجم الذى فى لسانه عجمة وان كان من العرب والأعجمى والأعجمى الذى أصله من العجم قال أبو على الفارسى الأعجم الذى لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم الا ترى انهم قالوا زيدا الأعجم لانه كانت فى لسانه عجمة مع انه كان عربيا وأمام معنى العربى واشتقاقه فقد ذكرناه عند قوله الاعراب أشد كفرا ونفاقا وقال الفراء والزجاج فى هذه الآية يقال عرب لسانه عرابة وعروبة هذا تفسيرا لفاظ الآية وأما تقرير وجه الجواب فأعلم انه انما يظهر اذا قلنا القرآن انما كان معجزا لما فيه من الفصاحة العائدة الى اللفظ وكأنه قيل هب انه يتعلم المعانى من ذلك الأعجمى الآن القرآن انما كان معجزا لما فى الفاظه من الفصاحة فيتقدير أن تكونوا صادقين فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يتعلم تلك المعانى من ذلك الرجل الا أنه لا يفتح ذلك فى المقصود اذ القرآن انما كان معجزا لفصاحته وما ذكرتموه لا يفتح فى ذلك المقصود

عادتهم الكذب لا يزعمهم عنه ﴿ ٦٦ ﴾ وازع من دين أمر ووقيل الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر (من كفر بالله) أى تلفظ بكلمة الكفر (من بعد ايمانه) به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد ايمان حال من لم يؤمن بهار أسا ومن موصولة ومحملها الرفع على

لا ابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه أو هو خبر لهما معاً أو انصب على الذم (الامن اكراه) على ذلك بأمر يخاف على نفسه أو على عضوم من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لان الكفر لغة بتم بالقول كما أشير اليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالإيمان) حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لانفس الاكراه لان مقارنته اطمان القلب بالإيمان للاكراه لا تجدي نفعاً وإنما المجدي مقارنته ﴿٥٢٢﴾ للكفر الواقع به أي الامن كفر باكراه أو الامن

ولما ذكر الله تعالى هذا الجواب أردفه بالتهديد والوعيد فقال ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله أمّا تفسير أصحابنا لهذه الآية فظاهر وقال الفاضل أقوى ما قيل في ذلك انه لا يهديهم الى طريق الجنة ولذلك قال بعده ولهم عذاب أليم والمراد انهم لما تركوا الإيمان بالله لا يهديهم الله الى الجنة بل يسوقهم الى انثارهم انه تعالى بين كونهم كذابين في ذلك القول فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وفيه مسائل (الاولى) المقصود منه انه تعالى بين في الآية السابقة ان الذي قالوا بتقدير أن يصح لم يقدح في المقصود ثم انه تعالى بين في هذه الآية أن الذي قالوا لم يصح وهم كذبوا فيه والدليل على كونهم كاذبين في ذلك القول وجوه (الاول) انه لا يؤمنون بآيات الله وهم كافرون ومتى كان الامر كذلك كانوا أعداء لرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لهم (والثاني) ان أمر العلم لا يتأتى في جلسة واحدة ولا يتم في الخفية بل التعلم انما يتم اذا اختلف المعلم الى زمن متواصلة ومدة متباعدة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق ان محمد عليه السلام يتعلم العلوم من فلان وفلان (الثالث) ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة وتعلمها لا يتأتى اذا كان المعلم في غابة الفضل والتحقيق فلو حصل فيهم انسان بلغ في التعليم والتحقيق الى هذا الحد لكان مشاراً اليه بالاصابع في التحقيق والتدقيق في الدنيا فذيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالمة والباحث النفيسة من عند فلان وفلان واعلم ان الطعن في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمثال هذه الكلمات الركيكة يدل على ان الحجّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة باهرة من الخصوم كانوا عاجزين عن الطعن فيها ولاجل غاية عجزهم عادوا الى هذه الكلمات الركيكة (المسئلة الثانية) في هذه الآية دلالة قوية على ان الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش والدليل عليه ان كلمة انما المحصر والمعنى ان الكذب والفرية لا يقدم عليهما الا من كان غير مؤمن بآيات الله تعالى والامن كان كافراً وهذا تهديد في النهاية فان قيل قوله لا يؤمنون بآيات الله فعل وقوله وأولئك هم الكاذبون اسم وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فيصح فالسبب في حصوله همنا قلنا الفعل قد يكون لازماً وقد يكون مفارقاً والدليل عليه قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنه حتى حين ذكره بلفظ الفعل تنبيهها على ان ذلك السبح لا يدوم وقال فرعون لموسى عليه السلام لئن اتخذت الهاء غيري لاجعلنك من المسجونين ذكره بصيغة الاسم تنبيهها على الدوام وقال أصحابنا انه تعالى قال وعصى آدم ربه فغوى ولا يجوز أن يقال ان آدم عاص وغاؤ لان صيغة الفعل لا تنفي الدوم وصيغة الاسم تنفيها اذا عرفت هذه المقدمة فنقول قولنا بما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ذكر ذلك تنبيهها على ان من أقدم على الكذب فكأنه دخل في الكفر ثم قال وأولئك هم الكاذبون تنبيهها على أن صفة الكذب فيهم ثابتة راسخة دائمة وهذا كما تقول كذبت وأنت كاذب فيكون

اكراه فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم يتغير عقيدته أو انما لم يصرح به ايماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من) لم يكن كذلك بل (شرح بالكفر صدرا) أى اعتقده وطالب به نفساً (فعليهم غضب) عظيم لا يكتفه كنهه (من الله) اظهرا الاسم الجليل لترتبة المهابة وتقوية تعظيم العذاب (ولهم عذاب عظيم) اذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجزورين لمراعاة جانب المعنى كأن الافراد في المستكن في الصلة لزيادة جانب اللفظ روى أن قریشاً كرهوا عماراً وأبو به يسرا وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحر بفق قبلها وقالوا انما أسلمت من جل الرجال فقتلواها فقتلوا يسرا وهما أول

تبيين في الاسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما كرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال ﴿ قولك ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلان عمارا لمي إيماناً من قرنه الى قدمه واختلف الايمان بالحمة ودمه فأتي عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى

الله عليه وسلم بمسح عينيه وقال مالك ان عادوا لك فعدا لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه
المجبي وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزاز الدين كما فعله أبواه وروى أن مسئلة الكذاب أخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد قال رسول الله قال فانت أيضا فخلد وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فانت قول
في قال انما صم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه ﴿ ٥٢٣ ﴾ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة

الله وأما الثاني فقد صدع
بالحق (ذلك) إشارة
الى كفر بعد الايمان أو الى
الوعيد المذكور (بأنهم)
بسبب انهم (استحبوا
الحياة الدنيا) أثروها
(على الآخرة وان الله
لا يهدي) الى الايمان
والى ما يوجب الثبات
عليه هداية قسر
والجاء (القوم الكافرين)
في علمه المحيط فلا يصحهم
عن الزبغ وما يؤدى اليه
من الغضب والعذاب
العظيم ولولا أحد
الامرين اما ايشار
الحياة الدنيا على الآخرة
واما عدم هداية الله
سبحانه للكافرين هداية
قسر بأن أثروا الآخرة
على الدنيا أو بأن
هداهم الله تعالى هداية
قسر لما كان ذلك لكن
الثاني مخالف للحكمة
والاول مما لا يدخل تحت
الوقوع واليه أشير
بقوله تعالى (أولئك)
أى أولئك الموصوفون
بما ذكر من القبايح
(الذين طبع الله على

قواك وأنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب ومعناه ان عادتك أن تكون كاذبا (المسئلة
الثالثة) ظاهر الآية يدل على ان الكاذب المفترى الذى لا يؤمن بآيات الله والامر
كذلك لانه لا معنى للكفر الا انكار الالهية ونبوة الانبياء وهذا الانكار مشتعل على
الكذب والافتراء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا ثم قرأ
هذه الآية والله أعلم * قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه لا من اكره) وقوله مطعون
بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدره فدلهم غضب من الله عليهم والله عذاب عظيم ذلك بأنهم
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسددهم وابصارهم وأولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم
الخاسرون (اعلم انه تعالى لا يعظم تهديد الكافرين ذكر في هذه الآية تفصيلا لبيان
من يكفر بلسانه لا بقلبه ومن يكفر بلسانه وقلبه معا وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
قوله من كفر بالله من بعد ايمانه مبتدأ خبر غير مذكور فلهذا السبب اختلف المفسرون
وذكروا فيه وجوها (الاول) أن يكون قوله من كفر بالله من بعد ايمانه لا يؤمنون بآيات
الله والتقدير انما يفترى من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت
حكم الافتراء وعلى هذا التقدير فقوله وأولئك هم الكاذبون اعتراض وقم بين البديل
والمبدل منه (والثاني) يجوز أيضا أن يكون بدلا من الخبر الذى هو الكاذبون والتقدير
وأولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه (والثالث) يجوز أن ينصب على الذم والتقدير
وأولئك هم الكاذبون أعنى من كفر بالله من بعد ايمانه وهو أحسن الوجوه عندى
وأبعدها عن التعسف (الرابع) أن يكون قوله من كفر بالله من بعد ايمانه شرطا مبتدأ
ويحذف جوابه لان جواب الشرط المذكور بعده يدل على جوابه كأنه قيل من كفر بالله
من بعد ايمانه فدلهم غضب من الله الامن أكره ولكن من شرح بالكفر صدره فدلهم
غضب من الله (المسئلة الثانية) أجمعوا على انه لا ينبغ عليه التكلم بالكفر يدل عليه
وجوه أحدها اناروينا ان بلا يصبر على ذلك العذاب وكان يقول أحد أحد روى ان
ناسا من أهل مكة فتناووا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فاجرى
كلمة الكفر على لسانه مع أنه كان بقلبه مصرا على الايمان منهم عمار وأبواه ياسر
وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم وعذوا فأما سمية فقيل ربطت بين بعيرين ووخزت
في قبلها بحربة وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين قتلوا
في الاسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكره فقتل بارسول الله ان عمارا
كفر فقال كلان عمارا لمى إيمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى
عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسح عينيه
ويقول مالك ان عادوا لك فعدا لهم بما قلت ومنهم جبرمولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر
ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (المسئلة الثالثة) قوله الامن أكره ليس

قلوبهم وسددهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون في الغفلة
اذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبير العواقب (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها
الى ما لا ينفع الا الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا) الى دار الاسلام وهم

عمار واصحابه رضى الله عنهم أى لهم بالولاية والنصر لاعلمهم كما بوجه مظاهر أعمالهم السابقة فالجار والجارور خبر لان ويجوز ان يكون خبرهما محذوف والدلالة الخبر الآتى عليه ويجوز أن يكون ذلك خبرها وتكون ان الثانية تأكيد الاولى ثم الدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لاعتبار رتبة حال الكفرة (من بعد ما فتنوا) ﴿ ٥٢٤ ﴾ أى عذبو على الارتداد وتلفظوا بما رضىهم

مع اطمئنان قلوبهم
بالإيمان وقرى على بناء
الفاعل أى عبدوا
المؤمنين كالخضر مى
أكره مولا جبراحتى
ارتد ثم أسلا وهاجرا
(ثم جاهدوا) فى سبيل الله
(وصبروا) على مشاق
الجهاد (ان ربك
من بعدها) من بعد
المهاجرة والجهاد
والصبر فهو وتصريح
بما أشعر به بناء الحكم
على الموصول من عليه
الصلاة له أو من بعد الغتة
المذكورة فهو لبيان
هدم اخلال ذلك بالحكم
(لغفور) لما فعلوا
من قبل (رحيم) بنعم
عليهم مجازاة على
ما صنعوا من بعد وفى
التعرض لعنوان الربوبية
فى الموضوعين ايماء الى علو
الحكم وفى اضافة الرب
الى ضميره عليه السلام
مع ظهور الاثر فى الطائفة
المذكورة اظهار اكمال
اللاطف به عليه السلام
واشعار بأن افاضة
آثار الربوبية عليهم

بإستثناء لان المكره ليس بكافر فلا يصح استثنائه من الكافر لكن المكره لما ظهر منه بعد الإيمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صحر هذا الإستثناء لهذه المشكلة (المسئلة الرابعة) يجب ههنا بيان الاكرام الذي عنده يجوز التلفظ بكلمة الكفر وهو أن يعذبه بعذاب لا طاق له به مثل التخويف بالقتل ومثل الضرب الشديد والايلامات القوية قال بجاهد أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أما الرسول عليه الصلاة والسلام فذمه أبو طالب وأما أبو بكر فرفعه قومته وأخذ الآخرون واليسواد روع الحديد ثم اجلسوا في الشمس فباع منهم الجهد بخر الحديد والشمس وأتاهم أبو جهل يشتمهم ويوبخهم ويشتم سمية ثم طعن الحربة في فرجها وقال الآخرون ما بالوا منهم غير بلال فأنهم جعلوا يعذبونه فيقول أحد أحد حتى ملوا فكنفوه وجعلوا في عنقه حبلا من ليف ودفعوه الى صبيانيهم يلعبون به حتى ملوه فتركوه قال عمار كنا تكلم بالاذى أرادوا غير بلال فهانت عليه نفسه فتركوه قال خباب لقد أودوا لي ناراً ما أطفاها الاودك ظهري (المسئلة الخامسة) أجهو اعلی انه عند ذكر كلمة الكفر يجب عليه أن يبزي قلبه من الرضا به وأن يقتصر على التعريضات مثل أن يقول ان محمدا كذاب ويعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يدكره على نية الاستفهام بمعنى الإنكار وهو هنا بخان (الأول) انه اذا أنجمله من أكرهه عن احضار هذه النية أولا لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقفا (البحث الثاني) اوضح المكره الامر عليه وشرح له كل أقسام التعريضات وطلب منه أن يصرح بأنه ما أراد شيئا منها وما أراد الا ذلك المعنى فههنا يتعين اما التزام الكذب واما ترك بعض النفس للقتل فمن الناس من قال بباح له الكذب ههنا ومنهم من يقول ليس له ذلك وهو الذي اختاره القاضي قال لان الكذب انما يقع لكونه كذبا فوجب أن يقع على كل حال ولو جاز أن يخرج عن القبح لرعاية بعض المصالح لم يمنع أن يفعل الله الكذب لرعاية بعض المصالح وحينئذ لا يبقى وثوق بوعد الله تعالى ولا بوعده لاحتمال انه فعل ذلك الكذب لرعاية بعض المصالح التي لا يعرفها الا الله تعالى (المسئلة السادسة) أجهو اعلی انه لا يجب عليه التكلم بكلمة الكفر وبدل عليه وجوه (أحدها) اناروينا بلال اصبر على ذلك العذاب وكان يقول أحد أحد ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما صنعت بل عظمه عليه فدل ذلك على انه لا يجب التكلم بكلمة الكفر (وثانيها) ما رى أن مسئلة الكذاب أخذ رجلين فقال لاحدهما مات قول في محمد فقال رسول الله فقال مات قول في قال أنت أيضا فخلأ وقال للآخر مات قول في محمد قال رسول الله قال مات قول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئله وجه الاستدلال بهذا الخبر من وجهين (الأول) انه سعى التلفظ بكلمة الكفر رخصة (والثاني) انه عظم

من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم أتباعه (يوم تأتي كل نفس) منصوب بحريم ﴿ حال ﴾
ومارتب عليه أوباذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين (تجادل عن نفسها) عن ذاتها تسعى
في خلاصتها بالاعتذار لايهمها شأن غيرها فقول نفسي نفسي (وتوفي كل نفس) أي تعطى، وأفيا كاملا (ما عملت)
أي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب

على المسبب اشعارا بجمال الاتصال بين الاجزى والاعمال واشار الاظهار على الاصحاح زيادة التقرير ولا بد ان باختلاف
وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد (وهم لا يظنون) لا يتقصون أجورهم أولا يعاقبون بغير موجب
ولا زاد في عقابهم على ذنوبهم (وضرب الله مثلا قرية) قيل ضرب المثل صنعه واعتقاله وقدم تحقيقه في سورة
البقرة ولا يتعدى الى الالف معقول واحد ﴿ ٥٢٥ ﴾ وانما عدى الى الاثنين لتضمينه معنى الجمل وتأخير قرينة

مع كونها مفعولا أول
لئلا يحول المفعول الثاني
بينها وبين صفتها
وما يترتب عليها اذ
الآخر عن الكل محل
بتجاذب أطراف النظم
وتجاوبها ولان تأخير
ما حقه التقديم بما يورث
النفس ترقب الورد
وتشوقا اليه لاسيما اذا
كان في المقدم ما يدعو
اليه فان المثل مما يدعو
الى المحسنة فظة على
تفاصيل أحوال ما هو
مثل فيتمكن المؤخر
عند وروده لمديها
فضل تمكن والقرينة
اما محقة في الغابر
واما مقدرة أى جعلها
مثلا لاهل مكة خاصة
أولئك قوم أنعم الله
تعالى عليهم فأبهرتهم
النعمة ففعلوا ما فعلوا
فبذل الله تعالى نعمة
نعمته ودخل فيهم أهل
مكة دخولا أوليا
(كانت آمنة) ذات أمن
من كل مخوف (مطمئنة)
لازعج أهلها مزعج
(بأنهار زرقها) أقوات

حال من أمسك عنه حتى قتل (وثانها) ان بذل النفس في تقرر الحق أشق فوجب أن
يكون أكثر ثوابا لقوله عليه السلام أفضل العبادات أحسنها أى أشقها (ورابعها) ان
الذى أمسك عن كلمة الكفر طهر قلبه وإسنانه عن الكفر أما الذى تلفظ بها فذهب ان قلبه
طاهر عنه الآن إسنانه في الظاهر قد تلطخ بتلك الكلمة الخبيثة فوجب أن يكون حال
الاول أفضل والله أعلم (المسئلة السابعة) اعلم ان الاكرام مراتب (أحدها) أن يجب
الفعل المبكر عليه مثل ما اذا أكرمه على شرب الخمر وأكل الخبز وأكل الميتة فاذا
أكرمه عليه بالسيف فهنا يجب الاكل وذلك لان صون الروح عن الفوات واجب
ولاسيل اليه في هذه الصورة الابهذا الاكل وليس في هذا الاكل ضرر على حيوان
ولافيه اهانة خلق الله تعالى فوجب أن يجب لقوله تعالى ولا تقربوا أيديكم الى التهلكة
(المرتبة الثانية) أن يصير ذلك الفعل مباحا ولا يصير واجبا ومثاله ما اذا أكرمه على التلذذ
بكلمة الكفر فهنا يجب له ولكنه لا يجب كإقراره (المرتبة الثالثة) أن لا يجب ولا يباح
بل يحرم وهذا مثل ما اذا أكرمه انسان على قتل انسان آخر أو على قطع عضو من أعضائه
فهنا يجب الفعل على الحرمة الأصلية وهل يسقط القصاص عن المبكر أم لا قال الشافعي
رحمه الله في أحاديثه يجب القصاص ويدل عليه وجهان (الاول) انه قتله بعد اعدوانا
فيجب عليه القصاص لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
(والثاني) أجبت على أن المبكر اذا قصد قتله فانه يحل له أن يدفعه عن نفسه ولو بالقتل فلما
كان توهم اقدمه على القتل بوجوب اهدار دمه فلأن يكون عند صدور القتل منه
حقيقة يصير مد مهدرا كان أولى والله أعلم (المسئلة الثامنة) من الافعال ما يقبل
الاكرام عليه كالقتل والتكلم بكلمة الكفر ومنه ما لا يقبل الاكرام عليه قيل وهو الزنا
لان الاكرام بوجوب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآفة فبحث دخل الزنا في
الوجود علم انه وقع بالاختيار لا على سبيل الاكرام (المسئلة التاسعة) قال الشافعي رحمه
الله طلاق المبكر لا يقع وقال أبو حنيفة رحمه الله يقع وحجة الشافعي رحمه الله قوله
لا اكرام في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حله على
نفي آثاره والمعنى انه لا أثره ولا عبرة به وأيضاً قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ
والنسيان وما استكرهوا عليه وأيضاً قوله عليه السلام لا طلاق في أخلاق أى اكرام فان
قالوا طلقها فتدخل تحت قوله فان طلقها فلا تحل له فالجواب لما عارضت الدلائل وجب
أن يبقى ما كان على ما كان على ما هو قولنا والله أعلم (المسئلة العاشرة) قوله وقلبه مطمئن
بالإيمان يدل على ان محل الإيمان هو القلب والذي محله القلب اما الاعتقاد واما كلام
النفس فوجب أن يكون الإيمان عبارة اما عن المعرفة واما عن التصديق بكلام النفس
والله أعلم ثم قال تعالى ولكن من شرع بالكفر صدرا أى فقهه ووسعه لقبول الكفر
واتصّب صدره على انه مفعول لشرح والتقدير ولكن من شرع بالكفر صدره وحذف

أهلها صفة ثانية لقرينة وتغيير سببها عن الصفة الاولى لما أن اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة
ثابت مستمر (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت) أى كفر أهلها (بأنعم الله) أى بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بانتشاء كد رزق وأدرع أوجع نعم كبؤس وأبؤس والمراد به نعمة الرزق
الأمن المستمر واشار جمع القلة للايدان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك

يكفران نعم كثيرة (فاذا قها الله) أى اذاق اهلها (لباس الجوع والخوف) شبه الترالجوع والخوف وضربهما المحيط بهم
باللباس الغاشي الالبس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذافة المستعارة لاطلاق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها
من اجتماع ادراكى اللامسة والدائفة على نهم الجريد فانها الشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على
الالسنه جرت مجرى الحقيقة كقول كثير * غمر الرداء اذا تبسم * صا حكا * غنقت لصخرته رقاب المال *

فان القمر مع كونه
في الحقيقة من احوال
الماء الكثير لما كان
كثير الاستعمال
في المعروف المشبه بالماء
الكثير جرى مجرى
الحقيقة فصارت
اضافته الى الرداء
المستعار المعروف بتجريد
أوشبه أثرهما وضربهما
من حيث الاحاطة بهم
والكراهة لديهم تارة
باللباس الغاشي الالبس
المناسب للخوف بجامع
الاحاطة والازوم تشبيه
معقول بحسوس
فاستعير له اسمه استعارة
تصريحية وأخرى بضم
المرابيع الملازم للجوع
الناتج من فقد الرزق
بجامع الكراهة فأومئ
اليه بأن أوقع عليه
الاذافة المستعارة
لايصال الضار المنبئة
عن شدة الاصابة بما فيها
من اجتماع ادراكى
اللامسة والدائفة
وتقديم الجوع اثنا عشر
مما ذكر من فقدان الرزق

الضمير لانه لايشكل بصدر غيره اذا البشر لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة يراد بها
المعرفة ثم قال فعليهم غضب من الله والمعنى انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك
العذاب فقال ولهم عذاب عظيم ثم قال تعالى ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة
أى رجحوا الدنيا على الآخرة والمعنى ان ذلك الارتداد وذلك الاقدام على الكفر لاجل انه
تعالى ما هداهم الى الايمان وما عصمهم عن الكفر قال افاضى المراد ان الله لا يهديهم الى
الجنة فيقال له هذا ضعيف لان قوله وان الله لا يهدي القوم الكافرين معطوف على قوله
ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فوجب أن يكون قوله وان الله لا يهدي
القوم الكافرين علة وسببا موجبا لاقدامهم على ذلك الارتداد وعدم الهداية يوم
القيامة الى الجنة ليس سببا لذلك الارتداد ولا علة له بل مساعنة ومعلولة فاضل هذا
التأويل ثم اكد بيان انه تعالى صرفهم عن الايمان فقال أو لئلا الذين طبع الله على
قلوبهم وبصائرهم وأبصارهم قال افاضى الطبع ليس يمنع من الايمان ويدل عليه وجوه
(الاول) انه تعالى ذكر ذلك في معرض المداهمة ووكلنا الواعين عن الايمان به لما
استحبوا الدنيا بتركه (والثاني) انه تعالى أسرك بين السمع والبصر وبين القلب في هذا
الطبع ومعلوم من حال السمع والبصر أن مع قد هما قد يسمع أن يكون مؤمنا فضلا عن
طبع المحبة في القلب (والثالث) وضعفهم بالعلة ومن منع من اشئ لا يوصف بأنه
غافل عنه فثبت ان المراد بهذا الطبع السمة والعلامة التي تخلقها في القلب وقد ذكرنا
في سورة البقرة معنى الطبع وانظم وأقول هذه الكلمات مع التقريرات الكثيرة ومع
الجوابات النوبة مذكورة في أول سورة البقرة وفي سائر الآيات فلا فائدة في الاعادة
ثم قال تعالى وأولئك هم الخاسرون قال ابن عباس أى عمارة اديهم في الآخرة ثم قال
لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون واعلم ان الموجب لهذا الخسران هو ان الله تعالى
وصفهم في الآيات المتقدمة بصفات سامة (الصفة الاولى) انهم استحبوا جوارحهم الله
(والصفة الثانية) انهم استحبوا العذاب الدائم (الصفة الثالثة) انهم استحبوا الحياة
الدنيا على الآخرة (والصفة الرابعة) انه تعالى حرمهم من الهداية (والصفة الخامسة)
انه تعالى طبع على قلوبهم وبصائرهم وأبصارهم (والصفة السادسة) انه جعل لهم من
العاقلة عمارة اديهم من العذاب الشديد يوم القيامة فلاجرم لايستوعق دفعها فثبت
انه حصل في حقهم هذه الصفات الستة التي كل واحد منها من أعظم الاحوال المانعة
عن الفوز بالخيرات والسعادات ومعلوم انه تعالى انما أدخل الانسان الدنيا ليكون
كالتاجر الذي يشتري بضائعه سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم
خسرانه فلهذا السبب قال لاجرهم انهم في الآخرة هم الخاسرون أى هم الخاسرون
لاغيرهم والمقصود التنبيه على عظم خسرانهم والله أعلم بقوله تعالى (ثم ان ربك للذين
هاجروا من بعد ما فتوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل

على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه أنسب بالاذافة * نفس *
أولمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وينصبه أيضا عطفا على المضاف أو اقامة
له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران
الذكة، أسند ذلك الى أهله

القرية محققا لا امر بعد اسناد الكفران اليها وإيقاع الاذاقة عليها ارادة للباغاة وفي صيغة الصيغة ايدان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة (ولقد جاءهم) من نعمة المثل جىء به اليهم ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن من اجرة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضا أى ولقد جاءهم أهل تلك القرية (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونه ﴿٥٢٧﴾ باسمه ونسبه فاخبرهم بوجود الشكر على النعمة

وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون

وما يندرون (فكذبوه)

في رسالته أو فيما أخبرهم به

بما ذكر فالقاء فصيحة وعدم

ذكره للايدان بمغاياتهم

بالتكذيب من غير تلغيم

(فاخذهم العذاب)

المستأصل لسأفهم غب

ماذا قوا نبذة من ذلك

(وهو ظالمون) أى حال

التباسهم بما هم عليه

من الظلم الذى هو كفران

نعم الله تعالى وتكذيب

رسوله غير مقلعين عنه

بماذا قوا من مقدامته

الزاجرة عنه وفيه دلالة

على تماديهم في الكفر والعناد

وتجاوزهم في ذلك كل حد

معناد وترتيب العذاب

على تكذيب الرسول جري

على سنة الله تعالى حسما

يرشد اليه قوله سبحانه

وما كنا معذبين حتى نبعث

رسولا وبه يتم التمثيل

فان حال أهل مكة سواء

ضرب المثل لهم خاصة أو

لن سارسيرتهم كافة بمحاذية

لحال أهل تلك القرية

خذوا القذة بالقذة من غير

تفاوت بينهما ولو في خصلة

نفس يجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) انه تعالى لما ذكر في الآية المقدمة حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر فذكر بسبب الخوف كلمة الكفر وحال من لم يذكرها ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن فقال ان ربك لا الذين هاجروا من بعد ما فتنوا (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر فتوا بفتح الفاء على أسناد الفعل الى الفاعل والياقون بضم الفاء على فعل مالم يسم فاعله أما وجه القراءة الأولى فأمر (الأول) أن يكون المراد أن اكبر المشركين وهم الذين آذوا اقراء المسلمين لوتابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم (والثاني) ان فتن وأفتن بمعنى واحد كما يقال مان وأمان بمعنى واحد (والثالث) ان أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانت لهم فتنة فتنوا أنفسهم وانما جعل ذلك فتنة لان الرخصة في اطهار كلمة الكفر ما زالت في ذلك الوقت وأما وجه اقراءة بفعل مالم يسم فاعله فظاهر فان أولئك المعتونين هم المستضعفون الذين جعلهم أقويا المشركين على الردة والرجوع عن ايمان فينبى تعالى انهم اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله تعالى يغفر لهم تطعمهم بكلمة الكفر (المسئلة الثالثة) قوله من بعد ما فتنوا يحتمل أن يكون المراد بافتنهم هو أنهم عندبوا ويحتمل أن يكون المراد هو أنهم خوفوا بالتكذيب ويحتمل أن يكون المراد أن أولئك المسلمين ارتدوا فالحسن هؤلاء الذين هاجروا من ادومنين كانوا بمكة ففرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نهم أسلموا وهاجروا ففزلت هذه الآية فيهم وقيل نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أسلم وحسن اسلامه وهذه الرواية انما تصح اوجعلنا هذه السورة مدينة أوجعلنا هذه الآية منها مدينة ويحتمل أن يكون المراد ان أولئك الضعفاء المعتدين تكلموا بكلمة الكفر على سبيل التقية فتقوله من بعد ما فتنوا يحتمل كل واحد من هذه الوجوه الاربعة وليس في اللفظ ما يدل على التعيين اذا عرفت هذا فنقول ان كانت هذه الآية تارة فحين أظهر الكفر فالمراد ان ذلك مما نالهم فيه وأن حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكره وان كانت واردة فيمن ارتد فالمراد ان التوبة والقيام بما يجب عليه يزيل ذلك العقاب ويحصل له الغفران والرحمة فانها في قوله من بعد ما تعود الى الاعمال المذكورة فيما قبل وهي الهجرة والجهاد والصبر أما قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فغيره ابحاث (الأول) قال الزجاج يوم منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون المعنى ان ربك من بعد ما غفر رحيم يوم تأتي بمعنى انه تعالى يعطى الرحمة والغفران في ذلك اليوم الذى يعظم احتياج الانسان فيه الى الرحمة والغفران (والثاني) أن يكون التقدير وذكرهم أو اذكر يوم كذا وكذا لان معنى القرآن العظة والانذار والتذكير (البحث الثاني) لقائل أن يقول النفس لا تكون لها نفس أخرى فامعنى قوله كل نفس تجادل

فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويخطف الناس من حولهم وما يمر بآلهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليهم ثمرات كل شئ ولقد جاءهم رسول منهم وأمر رسول بحار في ادراك سموريته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلفوا الدبور والقبول فكفروا بأنهم الله وكذبوا رسوله عليه السلام فاذا فهم الله لباس الجوع

والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعني عليهم بسبرج مسيوسف مأصابهم من جذب شديد وأزمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سربا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يعبرون على مواشيم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر مأخذهم ﴿٥٢٨﴾ من العذاب هذا والذي يقتضيه المقام ويستدعيه

حسن النظام وأما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضيق في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وأن المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب مأصابهم من الجذب ووقعة بدر فمجرد من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه (فكلا) مما رزقكم الله) مفرع على نتيجة التمثيل وصدلهم عما يودى الى مثل عاقبته والمعنى واذا قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللثام والتي أولا وآخا فافتشوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا بحق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه وكلاوا من رزق الله حال كونه (حلالا طيبا) وذروا ما تنفرتون من تحريم

عن نفسها والجواب النفس قد يراد به بدن الحى وقد يراد به ذات الشئ وحقية فتنه فالتفسير الاولى هي الجنة والبدن والثانية عبيتها وذاتها فكانت قبل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهتم شأن غيره قال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن بعضهم تفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب نفسي نفسي حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ومعنى المجادلة عندها الاعتذار عنها كقولهم هو لا اضلونا السبلا وقولاهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم قال تعالى وتوفي كل نفس ما عملت فيه محذوف والمعنى توفي كل نفس جزاء ما عملت من غير نخس ولا نقصان وقوله وهم لا يعلمون قال الواحدى معناه لا يتصورون قال القاضى هذا الآية من أقوى ما يدل على ما ذهب اليه في الوعد لانها تدل على انه تعالى يوصل الى كل أحد حقه من غير نقصان ولو انه تعالى ازال عقاب المذنب بسبب الشفاعة لم يصح ذلك والجواب لا نزاع ان ظواهر العمومات يدل على قولكم الا ان مذهبا ان التمسك بظواهر العمومات لا يفيد انقطاع وأيضا وظواهر الوعد معارضة لظواهر الوعد ثم ينافى سورة البقرة في تفسير قوله بلى من كذب سنعة وأحاطت به خطيئته ان جاب الوعد راجع على جانب الوعد من وجوه كثيرة والله أعلم بقوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف كما ذكره في هذه الآية (المسئلة الثانية) المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشئ موجودا أولا لم يكن وقد يضرب بشئ موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئا مفروضا ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فذلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها والاكتيون من المفسرين على انها مكة والأقرب انها غير مكة لانها ضربت بالملك والمكة لا يكون غير مكة (المسئلة الثالثة) ذكر الله تعالى لهذه القرية صفات (الصفة الاولى) كونها آمنة أى ذات أمن لا يفتار عليها كما قالوا ولم يروا أناجعنا حراما منا ويخطف انسان من حواهم والامر في مكة كان كذلك لان العرب كان يغرب بعضهم على بعض أما أهل مكة فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالاعظيم والشكريم واعلم انه يجوز وصف القرية بالأمن وان كان ذلك لاهلها لاجل انها مكان الأمن وطرفه والظروف من الأزمنة والامكنة توصف بأهلها كما يقال طيب وحار وبارد (والصفة الثانية) قوله مطمئنة قال الواحدى معناه انها قارة ساكنة فأهلها لا يحتاجون الى الانتقال عندها نخوف أو ضيق أقول ان كان المراد من كونها مطمئنة انهم لا يحتاجون الى الانتقال عنها بسبب الخوف فهذا هو معنى كونها آمنة وان كان المراد انهم لا يحتاجون الى

البحار ونحوها (واشكروا نعمة الله) واعرفوا حقها ولا تغافلوا بالكفران والفاء في المعنى الانتقال داخلة على الامر بالشكر وانما أدخلت على الامر بالاكل ليكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانت ذريعة الى الشكر فاشكروا نعمة الله فبأكلها حلالا طيبا وقد أدمج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا ريب

في أن هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفا بعد وقد تمهدت مبادئه وبعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحدرو من ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم لعذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع بأبأ، التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع أن ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كافة الواحدي ٥٢٩ حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين بما رزقكم

الله من الغنم مما يلبق بشأن التنزيل الجليل (ان كنتم اياه تعبدون) اي تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تقصدوا بعبادة الآلهة عبادته تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) تعليل لحل ما أمرهم بأكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمة من البحائر والسوائب ونحوها (فمن اضطر) بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك (غير باغ) اي على مضطر آخر (ولا عاد) اي متجاوز قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) اي لا يؤاخذ بذلك فأقيم سببه مقصده وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة

الانتقال عنها بسبب الضيق في هذا هو معنى قوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان وعلى كلا التقديرين فانه يلزم التكرار والجواب ان العتلاء قالوا ثلاثه ليس لها نهاية * الامن والصحة والكفاية فقوله آمنة إشارة الى الامن وقوله مطمئنة إشارة الى الصحة لان هواء ذلك البلد لما كان ملائما لمرجعتهم اطمأنوا اليه واستقروا فيه وقوله يأتيها رزقها رغدا من كل مكان إشارة الى الكفاية قال المفسرون وقوله من كل مكان السبب فيه اجابة دعوة ابراهيم عليه السلام وهو قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات ثم انه تعالى لما وصف القرية بهذه الصفات الثلاث قال فكفرت بأنعم الله الانعم جمع نعمة مثل أشد وشدة أقول ههنا سؤال وهو ان انعم جمع قلة فكان المعنى أن أهل تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من النعم فغضبها الله وكان اللانقي أن يقال انهم كفروا بنعم عظيمة لله فاستوجبوا العذاب فها السبب في ذكر جمع انقلة والجواب المقصود التنبيه بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم انقيلة لما أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى بانجاب العذاب وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الامن والطعام أئنة واغضب ثم أنعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبانغوا في ايدائه فلاجرم ساط الله عليهم البلاء قال المفسرون عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام والعظم والنظام والخوف فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث اليهم السرايا فيعبرون عليهم ونقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق المباس قال ابن الاعرابي لا بأس ولا بأس بأبيها النسباس هب انك تذكر ان محمدا ما كان نبيا أما كان عربيا او كان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الآية وهو ان المباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب أن يقال فكساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع وأقول جوابه من وجوه (الاول) ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان (أحدهما) أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يذوقون الجوع (والثاني) ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فاشبه المباس فالحاصل انه حصل في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله تعالى كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (الوجه الثاني) ان تقدير ان الله عرفها لباس الجوع والخوف لأنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة وأصل الذوق بالغم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف وهو الاختيار تقول نالظر فلا يذوق ما عنده قال الشاعر

ومن يذوق الدنيا فاني طعمتها * وسبق اليها عذبتها وعذابها
ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال فيكمال تقول تعرفت سوء اثر الخوف والجوع على فلان كذلك

الامام في كاسباع ٦٧ خا والجر الاهلية ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تأكلوا مما يقتل في سبيل الله أو مات أي لا تقولوا في شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرم في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا

ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي اوقباس مبنى عليه (الكذب) منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى (هذا حلال وهذا حرام) يدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على ارادة القول أى لا تقولوا لما تصف أستنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من السنتهم أى قائله هذا حلال الخ ويجوز أن ينصب الكذب نحو ٥٣٠ يتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام

للتعليل وما مصدرية
أى لا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام اوصف
السنتكم الكذب أى
لا تقولوا ولا تحرموا ولا مجرد
وصف السنتكم الكذب
وتصور برهاله بصورة
منحسنة وتزينهاله
في السامع كأن السنتهم
لكونها منسالة الكذب
ومشعلا للزور شخص عام
بكنهم وبحيط حقيقة
بصفه للناس ويعرفه
أوضح وصف وأبين
تعريف على طريقة
الاستعارة بالكناية كما
يقال وجهه بصف
الجمال وعينه بصف
السكر وقرى بالمرصنة
لما مع مدخولها كانه قبل
لوصفها الكذب معنى
الكاذب كقوله تعالى
يدم كذب والمراد با وصف
وصفها البهائم بالحل
والحرمة وقرى الكذب
جمع كدوب بالرفع صفة
للاستعارة بالنصب على
الذم أو بمعنى النكاه
الكواذب أو هو جمع
الكذاب من قولهم

يجوز أن تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان (والوجه الثالث) أن يحمل لفظ
اللباس على الماسة فصارت التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى
بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم حين كذبوه
وأخرجوه من مكة وهما بقتله قال القراءون نقل بما صنعت ومثله في القرآن كثير ومنه
قوله تعالى فجاءها بأنا بياتا أو هم قائلون ولم يقل قائله وتحديق الكلام انه تعالى وصف
القرية بأنها مطحنة بأنها رزقها رغدا فذكرت بأنهم الله فكل هذه الصفات وإن
أجريت بحسب اللفظ على القرية لأن المراد في الحقيقة أهلها فلا جرم قال في آخر الآية
بما كانوا يصنعون والله أعلم * قوله تعالى (وقد جاءهم رسول منهم فكذبوه وأخذهم
العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واسكروا نعمت الله إن كنتم إياه
تعبدون) اعلم أنه تعالى لما ذكر المثل ذكر المثل فقال وقد جاءهم بمن أهل مكة رسول منهم
يعنى من أنفسهم يعرفونه بأصله ونسبه فكذبوه فأخذهم العذاب قال ابن عباس رضى
الله عنه هما معنى الجوع الذي كان بيكم وقيل القيل يوم يدروا قول ابن عباس أولى لأنه
تعالى قل بعد فكلوا مما رزقكم الله إن كنتم إياه تعبدون يعنى أن ذلك الجوع إنما كان
بسبب كفرهم فتركوا الكفر حتى يأكلوا فلهذا السبب قل فكلوا مما رزقكم الله قال
ابن عباس رزقهم الله فكلوا يا مشركي مما رزقكم الله بدم الغنائم وقال الكلبي
إن رؤساء مكة فلما رسل الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقاوا عادت الرجال فبال
المسئون والصبيان وكانت ليلة فدمعت عنهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن
في حل الضعفاء إليهم فجعل أيهم الضعفاء فقال الله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
وأقول ما قل ابن عباس رضى الله عنهم ما يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية المنع
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل الآية يعنى أنكم لما أنتم وتركنتم النكاح فكلوا
الحلال الطيب وهو الخنزير وتركوا الحلال وهي الميتة والدم * قوله تعالى المنع
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من أضطر غير باع وما عاد قال الله غفور
رحيم (اعلم أن هذه الآية نى آخرها مذكورة في سورة البقرة مفسرة هناك ولا فائدة في
الاطاعة وأقول انه تعالى حصر المحرمات في هذه الأشياء الأربع في هذه السورة لأن لفظة
المنافيد الحصر وحصرها أيضا في هذه الآية في سورة البقرة وحصرها أيضا في سورة
فما أوجى إلى محرمات على طاعتهم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها أيضا في هذه الأربع
في سورة البقرة لأن هذه الآية بهذه اللفظة وردت في سورة البقرة وحصرها أيضا في سورة
المائدة فانه تعالى قال في أول هذه السورة أحلت لكم ميتة ما نعام الإماء على عليكم وأباح
الكل الإماء على عليهم وأجروا على أن المراد بقوله عليكم هو قوله تعالى في تلك السورة
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فذكر ثلاث الأربع المذكورة
في تلك السورة الثلاثة ثم قال والمنحفة والموقوفة والمزبدية والطبيخة وما أهل السبع

كذب كذا بذكره ابن جنى (لنفروا على الله الكذب) فإن مدار الحل والحرمة لبس الأمر الله تعالى (الا
فالحكم بالحل والحرمة استناد للتحليل والتحرير الى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام العاقبة) ان الذين
يفترون على الله الكذب) في أمر من الامور (لا يفلمون) لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها (متاع قليل)
خير مبتدأ محذوف أمر متعهم

فياهم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يكتفه كنهه (وعلى الذين هادوا)
خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين (حرمانا ما قصصنا عليك) أى بقوله تعالى حرمانا كل ذى ظفر ومن البقر
والغنم حرمانا عليهم شحومهما الآية (من قبل) متعلق بقصصنا أو بحرمانا وهو تحقيق لماسلف من حصر المحرمات
فيا فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود ﴿ ٥٣١ ﴾ وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت

عليه وانما كانت محرمة
على نوح و ابراهيم ومن
بعدهما حتى انتهى الامر
اليان (وما ظنناهم) بذلك
التحريم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) حيث
فعلوا ما عوقبوا به عليه
حسبنا على عليهم قوله
تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمانا عليهم
طيبات أحلت لهم الآية
واقعد ألقمهم الحجر قوله
تعالى كل الطعام كان
حلالا لى اسرائيل
الما حرم اسرائيل على
نفسه من قبل أن تنزل
التوراة قل فأتوا بالتوراة
فأتلوها ان كنتم صادقين
روى أنه عليه الصلاة
والسلام لما قل لهم ذلك
بهتوا ولم يجسروا أن
يخرجوا التوراة كيف
وقد بين فيها أن تحريم
ما حرم عليهم من
الطيبات لظلمهم وبغيهم
عقوبة وتشديدا أوضح
بيان وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم
في التحريم (ثم ان ر بك
الذين علموا السوء بجهالة)

الاما ذكيتهم وهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو أحد الاقسام
الداخلة تحت قوله وما أهل به لغير الله ثبت ان هذه السور الاربعة دالة على حصر
المحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيان فان سورة البقرة مدنية
وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة فمن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة
الاما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل أن نخشى عليه لان هذه السورة دلت
على أن حصر المحرمات في هذه الاربعة كان شرعا ثابتا في أول أمر مكة وآخرها أول
المدينة وآخرها والله تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعاً لا اعتذاراً وإزالة
للشبهة والله أعلم * قوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل
ولهم عذاب أليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما حصر المحرمات
في تلك الاربعة باع فينا كيد ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه
الاربعة تارة وفي نقصان عنها أخرى فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
فقد زادوا في المحرمات وزادوا أيضا في المحلات وذلك لانهم حللوا الميتة والدم ولحم
الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى فانه تعالى بين ان المحرمات هي هذه الاربعة وبين ان
الاشياء التي يقولون ان هذا حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله ثم ذكر الوعيد
الشديد على هذا الكذب وأقول انه تعالى لما بين هذا الحصر في هذه السور الاربعة ثم ذكر
في هذه الآية ان الزيادة عليها ونقصان عنها كذب وافتراء على الله تعالى وموجب
للعقوبة الشديدة علمنا انه لا مريد على هذا الحصر والله أعلم (المسئلة الثانية) في ان تصاب
الكذب في قوله لما تصف ألسنتكم الكذب وجهان (الاول) قال النكسائي والزجاج
ما مصدر يذ والتقدير ولا تقولوا لأجل وصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
نظيره أن يقال لا تقولوا للكذاب كذا وكذا فان قوا حلال الآية عليه يؤدى الى التكرار
لان قوله تعالى افتروا على الله الكذب عين ذلك والجواب ان قوله لما تصف ألسنتكم
الكذب ليس فيه بيان كذب على الله تعالى فأعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليحصل
فيه هذا البيان الزائد ونظيره في القرآن كثيرة وهو انه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه
مع فائدة زائدة (الثانى) ان تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا الذى تصف ألسنتكم
الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظه ليكون معلوما (المسئلة الثالثة) قوله
تعالى تصف ألسنتكم الكذب من فصح الكلام وبلغه كان ماهية الكذب وحقيقته
مجهولة وكلامهم الكذب يكشف حقيقة الكذب بوضوح ماهية وهذا ما لفته في وصف
كلامهم بكونه كذبا ونظيره قول أبى العلاء المعرى
سرى برق المعرة بعد وهن * فثبت برامة يصف الكلالا

اى بسبب جهالة أو متنبسين بها ليعلم الجاهل بالله وبعاقبه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله تعالى وغيره (ثم اتوا من بعد ذلك) اى من بعد ما عملوا ما علموا والتصریح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة
(وأصلحوا) اى أصلحوا أعمالهم وأدخلوا في الصلاح (ان ر بك من بعد)

التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفعلنا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازها والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى صميمه عليه السلام مع ظهور الارضي الثانيين للايمان الى ان افاضة انوار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر (ان ابراهيم كان أمة) على حباله لحبازته ﴿٥٣٢﴾ من الفضائل البشرية ما لا يتكاد توجد الا منفردة

في أمة جمة حسبا قيل
 * ليس على الله بمستنكر *
 أن يجمع العالم في واحد *
 وهو رئيس أهل التوحيد
 وقدة أصحاب التحقيق
 جادل أهل الشرك
 وأقمهم الحجر بينات
 باهرة لا تبقى ولا تذر
 وأبطل مذاهبهم الزائفة
 بالبراهين القاطعة والجليج
 الدامغة أولانه عليه
 السلام كان مؤمنا واحدا
 والناس كلهم كفار وقيل
 هي فعلة بمعنى مفعول
 كإرحله والخبرة من أمة
 اذا قصدها واقتدى به
 فان الناس كانوا
 يقصدونه ويقتدون
 بسيرته لقوله تعالى اني
 جاعل لك للناس اماما
 ويراذكرك عليه السلام
 عقيب تزييف مذاهب
 المشركين من الشرك
 والاطعن في النبوة وتخريم
 ما أحله الله تعالى للإيزار
 بأن حقيقة دين الاسلام
 وبطلان الشرك وفروعه
 أمر ثابت لا ريب فيه
 (فأنت الله) مطيعا له فأما
 بأمره (حنيفا) ماثلا

والمعنى ان سرى ذلك البرق بصف الكلال فكذا هم بنا والله أعلم ثم قال تعالى لتفوتوا على الله الكذب المعنى انهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل الى الله تعالى ويقولون انه أمرنا بذلك وأظن ان هذا الالام ليس لام الغرض لان ذلك الافتراء ما كان غرضاهم بل كان لام العاقبة كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا قال الواحدى وقوله لتفوتوا على الله الكذب يدل من قوله لما تصف ألسنتكم الكذب لان وصفهم الكذب هو افتراء على الله تعالى ففسروا وصفهم الكذب بالافتراء على الله تعالى ثم أوعد المفتريين وقال ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال منافع قليل قال الزجاج المعنى منافعهم منافع قليل وقال ابن عباس بل منافع كل الدنيا منافع قليل ثم يردون الى عذاب أنهم وهو قوله ولهم عذاب أليم * قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرامنا ما فصحنا عليك من قبل وما ظنناهم ولكن كانوا أنفهم يظنون) اعلم أنه تعالى لما بين ما يحل وما يحرم لاهل الاسلام أتبعه ببيان ما خص اليهود به من المحرمات فقال وعلى الذين هادوا حرامنا ما فصحنا عليك من قبل وهو الذى سبق ذكره في سورة الانعام ثم قال تعالى وما ظنناهم ولكن كانوا أنفهم يظنون وتفسيره هو المذكور في قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرامنا عليهم طيبات أحلت لهم * قوله تعالى (ثم ان ربك للذين غموا بالسوء بحجة الهة ثم تابوا من بعدهم وأصلحو ان ربك من بعدها لغفور رحيم) اعلم أن المقصود بيان ان الافتراء على الله ومخالفة أمر الله لا يمتنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة واقتضى السوء يناول كل ما لا ينبغي وهو الكفر والمعاصي وكل من عمل بالسوء فأتى به بالجهالة أما الكفر فلان أحدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرافاته ما لم يعتقد كون ذلك المذهب حقا وصدا فافاته لا يختاره ولا يرضيه وأما المعصية فلم تصر الشهوة غالبية لاعتل والعلم لم تصدر عنه تلك المعصية فثبت ان كل من عمل بالسوء فأتى به بالجهالة فقال تعالى اتا قبا لنا في تهديد أو تلك الكفار الذين يحللون ويحرمون بمقتضى الشهوة والغريزة على الله تعالى ثم اتابع ذلك بقول ان ربك في حق الذين عملوا بالسوء بسبب الجهالة ثم تابوا من بعدهم أى من بعد تلك السبئية وقبل من بعد تلك الجهالة ثم انهم بعد ان تابوا عن تلك السيئات أصلحو أى آمنوا وأطاعوا الله ثم أعاد قوله ان ربك من بعدها على سبيل التأكيد ثم قال لغفور رحيم والمعنى انه لغفور رحيم لذلك السوء الذى صدر عنهم بسبب الجهالة وحاصل الكلام ان الانسان وان كان قد أقدم على الكفر والمعاصي دهرا ودينا وأدام مديدا فإذا تاب عنه وآمن وأتى بالأعمال الصالحة فان الله غفور رحيم يقبل توبته ويخلصه من العذاب * قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) فأتى الله حنيفا ولم يك من المشركين شاكر الانعمه اجتهاد وهداية الى صراط مستقيم وأتينا في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين

عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال (ولم يك من المشركين) في أمر من امورد دينهم * ثم * أصلا وفرعاً صرح بذلك مع ظهوره لاردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على ملة أبينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزيرابن الله في افتراءهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان

على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينظم أمر ابراهيم والتحرير والسبب سابقا ولاحقا (شاكرا لا نعمة) صفة ثالثة لامة وانما أوثر صيغة جمع القلة للايدان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة والتعصير يحكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنهم الله تعالى حسبما بين ذلك ﴿ ٥٣٣ ﴾ بضرب المثل (اجتنابه) للشوة (وهذا الى صراط مستقيم) موصل اليه

سبحانه وهو ملة الاسلام
وليست نعمة هذه
الهداية بجزاها نعمة
عليه السلام بل مع
ارشاد الخلق أيضا
بمعونة قرينة الاجتنابه
(وأيتائه في الدنيا حسنة)
حالة حسنة من الذكر
الجميل والثناء فيما بين
الناس قاطبة حتى انه
ليس من أهل دين
الا وهم يتولونه وقيل
هي الخلة والنبوة وقيل
قول المصلي منا كما صليت
على ابراهيم والاتفات
الى التكلم لظاهر كمال
الاعتناء بشأنه وتقدير
مكانه عليه الصلاة
والسلام (وانه في الآخرة
لن الصالحين) أصحاب
الدرجات العالية في
الجنة حسبما ساله بقوله
وأخفى بالصالحين
واجعل لي لسان صدق
في الآخرين واجعلني
من ورثة جنة النعيم
(ثم أوحينا اليك) مع
علو طبقتك وسمرتبتك
(أن اتبع ملة ابراهيم)
اللة اسم لما شرعه الله

ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اعلم أنه تعالى لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين في أشياء منها قولهم بآيات الشركاء والانداد لله تعالى ومنها طعنهم في نبوة الانبياء والرسول عليهم السلام وقولهم لو أرسل الله رسولا لكان ذلك الرسول من الملائكة ومنها قولهم بتحليل أشياء حرمها الله وتحريم أشياء أباحها الله تعالى فلما بالغ في ابطال مذاهبهم في هذه الأقوال وكان ابراهيم عليه السلام رئيس الموحدين وقدموا الاصوليين وهو الذي دعا الناس الى التوحيد وابطل الشرك والى الشرائع والمشركون كانوا مفتخرين به معترفين بحسن طريقته مقررين بوجوب الاقتداء به لاجرم ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة وحكى عنه طريقته في التوحيد ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك واعلم أنه تعالى وصف ابراهيم عليه السلام بصفات (الصفة الاولى) انه كان أمة وفي تفسيره وجوه (الاول) انه كان وحده أمة من الامم لاكماله في صفات الخير كقوله

ليس على الله مستنكر * أن يجمع العالم في واحد

(الثاني) قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا فلهذا المعنى كان وحده أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحده (الثالث) أن يكون أمة فملة بمعنى مفعول كآر حلة والغبية فالامة هو الذي يؤتم به ودليله قوله اني جاءك الناس اماما (الرابع) انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت أمة ممتازين عن سواهم بالتوحيد والدين الحق ولما جرى مجرى السبب لحصول تلك الامم سمى الله تعالى بالامة اطلاقا فالاسم السبب على السبب وعن شهر بن حوشب لم يبق أرض الا وفيها أربع عشرة يدفع الله بهم عن أهل الأرض الا زمن ابراهيم عليه السلام فانه كان وحده (الصفة الثانية) كونه قائما لله والقائم هو القائم بما أمره الله تعالى به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه كونه مطيعا لله (الصفة الثالثة) كونه حنيفا والحنيف المائل الى الله الاسلام ميلا لا يزول عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما انه أول من اختلق وأقام مناسك الحج وضحى وهذه صفة الحنيفية (الصفة الرابعة) قوله ولم يك من المشركين معناه انه كان من الموحدين في الصغر والكبر والذي يقرر كونه كذلك ان اكثر همته عليه السلام كان في تفرير علم الاصول فذكر دلائل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله ربى الذي يحيى ويميت ثم أبطل عبادة الاصنام والنكواك بقوله لأحب الألقين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن ألقوه في النار ثم طلب من الله أن يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمانينة ومن وقف على علم القرآن علم أن ابراهيم عليه السلام كان غارقا في بحر التوحيد (الصفة الخامسة) قوله شاكر لا نعمة روى أنه عليه السلام كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فاظهروا أن بهم

تعالى اعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من أمثال الكتاب اذا أمليته وهو الدين بهينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقبله ويعمل به يسمى ديننا قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لاتضاف الى النبي عليه السلام ولانكاد توجد مضافة الى الله سبحانه

هو إلى أحاد الإله ولا يستعمل إلا في جملة الشرائع دون أحادها والمراد بملكه عليه السلام الذي عبر عنه انفاً بالصراط المستقيم (حينئذ) حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فقد بذلك من قبل رأيت وجهه هند قائمة والمأمور به الاتباع في الأصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار وما في ثم من التراضي في الرتبة للإيدان بأن هذه النعمة من أجل النعم ﴿ ٥٣٤ ﴾ انما نضنه عليه السلام (وما كان

من المشركين) تكرر لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير التزامه عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تعالى (انما جعل السبت) أي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النبي الكلي وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحاً في كلياته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الاسلام وأن ابراهيم عليه السلام كان محافظاً عليه أي ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائره التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لئلا يسيئوا بعد مدة طويلاً ویراد الفعل مبنيًا للمفعول جرى على سنن الكبرياء

علة الجذام فقال الآن يجب على مؤاكلتكم فلو لا عزيتكم على الله تعالى لما ابتلاكم بهذا البلاء * فان قيل لفظ الأثم جمع فله ونعم الله تعالى على ابراهيم عليه السلام كانت كثيرة فلم قال شاكرًا لأنعمه * قلنا المراد انه كان شاكرًا لجمع نعم الله ان كانت قليلة فكيف الكثيرة (الصفة السادسة) قوله اجتبه أي اصطفاه للنبوة والاجتبا هو أن تأخذ الشيء بالكلية وهو افعال من جيب وأصله جمع الماء في الحوض والجساية هي الحوض (الصفة السابعة) قوله وهادوا إلى صراط مستقيم أي في الدعوة إلى الله والتزيب في الدين الحق وانتفاء عن الدين الباطل نظيره قوله تعالى وإن هذا صراطي مستقيم فأتبعوه (الصفة الثامنة) قوله وآتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة ان لله حبيبه إلى كل الخلق فكل أهل الأديان يقررون به أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر العرب فلا يقررونهم إلا به وتحقيق الكلام ان الله أجاب دعاءه في قوله واجعل لي آية صدق في الآخرين وقال آخرون هو قول المصلي منا كما صلبت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل الصدق والوفاء والعبادة (الصفة التاسعة) قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين فان قيل لم قل وانه في الآخرة لمن الصالحين ولم يقل وانه في الآخرة في أعلى مقامات الصالحين قلنا لانه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين فقال هبنا وانه في الآخرة لمن الصالحين تنبيهها على أنه تعالى أجاب دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا ينفى أن يكون في أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين ذلك في آية أخرى وهي قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء واعلم أنه تعالى لما وصف ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة قال ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حينئذ وفيه مباحث (البحث الأول) قال قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على شريعة ابراهيم عليه السلام وليس له شرع هو به منفرد بل المقصود من بعثته عليه السلام احياء شرع ابراهيم عليه السلام وعول في اثبات مذهبه على هذه الآية وهذا القول ضئيف لانه تعالى وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين فلما قال واتبع ملة ابراهيم كان المراد ذلك فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم اتبع الملة التي للشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حل قوله أن اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المناصرة فيها قلنا يحتمل أن يكون المراد الأمر باتباعه في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة ویراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن (البحث الثاني) قال صاحب الكشاف لفظه ثم في قوله ثم أوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والإيدان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة وأجل ما أوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد هذا الوصف في المرتبة عن سائر المدائح

وايدان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الاستناد إلى الغير وقد فسر على البناء للفاعل وانما ﴿ التي ﴾ عبر عن ذلك بالاجل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت (على الذين اختلفوا فيه) للإيدان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدى إلى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع

اشاره على ما أمر الله تعالى به واخبار العكس لكن لا باعتبار تحمل العلية لطرفي الاختلاف ولجزم الغائلة للفر يقين بل باعتبار
حال منشأ الاختلاف من الطرفين المتخالفين وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام أمر اليهود أن يجعوا في الأسبوع
يوما واحدا للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا زيد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات
والارض وهو السبت الا شدة منهم قد رضى بالجمعة * ٥٣٥ * فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم

الصيد فيه فأطاع أمر
الله تعالى الراضون
بالجمعة فكانوا الا بصيدون
وأعقابهم لم يصبروا عن
الصيد فسخهم الله
سبحانه فردة دون أولئك
المطيعين (وان ربك
لبحكم بينهم) اي بين
الفر يقين المختلفين فيه
(يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون) اي يفصل
ما بينهم من الخصومة
والاختلاف فيجازي
كل فريق بما يستحقه
من الثواب والعقاب
وفيه ايماء الى أن ما وقع
في الدنيا من مسخ
أحد الفريقين وانجاء
الآخر بالنسبة الى ما
سيقم في الآخرة شيء
لا يعتد به هذا هو الذي
يستدعيه العجاز الترتيلي
وقيل المعنى انما جعل
وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه
اي أحلوا الصيد فيه تارة
وحرّموا أخرى وكان
حكما عليهم أن يتفقوا
على تحريمه حسب أمر الله
سبحانه وبفسر الحكم

التي مدحه الله بها * قوله تعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك
لبحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) اعلم أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه
وسلم بمناجاة ابراهيم عليه السلام وكان محمد عليه السلام اختار يوم الجمعة فهذه المناجاة
انما تحصل اذا قلنا ان ابراهيم عليه السلام كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة وعند هذا
لسائل أن يقول فلم اختار اليهود يوم السبت فأجاب الله تعالى عنه بقوله انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه وفي الآ بعد قولان (الاول) روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس رضى الله عنهما أنه قال أمرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما
واحدا وهو يوم الجمعة لا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم فأبوا أن يفعلوا ذلك وقالوا لا تريد
الا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل الله تعالى السبت لهم وشدد
عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بالجمعة فقالت النصارى لا تريد أن يكون
عيدهم بعد عيدنا وأخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهذا ان الله له فالتباس لنا فيه
تبع ليهود غدا والنصارى بعد غد اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى على الذين اختلفوا
فيه أي على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختلفوا في السبت كان
اختلافهم على نبيهم في ذلك اليوم أي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود
اختلفوا فيه فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود اتفقوا على ذلك فلا يمكن
تفسير قوله اختلفوا فيه بهذا بل الصحيح ما قدمناه فان قال قائل هل في العقل وجه يدل
على أن يوم الجمعة أفضل من يوم السبت وذلك لان أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى
خلق العالم في ستة أيام وبدأ تعالى بالخلق والتكوين من يوم الاحد وتم في يوم الجمعة فكان
يوم السبت يوم الفراغ فثابت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فمينا السبت
لهذا المذهب وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين هو يوم الاحد فجعل هذا اليوم
عبدنا فهذان الوجهان معقولان فالوجه في جعل اليوم الجمعة عيدنا قلنا يوم الجمعة
هو يوم الكمال والتمام وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم
فجعل يوم الجمعة يوم العيد أول من هذا الوجه والله أعلم (القول الثاني) في اختلافهم
في السبت أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرّموا تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا
في تحريمه على كلمة واحدة ثم قال تعالى وان ربك لبحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون والمعنى انه تعالى سيحكم يوم القيامة للحقيقين بالثواب واللعابطين بالعقاب
* قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
ان ربك هو اعلم عن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمتهدين) اعلم أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله
عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه السلام بين ان شيء الذي أمره بمناجاة فيه فقال ادع الى سبيل
ربك بالحكمة واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي

بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالاحلال تارة والتحريم أخرى ووجه أراد ههنا بأنه أراد به انداز المشرّكين من
مخطأ الله تعالى على العصاة والمتخالفين لا وامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم
تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حدث المسخ للانداز المذكور

بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم بتابع له ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليهما من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فامل (ادع) اي من بعث اليهم من الامة قاطبة فمخذف المفعول لتعميم او افعال الدعوة كما في قولهم يعطى و يمنع أى يفعل الاعطاء والمنع فمخذوفه للفصل الى ايجاد نفس الفعل اشعاراً بان عموم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه ﴿ ٥٣٦ ﴾ مخصوص (الى سبيلك) الى الاسلام الذى عبر عنه تارة بالصراط

الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الاحسن وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل فى آية أخرى فقال ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقاً متقابلة متباعدة وما رأيت للمفسرين فيه كلاماً ملخصاً مضبوطاً واعلم أن الدعوة الى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة و بينة والمقصود من ذكر الحجة اما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد فى قلوب المستمعين واما أن يكون المقصود الزام الخصم وافحامه أما القسم الاول فيقسم أيضا الى قسمين لأن تلك الحجة اما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض واما أن لا تكون كذلك بل تكون حجة تعبد الظن الظاهر والافتتاح الكامل فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج فى هذه الاقسام الثلاثة (اولها) الحجة القطعية الغيدة للعتايد اليقينية وذلك هو المسمى بالحكمة وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات وهى التى قال الله فى صفاتها ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً (وثانيها) الامارات الظنية والدلائل الافتناعية وهى الموعظة الحسنة (وثالثها) الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصوم وافحامهم وذلك هو الجدل ثم هذا الجدل على قسمين (أحدهما) أن يكون دليلاً مبرهاً من مقدمات مسلمة فى المشهور عند الجمهور أو مقدمات مسلمة عند ذلك القائل وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن (والقسم الثانى) أن يكون ذلك الدليل مبرهاً من مقدمات باطلة فاسدة الا أن قائلها يحاول ترديدها على المستمعين بأسفاهاة والشغب والحيل الباطلة والطرق الفاسدة وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل انما اللائق بهم هو القسم الاول وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتى هي أحسن فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج فى هذه الاقسام الثلاثة المذكورة فى هذه الآية اذا عرفت هذا فنقول أهل العلم ثلاث طوائف الكاملون الصابون المعارف الحقيقية والعلوم اليقينية والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن الا بالدلائل القطعية اليقينية وهى الحكمة واقسم الثانى الذين تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية والمكاملة الثلاثة هؤلاء المجادلة انى تنفيذ الافحام والازام وهذا القسمان هما الطرفان فالاول هو طرف النكمال والثانى طرف التفصان وأما القسم الثالث فهو الواسطة وهم الذين ما بلغوا فى النكمال الى حد الحكماء المحققين وفى التفصان والردالة الى حد المشاغبيين المخاصمين بل هم أقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكيمية والمكاملة مع هؤلاء لا يمكن الا بالموعظة الحسنة وأدائها بالمجادلة وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون وأوسطهم عامة الخلق وهم أرباب السلامة وفيهم الكثرة والغلبة وأدنى المراتب الذين جبلوا على طبيعة المنازعة والمخاصمة فقوله تعالى ادع الى سبيل ربك

بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين (وجادلهم) اي ناظر معانديهم (بالتى هي أحسن) ﴿ بالحكمة ﴾ بالطريقة التى هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الفرق والالين واختيار الوجه الابسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغبهم واطفاءً لهبهم كما فعله الخليل عليه السلام (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذى أمر له بدعوة

الخلق اليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عان ما عان من الحكم والمواظع والمعبر (وهو اعلم بالمهتدين) اليه بذلك وهو
تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلاك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا
يرصو عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصبر امره الى الاهتداء لما فيه من خير جليل فاشرع لك في
الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فانه كاف ﴿ ٥٣٧ ﴾ في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين أو ما عليك الا ما ذكر

من الدعوة والمجادلة
بالاحسن وأما حصول
الهداية أو الضلال
والمجازاة عليهم ما قال الله
سبحانه اذ هو اعلم بمن
يبقى على الضلال وبمن
يهتدى اليه فيجأزي
كل منهما بما يستحقه
وتقديم الضالين لما أن
مساق الكلام لهم وإيراد
الضلال بصيغة الفعل
الدال على الحدوث
لما أنه تغيير لفظة الله التي
فطر الناس عليها
واعراض عن الدعوة
وذلك امر عارض بخلاف
الاهتداء الذي هو عبارة
عن الثبات على الفطرة
والجريان على موجب
الدعوة ولذلك جئ به على
صيغة الاسم النجي عن
الثبات وتكريره هو اعلم
للتأكيد والاشعار بتباین
حال المعلومين وما لهما
من العقاب والثواب وبعد
مأمره عليه الصلاة
والسلام فيما يخص به
من شأن الدعوة بما
أمر به من الوجه اللائق

بالحكمة معناه ادع الاقوياء الكاملين الى الدين الحق بالحكمة وهي البراهين القطعية
اليقينية وعوام الحق بالموعظة الحسنة وهي الدلائل اليقينية الاقناعية الظنية وتكلم
مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن الاكمل * ومن اطائف هذه الآية أنه قال
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين
لان الدعوة ان كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة وان كانت بالدلائل الظنية
فهي الموعظة الحسنة أما الجدل فليس من باب الدعوة بل المقصود منه غرض آخر مغاير
للدعوة وهو الالتزام والاحكام ولهذا السبب لم يقل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة والجدل الاحسن بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة
وانما الغرض منه شيء آخر والله اعلم واعلم أن هذه المباحث تدل على انه تعالى أدرج
في هذه الآية هذه الاسرار العالمة الشريفة مع أن أكثر الخلق كانوا غافلين عنها فظهر
ان هذا الكتاب الكريم لا يهتدى الى ما فيه من الاسرار الا من كان من خواص
أولى الابصار ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمعنى
انك مكلف بالدعوة الى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة فاما حصول الهداية فلا يتعلق بك
فهو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين والذي عندي في هذا الباب ان جواهر النفوس
البشرية مخنقة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانيات كثيرة
الانجذاب الى عالم الروحانيات وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة
الانفتاح الى الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لا جرم يتمتع
انقلابها وزوالها فلهذا قال تعالى اشتغل أنت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية
للكل فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس الضالة الجاهلة وباشراق النفوس المشرقة
الصافية فلكل نفس فطرة مخصوصة وماهية مخصوصة كما قال فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبدل خلق الله والله اعلم * قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير لصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) في الآية مسائل (المسئلة
الاولى) قال الواحدى هذه الآية فيها ثلاثة أقوال (أحدها) وهو الذى عليه العامة ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة وقد مثلوا به قال والله لا مثلن بسبعين منهم مكانك
فنزله جبريل عليه السلام بخواتيم سورة النحل فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمسك عما أراد وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وأبي بن كعب
والشعبي وعلى هذا قالوا ان سورة النحل كلها نكية الا هذه الآيات الثلاث (واتقوا
الثاني) ان هذا كان قبل الامر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قدامى وأما القتال
مع من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وفي هذه الآية أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم

عقبه بخطاب شامل له ولن شايه فيما يعم ﴿ ٦٨ ﴾ خا الكل فقال (وان عاقبتهم) أى ان أردتم الما بقية على طريقة
قول الطبيب للمحتشمي ان أكلت فكل قليلا (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة
اطلاق اسم السبب على السبب نحو كاذبين تدان أو على تهم الشاكاة والمقصود ان يحجب مرعاة العدل مع من يخاصهم

من غير تجاوز حين مال الجدال الى القتال وأدى النزاع الى القراع فان الدعوة للمأمور بها لا تنكاد تنفك عن ذلك ثم كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في فلاة غير معهود، قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يدرون و بطلان دين استمرت عليهم آباؤهم الاولون وقد صافت عليهم الخيل وعبت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وأرتجت دونهم ابواب المباحثة ﴿ ٥٣٨ ﴾ والمحاوره وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حزة

رضي الله عنه يوم أحد قدم مثل به قال لن أظفرني الله بهم لامثل بسبعين مكانك فزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرى وان عقبتهم فعبقوا أى وان فقيمت بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير مجاوزين عنه والامروا ن دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز ولكن في تعقيده بقوله وان عاقبتهم حث على العقوة بضاو قد صرح به على الوجه الاكد قبيل (واثن صبرتم) اى عن المعاقبة بالمثل (لهو) اى اصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل (للاصبرين) مدحاً لهم ونساء عليهم بالصبر أو وصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم في جنس الصابرين

من العقوبة ولا يزيدوا (والقول الثالث) ان المقصود من هذه الآية نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والخبخبي وابن سيرين قال ابن سيرين ان أخذ منك رجل شيئاً فخذ منه مثله وأقول ان حل هذه الآية على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى وذلك بطرق الطعن اليه وهو في غاية البعد بل الاصول عندى أن يقال المراد انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الخلق الى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن ثم ان تلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آباؤهم وأسلابهم وبالاعراض عند الحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك بما يشوش القلوب ويوحش الصدور ويحمل أكثر السامعين على قصد ذلك الداعى بالقتل تارة وبالضرب ثانياً وبالاستم ثانياً ثم ان ذلك الحق اذا شاهد تلك السفاهات وسمع تلك المشاغبات لا بد وأن يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحققين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذى يجب حل الآية عليه فان قيل فهل تقدحون فيما روى أنه عليه السلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية قلنا لا حاجة الى القدح في تلك الرواية لاننا نقول تلك الواقعة داخله في عموم هذه الآية فيمكن التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية انما الذى يثار عن فيه انه لا يجوز قصر هذه الآية على هذه الواقعة لان ذلك يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى أمر برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب (المرتبة الاولى) قوله وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به يعنى ان رغبت في استيفاء القصاص فافذوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمه وفي قوله وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به دليل على ان الاولى له أن يفعل كما انك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه ان الاولى لك أن لا تأكله فقد كرر تعالى بطريق الرمز والتعريض على ان الاولى تركه (والمرتبة الثانية) الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نصريح بأن الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة أفضل من اقسوة والانفاع أفضل من الابلام (المرتبة الثالثة) وهو ورود الامر بالجزم بالترك وهو قوله واصبر لانه في المرتبة الثانية ذكر ان الترك خير وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالامر بالصبر ولما كان الصبر في هذا المقام شاقاً شديداً ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله أى بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلى الاصلى المفيد في حصول الصبر وفي حصول جميع أنواع الطاعات ولما ذكر هذا السبب الكلى الاصلى ذكر بعده ما هو السبب الجزئى القريب فقال ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون وذلك لان اقدام الانسان على الانتقام وعلى ازالة الضرر بالغير لا يكون الا عند هيجان الغضب

دخولاً أو ليأتم أمر عليه الصلاة والسلام صريحاً بما ندب اليه غيره تعريضاً من الصبر لانه أولى الناس ﴿ وشدة ﴾ بعرائم الامور لزيادة علمه بشؤمه سبحانه ووفور وثوقه به قبيل (واصبر) اى على ما أصابك من جهنهم من فنون الاكلام والافية وغائب من اعراضهم عن الحق بالكلمة (وما صبرك الا بالله) استثناء مغرغ من أعم الاشياء أى

وما صبرك ملاسا ومصحو بابشي من الاشياء الا بالله اى بد كرو الاستغراق في مراقبة شؤنه والتبذل اليه بمجامع الهمة وفيه من نسليته عليه الصلاة والسلام وتوون مشاق الصبر عليه وتشر يفه مالا من يدغليه أو لا بعيشته المنيعة على حكم القادة مستتبعه لمواقب حبيدة فالنسليته من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الاتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط (ولا تحزن عليهم) اى على الكافرين ﴿ ٥٣٩ ﴾ بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك تخوفلا ناس

على القوم الكافرين
وقبل على المؤمنين
وما فعل بهم والاول
هو الانسب بجزالة
النظم الكريم (ولانك
في ضيق) بالفتح وقرئ
بالكسر وهما لغتان
كاقول والقليل اى لا تكن
في ضيق صدر وخرج
ويجوز أن يكون الاول
تخفيف ضيق كهين
من هين اى في امر ضيق
(بما يمكرون) اى من مكر
هم بك فيما يستقبل فالاول
نهي عن التألم بطلوب
من قبلهم فات والثاني
عن التألم بمحذور من
جهنهم آت والنهي
عنهما مع أن انتفاءهما
من اوازم الصبر
المأمور به لا سيما على
الوجه الاول لزيادة
التأكيد واطهار كمال
العناية بشأن التسليته
والافهل يخطر ببال
من توجه الى الله سبحانه
بشرا شر نفسه متزها
عن كل ماسواه من
الشواغل شئ من
مطلوب فنهى عن الحزن

وشدة الغضب لا تحصل الا لاحد أمرين أحدهما فوات نفع كان حاصل في الماضي واليه
الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم قبل معناه ولا تحزن على قتلى أحد ومعناه ولا تحزن بسبب
فوت أولئك الاصدقاء ويرجع حاصله الى فوت النفع والسبب الثاني لشدة الغضب توفع
ضرر في المستقبل واليه الاشارة بقوله ولانك في ضيق مما يمكرون ومن وقف على هذه
الاطائف عرف أنه لا يمكن كلام أدخل في الحسن والضبط من هذا الكلام بقى في لفظ
الآية مباحث (البحث الاول) قرأ أن كثير ولائك في ضيق بكسر الضاد وفي التل مثله
والباقون بفتح الضاد في الحرفين أما الوجه في القراءة المشهورة فأمر قال أبو عبيدة
الضيق بالكسر في قوله المعاش والمساكن وما كان في القلب فانه الضيق وقال أبو عمرو
الضيق بالكسر الشدة والضيق بفتح الضاد الغم وقال القتيبي ضيق تخفيف ضيق مثل هين
وهين ولين ولين وبهذا الطريق فلاناه تصح قراءة ابن كثير (البحث الثاني) قرئ
ولا تكن في ضيق (البحث الثالث) هذا من كلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة
تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن
الضيق فيك الا أن القادة في قوله ولائك في ضيق هو أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء
المحبط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به فكانت القادة في ذكر هذا
اللفظ هذا المعنى والله أعلم (المرتبة الرابعة) قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وهذا يجري مجرى التهديد لان في المرتبة الاولى رغب في ترك الانتقام على سبيل
الرمز وفي المرتبة الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله ولئن صبرتم لهو خير
للاصبرين وفي المرتبة الثالثة امرنا بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كأنه
ذكر الوعيد في فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا عن استيقاظ الزيادة والذين هم
محسنون في ترك أصل الانتقام فان أردت أن أكون معك فكُن من المتقين ومن المحسنين
ومن وقف على هذا الترتيب عرف أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون
على سبيل الرفق والاطف مرتبة فريته ولما قال الله لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ذكر هذه المراتب الاربعة تنبيها على أن الدعوة بالحكمة والموعظة
الحسنة يجب أن تكون واقعة على هذا الوجه وعند الوقوف على هذه الاطائف يعلم
العاقل ان هذا الكتاب الكريم بحر لا ساحل له (المسئلة الثالثة) قوله ان الله مع الذين
اتقوا معيته بالرحمة والفضل والرتبة وقوله الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله تعالى
وقوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله وذلك يدل على أن كمال السعادة
للانسان في هذين الامرين أعني التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله وعبر عنه
بعض المشايخ فقال كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال الحكماء كمال
الانسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وعن هرم بن حيان انه قيل له عند
القرب من الوفاة أوص فقال انما الوصية من المال ولما لي وليكني أو صيكنم بخواتيم

بفواته أو محذور فكيف عن الخوف من وقوعه (ان الله مع الذين اتقوا) تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد
بالعبادة الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول
كلمة مومنة متوسعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرين للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع

الصابرين ونظارهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما بحثنا من مرتبة التوفى عن الشرك ومرتبة تجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعني التزهد عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبذل اليه بشرائش نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث ولايته تعالى المقرونة بيشارة قوله سبحانه ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى أن الله ولي الذين تبذلوا اليه بالكلية وتزهدوا عن كل ما يشغل سرهم عنه ﴿٥٤٠﴾ فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب

أو مجذور فضلا عن الحزن بفواته أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما أشير إليه وبه يحصل التفرغ ويوهم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر إن العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق في مقامه والافتحرد

التوفى عن المعاصي لا يكون مدار الشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار إليه ورد فيه وإنما مداره المعنى المذكور فكانه قيل إن الله مع الذين صبروا وإنما أوتر ما عليه النظم الكريم بما يقع في الحث على الصبر بالنسبة على أنه من خصائص أجل التعوت الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للشعار بأنه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فإن الله

سورة التحل (المسئلة الرابعة) قال بعضهم إن قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم له وخبر للصابرين منسوخ بآية السيف وهذا في غاية البعد لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوة الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف وأكثر المفسرين مشغوفون بشكثير القول بالنسخ ولا يرى فيه فائدة والله أعلم بالصواب قال المصنف رحمه الله تم تفسير هذه السورة ليلة اثلثا بعد العشاء الآخرة بزمان معتدل وقال رحمه الله الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعدد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعاني في غيب الغيب محصونة والاسرار فيما وراء العز مخزونة ويبد الخلق اقليل والقال والكمال ليس الا الله ذى الاكرام والجلال والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد النبي الامي وآله وصحبه وسلم

(*) سورة بنى اسرائيل عددها مائة آية وعشر آيات عن ابن عباس أنها مكية غير قوله وإن كاذب يستغفر منك من الارض الى قوله واجعل منى من ادلك سلطانا نصيرا فانها مدنيات نزلت حين جاء وفد ثقيف (*)

(*) (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله نزيه من آياتنا انه هو السميع البصير) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال التحويون سبحان اسم علم للتسبيح يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح كقولك كفرت اليقين تكفيرا وكفرا نانا وتفسيره نزيه الله تعالى من كل سوء قال صاحب النظم السبح في اللغة التباعد يدل عليه قوله تعالى ان لك في النهار سبحا أى تباعدا فعنى سبح الله تعالى أى بعده وزهه عما لا ينبغي وتما المباحث العقلية في لفظ التسبيح فذكرناها في أول سورة الحديد وقديما في لفظ التسبيح مما أخرى (أحدها) ان التسبيح يذكر بمعنى الصلاة ومنه قوله تعالى فلو أنه كان من المسبحين أى من المصلين والسجدة الصلاة النافلة وإنما قيل للمصلى مسبح لانه معظم لله بالصلاة ومزده عما لا ينبغي (وثانها) ورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله تعالى قال أوسطهم أم أقل انكم ولا تسبحون أى تستثنون وتأويله أيضا يعود الى تعظيم الله تعالى في الاستثناء بمشيئته (وثانها) جاء في الحديث لأحرق تسبحات وجهه ما أدركت من شيء قيل معناه نوره وجهه وقيل تسبحات وجهه نور وجهه الذي إذا رآه رأى قال سبحان الله وقوله أسرى قال أهل اللغة أسرى وسرى لعتان وقوله بعبده أجمع المفسرون على ان المراد محمد عليه الصلاة والسلام وسمعت الشيخ الامام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال سمعت الشيخ الامام أبالقاسم سليمان الانصارى قال لما وصل محمد صلوات الله عليه الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله تعالى اليه يا محمد يم أشرفك قال يارب بأن تنسبني الى نفسك بالعبودية

لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلام الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى ﴿فانزل﴾ انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسن الوصف المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن

تراه فانه يرثونكر بالوصول للابذان بكفابة كل من الصلبيين في ولايته سبحانه من غير ان تكون احداهما ثمة الاخرى
وايراد الاولى فعلة للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيعة راسخة لهم وتقديم التقوى
على الاحسان لما ان التخلية مقدمة على التخلية والمراد بالوصولين اما جنس المؤمنين والمحسنين وهو عليه الصلاة
والسلام داخل في زميرتهم دخولا اوليا * ٥٤١ * واما هو عليه الصلاة والسلام ومن شابهه عبر عنهم بذلك

مدحهم وثناء عليهم
بالتعظيم الجليل وفيه
رمز الى ان صنيعه عليه
الصلاة والسلام مستغنى
لاقتداء الامة به كقول
من قال لا بن عباس
رضي الله عنهما
عند التعزية
اصبر تكن بك حابر بن فائما *
صبر الرعية عند صبر الراس
* عن هرم بن حبان أنه
قيل له حين الاختصار
أوص قال انما الوصية
من المال وأوصيكم
بخواتيم سورة التخل
* عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة
التخل لم يحاسبه الله
تعالى بما أنتم عليه
في دار الدنيا وان مات
في يوم تلاحسا أو ابلته
كان له من الاجر كالذي
مات وأحسن الوصية
والحمد لله وحده والصلاة
والسلام على رسوله
وآله أجمعين
* (سورة بني اسرائيل
مائة واحد عشر
آية مكية الايات
في آخرها) *

فأنزل الله فيه سبحانه الذي أسرى بعبدته وقوله ليلا نصب على الظرف فان قيل الاسراء
لا يكون الا بالليل فامعنى ذكر الليل قلنا أراد بقوله ليلا يلفظ التذكير تغليب مدة الاسراء
وأنه أسرى به في بعض ايام من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التذكير فيه
قد دل على معنى البعضية واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة
بسنة ونقل صاحب الكشاف عن أنس والحسين أنه كان ذلك قبل البعثة وقوله من
المسجد الحرام اختلفوا في المكان الذي أسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو
الذي يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا أنا
في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين التائم واليغظان اذا تأتي جبريل بالبراق وقيل
أسرى به من دارهم هاني بنت أبي طالب والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطة بالمسجد وانتسابه وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وهذا قول الاكثرين
وقوله الى المسجد الأقصى انفقوا على أن المراد منه بيت المقدس وسمى بالأقصى
ابعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله الذي باركنا حوله قيل بالبحار والازهار وقيل
بسبب أنه مقر الانبياء ومهبط الملائكة واعلم أن كلمة الى لا انتهاء الغاية فدخل قوله الى
المسجد الأقصى أنه وصل الى حد ذلك المسجد فاما انه دخل ذلك المسجد أم لا فلا
في اللفظ دلالة عليه وقوله ليزي من آياتنا يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات
التي تدل على قدرة الله تعالى فان قالوا قوله ليزي من آياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه
الابيض الآيات لان كلمة من تفيد التبعيض وقال في حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض فلزم أن يكون معراج ابراهيم عليه السلام أفضل من
معراج محمد صلى الله عليه وسلم فلنسا الذي رآه ابراهيم ملكوت السموات والارض والذي
رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ولا شك ان آيات الله أفضل ثم قال انه هو
السميع البصير أى ان الذي أسرى بعبدته هو السميع لاقوال محمد البصير بأفعاله العالم
بكونهم ههنا خالصة عن شوائب الرماية ورونه بالصدق والصفاء فلهذا السبب خصه الله
تعالى بهذه الكرامات وقيل المراد سميع لما يقولون الرسول في هذا الامر بصير
بما يعملون في هذه الواقعة (المسئلة الثانية) اختلف في كيفية ذلك الاسراء فالاكثر
من طوائف المسلمين اتفقوا على انه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقولون
قالوا انه ما أسرى البروحه حكى عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال
ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وحكى هذا
القول ايضا عن عائشة رضي الله عنها وعن معاوية رضي الله عنه واعلم أن الكلام في هذا
الباب يقع في مقامين (أحدهما) في اثبات الجواز العقلي والثاني في الوقوع (أما المقام
الاول) وهو اثبات الجواز العقلي فنقول الحركة الواقعة في السرعة الى هذا الحد ممكنة
في نفسها والله تعالى قادر على جميع الممكنات وذلك يدل على أن حصول الحركة في هذا

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (سبحان الذي أسرى بعبدته) سبحان علم لا تسبيح كعثمان للرجل وحيث كان السبي
معنى لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد الماركة أو حاتم طي وانتصابه بفعل متروك
الاظهار تغديره أسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على انه يميزه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح
الذي هو الذهاب والاعاد في الارض ومنه فس

سبح أي واسع الجري ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كعقران بمعنى التزهد فبِهِ مبالغة من حيث إضافة التزهد إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تزهد بذاته وتعالى ﴿٥٤٢﴾ والأسراء السير بالليل خاصة كالسري وقوله

تعالى (لَيْلًا) لإفادة قلة زمان الأسراء لما فيه من التذكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالة على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلًا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليلي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ماذا قلت سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السيرة جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل أي بعضه وإشارة لفظ العبد للأيدي أن يتحضره عليه الصلاة والسلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الثابتة حسبما يلوح به مبدأ الأسراء ومنها وإضافة التزهد أو التزهد إلى الوصول المذكور للإشارة بعلية ما في حيز الصلاة للمضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته

الحد من السرعة غير ممتنع ففتقر ههنا إلى بيان مقدمتين (المقدمة الأولى) في اثبات أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ويدل عليه وجوه (الأول) أن القطار الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من نصف الدور وقد ثبت في الهندسة أن نسبة القطر الواحد إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع فليزمن أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع وبتقدير أن يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى مافوق القطار الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر فلما حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالأمكان فهذا برهان قاطع على أن الارتقاء من مكة إلى مافوق العرش في مقدار ثلث من الليل أمر ممكن في نفسه وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالأمكان والله أعلم (الوجه الثاني) وهو أنه ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الأرض مائة وستين وكذا مرة ثم إننا نشاهد أن طلوع القرص يحصل في زمان أطيف سريع وذلك يدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى الحد المذكور أمر ممكن في نفسه (الوجه الثالث) أنه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم إلى مافوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم الناطيف الروحاني من فوق العرش إلى مركز العالم فإن كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الواحدة ممتمعا في العقول كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتمعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة فثبت أن القائلين بامتناع حصول حركة سريعة إلى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام في اللحظة من العرش إلى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكره أيضا باطلا فإن قالوا نحن لانقول أن جبريل عليه الصلاة والسلام جسم ينقل من مكان إلى مكان وإنما نقول المراد من نزول جبريل عليه السلام هو نزول الخجب الجسماني عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمجاهدات بعض ما كان حاضرا متجلبيا في ذات جبريل عليه الصلاة والسلام فلنا تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء فما جمهور المسلمين فهم مقررون بأن جبريل عليه الصلاة والسلام جسم وإن نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الأفلاك إلى مكة وإذا كان كذلك كان الإلزام المذكور قويا يروى أنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر قصة المعراج كذب الكلب وذهبوا إلى أبي بكر وقالوا له إن صاحبك يقول كذا وكذا فقال أبو بكر إن كان قد قال ذلك فهو صادق ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل فكلما ذكر شيئا قال أبو بكر صدقت فلما تم الكلام قال أبو بكر أشهد أنك رسول الله حقا فقال له الرسول وأنا أشهد أنك الصديق حقا وحاصل الكلام أن أبا بكر

وبالغ حكمته ونهاية تزهد عن صفات المخلوقين (من المسجد الحرام) اختلف في مبدأ الأسراء فقيل ﴿رضي﴾ هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين التأم واليقظان إذا تأتي جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ ثبت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لا محاطته بالمسجد والتناسه

أولان الحرم كله مسجد فانه زوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبث بثوبه عليه الصلاة والسلام لتمتعه خشية أن يكذبه القوم قال عليه الصلاة والسلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه أبو جهل فأخبره صلى الله عليه وسلم بمحدث الاسراء فقال أبو جهل بامعشر ٥٤٣ كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فحن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا

وارتد ناس ممن كان آمن به
وسعى رجال الى أبي بكر
فقال ان كان قال ذلك
لقد صدق قالوا
أنه صدقه على ذلك
قال اني أصدقه على بعد
من ذلك فسمى الصديق
وكان فيهم من يعرف بيت
المقدس فاستمتعوا المسجد
فخلى له بيت المقدس
فطفق ينظر اليه
ويبتهج لهم فقالوا ما النعت
فقد أصاب فقالوا أخبرنا
عن غيرنا فأخبرهم
بعدد رجالها وأحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها
جل أورك فخرجوا
يشدون ذلك اليوم
نحو اثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس
قد اشرقت فقال آخر
هذه والله العير قد أقبلت
يقدمها جل أورك
كما قال محمد ثم لم يؤمنوا
فانهم الله أنى يؤفكون*
واختلف في وقته أيضا
فقبل كان قبل الهجرة
بسته وعن أنس والحسن

رضي الله عنه كائنه قال لما سأت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف أكذبه في هذا (الوجه الرابع) ان أكثر باب الملل والنحل يسلمون وجود ابليس ويسلمون انه هو الذي يتولى اقاء الوسوسة في قلوب بني آدم ويسلمون انه يمكنه الانتقال من المشرق الى المغرب لاجل اقاء الوسوسة في قلوب بني آدم فلما سلوا جواز مثل هذه الحركة السريعة في حق ابليس فلا ينبغي يسلموا جواز مثلها في حق أكابر الانبياء كان أولى وهذا الاقدام قوى على من يسلم ان ابليس جسم ينتقل من مكان الى مكان أما الذين يقولون انه من الارواح الخبيثة الشريرة وانه ليس بجسم ولا جسماني فهذا الاقدام غير وارد عليهم الآن أكثر أرباب الملل والنحل يوافقون على انه جسم لطيف متقل فان قالوا هب ان الملائكة والشياطين يصم في حقهم حصول مثل هذه الحركة السريعة لانهم أجسام لطيفة ولا يتمتع حصول مثل هذه الحركة السريعة في ذواتها أما الانسان فانه جسم كشف فكيف يعقل حصول مثل هذه الحركة السريعة فيه قلنا نحن انما استدللنا بأحوال الملائكة والشياطين على ان حصول حركة منتهية في السرعة الى هذا الحد يمكن في نفس الامر وأما بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها كانت أيضا ممكنة الحصول في جسم البدن الانساني فذا المقام آخر سياتي تقريره ان شاء الله تعالى (الوجه الخامس) انه جاء في القرآن ان الريح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام الى المواضع البعيدة في الاوقات القليلة قال تعالى في صفة مسير سليمان عليه الصلاة والسلام غدوها شهر ورواحها شهر بل نقول الحس يدل على ان الريح تنقل عند شدة هبوبها من مكان الى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة وذلك أيضا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة (الوجه السادس) ان القرآن يدل على ان الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن الى أقصى الشام في مقدار لمح البصر بدليل قوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد اليك طرفك واذا كان يمكننا في حق بعض الناس علمنا أنه في نفسه ممكن الوجود (الوجه السابع) ان من الناس من يقول الحيوان انما يبصر بالبصرات لاجل ان الشعاع يخرج من عينه ويتصل بالبصر ثم اننا اذا فتحنا العين ونظرنا الى رجل رأيناه فعلى قول هؤلاء انتقل شعاع العين من أبصارنا الى رجل في تلك اللحظة اللطيفة وذلك يدل على أن الحركة الواقعة على هذا الحد من السرعة من الممكنات لامن المنعاعات فثبت بهذه الوجوه ان حصول الحركة المنتهية في السرعة الى هذا الحد أمر ممكن الوجود في نفسه (المقدمة الثانية) في بيان ان هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممنا والذى يدل عليه اننا بينا بالدلائل القطعية ان الاجسام متماثلة في تمام ما هياتها فلما صح حصول مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام وجب امكان حصولها في سائر الاجسام وذلك بوجوب العظم بأن حصول مثل هذه الحركة في جسد محمد صلى الله

أنه كان قبل البعثة واختلف أيضا أنه في اللحظة أوفى المنام فعن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الاقويل بخلافه والحق أنه كان في المنام قبل البعثة وفي اللحظة بعدها واختلف أيضا أنه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية أنه قال لما خرج بروحه والحق انه كان

جسمانيا على ما ينبغي عنه التصدير بالتزني به وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش وأحاليه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها الما في أقل من ثانية ٥٤٤ ٥٤٥ وقد تقرر أن الاجسام متساوية في قبول

الاعراض التي من جاتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به خبطة الامكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسده النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يحمله ولولم يكن مستبعدا لم يكن معجزة (الى المسجد الأقصى) اى بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه معجزة وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى (الذى باركنا حوله) بركات الدين والديانة لانه مهبط الوحي ومقعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (العزيز) غاية للاسراء (من آياتنا) العظيمة التي من جاتها ذهابه في رهقة من الليل مسيرة شهر ولا يندرج في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والاتفات الى التكلم لتعظيم تلك

عليه وسلم أمر ممكن الوجود في نفسه واثبت هذا فنقول ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت أن حصول الحركة الباقية في السرعة الى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن فوجب كونه تعالى قادرا عليه وحينئذ يلزم من مجموع هذه المقدمات ان القول بنبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه أقصى ما في الباب أنه يبقى التعجب الآن هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات فانقلاب العصا ثيابا يتبع سبعين ألف جبل من الجبال والعصى ثم تعود في الحال عصا صغيرة كما كانت أمر عجيب وخروج الناقة العظيمة من الجبل الاصم واظلال الجبل العظيم في الهواء عجيب وكذا القول في جميع المعجزات فان كان مجرد التعجب يوجب الانكار والدفع زعم الجرم بفساد القول باثبات المعجزات واثبات المعجزات فرع على تسليم أصل النبوة وان كان مجرد التعجب لا يوجب الانكار والابطال فكذا ههنا فهذا تمام القول في بيان ان القول بالمعراج ممكن غير متمم والله أعلم (المقام الثاني) في البحث عن وقوع المعراج قال أهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الأقصى القرآن والخبر أما القرآن فهو هذه الآية وتقرير الدليل ان العبد اسم لمجموع الجسد والروح فوجب أن يكون الاسراء حاصلًا لمجموع الجسد والروح واعلم ان هذا الاستدلال موقوف على أن الانسان هو الروح وحده أو الجسد وحده أو مجموع الجسد والروح أما الفاسقون بأن الانسان هو الروح وحده فقد احتجوا عليه بوجوه (أحدها) ان الانسان شئ واحد باق من أول عمره الى آخره والاجزاء البدنية في السند والغير والانتقال والباقي غير متبدل فالانسان مغاير لهذا البدن (وثانيها) ان الانسان قد يكون عارفا بذاته المخصوصة حال ما يكون غافلا عن جميع أجزائه البدنية والمعلوم مغاير للمعقول عنه فالانسان مغاير لهذا البدن (وثالثها) ان الانسان يقول بمقتضى فطرته السليمة يدي ورجلي ودماعى وقلبي وكذا القول في سائر الاعضاء فيضيف كلها الى ذاته المخصوصة والمضاف غير المضاف اليه فذاته المخصوصة وجب أن تكون مغايرة لكل هذه الاعضاء فان قالوا أليس أنه يضيف ذاته الى نفسه فيقول ذاتي ونفسي فليزعمكم أن تكون نفسه مغايرة لذاته وهذا محال قلنا نحن لا ننسك بمجرد اللفظ حتى يلزمنا ما ذكرتموه بل انما ننسك بمحض العقل فان صريح العقل يدل على أن الانسان موجود واحد وذلك الشئ الواحد بأخذ بآلة اليد وببصر بآلة العين ويسمع بآلة الاذن فالانسان شئ واحد وهذه الاعضاء آلات له في هذه الافعال وذلك يدل على أن الانسان شئ مغاير لهذه الاعضاء والآلات فثبت بهذه الوجوه ان الانسان شئ مغاير لهذه البنية ولهذا الجسد اذ ثبت هذا فنقول سبحانه الذي أسرى بعبد المراد من العبد جوهر الروح وعلى هذا التقدير فلم يبق في الآية دلالة على حصول الاسراء بالجسد فان قالوا فالاسراء بالروح ليس بأمر مخالف للعادة فلا يليق به

البركات والآيات وقرى لبريه بالياء (انه هو السميع) لا قوله عليه الصلاة والسلام بلاذن ٥٤٦ أن (البصير) بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به العصر فيكرمه ويقرب به بحسب ذلك وفيه ايماء الى أن اسراء المذكور ليس الا لتكرمه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والا فلا حاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والاتفات

الى الغيبة لزيمة المهابة (واتينا موسى الكتاب) أي التوراة وفيه إيمان - سورة ص - عليه الصلاة والسلام الى الطور
او ما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامر من المتحدين ﴿ ٥٤٥ ﴾ في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي عليه السلام

الى السماء وما كان فيه
مما لا يكتنه كنهه حسبا
نطقته سورة التجم
تقريباً للاسراء الى
قبول السامعين أي
آتيه التوراة بعده
ما أسري به الى الطور
(وجعلناه) أي ذلك
الكتاب (هدى لبني
اسرائيل) يهتدون بما في
مطاوله (أن لا يتخذوا)
أي لا يتخذوا نحو كبت
اليه أن افعل كذا
وقرى بالياء على أن ان
مصدرية والمعنى آتينا
موسى الكتاب لهداية
بني اسرائيل لئلا يتخذوا
(من دوني وكبلاً) أي
ربان يكون اليه أموركم
والافراد لما أن فعلاً
مفرد في اللفظ جمع في
المعنى (ذرية من حملنا
نوح) نصب على
الاختصاص أو النداء
على قراءة النهي والمراد
تأكيد الحمل على التوحيد
بتذكير انعامه تعالى
عليهم في ضمن انجاء
آبائهم من الغرق في
سفينة نوح عليه السلام
أو على أنه أحد مفعول
لا يتخذوا على قراءة

أن يقال سبحان الذي أسرى بعبده قلنا هذا أيضاً بعيد لانه لا يعد أن يقال انه حصل
لروحه من أنواع المكاشفات والمشاهدات ما لم يحصل لغيره البتة فلا جرم كان هذا
الكلام لا تغاير فيه فهاذا تقرير يروجه السؤال على الاستدلال بهذه الآية في اثبات المعراج
بالروح والجسد معاً والجواب أن لفظ العبد لا يتناول الا مجموع الروح والجسد والدليل
عليه قوله تعالى أرايت الذي ينهى عبداً اذا صلى ولا شك أن المراد من العبد ههنا مجموع
الروح والجسد وقال أيضاً في سورة الجن وانه لما قام عبداً يدعوه كادوا يكونون عليه
لبدا والمراد مجموع الروح والجسد فكذا ههنا وأما الخبر فهو الحديث المروي في الصحاح
وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السموات واحتج
المنكرون به بوجوه (أحدها) بالوجوه العقلية وهي ثلاثة أولها ان الحركة البالغة
في السرعة الى هذا الحد غير معقولة (وثانيها) ان صعود الجرم الثقيل الى السموات عبر
معقول (وثالثها) ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الافلاك وذلك محال (والشبهة
الثانية) ان هذا المعنى لو صح لكان أعظم من سائر المعجزات وكان يجب أن يظهر ذلك عند
اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه في ادعاء النبوة فاما أن يحصل ذلك في وقت لا يراه
أحد ولا يشاهده أحد فانه يكون ذلك عبثاً وذلك لا يليق بالحكيم (والشبهة الثالثة) تمسكوا
بقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس وماتلك الرؤيا الاحديث المعراج وانما
كان فتنة للناس لان كثير امن آمن به لما سمع هذا الكلام كذبه وكفر به فكان حديث
المعراج سبباً لفتنة الناس فثبت ان ذلك رؤيا رآه في المنام (الشبهة الرابعة) ان حديث
المعراج اشتمل على أشياء بعيدة منها ما روى من شق بطنه وتطهيره بما زمزم وهو بعيد لان
الذي يمكن غسله بالماء هو التجاسات العينية ولا تأثير لذلك في تطهير القلب عن العقائد
الباطلة والاخلاق المذمومة ومنها ما روى من ركوب البراق وهو بعيد لانه تعالى لما سيره
من هذا العالم الى عالم الافلاك فأى حاجة الى البراق ومنها ما روى أنه تعالى أوجب خسين
صلاة ثم ان محمد صلى الله عليه وسلم لم يزل يتردد بين الله تعالى وبين موسى الى ان عاد الخمينون
الى خمس بسبب شفقة موسى عليه الصلاة والسلام قال القاضي وهذا يقتضي نسخ الحكم
قبل حضوره وانه يوجب البداء وذلك على الله تعالى محال فثبت ان ذلك الحديث مشتمل
على ما لا يجوز قبوله فكان مردود او الجواب عن الوجوه العقلية قد سبق فلا نعيد
(والجواب عن الشبهة الثانية) ما ذكره الله تعالى وهو قوله لزيمة من آياتنا وهذا كلام
مجمل وفي تفصيله وشرحه وجوه (الاول) ان خيرات الجنة عظيمة وأهوال النار شديدة
فلو أنه عليه الصلاة والسلام ما شاهد ههنا في الدنيا ثم شاهد ههنا في ابتداء يوم القيامة قربما
رغب في خيرات الجنة أو خاف من أهوال النار أما لما شاهد ههنا في الدنيا في ليلة المعراج
فحينئذ لا يعظم وقعه ههنا في يوم القيامة فلا يبقى مشغول القلب بهما وحينئذ يتفرغ
للسفاعة (الثاني) لا يمتنع أن تكون مشاهدته ليلة المعراج للانبياء والملائكة صارت

التي ومن دوني حال من ﴿ ٦٩ ﴾ وكبلاً فيكون قوله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً وقرى
بالرفع على أنه خبر مبتدأ

مخدوف أو بديل من أو لا تتخذوا بإبدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ ذرية بكسر الذال (انه) أى ان نوحا عليه الصلاة والسلام هو ٥٤٦ (كان عبدا شكورا) كثير الشكر في مجامع

حالاته وفيه ايدان بأن
انجاء من معه كان ببركة
شكره عليه الصلاة
والسلام وحث للذرية
على الاقتداء به وزجرهم
عن الشرك الذى هو
أعظم مراتب الكفران
وقيل الضمير لموسى
عليه السلام (وقضيئا)
أى أعمنا وأحكمنا
مزين (الى بنى اسرائيل)
أو موحيين اليهم (فى
الكتاب) أى فى التوراة
فان الانزال والوحى الى
موسى عليه السلام انزال
ووحي اليهم (لتفسدن
فى الارض) جواب قسم
مخدوف ويجوز اجراء
القضاء المنحوم بجرى
القسم كأنه قيل
وأقسمنا لتفسدن (مرتين)
مصدر والعامل فيه من
غير جنسه أو لاهما
مخالفة حكم التوراة
وقتل شعيا عليه الصلاة
والسلام وحبس ارميا
حين أنذرهم بخطائهم
تعالى والثانية قتل زكريا
وبحي وقصد قتل
عيسى عليه الصلاة
والسلام ولتعلن علوا
كبيرا) لتستكبرن عن

سبب التكمال مصالحة أو مصالحةهم (الثالث) أنه لا يعد انه اذا صعد الفلاك وشاهد أحوال
السموات والكرسى والعرش صارت مشاهدة أحوال هذا العالم وأهواله حقيرة فى
عينه فتحصل له زيادة قوة فى القلب باعتبار ما يكون فى شروعه فى الدعوة الى الله تعالى
أكل وقلة التفاته الى أعداء الله تعالى أقوى بين ذلك أن من عاين قدرة الله تعالى فى هذا
الباب لا يكون حاله فى قوة النفس وثبات القلب على احتمال المنكار فى الجهاد وغيره
الاضاعاف ما يكون عليه حال من لم يعاين واعلم ان قوله ليزيه من آياتنا كالدلالة على ان
فائدة ذلك الاسراء مختصة به وعامة اليه على سبيل التبيين (والجواب عن الشبهة الثالثة)
ان عند الاتهام الى تفسير تلك الآية فى هذه السورة نبين ان تلك الروايات رواها عيان لا رؤيا
منام (والجواب عن الشبهة الرابعة) لا اعتراض على الله تعالى فى أفعاله فهو يفعل ما يشاء
وبحكم ما يريد والله أعلم (المسئلة الرابعة) أما العروج الى السموات والى ما فوق العرش
فهذه الآية لا تدل عليه ومنهم من استدل عليه بأول سورة البهم ومنهم من استدل
عليه بقوله تعالى لتركنن طبعا عن طبق وتفسير همام ذكره فى موضعه وأما دلالة
الحديث فكما سلف والله أعلم وقوله تعالى (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى
اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من جعلنا مع نوح انه كان عبدا شكورا)
فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان الكلام فى الآية التى قبل هذه الآية
وفيهما انتقل من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة لان قوله سبحانه الذى أسرى
فيه ذكر الله على سبيل الغيبة وقوله باركننا حوله ليزيه من آياتنا فيه ثلاثة أقاطد الدلالة على
الحضور وقوله انه هو السميع البصير يدل على الغيبة وقوله وآتينا موسى الكتاب الخ
يدل على الحضور وانتقال الكلام من الغيبة الى الحضور وبالـكس يسمى صنعة
الالفاظ (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى فى الآية الاولى أكرامه محمدا صلى الله عليه
وسلم بأن أسرى به وذكر فى هذه الآية أنه أكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله
بالكتاب الذى آتاه فقال وآتينا موسى الكتاب يعنى التوراة وجعلناه هدى أى يخرجهم
بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الحق وقوله
ألا تتخذوا من دونى وكيلا وفيه اثبات (البحث الاول) قرأ أبو عمرو ألا تتخذوا بالباء خبرا
عن بنى اسرائيل والباقيون ياتوا على الخطاب أى قلنا لهم ألا تتخذوا (البحث الثانى) قال
أبو على الفارسي ان قوله ألا تتخذوا فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون أن ناصبة
للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى ألا تتخذوا (وثانيها) أن تكون أن بمعنى أى التى
للتفسير وانصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب فى قراءة العامة كما انصرف منها الى
الخطاب والامر فى قوله وانطلق الملائكة منهم أن امشوا فكذلك انصرف من الغيبة الى
التهمى فى قوله ألا تتخذوا (وثالثها) أن تكون أن زائدة ويجعل تتخذوا على القول المضمر
والقدير وجعلناه هدى لبنى اسرائيل فقلنا ألا تتخذوا من دونى وكيلا (البحث الثالث)

طاعة الله سبحانه أو لغبين الناس بالظلم والعدوان وتفرطن فى ذلك افراطا مجاوز للحدود (فأجابا) قوله ﴿

وعبد أولاهما أى أولى كرتى

الافساد أى حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لمؤاخذتكم بجنابناكم (عبادنا) وقرئ عبيدنا (أولى بأس شديد) ذوى قوة و بطش في الحروب هم ﴿٥٤٧﴾ سحار يب من أهل نينوى وجنوده وقيل يختصر

عامل لهراسب وقيل جالوت (فجاسوا) أى ترددوا والطلبكم بالفساد وقرئ بالحساء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا (خلال الديار) فى اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فتولوا علماءهم وكبارهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضهم اجرت به السنة الالهية (وكان ذلك) (وعدا مفعولا) للاحالة بحيث لا صارف عنه ولا يبدل (ثم ردنا لكم) الكرة أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتهم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هى قتل يختصر واستقاذنى اسرائيل أسارا هم وأموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك أنه لما ورث يهعم ابن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب ألقى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم

قوله وكيلا أى ربنا تكونون أموركم اليه أقول حاصل الكلام فى الآية أنه تعالى ذكر تشريف محمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء ثم ذكر عقبيه تشريف موسى عليه الصلاة والسلام بانزال التوراة عليه ثم وصف التوراة بكونها هدى ثم بين ان التوراة انما كان هدى لاشتماله على النهى عن اتخاذ غير الله وكيلا وذلك هو التوحيد فخرج حاصل الكلام بعد رعاية هذه المراتب أنه لا معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا منقبة أعظم من أن يصير المرء غرقا في بحر التوحيد وأن لا يقول فى أمر من الامور الاعلى الله فان نطق نطق بذكر الله وان تفكر تفكر فى دلائل تنزيه الله تعالى وان طلب طلب من الله فيكون كله لله وبالله ثم قال ذرية من حملنا مع نوح وفى نصب ذرية وجهان (الاول) أن يكون نصبا على النداء يعنى يا ذرية من حملنا مع نوح وهذا قول مجاهد لانه قال هذنا قال الواحدى وانما يصح هذا على قراءة من قرأ بآباء كأنه قيل لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح لانه كان معه فى السفينة ثلاثة بنين سام وحام وياث فالتاس كلهم من ذرية أوثك فكان قوله يا ذرية من حملنا مع نوح قائما مقام قوله يا أيها الناس (الوجه الثانى) فى نصب قوله ذرية ان الاتخاذ فعل يتعدى الى مفعولين كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا والتقدير لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دونى وكيلا ثم انه تعالى أثنى على نوح فقال انه كان عبدا شكورا أى كان كثير الشكر روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء أجاجنى واذا شرب قال الحمد لله الذى أسقانى ولو شاء أطعانى واذا اكتسبى قال الحمد لله الذى كسبى ولو شاء أعرابنى واذا احتذى قال الحمد لله الذى حذانى ولو شاء أحفانى واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذى أخرج عنى أذى فى عافية ولو شاء حسبى وروى أنه كان اذا أراد الاضطرار عرض طعامه على من آمن به فان وجدته محتاجا أثره به فان قيل قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلنا التقدير كأنه قال لا تتخذوا من دونى وكيلا ولا تشركوا بى لان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا وانما يكون العبد شكورا لو كان موحدا لا يرى حصول شئ من النعم الا من فضل الله وأنتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح عليه السلام كأبائكم اقتدوا به والله أعلم * قوله تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) فاذا جاء وعداً ولاهما بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم ردنا لكم الكرة عليهم وامدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا اعلم انه تعالى لما ذكر انعامه على بنى اسرائيل بانزال التوراة عليهم وبانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهدوا واهتدوا بل وقعوا فى الفساد فقال وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) القضاء فى اللغة عابار عن قطع الاشياء عن احكام ومثله قوله فقضاءهن سبع سموات وقول الشاعر

فرد اساراهم الى الشام وملاك عليهم دانبال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع يختصر

وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سببت أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيرا) كما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير ﴿٥٤٨﴾ من نفرهم الرجل من قومه وقبل جمع نفر وهم

القوم المجتمعون للذهاب
الى العدو كالعبد والمعنى
(ان أحسنتم) أعمالكم
سواء كانت لازمة
لافسكم أو متعديّة
الى الغير أى عملتموها
على الوجه اللائق
ولا تصور ذلك الابد
أن تكون الاعمال حسنة
فى أنفسها أو ان فعلتم
الاحسان (أحسنتم
لانفسكم) لان ثوابها لها
(وان أسأتم) أعمالكم بأن
عملتموها لعللى الوجه
اللائق ويلزمه السوء
الذائق أو فعلتم الاساءة
(فلها) اذ عليها وبالها
وعن على كرم الله وجهه
ما أحسنتم الى احد
ولاسأت اليه ونلاها
(فاذا جاء وعد الآخرة)
حان وقت ما وعد من
عقوبة المرة الآخرة
(ليسووا وجوهكم)
متعلق بفعل حدث
لدلالة ما سبق عليه أى
بعثناهم ليسووا ومعنى
ليسووا وجوهكم ليجعلوا
آثار المساءة والكتابة
بادية فى وجوهكم كقوله
تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ

* وعليهما مسرودتان قضاهما * داود فقوله وقضيت أى علمناهم وأخبرناهم بذلك
وأوحينا اليهم واقطاعى صلة الانحاء لان معنى قضيتا أوحينا اليهم كذا وقوله لتفسدن
يريد المعاصى وخلاف أحكام التوراة وقوله فى الارض يعنى أرض مصر وقوله ولنعلن
علوا كبيرا يعنى أنه يكون استعلاؤكم على الناس بغير الحق استعلاء عظيما لانه يقال لكل
متجبر قد علا وتعظم ثم قال فاذا جاء وعداؤهما يعنى أولى المرتين بعثنا عليكم عبادا لنا
أولى بأس شديد والمعنى انه اذا جاء وعد الفساد فى المرة الاولى أرسلنا عليكم قوما أولى
بأس شديد ونجدة وشدة والباس القتال ومنه قوله تعالى وحين الباس ومعنى بعثنا عليكم
أرسلنا عليكم وخلصنا بينكم وبينهم خاذلين اياكم واختلفوا فى ان هؤلاء العباد من هم قبل
ان بنى اسرائيل تعظموا ونكبوا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء
وذلك أول انفساد بنى فلسطين عليهم فختصر فقتل منهم أربعين ألفا بنى يقرأ التوراة
وذهب بالبقية الى أرض نفسه فبقوا هناك فى الذل الى ان قضى الله ملكا آخر غراهم
بابل وانفق أن تزوج بامرأة من بنى اسرائيل فطلبت تلك المرأة من ذلك الملك أن يرد بنى
اسرائيل الى بيت المقدس ففعل و بعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى أحسن
ما كانوا فهو قوله ثم رددناكم الكفرة عليهم (والقول الثانى) ان المراد من قوله بعثنا
عليكم عبادنا ان الله تعالى ساطع عليهم جالوت حتى أهلكتهم وأبادهم وقوله ثم رددنا لكم
الكفرة هو أنه تعالى قوى طائفت حتى حارب جالوت ونصر داود حتى قتل جالوت فذاذهب
عود الكفرة (والقول الثالث) ان قوله بعثنا عليكم عبادنا هو انه تعالى ألقى الرعب من
بنى اسرائيل فى قلوب المجوس فثابت المجوس فى قلوب المجوس فى قلوب المجوس
فقصدهم وبالفوا فى قلوبهم وافتنهم واهلاكهم واعلم أنه لايتعلق كثير غرض فى معرفة
أوثك الاقوام باعيانهم بل المقصود هو أنهم لما كثروا من المعاصى ساطع عليهم أقواما
قلوبهم وأفتوهم ثم قال تعالى فجاسوا خلال الديار قال الثيب الجوس والجوسان
التردد خلال الديار والبيوت فى الفساد والخلال هو الانفراج بين اثنين والديار ديار
بيت المقدس واختلفت عبارات المفسرين فى تفسير جاسوا فمن ابن عباس فشقوا وقال
أبو عبيدة طلبوا من فيها وقال ابن قتيبة عاثوا وأفسدوا وقال الزجاج طافوا خلال
الديار هل بقى أحدهم يقتلوه قال انا واحد الجوس هو التردد والطلب وذلك محتمل لكل
ما قالوه ثم قال تعالى وكان وعدا مفعولا أى كان قضاء الله بذلك قضاء جرم احتمالا يقبل
النقض والنسخ ثم قال تعالى ثم رددنا لكم الكفرة أى أهلكتنا أعداءكم كوردنا الدولة
والقوة عليكم وجعلناكم أكثر نفيرا والنفير العدد من الرجال وأصله من نفرم الرجل
من عشيرته وقومه والنفير والنافر واحد كالقدير والقادر وذكرنا معنى نفر عند قوله فلولا
نفر من كل فرقة وقوله انفروا خفا (المسئلة الثانية) احببنا أصحابنا بهذه الآية على صحة
قولهم فى مسئلة القضاء والقدر من وجوه (الاول) انه تعالى قال وقضيتا الى بنى اسرائيل

على رضى الله عنه لسوان على أنه جواب اذا قرئ لسوان بالنون الخفيفة وليسوان واللام في قوله عز وجل (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوا وامتعلق ﴿ ٥٤٩ ﴾ بما تعلق هو به (كما دخلوه أول مرة) أى في أول مرة (وليتبروا) أى يهلكوا (ماعلوا)

ماغلبوه واستولوا عليه
او مدة علوهم (تنبوا)
قطيعا لا يوصف بأن
سلطان الله عز سلطانه
عليهم الفرس ففراهم
ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جودرد
وقيل جردوس وقيل
دخل صاحب الجيش
مذبح قراينهم فوجد
فيه دما بغلى فسألهم
عنه فقالوا دم قربان
لم يقبل منا فقال
لم تصدقوني فقتل على
ذلك ألوفاً فلم يهدأ الدم
ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم أحدا
فقالوا انه دم يحيى بن
زكريا عليهما الصلاة
والسلام فقال لئله هذا
ينتقم منكم ربكم ثم قال
يا يحيى قد علم ربي
ورك ما أصاب قومك
من أجلك فاهد أبان الله
تعالى قبل أن لا أنبي
منهم أحدا فهذا
(عسى ربكم أن يرجحكم)
بعد المرة الآخرة ان يتيم
توبة أخرى وانزجرتم
عما كنتم عليه من
المعاصي (وان عدتم)

في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وهذا القضاء أقل احتمالاته
الحكم الجزم والخبر الحتم ثبت انه تعالى أخبر عنهم انهم سيقدمون على الفساد والمعاصي
خبرا جزميا حتما لا يقبل التسخ لان القضاء معناه الحكم الجزم على ما شرحنه ثم انه تعالى
أكد ذلك القضاء مرتين تأكيد فقال وكان وعدا مفعولا اذا ثبت هذا فنقول عدم
وقوع ذلك الفساد عنهم يستلزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذبا وانقلاب حكمه
الجازم بالطلا وانقلاب علمه الحق جهلا وكل ذلك محال فكان عدم اقدامهم على ذلك
الفساد محال فكان اقدامهم عليه واجبا ضروريا لا يقبل التسخ والرفع مع انهم كلفوا
بتركه ولم ينوا على فعله وذلك يدل على قولنا ان الله قد يأمر بشئ ويصد عنه وقد ينهى عن
شئ ويقضى بتحصيله فهذا أحد وجوه الاستدلال بهذه الآية (الوجه الثاني) في
الاستدلال بهذه الآية قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد المراد أولئك
الذين تسلطوا على بني اسرائيل بالقتل والنهب والاسر فبين تعالى أنه هو الذي بعثهم على
بني اسرائيل ولا شك ان قتل بني اسرائيل ونهب أموالهم واسر أولادهم كان مستعلا على
الظلم الكثير والمعاصي العظيمة ثم انه تعالى أضاف كل ذلك الى نفسه بقوله ثم بعثنا
عليكم وذلك يدل على أن الخير والشر والطاعة والمعصية من الله تعالى أجاب الجبائي عنه
من وجهين (الاول) المراد من بعثنا عليكم هو انه تعالى أمر أولئك الاقوام بغزو بني
اسرائيل لما ظهر فيهم من الفساد فاضيف ذلك الفعل الى الله تعالى من حيث الامر
(والثاني) أن يكون المراد خليئا بينهم وبين بني اسرائيل وما ألقينا الخوف من بني
اسرائيل في قلوبهم وحاصل الكلام ان المراد من هذا البعث التخليية وعدم المنع واعلم ان
الجواب الاول ضعيف لان الذين قصدوا تخريب بيت المقدس واحراق النوراة وقتل
حفاظ النوراة لا يجوز أن يقال انهم فعلوا ذلك بأمر الله تعالى والجواب الثاني أيضا
ضعيف لان البعث على الفعل عبارة عن استعوية عليه والثناء الدواعي القوية في القلب
وأما التخليية فعبارة عن عدم المنع والاول فعل والثاني ترك فتفسير البعث بالتخليية تفسير
لاحد الضدين بالآخر وأنه لا يجوز ثبت صحة ما ذكرناه والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ان احسنتم
أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذ جاؤ وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا
المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تنبوا) ﴾ (المسئلة اولى) اعلم انه تعالى حكى عنهم
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (وفيه مسائل) (المسئلة اولى) اعلم انه تعالى حكى عنهم
انهم للعصا وسلط عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والصبي ولما تابوا أزال عنهم
تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر انهم ان أطاعوا فقد أحسنوا الى أنفسهم
وان أصرروا على المعصية فقد أسأوا الى أنفسهم وقد تقرر في القول ان الاحسان الى
النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليه ساقبيحة فلهذا المعنى قال تعالى ان احسنتم
أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (المسئلة الثانية) قال الواحدى لا بد ههنا من اصحاب

الى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى (عدنا) الى عقوبتكم ولقد عاودوا فاعاد الله سبحانه عليهم النعمة بأن سلط

فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو أى بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة ﴿ ٥٥٢ ﴾ كذاب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من

عندك فأمر طر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكى عنهم واما بأعمالهم السيئة المغضبة اليه الموجبة له مجازا كما هو دين كلهم (دعاء بالخير) أى مثل دعائه بالخير المذكور فرمنا لتحقيقا فانه بمنزل من الدعاء به وفيه رمز الى أنه اللاتقي بحاله (وكان الانسان) أى من أسند اليه الدعاء المذكور من أفراد (عجولا) يسارع الى طلب ما يحظر به متعابعا عن ضرره أو مبالغى في المجلة يستجمل العذاب وهو آتبه لا بحالة فقيه نوع تهكم به وعلى تقدير حل لدعاء على أعمالهم يحمل العجولية على اللج والتماضى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثانى ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض أحيانه كما عند الغضب يدعو ويدعوا لله تعالى لنفسه

وأقول قولنا هذا الشئ أقوم من ذلك انما يصح فى شيئين يشتركان فى معنى الاستقامة ثم كان حصول معنى الاستقامة فى احدى صورتين أكثر أو كل من حصوله فى الصورة الثانية وهذا محال لان المراد من كونه مستقيما كونه حقا وصدقا ودخول الغاوت فى كون الشئ حقا وصدقا محال فكان وصفه بأنه أقوم مجازا الا ان لفظ الافعل قد جاء بمعنى الفاعل فتوالتا الله أكبر أى الله كبير وقولنا الاشج وانما قص أعدلابنى مروان أى عاد لابنى مروان أو يحمل هذا اللفظ على الظاهر المتعارف والله أعلم (البحث الثانى) قوله التى هى أقوم نعمت لموصوف محذوف والتقدير يهذى لله أو المشريعة أو الطريقة التى هى أقوم الملل والشرائع والطرق ومثل هذه الكتابة كثيرة الاستعمال فى القرآن كقوله ادفع بانيه أى أحسن أى بالحصلة التى هى أحسن أما قوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا فاعلم انه تعالى وصف القرآن بثلاثة أنواع من الصفات أوها ما يهذى التى هى أقوم وقد مر تفسيره (والصفة الثانية) أنه يبشر الذين يعملون الصالحات بالاجر الكبير وذلك لان الصفة الاولى دللت على كون القرآن هاديا الى الاعتقاد الاصبوب والعمل الاصلح وجب أن يظهر له هذا الصواب والصلاح أثر وذلك هو الاجر الكبير لان الطريق الاقوم لا بد وان يفيد الرجحان الكبير والنفع الاعظم (والصفة الثالثة) قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما وذلك لان الاعتقاد الاصبوب والعمل الاصلح كما يجب لغايله الدفع الاكمل الاعظم فكذلك تركه يوجب لتاركة الضرر الاعظم الاكمل واعلم أن قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة مصطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا والمعنى انه تعالى يبشر المؤمنين بنوعين من البشارة بنوابهم وبعقاب أعدائهم ونظيره قوله بشرت زيد أنه سيحطى وبأن عدوهم سميع فان قيل كيف يلبق لفظ البشارة بالعذاب قلنا مذكور على سيدل استهكم أو يقال انه من باب اطلاق اسم الضدين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فان قيل هذه الآية ورادة فى شرح أحوال اليهود وهم ما كانوا يتكروا الايمان بالآخرة فكيف يلبق بهذا الموضع قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما قلنا عن جوابان (أحدهما) ان أكثر اليهود يتكروا الثواب والعقاب الجسمانيين (والثانى) أن بعضهم قال ان تمسنا النار الا أياما معدودات فهم فى هذا القول صاروا كالمتكررين للآخرة والله أعلم * قوله تعالى (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخبر وكان الانسان بعد أن أنزل الله وفي الآية مباحث (البحث الاول) اعلم ان وجه النظم هو أن الانسان بعد أن أنزل الله عليه القرآن وخصه بهذه النعمة العظيمة والكرامة الكاملة قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع الى بياناته ويقدم على ما لا فائدة فيه فقال ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخبر (البحث الثانى) اختلفوا فى المراد من دعاء الانسان بالشر على أقوال (الاول) المراد منه الضرر من الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجاب الله

وأهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يثنى الى أن يزول عنه ﴿ دعاءه ﴾ ما يعتز به روى أنه عليه الصلاة

والسلام دفع الى سودة أسيرافارخت كنفه رجة لانيته بالليل من ألم القذف هرب فلما أخبره النبي عليه الصلاة والسلام قال اللهم اقطع يديهما فرغت سودة يديهما فتوقع ﴿ ٥٥٣ ﴾ الاجابة فقال عليه السلام اني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي

على من لا يستحق من أهلي عذاب رجة أو يدع بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مبصر لا يتدبر في أموره حتى التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه (وجعلنا الليل والنهار آيتين) شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لارب فيه ومنهاج بين لا يضل من يتبعه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محوآية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمرعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور واوان الليلة أضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من

دعائه وضربت رقبته فكان بعضهم يقول اثنا بعذاب الله وآخرون يقولون متى هذا الودعان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل واعتقاد ان محمدا كاذب فيما يقول (والقول الثاني) المراد انه في وقت الضجر بلعن نفسه وأهله ولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلاك وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة أسيرافا قبل بين بالليل فقالت له مالك نئن فشكى ألم القذف فرخت له من كنفه فلما نامت أخرجه يده وهرب فلما أصبح النبي عليه الصلاة والسلام دعا به فاعلم بشأنه فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اقطع يديهما فرغت سودة يديهما فتوقع أن يقطع الله يديهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن يجعل دعائي على من لا يستحق عذابا من أهلي رجة لاني بشرأ أغضب كما تعضبون فلترد سودة يدها (والقول الثالث) أقول يحتمل أن يكون المراد ان الانسان قد يبالغ في الدعاء طلبا لشيء يعتقد ان خبره فيه مع ان ذلك الشيء يكون منبع شره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولا لا يفتر ابظواهر الامور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها (البحث الرابع) القياس اثبات الواو في قوله ويدع الا انه حذف في المصحف من الكتابة لانه لا يظهر في اللفظ اما لم تحذف في المعنى لانها في موضع ارفع ونظيره سدع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المناد فانتعن النذر ولو كان بالواو والياء لكان صوابا هذا كلام الفراء وأقول ان هذا يدل على انه سبحانه قد عصم هذا القرآن المجيد عن التعريف والتعريف ان اثبات الياء والواو في أكثر ألفاظ القرآن وعدم اثباتهما في هذه المواضع المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحدا لم يتصرف فيه بمقدار فهمه وقوة عقله ثم قال تعالى وكان الانسان عجولا وفي هذا الانسان قولان (الاول) آدم عليه السلام وذلك لانه لما انتهت الروح الى سترته نظر الى جسده فأعجب فذهب اليه ففلم يقدر فهو قوله وكان الانسان عجولا (والقول الثاني) انه محمول على الجنس لان أحدا من الناس لا يعرى عن عجلة واوتر كهالك كان تركها أصلح له في الدين والدنيا وأقول بتقدير أن يكون المراد هو القول الاول كان المقصود عائدا الى القول الثاني لانا اذا جئنا الانسان على آدم عليه الصلاة والسلام كان المعنى ان آدم الذي كان أصل البشر لما كان موصوفا بهذه العجلة وجب أن تكون هذه صفة لازمة لكل فكان المقصود عائدا الى القول الثاني والله أعلم ﴿ قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحو آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما بين في الآية المقدمة ما وصل الى الخلق من نعم الدين وهو القرآن اتبعه بيان ما وصل اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وكان القرآن ممتزج من المحكم والمتشابه فكذلك الدهر مركب من النهار والليل فالحكم كانهما والمتشابه كالليل وكما

شهر وصاحبهما من شهر آخر وترتيب ﴿ ٧٠ ﴾ خا غابة آية النهار عليها بلا واسطة أي جعلنا اللوين

وتماسقهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجبة يخاف في فهمها القول آيتين تدلان على أن لها ماصنا حكيما
قادرا عليهما وتهديانا إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة ﴿ ٥٥٤ ﴾ الاسلام والتوحيد (فمحو الآية الليل) الاضافة

اما يانية كافي اضافة
العدد الى المعدادى
محونا الآية التي هي
الليل وفائدتها تحقيق
مضمون الجملة السابقة
ومحوها جعلها محووة
الضوء مطموسة لكن
لا بعد ان لم يكن كذلك
بل بابتدائها على ذلك
كافي قولهم سبحانه من
صغر البعوض وكبر
الغيل أى أنشأهما كذلك
والغناء تفسيره لان المحو
الذكر وهو ما عطف عليه
ليس بما يحصل عقيب
جعل الجديدين آيتين بل
هما من جملة ذلك الجعل
ومتمماته (وجعلنا آية
النهار) أى الآية التي
هي النهار على نحو ما مر
(مبصرة) أى مضيئة
يصير فيها الاشياء وصفا
لها بحال أهلها ومبصرة
للناس من أبصره فبصره
واما حقيقة آية الليل
والنهار نبراهما ومحو
القمر اما خلقه مطموس
النور في نفسه فالغناء كما
ذكر واما نقص ما استناد
من الشمس شيئا فشيئا
الى المحاق على ما هو
معنى المحو والغناء للتفتيح
وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة (تبتغوا)

ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر الحكم والمتمسك به فكذلك الوقت والزمان لا يكمل
الانتفاع به الا بالشهاد والليل (والوجه الثاني) في تقرير النظم أنه تعالى لما بين في الآية
المتقدمة ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وذلك الاقوم ليس الا ذكر الدلائل الدالة على
التوحيد والنبوة لاجرم أردفه بذكر دلائل التوحيد وهو عجائب العالم العلوى والسفلى
(الوجه الثالث) انه لما وصف الانسان بكونه عجولا أى متقلبا من صفة الى صفة ومن
حالة الى حالة بين ان كل أحوال هذا العالم كذلك وهو الانتقال من النور الى الظلمة وبالضد
وانتقال نور القمر من الزيادة الى النقص ربه سبحانه أعلم (المسئلة الثانية) في قوله
وجعلنا الليل والنهار آيتين قولان (الاول) أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل
والنهار والمعنى انه تعالى جعلهما دليلين للحق على مصالح الدين والدنيا أما في الدين فلان
كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل
على انهما غير موجودين لذاتهما بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالتقدير
الخصوصية وأما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل والنهار فلولو الليل لما حصل
السكون والراحة ولولو النهار لما حصل الكسب والنصر في وجوه المعاش ثم قال تعالى
فمحونا آية الليل وعلى هذا القول تكون الاضافة في آية الليل والنهار للبينين والتقدير
فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي نفس النهار مبصرة ونظيره قولنا نفس
الشيء وذاته فكذلك آية الليل هي نفس الليل ويقال أيضا دخلت بلاد خراسان أى
دخلت البلاد التي هي خراسان فكذلك ههنا (القول الثاني) أن يكون المراد وجعلنا نبري
الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر وفي تفسير محو القمر
قولان (الاول) المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أول
الامر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في الانقاص
قليلا قليلا وذلك هو المحو أى أن يعود الى المحاق (والقول الثاني) المراد من محو القمر
الكلف الذى يظهر في وجهه بروي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل
الله جبريل عليه الصلاة والسلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ومعنى
المحو في اللغة اذهب الاثر تقول محوته أمحوه وأنمحي وأنمحي اذا ذهب أثره وأقول حل
المحو في هذه الآية على الوجه الاول أولى وذلك لان اللام في قوله لتبتغوا فضلا من ربكم
وتعلموا عدد السنين والحساب متعلق بما هو مذكور قبل وهو محو آية الليل وجعل آية
النهار مبصرة ومحو آية الليل انما يؤتى في ابتغاء فضل الله اذا جعلنا المحو على زيادة نور القمر
ونقصانه لان سبب حصول هذه الحالة يختلف بأحوال نور القمر وأهل التجارب يبنوا
ان اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحه مثل
أحوال البحار في المد والجزر ومثل أحوال التغيرات على ما ذكره الأطباء في كتبهم
وأيا سبب زيادة نور القمر ونقصانه يحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور يحصل

وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة (تبتغوا) السنون ﴿

متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كأنه أي وجعلناها مضيئة لطلبوا لانفسكم في بياض النهار (فضلا من ربكم) أي رزقا فلا ينسئ ذلك في الليل ﴿٥٥٥﴾ وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والعرض

لصفة الربوبية المنيحة

عن التبليغ الى الكمال

شيئا فشيئا دلالة على

أن ليس للعبد في تحصيل

الرزق تأثير سوى الطلب

وانما الاعطاء الى الله

سبحانه لا بطريق

الوجوب عليه بل تفضلا

بحكم الربوبية (ولعلوا)

متعلق بكلا الفعلين

أعني محو آية الليل وجعل

آية النهار مبصرة

لا باحدهما فقط اذ لا

يكون ذلك بانفراده

مدارا للعلم المذكور

أي لتعلوا بتفاوت

الجديدين أو يربهما

ذاتا من حيث الاطلام و

الاضاءة مع تعاقبهما وأحر

كانهما وأضاءعهما وسائر

أحوالهما (عدد السنين)

التي يتعلق بها غرض

علمي لا فانه مصالحكم

الدينية والديوبية

(والحساب) أي الحساب

المتعلق بما في ضمنها

من الاوقات أي الاشهر

والليالي والايام وغير

ذلك مما يربط به شيء من

المصالح المذكورة

ونفس السنة من حيث

تحققها مما ينظمه

السنون العريضة المنيحة على رؤية الالهة كما قال وتعلوا عدد السنين والحساب فثبت ان حل المحو على ما ذكرناه أولى وأقول أيضا لو جعلنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أبضا برهان عظيم قاهر على صحة قول المسلمين في المبدأ والمعاد ماد لانه على صحة قولهم في المبدأ فلان جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات فمحصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على أنه ليس بسبب الطبيعة بل لاجل ان الفاعل المختار خصص بعض أجزائه بالنور الأقوى وبعض أجزائه بالنور الضعيف وذلك يدل على ان مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات واحسن ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه انه ارتكن في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الافلاك فلما كانت تلك الاجرام أقل ضوءا من جرم القمر لاجرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان وهذا لا يفيد مقصود الخصم لان جرم القمر لما كان متشابه الاجزاء فلم ارتكزت تلك الاجرام الظلمانية في بعض اجزاء القمر دون سائر الاجزاء وبمثل هذا الطريق يتسك في أحوال الكواكب وذلك لان الفلك جرم بسيط متشابه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب وذلك يدل على ان اختصاص ذلك الكواكب بذلك الموضع المعين من الفلك لاجل تخصيص الفاعل المختار وكل هذه الدلائل انما يراد من تقريرها وإيرادها التنبيه على ان المؤثر في العالم فاعل بالاختيار لا موجب بالذات والله أعلم بما قوله وجعلنا آية النهار مبصرة ففيه وجهان (الاول) ان معنى كونها مبصرة أي مضيئة وذلك لان الاضاءة سبب لحصول الابصار فاطلق اسم الابصار على الاضاءة اطلاقا لاسم السبب على السبب (والثاني) قال أبو عبيدة يقال قد أبصر النهار اذا صار الناس يبصرون فيه كقوله رجل مخبث اذا كان أصحابه خبثاء ورجل مضعف اذا كانت ذراريه ضعافا فكذا قوله والنهار مبصر أي أهله مبصرون واعلم انه تعالى ذكر في آيات كثيرة منافع الليل والنهار قال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال أيضا جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ثم قال تعالى ولتبتغوا فضلا من ربكم أي لتبصروا كيف تنصرفون في أعمالكم وتعلوا عدد السنين والحساب واعلم ان الحساب مبني على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنون فالعدد للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربع لا يحصل التكرار كما انهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والالوف وليس بعدها التكرار والله أعلم ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا والمعنى انه تعالى لما ذكر أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان فاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى على اهل الدنيا فلا يشرح الله تعالى حالهما وفصل ما فهم من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق كان ذلك

الحساب وانما الذي يتعلق به العدد ثلث منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة للناس من الحيثة المذكورة أعني حيثة تحقيقها وتحصيلها من عدة أشهر قد تحصل

كل واحد منهما من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلاً فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها أى يقينها من غير أن يعتبر ﴿ ٥٥٦ ﴾ في ذلك نحصل شئ معين ونحققه مامر

في سورة يونس من أن الحساب احصاء ماله كية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير اليه آنفاً والعدا احصاءه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يحصل منه شئ كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل أضيف اليها العدد وعلق الحساب بأعدادها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى في تحصل العدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس النبيه من اول الامر على أن متعلق الحساب مافى تضاعيف السنين من الاوقات ولان العلم المتعلق بعدد

تفصيلا نافعاً وبياناً كاملاً فلا جرم قال وكل شئ فصلناه تفصيلاً أى كل شئ بكم اليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم فقد فصلناه وشرحناه وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وقوله وزنا عليك الكتاب تبيناً لكل شئ وقوله تدمر كل شئ بأمر ربها وانما ذكر المصدر وهو قوله تفصيلاً لاجل كيد الكلام وتقديره كأنه قال وفصلناه حقاً وفصلناه على الوجه الذى لا من يدعيه والله أعلم * قوله تعالى (وكل انسان أزمانه طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) اعلم ان فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) فى كيفية النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما قال وكل شئ فصلناه تفصيلاً كان معناه أن كل ما يحتاج اليه من دلائل التوحيد والتبوة والمعاد فقد صار مذكوراً وكل ما يحتاج اليه من شرح أحوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقد صار مذكوراً وإذا كان الامر كذلك فقد أزيلت الاعذار وأزيلت العلل فلا جرم كل من ورد عرصة اقامة فقد أزمانه طائر في عنقه ونقول له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (الوجه الثانى) انه تعالى لما بين انه أوصلى الى الخلق أصناف الاشياء التافهة لهم فى الدين والدنيا مثل أبى الليل والنهار وغيرهما كان منعما عليهم بأعظم وجوه النعم وذلك يقتضى وجوب اشتغالهم بخدمة وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة اقامة فانه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله (الوجه الثالث) فى تقرير النظم انه تعالى لما بين انه ما خلق الخلق الا ليشغلوا بعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلما شرح أحوال الشمس والقمر والليل والنهار كان المعنى انى انما خلقت هذه الاشياء لتتغوا بها فتصبروا متكئين من الاشتغال بطاعتي وخدمتي وإذا كان كذلك فكل من ورد عرصة اقامة سألته انه هل أنى تلك الخدمة والطاعة أو تتردد وعصى وبغى فهذه الوجه فى تقرير النظم (المسئلة الثانية) فى تفسير لفظ الطائر قولان (الاول) ان العرب اذا ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خير أو الى شر اعتبروا أحوال الطير وهو انه بطير نفسه أو يحتاج الى ازعاجه وإذا طار فهل بطير ميامناً وميتاسراً أو صاعدا الى الجوالى غير ذلك من الاحوال التى كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذلك منهم سمي الخير والشر بالطائر نسبة للشئ باسم لازمه وظاهر قوله تعالى فى سورة يس قالوا انا طير نايكم الى قوله قالوا طائر كم معكم فتقوله وكل انسان أزمانه طائر فى عقه أى كل انسان أزمانه عمله فى عنقه وتدل على صحة هذا الوجه قراءة الحسن ومجاهد أزمانه طير فى عقه (القول الثانى) قال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ وهو الذى تسميه الفرس البخت وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر ما طار له من خير وشر والتحقيق فى هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه

السنين علم اجمالى بما يتعلق به الحساب تفصيلاً ولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل ﴿ ان ﴾ شئ آخر منه حسباً ذكرنا زل من الحساب المعنى فيه ذلك منزلة البسيط من

المركب أولان العلم المتعلق بالأول أقصى المراتب فكان جديراً بالتقديم في مقام الامتثال والله سبحانه أعلم (وكل شيء)
تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ﴿ ٥٥٧ ﴾ ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما ينفعه من المنافع الدينية

والدينية وهو منصوب
بفعل يفسره قوله تعالى
(فصلناه تفصيلاً) أي
بيناه في القرآن الكريم
بياناً بليغاً لا لباس
معه كقوله تعالى ونزلنا
عليك الكتاب تبياناً
لكل شيء فظهر كونه
هادياً للتي هي أقوم
ظهوراً بيننا (وكل انسان)
مكلف (أنزله طائرته)
أي علمه الصادر عنه
باختياره حسب قدرته
كأنه طار إليه من
عش الغيب ووكراً القدر
أوما وقع له في القسمة
الازلية الواقعة حسب
استحقاقه في العلم الازلي
من قولهم طار له سهم
كذا (في عتقه) تصوير
لشدته الزوم وكال
الارتباط أي أنزله
علمه بحيث لا يفارقه
أبداناً بلزومه لزوم
القلادة أو الغل للعنق
لا يفك عنه بحال
وقرى بسكون النون
(ونخرج له) بنون
العضمة وقد قرى بالياء
مبنياً للفاعل على أن
الضمير لله عز وجل
وللفعل والضمير للطائر

ان يتجاوز ذلك القدر وان يخرف عنه بل لا بد وان يصل الى ذلك القدر بحسب الكمية
والكيفية فذلك الاشياء المقدرة كأنها تطير اليه وتصير اليه فهذا المعنى لا يجدان يعبر
عن تلك الاحوال المقدرة بلفظ الطائر فتقوله وكل انسان أنزله طائرته في عتقه كناية عن ان
كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه حصوله فهو لازم له واصل اليه غير منخرف عنه واعلم
ان هذا من أدل الدلائل على ان كل ما قدره الله تعالى للانسان وحكم عليه به في سابق علمه
فهو واجب الوقوع بمنتهى العدم وتقريره من وجهين (الاول) ان تقدير الآية وكل
انسان أنزله علمه في عتقه فيبين تعالى ان ذلك العمل لازم له وما كان لازماً لشيء كان
ممتنع الزوال عنه واجب الحصول له وهو المقصود (والوجه الثاني) انه تعالى أضاف ذلك
الالزام الى نفسه لان قوله أنزله تصرح بان ذلك الالزام انما صدر منه ونظيره قوله تعالى
وألزهم كلمة القوي وهذه الآية دالة على انه لا يظهر في الابد الا ما حكم الله به في الازل
واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة والله أعلم
(المسئلة الثالثة) قوله في عتقه كناية عن الزوم كما يقال جعلت هذا في عتقك أي قلدتك
هذا العمل وأنزمت الاحتفاظ به ويقال قلدتك كذا وطوقك كذا أي صرفته اليك
والزمت اياك ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في زومها له في موضع القلادة
ومكان الطوق ومنه يقال فلان يقد فلان أي جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على
عتقه قال أهل المعاني وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء بهذا المعنى لان الذي
يكون عليه اما أن يكون خير ابرزه أو شر ابرزه وما يزين يكون كالطوق والحلي
والذي يشين فهو كالغل فلهذا عمله ان كان من الخيرات كان زينه له وان كان من المعاصي
كان كالغل على رقبته ثم قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً قال الحسن
بابن آدم بسط تلك صحيفة ووكلك ملكان فهم اعمى عنك وشمالك فاما الذي عن يمينك
فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مات طويت صحيفتك
وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة قوله ونخرج له أي من قبره يجوز
أن يكون معناه نخرج له ذلك لانه لم يركب كتابه في الدنيا فاذا بعث أظهر له ذلك وأخرج من الستر
وقرأ يعقوب ويخرج له يوم القيامة كتاباً أي يخرج له الطائر أي علمه كتاباً منشوراً كقوله
تعالى واذا الصحف نشرت وقرأ ابن عامر يلقاه من قولهم لقيت فلاناً الشيء أي استقبلته به
قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وهو منقول بالتشديد من لقيت الشيء ولقائهم زيد ثم قال
تعالى اقرأ كتابك والتقدير يقال له وهذا القائل هو الله تعالى على أسنة الملائكة اقرأ
كتابك قال الحسن يقرؤه أما كان أو غير أمي وقال بكر بن عبد الله بوتي بالموءن يوم
القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف
صحيفته وهو يقرؤها حتى اذا ظن انها قد أوفقت قال الله تعالى اذهب فقد غفرت لك
فيما بيني وبينك فيه نظم سروره وبصير من الذين قال في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة

كافي قراءة يخرج من الخروج (يوم القيامة) والبعث الحساب (كتاباً) مسطوراً فيه ما ذكر من علمه تغيراً وقطعياً وهو
مفعول للخروج على القراءتين

الاولين أوحا من المفعول المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الآخرين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر (يلقاء) أى يلقى الانسان أو يلقاه الانسان (منشورا) ٥٥٨ هـ وهما صفتان للكتاب والاول صفة والثاني

حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا أى يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكا فهما عن عينيك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفة وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (اقرأ كتابك) أى فائت لك ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقبل المراد بالكتاب نفسه المتشعبة بأثمار أعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا أو شرا يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص الا أنه يخفى مادام الروح متعلقا بالبدن مستغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت

مستبشرة ثم يقول هاؤم اقرأوا كتابه واما قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أى محاسبا قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حبيب نفسك قال السدى يقول الكافر يومئذ انك قضيت لك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله أعلم (المسئلة الرابعة) قال حكماء الاسلام هذه الآية في غاية الشرف وفيها أسرار عجيبة في البحوث (فالبحث الاول) انه تعالى جعل فعل العبد كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل أحد في الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذى سبق في علمه الازل وحكمه الازل لا بدوان يصل اليه فذلك الحكم كأنه طائر يطير اليه من الازل الى ذلك الوقت فاذا حضر ذلك الوقت وصل اليه ذلك الطائر وصولا لا خلاص له البتة ولا انحراف عنه البتة واذا علم الانسان في كل قول وفعل ونحو وفكرة انه كان ذلك بمنزلة طائر طيره الله اليه على منهج معين وطريق معين وانه لا بدوان يصل اليه ذلك الطائر فندرك عرف ان الكفاية الابدية لانتم الاباء العائنة الازلية (والبحث الثانى) ان هذه التقديرات انما تقدرت بازام الله تعالى وذلك باعتبار انه تعالى جعل لكل حادث حادثا مقدما عليه لحصول الحادث المتأخر فلما كان وضع هذه السلسلة من الله لاجرم كان الكل من الله وعند هذا يتخيل الانسان طيور الانهابة لها ولا غاية لاعدادها فانه تعالى طيرها من وكر الازل وظلمات عالم الغيب وانما صارت وطارت طيرا لا بديانة ولا غاية له وكان كل واحد منها متوجها الى ذلك الانسان المعين في الوقت المعين بالصفة المعينة وهذا هو المراد من قوله أزمان طائرته في عنقه (البحث الثالث) ان العجوبة تدل على ان تكرار الاعمال الاختيارية تفيد حدوث الملكية النفسانية الراضخة في جوهر النفس الاترى ان من واطب على تكرار قراءة درس واحد صار ذلك الدرس محفوظا ومن واطب على عمل واحد مدة مديدة صار ذلك العمل ملكة له اذا عرفت هذا فنقول لما كان التكرار الكثير يوجب حصول الملكية الراضخة وجب أن يحصل لكل واحد من تلك الاعمال أثرا في جوهر النفس فانما لنا أن عند توالى القطرات الكثيرة من الماء على الحجر حصلت الثقب في الحجر علما ان لكل واحد من تلك القطرات أثرا في حصول ذلك الثقب وان كان ضعيفا قليلا وان كانت الكتابة أيضا في عرف الناس عبارة عن نقوش مخصوصة اصطلم الناس على جعلها معارف لالفاظ مخصوصة فعلى هذا دلالة تلك النقوش على تلك المعاني الخصوصية دلالة كاتبة جوهرية واجبة الثبوت متمتع الزوال كان الكتاب المشتمل على تلك النقوش أولى باسم الكتاب من الصحيفة المشتملة على النقوش الدالة بالوضع والاصطلاح واذا صرفت هاتين المقدمتين فنقول ان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان أو قليلا قويا كان أو ضعيفا فانه يحصل منه لا محالة في جوهر النفس الانسانية أثر مخصوص فان كان ذلك الأثر أثر الجذب جوهر الروح من الخلق الى حضرة الحق كان ذلك من موجبات السعادات والكرامات

نحو الصعود الى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ وإن عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى

بنفسك اليوم عليك حسبا) اى كفى نفسك والباء ﴿ ٥٥٩ ﴾ زائدة واليوم ظرف لكفى وحسبا تمييز ويجعل صلته

لانه بمعنى الحاسب
كالصريح بمعنى الصارم
من حسب عليه كذا
أو بمعنى الكافي ووضع
موضع الشهيد لانه يكفى
المدعى ما أهمه وتذكيره
لان ما ذكر من الحساب
والكفاية بما يتولاه الرجال
أولاه مبنى على تأويل
النفس بالشخص على أنها
عبارة عن نفس المذكر
كقول جبله بن حريث
* يا نفس انك بالذات
مسرور * فاذا كرفل
ينفعلك اليوم تذكر
(من اهتدى فانما يهتدى
لنفسه) فذلك لما تقدم
من بيان كون القرآن هاديا
لاقوم الطرائق ولزوم
الاعمال لاصحابها
أى من اهتدى بهدياته
وعمل بما فى نضاضه
من الاحكام وانتهى
عناها عنه فانما هو ومنه
اهتداه الى نفسه لا يتخطاه
الى غيره ممن لم يهتد
(ومن ضل) عن الطريقة
التي يهدها اليها (فانما يضل
عليها) أى فانما وبطل
ضلاله عليها الاعلى من
عداه ممن لم يهتد به
حتى يمكن مفارقة العمل

وان كان ذلك الاثر اثار الجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من
موجبات الشقاوة والخذلان الان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان
اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وتجليها وظهورها
فاذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن فهناك تحصل القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام
من مات فقد قامت قيامته ومعنى كون هذه الحالة قياما ان النفس الناطقة كائنها
كانت ساكنة مستقرة فى هذا الجسد السفلى فاذا انقطع ذلك التعلق قامت النفس
وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوى فهذا هو المراد من كون هذه الحالة قيامة ثم عند
حصول القيامة بهذا المعنى زال الغطاء وانكشف الوطاء وقبل له فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا معنا ونخرج له
عند حصول هذه القيامة من عنى البدن المظلم كتابا مشتملا على جميع تلك الآثار الحاصلة
بسبب الاحوال الدنيوية ويكون هذا الكتاب فى هذا الوقت منشورا لان الروح حين
كانت فى البدن كانت هذه الاحوال فيه مخفية فكانت كالطوبية اما بعد انقطاع التعلق
الجسدانى ظهرت هذه الاحوال وجلت وانكشفت فصارت كالأهها مكشوفة منشورة
بعد ان كانت مطوية وظاهرة بعد ان كانت مخفية وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع
تلك الآثار مكتوبة بالكتابة الذاتية فى جوهر الروح فيقال له فى تلك الحالة اقرأ كتابك
ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسبا فان تلك الآثار ان كانت من موجبات
السعادة حصلت السعادة لا محالة وان كانت من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة
لا محالة فهذا تفسير هذه الآية بحسب الاحوال الروحانية واعلم ان الحق ان الاحوال
الظاهرة التى وردت فيها الروايات حق وصدق لأمريه فيها واحتمال الآية لاهذه المعانى
الروحانية ظاهر أيضا والمنهج القويم والصراط المستقيم هو الاقرار بالكل والله أعلم
بمخائى الأمور * قوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فى الآية مسائل (المسئلة
الاولى) انه تعالى لما قال فى الآية الاولى وكل انسان أزمناه طأره فى عتقه ومعناه ان كل
أحد مختص بعمل نفسه عبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى أقرب الى الافهام وأبعد عن الغلط
فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يعنى ان ثواب العمل
الصالح مختص بفاعله ولا يتعدى منه الى غيره ويتأكد هذا بقوله وأن ليس للانسان
الاماسى وأن سعيه سوف يرى قال الكعبى الآية دالة على ان العبد متمكن من الخير
والشر وانه غير مجبور على عمل بعينه أصلا لان قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد اما المجبور
على أحد الطرفين الممنوع من الطرف الثانى فهذا لا يليق به (المسئلة الثانية) انه تعالى
أعاد تفرير ان كل أحد مختص بأثر عمله نفسه بقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى قال الزجاج

صاحبه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تأكيد للجملة الثانية أى لا تحمل نفس حامله للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن
تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل مائة العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا

تحقيق المعنى قوله عز وجل وكل انسان ائتمناه طائفة في عتقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع

شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنة وتضرره بسية فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسية فان جزاء الحسنة والسية اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لاجزاء أصل الحسنة والسية وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لاجزاء الضلال وانما خص التأكيدهما بالجملة الثانية قطعاً للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذنين) بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والاضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته

يقال وزير وهو وزير وزرا وزرة ومعناه ائتم بآثم ائتمال وفي تأويل الآية وجهان (الاول) ان المذنب لا يؤاخذ بذنب غيره وأيضاً غيره لا يؤاخذ بذنبه بل كل أحد مختص بذنب نفسه (والثاني) انه لا ينبغي ان يعمل الانسان بالآثم لان غيره عليه كما قال الكفار انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون واعلم ان الناس تمسكوا بهذه الآية في اثبات أحكام كثيرة (الحكم الاول) قال الجبائي في الآية دلالة على انه تعالى لا يعذب الاطفال بكفر آباءهم والا لكان الطفل مؤاخذاً بذنب أبيه وذلك على خلاف ظاهر هذه الآية (الحكم الثاني) روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت لا يعذب ببكاء أهله فعائشة طعنت في صحة هذا الخبر واحتجت على صحة ذلك الطعن بقوله تعالى ولا تزوروا زواجرهم فان تعذيب الميت بسبب بكاء أهله أخذ للانسان مجرم غيره وذلك خلاف هذه الآية (الحكم الثالث) قال القاضي دلت هذه الآية على ان الوزر والاثم ليس من فعل الله تعالى وبيانه من وجوه (أحدها) انه لو كان كذلك لامتنع ان يؤاخذ العبد بآثامه كالأبواخذة بوزر غيره (وثانيها) انه كان يجب ارتفاع الوزر أصلاً لان الوازر انما يصح أن يوصف بذلك اذا كان مختاراً يمكنه التجرد ولهذا المعنى لا يوصف الصبي بهذا (الحكم الرابع) ان جماعة من قدماء الفقهاء امتنعوا من ضرب الدية على العاقلة وقالوا لان ذلك يقتضي مؤاخذة الانسان بسبب فعل الغير وذلك على مضادة هذه الآية وأوجب عندنا المخطئ ليس مؤاخذة على ذلك الفعل فكيف يصير غيره مؤاخذاً بسبب ذلك الفعل بل ذلك تكليف واقع على سبيل الاعتداء من الله تعالى (المسئلة الثالثة) قال أصحابنا وجوب شكر المزمع لا يثبت بالعقل بل بالسمع والدليل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجه الاستدلال ان الوجوب لا يتقرر ما هيته الا بقرين العقاب على الترتك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية فوجب أن لا يتحقق الوجوب قبل الشرع ثم أكدوا هذه الآية بقوله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبقوله ولوانا أهلكتهم بعد ما بنوا لولا أرسلنا رسولا بنا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزي ولقائل أن يقول هذا الاستدلال ضعيف وبيانه من وجهين (الاول) أن نقول لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي البتة وهذا باطل فذلك باطل ببيان الملازمة من وجوه (أحدها) انه اذا جاء المشرع وادعى كونه نبياً من عند الله تعالى وأظهر المعجزة فهل يجب على المسمع استماع قوله والتأمل في معجزاته أو لا يجب فان لم يجب فقد بطل القول بالنبوة وان وجب فاما أن يجب بالعقل أو بالشرع فان وجب بالعقل فقد ثبت الوجوب العقلي وان وجب بالشرع فهو باطل لان ذلك الشرع اما أن يكون هو ذلك المدعى أو غيره والاول باطل لانه يرجع حاصل الكلام الى ان ذلك الرجل يقول الدليل على انه يجب قبول قول ابي أقول انه يجب قبول قولي وهذا اثبات للشيء بنفسه وان كان ذلك الشارع غيره كان

وعلم مؤاخذه النفس بجنابة غيرها أي وما صح وما استقام منابيل استفعال في سنتنا النبوية ﴿الكلام﴾
على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي

وقضائنا السابق أن نعذب أحدا من أهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) اليهم (رسولا) يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ﴿ ٥٦١ ﴾ وبقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبا في تضاعيف الكتاب

المزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده والجنس الشامل للديني والآخرى وهو من أفرادها وأيا ما كان فالبحث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والآخرى لا يمكن وقوعه هقيب البعث والديني أيضا لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجب من الفسق والعصيان ألا يرى الى قوم نوح كيف أخرج عنهم ما حل بهم زهأ ألف سنة وقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يختلف عنها المراد ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله تعالى أتى أمر الله أي واذا دنا وقت انعلق

الكلام فيه كما في الاول ولزم اما الدور أو التسلسل وهما محالان (وثانيها) ان الشرع اذا جاء واوجب بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى للايجاب والتحريم الا أن يقول لو تركت كذا وفعلت كذا لعاقبتك فتقول اما أن يجب عليه الاحتراز عن العقاب أو لا يجب فلو لم يجب عليه الاحتراز عن العقاب لم يتقرر معنى الوجوب البتة وهذا باطل فذلك باطل وإن وجب عليه الاحتراز عن العقاب فاما أن يجب بالعقل أو بالسمع فان وجب بالعقل فهو المقصود وان وجب بالسمع لم يتقرر معنى هذا الوجوب الاسباب ترتيب العقاب عليه وحينئذ يعود التسميم الاول ويلزم التسلسل وهو محال (وثالثها) ان مذهب أهل السنة أنه يجوز من الله تعالى أن يعفو عن العقاب على ترك الواجب واذا كان كذلك كانت ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب فلم يبق الا أن يقال ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب وهذا الخوف حاصل بمحض العقل فثبت ان ماهية الوجوب انما تحصل بسبب هذا الخوف وثبت ان هذا الخوف حاصل بمجرد العقل فلم ينشأ ان يقال الوجوب حاصل بمحض العقل فان قالوا ماهية الوجوب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من الذم قلنا انه تعالى اذا عفا فقد سقط الذم فلهذا ماهية الوجوب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من الذم وذلك حاصل بمحض العقل فثبت بهذه الوجوه ان الوجوب العقلي لا يمكن دفعه واذا ثبت هذا فتقول في الآية قولان (الاول) ان تجري الآية على ظاهرها ونقول العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي اولاهما تقررت رسالة أحد من الانبياء فالعقل هو الرسول الاصل في ذلك ان معنى الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسول العقل (والثاني) ان تخصص عموم الآية فتقول المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الابدع مجي الشرع وتخصيص العموم وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه عند قيام الدلائل وقد بينا قيام الدلائل الثلاثة على انالوافية الوجوب العقلي لزمان في الوجوب الشرعي والله أعلم واعلم ان الذي نرضيه ونذهب اليه ان مجرد العقل سبب في أن يجب علينا فعل ما ينفع به وترك ما يتضرر به أما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على الله تعالى شيء وذلك لاننا نجعلون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر فلا جرم كان العقل وحده كافيا في الوجوب في حقنا والله تعالى منزّه عن طلب النفع والهرب من الضرر فامتنع أن يحكم العقل عليه بوجوب فعل أو ترك فعل والله أعلم * قوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية) أمرنا متروفا فيها ففسدها فيها فحق عليها القول قدمنا هاتين الميراثين هلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبير بصيرا في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله أمرنا متروفا فيها في تفسير هذا الامر قولان (الاول) أن المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الآية لا يدل على انه تعالى بماذا يأمرهم فقال الاكثرون معناه انه تعالى يأمرهم بالطاعات والخيرات ثم انهم يخافون ذلك الامر ويفسقون وقال صاحب الكشف ظاهر اللفظ يدل على انه تعالى يأمرهم بالفسق فيفسقون الا ان هذا

ارادتنا باهلاك قرية ﴿ ٧١ ﴾ خا بان نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح مناقب البعثة أو بنوح

أمرنا شانه ممن مطابق العذاب أعني عذاب الاستئصال للملهم من الظلم والمعاصي دنوا تنقضه الحكمة من
خير أن يكون له خدم معين (أمرنا) بواسطة الرسول ﷺ ٥٦٢ المبعوث إلى أهلها (مترفيها) منعيمها وجبار بها

وملوكلها خصهم بالذكر
مع توجه الأمر إلى
الكل لانهم الأصول في
الخطاب والساق
اتباع لهم ولان توجه
الأمر إليهم أكد وعده
التعرض للمأمر به
أما الظهور أن المراد به
الحق والخير لان الله
لا يأمر بالفحشاء لاسيما
بعد ذكر هداية القرآن
لما يهدي إليه وأما لان المراد
وجدنا الأمر كما يقال
فلان يعطى وينسحق
(ففسقوا فيها) أي
خرجوا عن الطاعة
ومردوا (فحق عليها
القول) أي ثبت وتحقق
موجبه بحلول العذاب
أثر ما ظهر منهم من
الفسق والطغيان
(قدمناها) بتدمير
أهلها (تدمير) لا يكتنه
كهم ولا يوصف هذا
هو المناسب لما سبق وقيل
الأمر مجاز عن الحمل
على الفسق والتسبيل
بأن صب عليه ما بطرهم
وأفضى بهم إلى الفسوق
وقيل هو بمعنى التكثير
يقال أمرت الشيء
فأمر أي كثرته فكثروا في

مجاز ومعناه أنه فتح عليهم أبواب الخيرات والراحات فعند ذلك توردوا وطفوا وبغوا قال
والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به انما حذف لان قوله ففسقوا
يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته فترابفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة فكذا
ههنا لما قال أمرنا مترفيها ففسقوا فيها واجب أن يكون المعنى أمرناهم بانفسق ففسقوا
لا يقال بشكل هذا بقولهم أمرته ففصاني أو فخالفتي فان هذا لا يفهم منه أني أمرته بالمعصية
والمخالفة لانا نقول ان المعصية منافية للأمر ومناقضة له فكذلك أمرته ففسق يدل على
أن المأمور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا
ينافي كونه مأمورا به كما أن كونها معصية ينافي كونها مأمورا بها فوجب أن يدل هذا
اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور فلا ادري لم أصر
صاحب الكشف على قوله مع ظهور غساده فثبت ان الحق ما ذكره الكل وهو أن المعنى
أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عنادا وأقدموا
على الفسق (القول الثاني) في تفسير قوله أمرنا مترفيها أي أكثرنا فساقها قال الواحدى
العرب تقول أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله اذا كثروهم وأمرهم أيضا بالمدروى
الجرمى عن ابي زيد أمر الله القوم وأمرهم أي كثروهم وأخرج أبو عبيدة على صحة هذه اللغة
بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال ماهرة مأورة وسكة مأبورة والمعنى ماهرة قد كثر نسلها
يقولون أمر الله الماهرة أي كثر ولدها ومن الناس من انكر أن يكون أمر بمعنى كثر وقالوا
أمر القوم اذا كثروا وأمرهم الله بالمدأى كثروهم وحلوا قوله عليه الصلاة والسلام ماهرة
مأورة على ان المراد كونها مأورة بتشكيل النسل على سبيل الاستعارة وأما المترف فعتاه
في اللغة المتنعم الذى قد أبطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها أي خرجوا عما أمرهم
الله فحق عليها القول بيدا ستوجب العذاب وهذا كالتفسير لقوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمهراسولا وقوله ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون فلما حكم تعالى في هذه الآيات انه تعالى
لا يهلك قرية حتى يخافقوا أمر الله فلا جرم ذكر ههنا انه بأمرهم فإذا خالفوا الأمر فعند
ذلك استوجبوا الإهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول وقوله قدمنا هاتدميرا أي
أهلكنا هاتاهلاك الاستئصال والدمار هلاك على سبيل الاستئصال (المسئلة الثانية) اخرج
أصحابنا هذه الآية على صحة مذهبهم من وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يدل على أنه تعالى
أردا اذ ابصال الضرر إليهم ابتداء ثم توسل إلى اهلاكهم بهذا الطريق (الثاني) ان ظاهر
الآية يدل على انه تعالى انما خص المترفين بذلك الأمر لعله بأنهم يفسقون وذلك يدل على
انه تعالى أراد منهم الفسق (والثالث) انه تعالى قال فحق عليها القول بالعذاب والكفر
ومنى حق عليها القول بذلك امتنع صدور الايمان منهم لان ذلك يستلزم انقلاب خبرائه
تعالى الصدق كذبا وذلك محال والمغضى إلى المحال محال قال النكعي ان سائر الآيات دلت

الحديث خير المال سكة مأبورة أى كثيرة النجاج وبه ضمه قراءة أمرنا وأمرنا من الأفعال على
والفعل وقد جعلنا من الامارة أى جعلناهم أمراء وكل ذلك لا يساعده مقام

الزجر عن الضلال والحث على الهدى فان مودى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنهم وافرة أبطرتهم وحلتهم على الفسق حملا ﴿ ٥٦٣ ﴾ حقيقا أن يعبر عنه بالامر به (وكم أهلكنا) أى وكثيرا

ما أهلكنا (من القرون
بيان لكم وتمييز له والقرن
مدة من الزمان يختص
فيها القوم وهي عشرون
أو ثلاثون أو أربعون
أو ثمانون أو مائة وقد أيد
ذلك بأنه عليه الصلاة
والسلام ذم لرجل
فقال عش قرن افعاش
مائة سنة أو مائة وعشرون
(من بعد نوح) من بعد
زمنه عليه الصلاة
والسلام كعاد وعمود
ومن بعدهم عن قصص
أحوالهم في القرآن
العظيم ومن لم تنقص
وعدم نظم قومه عليه
الصلاة والسلام في تلك
القرون المهلكة لظهور
أمرهم على أن ذكره
عليه الصلاة والسلام
رمز إلى ذكرهم (وكفى
بربك) أى كفى ربك
(بذنوب عباده خيرا
بصيرا) يحيط بطواهرها
و بواطنها فيعاقب عليها
وتقديم الخبر لتقدم
متعلقاته من الاعتقادات
والنيات التي هي مبادئ
الاعمال الظاهرة أو لعمومه
حيث يتعلق بغير المبصرات
أيضا وفيه إشارة إلى

على انه تعالى لا يبتدىء بالعذاب والهلاك لقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقوله وما كنا مهلكي القري
الا وأهلها ظالمون فكل هذه الآيات تدل على انه تعالى لا يبتدىء بالاضرار وأيضاً ما قبل
هذه الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ولا تزد وزرة ولا تزد أخرى ومن المحال أن يقع بين آيات القرآن تناقض فثبت
ان الآيات التي تلونها محكمة وكذا الآية التي نحن في تفسيرها فيجب حل هذه الآية
على تلك الآيات هذا ما قاله الكمي واعلم ان أحسن الناس كلاما في تأويل هذه الآية
على وجه يوافق قول المعتزلة القائل فانه ذكر فيه وجهين (الاول) قال انه أخبرنا
لا يعذب أحدا بما فعله منه ما لم يعمل به أى لا يجعل علمه حجة على من علم انه ان أمره عصاه بل
بأمره فاذا ظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه فقوله واذا أردنا أن نهلك قرية بأمرنا فمنها
معهنا واذا أردنا ما سبق من القضاء باهلاك قوم أمرنا المتتبعين للمعتزلة من الظانين
ان أموالهم وأولادهم وأنصارهم ترد عنهم بأسنا بالإيمان والعمل بشرائع دینی على
ما بلههم عنى رسول ففسقوا فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم
فحينئذ دمرناهم والخالص ان المعنى واذا أردنا أن نهلك قرية بسبب علمنا بأنهم لا يقدمون
الاعلى المعصية لم تنكف في تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل أمرنا متفرعاً عنها ففسقوا
فاذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع عليهم العذاب الموعود به (والوجه الثاني)
في التأويل ان نقول واذا أردنا أن نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من أهلها لم نعالجهم
بالعذاب في أول ظهور المعاصي منهم بل أمرنا متفرعاً عنها بالرجوع عن تلك المعاصي وانما يخص
المتفرعين بذلك الامر لان المتفرع هو المستم ومن كثرت نعم الله عليه كان قيامه بالشكر واجب
فاذا أمرهم بالتوابع والرجوع مرة بعد أخرى مع انه تعالى لا يقطع عنهم تلك النعم بل يزيد بها
حالا بعد حال فحينئذ يظهر عنادهم وتوهمهم و بدهم عن الرجوع عن الباطل الى الحق
فحينئذ يصب الله البلاء عليهم صباحاً قال الثعالبي وهذا التأويل لان رجوعاً الى ان الله
تعالى أخبر عباده انه لا يعاجل بالعقوبة أمة ظالمة حتى يعذر اليهم غاية الاعذار الذي يقع
منه اليأس من إيمانهم كما قال في قوم نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقال انه لن يؤمن
من قومك الا من قدامن وقال في غيرهم فأكفونا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاخبر تعالى
أولاً انه لا يظهر العذاب الا بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم أخبرنا في هذه
الآية انه اذا بعث الرسول ايضاً فكذبوا لم يعاجلهم بالعذاب بل يتابع عليهم النصائح
والمواعظ فان بقوا مصرين على الذنوب فهناك ينزل عليهم عذاب الاستئصال وهذا
التأويل الذي ذكره الثعالبي في تطبيق الآية على قول المعتزلة لم يتيسر لاحد من شيوخ
المعتزلة مثله وأجاب الجبائي بان قال ليس المراد من الآية انه تعالى يردها هلاكهم قبل
أن يعصوا ويستحقوا وذلك لانه ظلم وهو على الله محال بل المراد من الارادة قرب تلك الحالة

فإن البعث والامر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك
وانما هو لقطع الاعذار والزام الحجة من كل وجه (من

كان يريد) بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كإعمال البر أو بطريق ترتب المعلومات على العلة كالأسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد ﴿ ٥٦٤ ﴾ على الأول الكفيرة وأكثر الفسقة وعلى الثاني

أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحضر الغنمية (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينبغي عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة في قسمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها إرادة ما فيها من فنون مطايبها كقوله تعالى ومن كان يريد الحيرة الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيرة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله (مجانلة فيها) أي في تلك العاجلة فإن الحيرة واستمرارها من جملة ما يحل له فالأنسب بذلك كلمة من كافي قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها (مانشاء) أي مانشاء تعجيله له من نعمهم الأكل ما يريد (من يريد) تعجيل مانشاءه وهو بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنفي

فكان التقدير وإذا قرب وقت اهلاك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وهو كقول القائل إذا أراد المرء أن يموت ازدادت أمره شدة وإذا أراد التاجر أن يفقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد أن المرء يضرب يدان يموت والتاجر يضرب يدان يفقر وانما يعنون أنه سيصير كذلك فكندا ههنا واعلم أن جميع الوجوه الثلاثة التي ذكرناها في التمسك بهذه الآية لا شك أن كلها عدول عن ظاهر اللفظ وأما الوجه الثاني والثالث فقد بقي سليمان الطعن والله اعلم (المسئلة الثالثة) المشهور عند القراء السبعة أمرنا مترفيها بالتخفيف غير ممدودة ألف وروى برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس أمرنا بالمدوع ابن عمرو أمرنا بالتشديد فالمد على التكثير يقال أمر القوم بكسر الميم إذا كثروا وأمرهم الله بالمدأى كثروهم الله والتشديد على التسلط أي سلطانا مترفيها ومعناه التخلة وزوال المنع بالقهر والله أعلم أما قوله تعالى وكما اهلكنا من القرون من بعدنوح فاعلم أن المراد أن الطريق الذي ذكرناه هو عاد تنام الذين يفسقون ويمردون فيمات قدم من القرون الذين كانوا بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم ثم إنه تعالى خاطب رسوله بما يكون خطا بالغير ورد دعا وزجر لكل فقال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا وفيه بحثان (الأول) أنه تعالى علم بجميع المعلومات راء لجميع المراتب فلا يخفى علمه شيء من أحوال الخلق وثبت أنه قادر على كل الممكنات فكان قادرا على إبطال الجزاء إلى كل أحد بقدر استحقاقه وإبائه منزه عن العيب والظلم ومجموع هذه الصفات الثلاث أعني العلم التام والقدرة الكاملة والبراءة عن الظلم بشاره عظيمة لاهل الطاعة وخوف عظيم لاهل الكفر والمعصية (البحث الثاني) قال القراء أو ألفت الباء من قواك بربك جازوا وانما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه أو يذم كقولك كفالك بك وأكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما وجادشوك ثوبا ما إذا لم يكن مدحا أو ذما لم يجز دخولها فلا يجوز أن يقال قام بأخيك وانت تريد قام أخوك والله أعلم * قوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعيناها سبعيا وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) كلاهما مدحورا وهو لاهل عطاء برك وما كان عطائهم بك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) قال القائل رحمه الله هذه الآية داخلية في معنى قوله وكل إنسان الزمنا طأره في عتقه ومعناه أن الكمال في الدنيا قسمان فمنهم من يريد الذي يعمله الدنيا ومنافعهما والرياسة فيها فهذا يألف من الاتقياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدخول في طاعتهم والإجابة لدعوتهم اشتغالهم زوال الرياسة عنه فهذا قد جعل طأرنفسه شؤما لأنه في قبضة الله تعالى فيؤتيه الله في الدنيا منها قدر الأكاب شاء ذلك الإنسان بل كما يشاء الله إلا أن عاقبة جهنم يدخلها فبصلاها بجرها مذموما ملوما مدحورا منقيا مطرودا من رحمة الله وفي لفظ هذه الآية فوائد (الفائدة الأولى) أن العقاب عبارة عن مضرة مقرونة بالاهانة والذم بشرط

عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وهو واحد ﴿ إن ﴾ من الدهماء وتقييد المحل والمحل له بما ذكر من المشنة والإرادة

آن الحكمة التي عليها يدور ذلك التكوين لا تنقضي وصول كل طلب الى مراده ولا استغناء كل واصل لما يطلبه بتمامه وأما ما يتردى من قوله تعالى من كان ﴿ ٥٦٥ ﴾ يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون

من نبل كل مؤمل لجميع
آماله ووصول كل عامل
الى نتيجة أعماله فقد أشير
الى تحقيق القول فيه
في سورة هود بفضل الله
تعالى (ثم جعلناه) مكان
ما جعلناه (جهنم)
وما فيها من أصناف
العذاب (يصلها)
يدخلها وهو حال من
الغصير المجرور أو من جهنم
أو استئناف (مذموما
مدحورا) مطرودا من
رحمة الله تعالى وقبل
الآية في المناقذين كانوا
يراؤون المسلمين ويعزرون
معهم ولم يكن غرضهم
الامساك بهم في القنائم
ونحوها وبأية ما يقال
ان السورة مكية سوى
آيات معينة (ومن أراد)
بأعماله (الآخرة) الدار
الآخرة وما فيها من
النعيم المقيم (وسعى
لها سعيها) أى السعى
اللائق بها وهو الاتيان
بما أمر والانتها عما
نهى لا التقرب بما
يخترعون بازائهم وقائده
اللام اعتبار النية
والاخلاص (وهو
مؤمن) ايماننا صحيحا

أن تكون دائمة وخالية عن شوب المنفعة فتقوله ثم جعلناه جهنم يصلها اشارة الى المضرة
العظيمة وقوله مذموما اشارة الى الاهانة والذم وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد
عن رحمة الله وهى تفيد كون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة وتفيد كونها دائمة
وخالية عن التبدل بالراحة والخلاص (الفائدة الثانية) ان من الجهال من اذا ساعدته
الدنيا اغتر بها وظن أن ذاك لاجل كرامته على الله تعالى وأنه تعالى بين ان مساعدة الدنيا
لا ينبغي أن يستدل بها على رضا الله تعالى لان الدنيا قد تحصل مع انفاقها هي المصير
الى عذاب الله واهانتها فهذا الانسان اعماله تشبه طائر السوء في لزومها له وكونها سائقة
له الى اشد العذاب (الفائدة الثالثة) قوله تعالى لمن يريد يد على انه لا يحصل الفوز بالدنيا
لكل أحد بل كثير من الكفار والضلال يعرضون عن الدين في طلب الدنيا ثم يقولون
محرومين عن الدنيا وعن الدين وهذا أيضا فيه زجر عظيم لهؤلاء الكفار والضلال الذين
يتركون الدين لطلب الدنيا فانهم بما فاتتهم الدنيا فهم الاخسرون اعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (واما القسم الثانى) وهو قوله تعالى
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فشرط تعالى فيه شروط ثلاثة (أحدها)
ان يريد بعمله الآخرة أى ثواب الآخرة فانه ان لم يحصل هذه الارادة وهذه النية لم ينفع
بذلك العمل لقوله تعالى وأنيس للانسان الاماسعى ولقوله عليه الصلاة والسلام انما
الاعمال بالنيات ولان المقصود من الاعمال استنارة القلب بعرفة الله تعالى ومحبة وهذا
لا يحصل الا ان نوى بعمله عبودية الله تعالى وطلب طاعته (والشرط الثانى) قوله وسعى لها
سعيها وذلك هو أن يكون العمل الذى يحصل به الى الفوز بثواب الآخرة من الاعمال
التي بها ينال ثواب الآخرة ولا يكون كذلك الا اذا كان من باب القرب والطاعات وكثير
من الناس يتقربون الى الله تعالى باعمال باطلة فان الكفار يتقربون الى الله تعالى بعبادة
الاوثان ولهم فيه نأو يلان (أحدهما) يقولون له العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد
منا على اظهار عبوديته وخدمته فليس لنا هذا القدر والدرجة ولكن غاية قدرنا أن
نشتغل بعبودية بعض المقر بين من عباد الله تعالى مثل أن نشغل بعبادة كوكب أو
عبادة ملك من الملائكة ثم ان الملك والكوكب يشتغلون بعبادة الله تعالى فهو لا يتقربون
الى الله تعالى بهذا الطريق الا انه لما كان فاسدا في نفسه لاجرم لم يحصل الانتفاع به
(والثاويل الثانى لهم) انهم قالوا نحن اتخذنا هذه التماثيل على صور الانبياء والاولياء
ومرادنا من عبادتها ان تصير أو تلك الانبياء والاولياء شفعا لنا عند الله تعالى وهذا
الطريق أيضا فاسد وأيضا نقل عن الهند انهم يتقربون الى الله تعالى بقتل أنفسهم تارة
وباحراق أنفسهم أخرى ويأتون في تعظيم الله تعالى لأنه لما كان الطريق فاسدا
لاجرم لم ينفع به وكذلك القول في جميع فرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى
بمذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة وأعمالهم المخرفة عن قانون الصدق والصواب

لا يخاطب شئ قادح فيه ويراد الايمان بالجملة الخالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حد الصلة (فأولئك)

إشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما

في خبز الصلاة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعده منزلتهم والجمعية لمرعاة جانب المعنى ايماء الى
أن الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أي أو ثلث ٥٦٦ * الجماعة من الامر من الحاصل الحميدة أعني

ارادة الآخرة والسعي
الجميل لها والايسان
(كان سعيهم مشكورا)
مقبولا عند الله تعالى
أحسن النبول مثابا عليه
وفي تعليق المشكورية
بالسعي دون قرينيه
اشعار بأنه العمدة
فيها (كلا) التنوين
عوض عن المضاف
اليه أي كل واحد من
الفرقتين لا الفرق
الاخير المريد للخبر الحقيقي
بالاسعاف فقط (نمد)
أي زيدة مرة بعد مرة
بحيث يكون الانف
مددا لسا لف ومابه
الامداد ما عجل لاحدهما
من العطايا العاجلة
وما أعد للآخر من
العطايا الآجلة المشار
اليها بمشكورية السعي
وانما لم يصرح به تعويلا
على ما سبق تصريحا
وتلويحا واتكالا على
ما لحق عبارة وإشارة
كما ستقف عليه وقوله
تعالى (هو لا) بدل من
كلا (وهو لا) عطف
عليه أي عند هؤلاء
المجمل لهم وهؤلاء
المشكور سعيهم فان

(والشرط الثالث) قوله تعالى وهو مؤمن وهذا الشرط معتبر لان الشرط في كون أعمال
البر موجبة للثواب تقدم الايمان فاذا لم يوجد الشرط لم يحصل المشروط ثم انه تعالى
أخبر ان عند حصول هذه الشرائط يصير السعي مشكورا والعمل مبرورا واعلم ان الشكر
عبارة عن مجموع أمور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول
والايمان بأفعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله تعالى يعامل المطيعين بهذه
الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين في تلك الاعمال وانه تعالى يثني عليهم بكلامه
وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم معظمين عند الله تعالى واذا كان مجموع هذه
الثلاثة جاعلا لا كانوا مشكورين على طاعتهم من قبل الله تعالى ورأيت في كتب المعترف ان
جعفر بن حرب حضر عنده واحد من أهل السنة وقال الدليل على أن الايمان حصل بخلق
الله تعالى اننا نشكر الله على الايمان ولولم يكن الايمان حاصلنا بآجاده لامتنع ان نشكره
عليه لان مدح الانسان وشكره على ما ليس من عمله فيجح قال الله تعالى ويحبون أن يحمدا
بما يوفون وفاء لهم فالحاضرون عن الجواب قد دخل تمامة بن الاشرس وقال انما تمدح الله تعالى
ونشكره على ما أعطانا من القدرة والعقل والازل والكتب والبصاح الدلائل والله تعالى
يشكرنا على فعل الايمان قال تعالى فاولئك كان سعيهم مشكورا قال فضحك جعفر بن حرب
وقال صعب المسئلة فسهلت واعلم ان قولنا مجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل كلام
واضح لانه تعالى هو الذي أعطى الموجب التام لحصول الايمان فكان هو المستحق للشكر
ولما حصل الايمان للعبد وكان الايمان موجبا للسعادة التامة صار العبد أيضا مشكورا
ولامنافاة بين الامرين (المسئلة الثانية) اعلم أن كل من اتى بفعل فاما أن يقصد بذلك
الفعل تحصيل خيرات الدنيا وتحصيل خيرات الآخرة أو يقصده بمجموعهما أو لم يقصده
واحد منهما هذا هو التقسيم الصحيح اما ان يقصده تحصيل الدنيا فقط أو تحصيل الآخرة
فقط فالله تعالى ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية (أما القسم الثالث) وهو ينقسم الى
ثلاثة أقسام لانه اما أن يكون طلب الآخرة راجحا أو مرجوحا أو يكون الطابان
متعادلين * أما القسم الاول وهو أن يكون طلب الآخرة راجحا فهل يكون هذا العمل
مقبولا عند الله تعالى فيد بحث يحتمل أن يقال انه غير مقبول لما روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكى عن رب العزة انه قال أنا أغني الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه
غيري تركته وشركه وأيضا فطلب رضوان الله اما أن يقال انه كان سببا مستقلا بكونه
باعثا على ذلك الفعل أو داعيا اليه وأما أن يقال ما كان كذلك فان كان الاول امتنع
أن يكون غير مدخل في ذلك البعث والدعاء لان الحكم اذا حصل مسندا الى سبب تام
كامل امتنع أن يكون غير مدخل فيه وان كان الثاني فحينئذ يكون الحامل على ذلك
الفعل والداعي اليه ذلك المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب رضوان الله تعالى لان
المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب كونه مغايرا لكل واحد من جزأيه فهذا

الإشارة متعرضة لذات المشار اليه بماله من العنوان للذات فقط كالأخبار فغية تذكير لمابه الامداد * القسم *
وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير

ونؤكد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى (من عطاء ربك) أي من معطاه الواسع الذي لا تنهاه له متعلق بنحو
ومعنى عن ذكر ما به الامداد ومنه على ان الامداد * ٥٦٧ المذكور ليس بطريق الاستحباب بالسعي والعمل بل

بمحض الفضل (وما
كان عطاء ربك) أي
دينوا كان أو أخروا
وانما اظهر اظهار المزيد
الاعتناء بشأنه واشعارا
بعلية الحكم (محظورا)
ممنوعا من ريد بل هو
فائض على من قدر له
بوجوب المشيئة المبنية
على الحكمة وان وجد
منه ما يقتضى الحظر
كالكافر وهو في معنى
التعليل لشمول الامداد
للفريقين والتعرض
لعنوان الربوبية في
الموضعين للاشعار
ببديتها لما ذكر من
الامداد وعدم الحظر
(انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض)
كيف في محل النص
بفضلنا على الحالية والمراد
توضيح ما مر من الامداد
وعدم محظورية العطاء
بالنبيه على استحضار
مراتب أحد العطاين
والاستدلال بها على
مراتب الآخر أي
انظر بنظر الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم
على بعض فيما أمددناهم
به من العطايا العاجلة

القسم التحق بالقسم الذي كان الداعي اليه مغايرا لطلب رضوان الله تعالى فوجب أن
يكون مقبولا ويمكن أن يقال لما كان طلب الآخرة راجعا على طلب الدنيا تعارض المثل
بالمثل فيبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولا واما اذا كان
طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجعا فهذا قد اتفقوا على انه
غير مقبول الا انه على كل حال خير مما اذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الآخرة
(واما القسم الرابع) وهو أن يقال انه أقدم على ذلك الفعل من غير داع فهدأ بناء على ان
صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون انه متوقف
قالوا هذا القسم ممنوع الحصول والذين قالوا انه لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا اثر له
في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث والله أعلم ثم قال تعالى كلا أي كل واحد من
الفريقين والتوين عوض من المضاف اليه نعمه هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك أي انه تعالى
يمد الفريقين بالاموال ويوسع عليهم في الرزق مثل الاموال والاولاد وغيرهما من
اسباب العز والزينة في الدنيا لان عطاءنا ليس يضيق عن أحدهم ومنا كان أو كافر لان
الكل مخاوقون في دار العمل فوجب ازالة العذر وازالة العلة عن الكل وايصال
متاع الدنيا الى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فيبين تعالى ان عطاءه ليس بمحظور
أي غير ممنوع يحظره وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك ثم قال تعالى
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وفيه قولان (الاول) المعنى انظر الى عطائنا المباح الى
الفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فأوصلنا الى مؤمن وقبضنا عن مؤمن
آخر وأوصلنا الى كافر وقبضنا عن كافر آخر وقد بين تعالى وجد الحكمة في هذا
التفاوت فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخيرا وقال في آخر سورة الانعام ورفع بعضهم فوق بعض
درجات ليلوكم فيما آتاكم ثم قال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والمعنى ان تفاضل
الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم
فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة
الى الدنيا فاذا كان الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى رغبته
في طلب فضيلة الآخرة أولى (القول الثاني) ان المراد ان الآخرة اعظم وأشرف من
الدنيا والمعنى ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضل المؤمنين
على الكافرين وتظهر قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا
* قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر فتعد مذبذوبا) في الآية مسائل
(المسئلة الاولى) في بيان وجه التظم فتقول انه تعالى لما بين ان الناس فريقان منهم من
يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العقاب والعذاب ومنهم من يريد به طاعة الله وهم أهل
الثواب ثم شرط ذلك بشرائط ثلاثة (أولها) ارادة الآخرة (وثانيها) أن يعمل عملا ويسعى

فمن وضع ورفع وظالم وضليم ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب اعطائنا الآجلة ودرجات
تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال

الاعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (ولا آخرة أكبر) أي هي ما فيها أكبر من الدنيا وقرى أكثر (درجات وأكبر تفضيلا) لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها الملائكة لا يقادر قدرها ولا يكتبه كتبها كيف لا وقد عبر عنه

بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بما به الامداد العظما العاجلة فقط ويجعل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصه بالفرق الاول فان تخصيصه ارادتهم اهما ووصولهم اليها بان ذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينهما وبين الفرق الثانية ارادة ووصولهما يوهن اختصاصهما بالاولين فالمنع كل واحد من الفريقين ندبا عطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته اهما فقط من الفرق الاولى من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الديوى محظورا من أحدهم يريد ومن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما والآخرة الآفة واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفرق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا ينفع من عاصيها

سعيها موافقا لطلب الآخرة (وثالثها) أن يكون مؤمنا لا جرم فصل في هذه الآية تلك الجملات فبدأ أولا بشرح حقيقة الايمان وأشرف اجزاء الايمان هو التوحيد ونفي الشركاء والاضداد فقال لا تجعل مع الله الهة آخر ثم ذكر عقبيه سأمر الاعمال التي يكون المقدم عليها والمشتغل بها ساعيا به لا يليق بطلب الآخرة وصار من الذين سعد طائرهم وحسن نجاتهم وكذلك أحوالهم (المسئلة الثانية) قال المفسرون هذا في الظاهر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن في المعنى عام لجميع المكلفين كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ويحفل أيضا أن يكون الخطاب للانسان كما قيل أيها الانسان لا تجعل مع الله الهة آخر وهذا الاحتمال عندى أولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه الى قوله اما بلغن عندك التكبر أو كلاهما وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام لان أبو به ما بلغا التكبر عنده فعلمنا ان الخطاب بهذا هو نوع الانسان (المسئلة الثالثة) معنى الآية ان من اشرك بالله كان مذموما مخذولا والذي يدل على ان الامر كذلك وجوه * الاول ان المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم واخذلان * الثاني انه لما ثبت بالدليل انه لا اله الا الله ولا مدبر ولا مقدر الا الواحد الاحد فعلى هذا التقدير يكون جميع انهم حاسله من الله تعالى فمن اشرك بالله فقد اضاف بعض تلك التعم الى غير الله تعالى مع ان الحق ان كلهم من الله فيجب ان يستحق الذم لان الخلق تعالى استحق الشكر باعطائه ذلك التعم فلما وجد كونها من الله فقد قابل احسان الله تعالى بالفساد والجحود والكفران فاستوجب الذم وانما قلنا انه يستحق الخذلان لانه لما أثبت شريكا لله تعالى استحق ان يفوض امره الى ذلك الشريك فلما كان ذلك الشريك معسوما اتي بلانا مسر ولا حافظ ولا معين وذلك عين الخذلان * الثالث ان الكمال في الوحدة والافصان في الكثرة في أثبت الشريك فقد وقع في جانب التفصان واستوجب الذم والخذلان واعلم انه لما دل على تفاديه على ان المشرك مذموم مخذول وجب بحكم الآية أن يكون الموحدين ممدومين ممدومين وواو الله اعلم (المسئلة الرابعة) القعود المذكور في قوله ففقد مذموما مخذولا فيه وجوه (الاول) ان معناه المنكث أى فتكث في الناس مذموما مخذولا وهذه اللفظة مستعملة في لسان العرب والفرس في هذا المعنى فاذا سأل الرجل غيره ما يصنع فلان في تلك البلدة فيقول الخبيث هو قاعد بأسوا حال معناه المنكث سواء كان قائما أو جالسا (الثاني) ان من شأن المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه (الثالث) ان المتكبر من تحصيل الخيرات يسعى في تحصيلها والسعي التماسا يأتى باقيا وأما العاجز عن تحصيلها فانه لا يسعى بل يبقى جاسا قاعدا عن الطلب فلما كان القيام على الرجل أحد الامور التي بها يتم الفوز بالخيرات وكان التعود والجلوس علامة على عدم تلك المكتنة والقدرة لا جرم جعل القيام كناية عن القدرة على تحصيل الخيرات والقعود كناية عن العجز والضعف (المسئلة الخامسة) قال الواحدى قوله ففقد انتصب لانه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه باضمار أن كقواك لا تنقطع

بقضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الديوى بالفرق الثاني مع أنهم يسبق في الكلام ما يوهن ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه (لا تجعل مع الله الهة آخر)

الخطاب الرسول عليه الصلاة والسلام والمراد منه أمته وهو من باب التبيين والالهاب أو لكل أحد من يصلح للخطاب (فتقدم) بالانصب جوابا للهي والعود بمعنى * ٥٦٩ * الصبرورة من قولهم شخذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة

أو بمعنى العجز من قعدت عنه أى عجز عنه (مذموما مخذولا) خبران أو حالان أى جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بأن الموحّد جامع بين المدح والنصرة (وقضى ربك) أى أمر أمرأ مبرما وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك (ألا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا (الآية) على أن أذن مصدرية ولا نافية أو أى لا تعبدوا على أنهن مفسرة ولا نهاية لاز العبادّة غاية التعظيم فالتحق الأمن له غاية العطف ونهاية الانعام وهو كالنصفيل للسعي للآية (وبالوالدين) أى وبأن تحسنوا بهما أو أحسن بهما (احسانا) لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعبد (أما يافن عند الكبر أحدهما) أو كلاهما (أما مركبة من أن الشرط وما الزيدة لتأكيد ذلك) ولذا دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك

عنا فتجفوك والقدر لا يمكن منك انقطاع فحصل ان تجفوك فابعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء التى هى حرف العطف وانما سماء النحويون جوابا لكونه مشابهة للجزاء فى ان الشانى مسبب عن الاول ألا ترى أن المعنى ان انقطعت جفوتك كذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر قعدت مذموما مخذولا * قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه) اعلم انه لما ذكر فى الآية الاولى ما هو الركن الاعظم فى الايمان اتبعه بذكر ما هو من شعائر الايمان وشرايطه وهى أنواع (النوع الاول) أن يكون الانسان مشغلا بعبادة الله تعالى وان يكون محترزا عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو المراد من قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه وفيه بحثان (الاول) القضاء معناه الحكم الجزم البت الذى لا يقبل النسخ والدليل عليه ان الواحد منا اذا أمر بغيره بشئ فانه لا يقال انه قضى عليه أما اذا أمره امر اجزموا حكمه عليه بذلك الحكم على سبيل البت والقطع فههنا يقال قضى عليه ولفظ القضاء فى أصل اللغة يرجع الى اتمام الشئ وانقطاعه وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لان خلاف قضاء الله تمتع هكذار واه عنه الضحك وسعيد بن جبير وهو قراءة على وعبد الله واعلم ان هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد طرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم فى الدين (البحث الثانى) قد ذكرنا ان هذه الآية تدل على وجوب عبادة الله تعالى وتدل على المنع عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو الحق وذلك لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهابة التعظيم ونهاية التعظيم لتتبع الابن يصدر عنه نهابة الانعام ونهاية الانعام عبارة عن اعطاء الوجود والحياة والقدرة والشهوة والعقل وقد ثبت بالدلائل ان المعطى لهذه الاشياء هو الله تعالى لا غيره واذا كان المنعم بجميع النعم هو الله لا غيره لاجرم كان المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غيره فثبت بالدليل العقلى صحة قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه * قوله تعالى (وبالوالدين احسانا) اما يافن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا بكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كاللواوين غفورا) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى أمر بعبادة نفسه ثم اتبعه بالامر ببر الوالدين وبيان المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى وبين الامر ببر الوالدين من وجوه (الاول) أن السبب الحقيقى لوجود الانسان هو تخلق الله تعالى وایجاد السبب الظاهرى هو الابوان فأمر بتعظيم السبب الحقيقى ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهرى (الوجه الثانى) ان الوجود اما قديم واما محدث ويجب ان تكون معاملة الانسان مع الاله القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة

وتقديمه على المفعول مع أن حقه * ٧٢ * خا التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف

الرباطية والاحسان واحدهما فعل للعين وبأخيره عن الظرف والمفعول ثلاث بطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ
 يبلغان فأحدهما بدل من ضمير الثانية وكلاهما عطف * ٥٧٠ عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما نائبا كيدا للضمير

وتوحيد ضمير الخطاب
 في عندك وفيما بعدهم
 أن ماسبق على الجمع
 للاحتراز عن التباس
 المراد فان المقصود ههنا
 كل أحد عن تأنيف
 والديه ونهرهما ولو
 قول الجمع بالجمع وبالثنائية
 لم يحصل هذا المرام
 (فلانقل لهما) أى
 لواحد منهما حاشى
 الانفراد والاجتماع (أف)
 وهو صوت ينشأ عن
 تعجير أو اسم فعل هو
 أن تعجير وقرئ بالكسر
 بلاثنتين وبالفتح والضم
 متونا وغير متون أى
 لا تعجير بسانتقذر
 منهما وتستقل من
 مؤنهما وهذا انتهى
 يفهم النهى عن سائر
 ما يؤذيهما بدلالة
 النص وقد خص بالذكر
 بعضه اظهار الاعتناء
 بشأنه فقل (ولا تنهرهما)
 أى لا تزجرهما معالا
 يعجبك باغلاظ قيل
 النهى والنهر والنهم
 أخوات (وقل لهما)
 بدل التأنيف والنهر
 (قولاً كريماً) ذاكر
 أو هو وصف له بوصف
 صاحبه أى قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى يقتضيه حسن الادب ويستدعيه التزول * خبر

وهو المراد من قوله عليه السلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق
 بصرف الشفقة اليه هو الابوان لكثرة انعامهما على الانسان وقضى ربك
 ألا تعبدوا الا اياه اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وبالوالدين احسانا اشارة الى الشفقة
 على خلق الله (الوجه الثالث) ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم النعم الحقيقى هو الخالق
 سبحانه وتعالى وقد يكون أحد من المخلوقين منعم عليك وشكره أيضاً واجب لقوله عليه
 السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لأحد من الخلائق نعمة على الانسان مثل
 ما للوالدين وتقديره من وجوه (أحدها) ان الولد قطعة من الوالدين قال عليه السلام
 فاطمة بضعة مني (وثانيها) ان شفقة الابوين على الولد عظيمة وجدهما فى اصال الخير الى
 الولد كالامر الطيبى واحترازهما عن اصال الضرر اليه كالامر الطيبى ومتى كانت
 الدواعى الى اصال الخير متوفرة والصوارف عنه زائلة لا جرم كثرة اصال الخير فوجب أن
 تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة أكثر من كل نعمة تصل من انسان الى انسان (وثالثها)
 ان الانسان حال ما يكون فى غاية الضعف ونهاية العجز يكون فى انعام الابوين فاصناف
 نعمهما فى ذلك الوقت واصلة اليه واصناف رحمة ذلك الولد واصلة الى الوالدين فى ذلك
 الوقت ومن المعلوم ان الانعام اذا كان واقفاً على هذا الوجه كان موقعه عظيماً
 (ورابعها) ان اصال الخير الى الغير قد يكون اداعية اصال الخير اليه وقد يعتزج بهذا
 الغرض سائر الأغراض واصل الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فقط فكان الانعام فيه
 أتم وأكمل فثبت انه ليس لأحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل ما للوالدين على الولد فبدأ
 الله تعالى بشكر نعمة الخالق وهو قوله وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه ثم اردفه بشكر نعمة
 الوالدين وهو قوله وبالوالدين احساناً والسبب فيه ما بيننا ان أعظم انعم بعد انعام الله
 الخالق نعمة الوالدين فان قيل الوالدان انما يطلبان تحصيل اللذة لنفسهما فلزم منه دخول
 الولد فى الوجود وحصوله فى عالم الآفات والمخافات فأى انعام الابوين على الولد حكي
 ان واحداً من المنعمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذى أدخلنى فى عالم
 الكون والفساد وعرضنى للموت والفقر والعصى والزمانة وقيل لابي العلاء المعرى ماذا
 نكتب هلى فبكك قال اكتبوا عليه

هذا جند أبي على وما جئت على أحد

وقال فى ترك التزوج والولد

وتركت أولادى وهم فى نعمة * العدم التى سبقت نعيم العاجل

ولوانهم ولدوا لعانوا شدة * ترمى بهم فى موفقات الآجل

وقيل للاسكندر أستاذك أعظم من عليك أم والدك فقال الأستاذ أعظم منه لانه تحمل
 أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي أرتعنى فى نور العلم وأما والدك فانه طلب تحصيل لذة
 الوقاع لنفسه وأخرجنى الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المشهورة المساثورة

صاحبه أى قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى يقتضيه حسن الادب ويستدعيه التزول * خبر
 على المروءة مثل أن يقول

بابه وبأماه كدأب إبراهيم عليه السلام اذ قال لاييه ياأبت مع ما به من الكفر ولا يدعوها بأسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب ودنن الدعار وسئل الفضيل * ٥٧١ * بن عياض عن بر الوالدین فقال أن لاتقوم الى خدمتهما

عن كسل وقيل أن لاترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترجم عليهما ما ماشا وتدعولهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي عليه الصلاة والسلام ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه (واخفض لهما جناح الذل) عبارة عن الانفة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناح الذليل أو جعل لذه جناح كما جعل لبيد في قوله * وغداة ربح قد كشفت وقرة * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها * لقرة زماما وللشمال يدا تشبيهاله بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لهما وشفقة عليهما وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله الففال فلا يناسب المقام

خيلا لآباء من علمك والجواب هب انهما في أول الامر طلبا النذة الوقاع الآن الاهتمام بإبصال الخبريات وفي دفع الآفات من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر أليس انه أعظم من جميع ما يتخيل من جهات الخيرات والمبرات فسقطت هذه السببهات والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله وبأوالدين احسانا قال أهل اللغة تقدير الآية وقضى ربك ألا تعبدوا الا الله وان تحسنوا أو يقال وقضى ألا تعبدوا الاياه وأحسنوا بأوالدين احسانا قال صاحب الكشاف ولا يجوز ان تتعلق الباء في وبأوالدين بالاحسان لان المصدر لا تقدم عليه صلته ثم لم يذ كر دليل على ان المصدر لا يجوز ان تقدم عليه صلته وقال الواحدى في البسيط الباء في وبأوالدين من صلة الاحسان وقدمت عليه كما تقول بزبد فامر روهذا المثال انذى ذكره الواحدى غير مطابق لان المطلوب تقديم صلة المصدر عليه والمثال المذكور ليس كذلك (المسئلة الثالثة) قال القفال لفظ الاحسان قدي بوصل بحرف الباء تارة وبحرف الى أخرى وكذلك الاساءة يقال أحسنت به واليه وأسأت به واليد قال الله تعالى وقد أحسن بي وقال القائل

أسيئ بنا أو أحسنى لا مومة * لدينا ولا مقلبة ان تغلب

وأقول لفظ الآية مشتمل على قيود كثيرة كل واحد منها يوجب المباشرة في الاحسان الى الوالدين (أحدها) انه تعالى قال في الآية المقدمة ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم انه تعالى أردفه بهذه الآية المسئلة على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة فذكر من جعلها البر بالوالدين وذلك يدل على ان هذه الطاعة من اصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة (وثانيها) انه تعالى بدأ بذكر الأمر بالتوحيد وثنى بطاعة الله تعالى وثالث بالبر بالوالدين وهذه درجة عالية ومباشرة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة (وثالثها) انه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبأوالدين احسانا فقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام (ورابعها) انه قال احسانا بلفظ التكبير والتكبير يدل على التعظيم والمعنى وقضى ربك ان تحسنوا الى الوالدين احسانا عظيما كاملا وذلك لانه لما كان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات فلا تحصل المكافاة لان افعالهما عليك كان على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافأ ثم قال تعالى اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لفظ اما لفظة مركبة من لفظتين ان وما أما كلمة ان فهي للشرط وأما كلمة ما فهي أيضا للشرط كقوله تعالى ما تشيخ من آية فلما جمع بين هاتين الكلمتين أفاد التاكيد في معنى الاشتراط الآن علامة الجزم لم تظهر مع نون التاكيد لان الفعل يبنى مع نون التاكيد وأقول لقائل أن يقول ان نون التاكيد انما يليق بالموضع الذي يكون الاثني به تأكيد ذلك الحكم المذكور وتقريره وثباته على أقوى الوجوه الا ان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع لان

(من الرحمة) من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورفقك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان أقر خلق الله تعالى

اليهما ولا تكتف برحمتك الغاية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية (وقل بارحهما) برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جعلتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك ﴿٥٧٢﴾ ﴿كفرهما﴾ (كارياني) الكاف في محل

قول القائل اشئ اما كذا واما كذا فالملطوب منه ترديد الحكم بين ذلك الشئين المذكورين وهذا الموضع لا يليق به انظر روائنا كبدي فكيف يليق الجمع بين كلاً ما لو بين نون التأكيدي وجوابه ان المراد ان هذا الحكم المقرر المأكد اما ان يقع واما ان لا يقع والله اعلم (المسئلة الثانية) قرأ الاكثر من اما يلغى عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وعلى هذا التقدير فتقوله يبلغن فعل وفاعله هو قوله أحدهما وقوله أو كلاهما عطوف عليه فتقوله ضرب بدأ وعمره وواستد قوله يبلغن الى قوله كلاهما جاز اقدم الفعل تقول قال رجل وقال رجلان وقالت الرجال وقرأ حزة والكسائي يبلغان وعلى هذه القراءة فتقوله أحدهما بدل من ألف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطوف على أحدهما فاعلا أو بدلا فان قيل لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فلم يزعم انه بدل قلنا لانه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا الاثنين فانظم في حكمه فوجب أن يكون مثله في كونه بدلا فان قيل لم لا يجوز أن يقال قوله أحدهما بدل وقوله أو كلاهما توكيد ويكون ذلك عطفا لتوكيد على البدل قلنا الطف يقتضي المشاركة فيعمل أحدهما بدلا والاخر توكيد اخلاف الاصل والله اعلم (المسئلة الثالثة) قال أبو الهيثم الرازي وأبو الفتح الموصلي وأبو علي الجرجاني ان كلا اسم مفرد يفيد معنى التثنية ووزنه فعل ولا مد معتل بمنزلة تلامحجى ورضى وهى كلمة وضعت على هذه الخلقة يؤكد بها الاثنان خاصة ولا تكون الامضافة والتدليل عليه انها لو كانت تثنية لوجب أن يقال فى النسب والخفض مررت بكلى الرجلين بكسر الباء كما تقول بين يدي الرجل ومن ثلثي الليل وباصحابي السجن وطرفي النهار ولم يكن الامر كذلك علمنا انها ليست تثنية بل هى لفظة مفردة وضعت للدلالة على التثنية كما ان لفظة كل اسم واحد موضوع للجماعة فاذن أخبرت عن لفظة كما تخبر عن الواحد كقوله تعالى وكلهم آتية يوم القيامة فردا وكذلك اذا أخبرت عن كلاً أخبرت عن واحد فقلت لكلاخوتك كان قائما قال الله تعالى كلنا الجنةين أنت اكلاهما ولم يقل آتينا والله اعلم (المسئلة الرابعة) قوله يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والحجر فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الجملة فمن هذا الذكر كلف الانسان في حق والوالدين بخمسة أشياء (النوع الاول) قوله تعالى فلا تقل لهما أف وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج فيه سبع لغات كسر الفاء وضعتها وفتحها وكل هذه الثلاثة بتووين وبغير تووين فهذه ستة واللغة السابعة أف بالياء قال الاخفش كأنه أضاف هذا النول الى نفسه فقال قولى هذا وذكر ابن التبرارى من لغات هذه اللفظة ثلاثة زائدة على ما ذكره الزجاج أف بكسر الالف وفتح الفاء وأف بضم الالف وادخال الهاء وأف بضم الالف وتسكين الفاء (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تووين ونافع وحفص بكسر الفاء والتووين والباقيون بكسر الفاء من غير تووين وكلها لغات وهى هذا الخلاف

النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي رحمة
مثل تربيتهما الى أو مثل
رحتهما لي على أن
التربية رحمة ويجوز
أن يكون لهما الرحمة
والتربية معا وقد ذكر
احدهما في أحد
الجانين والآخري
الآخر كما يوضح به
التعرض لغنوان الريوية
في مطامع الدعاء كأنه
قيل رب ارحهما
وربهما كما رحمتني
ورباني (صغيرا)
ويجوز أن تكون المكاف
للتعليل أي لاجل
تربيتهما لي كقوله تعالى
واذكروا كفاهكم واتد
بالغ عز وجل في التوصية
بهما حيث افتتحها
بأن شفع الاحسان
اليهما بتوحيده سبحانه
ونظمهما في سلك
القضاء بهما معا
ثم مضى الامر في باب
مراعاتهما حتى
لم يرخص في ادنى كلمة
تغلّت من التضييق
مع ماله من موجبات
التضييق ما لا يكاد
يدخل تحت الحصر

وختها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بقرنيهما وعن النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ في ﴾

وروي بفعل اليسار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار، يفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا ٥٧٣ من الكبر أني ألى منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتها

حقهما قال لا فانهما

كان يفعلان ذلك وهما

يحبان بقاءك وأنت تفعل

ذلك وأنت تريد موتهما

وروي إن شيخاً أتى النبي

عليه الصلاة والسلام

فقال إن ابني هذا له

مال كثير وأنه لا ينفق

علي من ماله فنزل

جبريل عليه السلام

وقال إن هذا الشيخ

قد أنشأ في ابنه آياتاً

ما قرع سمع بمثلها

فاستشدها * فأشدها

الشيخ فقال * غدتك

مواد ومثك يافعا *

فعل بما أجنى عليك

وتنهل * اذ البله ضافك

يا السقم لم أبت * لسمك

الابا كيا تمل * كاني

أنا المطروق دونك

بالذي * طرقت به دوني

وعني تحمل * فلما باغت

السن والغايه التي *

اليها مدى ما كنت

فيك أول * جعلت

جرائ غلظه وفظاظة

* كأنك أنت المنعم

المنفصل * فليتك

اذ لم ترع حق أبوتي *

فعلت كما الجار المجاوز

يفعل * فغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لايك (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من البر والعقوق (إن تكونوا صالحين)

فاصدين للصلاح والبرودن

في سورة الانبياء أف لكم وفي الاحقاف أف لكم وأقول البحث المشكل ههنا انا لما نقلنا عشرة أنواع من اللغات في هذه اللفظة فما السبب في انهم تركوا أكثر تلك اللغات في قراءة هذه اللفظة واقتصروا على وجوه قليلة منها (المسئلة الثالثة) ذكروا في تفسير هذه اللفظة وجوها (الاول) قال الفراء قول العرب جعل فلان يتأفف من ربح وجدها معناه يقول أف أف (الثاني) قال الاصمعي الأف وسخ الاذن والتف وسخ الظفر يقال ذلك عند استئذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به (الثالث) قال بعضهم أف معناه قلة وهو مأخوذ من الأفيق وهو الشيء القليل وتب اتباعه كقولهم شيطان إبليس خبيث نيث (الرابع) روي ثعلب عن ابن الاعرابي الأف الخنجر (الخامس) قال القتيبي أصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب أو رمد فغضت فبدأت عليه والصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك أف ثم اتوسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل مكروه يصل اليهم (السادس) قال الزجاج أف معناه التثنية وهذا قول مجاهد لانه قال معني قوله ولا تنقل لهما أف أي لا تغدراهما كما اللهم لم يتذرك حين كنت تغرأ وتول وفي رواية أخرى عن مجاهد انه اذا وجدت منهما رأحة تؤذيك فلا تنقل لهما أف (المسئلة الرابعة) قول القائل لا تنقل لفلان أف مثل يضرب للمنع من كل مكروه وأذية وإن خف وقيل واختلف الاصوليون في أن دلالة هذا اللفظ على المنع من سائر أنواع الأذى دلالة نفيية أو دلالة مفهومة بمقتضى القياس قال بعضهم انها دلالة نفيية لان أهل العرف اذا قالوا لا تنقل لفلان أف عنوانه انه لا تعرض له بنوع من أنواع الأذى والايحاش وجرى هذا مجرى قواهم فلان لا يملك تغيرا ولا قطميرا في انه بحسب العرف يدل على انه لا يملك شيئا والقول الثاني ان هذا اللفظ انما يدل على المنع من سائر أنواع الأذى بحسب القياس الجلي وتقريره ان الشعر اذا نص على حكم صورة وسكت عن حكم صورة أخرى فاذا أردنا الحاق الصورة المسكوت عن حكمها بالصورة المذكور حكمها فهذا على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يكون ثبوت ذلك الحكم في محل السكوت أولى من ثبوته في محل الذكر مثل هذه الصورة فان اللفظ انما يدل على المنع من التأفيف والضرب أولى بالمنع من التأفيف (وثانيها) أن يكون الحكم في محل السكوت مساويا للحكم في محل الذكر وهذا هو الذي يسميه الاصوليون القياس في معنى الاصل وضرب بوالهنا مثلا وهو قوله عليه السلام من اعتق نصيبا له من عبد قوم عليه الباقي فان الحكم في الامه والعبد متساويان (وثالثها) أن يكون الحكم في محل السكوت أخفى من الحكم في محل الذكر وهو أكبر القياسات اذا عرفت هذا فنقول المنع من التأفيف انما يدل على المنع من الضرب بواسطة القياس الجلي الذي يكون من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى والدليل عليه ان التأفيف غير الضرب فالمنع من التأفيف لا يكون منعاً من الضرب وأيضا المنع من التأفيف لا يستلزم المنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا أخذ ملكا عظيما كان عدو له فقد يقول للجلاد اياك

الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لايك (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من البر والعقوق (إن تكونوا صالحين) فاصدين للصلاح والبرودن

العقوق والفساد (فانه) تعالى (كان الاوابين) أي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه
البشر (غفورا) لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو ﴿ ٥٧٤ ﴾ قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد

في الامر بمراعاة حقوقهما

ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على أبويه دخولا أوليا (وأتذا القربي) أي ذا القرابة (حقه) توصية بالأقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كإني صنفه قوله تعالى (والمسكين وابن السبيل) فان الأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة أي وأحما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الإفراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية (ولا تبذر تبذيرا) نهى عن صرف المال الى من سواهم من لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات والقائم كيف ما كان من غير نعهد لمواقفه لاعتن الاكثر في صرفه اليهم والالتباس به الاسراف الذي هو تجاوز الحد

وان تستخف به أو تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته وإذا كان هذا معقولا في الجملة علمنا ان المنع من التأنيف مغاير للمنع من الضرب وغير مستتر من أيضا المنع من الضرب عقلا في الجملة الا ان علمنا في هذه الصورة أن المقصود من هذا الكلام المبالغة في تعظيم الوالدين بدليل قوله وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فكانت دلالة المنع من التأنيف على المنع من الضرب من باب القياس بالادنى على الاعلى والله أعلم (النوع الثاني) من الاشياء التي كلف الله تعالى العباد بها في حق الابوين قوله ولا تتهرهما يقال نهزه وانهزه اذا استقبله بكلام يزجره قال تعالى وأما السائل فلا تهر فان قيل المنع من التأنيف يدل على المنع من الاتهام بطريق الاولى فلما قدم المنع من التأنيف كان ذكر المنع من الاتهام بعده عبثا أما لو فرضنا انه قدم المنع من الاتهام ثم اتبعه بالمنع من التأنيف كان مفيدا حسنا لانه يلزم من المنع من الاتهام المنع من التأنيف فاما السبب في رعاية هذا الترتيب فلنا المراد من قوله فلا تنقل لهما أف المنع من اظهار الخبز بقليل أو الكثير والمراد من قوله ولا تتهرهما المنع من اظهار الخفا في القول على سبيل الرد عليه والتكذيب له (النوع الثالث) قوله تعالى وقل لهما قولا كريما واعلم انه تعالى لما منع الانسان بالآية المقدمة عن ذكر القول المؤذي الموحش وانتهى عن القول المؤذي لا يكون أمرا بالقول الطيب لاجرم أردفه بان امره بالقول الحسن والكلام الطيب فقال وقل لهما قولا كريما والمراد منه ان يخاطبه بالكلام المقرون بامارات التعظيم والاحترام قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أن يقول له يا أبا لهيعة ما علمه وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد القفط وعن عطاء أن يقال هو ان تتكلم معه بشرط أن لا ترفع عليهما صوتك ولا تشد اليهما نظرك وذلك لان هذين الفعلين يناهيان القول الكريم فان قيل ان ابراهيم عليه السلام كان أعظم الناس علما وكرما وأدباً فكيف قال لآبيه يا أزر على قراءة من قراءه واذ قال ابراهيم لآبيه أزر بالضم اني أراك وقومك في ضلال مبين فخاطبه بالاسم وهو ابتداء ثم نسبته ونسب قومه الى الضلال وهو أعظم أنواع الايذاء فلنا ان قوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا يدل على ان حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فاقدام ابراهيم عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقدما لحق الله تعالى على حق الابوين (النوع الرابع) قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة والمقصود منه المبالغة في التواضع وذكر التقاليد لرحمة الله في تقريره وجهين (الاول) ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للترية خفض له جناحه ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن الترية فكأنه قال لا ولد لكفل والديك بان تضعهما الى نفسك كما فعل ذلك بك حال صفرك (والثاني) ان الطائر اذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحيه واذ أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحيه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا

في صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطهما وكلاهما مذموم (ان المبذرين كانوا اخوان) الوجه ﴿ الشياطين ﴾ لتعليل للنهي عن التدر ببيان انه يجعل صاحبه ملذ وذافي قرن الشياطين

والمراد بالاخوة المبالغة التامة في كل ما لاخير ﴿ ٥٧٥ ﴾ فيه من صفات السوء التي من جلتها التذير أى كانوا

بما فعلوا من التذير أمثال
الشياطين أو الصداقة
والملازمة أى كانوا
أصدقاءهم وأتباعهم
فيما ذكر من التذير
والصرف في المعاصي
فانهم كانوا ينحرون الابل
ويبأسرون عليها
ويبذرون أموالهم
في السمعة وسائر ما لاخير
فيه من المناهى والملاهى
أو المقارنة أى قرانهم
في النار على سبيل الوعيد
(وكان الشيطان لربه
كفورا) من تمة التعليل
أى مبالغة كفران نعمته
تعالى لان شأنه أن يصرف
جميع ما أعطاه الله تعالى
من القوى والقدر الى غير
ما خلقت هى له من أنواع
المعاصي والافساد
في الارض واضلال الناس
وحملهم على الكفر بالله
وكفران نعمه الفائضة
عليهم وصرفها الى غير
ما أمر الله تعالى به
وتخصيص هذا الوصف
 بالذكر من بين سائر أوصافه
القبیحة لايدان بأن
التذير الذى هو عبارة
عن صرف نعم الله تعالى
الى غير مصرفها من باب

الوجه فان قيل كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لجناح له قلنا فيه وجهان (الاول)
انه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكما ان المراد هناك حاتم الجواد فكذلك
ههنا المراد واخفض لهما جناح الذليل أى المذلول (والثاني) ان مدار الاستعارة على
الخيالات فههنا تخيل للذل جناحا وابتدئ لذلك الجناح صفة تكميلا لامر هذه الاستعارة
كما قال لبيد * اذا أصبحت بيد الشمال ذمامها * فأنبت للشمال بدا ووضع زمامها في يد
الشمال فكذلك ههنا وقوله من الرحمة معناه ليكن خفض جناحك لهما بسبب فرط رحمتك
لهما وعطفك عليهما بسبب كبرهما ووضعك معهما (والنوع الخامس) قوله وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا وفيه مباحث (البحث الاول) قال النفال رحمه الله تعالى انه لم يقتصر
في تعليم البر بالوالدين على تعليم الاقوال بل أضاف اليه تعليم الافعال وهو ان يدعو لهما
بالرحمة فيقول رب ارحمهما ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا ثم يقول كما
ربياني صغيرا يعنى رب افعولهما هذا النوع من الاحسان كما أحسننا الى قريتهما ابائى
والتربية هى التمية وهى من قولهم رب بالشئ اذا شقخ ومنه قوله تعالى فاذا أنزلنا عليها
الماء اهترت وربت (البحث الثاني) اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال
(الاول) انها منسوخة بقوله تعالى ما كان لنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
فلا ينبغي للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول رب ارحمهما (والقول
الثاني) ان هذه الآية غير منسوخة ولكنها مخصوصة في حق المشركين وهذا أولى من
النول الاول لان التخصيص أولى من النسخ (والقول الثالث) انه لا نسخ ولا تخصيص
لان الوالدين اذا كانا كافرين فله ان يدعو لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما
بعد حصول الايمان (البحث الثالث) ظاهر الامر للوجوب بقوله وقل رب ارحمهما أمر
وظاهر الامر لا يفيد التكرار فيكون في العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول مرة
واحدة مثل سفیان كم يدعو الانسان لوالديه فى اليوم مرة أو فى الشهر أو فى السنة فقال
زرجوان يجزئه اذا دعا لهما فى أواخر الشهادات كما أن الله تعالى قال يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه فكانوا يرون ان التشهد يجزى عن الصلاة على النبی صلى الله عليه وسلم وكان أن
الله تعالى قال واذكروا الله فى ایام معدودات فهم يكررون فى أدبار الصلوات ثم قال تعالى
ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين والمعنى انافه أمرناكم فى هذه الآية
باخلاص العباد لله تعالى وبالاحسان بالوالدين ولا يخفى على الله ما نضمرونه فى أنفسكم
من الاخلاص فى الطاعة وعدم الاخلاص فيها فاعلموا أن الله تعالى مطلع على ما فى
نفوسكم بل هو اعلم بتلك الاحوال منكم بها لان علوم البشر قد يختلط بها السهو والنسيان
وعدم الاحاطة بالكل فأما علم الله فغزة عن كل هذه الاحوال واذا كان الامر كذلك كان
عالما بكل ما فى قلوبكم والمقصود منه التحذير عن ترك الاخلاص ثم قال تعالى ان تكونوا
صالحين أى ان كنتم برآء عن جهات الفساد فى أحوال قلوبكم كنتم أو ابين أى رجاء عين الى

الكفران المقابل للشكر الذى هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هى له والنوع لوصف الربوبية للاشعار بكمال
عته فان كفران نعمته الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعى الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال

والطفبان (واما تعرض عنهم) أى ان اعتراك أمر اضطررك ﴿ ٥٧٦ ﴾ إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين (ابتغاء

الجنة طعين اليه في كل الاعمال وسنة الله وحكمه في الاوابين انه غفور لهم يكفر عنهم سيئاتهم والواب هو الذى من عادته ودينه الرجوع الى الله تعالى والالتجاء الى فضله ولا يتجنى الى شفاعته شفيع كما يفعله المشركون الذين يعبدون من دون الله جادا يزعمون أنه يشفع لهم ولغظ الاواب على وزن فعال وهو يفيد المداومة والكثرة كقولهم قتال وضراب والمقصود من هذه الآية ان الاولى لما دلت على وجوب تعظيم الوالدين من كل الوجوه ثم ان الولد قد يظهر عنه نادرة محزنة بتعظيمهما فقال ربكم أعلم بما في نفوسكم يعنى انه تعالى عالم بأحوال قلوبكم فان كانت تلك الهفوة ليست لاجل العتوق بل ظهرت بمقتضى الجملة البشرية كانت في محل العفران والله أعلم * قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً) اعلم ان هذا هو النوع الرابع من أعمال الخير والطاعة المذكورة في هذه الآيات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله وآت خطاب مع من فیه قولان (الاول) انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فأمر الله ان يؤتى أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في النى والغنية وأوجب عليه أيضا اخراج حق المساكين وأبناء السبيل أيضا من هذين المثالين (والقول الثانى) انه خطاب للكل والدليل عليه انه معطوف على قوله وقضى ربك ألا تعبدوا والاياه والمعنى انك بعد فراغك من بر الوالدين يجب أن تشتغل ببر سائر الاقارب الاقرب فالاقرب ثم باصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل واعلم ان قوله تعالى وآت ذا القربى حقه مجمل وليس فيه بيان ان ذلك الحق ما هو وعند الشافعى رحمة الله انه لا يجب الاتفاق الاعلى الولد والوالدين وقال قوم يجب الاتفاق على المحارم بقدر الحاجة وانفقوا على ان من لم يكن من المحارم كبناء العم فلاحق لهم الامواله والزيادة وحسن المعاشرة والمؤنفة في السراء والضراء أما المسكين وابن السبيل فقد تقدم وصفهما في سورة التوبة في تفسير آية الزكاة ويجب أن يدفع الى المسكين ما بقى بقوته وقوت عياله وان يدفع الى ابن السبيل ما يكفيه من زاده وراحته الى أن يباع مقصده ثم قال تعالى ولا تبذر تبذرا والتبذير في اللغة افساد المال وانفاقه في السرف قال عثمان بن الاسود كنت أطوف في المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه الى أنى قبس وقال لو أن رجلا أنفق مثل هذا في طاعة الله لم يكن من الميسرين ولو أنفق درهم واحد في معصية الله كان من الميسرين وأنفق بعصمهم نفقة في خيرا فأكثر فقبل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد فقال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جارتم به تعالى على قبح التبذير باضافته اياه الى أفعال الشياطين فقال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد من هذه الاخوة التشبه بهم في هذا الفعل القبيح وذلك لان العرب يسمون الملازم

رحمة من ربك) أى لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء (ترجوها) من الله تعالى اعطيهم وكان عليه السلام اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل و سكت حياء فأمر بتعهدهم بالقول الجميل لا لاتعترهم الوحشة بسكونه عليه السلام فقبل (فقل لهم قولاً ميسوراً) سهل ليناً و عدهم وعداجيلاً من بسر الامر نحو سعدا وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا لهم يسر عليهم فقرهم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تميلان لمنع الشحيح واسراف المبدور زجر الهمما عنهما و اجلا على ما بينهما من الاقتصاد * كلا طر في قصد الامور ذمهم * وحيث كان قبح الشخ مقارنا له معلوما من أول الامر روى ذلك في التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره قبل (فتعد معلوما) أى فنبصر معلوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا حجت وندمت على ما فعلت (محسورا) نادما أو منقطعاً بك * للشيء

تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا حجت وندمت على ما فعلت (محسورا) نادما أو منقطعاً بك * للشيء لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من أنه روى عن جابر

رضي الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذا تاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعذلتنا فذهب الى أمه ﴿ ٥٦٧ ﴾ فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك

فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قبضه وأعطاه وقعد عربا ناوذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فزلات فيأباه أن السورة مكية خلايات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام أعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري ففجأ عباس بن مرداس فأنشأ يقول * أنجعل نبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع * وما كان حصن ولا حاس * يقوقان مرداس في مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع * فقال عليه السلام يا أبابكر اقطع لسانه عنى أعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فزلات (ان ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لتليل لما رأى يوسف على بعض وضيقة على آخرين حسبا تتعلق به مشيتة اتابعة للحكمة فليس ما يرهق من الاضافة التي

لشيء اخاله فيقولون فلان أخو الكرم والجود وأخو السفر اذا كان مواظبا على هذه الاعمال وقيل قوله اخوان الشياطين أى قرناءهم في الدنيا والآخرة كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى قرناءهم من الشياطين ثم انه تعالى بين صفة الشيطان فقال وكان الشيطان لربه كفور او معنى كون الشيطان كفورا لربه هو انه يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الارض والاضلال للناس وكذلك كل من رزقه الله تعالى مالا أو جها فصر فداى غير مرضاة الله تعالى كان كفورا للنعمة الله تعالى والمقصود ان البذرين اخوان الشياطين بمعنى كونهم موافقين للشياطين في الصفة والفعل ثم الشيطان كفور لربه فيلزم كون البذر أيضا كفورا لربه وقال بعض العلماء خرجت هذه الآية على وفق عادة العرب وذلك لانهم كانوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها في طلب الخلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن الاسلام وتوهين أهله واعانته فزلت هذه الآية تنبيهها على قبح أعمالهم في هذا الباب ثم قال تعالى واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها والمعنى انك ان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد بسبب الفقر والثقة بقتلهم فلا ميسورا أى سهلا لينا وقوله ابتغاء رحمة من ربك ترجوها كناية عن الفقر لان فاقد المال يطلب رحمة الله واحسانه فلما كان فقد المال سببا لهذا الطلب ولهذا الابتغاء أطلق اسم السبب على المسبب فسمى الفقر ابتغاء رحمة الله تعالى والمعنى ان عند حصول الفقر والثقة لا تترك تعهدهم باتقول الجميل والكلام الحسن بل تعدهم بالوعد الجميل وتذكر لهم العذرو وهو حصول الثقة وعدم المال او تقول لهم الله سهل وفى تفسير القول الميسور وجوه (الاول) القول الميسور هو الرديا بطريق الاحسن (والثاني) القول الميسور الين السهل قال الكسائي يسرت أيسرله القول أى لينته له (والثالث) قال بعضهم القول الميسور مثل قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أنى قالوا والميسور هو المعروف لان القول المتعارف لا يخرج الى تكلف والله أعلم * قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعطل ولوما محسورا ان ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا) اعلم انه تعالى لما أمره بالانفاق في الآية المتقدمة علمه في هذه الآية أدب الانفاق واعلم انه تعالى شرح وصف عباده المؤمنين في الانفاق في سورة الفرقان فقال والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فهنا أمر رسوله بمثل ذلك الوصف فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك أى لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك وفي وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة للمنعمة من الانبساط ولا تبسطها كل البسط أى ولا توسع في الانفاق توسعا مفرطا بحيث لا يبق في يدك شيء

نحوك الى الاعراض ﴿ ٧٣ ﴾ خا عن السائلين أو فاد ما في يدك اذا بسطتها لكل البسط المصالحك (انه كان بعباده خيرا بصيرا) لتليل لما سبق أى يعلم

سهرهم وعلنتهم فيعلم من مضالحهم ماينبغي عليهم ويجوز أن يراد ان البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرار والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض وأما ﴿ ٥٧٨ ﴾ العباد فعليهم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى

يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يراد أنه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تهديد القول (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أى مخافة فقر وقرى بكسر الخاء كانوا يبدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك (نحن نرزقهم وإياكم) لأنهم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بحزنكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجهه في زعمهم وتقديم ضمير الأولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشارة باصالتهم في افاضة الرزق أولان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقف ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء

وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا في كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفي افراط وتفریط وهما مذمومان فالجمل افراط في الامساك والتبذير افراط في الانفاق وهما مذمومان والخلق الفاضل هو العدل والوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ثم قال تعالى فتعدملوما محسورا أما تفسير تفعد فقد سبق في الآية المتقدمة وأما كونه ملوما فلانه يلوم نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكلية وإبقاء الاهل والولد في الضر والمحنة وأما كونه محسورا فقال القراء تقول العرب للبعير هو محسور اذا انقطع سيره وحسرت الدابة اذا سيرها حتى ينقطع سيرها ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وجمع الحسير حسرى مثل قتلى وصرعى وقال القفال المقصود تشبيه حال من أنفق كل ماله ونفقاته بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع عطية لان ذلك المقدار من المال كأنه عطية يحمل الانسان ويلغى الى آخر الشهر وألسنة كما أن ذلك البعير يحمله ويلغى الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير يني في وسط الطريق عاجز امتحير فكذلك اذا أنفق الانسان مقدارا يحتاج اليه في مدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزا متحيرا ومن فعل هذا لحقه اللوم من أهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره وترك الحرم في مهجات معاشه ثم قال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر والمقصود انه عرف رسوله صلى الله عليه وسلم كونه ربا والرب هو الذي يرى المربوب ويقوم باصلاح مهجاته ودفع حاجاته على مقدار الصلاح والصواب فيوسع الرزق على البعض وبضيقة على البعض والقدر في اللغة التضييق ومنه قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقوله تعالى وأما اذا ما اتى الامم فقد رزقه رزقه أى ضيق وانما وسع على البعض لان ذلك هو الصلاح لهم قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ثم قال تعالى انه كان لعباده خيرا بصيرا يعنى انه تعالى عالم بان مصلحة كل انسان في ان لا يعطيه الا ذلك القدر فال تفاوت في اوزاق العباد ليس لاجل الجمل بل لاجل رعاية المصالح * قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا) هذا هو النوع الخامس من الطاعات المذكورة في هذه الآيات وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الال) انه تعالى لما بين في الآية الاولى انه هو المتكفل بارزاق العباد حيث قال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أتبعه بقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم (الثاني) انه تعالى للمعلم كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة علم في هذه الآية كيفية البر بالاولاد ولهذا قال بعضهم ان الذين يسمون بالابرار انما سموا بذلك لانهم برروا الآباء والابناء وانما وجب بر الآباء مكافأة على ما صدر منهم من أنواع البر بالاولاد وانما وجب البر بالاولاد لانهم في غاية الضعف ولا كفايل لهم غير الوالدين (الوجه الثالث) ان امتناع الاولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم لان الآباء اذا علموا ذلك قلت رغبتهم في تربية الاولاد فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه فثبت ان عمارة

فيعتبر بكم ما تخشونه وإياكم أيضا رزقنا رزقكم (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) تعليل آخر يبين أن ﴿ العالم ﴾ المنهى عنه في نفسه منك عظيم

وأنخطه الذنب والائم يقال خطي خطا كأنهم ائما وقرى بالفتح والسكون وبفتحين بمعناه كالخذر والخذر وقبل
يعني ضد الصواب وبكسر الخاء والمدو بفتحها ﴿٥٧٩﴾ ممدودا وبفتحها وحذف الهزة وبكسرهما كذلك

(ولا تقربوا الزنا) بمباشرة
مباديه القرية أو البعيدة
فضلا عن مباشرته
وانما نهى عن قربانه
على خلاف ما سبق ولحق
من القتل للمبالغة في النهي
عن نفسه ولأن قربانه
داع إلى مباشرته وتوسيط
النهي عنه بين النهي
عن قتل الأولاد والنهي
عن قتل النفس المحرمة
على الإطلاق باعتبار
أنه قتل الأولاد لما أنه
تضيق للانساب فان
من لم يثبت نسبه ميت
حكما (انه كان فاحشة)
فعلة ظاهرة القبح وتجاوزة
عن الحد (وساء سبيلا)
أي بشئ طر يقاطر يقه
فانه غصب الابضاع
المؤدي الى اختلال
أمر الانساب وهيجان
الفتن كيف لا وقد قال
النبي عليه السلام اذا
زنى العبد خرج منه
الايمن فكان على رأسه
كالظلة فاذا انقطع رجم
اليه وقال عليه السلام
لا يزني الزاني حين يزني
وهو مؤمن وعن حذيفة
رضي الله عنه انه قال
عليه السلام اياكم والزنا

العالم انما تحصل اذا حصلت المبرة بين الاباء والاولاد من الجانبين (الوجه الرابع) ان قتل
الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو وسعي
في تحريب العالم فالاول ضد التعظيم لأمر الله تعالى والثاني ضد الشفقة على خلق الله
تعالى وكلاهما مذموم والله أعلم (الوجه الخامس) ان قرابة الاولاد قرابة الجزئية
والبعضية وهي من أعظم الموجبات للمحبة فلولا تحصل المحبة دل ذلك على غلاظ شديد
في الروح وقسوة في القلب وذلك من أعظم الاخلاق الذميمة فرغب الله في الاحسان الى
الاولاد ازالة لهذه الخصلة الذميمة (المسئلة الثانية) العرب كانوا يقتلون البنات ليجز
البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وأيضاً كانوا
يخافون ان فقرها ينفر كفاها عن الرغبة فيها فيحتاجون الى انساكها من غير الاكفاء
وفي ذلك عار شديد فقال تعالى ولا تقتلوا اولادكم وهذا اللفظ عام للذكور والاناث والمعنى
ان الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور وبين
الاناث وأما ما يخاف من الفقر في البنات فتدنيخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد
يخاف أيضا في العاجزين من البنين ثم قال تعالى نحن نرزقهم واياكم يعني الارزاق بيد الله
تعالى فكما انه تعالى فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح أبواب الرزق على النساء
(المسئلة الثالثة) الجمهور قروا ان قتلهم كان خطا كبيرا أي انما كبيرا يقال خطي بخطأ
خطا مثل اثم اثم انما قال تعالى انا كنا خاطئين أي آثمين وقرأ ابن عامر خطا بالفتح يقال
أخطأ يخطئ أخطاء وخطأ اذا اتى بما لا ينبغي من غير قصد ويكون الخطأ اسما للمصدر
والمعنى على هذه القراءة ان قتلهم ليس بصواب قال القفال رحمه الله وقرأ ابن كثير خطاء
بكسر الخاء ممدودة ولعلها القنان مثل دفع ودفاع وليس ولباس * قوله تعالى (ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) اعلم أنه تعالى للأمر بالاشياء الخمسة التي تقدم ذكرها
وحاصلها يرجع الى شيئين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله أتبعها بدكر النهي عن
أشياء (أولها) انه تعالى نهى عن الزنا فقال ولا تقربوا الزنا قال القفال اذا قيل للانسان
لا تقربوا هذا فهذا آكد من أن يقول له لا تفعله ثم انه تعالى علل هذا النهي بكونه فاحشة
وساء سبيلا واعلم أن الناس قد اختلفوا في أنه تعالى اذا أمر بشئ أو نهى عن شئ فهل يصح
أن يقال انه تعالى انما أمر بذلك الشئ أو نهى عنه لوجه عائد اليه أم لا فقال القائلون
بتحسين العقل وتقييده الأمر كذلك وقال المنكرون لتحسين العقل وتقييده ليس الأمر
كذلك احتج القائلون بتحسين العقل وتقييده على صحة قولهم بهذه الآية قالوا انه تعالى
نهى عن الزنا وعلل ذلك النهي بكونه فاحشة فيمتنع أن يكون كونه فاحشة عبارة عن
كونه منهيا عنه والازم تعليل الشئ بنفسه وهو محال فوجب أن يقال كونه فاحشة
وصف حاصل له باعتبار كونه زنا وذلك يدل على أن الاشياء تحسن وتقبح لوجوه عائدة اليها في
أنفسها ويدل أيضا على أن نهى الله تعالى عنهما معلل بوقوعها في أنفسها على تلك الوجوه

فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر
وأما التي في الآخرة فسمخطة

الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) قتلها بان عصمها بالاسلام أو بالهدى (الاباحية)
 الاباحية ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان ﴿ ٥٨٠ ﴾ وقتل نفس معصومة عمدا فاستاء مفرغ أى لا تقتلونها

بسبب من الاسباب
 الاسباب الحلق أو ملتبسين
 أو ملتبسة بشئ من
 الاشياء ويجوز أن يكون
 نعتا لمصدر محذوف
 أى لا تقتلونها قتلا ما
 الاقتلام لتبس بالحق
 (ومن قتل مظلوما)
 بغير حق يوجب قتله
 أو يبيحه للقتال حتى
 انه لا يعتبر اباحته لغير
 القتال فان من عليه
 القصاص اذا قتله غير
 من له القصاص يقتضيه
 ولا يفيد قول الولي انا
 امرته بذلك ما لم يكن
 الامر ظاهرا (فقد
 جعلنا لوليّه) لمن يلي
 أمره من الوارث
 أو السلطان عند عدم
 الوارث (سلطانا)
 تسلطا واستيلاء على
 القتال يؤاخذ بالقصاص
 أو بالدية حسبما تقتضيه
 جنائسه أو حجة غالبه
 (فلا يسرف) وقرئ
 لا تسرف (في القتل)
 أى لا يسرف الولي
 في أمر القتل بأن يتجاوز
 الحد المشروع بأن يزيد
 عليه المثل أو بأن يقتل
 غير القتال من أقاربه

وهذا الاستدلال قريب والاولى أن يقال ان كون الشئ في نفسه مصلحة أو مفسدة أمر
 ثابت لذاته لا بالشرع فان تناول الغذاء الموافق مصلحة والضرب المؤلم مفسدة وكونه
 كذلك أمر ثابت بالعقل لا بالشرع واذا ثبت هذا فنقول تكاليف الله تعالى واقعة على
 وفق مصالح العالم في المعاش والمعاد فهذا هو الكلام الظاهري وفيه مشكلات هائلة
 ومباحث عميقة نسأل الله التوفيق لبلوغ الغاية فيها اذا عرفت هذا فنقول الزنا اشتمل على
 أنواع من المفسد (أولها) اختلاط الانساب واشتباهاها فلا يعرف الانسان ان الولد الذي
 أنت به الزانية أهو منه أو من غيره فلا يقوم بترتيبه ولا يستقر في تعهده وذلك يوجب ضياع
 الاولاد وذلك يوجب انقطاع النسل وخراب العالم (وثانيها) انه اذا لم يوجد سبب شرعى
 لاجله يكون هذا الرجل أول هذه المرأة من غيره لم يبق في حصول ذلك الاختصاص الا
 التوابع والقتال وذلك يفضي الى قبح باب الهرج والمرج والمقاتلة وكمنعنا وقوع
 القتل الذريع بسبب اقدام المرأة الواحدة على الزنا (وثالثها) ان المرأة اذا باشرت الزنا
 وتمرت عليه يستفقد رها كل طبع سليم وكل خاطر مستقيم وحينئذ لا تحصل الالفه والمحبة
 ولا يتم السكن والازدواج ولذلك فان المرأة اذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طابع أكثر
 الخلق (ورابعها) انه اذا انفتح باب الزنا في حينئذ لا يبق لرجل اختصاص بامرأة وكل رجل
 يمكنه التوابع على كل امرأة شئت وراذلت وحينئذ لا يبق بين نوع الانسان وبين سائر
 البهائم فرق في هذا الباب (وخامسها) انه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة بل ان
 تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته من المطعم والمشروب والملبوس
 وأن تكون ربة البيت وحافظة للباب وان تكون قائمة بأمور الاولاد والعبيد وهذه
 المهمات لا تتم الا اذا كانت مقصورة المهمة على هذا الرجل الواحد منقطعة الطمع عن
 سائر الرجال وذلك لا يحصل الا بتحریم الزنا وسد هذا الباب بالكلية (وسادسها) ان الوطء
 يوجب الذل الشديد والدليل عليه ان أعظم أنواع الشتم عند الناس ذكر الفاظ الوقاع
 ولولا ان الوطء يوجب الذل والا لما كان الامر كذلك وأيضا فان جميع العقلاء لا يقدمون
 على الوطء الا في المواضع المستورة وفي الاوقات التي لا يطلع عليها أحد وان جميع العقلاء
 يستنكفون عن ذكر أزواج بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم لما يقدمون على وطنهن ولولا أن
 الوطء والامكان كذلك واذا ثبت هذا فنقول لما كان الوطء ذلًا كان السعي
 في تقليله موافقا للعقول فاقصر المرأة الواحدة على الرجل الواحد سعي في تقليل ذلك
 العمل وأيضا ما فيه من الذل يصير مجبورا بالنافع الحاصلة في النكاح أما الزنا فانه قبح باب
 لذلك العمل القبيح ولم يصير مجبورا بشئ من المنافع فوجب بقاؤه على أصل المنع والحجر
 فثبت بما ذكرنا ان العقول السليمة تقضى على الزنا بالقبح واذا ثبت هذا فقول انه تعالى
 وصف الزنا بصفتين ثلاثة كونه فاحشة ومقتضى آية أخرى وساء سبيلا أما كونه فاحشة
 فهو إشارة الى اشتماله على فساد الانساب الموجبة لخراب العالم والى اشتماله على القتال

أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كيف فعله أهل الجاهلية أو بأن يقتل القتال في مادة الدية وقرئ ﴿ والتوابع ﴾
 بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي (انه كان منصورا) تعليل للنهي

والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغي ما وراء حقه ولا يسترد عليه ﴿ ٥٨١ ﴾ ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول ظمنا على معنى انه تعالى نصره

بما ذكر فلا يسرف عليه
في شأنه أو الذي يقتله
الولي ظمنا واسرا فاما
ووجه التعليل ظاهر
وعن مجاهد أن الضمير
في لا يسرف للقاتل الاول
وبعضه قراءة فلا
تسرفوا والضمير ان
في التعليل عائد ان الى
الولي أو المقتول فالمراد
بالاسراف حينئذ
اسراف القاتل على نفسه
بتعريضه لها للهلاك
العاجل والآجل
لا الاسراف وتجاوز
الحد في القتل أي لا
يسرف على نفسه في
شأن القتل كما في قوله
تعالى قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم
(ولا تفر بؤمالينهم)
نهى عن قربانه لما ذكر
من المبالغة في النهي
عن التعرض له ومن
افضأ ذلك اليه وللوصول
الى الاستثناء بقوله تعالى
(الاباتي هي أحسن)
أي الاباخصة والطريقة
التي هي أحسن الخصال
والطرائق وهي حفظه
واستثماره (حتى يبلغ
أشده) غاية الجواز

والتواب على الفروج وهو أيضا يوجب خراب العالم وأما لقت فقد ذكرنا ان الزانية
تصير بمقتوته مكروهة وذلك يوجب عدم حصول السكن والازدواج وان لا يعتمد الانسان
عليها في شيء من مهماته ومصلحته وأمانه ساء سبيلا فهو ما ذكرنا انه لا يبق فرق بين الانسان
وبين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالاناث وأيضا يبق ذل هذا العمل وعيبه
وعاره على المرأة من غير أن يصير مجبورا بشيء من المنافع فقد ذكرنا في قبج الزنا سنة أوجه
والله تعالى ذكر ألفاظا ثلاثة فحملنا كل واحد من هذه الالفاظ الثلاثة على وجهين من
تلك الوجوه الستة والله أعلم بمراده ثم قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا) هذا هو
النوع الثاني مما نهى الله عنه في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لقائل أن
يقول ان أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل فإالسبب في أن الله تعالى بدأ أولا بذكر
النهي عن الزنا وثانيا بذكر النهي عن القتل وجوابه انا ببيان فتح باب الزنا يمنع من دخول
الانسان في الوجود والقتل عبارة عن ابطال الانسان بعد دخوله في الوجود ودخوله
في الوجود مقدم على ابطاله واعدامه بعد وجوده فلهذا السبب ذكر الله تعالى الزنا أولا
ثم ذكر القتل ثانيا (المسئلة الثانية) اعلم ان الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة والحل انما
يثبت بسبب عارض فما كان الامر كذلك لاجرم نهى الله عن القتل مطلقا بناء على حكم
الاصل ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهو عند حصول الاسباب العرضية
فقال الابالحق فتفقر ههنا الى بيان أن الاصل في القتل التهريم والذي يدل عليه وجوه
(الاول) ان القتل ضرر والاصل في المضار الحرمة لقوله ما جعل عليكم في الدين من
حرج ولا يريد بكم العسر ولا ضرر ولا ضرار (الثاني) قوله عليه السلام الآدمي ببيان
الرب ملعون من هدم ببيان الرب (الثالث) ان الآدمي خلق للاشتغال بالعبادة لقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عليه السلام حق الله على العباد أن يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا والاشغال بالعبادة لا يتم الا عند عدم القتل (الرابع) ان القتل افساد
فوجب ان يحرم لقوله تعالى ولا تقسدا (الخامس) انه اذا تعارض دليل تحريم القتل
ودليل اباحته فقد أجبر على ان جانب الحرمة راجح ولولا أن مقتضى الاصل هو التحريم
والالكان ذلك ترجيحا للرجح وهو محال (السادس) انا اذا لم نعرف في الانسان صفة من
الصفات الامجد تكونه انسانا فلا حكمنا فيه بتحريم قتله وما لم نعرف شيئا زائدا على كونه
انسانا لم نحكم فيه بحل دمه ولولا أن أصل الانسانية يقتضى حرمة القتل والامساك ان
كذلك ثبت بهذه الوجوه ان الاصل في القتل هو التحريم وان حله لا يثبت الاسباب
عرضية واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى حكم بان الاصل في القتل هو التحريم فقال
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق فقوله ولا تقتلوا نهى ونحريم وقوله حرم الله اعادة
لذكر التحريم على سبيل التأكيد ثم استثنى عنه الاسباب العرضية الاتفاقية فقال الابالحق

التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لالوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء جرى بينكم
وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والافاء بالعهد

والوفاء به هو القيام بتنفيذه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الاباء فرقا بينه وبين الايغاء الحسى كايغاء الكيل والوزن (ان العهد) أظهر في مقام الاضمار اظهار الكمال العناية ﴿ ٥٨٢ ﴾ بشأنه أولان المراد مطلق العهد المنتظ

للعهد اليهود (كان مسؤولاً) أى مسؤولاً عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعاً مستكنافى اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه ونظيره ما فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنافى فى الحكيم بعد انقلابه مرفوعاً ويجوز أن يكون تخيلاً كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتاً للناكث كما يقال للموودة بأى ذنب قتلت (وأفوا الكيل) أى أتموه ولا تخسرو (إذا كلتم) أى وقت كبلكم للشترين وتقييد الامر بذلك لما أن التطفيف هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى إذا اكثلوا على الناس يستوفون الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القسطون وقيل

ثم ههنا طريقتان (الأول) ان مجرد قوله الابالحق يحمل لانه ليس فيه بيان ان ذلك الحق ماهو وكيف هو ثم انه تعالى قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً أى فى استيفاء القصاص من القاتل وهذا الكلام يصلح جعله بياناً لذلك الجملة وتقريره كأنه تعالى قال ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق وذلك الحق هو أن من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فى استيفاء القصاص وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الحق هذه الصورة فقط فصارت تقدير الآية ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا عند القصاص وعلى هذا التقدير فتكون الآية نصاً صريحاً فى تحريم القتل الابهذا السبب الواحد فوجب أن يبقى على الحرمة فيما سوى هذه الصورة الواحدة (والطريق الثانى) أن نقول دلت السنة على ان ذلك الحق هو أحد امور ثلاثة وهو قوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الاباحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق واعلم ان هذا الخبر من باب الآحاد فان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً تفسير لقوله الابالحق كانت الآية صريحة فى انه لا يحل القتل الابهذا السبب الواحد فحينئذ يصير هذا الخبر مخصوصاً بهذه الآية ويصير ذلك فرعاً لقولنا انه يجوز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وأما ان قلنا ان قوله ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ليس تفسير لقوله الابالحق فحينئذ يصير هذا الخبر مفسر للحق المذكور فى الآية وعلى هذا التقدير لا يصير هذا فرعاً على مسألة جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد فلتكن هذه الدقيقة معلومة والله أعلم (المسئلة الثالثة) ظاهر هذه الآية أنه لا سبب لحل القتل الا قتل المظلوم وظاهر الخبر يقتضى ضم شيئين آخرين اليه وهو الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان ودلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ودلت آية أخرى على حصول سبب خامس وهو الكفر قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقالوا قتلهم حيث وجدتموهم والفقهاء يتكلموا واختلفوا فى أشياء أخرى فمنها ان تارك الصلاة هل يقتل أم لا فعند الشافعى رحمه الله يقتل وعند أبى حنيفة رحمه الله لا يقتل (وثانيهما) ان فعل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعى يوجب وعند أبى حنيفة لا يوجب (وثالثهما) ان الساحر اذا قتل قتل بسحرى فلا نافعة للشافعى يوجب القتل وعند أبى حنيفة لا يوجب (ورابعهما) ان القتل بالثقل هل يوجب القصاص فعند الشافعى يوجب وعند أبى حنيفة لا يوجب (وخامسها) ان الامتناع من أداء الزكاة هل يوجب القتل أم لا اختلفوا فيه فى زمان أبى بكر (وسادسها) ان اتیان البهيمه هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجب حجة القائلين بانه لا يجوز القتل فى هذه الصور هو أن الآية صريحة فى منع القتل على الاطلاق الالسبب واحد وهو قتل المظلوم فقيام هذا السبب الواحد وجب البقاء على اصل الحرمة ثم قالوا وهذا النص قد تأكد بالدلائل الكثيرة

كل من كان صغيراً كان أو كبيراً رومى معرب ولا يندح ذلك فى عريضة القرآن لانه نظام المعربات فى سلك ﴿ الموجبة ﴾ العلم العربية وقرئ بضم القاف (المستقيم) أى العدل السوى

والمثل الاكتفاء باستقامته عن الامر بإبقاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فإنه كثيرا ما يقع ما يطفئ مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء ٥٨٣ * بإبقاء الكيل عن الامر بتعديله لما أن إيقاده لا يتصور

بدون تعديل المكيال وقد أمر بتوقيفه أيضا في قوله تعالى أو فوا الكيل والميزان بالقسط (ذلك) أي إبقاء الكيل والوزن بالبر أن السوى (خير) في الدنيا أذهو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجليل بين الناس (وأحسن تأويل) عاقبة تفعيل من آل إذا رجع والمراد ما يؤكل اليه (ولا تنف) ولا تتبع من قفأ أثره إذا تبعه وقرئ ولا تنف من قاف أثره أي فقاء ومنه القافة في جمع القائف (ماليس لك به علم) أي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل لكن ينبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده واخرج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطع بالكان أو ظننا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل أنه مخصوص بالعائد وقيل بالرحى وشهادة الزور ويؤيده قوله

الموجبة لحمة الدم على الإطلاق فترك العمل بهذه الدلائل لا يكون المعارضة وذلك المعارض أما أن يكون نصامتوا ترا أو نصامن باب الأحاد أو يكون قياسا أما النص المتواتر فمفقود والا لما بقي الخلاف وأما النص من باب الأحاد فهو مر جوح بالنسبة إلى هذه النصوص المتواترة الكثيرة وأما القياس فلا يعارض النص فثبت بمقتضى هذا الأصل القوي القاهر أن الأصل في الدماء الحرمه إلا في الصور المعدودة والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فيه بحثان (الاول) أن هذه الآية تدل على أنه أثبت لولي الدم سلطانا فاما بيان أن هذه السلطنة تحصل فيما إذا فليس في قوله فقد جعلنا لوليه سلطانا نادلالة عليه ثم هي ناطر يقان (الاول) أنه تعالى لما قال بعده فلا يسرف في القتل عرف أن تلك السلطنة إنما حصلت في استيفاء القتل وهذا ضعيف لاحتمال أن يكون المراد من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا ينبغي أن يسرف الظالم في ذلك القتل لأن ذلك المقتول منصور بواسطة أثبات هذه السلطنة لوليه (والثاني) أن تلك السلطنة مجمله ثم صارت مفسرة بالآية والخبر أما الآية فقولته تعالى في سورة البقرة بأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى إلى قوله فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان وقد بينا في تفسير هذه الآية أنها تدل على أن الواجب هو كون المكلف مخيرا بين القصاص وبين الدية وأما الخبر فهم وقوله عليه السلام يوم الفتح من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين أن أحبوا قتلوا وأن أحبوا أخذوا الدية وعلى هذا الطريق فقولته فلا يسرف في القتل معناه أنه لما حصلت سلطنة استيفاء القصاص أن شاء وسلطنة استيفاء الدية أن شاء قال بعده فلا يسرف في القتل معناه أن الاول أن لا يقدم على استيفاء القتل وإن يكتفى بأخذ الدية أو يعيل إلى العفو وبالجملة فلفظة في محمولة على الباء والمعنى فلا يصير مسرفا بسبب إقدامه على القتل ويصير معناه الترغيب في العفو والاكتفاء بالدية كما قال وأن تعفو أقرب للتقوى (البحث الثاني) أن في قوله ومن قتل مظلوما ذكر كونه مظلوما بصيغة التكبير وصيغة التكبير على ما عرف تدل على الكمال فالإنسان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل تحت هذا النص قال الشافعي رحمه الله قد دللنا على أن المسلم إذا قتل الذمي لم يدخل تحت هذه الآية بدليل أن الذمي مشرك والمشرِك يحل دمه إنما قلنا أنه مشرك بقوله تعالى أن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء حكم بأن ما سوى الشرك مغفور في حق البعض فلو كان كفر اليهودي والنصراني شيئا مغفيرا للشرك لوجب أن يصير مغفورا في حق بعض الناس بمقتضى هذه الآية فلما لم يصير مغفورا في حق أحد دل على أن كفرهم شرك ولأنه تعالى قال لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة فهذا التثليث الذي قال به هؤلاء أما أن يكون تثليثا في الصفات وهو باطل لأن ذلك هو الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة فلا يمكن جعله تثليثا للكفر وأما أن يكون تثليثا في الذات وذلك هو الحق ولا شك أن

عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في درغة الخيال حتى يأتي بالخرج ومنه قول الكمي

ولأرعى البرى بغير ذنب* ولا أقفوا لخواصن ان رميناه* (ان السم والبصر والفؤاد) وقرى بفتح الفاء والواو المقلوبة
 الهمة عند ضم الفاء (كل أولئك) أى كل واحد من تلك ﴿٥٨٤﴾ الاعضاء فأجر يت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة

أحوالها شاهدة على
 أصحابها هذا وان اولاء
 وان غلب فى العقلاء
 لكنه من حيث انه اسم
 جمع لذ الذى يسم القليلين
 جاء لغيرهم أيضا قال
 * ذم المنازل بعد منزلة
 اللوى * والعيش بعد
 أولئك الايام * (كان عنه
 مسئولا) أى كان كل
 من تلك الاعضاء مسئولا
 عن نفسه على أن اسم
 كان ضمير يرجع الى كل
 وكذا الضمير المجزوء قد
 جوز أن يكون الاسم
 ضمير القساقى بطريق
 الالتفات اذا الظاهر أن
 يقال كنت عنه مسئولا
 وقيل الجار والمجرور فى
 محل الرفع قد أسند اليه
 مسئولا مفعلا بأن الجار
 والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ
 وهو السبب فى منع تقديم
 الفاعل وما يقوم مقامه
 ولكن التماس حكى
 الاجماع على عدم جواز
 تقديم القائم مقام الفاعل
 اذا كان جارا ومجرورا
 ويجوز أن يكون من باب
 الحذف على شريطة
 التفسير ويحذف الجار
 من المفسر ويعود الضمير

القاتل به مشرك فثبت أن الذى مشرك وانما قلنا ان المشرك يجب قتله لقوله تعالى اقتلوا
 المشركين ومقتضى هذا الدليل اباحة دم الذى فان لم تثبت الاباحة فلا أقل من حصوا
 شبهة الاباحة واذا ثبت هذا فنقول ثبت انه ليس كاملا فى المظلومية فلم يندرج تحت قو
 تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وأما الحر اذا قتل عبدا فهو داخل تحت
 هذه الآية الا انا بينا ان قوله كتب عليكم القصاص فى القتل الحر بالحر والعبد بالعبد
 يدل على المنع من قتل الحر بالعبد من وجوه كثيرة وتلك الآية أخص من قوله ومن قتل
 مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا والخاص مقدم على العام فثبت ان هذه الآية لا يجوز
 التمسك بها فى مسألة ان موجب العمد هو القصاص ولا فى مسألة انه يجب قتل المس
 بالذى ولا فى مسألة انه يجب قتل الحر بالعبد والله أعلم أما قوله تعالى فلا يسرف فى القتل
 ففيه مباحث (البحث الاول) فيه وجوه (الاول) المراد هو أن يقتل القاتل وغير القاتل
 وذلك لان الواحد منهم اذا قتل واحدا من قبيلة شريفة فأولياء ذلك المقتول كانوا يقتلون
 خلقا من القبيلة الدينية فنهى الله تعالى عنه وأمر بالاعتصاف على قتل القاتل وحده
 (الثانى) هو ان لا يرضى بقتل القاتل فان أهل الجاهلية كانوا يقصدون أشراف قبيلة
 القاتل ثم كانوا يقتلون منهم قوما معينين ويترك القاتل (والثالث) هو أن لا يقتل
 بقتل القاتل بل يمثل به ويقطع اعضاءه قال الفقهاء ولا يعد حمله على الكل لان جملته هذه
 المعانى مشتركة فى كونها اسرافا (البحث الثانى) قرأ الا كثرون فلا يسرف بالياء وفيه
 وجهان (الاول) التقدير فلا ينبغي ان يسرف الولي فى القتل (الثانى) ان الضمير للقاتل
 الظالم ابتداء أى فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالم واسرافه عبارة عن اقدامه على ذلك
 القتل الظلم وقرأ حزة والكسائى فلا تسرف بالتاء على الخطاب وهذه القراءة تحتمل
 وجهين (أحدهما) أن يكون الخطاب للمبتدئ القاتل ظالما كأنه قيل له لا تسرف أيها
 الانسان وذلك الاسراف هو اقدامه على ذلك القتل الذى هو ظلم محض والمعنى لا تفعل
 فانك ان قتلت مظلوما استوى فى القصاص منك (والآخر) أن يكون الخطاب للولي فيكون
 التقدير لا تسرف فى القتل أيها الولي أى اكنف باستيفاء القصاص ولا تطلب الزيادة
 وأما قوله ان كان منصورا ففيه ثلاثة أوجه (الاول) كأنه قيل للظالم المبتدئ بذلك القتل
 على سبيل الظلم لا تفعل ذلك فان ذلك المقتول يكون منصورا فى الدنيا والآخرة أما نصرته
 فى الدنيا فبقتل قاتله وأما فى الآخرة فبكثرة الثواب له وكثرة العقاب لقاتله (والقول الثانى)
 ان هذا الولي يكون منصورا فى قتل ذلك القاتل الظالم فليكتف بهذا القدر فانه يكون
 منصورا فيه ولا ينبغي أن يطمع فى الزيادة منه لان من يكون منصورا من عند الله يحرم
 عليه طلب الزيادة (والقول الثالث) ان هذا القاتل الظالم ينبغي أن يكتفى باستيفاء
 القصاص وان لا يطلب الزيادة واعلم ان على القول الاول والثانى ظهر ان المقتول وولي
 دمه يكونان منصورين من عند الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قلت

منكنا كما ذكرنا فى قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسئولا مستندا الى المصدر المدلول ﴿على﴾

والمال بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني أباعلي عن قولهم فيك يرغب وقال
ما نطق بما بعده فأين المرفوع فقال المصدر ﴿ ٥٨٥ ﴾ أي فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة تكافي قولهم يعطى

ويمنع أي يفعل الاعطاء
والمنع وجوز أن يكون
اسم كان أو فاعله ضمير
كل يحذف المضاف أي
كان صاحبه عنه مسوؤلا
أو مسوؤلا لصاحبه (ولا
تتش في الأرض) التقيد
لزيادة التقرير والاشعار
بأن المشي عليهما لا يليق
بالمرح (مرحاً) تكبراً و
بطراً واختيالاً وهو
مصدروم موقع الحال
أي ذامرح أو ترح مرحاً
أو لاجل المرح وقرئ
بالكسر (الملك) أن تحرق
الأرض) تعليل للنهي
وفيدته كم بالختال وايد
بأن ذلك مفسخرة مع
الأرض وتكبر عليهما أي
أن تحرق الأرض بدوسك
وشدة وطأتك وقرئ بضم
الراء (ولن تبلغ الجبال)
التي هي بعض أجزاء
الأرض (طولا) حتى
يمكن لك أن تتكبر عليهما
إذا التكبر انما يكون بكثرة
القوة وعظم الجشع
وكلاهما مفقود وفيه
تبريض بما عليه الخيال
من رفع رأسه ومشي
على صدور رقدميه (نيل
ذلك) إشارة إلى ما علم
في تضاعيف ذلك

إلى بن أبي طالب رضي الله عنه وإيم الله يظهرن عليكم ابن أبي سفيان لأن الله تعالى
أبول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً وقال الحسن والله ما نسر معاوية على
لخرضى الله عنه الا بقول الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً والله أعلم
بقوله تعالى (ولا تقر بومال اليتيم الابالي هي أحسن حتى يبلغ أشده) اعلم ان هذا هو
النوع الثالث من الاشياء التي نهى الله عنها في هذه الآيات واعلم اننا ذكرنا ان الزنا
يوجب اختلاط الانساب وذلك يوجب منع الاهتمام بتربية الاولاد وذلك يوجب
نقطاع النسل وذلك يوجب المنع من دخول الناس في الوجود وأما القتل فهو عبارة
عن اعدام الناس بعد دخولهم في الوجود فثبت ان النهي عن الزنا والنهي عن القتل
يرجع حاصله الى النهي عن اتلاف النفوس فلما ذكر الله تعالى ذلك اتبعه بالنهي عن
اتلاف الاموال لان أعز الاشياء بعد النفوس الاموال وأحق الناس بالنهي عن
اتلاف أموالهم هو اليتيم لانه اصغرهم وضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا
السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم فقال ولا تقر بومال اليتيم الابالي
هي أحسن ونظيره قوله تعالى ولا تأكلوا اسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً
فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وفي تفسير قوله الابالي هي أحسن وجهان
(الاول) الابال تصرف الذي يئمه ويكثره (الثاني) المراد هو أن تأكل معه اذا احتجت
اليه وروى مجاهد عن ابن عباس قال اذا احتاج أكل بالمعروف فاذا أيسر قضاء فان لم
يوسر فلا شيء عليه واعلم ان الولي انما يتق ولايته على اليتيم الى أن يبلغ أشده وهو بلوغ
النكاح كايته الله تعالى في آية أخرى وهي قوله وابتلوا النكاح حتى اذا بلغوا النكاح
فان أنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم والمراد بالاشد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب
عقله ورشده القيام بمصالح ماله وعند ذلك تزول ولاية غيره عنه وذلك حد البلوغ وأما اذا
بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عنه والله أعلم وبلوغ العقل هو أن يكمل عقله وقواه
الحسية والحركية والله أعلم ﴿ قوله تعالى ﴾ (وأوفوا بالعهدان العهد كان مسوولاً وأوفوا
الكيل اذا كنتم وزناً بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً) اعلم انه تعالى أمر
بخمسة أشياء أولاهم اتبعه بالنهي عن ثلاثة أشياء وهو النهي عن الزنا وعن القتل الابالحق
وعن قرآن مال اليتيم الابالي هي أحسن ثم اتبعه بهذه الاوامر الثلاثة فالاول قوله
وأوفوا بالعهد واعلم ان كل عقد تقدم لاجل توثيق الامر وتوكيده فهو عهد فقوله وأوفوا
بالعهد نظير لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود فدخل في قوله أوفوا بالعقود كل
عقد من العقود كعقد البيع والشركة وعقد الميّن والنذر وعقد الصلح وعقد النكاح
وحاصل القول فيه ان مقتضى هذه الآية ان كل عقد وعهد جرى بين انسانين فانه يجب
عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد والعهد الا اذا دل دليل منفصل على انه لا يجب الوفاء به
فقد ضاه الحكم بصحة كل بيع وقع التراضي به وبصحة كل شركة وقم التراضي بها

سبته) الذي نهى عنه وهي التناشرة خصلة (عند ربك مكرها) مبعضا غير من ضي او غير من ادب الارادة او القلوب
مراد مطلقا لقيام الادلة الناطقة على أن جميع الاشياء واقعة * ٥٨٦ * بارادته سبحانه وهو مئة لتعليل الامور

نها جميعا ووصف ذلك
بمطلق الكراهة مع أن
بعض من الكبار لا يذنب
بأن مجرد الكراهة عنده
تعالى كافية في وجوب
الانتهاء عن ذلك وتوجيه
الإشارة إلى الكل ثم
تعيين البعض دون
توجيهها إليه ابتداء
لما أن البعض المذكور
ليس بمنزلة رجله بل على
وجه الاختلاط وفيه
اشعار بكون ما عداه
من ضياعه عند تعالى وانما
لم يصرح بذلك ابدا
بالغنى عنه وقيل لإضافة
بيان كافي آية التلويح وآية
النهار وقرئ سيئته على
أنه خبر كان وذلك إشارة
إلى ما نهى عنه من الامور
المذكورة ومكرها يدل
من سيئته أو ضعفها
مجمولة على المعنى فانه
يعنى سبأ وقد قرئ به
أو مجرى على موصوف
مذكر رأى أمرا مكرها
أو مجرى مجرى الاسماء
زال عنه معنى الوصفية
ويجوز كونه حال من
المستكن في كان أوفى
الطرف على أنه صفة
سيئته وقرئ سيئاته
وقرئ شأنه (ذلك) أى

ويؤكده هذا النص بسائر الآيات الدالة على الوفاء بالعهود والعقود كقوله والمؤمنون
بعهدهم اذا عاهدوا وقوله والذين هم لاماناة هم وعهدهم راعون وقوله وأحل الله البيع
وقوله ولأنكوا أموالكم بيمينكم بالباطل الآن تكون تجارة عن تراض منكم وقوله
واشهدوا اذا تباعتم وقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيبة من نفسه
وقوله اذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم يدايد وقوله من اشترى سبئلم يره فهو
بالخيار اذا رآه فجميع هذه الآيات والأخبار دالة على أن الأصل في البيوعات والعهود
والعقود الصحة ووجوب الالتزام اذا ثبت هذا فنقول ان وجدنا نصا خاص من هذه
النصوص يدل على البطلان والفساد قضينا به تقديم الخاص على العام والاقضية بالصحة
في الكل وأما تخصيص النص بالقياس فقد أبطلناه وبهذا الطريق تصير أبواب
المعاملات على طواها واطنا بهام مضبوطة معلومة بهذه الآية الواحدة ويكون المكلف
آمن القلب مطمئن النفس في العمل لانه مادام هذه النصوص على صحتها فليس بعد
بيان الله يسان وتصير الشريعة مضبوطة معلومة ثم قال تعالى ان العهد كان مسؤولا
وفيه وجوه (أحدها) أن يراد صاحب العهد كان مسؤولا فنجذف المضاف وأقيم المضاف
إليه مقامه كقوله واسأل القرية (وثانيها) ان العهد كان مسؤولا أى مطلوبا بطلب من
المعااهدان لا بضيمه وبقي به (وثالثها) أن يكون هذا تخيلا كأنه يقال للعهد لم تنكث
وهلا وفيك تنكثا لئلا تكفى قال للموودة بأى ذنب قتلت وكقوله أنت قلت للناس
اتخذوني وأمى الهيئ الآية فالتخاطبة لعيسى عليه السلام والانتكار على غيره (النوع
الثاني) من الاوامر المذكورة في هذه الآية قوله وأوفوا بالعقود الكيل اذا كلمتم والمقصود
منه اتمام الكيل وذكر الوعيد الشديد في نقصانه في قوله ويل للمطففين الذين اذا اكنالوا
على الناس يستوفون واذا كالأهم أو وزنهم يخسرون (النوع الثالث) من الاوامر
المذكورة في هذه الآية قوله وزنوا بالقسطاس المستقيم فالآية المقدمة في اتمام
الكيل وهذه الآية في اتمام الوزن ونظيره قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان وقوله ولا تجسوا الناس اشياءهم ولا تعوا في الارض مفسدين واعلم أن التفاوت
الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على
العاقل الاحتراز منه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات
والبيع والشراء وقد يكون الانسان غافلا لا يندى إلى حفظ ماله فالشارع بالغ في المنع
من التطفيف والتقصان سعيا في ابقاء الاموال على الملاك ومنع من تلطيح النفس بسرقة
ذلك المقدار الحقيق والقسطاس في معنى الميزان الا انه في العرف أكبر منه ولهذا اشتهر
في السنة العامة انه القبان وقيل انه بلسان الروم أو السرياني والاصح انه لغة العرب وهو
ما خوذ من القسط وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال وبالجملة فعناه المعتدل الذي
لا يميل إلى أحد الجانبين وأجمعوا على جواز اللغتين فيه ضم القاف وكسر هاء القس قراءة

أومن جنسه (من الحكمة) التي هي علم الشرائع أو معرف الحق لذاته والعمل به أو من الأحكام المحكمة التي لا ينط
اليها التسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ٥٨٧ ﴾ ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في أول

مومي عليه السلام
لا تجعل مع الله الها
قال تعالى وكتب
في الألواح من كل
مؤظمة وهي عشرة
في التوراة ومن إمامة
بأوحى على أنبيائه
أو ابتدائية وأما بعد
وقع حالاً من الموص
أومن ضميره المحذو
في الصلة أي كأنهم
وأما بدل من الموصو
الجار (ولا تجعل مع
الها آخر) الخطاب لل
عليه الصلاة والس
والمراد غيره ممن يتص
منه صدور المنهى
وقد كرر التنبيه على
النسوخ مبدأ ال
ومشهاه وأنه رأ
كل حكمة وملاك
ومن عدمه لم يتفهم
وحكمه وان بذفيه
أساطين الحكماء
يا فوخه عنان الس
وقد رتب عليه ما هو
الاشراك وألا حيث
فتعد مذموماً مخذ
ورتب عليه ههنا تنبي
في العقبي فقبل (ف)
في جهنم ملوماً من
نفسك ومن جهة غ

حزن والكسائي وحفص عن عاصم والباقون بالضم ثم قال تعالى ذلك خير أي الإيفاء بالتمام
والكمال خير من التطفيف القليل من حيث ان الإنسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح
في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة وأحسن تأويل والتأويل ما يؤول إليه الأمر كما
قال في موضع آخر خير من دا خير عتي خير أم لا وإنما حكم الله تعالى بأن عاقبة هذا الأمر
أحسن العواقب لانه في الدنيا إذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت
القلوب إليه وحصل له الاستغناء في الزمان القليل وكما قد رأينا من الفقراء لما اشتهروا
عند الناس بالامانة والاحتراز عن الخيانة أقبلت القلوب عليهم وحصلت الاموال
الكثيرة لهم في المدة القليلة وأما في الآخرة فالفوز بالشواب العظيم والخلاص من
العقاب الاليم * قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسؤولاً) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما شرح
الاورام الثلاثة عاد بعده الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة أشياء أولها قوله ولا تقف
ما ليس لك به علم قوله تقف مأخوذ من قولهم قفوت أثر فلان اقفو وقفوا وقفوا اذا اتت
أثره وسميت قافية الشعر قافية لانها تقفوا البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافية لانهم
يتبعون آثار اقدم الناس ويستدلون بها على أحوال الانسان وقال تعالى ثم ففينا على
آثارهم يرسلنا وسمى القفاً قفاً لانه مؤخر بدن الانسان كأنه شيء يتبعه ويقفوه وقوله
ولا تقف أي ولا تتبع ولا تقف ما لا علم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهي
عن الحكم بما لا يكون معلوماً وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة وكل واحد من
المفسرين حله على واحد من تلك الأنواع وفيه وجه (الاول) المراد نهى المشركين عن
المداهب التي كانوا يعتقدونها في الالهيات والنبوات بسبب تقليد اسلافهم لانه تعالى
نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال ان هي الأسماء سميتوها أترم وآباؤكم
ما أنزل الله بهما من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقال انكارهم
البعث بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك من ما بل هم منها معون وحكي عنهم انهم
قالوا ان نطقنا الاظنا وما نحن بمستيقنين وقال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من
الله وقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية وقال هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن (والقول الثاني) نقل عن محمد بن الحنفية
ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لا تشهد الا بما رأيته عينك وسميته اذنك
ووعاء قلبك (والقول الثالث) المراد منه النهي عن الغنى ورعى المحصنين والمحصنات
بالاكاذيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء ويبالغون فيه
(والقول الرابع) المراد منه النهي عن الكذب قال قتادة لا نقل سمعت ولم تسمع ورأيت
ولم تره علمت ولم تعلم (والقول الخامس) ان القفو هو البهت وأصله من القفا كأنه قول
يقال خلفه وهو في معنى الغيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما يسوءه وفي بعض الاخبار من

(مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى وفي إيراد الالقاء مبنياً للمفعول جرى على سنن الكه

وازدراء بالشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التور (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أنثانا) خطاب للقاتلين بأن الملائكة * ٥٨٨ * بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جملة خالصا

والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدم نفسه المذكور أى أفضلكم على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وأثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكرو له الاثنى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد به نبالا تعرض لعنوان الر بوبية تشديد التنكيرونا كيد وأشير بذكر الملائكة عليه السلام وإيراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم أخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التى هى أخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أنثانا (انكم لتقولون) بمقتضى مذهبكم الباطل الذى هو اضافة الولد اليه سبحانه (قولا عظيما) لا يقادر قدره فى استتباع الاثم وخرقه لقضايا القول بحيث لا يجترئ عليه أحد بحيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثل شئ وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم يضيفون اليه ما تنكرون من

قيام سلبا بليس فيه حسيه الله فى ردغة الخيال واعلم ان اللفظ عام يتناول الكل فلامعنى للتقليد والله أعلم (المسئلة الثانية) احتج نفاة القياس بهذه الآية فقالوا القياس لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم فالحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب أن لا يجوز لقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أجيب عنه من وجوه (الاول) ان الحكم فى الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة فى صور كثيرة (أحدها) ان العمل بالغوى عمل بالظن وهو جائز (وثانيها) العمل بالشهادة عمل بالظن وانه جائز (وثالثها) الاجتهاد فى طلب القبلة لا يفيد الا الظن وانه جائز (ورابعها) قيم المتلفات وأروش الجنائيات لا يسبيل اليها الا بالظن وانه جائز (وخامسها) الفصد والحجامة وسائر المعالجات بناء على الظن وانه جائز (وسادسها) كون هذه الذبيحة ذبيحة للمسلم مظنون للمعلوم وبناء الحكم عليه جائز (وسابعها) قال تعالى وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون للمعلوم (وثامنها) الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون ثم ينبنى على هذا الظن أحكاما كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن فى مقابر المسلمين وغيرهما (وتساعها) جميع الاعمال المعتمدة فى الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المخصوصة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها ظنونة وبناء الامر على تلك الظنون جائز (وعاشرها) قال عليه السلام نحن نحكم باظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصریح بأن الظن معتبر فى هذه الانواع العشرة فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن (والجواب الثانى) ان الظن قد يسمى بالعلم والدليل عليه قوله تعالى اذ جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتوهن مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وذلك لا يفيد الا ظن فهمنا الله تعالى سمي الظن علما (والجواب الثالث) ان الدليل اقطاع لمادل على وجوب العمل بالقياس وكان ذلك الدليل دليلا على انه متى حصل ظن ان حكما لله فى هذه السورة يساوى حكمه فى محل النقص فأنتم مكلفون بالعمل على وفق ذلك الظن فهمنا الظن وقع فى طريق الحكم فأما ذلك الحكم فهو معلوم متيقن ألجأ نفاة القياس عن السؤال الاول فقالوا قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم عام دخله التخصيص فى الصور العشرة المذكورة فبقي هذا العموم فيما وراء هذه الصورة ثم نقول الفرق بين هذه الصور العشر وبين محل النزاع انه هذه الصور العشر مشتركة فى ان تلك الاحكام أحكام مخصصة بأشخاص معينين فى أوقات معينة فان الواقعة التى يرجع فيها الانسان المعين الى المعنى المعين واقعة متعلقة بذلك الشخص المعين وكذلك القول فى الشهادة وفى طلب القبلة وفى سائر الصور والتخصيص على وقائم الاشخاص المعين فى الاوقات المعينة يجرى مجرى التخصيص على ما لانهاية له وذلك معذرة فلهذه الضرورة اكتفينا بالظن أما الاحكام المشبهة بالاقيسة

الزوال وليس كمثل شئ وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم يضيفون اليه ما تنكرون من

خس الاولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبني ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالانوثة التي هي أحسن أوصاف الحيوان فبالها من صلة * ٥٨٩ ما أفصحها وكثرة ما أشبعها وأفظعها (وانتصرنا)

هذا المعنى وكرنا

(في هذا القرآن)

على وجوه من التصريف

في مواضع منه وانما ترا

التصريف تعويلا على

الظهور وقسرى

بالتخفيف (ليذكروا)

ما فيه ويقفوا على

بطلان ما يقولونه

والانتفات الى الغيبة

الايدان باقتضاء الحال

أن يعرض عنهم ويحج

للسامعين هنتهم وقرى

بالتخفيف من الذكر

بمعنى التذكر ويجوز

أن يراد بهذا القرآن

ما نطق ببطلان مقالاتهم

الذكورة من الآيات

الكريمة الواردة على

أساليب مختلفة ومعنى

التصريف فيه جعله

مكانا له أى أوقعنا فيه

التصريف كقوله

* يخرج في عراقيها

نصلى * وقد جوز

أن يراد به ابطال

اضافتهم اليه تعالى

البنات وأنت تعلم أن

ابطالها من آثار القرآن

وتأنيده (وما يزيدهم)

أى والحال انه ما يزيدهم

ذلك التصريف البالغ

فهي أحكام كلية معتبرة في وقائع كلية وهي مضبوطة قليلة والتخصيص عليها يمكن ولذلك فان الفقهاء الذين استخرجوا تلك الاحكام بطريق القياس ضبطوها وذكروها في كتبهم اذا عرفت هذا فنقول التخصيص على الاحكام في الصور العشر التي ذكرتموها غير ممكن فلا جرم اكتفى الشارع فيها بالظن اما المسائل المثبتة بالطرق القياسية التخصيص عليها يمكن فلم يجز الاكتفاء فيها بالظن فظهر الفرق (وأما الجواب الثاني) وهو قولهم الظن قد يسمى علما فنقول هذا باطل فانه يصح أن يقال هذا مظهر للظن وغير معلوم وهذا معلوم وغير مظنون وذلك يدل على حصول المغيرة ثم الذي يدل عليه قوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن نفي العلم وثبات للظن وذلك يدل على حصول المغيرة وأما قوله تعالى فان علمتوهن مؤمنات فالؤمن هو المقر وذلك الاقرار هو العلم (وأما الجواب الثالث) فهو أيضا ضعيف لان ذلك الكلام انما يتم لو ثبت ان القياس حجة بدليل قاطع وذلك باطل لان تلك الحجة اما أن تكون عقلية أو قياسية والاول باطل لان القياس الذي يفيد الظن لا يجب عقلا أن يكون حجة والدليل عليه أنه لا نزاع أن يصح من الشرع أن يقول نهيتمكم عن الرجوع الى القياس ولو كان كونه حجة أمرا عقليا محض لا متنع ذلك والثاني أيضا باطل لان الدليل الثقل في كون القياس حجة انما يكون قطعا لو كان منتولا نقلًا متواترا وكانت دلالاته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتالة التقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل واعرفه الكل ولا يرتفع الخلاف وحيث لم يكن كذلك علمنا انه لم يحصل في هذه المسئلة دليل سمي قاطع فثبت انه لم يوجد في الثبات كون القياس حجة دليل قاطع البتة فبطل قولكم كون الحكم المثبت باقيا حجة معلوم لامظنون فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وأحسن ما يمكن أن يقال في الجواب عنه ان التمسك بهذه الآية التي عوتم عليها تمسك بعام مخصوص والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على ان التمسك بالظن غير جائز دلت على ان التمسك بهذه الآية غير جائز فاقول بكون هذه الآية حجة يقتضى ثبوته الى نفيه فكان متناقضا فاسقط الاستدلال به والله أعلم والعجيب أن يحجب فيقول نعم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التمسك بآيات القرآن حجة في الشريعة ويمكن أن يجاب عن هذا الجواب بأن كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا فيه بحثان (الاول) ان العلوم اما مستفادة من الحواس أو من العقول أما القسم الاول فاليه الاشارة بذكر السمع والبصر فان الانسان اذا سمع شيئا ورآه فانه يروي به ويخبر عنه وأما القسم الثاني فهو العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان البدئية والنسبية والى العلوم العقلية الاشارة بذكر الفؤاد (البحث الثاني) ظاهر الآية يدل على ان هذه الجوارح مسئولة وفيه وجوه (الاول) ان المراد ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول لان السؤال لا يصح الا من كان

(الانفورا) عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى الى معرفة بطلان ما هم عليه من القائل (قل) في اظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى

آلهة كما يقولون) أي المشركون قاطبة وقرئ بالياء خطا بهم من قبل النبي عليه الصلاة والسلام والكاف في محل النصب على أنها مت مصدر محذوف أي كوننا مشابها لما يقولون ﴿ ٥٩٠ ﴾ والمراد بالمشابهة الواقعة والمطابقة

(إذا لا يتغوا) جواب عن
مقاتلهم الشعاء وجزاء
للو أي أطبوا (إلى
ذي العرش) أي إلى
من له الملك والربوبية على
الاطلاق (سبيلا)
بالمبالغة والمبالغة كما هو
ديدن المملوك بعضهم مع
بعض على طريقة قوله
تعالى لو كان فيهما آلهة
الإله لفسدنا وقيل
بالقرب إليه تعالى كقوله
تعالى أولئك الذين
يذعنون يذعنون إلى ربهم
الوسيلة والاول هو
الظاهر الأنسب لقوله
(سبحانه) فإنه صريح
في أن المراد بسان أنه
يلزم مما يقولونه محذور
عظيم من حيث
لا يحسنون وأما ابتغاء
السبيل إليه تعالى بالتقرب
فليس مما يختص بهذا
التقرير ولا هو بما يلزمهم
من حيث لا يشعرون
بل هو أمر يعتقدونه
رأسا أي تنزه بذاته
تنزهه حقيقة (وتعالى)
متباعدة (عما يقولون)
من العظيمة التي هي
أن يكون معه آلهة وأن
يكون له بنات (علوا)

عافلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الإنسان فهو كقوله تعالى
واسأل القرية والمراد أهلها يقال لهم سمعت ما يوحى لك سمعته ولم نظرت إلى ما يوحى لك
النظر إليه ولم عزمت على ما يوحى لك العزم عليه (والوجه الثاني) أن تقرير الآية أن
أولئك الأقوام كلهم مسئولون عن السمع والبصر والقواد فيقال لهم استعملتم السمع
فماذا أنفي الطاعة أو في العصية وكذلك القول في بقية الأعضاء وذلك لأن هذه الحواس
آلات النفس والنفس كالأميرها والمستعمل لها في مصالحها فإن استعملتها النفس في
الخيرات استوجبت الثواب وإن استعملتها في المعاصي استحققت العقاب (والوجه
الثالث) أنه ثبت بالقرآن أنه تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنها تشهد على الإنسان
والدليل عليه قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
ولذلك لا يعد أن يخلق الحياة والعقل والنطق في هذه الأعضاء ثم أنه تعالى يوجه السؤال
عليها ﴿ قوله تعالى (ولا تمس في الأرض مراحا لك أن تخرق الأرض وإن تبلغ الجبال
طولا كل ذلك كان سعيه عند ربك مكروها) اعلم أن هذا هو النوع الثاني من الأشياء
التي نهى الله عنها في هذه الآيات وفيه مسائل (المسئلة الأولى) المرح شدة الفرح
يقال مرح بمرح فهو مرح والمراد من الآية التهمي عن أن يمشي الإنسان مشيا
يدل على التكبر والعظمة قال الزجاج لأتمش في الأرض مخنالا فخورا ونظيره قوله تعالى
في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وقال في سورة لقمان
واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال أيضا فيها ولا تمش في الأرض مراحا إن الله
لا يحب كل مخنل فخور (المسئلة الثانية) قال الاخفش ولو قرئ مراحا بالكسر كان
أحسن في القراءة قال الزجاج مراحا مصدر ومراحا اسم الفاعل وكلاهما جائز الآن
المصدر أحسن ههنا وأوكد تقول جائز يدركضاورا كضار كضار أو كدلانه يدل على
توكيد الفعل ثم أنه تعالى أكد التهمي عن الخلاء والتكبر فقال إنك لن تخرق الأرض
ولن تبلغ الجبال طولا والمراد من الخرق ههنا نقب الأرض ثم ذكروا فيه وجوها (الاول)
أن المشي إنما يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنك قيل إنك حال الانخفاض لا تقدر على
خرق الأرض ونقبها وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رؤس الجبال والمراد التنبه
على كونه ضعيفا عاجزا فلا يليق به التكبر (الثاني) المراد منه أن تحتك الأرض التي
لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها فانت محاط بك من فوقك
وتحتك بنوعين من الجداد وأنت أضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر
فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فإنك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب
فلا تفعل فعل المتعذر القوي ثم قال تعالى كل ذلك كان سعيه عند ربك مكروها وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) الأكثرون قروا سعيه بضم الهاء والهمزة وقرأ نافع وابن كثير
وأبو عمر وسبعة منسوبة أما وجه قراءة الأكثرين فظاهر من وجهين (الاول) قال الحسن

تعالى كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (كبيرا) لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه ﴿ انه ﴾
في أقصى غايات الوجود وهو

الوجوب الذاتي ما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولاداً في أبعد مراتب العدم اعني الامتناع لئلا يله تعالى في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب ﴿ ٥٩١ ﴾ الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فانه من خواص

ما يتمتع بقاؤه كما قيل
فان ما يقولونه ليس
بمجرد اتخاذ الولد بل
اتخاذ تعالى له وأن يكون
معها آلهة ولا ريب

في أن ذلك ليس بداخل
في حداث المكان فضلاً
عن دخوله تحت الوجود
وكونه من أدنى مراتب
الوجود انما هو بالنسبة

الى من شأنه ذلك
(تسبح) بالفوقانية
وقرى بالتخانية
وقرى (سبحت له
السموات السبع

والارض ومن فيهن)
من الملائكة والقلين
على ان المراد باليسبح
معنى منتظم لما ينطق به
لسان المقال ولسان

الحال بطريق عموم
المجاز (وان من شيء)
من الاشياء حيوانا كان
أو نباتا أو جاسداً

(الا يسبح) ملتبساً
(بحمده) أى بزمه
تعالى بلسان الحال عما
لا يليق بذاته الاقدس

من لوازم الامكان ولو
احق الحدوث اذ ما من
موجود الا وهو بامكانه
وحدوثه يدل دالة
واضح على أن له صانعا عليما قادرا حكيميا واجبا لذاته قطعاً للسلسلة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون
لاخلالكم بانظر الصحيح الذي يفهم ذلك وقرى لا يفقهون على

انه تعالى ذكر قبل هذا أشياء أمر ببعضها ونهى عن بعضها فلو حكم على الكل بكونه سيئة
لزم كون المأمور به سيئة وذلك لا يجوز اما اذا قرأناه بالاضافة كان المعنى ان ما كان من
تلك الاشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله واستقام الكلام (والوجه الثاني)
انما لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة لوجب أن يقال انها مكروهة وليس الامر
كذلك لانه تعالى قال مكروهاً اما اذا قرأناه بصيغة الضافة كان المعنى ان سبى تلك
الاقسام يكون مكروهاً وحينئذ يستقيم الكلام أما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو فيها
وجوه (الاول) ان الكلام ثم عند قوله ذلك خير وأحسن تأويلاً ثم ابتداء وقال ولا تفق
ما ليس لك به علم ولا تنس في الارض مرها ثم قال كل ذلك كان سيئة والمراد هذه الاشياء
الاخيرة التي نهى الله عنها (والثاني) ان المراد بقوله كل ذلك أى كل ما نهى الله عنه فيما
تقدم وأما قوله مكروهاً فذكرها في تصحيحه على هذه القراءة وجوها (الاول) التقدير
كل ذلك كان سيئة وكان مكروهاً (الثاني) قال صاحب الكشف السيئة في حكم
الاسماء بمنزلة الذنب والائم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيده ولا فرق بين
من قرأ سيئة ومن قرأ سبى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق
بين اسنادها الى مذكر ومؤنث (الثالث) فيه تقديم وتأخير والتقدير كل ذلك
كان مكروهاً وسيئة عند ربك (الرابع) انه محمول على المعنى لان السيئة هي الذنب وهو
مذكور (المسئلة الثانية) قال القاضى دلت هذه الآية على ان هذه الاعمال مكروهة
عند الله تعالى والمكروه لا يكون مراداً له فهذه الاعمال غير مرادة لله تعالى فبطل قول
من يقول كل ما دخل في الوجود فهو مراد لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله
تعالى وجب أن لا تكون مخلوقة له لانها لو كانت مخلوقة لله تعالى لكانت مرادة له
لا يقال المراد من كونها مكروهة ان الله تعالى نهى عنها وأيضاً معنى كونها مكروهة ان
الله تعالى كره وقوعها وعلى هذا التقدير فهذا لا يمنع ان الله تعالى أراد وجودها لان
الجواب عن الاول انه عدول عن الظاهر وأيضاً كونها سيئة عند ربك يدل على كونها
منها عنها فلو حكمنا المكروه على النهى لزم التكرار والجواب عن الثاني انه تعالى انما
ذكر هذه الآية في معرض الزجر عن هذه الافعال ولا يليق بهذا الموضع أن يقال انه
تعالى يكره وقوعها هذا تمام هذا الاستدلال والجواب ان المراد من المكروه المنهى
عنه ولا بأس بالتكرار لاجل التأكيد والله أعلم (المسئلة الثالثة) قال القاضى دلت
هذه الآية على انه تعالى كانه موصوف بكونه مرئداً فكذلك أيضاً موصوف بكونه
كارهاً وقال اصحابنا الكراهية في حقه تعالى محمولة اما على النهى أو على ارادة العدم
والله أعلم * قوله تعالى (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها
آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً فانكم
لاتدلون قولاً عظيماً) اعلم انه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعاً من

واضح على أن له صانعا عليما قادرا حكيميا واجبا لذاته قطعاً للسلسلة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون
لاخلالكم بانظر الصحيح الذي يفهم ذلك وقرى لا يفقهون على

صبغة المبنى للفعول من باب النفعيل (انه كان خليما) وانك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد ﴿ ٥٩٢ ﴾ والانهماك في الكفر والاشراك

التكاليف فأولها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه مشتمل على تكليفين الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غير الله فكان المجموع ثلاثة وقوله وبالوالدين احسانا هو الرابع ثم ذكر في شرح ذلك الاحسان خمسة أخرى وهي قوله فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفص لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما فيكون المجموع تسعة ثم قال وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل وهو ثلاثة فيكون المجموع اثني عشر ثم قال ولا تبذر ثديرا فيصير ثلاثة عشر ثم قال وامات عرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا مبسورا وهو الرابع عشر ثم قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الى آخر الآية وهو الخامس عشر ثم قال ولا تقتلوا اولادكم وهو السادس عشر ثم قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالقي وهو السابع عشر ثم قال ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وهو الثامن عشر ثم قال فلا يسرف في القتل وهو التاسع عشر ثم قال وأوفوا بالعهد وهو العاشر ثم قال وأوفوا الكيل اذا كنتم وهو الحادي والعشرون ثم قال وزنوا بالقسطاس المستقيم وهو الثاني والعشرون ثم قال ولا تقف ما ليس لك به علم وهو الثالث والعشرون ثم قال ولا تبس في الارض مرسحا وهو الرابع والعشرون ثم قال ولا تجعل مع الله الها آخر وهو الخامس والعشرون فهذه خمسة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواه جبهها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتعدد مذموما مخدولا وخاتمتها قوله ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقي في جهمهم ملوما مذمورا اذا عرفت هذا فنقول ههنا فوائد (الفائدة الاولى) قوله ذلك اشارة الى كل ما تقدم ذكره من التكاليف وسماها حكمة وانما سماها بهذا الاسم لوجوه (أحدها) ان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والعقول تدل على صحتها فلا تأتي بمثل هذه الشريعة لا يكون داعيا الى دين الشيطان بل الفطرة الاصلية تشهد بأنه يكون داعيا الى دين الرحمن وتماثل تقر بهذا ما ذكره في سورة الشعراء في قوله هل أتيتكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفان أثم (ونازيها) ان الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمثل ولا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار (والثاني) ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فالامر بالتوحيد عبارة عن القسم الاول وسائر التكاليف عبارة عن تعاليم الخيرات حتى يواظب الانسان عليها ولا يخرف عنها فثبت ان هذه الاشياء المذكورة في هذه الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس ان هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه الصلاة والسلام (أولها) لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء (والفائدة الثانية) من فوائد هذه الآية انه تعالى بدأ في هذه التكاليف بالامر بالتوحيد والنهي

(غفورا) لمن تاب منك (واذا قرأت القرآن) الناطق بالتسبيح والتزكية ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع (جعلنا) بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أو ثرا الموصل على الضمير ذما لهم بما في خير الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما أمروا بالامتنان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل من انكار البعث واستحجاله ونحو ذلك (حجابا) يحجبهم من أن يدر كوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تبعسون الا رجلا مسجورا وحل الحجاب على ماروى

عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه من انه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء ام جيل امرأة أبي لهب عن وفي يدها فهر والنهي عليه الصلاة والسلام قاعد في المسجد ومعه أبو بكر

رضي الله عنه فلما رآه قال يا رسول الله لقد أقبلت هدى، ﴿٥٩٣﴾ وأخاف أن تراك قال عليه الصلاة والسلام

انهم ان ترائي وقرأنا
فوقفت على أبي بكر
رضي الله عنه ولم تر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مالا يقبله
الذوق السليم ولا يساعد
النظم الكريم (مستورا)
ذاستر كما في قولهم
سبل مفعم أو مستورا عن
الحس بمعنى غير حسي
أو مستورا في نفسه
بحجاب آخر أو مستورا
كونه حجابا حيث لا يدرون
انهم لا يدرون (وجعلنا على
قلوبهم أكنة) أغطية
كثيرة جمع كنان (أن
يفقهوه) مفعول لاجله
أي كراهته أن يفقهوه
أو مفعول لما دل عليه
الكلام أي منعناهم أن
يقفوا على كنهه ويعرفوا
أنه من عند الله تعالى
(وفي اذانهم وقرا)
صما وثقلا مانعا من
سماعه الاثني به وهذه
تمثيلات مريبة عن كمال
جهلهم بشؤون النبي
عليه الصلاة والسلام
وفرط نبوقلوعهم عن
فهم القرآن الكريم ووج
أسماء عهله جئ بها
بينا لعدم فقههم لتسبيح

من الشرك وختمها بعين هذا المعنى والمقصود منه التنبيه على أن أول كل عمل وقول
وفكر وذکر يجب أن يكون ذكر التوحيد وآخره يجب أن يكون ذكر التوحيد تنبيها على
أن المقصود من جميع التكاليف هو معرفة التوحيد والاستغراق فيه فهذا التكرير
حسن موقفه لهذه الفائدة العظيمة ثم انه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الشرك يوجب أن
يكون صاحبه مذموما مخذولا ولا ذكر في الآية الأخيرة أن الشرك يوجب أن يلقى صاحبه
في جهنم ملوما مذمورا فاللوم والخذلان يحصل في الدنيا والقاؤه في جهنم يحصل يوم
القيامة ويجب علينا أن نذكر الفرق بين المذموم المخذول وبين الملوم المدحور فنقول أما
الفرق بين المذموم وبين الملوم فهو أن كونه مذموما معناه أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم
عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما وإذا ذكر له ذلك فبه ذلك يقال له لم فعلت مثل
هذا الفعل وما الذي حلك عليه وما استغفدت من هذا العمل الإلحاق الضرر بنفسك
وهذا هو اللوم ثبت أن أول الأمر هو أن يصبر مذموما وآخره أن يصبر ملوما وأما الفرق
بين المخذول وبين المدحور فهو أن المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت أعضاؤه
أي ضعف وأما المدحور فهو المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال
تعالى ويخذل فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتغويضه الى نفسه وكونه
مدحورا عبارة عن اهانة والاستخفاف به ثبت أن أول الأمر أن يصبر مخذولا وآخره
أن يصبر مدحورا والله أعلم بمراده وأما قوله أفأصفاكم ربكم بالبنين وتأخذ من الملائكة
اناثا فاعلم انه تعالى لما نبه على فساد طريقة من أثبت لله شركا ونظيره على طريقة من
أثبت له الولد وعلى كمال جهل هذه الفرقة وهي أنهم اعتقدوا أن الولد قسمان فأشرف
القسمين البنون وأحسنهما البنات ثم انهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم
ونقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له
بالجلال الذي لا غاية له وذلك يدل على نهاية جهل القائل بهذا القول ونظيره قوله تعالى
ثم له البنات ولكم البنون وقوله ألكم الذكرو له الانثى وقوله أفأصفاكم يقال أصفاء بالشيء
الآثر به ويقال للضباع التي يستخصها السلطان بخاصية الصوافي قال أبو عبيدة في قوله
أفأصفاكم أفخصكم وقال المفضل أخلصكم قال الخويون هذه الهمة همة تدل على
الانكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لأجواب اصحابه إلا بما فيه أعظم
الفضيحة ثم قال تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وبين هذا التعظيم من وجهين (الأول)
أن إثبات الولد يقتضي كونه تعالى مركبا من الاجزاء والابغاض وذلك يقدح في كونه
قدما واجب الوجود لذاته وذلك عظيم من القول ومنكر من الكلام (والثاني) أن
بتقدير ثبوت الولد فقد جعلتم أشرف القسمين لأنفسكم وأخس القسمين لله وهذا أيضا
جهل عظيم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعذروا وما يزيدهم الا نفورا
قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لا تبغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى

لسان المقال اثر بيان عدم فقههم ﴿٧٥﴾ خا لتسبيح لسان الحال وايدنا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم
فهمه الا لانهم قوى بعترى المشاعر في طلبها وتنبيهها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لاحكامها لما قالوا فلوننا في أكنة

مالا ينفى (وقالوا أئذا كنا عظاما ورقانا) استفهام ٥١٦ * انكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث

بعد ما ل الحال الى هذا
المال لما بين غضاضة
الحى ويوسه الرميم
من التنافى كائن استخالة
الامر من الظهور بحيث
لا يقدر المخاطب على
التكلم به والرفات
ما يبالغ في دفعه وتفتيته
وقال الفراء هو الغراب
وهو قول مجاهد وقيل
هو الخضام واذا تمحضت
للضربة وهو الاظهر
والعامل فيها ما دل عليه
قوله تعالى (أشألبعوثون)
لا تفسد لان ما بعد ان
والهمزة واللام لا يعمل
فيما قبلها وهو بحث
أو نعاد وهو المرجع
للاينكار وتقييده بالوقت
المذكور ليس التخصيص به
فانهم مشكرون للاحياء
بعد الموت وان كان البدن
على حاله بل تقوية
الانكار للبعث بتوجيه
اليه في حالة مناقبة له
وتكرير الهمزة في قولهم
أشألبعوثون كيد التكبير
وتخليد الجملة باللام
لأن كيد الانكار لا انكار
لأن كيد كعسى بنوهم
من ظاهر النظم فان تقديم
الهمزة لاقتضاها الصدارة

من كونه تعالى عالما قادرا كونه حيا وذلك جهل وكفر لان من المعلوم بالضرورة ان من
ليس بحى لم يكن عالما قادرا متكلم هذا هو القول الذى أطبق العلماء المحققون عليه
ومن الناس من قال ان الجمادات وأنواع النبات والحيوان كلها تسبح لله تعالى واحتجوا
على صحة قولهم بأن قالوا دل هذا النص على كونها مسبحة لله تعالى ولا يمكن تفسير هذا
التسبيح بكونها دلائل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته لانه تعالى قال ولكن لاتفقهون
تسبيحهم فهذا يقتضى ان تسبيح هذه الاشياء غير معلوم لنا ولا تدل على وجود قدرة الله
وحكمته معلوم والمعالم مغاير لما هو غير معلوم فدل على أنها تسبح لله تعالى وان تسبيحها
غير معلوم لنا فوجب أن يكون التسبيح المذكور في هذه الآية مغايرا لكونها دالة على
وجود قدرة الله تعالى وحكمته والجواب عنه من وجوه (الاول) انك اذا أخذت نفاحة
واحدة فذلك النفاحة مركبة من عدد كثير من الاجزاء التى لاتتجزأ وكل واحد من تلك
الاجزاء دليل تام مستقل على وجود الاله ولكل واحد من تلك الاجزاء التى لاتتجزأ
صفات مخصوصة من الطبع والطعم واللون والرائحة والحيز والجهة واختصاص ذلك
الجوهر الفرد بتلك الصفة المعينة من الجائزات فلا يحصل ذلك الاختصاص بالاختصاص
مخصص قادر حكيم اذا عرفت هذا فقد ظهر أن كل واحد من أجزاء تلك النفاحة دليل
تام على وجود الاله وكل صفة من الصفات القائمة بذلك الجزء الواحد فهو أيضا دليل تام
على وجود الاله تعالى ثم عدد تلك الاجزاء غير معلوم وأحوال تلك الصفات غير معلومة
فلهذا المعنى قال تعالى ولكن لاتفقهون تسبيحهم (والوجه الثانى) هو أن الكفار
وان كانوا يقولون بألسنتهم بآيات الله العالم الانهم ما كانوا يتفكرون في أنواع الدلائل
ولهذا المعنى قال تعالى وكأين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها
معرضون فكان المراد من قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم هذا المعنى (والوجه الثالث)
ان القوم وان كانوا مقرين بألسنتهم بآيات الله العالم الانهم ما كانوا عالين بكمال قدرته
ولذلك فانهم استبعدوا كونه تعالى قادرا على الحشر والنشر فكان المراد ذلك وأيضا فانهم
تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لايتفقهوا الى ذى
العرش سبيلا فهم ما كانوا عالين بهذا الدليل فلما ذكر هذا الدليل قال تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن فتسبيح السموات والارض ومن فيهن يشهد بحكمة هذا الدليل
وقوته وأنتم لاتفقهون هذا الدليل ولا تعرفونه بل تقول ان القوم كانوا عاقلين عن أكثر
دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد فكان المراد من قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم
ذلك وبما يدل على ان الامر كما ذكرناه قوله انه كان حليما غفورا فذكر الحليم والغفور
ههنا يدل على أن كونهم بحيث لا يفقهون ذلك التسبيح جرم عظيم صدر عنهم وهذا
انما يكون جرما اذا كان المراد من ذلك التسبيح كونها دالة على كمال قدرة الله تعالى
وحكمته ثم انهم لغفلتهم وجعلهم ماعرفوا وجه دلالة تلك الدلائل اما لو كان هذا التسبيح

كافى مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائر على رأى الجمهم ورقان المعنى عندهم تعقيب الانكار لانكار التعقيب * على
كاهو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المعبودية بالفعل في حال كونهم

عظما ورفانا كما يتزاي من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة ﴿ ٥٩٧ ﴾ على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال مالا مزيد عليه (خلق جديدا)

نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جوابا لهم وتقريرا لما استبعدوه (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا) آخر (بما يكبر في صدوركم) أي يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال البينة والثبوت بينهما وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة (فسيقولون من بعدنا) مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المبالغة والمبالغة (قل) لهم تحقيقا للحق

واراحة للاستبعاد وارشادهم الى طريقة الاستدلال (الذي) أي بعيدكم القادر العظيم الذي (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب يتحبه وكنتم ترابا ماشما رائحة الحياة أليس الذي يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظيم البالغة الى حالتها المعهودة بلي أنه على كل شيء قدير (فسيقضون

على أن هذه الجمادات تسبح الله بأقوالها وأفعالها لم يكن عدم الفقه لتلك التسبيحات جرمًا ولا ذنبًا ولا يمكن ذلك جرما ولا ذنبًا لم يكن قوله أنه كان حليما غفورا لا نقسا بهذا الموضع فهذا وجه قوي في نصرة القول الذي اخترناه واعلم أن القائلين بأن هذه الجمادات والحيوانات تسبح الله بأفعالها أضافوا الى كل حيوان نوعا آخر من التسبيح وقالوا إنها اذا ذبحت لم تسبح مع أنهم يقولون ان الجمادات تسبح الله فاذا كان كونه جادا لا يمنع من كونه مسجحا فكيف صار ذبح الحيوان مانعا له من التسبيح وقالوا أيضا ان غصن الشجرة اذا كسر لم يسبح واذا كان كونه جادا لم يمنع من كونه مسجحا فكسره كيف يمنع من ذلك تعلم ان هذه الكلمات ضعيفة والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن تصریح باضافة التسبيح الى السموات والارض والى المكلفين الحاصلين فيهن وقد دللنا على ان التسبيح المضاف الى الجمادات ليس الا بمعنى الدلالة على تزيه الله تعالى واطلاق لفظ التسبيح على هذا المعنى مجاز وأما التسبيح الصادر عن المكلفين وهو قولهم سبحان الله فهذا حقيقة فيلزم أن يكون قوله تسبح لفظا واحدا قد استعمل في الحقيقة والمجاز معا وأنه باطل على ما ثبت دليله في أصول الفقه فالاولى أن يحمل هذا التسبيح على الوجه المجازي في حق الجمادات لافي حق العقلاء لا يلزم ذلك المحذور والله أعلم * قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تنبئون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضمر بوالك الامثال فضلو فلا يستمعون سبيلا) اعلم أنه تعالى لما تكلم في الآية المتقدمة في المسائل الالهية تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بقرير النبوة وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله واذا قرأت القرآن قولان (الاول) ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن على الناس روى انه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره آخران من ولد قصي بصفتهم ويصفرون ويخططون عليه بالاشعار وعن أسماء أنه صلى الله عليه وسلم كان جالسا ومعه أبو بكر اذا قبلت امرأة أبي لهب ومعهما فهر تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول * مذما أتينا * وذينة قلينا * وامرء عصبنا فقال أبو بكر يا رسول الله معها فهر أخشاه عليك فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجاءت فأرأت رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالت ان قرىسا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجأك وروى ابن عباس أن أباسفيان والنضر بن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون الى حديثه فقال النضر يوما ما أدري ما يقول محمد غير أني أرى شفيعه تحرك بشئ وقال أبو سفيان اني لأرى

اليك رؤسهم) أي سيجر كونها نحوك تعجبا وانكارا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي ما ذكرته من الاعادة (قل) لهم (عسى أن يكون) ذلك (قريبا)

نصب على انه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أي أن يتم ﴿ ٥٩٨ ﴾ في زمان قريب ومحل أن مع ماني حيزها

اما نصب على انه خبر
لمسى وهي ناقصة
واسمها ضمير عائذ الى
ما عاد اليه هو أي عسى
البعث أن يكون قريبا
أو عسى البعث يقع
في زمان قريب أو رفع
على انه فاعل لمسى وهي
تامة أي عسى كونه
قريبا أو وقوعه في زمان
قريب (يوم يدعوك)
منصوب بفعل مضمر أي
اذكروا وعلى انه بدل
من قريبا على انه ظرف
أو يكون تامة بالاتفاق
أو ناقصة عند من يجوز
اعمال الناقصة
في الظروف أو بضمير
المصدر المستكن في عسى
أو يكون أعنى البعث
عند من يجوز أعمال
ضمير المصدر كافي قول
زهير * وما الحرب الا
ما علمتم وذقمتم * وما هو
عنها بالحديث المرجح *
فهو ضمير المصدر وقد
تعلق به ما بعده من الجار
(فتسجيون) أي يوم
يحبكم فتبشون وقد
استعمل لهما الدعاء
والاجابة ايذنا بكمال
سهولة الثاني وبأن

بعض ما يقوله حقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حويط بن
عبد العري هو شاعر فنزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد تلاوة
القرآن قرأ قبلها ثلاث آيات وهي قوله في سورة الكهف اناجعلنا على قلوبهم أكنة أن
يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية
أفرايت من اتخذ الهه هواه إلى آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه بركات هذه الآيات
عن عيون المشركين وهو المراد من قوله تعالى جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا وفيه سؤال وهو أنه كان يجب أن يقال حجابا ساترا والجواب عنه من وجوه
(الاول) ان ذلك الحجاب حجاب يخلق الله تعالى في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب عن
روية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الحجاب شيء لا يراه أحد فكان مستورا من هذا الوجه
أحجج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في أنه يجوز أن تكون الحاسة سليمة ويكون
المرئي حاضرا مع أنه لا يراه ذلك الانسان لاجل ان الله تعالى خلق في صفيه ما نعاين عنه عن
رويته بهذه الآية قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حاضرا وكانت حواس الكفار
سليمة ثم انهم ما كانوا يرونه وأخبر الله تعالى ان ذلك انما كان لاجل انه جعل بينه وبينهم
حجابا مستورا والحجاب المستور لاعمى له الا المعنى الذي خلقه الله تعالى في عيونهم وكان
ذلك المعنى مانعا لهم من أن يروه ويصروه (والوجه الثاني) في الجواب أنه كما يجوز أن
يقال لابن وتامر بمعنى ذولبن وذوتر فكذلك لا بعد أن يقال مستورا معناه ذوستر
والدليل عليه قولهم مرطوب أي ذو رطوبة ولا يقال رطيبو ويقال مكان مهول أي فيه
هول ولا يقال هلت المكان بمعنى جعلت فيه الهول ويقال جارية مغنوجة ذات غنج
ولا يقال غنجنها (والوجه الثالث) في الجواب قال الاخفش المستور ههنا بمعنى الساتر فان
الفاعل قديجي بلفظ المفعول كما يقال انك لمشؤم علينا وميمون وانما هو شائم ويامن
لانه من قولهم شأمهم ومنهم هذا قول الاخفش وتابعه عليه قوم الا ان كثيرا منهم طعن
في هذا القول والحق هو الجواب الاول (والقول الثاني) ان معنى الحجاب الطبع الذي
على قلوبهم والطبع والمنع الذي منعهم عن أن يدركوا لطائف القرآن ومحاسنه وفوائده
فالمراد من الحجاب المستور ذلك الطبع الذي خلقه الله في قلوبهم ثم قال تعالى وجعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وهذه الآية مذكورة في سورة البقرة في سورة الانعام
وذكرنا استدلال أصحابنا بها وذكرنا سوالات المعتزلة ولا بأس باعادة بعضها قال الاصحاح
دلت هذه الآية على انه تعالى جعل قلوبهم في الاكنة والاكنة جمع كنان وهو ما ستر الشيء
مثل كنان النبل وقوله أن يفقهوه أي لا يفقهوه وجعل في آذانهم وقرا ومعلوم انهم
كانوا عقلاء سامعين فاهمين فعلنا ان المراد منعهم عن الايمان ومنعهم عن سماع القرآن
بحيث لا يقفون على أسرارهم ولا يفهمون دقائقه وحقائقه قالت المعتزلة ليس المراد من
الآية ما ذكرتم بل المراد منه وجوه أخرى (الاول) قال الجبائي كانوا يطلبون موضعه

المقصود منها الاحضار للمحاسبة والجواب (بمحمد) حال من ضمير تستجيون أي متقدين له حامدين لما فعل ﴿ في ﴾
يكنهم مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدته آبارها ومعانيه أحكامها (ونظنون) عطف على

يسحبون أي تظنون عند ما ترون ما ترون من ﴿ ٥٩٩ ﴾ الامور الهائلة (ان لبثتم) أي ما لبثتم في القبور (الافقلا)

كالذي مر على قرية
أو ما لبثتم في الدنيا (وقل
لعبادي) أي المؤمنين
(يقولوا) عند محاورتهم
مع المشركين (التي) أي
الكلمة التي (هي أحسن)
ولا يخاشنهم كقوله
تعالى ولا تجدوا أهل
الكتاب إلا بالتي هي
أحسن (إن الشيطان
ينزع بينهم) أي يفسد
ويخرج الشر والمراء
ويفرى بعضهم على
بعض لتقع بينهم المشاقة
والمشارة والمعاراة
والمضارة فلعل ذلك
يؤدي إلى تأكد العناد
وتعماد الفساد فهو
تعليل للامر السابق
وفرى بكسر الزاء (إن
الشيطان كان) قدما
(للإنسان عدوا مميثا)
ظاهر العداوة وهو
تعليل لما سبق من أن
الشيطان ينزع بينهم
(ربكم أعلم بكم أن يشأ
برحكم) بالتوفيق للإيمان
(أو أن يشأ يعذبكم)
بالامانة على الكفر وهذا
تفسير التي هي أحسن وما
ينهم اعتراض أي
قولوا لهم هذه الكلمة

في البالي لينتهوا إليه ويؤذنه ويستدلون على ميثه باستماع قراءته فأنه الله تعالى من
شرهم وذكر له أنه جعل بينه وبينهم حجابا لا يمكنهم الوصول إليه معه وبين أنه جعل
في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما يمنع من سماع صوته ويجوز أن يكون
ذلك مرضا شاعلا يمنعهم عن المصير إليه والتفرغ له لانه حصل هناك كن للقلب ووقر
في الاذن (الثاني) قال الكعبي ان القوم لشدة امتناعهم عن قبول دلائل محمد صلى الله
عليه وسلم صاروا كأنه حصل بينهم وبين تلك الدلائل حجاب مانع وساروا وانما نسب الله
تعالى ذلك الحجاب الى نفسه لانه لما خلاهم مع أنفسهم وما منعهم عن ذلك الاعراض
صار تلك التحلية كأنها هي السبب لوقوعهم في تلك الحالة وهذا مثل ان السيد
إذا لم يراقب أحوال عبده فإذا ساءت سيرته قال السيد يقول أنا الذي ألقيتك في هذه الحالة
بسبب اني خلينك مع رأيك وماراقت أحوالك (الثالث) قال الفقهاء انه تعالى لما خذلهم
بمعنى أنه لم يفعل الاطراف الداعية لهم الى الايمان صح أن يقال انه فعل الحجاب الساتر
واعلم أن هذه الوجوه مع كلمات أخرى ذكرناها في سورة الانعام وأجبنا عنها فلا فائدة
في الاعادة ثم قال تعالى وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا واعلم أن
المراد أن القوم كانوا عند استماع القرآن على حالتين لانهم إذا سمعوا من القرآن ما ليس
فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهورين متحيرين لا يفهمون منه شيئا وإذا سمعوا آية فيه ذكر الله
تعالى وذكروا الشرك بالله ولوا نفورا وتركوا ذلك المجلس وذكر الزجاج في قوله ولوا على
أدبارهم نفورا وجهين (الاول) المصدر والمعنى ولوا نافرين نفورا (والثاني) أن يكون
نفورا جم نافر مثل شهود وشاهدوركو عورا كم وسجد وساجد وقعود وقاعد ثم قال
تعالى نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك أي نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به
وهو الهزو والتكذيب وبه في موضع الحال كما تقول مستمعين بالهزو واذ يستمعون نصب
بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذهم نجوى أي وبما يتناجون به اذهم
ذو ونجوى اذ يقول الظالمون بدل من قوله واذهم نجوى ان تتبعون الار جلا مسحورا
وفيه مباحث (الاول) قال المفسرون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يتخذ
طعاما ويدعو إليه أشرف قر يش من المشركين ففعل على رضى الله عنه ذلك ودخل عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا
الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم الحجة فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي
صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو
مسحور وما أشبه ذلك من القول فأخبر الله تعالى نبيه بأنهم يقولون ان تتبعون الار جلا
مسحورا فان قيل انهم لم يتبعوا رسول الله فكيف يصح ان يقولوا ان تتبعون الار جلا
مسحورا قلنا معناه انكم ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا والمسحور الذي قد سحر
فاختلط عليه عقله وزال عن حد الاستواء هذا هو القول الصحيح وقال بعضهم المسحور هو

ما يشاكله لا تصرحوا بأنهم من أهل النار فانه مما يحجبهم على الشرع أن العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى
نارنا ارسلناك عليهم وكيلا موكل بالآيات أمورهم تفسرهم على الايمان وانما ارسلناك نبيرا ونذيرا فادبرهم ومراصحا

بالدراة والاحتمال وترك المحافة والمشاقة وذلك قبل نزول ﴿ ٩٠٠ ﴾ آية السيف وقبل زلت في عمر رضي الله عنه شته

رجل فامر بالعفو وقيل
أفرط أذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت وقيل الكلمة
التي هي أحسن أن يقولوا
يهدبكم الله يرحكم الله
(وربك أعلم بمن في
السموات والارض)
وتفاصيل أحوالهم
الظاهرة والكامنة التي
بها يستأهلون الاصطفاة
والاجتباء فيختار منهم
لنبوته وولايته من يشاء
من يستحقه وهو رد عليهم
اذ قالوا بعد أن يكون نبيهم
أبي طالب نبيا وأن يكون
العراة الجوع أصحابه دون
أن يكون ذلك من الأكابر
والصناديد وذكر من
في السموات لا بطل قولهم
ولا أنزل علينا الملائكة
وذكر من في الارض
رد قولهم لولا نزل هذا
القرآن على رجل من
القرنين عظيم (ولقد
فضلنا بعض النبيين على
بعض) بالفضائل
النفسانية والتزعة عن
العلائق الجسمانية لا بكثرة
لاموال والاتباع (وأتينا
داود بورا) بيان الخبيثة

الذي أفسد يقال طعام مسخور اذا أفسد حمله وأرض مسخورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها وقال أبو عبيدة يريد بشر اذا سخر أي ذارعه قال ابن قتيبة ولا أدري ما الذي حمله على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة وقال مجاهد مسخورا أي مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة وذلك لان المشركين كانوا يقولون ان محمدا يتعلم من بعض الناس هذه الكلمات وأولئك الناس يخدعون بهذه الكلمات وهذه الحكايات فلذلك قالوا انه مسخور أي مخدوع وأيضا كانوا يقولون ان الشيطان يتخيل له فيظن أنه ملك فقالوا انه مخدوع من قبل الشيطان ثم قال انظر كيف ضرب بوالك الامثال أي كل أحد شبهك بشئ آخر فقالوا انه كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون وفضلوا عن الحق والطريق المستقيم فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والحق ﴿ قوله تعالى (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمعانون خلقا جديدا قل كونا عجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعبدنا قل الذي فطركم أول مرة فسيقضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتسحبون بمحمد وتظنون ان لبئس الاقبالا) اعلم أنه تعالى لما تكلم أولافى الالهيات ثم أتبعه بدكرشبهاتهم في النبوات ذكر في هذه الآية شبهات القوم في انكار المعاد والبعث والقيامة وقد ذكرنا كثيرا أن مدار القرآن على المسائل الاربعة وهى الالهيات والنبوات والمعاد والقيامة والقدر وأيضا ان القوم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه مسخورا فاسد العقل فذكروا من جملة ما يدل على فساد عقله أنه يدعى ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا فانه يعود حيا عاقلا كما كان فذكروا هذا الكلام رواية عنه لتقرير كونه مختل العقل قال الواحدى رحمه الله الرفت كسر الشئ يبدك تقول رفته ارفته بالكسر كما رفت المدر والعظم البالى والرافات الاجزاء المتفتتة من كل شئ يكسروى يقال رفت عظام الجزر ورقتا اذا كسرها ويقال للثبن الرفت لانه مذاق الزرع قال الاخفش رفت رقتا فهو رم فوت نحو حطم حطما فهو محطوم والرافات والحطام الاسم كالجذاذ والراضاض والفتات فهذا ما يتعلق باللغة أما تقرير شبهة القوم فهى ان الانسان اذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت في حوالى العالم فاختلفت تلك الاجزاء سائر أجزاء العالم أما الاجزاء المائية في البدن فتختلط بمياه العالم وأما الاجزاء الترابية فتختلط بتراب العالم وأما الاجزاء الهوائية فتختلط بهواء العالم وأما الاجزاء النارية فتختلط بنار العالم واذا صار الامر كذلك فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانها مرة أخرى فهذا هو تقرير شبهة والجواب عنهما ان هذا الاشكال لا يتم الا بالقدح فى كمال علم الله وفى كمال قدرته أما اذا سلمنا كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات فحينئذ هذه الاجزاء وان اختلفت بأجزاء العالم الا انها متميزة فى علم الله تعالى ولما سلمنا كونه تعالى قادرا على كل الممكنات كان قادرا على إعادة التاليف والترتيب والحياة والعقل الى تلك

تفضيله عليه الصلاة والسلام فان ذلك اناء الزبور لانه الملك والسلطنة وفيه ايدان بتفضيل النبي عليه ﴿ الاجزاء ﴾ الصلاة والسلام فان نعمته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة فى الزبور وأن المراد بعبادة الله

الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها ﴿ ٦٠١ ﴾ عبادي الصالحون هو النبي عليه الصلاة والسلام وأمنه

وتعريف الزبور رتبة
وتكبيره أخرى املانه
في الاصل فقول بمعنى
المفعول كالحلوب
او مصدر بعناه كالقبول
واما لان المراد آتينا داود
زبوراً من الزبور وبعنا
من الزبور فذكر عليه
الصلاة والسلام وقرئ
بضم الزاي على انه جمع
زبور بمعنى مزبور (قل
ادعوا الذين زعمتم)
انها آلهة (من دونه)
تعالى من الملائكة
والمسيح وعزير (فلا
يلكون) فلا يستطيعون
(كثف الضرع عنكم)
بالمرة كالارض والقر
والقحط ونحو ذلك (ولا
تحويلاً) أي ولا تحويله
الى غيركم (أو تلك الذين
يدعون) أي أولئك
الآلهة الذين يدعوه
المشركون من المذكورين
(يتبعون) يتطلبون لا
نفسهم (الى ربهم) ومالك
أمرهم (الوسيلة)
القر بقاء طاعة والعبادة
(إيهم أقرب) بدل من
فاعل يتبعون وأي
موصولة أي يتبعني من
هو أقرب اليه تعالى
الوسيلة فكيف بمن دونه

الاجزاء باعتبارها ثابت انما هي سلباً كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلية
أما قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديداً فالعنى ان القوم استبعدوا أن يردهم الى حال
الحياة بعد ان صاروا عظاماً ورفاتاً وهي وان كانت صفة منافية لقبول الحياة بحسب
الظاهر لكن قدروا انتهاء هذه الاجسام بعد الموت الى صفة أخرى أشد منافاة لقبول
الحياة من كونها عظاماً ورفاتاً مثل أن تصير حجارة أو حديداً فان المنافاة بين الحجرية
والحديدية وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة وذلك ان
العظم قد كان جزءاً من بدن الحي أما الحجارة والحديد فساكنات البتة موصوفين بالحياة
فبتقدير أن تصير أبدان الناس موصوفة بصفة الحجرية والحديدية بعد الموت فان الله تعالى
بعد الحياة اليها ويجعلها حياً عاقلاً كما كان والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة
لحياة والعقل اذ لم يكن هذا القبول حاصل لما حصل العقل والحياة لها في أول الامر
واله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشبه عليه أجزاء بدن زيد المطيع بجزء بدن عمرو
العاصي وقادر على كل الممكنات واثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن في نفسه
وثبت ان الله العالم عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عود الحياة الى تلك
الاجزاء ممكنًا قطعاً سواء صارت عظاماً ورفاتاً أو صارت شيئاً أبعد من العظم في قبول الحياة
وهي أن تصير حجارة أو حديداً فهذا تقر بهذا الكلام بالدليل العقلي القاطع وقوله
كونوا حجارة أو حديداً ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله
تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل للرجل أن تطعم في وأنا فلان فيقول كن من شئت
كن ابن الخليفة فسا طلب منك حتى فان قيل ما المراد بقوله أو خلقنا مما يكبر في صدوركم
قلنا المراد أن كون الحجر والحديد قابلاً للحياة أمر مستبعد قبل اهتم فافرضوا شيئاً آخر
أبعد عن قبول الحياة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عنكم كونه قابلاً للحياة وعلى
هذا الوجه فلا حاجة الى أن يتعين ذلك الشيء لان المراد أن أبدان الناس وان انتهت
بعد موتها الى أي صفة فرضت وأي حالة قدرت وان كانت في غاية البعد عن قبول الحياة
فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها واذا كان المراد من الآية هذا المعنى فلا حاجة
الى تعيين ذلك الشيء وقال ابن عباس المراد منه الموت يعني لو صارت أبدانكم نفس الموت
فان الله تعالى بعد الحياة اليها واعلم ان هذا الكلام انما يحسن ذكره على سبيل المبالغة
مثل أن يقال لو كنتم عين الحياة فله يميتك ولو كنتم عين الغنى فان الله يفقرك فهذا
قد ذكر على سبيل المبالغة اما في نفس الامر فهذا محال لان أبدان الناس أجسام والموت
عرض والجسم لا يتقلب عرضاً ثم تقدير أن يتقلب عرضاً فالموت لا يقبل الحياة لان أحد
الضدين يمتنع اتصافاً بالضد الآخر وقال مجاهد يعني السماء والارض ثم قال فسيقولون
من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة والمعنى انه لما قال لهم كونوا حجارة أو حديداً أو شيئاً
أبعد في قبول الحياة من هذين الشئين فان أعادة الحياة اليه ممكنة فعند ذلك قالوا من هذا

أوضحن الابتغاء معنى ﴿ ٧٦ ﴾ خا الحرص فكأنه قبل يحرصون أيهم يكون أقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة
(ويرجون رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلاً عن

الالهية (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقة * ٦٠٢ * بان يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم

الصلاة والسلام وهو
تعليل لقوله تعالى وثخافون
عذابه وتخصيصه بالتعليل
لما ان المقام مقام التحذير
من العذاب وأن يبينهم
وبين العذاب بونا بعيدا
(وان من قرية) بيان لتعم
حلول عذابه تعالى عن
لا يحذره الربيبان أنه
حقق بالحدروا أن أساطين
الخلق من الملائكة
والنبيين عليهم الصلاة
والسلام على حد من
ذلك وكلمة ان نافية ومن
استغرافية والمراد بالقرية
القرية الكافرة أي مامن
قرية من قرى الكفار
(الانحن مهلكوها) أي
تخربوها البنية بالخسف
بها أو بهلاك أهلها
بالمرقة لما راكبوها من عظام
الموتى بقات المستوجبة
لذلك وفي صيغة انفعال
وان كانت بمعنى المستقبل
ماليس فيه من الدلالة
على التحقيق والقرروا
قيل (قبل يوم القيامة)
لان الاهلاك يومئذ غير
مخصص بالقرى الكافرة
ولا هو بطريق العتوبة
وانما هو لانتفاء عمر
الدنيا (أو معدنوها) أي

الذي يقدر على إعادة الحياة اليه قال تعالى قل يا محمد الذي فطركم أول مرة يعني ان القول
بصحته الاعادة فرع على تسليم ان خالق الحيوانات هو الله تعالى فاذا ثبت ذلك فتقول ان
تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل واله العالم قادر لذاته عالم لذاته فلا يبطل علمه وقدرته
البتة فالقادر على الابتداء يجب أن يبقى قادرا على الاعادة وهذا كلام تام وبرهان قوى
ثم قال تعالى فسينضون اليك رؤسهم قال الفراء يقال انقض فلان رأسه ينفضه انفاضا
اذا حركه الى فوق والى أسفل وسمى الضليم نفضا لانه يحرك رأسه وقال أبو الهيثم يقال
للرجل اذا أخبر بشئ فحرك رأسه انكارا له وقد انقض رأسه فتعوله فسينضون اليك رؤسهم
يعني يحكمونها على سبيل التكذيب والاستبعاد ثم قال تعالى ويقولون متى هو واعلم ان
هذا السؤال فاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي حكيناها ثم
ان الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكنا في نفسه فتعوله متى هو كلام لا يتعلق بما يبحث
الاول فانه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه
فاما انه متى يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدلائل
السمعية فان أخبر الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والا فلا سبيل الى معرفته واعلم
انه تعالى بين في القرآن أنه لا يطلع أحد من الخلق على وقته المعين فقال ان الله عنده علم
الساعة وقال انما علمها عند ربى وقال ان الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى قل
عسى أن يكون قريبا قال المفسرون عسى من الله واجب معناه أنه قريب فان قالوا
كف يكون قريبا وقد انقض سائمة سنة ولم يظهر قلنا اذا كان ماضى أكثر مما بقى
كان الباقى قريبا قليلا ثم قال تعالى يوم يدعوك وفيه قولان (الاول) انه خطاب مع
الكفار بدليل ان ما قبل هذه الآية كله خطاب مع الكفار ثم يقول اننصب يوما على
البدل من قوله قريبا والمعنى عسى أن يكون النعت يوم يدعوك أي بالنداء الذى يستعكم
وهو النفخة الأخيرة كما قال يوم ينادى المناد من مكان قريب يقال ان اسرافيل ينادى أيتها
الاجساد البالية والعظام المتخثرة والجزاء المتفرقة عودى كما كنت بقدره الله تعالى
وباذنه وتكوينه وقال تعالى يوم يدعوا الداع الى شئ نذكر وقوله فتستجيون بحمده أى
تجيبون والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى الاجابة الا ان الاستجابة تقتضى
طلب الموافقة فهى أو كد من الاجابة وقوله بحمده قال سعيد بن جبيرة يخرجون من
قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك وبحمدك فهو قوله فتستجيون
بحمده وقال قتادة بعرفته وطاعته وتوجيه هذا القول انهم لما أجابوا بالنسيح والتحميد
كل ذلك معرفة منهم وطاعة ولكنهم لا ينفقهم ذلك في ذلك اليوم فلماذا قال المفسرون
حمدا واحين لا ينفقهم الحمد وقال أهل المعانى تستجيون بحمده أى تستجيون حامدين كما
يقال جاء بغضبه أى جاء غضبان وركب الامر بسيفه أى وسيفه معه وقال صاحب
الكشاف بحمده حال منهم أى حامدين وهذا مما لا يفتقر الى انقيادهم للبعث كقولك لمن

معدنوها على الاسناد المجازى (عذابا شديدا) لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل * تأمره *
بلايكنه كنه من قنن العقوبات الاخرية أيضا حسبما انفصحه عنه اطلاق التعذيب عما قبله الاهلاك من

بلية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى * ٦٠٣ * العاتية العاصية قد آخرت عقوباتها الى يوم القيامة

(كان ذلك) الذي ذكر
من الاهلاك والتعذيب
(في الكتاب) أى اللوح
المحفوظ (مسطورا)
مكتوب بالم يغادر منه شئ
الابن فيه بكيفياته وأسبابه
الموجبة له ووقته
المضروب له هذا وقد
قيل الهلاك للقرى الصالحة
والعذاب للطالحة
وعن مقاتل وجدت
في كتاب الضحاك
بن مزاحم في تفسيرها
أمامكة فيخرب بها الجبشة
وتهلك المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجلال بالصواعق
والرواجف وأما خراسان
فهلأكلها ضرب ثم ذكرها
بدايلا وقال الحفاظ
أبو عمرو الدواني في كتاب
الفتن انه روى عن وهب
بن منبه ان الجزيرة آمنة
في الخراب حتى تخرب
أرمينية وأرمينية آمنة
حتى تخرب مصر ومصر
آمنة حتى تخرب الكوفة
ولا تكون المحمة الكبرى
حتى تخرب الكوفة
فاذا كانت المحمة الكبرى
فتمت قسطنطينية
على يد رجل من بني

نأمره بعمل يشق عليه سأتى به وأنت حامد شاكر أى تنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره
على ان اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد ثم قال وتظنون ان ابنتهم
الاقبلا قال ابن عباس يريد بين التفتحين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في ذلك
الوقت والدليل عليه قوله في سورة يس من يعثمان من مرقدنا فظنهم بأن هذا البث قليل عائد
الى ليثهم فيما بين التفتحين وقال الحسن معناه قريب وقت البعث فكأنك بالدنيا لم تكن
وبالآخرة لم تنزل فهذا يرجع الى استقلال مدة البث في الدنيا وقبل المراد استقلال ليثهم
في عرصة القيامة لانه لما كانت عاقبة أمرهم الدخول في النار استقصروا مدة ليثهم في
دوخ القيامة (القول الثاني) ان الكلام مع الكفار ثم عند قوله عسى أن يكون قريبا
وأما قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فهو خطاب مع المؤمنين لأمع الكافرين لان
هذا الكلام هو اللائق بالمؤمنين لأنهم يستجيبون لله بحمده ويحمدونه على احسانه
ليهم والقول الاول هو المشهور والثاني ظاهر الاحتمال * قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا
التي هي أحسن ان الشيطان يترغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم
علم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلًا و ربك أعلم بمن في
سجوات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا) اعلم ان قوله
لعبادي فيه قولان (الاول) ان المراد به المؤمنون وذلك لان لفظ العباد في أكثر
آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول وقال
دخل في عبادي وقال عينا يشرب بها عباد الله اذا عرف هذا فتقول انه تعالى لما
ذكر الحجة البقية في ابطال الشرك وهو قوله لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا تبغوا الى
العرش سبيلا وذكر الحجة البقية في صحة المعاد وهو قوله قل الذي فطركم أول مرة قال
هذه الآية وقل يا محمد لعبادي اذا أردتم ان يراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل
طريق الاحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطا بالشم والسب ونظير هذه الآية قوله
تعالى الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ولا تعبدوا لاهل الكتاب الا بالتي
هي أحسن وذلك لان ذكر الحجة لو اختلط به شئ من السب والشم لقابلوكم بثله كما قال
ولانسوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب وتتكامل
النفرة ويمتدح حصول المقصود اما اذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الاحسن
الخالي عن الشتم والابذاء أثر في القلب تأثيرا شديدا فهذا هو المراد من قوله وقل لعبادي
يقولوا التي هي أحسن ثم انه تعالى يبدع على وجه المنفعة في هذا الطريق فقال ان الشيطان
يترغ بينهم جامعا للفرقة أي متى صارت الحجة مرة بمزوجة بالبذاء صارت سببا للثوران
الفتنة ثم قال ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا والمعنى ان العداوة الحاصلة بين
الشيطان وبين الانسان عداوة قديمة قال تعالى حكاية عنه ثم لا يتهمهم من بين أيديهم ومن
خلفهم وعن إيمانهم وعن شمالكهم وقال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر

ماشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افرريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف
الجيش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب

الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ﴿ ٦٠٤ ﴾ أن يشرّبوا من الفرات فطرة وخراب

قال اني برىء منك انى أخاف الله رب العالمين وقال واذنين اهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم ثم قال تعالى ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم واعلم انا انما نتكلم الآن على تقدير أن قوله تعالى قل لعبادى المراد به المؤمنون وعلى هذا التقدير فقوله ربكم اعلم بكم خطاب مع المؤمنين والمعنى ان يشأ يرحمكم والمراد بتلك الرحمة الانجاء من كفار مكة واذاهم أو ان يشأ يعذبكم بتسلطهم عليكم ثم قال وما أرسلناك يا محمد عليهم وكيلاً أى حافظاً وكفيلاً فاشتغل أنشأت بالدعوة ولاشئ عليك من كفرهم فان شاء الله هدايتهم هداهم والافلا (القول التلوي) ان المراد من قوله وقل لعبادى الكفار وذلك لان المقصود من هذه الآيات الدعوة فلا يبعد في مثل هذا الموضع ان يخاطبوا بالخطاب الحسن ابصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم وميسل طباعهم الى قبول الدين الحق فكانه تعالى قال يا محمد قل لعبادى الذين أقروا بكونهم عباداً الى يقولوا التى هى أحسن وذلك لانا قبل النظر في الدلائل والبيّنات نعلم بالضرورة ان وصف الله تعالى بالتوحيد والبراءة عن الشرك والاضداد أحسن من البينات الشركاء والاضداد ووصفه بالقدرة على الحشر والنشر بعلم الموت أحسن من وصفه بالعجز عن ذلك وعرفهم أنه لا ينبغي لهم أن يصبروا على تلك المذاهب الباطلة بعضها للاسلاف لأن الخامل على مثل هذا التعصب هو الشيطان والشيطان عدو فلا ينبغي أن يلتفت الى قوله ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بأن يوفقكم الايمان والهداية والمعرفة وان يشأ يتكلم على الكفر فيعذبكم الآن تلك المشقة غالبة عنكم فاجتهدوا تتم في طلب الدين الحق ولا تصروا على الباطل والجهل فلا تصيروا محرومين عن السعادات الدنيوية والخيرات السمعية ثم قال محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك عليهم وكيلاً أى لا تشدد الامر عليهم ولا تعاضلهم فى القول والمقصود من كل هذه الكلمات اظهار التلوي والرفق بهم عند الدعوة فان ذلك هو الذى يؤثر فى القلب ويفيد حصول المقصود ثم قال وربك أعلم بمن فى السموات والارض والمعنى انه لما قال قبل ذلك ربكم اعلم بكم قال بعد ربك أعلم بمن فى السموات والارض بمعنى أن عمله غير مقصور عليكم ولا على أحوالكم بل عمله متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذوات الارضين والسموات فيعلم حال كل واحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يجد أيضاً أن يأتى محمد القرآن ولم يبعد أن يفضل على جميع الخلق فان قيل ما السبب فى تخصيص داود عليه الصلاة والسلام فى هذا المقام بالذكر فتنا فيه وجوه (الاول) أنه تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتى داود زبوراً يعنى أن داود كان ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيهاً على ان التفضيل الذى ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين

البصرة من قبل العرق وخراب الالية من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الرى من الدبلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال آخر قرية من قرى الاسلام خراباً لمدينة وقد أخرجها العمري من هذا الوجد وأنت خير بأن تعمم القرية لا يساعده السباق ولا السباق (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى الآيات التى اقترحتها قرىش من احياء الموتى وقلب الصفاذها ونحو ذلك (الأن كذبها الاوان) استثناء مفرغ من أعم الاشياء أى وما منعنا ارسالها شيئاً من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بشيئة المبينة على الحكم البالغة لالتماع مانع عن ذلك

من التكذيب أو غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استماعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم

الاشترك في العنود والعناد وافضائه الى أن ﴿ ٦٠٥ ﴾ يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا

لا رسال ما اقترحوه من
الآيات لتعين التكذيب
المستدعي للاستئصال
المخالف لما جرى به قلم
القضاء من تأخير عقوبات
هذه الامة الى الآخرة
لحكم باهرة من جللتها
ما يتوهم من ايمان بعض
أعقابهم عبر عن تلك
المنافاة بالنفع على نفع
الاستعارة ايدانا بتعاضد
مبادئ الارسال لا كما
زعموا من عدم ارادته
تعالى لتأييده عليه
الصلاة والسلام بالمحجرات
وهو السرفى ابشار
الارسال على الاشارة
لما فيه من الاشعار بتداعي
الآيات الى النزول لولا
أن تمسكها يد التقدير
واسناد هذا النعم الى
تكذيب الاولين لالى
علمه تعالى بما سيكون
من الآخرة في قومه
تعالى ولوعلم الله فيهم
خير الا سمعهم ولو اسمعهم
لنولوا وهم معرضون
لاقامة الحجاة عليهم
بارازا لا نموذج ولا ايدان
بأن مدار عدم الاجابة
الى اشارة مقتضاهم ليس
الاصحيعهم (وآتيناهم

لابلال (والوجه الثاني) ان السبب في تخصيصه بالذكر انه تعالى كتب في الزبور ان محمدا
خاتم النبيين وان أمته خير الامم قال تعالى واقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادى الصالحون وهم محمداؤمه فان قيل هلا عرف كافي قوله ولقد كتبنا في الزبور
قلنا التكبير ههنا يدل على تعظيم حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب
فكان معنى التكبير أنه كامل في كونه كتابا (الوجه الثالث) ان السبب فيه ان كفار
قريش ما كانوا أهل نظر وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات
واليهود كانوا يقولون انه لانبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله تعالى عليهم
كلامهم بانزال الزبور على داود وقرآن حمزة ز بورا بضم الزاى وذكرنا وجه ذلك في آخر
سورة النساء * قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونى فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) اعلم ان المقصود من هذه
الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا ان المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية ان نشغل
بعبادة الله تعالى فتحن نعبد بعض المقر بين من عباد الله وهم الملائكة ثم انهم اتخذوا لذلك
الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة واشتعلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على
بطلان قولهم في هذه الآية فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وليس المراد الاصنام
لانه تعالى قال في صفتهم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة
الى الله تعالى لا يلبق بالاصنام البتة اذ اثبت هذا فنقول ان قوما عبدوا الملائكة فنزلت
هذه الآية فيهم وقيل انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزير وقيل ان قوما عبدوا انفرا
من الجن فاسلم النفر من الجن وبقي أولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت هذه الآية
قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب ثم انه تعالى احتج
على فساد مذهب هؤلاء ان الاله المعبود هو الذى يقدر على ازالة الضرر وايصال المنفعة
وهذه الاشياء التى يعبدونها وهى الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف
الضرر ولا على تحصيل النفع فوجب القطع بانها ليست آلهة ولقائل ان يقول هذا الدليل
انما يتم اذا دلت على ان الملائكة لا قدرة لها على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع فما
الدليل على ان الامر كذلك حتى يتم دليلكم فان قلتم لاننا نرى ان أولئك الكفار كانوا
يتضرعون اليها فلا تحصل الاجابة قلنا معارضة لذلك قد نرى ايضا ان المسلمين يتضرعون
الى الله تعالى فلا تحصل الاجابة والمسلمون يقولون ان القدر الحاصل من كشف الضرر
وتحصيل النفع انما يحصل من الله تعالى لامن الملائكة وأولئك الكفار يقولون انه
يحصل من الملائكة لامن الله تعالى وعلى هذا التقدير فالدليل غير تام والجواب ان
الدليل تام كامل وذلك لان الكفار كانوا مقرين بان الملائكة عباد الله وخالق الملائكة
وخالق العالم لابد وان يكون أقدر من الملائكة وأقوى منهم وأكمل حالاً منهم واذا ثبت

في النافذة (عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعتنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون حيث آتيناهم
ما اقترحوه من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود النافذة (مبصرة) على صبغة الفاعل أى بذمة ذات أنصار

أو بصائر يدركها الناس أو أسند إليها حال من يشاهد ما عجزا (٦٠٦) أو جاء عنهم ذوى بصائر من أبصره جملة بصير

هذا فنقول كمال قدرة الله تعالى معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه أن قدرتهم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى قليلة حقيرة وإذا كان كذلك وجب أن يكون الاشتغال بعبادة الله تعالى أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة لأن كون الله مستحقا للعبادة معلوم وكون الملائكة كذلك مجهول والاختيار بالعلوم أولى وأما أصحابنا المتكلمون من أهل السنة والجماعة فلهم في هذا الباب طريقة أخرى وهو أنهم يقيمون الحجة العقلية على أنه لا موجد إلا الله تعالى ولا يخرج لشيء من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى وإذا ثبت هذا ثبت أنه لا ضار ولا نافع إلا الله تعالى فوجب القطع بأنه لا معبود إلا الله تعالى وهذه الطريقة لا تتم للمعتزلة لأنهم لما جاوزوا كون العبد موجدا لا فعالة امتنع عليهم الاستدلال على أن الملائكة لا قدرة لها على الأحياء والأمانة وخلق الجسم وإذا عجزوا عن ذلك لم يتم لهم هذا الدليل فهذا هو ذكر الدليل القاطع على صحة قوله لا يمكن كشف الضر عنكم ولا تحويلا والتحويل عبارة عن النقل من حال إلى حال ومكان إلى مكان يقال حوله فيقول ثم قال تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة فيه قولان (الاول) قال القراء قوله يدعون فعل الآدميين العابدين وقوله يبتغون فعل المعبودين ومعناه أن أولئك المعبودين يبتغون إلى ربهم الوسيلة فانه لا نزاع أن الملائكة يرجعون إلى الله في طلب المنافع ودفع المضار ويرجون رحمته ويخافون عذابه وإذا كان كذلك كانوا موصوفين بالبحر والحاجة والله تعالى أغنى الأغنياء فكان الاشتغال بعبادته أولى فان قالوا لانتم ان الملائكة محتاجون إلى رحمة الله وخائفون من عذابه فنقول هؤلاء الملائكة امان يقال انها واجبة الوجود لذواتها ويقال ممكنة الوجود لذواتها * والاول باطل لان جميع الكفار كانوا معترفين بأن الملائكة عباد الله ومحتاجون إليه * وأما الثاني فهو بوجب القول بكون الملائكة محتاجين في ذواتها وفي كالاتها إلى الله تعالى فكان الاشتغال بعبادة الله أولى من الاشتغال بعبادة الملائكة (والقول الثاني) أن قوله أولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وتعلق بهذا الكلام بما سبق هو أن الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء لا يعبدون إلا الله تعالى ولا يبتغون الوسيلة الإلهية فانهم بالافتداء بهم أحق فلا تعبدوا غير الله تعالى وأخبر القائلون بهذا القول على صحته بأن قالوا الملائكة لا يعصون الله فلا يخافون عذابه فثبت أن هذا غير لائق بالملائكة وانما هو لائق بالانبياء قلنا الملائكة يخافون عذاب الله لو أقدموا على الذنب والدليل عليه قوله تعالى ومن يقل منهم أتئله من دونه فذلك نجزيه جهنم اما قوله أن عذاب ربك كان محذورا فالمراد أن من حقه أن يحذروا أن لم يحذره بعض الناس لجهله فهو لا يخرج من كونه بحيث يجب الحذر عنه * قوله تعالى (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا) اعلم انه تعالى لما قال أن عذاب

وقرى على صيغة المفعول ويقبح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرى بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف (فظلموا بها) فكفروا بها ظالمين أي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر أو ظلموا أنفسهم وعرضوها لله لانه بسبب حقها وأهل تخصيصها بالذكر لما أن عود عرب مثلهم وأناسهم من العلم بحالهم ما لا من يدعيه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا أولانها من جهة أنها حيوان أخرج من الحجر أو وضع دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديد (وما نرسل بالآيات) المقترحة (الأنخوفا) لمن أرسلت هي عليهم ما يصيبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا عمل للجملة حينئذ ن الاعراب ويجوز أن يكون حالهم ضمير ظلموا

ي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أن ما نرسل بالآيات التي هي من جعلها الأنخوفا من العذاب ﴿ربك﴾ لذي يعقبها فنزل بهم ما نزل (واذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس) أي علما كان قبله الامام العلوي عن

بن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء ﴿ ٦٠٧ ﴾ من أفعالهم الماضية والمستقبلية من الكفر والتكذيب وفي قوله

تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) إلى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها أمورا خارقة للعادات منزلة من جانب الله سبحانه لتصديق النبي عليه الصلاة والسلام فكذبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كأن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا ما لأنه لا فرق بينهما وبين الرؤية أولانها وقعت بالليل أولان الكفرة قالوا لعلها رؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أرينا كما عايناهم كونها آية عظيمة وآية آية حقيقة بأن لا يتلعم في تصديقها أحدهم له أدنى بصيرة الافتة افتتن بها الناس

ربك كان محذورا بين أن كل قرية مع أهلها فلا بد وأن يرجع حالها إلى أحد أمرين إما الإهلاك وإما التعذيب قال مقاتل أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقيل المراد من قوله وأن من قرية قرى الكفار ولا بد وأن تكون عاقبتها أحد أمرين إما الاستئصال بالكلية وهو المراد من الإهلاك أو بعذاب شديد دون ذلك من قتل كبارهم وتسلط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال وأخذ الجزية ثم بين تعالى أن هذا الحكم حكم مجزوم به واقع فقال كان ذلك في الكتاب مسطورا ومعناه ظاهر * قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن وتخوفهم فايزيدهم الاطغيانا كبيرا) اعلم أنه تعالى لما ذكر الدليل على فساد قول المشركين وأتبعه بالوعيد أتبعه بذكر مشكلة النبوة وذلك لأن كفار قريش اقترحوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إظهار معجزات عظيمة قاهرة كالحكي الله عنهم أنهم قالوا لولا آياتنا بآية كما أرسل الأولون وقال آخرون المراد ما طلبوه بقولهم إن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وعن سعيد بن جبيران القوم قالوا أنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فنفهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحكي الموتى فأتينا بشيء من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وفي تفسير هذا الجواب وجوه (الاول) المعنى أنه تعالى لو أظهر تلك المعجزات القاهرة ثم لم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم فينتد بصيرون مستحقين لعذاب الاستئصال لكن أزال عذاب الاستئصال على هذه الامة غير جائز لأن الله تعالى اعلم أن فيهم من سيؤمن أو يؤمن أولادهم فلهذا السبب لما أبابهم الله تعالى إلى مطلوبهم وما أظهر تلك المعجزات القاهرة روى ابن عباس أن أهل مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا وإن يزيل لهم الجبال حتى يزعموا تلك الأرضي فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى فقال الله تعالى أن سنت فعلت ذلك لكن بشرط أنهم أن كفروا أو أهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأريد ذلك بل تتأني بهم فنزلت هذه الآية (الوجه الثاني) في تفسير هذا الجواب أنا لا نظهر هذه المعجزات لأن آباءكم الذين رأوها لم يؤمنوا بها وأنتم عطفون لهم فلورأيتوها أنتم لم تؤمنوا بها أيضا (الوجه الثالث) أن الأولين شاهدوا هذه المعجزات وكذبوا بها فلم الله منكم أيضا أنكم لو شاهدتموها لكذبتم فكان إظهارها عبثا والعبث لا يفعله الحكيم ثم قال تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وفيه إنبات (الاول) المعنى أن الآية التي اتسموها هي مثل آية ثمود وقد آتيناها ثمود واضحة بآية ثم كفروا بها فاستحقوا عذاب الاستئصال فكيف يتناها هؤلاء على سبيل الاقتراح والتحكيم على الله تعالى (البحث الثاني) قوله تعالى مبصرة وفيه وجهان (الاول) قال القراء مبصرة أي

أي ارتد بعضهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فبها لعن طاعها على الاسناد المجازي اعادها عن الرحمة فانها ثبتت في أصل الجحيم في أبعد

امكان من الرحمة أي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك ﴿ ٦٠٨ ﴾ وقالوا ان محمدا يزعم اننا الجحيم يحرق

الجحارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كانوا قاضية عقولهم فانهم يرون العامة تبطل الجمر وقطع الحديد المحممة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلتقي في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر نارا وقرى بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (ونخوفهم) بذلك وينظأروا من الآيات فان الكل للتخويف وإشار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار (فايزيدهم) التخويف (الاطعينا كبيرا) متجاوزا عن الحد فلو أننا أرسلنا نبيا فترجوه من الآيات لفعلوا ما ما فعلوا بنظائرهما وفعل بهم ما فعل بأشباعهم قد قضينا نبأ خبر العقوبة العامة لهذه الأمة الى الصائمة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حل أكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية

مضنية قال تعالى والنهار مبصر ائى مضيا (الثاني) مبصرة أى ذات ابصار رأى فيها ابصار لمن تأملها اي مبصر بها رده ويستدل بها على صدق ذلك الرسول (البعث الثالث) قوله فظلموا بها أي ظلموا أنفسهم تكذيبهم بها وقال ابن قتيبة ظلموا بها أي جحدوا بأنها من الله تعالى ثم قال تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا قبل الآية الا تتضمن التخويف بها عند التكذيب اما من العذاب المجمل أو من عذاب الآخرة فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات أن يستدل بها على صدق المدعى فكيف حصر المقصود من اظهارها في التخويف قلنا المقصود ان مدعى النبوة اذا أظهر الآية فاذا سمع الخلق أنه أظهر آية فهم لا يعلمون ان تلك الآية معجزة أو مخوفة الا أنهم يجوزون كونها معجزة وبتقدير أن تكون معجزة فلولا تفكروا فيها ولم يستدلوا بها على الصدق لاستحقوا العقاب الشديد فهذا هو الخوف الذي يحملهم على التفكير والتأمل في تلك المعجزات فلما رد من قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا هذا الذي ذكرناه والله أعلم واعلم ان القوم لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات القاهرة وأجاب الله تعالى بان اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لجرأة أولئك الكفار بالاطعن فيه وان يقولوا له لو كنت رسولا حقاً من عند الله تعالى لآتيت بهذه المعجزات التي اقترحتها منك كما أتى بهاموسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله قلبه وبين له انه تعالى ينصره ويؤيده فقال واذا قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وفيه قولان (الاول) المعنى ان حكمته وقدرته محيطه بالناس فهم في قبضته وقدرته ومتى كان الامر كذلك فهم لا يقفرون على أمر من الامور الابتضائه وقدره والمقصود كأنه تعالى بقوله نصرتك ونقوبك حتى تبلغ رسالتنا وتظهر ديننا قال الحسن حال بينهم وبين ان يقولوا كما قال تعالى والله يصعك من الناس (والقول الثاني) ان المراد بالناس أهل مكة واحاطة الله بهم هو أنه تعالى يقتحم المؤمنين فكان المعنى واذا بشرناك بان الله أحاط باهل مكة بمعنى انه يغالبهم ويظهرهم ويظهر دولك عليهم ونظيره قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال قل للذين كفروا ستمغلبون وتحشرون الى قوله أحاط بالناس لما كان كل ما يخبر الله عن وقوعه فهو واجب الوقوع فكان من هذا الاعتبار كالأوقع فلا جرم قال أحاط بالناس وروى أنه لما تراخف الفريقان يوم بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر كان يدعو ويقول اللهم انى أسألك عهدك ووعدك لى ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ثم قال تعالى وما جعلنا الرويا التي أرى نساك الا فتنة للناس وفي هذه الرويا أقوال (الاول) ان الله أرى محمدا في المنام مصارع كفار قر يش فحين ورد ماء بدر قال والله كائى أنظر الى مصارع القوم ثم أخذ يقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فلما سمعت قر يش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقول الثاني) ان المراد رؤياه التي رآها أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية

رسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا

فقال ثبت بهذه المعجزات كآتي بهاموسى ﴿ ٦٠٩ ﴾ وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل

كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابى بكر اليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا ندخل البيت ونطوف به فقال أبو بكر انه لم يخبرنا بفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة أخرى فلما جاء العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى اقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اعترضوا على هذين القولين فقالوا هذه السورة مكية وهاتان الواقعتان مدينتان وهذا السؤال ضعيف لان هاتين الواقعتين مدينتان أما رؤيتهما في المنام فلا يبعد حصولها في مكة (والقول الثالث) قال سعيد بن المسيب رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية يبنون على منبره نزول القرءة فسأه ذلك وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء والاشكال المذكور عاذه لان هذه الآية مكية وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة منبر ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أنه بالمدينة منبراً تداوله بنو أمية (وقول الرابع) وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين ان المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الاسراء واختلفوا في معنى هذه الرواية فقال الأكثرون فرق بين الرؤية والرواياتي للغة يقال رأيت بمعنى رؤية ورواها وقال الاقلون هذا يدل على أن قصة الاسراء انما حصلت في المنام وهذا القول ضعيف باطل على ما قررناه في أول هذه السورة وقوله الافتنة للناس معناه انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروه كثير من كان آمن به وازداد المخلصون ايماناً فلهذا السبب كان امتحاناً ثم قال تعالى والشجرة الملعونة في القرآن وهذا على التقديم والتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الافتنة للناس وقيل المعنى والشجرة الملعونة في القرآن كذلك واختلفوا في هذه الشجرة فالاكثرون قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وكانت هذه الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين (الاول) ان أبا جهل قال زعم صاحبكم بأن نار جهنم تحرق الحجر حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول بأن في النار شجراً والنار تأكل الشجر فكيف تولد فيها الشجر (والثاني) قال ابن الزبير ما علم الزقوم الا التروال بدفترت قوامته فأُنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة انما جعلناها فتنة للظالمين الآيات فان قيل ليس في القرآن لعن هذه الشجرة فلنا فيه وجوه (الاول) المراد لعن الكفار الذين يأكلونها (الثاني) العرب تقول لكل طعام مكروه ضارانه ملعون (والثالث) ان الملعن في أصل اللغة هو التباعد فلما كانت هذه الشجرة الملعونة في القرآن مبعدة عن جميع صفات الخير سميت ملعونة (القول الثاني) قال ابن عباس رضى الله عنهما الشجرة بنو أمية يعنى الحكم بن أبى العاص قال ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ان ولد مروان يتدأولون منبره فقص رؤياه على أبى بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشد ذلك عليه واتهم عمر في افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يسمع اليهم ففاه رسول الله صلى الله

اذكرو وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تنهم بهم وامض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة ألا ترى أن الروايات التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت ضغفالا مراك وفتوراني حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منه نظراً حسب ما ينبغي عنده قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا سيعذبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره وأوت الرؤيا بما رآه عليه الصلاة والسلام في المنام من مصارعهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وهو يومئذ الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت

قريش فاستنخر وامنه وبمارآه ﴿ ٧٧ ﴾ خا عليه الصلاة والسلام انه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه

يها فصدده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بأنه يجوز أن يكون

الوحي باهلاهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا ٦١٠ وتعيين المصارغ واقعين بعد الهجرة وأنت خير

عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكة فيعده هذا التفسير
الآن يقال هذه الآية مدينة ولم يقل به أحد وما يؤكدها التأويل قول عائشة لروان
لعن الله أباك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنه الله (والقول الثالث) ان الشجرة
الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا فان قال قائل ان القوم
لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالمعجزات القاهرة فأجاب أنه لا مصلحة
في اظهارها لانها لو ظهرت ولم تؤمنوا نزل الله عليكم عذاب الاستئصال وذلك غير جائز
وأى تعلق لهذا الكلام بذكر الرؤيا التي صارت فتنة للناس وبذكر الشجرة التي صارت
فتنة للناس قلنا التقدير كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم
ظهورها شبهة لهم في انك لست بصادق في دعوى النبوة الآن وقوع هذه الشبهة لا يوهن
أمرك ولا يصير سببا للضعف حالك ألا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة
العظيمة في القلوب ثم ان قوة تلك الشبهات ما أوجبت ضعفنا في أمرك ولا فتورا في اجتماع
المحققين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات لا توجب
فتورا في حالك ولا ضعفا في أمرك والله أعلم ثم قال تعالى ونخوفهم فإيزيدهم الاطعيانا
كثيرا والمقصود منه ذكر سبب آخر في أنه تعالى ما أظهر المعجزات التي اقترحوها وذلك لان
هؤلاء اخوفوا بخاوف الدنيا والآخرة وبشجرة الزقوم فازادهم هذا التخويف الاطعيانا
كثيرا وذلك يدل على قسوة قلوبهم وتناديهم في النفي والاطعيان واذا كان الامر كذلك
فبتقدير ان يظهر الله لهم تلك المعجزات التي اقترحوها لم ينتفعوا بها ولا يزدادون الانتماء
في الجهل والعناد واذا كان كذلك وجب في الحكمة أن لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من
الآيات والمعجزات والله أعلم * قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طيبا قال أرايت هذا الذي كرمت على لئن أخرتن الى
يوم القيامة لأحتسبن ذريته الا قليلا قال اذهب في تبعك منهم فان جهنم جزاء لكم جزاء
وفورا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في كيفية التظيم وجوه (الاول) اعلم انه تعالى
لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه بين أن
حال جميع الانبياء مع أهل زمانهم كذلك ألا ترى ان أول الانبياء هو آدم ثم انه كان في محنة
شديدة من ابليس (الثاني) ان اقوم انما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه
واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأميرين الكبر والحسد أما الكبر فلان تكبرهم
كان يمنعهم من الانقياد وأما الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة
والدرجة العالية فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما للذان جلا ابليس على الخروج
من الايمان والدخول في الكفر فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق (والثالث) انه تعالى
لما وصفهم بقوله فإيزيدهم الاطعيانا كثيرا ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو
قول ابليس لاحتسبن ذريته الا قليلا فلاجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة ابليس

بأنه يلزم منه أن يكون
افتتان الناس بذلك
واقعا بعد الهجرة وأن
يكون ازديادهم طغيانا
متوقعا غير واقع عند
نزل الآية وقد قيل
الرؤيا ما رآه عليه الصلاة
والسلام في وقعة بدر من
مضنون قوله تعالى
اذير بهم الله في منامك
قليل ولو أراهم كثيرا
لفشتم ولا ريب في أن
تلك الرؤيا مع وقوعها
في المدينة ما جعلت
فتنة للناس (واذ قلنا
للملائكة) تذكر لما
جرى منه تعالى من
الامور من الملائكة من
الامتثال والطاعة من
غير تردد وتحقيق لمضنون
ماسبق من قوله تعالى
أولئك الذين يدعون
يتبعون الى ربهم الوسيلة
أهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه
ان عذاب ربك كان
مخدورا ويعلم من حال
الملائكة حال غيرهم
من عيسى وعزير عليهما
السلام في الطاعة وابتغاء
الوسيلة ورجاء الرحمة
ومخافة العذاب ومن

حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر أى واذا ذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية ﴿ وآدم ﴾
وتكريرا لما له من الفضائل المستوجبة لذلك (فسجدوا) له من غير تلغم امتثال الامر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام
(الابليس) وكان داخلا

زمرتهم مندرجات تحت الامر بالسجود ﴿ ٦١١ ﴾ (قال) أي عندما ونج بقوله عن سلطانه يا ابليس مالك أن

لا تكون مع الساجدين
وقوله ما منعك أن تسجد
إذا أمرت بك وقوله ما منعك
أن تسجد لما خلقت
بيدي كما أشير إليه في سورة
الحجر (أُسجد) وأنا
مخلوق من العنصر
العالى (لمن خلقت طينا)
نصب على نزع الخافض
أي من طين أو حال
من الراجع الى الموصول
أي خلقته وهو طين
أو من نفس الموصول
أي أسجده وأصله
طين والتعبير عنه عليه
الصلاة والسلام
بالموصول لتعليل انكاره
بما في خبر الصلة (قال)
أي ابليس لكن لا يعيب
كلامه المحكي بل بعد
الانظار المنة تب على
استنظاره المتفرع على
الامر بخروجه من بين
الملا الأعلى باللعن المؤبد
وإنما يصرح بذلك
اكتفاء بما ذكر في مواضع
آخر فان تو سيط قال
بين كلامي اللعين لا يذان
بعدم اتصال الثاني
بالاول وعدم ابتناؤه
عليه بل على غيره كافي
قوله تعالى قال فاخطبكم

وآدم فهذا هو الكلام في كيفية النظم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه القصة قد ذكرها
الله تعالى في سور سبعة وهى البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص
والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة والاعراف والحجر فلا فائدة في الاعادة ولا بأس
بتعديد بعض المسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أن المأمورين بالسجود لآدم
أهم جميع الملائكة أم ملائكة الارض على التخصيص فظاهر لفظ الملائكة يفيد
العموم الآن قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة ملائكة السموات وله يسجدون
يوجب خروج ملائكة السموات عن هذا العموم (المسئلة الثانية) ان المراد من هذه
السجدة وضع الجبهة على الارض أو التحية وعلى التقدير الاول فآدم كان هو المسجود له
أو يقال كان المسجود له هو الله تعالى وآدم كان قبله للسجود (المسئلة الثالثة) ان ابليس
هل هو من الملائكة أم لا وان لم يكن من الملائكة فامر الملائكة بالسجود كيف
يتناولوه (المسئلة الرابعة) هل كان ابليس كافرا من أول الامر أو يقال انما كفر في ذلك
الوقت (المسئلة الخامسة) الملائكة سجدوا لآدم من أول ما كملت حياته أو بعد ذلك
(المسئلة السادسة) شبهة ابليس في الامتناع من السجود أهو قوله أسجد لمن خلقت طينا
أو غيره (المسئلة السابعة) دلت هذه الآيات على أن ابليس كان عارفا بربه لأنه وقع
في الكفر بسبب الكبر والحسد ومنهم من أنكروا قال ما عرف الله البتة (المسئلة
الثامنة) ما سبب حكمة امهال ابليس وتسليطه على الخلق بالوسوسة * ولنرجع الى
التفسير فنقول انه تعالى حكى في هذه الآية عن ابليس نوعا واحدا من العمل ونوعين من
القول أما العمل فهو أنه لم يسجد لآدم وهو المراد من قوله فسجدوا إلا ابليس وأما
النوعان من القول فأولهما قوله أسجد لمن خلقت طينا وهذا استفهام بمعنى الانكار
معناه ان أصلى أشرف من أصله فوجب أن أكون أنا أشرف منه والاشرف يقبح
في القول أمره بخدمة الأدنى (والنوع الثاني) من كلامه قوله أرأيتك هذا الذى كرمت
على قال الزجاج قوله أرأيتك معناه أخبرني وقد استقصينا في تفسير هذه الكلمة في سورة
الانعام وقوله هذا الذى كرمت على فيه وجوه (الاول) معناه أخبرني عن هذا الذى فضلته
على لم فضلته على وأنا أخبر منه ثم اختصر الكلام ليكون مفهوما (الثاني) يمكن أن يقال
هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والذى مع صلتته خبر تقديره أخبرني أهذا الذى
كرمت على وذلك على وجه الاستهغار والاستحقار وإنما حذف حرف الاستفهام لان
حصوله في قوله أرأيتك أغنى عن تكراره (والوجه الثالث) أن يكون هذا مفعول أرأيت
لان الكاف جاءت لجرد الخطاب ولا محل لها كأنه قال على وجه التعجب والانكار
أبصرت أو علمت هذا الذى كرمت على بمعنى أو أبصرته أو علمته ان كان يجب أن لا نكرمه
على هذا هو حقيقة هذه الكلمة ثم قال تعالى حكاه عنه لئن أخرتن الى يوم القيامة
لاحتسكن ذريته الا قليلا وفيه مباحث (الاول) قرأ ابن كثير لئن أخرتن الى يوم القيامة

مد قوله تعالى قال ومن يفتن من رحمة ربه الا الضالون (أرأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف أ كيد الخطاب لا محل لها
ن الاعراب وهذا مفعول أول والموصول صفة والثاني محذوف دلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذى كرمته على بأن

الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا ٦١٠ * وتعيين المصارغ واقعين بعد الهجرة وأنت خ

عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير
الآن يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به أحد وما يؤكدها التأويل قول عائشة لمروان
لعن الله أبك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنه الله (والقول الثالث) ان الشجرة
المعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا فان قال قائل ان القوم
لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة فأجاب أنه لا مصلحة
في اظهارها لانهم لو ظهرت ولم تؤمنوا نزل الله عليكم عذاب الاستئصال وذلك غير جائز
وأى تعلق لهذا الكلام بذكر الرؤيا التي صارت فتنة للناس وبذكر الشجرة التي صارت
فتنة للناس قلنا التقدير كأنه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم
ظهورها شبهة لهم في انك لست بصادق في دعوى النبوة الآن وقوع هذه شبهة لا يوهن
أمرك ولا يصير سببا لضعف حالك ألا ترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع شبهة
العظيمة في القلوب ثم ان قوة تلك الشبهات ما أوجبت ضعفنا في أمرك ولا فتورنا في اجتماع
المحققين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات لا توجب
فتورنا في حالك ولا ضعفنا في أمرك والله أعلم ثم قال تعالى ونخوفهم فايزيدهم الاطغيانا
كبير والمقصود منه ذكر سبب آخر في أنه تعالى ما أظهر المعجزات التي اقترحوها وذلك لان
هؤلاء خوفوا بخافوا الدنيا والآخرة وبشجرة الرقوم فازادهم هذا التخوف الاطغيانا
كبير او ذلك يدل على قسوة قلوبهم وتناديهم في الغي والاطغيان واذا كان الامر كذلك
فبتقدير أن يظهر الله لهم تلك المعجزات التي اقترحوها لم ينتفعوا بها ولا يزدادون الانماديا
في الجهل والعناد واذا كان كذلك وجب في الحكمة أن لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من
الآيات والمعجزات والله أعلم * قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس قال اسجد لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذي كرمت على لن أخرتني الى
يوم القيامة لأحتسبن ذريته الا قليلا قال اذهب فكن منكم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في كيفية التظيم وجوه (الاول) اعلم أنه تعالى
لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه بين أن
حال جميع الانبياء مع أهل زمانهم كذلك ألا ترى ان أول الانبياء هو آدم ثم انه كان في محنة
شديدة من ابليس (الثاني) ان اقواما نازعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه
واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة الامر ينالكب والحسد أما الكبر فلان تكبرهم
كان يمنعهم من الانتقاد وأما الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة
والدرجة العالية فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان جلا ابليس على الخروج
من الايمان والدخول في الكفر فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق (والثالث) انه تعالى
لما وصفهم بقوله فايزيدهم الاطغيانا كبيرا بين ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو
قول ابليس لاحتسبن ذريته الا قليلا فلجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة ابليس

بأنه يلزم منه أن يكون
افتتان الناس بذلك
واقعا بعد الهجرة وأن
يكون ازديادهم طغيانا
متوقعا غير واقع عند
نزل الآية وقد قيل
الرؤيا ما رآه عليه الصلاة
والسلام في وقعة بدر من
مضمون قوله تعالى
اذير يكهم الله في منامك
قليل ولو أراهم كثيرا
لفشلتم ولا ريب في أن
تلك الرؤيا مع وقوعها
في المدينة ما جعلت
فتنة للناس (واذ قلنا
للملائكة) تذكر لما
جرى منه تعالى من
الامر ومن الملائكة من
الامتثال والطاعة من
غير تردد وتحقيق لمضمون
ما سبق من قوله تعالى
أولئك الذين يدعون
يتبعون الى ربهم الوسيلة
أهم أقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه
ان عذاب ربك كان
مخدورا ويعلم من حال
الملائكة حال غيرهم
من عيسى وعزير عليهما
السلام في الطاعة واتباع
الوسيلة ورجاء الرحمة
ومخافة العذاب ومن

حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر أى واذا ذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية * وآدم
وتكرما لله من الفضائل المستوجبة لذلك (فسجدوا) له من غير تاعثم امتثال للامر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام
(الا ابليس) وكان داخلا

زمرتهم مندرجات تحت الامر بالسجود ﴿ ٦١١ ﴾ (قال) أي عذما ونج بقوله عن سلطانه يا ابليس مالك أن

لا تكون مع الساجدين
وقوله ما منعك أن تسجد
إذا أمرتك وقوله ما منعك
أن تسجد لما خلقت
يبدى كإشعار اليه في سورة
الحجر (أستجد) وأنا
مخدوف من العنصر
العالى (لمن خلقت طينا)
نصب على نزع الخافض
أي من طين أو حال
من الراجع الى الموصول
أي خلقته وهو طين
أو من نفس الموصول
أي أستجده وأصله
طين والتعبير عنه عليه
الصلاة والسلام
بالموصول لتعليل إنكاره
بما في حيز الصلة (قال)
أي ابليس لكن لا عيب
كلامه المحكي بل بعد
الانظار المنة تب على
استنظاره المتفرع على
الامر بغير وجه من بين
الملا الأعلى بالعين لا يذنب
وانما لم يصرح بذلك
اكتماء بما ذكر في مواضع
آخر فان توسيط قال
بين كلامي اللعين لا يذنب
بعدم اتصال الثاني
بالاول وعدم ابتناؤه
عليه بل على غيره كافي
قوله تعالى قال فاطخطبكم

وآدم فهذا هو الكلام في كيفية النظم (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه القصة قد ذكرها
الله تعالى في سور سبعة وهي البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص
والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة والاعراف والحجر فلا فائدة في الاعادة ولا بأس
بتعديد بعض المسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في أن المأمورين بالسجود لآدم
أهم جميع الملائكة أم ملائكة الارض على التخصيص فظاهر لفظ الملائكة يفيد
العموم الآن قوله تعالى في آخر سورة الاعراف في صفة ملائكة السموات وله يسجدون
يوجب خروج ملائكة السموات عن هذا العموم (المسئلة الثانية) ان المراد من هذه
السجدة وضع الجبهة على الارض أو التحية وعلى التقدير الاول فآدم كان هو المسجود له
أو يقال كان المسجود له هو الله تعالى وآدم كان قبله للسجود (المسئلة الثالثة) ان ابليس
هل هو من الملائكة أم لا وان لم يكن من الملائكة فامر الملائكة بالسجود كيف
يتناولوه (المسئلة الرابعة) هل كان ابليس كافرا من أول الامر أو يقال انما كفر في ذلك
الوقت (المسئلة الخامسة) الملائكة سجدوا لآدم من أول ما خلقت حياته أو بعد ذلك
(المسئلة السادسة) شبهة ابليس في الامتناع من السجود أهو قوله أأستجد لمن خلقت طينا
أو غيره (المسئلة السابعة) دلت هذه الآيات على أن ابليس كان عارفا بربه لأنه وقع
في الكفر بسبب الكبر والحسد ومنهم من أنكروا قال ما عرف الله البتة (المسئلة
الثامنة) ما سبب حكمة امهال ابليس وتسلطه على الخلق بالوسوسة * ولتجزع الى
التفسير فتقول انه تعالى حكى في هذه الآية عن ابليس نوعا واحدا من العمل ونوعين من
القول أما العمل فهو أنه لم يسجد لآدم وهو المراد من قوله فسجدوا الا ابليس وأما
النوعان من القول فأولهما قوله أأستجد لمن خلقت طينا وهذا استفهام بمعنى الانكار
معناه ان أصلي أشرف من أصله فوجب أن أكون أنا أشرف منه والاشرف يقع
في القول أمره بخدمة الادنى (والنوع الثاني) من كلامه قوله أرأيتك هذا الذي كرمته
على قال الزجاج قوله أرأيتك معناه أخبرني وقد استفهنا في تفسير هذه الكلمة في سورة
الانعام وقوله هذا الذي كرمته على فيه وجوه (الاول) معناه أخبرني عن هذا الذي فضلته
على لم فضلته على وأناخير منه ثم اختصر الكلام لكونه مفهوما (الثاني) يمكن أن يقال
هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والذي مع صلته خبر تقديره أخبرني أهذا الذي
كرمته على وذلك على وجه الاستهغار والاستحقار وانما حذف حرف الاستفهام لان
حصوله في قوله أرأيتك أغنى عن تكراره (والوجه الثالث) أن يكون هذا مفعول أرأيت
لان الكاف جاءت لجرد الخطاب ولا محل لها كأنه قال على وجه التعجب والانكار
أبصرت أو علمت هذا الذي كرمته على بمعنى لو أبصرته أو علمته لكان يجب أن لا نكرمه
على هذا هو حقيقة هذه الكلمة ثم قال تعالى حكاية عنه لئن أخرتن الى يوم القيامة
لاحتسكن ذريته الا قليلا وفيه مباحث (الاول) قرأ ابن كثير لئن أخرتن الى يوم القيامة

بعد قوله تعالى قال ومن يقطع من رحمة ربه الا الضالون (أرأيتك هذا الذي كرمته على) الكاف لا كيد الخطاب لا محل لها
ن الاعراب وهذا مفعول أول والموصول صفة والثاني محذوف دلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن

أمرني بالسجود له لم كرمته على وقيل هذا مبتدأ حذف عنه ﴿ ٦١٢ ﴾ حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره

ومقصوده الاستصغار والاستحقار أي أخبني أهذا من كرمته على وقبل معنى أرايتك أناملت كان المتكلم يذبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبته (لأن آخرن) حيا (إلى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله (لاحتكن ذريته أي) لاستأصلتهم من قولهم احتك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها كالأولاد منهم حيث ما شئت ولاستواين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنك الدابة واحتكنها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لا ذريته لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين وإنما علمتني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو استنباطا من قولهم أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو توسما من خلقه (الا قليلا) منهم وهم المخلصون

بأبواب الياء في الوصل والوقف وقرأ عاصم وابن عامر وحزرة والكسائي بالحذف ونافع وأبو عمرو بآبائه في الوصل دون الوقف (البحث الثاني) في الاحتكاك قولان (أحدهما) أنه عبارة عن الأخذ بالكلية يقال احتكتك فلان ما عند فلان من مال إذا استقصاه وأخذه بالكلية واحتكت الجراد الزرع إذا أكله بالكلية (والثاني) أنه من قول العرب حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به قال أبو مسلم الاحتكاك أفعال من الحنك كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه فعلى القول الأول معنى الآية لاستأصلتهم بالأغواء وعلى القول الثاني لا قودتهم إلى المعاصي كإتقاد الدابة بجملها (البحث الثالث) قوله لا قليلا لهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله أن عبادي ليس لك عليهم سلطان فإن قيل كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم قلنا فيه وجوه (الأول) أنه سمع الملائكة يقولون أنجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء فعرف هذه الأحوال (الثاني) أنه وسوس إلى آدم فلم يجعل له عزما فقال الظاهر أن أولاده يكونون مثله في ضعف العزم (الثالث) أنه عرف أنه مركب من قوة بيمية شهوانية وقوة سبعية غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف أن القوى الثلاثة أعنى الشهوانية والغضبية والوهمية تكون هي المستولية في أول الخلقة ثم إن القوة العقلية انما تكمل في آخر الأمور متى كان الأمر كذلك كان ما ذكره إبليس لازما وأعلم أنه تعالى لما حكي عن إبليس ذلك حكي عن نفسه أنه تعالى قال له اذهب وهذا ليس من الذهاب الذي هو تقبض المجنى وإنما عناه امض لشأنك الذي اخترته والمقصود الخلقة وتقويض الأمر إليه ثم قال فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ونظيره قول موسى عليه الصلاة والسلام فذهب فإنك في الحياة أن تقول لا مأساس فإن قيل أليس الأولى أن يقال فإن جهنم جزاؤهم جزاء موفورا ليكون هذا التفسير راجعا إلى قوله فمن تبعك قلنا فيه وجوه (الأول) التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم (والثاني) يجوز أن يكون هذا الخطاب مع الغائبين على طريقة الالتفات (والثالث) أنه صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة سيئة فويله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فكل معصية توجد فيحصل لإبليس مثل وزر ذلك العامل فلما كان إبليس هو الأصل في كل المعاصي صار المخاطب بالوعيد هو إبليس ثم قال جزاء موفورا وهذه اللفظة قد تعني متعديا ولازما أما المتعدي فيقال وفرته أفره وفرا وفرة فهو موفور موفورا قال زهير

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يثق الشتم يشتم
واللازم كقولك وفر المال يفر وفورا فهو وافر فعلى التقدير الأول يكون المعنى جزاء موفورا موفرا وعلى الثاني يكون المعنى جزاء موفورا وافرا واتصّب قوله جزاء وهو المصدر * قوله تعالى (واستفرز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك

الذين عصاهم الله تعالى (قال اذهب) أي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرده وتخلية بينه وبين * وشاركهم * ما سوات له نفسه (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعا بلام

لحق المتبوعة (جزاء موفورا) اى جزاء مكمل * ٦١٣ * من قولهم فراضحك عرضة فرة اى وفر وهو نصب على

انه مصدر مؤن كذا لما فى قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو لأفعل المقدر أو حال موطنه لقوله موفورا (واستغفر) اى استخف (من استطعت منهم) أن تستغفره

(بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم) اى صحح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) اى بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل البيت والفساد قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقناة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فا كان من راكب يقاتل فى معصية الله تعالى فهو

من خيل ابليس وما كان من راجل يقتاتل فى معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصعب والركب وقرئ بكسر الجيم وهى قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتمب وتاعب وبمضة

وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الاغروا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى برك وكيلا اعلم أن ابليس لما طلب من الله الامهال الى يوم القيامة لاجل أن يحتك ذرية آدم فآله تعالى ذكر أشياء (أولها) قوله اذهب ومعناه أمهلتك هذه المدة (وثانيها) قوله تعالى واستغفر من استطعت منهم بصوتك يقال أغفره الخوف واستغفره أى أنجحه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب ومعنى صيغة الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهمك فسترى ما ينزل بك (وثالثها) وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وفى قوله وأجلب وجوه (الاول) قال الفراء انه من الجلبة وهى الصياح ورجلوا الجلب كما قالوا الغلبة والغلب والشفقة والشفق وقال الليث وأبو عبيدة أجلبوا وجلبوا من الصياح (الثاني) قال الزجاج فى فعل وأفعل أجلب على العدو أجلبا اذا جهم عليه الخيل (الثالث) قال ابن السكيت يقال هم يجلبون عليه بمعنى انهم يعينون عليه (الرابع) روى ثعلب عن ابن الاعرابى أجلب الرجل على الرجل اذا توعد الشر وجهم عليه الجمع فقوله وأجلب عليهم معناه على قول الفراء صحح عليهم بخيلك ورجلك وعلى قول الزجاج اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكابك وتكون الباء فى قوله بخيلك زائدة على هذا القول وعلى قول ابن السكيت معناه أعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الاجلاب على هذا القول محذوف كأنه يستعين على اغوائهم بخيله ورجله وهذا أيضا يقرب من قول ابن الاعرابى واختلفوا فى تفسير الخيل والرجل فروى أبو الضمخى عن ابن عباس أنه قال كل راكب أو راجل فى معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وجنوده ويدخل فيه كل راكب وماش فى معصية الله تعالى فعلى هذا التقدير خيله ورجله كل من شاركه فى الدعاء الى المعصية (واقول الثانى) يحتمل أن يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل (واقول الثالث) ان المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد فى الامر جئتسا بخيلك ورجلك وهذا الوجه أقرب والخيل تقع على الفرسان قال عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى وقد تقع على الافراس خاصة والمراد ههنا الاول والرجل جمع راجل كما قالوا تاجر وتجبر وصاحب وصحب وراكب وركب وروى حفص عن عاصم ورجلك بكسر الجيم وغيره بالضمة قال أبو زيد يقال رجل ورجل بمعنى واحد ومثله حدث وحدثت وندس وندس قال ابن الانبارى أخبرنا ثعلب عن الفراء قال يقال رجل ورجل ورجلان بمعنى واحد (والنوع الرابع) من الأشياء التى ذكرها الله تعالى لابليس قوله وشاركهم فى الاموال والاولاد نقول أما المشاركة فى الاموال فهى عبارة عن كل تصرف فيجوز أن المال سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه أو وضعه فى غير حقه ويدخل فيه على ما بالغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة وهكذا قاله القاضى وهو ضبط حسن وأما ذلك المرسوم فقد ذكرنا وجوهها قال قناة المشاركة فى الاموال هى ان جعلوا بحيرة وسائبة

دموحت وحدث وندس وندس ونظائرهما اى جمعك اراجل ابطابق الخيل وقرئ رجلك ورجالك ويجوز أن يكون من اليازة بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار أو وقع على قوم

فصوت بهم صوتا يزعمهم من أما كنهم ويفلقهم عن مرا كزهم ﴿٦١٤﴾ وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة

حتى استأصلهم (وشار كهم
في الاموال) بحملهم
على كسبها ووجهها من
الحرام والتصرف فيها
على ما لا ينبغي (والاولاد)
بالحث على التوصل
اليهم بالاسباب المحرمة
والاشراك كتنسبتهم
بعبد العزى والتضليل
بالحمل على الاديان الزائفة
والحرف الذميمة والافعال
القيحية (وعدهم)
المواعيد الباطلة كشفاة
الآلهة والانتكال على
كرامة الآباء وتأخير
التوبة بتطويل الامل
(وما يدهم الشيطان
الاغروا) اعتراض لبيان
شأن مواعيده والالتفات
الى الغيبة لقوة معني
الاعتراض مع ما فيه من
صرف الكلام عن خطابه
وبيان شأنه للناس ومن
الاشعار بعلمية شيطنته
للغرور وهو تزيب الخطا
بما يوهم انه صواب (ان
عبادي) الاضافة
للتشريف وهم المخلصون
وفيه أن من تبعه ليس
منهم وأن الاضافة
لثبوت الحكم في قوله
تعالى (ليس لك عليهم

وقال عكرمة هي عبارة عن تنبئهم آذان الانعام وقيل هي ان جعلوا من أموالهم شيئا
لغير الله تعالى كما قال تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا الشركائنا والاصوب ما قاله القاضي
وأما المشاركة في الاولاد فذكرها ووافيه وجوها (أحدها) انها الدعاء الى الزنا ويزيف الاصم
ذلك بأن قال انه لا ذم على الولد ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد وشار كهم في طريق
تحصيل الولد وذلك بالدعاء الى الزنا (وثانيها) أن يسبوا أولادهم بعبد اللات وعبد العزى
(وثالثها) أن يرغبوا أولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية والنصرانية وغيرهما
(ورابعها) اقدامهم على قتل الاولاد ووأدهم (وخامسها) ترغيبهم في حفظ الاشعار
المشتعلة على الفحش وترغيبهم في القتل والقتال والحرف الخبيثة الحسيسة والضابط أن
يقال ان كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي ذلك الى ارتكاب منكر أو قبيح
فهو داخل فيه (والنوع الخامس) من الاشياء التي ذكرها الله تعالى لا يلبس في هذه
الآية قوله وعدهم واعلم انه لما كان مقصود الشيطان الترغيب في الاعتقاد الباطل
والعمل الباطل والتنفير عن الاعتقاد الحق والعمل الحق ومعلوم ان الترغيب في الشيء
لا يمكن الا بأن يقرر عنده أنه لا ضرر البتة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة
والتنفير عن الشيء لا يمكن الا بأن يقرر عنده أنه لا فائدة في فعله ومع ذلك فانه يفيد المضار
العظيمة اذا ثبت هذا فنقول ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد وأن يقرر أولاً أنه
لا مضرة في فعله البتة وذلك انما يمكن اذا قل لامعاد ولاجنة ولا نار ولا حياة بعد هذه
الحياة فبهذا الطريق يقرر عنده أنه لا مضرة البتة في فعل هذه المعاصي واذا فرغ عن هذا
المقام قرر عنده ان هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في هذه
الدنيا الا به فتفويتها خسران وخسران كما قال الشاعر

خذوا بنصيب من سرور ولذة * فكل وان طال المدى يتصرم

فهذا هو طريق الدعوة الى المعصية وأما طريق التنفير عن الطاعة فهو أن يقرر أولاً عنده
أنه لا فائدة فيه وتقريره من وجهين (الاول) أن يقول لاجنة ولا نار ولا ثواب ولا عذاب
(والثاني) ان هذه العبادات لا فائدة فيها للعابد والمعبود فكانت عبثا محضا فبهذين
الطريقين يقرر الشيطان عند الانسان أنه لا فائدة فيها واذا فرغ عن هذا المقام قال انها
توجب التعب والحنة وذلك أعظم المضار فهذه مجامع نلبس الشيطان فقوله وعدهم
يناول كل هذه الاقسام قال المفسرون قوله وعدهم أي بأنه لاجنة ولا نار وقال آخرون
وعدهم يسويف التوبة وقاله آخرون وعدهم بالاماني الباطلة مثل قوله لا آدم مانها
كأر يكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقال آخرون
وعدهم بشفاة الاصنام عند الله تعالى وبالنسب الشريفة وياشار العاجل على
الآجل وبالجملة فهذه الاقسام كثيرة وكلها داخلية في الضبط الذي ذكرناه وان أردت
الاستقصاء في هذا الباب فطالع كتاب ذم الغرور من كتب احياء علوم الدين للشيخ الغزالي

سلطان) أي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
رؤسهم توكون (وكني ربك وكبلا) لهم توكون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف

بوبة المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف ﴿ ٦١٥ ﴾ الكلى مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية

كفايته تعالى لهم أعنى
سلب قدرته على اغوائهم
(ربكم الذى يزجى لكم
الغلاك فى البحر) مبتدأ
وخبر والاز جاء السوق
حالا بعد حال أى هو
القادر الحكيم الذى
يسوق لمنافعكم الغلاك
ويجربها فى البحر (لتبتغوا
من فضله) من رزقه
الذى هو فضل من قبله
أو من الربح الذى هو
معطيه ومن مزيد أو
تبعيضية وهذا تذكير
بعض النعم التى هى دلائل
التوحيد وتهدى لذكر
توحيدهم عند مساس
الضرر تكمله لما مر من
قوله تعالى فلا يهلكون
الآية (انه كان بكم)
أزلا وأبد (رحما) حيث
هيالكم ما تحتاجون اليه
وسهل عليكم ما يعسر
من مباديه وهذا تذييل
فيه تعليل لما سبق من
الاز جاء لا بتفاء الفضل
وصيغة الرحيم للدلالة
على أن المراد بالرحمة
الرحمة الدنيوية والنعمة
العاجلة المنقصة الى
الجليلة والخفية (واذا
مسكم الضر فى البحر)

حتى يحيط عقلك بمجا مع تليس ابليس واعلم أن الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما يكون
زاجرا عن قبول وعده فقال وما يعدمهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه أنه انما يدعو الى
أحد أمور ثلاثة قضاء الشهوة وامضاء الغضب وطلب الرياسة وعلو الدرجة ولا يدعو
البته الى معرفة الله تعالى ولا الى خدمته وتلك الاشياء الثلاثة معنوية من وجوه كثيرة
(أحدها) انها فى الحقيقة ليست لذات بل هى خلاص عن الآلام (وثانيها) وان كانت
لذات لكنها الذات خسيصة مشترك فيها بين الكلاب والديدان والخنافس وغيرها (وثالثها)
انها سريعة الزوال والذهاب والانقضاء والانقراض (ورابعها) انها لا تحصل الابتاعب كثيرة
ومشاق عظيمة (وخامسها) ان لذات البطن والفرج لا تتم الا بمنزلة رطوبات عفنة
مستفجرة (وسادسها) انها غير باقية بل يتبعها الموت والهزم والفقر والحسرة على القوت
والخوف من الموت فلما كانت هذه المطالب وان كانت لذية بحسب الظاهر الا أنها
ممزوجة بهذه الآفات العظيمة والمخافات الجسيمة كان الترتيب فيها تدريرا ولهذا المعنى
قال تعالى وما يعدمهم الشيطان الا غرورا واعلم أنه تعالى لما قال لما فعل ما تنذر عليه فقال
تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وفيه قولان (الاول) ان المراد كل عباد الله من
المكافين وهذا قول أبى على الجبائى قال والدليل عليه انه تعالى استثنى منه فى آيات كثيرة
من يتبعه بقوله الامن اتبعك ثم استدل بهذا على أنه لا سبيل لابليس وجنوده على تصريع
الناس وتخبيط عقولهم وأنه لا قدرة له الا على قدر الوسوسة وكد ذلك بقوله تعالى
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلمونى ولوموا أنفسكم
وأبضا فلو قدر على هذه الاعمال لكان يجب أن يخبط أهل الفضل وأهل العلم دون سائر
الناس ليكون ضرره أعظم ثم قال وانما يزول عقله لا من جهة الشيطان لكن لغلبة
الاخلاق الفاسدة ولا يمتنع أن يكون أحد أسباب ذلك المرض اعتقاد أن الشيطان
يقدم عليه فيغلب الخوف عليه فيحدث ذلك المرض (والقول الثانى) ان المراد بقوله ان
عبادى أهل الفضل والعلم والايان لما بينا فيما تقدم ان لغضا العباد فى القرآن مخصوص
بأهل الايمان والدليل عليه أنه قال فى آية أخرى انما سلطان على الذين يتولونه ثم قال
وكفى بربك وكيلًا وفيه بحثان (الاول) انه تعالى لما ممكن ابليس من أن يأتي بأفصى
ما يقدر عليه فى باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد فى قلب الانسان
قال وكفى بربك وكيلًا ومعناه ان الشيطان وان كان قادرا فآله تعالى أقدر منه وأرحم
بعباده من الكل فهو تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله وأغوائه (البحث
الثانى) هذه الآية تدل على أن المعصوم من عصمة الله تعالى وان الانسان لا يمكنه أن
يحتمز بنفسه عن مواقع الضلالة لانه لو كان الاقدام على الحق والاجتماع عن الباطل
انما يحصل للانسان من نفسه لوجب أن يقال وكفى للانسان نفسه فى الاحتراز عن
الشيطان فلما لم يقل ذلك بل قال وكفى بربك علما ان الكل من الله ولهذا قال المحققون

خوف الفرق فيه (ضل من تدعون) أى ذهب عن خواطر كم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم
(الاياه) وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً

أوصل كل من تدعونه عن اغاثكم وانقاذكم ولم يقدر ﴿٦١٦﴾ على ذلك الا الله على الاستثناء العظيم (فلما نجاكم)

لاحول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله بقي في الآية سؤالان (السؤال الاول) ان ابليس هل كان عالما بأن الذي تكلم معه بقوله واستغفر من استغلت منهم هو والى العالم أو لم يعلم ذلك فان علم ذلك ثم انه تعالى قال فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فكيف لم يصبر هذا الوعيد الشديد ما ناله من المعصية مع أنه سمعه من الله تعالى من غير واسطة وان لم يعلم ان هذا القائل هو والى العالم فكيف قال أراك هذا الذي كرمت على والجواب لعله كان شاكيا في الكل أو كان يقول في كل قسم ما يخطر بباله على سبيل الظن (والسؤال الثاني) ما الحكمة في أنه تعالى أنظره الى يوم القيامة ومكانه من الوسوسة والحكيم اذا أراد أمرا وعلم أن شيئا من الاشياء يمنع من حصوله فانه لا يسعى في تحصيل ذلك الممانع والجواب امامه هبنا فظاها في هذا الباب وأما المنة لقلهم قولان قال الجبائي علم الله تعالى ان الذين كفروا عند وسوسة ابليس يكفرون بتقدير أن لا يوجد ابليس واذا كان كذلك لم يكن في وجوده مزيد مفسدة وقال أبو هاشم لا بعد أن يحصل من وجوده مزيد مفسدة الا أنه تعالى أبقاه تشديدا للتكليف على الخلق ليستحقوا بسبب ذلك التشديد مزيدا ثواب وهذا الوجهان قد ذكرناهما في سورة الاعراف والحجر وبالقنا في الكشف عنهما والله أعلم * قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيمًا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا أفأنتم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم حاصبا ثم لانجدوا لكم وكيلا أم أفأنتم أن نعبدكم فيه تارة أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم بما كفرتن ثم لا تجدوا لكم علينا به تديعا) اعلم أنه تعالى عاد الى ذكر الدلائل الدالة على قدرته وحكمته ورحمته وقد ذكرنا ان المقصود الاعظم في هذا الكتاب الكريم تقرير دلائل التوحيد فاذا امتد الكلام في فصل من الفصول عاد الكلام بعده الى ذكر دلائل التوحيد والمذكور ههنا الوجوه المستنبطة من الانعامات في أحوال ركوب البحر (فالتوابع الاول) كيفية حركة الفلك على وجه البحر وهو قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله ببضاعة من جاء والمعنى ربكم الذي يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله في طلب التجارة انه كان بكم رحيمًا والخطاب في قوله بكم وفي قوله انه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها (والنوع الثاني) قوله واذا مسكم الضر في البحر والمراد من الضر الخوف الشديد كخوف الفرق ضل من تدعون الاياه والمراد ان الانسان في تلك الحالة لا يتضرع الى الصنم والشمس والقمر والملاك والفاك وانما يتضرع الى الله تعالى فلما نجاكم من الفرق والبحر وأخر جكم الى البر أعرضتم عن الايمان والاخلاص وكان الانسان كفورا نعم الله بسبب ان عند الشدة يتسك بفضله ورحمته وعند الرخاء والراحة يعرض عنه ويتسك بغيره (والنوع الثالث)

من الفرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن التوحيد أو أنستم في كفران النعمة (وكان الانسان كفورا) لتعيل لما سبق من الاعراض (أفأنتم) المهزلة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره تجتوون فأنتم (أن نخسف بكم جانب البر) الذي هو ما منكم اي قلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوى الجوانب والجهات بالنسبة على قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة (أو يرسل عليكم) من فوقكم وقرئ بالنون (حاصبا) ريجا ترمي بالحصاء (ثم لانجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب (أم أفأنتم أن يعبدكم فيه) في البحر أو رث كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه (تارة أخرى) اسناد

الاعادة اليه تعالى مع أن العود اليه باختبارهم باعتبار خلق الداعي المجلته لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة قوله ﴿٦١٦﴾ هول ما لا قوة في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا (فيرسل عليكم) وأنتم في البحر

يرى بالنون (فاصفا من الريح) وهي التي لا تتر ٦١٧ ❀ بشئ الا كسرتنه وجعلته كالريح

أولتي لها قصيف وهو

الصوت الشديد كأنها

تقصف أي تنكسر

(فيغرقكم) بعد كسر

فلكمكم كأيبي عنه

عنوان القصف وقرئ

بالنون وبالتاء على الاسناد

الى ضمير الريح (بما كفرتم)

بسبب اشتراككم أو

كفر انكم لتعمة الانبياء

(ثم لا تجدوا لكم عليناه

تبعنا) أي نأرا يطالبنا

بما فعلنا ان تصار امانا ودركا

للشار من جهتنا كقوله

سبحانه ولا يخاف عقباها

(ولقد كرمنا بني آدم)

فاطبة تنكر عما شاملا

لسبرهم وفاجرهم أي

كرمناهم بالصورة والقامة

المتعدلة والتسلط على

ما في الارض والمتع به

والتمكن من الصناعات

وغير ذلك مما لا يكاد يحيط

به نطاق العبارة ومن

جلته ما ذكره ابني عباس

رضي الله عنهم ان

كل حيوان يتناول طعامه

بفيه الا الانسان فانه

يرفعه اليه يده وما قيل

من شركة التردله في ذلك

مبنى على عدم الفرق

بين اليد والرجل فانه

متساو له برجله التي

يطأها القاذورات لا يده

له أقامتم أن نخسف بكم جانب البرقال الرث الخسف والخسوف هود خول الشئ
الشئ يقال عين خاسفة وهي التي غابت حدوها في الرأس وعين من الماء خاسفة أي
زرة الماء وخسفت الشمس أي احييت وكأنيها وقعت تحت حجاب أو دخلت في حجر
قوله أن نخسف بكم الجانب البرأى نغيبكم في جانب البر وهو الارض وانما قال جانب
البر لانه ذكر البحر في الآية الاولى فهو جانب والبر جانب فاخبر الله تعالى أنه كما
ندر على أن يغيبهم في الماء فهو قادر أيضا على أن يغيبهم في الارض فالغرق تغيب تحت
الماء كما كان الخسف تغيب تحت التراب وتقرر الكلام انه تعالى ذكر في الآية الاولى انهم
كانوا خائفين من هول البحر فلما نجاهم منه آمنوا فقال هب أنكم نجوتهم من هول البحر
فكيف أمتم من هول البر فانه تعالى قادر على ان يسلط عليكم آفات البر من جانب التحت
أو من جانب الفوق أمان من جانب التحت فبالخسف وأمان من جانب الفوق فبما طار الحجارة
عليهم وهو المراد من قوله أو نرسل عليكم حاصبا فكما لا يضرعون الا الى الله تعالى عند
ركوب البحر فكذلك يجب أن لا يضرعوا الا اليه في كل الاحوال ومعنى الخصب في اللغة
الزبي يقال حصبت أحصب حصبا إذا رميت والخصب المرمي ومنه قوله تعالى حصب
جهنم أي يلقون فيها ومعنى قوله حاصبا أي عذابا يحصبهم أي يرميهم بحجارة ويقال للريح
التي تحمل التراب والخصباء حاصب والسمحاب الذي يرمي بالثلج والبرد يسمى حاصبا لانه
يرمي بهما رميا وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصباء والحاصب على هذا
ذو الخصباء مثل اللابن والناهر وقوله ثم لا تجدوا لكم وكلا يعني لا تجدوا انا صرا ينصركم
وبصونكم من عذاب الله ثم قال أم أمتم ان نعيدكم فيه أي في البحر تارة أخرى وقوله
فنرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف الكاسر يقال قصف الشئ يقصده قصفا اذا
كسره بشدة والقاصف من الريح التي تنكسر الشجر وأراد ههنا ريحا شديدة تقصف
الفلك وتغرقهم وقوله فتغرقكم بما كفرتم أي بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم عليناه تبعنا
قال الزجاج أي لا تجدوا من يتبعنا بانكار ما نزل بكم بان يصرفه عنكم وتبع بمعنى تابع
واعلم ان هذه الآية مشتملة على ألفاظ خمسة وهي قوله أن نخسف أو نرسل أو نعيدكم فنرسل
فتغرقكم قرأ ابن كثير وأبو عمر وجب هذه الخمسة بالنون والباقون بالياء فن قرأ بالياء
فلان ما قبله على الواحد الغائب وهو قوله الاياه فلما نجاكم ومن قرأ بالنون فلان هذا البحر
من الكلام قد ينقطع بعضه من بعض وهو سهل لان المعنى واحد ألا ترى أنه قد جاء
وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا اتخذوا من دوني وكلا فانتقل من الجمع الى الافراد
وكذلك ههنا يجوز أن ينقل من الغيبة الى الخطاب والمعنى واحد والكل جاز والله أعلم
* قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وجعلناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) اعلم ان المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى
جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الانسان وهي الاشياء التي بها فضل الانسان على غيره

اوجلناهم في البر والبحر) على الدواب ❀ ٧٨ ❀ خا والسفن من جلته اذا جعلته ما يركبه وليس من المخلوقات

أي كذلك وقبل جلناهم فيها حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وأنت خير بان

الاول هو الانسب بالتكرير اذ جميع الحيوانات كذلك * ٦١٨ * (ورزقاهم من الطيبات) أى فنون النعم وضروب

المستلذات مما يحصل
بصنعهم وبغير صنعهم
(وفضلناهم) في العلوم
والادراكات بما ركبنا
فيهم من القوى المدركة
التي بها يتخير الحق من
الباطل والحسن من
القيح (على كثير من
خلقنا) وهم من عدا
الملائكة عليهم الصلاة
والسلام (تفضيلا) عظيما
فحق عليهم أن يشكروا
هذه النعم ولا يكفروها
و يستعملوا قواهم في
تحصيل العقائد الحقّة
ويرفضوا ما هم عليه
من الشرك الذي لا يقبله
أحد من له أدنى تميز
فضلا عن فضل على من
عدا الملائكة الذين
هم العقول المحضة وانما
استثنى جنس الملائكة
من هذا التفضيل لان
علومهم دائماً عارية
عن الخطأ والخل وليس
فيه دلالة على أفضليتهم
بالمعنى المتنازع فيه فان
المراد هنا بيان التفضيل
في أمر مشترك بين جميع
أفراد البشر صالحها
وطالحها ولا يمكن أن
يكون ذلك هو الفضل في
عظم الدرجة وزيادة

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أنواع (النوع الاول) قوله ولقد كرمنا بني آدم
واعلم ان الانسان جوهر مركب من النفس والبدن فالتفوق الانسانية أشرف النفوس
الموجودة في العالم السفلي وبدنه أشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي وتفر
هذه القضية في النفس الانسانية هي أن النفس الانسانية قواها الاصلية ثلاث وهى
الاغذاء والنمو والتوليد والنفس الحيوانية لها قوتان الحساسة سواء كانت ظاهرة
أو باطنة والحركة بالاختيار فهذه القوى الخمسة اعني الاغذاء والنمو والتوليد والحس
والحركة حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مخصصة بقوة اخرى وهى القوة
العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هى وهى التي تجلّى فيها نور معرفتنا الله تعالى ويشرق فيها
ضوء كبريائه وهو الذى يطلع على اسرار عالمي الخلق والامر ويحيط بأقسام مخلوقات الله
من الارواح والاجسام كما هى وهذه القوة من تلقى لجواهر القدسية والارواح المجردة
الالهية فهذه القوة لانسبة لها في الشرف والفضل الى تلك القوى الخمسة النباتية
والحيوانية واذا كان الامر كذلك ظهر ان النفس الانسانية أشرف النفوس الموجودة
في هذا العالم وان أردت ان تعرف فضائل القوة العقلية ونقصانات القوى الحسية
ف تأمل ما كتبه في هذا الكتاب في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض فاننا ذكرنا
هناك عشرين وجها في بيان ان القوة العقلية أجل وأعلى من القوى الحسية فلا فائدة
في الاعادة وأما بيان ان البدن الانساني أشرف أجسام هذا العالم فالمراد انما
ذكرنا في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم هذا النوع من الفضائل وذكرنا أشياء
(أحدها) روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله ولقد كرمنا
بني آدم قال كل شيء يأكل بقية الابن آدم فانه يأكل بيده وقيل ان الرشيد أحضر
عنده أطعمة فدعا بالملاعق وعند أبو يوسف فقال له جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فرد الملاعن وأكل بأصابعه (وثانيها)
قال الضحاك بالنطق والتميز وتحقيق الكلام ان من عرف شيئا فاما ان يعجز عن تعريف
غيره كونه عارفا بذلك الشيء أو بقدر على هذا التعريف (أما القسم الاول) فهو حال جلة
الحيوانات سوى الانسان فانه اذا حصل في باطنها ألم أو لذة فانها تعجز عن تعريف غيرها
تلك الاحوال تعريفا تاما وافيا (وأما القسم الثاني) فهو الانسان فانه يمكنه تعريف
غيره كل ما عرفه ووقف عليه وأحاط به فكونه قادرا على هذا النوع من التعريف هو
المراد بكونه ناطقا وبهذا البيان ظهر أن الانسان الاخرس داخل في هذا الوصف لانه
وان يعجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فانه يمكنه ذلك بطريق الإشارة
و بطريق الكتابة وغيرهما ولا يدخل فيه البيداء لانه وان قدر على تعريفات قليلة
فلا قدر له على تعريف جميع الاحوال على سبيل الكمال والتمام (وثالثها) قال عطاء
بامتداد القامة واعلم ان هذا الكلام غير تام لان الاشجار أطول من قامة الانسان بل

القربة عند الله سبحانه ان قبل أى حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالتفضيل فان استثناء () ينبغي في
الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افرادهم عليهم قلنا

من تعينه البنة اذليس من الافراد الفاجرة ❀ ٦١٩ ❀ للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فجاهو

المتنازع فيه أصلاً بل هم
أدنى من كل دني حسبما
بني عنه قوله تعالى أولئك
كالانعام بل هم أضل
وقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا
(يوم ندعوا) نصب
على المفعولية باضمار اذ ذكر
أو ظرف لما دل عليه قوله
تعالى ولا يظلمون وقرئ
بالياء على البناء للفاعل
والمفعول ويدعون بقلب
الالف واوا على لغة
من يقول في أفعي أفعو
وقد جوز كون الواو علامة
الجمع كافي قوله تعالى
وأسرأ النجوى أو ضميرة
وكل بدلا منه والنون
مخدوفة لقلة المبالاة بها
فانهم ليست الاعلامه الرفع
وقديكني بتقديره كافي يدعى
(كل اناس) من بني آدم
الذين فعلناهم في الدنيا
ما فعلنا من التكرم والتفضيل
وهذا شروع في بيان تفاوت
أحوالهم في الآخرة بحسب
أحوالهم وأعمالهم في الدنيا
(بإمامهم) أي بمن اتبعوا به
من نبي أو مقدم في الدين
أو كتاب أو دين وقبل
بكتاب أعمالهم التي قدموها
فيقال يا أصحاب كتاب

أن يشترط فيه شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية والقوى الحسية
مركبة (ورابعها) قال بيان بحسن الصورة والدليل عليه قوله تعالى وصوركم فأحسن
وكم لما ذكر الله تعالى خلقه الانسان قال فتبارك الله أحسن الخالقين وقال صبغة الله
أحسن من الله صبغة وان شئت فقل فخلقنا من أعضاء الانسان وهو العين
في الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد
شفاف ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين
ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق بياض الجبهة سواد الشملوك
هذا المثال الواحد أعوذ جالك في هذا الباب (وخامسها) قال بعضهم من كرامات آدمي
أن آتاه الله الخط وتحقيق الكلام في هذا الباب ان العلم الذي يقدر الانسان على
استنباطه يكون قليلا أما اذا استنبط الانسان علما وأودعه في الكتاب وجاء الانسان
الثاني واستعان بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه أشياء أخرى ثم لا يزالون يتعاقبون
ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت الفضائل
والمعارف وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى أقصى الغايات وأكمل
النهايات ومعلوم ان هذا الباب لا يتأتى الا بواسطة الخط والكتابة ولهذه الفضيلة
الكاملة قال تعالى أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (وسادسها) ان
أجسام هذا العالم أمابسايط وأما ربك كبات أما البسايط فهي الارض والماء والهواء
والنار والانسان يتنغم بكل هذه الاربع أما الارض فهي لنا كالأمان الحاضنة قال تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقد سماها الله تعالى بأسماء
بالتسبة البناء وهي الفراش والمهد والمهاد وأما الماء فالتفاعنا به في الشرب والزراعة
والحرارة ظاهرة وأيضاً سخر البحر لنا كل منه لمخاطرنا ونستخرج منه حلية نلبسها ونرى
الغلك مواخر فيه وأما الهواء فهو مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على
هذه المعمورة وأما النار فهي الطبخ الاغذية والاشربة ونضجها وهي قائمة مقام الشمس
والقمر في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد كما قال الشاعر

ومن رد في الشتاء فأكهة ❀ فان نار الشتاء فأكهته

وأما المركبات فهي اما الآثار العلوية واما المعادن والنبات واما الحيوان والانسان
كالستولى على هذه الاقسام والمنفعة بها والاستسخر لكل أقسامها فهذا العالم بأسره جار
مجرى قرية معمورة أو خان معد وجميع منافعها ومصلحتها مصروفة الى الانسان
والانسان فيه كالرئيس الخدم والملوك المطاع وسائر الحيوانات بالتسبة اليه كالعبيد
وكل ذلك يدل على كونه مخصوصا من عند الله بزيد التكرم والتفضيل والله أعلم
(وسابعها) ان المخلوقات تنقسم الى أربعة أقسام الى ما حصلت له القوة العقلية
الحكمية ولم تحصل له القوة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة والى ما يكون بالعكس

الخبر يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كدبا أهل كتاب وكذا وقيل الامام جمع أم كتحف وخفاف والحكمة
في دعوتهم بأمرانهم اجلال عسى عليه السلام

وتشريف الحسنين رضى الله عنهما والستر على أولاد الزنا ﴿ ٦٢٠ ﴾ (فن أوتى) يومئذ من أولئك المدعو

وهم البهائم والى ما خلا عن القسمين وهو النبات والجمادات والى ما حصل النوعان فيه
وهو الانسان ولاشك أن الانسان لكونه مستجما للقوة العقلية القدسية المحضة والقوى
الشهوانية البهيمية والغضبية والسبعية يكون أفضل من البهيمية ومن السبعية ولاشك أنه
أيضا أنه أفضل من الاجسام الخالية عن القوتين مثل النبات والمعادن والجمادات واخر
ثبت ذلك نظهر ان الله تعالى فضل الانسان على أكثر أقسام المخلوقات بقى ههنا بحث فى ان
الملك أفضل أم البشر والمعنى ان الجوهر البسيط الموصوف بالقوة العقلية القدسية
المحضة أفضل أم البشر المستجمع لهاتين القوتين وذلك بحث آخر (وثانها) الموجود اما
أن يكون أزليا وأبديا معا وهو الله سبحانه وتعالى واما أن يكون لأزليا ولأبديا وهو عالم
الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أخس الاقسام واما أن يكون
أزليا لأبديا وهو الممتنع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما أن لا يكون أزليا
ولكنه يكون أبديا وهو الانسان والملك ولاشك ان هذا القسم أشرف من القسم الثانى
والثالث وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر مخلوقات الله تعالى (وتاسعها)
العالم العلوى أشرف من العالم السفلى وروح الانسان من جنس الارواح العلوية
والجواهر القدسية فليس فى موجودات العالم السفلى شئ حصل فيه شئ من العالم
العلوى الا الانسان فوجب كون الانسان أشرف موجودات العالم السفلى (وعاشرها)
أشرف الموجودات هو الله تعالى واذا كان كذلك فكل موجود كان قربه من الله
تعالى أتم وجب أن يكون أشرف لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله هو الانسان
بسبب أن قلبه مستنير بعرفة الله تعالى ولسانه مشرف بذكر الله وجوارحه وأعضاؤه
مكرمة بضاعه الله فوجب الجزم بأن أشرف موجودات هذا العالم السفلى هو الانسان
ولما ثبت ان الانسان موجود ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب
لذاته ثبت ان كل ما حصل الانسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهى انما
حصلت باحسان الله تعالى وانعامه فلهذا المعنى قال تعالى ولقد كرمنا نبي آدم ومن تمام
كرامته على الله تعالى انه تعالى لما خلقه فى أول الامر وصف نفسه بأنه أكرم فقال
اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ووصف
نفسه بالكريم عند ربك الانسان فقال ولقد كرمنا نبي آدم ووصف نفسه بالكرم فى
آخر أحوال الانسان فقال يا أيها الانسان ما غر لك ربك الكريم وهذا يدل على انه لانهاية
لكرم الله تعالى وفضله واحسانه مع الانسان والله أعلم (والوجه الحادى عشر) قال
بعضهم هذا التكرم معناه انه تعالى خلق آدم بيده وخلق غيره بطريق كرم فيكون ومن
كان مخلوقا بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل وكان أكرم وأكمل ولما جعلنا من أولاده
وجب كون نبي آدم أكرم وأكمل والله أعلم (النوع الثانى) من المدائح المذكورة فى
هذه الآية قوله وجلناهم فى البر والبحر قال ابن عباس فى البر على الخيل والبغال والحمير

(كتاباه) صحيفة أعماله
(يمينه) ايانة لخطر
الكتاب الموثق وتشريفا
لصاحبه وتشبيرا له من
أول الامر بما فى مطاويه
(فاولئك) اشارة الى
من باعتبار معناه ايدانا
بأنهم حزب محتمون
على شان جليل أو اشعارا
بأن قرأتهم لكتبهم
تكون على وجه الاجتماع
لاعلى وجه الانفراد
كافى حال الايتاء وما فيه
من الدلالة على البعد
للاشعار برفعة درجاتهم
أى أولئك المختصون بتلك
الكرامة التى يشعر بها
الايتاء المزبور (يقروئن
كتابهم) الذى أوتوه
على وجه البين تتجعا
بما سطر فيه من الحسنات
المستنبعة لقنون الكرامات
(ولا يظلمون) أى لا يقتصون
من اجور أعمالهم المرتسمة
فى كتبهم بل يؤتونها
مضاعفة (فتيلا) أى قدر
فتيل وهو القشرة التى
فى شق النواة وأدنى شئ
فان الفتيل مثل فى القلة
والحقارة (ومن كان)
من المدعوين المذكورين
(فى هذه) الدنيا التى

فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والفضيل (أعنى) فاقد البصيرة لا يمتدى الى رشده ولا يعرف ﴿ والابل ﴾
ما أولناه من نعمة التكرمة والفضل فضلنا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل

ما ودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له ﴿ ٦٢١ ﴾ من العلوم والمعارف الحقّة (فهو في الآخرة) التي عبه.

يوم ندعو (أعني)
كذلك أي لا يهتدى إلى
ما ينجيه ولا يظفر بما
يجديه لأن العبي الأول
موجب الثاني وقد جوز
كون الثاني بمعنى التفضيل
على أن عمه في الآخرة
أشد من عمه في الدنيا
ولذلك قرأ أبو عمرو
الأول بالاول والثاني مفتحما
(وأصل سبيلا) أي من
الاعنى لزوال الاستعداد
الممكن وتعطل الآلات
بالكلية وهذا بعينه هو
الذي أوتي كتابه بشماله
بدلالة حال ماسبق من
الفرق المقابل له ولعل
العدول عن ذكره بذلك
العنوان مع أنه الذي
يستدعيه حسن المقابلة
حسبها هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق
لا يذنب بالعله الموجبة له
كافي قوله تعالى وأمان
كان من المكذبين الضالين
بعد قوله تعالى فأمان
كان من أصحاب اليمين
وللرمز الى علة حال
الفرق الأول وقد ذكر
في أحد الجانبين المسبب
وفي الآخر السبب ودل
بالمذكور في كل منهما

والابل وفي البحر على السفن وهذا أيضا من مؤكّدات التكريم المذكور وألانه تعالى
سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها ويغزو ويقا تل ويدب عن نفسه وكذلك
تسخر الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يختص به
ابن آدم كل ذلك مما يدل على أن الإنسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل
ما سواه فهو رعيته (النوع الثالث) من المدائح قوله ورزقناهم من الطيبات
وذلك لأن الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكلا القسمين انما يغتذى الإنسان منه بالطف
انواعها واشرف اقسامها بعد النقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما
لا يحصل الا للإنسان (النوع الرابع) قوله وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا وههنا
مبحثان (البحت الاول) انه قال في أول الآية ولقد كرّمنا بني آدم وقال في آخرها وفضلناهم
ولا بد من الفرق بين هذا التكريم والتفضيل والالزم التكرار والاقرب أن يقال انه تعالى
فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط
والصورة الحسنة والقامة المديدة ثم انه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم
لاكتساب العقائد الحقّة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل
(البحت الثاني) انه تعالى لم يقل وفضلناهم على الكل بل قال وفضلناهم على كثير من خلقنا
تفضيلا فهذا يدل على انه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون الإنسان مفضلا عليه
وكل من أثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة فلزم القول بأن الإنسان ليس أفضل من
الملائكة بل الملك أفضل من الإنسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختيار الزجاج
على ما رواه الواحدى في البسيط واعلم أن هذا الكلام مشتمل على بحثين (أحدهما) أن
الانبياء عليهم السلام أفضل أم الملائكة وقد سبق ذكر هذه المسئلة بالاستقصاء في سورة
البقرة في تفسير قوله تعالى واذقنا للملائكة اسجدوا لآدم (والبحث الثاني) أن عوام
الملائكة وعوام المؤمنين أيهما أفضل منهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة
واحتجوا عليه بما روى عن زيد بن اسلم انه قال قالت الملائكة ربنا انك أعطيت بني آدم
الدنيا بالكلون فيها ويتعمون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك في الآخرة فقال وعزى وجلالى
لا جعل ذرية من خلقت يدي كمن قلت له كن فكان وقال أبو هريرة رضى الله عنه المؤمن
أكرم على الله من الملائكة الذين عنده هكذا اوردّه الواحدى في البسيط وأما القائلون
بأن الملك أفضل من البشر على الاطلاق فقد عولوا على هذه الآية وهو في الحقيقة تمسك
بدليل الخطأ لأن تقرير الدليل أن يقال ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على أن الحال
في القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطأ والله أعلم * قوله تعالى (يوم ندعو كل اناس
بإمامهم فمن أوتى كتابه عيینه فأولئك يعرفون كتابهم ولا يظنون فتىلا ومن كان في هذه أعنى
فهو في الآخرة أعنى وأصل سبيلا) اعلم انه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا
ذكر احوال درجاته في الآخرة في هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرئ يدعو

على المتروك في الآخر تعالى على شهادة العقل كافي قوله عز وعلا وان يسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان ردك بخير فلا راد لفضله (وان كادوا ليفتنوك) نلت في تعقيب اذ قالوا للنبى صلى الله عليه

وسلم لا تدخل في امر الحق تعطيلنا خلاصا لا نقدر بها على العرب ٦٢٢ لا نعشر ولا نعشر ولا نجح في صلاتنا وكل ربنا

بالباء والتون ويدعى كل أناس على البناء للفعول وقرأ الحسن بدعو كل أناس قال
الفراء وأهل العربية لا يعرفون وجهها لهذه القراءة المنقولة عن الحسن ولعله قرأ يدعى
بفتحهم مخرجة بالضم فظن الراوي أنه قرأ يدعو (المسئلة الثانية) قوله يوم ندعونصب
بضمهم ما زاد كر ولا يجوز أن يقال العامل فيه قوله وفضلناهم لأنه فعل ماض ويمكن أن
يجاب عنه فيقال المراد وتفضلهم بما أعطاهم من الكرامة والثواب (المسئلة الثالثة)
قوله بامامهم الامام في اللغة كل من اتهم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبي امام أمته
والخليفة امام رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذي يقتدون به في الصلاة
وذكروا في تفسير الامام ههنا أقوالا (الاول) امامهم بينهم روى ذلك مرفوعا عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى انه ينادى يوم القيامة
يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء
فيأخذون كتبهم بامانهم ثم ينادى يا تابع فرعون يا تابع غمروا يا تابع فلان وفلان من
رؤساء الضلال وأكابر الكفر وعلى هذا القول فالباء في قوله بامامهم فيه وجهان
(الاول) أن يكون التقدير يدعو كل أناس بامامهم تبعوا وشيعته لا امامهم كما تقول ادعوك
باسمك (والثاني) ان يتعلق بمحذوف وذلك المحذوف في موضع الحال كأنه قيل يدعوك كل
اناس مختلطين بامامهم أى يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده (والقول الثاني)
وهو قول الضحاك وابن زيد بامامهم أى بكتابتهم الذي انزل عليهم وعلى هذا التقدير ينادى
في القيامة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل (والقول الثالث) قال الحسن
بكتابتهم الذي فيه اعمالهم وهو قول الريم وأبي العالية والدليل على ان هذا الكتاب
يسى اماما قوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب اماما
وتقدير الباء على هذا القول بمعنى مع أى ندعو كل أناس ومعهم كتبهم كقولك ادفعه اليه
برمته أى ومعهم رمته (القول الرابع) قال صاحب الكشف ومن يدع التفاسير ان الامام
جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بامانهم وان الحكمة في الدعاء بالاممات دون
الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح اولاد الزنا ثم قال
صاحب الكشف وليت شعري ايهما ابدع أحسن لفظه ام بيان حكمته (والقول
الخامس) اقول في اللفظ احتمال آخر وهوان انواع الاخلاق الفاضلة والفاسدة كثيرة
والمستولى على كل انسان نوع من تلك الاخلاق فمنهم من يكون الغالب عليه الغضب
ومنهم من يكون الغالب عليه شهوة النفود أو شهوة الضياع ومنهم من يكون الغالب
عليه الحقد والحسد وفي جانب الاخلاق الفاضلة منهم من يكون الغالب عليه الفقه
او الشجاعة او الكرم او طلب العلم والزهد اذا عرفت هذا فنقول الداعي الى الافعال
الظاهرة من تلك الاخلاق الباطنة فذاك الخلق الباطن كالامام له الملك المطاع
والرئيس المتبوع في يوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة

فهو لنا وكل ربنا علينا
فهو موضوع عنا وأن
تمننا باللات سنة
وأن نحرم وادينا وج
كما حرم مكة فاذا قالت
العرب لم فعلت فعل ان
الله امرني بذلك وقيل
في قریش حيث قالوا
اجعل لنا آية عذاب آية
رحمة وآية رحمة آية عذاب
أو قالوا لا نمنك منك من
استلام الحجر حتى تلم
بآئمتنا فان مخفقة من
المشدة وخمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف
واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية أى ان
الشأن قاربوا أن يفتنوك
أى يخذعوك فانثنين (عن
الذى أو حينئذ) من
أو امرنا أو ناهينا ووعدنا
ووعيدنا (لتفتري علينا
غيره) لتقول علينا
غير الذي أو حينئذ اليك
بما اقترحتة تقيف او قریش
حسبا نفعل (واذن
لا تخذوك خذلا) أى لو
اتبعت أهواءهم لكنت
لهم وليا ونخرجت من
ولايتي (ولو ان ثباتك)
على ما أنت عليه من الحق
بعصمتك (لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا)

من الركون الذي هو أدنى ميل أى لا تثبت ثباتك لقاربت أن تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير من
أقوة دعاهم وشأنه احية اليهم لكن أدركك العفة فماتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون اليهم فضلا

عن نفس الركون وهذا صريح في أنه ﴿ ٦٢٣ ﴾ عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل

على أن العصمة بتوفيق
الله تعالى وعنايته (إذا)
لو قاربت أن تركن
اليهم ادنى ركنة
(لاذفك ضعف الحياة
وضعف الممات) أى
عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة ضعف ما يعذب
به في الدارين مثل هذا
الفعل غيرك لأن خطأ
الخطير خطير و كان
أصل الكلام عذابا ضعفا
في الحياة وعذابا ضعفا
في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف
وأقيمت العصفة مقامه ثم
أضيفت إضافة
موصوفة وأقبل الضعف
من أسماء العذاب وقيل
المراد بضعف الحياة
عذاب الآخرة وبضعف
الممات عذاب القبر (ثم
لا تجد ذلك عليا نصيرا)
يدفع عنك العذاب
(وان كادوا) الكلام
فيه كما في الاول أى كاد
أهل مكة (ليستفزونك)
أى ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم (من الارض)
أى الارض التى أنت
فيها وهى أرض مكة
(ليخرجوك منها وإذا

من تلك الاخلاق فهذا هو المراد من قوله يوم ندعو كل اناس بأمامهم فهذا الاحتمال خطر
بالبال والله أعلم بمراده ثم قال تعالى فمن أوتى كتابه بينه فأولئك يقرءون كتابهم
ولا يظلمون فتيلا قال صاحب الكشاف انما قال أولئك لأن من أوتى في معنى الجمع
والقتيل القشرة التى في شق النواة وسمى بهذا الاسم لأنه إذا أراد الانسان استخراجه
انقل وهذا يضرب مثلا لشيء الحقير النافذ ومثله القطير والنفير في ضرب المثل به والمعنى
لا يتقصون من الثواب بمقدار قتل ونظيره قوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضمًا
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال القتل هو الوسخ الذى يظهر بقتل الانسان بهامه
بسببته وهو فعل من القتل بمعنى مغول فان قيل لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع
ان أصحاب الشمال يقرءونه أيضا قلنا الفرق ان أصحاب الشمال اذا اطالعوا كتابهم وجدوه
مشتلا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والمخازى الشديدة فيستولى الخوف
والدهشة على قلوبهم وينقل لسانهم فيعجزوا عن القراءة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على
عكس ذلك لاجرم انهم يقرءون كتابهم على أحسن الوجوه واثبتها ثم لا يكتفون بقراءتهم
وحدهم بل يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابه فظهر الفرق والله اعلم ثم قال
تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سيلا وفيه مستلطان (الاولى)
قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ونصر عن الكسائي ومن كان في هذه أعمى بالامالة
والكسر فهو في الآخرة أعمى بالفتح وقرأ بالفتح والتفخيم فيهما ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم وقرأ آخرة والكسائي وأبو بكر عن عاصم في رواية بالامالة فيهما قال
أبو علي الفارسي الوجه في تصحيح قراءة أبي عمرو أن المراد بالأعمى في الكلمة الاولى كونه في
نفسه أعمى وبهذا التقدير تكون هذه الكلمة تامة فتقبل الامالة واما في الكلمة الثانية
فالمراد من الأعمى افعال التفضيل فكانت بمعنى افعال من وبهذا التقدير لا تكون لفظة
أعمى تامة فلم تقبل الامالة والحاصل ان ادخال الامالة في الاولى دل على انه ليس المراد
أفعال التفضيل وتركها في الثانية يدل على المراد منها افعال التفضيل والله اعلم (المسئلة
الثانية) لاشك انه ليس المراد من قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
عمى البصر بل المراد منه عمى القلب أما قوله فهو في الآخرة أعمى ففيه قولان (الاول) ان
المراد منه ايضا عمى القلب وعلى هذا التقدير ففيه وجوه (الاول) قال عكرمة جائف من
أهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرأ ما قبلها فقرأ ربكم الذى
يرضى لكم الفلك في البحر الى قوله تفضيلا قال ابن عباس من كان أعمى في هذه النعم التى
قدرأى وعان فهو في امر الآخرة التى لم ير ولم يعان أعمى واضل سبيلا وعلى هذا الوجه
فقوله في هذه اشارة الى النعم المذكورة في الآيات المتقدمة (وثانيها) روى أبو روق عن
الضحاک عن ابن عباس قال من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي في خلق السموات
والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن أمر الآخرة أعمى واضل سبيلا

لا يلبثون) بالرفع عطفًا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب بأعمال اذن على أن الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك
(خلافا) أى بعدك قال * خلت الديار خلافتهم فكأنما * بسط الشواطط بينهن حصيرا * أى واخرجت لايقون بعد

خروجك وقرى خلفك (الاقبلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك ﴿ ٦٢٤ ﴾ فانهم اهلكوا بدير بعد هجرته عليه

الصلاة والسلام وقيل
نزلت الآية في اليهود
حيث حسدوا مقام
النبي عليه الصلاة
والسلام بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء
عليهم السلام فان كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن
بك فوقع ذلك في قلبه
عليه الصلاة والسلام
فخرج مرحلة فنزلت
فرجع ثم قتل منهم بنو
قرظة وأجلى بنو
الضبير بقليل (سنة
من قد أرسلنا قبلك
من رسلنا) نصب على
المصدر بدأى سن الله
تعالى سنه وهي أن يهلك
كل أمة أخرجت رسولهم
من بين أظهرهم فالسنة
لله تعالى واصنافها
الى الرسل لانها سنت
لأجلهم على ما ينطبق به
قوله عز وجل (ولا تجد
نبيئا يخويل) أى تغييرا
(أقم الصلاة لدلوك
الشمس) لزوالها كإنبئ
عنه قوله عليه الصلاة
والسلام أنا نبي جبريل
عليه السلام لدلوك
الشمس حين زالت فصلى
بي الظهر واشتقاقه

وابعد عن تحصيل العلم به وعلى هذا الوجه فقوله من كان في هذه اشارة الى الدنيا وعلى
هذين القولين فالمراد من كان في الدنيا اعنى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبان
يكون في الآخرة اعنى القلب عن معرفة احوال الآخرة اولى فالعنى في المرتين حصل
في الدنيا (وثالثها) قال الحسن من كان في الدنيا ضاللا كافرا فهو في الآخرة اعنى وأضل
سبب لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته وفي الدنيا يهتدى الى التخلص
عن أبواب الافات وفي الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة (ورابعها) انه لا يمكن حل العنى
الثاني على الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة فكان المراد منه العنى
عن طريق الجنة أى ومن كان في هذه الدنيا اعنى عن معرفة الله فهو في الآخرة اعنى عن
طريق الجنة (وخامسها) ان الذين حصل لهم عنى القلب في الدنيا انما حصلت هذه الحالة
لهم اشد حرسهم على تحصيل الدنيا وابتهاجهم بلذاتها وطبائنها فهذه الرغبة تزداد
في الآخرة وتعظم هناك حسرتهم على فوات الدنيا وليس معهم شئ من أنوار معرفة الله
تعالى فيبقون في ظلمة شديدة وحسرة عظيمة فذلك هو المراد من العنى (القول الثاني)
ان يحمل العنى الثاني على عنى العين والبصر فمن كان في هذه الدنيا اعنى القلب حشر
يوم القيامة اعنى العين والبصر كقال ونحشره يوم القيامة اعنى قال رب لم تحشرتنى اعنى
وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فتسببها وكذلك اليوم تنسى وقال ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عيا وبكيا وصما وهذا العنى زيادة في عقوبتهم والله أعلم
﴿ قوله تعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا
لاخذوك خيلوا ولو ان لبنتك قد دكت لتركناهم شينا قبيلا اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات ثم لا تجدك علينا نصيرا) اعلم انه تعالى لما عده في الآيات المقدمة
اقسام نعمه على خلقه واتبعاها بذكر درجات الخلق في الآخرة وشرح احوال السعداء
اردفه بما يجرى مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس أرباب الضلال
والانخداع بكلامهم المشتمل على المكر والتلبس فقال وان كادوا ليفتنونك عن الذى
أوحينا اليك وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال ابن عباس في رواية عطية نزات هذه
الآية في وقد نيف أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا متنا باللات
سنة وحرم وادينا كما حرم مكة شجرها وطيرها ووحشها فابى ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يجبههم فكرر واذلك الالتماس وقالوا اننا نحب ان نعرف العرب فضلنا عليهم
فان كرهت مانقول وخشيت ان تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك
فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ودخلهم الطمع فصاح عليهم عرو وقال ما
ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهية لما نذكرونه فانزل الله
هذه الآية وروى صاحب الكشاف أنهم جاؤا بكاتبهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله الى ثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت

من ذلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل انمرو بهما من دلكت الشمس أى غربت وقيل أصل الدلوك الليل (رسول)
منظم كلا المعنيين واللام للتأقبت مثلها في قولك للثلاث خلون (الى غسق الليل) الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة
العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه

رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجيبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه وقال اسعرت قلب نبينا بامعشر قر يش أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا السنن اكلمكم انما نكلم محمدا فزات هذه الآية واعلم ان هذه القصة انما وقعت بالمدينة فلهذا السبب قالوا ان هذه الآيات مدينة وروى ان قر يشا قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك فزالت هذه الآية وقال الحسن الكفار أخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم آلهتنا وشتمها فلو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر أحق منك فوقع في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكف عن شتم آلهتهم وعلى هذا التقدير فهذه الآية مكية وعن سعيد بن جبرانه عليه السلام كان يستلم الحجر فتنه قر يش ويقولون لاندعك حتى تستلم بالآلهتنا فوقع في نفسه ان يفعل ذلك مع كراهية فنزلت هذه الآية (المسئلة الثالثة) قال الزجاج معنى الكلام كادوا يفتنونك ودخلت ان واللام للتأكيد وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا أن يفتنوك أي يخذعوك فأتين أصل الغنة الاختبار يقال فتن الصانع الذهب اذا أدخله النار وأذابه ليميز جيده من رديئه ثم استعملوه في كل من ازال الشيء عن حده وجهته فقالوا فتنه فقلوه وان كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا اليك أي يزيلونك ويصرفونك عن الذي أوحينا اليك يعني القرآن والمعنى عن حكمه وذلك لان في اعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن وقوله لتفتري علينا غيره أي غير ما أوحينا اليك وهو قولهم قل الله أمرني بذلك واذا لا تخذوك خيلا أي لو فعلت ما أرادوا لا تخذوك خيلا وأظهروا للناس انك موافق لهم على كفرهم وراض بشرهم ثم قال ولولا أن ثبتناك أي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن اليهم أي تميل اليهم شيئا قليلا وقوله شيئا عبارة عن المصدر أي ركونا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكنت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تكن لي الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد التوعده فقال اذا لاذ فتنك ضعف الحياة وضعف الممات أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن أن يضم الى الشيء مثله فان الرجل اذا قال لو كيله أعط فلانا شيئا فأعطاه درهمه فقال أضعفه كان المعنى ضم الى ذلك الدرهم مثله اذا عرفت هذا فقول انما حسن اضممار العذاب في قوله ضعف الحياة وضعف الممات لما تقدم في القرآن من وصف العذاب بالضعف في قوله بنامن قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وحاصل الكلام أنك لو ملكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على أن تكون اليه همتك لاستحققت بذلك تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة وإصا عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف

موكولة الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في أوقات الصلوات من غير فصل بينها لما أن الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لبدئه ومتهاه واستدله به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) أي صلاة الفجر نصب عطفا على مفعول أمم وعلى الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالفراءة في صلاة الفجر لبدل الامر بما فاعلمه

وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلاة الفجر (ان قرآن الفجر) (٦٢٦) أظهر في مقام الاضمار الباتلة ليدل على

(كان مشهودا) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانباء بالنوم الذي هو أخو الموت أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجمل الغفير فلا يفتى على تفسير الدولك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصب على الاغراء أي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المفعول به حرفا ولا يجدي نقعا كون مضاهاتها لبعض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر أي ثم بعض الليل (فتهجد به) أي أزل وألق الهجود أي النوم فان صيغة الفعل تجبى للازالة كالتخرج والتخت والتأثم ونظائرهما والضبر المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر أو

هذا العذاب ان أقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحققة عليها أكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فإن قيل قال عليه السلام من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فوجب هذا الحديث انه عليه السلام اورضى بما قالوه لكان وزره مثل وزر كل أحد من أولئك الكفار وعلى هذا التقدير يكون عقابه زائدا على الضعف قلنا اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه الا بالبناء على دليل الخطاب وهو جهة ضعيفة ثم قال تعالى ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني اذا أذفناك العذاب المضاعف لم تجد أحدا يخلصك من عذابنا وعقابنا والله أعلم (المسئلة الثالثة) احتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه (الاول) ان الآية دللت على انه عليه السلام قرب من أن يفترى على الله والفرقة على الله من أعظم الذنوب (والثاني) انها تدل على انه لولا ان الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن الى دينهم ويميل الى مذهبهم (والثالث) انه لولا سبق جرم وجناية والافلاحة الى ذكر هذا الوعيد الشديد والجواب عن الاول ان كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية انه قرب وقوعه في الفتنة وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة فاننا اذا قلنا كاد الامير ان يضرب فلانا لا يفهم منه انه ضربه والجواب عن الثاني ان كلمة لولا لا تفيد انتفاء الشيء الثبوت غيره تقول لولا على لهلك عمر معناه ان وجوده على منع من حصول الهلاك لعمر فكذلك ههنا قوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم معناه انه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت ما زعمنا من حصول ذلك الركون والجواب عن الثالث ان ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله ولتقول علينا بعض الاقوال لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنها قوله لئن أشركت ليحبطن عملك ومنها قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين والله أعلم (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على صحة قولهم بانه لا عصمة عن المعاصي الا بتوفيق الله تعالى بقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قالوا انه تعالى بين انه لولا تثبيت الله تعالى له لمال الى طريقة الكفار ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أقوى من غيره في قوة الدين وصفاء اليقين فلما بين الله تعالى ان بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لم يحصل الا باعانة الله تعالى واغاثنه كان حصول هذا المعنى في حق غيره أولى قالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت اللطاف الصارفة له عن ذلك وهي ما خطر بباله من ذكر وعده ووعيده ومن ذكر ان كونه نبيا من عند الله تعالى يمنع من ذلك والجواب لا شك ان هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله تعالى الرسول من الوقوع في ذلك العمل المحذور فتقول لولم يوجد مقتضى الاقدام على ذلك العمل المحذور في حق الرسول لما كان الى ايجاد هذا المانع حاجة وحيث وقعت الحاجة

بمعنى ذلك البعض على أن الباء بمعنى ﴿ ٦٢٧ ﴾ في وقيل منصوب تهجداً أى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة

وياى فارهبون
(نافله لك) فريضة
زائدة على الصلوات
الخمس المفروضة
خاصة بك دون الامة
ولعله هو الوجه في تأخير
ذكرها عن ذكر صلاة
الفرج مع تقدم وقتها
على وقتها أو تطوعاً
لكن لا لكونها زيادة
على الفرائض بل
لكونها زيادة له صلى الله
عليه وسلم في الدرجات
على ما قال مجاهد والسدى
فانه عليه السلام مغفوره
ما تقدم من ذنبه وما
تأخر فيكون تطوعه
زيادة في درجاته بخلاف
من عداه من الامة فان
تطوعهم لتكفير ذنوبهم
وتدارك الخلل الواقع
في فرائضهم واتصاها
اما على المصدرية
بتقدير تنقل أو يجعل
تهجد بمعنى أو يجعل
نافله بمعنى تهجد فان
ذلك عبادة زائدة واما
على الحالية من الضمير
الراجع الى القرآن أى
حال كونها صلاة نافله
واما على المفعولية
لتهجد اذا جعل بمعنى

الى تحصيل هذا المانع علماً ان المقضى قد حصل في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وان
هذا المانع الذى قوله الله تعالى منع ذلك المقضى من العمل وهذا لا يتم الا اذا قلنا ان
القدرة مع الداعى توجب الفعل فاذا حصلت داعية أخرى معارضة للداعية الاولى اختل
المؤثر فامنع الفعل ونحن لا نريد الاثبات هذا المعنى والله أعلم (المسئلة الخامسة) قال
القول رحمه الله قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة ويمكن أيضاً
ما ويلها من غير تعيين بسبب يضاف نزولها فيه لان من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون
فى ابطال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون
ان عبدت آلهتنا عبدنا الهك فأنزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون
وقوله ودوا لولدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليعترك
بهاء النبوة فأنزل الله تعالى قوله ولا تمدن عينك ودعوه الى طرد المؤمنين عن نفسه
فأنزل الله تعالى قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم فيحوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا
الباب وذلك انهم قصدوا أن يفتنوه عن دينه وأن يزيلوه عن محبته فيبين تعالى انه يشبه
على الدين القويم والمنهج المستقيم وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الآيات
الى شئ من تلك الروايات والله أعلم * قوله تعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض
ليخرجوك منها واذ اليبسئون خلقك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد
لستنا نحو يلا) في هذه الآية قولان (الاول) قال قتادة هم أهل مكة هموا باخراج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة ولو فعلوا ذلك ما أهلوا ولكن الله منهم من اخرجه حتى أمره
الله بالخروج ثم انه قل لبشهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله
عليهم القتل يوم بدر وهذا قول مجاهد (والقول الثانى) قال ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا أبا القاسم
ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام
آمنابك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الاخوف الروم فان كنت رسول الله
فالله ما منعك منهم ففسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة فيل بنى
الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراء الناس عازماً على الخروج الى الشام لحرصه على
دخول الناس في دين الله فزالت هذه الآية فرجع فالقول الاول اختيار الزجاج وهو
الوجه لان السورة مكية فان صح القول الثانى كانت الآية مدنية والارض في قوله
يستفزونك من الارض على القول الاول مكة وعلى القول الثانى المدينة وكثر في التنزيل
ذكر الارض والمراد منها مكان مخصوص كقوله أو ينفوا من الارض يعنى من مواضعهم
وقوله فلن أبرح الارض يعنى الارض التى كان قصدها لطلب الميرة فان قيل قال الله تعالى
كأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك معنى مكة والمراد أهلها فاذا كراهم
أخرجوه وقال في هذه الآية وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها فكيف

صل وجعل الضمير المجرور للبعض أى فصل في ذلك البعض نافله لك (عسى ان يعفرك بك) الذى

يبلغك الى كالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما نبئت ﴿ ٦٢٨ ﴾ من النوم الذي هو الموت الاله

الجمع بينهما على قول من قال الارض في هذه الآية مكة قلنا انهم هموا باخراجهم وهو عليه السلام ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بأمر الله تعالى فزال الشافق ثم قال تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأنا فوع ابن كشي وأبو عمر وعن عاصم خلفك بفتح الخاء وسكون اللام والباقون خلافك زعم الاخفش ان خلافك في معنى خلفك وروى ذلك يونس عن عيسى وهذا كقوله بمقدمهم خلاف رسول الله وقال الشاعر

عفت الديار خلا فهم فكأنما * بسط الشواطب بينهم حصيرا
قال صاحب الكشف قري لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قيل ما وجه القراءة قلنا ما السابقة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مر فوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي قوله اذا لا يلبثون عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفرونك ثم قال تعالى سنة من قد أرسلك قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم أخرجوا نبيهم من ظهر انبيهم فسنه الله أن يهلكهم فقوله سنة نصب على المصدر المؤكد أي سننا ذلك سنة فحين قد أرسلنا قبلك ثم قال ولا تجد لسننا تحويلا والمعنى ان ما أجرى الله تعالى به العادة لم يتهيا لاحد أن يقلب تلك العادة وتنام الكلام في هذا الباب ان اختصاص كل حادث بوقته المعين وصفته المعينة ليس أمر اثابتا له لذاته والازم أن يدوم أبدا على تلك الحالة وأن لا يتغير الشيء عما يثاله في تلك الصفات بل انما يحصل ذلك الاختصاص بتخصيص المخصص وذلك التخصيص هو انه تعالى يريد تحصيله في ذلك الوقت ثم تتعلق قدرته بتحصيله في ذلك الوقت ثم يتعلق علمه بحصوله في ذلك الوقت ثم نقول هذه الصفات الثلاثة التي هي المؤثرة في حصول ذلك الاختصاص ان كانت حادثة افقر حدوثها الى تخصيص آخر ولم التسلسل وهو محال وان كانت قديمة فاقدم بمتع تغيره لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه ولما كان التغير على تلك الصفات المؤثرة في ذلك الاختصاص متمعا كان التغير في تلك الاشياء المقدرة متمعا فثبت بهذا البرهان صحة قوله تعالى ولا تجد لسننا تحويلا * قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتسجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وقيل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقيل جاء الحق ورهق الباطل ان الباطل كان زهوقا في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما قرر أمر الاهليات والمعاد والنبوات أردفها بذكر الامر بالطاعات وأشرف الطاعات بعد الايمان الصلاة فلهذا السبب أمر بها (الثاني) انه تعالى لما قال وان كادوا ليستفرونك من الارض أمره تعالى بالاقبال على عبادته لكي ينصره عليهم فكأنه قيل له لا تلبث بسعيهم في اخراجك من بلدك ولا تلتفت اليهم واشغل بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات فانه تعالى يدفع مكرهم ولا منجا

بالصلاة والعبادة (مقاما)
نصب على الظرفية
على اضمار فيفيمك أو تضيي
البعث معنى الإقامة اذ لا بد
من أن يكون العامل في مثل
هذا الظرف فعلا فيه معنى
الاستقرار ويجوز أن يكون
حالا بتقدير مضاق
أي بعثك ذا مقام (محمودا)
عندك وعند جسيم الناس
وفيه تهوين لمشقة قيام
الليل وروى أبوهريرة
رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
المقام المحمود هو المقام
الذي أشقم فيه لامتى
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما مقاما محمودك فيه
الاولون والآخرين
وتشرف فيه على جميع
الخلائق تعالى فتعطي
وتشفع فتشفع ليس أحدا لا
تحت لو أنك وعن حذيفة
رضي الله عنه يجمع الناس
في سعيد واحد فلا تكلم
فيه نفس فأول مدعو محمد
صلى الله عليه وسلم فيقول
ليبك وسعديك والشر
ليس اليك والمهدى
من هديت وعبدك بين
يديك وبك واليك لا ملجا
ولا منجا

إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب (﴿ ٦٢٩ ﴾ البيت (وقل رب أدخلني) أي القبر (مدخل صدق)

أي ادخالاً مرضياً (وأخرجني) أي منه عند البعث (مخرج صدق) أي إخراجاً مرضياً ملقياً بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالأقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود ليكون الإدخال هو المقصد وقيل إدخاله عليه السلام مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه وقيل إدخاله في كل ما يلاسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخلاً وأخرجني فأخرج خروجاً كقوله * وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا سمحت أو مجلف * أي لم تدع فلم يبق (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) لئلا تصرنني على من يخالفني أو ملكاً وعزاً

وأشهرهم عنك و يجعل يدك فوق أيديهم ودينك غالباً على أديانهم وتظهر قوله في سورة طه ما صبر على ما يقولون وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل ففسح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال ولقد نعم أنك يضيق صدرك بما يقولون ففسح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (والوجه الثالث) في تقرير النظم أن اليهود لما قالوا له اذهب إلى الشام فإنه مسكن الأنبياء عزم صلى الله عليه وسلم على الذهاب إليه فكأنه قيل له العبود واحد في كل البلاد وما النصر والعلوة إلا بتأييده ونصرته فداوم على الصلوات وارجع إلى مفرك ومسكنك وإذا دخلته ورجعت إليه فقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي في هذا البلد سلطاناً نصيراً في تقرير دينك وإظهار شرعك والله أعلم (المسئلة الثانية) اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنى دلوك الشمس على قولين (أحدهما) أن دلوكها غروبها وهذا القول مروي عن جماعة من الصحابة فنقل الواحدى في البسيط عن علي رضي الله عنه أنه قال دلوك الشمس غروبها وروى زر بن حبیش أن عبد الله بن مسعود قال دلوك الشمس غروبها وروى سعيد بن جبير هذا القول عن ابن عباس وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة من المتأخرين (والقول الثاني) أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهذا القول على صحته بوجوه (الجهة الأولى) روى الواحدى في البسيط عن جابر أنه قال طعم عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين دلت الشمس (الجهة الثانية) روى صاحب الكشف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أناني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر (الجهة الثالثة) قال أهل اللغة معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها إذا قلت دالكة لأنها في الحالتين زائلة هكذا قاله الأزهري وقال القفال أصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب إذا عرفت أنها تغرب لوجب أن يكون المراد من الدلوك ههنا الزوال عن كبد السماء وذلك لأنه تعالى عن صلاة الصلاة بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال فوجب أن يقال أنه أول ما حصل الميل والزوال تعلق به هذا الحكم فلما حصل هذا المعنى حال ميلها من كبد السماء وجب أن يتعلق به وجوب الصلاة وذلك يدل على أن المراد من الدلوك في هذه الآية ميلها عن كبد السماء وهذه جهة قوية في هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه أهل اللغة أن الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله أعلم (الجهة الرابعة) قال الأزهري الأولى حمل الدلوك على الزوال في نصف النهار والمعنى أقم الصلاة أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل وعلى هذا التقدير فدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فإذا حملنا الدلوك على الزوال

لذلك سلطاناً نصيراً) جهة تصرنني على من يخالفني أو ملكاً وعزاً

الان حرب لله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله
ليستخلفنهم في الارض
(وقل جاء الحق) أي
الاسلام والوحى الثابت
الراسخ (وزهى الباطل)
أي ذهب وهلك الشرك
والكفر وتسويلات
الشیطان من زهى
روحه اذا خرج (ان
الباطل) كأنما كان
(كان زهوفا) أي شأنه
أن يكون مضجعا لا غير
ثابت وهو عدة كريمة
باجابة الدعاء بالسلطان
النصير الذى لقنه عن
ابن مسعود رضى الله عنه
انه عليه السلام دخل
مكة يوم الفتح وحول
البیت ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخضرة
كانت بيده في عين واحد
واحد ويقول جاء الحق
وزهى الباطل فينكب
لوجهه حتى أتى جميعها
وبقى صنم خراعة فوق
الكعبة وكان من صفر
فيقال يا على ارم به فمصد
فرمى به فكسره (ونزل
من القرآن) وقرئ
نزل من الانزال (ماهو

دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية وان جلتاه على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث
صلوات وهى المغرب والعشاء والفجر وحل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة وأولى
فوجب أن يكون المراد من الدلوك الزوال واحتج الفراء على قوله الدلوك هو الغروب
بقول الشاعر

هذا مقام قدمى رباح * وقفت حتى دلكت براح

و. رباح اسم الشمس أى حتى غابت واحتج ابن قتيبة بقول ذى الرمة

مصاييح ليست باللوأتى يقودها * نجوم ولا افلاكهن الدوا لك

واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لان عندنا الدلوك عبارة عن الميل والغبر وهذا المعنى
حاصل في الغروب فكان الغروب نوعا من أنواع الدلوك فكان وقوع لفظ الدلوك على
الغروب لا ينافى وقوعه على الزوال كما ان وقوع لفظ الحيوان على الانسان لا ينافى وقوعه
على الفرس ومنهم من احتج أيضا على صحة هذا القول بأن الدلوك اشتقاق من الدلك لان
الانسان بدلك عينيه عند النظر اليها وهذا انما يصح في الوقت الذى يمكن النظر اليها
ومعلوم انها عند كونها في وسط السماء لا يمكن النظر اليها أما عند قربها من الغروب يمكن
النظر اليها عندما ينظر الانسان اليها في ذلك الوقت بدلك عينيه فثبت ان لفظ الدلوك
مخصص بالغروب والجواب ان الحاجة الى ذلك التبيين عند كونها في وسط السماء انما فهذا
الذى ذكرته بأن يدل على ان الدلوك عبارة عن الزوال من وسط السماء أولى والله أعلم
(المسئلة الثالثة) قال الواحدى اللام في قوله لدلوك الشمس لام الاجل والسبب وذلك
لان الصلاة انما تجب بزوال الشمس فيجب على المصلى اقامتها لاجل دلوك الشمس (المسئلة
الرابعة) قوله الى غسق الليل غسق الليل سواده وظلمته قال الكسائى غسق الليل غسوقا
والغسق الاسم بفتح السين وقال الضرير بن شبيل غسق الليل دخول أوله وأنيته حين غسق
الليل أى حين يختلط ويسد المناظر وأصل هذا الحرف من السيلان يقال غسقت العين
تغسق وهو هملان العين بالهاء والغاسق السائل ومن هذا يقال لما يسيل من أهل النار
الغاسق فغنى غسق الليل أى انصب بظلامه وذلك ان الظلمة كأنها تنصب على العالم وأما
قول المفسر بن قال ابن جريج قلت لعطاء ما غسق الليل قال أوله حين يدخل وسأل نافع بن
الازرق ابن عباس ما الغسق قال دخول الليل بظلمته وقال الازهرى غسق الليل عند
غيبوبة الشفق عند تراكم الظلمة واشتدادها يقال غسقت العين اذا امتلأت دموعا
وغسقت الجراحة اذا امتلأت دما قال لانا لو جلتا الغسق على هذا المعنى دخلت
الصلوات الأربع فيه وهى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ولو جلتا الغسق على ظهور
أول الظلمة لم يدخل فيه الا الظهر والعصر والمغرب فوجب أن يكون الاول أولى واعلم انه
يتفرع على هذين القولين بحث شريف فان فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق
عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات وقت

لما في الصدور من أدواء الرب ٦٣١ واسقام الأوهام (ورحة المؤمنين) به العالين بما في تضاعفه

أي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن يائسة قدمت على الميين اعتناء فان كل القرآن كذلك وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاؤه الله أو ببعضه لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى اننا نزل منه في كل نوبة ما نستدعي الحكمة نزوله حينئذ يقع ذلك بمن نزل عليهم بسبب موافقته لا حوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لا بأنه من المرضى المحتاجين إليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه منصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التعويض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه (ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أي لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه

الزوال وقت أول المغرب و وقت الفجر وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتا للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول المغرب وقتا للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا أيضا بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا لأنه دل الدليل على ان الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب أن يكون الجمع جائزا بعذر السفر وعذر المطر وغيره ما ان فسرنا النسق بالظلمة المتراكمة فنقول الظلمة المتراكمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الأبيض وكلمة الى لانتها الغاية والحكم المهدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية فوجب جواز اقامة الصلوات كلها قبل غيبوبة الشفق الأبيض وهذا انما يصح اذا قلنا انها تجب عند غيبوبة الشفق الاحمر والله أعلم (المسئلة الخامسة) قوله وقرآن الفجر أجمعوا على ان المراد منه صلاة الصبح وانتصابه بالعطف على الصلاة في قوله أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وفيه فوائد (الاولى) ان هذه الآية تدل على ان الصلاة لا تتم الا بالقراءة (الفائدة الثانية) انه تعالى أضاف القرآن الى الفجر والتقدير أقم قرآن الفجر فوجب أن تتعلق القراءة بحصول الفجر وفي أول طلوع الصبح قد حصل الفجر لان الفجر سمي فجر الانفجار ظلمة الليل عن نور الصباح وظاهر الامر للوجوب يقتضي هذا اللفظ وجوب اقامة صلاة الفجر من أول طلوعه الا اننا أجبنا على ان هذا الوجوب غير ماض فوجب ان يبقى التدب لان الوجوب عبارة عن رجحان مانع من الترك فاذا منع من تحقق الوجوب وجب أن يرتفع المنع من الترك وان يبقى أصل الرجحان حتى تنقل هذه الدليل فثبت أن هذه الآية تقتضي ان اقامة الفجر في أول الوقت أفضل وهذا يدل على صحة مذهب الشافعي في ان التغليس أفضل من التنوير والله أعلم (الفائدة الثالثة) ان الفقهاء يبنوا ان السنة أن تكون القراءة في هذه الصلاة أطول من القراءة في سائر الصلوات فالقصد من قوله وقرآن الفجر الحث على ان تطويل القراءة في هذه الصلاة مطلوب لان التخصيص بالذكر يدل على كونه أكثر من غيره (الفائدة الرابعة) انه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا قال الجمهور معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الصبح خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة العداة وقبل ان تخرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل فحسنت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب اننا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أين عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم وأقول هذا أيضا دليل قوي في ان التغليس أفضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار فهذا الطريق يتحضر في هذه الصلاة ملائكة الليل وملائكة النهار اما اذا ابتدأ بهذه

لكذابين الواضحين للاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء ﴿ ١٣٢ ﴾ من الاسقام الاخسارا أي هلاك

يكفرهم وتكذب بهم
لانقصا كما قيل فان
ما بهم من ذاء الكفر
والضلال حقيق بان
يعبر عنه بالهلاك
لا با نقصان النبي
عن حصول بعض
مبادئ الاسقام فيهم
وزيادتهم في مراتب
الهلاك من حيث انهم
كما جسدوا الكفر
والتكذيب بالآيات
النازلة تدريجا زادا
بذلك هلاكا وفي اعيان
الى أن مابلو منين
من الشبه والشكوك
المعتربة لهم في انشاء
الاهتداء والاسترشاد
بمنزلة الامراض وما
بالكفرة من الجهل
و العناد بمنزلة الموت
والهلاك واسناد
الزيادة المذكورة
الى القرآن مع انهم هم
المرادون في ذلك
بسوء صنعم باعتبار
كونه سببا لذلك وفيه
تعجب من أمره حيث
يكون مدارا للشفاء
والهلاك (واذا أنعمنا
على الانسان) بالصحة
والنعمه (أعرض)

الصلاة في وقت التنوير فهناك ما بقيت الظلمة فلم يبق في ذلك الوقت أحد من ملائكة
الليل فلا يحصل المعنى المذكور فثبت ان قوله تعالى انه كان مشهودا دليل قوي على ان
التغليس أفضل وعندى في تفسير قوله تعالى انه كان مشهودا احتمال آخر وذلك لانه كما
كانت الحوادث الحادثة أعظم وأكل كان الاستدلال بها على كمال قدرة الله تعالى
أكل فالانسان اذا شرع في أداء صلاة الصبح من أول هذا الوقت كانت الظلمة القوية
باقية في العالم فاذا امتلت القراءة في أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء
والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود وعلى هذا التقدير فالانسان
لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ثم انه مع ذلك
يشاهد في أثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضوء ومن الموت الى الحيا
ومن السكون الى الحركة ومن العدم الى الوجود وهذه الحالة عجيبة تشهد الله
والارواح بأنه لا يقدر على هذا التقلب والتحويل والتبديل الا الخالق المدبر بالحق
البالغة والقوة الغير المتناهية وحيث يستنير العقل بنور هذه المعرفة وينفتح على الهيا
والروح أبواب المكاشفات الروحانية الالهية فتصير الصلاة التي هي عبارة عن أعين
الجوارح مشهودا عليها بهذه المكاشفات الالهية المقدسة ولذلك فكل من له ذوق سليم
وطبع مستقيم اذا قام من منامه وأدى صلاة الصبح في أول الوقت واعتبر اختلاف
أحوال العالم من الظلمة الحاصلة الى النور ومن السكون الى الحركة فانه يجد في قلبه روحا
وراحة ومن يدا في نور المعرفة وقوة اليقين فهذه هو المراد من قوله ان قرآن الفجر كان
مشهودا وظهر ان هذا الاعتبار لا يحصل الا عند أداء صلاة الفجر على سبيل التغليس فهذه
ما خطر بالبال والله أعلم بمراده وفي الآية احتمال ثالث وهو أن يكون المراد من قوله ان
قرآن الفجر كان مشهودا الترغيب في أن تؤدى هذه الصلاة بالجماعة ويكون المعنى كونه
مشهودا بالجماعة الكثيرة ومن يرد التحقيق فيه أنا بينا ان تأثير هذه الصلاة في نصفية
القلب وفي تنويره أكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المسلمين في المسجد
لأداء هذه العبادة استثار قلب كل واحد منهم ثم بسبب ذلك الاجتماع كأنه ينعكس نور
معرفة الله تعالى ونور طاعته في ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب الآخر فتصير
أرواحهم كالرايا المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها أنوار الشمس فانه ينعكس النور من
كل واحدة من تلك الرايا الى الاخرى فتدنا في هذه الصورة ولهذا السبب فان كل من له
ذوق سليم وأدى هذه الصلاة في هذا الوقت بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونور وراحا
(القائدة الخامسة) قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يحتمل أن يكون السبب
في كونه مشهودا هو ان الانسان لما نام طول الليل فصار كأنه غافل في هذه المدة عن مراقبته
أحوال الدنيا فرأى صورة الحوادث الجسمانية عن لوح خياله وفكره وعقله وصارت هذه
الالواح كاللوح سطرت فيها نقوش فاسدة ثم غسلت وأزيلت تلك النقوش عنها ففي أول

(ونأى) تباعد عن طاعتنا
(بجانبه) النأى بالجانب
أن يلوى عن الشيء عطفه
ويؤليه عرض وجهه
فهو تأكيد للاعراض
أو عبارة عن الاستبكار
لأنه من ديدن المستكبرين
(وإدامته الشر) من
فقر أو مرض أو نازلة
من التوازل وفي اسناد
المسلس الى الشر بعد
اسناد الانعام الى ضمير
الجلالة ايذان بان الخير
مراد بالذات والشر
ليس كذلك (كان يؤسا)
شديد اليأس من روحنا
وهذا وصف للجنس
باعتبار بعض أفراد
من هو على هذه الصفة
ولانافيته قوله تعالى
وادامته الشر فذودعاء
عريض ونظائره فان
ذلك شأن بعض آخرين
منهم وقيل أريد به
الوليد بن المغيرة وقرئ
نأى ما على القلب كما يقال
رأى رأى وما على أنه
بمعنى نهض (قل كل)
أى كل أحد منكم ومن
هو على خلافكم
(يعمل) غله (على)

الوقت القيام من المنام صارت ألواح عقله وفكره وخياله مطهرة عن النفوس الفاسدة
الباطلة فاذا تسارع الانسان في ذلك الوقت الى عبادة الله تعالى وقراءة الكلمات الدالة
على تنزيهه والاقدام على الافعال الدالة على تعظيم الله تعالى انتفى في اوح عقله وذكره
وخياله هذه النفوس الطاهرة المقدسة ثم ان حصول هذه النفوس ينفع من استحكام
النفوس الفاسدة وهى النفوس المتولدة من الميل الى الدنيا وشهواتها فبهذا الطريق يترشح
الميل الى معرفة الله تعالى ومحبته وطاعته ويضعف الميل الى الدنيا وشهواتها اذا عرفت
هذا فنقول هذه الحكمة انما تحصل اذا شرع الانسان في الصلاة من أول قيامه من النوم
عند التغليس وذلك يدل على المقصود واعلم ان أكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب
وهى حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضى
ذا كانت ملوثة من المرضى والانبيا كالاطباء الحاذقين والمرضى ربما قد قوى مرضه
ولا يعود الى الصحة الا بعد الجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا ينقاد للطبيب
ويخالفه في أكثر الامر لأن الطبيب اذا كان مشفقاً حاذقاً فانه يسعى في ازالة ذلك
المرض بكل طريق يقدر عليه فان لم يقدر على ازالته فانه يسعى في تخفيفه اذا
عرفت هذا فنقول مرض حب الدنيا مستول على الخلق ولا علاج له الا بالدعوة الى معرفة
الله تعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل من يقبله وينقاد له لاجرم
الانبيا اجتهدوا في تقليل هذا المرض وحل الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من
أول وقت القيام من النوم بما ينفع في ازالة هذا المرض من الوجه الذى قررناه فوجب أن
يكون مشروعا والله أعلم بأسرار كلامه أما قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فاعلم انه
تعالى لما أمر بالصلوات الخمس على سبيل الرمز والاشارة اورد فيه بالحث على صلاة الليل وفيه
مباحث (الأول) التهجيد عبارة عن صلاة الميل فقوله فتهجد به أى بالقرآن كما قال قم الليل
الا قليلا الى قوله ورتل القرآن ترتيلا (البحث الثانى) قال الواحدى الهجود فى اللغة
انوم وهو معروف كثير فى الشعر يقال اهجدته وهجدته أى انتبه ومنه قول لبيد
هجدنا فقد طال السرى كأنه قال نومتان السرى قد طال علينا حتى غلبنا النوم
وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلى بالليل وروى ثعلب عن ابن
الاعرابى مثل هذا القول كأنه قال هجد الرجل اذا صلى من الليل وهجد اذا ناء بالنيل فعند
هؤلاء هذا اللفظ من الضداد أو ما لا يزهى فانه توسط في تفسير هذا اللفظ وقال المعروف
في كلام العرب ان الهاجد هو النائم ثم رأينا أن فى الشرع يقال لمن قام من النوم الى
الصلاة انه متهجد فوجب ان يحمل هذا على انه سعى متهجدا لا لقائه الهجود عن نفسه
كما قيل للعابد متحنث لا لقائه الحنث عن نفسه وهو الأثم ويقال فلان رجل متخرج
ومتائم ومتحوب أى يلقى المخرج والأثم والحبوب عن نفسه وأقول فيه احتمال آخر وهو
ان الانسان انما يترك لذة النوم ويحمل مشقة القيام الى الصلاة ليطيب رقاؤه وهجوده

شاكته) طريقتة التي
تشاكل حالته في الهدى
والضلالة أوجوه
روحه وأحواله التابعة
لزاج بدنه (فر بكم) الذي
برأكم على هذه الطوائع
المختلفة (أعلم عن هو
أهدى سبيلا) أي أسد
طريقا وأبين منهاجا
وقد فسرت الشاكاة
بالطبيعة والعادة والدين
(ويسألونك عن الروح)
الظاهران السؤال كان
عن حقيقة الروح
الذي هو مدبر البدن
الانسانى ومبدأ حياته
روى أن اليهود قالوا
لقريش سلوه عن أصحاب
الكهف وعن ذى القرنين
عن الروح فان أجاب
عليهم يسوع وسكت فليس
بنبي وان سكت عن بعض
فهو نبى فين لهم القصتين
وأبهم أمر الروح وهو
مبهم في التوراة (قل
الروح) اظهر في مقام
الاضمار اظهر الكمال
الاعتناء بشأته (من
أمر ربى) كلمة من بيانية
والامر بمعنى الشأن
والإضافة للاختصاص
العلمي

عند الموت فلما كان غرضه من ترك هذا الهجود ان يصل الى الله
كان هذا القيام طلبا لذلك الهجود فسمى تهجدا لهذا السبب (وه
ماروى ان الحجاج بن عمرو المازنى قال يحسب أحدكم اذا قام من الليل
انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة أخرى بعد رقدة
رقدة هكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عرفت هذا
الانسان طلب هجودا ورقادا فلا يبعد أنه سمي تهجدا لهذا السبب (البحث الثالث) قوله
من في قوله ومن الليل لا بدله من متعلق والفاء في قوله فتسجد لا بدله من معطوف عليه
والتقدير ثم من الليل أى في بعض الليل فتسجده وقوله به أى بالقرآن والمراد منه الصلاة
المشتملة على القرآن (البحث الرابع) معنى النافلة في اللغة ما كان زيادة على الاصل ذكرناه
في قوله تعالى يستلونك عن الانفال ومعناها أيضا في هذه الآية الزيادة وفي تفسير كونها
زيادة قولان مبنيان على ان صلاة الليل هل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا
فن الناس من قال انها كانت واجبة عليه ثم نسخت فصارت نافلة أى تطوعا وزيادة
على الفرائض وذكر مجاهد والسدى في تفسير كونها نافلة وجها حسنا فالاناء تعالى غنة
للنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة باتى بها سوى المكتوبة
فانه لا يكون تأثيرها في كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها في زيادة الدرجات وكثرة
الثواب وكان المقصود من تلك العبادات زيادة الثواب ولهذا سميت نافلة بخلاف الام
فان لهم ذنوبا يحتاجون الى الكفارات فهذه الطاعة محتاجون اليها لتكفير الذنوب
والسيئات فثبت أن هذه الطاعات انما تكون زائدات ونوافل في حق النبي صلى الله عا
وسلم لافي حق غيره فلهذا السبب قال نافلة لك يعنى انه سار زائدات ونوافل في حقك لافي
غيرك وتقريره ما ذكرناه وأما الذين قالوا ان صلاة الليل كانت واجبة على النبي صلى
عليه وسلم لانه سار زائدات ونوافل له على نفسه كما أنهما فرضة عليك زائدة على الصلوات
الخمس خصصت بهما من بين أمتك ويمكن نصرة هذا القول بأن قوله فتسجد أمر وصيغه
الامر للوجوب فوجب كون هذا التسجد واجبا فلو قلنا قوله نافلة لك على عدم
الوجوب لزم التعارض وهو خلاف الاصل فوجب أن يكون معنى كونها نافلة له
ما ذكرناه من كون وجوبها زائدا على وجوب الصلوات الخمس والله أعلم (البحث
الخامس) قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر وان كان ظاهرا الامر
فيه مخصوصا بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه في المعنى عام في حق الامة والدليل عليه انه
قال ومن الليل فتسجد به نافلة لك فبين ان الامر بالتهجد مخصوص بالرسول وهذا يدل على
ان الامر بالصلوات الخمس غير مخصوص بالرسول عليه السلام والام يكن لتقييد الامر
بالتهجد بهذا القيد فائدة أصلا والله أعلم ثم قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لان لفظة عسى تعبد

الأطعام ومن أطمع إنسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى أكرم من أن يطمع أحدا في شيء ثم لا يعطيه ذلك وقوله مقاما محمودا فيه بحثان (البحث الأول) في انتصاب قوله محمودا وجهان (الأول) أن يكون انتصابه على الحال من قوله يبعثك أي يبعثك محمودا (والثاني) أن يكون نعنا للمقام وهو ظاهر (البحث الثاني) في تفسير المقام المحمود أقوال (الأول) أنه الشفاعة قال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وأقول اللفظ مشعر به ذلك لأن الإنسان انما يصير محمودا اذا حده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاما أنعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليم الشرع لأن ذلك كان جاصلا في الحال وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا تطميع وتطميع الإنسان في الشيء الذى حصل له وعنده في الحال محال فوجب أن يكون ذلك الانعام الذى لاجله يصير محمودا انعاما سيصل منه بعد ذلك الى الناس وما ذاك الاشفاعته عند الله فدل هذا على أن لفظ الآية وهو قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على هذا المعنى وأيضا التكبر في قوله مقاما محمودا يدل على أنه يحصل للنبي عليه السلام في ذلك المقام حدة بالغ عظيم كامل ومن المعلوم أن حدة الإنسان على سعيه في التخليص عن العقاب أعظم من حده في السعى في زيادة من الثواب لاجابة به البها لان احتياج الإنسان الى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التى لاجابة به الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويما وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حل اللفظ عليه وما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور وابعته المقام المحمود الذى وعدته بعبطه به الاولون والآخرون واتفق الناس على أن المراد منه الشفاعة (واقول الثانى) قال حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ليك وسعديك واشتر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك و بك واليك لاهلها ولا منجها منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا هو المراد من قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وأقول القول الاول أولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على حده فيصير محمودا وأما ذكر هذا الدعاء فلا يفيد الا الثواب أما الحمد فلا فان قالوا لم لا يجوز أن يقال انه تعالى يحمد على هذا القول قلنا لان الحمد في اللغة مخصص بالشاء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فقل سبيل المجاز (القول الثالث) المراد مقام تحمد عاقبته وهذا أيضا ضعيف للوجه الذى ذكرناه في القول الثانى (القول الرابع) قال الواحدى روى عن ابن مسعود انه

لايجادى لاشترك الكل
فيه وفيها من يشرف
المضاف ما لا يخفى كافي
الاضافة الثانية من تشرف
المضاف اليه أى هو
من جنس ما استأثر الله بعله
من الاسرار الخفية التى
لا يكاد يحوم حولها عقول
البشر (وما أوتيتم من العلم
الا قليلا) لا يمكن تعلقه
بأمثال ذلك روى انه
صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك قالوا نحن
مختصون بهذا الخطاب
قال عليه الصلاة والسلام
بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب
شأنك ساعة تقول
ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فزلت واوأن
ما فى الارض من شجرة
أقلام الآية وانما قالوا ذلك
لركاكة عقولهم فان الحكمة
الانسانية أن يعلم من الخير
ما توسعه الطائفة البشرية
بل ما يبط به المعاش
والمعاد وذلك بالاضافة
الى ما لانهاية له من معلوماته
سبحانه قليل ينال به خير
كثير، نفسه أو بالنسبة
الى

قال بقوله الله محمداً على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش ثم قال الواحدى وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادى بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه (الاول) ان البعث ضد الاجلاس يقال بعث النازل والقاعد فابعث ويقال بعث الله الميت أى أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير للضد بالضد وهو فاسد (والثاني) انه تعالى قال مقاماً محمداً ولم يقل مقعداً والمقام موضع القيام لا موضع القعود (والثالث) لو كان تعالى جالساً على العرش بحيث يجلس عنده محمد عليه الصلاة والسلام لكان محمداً متناهياً ومن كان كذلك فهو محدث (والرابع) يقال ان جلوسه مع الله على العرش ليس فيه كثير اعزاز لان هؤلاء الجهال والحمقى يقولون في كل أهل الجنة انهم يزورون الله تعالى وانهم يجلسون معه وانه تعالى يسألهم عن أحوالهم التي كانوا فيها في الدنيا واذا كانت هذه الحالة حاصلة عندهم لكل المؤمنين لم يكن لتخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بها من بدشرف ورتبة (والخامس) انه اذا قيل السلطان بعث فلان فافهم منه انه أرسله الى قوم لاصلاح مهجائهم ولا يفهم منه انه أجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول كلام رذل سقط لا يعيل اليه الانسان قليل العقل عديم الدين والله أعلم قال تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وفيه مباحث (البحث الاول) انا ذكرنا في تفسير قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض قولين أحدهما المراد منه سعى كفار مكة في اخراجه منها والثاني المراد منه ان اليهود قالوا له الاول لك ان تخرج من المدينة الى الشام ثم انه تعالى قال له أقم الصلاة واشتغل بعبادة الله تعالى ولا تلتفت الى هؤلاء الجهال فانه تعالى ناصر لك ومعينك ثم عاد بعد هذا الكلام الى شرح تلك الواقعة فان فسرنا تلك الآية أن المراد منها أن كفار مكة أرادوا اخراجه من مكة كان معنى هذه الآية انه تعالى أمره بالهجرة الى المدينة وقل له وقل رب أدخلني مدخل صدق وهو المدينة وأخرجني مخرج صدق وهو مكة وهذا قول الحسن وقتادة وان فسرنا تلك الآية بان المراد منها ان اليهود دخلوه على الخروح من المدينة والذهاب الى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثم أمره الله تعالى بان يرجع اليها كان المراد انه عليه الصلاة والسلام عند العود الى المدينة قل رب أدخلني مدخل صدق وهو المدينة وأخرجني مخرج صدق يعنى أخرجني منها الى مكة مخرج صدق أى اقتحمالى والقول الثاني في تفسير هذه الآية وهو أكل مما سبق ان المراد وقل رب أدخلني في الصلاة وأخرجني منها مع الصدق والاخلاص وخصوص ذكرك والقيام بلوازم شكر (والقول الثاني) وهو أكل مما سبق أن المراد وقل رب أدخلني في القيام بهجمات اداء دينك وشربك وأخرجني منها بعد الفراغ منها اخرجنا لى على متابعتها وبقية (والقول الرابع) وهو أعلى مما سبق وقل رب أدخلني في بحار دلائل توجبك وتنزيهك وقدسك ثم أخرجني من الاشتغال بالليل الى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل

الانسان أو هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من أصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مبادئه وما له من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر أو من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيتهم من العلم الا قليلاً أى الاعمال قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فان عقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ولعل أكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحواله التي يدور عليها معرفة ذاته وأما حل ما ذكر على السؤال عن قدمه

وحديثه وبجعل الجواب
 اخبارا بحدوثه أى كأن
 تكونه حادثا بحدوثه
 بالامر التكويني فم عدم
 ملائمة الحال السائلين
 لا يساعد العرض
 لبيان قلة عليهم فإن
 ماسأوا عنه بما يفي به
 علمهم حينئذ وقد أخبر
 عنه وقبل المراد بالروح
 خلق عظيم روحاني
 أعظم من الملك وقيل
 جبريل عليه السلام
 وقبل القرآن ومعنى من أمر
 ربي من وحيد وكلامه
 لامن كلام البشر (ولئن
 شئنا لنذهبن بالذي
 أوحينا إليك) من القرآن
 الذي هو شفاء ورحمة
 للمؤمنين ومنع للعلوم
 التي أوتيتها وها وبشتاك
 عليه حين كادوا
 يفتنونك عنه ولولا
 لكنت تركن اليهم
 شيئا قليلا وانما عبر عنه
 بالموصول تفخيما لثباته
 بوصفاته بما في حيز
 الصلة ابتداء واعلاما
 بحاله من أول الامر

في آثار حدوث المحدثات الى الاستغراق في معرفة الاحد الفرد المنزه عن التكثرات
 والتغيرات (والقول الخامس) أدخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك
 والاستغراق بمعرفتك وأخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والعرفة
 والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلًا في كل دخول وخروج وحركة
 وسكون (والقول السادس) أدخلني القبر مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق
 (البحث الثاني) مدخل بضم الميم مصدر كالادخال يقال أدخلته مدخلا كقَالَ وَقُلْ رَبِّ
 أَنْزِلْنِي مُزْلاً مُبَارَكًا وَمَعْنَى إِضَافَةِ الْمَدْخَلِ وَالْمَخْرَجِ إِلَى الصَّدَقِ مَدْحَهُمَا كَأَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ
 تَعَالَى إِدْخَالًا حَسَنًا وَخَرَجًا حَسَنًا لِأَبْرَى فِيهِمَا مَا يَكْرَهُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي مِنْ ذَلِكَ
 سُلْطَانًا نَصِيرًا أَيْ حُجَّةً بَيِّنَةً ظَاهِرَةً تَصْرِفِي بَهَا عَلَى جَمِيعٍ مِنْ خَالْفِي وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ سَأَلَ اللَّهَ
 تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ التَّقْوِيَةَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ بِالْجُمْلَةِ وَبِالْقَهْرِ وَالْقُدْرَةِ وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاةَ
 وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّهُ يَعْصِمُهُ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ وَاللَّهِ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وَقَالَ أَلَا إِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ
 الْغَالِبُونَ وَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلِمَا سَأَلَ اللَّهُ النَّصْرَةَ بَيْنَ اللَّهِ أَنَّهُ أَجَابَ دَعَاةَ فَقَالَ
 وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَهُدِيَ نَبِيُّكَ وَرُحُّ الْبَاطِلِ وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ وَالشَّرَائِعِ
 وَرُحُّ بَاطِلٍ وَاصْطَحِلَ وَأَصْلُهُ مِنْ زَهَقَتْ نَفْسُهُ زَهَقَ أَيْ هَلَكَتْ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ دَخَلَ
 مَكَّةَ يَوْمَ الْقَيْحِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثَانِ وَسِتُّونَ صِنًا فَعَمِلَ بِطَعْنِهَا بَعُودَ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ
 وَزَهَقَ الْبَاطِلُ فَعَمِلَ الصَّنَمُ يَنْكِبُ عَلَى وَجْهِهِ وَقَوْلُهُ أَنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا يَعْنِي أَنَّ
 الْبَاطِلَ وَإِنْ اتَّفَقَتْ لَهُ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ الْأَنَّهُ لَا تَبْقَى بَلْ تَزُولُ عَلَى أَسْرَعِ الْهَوَجِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 * قَوْلُهُ تَعَالَى (وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ الْخُسَارَا)
 وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ
 عَلَى شَاكْلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) أَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا طُغِيَ فِي شَرْحِ الْأَلْهِيَّاتِ
 وَالنَّبَوَاتِ وَالْحَشَرِ وَالْمَعَادِ وَالْبَعْثِ وَاثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَنَبِهَ
 عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَانْمَازَ كَرَكْلٍ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ اتَّبَعَهُ بَيَانُ كَوْنِ الْقُرْآنِ شِفَاءً
 وَرَحْمَةً فَقَالَ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ وَلَفْظُ مَنْ هَهُنَا لَيْسَتْ لِلتَّبَعِيشِ بَلْ هِيَ
 لِلْجِنْسِ كَقَوْلِهِ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْمَعْنَى وَنَزَّلَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ قُرْآنُ
 مَا هُوَ شِفَاءٌ فَجَمَعَ الْقُرْآنَ شِفَاءً لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ
 وَشِفَاءٌ أَيْضًا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ أَمَا كَوْنُهُ شِفَاءً مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ فَظَاهِرٌ
 وَفَلَكِ لِأَنَّ الْأَمْرَاضَ الرُّوحَانِيَّةَ نَوْعَانِ الْأَعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَخْلَاقَ الْمَذْمُومَةَ أَمَا
 الْأَعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ فَأَشَدُّهَا فَسَادًا الْأَعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ فِي الْأَلْهِيَّاتِ وَالنَّبَوَاتِ وَالْمَعَادِ
 وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى دَلَالِ الْمَذْهَبِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْمَطَالِبِ وَابْتِطَالِ
 الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فِيهَا وَلَمَّا كَانَ أَقْوَى الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ هُوَ الْخَطَأُ فِي هَذِهِ الْمَطَالِبِ
 وَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الدَّلَالِ الْكَاشِفَةِ عَمَّا فِي هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ مِنَ الْغَيُوبِ الْبَاطِلَةِ

لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني وأما الاخلاق المذمومة
فإن القرآن مشتمل على تفصيلها وتعرف ما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة
الكاملة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض ثبت ان
القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية
فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة
وأصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقي المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثارا عظيمة
في تحصيل المنافع ودفع المفاسد فلان تكون قراءة هذا القرآن العظيم المشتمل على ذكر
جلال الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع
في الدين والدنيا كان أولى وبنا كد ما ذكرنا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله تعالى وأما كونه رحمة للمؤمنين فاعلم انا بينا ان
الارواح البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والاخلاق الفاسدة والقرآن فسمان
بعضهما ما يغيد الخلاص عن شبهات الضالين وعمومات المبطلين وهو الشفاء وبعضهما
ما يغيد تعليم كفاية اكتساب العلوم العالية والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان
الى جوار رب العالمين والاختلاط بزمرة الملائكة المقربين وهو الرحمة ولما كان ازالة
المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة لاجرم بدأ الله تعالى في هذه الآية
بذكر الشفاء ثم أتبعه بذكر الرحمة واعلم انه تعالى لما بين كون القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين
بين كونه سببا للخسار والضلال في حق الظالمين والمزاد به المشركون وانما كان كذلك
لان سماع القرآن يزيدهم غبطة وغضبا وحقدًا وحسداً وهذه الاخلاق الذميمة تدعوهم
الى الاعمال الباطلة وتزيد في تقوية تلك الاخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم ثم لا يزال
الخلق الخبيث النفساني يحمل على الاعمال الفاسدة والاتبان بتلك الاعمال يقوى تلك
الاخلاق فبهذا الطريق يصير القرآن سببا لزيد هؤلاء المشركين الضالين في درجات
الخرى والضلال والفساد والهلاك ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء
الجاهلين الضالين في أودية الضلال ومقامات الخرى والهلاك وهو حب الدنيا والرغبة
في المال والجاه واعتقادهم ان ذلك انما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال واذا أنعمنا
على الانسان أعرض ونأى بجانبه وفيه مباحث الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة وهذا بعيد بل المراد ان نوع الانسان من شأنه انه اذا
فاز بمصوده ووصل الى مطلوبه اغتر و صار غافلا عن عبودية الله تعالى متمردا عن طاعة
الله كما قال ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (البحث الثاني) قوله أعرض أي ولى ظهره
أي عرضه الى ناحية ونأى بجانبه أي تباعد ومعنى التأى في اللغة البعد والاعراض عن
الشيء أن يولى عرض وجهه والتأى بالجانب أي يولى عنه عطفه ويولى ظهره وأراد
الاستكبار لان ذلك عادة المتكبرين وفي قوله نأى قرأت احداها نأى وهي قراءة العامة

وبانه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطئة
للقسم ولنذهبن جوابه
النائب مناسب جزاء
الشرط وبذلك حسن
حنف مفعول المشيئة
والمراد من الذهاب به
المحو من المصاحف
والصدور وهو أبلغ
من الاذهاب عن ابن
مسعود رضي الله عنه
ان أول ما تفقدون
من دينكم الامانة واخر
ما تفقدون الصلاة
وليصلبن قوم ولا دين
لهم وان هذا القرآن
تصيحون يوما وما فيكم
منه شيء فقال رجل كيف
ذلك وقد أثبتناه
في قلوبنا وأثبتناه
في مصاحفنا لعلم أنباءنا
ويعلم أبناءنا ابتداءهم
فقال يسرى عليه ليل
فيصبح الناس منه قراء
ترفع المصاحف ويزرع
ما في القلوب (ثم لا تجرد
لك به) أي بالقرآن
(علينا وكيلا) من توكل
علينا استرداده
مسطورا محفوظا

(الارحة من ربك)
فانها ان نالتك لعلها
تسترد عليك وحج
أن يكون الاستثناء
منقطعاً بمعنى ولكن رحة
من ربك تركته غير
مذهب فيكون امتناناً
بإبقائه بعد المنية بتزيله
وترغيباً في المحافظة
على أداء حقوقه وتحذيراً
من أن لا يقدر قدره الجليل
ويفرط في القيام بشكره
وهو أجل النعم وأعظمها
(ان فضله كان عليك
كبيراً) كارسالك وانزال
الكتاب عليك وإبقائه
في حفظك وغير ذلك
(قل) للذين لا يعرفون
جلالة قدر التزليل ولا
يفهمون فحماة شأنه
الجليل بل يزعمون أنه من
كلام البشر (لئن اجتمعت
الانس والجن) أي
اتفقوا (على أن باتوا
بمثل هذا القرآن) المنعوت
بما لا تدرك العقول من
النوعت الجليله في البلاغة
وحسن النظم وكال
المعنى وتخصيص
القليل بالذكر

بفتح النون والهمزة وفي حم السجدة مثله وهي اللغة الغالبة والنأي البعد يقال نأى أي
بعد وثانيها قراءه ابن عامر ناء وله وجهان تقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى
ويجوز أن يكون من نأى بمعنى نهض (وثالثها) قراءة حمزة والكسائي بإمالة الفتحتين وذلك
لأنهم أمالوا الهمزة من نأى ثم كسر والنون اتباعاً للكسرة مثل رأى (ورابعها) قرأ
أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ونصير عن الكسائي وحزة نأى بفتح النون وكسر الهمز
على الأصل في فتح النون وإمالة الهمزة ثم قال تعالى وإذا مسه الشر كان يؤسأى إذا مسه
فقر أو مرض أو نازلة من التوازل كان يؤسأ شديد البأس من رحة الله ولا يشس من
روح الله إلا القوم الكافرون والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اغتر بها قنسى ذكر
الله وان بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله تعالى
لهذا المسكين محروم أبداً عن ذكر الله ونظيره قوله تعالى فأما الإنسان إذا ما ابتلاه به
أكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمنى الى قوله ربى أهاننى وكذلك قوله ان الإنسان خلق
لوعا إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ثم قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته
الزجاج الشاكلة الطريقة والمذهب والدليل عليه انه يقال هذا طريقتى ذو شواكل
ي يشعب منه طرق كثيرة ثم الذى يقوى عندى ان المراد من الآية ذلك قوله تعالى
تقربكم أعلم من هو أهدي سبيلاً وفيه وجه آخر وهو ان المراد ان كل أحد يفعل على وفق
بأشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفساً مشرقة خيرة طاهرة علوية
صدرت عنه أفعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفساً كدرة مذلة خبيثة مضلة ظلمانية
صدرت عنه أفعال خسيسة فاسدة وأقول العقلاء اختلفوا في أن النفوس الناطقة
البشرية هل هي مختلفة بالماهية أم لا منهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلف
أفعالها وأحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها منسأوية
في الماهية واختلف أفعالها لاجل اختلاف أمرجنها والمختار عندى هو القسم الاول
والقرآن مشعر بذلك وذلك لانه تعالى بين في الآية المقدمة ان القرآن بالنسبة الى البعض
يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى أقوام آخرين يفيد الخسار والخزى ثم أتبعه بقوله
قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها
من القرآن آثار الذكاء والكمال وتلك النفوس الكدرة أن يظهر فيها من القرآن آثار
الخزى والضلال كأن الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود
وجهه وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة
بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن نور على نورو وبعضها كدرة ظلمانية
يظهر فيها من القرآن ضلال على ضلال ونكال على ضلال * قوله تعالى (و يستلونك
عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أتيتكم من العلم الا قليلاً) اعلم انه تعالى لما ختم
الآية المقدمة بقوله قل كل يعمل على شاكلته وذكرنا ان المراد منه مشاكلة الارواح

للافعال الصادرة عنها وجب البحث ههنا عن ماهية الروح وحقيقته فلذلك سألوها عن الروح وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أظهرها ان المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة روى ان اليهود قالوا لقريش اسألوا محمدا عن ثلاث فان أخبركم بثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي اسألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الثلاثة فقال عليه السلام غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي أربعين يوما ثم نزل الوحي بعده ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وأبهم قصة الروح وزل فيه قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبين ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه (أولها) ان الروح ليس أعظم شأننا ولا أعلى مكانا من الله تعالى فاذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأي مانع يمنع من معرفة الروح (وثانيها) ان اليهود قالوا ان أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي وهذا كلام بعيد عن العقل لان أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليست الاحكاية من الحكايات وذكر الحكايات بمنع أن يكون دليلا على النبوة وأيضاً فالحكاية التي يذكرها ما لم تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم بنبوته فان كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها وان كان بعد العلم بنبوته فخيلت صارت نبوته معلومة قبل ذلك فلا فائدة في ذكر هذه الحكايات وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعد جعله دليلا على صحة النبوة (وثالثها) ان مسألة الروح يعرفها اصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين فلو قال الرسول صلى الله عليه وسلم اني لا أعرفها لا ورت ذلك ما يوجب التحقير والتفخيز فان الجهل بمثل هذه المسئلة يفيد تحقير أي انسان كان فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء (ورابعها) أنه تعالى قال في حق الرحمن علم القرآن وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال وقل رب زدني علما وقال في صفة القرآن ولا تطرب ولا يابس الا في كتاب مبين وكان عليه السلام يقول أرنا الاشياء كما هي فن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول انما لأعرف هذه المسئلة مع انها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق بل المختار عندنا انهم سألوه عن الروح وانه صلى الله عليه وسلم أجاب عنه على أحسن الوجوه وتقريره ان المذكور في الآية أنهم سألوه عن الروح والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ماهية الروح أهو متخيز احوال في المتخيز أو موجود غير متخيز ولا حال في المتخيز (وثالثها) أن يقال الروح قديمة أو واحدة (وثالثها) أن يقال الارواح هل تبقى بعد موت الاجسام أو تنفث (ورابعها) أن يقال ما حقيقة سعادة الارواح وشقاوتها وبالجملة فالباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله يسألونك عن الروح

لان النكر لكونه من عند الله تعالى منهما لامن غيرهما لالان غيرهما قادر على المعارضة (لاياتون بثلة) أو أثر الاظهار على ابراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن أن يتوهم أنه مثلا معينا وايدانا بأن المراد نفي الاتيان بمثل ماى لا يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البدعية وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبي عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير* وان أمناه خليل يوم مسئلة* يقول لا غائب مالى ولا حرم* وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد

ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها إلا أنه تعالى ذكر له في الجواب عن هذا السؤال قوله قل الروح من أمر ربي وهذا الجواب لا يابق إلا بمسئلتين من المسائل التي ذكرناها أحدهما السؤال عن ماهية الروح والثانية عن قدمها وحدوثها (أما البحث الأول) فهم قالوا ما حقيقة الروح وما هيته أو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبايع والاخلط أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام أو هو عبارة عن موجود بغير هذه الأجسام والاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الاعراض وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الاخلاط والعناصر وأما الروح فإنه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بتحدث قوله كن فيكون فقالوا لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الاعراض فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله ويتكوّن وتأثيره في افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته الخصوصية نفيه فإن أكثر حقائق الأشياء وما هياتها مجهولة فأننا نعلم أن السكجيين له خاصية تقتضى قطع الصفراء فأما إذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها الخصوصية فذلك غير معلوم فثبت أن أكثر الماهيات والخصائيق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذلك ههنا وهذا هو المراد من قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وأما البحث الثاني) فهو أن لفظ الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما أمر فرعون برشيد وقال فلما جاء أمرنا أي فعلنا فقوله قل الروح من أمر ربي أي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على أنه سألوه أن الروح قديمة أو حادثة فقال بل هي حادثة وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده ثم احتج على حدوث الروح بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعني أن الارواح في مبدا الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف فهي لازال تكون في التغير من حال الى حال وفي التبدل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من أمارات الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربي يدل على أنهم سألوه أن الروح هل هي حادثة فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه وهو المراد من قوله قل الروح من أمر ربي ثم استدلل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد من قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب والله أعلم (المسئلة الثانية) في ذكر سائر الاقوال المقولة في نفس الروح المذكورة في هذه الآية اعلم أن الناس ذكروا أقوالاً أخرى سوى ما تقدم ذكره (فالقول الأول) أن المراد من هذا الروح هو القرآن قالوا ذلك لأن الله تعالى سمى القرآن في كثير من الآيات روحاً واللائق بالروح المسئول عنه في هذا الموضع ليس الا القرآن فلا بد من تقرير مقامين (المقام الأول) تسمية الله القرآن بالروح يدل عليه قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من أمره وأيضاً السبب في تسمية القرآن بالروح أن القرآن

منهم على الانفراد أو من المجموع بأن يتأبوا على تليف كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قبل (و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً) أي في تحقيق ما يتوحدونه من الابتناء مثله وهو عطف على مقدار أي لا يتوحد بمثله لو لم يكن بعضهم ظهير البعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً دلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فإن الابتناء بمثله حيث انتفى عند النظائر فلا ينتفى عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيدي كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسماً عطف عليه أي لا يتوحد بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم

تحصل حياة الارواح والعقول لان به تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة
كتبه ورسله والارواح انما تحيا بهذه المعارف وتنام تقرير هذا الموضع ذكرناه في تفسير
قوله ينزل الملائكة بالروح من امره (وأما بيان المقام الثاني) وهو ان الروح اللاتي بهذا
الموضع هو القرآن لانه تقدمه قوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين والذي
أخر عنه قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الى قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان
ما قبل هذه الآية في وصف القرآن وما بعدها كذلك وجب أيضا أن يكون المراد من هذا
الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة وذلك لان القوم
استعظموا أمر القرآن فسألوا انه من جنس الشعر أم من جنس الكهانة فأجابهم الله
تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر وانما هو كلام ظهر بأمر الله ووحية وتنزله فقال
قل الروح من أمر ربي أي القرآن انما ظهر بأمر ربي وليس من جنس كلام البشر
(القول الثاني) ان الروح المسؤول عنه في هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو
أعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ونقلوا عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال هو ملك سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون
ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من
كل نسيجة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة قالوا ولم يخلق الله تعالى خلقا أعظم
من الروح غير العرش ولوشاء أن يتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن
بلقمة واحدة لفعل ولقائل أن يقول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) أن
هذا التفصيل للمعرفة على فالتبني أولى أن يكون قد عرفه فلم لم يخبرهم به وأيضا ان عليا
ما كان ينزل عليه الوحي فهذا التفصيل ما عرفه الامن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الشرح والبيان لعلى ولم يذكره غيره (الثاني) أن ذاك الملك
ان كان حيوانا واحدا وعاقلا واحد لم يكن في تكثير تلك اللغات فائدة وان كان المتكلم
بكل واحدة من تلك اللغات حيوانا آخر لم يكن ذلك ملكا واحدا بل يكون ذلك مجموع
ملائكة (والثالث) ان هذا شيء مجهول الوجود فكيف يسئل عنه أما الروح الذي هو
سبب الحياة فهو شيء تتوفر دواعي العقلاء على معرفته فصرف هذا السؤال اليه أولى
(والقول الثالث) وهو قول الحسن وقادة ان هذا الروح جبريل والدليل عليه انه تعالى
سمى جبريل بالروح في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفي قوله فأرسلنا اليها روحنا
وبوء كدها انه تعالى قال قل الروح من أمر ربي وقال جبريل وماتنزل الابا مرربك
فسألوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف قيامه بنبلغ الوحي اليه (والقول الرابع)
قال مجاهد الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورة نبي آدم ياكلون ولهم أيدي وأرجل
ورؤس وقال أبو صالح يشبهون الناس وليسوا بالناس ولم أجده في القرآن ولا في الاخبار

الايتان به فضلا عن غير
ها وفيه حسم لاطماعتهم
الفارغة في روم تبديل
بعض آياته ببعض ولا ماسع
لكون الآية تقرير لما
قبلها من قوله تعالى ثم
لا تجد لك به علينا وكيلا
كما قيل لكن لا لما قيل من
أن الايتان بمثله أصعب
من استرداد عينه ونفي
الشيء انما يقرر نفي مادونه
لاني ما فوقه فان أصعب
الاسترداد بغير أمره تعالى
من الايتان بمثله مما لا شبهة
فيه بل لان الجملة القسمية
ليست مسوقة الى النبي
صلى الله عليه وسلم بل
الى المكابرين من قبله
عليه السلام (ولقد
صرفنا) كررنا ورددنا
على أنحاء مختلفة توجب
زيادة تقريره وبيان
رسوخه واطمئنان الناس
في هذا القرآن المنعوت
بما ذكر من التعوت
الفاضلة (من كل مثل)

الصحيحة شيئا يمكن التمسك به في إثبات هذا القول وأيضا فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه فخلاص ما ذكرناه في تفسير الروح المذكورة في هذه الآية هذه الأقوال الخمسة والله أعلم بالصواب (المسئلة الثالثة) في شرح مذاهب الناس في حقيقة الانسان اعلم أن العلم الضروري حاصل بأن ههنا شيئا إليه يشير الانسان بقوله انا واذا قال الانسان علمت وفهمت وأبصرت وسمعت وذقت وشممت ولمست وغضبت فالمشار إليه لكل أحد بقوله انا اما أن يكون جسما أو عرضا أو مجموع الجسم والعرض أو شيئا مغايرا للجسم والعرض أو ما تركب من الجسم والعرض أو من ذلك الشيء الثالث فهذا مضبط معقول (أما القسم الاول) وهو أن يقال ان الانسان جسم فذلك الجسم اما أن يكون هو هذه البنية أو جسما داخلا في هذه البنية أو جسما خارجا عنها أما القائلون بأن الانسان عبارة عن هذه البنية المحسوسة وعن هذا الجسم المحسوس فهم جمهور المتكلمين وهؤلاء يقولون الانسان لا يحتاج تعريفه الى ذكر حد أو رسم بل الواجب أن يقال الانسان هو الجسم المبنى بهذه البنية المحسوسة واعلم أن هذا القول عندنا باطل وتقريره انهم قالوا الانسان هو هذا الجسم المحسوس فاذا أبطلنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم وأبطلنا كون الانسان محسوسا فقد بطل كلامهم بالكلية والذي يدل على انه لا يمكن أن يكون الانسان عبارة عن هذا الجسم وجوه (الحجة الاولى) ان العلم البديهي حاصل بأن أجزاء هذه الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان نارة بحسب النور والذبول ونارة بحسب السمن والهزال والعلم الضروري حاصل بأن المتبدل المتغير مغاير للثابت الباقي ويحصل من مجموع هذه المقدمات الثلاثة العلم القطعي بأن الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة (الحجة الثانية) ان الانسان حال ما يكون مشغول الفكر متوجه المهمة نحو أمر معين مخصوص فانه في تلك الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه وعن أعضائه وابعاضه مجموعها ومفصلها وهو في تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعينة بدليل انه في تلك الحالة قد يكون غضبت واشتهيت وسمعت كلامك وأبصرت وجهك وتاء الضمير كتابة عن نفسه فهو في تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة وغافل عن جثة بدنه وعن كل واحد من أعضائه وابعاضه والمعلوم غير ما هو غير معلوم فالانسان يجب أن يكون مغاير الجثة هذا البدن ولكل واحد من أعضائه وابعاضه (الحجة الثالثة) ان كل أحد يحكم عقله باضافه لكل واحد من هذه الاعضاء الى نفسه فيقول رأسي وعيني ويدي ورجلي ولساني وقلبي والمضاف غير المضاف إليه فوجب أن يكون الشيء الذي هو الانسان مغاير اجملته هذا البدن ولكل واحد من هذه الاعضاء فان قالوا قد يقول نفسي وذاتي فيضيف النفس والذات الى نفسه فيلزم أن يكون الشيء وذاته مغايرة لنفسه وهو محال قلنا قد يراد به هذا البدن المخصوص وقد يراد بنفس الشيء وذاته الحقيقة المخصوصة التي يشير إليها كل أحد بقوله انا فاذا قال نفسي وذاتي فان كان المراد البدن فعندنا أنه مغاير لجوهر الانسان

من كل معنى بديع هو في الحسن والقراءة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أو أثر الاظهار على الاضمار تأكيذا وتوضيحا (الا كفورا) اي الاجمودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت الاز بدالاته متاول بالنفي كأنه قيل ما قبل أكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في أبوا الايمان لان فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وأنهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء (وقالوا) عند ظهور عجزهم ووضوح مغلو يتهم بالايجاز التزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده

أما إذا أريد بالنفس والذات الحقيقة المخصوصة المشار إليها بقوله أنا فلا نسلم أن الإنسان
 يمكنه أن يضيف ذلك الشيء إلى نفسه بقوله إنساني وذلك لأنه عين ذاته فكيف يضيفه مرة
 أخرى إلى ذاته (الحجة الرابعة) أن كل دليل يدل على أن الإنسان يتمتع أن يكون جسما
 فهو أيضا يدل على أنه يتمتع أن يكون عبارة عن هذا الجسم وسيأتي تقرير تلك الدلائل
 (الحجة الخامسة) أن الإنسان قد يكون حيا حال ما يكون البدن ميتا فوجب كون
 الإنسان مغاير لهذا البدن والدلائل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
 في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فهذا النص صريح في أن أولئك
 المقتولين أحياء والحس يدل على أن هذا الجسد ميت (الحجة السادسة) أن قوله تعالى
 النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله أغرقوا فأدخلوا نارا يدل على أن الإنسان
 يحيا بعد الموت وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من
 دار إلى دار وكذلك قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
 وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته كل هذه النصوص تدل على
 أن الإنسان يبقى بعد موت الجسد وبدية العقل والفطرة شاهدان بأن هذا الجسد ميت
 ولو جوزنا كونه حيا جاز مثله في جميع المجادات وذلك عين السفسطة وإذا ثبت أن
 الإنسان حي وكان الجسد ميتا لزم أن الإنسان شيء غير هذا الجسد (الحجة السابعة) قوله
 عليه السلام في خطبة طويلة له حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش
 ويقول يا أهلي وبأولدي لا تلعن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وغير حله
 فافقني لغيري والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بي وجه الاستدلال أن النبي صلى الله
 عليه وسلم صرح بأن حال ما يكون الجسد محمولا على النعش بقي هناك شيء ينادي ويقول
 يا أهلي وبأولدي جمعت المال من حله وغير حله ومعلوم أن الذي كان لأهل أهله وكان
 جامعا للمال من الحرام والحلال والذي بقي في رقبته الوبال ليس الأذلك الإنسان فهذا
 تصريح بأن في الوقت الذي كان الجسد ميتا محمولا كان ذلك الإنسان حيا باقيا فاهما
 وذلك تصريح بأن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد وهذا الهيكل (الحجة الثامنة) قوله
 تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والخطاب بقوله ارجعي
 إنما هو متوجه عليها حال الموت فدل هذا على أن الشيء الذي يرجع إلى الله بعد موت
 الجسد يكون حيا راضيا عن الله ويكون راضيا عنه الله والذي يكون راضيا ليس
 إلا الإنسان فهذا يدل على أن الإنسان بقي حيا بعد موت الجسد والحي غير الميت فالإنسان
 مغاير لهذا الجسد (الحجة التاسعة) قوله تعالى حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا
 وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق أثبت كونهم مردودين إلى الله الذي هو
 مولاهم حال كون الجسد ميتا فوجب أن يكون ذلك المردود إلى الله مغاير لذلك الجسد
 الميت (الحجة العاشرة) نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع

ولا تقتضي الحكمة
 وقوعه من الأمور كما هو
 ديدن المبهوتين المحجوج
 (لنؤمن لك حتى تفجر)
 وقرى بالتسديد (لنؤمن
 الأرض) أرض مكة
 (ينبوعا) عينا لا ينضب
 ماؤها يفعل من ينبع الماء
 كيعبوب من عب الماء
 إذا زخر (أو تكون لك
 جنة) أي بستان تستر
 أشجاره ما تحنها من
 العرصه (من نخيل وعنب
 فتفجر الأنهار) أي تجريها
 بقوة (خلالها تفجيرا)
 كثيرا والمراد أجراء
 الأنهار خللا لها عند سقيها
 أو أدامة أجزائها كما ينبت عنه
 الفاء لا ابتداءه (أو نسقط
 السماء كما زعمت علينا
 كسفا) جمع كسفة كقطعة
 وقطع لفظا ومعنى وقرئ
 بالسكون كسدره وسدر
 وهي حال من السماء
 والكاف في كما في محل
 النصب على أنه صفة
 مصدر

باب الملل والخل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم
صدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون الى زياراتهم ولولا أنهم بعد موت
لجسد بقوا أحياء لكان التصديق عنهم عبثا والدعاء لهم عبثا ولكن الذهاب الى
يارتهم عبثا فالإطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن
طريقتهم الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شيء غير هذا الجسد وأن ذلك الشيء لا يموت
بل يموت هذا الجسد (الحجة الحادية عشرة) أن كثيرا من الناس يرى أباه أو ابنه بعد موته
في المنام ويقول له اذهب الى الموضع الفلاني فان فيه ذهباً دفنته لك وقد يراه فيوصيه
بقضاء دين عنه ثم عند اليقظة اذا فقس كان كإرآه في النوم من غير تفاوت ولولا أن
الإنسان يبقى بعد الموت لما كان كذلك ولما دل هذا الدليل على أن الإنسان يبقى بعد
الموت ودل الحس على أن الجسد ميت كان الإنسان مغايرا لهذا الجسد الميت (الحجة
الثانية عشرة) أن الإنسان اذا ضاع عضو من أعضائه مثل أن تقطع يده أو رجلاه
أو تقلم عيناه أو تقطع أذناه الى غيرهما من الاعضاء فان ذلك الإنسان يجد من قلبه وعقله
انه هو عين ذلك الإنسان ولم يقع في عين ذلك الإنسان تفاوت حتى انه يقول ان ذلك
الإنسان الذي كنت موجودا قبل ذلك الا انه يقول انهم قطعوا يدي ورجلي وذلك برهان
يقيني على أن ذلك الإنسان شيء مغاير لهذه الاعضاء والابحاض وذلك يبطل قول من
يقول الإنسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة (الحجة الثالثة عشرة) أن القرآن
والاحاديث يدلان على ان جماعة من اليهود قد منحهم الله وجعلهم في صورة القردة
والخنازير فنقول ذلك الإنسان هل بقي حال ذلك المسيح ألبم يبق فان لم يبق كان هذا امانة
لذلك الإنسان وخلقا لذلك الخبر وليس هذا من المسيح شيء وان قلنا ان ذلك الإنسان
بقي حال حصول ذلك المسيح فنقول على ذلك التقدير ذلك الإنسان باق وتلك البنية وذلك
الهيكل غير باق فوجب أن يكون ذلك الإنسان شيئا مغايرا لتلك البنية (الحجة الرابعة
عشرة) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة
دحية الكلبي وكان يرى ابليس في صورته الشيخ التجدي فهما بنية الإنسان وهيكله
وشكله حاصل مع ان حقيقة الإنسان غير حاصلة وهذا يدل على أن الإنسان ليس عبارة
عن هذه البنية وهذا الهيكل والفرق بين هذه الحجة والتي قبلها انه حصلت صورة هذه
البنية مع عدم هذه البنية وهذا الهيكل (الحجة الخامسة عشرة) ان الزاني زنى بفرجه
فيضرب على ظهره فوجب أن يكون الإنسان شيئا آخر سوى الفرج وسوى الظهر ويقال
ان ذلك الشيء يستعمل الفرج في عمل والظهر في عمل آخر فيكون المثلث والمثلث هو ذلك
الشيء الا أنه تحصل تلك الالدة بواسطة ذلك العضو ويتألم بواسطة الضرب على هذا
العضو (الحجة السادسة عشرة) اني اذا تكلمت مع زيد وقلت له افعل كذا أو لا تفعل كذا
فالمخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهي ليس هو جهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فاه

محذوف أي اسقاطا مما لا
لما زعمت يعنون بذلك
قوله تعالى أو تسقط
عليهم كسفامن السماء
(أو تأتي بالله والملائكة
قبلا) أي مقابلا كالعشير
والمعاشرة أو قبلا يشهد
بصحته ما تدعيه وهو حال
من الجلالة وحال الملائكة
محذوف دلالتها عليها
أي والملائكة قبلا كما
حذف الخبر في قوله
* فاني وقبارها اقرب *
أوجاعة فيكون حالا
من الملائكة (أو يكون
لك بيت من زخرف)
من ذهب وقد قرئ به
وأصله الزينة (أو ترفق
في السماء) أي في معارجها
فمحذوف المضاف يقال
رفق في السلم وفي الدرجة
(ولن نؤمن لربك)
أي لاجل ربك فيها
وحده أو لن نصدق
ربك فيها (حتى تنزل)
منها (علينا كتابا) فيه
تصديقك (نقروء)
نحن

ولاشيئاً من أعضائه بعينه فوجب أن يكون المأمور والمنهي والمحاطب شيئاً مغايراً لهذه
 الاعضاء وذلك يدل على أن ذلك المأمور والمنهي غير هذا الجسد فان قالوا لم لا يجوز أن
 يقال المأمور والمنهي جلة هذا البدن لشيء من أعضائه وابعاضه قلنا توجه التكليف على
 الجملة انما يصح لو كانت الجملة فاهمة عالة فنفسول لو كانت الجملة فاهمة عالة فلما أن
 يقوم بمجموع البدن علم واحد أو يقوم بكل واحد من أجزاء البدن علم على حدة والاول
 يقتضي قيام العرض بالحال الكثيرة وهو محال والثاني يقتضي أن يكون كل واحد من
 أجزاء البدن عالماً فاهماً مدر كاً على سبيل الاستقلال وقد بينا ان العلم الضروري حاصل
 بأن الجزء المعين من البدن ليس عالماً فاهماً مدر كاً بالاستقلال فسطع هذا السؤال (الجملة
 السابعة عشرة) ان الانسان يجب أن يكون عالماً والعلم لا يحصل الا في القلب فيلزم أن
 يكون الانسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب واذا ثبت هذا بطل القول بأن الانسان
 عبارة عن هذا الهيكل وهذه الجنة انما قلنا ان الانسان يجب أن يكون عالماً لانه فاعل
 مختار والفاعل المختار هو الذي يفعل بواسطة القلب والاختيار وهما مشروطان بالعلم
 لان ما لا يكون مقصوداً امتنع القصد الى تكوينه فثبت ان الانسان يجب أن يكون عالماً
 بالاشياء وانما قلنا ان العلم لا يوجد الا في القلب للبرهان والقرآن أما البرهان فلان نجد
 العلم الضروري بأن نجد علوماً من ناحية القلب وأما القرآن فآيات نحو قوله تعالى لهم
 قلوب لا يفقهون بها وقوله كتب في قلوبهم الايمان وقوله نزل به الروح الامين على قلبك
 واذا ثبت ان الانسان يجب أن يكون عالماً وثبت ان العلم ليس الا في القلب ثبت ان
 الانسان شيء في القلب أو شيء له تعلق بالقلب وعلى التقديرين فانه يطل قول من يقول
 الانسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل وأما البحث الثاني وهو بيان ان الانسان غير
 محسوس وهو ان حقيقة الانسان شيء مغاير للسطح واللون وكل ما هو مرئي فهو اما السطح
 واما اللون وهما مقدمتان قطعيتان ويتتبع هذا القياس ان حقيقة الانسان غير مرئية
 ولا محسوسة وهذا برهان يقيني (المسئلة الرابعة) في شرح مذاهب القائلين بأن الانسان
 جسم موجود في داخل البدن اعلم أن الاجسام الموجودة في هذا العالم السفلي اما أن
 تكون أحد العناصر الاربعة أو ما يكون متولداً من امتزاجها ويمتنع أن يحصل في البدن
 الانساني جسم عنصرى خالص بل لابد وأن يكون الحاصل جسماً متولداً من امتزاجات
 هذه الاربعة فقول أما الجسم الذي تغلب عليه الارضية فهو الاعضاء الصلبة الكثيفة
 كالعظم والفضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولم يقل أحد من
 العقلاء الذين قالوا الانسان شيء مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معين من هذه
 الاعضاء وذلك لان هذه الاعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية فلا جرم لم يقل أحد من العقلاء بان
 الانسان عبارة عن أحد هذه الاعضاء وأما الجسم الذي تغلب عليه المائية فهو الاخلاط
 الاربعة ولم يقل أحد في شيء منها انه الانسان الا في الدم فان منهم من قال انه هو الروح

من غير أن يتلقى من قبله
 عن ابن عباس رضى الله
 عنهما قال عبد الله ابن
 أبي أمية ان نؤمن لك
 حتى نتخذ الى السماء سلماً
 ثم ترفى فيه وأنا أنظر
 حتى تأتيها وتأتى معك
 بصك منشور معه أربعة
 من الملائكة يشهدون
 أنك كما تقول وما كانوا
 يقصدون بهاتيك
 الافتراضات الباطلة الا
 الضاد والمجاح ولو أنهم
 أتوا أضعاف ما اقترحوا
 من الآيات ما زادهم
 ذلك الامكارة والافتقار
 كان يكفيهم بعض ما
 شاهدوا من المعجزات
 التي تخرلها صم الجبال
 (قل) تعجباً من شدة
 شككهم وتنزيهاً لاساحة
 السجحات عما لا يكاد
 يليق بها من مثل هذه
 الافتراضات الشنيعة
 التي تكاد السموات
 يتفطرن منها أو عن
 طلبك ذلك وتنبئها
 على بطلان

بدليل انه اذا خرج لزم الموت أما الجسم الذي تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الارواح
وهي نوعان (أحدهما) أجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة اما في القلب
أو في الدماغ وقالوا انها هي الروح وانها هي الانسان ثم اختلفوا فذهب من يقول الانسان
هو الروح الذي في القلب ومنهم من يقول انه جزء لا يتجزأ في الدماغ ومنهم من يقول
الروح عبارة عن أجزاء نارية مختلطة بهذه الارواح القلبية والدماغية وتلك الاجزاء
النارية وهي السماء بالحرارة الغريزية هي الانسان ومن الناس من يقول الروح عبارة
عن أجسام نورانية سماوية لطيفة الجوهر على طيعة ضوء الشمس وهي لا تقبل التحلل
والتبدل ولا التفرق ولا التمزق فاذا تكون البدن وتم استعداده وهو المراد بقوله
فاذا سويته نفذت تلك الاجسام الشريفة السماوية الالهية في داخل أعضاء البدن
نفاد النار في الفحم ونفاذ دهن السمسم في السمسم ونفاذ ماء الورد في جسم الورد ونفاذ
تلك الاجسام السماوية في جوهر البدن هو المراد بقوله وتفتت فيه من روحى ثم ان
البدن مادام يبقى سليماً قابلاً لنفاذ تلك الاجسام الشريفة بقي حياً فاذا تولدت في البدن
أخلط غليظة منعت تلك الاخلط الغليظة من سريان تلك الاجسام الشريفة فيها
فانفصلت عن هذا البدن فيحينئذ يعرض الموت فهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل
فيه فانه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الالهية من أحوال الحياة والموت فهذا تفصيل
مذاهب القائلين بأن الانسان جسم موجود في داخل البدن وأما أن الانسان جسم
موجود خارج البدن فلا أعرف أحدا ذهب الى هذا القول (أما القسم الثاني) وهو أن
يقال الانسال عرض حال في البدن فهذا لا يقول به عاقل لان من المعلوم بالضرورة أن
الانسان جوهر لانه موصوف بالعلم والقدرة والتدبير والتصرف ومن كان كذلك كان
جوهر او الجوهر لا يكون عرضاً بل الذي يمكن أن يقول به كل عاقل هو ان الانسان يشترط
أن يكون موصوفاً بأعراض مخصوصة وعلى هذا التقدير فلنناس فيه أقوال (القول
الاول) ان العناصر الاربعة اذا امتزجت وانكسرت سورة كل واحد منها بسورة
الآخر حصلت كيفية معتدلة هي المزاج ومراتب هذا المزاج غير متناهية فبعضها هي
الانسانية وبعضها هي الفرسية فالانسانية عبارة عن أجسام موصوفة متولدة عن
امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص هذا قول جمهور الاطباء ومنكري بقائه
النفس وقول أبي الحسين البصري من المعتزلة (والقول الثاني) ان الانسان عبارة عن
أجسام مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة والحياة عرض قائم
بالجسم وهؤلاء أنكروا الروح والنفس وقالوا ليس ههنا الأجسام مؤلفة موصوفة
بهذه الاعراض الخصوصية وهي الحياة والعلم والقدرة وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة
(والقول الثالث) أن الانسان عبارة عن أجسام موصوفة بالحياة والعلم والقدرة
والانسان انما يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه وأجزائه الا أن

ما قالوه (سبحان ربي)
وقرى قل سبحان ربي
(هل كنت الا بشراً)
لا ملكاً حتى يتصور
منى الرقى في السماء ونحوه
(رسولاً) مأثور من
قبل ربي بتبليغ الرسالة
من غير أن يكون لى حيرة
في الامر كسائر الرسل
وكانوا لا يأتون قومهم
الا بما بظهوره الله على
أيديهم حسب ما يلائم حال
قومهم ولم يكن امر
الآيات اليهم ولا لهم
أن يتحكموا على الله
سبحانه بشيء منها
وقوله بشر اخبر لكنك
ورسولاً صفة (وما منع
الناس) اى الذين
حكيت أباطيلهم (أن
يؤمنوا) مفعول ثان لم
وقوله (اذ جاءهم الهدى)
أى الوحي ظرف لمنع
أو يؤمنوا أى وما منعهم
وقت مجئ الوحي المقرون

هذا مشكل فإن الملائكة قد يشبهون بصورهم صورة الإنسان حاصلة مع عدم الإنسانية وفي صورة المسيح معنى الإنسانية حاصل مما أن هذه الصورة غير حاصلة فقد بطل اعتبار هذا الشكل في حصول معنى الإنسانية طردا وعكسا (أما القسم الثالث) وهو أن يقال الإنسان موجود ليس بجسم ولا جسمانية فهو قول أكثر الإلهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس الثنتين للنفس معاداً روحانياً وثواباً وعقلاً وحساباً روحانياً وذهب إليه جماعة عظيمة من علماء المسلمين مثل الشيخ أبي القاسم الراغب الأصفهاني والشيخ أبي حامد الغزالي رحمه الله ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلي ومن الشيعة الملقب عندهم بالشيخ المفيد ومن الكرامية جماعة واعلم أن القائلين بآليات النفس فريقان (الأول) وهم المحققون منهم من قال الإنسان عبارة عن هذا الجوهر المخصوص وهذا البدن وعلى هذا التقدير فالإنسان غير موجود في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل في داخل العالم ولا في خارجه وغير متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما أن الله العالم لا تعلق له بالعالم الأعلى سبيل التصرف والتدبير (والفريق الثاني) الذين قالوا النفس إذا تعلقت بالبدن اتحدت بالبدن فصارت النفس عين البدن والبدن عين النفس ومجموعهما عند الاتحاد هو الإنسان فإذا جاء وقت الموت بطل هذا الاتحاد وبقيت النفس وفسد البدن فهذه جملة مذاهب الناس في الإنسان وكان ثابت بن قرة يثبت النفس ويقول أنها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للكون والفساد والفرق والتزق وإن تلك الأجسام تكون سارية في البدن ومادام يبقى ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن فإذا انفصلت تلك الأجسام اللطيفة عن جوهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن (المسئلة الخامسة) في دلائل مشي النفس من ناحية العقل احتج القوم بوجوه كثيرة بعضها قوى وبعضها ضعيف والوجوه القوية بعضها قطعية وبعضها افتراضية فلنذكر الوجوه القطعية (الحجة الأولى) لاشك أن الإنسان جوهر فاما أن يكون جوهر متخيزاً أو غير متخيزٍ والأول باطل فتعين الثاني والذي يدل على أنه يمتنع أن يكون جوهر متخيزاً أنه لو كان كذلك لكان كونه متخيزاً غير تلك الذات ولو كان كذلك لكان كل ما علم الإنسان ذاته المخصوصة واجب أن يعلم كونه متخيزاً بمقدار مخصوص وليس الأمر كذلك فوجب أن لا يكون الإنسان جوهر متخيزاً افتقر في تقرير هذا الدليل إلى مقدمات ثلاثة (المقدمة الأولى) لو كان الإنسان جوهر متخيزاً لكان كونه متخيزاً عين ذاته المخصوصة والدليل عليه أنه لو كان متخيزاً صفة قائمة لكان ذلك المحل من حيث هو مع قطع النظر عن هذه الصفة أما أن يكون متخيزاً أولاً يكون والقسمان باطلان فبطل القول بكون التخييز صفة قائمة بالمحل انما قلنا أنه يمتنع أن يكون محل التخييز لأنه يلزم كون الشيء الواحد متخيزاً مرتين ولأنه يلزم اجتماع المثليين ولأنه ليس جعل أحدهما ذاتاً والآخر صفة أولى من

بالمعجزات المستدعية للإيمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجيئ ما ذكر (الآن قالوا) في محل الرفع على أنه فاعل منع أي الأقولهم (أبعث الله بشرا رسولا) منكربين أن يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد أن هذا القول صدر عن بعضهم فمع بعضاً آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتب لهذا القول منهم وإنما عبر عنه بالقول ايذاناً بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصدق وحصر

لعكس ولأن التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو المقصود وان كان صفة لزم التسلسل
هو محال وانما قلنا انه يتمتع أن يكون محل التحيز غير متحيز لان حقيقة التحيز هو الذهاب
الجهات والامتداد فيها والشئ الذي لا يكون متحيزا لم يكن له اختصاص بالجهات
حصوله فيها ليس بمتحيز محال ثبت بهذا أنه لو كان الانسان جوهر امتحيز الكان
غير ذاته المخصوصة (المقدمة الثانية) لو كان تحيز ذاته المخصوصة عين ذاته المخصوصة
كان متى عرف ذاته المخصوصة فقد عرف كونها متحيزة والدليل عليه أنه لو صارت ذاته
المخصوصة معلومة وصارت تحيزه مجهولا لزم اجتماع النفي والايجاب في الشئ الواحد وهو
محال (المقدمة الثالثة) اننا قد عرف ذاتنا حال كوننا جاهلين بالتحيز والامتداد في الجهات
الثلاثة وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان فان الانسان حال كونه مشتغلا بشئ من
المهمات مثل أن يقول لعبد لم فعلت كذا ولم خالفت أمري واتى أباغ في تأديبك وضر بك
فعند ما يقول لم خالفت أمري يكون عالما بذاته المخصوصة اذ لو لم يعلم ذاته المخصوصة
لا تمتع أن يعلم ان ذلك الانسان خالفه ولا تمتع أن يخبر عن نفسه بانه على عزم ان يؤدبه
ويضرب به ففي هذه الحالة يعلم ذاته المخصوصة مع انه في تلك الحالة لا يخطر بباله حقيقة التحيز
والامتداد في الجهات والحصول في التحيز ثبت بما ذكرنا أنه لو كان ذات الانسان جوهر
متحيز الكان تحيز عين ذاته المخصوصة ولو كان كذلك لكان كل ما علم ذاته المخصوصة فقد
علم التحيز وثبت أنه ليس كذلك فيلزم أن يقال ذات الانسان ليس جوهر امتحيز اذ ذلك هو
المطلوب فان قالوا هذا معارض بانه لو كان ذات الانسان جوهر مجردا لكان كل من
عرف ذات نفسه عرف كونه جوهر مجردا وليس الامر كذلك قلنا الفرق ظاهر لان
كونه مجردا معناه أنه ليس بمتحيز ولا حال في التحيز وهذا السلب ليس عين تلك الذات
المخصوصة لان السلب ليس عين الثبوت واذا كان كذلك لم يبعد أن تكون تلك الذات
المخصوصة معلومة وان لا يكون ذلك السلب معلوما بخلاف كونه متحيزا فاننا قد قلنا
على أن تقدير كون الانسان جوهر امتحيزا يكون تحيزه عين ذاته المخصوصة وعلى هذا
التقدير يتمتع أن تكون ذاته معلومة ويكون تحيزه مجهولا فظهر الفرق (الحجة الثانية)
النفس واحدة ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد
من أجزائه فهذه الحجة مبينة على مقدمات (المقدمة الاولى) هي قولنا النفس واحدة ولنا
ههنا مقامان تارة ندعى العلم البديهي فيه وأخرى نقيم البرهان على صحته (أما المقام
الاول) وهو ادعاء البديهية فنقول المراد من النفس هو الشئ الذي يشير اليه كل أحد
بقوله انا وكل أحد يعلم بالضرورة أنه اذا أشار الى ذاته المخصوصة بقوله انا كان ذلك
المشار اليه واحدا غير متعدد فان قيل لم لا يجوز أن يكون المشار اليه لكل أحد بقوله
اوان كان واحدا الآن ذلك الواحد يكون مر كبا من أشياء كثيرة قلنا انه لا حاجة لنا في
هذا المقام الى دفع هذا السؤال بل نقول المشار اليه بقول انا معلوم بالضرورة أنه شئ

المانع من الايمان فيما ذكر
مع أن اهتم موانع شتى لما
انه معظمها أولانه هو
المانع بحسب الحال أعنى
عند سماع الجواب بقوله
تعالى هل كنت الا بشرا
رسولا اذ هو الذي يشبهون
به حينئذ من غير أن يخطر
ببالهم شبهة أخرى من
شبههم الواهية وفيه
ايدان بكمال عنادهم
حيث يشير الى أن الجواب
المذكور مع كونه حاسما
لمواد شبههم لجنائى
الايمان يعكسون الامر
ويجعلونه مانعا منه
(قل) لهم أولامن قبلنا
تدبينا الحكمة وتحققنا
الحق المزيج للريب
(لو كان) أى لو وجد
واستقر (في الارض)
بدل البشر (ملائكة
يمشون مطحنين)

واحد فاما أن ذلك الواحد هل هو واحد مركب من أشياء كثيرة أو هو واحد في نفسه واحد في حقيقته فهذا الاحاجة اليه في هذا المقام (أما المقام الثاني) وهو مقام الاستدلال فالذي يدل على وحدة النفس وجوه (الحجة الاولى) ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند ارادة دفع المنافر والشهوة حالة نفسانية تحدث عند طلب الملايم مشروطا بالشعور بكون الشيء ملايما ومنافرا فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافر ان لم يكن لها شعور بكونه منافرا امتنع انبعاثها بالدفع ذلك المنافر على سبيل القصد والاختيار لان القصد الى الجذب تارة والى الدفع أخرى مشروط بالشعور بالشيء فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافر على سبيل الاختيار لابد وأن يكون له شعور بكونه منافرا فالذي بغضب لابد وأن يكون هو بعينه مدركا فثبت بهذا البرهان اليقيني مبينة حاصلة في ذوات متبينة (الحجة الثانية) انا اذا فرضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلا بفعله الخاص امتنع أن يصير اشتغال أحدهما بفعله الخاص مانعا للآخر من اشتغاله بفعله الخاص به واذا ثبت هذا فقول لو كان محل الادراك والفكر جوهر او محل الغضب جوهر آخر ومحل الشهوة جوهر ثالثا وجب أن لا يكون اشتغال القوة الغضبية بفعالها مانعا للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعالها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان بالشهوة وانصبابه اليها يمنع من الاشتغال بالغضب وانصبابه اليه وبالعكس فعلمنا ان هذه الامور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة بل هي صفات مختلفة بجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال عائقا له عن الاشتغال بالفعل الآخر (الحجة الثالثة) انا اذا أدركنا اشياء فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يصير سببا لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للذي يغضب والذي يشتهي فحين أدرك الجوهر المدرك لم يحصل عند الجوهر المشتهى من ذلك الادراك اثر ولا خبر فوجب أن لا يترتب على ذلك الادراك لاحصول الشهوة ولا حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب والاستلزام علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة بعينها وصاحب الغضب بعينه (الحجة الرابعة) ان حقيقة الحيوان أنه جسم ذو نفس حساسة متحركة بالارادة فالنفس لا يمكنها أن تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي والامعنى للداعي الا الشعور بتخير رغب في جذبه أو بشر رغب في دفعه وهذا يقتضى أن يكون المتحرك بالارادة هو بعينه مدركا للخبر والشر والملدو المؤذى والنافع والضار فثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شئ واحد وثبت ان ذلك الشئ هو البصر والسمع والشم والذائق واللامس والتخييل والمفكر والمتذكر والمشتهى والغاضب وهو الموصوف بجميع الادراكات لكل المدركات وهو الموصوف بجميع الافعال الاختيارية والحركات الارادية (وأما المقدمة الثانية) في بيان انه لما كانت النفس شيئا واحدا وجب أن تكون النفس في هذا البدن ولا شيئا من اجزائه فنقول أما بيان انه متى كان الاله

فارين فيهما من غير أن يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم (الزنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتكنهم من الاجتماع والتلق منه وأما عامة البشر فهم يعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطه بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم من ارحم الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقةين بكل العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب و يلقوا الى جانب وقوله تعالى

كذلك امتنع كون النفس عبارة عن جلة هذا البدن وكذا القوة السامعة وكذا أسائر القوى كالتمثيل والتذكر والتفكر والعلم بان هذه القوى غير سارية في جلة أجزاء البدن بل يبدى بل هو من أقوى العلوم البديهة وأما بيان أنه يتمتع أن تكون النفس جزءاً من أجزاء هذا البدن فانا نعلم بالضرورة أنه ليس في البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالابصار والسمع والفكر والذكر بل الذي يتبادر الى الخاطر ان الابصار مخصوص بعين لابصار الاعضاء والسمع مخصوص بالاذن لابصار الاعضاء والصوت مخصوص بالحناء لابصار الاعضاء وكذلك القول في سائر الادراكات وسائر الافعال فاما ان يقال انه حصل في البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الادراكات وبكل هذه الافعال فالعلم الضروري حاصل بانه ليس الامر كذلك فثبت بما ذكرنا ان النفس الانسانية شئ واحد موصوف بجلة هذه الادراكات وبجملته هذه الافعال وثبت بالبديهة ان جلة البدن ليست كذلك وثبت أيضاً ان شيئاً من أجزاء البدن ليس كذلك فحينئذ يحصل اليقين بان نفس شئ مغاير لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه وهو المطلوب ولتقرر هذا البرهان عبارة أخرى فنقول انا نعلم بالضرورة انا اذا أبصر ناشئاً عرفناه واذا عرفناه أشتهيناه اذا اشتهيناه حررنا أبداننا الى القرب منه فوجب القطع بان الذي أبصر هو الذي عرف الذي عرف هو الذي اشتهى وان الذي اشتهى هو الذي حرك الى القرب منه فيلزم العلم بان المبصر لذلك الشئ والعارف به والمشتهى والمتحرك الى القرب منه شئ واحد فلو كان المبصر شيئاً والعارف شيئاً ثانياً والمشتهى شيئاً ثالثاً والمتحرك شيئاً رابعاً لكان الذي أبصر لم يعرف والذي عرف لم يشته والذي اشتهى لم يتحرك ومن المعلوم ان كون شئ مبصر الشئ لا يقتضي صيرورة شئ آخر عالماً بذلك الشئ وكذلك القول في سائر المراتب وأيضاً فانا نعلم بالضرورة ان الرائي للمرئيات لما رآها فقد عرفها ولم يعرفها فقد رآها ولم يشاهدها طلبها وحرك الاعضاء الى القرب منها ونعلم أيضاً بالضرورة ان موصوف بهذه الروئية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحرك هو لا غيره وأيضاً العقلاء قالوا الحيوان لا بد أن يكون حساساً متحركاً بالارادة فانه ان لم يحس بشئ لم يشعر بكونه ملائماً أو بكونه منافراً واذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مرئياً للمجذب أو الدافع فثبت ان الشئ الذي يكون متحركاً بالارادة فانه بعينه يجب أن يكون حساساً فثبت ان المدرك لجميع المدركات يدرك بجميع أصناف الادراكات وان المباشرة لجميع التحريكات الاختيارية شئ واحد وأيضاً فلانا اذا تكلمنا بكلام نفصد تفهيم الغير معاني تلك الكلمات ثم لما عقلمناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعاني ولما حصلت هذه الارادة في قلوبنا حاولنا ادخال تلك الحروف والاصوات في الوجود لتتوسل بها الى تعريف غيرنا تلك المعاني اذا ثبت هذا فنقول ان كان محل العلم والارادة ومحل تلك الحروف والاصوات جسماً واحداً لزم أن يقال ان محل العلوم والارادات هو الخنجر

ممكناً بحيث لا يكون حالاً
من رسولاً وان يكون
موصوفاً وكذلك بشراً
في قوله تعالى أبعث الله
بشرار رسولاً والاول اولى
(قل) لهم ثانياً من جهتك
بعد ما قلت لهم من قبلنا
ما قلت ونبئت لهم
ما نقضيه الحكمة في البعثة
ولم يرفعوا اليه رأساً
(كنى بالله) وحده (شهاداً)
على اني أدبت ما على
من موجب الرسالة اكمل
أداء وأذكركم ما فعلتم
من التكذيب والعتساة
وتوجيه الشهادة الى كونه
عليه السلام رسولاً باظهار
المعجزة على وفق دعواه
كما اخبر لا يساعده قوله
تعالى (يني وبينيكم)
وما بعده من التعليل وانما
لم يقل ينينا تحقيراً

واللهاء واللسان ومعلوم أنه ليس كذلك وإن قلنا محل العلوم والارادات هو القلب لزم
أيضا أن يكون محل الصوت هو القلب وذلك أيضا باطل بالضرورة وإن قلنا محل الكلام
هو الحنجرة واللهاء واللسان ومحل العلوم والارادات هو القلب ومحل القدرة هو
الاعصاب والاورتار والعضلات كذا قد وزعنا هذه الامور على هذه الاعضاء المختلفة لكننا
أبطلنا ذلك وبيننا ان المدرك لجميع المدركات والحرك لجميع الاعضاء بكل أنواع
التحريك يجب أن يكون شيئا واحدا فلم يبق الا أن يقال في الادراك والقدرة على
التحريك شئ سوى هذا البدن وسوى أجزائه هذا البدن وإن هذه الاعضاء جارية
بمجرى الآلات والادوات فكما ان الانسان يعقل أفعالا مختلفة بواسطة آلات مختلفة
فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتفكر بالدماع وتعقل بالقلب فهذه الاعضاء
آلات النفس وأدوات لها والنفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق
التصرف والتدبير وهذا البرهان برهان شريف يقين في ثبوت هذا المطلوب والله أعلم
(المقدمة الثالثة) لو كان الانسان عبارة عن هذا الجسد لكان اما أن يقوم بكل
واحد من الاجزاء حياة وعلم وقدرة على حدة واما أن يقوم بمجموع الاجزاء حياة وعلم
وقدرة والعسمان باطلان فبطل القول بكون الانسان عبارة عن هذا الجسد أما بطلان
القسم الاول فلانه يقتضى ككون كل واحد من اجزاء الجسد حيا طالما قادرا على
سبيل الاستقلال فوجب أن لا يكون الانسان الواحد حيوانا واحدا بل أحياء عاقلين
قادرين وحينئذ لا يبقى فرق بين الانسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس وربط
بعضهم ببعض بالتمسك لئلا نعلم بالضرورة فساد هذا الكلام لاني أجده ذاتي ذاتا واحدا
لا حيوانات كثيرين وأيضا فتعذر أن يكون كل واحد من اجزاء هذا الجسد حيوانا
واحدا على حدة فحينئذ لا يكون لكل واحد منهما خبر عن حال صاحبه فلا يمتنع ان يريد
هذا أن يتحرك الى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر أن يتحرك الى الجانب الآخر
فحينئذ يعم التدافع بين أجزاء بدن الانسان الواحد كما يقع بين شخصين وفساد ذلك معلوم
بالبدية وأما بطلان القسم الثاني فلانه يقتضى قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثير
وذلك معلوم البطلان بالضرورة ولانه لو جاز حلول الصفة الواحدة في المحال الكثير
لم يعد أيضا حصول الجسم الواحد في الاحياز الكثيرة ولان بتقدير ان تحصل الصفة
الواحدة في المحال المتعددة فحينئذ يكون كل واحد من تلك الاجزاء حيا عاقلًا طالما فتجوز
الامر الى كون هذه الجثة الواحدة اناسا كثيرين ولما ظهر فساد القسمين ثبت
الانسان ليس هو هذه الجثة فان قالوا لم لا يجوز أن تقوم الحياة الواحدة بالجزء الواحد
ثم ان تلك الحياة تقتضى صيرورة جلة الاجزاء أحياء قلنا هذا باطل لانه لا معنى للحياة
الا الحية ولا معنى للعلم الا العالمية وبتقدير ان تساعد على ان الحياة معنى يوجب الحية
والعلم معنى يوجب العالمية الا اننا نقول ان حصل في مجموع جثة مجموع حياة واحد

للمفارقة وابانة للمابة
وشهيد اما حال وتميز
(انه كان بعباده) من الرسل
والرسل اليهم (خيبر)
بصيرا) محيطا بظواهر
أحوالهم وبواطنها
فيجاز بهم على ذلك وهو
تعليل للكفاية وفيه تسليط
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتهديد للكفار
(ومن يهد الله) كلام مبتدأ
يفصل ما أشار اليه الكلام
السابق من مجازاة العباد
اشارة اجابية أى
من يهده الله الى الحق بما جاز
من قبله من الهدى (فهو
المهتد) اليه والى ما يودى
اليه من الثواب والمهتد الى
كل مطلوب (ومن يضلل)
أى يخلق فيه الضلال
بسوء اختياره

وعالية واحدة فقد حصلت الصفة الواحدة في المحال الكثيرة وهو محال وان حصل في كل جزء وجثة حياة على حدة وعالية على حدة عاد ما ذكرنا من كون الانسان الواحد اناسا كثيرين وهو محال (المقدمة الرابعة) انما تأملنا في أحوال النفس رأينا أحوالها بالضد من أحوال الجسم وذلك يدل على ان النفس ليست جسما وتقر بهذه المناقاة من وجوه (الاول) ان كل جسم حصلت فيه صورة فانه لا يقبل صورة أخرى من جنس الصورة الاولى الا بعد زوال الصورة الاولى زوالا تاما مثله ان الشمع اذا حصل فيه شكل الثلاث امتنع أن يحصل فيه شكل التريخ والتدوير الا بعد زوال الشكل الاول عنه نعم اننا وجدنا الحال في تصور النفس بصور المعقولات بالضد من ذلك فان النفس التي لم تقبل صورة عقلية البتة بعد قبولها لشيء من الصور العقلية فاذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصورة الثانية أسهل ثم ان النفس لا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير أن تضعف البتة بل كلما كان قبولها للصور أكثر صار قبولها للصور الآتية بعد ذلك أسهل وأسرع ولهذا السبب يزداد الانسان فهما وادراكا كلما ازداد تخرجا وارتباطا في العلوم فثبت أن قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصور وذلك يوهم أن النفس ليست بجسم (والثاني) أن المواظبة على الافكار الدقيقة لها أثر في النفس وأثر في البدن أما أثرها في النفس فهو تأثيرها في اخراج النفس من القوة الى الفعل في التفكلات والادراكات وكلما كانت الافكار أكثر كان حصول هذه الاحوال أكمل وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالها وأما أثرها في البدن فهو انها توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة لو استمرت لانتقلت الى الماخوليا وسوق الموت فثبت بما ذكرنا أن هذه الافكار توجب حياة النفس وشرفها وتوجب نقصان البدن وموته فلو كانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد سببا للكمال ونقصانه معا وحياته وموته معا وانه محال (والثالث) انا اذا شاهدنا انه ربما كان بدن الانسان ضيقا خفيفا فاذا لاح له نور من الانوار القدسية وتجلي له سر من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الانسان جراءة عظيمة وسلطنة قوية ولم يعبا بحضور اكابر السلاطين ولم يقيم لهم وزنا ولولا أن النفس شيء سوى البدن لما كان الامر كذلك (الرابع) أن أصحاب الرياضات والمجاهدات كلما معنوا في قهر القوى البدنية وتبوع الجسد قويت قواهم الروحية وأشرفت أسرارهم بالمعارف الالهية وكلما معن الانسان في الاكل والشرب وقضاء الشهوة الجسدانية صار كالبهيمة وبقي محروما عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة ولولا أن النفس غير البدن لما كان الامر كذلك (الخامس) اننا نرى ان النفس تفعل ما عليها باآلات بدنية فانها تبصر بالعين وتسمع بالاذن وتأخذ باليد وتمشي بالرجل أما اذا آل الامر الى العقل والادراك فانها مستقلة بذاتها في هذا الفعل من غير اعانة شيء من الآلات ولذلك فان الانسان لا يمكنه ان يبصر شيئا اذا غمض عينيه وأن لا يسمع

ك هؤلاء المعاندين
(فان تجد لهم) أثر
ضمير الجماعة اعتبار المعنى
من غب ما أوتى في مقابله
الافراد نظر الى لفظها
تلويحاً بوحدة طريق
الحق وقسلة سالكه
وتعدد سبل الضلال
وكثرة الضلال (أولياء
من دونه) من دون الله
تعالى أي انصارا
يهدونهم الى طريق
الحق أو الى طريق
يوصلهم الى مطالبهم
الدنيوية والاخرية
أولى طريق النجاة
من العذاب الذي
يستدعيه ضلالهم على
معنى ان تجد لاحد منهم
وليس على ما تقتضيه
قضية مقابلة الجمع بالجمع
من انقسام الآحاد الى
الآحاد (ونحشرهم)
النفات من الغيبة الى
التكلم ايذانا بكمال

صوتا اذا سد اذنيه اما لا يمكنه البتة أن يزِيل عن قلبه العلم بما كان عالما به فعلمنا ان النفس غنية بذاتها في العلوم والمعارف عن شئ من الآلات البدنية فهذه الوجوه الخمسة أمارات قوية في أن النفس ليست بجسم وفي المسئلة الاولى كثير من دلائل المتقدمين ذكرناها في كتبنا الحكمية فلا فائدة في الاعادة (المسئلة السادسة) في اثبات أن النفس ليست بجسم من الدلائل السمعية (الحجة الاولى) قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ومعلوم أن أحدا من العقلاء لا ينسى هذا الهيكل المشاهد فلذلك على أن النفس التي ينساها الانسان عند فرط الجهل شئ آخر غير هذا البدن (الحجة الثانية) قوله تعالى أخرجوا أنفسكم وهذا صريح أن النفس غير البدن وقد استقصينا في تفسير هذه فليرجع اليه (الحجة الثالثة) أنه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية فقال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله فكسونا العظام لحما ولا شك ان جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في الاحوال الجسمانية ثم انه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا نص صريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة في الاحوال الجسمانية وذلك يدل على أن الروح شئ مغاير للبدن فان قالوا هذه الآية حجة عليكم لانه تعالى قال ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وكلمة من التبعيض وهذا يدل على أن الانسان بعض من ابعاض الطين قلنا كلمة من أصلها ابتداء الغاية كقولك خرجت من البصرة الى الكوفة فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين يقتضى أن يكون ابتداء تخليق الانسان حاصل من هذه السلالة ونحن نقول بموجبه لانه تعالى يسوى المزاج أولا ثم نفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلالة (الحجة الرابعة) قوله فاذا سويتنه ونفخت فيه من روحي مير تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح فالنسوية عبارة عن تخليق الابعاض والاعضاء وتعديل المزاج والاشباح فلما مير نفخ الروح عن نسوية الاعضاء ثم أضاف الروح الى نفسه بقوله من روحي دل ذلك على ان جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد (الحجة الخامسة) قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وهذه الآية صريحة في وجود شئ موصوف بالادراك والتحريك معا لان الالهام عبارة عن الادراك وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه الآية صريحة في ان الانسان شئ واحد وهو موصوف بالادراك والتحريك وموصوف ايضا بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم ان جملة البدن غير موصوف به بدين الوصفين فلا بد من اثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الامور (الحجة السادسة) قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج بتلييه فجعلناه سمعا بصيرا فهدأ نصريح بأن الانسان شئ واحد وذلك الشئ هو المبلى بالتكاليف الالهية والامور الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضوا من أعضاء

الاعتناء بأمر الحشر (يوم القيامة على وجوههم) حال من الضمير المنصوب أى كائين عليها سمعها كقوله تعالى يوم يحبون في النار على وجوههم أو مشيا فقد روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يشيهم على وجوههم (عيا) حال من الضمير المجرور في الحال السابقة (وبكما وصما) لا يبصرون ما يقرأ عينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلد مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبور ولا ينطقون بالحق ولا يسمعون به ويجوز أن يحشروا

البدن كذلك فالنفس شيء مغاير لجملة البدن ومغاير اجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات واعلم أن الاحاديث الواردة في صفة الارواح قبل تعلقها بالاجساد وبعد انفصالها من الاجساد كثيرة وكل ذلك يدل على ان النفس شيء غير هذا الجسد والتعجب من يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويرى هذه الاخبار الكثيرة ثم يقول توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعرف الروح وهذا من العجائب والله اعلم (المسئلة السابعة) في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه أن الروح لو كانت جسما منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد ان كانت موصوفة بصفات اخرى فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقه ثم مضغه فلما لم يقل ذلك بل قال انه من أمر ربى بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود الا لاجل أن الله تعالى قال له كن فيكون دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الاجسام بل هو جوهر قدسى مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياضات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي خلق الله الارواح من بين الجمال والبهائم فلو لأنه سترها لسجد لها كل كافر وامايان أن تعلقه الاول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره الى جملة الاعضاء وقد شرحناه في تفسير قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين واحتج المشركون بوجوه (الاول) لو كانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمام الماهية وذلك محال (الثاني) قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره وهذا يصريح بأن الانسان شيء مخلوق من النطفة وأنه يموت ويدخل القبر ثم انه تعالى يخرج من القبر ولولم يكن الانسان عبارة عن هذه الجثة والالم تكن الاحوال المذكورة في هذه الآية صحيحة (الثالث) قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الى قوله يرزقون فرحين وهذا يدل على ان الروح جسم لان الارزاق والفرح من صفات الاجسام (الجواب عن الاول) ان المساواة في أنه ليس بمتحيز ولا حال في التحيز مساواة في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب المماثلة واعلم ان جماعة من الجهال يظنون أنه لما كان الروح موجودا ليس بمتحيز ولا حال في التحيز وجب أن يكون مثلا لاله أو جزأ لاله وذلك جهل فاحش وغلط فيح وتحقيقه ما ذكرناه من أن المساواة في السلوك لو أوجب المماثلة لوجب القول باستواء كل المختلفات وان كل ماهيتين مختلفتين فلا بد أن يشتركا في سلب كل ماعدهما عنهما فلتمكن هذه الدققة معلومة فانها مغالطة عظيمة للجهال (والجواب عن الثاني) أنه لما كان الانسان في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة اطلق عليه اسم الانسان في العرف

بعد الحساب من الموقف الى النار وفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه (وأوهم جهنم) اما حال أو استئناف وكذا قوله تعالى (كلما خبت زنادهم سعيرا) أي كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم و لحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار ونحرقه زنادهم توقدا بأن بدلتهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الغناء بشكرها مرة بعد أخرى ليوها عيانا حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه

(والجواب عن الثالث) أن الرزق المذكور في الآية محمول على ما يقوى حالهم ويكمل كمالهم وهو معرفة الله ومحبة بل نقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لأن أبدانهم قد بليت تحت التراب والله تعالى يقول ان أرواحهم تأوى الى فتايل معلقة تحت العرش وهذا يدل على أن الروح غير البدن وليكن هذا آخر كلامنا في هذا الباب وليرجع الى علم التفسير ثم قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وعلى قولنا قد ذكرنا فيه احتمالين أما المفسرون فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فقال عليه الصلاة والسلام بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك يا محمد ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فضل قوله ولوان ما في الارض من شجرة أقلام الى آخره وما ذكره ايسر بلازم لان الشئ قد يكون قليلا بالنسبة الى شئ كثيرا بالنسبة الى شئ آخر فالعلوم الحاصلة عند الناس قليلة جدا بالنسبة الى علم الله وبالنسبة الى حقائق الاشياء ولكنها كثيرة بالنسبة الى الشهوات الجسمانية والذات الجسدانية * قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لاتجد لك به علينا وكلا الارحة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الاولى انه ما آتاهم من العلم الا قليلا بين في هذه الآية انه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل أيضا لقدّر عليه وذلك بان يحو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان أمرا مخالفا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه (المسئلة الثانية) احتج الكسبي بهذه الآية على أن القرآن مخلوق فقال والذي يقدر على ازالته والذهاب به يستحيل أن يكون قديما بل يجب أن يكون محدثا وهذا الاستدلال بعيد لان المراد بهذا الازهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النفوس الدالة عليه عن المصحف وذلك لا يوجب كون ذلك المعلوم المدلول محدثا وقوله ثم لاتجد لك به علينا وكلا أى لاتجد من تتوكل عليه في رد شئ منه ثم قال الارحة من ربك أى الآن يرحك ربك فبره عليك أو يكون على الاستثناء النقطع بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهب به وهذا امتنان من الله بقاء القرآن على انه تعالى من على جميع العلماء بنوعين من المنة (أحدهما) تسهيل ذلك العلم عليه (الثانى) ابقاء حفظه عليه وقوله ان فضله كان عليك كبيرا فيه قولان (الاول) المراد ان فضله كان عليك كبيرا بسبب بقاء العلم والقرآن عليك (الثانى) المراد ان فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود فلما كان كذلك لاجرم أنعم عليك أيضا ببقاء العلم والقرآن عليك * قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انافى سورة البقرة في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله بالغنائى بيان اعجاز القرآن

قوله تعالى (ذلك) أى ٣
ذلك العذاب (جزاؤه
بأنهم) أى بسبب أنهم
(كفروا بآياتنا) العقوبة
والنقطة الدالة على
صحة الاعادة دلالة
واضحة فذلك مبتدأ
وجزاؤه خبره ويجوز
أن يكون مبتدأ ثانيا
وبأنهم خبره والجملة
خبرها وذلك وأن يكون
جزاؤه بدلا من ذلك
أو بيانه والخبر هو
الظرف (وقالوا)
منكرين أشد الانكار
(أنذا كنا عظاما ورفانا
أنسالمبعوثون خلقا
جديدا) اما مصدر
مؤكد من غير لفظه
أى لمبعوثون بها جديدا
واما حال أى مخلوقين
مستأنفين (أولم يروا)
أى ألم يتفكروا ولم يعلموا

ولناس فيه قولان منهم من قال القرآن معجز في نفسه ومنهم من قال انه ليس في نفسه معجزا الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته مع ان تلك الدواعي كانت قوية كانت هذه الصرفة معجزة والخيار عندنا في هذا الباب أن نقول القرآن في نفسه ما أن يكون معجزا أولا لا يكون فان كان معجزا فقد حصل المطلوب وان لم يكن معجزا بل كانوا قادرين على الاتيان بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة وما كان اهم عنها صارف ومانع وعلى هذا التقدير كان الاتيان بمعارضته واجبا لازما فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا فهذا هو الطريق الذي نختاره في هذا الباب (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول هب أنه قد ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرفتم عجز الجن عن معارضته وأيضاً لم لا يجوز أن يقال ان هذا الكلام نظم الجن أقوه على محمد صلى الله عليه وسلم وخصوه به على سبيل السعي في اضلال الخلق فعلى هذا انما تعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم اذا عرفتم ان محمدا صادق في قوله انه ليس من كلام الجن بل هو من كلام الله تعالى حينئذ يلزم الدور وليس لاحد أن يقول كيف يعقل أن يكون هذا من قول الجن لاننا نقول ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن وانما يحسن هذا التحدى لو كانوا فصحاء بلغاء ومتى كان الامر كذلك كان الاحتمال المذكور قائماً أجاب العلماء عن الاول بان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه معجزا وعن الثاني ان ذلك لو وقع لوجب في حكمة الله أن يظهر ذلك للتليس وحيث لم يظهر ذلك دل على عدمه وعلى انه تعالى قد أجاب عن هذا السؤال بالاجوبة الشافية الكافية في آخر سورة الشعراء في قوله هل أنبئكم على من نزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم وقد شررنا كيفية هذه الاجوبة هناك فلا فائدة في الاعادة (المسئلة الثالثة) قالت المعتزلة الآية دالة على ان القرآن مخلوق لان التحدى القديم محال وهذه المسئلة قد ذكرناها أيضاً بالاستقصاء في سورة البقرة فلا فائدة في الاعادة * ثم قال تعالى (ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) وهذا الكلام محتمل وجوها (أحدها) انه وقع التحدى بكل القرآن كما في هذه الآية ووقع التحدى أيضاً بعشر سور منه كما في قوله تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ووقع التحدى بالسورة الواحدة كما في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ووقع التحدى بكلام من سورة واحدة كما في قوله فليأتوا بحديث مثله فقولوه ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتمل أن يكون المراد منه التحدى كما شررناه ثم انهم مع ظهور عجزهم في جميع هذه المراتب بقوامصرين على كفرهم (وثانيتها) أن يكون المراد من قوله ولقد صرنا للناس في هذا القرآن من كل مثل انا أخبرناهم بان الذين بقوا مصرين على الكفر مثل قوم عاد وثمود وكيف ابتلاهم بأنواع البلاء وشررنا هذه الطريقة مراراً وأطواراً ثم ان هؤلاء الاقوام يعني أهل مكة لم ينتفعوا بهذا البيان بل بقوامصرين على الكفر

(أن الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمهم)
(قادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر على أن المثل مقسم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) عطف على أولم يروا فانه في قوة قدر أو والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم من الانس وجعل لهم وابعثهم أجلا محققا لا ريب فيه هو يوم القيامة (فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة (الا كفورا) أى جحودا (قل أو أنتم

(وثالثها) أن يكون المراد انه تعالى ذكر دلائل التوحيد ونفي الشركاء والاضداد في هذا القرآن مرارا كثيرة وذكر شبهات منكرى النبوة والمعادمرارا وأطوارا وأجاب عنها ثم أردفها بذكر الدلائل القاطعة على صحة النبوة والمعاد ثم انهم هؤلاء الكفار لم ينتفعوا بسماعها بل بقوامصرين على الشرك وانكار النبوة * ثم قال تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفورا) يريد أكثر أهل مكة الا كفورا أى بحجود الحق وذلك انهم أنكروا ما لا حاجة الى اظهاره فان قيل كيف جازف أبى أكثر الناس الا كفورا ولا يجوز أن يقال ضربت الازيدا قلنا لفظ أبى يفيد النفي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا * قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيجرا أو تسقط السماء كازعت علينا كسفا أو تأتي بالهة والملائكة قبيلة أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء) وان يؤمن لر قبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) اعلم انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزا وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد صلى الله عليه وسلم فحينئذ تم الدليل على كونه نبيا صادقا لاننا نقول ان محمدا ادعى النبوة وظهر المعجز على وفق دعواه وكل من كان كذلك فهو نبى صادق فهذا يدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانا لو فتحنا هذا الباب للزم أن لا ينهى الامر فيه الى قطع وكلما أتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجز آخر ولا ينهى الامر فيه الى حدين قطع عنده عند المعاند ين وتغلب الجاهلين لانه تعالى حكى عن الكفار أنهم بعد أن ظهر كون القرآن معجزا التمسوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من المعجزات القاهرة كما حكى عن ابن عباس ان رؤساء أهل مكة أرسلوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان أرض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع فيها وفجر لنا فيها ينبوعا أى نهر او عين وان زرع فيها فقال لا أقدر عليه فقال قائل منهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفيجرا فقال لا أقدر عليه فقيل أو يكون لك بيت من زخرف أى من ذهب فيغنيك عنا فقال لا أقدر عليه فقيل له أما تستطيع ان تأتي قومك بما يسألونك فقال لا أستطيع قالوا فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطعم الشر فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أى قطعا بالعذاب وقوله كما زعمت اشارة الى قوله اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت فقال عبد الله بن أمية المخزومي وأمه عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والذي يحلف به لا أو من بك حتى تشد سلفا فتصعد فيه ونحن ننظر اليك فتأتى باربعة من الملائكة يشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا أدري أنؤمن بك أم لا فهذا شرح هذه القصة كما رواها ابن عباس (المسئلة الثانية) اعلم انهم اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنواعا من المعجزات (أولها) قولهم حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فإصم وحررة والكسأى تفجر بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة واختاره أبو حنيفة

تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفعين بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لوزات سوار لطحتي وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (اذن لا مسكتكم) ليجازيكم (خشبة الانفاق) مخافة النفاق بالانفاق اذ ليس في الدنيا أحد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو أثر غيره بشئ فانما يؤثره ليعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه (وكان الانسان قفورا) مبالغى البخيل لان مبنى أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله (ولقد آتينا موسى

قال لان النبوع واحد والباقون بالتشديد واختاره أبو عبيدة ولم يختلفوا في الثانية
شدة لاجل الانهار لانها جمع يقال فجرت الماء فجرا وفجرته تقجيرا فنقل أراد به كثرة
انفجار من النبوع وهو وان كان واحدا فلكثرة الانفجار فيه يحسن أن يشتمل كما
ول ضرب زيد اذا كثرت الضرب منه فيكثر فعله وان كان الفاعل واحدا ومن خفف
لان النبوع واحد وقوله ينبوعا يعني عينا ينبع الماء منه تقول ينبع الماء ينبع نبعا
نبوعا ونبعا ذكره الغراء قال القوم ازل عنا جبال مكة وفجر لنا النبوع ليسهل علينا
من الزراعة والحراثة (وثانيها) قولهم أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فنفجر الانهار
فلاها تقجيرا والتقدير كأنهم قالوا هب انك لا تقجر هذه الانهار لاجلنا فنفجرها من
جلك (وثالثها) قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفي سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وأبو
بر عن عاصم ههنا وفي الروم بفتح السين وفي باقي القرآن بسكونها وقرأ حفص في سائر
القرآن بالفتح الا في الروم وقرأ ابن كثير وأبو عمر ووجزة والكسائي في الروم بفتح السين
سائر القرآن بسكون السين قال الواحدي رحمه الله كسفا فيه وجهان من القراءة
كون السين وفتحها قال أبو زيد يقال كسفت الثوب أكسفته كسفا اذا قطعته قطعا
ال ليث الكسف قطع العروق والكسفة القطعة وقال الغراء سمعت اعرابيا
ول لبراز اعطاني كسفة يريد قطعة فنقرأ بسكون السين احتمل قوله وجوها (أحدها)
الغراء أن يكون جمع كسفة مثل دمنة ودمن وسدره وسدر (وثانيها) قال أبو علي
كان المصدر الكسف فالكسف الشيء المقطوع كما تقول في الطحن والطبخ والسقي
يؤكد هذا قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا (وثالثها) قال الزجاج من قرأ كسفا
نه قال أو يسقطها طبعا علينا واشتقاقه من كسفت الشيء اذا غطيته وأما فتح السين
بوجع كسفة مثل قطعة وقطع وسدره وسدر وهو نصب على الحال في الغراء تين جميعا
نه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة (المسئلة الثانية) قوله كما زعمت فيه وجوه
الاول قال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبى فأسقط السماء علينا (والثاني) قال آخرون
زعمت ان ربك ان شاء فعل (الثالث) يمكن أن يكون المراد ما ذكره الله تعالى في هذه
سورة في قوله أفأنتم أن نخسف بكم جانب البر أو نرسل عليكم حاصبا فليل اجعل
سما قطعا متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا (ورابعها) قولهم أو تأتي بالله
الملائكة قبيل وفي لفظ القبيل وجوه (الاول) القبيل بمعنى المقابل كما لعشير بمعنى
ما شرو وهذا القول منهم يدل على جهلهم حيث لم يعلموا أنه لا يجوز عليه المقابلة ويقرب
نه قوله وحشرنا عليهم كل شيء قبلا (والقول الثاني) ما قاله ابن عباس يريد فوجا بعد
قال الليث وكل جند من الجن والانس قبيل وذكرنا ذلك في قوله انه يراكم هو وقبيله
ال الثالث ان قوله قبيلامعناه ههنا ضامنا وكفيلنا قال الزجاج يقال قبلت به أقبل

تسمع آيات بينات)
واضحات الدلالة على
نبوته وصحة ما جاء به من
عند الله وهى العصا
واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم
والطوفان والسنون
ونقص الثمرات وقيل
انفجار الماء من البحر
وتنق الطور على نبى
اسرائيل وانفلاق البحر
بدل الثلاث الاخيرة
ويأباه أن هذه الثلاث
لم تكن منزلة اذ ذاك وأن
الاولين لا تعلق لهما
بفرعون وانما أوتيهما
بنو اسرائيل وعن صفوان
بن عسال ان يهوديا
سأل النبي عليه الصلاة
والسلام عنها فقال أن
لا تشر كوا به شيئا ولا
تسرفوا ولا تنزوا ولا
تقتلوا النفس التى

كقولك كقلت به أكفل وعلى هذا القول فهو واحد أريد به الجمع كقوله تعالى وحسن
أوثك رفيقا (واقول الرابع) قال أبو علي معناه المعاينة والدليل عليه قوله تعالى لولا
أنزل علينا الملائكة أنزى ربنا (وخامسها) قولهم أو يكون لك بيت من زخرف قال
مجاهد كنا لندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله أو يكون لك بيت من ذهب قال
الزجاج الزخرف الزينة يدل عليه قوله تعالى حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت
أي أخذت كمال زينتها ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب (وسادسها) قولهم
أوترق في السماء قال الفراء يقال رقت وأنار في رقي ورقيا وأنشد

أنت الذي كلقتني رقي الدرج * على الكلال والمشي والعرج

وقوله في السماء أي في معارج السماء لحذف المضاعف يقال رقي السلم ورقى الدرجة ثم
قالوا لمن يؤمن لربك أي لمن يؤمن لأجل ربك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه
تصديقك قال عبد الله بن أمية إن يؤمن حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر
حتى تأتيها ثم رأيت معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يسهدون لك أن الأمر كما
تقول وما حكي الله تعالى عن الكفار اقتراح هذه المعجزات قال محمد صلى الله عليه وسلم قل
سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا وفيه مباحث (البحث الأول) انه تعالى حكى من
قول الكفار قولهم لن يؤمن لك حتى تفخرنا من الأرض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربى
وكل ذلك كلام القوم وأنا لا نجد بين تلك الكلمات وبين سائر آيات القرآن تفاوتا في اللغة
فصح بهذا صحة ما قاله الكفار لو شاء لقائنا مثل هذا (والجواب) ان هذا القرآن قليل
لا يظهر فيه التفاوت بين مراتب الفصاحة والبلاغة قال هذا السؤال (البحث الثانى)
هذه الآيات من أدل الأدلة على أن المجئى والذهاب على الله محال لأن كلمة سبحان للتعزية
عما لا يليق وقوله سبحان ربى تعزية لله تعالى عن شئ لا يليق به أو نسب اليه مما تقدم ذكره
وليس فيما تقدم ذكره شئ لا يليق بالله إذ قولهم أو أتأتى الله فدل هذا على أن قوله سبحان ربى
تعزية لله عن الاتيان والمجئى وذلك يدل على فساد قول المشبهة في أن الله تعالى يجئ ويذهب
فإن قالوا لم لا يجوز أن يكون المراد تعزية الله تعالى عن أن يتحكم عليه المحكمون في اقتراح
الاشياء قلنا القوم لم يتحكموا على الله وانما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا
صادقا فاطلب من الله ان يشرق بك بهذه المعجزات فانهم يتحكموا على الرسول
وما يتحكموا على الله فلا يليق حل قوله سبحان ربى على هذا المعنى فوجب حمله على قولهم
أو أتأتى بالله (البحث الثالث) تقرر بهذا الجواب أن يقال اما أن يكون مرادكم من هذا
الاقتراح أنكم طلبتم الاثبات من عند أنفس هذه الاشياء أو طلبتم منى أن اطلب من الله
تعالى اظهارها على يدي لتدل على كونى رسولا حقا من عند الله والاول باطل لاني بشر
والبشر لا قدرة له على هذه الاشياء والثانى أيضا باطل لاني قد أثبتكم بمعجزة واحدة وهى
القرآن والدلالة على كونها بمعجزة فطلب هذه المعجزات طلبا لا حاجة اليه ولا ضرورتها

حرم الله الا بالحق
ولا تسحرُوا ولا تأكلوا
الربوا لا تشعوا وبيرى
الى ذى سلطان ليقته
ولا تقذوا محصنة
ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود
أن لا تعدوا في السبت
فقبل اليهودى يده
ورجله عليه السلام
ولا يساعده أيضا ما ذكر
ولعل جوابه عليه السلام
بذلك لما أنه المهم للسائل
وقوله لما أنه كان في التوراة
مسطورا وقد علم انه
ما علمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الامن
جهة الوحى (فاسأل
بنى اسرائيل) وقرئ
فسل أى فقلنا له أرسل
من فرعون وقل له أرسل
معى بنى اسرائيل
أو سلمهم عن ايمانهم أو عن
حال دينهم أو سلمهم أن

فكان طلبها يجري مجرى النعت والتحكم وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على الله
فسقط هذا السؤال فثبت أن قوله قل سبحانه ربي هل كنت الا بشر ارسولا جواب كاف
في هذا الباب وحاصل الكلام أنه سبحانه بين بقوله سبحانه ربي هل كنت الا بشر ارسولا
كونهم على الضلال في الالهيات وفي النبوات اما في الالهيات فيدل على ضلالهم قوله
سبحان ربي أي سبحانه عن أن يكون له اتیان ومجى * وذهب واما في النبوات فيدل على
ضلالهم قوله هل كنت الى بشر ارسولا وتقريره ما ذكرناه * قوله تعالى (وما منع الناس
أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم انه كان بعباده خيرا بصيرا) اعلم انه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات
ازائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة أخرى وهي ان القوم استبعدوا أن يبعث الله الى
الخلق رسولا من البشر بل اعتقدوا ان الله تعالى لو أرسل رسولا الى الخلق لو جب أن
يكون ذلك الرسول من الملائكة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة من وجوه (الاول)
قوله وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وتقريره هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث
الله ملكا رسولا الى الخلق فالخلق انما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لاجل قيام
المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم الى معرفة ذلك الملك في ادعاء رسالة
الله تعالى فالمراد من قوله تعالى اذ جاءهم الهدى هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد
الملك أو على يد البشر وجب الاقرار برسالة فثبت أن يكون قولهم بان الرسول لا بد وأن
يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتعتنا باطلا (الوجه الثاني) من الاجوبة التي ذكرها
الله في هذه الآية عن هذه الشبهة هو ان أهل الارض لو كانوا ملائكة لو جب أن يكون
رسولهم من الملائكة لان الجنس الى الجنس اميل اما لو كان أهل الارض من البشر
اوجب أن يكون رسولهم من البشر وهو المراد من قوله لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (الوجه الثالث) من الاجوبة
الذكرورة في هذه الآية قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وتقريره ان الله تعالى لما
ظهر المعجزة على وفق دعواي كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقا ومن شهد الله
على صدقه فهو صادق فبعد ذلك قول القائل بان الرسول يجب ان يكون ملكا لا انسانا
تحكم فاسدا لا يلتفت اليه ولما ذكر الله تعالى هذه الاجوبة الثلاثة أردفها بما يجري
مجري التهديد والوعيد فقال انه كان بعباده خيرا بصيرا يعني يعلم ظواهرهم وبواطنهم
يعلم من قلوبهم أنهم لا يدرون هذه الشبهات الا لحض الحسد وحب الرياسة
والاستنكاف من الانقياد للحق * قوله تعالى (ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن
ضل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القامة على وجوههم غيايا بكما وصما
باواهم جهنم كلما خبت زنادهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) اعلم انه تعالى

يعاضدوك ويؤيده قراءة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم على صيغة الماضي
وقيل خطاب للنبي عليه
الصلاة والسلام أي
فاسألهم عن تلك الآيات
لتزداد يقينا وطمأنينة
أو ل يظهر صدقك (اذ
جاءهم) متعلق بقولنا
وبسأل على القراءة
الذكرورة وبآياتنا أو
بعضهم هو يخبروك أو اذكر
على تقدير كون الخطاب
لرسول عليه الصلاة
والسلام (فقال له
فرعون) الفاء فصيحة
أي فأظهر عند فرعون
ما آتينا من الآيات
البيئات وبلغه ما أرسل
به فقال له فرعون (اني
لاظنك باموسي مسحورا)
سحرت فخطب عتاك
(قال لقد علمت ما أنزل
هؤلاء)

لما أجاب عن شبهات القوم في انكار النبوة وأردفها بالوعيد الاجالى وهو قوله انه كان
بعباده خيرا بصيرا ذكر بعده الوعد الشديد على سبيل التفصيل اما قوله من يهدى الله فهو
المهتدى ومن يضل فلن نجد لهم أولياء من دونه فالتقصود تسليبة الرسول وهو ان الذين
سبق لهم حكم الله بالايان والهداية وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله
بالضلال والجهل استحال ان يغلبوا عن ذلك الضلال واستحال أن يوجد من يصرفهم
عن ذلك الضلال واحتج أصحابنا بهذه الآية على صحة مذهبهم في الهدى والضلال
والمعتزلة حلوا هذا الاضلال تارة على الاضلال عن طريق الجنة وتارة على منع الاطراف
وتارة على التحلية وعدم التعرض له بالتمنع وهذه المباحث قد ذكرناها مرارا فلا فائدة في
الاعادة اما قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عياو بكما وصافان قيل
كيف يمكنهم المشى على وجوههم قلنا الجواب من وجهين (الاول) انهم يستحبون على
وجوههم قال تعالى يوم يستحبون في النار على وجوههم (الثاني) روى أبو هريرة قال
يا رسول الله كيف يحشون على وجوههم قال ان الذي يشيهم على اقدامهم قادر على أن
يشيهم على وجوههم قال حكاه الاسلام الكفار وأرواحهم شديدة التعلق بالندى والذات
وليس لها تعلق بعالم الارار وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم
وأرواحهم متوجهة الى الدنيا لاجرم كان حشرهم على وجوههم واما قوله عياو بكما
وصافا فاعلم ان واحدا قال لابن عباس رضى الله عنه اليس انه تعالى يقول ورأى
المجرمون النار وقال سمعوا لها تعبضا وزفيرا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتى كل
نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه
الآيات انهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال ههنا عياو بكما وصافا أجاب ابن
عباس وتلامذته عنه من وجوه (الاول) قال ابن عباس عياو يرون شيئا يسرهم صفا
لا يسمعون شيئا يسرهم بكما لا ينفقون بحجة (الثاني) قال في رواية عطاء بن ابي نجران
ما جعله الله لاوليائه بكما عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقر بين صاعين ثناء الله تعالى
على اوليائه (الثالث) قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسوا فيها ولا تكلمون يصيرون
عياو بكما صفا اما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون (الرابع) انهم يكونون راثنين
سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولان يسمعون
الزام بحجة الله عليهم لانهم اذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم الله عياو بكما
وصفا (والجواب) ان الآيات السابقة تدل على انهم في النار يصيرون ويسمعون
ويصيحون اما قوله تعالى ما واهم جهنم فظاهر واما قوله كلما خبت زنادهم سمعوا فيه
مباحث (البحث الاول) قال الواحدى الخبوسكون النار يقال خبت النار خبوا اذا
سكن لهبها ومعنى خبت سكنت وطفئت يقال في مصدره الخبوس وأخبأها الخبي الخباء
أخذها ثم قال زنادهم سمعوا قال ابن قتيبة زنادهم سمعوا أى نلها (البحث الثاني) لقائل

يعنى الآيات التي أظهرها
(الارب السموات
والارض) خالقهما
ومدبرهما والتعرض
لربوبيته تعالى لهما
للايدان بأنه لا يقدر على
ايتاء مثل هاتيك الآيات
العظام الا خالقهما
ومدبرهما (بصائر) حال
من الآيات أى بينات
مكشوفات تبصر كصدق
ولكنك تعاندون تكابر نحو
وجحدوا بها واستيقظتها
أنفسهم ومن ضرورة ذلك
العلم العلم بأنه عليه الصلاة
والسلام على كمال رصانة
العقل فضلا عن توهم
المسحورية وقرى علمت
على صيغة التكلم أى
لقد علمت يمين أن هذه
الآيات الباهرة أنزلها الله
عز سلطانه

أن يقول انه تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف في ذلك الوقت قلنا كلما خبت يقتضى سكون لهب النار اما لا يدل هذا على أنه يخفف العذاب في ذلك الوقت (البحث الثالث) قوله كلما خبت زدناهم سعيرا ظاهره يقتضى وجوب أن تكون الحالة الثانية أزيد من الحالة الاولى واذا كان كذلك كانت الحالة الاولى بالنسبة الى الحالة الثانية تخفيفا (والجواب) الزيادة حصلت في الحالة الاولى أخف من حصولها في الحالة الثانية فكان العذاب شديدا ويحتمل أن يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في أوقاته غير مشعور به نفوذ بالله منه ولما ذكر تعالى أنواع هذا الوعيد قال ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا والباء في قوله بأنهم كفر وباء السببية وهو وجه لمن يقول العمل علة الجزاء والله أعلم * قوله تعالى (وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أنالبعثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) اعلم انه تعالى لما أجاب عن شبهات منكرى النبوة عاد الى حكاية شبهة منكرى الحشر والنشر ليحجب عنها تلك الشبهة هي ان الانسان بعد أن يصبر رفاتا ورميما بعد أن يعود هو بعينه وأجاب الله تعالى عنه بان من قدر على خلق السموات والارض لم يعد أن يقدر على اعادتهم باعيانهم وفي قوله قادر على أن يخلق مثلهم قولان (الاول) المعنى قادر على ان يخلقهم ثانياً وبعبر عن خلقهم ثانياً بلفظ المثل كما يقول المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء (القول الثانى) المراد قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدهونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا التفسير فهو كقوله تعالى وبأت يخلق جديدا وقوله يستبدل قوم غيركم قال الواحدى والقول هو الاول لانه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكوران البعث والقيامة أمر ممكن الوجود في نفسه أردفه بان لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معا وما عند الله وهو قوله وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ثم قال تعالى فأبى الظالمون الا كفورا أى بعد هذه الدلائل الضاهرة أبوا الا الكفر والتفور والجحود * قوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لامسكنم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) ان الكفار لما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا طلبوا الجراء الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم وتسمع عليهم ثم عشتهم فيبين الله تعالى لهم انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبعوا على نخلهم وشجرهم ولما قدموا على ايصان النفع الى أحد وعلى هذا التقدير فلا فائدة في اسعافهم هذا المطلوب الذى التسوه فهذا هو الكلام في وجه النظم والله أعلم (المسئلة الثانية) قوله لو أنتم فيه ربح يتعلق بالنعو بحث آخر يتعلق بعلم البيان (اما البحث الثانى) فهو ان كلمة لؤمن قول بأنها أن نخضع بالفعل لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانقضاء غيره والاسم يدل على الذوات الفعل هو الذى يدل على الآثار والاحوال والمنتقى هو الاحوال والآثار لا الذوات

فكيف يتوهم أن يحوم
حولى سحر (واني
لاظنك يا فرعون مشورا)
مصرفا عن الخير مطبوعا
على الشمر من قواهم
ما تبرك عن هذا أى ما
صرفك أو هالك ولقد
فارع عليه السلام ظنه
بظنه وشتان بينهما
كيف لا وظن فرعون
اذك مبين وظنه عليه
الصلاة والسلام يتاخم
البقين (فاراد) أى
فرعون (أن يستغفرهم)
أى يستخفهم ويزجهم
(من الارض) أرض
مصر أو من الارض
مطلقا باقتل كفولهم
سقتل أبناءهم ونسجهم
نساءهم (فاغرقناه ومن
معه جميعا) فعكسنا عليه
مكره واستغفرناه وقومه
بالاغراق (وقلنا من

فثبت ان كلمة لو مختصة بالافعال وأنشدوا قول التمس

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * نصبت لهم فوق العرائن مائتما

والمعنى لو أراد غير أخوالى (واما البحث) المتعلق بعلم البيان فهو ان التقديم بالد كر يدل على التخصيص فقوله أنتم تملكون دلالة على أنهم هم المختصون بهذه الحالة الحسنة والشرح الكامل (المسئلة الثالثة) خزائن فضل الله ورحمته غير متناهية فكان المعنى انكم لوملكتم من الخير والتم خزائن لانهاية لها لبقيت على الشرح وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء ثم قال تعالى وكان الانسان قفورا أى بخيلا يقال قفرت قفرا وأقتر اقتارا وقتر تقبرا اذا قصر في الاتفاق فان قيل فقد دخل في الانسان الجواد الكريم فالجواب من وجوه (الاول) ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لابد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه الا انه قد يجوده لاسباب من خارج فثبت ان الاصل في الانسان البخل (الثاني) ان الانسان لما يبدل اطلب الشاء والمجد والمخرج عن عهده الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا لاخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل (الثالث) ان المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الذين قالوا لنؤمنن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا * قوله تعالى (وقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسهورا قل لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ولى لاظنك يا فرعون مشهورا فاراد ان يستغفرهم من الارض فغرقناه ومن معه جميعا وقتلنا من بعده بنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لغيفا) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المفسود من هذا الكلام أيضا الجواب عن قولهم ان نؤمنن لك حتى آتينا بهذه المعجزات القاهرة فقال تعالى انا آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التي طلبوها بل أقوى منها وأعظم فلو حصل في علمنا ان جعلها في زمانكم مصلحة فعلمناها كما فعلنا في حق موسى فدل هذا على اننا لم نعلم فعلها في زمانكم علمنا انه لا مصلحة في فعلها (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه الصلاة والسلام (أحدها) ان الله تعالى أزال العقدة من لسانه قبل في التفسير ذهبت العجمة وصار فصيحيا (وثانيها) انقلاب العصا حية (وثالثها) تلقف الحية جبالهم وعصيمهم ثم كثرتها (ورابعها) اليد البيضاء وخسة أخروهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (والعاشر) شق البحر وهو قوله واذ فرقتا بكم البحر (والحادى عشر) الجحش وهو قوله أن اضرب بعصاك الحجر (والثاني عشر) اظلال الجبل وهو قوله تعالى واذنتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (والثالث عشر) انزال المن والسوى عليه وعلى قومه (والرابع عشر والخامس عشر) قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (والسادس عشر) الضمى على أموالهم من الفحل والدقيق والاطعمة

بعده) من بعد اغراقهم (بنى اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد أن يستقر كم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكثرة الآخرة والحياة أو الساعة أو اندار الآخرة أى قيام القيامة (جئنا بكم لغيفا) مخلفين اياكم واياهم ثم نمكم بينكم ونمير سعداءكم من أشقيائكم واللافيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) أى وما أنزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق القضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى أشهد عليه أو ما أنزلناه من السماء المحفوظا وما نزل على الرسون الا محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الامر وآخره

الدرهم والدنانير روى ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب عن قوله تسم آيات بينات
فذكر محمد بن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز
هكذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فاخرجه ففضه فاذا فيه
بعض مكسور نصفين وجوز مكسور وفول وحص وعدس كلها حجارة اذا عرفت هذا
فقل قول انه تعالى ذكر في القرآن هذه المعجزات الستة عشر لموسى عليه الصلاة والسلام
قال في هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدح
في ثبوت الزائد عليه لا ينافي في أصول الفقه أن تخصيص المدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد
بل نقول انما يتسك في هذه المسئلة بهذه الآية ثم نقول أما هذه التسعة فمما انفقوا على
سبعة منها وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقى الاثنان
والكل واحد من المفسرين قول آخر فبهما والمالم تكن تلك الاحوال مستندة الى حجة
ظنية فضلا عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك الروايات وفي تفسير قوله تعالى تسع آيات
بينات أقوال أجودها ما روى صفوان بن عسال أنه قال ان يهوديا قال لصاحبه اذهب
بنا الى هذا النبي نسأله عن تسع آيات فذهبنا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه عنها فقال
هن ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تزنا ولا تغفلوا ولا تسحرروا ولا تأكلوا الربا
ولا تغدقوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا
بالسبت فقام اليهوديان قبلا بيديه ورجليه وقالوا نشهد انك نبي ولولا تخاف القتل
الاتيناك (المسئلة الثالثة) قوله فاسأل بنى اسرائيل ادعاهم فيه مباحث (البحث
الاول) فيه وجوه (الوجه الاول) انه اعتراض دخل في الكلام والتقدير وانما آتينا
موسى تسع آيات بينات ادعاهم بنى اسرائيل فاسألهم وعلى هذا التقدير فليس المطلوب من
سؤال بنى اسرائيل ان يستفيد هذا العلم منهم بل المقصود ان يظهرا عظمة اليهود وعلمهم
صديق ما ذكره الرسول فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد (والوجه الثاني) أن يكون
قوله فاسأل بنى اسرائيل أى سلمهم عن فرعون وقيل له أرسل معي بنى اسرائيل (والوجه
الثالث) سل بنى اسرائيل أى سلمهم أن يوافقوك وانتم منهم الايمان الصالح وعلى هذا
التأويل فالتقدير فقلنا له سلمهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك (البحث
الثاني) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسأل بنى اسرائيل معناه الذين كانوا
مجودين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والذين جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام
لم الذين كانوا في زمانه الا ان الذين كانوا في زمان محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا أولاد
للك الذين كانوا في زمان موسى حسنت هذه الكناية ثم أخبر تعالى ان فرعون قال لموسى
الاطن يا موسى مسحورا وفي لفظ المسحور وجوه (الاول) قال الفراء انه بمعنى الساحر
الشو ثم والميمون وذكرنا هذا في قوله بحجاب مستورا (الثاني) أنه مفعول من السحر أى
الناس مسحور وخبطوك فتقول هذه الكلمات لهذا السبب (الثالث) قال محمد

(وما أرسلناك الا مبشرا)
للمطيع بالثواب (ونذيرا)
للعاصي من العقاب وهو
تحقيق لحقيقة بعثته عليه
الصلاة والسلام اثر
تحقيق حقيقة انزال القرآن
(وقرأنا) منصوب بمضمر
بفسره قوله تعالى (فرقناه)
وقرى بالتشديد دلالة
على كثرة نجومه (لنقرأه)
على الناس على مكث
على مهل وثبت فانه
ايسر للحفظ وأعون على
الفهم وقرى بالقبح وهو
نعت فيد (وزنائه تنزيلا)
حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ويقع من
الحوادث والواقعات (قل)
للذين كفروا (آمنوا به
أو لا تؤمنوا) فان إيمانكم
به لا يزيدكم كالا وامتناعكم
لا يورثه نقصا (ان الذين
أوتوا العلم من قبله) أى
العلماء الذين قرؤا الكتب
السالفة من قبل تنزيله
وعرفوا حقيقة الوحي
وأمارات النبوة وتكونوا
من التمييز بين الحق

والباطل والمحقق والباطل
ورأوا فيها انك ونعت
ما أنزل اليك (اذنيلي)
أي اقرآن (عليهم يخرون
للادقان) أي يسقطون
على وجوههم (سجدا)
تعظيما لأمر الله تعالى
أو شكر الانجاز ما وعد
به في تلك الكتب من
بعثتك وتخصيص الاذقان
بالذكر للدلالة على كمال
الندال اذ حيز يند تحقق
الخروج عليها وإشارت للام
للدلالة على اختصاص
الخروج بها كافي قوله
* فخر صريعا لليدين
والفم * وهو تعليل لما
فهم من قوله تعالى آمنوا به
أولاً ثم آمنوا من عدم المبالاة
بذلك أي ان لم تؤمنوا
به فقد آمن به أحسن
إيمان من هو خير منكم
ويجوز أن يكون تعليلا
لقل على سبيل التسلية
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كأنه قيل
تسل بإيمان العلماء عن
إيمان الجاهلة ولا تكثرت

ابن جرير الطبري معناه أعطيت علم السحر فهذه المجائب التي تأتي بها من ذلك السحر ثم
أجابه موسى عليه الصلاة والسلام بقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السموات
والارض وفيه مباحث (البحث الاول) قرأ الكسائي علمت بضم التاء أي علمت انها من عند
الله فان علمت وأقررت والاهلكت والباقون بالفتح وضم التاء قراءة على وفتحها قراءة ابن
عباس وكان على رضى الله عنه يقول والله ما علم عبد الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ
ذلك ابن عباس رضى الله عنهما فاحتج بقوله تعالى ومجدوا بها واستيقنتها أنفسهم على
ان فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى عليه السلام قال الزجاج الاجود
في القراءة الفتح لان علم فرعون بانها آيات نازلة من عند الله أو كد في الحجة فاحتجج موسى
عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون أو كد من الاحتجاج بعلم نفسه وأجاب
التاصررون لقراءة على رضى الله عنه عن دليل ابن عباس فقالوا قوله ومجدوا بها
واستيقنتها أنفسهم يدل على انهم استيقنوا شيئا ما فاما انهم استيقنوا كون هذه الآيات
نازلة من عند الله فليس في الآية ما يدل عليه وأجابه عن الوجه الثاني بان فرعون قال ان
رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون قال موسى لقد علمت فكأنه نبي ذلك وقال لقد علمت
صحة ما أتيت به علما صحيحيا علم العقلاء واعلم ان هذه الآيات من عند الله ولا تشك في ذلك
بسبب سقاها (البحث الثاني) التقدير ما أنزل هؤلاء الآيات ونظيره قوله
والعش بعد أولئك الاقوام * وقوله بصائر أي حجابينة كأنها بصائر العقول وتحتها
الكلام ان المجردة فعل خارق للعادة فعله فاعله لغرض تصديق المدعى ومعجزات موسى عليه
الصلاة والسلام كانت موصوفة بهذين الوصفين لانها كانت أفعالا خارقة للعادة وصرا
العقول تشهد بان قارب العصا حية مجزة عظيمة لا يقدر عليه الا الله ثم ان تلك الحية تلفت
جبال السحرة وعصيمهم على كثرتها ثم عادت عصاها كانت فاصناف تلك الافعال لا يقدر
عليها أحد الا الله وكذا القول في فرق البحر وظلال الجبل فثبت ان تلك الاشياء ما أنزلها
الأرب السموات (النسفة الثانية) انه تعالى انما خلفها تبدل على صدق موسى في دعوى
النسوة وهذا هو المراد من قوله ما أنزل هؤلاء الأرب السموات والارض حال كونها بصائر
أي دالة على صدق موسى في دعواه وهذه الدقائق لا يمكن فهمها من القرآن الا بعد اتفاق
علم الاصول وأقول يبعد أن يصير غير علم الاصول العقلي فاهرا في تفسير كلام الله ثم حذر
تعالى ان موسى قال لفرعون واني لاظنك يا فرعون مشورا واعلم ان فرعون قال لمو
واني لاظنك يا موسى مسحوا رافعا راضه موسى وقال له واني لاظنك يا فرعون مشورا قال
الفرء المشور الملعون المحبوس عن الخير والعرب تقول مائتة عن هذا أي ما منعك من
وما صر فك وقال أبو زيد يقال ثبت فلانا عن الشيء أثبت أي رددته عنه وقال مجاهد
وقناة هالكوا وقال الزجاج يقال ثبت الرجل فهو مشور اذا هلك والشيور الهلاك وال
معر وف الكلام فلان يدعو بالويل والشيور عند مصيبة تناله وقال تعالى دعوا هانا

ثبورا لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا واعلم ان فرعون لما وصف موسى
 بكونه مسحورا أجابه موسى بانك مشبور بمعنى هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة
 ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله وفي أنه تعالى انما اظهرها لاجل تصديقي وأنت
 تكرها فلا يحملك على هذا الانكار الاحسد والعناد والغبى والجهل وحب الدنيا ومن
 ان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور ثم قال تعالى فأراد أن يستفزهم من الارض
 فبني أراد فرعون أن يخرجهم بمعنى موسى وقومه بنى اسرائيل ومعنى تفسير الاستفزاز
 قدم في هذه السورة من الارض بمعنى ارض مصر قال الزجاج لا يبعد أن يكون المراد من
 استفزازهم اخراجهم منها بالقتل أو بالتحية ثم قال فاغرقناه ومن معه جميعا المعنى ما ذكره
 الله تعالى في قوله ولا يحق المكر السيئ الا باهله أراد فرعون أن يخرج موسى من ارض
 مصر لخص له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل ملك مصر خالصة لموسى
 وقومه وقال بنى اسرائيل اسكنوا هذه الارض خالصة لكم خالية من عدوكم قال تعالى
 ذابجا وعدا الآخرة يريد القامة جثثا بكم لقيفان ههنا وههنا والقيف الجمع العظيم
 من الخلط شئ من الشريفة والدينى والمطبع والعاصى والقوى والضعيف وكل شئ
 خلطته بشئ آخر فقد افقته ومنه قيل لقفت الجيوش اذا ضربت بعضها ببعض وقوله
 لقيف الزخوف ومنه لقيف الساق بالساق والمعنى جثثا بكم من قبوركم الى الحشر
 لاطا بمعنى جميع الخلق المسلم والكافر والبر والفاجر * قوله تعالى (وبالحق أنزلناه
 بالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرأنا فرقناه على الناس على مكث
 أنزلناه تغريلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا نزل عليهم يخرون
 للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان ليكون
 يزيدهم خشوعا) اعلم انه تعالى لما بين ان القرآن معجز قاهر دال على الصدق في قوله قل لئن
 خفت الناس والجن ثم حكى عن الكفار انهم لم يكفوا بهذا المعجز بل طلبوا سائر
 معجزات ثم أجاب الله بانه لا حاجة الى اظهار سائر المعجزات وبين ذلك بوجوه كثيرة منها ان
 يوم موسى عليه الصلاة والسلام آتاهم الله تسع آيات بينات فلما جحدوا بها أهلكهم الله
 فكذا ههنا ثم أنه تعالى لو آتى قوم محمد تلك المعجزات التي افترحوها ثم كفروا بها وجب
 على عذاب الاستئصال بهم وذلك غير جائز في الحكمة لعله تعالى أن منهم من يؤمن والذي
 من فس يظهر من نسله من يصير مؤمنا ولماتم هذا الجواب عاد الى تعظيم حال القرآن
 بحالته درجته فقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل والمعنى انه ما أردنا بانزاله الا تفرير الحق
 الصدق وكأردنا هذا المعنى فكذلك وقع هذا المعنى وحصل وفي هذه الآية فوائد
 ثلاثة الاولى ان الحق هو الثابت الذي لا يزول كما ان الباطل هو الزائل الناهب وهذا
 كتاب الكريم مشتمل على أشياء لا تزول وذلك لانه مشتمل على دلائل التوحيد وصفات
 الال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتفريز نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر

بإيمانهم واعراضهم
 (ويقولون) في سجدتهم
 (سبحان ربنا) عما يفعل
 الكفرة من التكذيب
 أو عن خلف وعده
 (ان كان وعد ربنا لمفعولا)
 ان مخافة من المنة والام
 فارقة أى ان الشأن هذا
 (ويخرون للاذقان
 يكون) كرر الخور
 للاذقان لاختلاف السبب
 فان الاول لتعظيم أمر الله
 تعالى او الشكر لانجاز
 الوعد والثاني لما أرفعهم
 من مواعظ القرآن حال
 كونهم ياكين من خشية الله
 (ويزيدهم) أى القرآن
 بسماهم (خشوعا)
 كما يزيدهم علما وبقينا بانه
 تعالى (قل ادعوا الله
 أو ادعوا الرحمن) نزل حين
 سمع المشركون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول
 يا الله بارحنا فقالوا انه
 ينهانا عن عبادة الهين
 وهو يدعوا لها آخر وقات
 اليهود انك لتقل ذكر

واقبامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال وممثل أيضا على شربة باقية لا يتطرق اليها التسخن
والنقص والتخريف وأيضا فهذا الكتاب كتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف الزائعين
وتبدل الجاهلين كما قال انما نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون فكان هذا الكتاب حقا
من كل الوجوه (القائدة الثانية) ان قوله وبالخلق أنزلناه يفيد الحصر ومعناه أنه ما أنزل
للمقصود آخر سوى اظهار الحق وقالت المعتزلة وهذا يدل على انه ما قصد بانزاله اضلال احد
من الخلق ولا اغواؤه ولا منعه عن دين الله (القائدة الثالثة) قوله وبالخلق أنزلناه وبالخلق
نزل يدل على ان الانزال غير النزول فوجب أن يكون الخلق غير المخلوق وان يكون التكوين
غير المكون على ما ذهب إليه قوم (القائدة الرابعة) قال أبو علي الفارسي الياء في قوله وبالخلق
أنزلناه بمعنى مع كما تقول نزل بعده وخرج بسلاحه والمعنى انزلنا القرآن مع الخلق وقوله
وبالخلق نزل فيه احتملان (أحدهما) أن يكون التقدير نزل بالخلق كما تقول نزلت بر يدو على
هذا التقدير الحق محمد صلى الله عليه وسلم لان القرآن نزل به أي عليه (الثاني) أن تكون
بمعنى مع كما قلنا في قوله وبالخلق أنزلناه ثم قال تعالى وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا والمقصود
أن هؤلاء الجهال الذين يفتخرون عليك هذه المعجزات ويتردون عن قبول دينك لا شيء
عليك من كفرهم فاني ما أرسلناك الا مبشرا بالمطيعين ونذيرا للجاحدين فان قبلوا الدين
الحق انتفعوا به والا فلا تنس عليك من كفرهم شي ثم قال وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على
مكث وفيه مباحث (البحث الاول) ان اقوام قالوا يجب ان هذا القرآن معجزا لانه يتقد
أن يكون الامر كذلك فكان من الواجب أن ينزله الله عليك دفعة واحدة ليظهر فيه وج
العجاز فجاءوا بالبيان الرسول بهذا القرآن متفرقا بهذه في أنه يتفكر في فصل وفصل وقرأ
على الناس فاجاب الله عنه بأنه المتفرقة ليكون فضله أسهل ولكون الاحاطة والوقوف
على دقائقه وحنائقه أسهل (البحث الثاني) قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر
من السماء اعلى الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة كان بين
أوله وآخره عشرين سنة والمعنى قطعناه آية آية وسورة سورة ولم ينزله جملة لتقرأه على الناس
على مكث بالفتح وانضم على مهل وتؤدة أي لا على فورة قال الفراء يقال مكث ومكث
يمكث والفتح قراءة عامر في قوله فكث غير بعيد (البحث الثالث) الاختيار عند الأئمة
فرقناه بالتخفيف وفسره أبو عمرو ببناء قال أبو عبيد التخفيف أعجب الى لان تفسيره يدل
ومن قرأ بالتشديد لم يكن له معنى الا انه أنزل متفرقا ليعرف يتضمن النبيين ويؤكد
ما روي لعلب عن ابن الاعراب انه قال فرقت أفرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام ويدل
عليه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم السبعان بالخيار ما لم يتفرقا ولم يقل يتفرقا والتفر
مطاوع التفرق والافتراق مطاوع الفرق ثم قال ونزلناه تنزيلا أي على الحد المذكور
والصفة المذكورة ثم قال قل آمنوا به أولانو منوا بخاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات
العظيمة على وجد التهديد والانكار أي أنه تعالى أوضح البينات والدلائل وأزاح الاعتدال

الرحمن وقد أكثر الله تعالى في التوراة والمراد على الاول هو التسمية بين اللفظين بأنهما اعتباران عن ذات واحدة وان اختلاف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما بيان في حسن التظلال والافضاء الى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى (أيامنا تدعو فيه الاسماء الحسنى) والادعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأول التخبير والتثوين في ايعاض عن المضاف اليه وما مرادة لتأكدهما في من الابهام والضرب في الاسمين لأن التسمية بالاسم وكان أصل الكلام أيامنا تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى الجالبة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن

فأختاروا ما تريدون ثم قال تعالى ان الذين أتوا العلم من قبله أى من قبل نزول القرآن قال
 مجاهد هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا ساجدا
 منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ثم قال يخرون للأذقان ساجدا
 وفيه أقوال (القول الاول) قال الزجاج الذقن مجتمع الحين وكلما يتدنى الانسان بالخروج
 الى السجود فأقرب الاشياء من الجبهة الى الارض الذقن (والقول الثانى) ان الأذقان
 كناية عن الحمى والانسان اذا بالغ عند السجود فى الخضوع والخشوع ر بما مسح لحيته
 على التراب فان الحمى يبالغ فى تطهيرها فاذا عقرها الانسان بالتراب فقد أتى بغاية
 التعظيم (والقول الثالث) ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فر بما سقط على
 الارض فى معرض السجود كالغشى عليه ومتى كان الامر كذلك كان خروجه على الذقن
 فى موضع السجود فقوله يخرون للأذقان كناية عن غاية واهمه وخوفه وخشيته ثم بقى فى
 الآية سؤالان (السؤال الاول) لم قال يخرون للأذقان ساجدا ولم يقل يسجدون والجواب
 المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعته الى ذلك حتى انهم يسقطون (السؤال الثانى) لم
 قال يخرون للأذقان ولم يقل على الأذقان والجواب العرب تقول اذا خر الرجل فوقع
 على وجهه خر للذقن والله أعلم ثم قال تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
 والمعنى انهم يقولون فى سجدتهم سبحان ربنا أى يزهونه ويعظمونه ان كان وعد ربنا
 لمفعولا أى بازال القرآن وبعث محمد وهذيل على ان هؤلاء كانوا من أهل الكتاب لان
 الوعد يمشى محمد سبق فى كتابهم فهم كانوا ينتظرون انجاز ذلك الوعد ثم قال ويخرون للأذقان
 ليكون والفائدة فى هذا التكرير اختلاف الحالين وهما خروجهن للسجود وفى حال كونهم
 باكين عند استماع القرآن ويدل عليه قوله ويزيدهم خشوعا ويجوز أن يكون تكرار
 القول دلالة على تكرار الفعل منهم وقوله سيكون معناه الحال ويزيدهم خشوعا أى
 تواضعا واعلم ان المقصود من هذه الآية تقرير تحقيرهم والازدراء بشأنهم وعدم
 الاكتراب بهم وبأيمانهم وامتناعهم منهم وان لم يؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منهم
 * قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر
 بصلواتك ولا تخافت بها) أى بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
 فى الملك ولم يكن له ولى من الدن ولا كبره تكبيرا) قال صاحب الكشف المراد بهما الاسم
 المسمى والواو للتخيير بمعنى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أى سمعوا بهذا الاسم أو بهذا
 أو ادعوا الله أو ادعوا الله والتوابع فى الأعراف عن المضاف اليه وما صلة الابهام
 المؤكدة لما فى أى والتقدير أى هذين الاسمين سميت وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير
 قوله فله ليس براجع الى أحد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز
 وجل والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت
 دعاءه فقد حسن هذان الاسمان لانها منهما ومعنى حسن اسماء الله كونها مفيدة لطاقتي

جميع أسمائه يستدعى
 حسن ذنك الاسمين
 وكونها حسنى لدلائلهم
 على صفات الكمال
 الجلال والجلال والأكرام
 (ولا تجهر بصلواتك)
 أى بقراءة صلاتك بحيث
 تسمع المشركين فان ذلك
 يحملهم على السب
 واللعو فيها (ولا تخافت
 بها) أى بقراءتها
 بحيث لا تسمع من خلفك
 من المؤمنين (وابتغ)
 بين ذلك أى بين الجهر
 والخفاة على الوجه
 المذكور (سبيلا)
 أمر اوسطا قصدا
 فان خيرا الامور اوسطها
 والتعبير عن ذلك بالسبيل
 باعتبار أنه أمر يتوجه
 اليه المتوجهون ويؤممه
 المقنون وبوصلهم
 الى المطلوب وروى أن
 أبابكر رضى الله تعالى
 عنه كان يخفت ويقول

التمجيد والتعديس وقد سبق الاستقصاء في هذا الباب في آخر سورة الاعراف في تفسير
 قوله والله الاسماء الحسنى فادعوه بها واحتج الجبائي بهذه الآية فقال لو كان تعالى هو
 الخالق للظلم والجور لصح ان يقال باظالم وحينئذ يبطل ما ثبت في هذه الآية من كون اسمائه
 باسمه احسنه (والجواب) اننا لانسلم انه لو كان خالقا لافعال العباد لصح وصفه بانه ظالم
 وجائر كما انه لا يلزم من كونه خالقا للحركة والسكون والسواد والبياض ان يقال يمتحرك
 ويساكن ويأسود ويأبيض فان قالوا فيلزم جواز ان يقال يا خالق الظلم والجور قلنا
 فيلزمكم ان تقولوا يا خالق العذرات والديدان والخنافس وكما انكم تقولون ان ذلك حق
 في نفس الامر ولكن الادب ان يقال يا خالق السموات والارض فكذلك اقول لانه تعالى
 ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بها وفيه مباحث (البحث الاول) قوله ولا تجهر بصلاتك
 فيه أقوال (الاول) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوا وسبوا من جاءه فاجى
 الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله وعدوا بغير علم ولا تخاف بها
 فلا تسمع أصحابك وابتغ بين ذلك سبيلا (القول الثاني) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
 طاف بالليل على دور الصحابة وكان أبو بكر يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع
 صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره تخفي
 صوتك فقال أناسي ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزعج الشيطان
 وأوقظ الوسنان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض
 صوته قليلا (القول الثالث) معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخاف بها كلها وابتغ بين
 ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخاف بصلاة النهار (والقول الرابع) ان المراد بالصلاة
 الدعاء وهذا قول عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة رضي الله عنها هي
 في الدعاء وروى هذا مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية انما ذلك في
 الدعاء والمثله لا ترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك فتعير بها فالجهر بالدعاء منهي عنه
 والمبالغة في الاسرار غير جائزة والمستحب من ذلك التوسط وهو ان يسمع نفسه كما روى عن
 ابن مسعود انه قال لم يخاف من أسمع اذنبه (والقول الخامس) قال الحسن لا تراءى
 بعلايتها ولا تنسى بسريتها (البحث الثاني) الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار
 والجهر والمخافتة من عوارض الصوت فالمراد من الصلوات بعض اجزاء ماهية الصلاة
 وهو الاذكار والقرآن وهو من باب اطلاق اسم الكل لارادة الجزء (البحث الثالث) يقال
 خفت صوته يخفت خفتا وخفتونا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت أى خفيض ومنه يقال
 للرجل اذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل وخفت الرجل يخافت
 بقرآته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت وقد تخافت القوم اذا تساروا بينهم وأقول ثبت في
 كتب الاخلاق ان كلا طرفي الامور ذميم والعدل هو رعاية الوسط ولهذا المعنى مدح الله

أناسي ربي وقد علم
 حاجتي وعمر رضي الله
 عنه كان يجهر بها
 ويقول أطرده الشيطان
 وأوقظ الوسنان فلما نزلت
 أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبا بكر أن يرفع
 قليلا وعمر أن يخفض
 قليلا وقيل المعنى لا تجهر
 بصلاتك كلها ولا تخاف
 بها بأسرها وابتغ بين
 ذلك سبيلا بالمخافة نهارا
 والجهرا ليلا وقيل
 بصلاتك بدعاك وذنب
 قوم الى أنها منسوخة
 بقوله تعالى ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية
 (وقيل الحمد لله الذي
 لم يتخذ ولدا) كما يزعم
 اليهود والنصارى
 وبنو ملج حيث قالوا
 عزير ابن الله والمسيح
 ابن الله والملائكة
 بنات الله تعالى عن ذلك
 علوا كبيرا (ولم يكن له
 شريك في الملك) أى
 الألوهية

هذه الامة بقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقال في مدح المؤمنين والذين اذا أنفخوا
 لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله رسوله فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى
 عنقك ولا تبسطها كل البسط فكذا ههنا نهى عن الطرفين وهو الجهر والمخافة وأمر
 بالتوسط بينهما فقال وابتغ بين ذلك سبيلا ومنهم من قال الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية وهو بعيد واعلم انه تعالى لما أمر أن لا يدكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى علمه
 كيفية التمجيد فقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
 من الدن وكبره تكبرا فذكر ههنا من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع
 من الصفات (النوع الاول) من الصفات أنه لم يتخذ ولدا والسبب فيه وجوه (الاول) ان
 الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الاجزاء
 والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد (الثاني) ان
 كل من له ولد فانه يمسك جميع النعم اولده فاذا لم يكن له ولد افاض كل تلك النعم على عبده
 (الثالث) ان الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفناءه فلو كان له ولد اكان
 مقضيا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فوجب أن لا يستحق
 الحمد على الاطلاق (والنوع الثاني) من الصفات السلبية قوله ولم يكن له شريك في الملك
 والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لخيرت لا يعرف كونه مستحقا للحمد
 والشكر (والنوع الثالث) قوله ولم يكن له ولي من الدن والسبب في اعتبار هذه الصفة
 أنه اوجاز عليه ولي من الدن لم يحجب شكره لتجوز أن غيره حمله على ذلك الانعام أو منعه
 منه أما اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وكان منزها عن أن يكون له ولي بلى أمره
 كان مستوجبا لاعظم أنواع الحمد ومستحقا لاجل أقسام الشكر ثم قال تعالى وكبره تكبيرا
 ومعناه ان التمجيد يجب أن يكون مقرونا بالتكبير ويحمل أنواعا من المعاني (أولها) تكبيره
 في ذاته وهو أن يعتقد أنه واجب الوجود لذاته وانه غنى عن كل ماسواه (وثانيها) تكبيره
 في صفاته وذلك من ثلاثة أوجه (أولها) أن يعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات
 الجلال والعز والعظمة والكمال وهو منزه عن كل صفات النقص (وثانيها) ان يعتقد أن
 كل واحد من تلك الصفات متعلق بالانهاية له من المعلومات وقدرته متعلقة بالانهاية له
 من المقدورات والممكنات (ورابعها) أن يعتقد انه كاتقدست ذاته عن الحدوث وتزهت
 عن التغير والزوال والتحول والانتقال فكذلك صفاته أزلية قديمة سرمدية منزهة عن
 التغير والزوال والتحول والانتقال (انواع الثالث) من تكبير الله تكبيره في أفعاله وعند
 هذا تختلف أهل الجبر والقدر فقال أهل السنة اننا نحمد الله ونكبره ونعظمه عن أن يجزى
 في سلطانه شيء لا على وفق حكمه وارادته فالكل واقع بقضاء الله وقدرته ومشيئته وارادته
 بمقامات المعترضة اننا تكبر الله ونعظمه عن أن يكون فاعلا لهذه القبائح والقواش بل نعتقد
 ان حكمته تغضى التنزيه والتعديس عنها وعن ارادتها وصمعت ان الاساذ أبا إسحق

كأية قوله الشوية القائلون
 بتعدد الألهة (ولم يكن
 له ولي من الدن) ناصر
 ومانع منه لاعتزازه به
 أولم يوال أحدا من اجل
 مذلة ايدفعها به
 وفي التعرض في أثناء الحمد
 لهذه الصفات الجليلة
 ايدان بأن المستحق للحمد
 من هذه نعوته دون
 غيره اذ بذلك يتم الكمال
 والقدرة السامة على
 الابداد وما يفرح عليه
 من افاضة أنواع النعم
 وما عده ناقص مملوك
 نعمة او نعم عليه ولذلك
 عطف عليه قوله تعالى
 (وكبره تكبيرا) وفيه
 تنبيه على أن العبد
 وان بالغ في التسزيه
 والتعجيد واجتهد
 في المساعدة والتحميد
 ينبغي أن يعترف بالقصور
 في ذلك روى أنه صلى
 الله عليه وسلم

الاسفرايى كان جالسا فى دار الصاحب بن عباد فدخل القاضى عبد الجبار بن أحمد
الهمداني فلما رآه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ أبو اسحق سبحان من
لا يجرى فى ملكه الامابشاء (النوع الرابع) تكبير الله فى أحكامه وهو أن يعقد أنه ملك
مطاع وله الامر والنهى والرفع والخفض وأنه لا اعتراض لاحد عليه فى شئ أحكامه
يعز من يشاء ويذل من يشاء (النوع الخامس) تكبير الله فى أسمائه وهو أن لا يذكر
الاباسمائه الحسنى ولا يوصف الابصفاته المقدسة العالية المتزمنة (النوع السادس)
من التكبير هو أن الانسان بعد أن يبلغ فى التكبير والتعظيم والتزينة والتقديس مقدار
عقله وفهمه وخطره يعترف أن عقله وفهمه لا ينفى بمعرفة جلال الله ولسانه لا ينفى بشكره
وجوارحه وأعضاؤه لا تفي بخدته فكبير الله عن أن يكون تكبيره وافيًا بكنهه وعزته
وهذا أقصى ما يقدر عليه العبد الضعيف من التكبير والتعظيم ونسأل الله تعالى الرحمة
قبل الموت وعند الموت وبعد الموت انه الكريم الرحيم وبالله العصمة والتوفيق وحسبنا
الله ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء بين الظهر
والعصر يوم العشرين من شهر المحرم فى بلدة غزني سنة احدى وستائة والحمد لله والصلاة
على نبي محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

*(سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية مكية قال ابن عباس انها مكية غير آيتين منها فيها
ذكر عيسى بن حصن الفزارى وعن قتادة انها مكية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الأدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت هى سورة الكهف

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما لينذر بأشديد من لدنه ويثبت
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كثر فيه أبداً فى الآية
مسائل (المسئلة الاولى) أما الكلام فى حقائق قولنا الحمد لله فقد سبق والذى أوفيه
ههنا ان التسييح إنما جاء فانما جاء مقدما على التحميد لا ترى انه يقال سبحان الله والحمد لله
اذا عرفت هذا فنقول انه جل جلاله ذكر التسييح عندما أخبر أنه أسرى بمحمد صلى
الله عليه وسلم فقال سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وذكر التحميد عندما ذكر انه أنزل
الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وفيه
فوائد (الفائدة الاولى) ان التسييح أول الامر لانه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهبة
إشارة الى كونه كاملا فى ذاته والتحميد عبارة عن كونه مكتملا لغيره ولا شك ان
أول الامر هو كونه كاملا فى ذاته ونهاية الامر كونه مكتملا لغيره فلا جرم وقع
الاتداء فى الذكر بقولنا سبحان الله ثم ذكر بعده الحمد لله تنبيها على أن مقام التسييح
ومقام التحميد نهاية اذا عرفت هذا فنقول ذكر عند الاسراء لفظ التسييح وعند انزال
الكتاب لفظ التحميد وهذا تنبيد على ان الاسراء به أول درجات كماله وانزال الكتاب غا

كان اذا افصح الغلام
من بنى عبد المطلب
علمه هذه الآية الكريمة
وعنه عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
بنى إسرائيل فرقى
قلبه عند ذكر الوالدين
كان له قنطار فى الجنة
والقنطار ألف أوقية
وماثا أوقية والحمد لله
سبحانه وله الكبرياء
والعظمة والجبروت
*(سورة الكهف مكية

وقيل الا قوله تعالى
واصبر نفسك الآية
وهى مائة واحدى
عشرة آية سم)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الحمد لله الذى أنزل على
عبده) محمد صلى الله
عليه وسلم (الكتاب)
أى الكتاب الكامل
الغنى عن الوصف

ان المعروف بذلك من بين الدلائل الخفية باحتصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن وعن جميع المنزل
كأمر مراراً وفي وصفه تعالى بالوصول اشعاراً بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايدان بعظم شأن التنزيل
ال كيف لا وعليه يدور ذلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول عليه الصلاة والسلام بالعبد مضاعفاً لضمير الجلالة
في بلوغه عليه الصلاة والسلام الى أعلى ﴿ ٦٧٣ ﴾ معارج العبادة وتشريفه بأي تشريف واشعار بأن شأن
الرسول أن يكون عبداً

للمرسل لا كما زعمت
التصارى في حق عيسى
عليه السلام وتأخير
المفعول الصريح عن
الجار والمجرور مع أن
حقه التقديم عليه ليتصل
به قوله تعالى (ولم
يجعل له عوجاً) أي شيئاً
من العوج بنوع اختلال
في النظم وتنافي المعنى
أو انحراجه عن الدعوة
الى الحق وهو في المعاني
كالعوج في الاعيان وام
قوله تعالى لا ترى فيها
عوجاً ولا أمتاع كون
الجبال من الاعيان
فلا دلالة على انتفاء
ما لا يدرك من العوج
بحاجة البصر بل انما
يوقف عليه بالبعيرة
بواسطة استعمال
المقاييس الهندسية
ولما كان ذلك مما لا يشعر به
بالمشاعر الظاهرة عد
من قبيل ما في المعاني
وقيل القبح في اعوجاج
المنتصب كالعود والخطوط
والكسر في اعوجاج
غيره عينا كان أو معنى

رجات كماله والامر في الحقيقة كذلك لان الاسراء به الى المعراج يقتضي حصول
لكماله وانزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكملًا للارواح البشرية وناقلاً لها من
ضيق البهيمية الى أعلى درجات الملكية ولا شك ان هذا الثاني أكل وهذا تنبيه على ان
على مقامات العباد مقام أن يصير عالماً في ذاته معلماً لغيره ولهذا روي في الخبر أنه عليه
صلاة والسلام قال من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيماً في السموات (الفائدة الثانية) ان
لأسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت الى فوق وانزال الكتاب عليه عبارة عن انزال
الروح عليه من فوق الى تحت ولا شك ان هذا الثاني أكل (الفائدة الثالثة) ان
لنافع الاسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى انه تعالى قال هنالك لزيه من آياتنا ومنافع
انزال الكتاب عليه متعدياً ألا ترى انه قال لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين
بالنوازل المتعدية أفضل من القاصرة (المسئلة الثانية) المشبهة اسندوا بلفظ الاسراء
في السورة المتقدمة وبلغف الانزال في هذه السورة على انه تعالى منحص بجهة فرق
والجواب عنه مذكور بالتسام في سورة الاعراف في تفسير قوله تعالى ثم استوى على
العرش (المسئلة الثالثة) انزال الكتاب نعمة عليه ونعمة علينا أما كونه نعمة عليه فلا نه
تعالى اطلعنا بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتبليغ وصفات
الجلال والاكرام وأسرار أحوال الملائكة والانبيا وأحوال القضاء والقدر وتعلق
أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا
بكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات
تصوير النفس كالآلة التي يحكي فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت
لا شك ان ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلا نه مستعمل على
الشكليات والاحكام والوعود والوعيد والثواب والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل
في أقصى الدرجات فكل واحد ينفع به بمقدار طاقته وفهمه فلا كان كذلك وجب على
الرسول وعلى جميع أمته أن يحمداً والله عليه فعلهم الله تعالى كيفية ذلك التحميد فقال
لحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين فقال ولم يجعل له
عوجاً فيما وفيه أنجات (البحث الاول) اننا قد ذكرنا ان الشيء يجب أن يكون كاملاً في ذاته
يكون مكملًا لغيره ويجب أن يكون تاماً في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يغض عليه
الغير اذا عرفت هذا فنقول في قوله ولم يجعل له عوجاً إشارة الى كونه كاملاً في ذاته
وله فيما إشارة الى كونه مكملًا لغيره لان القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير ونظيره قوله
ول سورة البقرة في صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه إشارة الى
نه في نفسه بالغافي الصحة وعدم الاختلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه
له هدى للمتقين إشارة الى كونه سبب الهداية الخلق واكمل حالهم فقوله ولم يجعل له
لناقام مقام قوله لا ريب فيه وقوله فيما قام مقام قوله هدى للمتقين وهذه أسرار

المصالح الدينية والدنيوية ﴿ ٨٥ ﴾ خا للعبادة على ما ينبغي عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفه له
بعبارة وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهد بصحتها ومهيمن عليها أو متاهياً في الاستقامة
أكيد المادد عليه في العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له

سبما يلي عنه الصيغة لانه نفي عنه العوج مع لونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر يني عند نفي العوج تقديره جعله قويا وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا بد حينئذ بين أبعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرى قويا (لينذر) متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول ﴿ ٦٨٤ ﴾ الاول للايدان بأن ماسبق له

هو المفعول الثاني وأن الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره أى أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به (بأسا) أى عذابا (شديدا) أى صادرا من لدنه (أى صادرا) من عنده نازلا من قبله

الطيفة (البحث الثاني) قال أهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد وجوه (أحدها) نفي التناقض عن آياته كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا اختلافًا كثيرا (وثانيها) ان كل ما ذكر الله من النوحيد والنبوة والاحكام والنكا فهو حق وصدق ولا خلل في شيء منها البتة (وثالثها) ان الانسان كأنه خرج من عالم الى متوجها الى عالم الآخرة والى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كأنها رباط بنى على طرف عالم القيامة حتى ان المسافر اذا نزل فيه اشتغل بالهمات التي يجب رعايتها في هذا العالم ثم يتحل منه متوجها الى عالم الآخرة فكل ما دعه من الدنيا الى الآخرة والى الجسديات الى الروحانيات ومن الخلق الى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدية الى الاستنارة بالانوار الصمدانية فثبت انه مبرا عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى ولم يجعل له عوجا (الصفة الثانية) للكتاب وهي قوله قويا قال ابن عباس يريد مستقيما وهذا عندى مشكل لانه لا معنى لنفي الاعوجاج الا حصول الاستقامة ففسد القيم بالمستقيم يوجب التكرار وانه باطل بل الحق ما ذكرناه وان المراد من كونه قويا سبب لهداية الخلق وأنه يجرى مجرى من يكون قويا للاطفال فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم (البحث الثالث) قال الواحدي جيب أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقدم والتأخير والتقدير أنزل على عبده الكتاب فيم لم يجعل له عوجا وأقول قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لاننا ان قوله ولم يجعل له عوجا يدل على كونه كاملا في ذاته وقوله فيم لم يجعل له عوجا يدل على كونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكمل لاغير فثبت بالبرهان العقلي ان الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله ولم يجعل له عوجا فيم لفظه أن ما ذكره من انقلب والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب اليه (البحث الرابع) اختلف النحويون في ان نصب قوله قويا وذكروا فيه وجوها (الاول) قال صاحب الكشاف لا يجوز جعله حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجعل حالا من الكتاب يوجب الفصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة وانه لا يجوز ولما اطل هذا وجب أن ينصب بمضمر والتقدير ولم يجعل له عوجا وجعله قويا (الوجه الثاني) قال الاصفهاني الذي نرى فيه أن يقال قوله ولم يجعل له عوجا حال وقوله قويا حال أيضا وهما حالان متواليان والتقدير أنزل على عبده الكتاب غير مجعول له عوجا قويا (الوجه الثالث) قال السيد صاحب حل العقد يمكن أن يكون قوله فيم لا بدلا من قوله ولم يجعل له عوجا لان معنى لم يجعل له عوجا انه جعله مستقيما فكانه قيل أنزل على عبده الكتاب قويا (الوجه الرابع) أن يكون حالا من المضمر في قوله ولم يجعل له عوجا أى حاله قائما بمصالح العباد وأحكام الدين واعلم انه تعالى لما ذكر انه أنزل على عبده هذه الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لاجله أنزله فقال لينذر بأسا

بمقابلته كفرهم وتكذيبهم وقرى من لدنه يسكون الدال مع اشتمال الضمة وكسر الثون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للتأنيب (وييسر) بالتشديد وقرى بالتخفيف (المؤمنين) أى المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه واشار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الوصول على موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الاعمال هو الايمان (ان لهم) أى بان لهم بمقابلته ايمانهم وأعمالهم المذكورة (أجزا حسنا)

هو الجند وما فيها من المثوبات الحسنى (ما كثر) حال من الضمير المحرور وفيهم (فيه) أى في ذلك الاجر (أبدا) من غير انتهاء أى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لما كثرين وتقديم الانذار على التبشير لانه العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التحلية على الخلقة وتكرير الانذار بقوله تعالى (وينذ قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار

في حقهم من غير أن يبين من كان معاصيا لهم بما فيه سعادتهم وصبرهم على ما يبتليهم من سائر
هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون
بن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وتركوا اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين
ببكة فاية ما في حيز الصلة في الكفر ٦٧٥ على أفصح الوجوه وبإتار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على

تحقق صدور تلك الكلمة
التيجة عنهم فيما سبق
وجعل المفعول المحذوف
فيما سلف عبارة عن هذه
الطائفة يؤدى الى خروج
سائر أصناف الكفرة
عن الانذار والوعيد
وتعميم الانذار هناك
للمؤمنين أيضا بحمله على
معنى مجرد الاخبار بالخبر
الضار من غير اعتبار
حلول المنذر به على المنذر
كافي قوله تعالى أن أنذر
الناس وبشر الذين
آمنوا يفضى الى خلو
التنظيم الكريم عن الدلالة
على حلول البأس الشديد
على من عدا هذه الفرقة
ويجوز أن يكون الفاعل
في الافعال الثلاثة ضمير
الكتاب أو ضمير الرسول
عليه الصلاة والسلام
(مالهم به) أى يأخذ
سبحانه وتعالى ولدا (من
علم) مرفوع على الابتداء
أو الفاعلية لاعتماد
الظرف ومن مزيدة
لأن كيد النفي والجملة الحالية
أو مستأنفة لبيان حالهم

نه وأنذر متعدالى مفعولين كقوله انا أنذرنا كم عذابا قريبا الا انه اقتصر ههنا على
أصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا كما قال في ضده ويبشر المؤمنين والبأس
وذ من قوله تعالى بعذاب يئس وقد يؤس العذاب ويؤس الرجل بأسا وبأسه وقوله
انه أى صادر من عنده قال الزجاج وفي لندن لغات يقال لدن ولدى ولدوا المعنى واحد
هى لا يتمكن تمكن عندك تقول هذا القول صواب عندي ولا تقول صواب لدنى
ل عندي مال عظيم والمال غائب عنك ولدنى لما يملك لا غير وقرأ عاصم في رواية أبى
سكون الدال مع اشتمال الضم وكسر النون والهاء وهى لغة بنى كلاب ثم قال تعالى
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا واعلم أن المقصود من
مال الرسل انذار المذنبين وبشارة المطيعين ولما كان دفع الضرر أهم عند العقول من
سأل النعم لاجرم قدم الانذار على التبشير في اللفظ قال صاحب الكشف وقرئ
بشر بالتخفيف والتثقل وقوله ما كثر فيه أبدا يعنى خالد بن وهو حال للمؤمنين
قوله ان لهم أجرا قال انما ضاعى الآية دالة على صحة قولنا في مسائل (أحدها) ان القرآن
وقى ويانه من وجوه (الاول) انه تعالى وصفه بالانزال والنزول وذلك من صفات
الذات فان القديم لا يجوز عليه التغير (الثاني) وصفه بكونه كتابا والكتب هو الجمع
وسمى كتابا لكونه مجموعا من الحروف والكلمات وما صح فيه التركيب والتأليف
لم يحدث (الثالث) انه تعالى أثبت الحمد لنفسه على انزال الكتاب والحمد انما يستحق
ل النعمة والنعمة محدثة مخلوقة (الرابع) انه وصف الكتاب بأنه غير معوج وبأنه
قيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك فثبت انه محدث مخلوق (وثانيها) مسألة خلق
مال فان هذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسئلة من وجوه (الاول) نفس الامر
لانه لو لم يكن لا عبد فعل لم ينفذ بالكتاب اذا الانتفاع به انما يحصل اذا قدر على أن
ل مادل الكتاب على أنه يجب فعله وبترك مادل الكتاب على أنه يجب تركه وهو
فعل ذلك لو كان مستقلا بنفسه أما اذا لم يكن مستقلا بنفسه لم يكن له عوج الكتاب
ل اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب فيما اثر في استقامة فعله أما اذا كان العبد
وعلى الفعل مختارا فيه بقى لعوج الكتاب واستقامته اثر في فعله (والثاني) انه تعالى
أنزل بعض الكتاب ليكون سببا لكفر البعض وأنزل الباقي لايؤمن البعض الآخر
ان الكتاب قيم لا عوج فيه لانه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك (والثالث) قوله
وفيه دلالة على انه تعالى أراد مند صلى الله عليه وسلم انذار الكل وتبشير الكل
وإن يكون خالق الكفر والايمن هو الله تعالى لم يبق الانذار والتبشير معنى لانه
اذا خلق الايمان فيه حصل شاء أولم يشأ واذا خلق الكفر فيه حصل شاء أولم يشأ
ل انذار والتبشير على الكفر والايمن جار يا مجرى الانذار والتبشير على كونه طويلا
واسود وأبيض بما لا قدرة له عليه (الرابع) وصفه المؤمنين بأنهم يعملون

أى مالهم بذلك شئ من علم أصلا لا لخلالهم بطريقة مع تحقق المعلوم أو امكانه بل لاستحالة في نفسه
انهم الذين قلدوهم فناهوا جيعا في تيه الجهالة والضلالة أو مالهم علم بما قالوه أو صواب أم خطا بل انما قالوه
على وجهالة من غير فكر وروية كافي قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة ما قالوه وبعضهم

والله في الشهادة على قوله تعالى (كبرت كلمة) أي عظم مقاتلهم هذه الكفر والافتراء لما فيها من نسبة سبحانه إلى ما لا يكاد ما يجنب كبريائه والفاعل في كبرت أما ضمير المقالة المدلول عليها بقاوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر به من الزكرة المنصوبة تميزا كبش رجلا والخصوص بالذم محذوف ﴿٦٧٦﴾ تقديره كبرت هي كلمة خارج

الصالحات فإن كان ما وقع خلق الله تعالى فلا عمل لهم البتة (الخامسة) إيجابه لهم الأ الحسن على ما علوا فإن كان الله تعالى يخلق ذلك فبهم فلا إيجاب ولا استحقاق (السادسة) قال قوله لينذر يدل على أنه تعالى إنما يفعل أفعاله لأغراض صحيحة وذلك قول من يقول إن قوله غير معمل بالعرض وأعلم أن هذه الكلمات قد تكررت في الكتاب فلا فائدة في الإعادة * قوله تعالى (و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به علم ولا لأنهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فذلك باعخ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) في الآية مسائل (المسئلة الأولى) أعلم أن قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا معطوف على قوله لينذر بأسا شديدا من لدن المعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف عليه فالاول عام في حق كل من استحق العقاب والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بانه اذا ذكر قضية كلية عطف على بعض جزئياتها تنبيهها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال فكذاهمنا المعطف يدل على أن أفصح أنواع الكفر والمعصية إثبات الولد لله تعالى (المسئلة الثانية) الذين أثبتوا الولد لله تعالى ثلاث طوائف (أحدها) كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله (وثانيها) النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله (وثالثها) اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والكلام في إثبات الولد لله كفر عظيم ويلزم منه محال عظمية قد ذكرناه في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وخرقوا بينين وبنات غير علم وتماه مذكور في سورة مريم ثم انه تعالى أنكر على القائلين بآيات الوالد لله تعالى من وجهين (الاول) قوله ما لهم به من علم ولا لأنهم قالوا اتخذ الله ولدا محال في نفسه فكيف قبل ما لهم به من علم قلنا انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانته في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله ومن يدع ما لله الهما آخر لا يرهان له به وأعلم أن نفاة القياس تمسكوا بهذه الآية فقالوا هذه الآيات تدل على أن أقول في الدين بغير علم باطل والقول بالقياس الظني قول في الدين بغير علم فيكون باطلا وتماه نفي ربه مذكور في قوله ولا تنف ما ليس لك به علم وقوله ولا لأنهم ولا أحد من أسلافهم وهذا مباينة في كون تلك المقالة باطلة فاسدة (النوع الثاني) ما ذكره الله في الباطل قوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم وفيه مباحث (البحث الاول) قرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية قال الواحدى ومعنى التمييز اذا قلت كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن يتوهم أنها كبرت كذبا أو جهلا أو افتراء فلا كلمة ميزتها من محتملاتها فالتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فعل فيه الأضمار أما من رفع فلم يضم شئنا كما تقول عظام فلان فلذلك قال النحويون والله أقوى وأبلغ وفيه معنى التعجب كأنه قبل ما كبرها كلمة (البحث الثاني) قوله كبريا كبرت الكلمة والمراد من هذه الكلمة ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله قالوا اتخذ الله

أفواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشباع الضم وقرئ كلمة بالرفع (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترأهم على التفوه بها واستناد الخروج اليها مع أن الخارج هو الهوا والمكثف بكيفية الصوت لملاسنه بها (ان يقولون) ما يقولون في ذلك الشأن (الاكذبا) أي الأقوال كذبا لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلا والضمير ان لهم ولا بأنهم مثل حاله عليه الصلاة والسلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوابعهم عن الإيمان بقرآن وكال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يجب عند مفارقة أحبته ناسفا على مفارقتهم ولم يفاعلى مهاجرتهم فليل على طريقة التليل جلالة عليه الصلاة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك (فاعلم باعخ)

أي مهلك (نفسك على آثارهم) عما وجدوا على فراقهم وقرئ بالإضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف نفقة بدلالة ما سبق عليه بأن المقنوحة أي لان لم يؤمنوا فاعمال باعخ شمله على حكاية حال

فيه من الضمير أو متأسفاً عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية يجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين لا بين
الهيئتين المنزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم (أنا جعلنا على الأرض)
استثنافاً وتعليل لما في لعل من معنى الاشتاق اي ﴿ ٦٧٧ ﴾ أنا جعلنا ما عليها من عدامن وجهه اليه التكليف من

الزخارف حيوانا كاد
أوبناً ومعدنا كقوله
تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الأرض جميعه
(زينة) مفعول ثان للجمع
ان حمل على معنى النصيب
أو حال ان حمل على معنى
الابداع واللام في (لهم)
أما متعلقة بزينة أو
بمخدوف هو صفة له
أي كائنه أي لا يتبع
بها الناظر من المكلفين
ويتنفصوا بها نظراً
واستدلالاً بأن الحياة
والعقارب من حيث تذكار
هما العذاب الآخرة من
قبيل المنافع بل كل
حادث داخل تحت
الزينة من حيث دلالة
على وجود الصانع
ووحدة فان الأزواج
والاولاد أيضاً من زينة
الحياة الدنيا بل أعظمها
ولا يمنع ذلك كونهم من
جمله المكلفين فانهم
من جهة انسابهم الى
أصحابهم داخلون
تحت الزينة ومن جهة
كونهم مكلفين داخلون
تحت الابتلاء (لنبلوهم)

فصارت مضرة في كبرت وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة (البحث الثالث) اخرج
النظام في اثبات قوله ان الكلام جسم بهذه الآية قال انه تعالى وصف الكلمة بأنها
تخرج من أفواههم والخروج عبارة عن الحركة والحركة لا تنصح الاعلى الاجسام والجواب
ان الحروف والاصوات انما تحدث بسبب خروج النفس عن الخلق فلما كان خروج
النفس سبباً لحدوث الكلمة أطلق لفظ الخروج على الكلمة (البحث الرابع) قوله تخرج
من أفواههم يدل على ان هذا الكلام مستكره جداً عند العقل كما أنه يقول هذا الذي
يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطالان فكانه شيء
يجرى به لسانهم على سبيل التقليد لانهم مع انها قولهم عقولهم وفكرهم تأباهوا تنفر عنها
ثم قال تعالى ان يقولون الا كذبا ومعناه ظاهر واعلم أن الناس قد اختلفوا في حقيقة
الكذب فعندنا انه الخبر الذي لا يطابق الخبر عنه سواء اعتقد المخبر أنه مطابق أم لا ومن
الناس من قال شرط كونه كذباً أن لا يطابق الخبر عنه مع علم قائله بأنه غير مطابق وهذا
القييد عندنا باطل والدليل عليه هذه الآية فانه تعالى وصف قولهم بأثبات الولد لله بكونه
كذباً مع ان الكثير منهم يقول ذلك ولا يعلم كونه باطلاً فعلمنا ان كل خبر لا يطابق الخبر عنه
فهو كذب سواء علم القائل بكونه مطابقاً أو لم يعلم ثم قال تعالى فلعنك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً وفيه مباحث (البحث الاول) المقصود منه أن
يقال للرسول لا يعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذراً ومبشراً
فأما تحصيل الايمان في قلوبهم فلا قدرة لك عليه والغرض تسلية الرسول صلى الله عليه
وسلم عنه (البحث الثاني) قال البيت نجمع الر جل نفسه اذا قتله اغيظا من شدة وجده بالشيء
وقال الا خفص والفرأ أصل النجم الجهد يقال نجعت لك نفسي أي جهدتها وفي
حديث عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عمر فقالت نجمع الأرض أي جهدها حتى أخذ
ما فيها من أموال الملوك وقال الكسائي نجعت الأرض بالزراعة اذا جعلتها ضعيفة
بسبب متابعة الحرثة ونجمع الر جل نفسه اذا نهكها وعلى هذا معنى باخع نفسك أي
ناهكها وجاهدتها حتى نهكها ولكن أهل التأويل كلهم قالوا قاتل نفسك ومهلكها
والاصل ما ذكرناه هكذا قال الواحدي (البحث الثالث) قوله على آثارهم أي من بعدهم
يقال مات فلان على أثر فلان أي بعده وأصل هذا ان الانسان اذا مات بقيت علاماته
في آثاره بعد موته مدة ثم انها تنمحي وتبطل بالكلية فاذا كان موته قريباً من موت الاول
وكان موته حاصل حال بقاء آثار الاول فصح أن يقال مات فلان على أثر فلان (البحث
الرابع) قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث المراد بالحديث القرآن قال القاضي وهذا
افتقضى وصف القرآن بأنه حديث وذلك يدل على فساد قول من يقول انه قديم وجوابه انه
محمول على الالفاظ وهي حادثة (البحث الخامس) قوله أسفاً الأسف المبالغ في الحزن
ذكرنا الكلام فيه عند قوله غضبان أسفاً في سورة الاعراف وعند قوله يا أسفاً على

لمن يجعلنا أي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يخبرهم (أيهم أحسن عملاً) فجازهم بالشواب والعقاب حسبما تبين
سن من السيئ وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة على أنظارهم
باوت درجات أعمالهم المنفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأما استفهامية من فوعة

بالبنيان وأحسن خبرها والجملة في محل نصب معلقة لتعليل البولي لما قبله من معنى القياس ما راعيته كالمسألة الأولى
ولذلك أجرى مجراه بطريق التخييل والاستعارة التبية وأما موصولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها
وهي في حيز نصب بدل من مفعول لتبليوهم والتقدير لتبليو الذي هو أحسن مما لا يخفى على من لا يكون الضمة في أيهم البناء كما
في قوله عز وجل ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد ٦٧٨ على الرحمن عني على أحد الأقوال الحق شرط

البناء الذي هو الاضافة
لفظا وحذف صدر
الصلة وأن تكون
للاعراب لأن ما ذكر
شرط لجواز البناء لا
لوجوبه وحسن العمل
الزهد فيها وعدم الاعتراض
بها والقناعة باليسير
منها وصرفها على ما
ينبغي والتأمل في شأنها
وجعلها ذريعة الى معرفة
خالفها والمتعجب بها حسبما
أذن له الشرع وأداء
حقوقها والشكر لها
لاتخاذها وسيلة الى
الشهوات والاغراض
الفاصلة كما يفعله الكفرة
وأصحاب الاهواء وإيراد
صفة التفضيل مع أن
الابتلاء شامل للرفيعين
باعتبار أعمالهم المنقسمة
الى الحسن والقبيح أيضا
لا الى الحسن والاحسن
فقط لا شعرا بأن الغاية
الاصيلة للمجمل المذكور
انما هو ظهور كمال
احسان المحسنين على
ما حقق في تفسير قوله
على ليتلوكم أيكم أحسن

يوسف وفي انتصابه وجوه (الاول) انه نصب على المصدر ودل ما قبله من الكلام على انه
بأسف (الثاني) يجوز أن يكون مفعولا له أي للأسف كقولك جئتكم انتفاء الخبر
(والثالث) قال الزجاج أسفا منصوب لانه مصدر في موضع الحال (البحث السادس)
الفاء في قوله فلهلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه ومثناه الأخير
* قوله تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لها لتبليوهم أيهم أحسن عملا وانا لجالعون
ما عليها صعيدا جزا) في الآية مسائل (المسألة الاولى) قال القاضي وجه النظم كأنه
تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها آخر جت منها أنواع المنافع والمصالح
والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكليف ثم انهم يكفرون
ويعتدون ومع ذلك فلا قطع عنهم مواد هذه النعم فانت أيضا يا محمد ينبغي أن لا تنهى
في الحزن بسبب كفرهم الى أن تترك الاستغفار بدعوتهم الى الدين الحق (المسألة الثانية)
اختلفوا في تفسير هذه الزينة فقال بعضهم النبات والشجر وضم بعضهم اليه الذهب
والفضة والمعادن وضم بعضهم اليه سائر الحيوانات وقال بعضهم بل المراد الناس
فهم زينة الارض والجملة فليس بالارض الا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات
والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان وقال القاضي الاولى انه لا يدخل في هذه
الزينة المكلف لانه تعالى قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها لتبليوهم فمن يلوهم يجب
أن لا يدخل في ذلك فأما سائر النبات والحيوان فانهم يدخلون فيه كدخول سائر ما ينفع به
وقوله زينة لها أي للارض ولا يمنع أن يكون ما يحسن به الارض زينة للارض كما جعل
الله السماء من زينة زينة الكواكب أما قوله لتبليوهم أيهم أحسن عملا ففيه مسائل
(المسألة الاولى) ذهب هشام بن الحكم الى أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند دخولها
في الوجود فعلى هذا الابتلاء والامتحان على الله جائز وحين عليه بأنه تعالى او كان عالما
بالجزئيات قبل وقوعها لكان كل ما علم وقوعه واجب الوقوع وكل ما علم عدمه ممتنع
الوقوع والا لزم انقلاب علمه جهلا وذلك محال والمنعنى الى المحال محال ولو كان ذلك
واجبا فالذي علم وقوعه يجب كونه فاعلاله ولا قدرته على الترك والذي علم عدمه يكون
ممتنع الوقوع ولا قدرة له على الفعل وعلى هذا يلزم أن لا يكون الله قادرا على شئ أصلا
بل يكون موجبا بالذات وأيضا فيلزم أن لا يكون لاهب قدرة لاهل الفعل ولا على الترك
لان ما علم الله وقوعه امتنع من العبد تركه وما علم الله عدمه امتنع منه فعله فالتقول بكونه
تعالى عالما بالاشياء قبل وقوعها يقدر في البرية وفي العبودية وذلك باطل ثبت أنه
تعالى انما يعلم الاشياء عند وقوعها وعلى هذا التقدير فالابتلاء والامتحان والاختبار
جائز عليه وعند هذا قال مجرى قوله تعالى لتبليوهم أيهم أحسن عملا على ظاهره وأما جمهور
علماء الاسلام فقد استبعدوا هذا القول وقالوا انه تعالى من الازل الى الابد عالم بجميع
الجزئيات فالابتلاء والامتحان محالان عليه وإنما وردت هذه الالفاظ فالمراد انه تعالى

عملا (وانا لجالعون) فيمات أي عند تنهاى عمر الدنيا (ما عليها) من المخلوقات فاطبقها فانما بالكلية
وانما أظهر في مقام الاضمار زيادة التفرير أو لادراج المكلفين فيه (صعيدا) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب
أو وجه الارض قال أبو عبيدة هو المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه (جزرا) زبالا نباتا

بذلك ما لا يحجب من جملة النظار وتشم في بمشاهدته الأبصار يقال أرض جرز لا نبات فيها وستة جرز لا مطر فيها
قال القراء جرز الأرض فهي مجرورة أي ذهب نباتها بفحط أو جرادو يقال جرزها الجراد والشاة والابل إذا أكلت
ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من
الكتاب فانا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء ﴿ ٦٧٩ ﴾ زينة لها لتخبر أعمالهم فجاز بهم بحسبها وانا

لغفون جميع ذلك عن
قريب ومجازون لهم
بحسب أعمالهم (أم
حسبت) الخطاب لرسول
الله صلى عليه وسلم
والمراد أنكار حساب
أمنه وأم منقطعة مقدر
بيل التي هي الانتقال
من حديث الى حديث
لا للإبطال وبهجرة
الاستفهام عند الجمهور
وبيل وحدها عند غيرهم
أي بل أحسبت (أن
أصحاب الكهف والرقم
كانوا) في بقائهم على
الحياة مدة طويلة من
الدهر (من آياتنا) من بين
آياتنا التي من جعلتها
مأذكرنا من جعل ما
على الأرض زينة لها
للحكمة المشار اليها
جعل ذلك كله صعيدا
جرزا كأنهم تقن بالامر
(عجبا) أي آية ذات
عجب وضعاله موضع
المضاد أو وصفه لذلك
بالمصدر مبالغة وهو
خبر لكانوا ومن آياتنا
جال منسه والمعنى ان
قصتهم وان كانت
خارقة للعادات ليست

بمعاملهم معاملته لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان ذلك على سبيل الابتلاء والامتحان
وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا كثيرة (المسئلة الثانية) قال القاضي معنى قوله انبلوهم
أيهم أحسن عملا هو انه يبلوهم ليبصرهم أيهم أطوع لله وأشد استمرا على خدمته لان
من هذا حاله هو الذي يفوز بالجنة فبين تعالى انه كلف لاجل ذلك لاجل أن بعض فذل
ذلك على بطلان قول من يقول خلق بعضهم للنار (المسئلة الثالثة) اللام في قوله لتبلاوهم
تدل ظاهرا على ان أفعال الله معللة بالاعراض عند المعترلة وأصحابنا قالوا هذا محال
لان التعليل بالعرض انما يصح في حق من لا يمكنه تحصيل ذلك الغرض الا بتلك الوسطة
وهذا يقتضي العجز الا بتلك الوسطة وهذا يقتضي العجز وهو على الله محال (المسئلة
الرابعة) قال الزجاج أيهم رفع بالابتداء الآن لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لتخبرونهم
هذا أحسن علام ذلك ثم قال تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والمعنى انه تعالى
بين انه انما زين الأرض لاجل الامتحان والابتلاء لاجل أن يبقى الانسان فيها متمعما
أبدالانه يزهد فيها بقوله وانا لجاعلون ما عليها الآية ونظيره قوله كل من عليها فان وقوله
فيذرها قاعا آية وقوله واذا الأرض مدت الآية والمعنى انه لابد من المجازاة بعد فناء
ما على الأرض وتخصيص الإبطال والهلاك بما على الأرض يومهم بقاء الأرض الآن
سائر الآيات دلت على ان الأرض أيضا لا تبقى وهو قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال
أبو عبيدة الصعبد المسنوي من الأرض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه
وقد ذكرنا تفسير الصعبد في آية التيم وأما الجرز فقال القراء الجرز الأرض التي لا نبات
عليها يقال جرزت الأرض فهي مجرورة وجرزها الجراد والشاة والابل إذا أكلت ما عليها
وامرأه جرزا إذا كانت أكو لا وسيف جراز إذا كان مسأصلا ونظيره قوله تعالى نسوق
الماء الى الأرض الجرزا * قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من
آياتنا عجبا إذا دأى الفتية الى الكهف فتناولوا ربنا آتنامن لذلك رحمة وهي آتنامن أمرنا
رشد افضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لتعلم أي الحزبين أحصى
للمبشوا أمدا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب
الكهف وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى أم حسبت انهم كانوا عجبا
من آياتنا فقط فلا تحجب ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق
السموات والأرض ثم زين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد
وذلك صعيدا جرزا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورجحه حفظ
وناطفة مدة ثلثمائة سنة وأكثر في النوم هذا هو الوجه في تقرير النظم والله أعلم (المسئلة
الثانية) قد ذكرنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله ويسئوئك عن الروح
الروح من أمر ربى وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه القصة مشروحا فقال كان
لبنعسر بن الحرث من شياطين قرش وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له

عليه بالنسبة الى سائر الآيات التي من جعلتها ما ذكر من تعجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنذر الخفي والكهف
نار الواسع في الجبل والرقم كلهم قال أمية بن أبي الصلت * وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم في الكهف
يد * وقيل هولوح رصاصي أو حجرى رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادى

الذي فيه الكهف فهو من رقة الوادي أي جانبه وقيل الجبل فربهم وقيل مكانهم بين حضبان وأيه قول السليمان
وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة أنطبق عليهم الغار فقبوا به كركل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين
(إذا وى) ظرف للجبال الحسبت أو مقبول لاذكر أي حين التجار (الفتية) أي أصحاب الكهف أو أثر الاظهار على الاصنام
لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة ٦٨٠ فانهم كانوا فتية من أشرف الروم ارادهم دقيانوس

المدواة وكان قد قدم الحبرة وتعلم بها الحديث رستم واسفنديار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا ذكر فيه الله وحدث قومه ما أصاب من كان قبلهم من الامم
وكان النضر يتخلفه في مجلسه اذا قام فقال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه
فهلما قافنا أحدثكم يا حسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم ان قر يشا بعثوه
وبعثوا معه عتبة بن أبي معيط الى أجبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلوه عن محمد
وصفته وأخبروههم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم
الانبياء فخرجوا حتى قدما الى المدينة فسالوا أجبار اليهود عن أحوال محمد فقال أجبار
اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب
وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغارها ما كان نبأه وسلوه عن الروح وما هو
فان أخبرهم فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالوا قد جئناكم بصفة
ما يشاؤنا بين محمد وأخبروا بما قاله اليهود فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال
رسول الله صلى الله عليه عليه أخبركم بما سألتهم عنه غدا ولم يستن فانصرفوا عنه ومكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به وقافوا
وعندنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة فشق عليه ذلك ثم جاء جبريل من عند الله
بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبه الله اياه على حزنه عليهم وفيها خبر اولئك الفتية
وخبر الرجل الطواف (المسئلة الثالثة) الكهف الغار الواسع في الجبل فاذا صغر فهو
الغار وفي الرقيم أقوال (الاول) روى عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القرآن أعلمه
الأربعة غسيلين وحنانا والادواء والرقيم (الثاني) روى عكرمة عن ابن عباس انه سئل
عن الرقيم فقال زعم كعب انها القرية التي خرجوا منها وهو قول السدي (الثالث) قال
سعيد بن جبيرة مجاهد الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتب فيه اسماءهم وقصصهم
وشد ذلك اللوح على باب الكهف وهذا قول جميع أهل المعاني والعريضة قالوا الرقيم
الكتاب والاصل فيه المرقوم ثم نقل الى قبيل والرقيم الكتابة ومنه قوله تعالى كتاب مرقوم
أي مكتوب قال الفراء الرقيم لوح كان فيه اسماءهم وصفاتهم ونظن انه انما سمي رقيما
لان اسماءهم كانت مرقومة فيه وقيل الناس رقا وحديثهم نقرأ في جانب الجبل وقوله
كانوا من آياتنا عجبا المراد أحسبت ان واقعهم كانت عجيبة في أحوال مخلوقاتنا
فلا تحسب ذلك فان تلك الواقعة ليست عجيبة في جانب مخلوقاتنا والعجب ههنا مصدر
سمى المفعول به والتقدير كانوا معجوبا منهم فسموا بالمصدر والمفعول به من هذا يستعمل
باسم المصدر ثم قال تعالى اذا وى الفتية الى الكهف لا يجوز أن يكون اذهنا متعلا
بما قبله على تقديرهم حسبت اذا وى الفتية لانه كان بين النبي وبينهم مدة طويلة
يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي أووا فيه الى الكهف بل يتعلق بمحذوف وانهم
اذكر اذا وى ومعنى أوى الفتية في الكهف صاروا اليه وجعلوه مأواهم قال قتادة

على الشرك فهر بوامته
بدينهم ولان صاحبة
الكهف من فروع
التجارهم الى الكهف
فلا يناسب اعتبارها
معهم قبل بيانه (الى
الكهف) يجلبهم للجلوس
وتأخذوه ما وى (فقالوا
ربنا آتنا من لدنك) من
حزائن رحمتك الخاصة
المكتونة عن عيون
أهل العادات فمن
ابتدائية متعلقة بآتنا
أو محذوف وقع حال من
مفعوله الثاني قدمت عليه
لكونه نكرة ولو تأخرت
لكانت صفة له أي آتنا
كأنه من لدنك (رحمة)
خاصة تستوجب المغفرة
والرزق والا من من
الاعداء (وهي ثلثان
أمرنا) الذي نحن عليه
من مهاجرة الكفار
والمثابرة على طاعتك
وأصل التهيئة أحداث
هيئة الشيء أي أصله
ورتب وأتم ثلثان أمرنا
(رشدنا) اصباة للطريق
الموصل الى المطلوب
واهتداء اليه وكلا الجارين

متعلق بهي لا خلا فهما في المعنى وتقديم المجزورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما
وارباذ الرغبة في المؤخر بقوله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق
الى وروده ينبي عن كمال

ثم هو تعالى في ذلك على تقدير بطلان ما تقدم لنا على من أمرنا بالابتداء من أول الأمر بل هو المسؤول به رغباً
 بديهم أو جعل أمرنا رشداً كله على أن من نجر يدبه مثلها في قولك رأيت منك أسداً (فضر بنا على أذانهم) أي
 هم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الأذان بضر بالحجاب عليها
 بحسب الأذان بالذکر مع اشتراك سائر ٦٨١ المشاعر لها في المحجب عن الشعور عند النوم لما أنها محتاج إلى الحجب

عادة اذهى الطريقة
 لا تيقظ غالباً لا سيما عند
 انفراد النائم واعتزاله
 عن الخلق وقبل الضرب
 على الأذان كناية عن
 الانامة الثقيلة وحمله على
 تعاطيها كما في قولهم
 ضرب الأمير على
 يد الرعية أي منعهم من
 التصرف مع عدم ملائمة
 لما سأل من البعث لا يدل
 على النوم مع انه المراد
 قطعاً والغناء فضر بنا
 كما في قوله عز وجل
 فاستجبنا له بعد قوله تعالى
 اذ نادى فان الضرب
 المذكور وما ترتب عليه
 من التقلب ذات اليمين
 وذات الشمال والبعث
 وغير ذلك ابتاء رحمة
 لدنبة خافية عن أبصار
 المتسكين بالاسباب العادية
 استجابة لدعوتهم (في
 الكهف) ظرف مكان
 لضر بنا (سين) ظرف
 زمان له باعتبار بقاءه
 لا ابتداءه (عدداً) أي
 ذوات عدداً أو تعدداً
 على انه مصدر أو معدودة
 على أنه بمعنى المفعول

بنا أننا من لدنك رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وجلالت فضلك واحسانك وهي
 بداية بالعرفه والصبر والزرق والامن من الاعداء وقوله من لدنك يدل على عظمة تلك
 رحمة وهي التي تكون لأنفة بفضل الله تعالى وواسم جوده وهي لنا أي أصلح من قولك
 بات الأمر فتبنا من أمرنا رشداً الرشود الرشود الرشاد نقيض الضلال وفي تفسير اللفظ
 جهان (الأول) التقدير وهي لنا أمرنا إذا رشد حتى نكون بسببه راشدين مهتدين
 الثاني (اجعل أمرنا رشداً) كما هو قولك رأيت منك رشداً ثم قال تعالى فضر بنا على أذانهم
 المفسرون معناه أنماهم وتقدير الكلام انه تعالى ضرب على أذانهم حجاباً يمنع من أن
 يصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة والتقدير ضر بنا عليهم حجاباً لأنه حذف المفعول
 الذي هو الحجاب كما يقال بنى على أمرته يريدون بنى عليها الآية ثم انه تعالى بين انه انما ضرب
 على أذانهم في الكهف وهو ظرف المكان وقوله سنين عدد اطرف الزمان وفي قوله عدداً
 بختان (الأول) قال الزجاج ذكرنا عدد ههنا في عدد السنين وكذلك كل شيء بما بعد اذا
 ذكر فيه العدد ووصف به أي ذكرته لأنه اذا قل فهم مقداره بدون التعديد أما اذا كثرت
 ههناك يحتاج إلى التعديد فاذا قلت أقت أياماً عدداً أردت به الكثرة (البحث الثاني) في
 انتصاب قوله عدداً وجهان (أحدهما) نعت لسنين المعنى سنين ذات العدد أي معدودة
 هذا قول افراد وقول الزجاج وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير (أحدهما)
 حذف المضاف (والثاني) نسبة المفعول باسم المصدر قال الزجاج ويجوز أن ينصب على
 مصدر المعنى تعدداً ثم قال تعالى ثم بعثناهم يريد من بعد نومهم يعني أيقظناهم بعد نومهم
 قوله لعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً فيه مسائل (المسئلة الأولى) قوله ثم بعثناهم
 بعلم اللام الغرض فيبدل على أن أفعال الله معلة بالأغراض وقد سبق الكلام فيه
 (المسئلة الثانية) ظاهراً لانه يقتضي انه تعالى انما بعثهم ليحصل له هذا العلم وعند هذا يرجع
 إلى أنه تعالى هل يعلم الحوادث قبل وقوعها أم لا فقال هشام لا يعلمها إلا عند حدوثها واحتج
 بهذه الآية والكلام فيه قد سبق ونظائر هذه الآية كثيرة في القرآن منها ما سبق في هذه
 السورة ومنها قوله في سورة البقرة لا تعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وفي آل
 عمران ولما بعث الله الذين جاهدوا منكم وقوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لهم انبلوهم
 وقوله وتبأونكم حتى تعلم المجاهدون منكم (المسئلة الثالثة) أي رفع بالابتداء وأحصى
 خبره وهذه الجملة بمجموعها متعلق العلم فلهاذا السبب لم يظهر عمل قوله لعلم في لفظة أي
 بقيت على ارتفاعها ونظيره قوله اذهب فاعلم أيهم قام قال تعالى ساهم أيهم بذلك زعيم
 وقوله ثم لنز عن من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عتياً وقرئ لعلم على قول ما لم يسم
 إذا وفي هذه القراءة فالتان (أحدهما) أن على هذا التقدير لا يلزم اثبات العلم
 بل دلالة بل المقصود انما بعثناهم ليحصل هذا العلم لبعض الخلق (والثانية) أن على هذا
 لا يجب ظهور انتصاب في لفظة أي لكن لا نقائل أن يقول الاشكال بعد باقي لأن ارتفاع

لميل السنين بذلك ٨٦ خا امالة تكبير وهو الانسب باظهار كمال القدرة والافتقار وهو الاطلاق بمقام انكار
 لادارة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من تلك
 النومة الثقيلة الشبيهة بالموت (لنعلم) بنون العظمة وقرئ بالياء مبني بالفاعل بطريق الالتفات وإيما كان فهو

غاية البحث لكن لا يجعل العلم مجازاً من الاظهار والتبليغ أو يحمله على ما يصح وقوعه غاية البحث الحادث من العلم الخالص
تعلق به الجزاء كافي قوله تعالى الا الله امن بآية رسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى ويعلم الله الذين آمنوا ونظائر ذلك
يتحقق فيها العلم بتحقيق متعلقه قطعاً فان تحويل القبله قدر ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومتقلب وكذا مداولة الآية
الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمترنزل ٦٨٢ فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم

والاظهار والتبليغ
واما بحث هؤلاء فلم يرتب
عليه تفرقهم الى المحصى
وغیره حتى يتعلق بهما
العلم والاظهار والتبليغ
وينسب نظم شيء من ذلك
في سلك الغايه وانما الذي
ترتب عليه تفرقهم الى
مقدر تقدير اغبر مصيب
ومفوض الى العلم الرباني
وليس شيء منهما من
الاحصاء في شيء بل يحمل
النظم الكريم على التمثيل
الذي على جعل العلم عبارة
عن الاختبار مجازاً
بضريق اطلاق اسم
المسبب على السبب وليس
من ضرورة الاختبار
صدور الفعل المخبرية
عن المختبر قطعاً بل قد
يكون لاظهار عجزه عنه
على سبب التكليف
التجيزية كقوله تعالى
أت بهامن المغرب وهو
المراد ههنا فاعني بعثنا
هم لنعاملهم معاملة من
تختبرهم (أي الحزبين)
أي الفريقين المختلفين
في دة لبثهم بالتقدير

والو يرض كما سألني (أحصى) أي ضبط (لما بشوا) أي بالثبوت (أمد) أي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا
ذلك الى العليم الخبير ويعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أديانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته
ويتبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفاً للمؤمنين في زمانهم وآية بيّنة لكفارهم وقد اقصصره ههنا من تلك الغايات

إلى أن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبا وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أخذ الوجوه
ث حل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان من غير الثابت أذر بما يتوهم منه استلزام
رادة لتحقيق المراد فيعود المحذور فيصير إلى جعل ﴿ ٦٨٣ ﴾ ارادة العلم عبارة عن الاختيار فاختر

هنا وقد قرئ له إيمانيا
للمفعول ومبنيًا للفاعل
من الاعلام على أن المفعول
الاول مخذوف والجملة
المصدرة بأي في موقع
المفعول الثاني فقطان جعل
العلم عرفانيا وفي موقع
المفعولين ان جعل يقينيا
أي يعلم الله الناس
أي الحزبين أحصى الخ
وروى عطاء عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن أحد
الحزبين الفتية والآخر
الملوك الذين ندأولوا المدينة
ملكاً بعد ملك وقيل
كلاهما من غيرهم والاول
هو الاظهر فان اللام العهد
ولا عهد لغيرهم والامد
بمعنى المدى كالغاية
في قولهم ابتداء الغاية
وانتهاء الغاية وهو مفعول
لا حصي والجارو المجرور
حال منه قدمت عليه لكونه
نكرة وليس معنى احصاء
ذلك المدة ضبطها من حيث
كميتها المتصلة الذاتية
فانه لا يسمى احصاء
بل ضبطها من حيث كميتها
المنفصلة العارضة لها
باعتبار قسمتها الى السنين

يدعى الالهية وكانت تظهر خوارق العادات على يده وكان نقل ذلك أيضا في حق الدجال
قال أصحابنا وإنما جاز ذلك لان شكله وخلقه تدل على كذبه فظهر الخوارق على يده
لا يفضى الى التلبس (والقسم الثاني) وهو ادعاء النبوة فهذا القسم على قسمين لانه اما
أن يكون ذلك المدعى صادقا وكاذبا فان كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا
متفق عليه بين كل من أقر بصحة نبوة الانبياء وان كان كاذبا لم يجز ظهور الخوارق على يده
ويتقدير ان تظهر وجب حصول المعارضة (وأما القسم الثالث) وهو ادعاء الولاية
والقائلون بكرامات الاولياء اختلفوا في انه هل يجوز أن يدعى الكرامات ثم انها تحصل
على وفق دعواه أم لا (وأما القسم الرابع) وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان فعند
أصحابنا يجوز ظهور خوارق العادات على يده وعند المعتزلة لا يجوز (وأما القسم الثاني)
وهو أن تظهر خوارق العادات عن يد انسان من غير شيء من الدعوى فذلك الانسان اما
أن يكون صالحا مرضيا عند الله واما أن يكون خبيثا مذنبا والاول هو القول بكرامات
الاولياء وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرها المعتزلة إلا أبا الحسين البصري وصاحبه
محمود الخوارزمي (وأما القسم الثالث) وهو أن تظهر خوارق العادات على بعض من كان
مردودا عن طاعة الله تعالى فهذا هو المسمى بالاستدراج فهذا تفصيل الكلام في هاتين
المقدمتين اذا عرفت ذلك فنقول الذي يدل على جواز كرامات الاولياء القرآن والاخبار
والآثار والمعقول أما القرآن فالمتخذ فيه عندنا آيات (الجملة الاولى) قصة مريم عليها
السلام وقد شرحنها في سورة آل عمران فلا نعيد لها (الجملة الثانية) قصة أصحاب الكهف
وبقاؤهم في النوم أحياهم عن الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وانه تعالى كان
يعصمهم من حر الشمس كما قال وتخصمهم أيقاظا وهم رقود الى قوله وتري الشمس اذا
طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ومن الناس من تمسك في هذه المسئلة بقوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب أما آيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك وقد بينا أن ذلك الذي
كان عنده علم من الكتاب هو سليمان فسط هذا الاستدلال أجاب القاضي عنه بأن قال لا بد
من أن يكون فيهم أوفى ذلك الزمان نبي يصير ذلك علما للمنافية من نقض العادة كسائر
المعجزات قلنا انه يستحيل أن تكون هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء لان اقدامهم
على التسوم أمر غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لان الناس لا يصدقونه في هذه
بواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى الا اذا بقوا طول هذه المدة
وعرفوا أن هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلاثمائة سنين وتسع
سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق
الأمر نجعل كرامة للاولياء واحسانا اليهم أما الاخبار فكثيرة (الخبر الاول) ما اخرج في
الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا
ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وعيسى في زمن جريج الناسك وصبي آخر أما عيسى فقد

وبلوغها من تلك الحنية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز
أن يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المصاف أي زمان لشههم وبدونه أيضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر
المتطابق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له أمد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية

ومنهى ذلك الدول اسمي باعتبار حبيته المتصلة العارضة له بسبب الطباقة على الرمي الممتد بالذات وهان
 انجائهم من نومهم فان معرفته من تلك الحبيبة لا تخفى على أحد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار كنيته المنفصلة
 العارضة له بسبب عروضه الزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انضمامه الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب
 العدد كاحق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ﴿ ٦٨٤ ﴾ ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة السابقة

نفس المدة المنقسمة
 الى السنين فهو مجموع
 ثلثائة وتسع سنين
 وفي الصورة الاخيرة منهى
 تلك المدة المنقسمة اليها
 أعنى السنة التاسعة بعد
 الثلثائة وتعلق الاحصاء
 بالامد بالنعى الاول ظاهر
 وأما تعلقه بالنعى الثاني
 فباعتبار انتظامه لما تحته
 من مراتب العدد واسمائه
 عليها هذا على تقدير كون
 ما في قوله تعالى للثبوا
 مصدر بقره يجوز ان تكون
 موصولة حذف عائدها
 من الصلة أى الذى لبسوا
 فيه من الزمان الذى عبر
 عنه فيما قبل بـ سنين عددا
 فالامد بمعناه الوضعي
 على ما تحته فقه وقيل الاسم
 مزيدة والموصول مفعول
 وأما انصب على التمييز
 وأما ما قيل من أن أحصى
 اسم تفصيل لانه الموافق
 لمواقع في سائر الآيات
 الكريمة نحو أهم أحسن
 عملاهم أقرب لكم نفعا
 الى غير ذلك مما لا يحصى
 ولان كونه فعلا مضاعفا
 يشعر بان غاية البعد

عرفتموه وأما جريح فكان رجلا عابدا بيني اسرائيل وكانت له أم فكان يوما بصلي اذا شتافت
 اليه أمة فقالت يا جريح فقال يا رب الصلاة خير أم رؤيتهم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك
 حتى قال ثلاث مرات وكان بصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمة فقالت اللهم لا تمته حتى تراه
 المومسات وكانت زانية هناك فقالت اللهم أنا فتن جريحا حتى يبنى فأنته فلم تقدر على شيء
 وكان هناك راع يأوى بالليل الى أصل صومعته فلما أعياها راودت الراعى على نفسها
 فأتاها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريح فأتاه بنوا اسرائيل وكسروا صومعته وشتوه
 فصلى ودعاهم نخس انلام قال أبوه ريرة كآنى انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال
 يدي يا غلام من أبوك فقال الراعى فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبي
 صومعتك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبنها كما كانت وأما الصبي الآخر فان امرأة كان
 معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جبل ذو شارة حسنة فقالت اللهم اجعل ابني مثل
 هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة ذكرها أنها سرفت وزنت وعوقبت
 فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمة في ذلك
 فقال ان الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وان هذه قبل انها زنت
 ولم تزن وقبل انها سرفت ولم تسرق وهى تقول حسبي الله (الخير الثاني) وهو خير الفار
 وهو مشهور في الصحاح عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انطلق ثلاثة رهط من كان قبلكم فأوهم البيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من
 الجبل وسدت عليهم باب الغار فقالوا والله لا نخرجكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله
 بصالح أعمالكم فقال رجل منهم كانى أبوان شيخان كبيران وكنت لأعقب قبلهما
 فناما في ظل شجرة يوما فلما أرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجثتهما به فوجدتهما نائمين
 فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أعقب قبلهما فعمت وانحدرت في يدي انتظرا سائما فظاهما
 حتى ظاهما فجعلت فاستيقظا فسر باغبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج
 عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال
 الآخر كانت ابنة عم وكانت أحب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى أملت
 بهاسنة من السنين فجأتني وأعطيتهم ما لا أعطي اعلى أن تخلى بيني وبين نفسها فلما قدرت
 عليها قالت لا يجوز لك أن تفك الحاتم الا بحقه فخرجت من ذلك العمل وتركتهما وتركتهما
 المال معها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة
 غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث
 اللهم انى استأجرت اجراء فأعصيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فتمرت
 أجرته حتى كثر منه الاموال فجأتني بعد حين وقال يا عبد الله أدانى أجرنى فقلت له كل
 ما ترى من أجرتك من الابل والغنم والرفيق فقال يا عبد الله أنستهزى بى فقلت انى
 لا أنستهزى بك فأخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن

هو العلم بالاحصاء المتقدم على اثبت لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعانا أن نحى أقفل ﴿ فيه ﴾
 الفضيل من المزييد عليه غير قياسي مدفوع بأنه عند سبويه قياس مطلقا وعدا بن صفور فيما ليست هزينة لا نقل
 ولا ريب في أن ما نحن فيه من ذلك التقييل وامتناع عنه انما هو في غير التمييز من الممولات وأما أن التمييز

بمجرد كونه جاهلا بالشيء الذي عليه ان يفتنه . فبعد ان قال انهم اخطوا لهذا الشرير بالوعد . قال ان السائل في هذا
 فعل محذوف بل عليه ان كوراي يحصى للشوا امدا كما في قوله * واضرب منابا لسيوف القوانسا * وحديث الوقوع في
 الحذور بلا فائدة مدفوع بما اشبهه من فائدة الموافقة للنظار فرفع ما فيه من الاعتساف والخلل بعزل من السداد لان
 مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار * ٦٨٥ * افضل الحزين وتمييزه عن الادنى مع تحقيق أصل الاحصاء

فيها ومن البين ان
 لا تحقق له أصلا وأن
 المقصود بالاختبار
 اظهار عجز الكل عنه
 رأسا فهو فعل ماض
 قطعاً وتوهم ايذانه بان
 غاية البعث هو العلم
 بالاحصاء المتقدم عليه
 مردود بان صيغة الماضي
 باعتبار حال الحكاية
 والله تعالى أعلم (نحن
 نقص عليك) شروع
 في تفصيل ما أجل فيما
 سلف من قوله تعالى
 اذ اوى الفتية الخ أي
 نحن نخبرك بتفاصيل
 أخبارهم وقدمريان
 اشتقاقه في مطلع سورة
 يوسف عليه السلام
 (نبأهم) النبأ الخبر
 الذي له شأن وخطر
 (بالحق) اما صفة
 لمصدر محذوف أو حال
 من ضمير نقص أو من
 نبأهم أو صفة له على رأى
 من يرى حنف الموصول
 مع بعض صلته أي نقص
 قصصا ملتبسا بالحق
 أو نقصه ملتبسين به
 أو نقص نبأهم ملتبسا به

فيها فان رجعت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث حسن صحيح متفق عليه
 (الخبر الثالث) قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على
 الله لا . ولم يفرق بين شئ وشئ فيما يقسم به على الله (الخبر الرابع) روى سعيد بن المسيب
 عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حبل
 عليها فالتفت اليه البقرة فقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس
 سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر رضي الله
 عنهما (الخبر الخامس) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسبح
 رعدا أو صوتا في السحاب أناسق حديقة فلان قال فعدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل
 قائم فيها فقلت له ما سمك قال فلان بن فلان قلت فأتصنع بمحديقتك هذه اذا
 صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في السحاب أناسق حديقة فلان
 قال أما اذ قلت فاني أجعلها اثلاثا فأجعل لنفسى وأهلي ثلثا وأجعل للمساكين
 وإن السبل ثلثا وأنفق عليها ثلثا (أما الآثار) فلتبدأ بما نقل انه ظهر عن الخلفاء
 الراشدين من الكرامات ثم يظهر عن سائر الصحابة أما أبو بكر رضي الله عنه فن
 كراماته انه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك
 يا رسول الله هذا أبو بكر بالناب فاذا الباب قد انفتح واذا بها تنف بمنف من القبر أدخلوا
 الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضي الله عنه فقد ظهرت أنواع كثيرة من كراماته واحداها
 ما روي انه بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن الحصين فبينما هم يوم الجمعة يخطب
 جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر سارية الجبل الجبل قال على بن أبي طالب كرم الله
 وجهه فكنت تارخ تلك الكلمة فقدم رسول مقدم الجيش فقال يا أمير المؤمنين غزونا
 يوم الجمعة في وقت الخطبة فهرموننا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل الجبل فاستندنا
 ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالقتال العظيمة ببركة ذلك الصوت قلت
 سمعت بعض المذكورين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه قال لا يبرك وعمر
 أنما نبي بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه وسلم لاجرم
 قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم (الثاني) روى ابن نبل مصر كان في الجاهلية يقف
 في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجرى حتى يلقي فيه جارية واحدة حسنة فلما جاء الاسلام
 كتب عمرو بن العاص بهذه الواقعة الى عمر فكتب عمر على خزفة بأنها النيل ان كنت
 تجري بأمر الله فاجروا ان كنت تجري بأمرك فلا حاجة بنا اليك فألقيت تلك الخزفة
 في النيل فجري ولم يقف بعد ذلك (الثالث) وقعت الزلزلة في المدينة فضربر عمر الدرة على
 الارض وقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك (الرابع)
 وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة يا نار اسكني باذن الله فألقوها في
 النار فانطفأت في الحال (الخامس) روى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر فطلب دارة

ونبأهم الملتبس به ونبأهم حسبا ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا
 وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا لاطوا غيبت وكان ممن بالغ في ذلك وعناعتوا كبيرا دقيا نوس فانه غلا فيه غلوا
 شديدا فجلس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتسكين بدن المسيح عليه السلام وكان ينعم الناس
 فيخبرهم بين القتل وعبادة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدينية بصنم

اهل مدينههم وقيل كانوا من خواص المالك قاموا فاضروا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والنداء فيمناهم كذلك
اذ دخل عليهم اعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قل وخبرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان
الهامل السموات والارض عظيتموه وجبروتكم لن ندعوا من دونكم ﴿ ٦٨٦ ﴾ أحد اهل نقر لم يدعوا اليه أبدا فافوض

ما أنت قاض فأمر بنزع
ما عليهم من اثياب
الفاخرة وأخرجهم
من عنده وخرج هو الى
مدينة بنوى بعض شأنه
وأهملهم الى رجوعه
ليتملوا في أمرهم فان
تبعوه والافعل بهم
ما فعل بسائر المسلمين
فأزمعت الفتية على
الفرار بالدين والالتجاء
الى الكهف الحصين
فأخذ كل منهم من بيت
أبيه شيئا فتصدقوا
بعضه وتزودوا بالباقي
فأووا الى الكهف
فجعلوا يصلون فيه
آنا الليل وأطراف النهار
وأيتهلون الى الله سبحانه
بالابن والجوار وفوضوا
أمر نفقتهم الى علي بن
فكان اذا أصبح وضع
عذيقا به الحمار في
اباس المساكين ويدخل
المدينة ويشتري ما يهملهم
ويجسس ما فيها من
الاخبار ويحضر الى
أصحابه فليسمع على ذلك
الى أن قدم الجبار المدينة
فطلبهم وأحضر

فطن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وإنما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما
ذهب الى الصحراء رأى عمر رضي الله عنه وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فعجب
الرسول من ذلك وقال ان أهل الشرق والغرب يخافون من هذا الانسان وهو على هذه
الصفة ثم قال في نفسه اني وجدته خابا فاقبله وأخلص الناس منه فلما رفع السيف
أخرج الله من الارض أسدين فقصداه فغاف وألقى السيف من يده وأبلى عمر ولم ير شيئا
فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم وأقول هذه الوقائع رويت بالاحاد وههنا ما هو
معلوم بالتواتر وهو انه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والتهويلات ساس
الشرق والغرب وقب الممالك والدول ولو نظرت في كتب التواريخ علمت انه لم يتفق
لاحد من أول عهد آدم الى الآن ما يتسمر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر
على تلك السياسات ولا شك ان هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان رضي الله عنه
فروى أنس قال سرت في الطريق فرفعت عيني الى امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي
أراكم تدخلون على وأمار الزنا ظاهرة عليكم فقلت آجاء الوحي بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة (الثاني) انه لما طعن بالسيف فأول قطرة من دمه
سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسيفكهم الله وهو السميع العليم (الثالث)
ان جهجها الفغاري انتزع العصا من يد عثمان وكسرها على ركبته فوقت الاكلة
في ركبته وأما علي كرم الله وجهه فبروى ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا أسود فأتى
به الى علي فقال له أسمرت قال نعم فقطع به فانصرف من عند علي عليه السلام فلقبه
سلمان الفارسي وابن الكرا فقال ابن الكرا من قطع يدك فقال أمير المؤمنين ويعسوب
المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال قطع يدك وتدمع فقال ولم لأمدحه وقد فطم
يدي بحق وخلصني من النار فسمي سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود ووضع يده على
ساعده وغطاه بمذيل ودعا بدعوات فسمعا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد ففتناه
فاذا اليد قد برأت باذن الله تعالى وجعل صنعه أماما سائر الصحابة فأحوالهم في هذا الباب
كثيرة فقد ذكر منها شيئا قليلا (الاول) روى محمد بن المنكر عن سفيانة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ركب البحر فأكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها
فطرحني اللوح في خيبة فيها أسد فخرج الاسد الى يدي فقلت يا أبا الحرث أنا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم وداني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع
(الثاني) روى ثابت عن أنس ان أسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار تحدا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهم حتى ذهب من الليل زمان ثم خرجا من عنده وكانت
الليلة شديدة الظلمة وفي ذلك واحد منهما عصا فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا
في ضوئها فلما انفردا بينهما الطريق أضاءت يدي أحدهما فضاءت عصاه فضاءت في ضوئها حتى بلغ منزله
(الثالث) قالوا الخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلة وطاف

آباءهم فاعتدروا بانهم عصوهم ونهبوا أموالهم ويذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى بالسكر
عليها ما رأى من الشر رجع الى أصحابه وهو يكي وبعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شاهد من الهول ففرعوا الى الله
عز وجل وخروا له سجدا ثم فموا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على آذانهم
فناموا ونفقتهم عند رؤسهم

رجح فيها توس في طلبهم بحيلة وزجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق اخذان بدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبر لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (انهم فتية) استثناف تحقيق مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب ﴿ ٦٨٧ ﴾ والفتية جمع قلة للفتى كاصيبة لاصبي (آمنوا برهم) او اثر الالتفات

للاشعار بعلية وصف
الربوبية لايمانهم
ولمرعاة ماصدر عنهم
من المقالة حسبما سيحكي
عنهم (وزناهم هدى)
بان ثبتناهم على ما كانوا
عليه من الدين واظهرنا
لهم مكنونات محاسنه
وفيدات من القبة
الى ما عليه سبك النظم
سباقا وسياقا من التكلم
(وربطنا على قلوبهم)
أي قوياتها حتى افهموا
مضاييق الصبر على هجر
الاهل والاطنان والنعيم
والاخوان واجتروا على
الصدع بالحق من غير
خوف وحذار والرد
على دقاتوس الجبار
(اذا قاموا) منصوب
بربطنا والمراد بقيامهم
انتصابهم لاطهار
شعار الدين قال مجاهد
خرجوا من المدينة
فاجتمعوا على غير معاد
فقال اكبرهم اني لاجد
في نفسي شيا أنزى
رب السموات والارض
فقالوا نحن أيضا
كذلك فقاموا جميعا
(فقالوا ربنا رب السموات
والارض) ضموا دعواهم

بالعسكر فأتى رجلا على فرس ومعه زق خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله
خلا فذهب الرجل الى أصحابه فقال أتيتكم بخمر ما شرب العرب مثلها فلما فحوا فاذا
هو خل فقالوا والله ما جئنا بالخل فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد (الرابع) الواقعة
المشهورة وهي ان خالد بن الوليد كل كفا من السم على اسم الله وماضره (الخامس)
روى ابن عمر كان في بعض أسفاره فلق جاعة وفقوا على الطريق من خوف السبع
فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما بسط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سطر
عليه شيء (السادس) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة
فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم ومشوا على الماء وفي كتب
الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحدوا لحصر فن أرادها طالعا وأما
الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات فن وجوه (الحجة الاولى) ان العبدولى
الله قال الله تعالى ألياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والربولى العبد قال
تعالى الله ولى الذين آمنوا وقال وهو يتولى الصالحين وقال انما وليكم الله ورسوله
وقال أنت مولانا وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فثبت ان الرب ولى العبد وان
العبد ولى الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى يحبهم ويحبونه
وقال والذين آمنوا أشد حبا لله وقال ان الله يحب المتوايين ويحب المتطهرين واذا ثبت
هذا فنقول العبد اذا بلغ في الطاعة الى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاء
وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف بعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة
ما يريد العبد بل هو أولى لان العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريد الله ويأمره
به فلان يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراد العبد كان أولى ولهذا قال تعالى أوفوا
بعهدي أوف بعهديكم (الحجة الثانية) لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك امالا جل ان
الله ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل ان المؤمن ليس أهلا لان يعطيه الله
هذه العطية (والاول) قدح في قدرة الله وهو كافر (والثاني) باطل فان معرفة ذات الله
وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه
وتعبدته ونهليه أشرف من اعطاه رغب واحد في مغارة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى
المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلان يعطيه رغبيا في مغارة فأى بعد فيه
(الحجة الثالثة) قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة ما تقرب عبد الى بمثل
أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الى بالتواقل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له
سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا في سمي وي يبصر وي ينطق وي يمشي وهذا الخبر
يدل على انه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر أعضائهم اذ لو بقي
هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره اذا ثبت هذا فنقول لاشك ان هذا المقام
أشرف من تسخير الحية والسبع واعطاء الرغيف وعقود من العنب أو شربة من الماء فلما

ما يحقق خواهاو يقضى بمقتضاها فان ربو بيته عز وجل لهما تقتضى ربو بيته لما فيه ما يقتضى وقيل المراد بقيامهم بين
يدى الجبار من غير مبالاة به حين عابهم على ترك عبادة الاصنام حينئذ يكون ماسياتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعاً
عما قبله صادرا عنهم بدخروجهم من عنده (ان ندعو) لن نعبد ابدأ (من دونها) معبودا آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً
والعدول عن

آبَاهُمْ فَأَعَذُّوْا بَانَھُمْ عَصُوْھُمْ وَنَبِّئُوْاھُمْ بِذُرُوْھِا فِی الْاَسْوَاقِ وَفَرُّوْا اِلَی الْجِبْلِ فَلَمَّا رَآی ﴿۱﴾ بِالْمَسْکَرِ ﴿۲﴾ عَلَیْھَا مَا رَآی مِنْ الشَّرِّ رَجَعَ اِلَی ھُوَ یُحِیْ وَبِھِ قَلِیْلٌ مِّنَ الزَّادِ فَاخْبِرْھُمْ بِمَا شَآھِدُ مِنْ الْهَوْلِ فَفَزَعُوْا اِلَی اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَرُّوْا عَلَی سُجُوْدٍ ثَمَّ رَفَعُوْا رُءُوْسَھُمْ وَجَلَسُوْا یُحَدِّثُوْنَ فِیْ اَمْرِھُمْ فِیْمَاھُمْ کَذٰلِكَ اَضْرَبَ اللّٰهُ تَعَالٰی عَلٰی اٰذَانِھُمْ فَمَا مَآءُ نَفْقَھُمْ عِنْدَہٗ سَمِیْعًا

آبَاءَهُمْ فَاعْتَدُوا بِأَنَّهُمْ
عَلَيْكُمْ مَا رَأَى مِنَ الشَّرِّ
عَنْ وِجِلٍ وَخِرْوَالِهِ سَجْدًا
فَنَامُوا وَنَفَقَتَهُمْ عِنْدَهُ

مخرج ذقناؤوس في طلبهم بختله ورجله فوجدوهم فدخلوا الكهف فأمر بأخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (انهم فتية) استنشقوا محبقة مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب ٦٨٧ والفتية جمع فلة الفتى كاصبية للصبي (آمنوا برهم) أوثر الالتفات

للاشعار بعلية وصف
الربوبية لايعا نهم
ولمراعاة ما صدر عنهم
من المقالة حسبما سيحكي
عنهم (وزدناهم هدى)
بأن ثبتناهم على ما كانوا
عليه من الدين واظهرنا
لهم مكنونات محاسنه
وفيدات النفات من الغيبة
الى ما عليه سبك النظم
سباقا وسياقا من التكلم
(وربطناهم على قلوبهم)
أي قوياتها حتى افهموا
مضائق الصبر على هجر
الاهل والاطوان والنعم
والاخوان واجتروا على
الصدع بالحق من غير
خوف وحذار وازد
على ذقناؤوس الجبار
(اذا قاموا) منصوب
بربطنا والمراد بقيامهم
انتصابهم لاطهار
شعار الدين قال مجاهد
خرجوا من المدينة
فاجتمعوا على غير معاد
فقال أكبرهم اني لاجد
في نفسي شيا أنرى
رب السموات والارض
فقالوا نحن أيضا
كذلك فقاموا جميعا
(فقالوا ربنا رب السموات
والارض) ضموا دعواهم

بالعسكر فأتى رجلا على فرس ومعه زق خر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله
خلا فذهب الرجل الى أصحابه فقال أبتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوها فإذا
هو خل فقالوا والله ما جئنا إلا بخل فقال هذا والله دعاء خالد بن الوليد (الرابع) الواقعة
المشهورة وهي ان خالد بن الوليد كل كفا من السم على اسم الله وماضره (الخامس)
روى ابن ابن عمر كان في بعض أسفاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع
فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما بسط على ابن آدم ما يخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط
عليه شيء (السادس) روى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة
فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم الله الاعظم ومشوا على الماء وفي كتب
الصوفية من هذا الباب روايات مجاوزة عن الحدوا لحصر فن أرادها طالعا وأما
الدلائل العقلية القطعية على جواز الكرامات فن وجوه (الحجة الاولى) ان العبدولى
الله قال الله تعالى أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والربولى العبد قال
تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال وهو يتولى الصالحين وقال انما وليكم الله ورسوله
وقال أنت مولانا وقال ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فثبت ان الربولى العبد وان
العبدولى الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب قال تعالى يحبهم ويحبونه
وقال والذين آمنوا أشد حبا لله وقال ان الله يحب المتطهرين وإذا ثبت
هذا فنقول العبد اذا بلغ في الطاعة الى حيث يفعل كل ما أمره الله وكل ما فيه رضاه
وترك كل ما نهى الله وزجر عنه فكيف يعد أن يفعل الرب الرحيم الكريم مرة واحدة
ما يريد العبد بل هو أولى لان العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريد الله ويأمره
به فلان يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراد العبد كان أولى ولهذا قال تعالى أوفوا
بعهدي أوف بعهدكم (الحجة الثانية) نواستع اظهرا لكرامة لكان ذلك اما لاجل ان
الله ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل ان المؤمن ليس أهلا لان يعطيه الله
هذه العطية (والاول) قدح في قدرة الله وهو كافر (والثاني) باطل فان معرفة ذات الله
وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ومحبة الله وطاعته والمواظبة على ذكره تقديسه
وتعبدته ونهله أشرف من اعطاه رغب واحدف في مقاراة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطى
المعرفة والمحبة والذكر والشكر من غير سؤال فلان يعطيه رغبيا في مقاراة فأى بعد فيه
(الحجة الثالثة) قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة ما تقرب عبد الى بمثل
أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الى بالتواقل حتى أحبه فإذا أحبه كنت له
سمعا وبصرا ولسانا وقلبا ويدا ورجلا في سمي وي بصر وي ينطق وي يمشي وهذا الخبر
يدل على انه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله ولا في بصرهم ولا في سائر أعضائهم اذ لو بقي
هناك نصيب لغير الله لما قال أنا سمعه وبصره إذا ثبت هذا فنقول لا شك ان هذا المقام
أشرف من تمخير الحية والسبع واعطاه الرغيف وعقود من العنب أسمى من الماء فلما

ما يحقق خواهاو يقضى بمقتضاها فان ربو يته عز وجل لهما ما تقتضى من شئ لمافهم أى اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين
يدى الجبار من غير مبالاة به حين عابهم على ترك عبادة الاصنام غير كون ماسياتى من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطع
عما قبله صادرا عنهم بدخروجهم من عنده (ان ندعو) لن نعبدا (معبودا) معبودا آخر لا استقلال ولا اشتراكا
والعدول عن

أن يقال زبالا تصبص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم الهة والاشعار بان دار العادة وصنعت الالهة ولا يذنبان ربوبيته تعالى بطريق الالهية لا بطريق المملكية المجازية (لقد قلنا اذا شططنا) أي قولنا اذا شططنا أي تجاوز عن الحد وقولنا هوعين الشطط على انه وصف بالصدر مبالغة ثم اقتصصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعري عن الاعتراف بالوهية المعبود ٦٨٨ وكما والتضرع اليه قبل لقد قلنا واذا جوا

وحزاء اي اود عونا
من دونه الها والله لقد
قلنا قولا خارجا عن حد
العقول مفرط طاق الظلم
(هؤلاء) هو مبتدأ
وفي اسم الإشارة تحقير لهم
(قومنا) عطف بيان له
(انخذوا من دونه آلهة)
خبره وفيه معنى الانكار
(اولاياتون) تحضيض
فيصد معنى الانكار
وان تعجز أي هلاياتون
(عليهم) على ألوهيتهم
او على صحة اتخاذهم
لهما آلهة (بسلطان بين)
بحجة ظاهرة الدلالة
على مدعاهم وهو
تيكيت لهم واقسام
حج (فن اظلم من افترى
على الله كذبا) بنسبة
الشريك اليه تعالى عن
ذلك علوا كبيرا والمعنى
انه اظلم من كل ظالم
يان كان سبب الظلم
على انكار الاظلمية
من غير تعرض لانكار
لمساواة كما مر تحقيقه
في سورة هود (واذ
عصرت لهم) أي
ارقتهم في الاعتقاد

أوصل الله برحته عيده الى هذه الدرجات العالية فأى بعدنى أن يعطيه رغيفا واحدا
أو شربة ماء في مقازة (الحجة الرابعة) قال عليه السلام حاكيا عن رب العزة من آذى لي
وليلا فقد بارزني بالمحاربة فجعل ايداء الولي قائما مقام ايدائه وهذا قريب من قوله تعالى
ان الذين يبغونك انما يبغون الله وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله أمرا وقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة فجعل بيعة
محمد صلى الله عليه وسلم بيعة مع الله ورضاء محمد صلى الله عليه وسلم رضاه وابداه محمد
صلى الله عليه وسلم ابداء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات
الى ابلغ الغايات فكذا ههنا لما قال من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة دل ذلك على انه
تعالى جعل ايداء الولي قائما مقام ايدائه نفسه ويتأ كدهذا بالخبر المشهور انه تعالى يقول
يوم القيامة مرضت فلم تعدني استسقيتك فاستسقيتني استطعمتني فاطعمتني فيقول يارب
كيف افعول هذا وانت رب العالمين فيقول ان عبدى فلا تمرض فلم تعده أما علمت انك
لوعدتني لو وجدت ذلك عندى وكذا في السقي والاطعام فدل ذلك هذه الاخبار على ان اولياء
الله يبلغون الى هذه الدرجات فأى بعدنى أن يعطيه الله كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر
له دليبا أو وردا (الحجة الخامسة) اننا شاهد في العرف ان من خصه الملك بالخدمة الخاصة
وافضل له في الدخول عليه في مجلس الانس فقد خصه أيضا بان يقدره على ما لا يقدر عليه
غيره بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فانه يتبعه هذه المناصب فجعل
القرب أصلا والمنصب تبعاً اعظم الملوك هورب العالمين فاذا شرف عبدا بأنه أوصله
الى عتبات خدمته ودرجات كرامته وأوقفه على أسرار معرفته ورفع حجب البعديته وبين
نفسه وأجلسه على بساط قربه فأى بعدنى أن يظهر بعض تلك الكرامات في هذا العالم
مع ان كل هذا العالم بالنسبة الى ذرة من تلك السعادات الروحية والمعارف الربانية
كالدعم المحض (الحجة السادسة) لاشك ان المتولى للافعال هو الروح لا البدن ولا شك
ان معرفة الله تعالى للروح كالروح للبدن على ما قرناه في تفسير قوله تعالى ينزل
الملائكة بالروح من أمره وقال عليه السلام آيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولهذا
المعنى زرى ان كل من كان أكثر علما بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلبا وأقل ضعفا
ولهذا قال على بن ابي طالب كرم الله وجهه والله ما فقلت باب خير بقوة جسدانية
ولكن بقوة ربانية وذلك لان علما كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم
الاجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشبه بجواهر الارواح
الملكية وتلاأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر
بها على ما لم يقدر عليه غيره وكذلك العبد اذا واظب على الطاعات بلغ الى المقام الذى
يقول الله كنت له سمعا وبصرا فاذا صار نور جلال الله سبحانه لسمع القريب والبعيد واذا
صار ذلك النور في قلبه أى القريب والبعيد واذا صار ذلك النور يدها قدر على التصرف

أردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون الا الله) على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أى في
ذا عتزلتموهم ومعبوديهم الا الله أو عبادتكم الا عبادته لا عبادته الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم
شركيين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تخصصهم في عبادة الاوثان ويجوز كون مانافية على انه اخبار من الله
بأنه لا يعبدون الا الله معناه من اذبحوا له (فاهوا) أى، التهمة

(التي لا تلهيهم) هاهنا هو جواب احدى بعينها اذ جعلت فعل الله وقيل هو دليل على جوابه اي اذا عتزلتموهم اصرتم الا
اعتقادا بل عتزلتموهم اعتزال الاجسام اياها واذا ردتتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالاجمال الى الكهف (ينشر لكم) يسطركم ويوسع
عليكم (ريكم) ما لك امركم (من رحمة) في الدارين (وبهي لكم) يسهل لكم (من امركم) الذي ائتتم بصده
من الفرار بالدين (مرقعا) ماتر تفنون وتنفعون به ﴿٦٨٩﴾ وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدر كالارجع وتقديم

لكم في الموضوعين لما مر
مرارا من الايدان من
أول الامر بكون المؤخر
من منافهم والتشويق
الى وروده (وترى الشمس)
بيان لما لهم بعدما ووا
الى الكهف ولم يصرح
به ايدا ناعدم الحاجة
اليه اظهروا رجواهم
على موجب الامر به
لكونه صادرا عن رأى
صائب وتعو بلا على
ما سلف من قوله سبحانه
اذ اوى القتيبة الى الكهف
وما خلق من اضافة
الكهف اليهم وكونهم
في فجوة منه والخطاب
لارسل عليه الصلاة
والسلام او نكل احدهم
يصلح الخطاب وليس
المراد به الاخبار بوقوع
الرؤية تحقيقا بل الانب
بكون الكهف بحيث
لو رأيت ترى الشمس
(اذا طلعت تزاور) أى
تزاور وتكنى بحذف
احدى التائين وقرئ
بادغام التاء في الزاير وتزا
كنحمر وتزاور كتحمار
وتزاور وكلاهما من الزور

في الصعب والسهل والبعد والقرب (الجملة السابعة) وهي مبنية على القوانين العقابية
الحكمية وهي انافد بينا ان جوهر الروح ليس من جنس الاجسام الكائنة الفاسدة
المنعزلة للفرق والفرق بل هو من جنس جواهر الملائكة وسكان عالم السموات ونوع
المقدسين المطهرين الا انه لما خلق هذا البدن واستغرق في تدبيره صار في ذلك الاستغراق
الى حيث نسي الوطن الاول والمسكن المتقدم وصار بالكلية متشبهها بهذا الجسم الفاسد
فضعفت قوته وذهبت مكنته ولم يقدر على شئ من الافعال اما اذا استأنست بمعرفة الله
ومحبته وقل انعماسها في تدبير هذا البدن واشرفت عليها أنوار الارواح السماوية
العرشية المقدسة وفاضت عليها من تلك الانوار قويات على التصرف في اجسام هذا
العالم مثل قوة الارواح الفلكية على هذه الاعمال وذلك هو الكرامات وفيه دققة
أخرى هي أن مذهبا ان الارواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة وفيها
النورانية والكدرية وفيها الخيرة والذلة والارواح الفلكية أيضا كذلك ألا ترى الى
جبريل كيف قال الله في وصفه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم أمين وقال في قوم آخرين من الملائكة وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا
فكذبا ههنا فاذا اتفق في نفس من النفوس كونها قوية القوة القدسية العنصرية
مشرفة الجوهر علوية الطبيعة ثم انضاف اليها أنواع الرياضات التي تزيل عن وجهها
غبرة عالم الكون والفساد اشرفت وتلاآت وقويات على التصرف في هوى عالم
الكون والفساد باعانة نور معرفة الحضرة الصمدية وتقوية أضواء حضرة الجلال والعره
ولقبض ههنا عنان البيان فان وراها أسرار دققة واحوال اعققة من لم يصل اليها
لم يصدق بها ونسأل الله الاعانة على ادراك الخيرات واحتج المشكرون للكرامات بوجوه
(الشبهة الاولى) وهي التي عليها يعاونون وبها يضلون ان ظهور الخارق للعادة جعله الله
دليلا على النبوة فلو حصل لتعزى لبطلت هذه الدلالة لان حصول الدليل مع عدم
المداول يقدح في كونه دليلا وذلك باطل (والشبهة الثانية) تمسكوا بقوله عليه السلام
حكاية عن الله سبحانه ان يتقرب المتقربون الى مثل اداء ما افترضت عليهم قالوا هذنا يدل
على ان التقرب الى الله بأداء الفرائض أعظم من التقرب اليه بأداء التوافل ثم ان
التقرب اليه بأداء الفرائض لا يحصل له شئ من الكرامات فالتقرب اليه بأداء التوافل
أولى أن لا يحصل له ذلك (الشبهة الثالثة) تمسكوا بقوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغبية الا بشق الانفس والقول بان الولي ينقل من بلد الى بلد بعيد لا على
الوجه طمن في هذه الآية و ايضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يصل من مكة الى المدينة
الافى أيام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل أن يقال ان الولي ينقل من بلد نفسه الى
الحج في يوم واحد (الشبهة الرابعة) قالوا هذا الولي الذي تظهر عليه الكرامات اذا
ادعى على انسان درهما فهل نطاله بالبينه أم لا فان طاله بالبينه كان عبدا لان ظهور

وهو المبل (عن كهفهم) ﴿٨٧﴾ خا الذي أووا اليه فلا ضافية لادنى ملابسة (ذات اليمين) أى جهة ذات يمين
الكهف عند توجه الداخل الى قعره أى جانبه الذى يلي الغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت)
أى تراها عند غروبها (تقرضهم) أى تطلعهم من القطيعة والصرم ولا تقرضهم (ذات الشمال)

أن يقال زبالته يصعب على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم الهة والأشعار بان، مدار العبادة وصحة الألوهية
وللابد أن بان ربوبيته تعالى بطريق الألوهية لا بطريق المملكية المجازية (لقد قلنا إذا شططنا) أي قولاً شططاً أي
تجاوز عن الحد وقولاً هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث
كانت العبادة مستلزماً لقول لما أنها لا تعزى عن الاعتراف بالوهمية المعبود ٦٨٨ والضرع اليه قيل لقد قلنا وإذا جواب

وحزاء أي أود عوناً
من دونه الها والله لقد
قلنا قولاً خارجاً عن حد
العقول مفرطاً في الظلم
(هؤلاء) هو مبتدأ
وفي اسم الإشارة تحقير لهم
(قومنا) عطف بيان له
(أخذوا من دونه الهة)
خبره وفيه معنى الإنكار
(أولاً باتون) تخصيص
فيه معنى الإنكار
والشجيرة أي هلا باتون
(عليهم) على ألوهيتهم
أو على صحة اتخاذهم
لهما آلهة (بسلطان بين)
بحجة ظاهرة الدلالة
على مسددهم وهو
تبيك إلههم وأقسام
حجر (فن أظلم من افتري
على الله كذباً) نسبة
الشريك إليه تعالى عن
ذلك علواً كبيراً والمعنى
أنه أظلم من كل ظلام
وان كان سبب الظلم
على إنكار الأظلمية
من غير تعرض لإنكار
المساواة كما مر تحقيقه
في سورة هود (وإذا
اعتزلتموه) أي
فارقتموه في الاعتقاد

أوصل الله برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأبى بعد في أن يعطيه رغبة واحدة
أو شربة ماء في مغارة (الحجة الرابعة) قال عليه السلام حاكباً عن رب العزة من أذى لي
ولياقته ببارزني بالمحاربة فجعل أيداء الولي قائماً مقام أيدائه وهذا قريب من قوله تعالى
ان الذين يبغونك إنما يبغون الله وقال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمراً وقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة فجعل بيعة
محمد صلى الله عليه وسلم بيعة مع الله ورضاء محمد صلى الله عليه وسلم رضاه الله وأيداء محمد
صلى الله عليه وسلم أيداء الله فلا جرم كانت درجة محمد صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات
إلى أبلغ الغايات فكذاهنا لما قال من أذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة دل ذلك على أنه
تعالى جعل أيداء الولي قائماً مقام أيداء نفسه ويأ كدهذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول
يوم القيامة مررت فلم تعبدني استعبدتني استعبدتني استعبدتني فإطعني فيقول يا رب
كيف أفعل هذا وانت رب العالمين فيقول ان عبادي فلان مرض فلم تعبد أما علمت أنك
لو عدت له وجدت ذلك عندي وكذا في السقي والإطعام فدل ذلك هذه الأخبار على أن أولياء
الله يبلغون إلى هذه الدرجات فأبى بعد في أن يعطيه الله كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر
له دابة أو ورداً (الحجة الخامسة) اننا نشاهد في العرف ان من خصه الملك بالخدمة الخاصة
وأذن له في الدخول عليه في مجلس الانس فقد خصه أيضاً بأن يقدره على ما لا يقدر عليه
غيره بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فإنه يتبعه هذه المناصب فجعل
القرب أصلاً والمنصب تبعاً أعظم الملوك هورب العالمين فإذا شرف عبداً بأنه أوصله
إلى عتبات خدمته ودرجات كرامته وأوقفه على أسرار معرفته ورفع حجب البعديته وبين
نفسه وأجلسه على ساطع ربه فأبى بعد في أن يظهر بعض تلك الكرامات في هذا العالم
مع ان كل هذا العالم بالنسبة إلى ذرة من تلك السعادات الروحانية والمعارف الربانية
كالعدم المحض (الحجة السادسة) لا شك ان المتولى للأفعال هو الروح لا البدن ولا شك
ان معرفة الله تعالى للروح كالروح للبدن على ما قررناه في تفسير قوله تعالى ينزل
الملائكة بالروح من أمره وقال عليه السلام أبيت عند رب يطمعني ويسقيني ولهذا
المعنى نرى ان كل من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقل ضعفاً
ولهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانية
ولكن بقوة ربانية وذلك لان علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم
الاجساد واشترفت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتفوق روحه وتشبه بجواهر الارواح
الملكية وتلاطت فيه أضواء عالم القدس والعظمة فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر
بها على ما لم يقدر عليه غيره وكذلك العبد اذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي
يقول الله كنت له سمياً وبصراً فاذا صار نور جلال الله سمماً له سمع القريب والبعيد واذا
صار ذلك النور سمماً له سمياً أي القريب والبعيد واذا صار ذلك النور يده قدر على التصرف

وأردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون الا الله) على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أي في
إذا اعتزلتموه ومعبوديهم الا الله أو عبادتهم لا عبادة الله وعلى التقديرين فلا استثناء متصل على تقدير كونهم
مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تخصصهم في عبادة الاوثان ويجوز كون مانافية على انه اخبار من الله
تعالى عن الفتن بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه (فأولوا) أي التجو

الذي الكهف) قال القراء هو جواب ادعى يقول ادفعنا فاعمل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذا عتزلتموهم اعتزلوا
 عنقادنا فاعتزلوهم اعتز الاجسامية او اذا ردتهم اعتز الهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف (ينشر لكم) يسطركم ويوسع
 عليكم (ريكم) مالك امركم (من رحته) في الدارين (ويهي لكم) يسهل لكم (من امركم) الذي انتمم بصدده
 من الفرار بالدين (مرقفا) ماترتفعون وتنفعون به في ٦٨٩ وكقرى يفتح الميم وكسر الفاء مصدر كالرجوع وتقديم

لكم في الموضعين لما مر
 مرارا من الايدان من
 أول الامر يكون المؤخر
 من منافعهم والتشويق
 الى وروده (وترى الشمس)
 بيان لحالهم بعدما اووا
 الى الكهف ولم يصرح
 به ايدانا بعدم الحاجة
 اليه لظهور رجائهم
 على موجب الامر به
 لكونه صادرا عن رأى
 صائب وتعويل على
 ما سلف من قوله سبحانه
 اذا وى الفتية الى الكهف
 و ما خلق من اضافة
 الكهف اليهم وكونهم
 في فجوة منه والخطاب
 للرسول عليه الصلاة
 والسلام أو لكل أحد من
 يصلح للخطاب وليس
 المراد به الاخبار بوقوع
 الرؤية تحقيقا بل الانبا
 يكون الكهف بحيث
 لو رأته ترى الشمس
 (اذا طامت زاور) أى
 تزاوورت حتى يحدف
 احدى التاين وقرئ
 بادغام التاء في الزاين وتزو
 كتحمر وتزاور كتحمار
 وتزور وكلها من الزور

في الصعب والسهل والبعيد والقريب (الجملة السابعة) وهي مبنية على القوانين العقلية
 الحكيمية وهي اننا قد بينا أن جوهر الارواح ليس من جنس الاجسام الباطنة الفاسدة
 المنعزلة للفرق والتميز بل هو من جنس جواهر الملائكة وسكان عالم السموات ونوع
 المقدسين المطهرين لأنه لما خلق هذا البدن واستغرق في تدبيره صار في ذلك الاستغراق
 الى حيث نسي الوطن الاول والمسكن المتقدم وصار بالكلية متشبهاً بهذا الجسم الفاسد
 فضعفت قوته وذهبت مكنته ولم يقدر على شئ من الافعال أما اذا استأنست بمعرفة الله
 ومحبه وقيل انعماسها في تدبير هذا البدن وأشرقت عليها أنوار الارواح السماوية
 العرشية المقدسة وفاضت عليها من تلك الانوار قويات على التصرف في اجسام هذا
 العالم مثل قوة الارواح الفلكية على هذه الاعمال وذلك هو الكرامات وفيه دققة
 أخرى هي أن مذنبان الارواح البشرية مختلفة بالماهية ففيها القوية والضعيفة وفيها
 النورية والكدرية وفيها الخيرة والنذلة والارواح الفلكية أيضا كذلك ألا ترى الى
 جبريل كيف قال الله في وصفه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
 ثم أمين وقال في قوم آخرين من الملائكة وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
 فكذا ههنا فاذا انغرق في نفس من النفوس كونها قوية القوة القدسية الغنصرية
 مشرفة الجواهر علوية الطبيعة ثم انضاض اليها أنواع الرياضات التي تزيل عن وجهها
 غيرة عالم الكون والفساد أشرقت وتلاثت وقويت على التصرف في هوى عالم
 الكون والفساد باعانة نور معرفة الحضرة الصمدية وتقوية أضواء حضرة الجلال والعرزة
 ولقبض ههنا عنان البيان فان وراءها أسرار دققة واحوال اعنيقة من لم يصل اليها
 لم يصدق بها ونسأل الله الاعانة على ادراك الخيرات واحتج المنكرون للكرامات بوجوه
 (الشبهة الاولى) وهي التي عليها يعولون وبها يضلون ان ظهور الخارق للعادة جعله الله
 دليلا على النبوة فلو حصل لغيري لبطلت هذه الدلالة لان حصول الدليل مع عدم
 المدلول يقدح في كونه دليلا وذلك باطل (والشبهة الثانية) تمسكو بقوله عليه السلام
 حكاية عن الله سبحانه ان يتقرب المتقربون الى يمثل أداء ما افترضت عليهم قالوا هذا يدل
 على ان التقرب الى الله بآداء الفرائض أعظم من التقرب اليه بآداء النوافل ثم ان
 التقرب اليه بآداء الفرائض لا يحصل له شئ من الكرامات فالتقرب اليه بآداء النوافل
 أولى أن لا يحصل له ذلك (الشبهة الثالثة) تمسكو بقوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد
 لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والقول بان الولي ينقل من بلد الى بلد بعيدا على
 الوجه طعن في هذه الآية وايضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة
 الا في أيام كبره مع التعب الشديد فكيف بعقل أن يقال ان الولي ينقل من بلد نفسه الى
 الحج في يوم واحد (الشبهة الرابعة) قالوا هذا الولي الذي تظهر عليه الكرامات اذا
 ادعى على انسان درهما فهل نطالبه بالبيئة أم لا فان طالبنا بالبيئة كان عبثا لان ظهور

وهو المبل (عن كهفهم) ٨٧ خا الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) أى جهة ذات يمين
 الكهف عند توجه الداخل الى قمره أى جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (واذا غربت)
 أى تراها عند غروبها (تقرضهم) أى تقطعهم من القطيعة والصبر ولا تقربهم (ذات الشمال)

أى جهة ذات جمال الكهف أى جانبه الذى على الشرق وكان ذلك بصبر يثاب الله سبحانه على منتهى شوق كرامة لهم وقوله تعالى (وهى فى فجوة منه) جملة حاله مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أى تراها تمل عنهم عينا وشمالا ولا تح حولهم مع انهم فى منسج من الكهف معرض لاصابتها لولا أن صرفها عنهم يد التقدير (ذلك) أى ما صنع الله بهم تراور الشمس وقرضها حالى الطلوع والغروب مع ٦٩٠ كونه فى موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الد

على كمال علمه وقدرته وحقيقة التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقبل كان باب الكهف شماليا مستقبلا بنات نعش وأقرب المشار والمغارب الى محاذاته رأس مشرق السرطان ومغرب الشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذى على المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبه وتحلل عقوبته وتعدل هوائه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان أكثر لذلك أوقع التراور على كهفهم والقرض على أنفسهم فلذلك حينئذ اشارة الى ابو اثمم الى كهف هذا شأنه وأما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اليهم فى ذلك الكهف تلك المدة الطويلة

الكرامات عليه يدل على انه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظنى وان لم نطالبه بها فقد تركنا قوله عليه السلام البينة على المدعى فهذا يدل على ان القول بالكرامة باطل (الشبهة الخامسة) اذا جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء جاز ظهورها على الباقين فاذا كثرت الكرامات حتى خرقت العادة جرت وفقا للعادة وذلك يقدح فى المعجزة والكرامة (والجواب) عن الشبهة الاولى ان الناس اختلفوا فى أنه هل يجوز للولى دعوى الولاية فقال قوم من المحققين ان ذلك لا يجوز فعلى هذا القول يكون الفرق بين المعجزات والكرامات ان المعجزة تكون مسبقة بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبقة بدعوى الولاية والسبب فى هذا الفرق ان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا الى الخلق ليصيروا دعاة للخلق من الكفر الى الايمان ومن العصية الى الطاعة فلولم تظهر دعوى النبوة لم يؤمنوا به واذا لم يؤمنوا به بقوا على الكفر واذا ادعوا النبوة وأظهروا المعجزة آمن القوم بهم فاقدام الانبياء على دعوى النبوة ليس الغرض منه تعظيم النفس بل المقصود منه اظهار الشفقة على الخلق حتى يتقلوا من الكفر الى الايمان اما ثبوت الولاية للولى فليس الجمل بها كفرا ولا معرفتها ايمانا فكان دعوى الولاية طلبا للشهوة النفس فعلمنا ان النبي يجب عليه اظهار دعوى النبوة والولى لا يجوز له دعوى الولاية فظهر الفرق اما الذين قالوا يجوز للولى دعوى الولاية فقد ذكرنا الفرق بين المعجزة والكرامة من وجوه (الاول) ان ظهور الفعل الخارج للعامة يدل على كونه ذلك الانسان مبرا عن العصية ثم ان اقترن هذا الفعل بادعاء النبوة دل على كونه صادقا فى دعوى النبوة وان اقترن بادعاء الولاية دل على كونه صادقا فى دعوى الولاية وبهذا الطريق لا يكون ظهور الكرامة على الاولياء طعنا فى معجزات الانبياء عليهم السلام (الثانى) ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى المعجزة ويضع بها الولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لان المعجزة يجب ظهورها اما الكرامة لا يجب ظهورها (الثالث) انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة (الرابع) اننا لا يجوز ظهور الكرامة على الولي عند ادعاء الولاية الا اذا اقر عند تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبي ومتى كان الامر كذلك صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبي ومؤكدة لرسالته وبهذا التقدير لا يكون ظهور الكرامة طاعنا فى نبوة النبي بل يصير مقويا لها (والجواب) عن الشبهة الثانية ان التقرب بالفرائض وحدها أكمل من التقرب بالتواقل اما الولي فانه لا يكون وليا اذا كان آتيا بالفرائض والتواقل ولا شك انه يكون حاله انهم من حال من اقتصر على الفرائض فظهر الفرق والجواب عن الشبهة السالفة ان قوله تعالى وتحمل انفسكم الى بلدكم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء أحوال نادرة فتصير كالاستثناء من ذلك العموم وهذا هو الجواب عن الشبهة الرابعة وهى التسك بقوله عليه السلام البينة على المدعى (والجواب) عن الشبهة الخامسة ان

أوالى اطلاقه سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم على أخبارهم فلا يساعده ايراده فى تضاعف القصة المطمين (من يهد الله) الى الحق بالتوفيق له (فهو المهدى) الذى أصاب الفلاح والمراد اما الشاء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما ألموه من نشر الرحمة ونهية المرافق

الثانية على أن أمثال هذه لا يد كثيره ولكن الشفع بها من وجه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضل) أي يخلق قلبه ضلالا لصرف اختياره اليه (فلن تجده) أبدا وإن بالغت في التنبه والاستقصاء (وليا) ناصرا (مرشدا) يهديه الى ذكر من الافلاح لاستحالة وجوده في نفسه لأنك لانجده مع وجوده أو مكانه (وتحسبهم) بفتح السين وقرئ سرها أيضا والخطاب فيه كما سبق (أيقاظا) * ٦٩١ جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان

افتتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة قلبهم ولا يلائمه قوله تعالى وتقلبهم (وهم رقود) أي نيام وهو تقرير للملم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على أذانهم (وتقلبهم) في رقودتهم (ذات اليمين) نصب على الظرفية أي جهة تلى أيمانهم (وذات الشمال) أي جهة تلى شما لئلا يترك الأرض ما يليها من أبدانهم قال ابن عباس رضى الله عنهما أولم يقبلوا الكرامة الأرض قيل لهم تقليتان في السنة وقيل تعلبية واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر يني عندهم وتحسبهم أي وترى تقلبهم (وكلبهم) قيل هو كلب مرأيه فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع

المطيعين فيهم قلة كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وكما قال ابللس ولا تجد أكثرهم شاكرين وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات في الاوقات النادرة فادحاف كونها على خلاف العادة (المسئلة السابعة) في الفرق بين الكرامات والاستدراج اعلم ان من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وجيها عند الله تعالى سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك اكرا مالا بعد وقد يكون استدراجا له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة في القرآن (أحدها) الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما يريد في الدنيا ليزداد غيدا وضلالا له وجهه وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله وتحققه انه ثبت في العلوم العقلية ان تكرر الافعال سبب لحصول الملكية الراسخة فاذا مال قلب العبد الى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فجئته بصل الطالب الى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل وحصول الميل يوجب مزيد السعي ولا يزال يتأذى كل واحد منهما الى الآخر وتتقوى كل واحدة من هاتين الحالتين درجة فدرجة ومعلوم ان الاشغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة الى أن يكامل فهذا هو الاستدراج (وثانيها) المكسر قال تعالى فلا تأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا مكرا ومكرا مكرا وهم لا يشعرون (وثالثها) الكيد قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم (ورابعها) الاملاء قال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما (وخامسها) الاهلاك قال تعالى حتى اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم وقال فرعون واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناهم وجنوده فتبينناهم في اليم فظهر بهذه الآيات ان الاصل الى المرادات لا يدل على كمال الدرجات والفوز بالخيرات بقى علينا أن نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات * فنقول ان صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد وحذره من فخر الله أقوى فانه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج وأما صاحب الاستدراج فانه يستأنس بتلك الذي يظهر عليه ويظن انه انما وجد تلك الكرامة لانه كان مستحقا لها وحينئذ يستعجز غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فاذا ظهر شيء من هذه الاحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على انها كانت استدراجا لا كرامة فلهذا المعنى قال المحققون أكثر ما تنفق من الانقطاع عن حضرة الله انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من انواع البلاء والذي يدل على ان الاستئناس

فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جاني فاني أحب أعباء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع فتبعهم على دينهم وبؤيده قراءة كالبهم اذا الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أوزرعه أو غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تنوه وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب

التي هي الكرامة والكرامات والكرامات التي كان اسما (باسم ذراعية) كذا يقال ما عتقد
ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز أعماله مطلقا والذراع من المرفق
الى رأس الاصبع الوسطى (بالوصيد) أى بموضع الباب من الكهف (الواطعت عليهم) أى لو عابثتهم وشاهدتهم
وأصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالماينة ﴿ ٦٩٢ ﴾ والمشاهدة وقرئ بضم الواو (وليت منهم فرارا) هربا بما

شاهدت منهم وهو
مانصب على المصدرية
من معنى ما قبله اذا تواليه
والفرار من واحد واحد
واما على الحالية يجعل
المصدر معنى الفاعل أى
فارا أو يجعل الفاعل
مصدر افعال كفى
قولها فاما هي اقبال
وادبار * واما على انه
مفعول له (وليت منهم
رعبا) وقرئ بضم
العين أى خوف ايلاء
الصدور ورعبه وهو اما
مفعول ثان أو تمييز وذلك
لما انبهم الله عز وجل
من الهيبة والهيبة كانت
أعينهم مفتحة كالمنطق
الذى يريد أن يتكلم
وقيل اطول أنظارهم
وشعورهم ولا يساعده
قواهم بشايتهم أو ما بعض
يوم وقوله ولا يشعرون
يكم أجدافان الظاهر
من ذلك عدم اختلاف
أحوالهم في أنفسهم
وقيل اعظم أجرامهم
ولعل تأخير هذا من ذكر
التولية للآية ان باستقلال
كل منهم ما في الترتيب

بالكرامة فاطع عن الطريق وجوه (الحجة الاولى) ان هذا الغرور انما يحصل اذا اعتقد
الرجل انه مستحق لهذه الكرامة لان بتقدير أن لا يكون مستحقا لها امتنع حصول
الفرح به ايل يجب أن يكون فرحه بكرم المولى وفضله أكبر من فرحه بنفسه فثبت ان
الفرح بالكرامة أكثر من فرحه بنفسه وثبت ان الفرح بالكرامة لا يحصل الا اذا
اعتقد انه أهل ومستحق لها وهذا عين الجهل لان الملائكة قالوا لعلنا الاما عتدنا وقال
تعالى وما قدر الله حق قدره وأيضا قد ثبت بالبرهان اليقيني انه لاحق لاحد من الخلق
على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق (الحجة الثانية) ان الكرامات أشياء مغايرة للحق
سبحانه فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب عن الحق والمحبوب
عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور (الحجة الثالثة) ان من اعتقد في نفسه انه صار
مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل له وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان
بجاهلا واوعرف ربه تعلم ان كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في
جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهي في مقابلة عزه حيرة وجهل
* رأيت في بعض الكتب انه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن الحق رفع عماك أن لا يني
عندك فان بقي علك في ظرك فهو مدفوع وان لم يبق معك فهو مرفوع مقبول (الحجة
الرابعة) ان صاحب الكرامة انما وجد الكرامة لظهور النبل والنواضع في حضرة
الله فاذا ترفع وتجب وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل ما به وصل الى الكرامات
فهذا طريق ثبوته يؤديه الى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل واحد منها ولا فخر بعني لا افتخر
بهذه الكرامات وانما افتخر بالمكرم والمعطى (الحجة الخامسة) ان ظاهر الكرامات في
حق ابليس وفي حق بلعام كان عظيمائهم قبل ابليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فذله
كمثل الكلب وقيل لعلاء بنى اسرائيل مثل الذين حملوا النوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل أسفارا وقيل أيضا في حقهم وما اختلف الذين أتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم فبين ان وقوعهم في الظلمات والضلالات كان بسبب فرحهم بما أتوا من
العلم والزهدي (الحجة السادسة) ان الكرامة غير المكرم وكل ما هو غير المكرم فهو دليل
وكل من تعزز بالدليل فهو دليل ولهذا المعنى قال الخليل صلوات الله عليه أما اليك فلا
فلاستغناء بالفقير فقر والتقوى بالعاس جز عجز والاستكمال بالناقص نقصان والفرح
بالحدث به والاقبال بالكلية على الحق خلاص فثبت ان الفقير اذا اتى بهج بالكرامة سقط
عن درجته اما اذا كان لا يشاهد في الكرامات الا المكرم ولا في الاعزاز الا المعز ولا في
الخلق الا الخالق فهناك يتحقق الوصول (الحجة السابعة) ان الافتخار بالنفس وبصفاتهما من
صفات ابليس وفرعون قال ابليس أنا خير منه وقال فرعون أليس لي ملك مصر وكل من

على الاطلاع اذا ورع ترتيب الوجودات ادرالى انهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه والاشعار هو ادعى
بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظروا لايهم
فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس ان ذلك قدم الله تعالى من هو خير منك حيث قال

واطلعت عليهم الآية قال معاوية لا انتهى حتى أعلم عليهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فاعلموا وامنوا وادخلوا الكهف
بعث الله تعالى ريحا فأحرقهم وقرئ بشديد الالام على الكثيرو بابل الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد (وكذلك
بشناهم) أى كما أنماهم وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل أبذل على كمال قدرتنا بشناهم من النوم (لنساءواوا بينهم)
نساء يسأل بعضهم بعضا فيرتب عليه ما فصل ٦٩٣ من الحكم البالغة وجعله غاية لابعث المعلل فيما سبق
بالاختيار من حيث انه

من أحكامه المترتبة عليه
والاقتصار على ذكره
لاستبانه لسائر آثاره
(قال) استئناف لبيان
نساء لهم (قائل منهم) هو
رئيسهم واسمه مكسلينا
(كم ليتم) في منامكم
اعلمه قاله لما رأى من
مخالفة حالهم لما هو
المتعارف في الجملة (قالوا)
أى بعضهم (بشنايوما أو
بعض يوم) قبل انما
قالوه لما أنهم دخلوا
الكهف غدوة وكان
اننباههم آخر النهار
فقالوا بشنايوما فمارأوا
أن الشمس لم تقرب
بعد قالوا أو بعض يوم
وكان ذلك بناء على الظن
الغالب فلم يعز والى
الكذب (قالوا) أى بعض
آخر منهم بما نسخ لهم
من الأدلة أو بالهام
من الله سبحانه (ربكم
أعلم بما ليتم) أى أنتم
لا تعملون مدة لبسكم وانما
يعلمها الله سبحانه وهذا
رد منهم على الاولين
بأجل ما يكون من مراعاة

ادعى الالهية أو النبوة بالكذب فليس له غرض الا تزوين النفس وتقوية الحرص
والحجب ولهذا قال عليه السلام ثلاث مهلكات وختمها بقوله واجباب المرء بنفسه (الجملة
الثامنة) انه تعالى قال فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين واعبد ربك حتى تأتيتك اليقين
فلما أعطاه الله العطية الكبرى أمره بالاستشغال بخدمة المعطي لا بالفرح بالعطية (الجملة
التاسعة) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيره الله بين أن يكون ملكا نبيا وبين أن يكون
عبدا نبيا ترك الملك ولاشأن وجدان الملك الذي يعم المشرق والمغرب من الكرامات
بل من المعجزات ثم انه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك الملك واختار العبودية لانه اذا كان
عبدا كان اقتضاه بجماله واذا كان ملكا كان اقتضاه بعيبه فلما اختار العبودية
لاجرم جعل السنة التي في التحيات التي رواها ابن مسعود وأشهد أن محمد عبده ورسوله
وقيل في المعراج سبحان الذي أسرى بعبده (الجملة العاشرة) ان محب المولى غير موجب
ما للمولى غير فن أحب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى فلا يستأنس
بغير المولى والفرح بغيره يدل على انه ما كان محبا للمولى بل كان محبا لنصيب نفسه ونصيب
النفس انما يطلب للنفس فهذا الشخص ما أحب الانفسه وما كان المولى محبوبا له بل
جعل المولى وسيلة الى تحصيل ذلك المطلوب والصنم الاكبر هو النفس كما قال تعالى
أفرأيت من اتخذ الله هواء فهذا الانسان عابد للصنم الاكبر حتى ان المحققين قالوا لاضررة
في عبادة شئ من الاصنام مثل المضرة الحاصلة في عبادة النفس ولا خوف من عبادة
الاصنام كالخوف من الفرح بالكرامات (الجملة الحادية عشرة) قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وهذا يدل على
أن من لم يتق الله ولم يتوكل عليه لم يحصل له شئ من هذه الافعال والاحوال (المسئلة
الثامنة) في ان الاول هل يعرف كونه ولما قال الاستاذ أبو بكر بن فورك لا يجوز وقال
الاستاذ أبو علي الدقاق وتليده أبو القاسم القشيري يجوز وحجة المانعين وجوه (الجملة
الاولى) لو عرف الرجل كونه ولما حصل له الا من يدل قوله تعالى ألا ان أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لكن حصول الامن غير جائز ويدل عليه وجوه (أحدها)
قوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون واليأس أيضا غير جائز لقوله تعالى انه
لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون ولقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون والمعنى فيه ان الامن لا يحصل الا عند اعتقاد العجز واليأس لا يحصل الا عند
اعتقاد الخلل واعتقاد العجز والخلل في حق الله كفر فلا جرم كان حصول الامن
والقنوط كفرا (الثاني) ان الطاعات وان كثرت الا أن فخر الحق أعظم ومع كون القهر
غالبا لا يحصل الامن (الثالث) ان الامن يقتضى زوال العبودية وترك الخدمة
والعبودية يوجب العداوة والامن يقتضى ترك الخوف (الرابع) انه تعالى وصف
المخلصين بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين قيل رغبا في ثوابنا ورهبا من عقابنا

سن الادب وبه يتحقق التحرب الى الحزبين المذهبيين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حاثين ولا يساعده
نظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقضى بان الكلام جار على منهاج المحاوراة والمجاوبة
الا قبل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه الى المدينة) قالوه

اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يجهلهم بحسب الحال كما يلي **قصة العاد والورق** القصص مضمومة أو غير مضمومة وبذو وصفها باسم الإشارة يشعر بان القائل تناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ يسكون الزاء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحلهم لها دليل على أن التزود لابتناف التوكل على الله تعالى (فليتظر أيها) أي أهلها (أزى) أحل وأطيب ﴿ ٦٩٤ ﴾ أو أكثر وأرخص (طعاما فليأتكم برزق منه) أي

من ذلك الأذى طعاما (وليأتكم) وليستكلف اللطف في المعاملة كي لا يغيب أو في الاستخفاء لئلا يعرف (ولا يشعر بكم أحدا) من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوخ أخباركم أي لا يفعلن ما يؤذي إلى ذلك فاتمهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد الأمر بالتلطف (أنهم) تغليل لما سبق من الأمر والتمهي أي ليبلغ في التلطف وعدم الأشعار لأنهم (ان يظهروا عليكم) أي يطعموا عليكم أو يظفروا بكم والضيق للآهل المقدر في أيها (رجوكم) ان ينتم على ما أنتم عليه (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصبرورة كقوله تعالى أولتعودن في ملتنا وقيل كانوا أو لا على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار

وقبل رغبا في فضلنا ورهبا من عدلنا وقبل رغبا في وصاينا ورهبا من فراقتنا والاحسن أن يقال رغبا فينا ورهبا منا (الحجة الثانية) على ان الولي لا يعرف كونه وليا ان الولي انما يصير وليا لاجل ان الحق يحبه لاجل انه يحب الحق وكذلك القول في العدو ثم ان محبة الحق وعداوته سران لا يطلع عليهما أحد فطاعات العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لان الطاعات والمعاصي محدثة وصفات الحق قديمة غير متناهية والمحدث المتأخر لا يصير غالبا للقديم غير المتأخر وعلى هذا التقدير فما كان العبد في الحال في عين المعصية الا أن نصيبه من الازل عين المحبة وربما كان العبد في الحال في عين الطاعة ولكن نصيبه من الازل عين العداوة وتتمام التحقيق ان محبة وعداوته صفة وصفة الحق غير معللة ومن كانت محبة لا لعله فإنه يتمتع أن يصير عدوا بعله المعصية ومن كانت عداوته لا لعله يتمتع أن يصير محبا لعله الطاعة ولما كانت محبة الحق وعداوته سرين لا يطلع عليهما لا جرم قال عيسى عليه السلام نعم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب (الحجة الثالثة) على ان الولي لا يعرف كونه وليا ان الحكم بكونه وليا وبكونه من أهل الثواب والجنة يتوقف على الخاتمة والدليل عليه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولم يقل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وهذا يدل على ان استحقاق الثواب مستفاد من الخاتمة لا من أول العمل والذي يؤيد كذا ذلك أنه لو مضى عمره في الكفر ثم أسلم في آخر الامر كان من أهل الثواب وبالضد وهذا يدل على ان العبرة بالخاتمة لا بأول العمل ولهذا قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتموا انفر لهم ما قد سلف فثبت ان العبرة في الولاية والعداوة وكونه من أهل الثواب أو من أهل العقاب بالخاتمة فظهر ان الخاتمة غير معلومة لاحد فوجب القطع بأن الولي لا يعلم كونه وليا أما الذين قالوا ان الولي قد يعرف كونه وليا فقد احتجوا على صحة قولهم بأن الولاية لهم اركان (أحدهما) كونه في الظاهر منقادا للشرعية (الثاني) كونه في الباطن مستغرقا في نور الحقيقة فاذا حصل الامران وعرف الانسان حصولهما عرف لاحالة كونه وليا أما الانقياد في الظاهر للشرعية فظاهر وأما استغراق الباطن في نور الحقيقة فهو أن يكون فرحه بطاعة الله واستئناسه به كراهه وأن لا يكون له استقرار مع شيء سوى الله (والجواب) ان تداخل الغلاط في هذا الباب كثيرة غامضة والقضاء عسير والنجربة خطر والجزم غرور ودون الوصول الى عالم الربوبية أستار تارة من النيران وأخرى من الانوار والله العالم بحقائق الاسرار وليرجع الى النفس ﴿ قوله تعالى ﴾ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ور بطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوك من دونك الهة لقد فتننا اذا شططنا وولا فتننا اذا كنا نعدنا من دونك الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اعلم انه تعالى ذكر من قبل جلة من واقعهم ثم قال نحن نقص عليك نبأهم بالحق أي على وجه الصدق

الذي هو أشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجوع على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو ﴿ انهم ﴾ الثبات على الدين المؤدى اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للبالغة في حل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقيين على الاهتمام بالتوصية فان انحاض النصيح أدخل في القبول واهتمام الانسان بشأن نفسه أكثر وأوفر

(وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ) أي أن دخلهم فيها ولو بالكفر والإلحاد لن يغوروا فيه (أي) لا في الدنيا ولا في الآخرة وبعبارة
التشديد في التحذير ما لا يخفى (وكذلك) أي وكما أنماهم وبشأنهم لما من ازديادهم في مراتب اليقين (أعزنا) أي
لعلنا الناس (عليهم ليعلموا) أي الذين أعزناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة (أن وعد الله) أي وعده بالبعث
وموعده الذي هو البعث وأن كل وعده أو كل ﴿ ٦٩٥ ﴾ موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود

دخلوا أوليا (حق) صادق
لا خلف فيه أو ثابت
لا مرد له لأن نومهم
وأنبأهم كحال من يموت
ثم يبعث (وأن الساعة)
أي القيامة التي هي
عبارة عن وقت بعث
الخلق جميعا للحساب
والجزاء (لا ريب فيها)
لا شك في قيامها فإن من
شاهد أنه جل وعلا توفي
نفوسهم وأمسكها
لثلاثة سنة وأكثر حفظا
أبدانها من التحلل والتفتت
ثم أرسلها إليها لا يبق
له شائبة شك في أن وعده
تعالى حق وأنه يبعث من
في القبور فيرد إليهم
أرواحهم فيحاسبهم
ويجزى بهم بحسب أعمالهم
(اذننازعون) ظرف
لقوله أعزنا قدم عليه
الغاية اظهر الكمال
العناية بذكرها لاقوله
ليعلموا كما قيل لدلائله
على أن المتنازع يحدث
بعد الاشارة وليس كذلك
أي أعزناهم عليهم حين
يتنازعون (بينهم أمرهم)
ليرفع الخلاف وينين

انهم فنية آمنوا بهم كانوا جماعة من الشبان آمنوا بالله ثم قال تعالى في صفاتهم وربطنا
على قلوبهم أي ألهمناها الصبر وبثناها اذ قاموا وفي هذا القيام أقوال (الاول) قال
مجاهد كانوا عظماء مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعة فقال رجل
منهم أكره القوم اني لا جدد في نفسي شيئا ما أظن ان أحدا يجده قالوا ماتجد قال أجد
في نفسي ان ربي رب السموات والارض (القول الثاني) انهم قاموا بين يدي ملكهم
دقيانوس الجبار وقالوا ربنا رب السموات والارض وذلك لانه كان يدعو الناس الى
عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتنة وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا
برؤية الله وصرحوا بالبراءة عن الشركاء والانداد (والقول الثالث) وهو قول عطية
ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم وهذا بعيد لان الله استأنف قصتهم بقوله
نحن نقص عليك وقوله لقد قلنا اذا شططنا معنى الشطط في اللغة مجاوزة الحد قال الفراء
يقال قد شطط في السوم اذا جاوز الحد ولم يسمع الأشط يشط اشطاطا وشطططا وحكي
الزجاج وغيره شط الرجل وأشط اذا جاوز الحد ومنه قوله ولا تشطط وأصل هذا من
قولهم شطت الدار اذا بعدت فالشطط البعد عن الحق وهو ههنا منصوب على المصدر
والمعنى لقد قلنا اذا شططنا أما قوله هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة هذا من قول
أصحاب الكهف ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الاصنام لولا يأتون
هلا يأتون عليهم بسلطان بين بحجة بينة ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة ومعنى
الكلام ان عدم البينة بعدم الدلائل على ذلك لا يدل على عدم المدلول ومن الناس من
يخرج بعدم الدليل على عدم المدلول ويستدل على صحة هذه الطريقة بهذه الآية
فقال انه تعالى استدلل على عدم الشركاء والاضداد بعدم الدليل عليها فثبت ان الاستدلال
بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية ثم قال نحن أقول في الله كذبنا يعني
ان الحكم بنيت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافترأ على الله وكذب عليه وهذا من
أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد * قوله تعالى (واذعرتهم وهم يعبدون الا الله
فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وتري
الشمس اذا طلعت تزاو عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم
في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدي الله فهو المهتدى ومن يضل قلن نجد له ولها
مرشدا) اعلم ان المراد انه قال بعضهم لبعض واذا عرتهم واعترتهم الشيء الذي يعبدونه
الا الله فانكم لم تعتر لواعبادة الله فأووا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ
فعلت كذا فافعل كذا ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم ينشر لكم ربكم من رحمته
أي يسطرها عليكم ويهيئ لكم من أمركم مرفقا قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء قال الفراء وهما
أعنان واشقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي ينكر في مرفق الانسان الذي في اليد

في قبل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقرله ويجاحده به وقائل يقول يبعث الارواح دون
جساد وآخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف أهل مملكته في البعث
بمافصل فدخل الملك بيته وأخلق باباه وليس معها وجلعن على رماد وسال

وبه أن يظهر الحق فأتى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به دقيانوس باب الكهف ليطول خطبه
لغنه فمعد ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من القاول ماجرى روى أن البعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليستعمل
به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فأمسوه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم إن
آباءنا أخبرونا بأن فتية قروا بدينهم من دقيانوس فلعلمهم هؤلاء ٦٩٦ فأنطلق الملك وأهل المدينة من مسلم

وكافر وابصر وهم
وكلوهم ثم قالت الفتية
للملك نسئد دعك الله
ونعبدك به من شر الانس
والجن ثم رجعو إلى
مضاجعهم فأتوا فأتى
الملك عليهم ثيابه وجعل
لكل منهم ثوباً من ذهب
فأرهم في المنام كارهين
للذهب فجعلهم من الساج
و بنى على باب الكهف
محجوراً وقيل لما انتهوا
إلى الكهف قال لهم
الفتي مكانكم حتى أدخل
أولاً لا يفرعوا فدخل
فعمى عليهم المدخل
فبنوا ثمة مسجداً
وقبل المتازع فيه أمر
الفتية قبل بعثهم أي
أعزنا عليهم حين
ينذرون بينهم أمرهم
وما جرى بينهم وبين
دقيانوس من الأحوال
والأحوال ويتلقون ذلك
من الأساطير وأفواه الرجال
وعلى التقديرين فلقاء
في قوله عز وجل (فقالوا)
فصيحة أي اعترانهم
عليهم فرأوا ما رأوا
فأتوا فقالوا أي قال
بعضهم (ابنوا عليهم)
أي على باب كهفهم

الأكسر الميم وقبح الفاء والفراء بجيرة في الأمر وفي اليد وقيل هما لفتان الآن القبح
أقس والكسر أكثر وقيل المرفق ما ارتفعت به والمرفق بالفتح المرافق ثم قال تعالى وترى
الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وفيه
مباحث (البحث الأول) قرأ ابن عامر زورسا كثة الزاي المعجمة مشددة الزاء مثل محمر
وقرأ عاصم وحزة والكسائي تزاور بالالف والتخفيف والياقون تزاور بالتشديد والالف
والكل بمعنى والتزاور هو الميل والانحناء ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن
الصدق وأما التشديد فأصله تزاور سكنت التاء الثانية وادغمت في الزاي وأما التخفيف
فمن وتفاعل من الزور وأما زور فهو من الزورار (البحث الثاني) قوله وترى الشمس أي
أنت أيها المخاطب ترى الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم وليس المراد أن من خوطب
بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه ألمك أو رأيت
رأيت على هذه الصورة (البحث الثالث) قوله ذات اليمين أي جهة اليمين وأصله أن ذات
صفة أقيمت مقام الموصوف لأنها تأنيث ذوق قولهم رجل ذو مال وامرأة ذات مال
والتقدير كأنه قيل تزاور عن كهفهم جهة ذات اليمين وأما قوله وإذا غربت تقرضهم
ذات الشمال ففيه مجازان (البحث الأول) قال الكسائي قرضت المكان أي عدلت عنه وقال
أبو عبيد القرظ في أشباه ذنهاب القطع وكذلك السبر في البلاد أي إذا قطعهما تقول
أصاحبك هل وردت مكان كذا فيقول الجيب إنما قرضته فقوله تقرضهم ذات الشمال
أي تعدل عن سمت رؤسهم إلى جهة الشمال (البحث الثاني) للمفسرين ههنا قولان
(القول الأول) إن باب ذاك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال فإذا طلعت الشمس
كانت على يمين الكهف وإذا غربت كانت على شماله فضوء الشمس ما كان يصل إلى
داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل إليه والمقصود أن الله تعالى
صان أصحاب الكهف من أن يقع عليهم ضوء الشمس والافسدت أجسامهم فهي
مصونة عن العقوبة والفساد (والقول الثاني) أنه ليس المراد ذاك وإنما المراد أن الشمس
إذا طلعت منع الله ضوء الشمس من الوقوع وكذا القول حال غروبها وكان ذلك فعلاً
خارقاً للمادة وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف وهذا قول الزجاج وأخبر
على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الأمر كما ذكره أصحاب القول الأول لكان
ذلك أمراً معتاداً ما لوفاء لم يكن ذلك من آيات الله وأما إذا حلنا الآية على هذا الوجه
الثاني كان ذلك كرامة عجيبة فكانت من آيات الله واعلم أنه تعالى أخبر بعد ذلك أنهم
كانوا في منسج من الكهف يتألم فيه برد الريح ونسيم الهواء قال وهم في فجوة منه أي
من الكهف والفجوة منسج في مكان قال أبو عبيدة وجهها فجوات ومنه الحديث فإذا
وجد فجوة نص ثم قال تعالى ذلك من آيات الله وفيه قولان الذين قالوا أنه يمنع وصول ضوء
الشمس بقدرته قالوا المراد من قوله ذلك أي ذلك التزاور والميل والذين لم يقولوا به قالوا

(بنايانا) ثلاثة طرق إليهم الناس ضنا بتر بينهم ومحافظه عليها وقوله تعالى (ربهم أعلم بهم) من كلام هو المراد
المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتمامهم إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبنة
في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للأمر إلى علام الغيوب

ومن ثم لم يبق لهم ريب في صيدهم من أولئك الشارطين وعين امرهم وندبيرهم هند وقائهم
وشأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو ناموا كما في أول مرة فاذ خيتمه مطلق بقوله تعالى (قال الذين
لبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون (لننخذن عليهم مسجدا) وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون
إشارة صيغة الماضي للدلالة على أن هذا ﴿ ٦٩٧ ﴾ القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق بذكر

مضرا وأما تعلقه بأعترنا

فأباه أن اعثارهم ليس

في زمان تنازعهم فيما

ذكر بل قبله وجعل

وقت التنازع ممتدا

يقع في بعضه الاعثار

وفي بعضه التنازع

تعسف لا ينفخ مع أنه

لا يخصص لاضافته

إلى التنازع وهو مؤخر

في الوقوع (سبوقون

الضمير في الأفعال الثلاثة

للخاضعين في قصتهم

في عهد النبي عليه

الصلاة والسلام

من أهل الكتاب والمسلمين

لكن لا على وجه اسناد

كل منها إلى كلهم بل

إلى بعضهم (ثلاثة

رابعهم كلهم) أي هم

ثلاثة أشخاص رابعهم

أي جاعلهم أربعة

بإضمائهم إليهم كلهم

قيل فآله اليهود وقيل

قاله السيد من نصارى

نجران وكان يعقوبيا

وقرى ثلاثة بادغام الثاء

في التاء (و يقولون

خسة سادسهم كلهم)

قيل فآله النصارى

المراد بقوله ذلك أي ذلك الحفظ الذي حفظهم الله في ذلك الغارتلك المدة الطويلة من
آيات الله الدالة على عجائب قدرته وبدائع حكمته ثم بين تعالى أنه كان بقاءهم هذه المدة
الطويلة مصونا عن الموت والهلاك من تدبيراته ولطفه وكرمه فكذلك رجوعهم أولا
عن الكفر ورجبتهم في الإيمان كان بأعانة الله ولطفه فقال من يهدي الله فهو المهتدى
مثل أصحاب الكهف ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا كدقيانوس الكافروأصحابه
ومناظرات أهل الجبر والقدر في هذه الآية معلومة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وتحسبهم أيقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم
لأوليت منهم فرارا ولما كنت منهم رعبا) اعلم أن معنى قوله وتحسبهم على ما ذكرناه في قوله
وترى الشمس أي أورأتهم لحسبتهم أيقاظا وهو جمع يفظ ويقظان قاله الاخفش وأبو
عبيدة والزجاج وانشدوا الرؤبة ﴿ ووجدوا اخوانهم ﴾ أيقاظا ﴿ ومثله قوله نجد ونجدان
والتجداد وهم رقود أي نائمون وهو مصدر سمي المفعول به كما قال قوم ركوع وقعود وسجود
يوصف الجمع بالمصدر ومن قال أنه جمع راقد فقد أبعد لانه لم يجمع فاعل على فاعول قال
الواحدى وانما يحسبون أيقاظا لأن أعينهم مفتحة وهم نيام وقال الزجاج لكثرة تغليبهم
بضم أفهم أيقاظ والدليل عليه قوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال واختلافوا
في مقدار مدة التغليب فمن أبي هريرة روى الله عنه أن الله في كل عام تغليبين وعن مجاهد
يكون على إيمانهم تسع سنين ثم يقلبون على شمالهم فيمكثون رقودا تسع سنين وقيل لهم
تغلبة واحدة في يوم عاشوراء وأقول هذه التقديرات لأسبيل للعقل إليها ولفظ القرآن
لا يدل عليه وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف وقال ابن عباس رضى الله عنهما فائدة
تغليبهم ثلاثا كل الأرض لحومهم ولا تبليهم وأقول هذا عجيب لانه تعالى لما قدر على أن
يمسك حياتهم مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فلم يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تغليب
وقوله ذات منصوبة على الظرف لأن المعنى تغليبهم في ناحية اليمين أو على ناحية اليمين
كما قلنا في قوله تراور عن كهفهم ذات اليمين وقوله وكلهم بأسط ذراعيه قال ابن عباس
وأكثر المفسرين قالوا أنهم هر بوا ليلامن ملكهم فروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
ومعه كلبه وقال كعب مر وابكك فنجح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا أمرا قاله فقال لهم
الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جاني أنا أحب أعباء الله فناموا حتى أحرسكم وقال عبيد
ابن عمير كان ذلك كلب صيدهم ومعنى بأسط ذراعيه أي يلقيهما على الأرض مبسوطتين
غير مقبوضتين ومنه الحديث في الصلاة أنه نهى عن افتراش السبع وقال لا تقترش
ذراعيك افتراش السبع قوله بالوصيد يعني فناء الكهف قال الزجاج الأوصيد فناء البيت
وفناء الدار وجمعه وصائد ووصد وقال يونس والاخفش والقراء الوصيد والاصيد لغتان
مثل الوكاف والاكاف وقال السدي الوصيد الباب والكهف لا يكون له باب ولا عتبة
وانما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت ثم قال لو اطلعت عليهم أي أشرفت

والعقاب منهم وكان نسطوريا (رجا ﴿ ٨٨ ﴾ خا بالغيب) ربما بالخبر الحفي الذي لا مطلع عليه أو ظنا
بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا أي راجين أو على المصدرية
منهما فان الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا أي يرجون رجما
وعدم إيراد السين للاكتفاء بعبطه على ما فيه ذلك

من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المغيدة لزيادة النسبة فيما بين طرفيه الأبوجي آخر كما قيل (قل) تحقيا للحق وردا على الاولين (ربي أعلم) أي أقوى علما (بعدهم) (ما يعلمهم) أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدهم (الافليل) ٦٩٨ ﴿ من الناس قدوة فقههم الله تعالى الاستشهاد

بذلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه أنا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحى آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكن المثلون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماءهم ينجحوا ومكشليتنا ومثليتنا هؤلاء أصحاب عين الملك وكان عن يساره من نوح وديونوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي واقفهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشيط طيوش (فلانمار) الفاء لتفريع انتهى على ما قبله أي اذا قد عرفت جهل أصحاب القولين الاولين فلا نجد لهم (فيهم) في شأن الفتية (الامراء) ظاهرا) قدر ما تعرض

عليهم يقال اطلعت عليهم أي أشرفت عليهم ويقال اطلعت فلانا على الشيء فاطلم وقوله اوليت منهم فرارا قال الزجاج قوله فرارا ر. ي. تصدر لان معنى ولبت منهم فررت ولملت منهم رعبا أي فرعا وخوفا قيل في التفسير طالت شعورهم وأطفارهم وبقيت أعينهم مفقوحة وهم نيام فلماذا السبب لوراهم الرائي لهرب منهم مرعوبا وقيل انه تعالى جعلهم بحيث كل من رآهم فرع فرعا شديدا فاما تفصيل سبب الرعب فانه أعلم به وهذا هو الاصح وقوله ولملت منهم رعبا قرأنا فع وابن كثير لملت بتشديد اللام والهجرة والباقون تخفيف اللام وروى عن ابن كثير بالتخفيف والمعنى واحدا لأن في التشديد مبالغة قال الاخفش الحقيقة أجود في كلام العرب يقال ملائني رعبا ولا يكادون يعرفون ملائني ويدل على هذا أكثر استعمالهم كقوله * فيلا يبتنا فضا وسما * وقول الآخر ومن مالى عييه من شئ غيره * اذا راح نحو الجمر البيض كالدمي وقال الآخر * لا تملأ الدلو وعرق فيها * وقال الآخر * امتلا الحوض وقال قطبي * وقبجاء الثقيل أيضا وأنشدوا للمخبل السعدي

واذ قتل النعمان بالناس محرما * خلا من عوف بن كعب سلاسله وفرأ ابن عامر والكسائي رعبا بضم العين في جميع القرآن والباقون بالاسكان * قوله تعالى (و كذلك بعثناهم ليشاءوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبينا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها الرزق طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعركم أحد انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في منتهى وان تفلحوا اذا ابدا) اعلم ان القدر وكازدناهم هدى وربطنا على قلوبهم فضر بنا على آذانهم وأبيناهم أحياء لا ياكلون ولا يشربون ونقلبهم فكذلك بعثناهم أي أحييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت ليشاءوا بينهم تسال تنازع واختلاف في مدة لبثهم فان قيل هل يجوز أن يكون الغرض من بعثهم أن يشاءوا وينتازعوا قلنا لا يعيد ذلك لانهم اذا تسالوا انكشف لهم من قدرة الله تعالى أمور عجيبة وأحوال غريبة وذلك الانكشاف أمر مطلوب لذاته ثم قال تعالى قال قائل منهم كم لبثتم أي كم مقدار لبثنا في هذا الكهف قالوا لبينا يوما أو بعض يوم قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوتهم بعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا لبينا يوما فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم ثم قال تعالى قالوا ربكم أعلم بما لبثتم قال ابن عباس هورئيسهم علي بن ربيعة ذلك الى الله تعالى لانه لما نظر الى اشعارهم وأطفارهم وبشرة وجوههم رأى فيها آثار التغير الشديد فعلم أن مثل ذلك التغير لا يحصل الا في الايام الطويلة ثم قال فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة قرأ أبو عمرو وحزة وأبو بكر عن عاصم بورقكم ساكنة الراء مفقوحة الواو ومنهم من قرأ مكسورة الواو ساكنة الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام الحاقف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو وأسكن الراء وادغم الحاقف

له الوجه من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالى ونفويض العلم الى الله سبحانه من غير ﴿ في ﴾ تصریح بجعلهم وتفضيخهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق (ولا تستفت فيهم) في شأنهم (منهم) من الخائضين (أحدا) فان فيما قص عليك لتندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الافليل من أهل الكتاب فالضمار الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد

رشاد المؤمنين الى صحة اهل الثالث وفيه يحصى على الاول من الشك في جعل أحد الأقوال المحكية المطلوبة
سمط وأخذنا شأنا عن الحكاية مع كون الأخيرين بخلافه ووضح في سبب حذف المفعول في لآلئهم والمعنى حينئذ
قد وفقت على أن كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا يجادلهم الجدل الاظهار انطق به الوحي المبين من غير تجهيل
بهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي ﴿ ٦٩٩ ﴾ عن الاستفتاء لدفع ماعسى يتوهم من احتمال جوازه أو احتمال

وقوعه بناء على اصابة
بعضهم فالعنى لا تراجع
اليهم في شأن الفتية
ولا تصدق القول الثالث
من حيث صدوره عنهم بل
من حيث التلقا من الوحي
(ولا تقولن لشيء)
أى لاجل شيء تعزم عليه
(انى فاعل ذلك) الشيء
(غدا) أى فيما يستقبل
من الزمان مطلقا ويدخل
فيه الغد دخولا أولا فانه
نزل حين قالت اليهود
لقرىش سلوه عن الروح
وعن أصحاب الكهف
وفى القرنين فسأله
عليه الصلاة والسلام
فقال اثبتى غدا أخبركم
ولم يستثن فأبطأ عليه
الوحي حتى شق عليه
وكذبته قرىش وما قيل
من أن المدلول بالعبارة
هو الغد وما بعد ذلك مفهوم
يتر بقى دلالة النص يرد
أن ما بعده ليس بعنا
في مناط النهى فان وسعة
المجال دليل القدرة فليتأمل
(الا أن يشاء الله) استثناء
مفرغ من النهى أى لا تقولن
ذلك في حال من الاحوال

في الكاف وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على هذه والورق اسم للفضة سواء كانت
مضروبة أم لا ويدل عليه ما روى ان عرجة اتخذ أنفا من ورق وفيه لغات ورق وورق
وورق مثل كبد وكبد وكبد ذكره الفراء والزجاج قال الفراء وكسر الواو وأردوها ويقال
أيضا للورق الرقة قال الأزهري أصله ورق مثل صلة وعدة قال المفسرون كانت معهم
دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم يعنى بالمدينة التي يقال لها اليوم طرسوس
وهذه الآية تدل على ان السعى في امساك الزاد أمر مهم مشروع وانه لا يبطل التوكل
وقوله فليتظر أيها أركى طعاما قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل بلدهم
كانوا يجمعون ما فيها من قوم يخفون إيمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظلما فقولهم أركى طعاما
يريدون أيها أبعده عن الغصب وقيل أيها أطيّب والدوقيل أيها أركى قال الزجاج قوله
أيها أركى بالابتداء وأركى خبره وطعاما نصب على التخيير وقوله وليتلف أى يكون ذلك في
سروكمان يعنى دخول المدينة وشراء الطعام ولا يشعرون بكم أحد أى لا يخبرن بمكانكم
أحد من أهل المدينة انهم أن يظهروا عليكم أى يطلعوا ويشرفوا على مكانكم أو على
أنفسكم من قولهم ظهرت على فلان اذا علوته وظهرت على السطح اذا صرت فوقه ومنه
قوله تعالى فأصبحوا مظاهرين أى عابدين وكذلك قوله ليظهره على الدين كله أى ليعليه
وقوله يرجوكم يقتلوكم والرجم بمعنى القتل كثير في التنزيل كقوله ولولا رهطك لرجمناك
وقوله أن ترجون وأصله الرمي قال الزجاج أى يقتلوكم بالرجم والرجم أخبث أنواع
القتل وقوله أو يعيدوكم في ملتهم أى يردوكم الى دينهم ولن تغفلوا اذا بدأ أى ان رجعت
الى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة قال الزجاج قوله اذا بدأ يدل على الشرط أى
ولن تغفلوا ان رجعت الى ملتهم أبدا قال القاضي ما على المؤمن الفار بدينه أعظم من
هذين فأحدهما فيه هلاك النفس وهو الراجح الذى هو أخبث أنواع القتل والآخر
هلاك الدين بأن يردوا الى الكفر فان قيل أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى انهم
أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تغفلوا اذا بدأ قلنا يحتمل أن يكون
المراد انهم لو ردوا هؤلاء المسلمين الى الكفر على سبيل الاكراه بقوا مظهرين لذلك الكفر
مدة فانه يميل قلبهم الى ذلك الكفر ويصبروا كافرين في الحقيقة فهذا الاحتمال قائم
فكان خوفهم منه والله أعلم * قوله تعالى (وكذلك أعزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق
وان الساعة لا ريب فيها) الذين أعزنا عنهم أمرهم فقالوا ابناو عليهم ببنائنا ربهم أعلم بهم
قال الذين غلبوا على أمرهم لتخذن عليهم مسجداس يقولون ثلاثة رابعهم كاجهم ويقولون
خسة سادسهم كاجهم رجا بالقب ويقاؤون سبعة وثامنهم كاجهم قل ربى أعلم بعدتهم
ما أعلم الا قليل فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا اعلم ان المعنى
كان زناهم هدى وورطنا على قلوبهم وأنماهم وقلبيناهم وبعثناهم لما فيها من الحكم
الظاهرة فكذلك أعزنا عليهم أى أطلعنا غيرهم على أحوالهم يقال عثرت على كذا أى

الاحال ملاسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال ان شاء الله أو في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله
أن تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان أيضا بمشيئته تعالى ولا مساع لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران
المشبهة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها بالنهى وقيل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقوله أبدا

قوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله (واذكر ربك) يقولك أن شاء الله متداركاه (إذا نسيت) إذا فرطت منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم ينحت ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم وأما الاستثناء المغير للحكم ﴿٧٠٠﴾ فلا يكون الامتصلا ويجوز أن يكون المعنى واذكر

علمته وقاوان أصل هذا ان من كان غافلا عن شيء فعتربه نظرا اليه فعرفه فكان العثار سببا لحصول العلم والتبين فاطلق اسم السبب على المسبب واختلفوا في السبب الذي لاجله عرف الناس واقعة أصحاب الكهف على وجهين (الاول) انه طالبت شعورهم وأظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طال طولا خارجا عن العادة (والثاني) ان ذلك الرجل لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام وأخرج الدراهم لئمن الطعام قال صاحب الطعام هذه النقود غير موجودة في هذا اليوم وانها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة طويلة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا واختلف الناس فيه وحلوا ذلك الرجل الى ملك البلد فقال الملك من أين وجدت هذه الدراهم فقال بعث بها أمس شيئا من الثمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته ثم قال تعالى ليعلموا أن وعد الله حق يعني أننا انما أطلعنا القوم على أحوالهم ليعلم القوم ان وعد الله حق بالبعث والحشر والنشور روى ان ملك ذلك الوقت كان ممن ينكر البعث الا أنه كان مع كفره منصفاً فجعل الله امر الفتية دليلاً للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح يبعث وأما الجسد فتأكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع الى الله ان يظهر له آية يستدل بها على ما هو الحق في هذه المسئلة فأطاعه الله تعالى على امر أصحاب الكهف فاستدل ذلك الملك بواقعهم على صحة البعث الاجساد لان انبياهم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت ثم يبعث فقوله اذ يتنازعون بينهم متعلق بعبثنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم واختلفوا في المراد بهذا التنازع قيل كانوا يتنازعون في صحة البعث فالتساؤلون به استدلوا بهذه الواقعة على صحته وقالوا كفا قدر الله على حفظ أجسادهم مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين فكذلك يتدر على حشر الاجساد بعد موتها وقيل ان الملك وقومه لما رأوا أصحاب الكهف ووقفوا على أحوالهم عاد القوم الى كفرهم فأماتهم الله فعنده هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالكرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا (والقول الثالث) ان بعضهم قال الاولى ان يسديب الكهف ثلاثا يدخل عليهم احدث ولا يقف على أحوالهم انسان وقال آخرون بل الاولى أن يبني على باب الكهف مسجد وهذا القول يدل على ان أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله معترفين بالعبادة والصلاة (والقول الرابع) ان الكفار قالوا انهم كانوا على ديننا فتخذ عليهم بيانا والمسلمون قالوا كانوا على ديننا فتخذ عليهم معجدا (والقول الخامس) انهم تنازعوا في قدر مكشهم (والسادس) انهم تنازعوا في عدددهم وأسمائهم ثم قال تعالى ربهم أعلم بهم وهذا فيه وجهان (أحدهما) انه من كلام المتنازعين كأنهم لما تكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أسمائهم وأحوالهم ومدة ايشهم فلما يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم (الثاني) ان هذا من كلام الله تعالى ذكره المخاضين في حديثهم من أولئك المتنازعين

ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء بالغة في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليعيبك ذلك على التدارك أو اذكره اذا عترك النسيان اذكرك المنسى وقد جعل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى أن يهيني ربى) أي يوفقني (لأقرب من هذا) أي لشئ أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوت (رشدنا) أي ارشاد الناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من بينات ما هو أعلمه من ذلك وابين قصص الانبياء المتباعدة أيامهم والحوادث المتنازلة في الاعصار المستقبلية الى قيام الساعة أولا فرب رشدنا وادنى خبرا من النسي (ولبثوا في كهفهم) أحياهم مضروبا على آذانهم (ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهي جملة مستأنفة مهيئة للأجل

فيماسلف وأسير الى عزة مثاله وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم ثم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن علي رضي الله عنه انه قال عند أهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهم في كل

مائة سنة ثلاث سنين فيكون للمائة وتسع شين وحطفت بيان الكتاب فيقول يدل بقرينة على الاصناف ومنها الجمع موصح
 ألفرد وما يحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وإن الأصل في العدد اضافته إلى الجمع (قل الله أعلم
 بما لبثوا) أي بالزمان الذي لبثوا فيه (له غيب السموات والأرض) أي ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها واللام
 للاختصاص العلمي دون الكوني فإنه غير ﴿ ٧٠١ ﴾ مختص بالغيب (أبصر به وأسسم) دل بصيغة التجب على

أن شأن علمه سبحانه
 بالبصرات والسموات
 خارج عما عليه ادراك
 المدركين لا يحجب شئ
 ولا يحول دونه حائل
 ولا يتفاوت بالنسبة إليه
 اللطيف والكشيف
 والصغير والتكبير والخفي
 والجلي والهراء ضمير
 الجلالة ومجمله الرفع على
 الغاعلية والباء مزيدة
 عند سيبويه وكان أصلا
 أبصر أي صار ذا بصر
 ثم نقل إلى صيغة الأمر
 الانشاء فبرز الضمير
 لعدم لياقة الصيغة له
 أولياد أو الباء كافي كفي به
 والنصب على المفعولية
 عند الاخفش والفاعل
 ضمير المأمور وهو كل أحد
 والباء مزيدة إن كانت
 الهمزة للتعديدية ومعدية
 إن كانت للصيرورة وأعمال
 تقديم أمرا بصاره
 تعالى لما أن الذي نحن
 بصدد من قبيل
 البصرات (ماله)
 لاهل السموات والأرض
 (من دونه) تعالى
 (من ولي) يتولى

ثم قال تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم قيل المراد به الملك المسلم وقيل أولياء أصحاب
 الكهف وقيل رؤساء البلد لتخذن عليهم مسجدا فبدل الله فيه ونسب إلى آثار أصحاب
 الكهف بسبب ذلك المسجد ثم قال تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في قوله
 سيقولون عائد إلى المتنازعين روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا
 عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا
 كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال
 المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال أكثر المفسرين هذا الأخير هو الحق ويدل عليه
 وجوه (الأول) أن الواو في قوله وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة
 للشيء كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك حافي رجل ومعه آخرو ومررت
 بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم فأثبتها
 تأكيد ثبوت الصفة للموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر فكانت
 هذه الواو دالة على صدق الذين قالوا أنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وأنهم قالوا قولا مقتررا
 متحققا عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس (الوجه الثاني) قالوا أنه تعالى خص هذا الموضع
 بهذا الحرف الزائد وهو الواو فوجب أن يحصل به فائدة زائدة صونا لفظ عن التعطيل
 وكل من أثبت هذه الفائدة الزائدة قال المراد منها تخصيص هذا القول بالاثبات والتصحيح
 (الوجه الثالث) أنه تعالى أتيهم القولين الأولين بقوله رجبا بالغيب وتخصيص الشئ
 بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون التخصيص بالظن الباطل
 هو القولان الأولان وأن يكون القول الثالث مخالفا لهما في كونهما رجبا بالظن
 (والوجه الرابع) أنه تعالى لما حكى قولهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعده قل رب
 أعلم بعدتهم ما يعلمهم الأقلين فاتباع القولين الأولين يكونهما رجبا بالغيب لله واتباع هذا
 القول الثالث بقوله قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم الأقلين يدل على أن هذا القول يمتاز عن
 القولين الأولين بمنزلة القوة والجمعة (والوجه الخامس) أنه تعالى قال ما يعلمهم الأقلين
 وهذا يقتضي أنه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكل من قال من المسلمين قولا في هذا
 الباب قالوا أنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فوجب أن يكون المراد من ذلك القليل هؤلاء
 الذين قالوا هذا القول كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول كانوا سبعة وأسماء وهم
 هذا يملحنا مكسبنا مسلمينا وهؤلاء الثلاثة كانوا أصحاب يمين الملك وكان عن يساره
 مرنوس وديرنوس وسلدنوس وكان الملك يستشير هؤلاء الستة في مهماته والسابع
 هو الزاعي الذي واقفهم لما هربوا من ملكهم واسم كلبهم قطمير وكان ابن عباس رضي
 الله عنهما يقول أنا من أولئك العدد القليل وكان يقول أنهم سبعة وثامنهم كلبهم (الوجه
 السادس) أنه تعالى لما قال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال قل رب أعلم بعدتهم ما يعلمهم
 الأقلين والظاهر أنه تعالى لما حكى الأقوال فقد حكى كل ما قيل من الحق والباطل لانه

مورهم وينصرهم استقلالاً (ولا يشرك في حكمه) في قضائه أو في علم الغيب (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه
 دخلا وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على أن الخطاب
 بكل واحد ولادل انتظام القرآن الكريم لفظة أصحاب الكهف من حيث أنها بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 من الغيبات على أنه وحى مبرر أمره عليه

(لا مبدل للكلمات) لا قادر على تبديله وتغييره غيره (ولن نجد) أبد الدهر وأن بالغت في الطلب (من دونه ملجدا)
ملجأ تعدل اليه عند الملاملة (واصبر نفسك) احبسها وثبتها مصاحبة (مع الذين يدعونهم بالفداء والعشي) أى
دائنين على الدعاء في جميع الاوقات وقبل في طرفي النهار وقرئ ﴿ ٧٠٢ ﴾ بالفدوة على أن ادخل اللام عليها وهي

علم على الاغلب على تأويل
التكبر والمراد بهم فقراء
المؤمنين مثل صهيب
وعمار وخباب ونحوهم
رضي الله عنهم وقبل
أصحاب الصفة وكانوا
نحو سبعمائة رجل قيل
انه قال قوم من رؤساء
الكفرة لرسول الله
صلى الله وسلم فخرج هؤلاء
الموالى الذين كان
يرجمهم ربح الضأن حتى
تجالسك كما قال قوم نوح
عليه السلام أنو من لك
واتبعك الارذلون فزلت
والتعبير عنهم بالموصول
لتعليل الامر بما في حيز
الصلة من الخصلة
الداعية الى ادامة
العصبة (يريدون)
بدعاتهم ذلك (وجهه)
حال من المستمكن
في يدعون أى مريدين
لرضاء تعالى وطاعته
(ولا تدعيناك عنهم)
أى لا يجاوزهم نظرك
الى غيرهم من عداه
أى جاوزه واستعماله
بعين تضمنينه معنى
النوا ولا تصرف عينك

بعد انه تعالى ذكر الاقوال الباطلة ولم يذكر ما هو الحق فثبت ان جملة الاقوال الحق
والباطلة ليست الالهة الثلاثة ثم خص الاولين بانهما رجم بالغيب فوجب ان يكون
الحق هو هذا الثالث (الوجه السابع) انه تعالى قال لرسوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا
ولا تستفت فيهم منهم أحد افغنه الله تعالى عن المناظرة معهم وعن استفتائهم في هذا الباب
وهذا انما يكون لوعلمه حكم هذه الواقعة وأيضاً انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وبعد أن
يحصل العلم بذلك لغير النبي ولا يحصل للنبي فعلمنا ان العلم بهذه الواقعة حصل للنبي عليه
السلام والظاهر انه لم يحصل ذلك العلم الا بهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وأن
يكون الامر كذلك فكان الحق هو قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلهم واعلم ان هذه الوجوه
وان كان بعضها أضعف من بعض الا أنه لما تقوى بعضها ببعض حصل فيه كمال وتمام والله
أعلم بقى في الآية مباحث (البحث الاول) في الآية حذف والتقدير يقولون هم ثلاثة
لحذف البتة للدلالة الكلام عليه (البحث الثاني) خص القول الاول بسن الاستقبال
وهو قوله يقولون والسبب فيه ان حرف العطف يوجب دخول القولين الآخرين
فيه (البحث الثالث) الرجم هو الرمي والغيب ما غاب عن الانسان فقوله رجما بالغيب
معناه ان رعى ما غاب عنه ولا يعرفه بالحقيقة يقال فلان رعى بالكلام ربما أى يتكلم من
غير تدبر (البحث الرابع) ذكروا في فائدة الواو في قوله وثامنهم كلهم وجوها (الاول)
ما ذكرنا انه يدل على ان هذا القول اول من سائر الاقوال (وثانيها) ان السبعة عند
العرب أصل في المبالغة في العدد قال تعالى ان تستغفراهم سبعين مرة واذا كان كذلك فاذا
وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظة يدل على الاستئناف فقالوا وثمانية فجاء هذا الكلام على
هذا القانون قالوا ويدل عليه نظيره في ثلاث آيات وهي قوله والناهون عن المنكر لان هذا
هو العدد الثامن من الاعداد المتقدمة وقوله حتى اذا جاؤوها وقحت أبوابها لان أبواب
الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله ثبات وأبكرا لان قوله وأبكرا هو العدد الثامن مما
تقدم والناس يسمون هذه الواو والثمانية ومعناه ما ذكرناه قال القفال وهذا ليس
بشيء والدليل عليه قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في التعت الثامن ثم قال تعالى قل رب اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل وهذا هو الحق لان العلم بتفاصيل كائنات العالم والحوادث التي
حدثت في الماضي والمستقبل لا يحصل الا عند الله تعالى والاعند من أخبره الله عنه وقال
ابن عباس أنامن أولئك القليل قال القاضي ان كان قد عرفه ببيان الرسول صرح وان كان
قد تعلق فيه بحرف الواو فضعف ويمكن أن يقال الوجوه السبعة المذكورة وان كانت
لا تعيد الجزم لأنها تفيد الظن واعلم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أتبعه بأن نهى رسوله
عن شتيين عن المراء والاستفتاء أما النهي عن المراء فقوله فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا
والمراد من المراء الظاهر أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل

النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر أى صرفه عنه على ان المفعول محذوف اظهره وقرئ ﴿ عليه ﴾
ولا تعد عينك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لثلاثة ز بهم طموحا
الى زى الاغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) أى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء وأصحاب الدنيا وهي حال من

الكافي على الوجه الاول من الخزانة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وهما يترددان بين واسباب الارادة اليه مجازوت وحيد للتلازم كما في قوله * ان زحوافة زل * بها العيان تهل * ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخيرتين (ولا تطع) في تحية الفقراء عن مجالسك (من اغفلنا قلبه) أي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرء أو وجدناه غافلا كقولك اجنبه وأبخلته اذا وجدته * ٧٠٣ * كذلك أو هو من اغفل اليه أي لم يسمعه بالذكر (عن ذكرنا) كالأولئك الذين يدعونك الى

الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانها كما في الحسنيات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا يزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب أي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالوفاة من غفلته اذا وجدته غافلا (واتبع هو اه و كان امره فرطاً) ضياعا و هلاكا و متقدما للحق والصواب نابذاله وراه ظهريه من قولهم فرس فرط أي متقدم للخيل أو هو معنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد

عليه فوجب التوقف وترك القطع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن وأما التنهي عن الاستغناء فقوله ولا تستغنى عنهم فليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استغنائهم واعلم ان نفاة القياس تمسكوا بهذه الآية قالوا لان قوله رجبا بالغيب وضع الرجم فيه موضع الظن فكانه قبل ظنا بالغيب لانهم أكثر وأن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قوله * وما هو عنهما بالحديث المرجح * أي المظنون هكذا قاله صاحب الكشاف وذلك يدل على أن القول بالظن مذموم عند الله ثم انه تعالى لما ذم هذه الطريقة رتب عليه المنع من استغنائهم هؤلاء الظنانيين فدل ذلك على أن الغتوى بالمظنون غير جائز عند الله وجواب مثبت القياس عنه قد ذكرناه مرارا * قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) واذكر بك اذا نسبت وقيل عسى أن يهدي ربي لأقرب من هذا رشدا وليثوا في كم فهم ثلثمائة ستين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما ليسوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) اعلم أن في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال المفسرون ان القوم لما سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن المسائل الثلاثة قال عليه السلام أجيبكم عنها غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي خمسة عشر يوما في رواية أخرى أربعين يوما ثم نزلت هذه الآية اعتراض القاضي على هذا الكلام من وجهين (الاول) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عالما بأنه اذا أخبر عن انه سيفعل الفعل الفلاني غدا فر بما جاءته الوفاة قبل الغد ورم بما طافه عائق آخرع الاقدام على ذلك الفعل غدا واذا كان كل هذه الامور محتملا فلو لم يقل ان شاء الله بما خرجا للكلام محتملا لما علمه الوجود وذلك بوجوب التنفير عنه وعن كلامه عليه السلام أما اذا قال ان شاء الله كان محترزا عن هذا المحذور واذا كان كذلك كان من البعيد أن يعد بشيء ولم يقل فيه ان شاء الله (الثاني) ان هذه الآية مشتملة على فوائد كثيرة وأحكام جمة فيبعضها على هذا السبب ويمكن أن يجاب عن الاول انه لا نزاع ان الاول أن يقول ان شاء الله الآن ر بما اتفق له انه نسي هذا الكلام لسبب من الاسباب فكان ذلك من باب ترك الاول والافضل وأن يجاب عن الثاني ان اشتماله على الفوائد الكثيرة لا يمنع من أن يكون سبب نزوله واحدا منها (المسئلة الثانية) قوله الآن يشاء الله ليس فيه بيان ان شاء الله ماذا وفيه قولان (الاول) التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الآن يشاء الله أن يأذن لك في ذلك القول والمعنى انه ليس لك أن تخبر عن نفسك انك تفعل الفعل الفلاني الا اذا أذن الله لك في ذلك الاخبار (القول الثاني) أن يكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الآن تقول ان شاء الله والسبب في انه لا بد من ذكر هذا القول هو ان الانسان اذا قل أفعال الفعل الفلاني غدا لم يعد أن يموت قبل مجيئ الغد ولم يعد أبيض لم يبق حيا أن يعوقه عن ذلك الفعل شيء من العوائق فاما كان لم يقل ان شاء

عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول لا لبيان بعلية ما في حيز الصلة للتنهي عن الاطاعة (وقل) لا وأنتك الغافلين بالجمعين هو اعم (الحق من ربكم) أي ما أوحى الى الحق لا غير كائن من ربكم أو الحق اليهود من جهة ربكم لا من الهى حتى يتصور فيه التبديل أو يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) اما من تمام هذا المأمور به والغافل ترتيب ما بعدها

على ما بهلها بطريق التهديد لا تمر به عليه في قوله تعالى لا تعبدوا سواي واما من اواسنك بغير حساب وهو تعالى تعالى من
ربك فلا تكون من المتمرين أي عقيب تحقق أن ما أوحى إلى حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربكم فمن شاء أن يؤمن
فليؤمن من كسائر المؤمنين ولا يتعلل بالابكاد يصلح للتعلل ومن شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واطهار الاستغناء
عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم واما تهديد من جهة الله تعالى والقائه

لترتيب ما بعدها من
التهديد على الامر
لاعلى مضمون المأموره
والعنى قل لهم ذلك
وبعد ذلك من شاء أن
يؤمن به أو أن يصدقك
فيه فليؤمن ومن شاء
أن يكفر به أو يكذبك
فيه فليفعل فقوله تعالى
انا اعتدنا وعيد شديد
ونأكيد للتهديد وتعليل
لما يقيد من الزجر عن
الكفر أولا يفهم من
ظاهر التحيير من عدم
المبالاة بكفرهم وقلة
الاهتمام بزجرهم عنه
فان اعداد جزائهم
من دواعى الاملاء
والامهال وعلى الوجه
الاول هو تعليل للامر
بما ذكر من التحيير
التهديدى أى قل لهم
لك انا اعتدنا (للاظالمين)
أى هيأنا للكافرين
بالحق بعدما جاء من الله
سبحانه والتعير عنهم
الظالمين للتنبية على أن
مشيئة الكفر واختياره
تجاوز عن الحد ووضع

الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب مغر و ذلك لا يليق بالانبياء عليهم السلام فلهذا
السبب أوجب عليه أن يقول ان شاء الله حتى ان بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك
الموعود لم يصركاذبا فيحصل التنغير (المسئلة الثالثة) اعلم ان مذهب المعتزلة ان الله تعالى
يريد الايمان والطاعة من العبد والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه فيقع مراد العبد
ولا يقع مراد الله فتكون ارادة العبد غالبية وارادة الله تعالى مغلوبية واما عندنا فكل
ما أراد الله تعالى فهو واقع فهو تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الايمان من المؤمن
وعلى هذا التقرير فرارادة الله تعالى غالبية وارادة العبد مغلوبية اذا عرفت هذا فنقول اذا
قال العبد لا فعلن كذا فعندنا الا أن يشاء الله والله انما يدفع عنه الكذب اذا كانت ارادة
الله غالبية على ارادة العبد فان على هذا القول يكون التقدير ان العبد قال أنا أفعل
الفعل القلتى الا اذا كانت ارادة الله بخلافه فأنعلى هذا التقدير لا فعل لان ارادة الله
غالبية على ارادتي فعند قيام المانم الغالب لأقوى على الفعل اما بتقدير أن تكون
ارادة الله تعالى مغلوبية فانها لا تصلح عذرا في هذا الباب لان المغلوب لا يمنع الغالب اذا
ثبت هذا فنقول أجمعت الامة على انه اذا قال والله لا فعلن كذا ثم قال ان شاء الله دافعا
للنحت فلا يكون دافعا للنحت الا اذا كانت ارادة الله غالبية فلما حصل دفع النحت بالاجماع
وجب القطع بكون ارادة الله تعالى غالبية وانه لا يحصل في الوجود الا ما أراد الله
وأصحابنا أكدوا هذا الكلام في صورة معينة وهو ان الرجل اذا كان له على انسان دين
وكان ذلك المدين قادرا على أداء الدين فقال والله لا قضين هذا الدين غدا ثم قال ان شاء
الله فاذا جاء القبول يقض هذا الدين لم ينحت وعلى قول المعتزلة انه تعالى يريد منه قضاء
الدين وعلى هذا التقدير فقوله ان شاء الله تعلق لذلك الحكم على شرط واقع فوجب أن
ينحت ولما أجمعوا على انه لا ينحت علمنا ان ذلك انما كان لان الله تعالى ما شاء ذلك الفعل
مع ان ذلك الفعل قد أمر الله به ورجب فيه وزجر عن الاخلال به وثبت انه تعالى قد نهى
عن الشئ ويريد وقد يأمر بالشئ ولا يريد وهو المطلوب فان قيل هب ان الامر كما ذكرتم
الأن كثيرا من الفقهاء قالوا اذا قال الرجل لا امرأته أنت طالق ان شاء الله لم يقع الطلاق
فما السبب فيه قلنا السبب هو انه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة الله لم يقع الا اذا
عرفنا وقوع الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا أو لاحصول هذه المشيئة
لكن مشيئة الله تعالى غيب فلا سييل الى العلم بحصولها الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة قد وقع
وحصل وهو الطلاق فعلى هذا الطريق لا نعرف حصول المشيئة الا اذا عرفنا وقوع
الطلاق ولا نعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفنا وقوع المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد
منهما على العلم بالآخر وهو دور والدور باطل فلهذا السبب قالوا الطلاق غير واقع (المسئلة
الرابعة) اخرج القائلون بأن المعدوم شئ بقوله ولا تقولن شئنى فاعل ذلك غدا الآن
يشاء الله قالوا الشئ الذى سيفعله الفاعل غدا سماء الله تعالى فى الحال بأنه شئ بقوله

لشئ في غير موضعه (نارا) عظيمة عجيبة (أحاط بهم) أى يحيط بهم وياشار بصيغة الماضى للدلالة على
التحقق (سرادقها) أى فسطاطها شبهه بما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجر التى تكون حول القسطاط وقيل
سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (بغاوا بماء كالهلل) كالخديد المذاب وقيل
كدردى الزيت

وهو على طريقة قوله **وَأَنَّا لَهُمُ (يُسْمَى الْوَجْه)** إذا قدم القريب الشوي الوجه لمرارته على النبي عليه الصلاة والسلام هو كذا الزب فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بس الشرب) ذلك (وساءت) النار (مرتقا) متكأ وأصل لا رتفاق نصب المرفق تحت الحدو أي ذلك في النار وأما هو بمقابلة قوله تعالى حسنت مرتقا (ان الذين آمنوا) في محل لتعليل اللعنت على الايمان المنفهم من الخير كانه قيل ٧٠٥ وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي

ما لى الفريقين أى ان الذين آمنوا بالحق الذى أوحى اليك (وعملوا الصالحات) حسابين فى تضاعيفه (انما) نضع أجراً من أحسن عملاً خبران الاولى هى الثانية مع ما فى خبرها والراجع محذوف أى من أحسن منهم عملاً او مستغنى عنه كفى قواك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فان من أحسن عملاً فى الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (أو لك) المتعوتون بالنعوت الجليله (لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار) استئناف لبيان الاجر أو هو الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى ابتدائية والثانية تيانبة صفة لأساور والتكثير للتفخيم وهو جمع اسورة أو اسوار جمع سوار (و يلبسون ثياباً خضراً)

ولا تقولون لشيء معلوم ان الشيء الذى سيفعله الفاعل غدا فهو معدوم فى الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء والجواب ان هذا الاستدلال لا يفيد الا أن المعدوم مسمى بكونه شيئاً وعندنا ان السبب فيه ان الذى يصير شيئاً يجوز تسميته بكونه شيئاً فى الحال كما أنه قال أتى أمر الله والمراد سأتى أمر الله أما قوله واذكر ربك اذا نسيت ففيه وجهان (الاول) أنه كلام متعلق بمقابلته والتقدير انه اذا نسى أن يقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكره وعنده هذا اختلفوا فقال ابن عباس رضى الله عنهما لم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة ثم ذكر ان شاء الله كفى فى دفع الخنث وعن سعيد بن جبيرة بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم وعن طاوس أنه يقدر على الاستثناء فى مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حطب الناقة الغزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا أثر له فى الاحكام ما لم يكن موصولاً واحتج ابن عباس بقوله واذكر ربك اذا نسيت لان الظاهر ان المراد من قوله واذكر ربك اذا نسيت هو الذى تقدم ذكره فى قوله الآن بشاء الله وقوله واذكر ربك غير محض بوقت معين بل هو يتناول كل الاوقات فوجب أن يجب عليه هذا الذكر فى أى وقت حصل هذا التذكروكل من قال وجب هذا الذكر قال انه انما وجب لدفع الخنث وذلك يفيد المطلوب واعلم ان استدلال ابن عباس رضى الله عنهما ظاهراً ان الاستثناء لا يجب أن يكون متصلاً أما الفقهاء فقالوا انما يجوزنا ذلك لزم أن لا يستقرئ من العقود والايان يحكى أنه باغ المنصور أن بأحنية رجه الله خالف ابن عباس فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة رجه الله هذا يرجع عليك فالك تأخذ البيعة بالايان أنفرض أن يخرجوا من عندك فيستنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضى به واعلم ان حاصل هذا الكلام يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه ما فيه وأيضاً فلو قال ان شاء الله على سبيل الخفية بلسانه بحيث لا يسميه أحد فهو معتبر ودافع للخنث بالاجماع مع ان المحذور الذى ذكرتم حاصل فيه فثبت ان الذى عولوا عليه ليس بقوى والاولى أن يحتجوا فى وجوب كون الاستثناء متصلاً بأن الآيات الكثيرة دللت على وجوب الوفاء بالعهد والعهد قال تعالى أو فوا بالعهد وقال أو فوا بالعهد فلا تى بالعهد يجب عليه الوفاء بتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا هذا الدليل فيما اذا كان متصلاً لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل ان لفظ الاستثناء وحده لا يفيد شيئاً فهو جار مجرى نصف اللفظ الواحد فجملة الكلام كالجملة الواحدة المفيدة وعلى هذا التقدير فعند ذكر الاستثناء عرفناه لم يلزم شيء بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلاً فانه حصل الالتزام التام بالكلام فوجب عليه الوفاء بذلك الملتزم والقول الثانى ان قوله واذكر ربك اذا نسيت لا تعلق له بمقابلته بل هو كلام مستأنف وعلى هذا القول ففيه وجوه (أحدها) واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء والمراد منه التزغيب فى الاهتمام بذكر هذه الكلمة (وثانيها) واذكر ربك اذا عترك النسيان ليدركك النسي (وثالثها) حله بعضهم

صحت الخضرة بثيابهم لانها ٨٩ خا أحسن الالوان وأكثرها طراوة (من سندس واستعرق) أى مارق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهى الانفس وتلد الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرور على ما هو شأن المتعمين (نعم اشواب) ذلك (وحسنت) أى الارائك

المحتاج الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمؤمنين لامن حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من أن الاولين
في الآخرة كذا والآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقابلهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابذتهم
مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين أو محققين ﴿ ٧٠٦ ﴾ هما اخوان من بني اسرائيل أو شريكان كافر اسد

قطروس ومؤمن اسمه
يهودا اقسما ثمانية
آلاف دينار فاشترى
الكافر يتصيه ضباعا
وعقارا وصرف المؤمن
نصيبه الى وجوه المبار
فأل أمرهما الى ما حكا
الله تعالى وقيل هما
اخوان من بني مخزوم
كافر هو الاسود بن عبد
الاسد ومسلم هو أبو سلمة
عبد الله ابن عبد
الاسد زوج أم ستمه رضى
الله عنهما أولا (جعلنا
لاحدهما) وهو الكافر
(جنتين) بستانين (من
أعتاب) من كروم
متوعة والجملة بتأنيدها
بيان للتشليل أو صفة
لرجلين (وحققنا هما
بنخل) أى جعلنا النخل
محيطة بهما موززها
كر ومهما يقال حفه
القوم اذا أطافوا به
وحققته بهم جعلتهم
حافين حوله فيزيده الباء
مفعولا آخر كقولك
غشيت به (وجعلنا بينهما)
وسطهما (زرعا) ليكون
كل منهما جامعا للقوات

على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا القول بما فيه من الوجوه الثلاثة بعد لان تعلق
هذا الكلام بما قبله بقدر اتسام الكلام في هذه القضية وجعله كلاما مستقلا فليوجب
صيرورة الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز ثم قال تعالى وقيل عيسى أن يهدين ربي لأقرب
من هذا رشدا وفيه وجوه (الاول) ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره أحسن
من تركه وقوله لأقرب من هذا رشدا المراد منه ذكر هذه الجملة (الثاني) اذا وعدهم بشئ
وقال معه ان شاء الله فيقول عيسى أن يهدين ربي لشيء أحسن وأكمل مما وعدتكم به
(والثالث) أن قوله لأقرب من هذا رشدا اشارة الى نيا أصحاب الكهف ومعناه امل
الله بوني من البينات والدلائل على صحة اني من عند الله صادق القول في ادعاء النبوة
ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نيا أصحاب الكهف وقد فضل الله ذلك حبث آناه
من قصص الانبياء والاخبار بالتبويب ما هو أعظم من ذلك وأما قوله تعالى وابشوا في
كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض
أبصر به واعلم ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا فاعلم أن هذه الآية
آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف وفي قوله لبثوا في كهفهم قولان
(الاول) ان هذا حكاية كلام القوم والدليل عليه أنه تعالى قال سيقولون ثلاثمائة رابعهم
كلهم وكذا الى أن قال وابشوا في كهفهم أى أن أولئك لا قوام قالوا ذلك وبؤكد أنه
تعالى قال بعده قل الله أعلم بما لبثوا وهذا يشبه الرد على الكلام المذكور قبله ويؤكد
أبضا ما روى في مصحف عبد الله وقاوا وابشوا في كهفهم (والقول الثاني) أن قوله
وابشوا في كهفهم هو كلام الله تعالى فانه أخبر عن كمية تلك المدة وأما قوله سبعمائة وثلاثة
رابعهم كلهم فهو كلام قد تقدم وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع
أحدهما عن الآخر وهو قوله فلا تمار فيهم الامر اظاهرا وقوله قل الله أعلم بما لبثوا له
غيب السموات والارض لا يوجب أن ما قبله حكاية وذلك لانه تعالى أراد قل الله أعلم بما
لبثوا له غيب السموات والارض فارجهوا الى خبر الله دون ما قبله اهل الكتاب (المسئلة
الثانية) قرأ حجره والكسائي ثلثمائة سنين بغير تنوين والباقون باثنون وذلك لان قوله
سنين عطف بيان لقوله ثلثمائة لانه لما قال وابشوا في كهفهم ثلثمائة لم يعرف أنها أيام
أم شهور أم سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلثمائة فكان هذا عطف بيان له وقيل
هو على التقديم والتأخير أى لبثوا سنين ثلثمائة وأما وجه قراءة حزة فهو أن الواجب في
الاضافة لثلثمائة سنة ألا أنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالآخرين
أعمالا (المسئلة الثالثة) قوله وازدادوا تسعا المعنى وازدادوا تسع سنين فان قالوا الم لم يقل
ثلثمائة وتسع سنين وما القادة في قوله وازدادوا وتسعا قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلثمائة
سنة من السنين الشمسية وثلثمائة وتسع سنين من القمرية وهذا مشكل لانه لا يصح
بالحساب هذا القول ويمكن أن يقال اعلمهم لما استكملوا لثلثمائة سنة أقرب أمرهم من

والقوا له متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضم الابق (كلنا الجنتين آتت أكلهما) ثمها ﴿ الانبياء ﴾
و بلغت مبلغا صالحا لاكل وقرى بسكون الكاف وقرى كل الجنتين آتى أكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من أكلها (شبا)
كأبهه بذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخره كذا بهض الاشجار يأتي بالثمر في

من المجموعتين (وهر بالخلافة) (ويبين كل من الجنين) (نهر) على حدة ليصوم شهرهما ويبدئهما
 بقرى بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ابتداء الاكل مع أن الترتيب الخارجى على العكس للايدان باستقلال
 ل من ابتداء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنين كافي قصة البقرة ونحوها ولوعكس لانفهم أن المجموع
 نصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ﴿ ٧٠٧ ﴾ ابتداء الاكل متفرع على السق عادة وفيه ابتداء الى أن ابتداء

الاكل لا يتوقف على
 السق كقوله تعالى يكاد
 زيتها يضيئ ولو لم تمسسه
 نار (وكان له) اصحاب
 الجنين (نهر) أنواع
 من المال غير الجنين من
 ثمره اذ اكثر قال ابن
 عباس رضى الله عنهما
 هو جمع المال من الذهب
 والفضة والحيوان وغير
 ذلك وقال مجاهد هو
 الذهب والفضة خاصة
 (فقال لصاحبه) المؤمن
 (وهو) أى القسائل
 (محاوره) أى صاحبه
 المؤمن وان جازا العكس
 أى راجعه في الكلام
 من حار اذا رجع (أنا) أكثر
 منك مالا وعز نفرا) حشما
 وأعوانا وأولاد اذكورا
 لانهم الذين ينفرون معه
 (ودخل جنته) التى
 شرحت أحوالها وعددها
 وصفاتها وهياتها
 وتوحيدها ما اعدم تعلق
 الغرض بتعديدها واما
 لاتصال احدا هما
 بالآخرى واما لان الدخول
 يكون في واحدة فواحدة
 (وهو ظالم لنفسه) ضار

الانبياء ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم قال قل الله أعلم بما
 ليسوا معناه أنه تعالى أعلم بمقدار هذه المدة من الناس الذين اختلفوا فيه وانما كان أولى
 بأن يكون علما به لانه موجد للسموات والارض ومدبر للعالم واذا كان كذلك كان علما
 بغيب السموات والارض فيكون علما بهذه الواقعة لا محالة ثم قال تعالى أبصر به وأسمع
 وهذه كلمة تذكر في التعجب والمعنى ما أبصره وما أسمعوه وقد بالغنا في تفسير كلمة التعجب في
 سورة البقرة في تفسير قوله تعالى فأأصبرهم على النار ثم قال تعالى ما لهم من دونه من ولي
 وفيه وجوه (الاول) ما لصحاب الكهف من دون الله من ولي فانه هو الذى يتولى حفظهم
 في ذلك النوم الطويل (الثاني) ليس لهؤلاء المخلفين في مدة لبث أهل الكهف ولي من
 دون الله يتولى أمرهم ويقم لهم تدبير أنفسهم فاذا كانوا محتاجين الى تدبير الله وحفظه
 فكيف يعلمون هذه الواقعة من غير اعلامه (الثالث) ان بعض القوم لما ذكروا في هذا
 الباب أقوالا على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله أنه ليس لهم من دونه
 ولي يمنع الله من ازال العقاب عليهم ثم قال ولا يشرك في حكمه أحدا والمعنى أنه تعالى لما
 حكم أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول قولاً بخلافه والاصل ان الاثنين اذا
 كما شرب بكنين فان الاعتراض من كل واحد منهما على صاحبه يكثر ويصير ذاك مانعا لكل
 واحد منهما من امضاء الامر على وفق ما يريد وحاصله يرجع الى قوله تعالى لو كان فيهما
 آلهة الا الله لفسدتا فالتعالى نفي ذلك عن نفسه بقوله تعالى ولا يشرك في حكمه أحدا
 وقرأ ابن عامر ولا تشرك بالناء والجزم على النهى والخطاب عطف على قوله ولا تقولن شيئا
 أو على قوله واذكر ربك اذا نسيت والمعنى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة
 أصحاب الكهف واقتصر على حكمه وبيانه ولا تشرك أحد في طلب معرفة تلك الواقعة
 وقرأ الباقون بالياء والرفع على الخبر والمعنى أنه تعالى لا يفعل ذلك (المسئلة الرابعة)
 اختلف الناس في زمان أصحاب الكهف وفي مكانهم أما الزمان الذى حصلوا فيه فقل
 انهم كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا السبب فإن
 اليهود سألوا عنهم وقبل انهم دخلوا الكهف قبل المسيح وأخبر المسيح بخبرهم ثم بشوا في
 الوقت الذى بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم وقبل انهم دخلوا
 الكهف بعد المسيح وحكى الفقال هذا القول عن محمد بن اسحق وقال قوم انهم لم يتوا
 ولا يؤتون الى يوم القيامة وأما مكان هذا الكهف فحكى الفقال عن محمد بن موسى
 الخوارزمي المتبحر أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف الى الروم قال فوجه ملك
 الروم معي أقوما الى الموضع الذى يقال انهم فيه قال وان الرجل الموكل بذلك الموضع
 فرعنى من الدخول عليهم قال فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم قال وعرفت أنه
 توبه واحتيال وأن الناس كانوا قد عاجلوا تلك الجنث بالادوية المحففة لأبدان الموتى
 لتصونها عن البلى مثل التلطيح بالصبر وغيره ثم قال الفقال والذى عندنا لا يعرف أن

لها بعجيد وكفره (قال) استثنى مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلم نفسه كانه قيل فاذا قال اذ ذاك فقل
 قال (ما أظن أن يتبدد هذه) الجنة أى تفتنى (أبدا) لطول أماله وتمادي غفلة واغتراره بمهملته ولعله انما قاله بمقابله موعظة
 صاحبه وتذكيره بفناء حنثه ونهيه عن الاغترار بهما وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات (وما أظن

الطائفة الثالثة (كانت فيهما آيتي (ولئن ردفت) بالبعث تصديقهما كما تقول (العربي لا جحد) يومئذ خير ما يهديهم) أي من هذه الجنة وقرى منهما أي من الجنة (منقلباً) مرجعاً وعاقة ومدار هذا الطمع واليأس الفاجرة اعتقاده تعالى انما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذنوب وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك ذلك استدرج (قل له صاحبه) استشفاف كاسبق (وهو يحاوره) جلة حاله كما مر فائدتها الثانية * ٧٠٨ * من أول الامر على أن ما ينشأه كلام معنى بشأنه

مسوق للحكاية
(أ كبرت) حيث قلت
ما أظن الساعة قائمة
(بالذي خلقك) أي
في ضمن خلق أصلاك
(من تراب) فإن خلق
آدم عليه السلام منه
متضمن خلقه منه لأن
خلق كل فرد من أفراد
البشر له حظ من خلقه
عليه السلام اذ لم تكن
فطرته الشريرة مقصورة
على نفسه بل كانت انودجا
منظوية على فطرته سائر
أفراد الجنس انطواء
اجابا باستنبط الجربان
انارها على الكل فكان
خلقهم عليه السلام من
التراب خلقا لكل منه
فيل خلقك منه لانه أصل
ادتك اذ به حصل الغذاء
الذي منه تحصل النطفة
فتدبر (ثم من نطفة) هي
مادتك القرينة فالخلق
واحد والمبدأ متعدد (ثم
سواك رجلا) أي عدلك
وكذلك انفسنا ذكرنا
صيرك رجلا والتعير عنه
مالي بالموصول للاشعار
بعية ما في حيز الصلة

ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف أو موضع آخر والذي أخبر الله عنه وجب القطع به ولا عبرة بقول أهل الروم ان ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف وذكر في الكشف عن معانيه انه غرار الروم فربما لكهف فقال لو كشف لنا عن هو لا فطرنا لهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولوليت منهم رعبا فقال لابن عباس لا تنهي حتى أعلم حالهم فبعث أناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم رجلا فأخرجهم وأقول العلم بذلك الزمان وبذلك المكان ليس العقل فيه مجال وانما يستفاد ذلك من نص وذلك مفقود فثبت أنه لا سبيل اليه (المسئلة الخامسة) اعلم ان مدار اقوال بابيات البعث والقيامة على أصول ثلاثة (أحدها) انه تعالى قادر على كل المحكنات والثاني انه تعالى عالم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات (وثالثها) ان كل ما كان ممكن الحصول في بعض الاوقات كان ممكن الحصول في سائر الاوقات فاذا ثبتت هذه الاصول الثلاثة ثبت القول بإمكان البعث والقيامة فكذلك ههنا ثبت انه تعالى عالم قادر على الكل وثبت ان بقاء الانسان حيا في النوم مدة يوم ممكن فكذلك بقاءه مدة لثمانية سنة يجب أن يكون ممكنا بمعنى انه الله العالم بحفظه وبصونه عن الآفة وأما الفلاسفة فانهم يقولون أيضا لا يبعد وقوع أسكال فلكية غريبة توجب في هبوط عالم الكون والفساد حصول أحوال غريبة نادرة وأقول هذه السور الثلاثة المتعاقبة استمل كل واحد منها على حصول حالة عجيبة نادرة في هذا العالم فسورة نبي اسرائيل اشتملت على الاسراء يجسد محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى الشام وهو حالة عجيبة وهذه السورة اشتملت على بقاء القوم في النوم مدة لثمانية سنة وأزبدوهو أيضا حالة عجيبة وسورة مريم اشتملت على حدوث الولد لامن الاب وهو أيضا حالة عجيبة والمعتمد في بيان امكان كل هذه العجائب والغرائب المذكورة في هذه السور الثلاثة المتوالي هو الطريقة التي ذكرناها وبما يدل على أن هذا المعنى من الممكنات أن ابا على بن سينا ذكر في باب الزمان من كتاب الشفاء أن ارسطاطاليس الحكيم ذكر انه عرض لقوم من المثاليين حالة شبيهة بحالة أصحاب الكهف ثم قال أبو على و يدل التاريخ على انهم كانوا قبل أصحاب الكهف * قوله تعالى (واتل ما لوحي اليك من كتابك لا بد لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا) اعلم ان من هذه الآية الى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة وذلك ان اكابر كفار قريش احتجوا وقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت أن تنزل من بك فاطرد من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهى عن ذلك ومنعه عنه وأطنب في جلة هذه الآيات في بيان أن الذي اقترحوه والتسوه مطلوب فاسد واقتراح باطل ثم انه تعالى جعل الاصل في هذا الباب شيئا واحدا وهو أن يواظب على تلاوة الكتاب الذي أوحاه الله اليه وعلى العمل به وأن لا يلتفت الى اقتراح القتر حين وتعت المتعتين فقال

تسكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث * واتل ما خلقناكم من تراب الخ (لكنها هو الله ربى) أصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة ففلاقت النونان فكان ادغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خير الله ربى وتلك الجملة

خبرنا والله شاهد هذا اليه الطعير وقرئ بـبشبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ بـبكتة بابها
 لكن بطرح أنا ولكن أنا لا اله الا هو في ومدار الاستدراك قوله تعالى كُفِرَتْ كَانَهُ قَالَ أَنْتَ كَا فَرَلِكُنِي مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ (ولا
 اشرك بـبـي أحد) فيه ايدان بأن كفره كان بطريق الاشراك (ولو لا اذ دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عندما دخلتها
 وتقديم الظرف على المحضض عليه للايدان ﴿٧٠٩﴾ يتختم القول في أن الدخول من غير بيت لا للعصر (ما شاء الله)

أي الامر ما شاء الله أو
 ما شاء الله كأن على أن
 ما موصولة مرفوعة
 المحل أو أي شيء شاء الله
 كان على انها شرطية
 منصوبة والجواب
 محذوف والمراد تخصيصه
 على الاعتراف بانها وما
 فيها عبثية الله تعالى ان
 شاء بقاها وان شاء أفناها
 (لا قوة الا بالله) أي هلا
 قلت ذلك اعترافا بعجزك
 وبأن ما يتسرك من
 غارتها وتدير أمرها
 انما هو بمعونته تعالى
 واقداره عن النبي
 صلى الله عليه وسلم من
 رأى شيئا فاستعجبه فقال
 ما شاء الله لا قوة الا بالله
 لم يضره (ان ترن أنا أقل
 منك ما لا اولاد) أنا ما
 مؤكديا بالمتكلم أو ضمير
 فصل بين مفعولي الرؤية
 ان جعلت عليه وأقل
 تازيهما وحال ان جعلت
 بصريه فيكون انا حينئذ
 تأكيدا لا غير لان شرط
 كونه ضمير فصل توسطه
 بين المبتدأ والخبر أو ما
 أصله المبتدأ والخبر

وانل ما أوحى اليك من كتاب ربك وفي الآية مسئلة وهي أن قوله انل يتناول القراءة
 و يتناول الاتباع أيضا فيكون المعنى الزم قراءة الكتاب الذي أوحى اليك والزم العمل به
 ثم قال لا مبدل لكلماته أي يتبع طرق التغيير والتبديل اليه وهذه الآية يمكن التمسك بها
 في اثبات ان تخصيص النص بالقياس غير جائز لان قوله انل ما أوحى اليك من كتاب ربك
 معناه الزم العمل بمقتضى هذا الكتاب وذلك يقتضي وجوب العمل بمقتضى ظاهره فان
 قيل فيجب أن لا يتطرق النسخ اليه قلنا هذا هو مذهب أبي مسلم الاصفهانى فليس بعد
 وأيضاً فالنسخ في الحقيقة ليس بتبديل لان النسخ ثابت في وقته الى وقت طريان
 النسخ فالنسخ كالتأني كالتأني فكيف يكون تبديلا أما قوله ولن تجد من دونه ملتحدا اتفقوا
 على أن الملحد هو الملحد قال أهل اللغة هو من لحد وألحد اذا مال ومنه قوله تعالى لسان
 الذي يلحدون اليه والحد المائل عن الدين والمعنى ولن تجد من دونه ملجا في البيان
 والرشاد قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
 ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطعم من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
 وكان أمره فرطا) اعلم أن أكار قریش اجتمعوا وقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان أردت أن تؤمن بك فاطرد هؤلاء الفقراء من عندك فاذا حضرنا لم يحضرنا وتعين لهم
 وقتا يجتمعون فيه عندك فأرسل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية فيبين فيها
 انه لا يجوز طردهم بل تجالسهم وتوافقهم وتعظم شأنهم ولا تلتفت الى أقوال أولئك
 الكفار ولا تقيم اهم في نظرك وزنا سواء غابوا أو حضروا وهذه القصة منقطعة عما قبلها
 وكلام مبتدأ مستقل ونظير هذه الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله ولا تطرد الذين
 يدعون ربهم بالغداة والعشي في تلك الآية نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طردهم
 وفي هذه الآية أمره بمجالستهم والمصابرة معهم فقوله واصبر نفسك أصل الصبر الجس وسنه
 نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المصورة وهي البهيمه تجبس فترى أما قوله مع الذين
 يدعون ربهم بالغداة والعشي ففيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ ان عامر بالغداة وبضم
 الفين والباقون بالغداة وكلاهما لغة (المسئلة الثانية) في قوله بالغداة والعشي وجوه
 (الاول) المراد كونهم مواظبين على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس اقلان
 عمل بالغداة والعشي الا شتم الناس (الثاني) ان المراد صلاة الفجر والعصر (الثالث)
 المراد أن الغداة هي الوقت الذي ينقل الانسان فيه من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال
 شبيه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو الوقت الذي ينقل الانسان فيه من
 اليقظة الى النوم ومن الحياة الى الموت والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير
 الذكرك لله عظيم الشكر لا اله الا الله ونعمانه ثم قال ولا تعد عيناك عنهم يقال عدا اذا جاوز
 ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيد وانما عدى بلفظه عن لانها تفيد المباحدة
 فكانه تعالى نهى عن تلك المباحدة وقرئ ولا تعد عيناك ولا تعد عيناك من أعداء وعدا

قرئ أقل بالرفم خبرا لا أنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولد انصره لن فسر النفر بالولد (فعسى ربي أن
 وتنبى خيرا من جنتك) هو جواب الشرط والمعنى ان ترن أقدر منك فانا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب
 ابني وما بك من الفتر والغنى فبرزتني لياماني جنة خيرا من جنتك ويسلك لك كفر نعمته ويخرب جنتك

(ورسا عليها حسابا) هو مصدر بمعنى الحساب كالجلالان وانصر أن أي اعتداف قدرة الله تعالى وعسبة وهو الحكم
 بنجر ينها وقيل عذاب حسابان وهو حساب ما كسبت بقاء وقيل مراعى جمع حسابانة وهي الصواعق ومساعدة التظلم
 الكريم فيمساقي الأولين أكثر (من السماء فتصيح صعيدا زلعا) مصدر أر يدبه للمفعول بمبالغة أي أرضا ملساء يزلق عليها
 لاستئصال ما عليها من البنايا والشجر والنبات ﴿ ٧١٠ ﴾ (أو يصيح) عطف على قوله تعالى فتصيح وعلى الوجه

الثالث على رسل (ماؤها
 غورا) أي غاراً في
 الأرض أطلق عليه
 المصدر بمبالغة (فلن
 تستطيع) أبداً (له) أي للماء
 الغائر (طلباً) فضلاً عن
 وجدانه ورده (واجبط
 بمره) أهلك أمواله
 اليهودية من جنتيه وما
 فيها واصلها من احاطة
 العدو وهو عطف على
 مقدر كأنه قيل فوقع
 بعض ما توقع من المخذور
 وأهلك أمواله وانما حذف
 لدلالة السباق والسباق
 عليه كما في العطوف
 عليه بالفاء الفصيحة
 (فاصبح بقلب كفيه)
 ظهر البطون وهو كتابة
 عن الندم كأنه قيل فاصبح
 بندم (علما أنفق فيها)
 أي في عمارتها من المال
 وأعل تخصيص الندم
 به دون ما هلك الآن
 من الجنة لما أنه انما يكون
 على الأفعال الاختيارية
 ولأن ما أنفق في عمارتها
 كان مما يمكن صيانته عن
 طوارئ الحدثان وقد
 صرفه الى مصالحها

نقلا بالهمزة وتشغيل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى إذا لارتجابه * والمقصود من الآية
 انه تعالى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يزدري فقراء المؤمنين وأن تنبوعبناه
 عنهم لأجل رغبته في مجالسة الأغنياء وحسن صورتهم وقوله تريدزينة الحياة الدنيا نصب
 في موضع الحال يعني أنك ان فعلت ذلك لم يكن أقدامك عليه إلا رغبتك في زينة الحياة
 الدنيا ولما بالغ في أمره بمجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى اقوال
 الأغنياء والتكبرين فقال ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتم هواه وكان أمره فرطا
 وفيه مسائل (المسئلة الأولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى هو الذي يخلق الجهل
 والغفلة في قلوب الجاهل لان قوله أغفلنا يدل على هذا المعنى قالت المعتزلة المراد بقوله
 تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا انا وجدنا قلبه غافلا وليس المراد خلق الغفلة فيه والدليل
 عليه ما روى عن عمرو بن معد يكرب الزبيدي انه قال لبني سليم قاتلناكم فإأجناكم
 وسلناكم فإأجلناكم وهيجوناكم فإأخمسناكم أي ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء
 ولا فحامين ثم نقول حل اللفظ على هذا المعنى أولى ويدل عليه وجوه (الأول) انه لو كان
 كذلك لما استحقوا الذم (الثاني) انه تعالى قال بعد هذه الآية بقى شاء فلبث من ومن شاء
 فليكفر ولو كان تعالى خلق الغفلة في قلبه لما صح ذلك (الثالث) لو كان المراد هو انه تعالى
 جعل قلبه غافلا لوجب أن يقال ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه لان على
 هذا التقدير يكون ذلك من أفعال المطاوعة وهي انما تعطف بالفاء لا بالواو ويقال كسرته
 فانكسر ودفعته فاندفع ولا يقال وانكسروا ندفع (الرابع) قوله تعالى واتبع هواه ولو كان
 تعالى أغفل في الحقيقة قلبه لم يجز أن يضاف ذلك الى اتباعه هواه والجواب قوله المراد من
 قوله أغفلنا أي وجدنا غافلا وليس المراد تحصيل الغفلة فيه قلنا الجواب عنه من وجهين
 (الأول) أن الاشتراك خلاف الأصل فوجب أن يعتقد أن وزن الأفعال حقيقة في
 أحدهما مجاز في الآخر وجعله حقيقة في التكوين مجاز في الوجدان أولى من العكس
 وبيانه من وجوه (أحدها) ان مجيئ بناء الأفعال بمعنى التكوين أكثر من مجيئه بمعنى
 الوجدان والكثرة دليل الرجحان (وثانيها) ان مبادرة الفهم من هذا البناء الى التكوين
 أكثر من مبادرته الى الوجدان ومبادرة الفهم دليل الرجحان (وثالثها) اننا وجدنا
 حقيقة في التكوين امكن جعله مجازا في الوجدان لان العلم بالشيء تابع لحصول المعلوم
 فيعمل اللفظ حقيقة في المتبوع ومجازا في التسبع موافق للمعقول أما لو جعلناه حقيقة في
 الوجدان مجازا في اليجاد لزم جعله حقيقة في التسبع مجازا في الأصل وانه عكس المعقول
 فثبت أن الأصل جعل هذا البناء حقيقة في اليجاد لا في الوجدان (الوجه الثاني) في
 الجواب عن السؤال انا نسلم كون اللفظ مشتركا بالنسبة الى اليجاد والى الوجدان الا
 أننا نقول يجب حل قوله أغفلنا على إيجاد الغفلة وذلك لان الدليل العقلي دل على انه يتمتع
 كون العبد موجد للغفلة في نفسه والدليل عليه انه اذا حاول إيجاد الغفلة فاما أن يحاول

رجاه أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تائها أي يزدري ولذلك قال ما ظن أن تبدي هذه أبدا فلما ظهر له * إيجاد
 انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنم بناء على الزعم الفاسد من اتفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع
 الزوال (وهي) أي الجنة

من وجوب المحمود (خاوية) ساقطة (ظهورها) أي دعاتها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوط
وتخصيص حالها بالذ كر دون الخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متماتها واما لان ذكرها لكانها ممن عن ذ
هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عارتها
اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها ﴿ ٧١١ ﴾ وغار ماؤها (و يقول) عطف على يقبل اوحا

من ضميره أي وهو يقبل
(بالتنبي لم أشرك بر
أحدا) كانه تذ
موعظة أخيه وعلم أن
انما أتى من قبل شر
فتننى اولم يكن مشر
فلم يصبه ما أصابه قيل
ويحتمل أن يكون ذا
توبة من الشرك وتده
على ما فرط منه (ولم تده
له) وقرئ بالياء التحذير
(فئة ينصرونه) يقدر
على نصره بدفع الاهلا
او على رد المهلك او
الاتيان بمثله وجع الضم
باعتبار المعنى كما في قوله
عز وجل ابر ونهم مثليهم
(من دون الله) فانه
القادر على ذلك وحده
(وما كان) في نفسه
(منتصرا) متمتعاً بقوتها
عن انتقامه سبحانه
(هناك) في ذلك المقام
وفي تلك الحال (الولاية
لله الحق) أي النصر له
وحده لا يقدر عليها
أحد فهو تفرير لما قبله
أو ينصر فيها أولياءه
المؤمنين على الكفرة كما
نصر بما قبل بالكافر

ايجاد مطلق الغفلة أو يحاول ايجاد الغفلة عن شئ معين والاول باطل والا لم يكن بان
تحصل له الغفلة عن هذا الشئ أول بان تحصل له الغفلة عن شئ آخر لان الطبيعة المشتركة
فيها بين الانواع الكثيرة تكون نسبتها الى كل تلك الانواع على السوية أما الثاني فهو أيضا
باطل لان الغفلة عن كذا عبارة عن غفلة لا تمتاز عن سائر أقسام الغفلات الا بكونها
منسبة الى ذلك الشئ المعين بعينه فعلى هذا لا يمكن أن يقصد الى ايجاد الغفلة عن كذا
الا اذا تصور أن تلك الغفلة غفلة عن كذا ولا يمكن أن يتصور كون تلك الغفلة غفلة عن
كذا الا اذا تصور كذا لان العلم بنسبة أمر الى أمر آخر مشروط بتصور كل واحد من المتنسبين
فثبت انه لا يمكنه القصد الى ايجاد الغفلة عن كذا الا مع الشعور بكذا لكن الغفلة عن كذا
ضد الشعور بكذا فثبت ان العبد لا يمكنه ايجاد هذه الغفلة الا عند اجتماع الضدين وذلك
محال والموقوف على المحال محال فثبت ان العبد غير قادر على ايجاد الغفلة فوجب أن
يكون خالق الغفلات وموجدوها في العباد هو الله وهذه نكتة فاطعة في اثبات هذا المطلوب
وعند هذا يظهر ان المراد بقوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه هو ايجاد الغفلة لا وجودها
أما حديث المدح والذم فقد طارضا من مرارا وأطوارا بالعلم والداعى أما قوله تعالى بعد
هذه الآية فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فليبحث عنه سيأتى ان شاء الله تعالى أما قوله
ولا تطع من أغفلنا قلبه لو كان المراد ايجاد الغفلة لوجب ذكر الغفلة لا ذكر الواو فقول هذا
انما يلزم لو كان خلق الغفلة في القلب من لوازمه حصول اتباع الهوى كما ان الكسر من
لوازمه حصول الانكسار وليس الامر كذلك لانه لا يلزم من حصول الغفلة عن الله حصول
منازمة الهوى لاحتمال أن يصبر غافلا عن ذكر الله ومع ذلك فلا يتبع الهوى بل يبقى متوقفا
لابتداء في مقام الخبرة والدهشة والخوف من الكل فسقط هذا السؤال وذكر القفال في
تأويل الآية على مذهب المعتزلة وجوها أخرى (فأحدها) انه تعالى لما نصب عليهم
الدنيا صابوا دى ذلك الى رسوخ الغفلة في قلوبهم صح على هذا التأويل انه تعالى حصل
الغفلة في قلوبهم كما في قوله تعالى فلم يزدهم دعائى الا فرارا (والوجه الثاني) أن معنى قوله
أغفلنا أى تركناه غافلا فلم نسمه بسمة أهل الطهارة والتقوى وهو من قولهم بعير غفل أى
لا سمه عليه (وثالثها) ان المراد من قوله أغفلنا قلبه أى خلاه مع الشيطان ولم يمنع الشيطان
منه فيقال في الوجه الاول ان فتح باب لذات الدنيا عليه هل يؤثر في حصول الغفلة في قلبه أولا
يؤثر فان أثر كان أثر ابدال الذات اليه سببا لحصول الغفلة في قلبه وذلك عين القول بانه تعالى
فعل ما يوجب حصول الغفلة في قلبه وان كان لا تأثير له في حصول هذه الغفلة بطل اسناد
اليه وقد يقال في الوجه الثاني ان قوله أغفلنا قلبه بمنزلة قوله سودنا قلبه ويضنا وجهه
ولا يفيد الا ما ذكرناه ويقال في الوجه الثالث ان كان لتلك التخليئة أثر في حصول تلك
الغفلة فقد صح قرائنا والباطل استناد تلك الغفلة الى الله تعالى (المسئلة الثانية) قوله تعالى
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه يدل على أن شرأحوال الانسان أن يكون

خاء المؤمن وبه ضده قوله تعالى (هو خير نوابا وخير عقبا) أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك
السلطان أى هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه ولا يفيد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك
دعوا الله لمخلصين له الدين

فيكون نسيبها على أن قوله بالحق لم أشرك بالخلق كان من صفة كبره وجبره فافهم على أسلوب قوله تعالى لا يؤمنون
 قبل وكنتم من المفسدين وقبل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم فله الواحد القهار وقرئ برفع الحق
 على أنه صفة للولاية ونصبه على أنه مصدر مؤكد وقرئ عقابا بضم القاف وعقبى كرجى والكل بمعنى المسافة
 (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أي واذا كرلهم ما يشبهها ﴿٧١٢﴾ في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها

للايطمئثوا بها ولا
 يعكفوا عليها ولا يضربوا
 عن الآخرة صفحا بالمرءة
 أو بين لهم صفتها العجينة
 التي هي في الغرابه كالمثل
 (كأ) استثناف لبيان
 المثل أي هي كأ (أزله) من السماء) ويجوز كونه
 مفعولا ثانيا لا ضرب
 على أنه بمعنى صبر
 (فاختلط به) اشتبك
 بسببه (نبات الارض)
 نائف وخالف بعضه بعضا
 من كثرته وكنافته أو جمع
 الماء في النبات حتى روى
 ورفق فقتضى الظاهر
 حينئذ فاختلط نبات
 الارض وابتار ما عليه
 النظم الكريم عليه
 للباغة في الكثرة فان كلا
 من المختلطين موصوف
 صفة صاحبه (فاصبح)
 ذلك النبات المتفائر
 بجنتها ورفقيها
 هشيما) مهشوما مكسورا
 (ندروه الرياح) تفرقه
 وقرئ تدر به من أذراه
 وتدر وه الرياح وليس
 المشبه به نفس الماء بل
 هو الهيئة المنتزعة من

قلبه خالبا عن ذكر الحق ويكون مملوا من الهوى الداعي إلى الاشتغال بالخلق وتحقيق
 القول أن ذكر الله نور وذكرا غيره ظلمة لأن الوجود طبيعة النور والعدم منبج الظلمة والحق
 تعالى واحب الوجوب لذاته فكان التور الحق هو الله وما سوى الله فهو ممكن الوجود
 لذاته والامكان طبيعة عدمية فكان منبج الظلمة فالقلب اذا أشرف فيه ذكر الله فقد
 حصل فيه التور والضوء والاشراق واذا توجه القلب إلى الخلق فقد حصل فيه الظلم
 والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب اذا أعرض القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو
 الظلمة الخالصة التامة فالاعراض عن الحق هو المراد بقوله أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال
 على الخلق هو المراد بقوله واتبع هواه (المسئلة الثالثة) قيل فرط أي تجاوزا للحد من
 قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للجل قال الليث الفرط الامر الذي يفرط فيه يقال كل
 أمر فلان فرط وأنشد شعرا لقد كلفتني شططا * وأمر أخا بيا فرطا
 أي مضيعا وقوله وكان أمره فرطا معناه ان الامر الذي يلزمه الحفظ له والاهتمام به وهو
 أمر دينه يكون مخصوصا بإيقاع التفریط والتقصير فيه وهذه الحالة صفة من لا ينظر لدينه
 واتم عمله لدينه فبين تعالى من حال الغافلين عن ذكر الله التابعين لهواهم انهم مقصرون
 في مهماتهم معرضون عما وجب عليهم من التدبر في الآيات والتخلف بمهمات الدنيا
 والآخرة والحاصل انه تعالى وصف أولئك الفقراء بالواظبة على ذكر الله والاعراض عن
 غيره ذكر الله فقال مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ووصف هؤلاء
 الأغنياء بالاعراض عن ذكر الله تعالى والاقبال على غير الله وهو قوله أغفلنا قلبه واتبع
 هواه ثم أمر رسوله بمجاسة أولئك والمباعدة عن هؤلاء روى أبو سعيد الخدري رضى الله
 عنه قال كنت جالسا في عصابة من ضغفاء المهاجرين وان بعضهم يستريح بعضهم العري
 وقارئ يقرأ من القرآن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماذا كنتم تصنعون قلنا
 يا رسول الله كان واحد يقرأ من كتاب الله ونحن نسمع فقال عليه السلام الحمد لله الذي
 جعل من أمتي من أمرت إلى أن أصبح بنفسى معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا صاعليك
 المهاجرين بالنور اتمام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بمقدار خمسين ألف سنة
 * قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أنا عندنا الظالمين نارا
 أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب
 وساء مرثقا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في تقرير النظم وجوه (الاول)
 انه تعالى لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أولئك الأغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء
 آمننا بك قال بعده وقل الحق من ربكم أي قل لهؤلاء ان هذا الدين الحق اتما أي
 من عند الله فان قبلتموه عاد النعم اليكم وان لم تقبلوه عاد الضرر اليكم ولا تعلق لذلك
 بالفقر والغنى والفتح والحسن والحمول والشهرة (الوجه الثاني) في تقرير النظم يمكن
 أن يكون المراد ان الحق مجاه من عند الله والحق الذي جاءني من عنده أن

الجلجلة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم ينف بالامس
 (وكان الله على كل شيء) من الاشياء التي من جللتها الانشاء والافناء (مقدرا) قادرا على الكمال

العلماء والفقهاء بعد الحياة الدنيا (بيان لسان ما كانوا يعجزون به عن حملان الحياة الدنيا قال الأخ الكافر أنا أكثر منك
الاوعز نفرا الثريان شأن نفسهما بما من من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كافي الآية المحكية آنفا وقوله
مالي وأمددناكم بأموالهم وبين وغير ذلك من الآيات الكبر بما لعرفته فيما يربط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه
النسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة ﴿ ٧١٣ ﴾ وعمل كل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون

فزينتهم واما دهم
انما يكون بالنسبة الى
من بلغ مبلغ الابوة ولان
المال مناط لبقاء النفس
والبنين لبقاء النوع
ولان الحاجة اليه أمس
من الحاجة اليهم ولانه
أقدم منهم في الوجود
ولانه زينة بدونهم
من غير عكس فان من له
بنون بلا مال فهو
في ضيق حال ونكال
وافراد الزينة مع انها
مستندة الى الاثنين لما
أنهما مصدر في الاصل
أطلق على المفعول
مبالغة كأنهما نفس
الزينة والمعنى أن ما
يقفرون به من المال
والبنين شئ يترتب به
في الحياة الدنيا وقد علم
شأنها في سرعة الزوال
وقرب الاضمحلال
فكيف بما هو من
أوصافها التي شأنها
أن تزول قبل زوالها
(والباقيات الصالحات)
هي أعمال الخير وقيل
هي الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله

أصبر نفسي مع هؤلاء الفقراء ولا تطردهم ولا ألتفت الى الرؤساء وأهل الدنيا (والوجه
الثالث) في تقرير النظم أن يكون المراد هو ان الحق الذي جاء من عند الله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر وان الله تعالى لم يأذن في طرد من آمن وعمل صالحا لاجل أن
يدخل في الايمان جمع من الكفار فان قيل ليس أن العقل يقتضي ترجيح الاهم على المهم
فطرد أولئك الفقراء لا يوجب الاسقوط حرمتهم وهذا ضرر قليل اما عدم طردهم فانه
يوجب بقاء الكفار على الكفر وهذا ضرر عظيم قلنا اما عدم طردهم فانه يوجب بقاء
الكفار على الكفر فسلم الآن من ترك الايمان لاجل الخذر من مجالسة الفقراء فيأمنه
ليس بايمان بل هو نفاق فيجب فوجبه على العاقل أن لا يلتفت الى ايمان من هذا حاله وصفته
(المسئلة الثانية) قالت المعتزلة قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح في ان
الامر في الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره فمن أنكر ذلك
فقد خالف صريح القرآن ولقد سألتني بعضهم عن هذه الآية فقلت هذه الآية من أقوى
الدلائل على صحة قولنا وذلك لان الآية صريحة في أن حصول الايمان وحصول الكفر
موقوف على حصول مشيئة الايمان وحصول مشيئة الكفر وصريح العقل أيضا يدل له
فان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه وبدون الاختيار له اذا عرفت هذا
فقول حصول ذلك القصد والاختيار ان كان بقصد آخر يتقدمه واختيار آخر يتقدمه
لزم أن يكون كل قصد واختيار مسبوقا بقصد آخر الى غير انتهائه وهو محال فوجب اتهام
تلك القصد وتلك الاختيارات الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى في العبد على سبيل
الضرورة عند حصول ذلك القصد الضروري والاختيار الضروري يوجب الفعل
فالانسان شاء أو لم يشأ ان لم تحصل في قلبه تلك المشيئة الجازمة الخالية عن المعارض
لم يترتب الفعل واذا حصلت تلك المشيئة الجازمة شاء أو لم يشأ يجب ترتب الفعل عليه
فلا حصول المشيئة مترتب على حصول الفعل ولا حصول الفعل مترتب على المشيئة
فالانسان مضطر في صورة مختار ولقد قرر الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله هذا المعنى في
باب التوكل من كتاب احياء علوم الدين فقال فان قلت اني أجذب نفسي وجدانا ضروريا
اني ان شئت الفعل قدرت على الفعل وان شئت التزك قدرت على التزك فالفعل والتزك بي
لا يغيري وأجاب عنه وقال هب أنك تجذب من نفسك هذا المعنى ولكن هل تجذب نفسك
انك ان شئت مشيئة الفعل حصلت تلك المشيئة وان لم تشأ تلك المشيئة لم تحصل بل العقل
يشهد بانه يشاء الفعل لا يسبق مشيئة أخرى على تلك المشيئة واذا شاء الفعل وجب
حصول الفعل من غير مكنة واختيار في هذا المقام حصول المشيئة في القلب أمر لازم
وترتب الفعل على حصول المشيئة أيضا أمر لازم وهذا يدل على ان الكل من الله تعالى
(المسئلة الثالثة) قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيه فوائد (الفائدة الاولى) الآية
تدل على ان صدور الفعل عن الفاعل بدون القصد والداعي محال (الفائدة الثانية) ان

ولا اله الا الله والله أكبر ﴿ ٩٠ ﴾ خا وقيل كل مأر يده وجد الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال
فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ير بدون وجهه دخولا أوليا أما صلاحها فظاهر وأما بقاؤها
بقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) أي ممانعت شأنه من المال والبنين

مع أن خفيها أن يكونا منصوبي الاضافة لاسيما في مثاليه اثبات القادة لبيانها من المبالغة والبيان على وجه
 تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق لا يذنان بان بقاها أمر محقق لاحاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف
 ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها (عند ربك) أي في الآخرة وهو بيان لما يظهر
 فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها * ٧١٤ * فيها من المال والبنين مع

مشاركة الكل في الاصل
 اذ لمشاركة لهما
 في الخيرية في الآخرة
 (نوابا) عائدة تعود الى
 صاحبها (وخير أملا)
 حيث ينال بها صاحبها
 في الآخرة كل ما كان
 يؤمله في الدنيا وأما امر
 من المال والبنين فليس
 لصاحبه أمل يناله
 وتكرر خير الاشعار
 باختلاف حيثي الخيرية
 والمبالغة فيها (وبوم
 نسير الجبال) منصوب
 بمضمر أي اذ ذكر حين
 نفعها من أما كنسها
 ونسبها في الجو على
 هباتها كإنبى عنه
 قوله تعالى وترى الجبال
 تحسبها جامدة وهي
 تمرر السحاب أو نسير
 أجزاءها بعد أن تجعل
 هباء منبثا والمراد بتدوير
 تحذير المشركين مما فيه
 من الدواهي وقيل هو
 معطوف على ما قبله
 من قوله تعالى عند ربك
 أي الباقيات الصالحات
 خير عند الله وبوم القيامة
 وفري تسير على صيغة

صيغة الامر للمعنى الطلب في كتاب الله كثيرة ثم نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه
 قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست بخير (القائدة الثالثة) انها تدل على انه تعالى
 لا ينفع بايمان المؤمنين ولا يستنصر بكفر الكافرين بل ينفع الايمان يعود عليهم وضرر
 الكفر يعود عليهم كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها واعلم انه
 تعالى لما وصف الكفر والايمان والباطل والحق أتبعه بذكر الوعيد على الكفر والاعمال
 الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والعمل الصالح أما الوعيد فقوله تعالى انا أعدنا للظالمين
 نارا يقول اعتدنا لمن ظلم نفسه ووضع العبادة في غير موضعها والانفة في غير محلها فعند
 ما استحسن بهواه وانف عن قبول الحق لاجل أن الذين قبلوه فقراء ومساكين فهذا كله
 ظلم ووضع الشيء في غير موضعه فأخبر تعالى انه أعد لهم لا لا أقوام ناروا هي الحميم ثم وصف
 تعالى تلك النار بصفتين (الصفة الأولى) قوله أحاط بهم سرادقها والسرادق هو الحجر التي
 تكون حول الفسطاط فثبتت للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه
 لا يخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هي محيطة بهم
 من كل الجوانب وقال بعضهم المراد من هذا السرادق الدخان الذي وصفه الله في قوله
 انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار
 فيفساهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط (والصفة الثانية) لهذه النار
 قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قيل في حديث مرفوع انه دردى الزيت وعن
 ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل بيت المال وأخرج غائقة كانت فيه وأوقد عليها النار
 حتى ثلاثا ثم قال هذا هو المهل قال أبو عبيدة والافخس كل شيء أذنته من ذهب أو
 نحاس أو فضة فهو المهل وقيل انه الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتمل أن
 تكون هذه الاستغاثة لانهم اذا طلبوا ماء للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى تصلي نارا
 حامية نسقى من عين آنية ويحتمل أن يستغيثوا من حرجهم فيطلبوا ماء يصبونه على
 أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم أن أفيضوا علينا من الماء وقال
 في آية أخرى سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار فاذا استغاثوا من حرجهم صب
 عليهم القطران الذي يعم كل أبدانهم كالقميص وقوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على
 سبيل الاستهزاء كقوله * تحية بينهم ضرب وجع * ثم قال تعالى بنس الشراب أي ان الماء
 الذي هو كالمهل بنس الشراب لان المقصود بشرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ
 في احتراق الاجسام مبلغا عظيما قال تعالى وساءت مرتقا قال قائلون ساءت النار من زلا
 وجمتها للرفقة لان أهل النار يحتمون رفقاء كأهل الجنة قال تعالى في صفة أهل الجنة
 وحسن أو لك رفيقا وأما رفقاء النار فهم الكفار والشياطين والمعنى بنس الر فقهاء
 هؤلاء وبنس موضع الترافق النار كأنه نعم الر فقهاء أهل الجنة ونعم موضع الر فقهاء الجنة
 وقال آخرون مرتقا أي متكا * وسمى المرفق مرقا لانه يتكا عليه فالنكاح انما يكون

البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايدانا بالاستغناء عن الاستناد الى الفاعل * الاستراحة
 ليعينه ونسير (وترى الارض) أي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأول كل احد ممن
 يتأتى منه الروية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أما بروزا تحت الجبال فظاها وأما ما عداها فكانت
 الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضحي قلما صفتها لا ترى فيها

وإنا (وحيث أنهم) لم نعلمهم أن الوصف من كل أوصاف وأيضاً صيغة الماضي مدسرة وبزى الدلالة على تحقق
 لشئ المنفرد على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منقياً وموجباً وقيل
 والدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأهوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (فإن غادر)
 لم نترك (منهم أحداً) يقال غادره وأغدره ﴿٧١٥﴾ إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدر الذي

هو ماء يتركه السيل
 في لارض الغائرة وقرئ
 بالياء وبالفوقانية على اسناد
 الفعل الى ضمير الارض كما
 في قوله تعالى وألق ما فيها
 وتخلت (وعرضوا
 على ربك) شبهت حالهم
 بحال جنس عرضوا
 على السلطان ليأمر فيهم
 بما يأمر وفي الالتفات
 الى الغيبة وبناء الفعل
 للمفعول مع التعرض لعنوان
 الربوبية والاضافة
 الى ضميره عليه السلام
 من تربية المهابة والجرى
 على سنن الكبرياء واطهار
 اللطف به عليه السلام
 ما لا يخفى (صفاً) أى غير
 متفرق ولا مختلطين
 فلا تعرض فيه لوحدة
 الصف وتعدد وقودود
 في الحديث الصحيح
 يجمع الله الاولين
 والاخرين في صعيد واحد
 صفواً لقد جئتمونا
 على اضمحار القول على وجه
 يكون حالاً من ضمير عرضوا
 أى مقولاً لهم أو قلنا لهم
 وأما كونه عاملاً في يوم نسير
 كما قيل فيعيد من جزالة

للاستراحة والمرتق موضع الاستراحة والله أعلم * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات الانا لنضع أجراً من أحسن عملنا وأولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
 يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها
 على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفعاً) أعلم انه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين أردفه
 بوعيد المحقين وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 يدل على أن العمل الصالح مغاير للابتن لان العطف يوجب المغايرة (المسئلة الثانية)
 قوله اننا لنضع أجراً من أحسن عملنا ظاهره يقتضى انه يستوجب المؤمن بحسن عمله على
 الله أجراً وعند أصحابنا ذلك الاستيجاب حصل بحكم الوعد وعند المعتزلة لذات الفعل وهو
 باطل لان نعم الله كثيرة وهى موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبتين
 لثواب آخر لان أداء الواجب لا يوجب شيئاً آخر (المسئلة الثالثة) نظير قوله ان الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات الخ قول الشاعر

ان الخليفة ان الله سر به * سر بال ملك به ترجى الخواتيم

كرران تأكيداً للاعمال والجزاء عليها (المسئلة الرابعة) أولئك خبران وانا لانضع
 اعتراض ولك أن تجعل اننا لانضع وأولئك خبرين معا ولك أن تجعل أولئك كلاماً
 مستأنفاً يانا للآجر المبهم وأعلم انه تعالى لما أثبت الآجر المبهم أردفه بالتفصيل من وجوه
 (اولها) صفة مكانهم وهو قوله أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار والعدن
 في اللغة عبارة عن الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه
 دار إقامة ويجوز أن يكون العدن اسماً لموضع معين من الجنة وهو وسطها وأشرف
 أماكنها وقد استقصينا فيه فيما تقدم وقوله جنات لفظ جمع فيمكن أن يكون المراد ما قاله
 تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ويمكن أن يكون المراد ان نصيب كل واحد من المكلفين
 جنة على حدة وذكر ان من صفات تلك الجنات ان الانهار تجري من تحتها وذلك لان أفضل
 المساكن في الدنيا البساتين التي تجري فيها الانهار (وثانيها) ان لباس اهل الدنيا اما
 لباس الخلى واما لباس التنسرت أما لباس الخلى فقال تعالى في صفته يحلون فيها من أساور
 من ذهب والمعنى انه يحلبهم الله تعالى ذلك أو تحلبهم الملائكة وقال بعضهم على كل واحد
 منهم ثلاثة أسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا
 أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير أما لباس التنسرت
 فتقوله ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق والمراد من سندس الآخرة واستبرق
 الآخرة والاول هو الديباج الرقيق وهو الخبز والثاني هو الديباج الصفيق وقيل أصله
 فارسي معرب وهو استبره أى غليظ فان قيل ما السبب في انه تعالى قال في الخلى يحلون
 على فعل ما لم يسم فاعله وقال في السندس والاستبرق ويلبسون فاضاف اللبس اليهم قلنا
 يحتمل أن يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم وأن يكون الخلى اشارة الى

التزليل للجليل كيف لا يلزم منه أن هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص بالتعلق
 بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض (كما خلقناكم) نعت لمصدر مقدراى مجبياً كأننا كنجيكم
 عند خلقناكم (اول مرة) أحوال من ضمير جئتمونا أى كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلاً وأمامكم شيء
 مما تفتخرون به من

الاموال والانتصار فتوة تعالى. وهذه بحسب قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَنُفَعَالُهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأُولَئِكَ هُمُ السَّامِعُونَ الْإِتِّاعَ﴾. ان لن نجعل لكم موعدا واضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما التوبيخ والقرع أى زعمتم فى الدنيا انكم نجعل لكم أبدا وقتا لنجى فيه ما وعدناه من البعث وما يبدى به وأن تخففه من المثقلة فصل بحرف التثنية بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفه غير دعاء والظرف امامقول ﴿٧١٦﴾ ثان الجملة وهو بمعنى التيسير والاول هو موعدا

أوحال من موعدا وهو
بمعنى الخلق والابداع
(ووضع الكتاب) عطف
على عرض اودا اخل تحت
الامور الهائلة التي أريد
تذكيرها بتذكير وقتها
اورد فيه ما أورد في أمثاله
من صيغة الماضي دلالة
على التقرر أيضا أي وضع
صحائف الاعمال واشار
الافراد للاكتفاء بالجنس
والمراد بوضعها اما وضعها
في أيدي أصحابها أي بنا
وشمالا واما في الميزان
(فترى المجرمين) فاطبة
فيدخل فيهم الكفرة
المنكرون للبعث دخولا
اوايا (مسفين) خائفين
(من الجرائم)
والذنوب (ويقولون)
عندوقوفهم على ما في
نصاعيفه نفيرا وقطميرا
(ياويلنا) منادين لهلاكهم
التي هلكوها من بين
الهلكات مستدعين لها
ليهلكوا ولا يروا هول
مالاقوة أي ياويلنا
احضري فهذا أوان
حضورك (مال هذا
الكتاب) أي أي شيء له

باب العمل على السبيلين الأولين حتى يكون أطهارا لعملهما الأول (واذ ظنوا باللائمة) أي إذا ذكر
ت قولناهم (اسجدوا للأدم) سجود نعمة وتكريم وقد مر تفصيله (فسجدوا) جمعا امتثالاً للأمر (الأيليس)
نعم يسجد بل أي واستكبر وقوله تعالى (كان من الجن) كلام مستأنف سبق مساق التعليل لما يفيد استثناء العين
الساجدين كأنه قيل ما لهم يسجد ﴿ ٧١٧ ﴾ قبل كان أصله جنيا (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعته

الملائكة حافين من حول العرش اى واقفين حول العرش محيطين به والحفاف جانب
الشيء والا حفة جمع فعى قون القائل حف به القوم اى صاروا فى أحفقه وهى جوانبه
قال الشاعر

له لحظات في حفا في سريره * اذا كرها فبها عقاب ونائل
قال صاحب الكشف حقه اذا طافوا به وحققته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعدي
الى مفعول واحد فتريده الباء مفعولا ثانيا كقوله غشيت غشيت به قال وهذه الصفة مما
يوثرها الدهاقين في كرومهم وهي أن يجعلوها محفوفة بالاشجار المثمرة وهو أيضا حسن في
النظر (الصفة الثالثة) وجعلنا بينهما زرا والمقصود منه أمور (أحدها) أن تكون
تلك الأرض جامعة للأقوات والفواكه (وثانيها) أن تكون تلك الأرض متسعة
الاطراف متباعدة الأكثاف ومع ذلك فإنها لم يتوسطها ما يقطع بعضها عن بعض وثالثها
أن مثل هذه الأرض تأتي في كل وقت بمنفعة أخرى وهي ثمرة أخرى فكانت منافعها دارة
متواصلة (الصفة الرابعة) قوله تعالى كلنا الجنة آت أكلها ولم تظلم منه شيئا كلا
اسم مفرد معرفة بؤ كدبه مذكران معرفتان وكلنا اسم مفرد بؤ كدبه مؤنثان معرفتان
واذا أضيقا الى المظهر كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاني كلا أخويك ورأيت
كلا أخويك وممرت بكلا أخويك وجاني كلنا اختيك ورأيت كلنا اختيك وممرت بكلنا
اختيك واذا أضيقا الى المضمر كانا بالالف في الرفع والجو والنصب بالياء وبعضهم يقول
مع المضمر بالالف في الاحوال الثلاثة أيضا وقوله آت أكلها حمل على اللفظ لان كلنا لفظه
لفظ مفرد ولو قيل اتنا على المعنى لجاز وقوله ولم تظلم منه شيئا أى لم تنقص والظلم النقصان
يقول الرجل ظلمي حتى أى نقصنى (الصفة الخامسة) قوله تعالى وفجرنا خللا لهم انهارا
أى كان النهر يجري في داخل تلك الجنة وفي قراءة يعقوب وفجرنا مخففة وفي قراءة
الباقين وفجرنا مشددة والتخفيف هو الاصل لانه نهر واحد والتشديد على المبالغة لان
النهر يمتد فيكون كأنه نهر وخاللها أى وسطها وبينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعوا
خللاكم ومنه يقال خللت القوم أى دخلت بين القوم (الصفة السادسة) قوله تعالى
كان له نمر قرأ عاصم بفتح الاء والميم في الموضوعين وهو جمع ثمار أو ثمره وقرأ أبو عمرو بضم
هاء وسكون الميم في الحرفين والباقيون بضم الاء والميم في الحرفين ذكر اهل اللغة انه
بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفصح حمل الشجرة قال قطرب كان
أبو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولدوا نشد الحرث بن كعدة
ولقد رأيت معاشرنا * قدامى وامالا وولدا

وقال النابغة

مهلًا فدا لك الاقوام كلهم * ما تمروه أمن مال ومن واد
وقوله وكان له ثمر اى انواع من المال من ثمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة

تستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى (وهم) أى والحال أن إبليس وذريته (لكم عدو) أى أعداء كافى قوله
مالى فانهم عدوى الأرب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فصل به ذلك تشبيها له بالصادر نحو القبول والولوج
تفصيل الانخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانسكار وتشديد، فان مضمونها مانع من وقوع الانخاذ وشفافه قطعاً
بأنس (لظالمين) أى الواضوحين لشيء فى غير موضعه (بدلاً) من الله سبحانه إبليس وذريته وفى الالتفات

الى التبع مع وضع الطائفتين من الاديان بحال المصطفى المصطفى عليه السلام من (الاشهاد)
استثناف مسوق لبيان عدم استحقاتهم للانحياز المذكور في أنفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جباية المحتل
والفسق والعداوة أي ما حضرت ابليس وذريته (خلق السموات والارض) حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق
أنفسهم) أي ولا شهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ﴿ ٧١٨ ﴾ ولا تغفلوا أنفسكم هذا ما أجمع عليه الجمهور

حذارا من تفكيك
الضميرين ومحافظه
على ظاهر لفظ الانفس
ولك أن ترجع الضمير
الى الظالمين وتلتزم
التفكيك بناء على قود
المعنى اليه فان في اشهاد
الشياطين خلق الذين
يتولونهم هو الذي
يدبر عليه انكار انحيازهم
أولياء بناء على أن أدنى
ما يصحح التولي حضور
الولي خلق التولي وحيث
لا حضور لا يصحح للتولي
قطعا وأمانتي اشهاد
بعض الشياطين خلق
بعض منهم فليس من
مدارية الانكار المذكور
في شيء على أن اشهاد
بعضهم خلق بعض
ان كان مصححا لتولي
الشاهد بناء على دلالة
على كاله باعتبار أن له
مدخلا في خلق المشهود
في الجملة فهو محل بتولي
المشهود بناء على قصوره
عن شهد خلقه فلا
يكون في الاشهاد
المذكور متممضا
في نفي الكمال المصحح

اي كان مع الجنيتين اشياء من القود ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات قال بعده فقال له
صاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا والمعنى ان المسلم كان يحاوره بالوعظ
والدعاء الى الايمان بالله وبالبعث والمحاورة مر اجمعة الكلام من قولهم حاور اذا رجع
قال تعالى انه ظن أن لن يحور بلى قد ذكر تعالى ان عند هذه المحاوره قال الكافر أنا أكثر
منك مالا وأعز نفرا والغر عشرة الرجل وأصحابه الذين يقومون بالذب عنه وينفرون
معه وحاصل الكلام ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم انه أراد أن يظهر لذلك
المسلم كثرة ماله فأخبر الله تعالى عن هذه الحالة فقال ودخل جنته وأرأى اناها على الحالة
الموجبة للبهجة والسرور وأخبره بصنوف ما يملكه من المال فان قيل لم أفرد الجنة بعد
الثنية قلنا المراد انه ليس له جنة ولا نصيب في الجنة التي وعد المتقون المؤمنون وهذا
الذي ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنيتين ولا واحد منهما ثم قال تعالى وهو
ظالم لنفسه وهو اعترض وقع في انشاء الكلام والمراد التنبيه على انه لما اعترى بتلك التعم
وتوسل بها الى الكفران والمحوود لقد رتبته على البعث كان واضعا تلك التعم في غير موضعها
ثم حكى تعالى عن الكافر انه قال وما أظن أن تبديده ابدًا وما ظن الساعة قائمة فجمع
بين هذين فالاول قطعه بأن تلك الاشياء لا تمهلك ولا تبديد ابدًا مع انها متغيرة متبدلة فان
قبل هب انه شك في القيامة فكيف قال ما أظن ان تبديده ابدًا مع ان الخدس يدل على
ان احوال الدنيا بأسرها ذاهبة باطلة غير باقية قلنا المراد انها لا تبديد مدة حياته ووجوده
ثم قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها من قبلي أي مرجعا وعاقبة وانتصابه على
التبذير ونظيره قوله تعالى ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى وقوله لاثنين مالا ولدا
والسبب في وقوع هذه الشبهة انه تعالى لما اعطاه المال في الدنيا ظن انه انما اعطاه ذلك
لكونه مستحقا له والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء والمقدمة الاولى
كاذبة فان فتح باب الدنيا على الانسان يكون في أكثر الامر للاستدراج والتلمية قرأنا
واين كثير خيرا منها والمقصود عود الكناية الى الجنيتين والباقي منها والمقصود عود
الكناية الى الجنة التي دخلها ثم ذكر تعالى جواب المؤمن فقال جل جلاله قال له صاحبه
وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وفيه بحثان
(البحث الاول) ان الانسان الاول قال وما ظن الساعة قائمة وهذا الثاني كفره حيث
قال أكفرت بالذي خلقك من تراب وهذا يدل على ان الشاك في حصول البعث كافر
(البحث الثاني) هذا الاستدلال بمحتمل وجهين (الاول) يرجع الى الطريقة المذكورة
في القرآن وهوانه تعالى لما قدر على الابتداء وجب ان يقدر على الاعادة فقوله خلقك
من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا اشارة الى خلق الانسان في الابتداء (الوجه الثاني)
انه لما خلقك هكذا فلم يخلقك عبداً وانما خلقك للعبودية واذا خلقك لهذا المعنى وجب
ان يحصل للطبع ثواب وللذنب عقاب وتقريره ما ذكرناه في سورة يس ويدل على هذا

للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور (وما كنت متخذ المضلين) أي متخذهم وانما وضع الوجه
موضعه المظهر ذمالهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيد الماسبق من انكار انحيازهم أولياء (عضدا) أعوانا في شأن
الخلق أو في شأن من شئت حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشراكة في بعض أحكام الربوبية وفيه تمكيم بهم
واذان بكمال كآفة عقولهم

حالة ارادهم حبيب ليصحبهم هذا الامر الحلي الذي لا يكاد يستند على اليه والصبيان يحتاجون الى الصبر مخرج به
 نار في الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتحادهم اغوا ناعلي نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته
 تابعون لشئته وارادته فيهم وانهم يحزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضاروا تخاذوا واما
 اري مايتوهم في شأنهم ان يبلغوا ذلك * ٧١٩ * المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكذب ذلك يكون وقيل الضمير

للمشركين والمعنى
 ما شهدتهم خلق ذلك
 وما اطعتم على اسرار
 التكوين وما خصصتهم
 بفضائل لا يحويها غيرهم
 حتى يكونوا قدوة للناس
 فيؤمنوا بآياتهم كما يرفعون
 فلا يلتفت الى قولهم
 طمعاني نصرتهم للدين
 فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
 بالمضلين وبعضه
 القراءة بفتح التاء خطايا
 لرسول الله عليه وسلم
 والمعنى ما صحك لك الا
 عنضاد بهم ووصفهم
 بالاضلال لتعليل نفي
 الاتخاذ وقرى بمخذ
 المضلين على الاصل
 وقرى عنضاد بضم العين
 وسكون الضاد وفتح
 وسكون بالتخفيف
 ويضمتين بالاتباع وفتحتين
 على انه جمع عاضد كرسد
 وراصد (و يوم يقول)
 أي الله عز وجل للكافرين
 توبيحاً وتعجزاً وقرى
 بنون العظمة (نادوا
 شركائ الذين زعمتم)
 انهم شفعاؤكم ليشفوا

الوجه قوله ثم سواك رجلا اي هياك هيئة تعقل وتصلح للتكليف فهل يجوز في العقل مع
 هذه الحالة اهماله امرك ثم قال المؤمن لكننا هو الله رب وفيه بحثان (البحث الاول)
 قال اهل اللغة لكننا اصله لكن انما خذفت الهزة والقيت حركتها على نون لكن فاجتمعت
 النونان فادغمت نون لكن في النون التي بعدها ومثله * وتقلبنني لكن اياك لا اقلني *
 أي لكن انا لا اقلبك وهو في قوله هو الله رب ضمير الشأن وقوله الله رب جله من المبتدا
 والخبر واقعة في معرض الخبر لقوله هو فان قيل قوله لكننا استدراك لما ذقنا لقوله
 اكفرت كأنه قال لا يخيه اكفرت بالله لكنني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن
 عمرو حاضر (والبحث الثاني) قرأ ابن عامر ويعقوب الحضرمي ونافع في رواية لكننا هو الله
 رب في الوصل بالالف وفي قراءة الباقرين لكن هو الله رب في غير ألف والمعنى واحد ثم قال
 المؤمن ولا أشرك رب أحد اذ ذكر القفال فيه وجوها (أحدها) اني لا أرى القفر والغنى
 الامنة فاحده اذا أهبط واصبر اذا ابتلى ولا تكبر عند ما ينعم على ولا أرى كثرة المال
 والاعوان من نفسي وذلك لان الكافر لما اعتز بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله
 شريكاً في اعطاء العز والغنى (وثانيها) لعل ذلك الكافر مع كونه منكر البعث كان عابد
 صنيعة في هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء (وثالثها) ان هذا الكافر لما عجز الله عن
 البعث والحشر فقد جعله مساوياً بالخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت
 الشريك ثم قال المؤمن للكافرو لولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله فأمره
 أن يقول هذين الكلامين الاول قوله ما شاء الله وفيه وجهان (الاول) ان تكون
 ما شرطية ويكون الجزاء محذوفاً والتقدير أي شئ شأ الله كان (والثاني) أن تكون
 ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف وتقديره الامر ما شاء الله واجمع
 أصحابنا بهذا على ان كل ما اراده الله وقع وكل ما لم يرد له يقع وهذا يدل على انه ما اراده الله
 الايمان من الكافر وهو صريح في ابطال قول المعتزلة اجاب الكعبي عنه بان تاويل قولهم
 ما شاء مما تاويل فعله لا مما هو فعل العباد كما قالوا الامر دلا امر الله ليرد ما امر به العباد ثم قال
 لا يتم ان يحصل في سلطانه ما لا يريد كما يحصل فيه ما نهى عنه واعلم ان الذي ذكر الكعبي
 من جوابا عن الاستدلال بل هو التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الارادة على الامر
 باطل لان هذا النص دال على انه لا يوجد الامار الله وليس في النصوص ما يدل على
 انه لا يدخل في الوجود الامار به فظهر الفرق واجاب القفال عنه بان قال هلا اذا دخلت
 بستانك قلت ما شاء الله كقول الانسان هذه الاشياء الموجودة في هذا البستان ما شاء الله
 ومثله قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وهم ثلاثة وقوله وقولوا حطت اي قولوا هذه حطت
 واذا كان كذلك كان المراد من هذا الشئ الموجود في البستان شئ شاء الله تكوينه وعلى
 هذا التقدير لم يلزم ان يقال كل ما شاء الله وقع لان هذا الحكم غير عام في الكل بل يخص
 بالاشياء المشاهدة في البستان وهذا التاويل الذي ذكره القفال احسن بكثير مما ذكره

كم والمراد بهم كل ما صمد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته (فدعوههم) أي نادوهم للاغاثته وفيه بيان لكمال اعتنائهم
 عائنهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم أن لا طريق الى المدافعة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم اذا ما كان لذلك وفي اراده
 مظهره تهكم بهم وايدان بأنهم في الجساسة بحيث لا يفهمونه الا بالصريح (وجعلنا بينهم) بين الداعين
 المدعون (موبقا)

اسم مكان ومصدر من ويق وبوقا كوثبوه وبالقوى ويق وبطامخ فرسا اذا هلك اي مهلكا يستغرق فيه وهو الباطل والويل
هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كافيا لافضك تافوا قيل البين الوصل أي وجعلنا توأما صلنا
في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز أن يكون المراد بالشر كمال الملائكة وعزير أو عيسى عليهم السلام ومرمى بالويل في البرزخ
البعيد أي جعلنا بينهم أمدابعا يهلك فيه الاشواط لفرط **﴿ ٧٢٠ ﴾** بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان

الجبائي والكسبي واقول انه على جوابه لا يدفع الاشكال عن المعتزلة لان عبارة ذلك
البيان بما حصلت بالصبوب والظلم الشديد فلا يصح ايضا على قول المعتزلة ان يقال
هذا واقم بمشئته الله اللهم الآن نقول المراد ان هذه الثمار حصلت بمشيئة الله تعالى
الآن هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل (والكلام الثاني) الذي أمر المؤمن
الكافر بأن يقول هو قوله لا قوة الا بالله أي لا قوة لاحد على أمر من الامور الا باعانة الله
واقداره والمقصود انه قال المؤمن للكافر هلا قلت عند دخول جنتك الامر ماشاء الله
والكائن ما قدره الله اعترافا بانها وكل خبر فيها بمشيئة الله وفضله فان أمر هائده ان شاء
تركها وان شاء اخر بها وهلا قلت لا قوة الا بالله اقرارا بأن ما قوت به على عارتها وتدير
أمر هافهو بمعونة الله وتأييده لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله ثم ان المؤمن
لما علم الكافر الايمان أجابه عن افتخاره بالمال والفرق قال ان ترى أنا أقل منك مالا وولدا
من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا وأقل مفعولا تابيا ومن قرأ أقل بالرفع جعل قوله
أنا مبتدأ وقوله أقل خبره والجملة مفعولا تابيا لترى واعلم ان ذكر الولد ههنا يدل على
ان المراد بالانفر المذكور في قوله وأعز نفرا الاعوان والاولاد كأنه يقول له ان كنت ترى
أقل مالا وولدا وأنصارا في الدنيا الغانية ففسر ربي أن يؤتى خبرا من جنتك اما في الدنيا
واما في الآخرة ويرسل على جنتك حسابا من السماء أي عذابا وتخريبا والحسبان
مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم
بتخريبها قال الزجاج عذاب حسان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل
حسابا أي مراعى الواحد منها حسبانة وهي الصواعق فتصبح صعيدا زلقا أي فتصبح
جنتك أرضا ملساء لانبات فيها والصعيد وجه الارض زلقا أي تصبح بحيث تزلق الرجل
عليها زلقا ثم قال أو يصح ما وها غورا أي بغوص و يسفل في الارض فلن تستطيع له
طلب أي فيصير بحيث لا تقدر على رده الى موضعه قال أهل اللغة في قوله ما وها غورا أي
غارا وهو نعت على لفظ المصدر كما يقال فلان زور وصوم لا واحد والجمع والمذكور والمؤنث
ويقال نساء نوح أي نوائح ثم أخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال واحيط
ببئر وهو عبارة عن اهلاكه بالكافة وأصله من احاطة العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه
واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاكه ومنه قوله الآن يحاط بكم ومثله قولهم أتى طلبة
اذا هلك من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم ثم قال تعالى فاصبح يقلب كفيه
وهو كناية عن الندم والحسرة فان من عظمت حسرته يصفق احدي يديه على الاخرى وقد
يمسح احدهما على الاخرى وانما فعل هذا ندامة على ما نطق في الجنة التي وعظمه أخوه فيها
وعذله وهي خاوية على عروشها أي ساقطة على عروشها فيمكن أن يكون المراد بالعروش
عروش الكرم فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها ويمكن أن يراد من
العروش السقوف وهي سقطت على الجدران وحاصل الكلام ان هذه اللفظة كناية عن

(و رأى الجرمون النار)
وضع المظهر مقام المضمحل
تصريحاً بأجرهم
وذما لهم بذلك (فظنوا)
أي فابتغوا (أنهم)
مواقفوها) مخالطوها
واقعون فيها وأظنوا
وأوها من مكان بعيد أنهم
مواقفوها الساعة) ولم
يجدوا عنها مصرفا
انصرفا أو معدلا
ينصرفون اليه (أولقد
صرفنا) أي كررنا أو
ردنا على وجوه كثيرة
من النظم (في هذا القرآن
للناس) لمصلحتهم ومنفعتهم
(من كل مثل) من جلته
ما من من مثل الرجلين
ومثل الحياة الدنيا أو من
كل نوع من أنواع المعاني
البديعة الداعية الى
الايمان التي هي في الغربة
والحسن واستجلاب
النفس كالثل ليتلقوه
بالقول فلم يفعلوا (وكان
الانسان) بحسب جلته
(أكثر شئ جدلا) أي
أكثر الاشياء التي تأتي منها
الجدل وهو ههنا شدة

الخصومة بالباطل والمهارة من الجدل الذي هو القتل والمجادلة الملاواة لان كلاما من المجادلين يلتوى **﴿ ٧٢١ ﴾** بطلانها
على صاحبها واتصافه على التمييز والمعنى ان جدله أكثر من جدل كل مجادل (وما منع الناس) أي أهل مكة الذين حكيت
أباطيلهم (أن يؤمنوا) من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك (اذ جاءهم الهدى) أي القرآن العظيم

يهدي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له (ويستغفروا ربهم) عافط منهم من أنواع الذنوب التي من جلته
نادلتهم للحق بالباطل (الآن تأتيهم سنة الاولين) أي الاطلب اتيان سنتهم أو الانتظار اتيانها أو التقديره خذف
ضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال (أو يأتيهم العذاب) أي عذاب الآخرة (قبلا) أي أنواعا جمع
يل أو عيانا كافي قراءة قبلا ﴿ ٧٢١ ﴾ بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحين أي مستقبلا يقال لقيته قبلا

وقبلا وقبلًا وانتصابه
على الحالة من الضمير
أو العذاب والمعنى
ان ما تضمنه القرآن الكريم
من الامور المستوجبة
الايمان بحيث لو لم يكن
مثل هذه الحكمة القوية
لما اتمتم الناس من الايمان
وان كانوا مجبولين على
الجدل المفرط (وما ترسل
المرسلين) الى الامم
متبينين بحال من الاحوال
(الا) حال كونهم
(مبشرين) للمؤمنين
بالثواب (ومندرين)
للكفرة والعصاة بالعقاب
(ويجادل الذين كفروا
بالباطل) باقتراح
الآيات بعد ظهور
المجرات والسؤال
عن قصة أصحاب
الكهف ونحوها
تمت (ليردحضوا به)
أي بالجدال (الحق)
أي يبلوه عن مركزه
ويبطلوه من ادحاض
القدم وهو ازالها وهو
قولهم للرسول عليهم
الصلاة والسلام ما أنتم
الا بشر مثلكم ولو شاء الله

بطلانها وهلاكها ثم قال تعالى ويقول باليتنى لم أشرك بربى احدا والمعنى ان المؤمن لما قال
لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى احدا فهذا الكافر تذكر كلامه وقال باليتنى لم أشرك بربى
احدا فان قيل هذا الكلام يوهى انه انما هلك جنته بشؤم شركه وليس الامر كذلك لان
أنواع البلاء أكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحن ليووتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرهون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وأيضا فلما قال باليتنى
لم أشرك بربى احدا فقد تقدم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصير مؤمنا فلم قال
بعده ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا والجواب عن السؤال
الاول انه لما عظمت حسرته لاجل انه أنفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في كل
عمره عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية بقي الحرمان عن الدنيا والدين عليه فلهذا
السبب عظمت حسرته والجواب عن السؤال الثاني انه انما قدم على الشرك لاعتقاده
انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو انما رغب في التوحيد والرد
عن الشرك لاجل طلب الدنيا فلهذا السبب ما عاصر توحيدة متبولا عند الله ثم قال
تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وفيه بحثان (البحث الاول) قرأ حزة
والكسائي ولم يكن له فئة بالان قوله فئة جمع فذا تقدم على الكناية جاز الشذ كبير ولانه
رعاية للمعنى والباقيون بالان المقبوطة بالان من فوق لان الكناية عائدة الى اللفظة
وهي الفئة (البحث الثاني) المراد من قوله ينصرونه من دون الله هو انه ما حصلت له فئة
يقدرون على نصرة من دون الله أي هو الله تعالى وحده القادر على نصرة ولا يقدر
أحد غيره أن ينصره ثم قال تعالى هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقابا وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء في ثلاث مواضع من هذه الآية (اولها)
في لفظ الولاية في قراءة حمزة والكسائي بكسر الواو وفي قراءة الباقيين بالفتح وحكى عن
أبي عمرو بن العلاء انه قال كسر الواو الخن قال صاحب الكشف الولاية بالفتح النصرة
والولى وبالكسر السلطان والمملك (وثانيها) قرأ أبو عمرو والكسائي قوله الحق بالرفع
والنقد هنالك الولاية الحق لله وقرأ الباقيون بالجر صفذله (وثالثها) قرأ ابن كثير
وأبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر عقبا بضم اشاف وقرأ عاصم وحزة عقبا بفتح السين
القاف (المسئلة الثانية) هنالك الولاية لله وفيه وجوه (الاول) انه تعالى لما ذكر من قصة
الرجلين ما ذكر علمنا ان النصر والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر وعرفنا ان
الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقال هنالك الولاية لله الحق أي في مثل ذلك
الوقت وفي مثل ذلك المقام تكون الولاية لله بوالى أولياءه فيغلبهم على أعدائه ويفوز
أمر الكفار اليهم فقول هنالك اشارة الى الموضع والوقت الذي يريد الله اظهار كرامة
أولياءه واذلال أعدائه (والوجه الثاني) في التأويل أن يكون المعنى في مثل تلك الحالة

لا تزل ملائكة ونحوها ﴿ ٩١ ﴾ خا (واتخذوا آياتي التي تحرلها صم الجبال) أي أذكروهم من القوارع
الناعبة عليهم العقاب والاعذاب وأذارهم (هزوا) استهزوا وقرئ يسكون الزأى وهو ما يستهزأ به (ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه) وهو القرآن العظيم (فاعرض عنها) ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبب وان كان مدلوله

الوضعي في الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما
 حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذ هروا خارج عن الحد (ونسي ما قدمه يد
 أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جعلتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم تفكر في عاقبتها) انا جعلنا
 على قلوبهم اكنة (اغطية كثيرة جمع كنان وهو قليل) ٧٢٢ لا اعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوعون

الشديدة يتولى الله ويلجئ اليه كل محتاج مضطر يعني ان قوله باليتى لم أشرك بى أحد
 كلمة الجنى اليها ذلك الكافر فقال لها جزعاً ما ساقه اليه شؤم كفرة ولو لذلك لم يقلها (والوجه
 الثالث) المعنى هناك الولاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينقم لهم ويشفي
 صدورهم من أعدائهم يعني انه تعالى نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله في قوله
 فمضى ربي أن يؤتني خيراً من جنتك ويرسل عليهما حسباً نافعاً من السماء وبه ضده قوله هو خير
 ثواباً وخيراً عقبا أي لاوليائه (والوجه الرابع) ان قوله هناك إشارة الى الدار الآخرة أي
 في تلك الدار الآخرة الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله ثم قال تعالى هو خير ثواباً أي
 في الآخرة لمن آمن به والنجاء اليه وخير عقبا أي هو خير عاقبة لمن رجاه وعمل لوجهه
 وقد ذكرنا انه قرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلاهما يعني العاقبة قوله
 تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض
 فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقبلاً) اعلم ان المقصود اضرب مثلاً آخر
 يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين
 على قراء المؤمنين فقال واضرب لهم أي لهؤلاء الذين اقتحروا بأموالهم وأنصارهم على
 قراء المسلمين مثل الحياة الدنيا ثم ذكر المثل فقال كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
 الأرض وحينئذ يروى ذلك النبات ويهترز ويسخن منظره كما قال تعالى فاذا أنزلنا على الماء
 اهتزت وربت ثم اذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات وصار هشيماً وهو ثابت المتكسر
 المنفكت ومنه قوله هتفت أنفه وهتفت الرئيد وأنشد

عمر والذى هشم الرئيد لالهه ورجال مكة مسنون مخاف
 واذا صار النبات كذلك طهرته الرياح وذهبت تلك الاجزاء الى سائر الجوانب وكان الله
 على كل شيء مقبلاً كونه أولاً وتغيته وسطاً وباطاله آخراً وأحوال الدنيا أيضاً كذلك
 تظهر أولاً في غاية الحسن والاضارة ثم تترادف قليلاً قليلاً ثم تأخذ في الانحطاط الى أن تنتهي
 الى الهلاك والفتن ومثل هذا الشيء ليس تعالى أن يتسبح به والباء في قوله فاختلط به نبات
 الأرض فيه وجوه (الأول) التقدير فاختلط به من أنواع النبات بسائر الأنواع بسبب هذا
 الماء وذلك لان عند نزول المضر يقوى النبات ويختلط بعضه ببعض ويشبك بعضه
 ببعض وبصبر في المنظر في غاية الحسن والزينة (والثاني) فاختلط ذلك الماء بالنبات
 واختلط ذلك النبات بالماء حتى روى ورف رقيقاً وكان حق الانقراض على هذا التفسير
 فاختلط بنبات الأرض ووجد صحته ان كل مختلط من موصوف كل واحد منهما بصفة
 صاحبه قوله تعالى (المن والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند
 ربك ثواباً وخيراً أملاً) لما بين تعالى ان الدنيا سريرة الانقراض والانقضاء مشرفة على
 الزوال والوبار والفتن بين تعالى ان المال والبنين زينة الحياة الدنيا والمقصود ادخال
 هذا الجزء تحت ذلك الكل وسنعتقد منه قياس الانتاج وهو ان المال والبنون زينة

على قلوبهم (أن يفقهوه) مفعول لما دل عليه الكلام أي منعناهم أن يفقهوا على كنههم أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم) أي جعلنا فيها (وقرأ) ثقلاً يمنعهم من استماعه (وان تدعهم الى الهدى) فلن يهتدوا اذا أبدا) أي فلن يكون منهم اهتداء بالثبوت مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كأنه قال عليه الصلاة والسلام مالى لأدعوهم فقبل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الزاجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما أن افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه (وربك) مبتدأ وقوله تعالى (الغفور)

خبره وقوله تعالى (ذو الرحمة) أي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الحياة الرحمة للتنبية على كثرة الذنوب ولان المغفرة تركها ضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا ينالها من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود الاما ينالها وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية اولانه أهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان

بر العقوبة عنهم بعد استيحابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل (لو يؤاخذهم) اي لو يريد مؤاخذتهم (بما كسبوا)
 اعاصى التي من جعلتها ما حكي عنهم من مجادلته بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا
 لوبيقات (لجل لهم العذاب) لاستيحاب أعمالهم لذلك واشار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على
 يب والعقوبة ونحوهما الايدان * ٧٢٣ * بأن النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة

كايئني عنه تاليها واشار
 صيغة الاستقبال وان
 كان المعنى على المضى
 لافادة أن انتفاء تعجيل
 العذاب لهم بسبب
 استمرار عدم ارادة
 المؤاخذة فان المضارع
 الواقع موقع الماضي
 يفيد استمرار انتفاء
 الفعل في الماضي كما حقق
 في موضعه (بل لهم موعد)
 اسم زمان هو يوم بدر
 أو يوم القيامة والجملة
 معطوفة على مقدر كانه
 قيل لكنهم ليسوا
 بمؤاخذين بفترة (ان
 يجدوا) البتة (من دونه
 مؤثلا) منجى أو ملجأ يقال
 وأل أي نجاو وأل اليه
 أي لجأ اليه (وتلك القرى)
 أي قرى عاد وثمود
 وأضرابها وهي مبتدأ
 على تقدير المضاف أي
 وأهل تلك القرى خبره
 قوله تعالى (أهلكناهم)
 أو مفعول مضمر مفسر به
 (لما ظلموا) أي وقت ظلمهم
 كما فعلت قر يش بما حكي
 عنهم من القبايح وترك
 المفعول اما لتعميم الظلم

الحياة الدنيا وكل ما كان من زينة الدنيا فهو سرير الانقضاء والانقراض ينتج انتاجا
 يدعيها ان المال والبنين سريرة الانقضاء والانقراض ومن المقتضى البديهي ان ما كان
 كذلك فانه يقبح بالاعتقال أن يفخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له في نظره وزنا فهذا برهان
 باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بكثرة الاموال
 والاولاد ثم ذكر ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار من الاغنياء فقال
 والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا وتقرير هذا الدليل ان خيرات الدنيا
 تنقرض منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضى
 هذا معلوم بالضرورة لاسيما اذا ثبت ان خيرات الدنيا خسيسة حقيرة وان خيرات
 الآخرة عالية رفيعة لان خيرات الدنيا حسية وخيرات الآخرة عقلية والعقلية أشرف
 من الحسية بكثير بالدلائل المذكورة في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض
 في بيان ان الادراكات العقلية أفضل من الحسية واذا كان كذلك كان مجموع
 السعادات العقلية والحسية هي السعادات الاخرية فوجب أن تكون أفضل من
 لسعادات الحسية الدنيوية والله أعلم والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالا
 قيل انها قولنا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وللشيخ الغزالي رحمه الله
 في تفسير هذه الكلمات وجه لطيف فقال روى ان من قال سبحان الله حصل له من الثواب
 سبع مرات فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين
 فاذا قال والله أكبر صارت أربعين قال وتحقيق القول فيه ان أعظم مراتب الثواب هو
 الاستغراق في معرفة الله وفي محبة فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه سبحانه منزها عن
 كل ما لا ينبغي فحصل هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك والحمد لله
 فقد أقر بأن الحق سبحانه مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لافادة كل ما ينبغي
 ولا فاضة كل خير وبما فقد تضاعف درجات المعرفة فلا جرم قلنا تضاعف الثواب
 فاذا قال مع ذلك ولا اله الا الله فقد أقر بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي فهو المبدأ لكل
 ما ينبغي وليس في الوجود وجود هكذا الا الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة
 فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال والله أكبر معناه انه أكبر وأعظم من أن
 يصل العقل الى كنهه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة أربعة فلا جرم صارت
 درجات الثواب أربعة (والقول الثاني) ان الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس
 (والقول الثالث) انها الطيب من اقول كما قال تعالى وهدينا الى الطيب من القول
 (والقول الرابع) ان كل عمل وقول دعاء الى الاشتغال بمعرفة الله وبمحبة وخدمته فهو
 الباقيات الصالحات وكل عمل وقول دعاء الى الاشتغال باحوال الخلق فهو خارج عن
 ذلك وذلك ان كل ماسوى الحق سبحانه فهو فان لذاته هالك لذاته فكان الاشتغال به
 والالتفات اليه عملا باطلا وسعيًا ضائعًا اما الحق لذاته فهو الباقي لا يقبل الزوال لا جرم

أو تنزيهه منزلة اللازم أي لما فعلوا الظلم ولما أحرف كما قال ابن عصفور وما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت
 المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره (وجعلنا لهم ليلهم) أي عينا ليلهم (موعدا)
 أي وقتا معينا لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهدا على ما فعل بقر يش من تعيين الموعد ليشبهوا بذلك ولا يفتروا

بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام أى اهلاكمهم وبفتحهما (واذ قال موسى) نصب بانصهار فعل أى اذكروا قته
قوله عليه السلام (لغناه) وهو يوشع بن نون ابن افرام بن يوسف عليه السلام سمي قته اذ كان يخدمه وبقية وقيل كان
يتعلم منه و يسمى التليذ فتى وان كان شيخنا وعل المراد بتذكيره عقاب بيان أن لكل أمة موعدا تذكري ما في القصص
من موعود الملافة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة ﴿٧٢٤﴾ (لأبرح) من برح الناقص كزال أى لا يزال

كان الاستعانة بمعرفة الله ومحبته وطاعته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولا يفتنى ثم قال تعالى
خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا أى كل عمل أراده وجهه الله فلا شك أن ما يتعلق به من
الثواب وما يتعلق به من الآمال يكون خيرا وأفضل لان صاحب تلك الأعمال يؤمل
في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة قوله تعالى (و يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة
وحشراهم فلم تغادر منهم أحدا) وعرضوا على ربك صفات جنتهم ونارها خافناكم لأول مرة
يا زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا
ولا يظن ربك أحدا) اعلم أنه تعالى لما بين خسارة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال
القيامة فقال و يوم نسير الجبال والمقصود منه الرد على المشركين الذين افتخروا على فقراء
المسلمين بكثرة الأموال والاعوان واختلفوا في الانصاف لقوله و يوم نسير الجبال على
وجوه (أحدها) أنه يكون التقدير واذكر لهم يوم نسير الجبال عطفًا على قوله واضرب
لهم مثل الحياة الدنيا (الثاني) أنه يكون التقدير و يوم نسير الجبال حصل كذا وكذا يقال
لهم لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة لان القول مضمر في هذا الموضع فكان المعنى انه يقال
لهم هذا في هذا الموضع (الثالث) أن يكون التقدير خيرا أملا في يوم نسير الجبال والاول
أظهر اذا عرفت هذا فنقول انه ذكر في الآية من أحوال القيامة أنواعا (النوع الاول)
قوله و يوم نسير الجبال وفيه بختان (البحث الاول) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر
نسير على فعل مالم يسم فاعله الجبل بالرفع باستناد تسير اليه اعتبارا بقوله تعالى و اذا الجبال
سيرت و لياقون تسير باستناد فعل التسير الى نفسه الجبال بالنصب لكونه مفعول تسير
والمعنى نحن نفعل بها ذلك اعتبارا بقوله وحشراهم فلم تغادر منهم أحدا والمعنى واحد
لانها اذا سيرت تسيرها ليس الا الله سبحانه ونقل صاحب الكشف قراءة أخرى وهي
تسير الجبال باستناد تسير الى الجبال (البحث الثاني) قوله و يوم نسير الجبال ليس في لفظ
الآية ما يدل على انها الى أين تسير فيحتمل أن يقال انه تعالى يسيرها الى الموضع الذي
يريد ولما بين ذلك الموضع خلفه والحق ان المراد انه تعالى يسيرها الى العدم قوله تعالى
واستئذنتك عن الجبل قل ينسفها ربي نسفا فيزورها قلها صفتها لا ترى فيها عوجا
ولا أمتا وقوله واست الجبل يسا فكانت هباء منبثا (والنوع الثاني) من أحوال
القيامة قوله تعالى وترى الارض بارزة وفي تفسيره وجوه (أحدها) انه لم يبق على وجهها
شيء من العمارات ولا شيء من الجبال ولا شيء من الأشجار فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها
ما يستتبعها وهو المراد من قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا (وثانيها) ان المراد من كونها بارزة
انها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموقى المقبورين فيها فهي بارزة الجوف والبطن لحذف
ذكر الجوف ودليله قوله تعالى وأنت ما فيها وتحت وقوله وأخرجت الارض أنقالها
وقوله و يرزوا لله جميعا (وثالثها) ان وجوه الارض كانت مستورة بالجبال والبحار

أسير لحذف الخبر اعتمادا
على قرينة الحال اذا
كان ذلك عند التوجه
الى السفر واتكالا على
ما يقبله من قوله (حتى
أبلغ) فان ذلك غاية
تستدعى ذا غاية يؤدى
اليها ويجوز أن يكون
أصل الكلام لا يبرح
مسيرى حاصلًا حتى أبلغ
فيحذف المضاف ويقاد
المضاف اليه مقامه فينقل
الضمير البارز للمجرور المحل
مرفوعا مستكنًا والفعل
من صيغة التثنية الى
الشكلم ويجوز أن يكون
من برح انتم كزال يزول
أى لا تافرق ما أنا بصدد
حتى أبلغ (يجمع الجبرين
هو ملقى بحرق فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل
طلحة وقيل هما الكر
والرس بارمينية وقيل
افريقية وقرئ بكسر
الميم كشرق (أو ماضى
حقا) أسير ما ناطوبلا
أتيقن معه قوات المطلب
والحب الدهر أو ثمانون
سنة وكان منشا هذه
العزيزمة أن موسى

عليه السلام لما ظهر على مصر مع نبي اسرائيل واستقر واما بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر ﴿ فلما ﴾
قوم النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بدية رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فغضب
الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فأوحى اليه بل أعلم

منك عبدلي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام افر يذون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة
 في القرنين الاكبرين بقي الى أيام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكركني ولا ينساني
 قال فأى عبادك أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذي يتبع علم الناس الى علمه عسى
 ان يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ﴿ ٧٢٥ ﴾ ان كان في عبادك من هو أعلم مني فدعني عليه قال أعلم منك

الخضر قال أين أطلبه
 قال على ساحل البحر
 عند الصخرة قال يارب
 كيف لي به قال تأخذ
 حوتا في مكنث فحيثما
 فقدته فهو هناك فأخذ
 حوتا فجعله في مكنث فقال
 لقائه اذا فقدت الحوت
 فأخبرني فذهبا عيشان
 (فلما بلغا) الفاء فضيحة
 كما أشير اليه (مجمع بينهما)
 أي مجمع البحرين وبينهما
 ظرف أضيف اليه اتساعا
 أو بمعنى الوصل (نسيا
 حوتهما) الذي جعل
 فقدانه أمانة وجدان
 المطلوب أي نسيان فقد
 أمره وما يكون منه وقيل
 نسي يوشع أن يقدمه
 وموسى عليه السلام أن
 يأمره فيه بشئ روى
 أنهما لما بلغا مجمع البحرين
 وفيه الصخرة وعين
 الحياة التي لا يصيب
 ماؤها ميتة الا حيا وضعا
 رؤسهما على الصخرة
 فناما فلما أصاب الحوت
 برء الماء وروحه عاش
 وقد كانا كلامه وكان

قلما أفنى الله تعالى الجبال والبحار فقد برزت وجوه تلك البقاع بعد أن كانت مستورة
 (النوع الثالث) من أحوال القيامة قوله وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا والمعنى
 جمعناهم للحساب فلم تغادر منهم أحدا أي لم نترك من الاولين والآخرين أحدا الا
 وجمعناهم لذلك اليوم ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والآخرين لجموعون الى ميقات
 يوم معلوم ومعنى لم تغادر لم نترك يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء ومنه
 الغدير لانه ما تركته السيول ومنه سميت صغيرة المرأة بالغدير لانهما يجتمعان خلفها ولما ذكر
 الله تعالى حشرنا الخلق ذكر كيفية عرضهم فقال وعرضوا على ربك صفوا وفيه مسئلتان
 (المسئلة الاولى) في تفسير الصف وجوه (أحدها) انه تعرض الخلق كلهم على الله صفا
 واحدا ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضا قال القفال ويشبه أن يكون الصف
 راجعا الى الظهور والبروز ومنه اشتق الصفصف للصحراء (وثانيها) لا بعد أن يكون
 الخلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضهم
 خلف بعض وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفا صفوفا كقوله يجر جكم طفلا أي
 أطفالا (وثالثها) صفا أي قياما كما قال تعالى فاذكروا اسم الله عليها صوافي قالوا قياما
 (المسئلة الثانية) قالت المشبهة قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انه تعالى
 يحضر في ذلك المكان وتعرض عليه أهل القيامة صفوا وكذلك قوله تعالى لقد جئتمونا بديل
 على انه تعالى يحضر في ذلك المكان وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي
 يسألهم فيه عن أعمالهم وبحسبهم عليها عرضا عليه لا على انه تعالى يحضر في مكان
 وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم ثم قال تعالى لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة
 وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه لانهم خلقوا صافرا واعقل لهم ولا تكليف
 عليهم بل المراد انه قال للبشر كين المنكرين للبعث المقتخرين في الدنيا على فقر المؤمنين
 بالاموال والانصار لئلا جئتمونا كما خلقناكم أول مرة عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان
 ونظيره قوله تعالى لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
 ظهوركم وقال تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لا تؤتينا مالا وولدنا الى قوله ورايتنا
 فرادى ثم قال تعالى بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أي كنتم مع التعزز على المؤمنين
 بالاموال والانصار وتكروا للبعث والقيامة فالآن قد تركتم الاموال والانصار
 في الدنيا وشاهدتم ان البعث والقيامة حق ثم قال تعالى ووضع الكتاب والمراد به وضع
 في هذا اليوم كتاب كل انسان في يده اما في اليمين أو في الشمال والمراد الجنس وهو صحف
 الاعمال وترى المجرمين مشغفين مما فيه أي خائفين مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة
 وخائفين من ظهور ذلك لاهل الموقف فيفتضحون وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من
 الحق وخوف الفضيحة عند الخلق ويقولون يا ويلتنا نادون هلكتهم التي هلكوا خاصة
 من بين الهالكات مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وهي عبارة عن

لك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقبل توضع عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فوقع في الماء
 فأتخذ سبيله في البحر سريبا مسلكا كالسرب وهو النقي قيل أمسك الله عز وجل جريته الماء على الحوت فصار
 لطابق عليه مجزة موسى أو الخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان

لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق بالتخذ (فلما جاوزا) أي جمع البحرين الذي جعل موعد الملائقات قبل أدلجوا سائر الليلة والغدالي الظهر والتي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك (قال لغناء آتنا غدا لنا) أي ما نتعدي به وهو الحوت كما ينبي عنه الجواب (فقد لقينا من سفرنا هذا) إشارة إلى ما سارنا بعد مجاوزة الموعد (نصبا) تعبوا وعباءه قيل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للأمر ﴿ ٧٢٦ ﴾ بآتياء الغداء أما باعتبار أن النصب انما يعترى

بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وأما باعتبار ما في أثناء التعدي من استراحة (ما قال) أي فتاه عليه السلام (أرأيت إذا ونا إلى الصخرة) أي التجاننا إليها وقتنا عندها وذكر الإواء اليهام أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحائمة إليه ولتهد العذر فإن الإواء إليها والنوم عندهما مما يؤدي إلى التسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من التسيان مع كون مشاهدته من العظام التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم

الاحاطة بمعنى لا يترك شيئا من المعاصي سواء كانت صغيرة أو كبيرة الا وهي مذكورة في هذا الكتاب ونظيره قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وادخلناه التائيد في الصغيرة والكبيرة على تقدير ان المراد الفعلية الصغيرة والكبيرة الا احصاها الا ضبطها وحصرها قال بعض العلماء ضجوا من الصغار قبل الكبار لان تلك الصغار هي التي جرتهم الى الكبار فاحتزوا من الصغار جدا ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا لا يظلم بك أحدا معناه انه لا يكتب عليه ما لم يفعل ولا يزيد في عقابه المستحق ولا يعذب أحدنا بجرم غيره بقي في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال الجبائي هذه الآية تدل على فساد قول المجبر في مسائل (أحدها) انه لو عذب عباده من غير فعل صدر منهم لكان ظالما (وثانيها) انه لا يعذب الاطفال بغير ذنب (وثالثها) بطلان قواهم أن الله يفعل ما يشاء ويعذب على غير جرم لان الخلق خلقه اذ لو كان كذلك لما كان لبي الظلم عنده معنى لان بتقدير ان اذا فعل أي شيء أراد لم يكن ظالما منه لم يكن لظلمه انه لا يظلم فائدة فيقال له (أما الجواب) عن الاولين فهو المعارضه بالعلم والداعي وأما الجواب عن هذا الثالث فهو انه تعالى قال ما كان لله أن يتخذ من ولد ولم يدل هذا على أن اخذ الولد صحيح عليه فكذلك ههنا (المسئلة الثانية) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب الناس في القيامة على ثلاثة يوسف * وأيوب * وسليمان * فيدعو بالملوك ويقول له ما شئتك عني فيقول جعلتني عبد اللادعي فلم تفرغني فيدعو يوسف عليه السلام ويقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعك ذلك عن عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يدعو بالمبتلى فاذا قال شغلتنى بالبلاء دعا بأيوب عليه السلام فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلالك فلم يمنعك ذلك عن عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يوثق بالملك في الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى وأسعة فيقول ما ذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلتنى الملك عن ذلك فيدعي سليمان عليه السلام فيقول هذا عبيدي سليمان آتيتك أكثر مما آتيتك فلم يرسله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويؤمر به الى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يزول قدم العبد يوم القيامة حتى يستل عن أربع عن جسده فيم أبله وعن عمره فيم أفتاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن عمله كيف عمل به (المسئلة الثالثة) دلت الآية على اثبات صغار وكبار في الذنوب وهذا متفق عليه بين المسلمين الا أنهم اختلفوا في تفسيره فقالت المعتزلة الكبيرة ما يزيد عقابه على ثواب فاعله والصغيرة ما ينقص عقابه عن ثواب فاعله واعلم أن هذا الحد انما يصح لو ثبت ان الفعل يوجب ثوابا وعقابا وذلك عندنا باطل أوجه كثيرة ذكرناها في سورة البقرة في ابطال القول بالاجباط والتكفير بل الحق عندنا ان الطاعات محصورة في نوعين العظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فكل ما كان أقوى في كونه جهلا بالله كان أعظم في كونه كبيرة وكل ما كان أقوى في كونه اضرا بالغير كان أكثر في كونه

اصحابه اذا نابه خطب أرايت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه ﴿ ذنبا ﴾ لاستخاره عن ذلك كما قيل والمعول بمخدوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل (فأني نسيت الحوت) وفيه تأكيد للتعجب وزينة لاستعظام المنسى وإيقاع التسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء

مع انه الامور باتيانها للنبيه من اول الامر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهد له ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيات مع زيادة أي نسبت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الامور الجحيمية (وما أنسانيه الا الشيطان) بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى (أن أذكره) يدل اشتغال من الضمير أي ما أنساني ﴿٧٢٧﴾ أن أذكر لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت أولوا بذكره

ثانيا على طريق الابدال
المنبي عن تحية المبدل
منه اشارة الى أن متعلق
النسيان أيضا ليس نفس
الحوت بل ذكر أمره
وقرى أن أذكره وياشار
أن أذكره على المصدر
للبالغة فان مدلوله نفس
الحدث عند وقوعه
والحال وان كانت غريبة
لا يعهد نسيانها لكنه
لما تعود بمشاهدة أمثالها
عند موسى عليه السلام
وألفها قل اهتمامه
بالمحافظة عليها (واتخذ
سبيله في البحر عجبا)
بيان لطرف من أمر
الحوت منبي عن طرف
آخر منه وما بينهما
اعتراض قدم عليه
الاعتناء بالاعتذار كانه
قبل حبي واضطرب ووقع
في البحر واتخذ سبيله فيه
سبيلا عجبا فمجا ثانيا
مفعول اتخذ والطرف
حال من أولهما وثانيهما
أوهو المفعول الثاني
وعجبا صفة مصدر
مخوف أي اتخذ عجبا
وهو كون مسلكه

ذنباً ومعضبة فهذا هو المضبط * قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا)
الا بليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم
عدو ولس للظالمين بدلا ما شهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذ المضلين عضدا يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوههم فلم يستجيبوا لهم
وجعلنا بينهم ومواقرواى المجرمون النار فظنوا أنهم موافعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الرد على القوم
الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية المقصود من ذكرها
عين هذا المعنى وذلك لان ابليس اتما تكبر على آدم لانه افتخر بأصله ونسبه وقال خلقتني
من نار وخلقته من طين فأنما أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد وكيف أتواضع
راجعاء المشركون عالموا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا كيف نجلس مع هؤلاء
انظرأ مع أنما من أنساب شريفة وهم من أنساب نازلة ونحن أغنياء وهم فقراء فآله
تعالى ذكر هذه القصة ههنا تنبيه على أن هذه الطريقة هي بعينها طريفة ابليس ثم انه
تعالى حذر عنها وعن الاقتداء بها في قوله افتخذونه وذريته أولياء فهذا هو وجه النظم
وهو حسن متبروذ كرقاضى وجهها آخر فقال انه تعالى لما ذكر من قبل أمر القيامة
وما يجرى عند الحشر ووضع الكتاب وكان تعالى يريد أن يذكر ههنا انه ينادى المشركين
ويقول لهم أين شركائي الذين زعمتم وكان قد علم تعالى ان ابليس هو الذى يحمل الانسان
على إثبات هؤلاء الشركاء لاجرم قدم قصته في هذه الآية اتما لذلك الغرض ثم قال
قاضى وهذه القصة وان كان تعالى قد كررها في سور كثيرة الا ان في كل موضع منها فائدة
بجددة (المسئلة الثانية) انه تعالى بين في هذه الآية ان ابليس كان من الجن وللناس
في هذه المسئلة ثلاثة أقوال (الاول) انه من الملائكة وكونه من الملائكة لا ينافي كونه
من الجن ولهم فيه وجوه (الاول) ان قبيلة من الملائكة يسمى بكونه بذلك لقوله تعالى وجعلوا
بنه وبين الجنة نسبا وجعلوا لله شركاء الجن (والثاني) ان الجن سموا جنة للاستتار
الملائكة كذلك فهم داخلون في الجن (الثالث) انه كان خازن الجنة ونسب الى الجنة
أقوالهم كوفي وبصري وعن سعيد بن جبير انه كان من الجنان الذين يعملون في الجنان
حتى من الملائكة يصوغون حلية أهل الجنة مذخلوا رواء القاضى في تفسيره عن هشام
عن سعيد بن جبير (واقول الثاني) انه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقتوا
من نار وهو أبوههم (واقول الثالث) قول من قال كان من الملائكة فمسخ وغير وهذه
المسئلة قد أحكمناها في سورة البقرة وأصل ما يدل على أنه ليس من الملائكة أنه تعالى
أثبت له ذرية ونسلا في هذه الآية وهو قوله افتخذونه وذريته أولياء من دوني
والملائكة ليس لهم ذرية ولا نسل فوجب أن لا يكون ابليس من الملائكة بقى أن يقال
ان الله تعالى أمر الملائكة بالسجود فلم يكن ابليس من الملائكة فكيف تناوله ذلك

اطباق والسرب أو مصدر فعل مخدوف أي أعجب منه عجباً وقد قيل انه من كلام موسى عليه الصلاة والسلام وليس بذلك
ال (أي موسى عليه الصلاة والسلام) (ذلك) الذى ذكرت من أمر الحوت (ما كنا نبلغ) وقرى بأثبات الباء والضمة العائد
بالموصول مخدوف أصله نبيه أي نطلبه لكونه أمانة لاغوز بالمرام (فارتدا) أي رجعا (على آثارهما) طريقهما الذى
آمنه (قصصا)

يقصان قصصا الى ينبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الضهرة (فوجد عبدنا من عبدنا) التشكير للنفي والاضافة
للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليان ملكان وقيل السبع وقيل الياس عليهم الصلاة والسلام (آتينا رجا
من عندنا) هي الوحي والنبوة كما يشعر به تشكير الرحمة واختصاصها بجانب التشكير به (وعلمنا من لدنا علما) خاصا لا يكتسب
كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب (قال له موسى) استئناف ﴿ ٧٢٨ ﴾ حتى على سؤال نشأ من السباق كأنه

قيل فإذا جرى بينهما
من الكلام فقبل قال له
موسى (هل أتبعك على
أن تعالني) استئنافا منه
في اتباعه له على وجه
العلم (ما علمت رشدنا)
أي علما إذا رشد أورشده
في ديني والرشد اصابة
الخبر وقرئ بفتحين
وهو مفعول تعلم ومفعول
علمت محذوف وكلاهما
منقول من علم التعمدي
الى المفعول واحد ويجوز
كونه عللة لاتبعت أو
مصدر اياضمار فعله ولا
يتناقض نيوته وكونه صاحب
شريعة أن يعلم من نبي
آخر ما لا يتعلق له بأحكام
شريعته من أسرار العلوم
الخفية وقد راعى في سوق
الكلام غاية التواضع
معه عليهما السلام
(قال) أي الخضر (أنك
أن تستطيع معي صبرا)
نفي عنه استطاعة الصبر
معه على وجه التأكيد
كأنه مما لا يصح ولا يستقيم
وعلله بقوله (وكيف
تصبر على ما لم يحط به
خبرا) ايذانا بأنه يتولى

الامر وأيضاً لو لم يكن من الملائكة فكيف يصح استنشاؤه منهم وقد أجبنا عن كل ذلك
بالاستقصاء ثم قال تعالى ففسق عن أمر ربه وفي ظاهره اشكال لان الفاسق لا يفسق عن
أمر ربه فلهذا السبب ذكروا فيه وجوها (الاول) قال الفراء ففسق عن أمر ربه
أي خرج عن طاعته وانعرب تقول فسقت الرطبة من قشرها أي خرجت وسميت الفارة
فويستق الخروجها من جحرها من البابين وقال رؤبة
يهون في نجد وغور غاراً * فواسقاً عن قصدها جواراً

(الثاني) حكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه قال لما أمر فقصي كان سبب فسقه هو ذلك
الامر والمعنى انه لو لا ذلك الامر السابق لما حصل الفسق فاجل هذا المعنى حسن أن
يقال فسق عن أمر ربه (الثالث) قال فطرب فسق عن أمر ربه رده كقوله واسئل القرين
واسئل العير قال تعالى أفتتحذرونه وذريت أولياء من دوني وهم لكم عدو وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) المقصود من هذا الكلام ان ابليس تشكير على آدم وترفع عليه المادعي
ان اصله أشرف من أصل آدم فوجب أن يكون هو أشرف من آدم فكانه تعالى قال
لا وليك الكافرين الذين افتخروا على فقراء المسلمين بنسبهم وعلو مناصبهم انك
في هذا القول فتدبرتم بابلئس في تشكيره على آدم فلما علمتم ان ابليس عدو لكم فكيف
تقدرون به في هذه الطريقة المذمومة وهذا هو تقرير الكلام فان قيل ان هذا الكلام
لا يتم الا بآيات مقدمات (فأونها) اثبات ابليس (وثانيها) اثبات ذرية ابليس (وثالثها)
اثبات عداوة بين ابليس وذريته وبين أولاد آدم (ورابعها) ان هذا القول الذي قال
أولئك الكفار اقتدوا فيه بابلئس وكل هذه المقدمات الأربع لا سبيل الى اثباتها
الا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فجاهل يصدق انبي جاهل بها اذا عرفت هذا فافهم
المخاطبون بهذه الآيات هل عرفوا كون محمد نبيا صادقا أو ما عرفوا ذلك فان عرفت
كونه نبيا صادقا قبلوا قوله في كل ما يقوله فكما نهاهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم
قول الله وعنده حينئذ فلا حاجة الى قصة ابليس وان لم يعرفوا كونه نبيا جاهلوا كل هذا
المقدمات الأربع ولم يعرفوها فحينئذ لا يكون في إيرادها عليهم فائدة والجواب
المشركين كانوا قد سمعوا قصة ابليس وآدم من أهل الكتاب واعتقدوا صحتها وعلموا
ان ابليس انما تشكير على آدم بسبب نسبه فذا أوردنا عليهم هذه القصة كان ذلك زاجرا لهم
عما أظهروه مع فقراء المسلمين من التكبر والترفع (المسئلة الثانية) قال الجبائي في هذا
الآية دالة على أنه تعالى لا يربد الكفر ولا يخلف في العباد أو اراده وخلقه فيه ثم عاقبه
عليه لكان ضرر ابليس أقل من ضرر الله عليهم فكيف يؤنبهم بقوله بنس لظالمين
بدلا تعالى الله عنه علموا كبير ابل على هذا المذهب لا ضرر البتة من ابليس بل الضرر كله
من الله والجواب المعارضة بالداعي والعلم (المسئلة الثالثة) انما قال للكفار المفخخرون
بأنسابهم وأموالهم على فقراء المسلمين أفتتحذرون ابليس وذريته أولياء من دون الله لا

أمور اخفية المداير منكرا الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتألك أن يشتر عند (الداعي)
مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لآتله وأنت على علم من علم
عليك الله لأعلمه وخبراً تميز أي لم يحط به خبرك (قال) موسى عليه الصلاة والسلام (سجدني)

فلا يصبر (ولا أحسن لك أمراً) عطف على صابر أي سجدني صابراً وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة
 ليس في الوجدان نفس الصبر ترك الضيق أو على سجدني فلا يحمل له من الاعراب والاول هو الاول لما عرفته ولظهور
 عليه الاستئناس حينئذ وفيه دليل على أن أوامراً ٧٢٩ ﴿ العباد بحسنة الله سبحانه وتعالى (قال فان اتبعني) أذن له

في الاتباع بعد التيسار
 والتي والفساء لتفريع
 الشرطية على ما مر من
 التزام موسى عليه الصلاة
 والسلام للصبر والطاعة
 (فلا تسألني عن شيء)
 تشاهده من أفعالي أي
 لا تتأخذي بالسؤال عن
 حكمته فضلاً عن
 المناقشة والاعتراض
 (حتى أحدث لك منه
 ذكراً) أي حتى أبتدئ
 ببيانته وفيه إيذان
 بأن كل ما صدر عنه فله
 حكمة وغاية جيدة البتة
 وهذا من أدب التعلم مع
 العالم والتابع مع المتبوع
 وقرئ فلا تسألني بالتون
 المثقلة (فانطلقا) أي
 موسى وانحضر عليهما
 الصلاة والسلام على
 الساحل بطلبان السفينة
 وأما يوشع فقد صرفه
 موسى عليه الصلاة
 والسلام إلى بني إسرائيل
 قبل انهما امر السفينة
 فكلما أهلها ففرقوا
 انحضر فعملوا ما به غير
 نول (حتى اذار كبا في
 السفينة) استعمال
 الركوب في أمثال هذه

الداعي لهم إلى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الخوة واطهار العجب فهذا يدل على
 أن كل من أقدم على عمل أو قول بناء على هذا الداعي فهو متبع لابليس حتى أن من كان
 قرضه في اظهار العلم والمناظرة التفاهر والتكبر والترفع فهو مقتد بابليس وهو مقام
 صعب فخرق فيه أكثر الخلق فتنال الله الخلاص منه ثم قال تعالى ينس للظالمين بدلا أي
 ينس البديل من الله ابليس لمن استبدله به فاطاعه بدل طاعته ثم قال ما أشهدتهم خلق
 السموات والارض ولا خلق أنفسهم وفيه مستثنان (المسئلة الاولى) اختلفوا في
 أن الضمير في قوله ما أشهدتهم إلى من يعود فيه وجوه (أحدها) وهو الذي ذهب إليه
 الأكثر أن المعنى ما أشهدت الذين اتخذتهم أولياء خلق السموات والارض
 لا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله اقلوا أنفسكم يعني ما أشهدتهم لأعضدهم والدليل
 عليه قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا أي وما كنت متخذهم فوضع الظاهر موضع المضمر
 لانا لاضلالهم وقوله عضدا أي أعوانا (وثانيها) وهو أقرب عندي أن الضمير طائفة
 الكفار الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إن لم تطرد من مجلسك هؤلاء الفقراء لنؤمن
 بك فكانت تعال قال إن هؤلاء الذين أتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنّت الباطل ما كانوا
 ليركأوا في تدبير العالم بدليل قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
 أنفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسار الخلق فلم أقدموا على
 هذا الاقتراح الفاسد ونظيره أن من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست
 سلطان البلد ولا ذريرة المملكة حتى تقبل منك هذه الاقتراحات الهائلة فلم تقدم عليها
 الذي يؤكدها أن الضمير يجب عودته إلى أقرب المذكورات وفي هذه الآية المذكورة
 لأقرب هو ذكر أولئك الكفار وهو قوله تعالى ينس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك
 الكفار (وثالثها) أن يكون المراد من قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
 أنفسهم كون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال السعادة
 والشقاوة فكانت قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته في الازل والشقي من حكم الله
 بطاقوته في الازل وأنتم غافلون عن أحوال الازل كأنه تعالى قال ما أشهدتهم خلق
 سموات والارض ولا خلق أنفسهم وإذا جهلتم هذه الحالة فكيف يمكنكم أن تحكموا
 أنفسكم بالرفعة والعلو والكمال وغيركم بالدناءة والذل بل بما صار الامر في الدنيا والآخرة
 إلى العكس فيما حكمتم به (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشف قرئ وما كنت بالفتح
 خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن
 تتربهم وقرأ على رضوان الله عليه متخذ المضلين بالتوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا
 تكون الضاد وتقل ضمتها إلى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضم
 عضد ابفتحين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا قواه وأعانه
 أعلم أنه تعالى لما قرأ أن القول الذي قالوه في الاختيار على الفقراء اقتداء بابليس عاد

واقع بكافة في مع تجربته عنها ٩٢ ﴿ خا في مثل قوله عز وجل اتركوها وزينة علما يقتضيه تعدية
 نسه لما أشرنا إليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قبل من أن في ركوبها معنى الدخول (خرقها) قيل خرقتها
 بما لججوا حيث أخذوا فأساقفهم من ألواحها الوحين بمابلي الماء فعند ذلك

(قال) موسى عليه السلام (أخرفتم عرقي أهلها) من الأعراف وقرى بالشديد من التعريف
(لقد جئت) أتيت وفعلت (شيثا امرأ) أي عظيما هائلا من أمر الامر اذا عظم قبل الاصل امر افخفف (قال) أي الخضر
عليه السلام (ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا) تذكيرا لما قاله مناسبا له واقوله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار
عدم الوفاء بوعده (قال لا توأخذني بما نسيت) بنسياني أو بالذي نسيت ٧٣٠ * نسيتته أو بشي نسيتته وهو وصيته بأن لا يسأ

بعده الى التحويل باحوال يوم القيامة فقال ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه
أبحاث (البحث الاول) قرأ حزة نقول بالنون عطف على قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم وأولياء من دونه وما أشهدتهم خلق السموات والارض وما كنت متخذ المضلين
عضدا والباقيون فروا بالباء (البحث الثاني) واذ كر يوم نقول عطف على قوله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا (البحث الثالث) المعنى واذ كر لهم يا محمد أحوالهم وأحوال اللهتهم يوم
القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائي أي ادعوا من زعمتم انهم شركاء في حيث أهلتوهم
للعباداة ادعواهم بشفعوا لكم وينصروكم والمراد بالشركاء الجن فدعواهم ولم يدكر تعالى
في هذه الآية انهم كيف دعوا الشركاء الا انه تعالى بين ذلك في آية أخرى وهو انهم قالوا انا
كنالكم تبعافهل أنتم مغنون عنا ثم قال تعالى فلم يستجيبوا لهم أي لم يجيبوهم الى مادعواهم
اليه ولم يدفعوا عنهم ضررا وما وصلوا اليهم نفعا ثم قال تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه
وجود (الاول) قال صاحب الكشاف الموبق المهلك من وبق يبق وبوقا وبقا اذا هلك
وأوبقه غيره فيجوز أن يكون مصدرا كالموارد والموعود وتقرر هذا الوجه أن يقال ار
هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة كالملائكة وعيسى دعوا هؤلاء
يستجيبوا لهم ثم حبل بينهم فأدخل الله تعالى هؤلاء المشركين جهنم وأدخل عيسى
الجنة وصار الملائكة الى حيث أراد الله من دار الكرامة وحصل بين أولئك الكف
وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموبق وهو ذلك الوادي في جهنم (الوج
الثاني) قال الحسن موبقا أي عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك ومنه قوله لا يكر
حبك كلفا ولا يفضك تلقا (الوجه الثالث) قال الفراء البين المواصل أي جعلنا مواصلين
في الدنيا هلا كافي يوم القيامة (الوجد الرابع) الموبق البرزخ العبد أي جعلنا بين هؤلاء
الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخا بعيدا هلك فيه السارى لقرط بعده لانهم في
قرع جهنم وهم في أعلى الجنان ثم قال تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوه
وفي هذا الظن قولان (الاول) ان الظن ههنا معنى العلم واليقين (والثاني) وهو الاقرار
ان المعنى ان هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون أنهم مواقعوها في
تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تغبطها وزفيرها كما قال اذا رأيتم
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله مواقعوها أي مخالطوها فان مخالطة الشيء
لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها واقعة ثم قال تعالى ولم يجحدوا عنها مصرفا أي لم يجحدوا
عن النار معدلا الى غيرها لان الملائكة تسوقهم اليها * قوله تعالى (واقصد صرفنا
في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيا جدلا وما منع الناس أن
يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتهم العذاب
قبلا وما ترسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به
الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) اعلم ان أولئك الكفرة لما افتخروا على فقراء المسلمين

عن حكمة ما صدر
عنه من الافعال الخفية
الاسباب قبل بيانه أراد
أنه نسي وصيته ولاموا اخذ
على الناسي كما ورد في صحيح
البخاري من أن الاول كان
من موسى نسيا أو اخرج
الكلام في معرض النهي
عن المؤاخذه بالنسيان
يوهمه انه قد نسي
ليسطعذره في الانكار
وهو من معار رضى
الكلام التي يتق بها
الكذب مع التوصل الى
الغرض أو أراد بالنسيان
الترك أي لا توأخذني بما
تركت من وصيتك أول
مرة (ولا ترهقني) أي
لا تعشى ولا تحملني (من
أمرى) وهو اتباعه اياه
(عسرا) أي لا تسمر
علمنا بعتك وبسرهما على
بالاغضاء وترك المناقشة
وقرى عسرا بضمين
(فاطلقا) الفاء فصيحة
أي فقبل عذره فخرجنا
من السينة فاطلقنا
احتج اذ القيا غلاما قتله
قبل كان الغلام يابب مع
الغلمان فقتل عنقه وقبل

ضرب رأسه الحائط وقبل أضخمه فذبحه بالسكين (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام (أقلت نفسا * بكثرة
زكية) طاهرة من الذنوب وقرى زكية (بغير نفس) أي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبح بالذكر من بيه
سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع

انظر الى حال السلام ولعل تغير النظم الحريم يجعل ماصدر عن الحضرة عليه الصلاة والسلام ههنا من جهة الشرط وابرار ماصدر عن موسى عليه الصلاة والسلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحق بذلك انما هو ماصدر عن الحضرة عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراق النفس الى ورود خبرها اقله وقوعها في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك * ٧٣١ * روعبت تلك الكفة في الشرطية الاولى لما ان صدور

الخوارق منه عليه الصلاة

والسلام خرج بوقوعه

مرة مخرج العادة فانصرفت

النفس عن ترقبه الى تقرب

احوال موسى عليه الصلاة

والسلام هل يحافظ

على مراعاة شرطه بموجب

وعده الاكيد عند مشاهدة

خارق آخر أو يسارع

الى المناقشة كما هو في المرة

الاولى فكان المقصود

افادة ماصدر عنه

عليه الصلاة والسلام

ففعّل ما فعله والله درشان

التزليل وأما ما قبل

من أن القتل أقبح

والاعتراض عليه أدخل

فكان جديرا بأن يجعل عمدة

في الكلام فليس من دفع

الشبهة في شيء بل هو

مؤيد لها فان كون القتل

أقبح من مبادئ قلة

صدوره عن المؤمن العاقل

وندرته وصول خبره الى

الاستماع وذلك مما يستدعي

جمعه ممتصدا بالذات

وكون الاعتراض عليه

ادخل من موجبات كثرة

صدوره عن كل عاقل

وذلك مما يقتضي جمعه

بكثرة أ. "هم واتباعهم وبين تعالى بالوجوه الكثيرة ان قولهم فاسد وشبهتهم باطلة وذكر فيه المثليين المتقدمين قال بعده ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وهو اشارة الى ماسبق والتصر يف يقتضي التكرار والامر كذلك لانه تعالى اجاب عن شبهتهم التي ذكروها من وجوه كثيرة ومع تلك الجوابات الشافية والامثلة المطابقة فهو لاء الكفار لا يتكون المجادلة الباطلة فقال وكان الانسان أكثر شئ جدلا أي أكثر الاشياء التي يتأني منها الجدل وانتصاب قوله جدلا على التمييز قال بعض المحققين والآية دالة على ان الانبياء عليهم السلام جادلوه في الدين حتى صاروا هم مجادلين لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ثم قال وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم وفيه بحثان (البحث الاول) قالت المعتزلة الآية دالة على انه لم يوجد ما يمنع من الاقدام على الايمان وذلك يدل على فساد قول من يقول انه حصل المانع قال أصحابنا العلم بأنه لا يؤمن مضاد لو جود الايمان فاذا كان ذلك العلم قائما كان المانع قائما وأيضا حصول الداعي الى الكفر قائم والا لما وجب لان الفعل الاختياري بدون الداعي محال ووجود الداعي الى الكفر مانع من حصول الايمان واذا ثبت هذا ظهر ان المراد مقدار الموانع المحسوسة (البحث الثاني) المعنى انه لما جاءهم الهدى وهو الدليل الدال على صحة الاسلام وثبت انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعتذار زائلة فلم لم يقدموا على الايمان ثم قال تعالى الا أن تأتيهم سنة الاولين وهو عذاب الاستئصال أو يأتيهم العذاب قبل ان يقرأ حجة وعاصم والكسائي قبل يضم القاف والباء جميعا وهو جمع قبيل بمعنى ضروب من العذاب تتواصل مع كونهم احياء وقيل مقابلة وعيانا والباقر قبل بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا أيضا وروى صاحب الكشف قبل بفتحين أي مستقبلا والمعنى انهم لا يقدمون على الايمان الا عند نزول عذاب الاستئصال فيهلكوا أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال بفنائهم في الحياة الدنيا واعلم انهم لا يقدمون على الايمان الاعلى هذين الشرطين لان العاقل لا يرضى بمحصل هذين الامرين الا ان حالهم شبه محال من وقف العمل على هذين الشرطين ثم بين تعالى انه انما ارسل الرسل مبشرين بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين مع هذه الاحوال انه يوجد من الكفار المجادلة بالباطل لغرض دحض الحق وهذا يدل على ان الانبياء كانوا يجادلونهم لما بينا ان المجادلة انما تحصل من الجانبين وبين تعالى أيضا انهم اتخذوا آيات الله وهي على علم آت واندازات الانبياء هزا وكل ذلك يدل على استيلاء الجهل والقسوة قال النحويون له وما نأندروا يجوز ان تكون موصولة ويكون العائد من الصلة متحذفا ويجوز قال في مصدرية بمعنى انذارهم * قوله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت بدها انا جفنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان

لك (لقد بحث شيئا نكرا) قبل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر أعظم من التكرار لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة (قال ألم أقل لك انك لن تستطع معي صبرا) زيدك لزيادة المكافأة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشتمال والاستنكار

في التكبر في المرة الثانية (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام (ان سا لك عن شيء بعدها) أي بعد هذه المرة (فلا تصاحبي) وقرئ من الافعال أي لا تجعلني صاحبك (قد بلغت من لدني عذرا) أي قد عذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفك ثلاث مرات * عن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه الله أخى موسى استحيا فقال ذلك لوليت مع صاحبه لا يبصر أعجب الاعاجيب وقرئ * ٧٣٢ * انني بخفيف النسوة وقرئ بسكون الدال

كعصف في عضد (فأنطلقا) حتى إذا أتيا أهل قرية (هي الطائفة قبل أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقبل هي بركة وقيل بلدة بأندلس * عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية ثلثا وقيل شرا قرى التي لا يضاف فيهما الضيف ولا يعرف لهن السبيل حقه وقوله تعالى (استطعما أهلها) في محل الجر على أنه صفة تقرر بقوله العذول عن استطعما هم على أن يكون صفة لاهل لزيادة تشبيههم على سوء صنيعهم فان الانعام من الضيافة وهم أهلها فالتنوين بها أفصح وأشنع روى أنها طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطمعوا بها واستضافهم (فابوا أن يضيّفوهما) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من التضافه يقال ضافه اذا كان لضيفا وضافه وضيفه أن له وجهه ضيفه وحينئذ ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الزورار

تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا بدوا وركب الغفور ذوارجة لو يؤخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل اهتمهم موعداً لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكتناهم لما طمؤنا وجعلنا لهم لكهم موعداً اعلم انه تعالى حكى عن الكفار جدالهم بالباطل وصفهم بعدهم بالصفات الموجبة للخراب والخذلان (الصفة الأولى) قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه أي لاظم اعظم من كفر من ترد عليه الآيات والبيّنات فيعرض عنها وينسى ما قدمت يده أي مع اعراضه عن التأمل في الدلائل والبيّنات ينسى ما قدمت يده من الأعمال المنكرة والمذاهب الباطلة والمراد من النسيان التشتاغل والتعافل عن كفره المتقدم (الصفة الثانية) اناجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا بدوا وقدم تفسير هذه الآية على الاستقصاء في سورة الانعام والمجيب أن قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها وينسى ما قدمت يده متمسك بالقدرة وقوله اناجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الى آخر الآية متمسك بالجبرية ولما نجد في القرآن آية لاحدهما من الفريقين الا ومعها آية للفريق الآخر والتجربة تكشف عن صدق قولنا وما ذلك الا امتحان شديد من الله تعالى أتاه على عباده ليعبر العلماء الراسخون من المقلدين ثم قال تعالى وركب الغفور ذوارجة الغفور البليغ المغفرة وهو إشارة الى دفع المضار ذوارجة الموصوف بالرحمة وانما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة لاني الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار وهو تعالى قد ترك مضار لانها لا يملكها مع كونه قادرا عليها اما فعل الرحمة فهو متمناه لان ترك ما لا نهاية له ممكن اما فعل ما لا نهاية له محال ويمكن أن يقال المراد انه يغفر كثيرا لانه ذوارجة ولا حاجة به اليها فيهمها من المحتاجين كثيرا ثم استشهد بترك موأخذة أهل مكة عاجلا من غير انما لمع أفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل لهم موعد وهو ما يوم القيامة واما في الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح لن يجدوا من دونه موئلا شجرا لا ملجأ يقال وأل اذا لجأ ووال إليه اذا لجأ إليه ثم قال تعالى وتلك القرى يريد قرى الاولين من نود وقوم وطور غيرهم أشار اليها باعتبار ذلك مبتدا والقرى صفة لان أسماء الإشارة توسف باصناف الاجناس وأهلكتناهم خبر والمعنى وتلك أصحباب القرى أهلكتناهم لما طمؤنا مثل ظم أهل مكة وجعلنا لهم لكهم موعدا أي وضربنا لاهل مكهم وقتاه معلوما لئلا يأتوا من غيرهم كاضر بنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الالهلاك او وقد وقرئ لهم لكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعود وقت أو مصدر والمراد أناجعلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع أن نضرب له وقتا ليكونوا الى التوبة أقرب * قوله تعالى (واذ قال موسى لآبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو امضي أن حقا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاؤا قال لقرى العذاب غدا نأخذ لقيتنا من سفرنا هذا نصيبا قال أرأيت اذا دأبنا الى الصخرة فاني نسيت دحضوا به وما أناسيه الا الشيطان أن ذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كتبني فارتد المسلمين

(فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض) أي يداني أن يسقط فاستعبرت الارادة للمشاركة * آثارهما * * * للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من النقض يقال قضضت فأنقض ومنه بين انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هوا فعسلال من النقض كاجر من الجرمة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقض

من انقضت السن اذا انشئت طولا (فاقامه) قبل مسجده بيده فقام وقبل نفضه و بناه وقبل اقامه بعمود عمده به قيل كان مسجده مائة زراع (قال اوشنت لا تختذ عليه اجرا) تحر بضاله على أخذ الجمل ليتشابه أو تعبر بضابانه فضول لما في اومن النبي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يملك الصبر واتخذ الفعل من تخذه بمعنى أخذ كاتب من تبع وليس من الاخذ عند البصريين ﴿ ٧٣٣ ﴾ وقرئ لا تختذ أى لا أخذت وقرئ بأه غام الذال فى التاء (قال)

أى الحضرة عليه الصلاة والسلام (هذا فراق بيني وبينك) على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه امانفس الفراق كإني هذا أخوك والوقت الحاضر أى هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك أو السؤال الثالث أى هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود (سأنبئك) السنين للتأكيده لعدم تراخي التنبئة (بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) التأويل رجع الشئ الى مآله والمراد به ههنا المال والعاقبة اذ هو المتبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية و خلاص ابوى الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج التاييمين للكثر وفى جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون

آثارهما قصصا) اعلم ان هذا ابتداء قصة الثالثة ذكرها الله تعالى فى هذه السورة وهى ان موسى عليه السلام ذهب الى الحضرة عليه السلام ليتعلم منه العلم وهذا وان كان كلاما مستقلا فى نفسه الا انه يعين على ماهو المقصود فى القصتين السابقتين امانفع هذه القصة فى الزد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام فى حقه ذهب الى الحضرة لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على ان التواضع خير من التكبر واما نفع هذه القصة فى قصة أصحاب الكهف فهو ان اليهود قالوا للكفار مكذبان خبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي والا فلا وهذا ليس بشئ لانه لا يلزم من كونه نبيا من عند الله تعالى أن يكون عالما بجميع القصص والوقائع كان كون موسى عليه السلام نبيا صادقا من عند الله لم يمنع من امر الله اياه بان يذهب الى الحضرة ليتعلم منه فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ومع ذلك فهى نافعة فى تقرير المقصود فى القصتين المتقدمتين (المسئلة الثانية) أكثر العلماء على ان موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب المعجرات الظاهرة وصاحب النوراة وعن سعيد بن جبيرة انه قال لابن عباس ان نوحا ابن امرأه كعب يزعم ان الحضرة ليس صاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشاب بن يوسف بن يعقوب وقيل هو كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واعلم انه كان ليوسف عليه السلام ولدان افرائيم وميشافولدا فرائيم نون وولد نون يوشع بن نون وهو صاحب موسى وولى عهده بعد وفاته وأما ولد ميشافيل انه سمعته النبوة قبل موسى بن عمران ويزعم أهل التوراة انه هو الذى طاب هذا العلم ليتعلم والحضرة هو الذى خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار وموسى بن ميشامعه هذا هو قول جمهور اليهود وادخج القفال على صحة قولنا ان موسى لهذا هو صاحب التوراة قال ان الله تعالى ما ذكر موسى فى كتابه الا وأراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه واو كان المراد بشخص آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بنفسه بصفة توجب الامتياز وازالة الشبهة كانه لما كان المشهور فى العرف من أبى حنيفة رحمه الله هو الرجل المعين فلوزد كرنا هذا الاسم وارادنا به رجلا سواه لقيدناه مثل أن تقول قال أبو حنيفة الدينورى * وجهه الذين قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه تعالى بعد ان أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحج خصمه بالمعجرات القاهرة العظيمة التى لم يتفق مثلها لاكثر كابر الانبياء بعد أن بعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة وأجيب عنه بأنه لا بعد ان علمه الكامل فى أكثر العلوم فيجعل بعض الاشياء فيحتاج فى تعلمها الى من دونه وهذا أمر معلوم (المسئلة الثالثة) اختلفوا فى فنى موسى فلا كثرون على انه يوشع بن نون قال ابن عباس قال عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن الابنيرة عن ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فناء يوشع بن نون والقول

بتأويل ما قولت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعقاب بما السفينة التى خرقها (فكانت لساكنين) الضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت امرأة اخوة خمسة منهم زمنى وخسة (يعملون فى البحر) واستاد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق الغلب أولان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين (فأردت أن أعبد بها)

اي اجعلها ذات عيب (وكان وزاء هم ملك) أي امامهم وقد قري به أو خلفهم وكان رجوعهم عليه لاجل حاله واسم جلندي بن كركو قبل متولة بن جلندي الازدي (ياخذ كل سفينة) أي سالحة وقد قري كذلك (غصبا) من اصحابها وانتصابه على أنه صدر مبعين لنوع الاخذ والاعمال تفرع ارادة تعيب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع أن مدارها كلا الامرين الاعتناء بشأنها ذهبي الحاجة الى التأويل ٧٣٤ ولا يبدان بان الاقوى في المدارية

هو الامر الاول ولذلك لا يزال يتخلص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم أيضا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضيقها مع توهم رجوعه الى الاقرب (وأما الغلام) الذي قتلته (فكان أبواه مؤمنين) لم يصرح بكفرانه أو بكفره اشعار بعدم الحاجة الى الذكر اظهروه (فخشيئان) يرهنهما فحفظنا أن يغشى الوالدين المؤمنين (طفبانا) عليها (وكفرا) لثمنهما يعقوبه وسوء صنيعه ويلحق بهما سرو بلاء أو يقرن بينهما كما طفبانه وكفرا فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافران بعدد ما بذاته ويصلحها بضلاله فيرتد بسببه واما خشى الخضر عليه الصلاة والسلام منه ذلك لان الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعه على سر امره

الثاني ان فتى موسى أخو يوشع وكان مصاحبا لموسى عليه السلام في هذا السفر (والقول الثالث) روى عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله واذا قال موسى لأبرح قال يعني عبده قال القفال واللغة تحتل ذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولن احدكم عبدي وأمتي وليقل فتأى وفتأى وهذا يدل على انهم كانوا يسمون العبد فتى والامة فتاة (المسئلة الرابعة) قبل ان موسى عليه السلام لما أعطى الاواح وكلمه الله تعالى قال من الذي أفضل مني وأعلم فقبل عبده الله يسكن جزائر البحر وهو الخضر وفي رواية أخرى ان موسى عليه السلام لما أوتي من العلم ما أوتي ظن أنه لا أحد مثله فانه جبريل عليه السلام وهو بساحل البحر قال يا موسى انظر الى هذا الطير الصغير يهوى الى البحر يضرب بمنقاره فيه ثم يرتفع فانت فيما أوتيت من العلم دون قدر ما يحمل هذا الطير بمنقاره من البحر قال الاصوليون هذه الرواية ضعيفة لان الانبياء يجب أن يعلموا أن معلومات الله لانهاية لها وأن يعلموا أن معلومات الخلق يجب كونها متناهية وكل قدر متناه فان الزائد عليه يمكن فلا مرتبة من مراتب العلم الا فوفوها مرتبة ولهذا قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم واذا كانت هذه المقدمات معلومة فمن المستبعد جدا أن يقطع العاقل بأنه لا أحد أعلم مني لاسيما موسى عليه السلام مع علمه الوافر بحقائق الأشياء وشدة برأيه عن الاخلاق الذميمة كالعجب والتعجب والصف (والرواية الثالثة) قبل ان موسى عليه السلام سأل به أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك اقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يبيع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يتخى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال موسى عليه السلام ان كان في عبادك من هو أعلم مني فاد لي عليه فقال أعلم منك الخضر قال فأتين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكنيل فحيث فندته فهو هناك فقال لغناه اذا فندت الحوت فاخبرني فذهبنا يمسيان ورقدم موسى واضطرب الحوت وطفر الى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فرجع من ذلك الموضع الى الموضع الذي طفر الحوت فيه الى البحر فاذا رجل مسبح يثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأني بارضك السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم عني الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصافور فوقع على حرفها فقفز في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصافور من البحر أقول نسبة ذلك القدر القليل الذي أخذه ذلك العصافور من ذلك الماء الى كمية ماء البحر نسبة متناه الى متناه ونسبة معلوم بجميع المخلوقات الى معلومات الله تعالى نسبة متناه الى غير متناه فان احدي النسبتين من الاخرى وانما العباد بحقائق الامور وزجع الى التفسير ما قوله تعالى لأبرح قال الزجاج قوله لا أبرح حضوا به معناه لا أزل لانه لو كان كذلك لم يقطع أرضا أقول يمكن أن يجاب عنه بان

وقري فخاف بك أي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز أن تكون عن من بين القراء المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لأهباك (فاردنا ان يبدلها ربهما خيرا) منه بارز يزقهما بدله ولذا خيرا (منه) وفي النعوض اعنوان الر بويصة والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الحبيب اليهما (زكوة) طهارة من الذنوب

الإخلاص الرديئة (وأقرب رجا) أي رجة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيها هدى الله تعالى على
 يده أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدا لهما البناء من أمثالهما وقرى تبدلها بالتشديد وقرى رجا بضم
 الحاء أيضا واتصافه على التمييز مثل زكوة (وأما الجدار) اليهود (فكان للعالمين يتبين في المدينة) هي القرية المذكورة
 فمما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة ٧٣٥ لاظهار نوع اعتدادها باعتبار ما فيها من التبيين وأيهما الصالح قيل

اسماهما اصرم وصريم
 واسم المقتول جبسور
 (وكان تحته كنز لهما)
 من فضة وذهب كإروى
 مرفوعا والذم على
 كنزهما في قوله عز وجل
 والذين يكنزون الذهب
 والفضة لمن لا يؤدى
 زكاتها وسأرحقوهن
 وقيل كان لهما من ذهب
 مكتوبا فيه عجبت لمن
 يؤمن بانقدر كيف يحزن
 وعجبت لمن يؤمن بالرزق
 كيف يتعب وعجبت
 لمن يؤمن بالموت كيف
 يفرح وعجبت لمن يؤمن
 بالحساب كيف يغفل
 وعجبت لمن يعرف الدنيا
 وتقلبها بأهلها كيف
 يطعن اليها لا اله الا الله
 محمد رسول الله وقيل صحف
 فيها علم (وكان أبوهما
 صالحا) تنبيه على أن
 سعيه في ذلك كان
 لصلاحه قيل كان بينهما
 وبين الاب الذي حفظا
 فيه سبعة آيات (فاراد بك)
 أى مال لك ومدبر
 امورك ففى اضافة الرب
 الى ضمير موسى عليه

عن الشيء عبارة عن تركه والاعراض عنه يقال زال فلان عن طريقته في الجود أى تركها
 فقله لأبرح بمعنى لأزول عن السبر والذهاب بمعنى لأترك هذا العمل وهذا الفعل
 وأقول المشهور عند الجمهور ان قوله لأبرح معناه لأزول والعرب تقول لأبرح
 ولأزال ولأنتك ولأفأبغى واحد قال القفال وقالوا أصل قولهم لأبرح من البراح
 كما أن أصل لأزال من الزوال يقال زال يزول كما يقال دام يدام ويدوم ومات
 يموت ويموت الآن المستعمل في هذه اللفظة يزال فقله لأبرح أى أقيم لان البراح هو
 العدم فقله لأبرح يكون عدما لعدم فيكون نبونا فقله لأزال ولا أبرح يفيد الدوام
 والثبات على العمل فان قيل اذا كان قوله لأبرح بمعنى لأزال فلا بد من الخبر قلنا جذف
 الخبر لان الحال والكلام يدلان عليه أما الحال فلانها كانت حال سفرهما أما الكلام فلان
 قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى شيئا هو غايته فيكون المعنى لأبرح
 أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ويحتمل أن يكون المعنى لأبرح مما أنا عليه يعنى أترك المسير
 والطلب ولا أتركه حتى أبلغ كما تقول لأبرح المكان وأما مجمع البحرين فهو
 المكان الذى وعد فيه موسى بقاء الخضر عليهما السلام وهو ملقى بحرى فارس والروم
 مما إلى المشرق وقيل غيره وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح بالخبر
 التصحيح شئ فذلك هو الاول السكوت عنه ومن الناس من قال البحران موسى والخضر
 لانهما كانا بحرى العلم وقرى مجمع بكسر الميم ثم قال أو أمضى خفيا أى أسير زمانا طويلا
 وقيل الحقب ثمانون سنة وقد تكلمنا في هذا اللفظ في قوله تعالى لا تبين فيها أحقابا وحاصل
 الكلام ان الله عز وجل كان أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال
 موسى عليه السلام لا زال أمضى حتى يجمع البحران فيصير البحر واحداً وأمضى دهرها
 طويلا حتى أجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب
 الشديد والعناء العظيم في السفر لاجل طلب العلم وذلك تنبيه على ان المتعلم لو سافر من
 المشرق الى المغرب لطلب مسئلة واحدة لحق له ذلك ثم قال تعالى فلما بلغا مجمع بينهما
 والمعنى فانطلقا الى ان بلغا مجمع بينهما والضمير في قوله بينهما الى ماذا يعود فيه قولان
 (الاول) مجمع بينهما أى مجمع البحرين وهو كانه إشارة الى قول موسى لأبرح حتى أبلغ
 مجمع البحرين أى فحق ما قاله (والقول الثانى) ان المعنى فلما بلغا موضع الذى يجمع
 موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الموت هو
 الموضع الذى كان يسكنه الخضر أو يسكن بقر به لاجل هذا المعنى لما رجع موسى
 عليه السلام بعد أن ذكر الموت صار إليه وهو معنى حسن والمفسرون على القول الاول ثم قال
 ها يا حوتها وفيه مباحث (البحت الاول) الروايات تدل على انه تعالى بين ما موسى
 قال السلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين الا أنه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا
 الاب على مسكنه العين كنى يطلب انسانا فيقال له ان موضعه محلة كذا من الرى فاذا

السلام دون ضميرها تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب
 الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة (أن يلبغا أشدهما) أى حلها وما كمال رأيهما (ويستخرجا
 كنزهما) من تحت الجدار ولولا أى أفنه لانفض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتجنه
 مضاعفة الكلمة

(رحمة من ربك) مصدر في موقع الحال أي مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤن كذا إذا كان إرادة الخير رجة وقيل متعلق بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدها رجة من ربك ويعضده إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وجل (وما فعلته عن أمري) أي عن رأيي واجتهادي تأكيذا لذلك (ذاك) إشارة إلى العواقب المظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد لا يذيان ﴿٧٣٦﴾ يبعد درجتها في الفجامة

(تأويل ما لم تستطع) أي لم تستطع فحذف التأنيل للتحقيق (عليه صبرا) من الأمور التي رآته أي ماله وعاقبته فيكون انجاز التنبؤ الموعودة أو إلى البيان نفسه فيكون التأويل بمعنىا وعلى كل حال فهو فذلك لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مكرر للتكبر وتشديد العتاب (تنبيه) * اختلفوا في حياة الخضر عليه الصلاة والسلام فقيل أنه حي وسببه أنه كان على مقدم مذق القرنين فلما دخل الغلطات أصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها وأخطأ ذوالقرنين الطريق فعاد قالوا والبأس أيضا في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل أنه ميت لما روي أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى العشاء ذات ليلة ثم قال رأيتمكم أيتكم هذه فان رأس مائة

انتهيت إلى المحلة فسل فلان عن داره وأين مذهب بك فاتبه فالتك تصل اليه فكذا ههنا قبل له أن موضعه مجمع البحرين فاذا وصلت اليه رأيت الحوت انقلب حيا وطفرا إلى البحر فيحتمل أنه قيل له فهناك موضعه ويحتمل أنه قيل له فاذهب على موافقة ذهاب ذلك الحوت فالتك تجده اذا عرفت هذا فنقول أن موسى وقته لما بلغا مجمع بينهما طفرت السمكة إلى البحر وسارت وفي كيفية طفرها روايات أيضا قيل إن الفتى كان يغسل السمكة لأنها كانت مملحة فطفرت وسارت وقيل إن يوشع توصأ في ذلك المكان فأنضج الماء على الحوت المالح فعاش ووثب في الماء وقيل الفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين إلى السمكة فحييت وطفرت إلى البحر فهذا هو الكلام في صفة الحوت (البحث الثاني) المراد من قوله نسيان حوتهما أنهما نسيا كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول إلى المطلوب فإن قبل انقلب السمكة المألحة حية حالة عجيبة فلما جعل الله حصول هذه الحالة العجيبة دليلا على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذه المعنى أحاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات القاهرة من موسى عليه السلام كثيرا فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فيجاز حصول النسيان وعندي فيه جواب آخر وهو أن موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري تنبيه موسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل بالإتعليم الله وحفظه على القلب والناظر * أما قوله فاتخذ سبيله في البحر سربا فقيه وجوه (الاول) أن يكون التقدير سرب في البحر سربا بالإناء أقيم قوله فاتخذ مقام قوله سرب والسرب هو الذهاب ومنه قوله وسارب بالنهار (الثاني) أن الله تعالى أمسك اجراء الماء على البحر وجعله كالطاق والكوة حتى سري الحوت فيه فلما جاوز أي موسى وقته الموعود العين وهو الوصول إلى الصخرة بسبب النسيان المذكور وذهبا كثيرا وتعبا وجاعا قال موسى لغته أنا غدا أنا قد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال الفتى رأيت أذا وينا إلى الصخرة الهمزة في رأيت همزة الاستفهام ورأيت على معناه الأصلي وقد جاء هذا الكلام على ما هو المتعارف بين الناس فانه إذا حدث لاحدهم أمر عجيب قال لصاحبه رأيت ما حدث لي كذلك ههنا كأنه قال رأيت ما وقع لي منه إذا وينا إلى الصخرة فعذ في مفعول رأيت لأن قوله فاني نسيت الحوت يدل عليه ثم قال وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وفيه مباحث (البحث الاول) أنه اعتراض وقم بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير فاني نسيت الحوت واتخذ سبيله في البحر عجبا والسبب في وقوع هذا الاعتراض ما يجري مجرى العذر والعللة لوقوع ذلك النسيان (البحث الثاني) قال الكعبي وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره يدل على أنه تعالى ما خلقني إلا النسيان وما أراد به أنه كانت اضافته إلى الله تعالى أوجب من اضافته إلى الشيطان بعذاب تعالى إذا خلقه فيه لم يكن لسعي الشيطان في وجوده ولا في عدمه أثر قال القاضي حضوا به بالنسيان أن يشتغل قلب الإنسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي

سنة منها لا يبق من هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة عام روي (الذكر) أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحديثه واطلبه لتعمل به (ويسألونك عن ذي القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سألوه قرش بثلثينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب

وهو ذو القرنين الأكبر واسمه الاسكندر بن فيافوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردويه من ولد
ياث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان اسود قبل اسمه عبدالله بن الضحالك وقبل مصعب بن عبدالله ابن قيس بن
مصور بن عبدالله بن الازري عوف بن ٧٣٧ كز يدني كهلان بن سبان بن عرب بن فحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه

مرزبان بن مدركة ذكره
ابن هشام وهو اهل
التبابعة وقبل انه افريدون
بن النعمان الذي قيل
الضحاك وذكر ابو الزحان
البرقي في كتابه المسمى
الانصار الباقية عن القرون
الخالية ان ذا القرنين
هو ابو كرب عبي ابن
عير بن بن افريقس
الحميري وان ملكه باع
مشارك الارض ومعار
ها وهو الذي اقتض به
التبع الياني حيث قال
قد كان ذا القرنين جدي
مسلسا ملكا علاقي
الارض غير مفند وبلغ
المشارك والغارب ينجي
اسباب امر من حكيم
مرشد وجعل هذا القول
اقرب لان الاذواء كانوا
من اليمن كذي المباروذى
نواس وذى النون وذى
رعين وذى يزن وذى
جدر قال الامام الرازي
والاول هو الاظهر لان
من بلغ ملكه من السعة
واقوة الى الغاية التي
نطق بها التزويل الجليل
انما هو الاسكندر اليوناني
كما تشهد به كتب التواريخ
يرى انه امامات ابو جمع

الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الامن قبل الله تعالى (البحث الثالث) قولنا ان ذكره بدل
من الهاء في انساني ذكره انما السيطان ثم قال واتخذ سبيله في البحر نجبا وفيه
وجوه (الاول) ان قوله نجبا صفة لمصدر محذوف كانه قبل واتخذ سبيله في البحر اتخاذا
نجبا ووجه كونه نجبا انقلابه من المكمل وصيرورته حيا والقاء نفسه في البحر على غفلة
منهما (والثاني) ان يكون المراد منه ما ذكرنا انه تعالى جعل الماء عليه كالطاق وكما سرب
(الثالث) قيل انه تم الكلام عند قوله واتخذ سبيله في البحر ثم قال بعده نجبا والمقصود منه
تعجب من تلك العجبة التي رآها ومن نسبته اليها وقيل ان قوله نجبا حكاية لتعجب موسى
وهو ليس بقوله ثم قال تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي قال موسى ذلك ان الذي الذي كان عليه لانه
أما ما الظن بانطوب وهو اما ما اخبره وقوله في اصله في فحذفت الياء طلبا للتخفيف الدلالة
الكسرة عليه وكان التماس أن لا يحدف لانهم انما يحدفون الياء في الاسماء وهذا فعل
الا انه قد يجوز على ضعف التماس حذفها لانها تحدف مع الساكن الذي يكون بعدها
كذوات ما ينحى اليوم فلما حذفت مع الساكن حذفت أيضا مع غير الساكن ثم قال فارتدا
على آثارهما نبي فرجا وقوله قد صافيه وجهار (أحدهما) أنه مصدر في موضع الحال
أي رجعا على آثارهما متحسين آثارهما (والثاني) أن يكون مصدرا لقوله فارتدا على
آثارهما لان معناه فارتدا على آثارهما وحصل الكلام انهما لما عرفا انهما تجاوزا
عن الموضع الذي يسكن فيه ذلك السلام رجعا وعادا اليه والله أعلم بقوله تعالى
فوجدنا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلما من عندنا قال له موسى هل
التبعك على أن تعلمي نعمات ربنا قال انك ان تستطع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم
تخط به خبر قال فتجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان التبعني فلا تنساني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا في الآية مسائل (المسألة الاولى) قوله فوجدنا عبدا
من عبادنا فيه بحثان (البحث الاول) قال الأكثرون ان ذاك العبد كان نبيا واحتجوا
عليه بوجوه (الاول) انه تعالى قال آتياه رحمة من عندنا والرحمة هي النبوة بدليل قوله
تعالى أنهم يتسمون رحمة ربك وقال وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
والمراد من هذه الرحمة النبوة ولما قيل أن يقول نسلم ان النبوة رحمة اما لا يلزم أن يكون
كل رحمة نبوة (الحجة الثانية) قوله تعالى وعلما من عندنا وهذا يقتضي انه تعالى
علمه لا بواسطة تعاليم معلم ولا ارشاد من مشدوكل من علماء الله لا بواسطة البشر ووجب أن
قال في ما يعلم الامور بالوحى من الله وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية
التي يتدبر من عند الله وذلك لا يدل على النبوة (الحجة الثالثة) ان موسى عليه السلام
لا يتبعك على أن تعلمي والنبى لا يتبع غير النبى في العلم وهذا أيضا ضعيف لان
لا يتبع غير النبى في العلوم التي باعتبارها صابرا نبيا أما في غير تلك العلوم فلا (الحجة
الرابعة) ان ذاك العبد اظهر الترفع على موسى حيث قال له وكيف تصبر على ما لم تخط به خبرا

ملك الروم بعد أن ٩٣ خا كان طوائف ثم قصد ماوك العرب وقهرهم ثم آمن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم
عاد الى مصر فبنى الاسكندرية

وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذب في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب ابواب ودان له العراقيون والقبط والبر ثم توجه نحو دار ابن دارا وهرمه مرارا الى أن قتله صاحب حرسة واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحها وبني مدينة * ٧٣٨ * سرديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين

وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبني بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زورومات انتهى كلام الامام وروى أن أهل التجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فيلج بابل فرصف وسقط عن دابته فبسطته له دروع فنام عليها فاذا نه الشمس فاظلموه به تس فظفر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت فأت وهو ابن ألف وستائة سنة وقبل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساکر من انه بلغني انه عاش سنا وثلاثين سنة او اثنين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنده فقلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل

وأما موسى فانه اظهر التواضع له حيث قال لا أعصى لك أمرا وكل ذلك يدل على ان ذلك العالم كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق النبي وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها فلم قلتم ان ذلك لا يجوز فان قالوا لانه يوجب التغير قلنا فارسل موسى الى النعم منه بعد انزل الله عليه التوراة وتكليمه بغير واسطة يوجب التغير فان قالوا ان هذا لا يوجب التغير فكذا القول فيما ذكره (الحجة الخامسة) اخذ الاصم على نبوته بقوله في أثناء القصة وما فعلته عن أمري ومعناه فعلته بوحى الله وهو يدل على النبوة وهذا أيضا دليل ضعيف وضعفه ظاهر (الحجة السادسة) ما روى ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال عليك السلام يا بني اسرائيل فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا قال الذي بعثك الى قالوا وهذا يدل على انه اعترف بذلك بالوحى والوحى لا يكون الا مع النبوة ولما قلنا ان يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والا الهامات (البحث الثاني) قال الاكثر ان ذلك العبد هو الخضر وقالوا انما سمي بالخضر لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموضع قال الجبائي قد ظهرت الرواية ان الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بني اسرائيل فان صح ذلك لم يجز ان يكون هذا العبد هو الخضر أو يضاف تقدير أن يكون هذا العبد هو الخضر وقد ثبت انه يجب أن يكون نبيا فهذا يقتضي أن يكون الخضر أعلى شأننا من موسى صاحب التوراة لاننا قد بينا ان الالفاظ المذكورة في هذه الآيات تدل على ان ذلك كان يرفع على موسى وكان موسى يظهر التواضع له الا ان كون الخضر أعلى شأننا من موسى غير جائز لان الخضر اما ان يقال انه كان من بني اسرائيل أو ما كان من بني اسرائيل فان قلنا انه كان من بني اسرائيل كان من أمة موسى لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون أرسل معنابني اسرائيل والامة لا تكون اعلى حال من النبي وان قلنا انه ما كان من بني اسرائيل لم يجز ان يكون أفضل من موسى لقوله تعالى لبني اسرائيل واتى فضلتكم على العالمين وهذه الكلمات تقوى قول من يقول ان موسى هذا غير موسى صاحب التوراة (المسئلة الثانية) قوله وعلما من لدنا علما يفيد ان تلك العلوم حصلت عنده من عند الله من غير واسطة والصوفية سمو العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم الدنية وللشيخ أبي حامد الغزالي رسالة في اثبات العلوم الدنية وأقول بتحقيق الكلام في هذا الباب ان نقول اذا أدركنا أمر من الامور وتصورنا حقيقة من الحقائق فاما ان نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لا نحكم النصور وكل واحد من هذين القسمين فاما ان يكون نظرا باحصال من غير كسب واما ان يكون كسبيا أما العلوم النظرية فهي تحصل في النفس والعقل من وطب مثل تصور نالام واللذة والوجود العدم ومثل تصديقنا بنبي النبي والاثنتين لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الواحد نصف الاثنين وأما العلوم الكسبية فهي التي لا

وورد بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه بما لا يكاد يتأتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد * حاصلة * الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انما تكال في الارض وظاهره انه متناول للمحكى في الدين

وكان ملكا ماروي أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لا خير باذا القرنين فقال اللهم اغفر أماري صيتم أن تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير ﴿٧٣٩﴾ والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا

عاد لأملاك الأقاليم
وقهر أهلها من الملوك
وغيرهم ودانت له البلاد
وأنه كان داعياً إلى الله
تعالى سائراً في الخلق
بأعداء التامة والسلطان
المؤيد المنصور وكان
الخصم على مقدمة
جيشه بمنزلة المستشار
الذي هو من الملوك بمنزلة
الوزير وقد ذكر الأزرقي
وغيره أنه أسلم على يدي
إبراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام فطاف
معه بالكعبة هو وأسمعيل
عليهم السلام وروى
أنه حج ماشياً فلما سمع
إبراهيم عليه الصلاة
والسلام بقدمه تلقاه
ودعاه وأوصاه بوصايا
ويقال أنه أتى بفرس
ليركب فقال لا أركب
في بلد فيه الخليل فعند
ذلك سخر له السحاب
طوى له الأسباب وبشرة
إبراهيم عليه الصلاة
والسلام بذلك فكانت
السحاب تحمله وعسكرة
وجميع آلتهم إذا أرادوا
غزوة قوم وقال أبو
الطغفيل سئل عنه على
كرم الله وجهه أكان

حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يتوصل الى اكتساب تلك العلوم وهذا الطريق على قسمين (أحدهما) ان يتكلف الانسان تركيب تلك العلوم البدئية النظرية حتى يتوصل بتركبها الى استعلاء المجهولات وهذا الطريق هو المسمى بالنظر والتفكير والتدبر والتأمل والتزوي والاستدلال وهذا النوع من تحصيل العلوم هو الطريق الذي لا يتم الا بالجهد والطلب (والنوع الثاني) ان يسعى الانسان بواسطة الرياضات والمجاهدات في أن يصير القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قوى القوة العقلية واشرفت الانوار الالهية في جوهر العقل وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعى وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم الدنية اذا عرفت هذا فنقول جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد تكون النفس نفسا مشرقة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمية فلا جرم كانت ابدashedة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والانوار الالهية فلا جرم فاضت عليهما من عالم الغيب تلك الانوار على سبيل الكمال والتمام وهذا هو المراد بالعالم اللدني وهو المراد من قوله آتينا رحمة من عندنا وعلنا من لدنا علما وأما النفس التي ما بلغت في صفاء الجوهر واشراق العنصر فهي النفس الناقصة البليدة التي لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم الا بمتوسط بشري يحتال في تعليمه وتعلمه والقسم الاول بالنسبة الى القسم الثاني كالشمس بالنسبة الى الاضواء الجزئية وكالبحر بالنسبة الى الجداول الجزئية وكالروح الاعظم بالنسبة الى الارواح الجزئية فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ ووراء اسرار لا يمكن ذكرها في هذا الكتاب ثم قال تعالى قاله موسى هل اتبعك على ان تعلمي مما علمت رشدا وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء والشين وعن ابن عباس رضى الله عنهما بضم الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال القفال وهي لغات في معنى واحد يقال رشدا ورشدة مثل نكر ونكر كما يقال سقم وسقم وشغل وشغل وبخل وبخل وعدم وعدم وقوله رشداى علما ذارشد قال القفال قوله رشدا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الرشدا راجعا الى الخضر أى مما علمك الله وارشادك به (والثاني) ان يرجع ذلك الى موسى ويكون المعنى على أن تعلمي وترشدني مما علمت (المسئلة الثانية) اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الادب واللاطف عندما أراد يتعلم من الخضر (فأحدها) انه جعل نفسه تبعاله لانه قال له (وثانيها) ان استأذن في اثبات هذا التبعية فانه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي منك (والمعنى) وهذا ما لاغة عظيمة في التواضع (وثالثها) انه قال على أن تعلمي وهذا المعنى نفسه بالجمل وعلى استاذة بالعلم (ورابعها) انه قال مما علمت وصيغة من العلم فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله وهذا أيضا مشعر بالتواضع كأنه يقول له سبب منك أن تجعلني مساويا في العلم لك بل أطلب منك ان تعطيني جزءا من اجزاء

أُمِّ مَكَّا فَقَالَ لِمَ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا مَلِكًا لَكِنْ كَانَ عَبْدًا أَحَبَّ إِلَهُهُ فَأَحْبَبَهُ وَنَاصَحَ إِلَهُهُ فَصَاحَهُ سَخَّرَ لَهُ السَّحَابَ وَمَدَّ لَهُ الْأَسْبَابَ
خَالَفَ فِي وَجْهِهِ نَسِيتُهُ بَنَى الْقَرْنَيْنِ قَبِيلَ لَانَهُ بَلَغَ قُرَى الشَّمْسِ مَشْرِقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَقِيلَ لَانَهُ مَلَكٌ

الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه أوفى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له دواجن وحيوانات
لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فحضر بقرنه الايمن ذات ثم بعثه الله تعالى
فحضر بقرنه الايسر ذات ثم بعثه الله تعالى وقيل ﴿٧٤٠﴾ لانه رأى في منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرني

الشمس وقيل لانه انقرض
في عهده قرنان وقيل
لانه سخر له النور والظلمة
فأذا سرى يهديه النور
من أمامه وتحوطه الظلمة
من ورائه وقيل لقب به
لشجاعته هذا وأما ذو
القرنين الثاني فقد قال
بن كثير انه الاسكندر
بن فيليب بن مصر يم
بن هرمس بن ميظون
بن رومي بن ابيطي بن يوان
بن يافث بن نوح بن
شرخون بن رومية بن
توط بن نوفل بن رومي
بن الاصغر بن العز بن
العص بن اسحق بن
ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام كذا
نسبه ابن عسكرا المقدوني
اليوناني المصري باني
الاسكندرية الذي
يؤرخ بياحه الروم وكان
متأخرا عن الاول بدهر
طويل اكثر من أثنى سنة
كان هذا قبل المسيح
عليه السلام بخمسة
ثلثمائة سنة وكان وزيره
ارسطاطاليس الفيلسوف
وهو الذي قتل دارا بن
دارا وأذل ملوك الفرس
ووطى أرضهم ثم قال

علمك كإطلب الفقير من الغنى أن يدفع اليه جزأ من اجزاء ماله (وخامسها) ان قوله
مما علمت اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم (وسادسها) ان قوله رشد اطلب منه الارشاد
والهداية والارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال (وسابعها) ان
قوله تعلمني مما علمت معنا انه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه اشعار بأنه يكون
انعامك على عند هذا التعليم شيئا بها بانعام الله تعالى عليك في هذا التعليم وان هذا المعنى قيل
أنا عبد من تعلمت منه حرفا (وثامنها) ان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل
كونه فعلا لتلك الغير فاننا اذا قلنا لا اله الا الله فاليهود الذين كانوا قبلنا كانوا يدعون هذه
الكلمة فلا يجب كوننا متبعين لهم في ذكر هذه الكلمة لانا لانقول هذه الكلمة لاجل
انهم قالوا هبل انما نقولها لقيام الدليل على انه يجب ذكرها أما اذا أتينا بهذه الصلوات
الخمس على موافقة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما أتينا بها لاجل انه عليه السلام
أتى بها لاجرم كننا متابعين في فعل هذه الصلوات لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ثبت هذا
فنقول قوله هل أتيتك يدل على انه يأتي بمثل افعال ذلك الاستاذ ليجرد كون ذلك الاستاذ
اتباعها وهذا يدل على ان المتعلم يجب عليه في أول الامر التسليم وترك المنازعة
والاعتراض (وتاسعها) ان قوله أتبعك يدل على طلب متابعته مطلقا في جميع الامور غير
مقيد بشيء دون شيء (وعاشرها) انه ثبت بالاخبار ان الخضر عرف أولاده نبي بنى
اسرائيل وانه هو موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي كلمه الله عز وجل من غير واسطة
وخصه بالمجرات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات
العالية الشريفة أتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على كونه عليه
السلام أتيا في طلب العلم باعظم أنواع المبالغة وهذا هو اللائق به لان كل من كانت
احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان طلبه لها أشد
وكان تعظيمه لارباب العلم اكمل وأشد (والحادى عشر) انه قال هل أتبعك على ان
تعلمني فأثبت كونه تعالى أولا ثم طلب ثابان أن يعلم وهذا منه ابتداء بالخدمة ثم في المرتبة
الثانية طلب منه التعليم (والثاني عشر) انه قال هل أتبعك على ان تعلمني فلم يطلب على
تلك المتابعة تدلى التعليم شيئا كأنه قال لا اطلب منك على هذه المتابعة المال والجاء
ولا غرض لى الا طلب العلم ثم انه تعالى حكى عن الخضر أنه قال انك لن تستطيع معي
صبرا وكيف نصبر على ما لم نخطبه خبرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المتعلم على
قسمين متعلم ليس عنده شيء من العلم ولم يمارس القيل والقال ولم يتعود التفرير والاعتراض
ومتعلم حصل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض ثم انه يريد ان يخاله
أكمل منه ليلج في درجة التمام والكمال والتعلم في هذا القسم الثاني شاق شديد
لانه اذا رأى شيئا أو سمع كلاما فر بما كان ذلك بحسب الظاهر منكرا الا انه
الحقيقة حقا صوابا فهذا المتعلم لاجل أنه ألف القيل والقال وتعود الكلام واجد

ابن كثير وانما ينهاه لان كثيرا من الناس يعتقد أنهم ما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر ﴿يغتر﴾
فقد بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا

وملكا عاد لاوزرهما حضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزرهما وسطاطا ليس
لفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان أكثر من ألفي سنة فأين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد
الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالعشار الذين يدينون بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر
يوما وبحود ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين ٧٤١ هـ مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي

اليوم يلقح لا يقيم بها احد
ولكن فيها علام تحكي
كالم عظمها في عهد
عمرائها ونهاية شوكه
واليها وسلطانها واقد
مررت بها عند القبول
من بعض المغازي
السلطانية فعاينت فيها
من تعاجيب الآثار ما فيه
عبرة لاولي الابصار
(قل) لهم في الجواب
(سأتلو عليكم) أي
سأذكر لكم (منه) أي
من ذي القرنين (ذكرنا)
أي نأخذ كورا وحيث
كان ذلك بطريق الوحي
المتلوح حكاية عن جهة الله
عز وجل قيل سأتلوا
سأتلو في شأنه من جهته
تعالى ذكر أي قرأنا
والسيرة لكيد والدلالة
على التحقق المناسب
لقيام تأييده عليه الصلاة
والسلام وتصديقه
بانجاز وعده أي لا ترك
التلاوة البتة كما في قول
من قال * سأشكر عمر ان
تراخت مني * أي أداني لم
تمن وان هي جلت * لا
للدلالة على أن التلاوة

بغير بظاهرة ولا جل عدم كماله لا ينف على سره وحقيقته وحينئذ يقدم على النزاع
والاعتراض والمجادلة وذلك مما يشغل سماعه على الاستاذ الكامل المتبحر فاذا اتفق مثل
هذه الواقعة مرتين أو ثلاثة حصلت النفرة التامة والكراهة الشديدة وهذا هو الذي
اشار اليه الخضر بقوله انك لن تستطيع معي صبرا اشارة الى أنه ألف الكلام وتعود
الاثبات والابطال والاستدلال والاعتراض وقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر اشارة
الى كونه غير عالم بحقائق الاشياء كما هي وقد ذكرنا انه متى حصل الامر ان يصعب السكوت
وعسر التعليم وانتهي الامر بالآخرة الى النفرة والكراهة وحصول التقاطع والتنافر
(المسئلة الثانية) احيج أصحابنا بقوله انك لن تستطيع معي صبرا على ان الاستطاعة
لا تحصل قبل الفعل قالوا لو كانت الاستطاعة على الفعل حاصلة قبل حصول الفعل لكانت
الاستطاعة على الصبر حاصلة لموسى عليه السلام قبل حصول الصبر فيلزم أن يصبر قوله انك
لن تستطيع معي صبرا كذبولما بطل ذلك علمنا أن الاستطاعة لا توجد قبل الفعل ايجاب
الجباي عنه ان المراد من هذا القول انه يشغل عليه الصبر لأنه لا يستطيعه يقال
في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسها اذا كان يشغل عليه ذلك ونظيره
قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع أي كان يشغل عليهم الاستماع فيقال له هذا عدول عن
الظاهر من غير دليل وانه لا يجوز وأقول مما يؤيد كده هذا الاستدلال الذي ذكره الاصحاب
قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا استبعد حصول الصبر على ما لم يحط به الانسان
على حقيقته ولو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكانت القدرة على العلم حاصلة قبل
حصول ذلك العلم ولو كان كذلك لما كان حصول الصبر عند عدم ذلك العلم مستبعدا
لان القادر على الفعل لا يبعد منه اقامه على ذلك الفعل ولما حكم الله باستبعاده علمنا
أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل ثم حكى الله تعالى عن موسى انه قال سجدني ان شاء
الله صابرا ولا أعصى لك أمرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احيج الطاعنون في عصمة
الله الانبياء بهذه الآية فقالوا ان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وقال
موسى سجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا وكل واحد من هذين القولين يكذب
الاخر فيلزم الحاق الكذب بأحدهما وعلى التقدير بن فيلزم صدور الكذب عن
الانبياء عليهم السلام والجواب أن يحمل قوله انك لن تستطيع معي صبرا على الأكثر
الا غلب وعلى هذا التقدير فلا يلزم ما ذكره (المسئلة الثانية) لفظه ان كان كذا تفيد
الشك فقوله سجدني ان شاء الله صابرا معناه سجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا
وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله هل يريد كونه صابرا أم لا ولا شك ان الصبر في مقام
التوقف واجب فهذا يقتضي ان الله تعالى قد لا يريد من العبد ما أوجبه عليه وهذا يدل
على صحة قولنا أن الله تعالى قد يأمر بالشيء مع أنه لا يريد ما لا يدع المعتبرة هذه الكلمة انما
الامر ذكر رعاية للادب فيما يريد الانسان أن يفعله في المستقبل فيقال لهم هذا الادب ان

مع فيما يستقبل كما قبل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصه بل موصولة بما بعدهار بنمساؤه عليه الصلاة
والسلام عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم عليه الصلاة والسلام انتموني غدا أخبركم بأباطل أعليه الوحي
خمس عشر يوما أو أربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل (انا مكناله في الارض) شروع في تلاوة الذكر
المعهود حسبا هو المعهود التكمين

ههنا الاقدار ومجهدا لاسباب يقال مكنه ويمكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة
ولتلازمهما في الوجود وتنفارهما في المعنى يستحيل كل منهما في محل الآخر كما قوله عز وجل لا مكنهم في الارض ما لم يكن
لكم أي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم يجعله لكم من القوة والسعة
في المال والاستطعام بالعدل والاسباب فكانه قيل ما لم **﴿ ٧٤٢ ﴾** نمكنكم فيها أي ما لم يجعلكم قادرين على ذلك

فيها أو مكنناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكن مأخوذا من المكان بناء على توهم مية اصطية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والارأي والاستيلاء حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذلك له طرقها (وأيناه من كل شيء) أراد من مهمات ملكه ومقاصده المتلفة بسلطانه (سببا) أي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة (والآلة فاتبع) بالتعلم أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع (سببا) يوصله اليه لعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الأفعال والفرق

صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأتى أدب في ذكر هذا الكلام الباطل (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ولا أعصى لك أمر ايدل على ان ظاهر الامر يفيد الوجوب لأن تارك الأمور به عاص بدلالة هذه الآية والعاصي يستحق العقاب لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله قاله نار جهنم وهذا يدل على أن ظاهر الامر يفيد الوجوب (المسئلة الرابعة) قول الخضر لموسى عليه السلام وكيف تصبر على ما لم تحط به خبر انسبه الى قلة العلم والخبر وقول موسى له سجدني ان شاء الله صايرا ولا أعصى لك أمر اتواضع شديد واطهار للحمل التام والتواضع الشديد وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع باقصى الغايات وأما المعلم فان رأى ان في التغليب على المتعلم ما يفيد نفعاً وارشاداً الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه يوقم التعلم في الغرور والخوة وذلك يمنعه من التعلم ثم قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً أي لا تستخبرني عما تراه مني بما تعلم وجهه حتى أكون انا المبستئ لتعليم اياه واخبارك به وفي قراءة ابن عامر فلا تسألني محرمة اللام مشددة النون بغير ياء وروى عنه لا تسألني مثقلة مع الياء وهي قراءة نافع وفي قراءة الباقرين لا تسألني خفيفة والمعنى واحد **﴿ ٧٤٣ ﴾** قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا

ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امر اقل ألم اقل انك ان تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) اعلم ان موسى وذلك العالم لما تشارطا على الشرط المذكور وسارا فاتتهما الى موضع احتجافه الى ركوب السفينة فركباهما وأقدم ذلك العالم على خرق السفينة وأقول لعله أقدم على خرق جدار السفينة لتصبح السفينة بسبب ذلك الخرق معيبة ظاهرة العيب فلا يتسارع الفرق الى أهلها فغند ذلك قال موسى له اخرقتها لتغرق أهلها وفيه بحثان (البحث الاول) قرا حزة والكسائي ليغرق أهلها بفتح الياء على اسناد الفرق الى الاهل والباقرين تغرق أهلها على الخطاب والتقدير لتغرق أنت أهل هذه السفينة (البحث الثاني) ان موسى عليه السلام لما شاهد ذلك الامر المنكر بحسب الظاهر نسي الشرط المتقدم فلما هذا المعنى قال ما قال واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية من وجهين (الاول) انه ثبت بالدليل ان ذلك العالم كان من الانبياء ثم قال موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق أهلها فان صدق موسى في هذا القول دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن ذلك النبي وان كذب دل على صدور الكذب عن موسى عليه السلام (الثاني) انه التزم ان لا يعترض على ذلك العالم وجرت اليهود المؤكدة لذلك ثم انه خالف تلك اليهود وذلك ذنب (والجواب عن الاول) انه لما شاهد موسى عليه السلام منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لا لأجل انه اعتقده انه فعل قبيحا بل لانه أحب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه انه امر يقال أمر الامر اذا

أن الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) أي انتهى الى الارض من **﴿ ٧٤٤ ﴾** عظم جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المشعة بالخالد اذا التي هي مبدأ الاطوال على أحد القولين (وجدها) أي الشمس (غرب في عين حنطة) أي ذات حنطة وهي الطين الاسود من حيث البز إذا كثرت

حاتها وقرى حامية اى حارة روى ان معاوية رضى الله عنه فراحا به وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حنة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال يا قرا أمير المؤمنين ثم وجد الى كعب الأجار كيف نجد الشمس تغرب نال في ماء وطن وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة عن الهمزة ﴿٧٤٣﴾ لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس

رضى الله عنهم بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضا مسبوحة قطعا فليكون قراءة ابن عباس رضى الله عنهما قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفار فغير الله جل ذكره بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم الى الإيمان وذلك قوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين أما أنت تعذب) بالقتل من أول الامر (واما أن تعذبهم حسنا) أى امر اذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه بمالفة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل أن مع صلته اما الرفع على

عظيم وقال الشاعر * داهية دهياء (وعن الثاني) انه قيل بناء على النسيان ثم انه تعالى حكى عن ذلك العالم انه لما خالف الشرط لم يزد على أن قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا فعند هذا اعتذر موسى عليه السلام بقوله لا تؤاخذنى بما نسيت اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسى بشئ ولا ترهقنى من أمرى عسرا يقال رهقه اذا غشبه وأرهقه اياه أى ولا تشغى من أمرى عسرا وهو اتباعه اياه يعنى ولا تعسر على متابعتك وبسررها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرى عسرا بضمين * قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال افقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا) اعلم ان لفظ الغلام قد يتناول الشاب البالغ بدليل انه يقال رأى الشيخ خيرا من شهد الغلام جعل الشيخ نقيضا للغلام وذلك يدل على أن الغلام هو الشاب واصله من الاغترلام وهو شدة الشبق وذلك انما يكون في الشباب واما تناول هذا اللفظ للصبي الصغير فظاهر وليس في القرآن كيف لقيه هل كان يلعب مع جمع من الغلمان الصبيان أو كان منفردا وهل كان مسلما أو كان كافرا وهل كان منزها وهل كان بالغاً أو كان صغيراً وكان اسم الغلام بالصغير أليق وان احتمل الكبير الا أن قوله بغير نفس أليق بالبالغ منه بالصبي لان الصبي لا يقتل وان قتل وأيضاً فهل قتله بأن حزر رأسه أو بان ضرب رأسه بالجدار أو بطريق آخر فليس في لفظ القرآن ما يدل على شئ من هذه الاقسام فعند هذا قال موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا وفيه مباحث (البحث الاول) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو زاكية بالالف والياقون زكية بغير ألف قال الكسائي الزاكية والزاكية لغتان ومعناها الطاهرة وقال أبو عمرو والزاكية التى لم تذب والزاكية التى اذنت ثم ثابت (البحث الثاني) ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن يقتل النفس الا لاجل القصاص بالنفس وليس الامر كذلك لانه قد محل دمه بسبب من الاسباب وجوابه ان السبب الاقوى هو ذلك (البحث الثالث) انكر أعظم من الامر في القبح وهذا اشارة الى ان قتل الغلام اقبح من خرق السفينة لان ذلك ما كان اتلافا للنفس لانه كان يمكن ان لا يحصل النقص في أمهاتها حصل الاتلاف فكان أنكر وقيل ان قوله لقد جئت شيئا امرا أى عجبا والشكر أعظم من العجب وقيل انكر ما انكرته العقول ونفرت عنه النفوس فهو أبلغ في تقييح الشئ من الامر ومنهم من قال الامر أعظم قال لان خرق السفينة يؤدى الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الا اتلاف شخص واحد أو ايضا الامر هو الداهية العظيمة فهو أبلغ من النكر وانه تعالى حكى عن ذلك قال انه ما زاد على ان ذكره ما عاهده عليه فقال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا هذا عين ما ذكره في المسئلة الاولى الا انه زاد ههنا لفظه لك لان هذه اللفظة تؤكد

لا ابتداء والخبرة واما النصب على المفعولية أى اما تعذيبك واقع واما امرك تعذيبك واما تغفل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاف ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك الهاما لاوحيا بعد أن كان ذلك التخيير واما قوله ذلك النبي (قال) أى ذوالقرنين لذلك النبي أول من عنده من خواصه بعد ما تلى امره تعالى مخفارا لشق الاخير (أما من ظلم) أى نفسه ولم يقبل دعوى

وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل وعن قتادة أنه كان يطبخ من كفرة في القدور ومن امن أعطاه وكساه (ثم رد الى ربه) في الآخرة (فنعذبه) فيها (عذابا نكرا) أي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحى اليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته (وأما من آمن) بموجب دعوى (وعمل عملا صالحا) حسبما يقتضيه ﴿٧٤٤﴾ الايمان (فله) في الدارين (جزاء

الحسن) أى فله المثوبة الحسنى أو القوله الحسنى أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤن كالمضمرات الجملة قدم على الابتداء اعتناء به أو منصوب بضمير أى تجزى بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه أو حال أى مجزى بابها أو تمييز وقرئ منصربا غير ممنون على أنه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين أو مرفوعا ممنونا على أنه المبتدأ والحسنى بدل والخبر الجار والمجرور وقيل خبر بين القتل والأسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فبراعى في حقه قوة الاسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز أن تكون اما واما لتوزع دون التخيير أى وليكن شأنك اما التعذيب واما الاحسان فالاولى بقى على حاله والثانى لمن تاب (وسنقول له من أمرنا)

التوابع فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته وهذا كلام نادم شديد الندامة ثم قال قد بلغت من لدنى عذرا والمراد منه انه عد حجه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أو لا أو ثانيا مع قرب المدة وبقي ما يتعلق بالقراءة في هذه الآية ثلاثة مواضع (الاول) قرأنا قوم رواية ورش وقالون وابن عامر وأبو بكر عن عاصم نكرا بضم الكاف في جميع القرآن والباقيون ساكنة الكاف حيث كان وهما اثنان (الثاني) الكل قرؤا الاتصاحبى بالالف اليعقوب فانه قرأ لا يصحني من صحب والمعنى واحد (الثالث) في احدى قرأت (الاولى) قراءة نافع وأبى بكر في بعض الروايات عن عاصم من لدنى بتخفيف النون وضم الدال (الثانية) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحرز والكناسى وحفص عن عاصم من لدنى مشددة النون وضم الدال (الثالثة) قرأ أبو بكر عن عاصم بالاشمام وغير اشباع (الرابعة) لدنى بضم اللام وسكون الدال في بعض الروايات عن عاصم وهذه القراءات كلها لغات في هذه اللفظة قوله تعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريدان أنفضا فاقامه قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سؤنيتك تأويل مالم تستطع عليه صبرا) اعلم ان تلك القرية هي انطاكية وقيل هي اليلة وههنا سؤالات (الاول) ان الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف أقدم عليه موسى وذلك العالم لان موسى كان من عادته عرض الحاجة وطلب الطعام ألا ترى انه تعالى حكى عنه أنه قال في قصة موسى عند ورودهما مدين رباني لما أنزلت الى من خير فقير (الجواب) ان اقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند خوف الضرر الشديد (السؤال الثاني) لم قال حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها وكان من الواجب أن يقال استطعما منهم والجواب ان التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

ليت الغراب غداة ينعب دائما * كان الغراب مقطوع الاوداج

(السؤال الثالث) ان الضيافة من المندوبات فتركها ترك المندوب وذلك أمر غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه انه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه مع ذلك العالم في قوله ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني وأيضا مثل هذا الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بادون الناس فضلا عن كليم الله (الجواب) أما قوله الضيافة من المندوبات قلنا قد تكون من المندوبات وقد تكون من الواجبات بان كان الضيف قد بلغ في الجوع الى حيث لو لم يأكل لهلك وإذا كان التقدير ما ذكرناه لم يكن الغضب الشديد لاجل ترك الاكل يوما فان قالوا ما بلغ الجوع الى حد الهلاك بدليل أنه قال لوشئت لاتخذت عليه اجرا وكان يطلب على اصلا ذلك الجدار أجره ولو كان قد بلغ في الجوع الى حد الهلاك لما قدر على ذلك العمل فكيف

أى مما أمر به (يسرا) أى سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذاب سرا وأطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمين (ثم أتبع سبيا) أى طر يقاراجه من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعنى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أو لامن معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف أى مكان طلوع الشمس فانه مصدر قبل لغه في اثنتي عشرة سنة وقبل في أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الاسباب

منهم من قومه لم يحمل لهم من قومه الشرا من اللباس والبنا فقل لهم الرجوع عن كلب ان ارضهم لا تمسك الابنية
 من السراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب ٧٤٥ * أو البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معائشهم

وعن بعضهم خرجت
 حتى جاوزت الصين
 فسألت عن هؤلاء فقالوا
 بينك وبينهم مسيرة
 يوم وليلة فبلغتهم فاذا
 أحدهم يفرش أذنه
 ويلبس الأخرى ومعى
 صاحب يعرف اسانهم
 فقالوا له جئنا ننظر كيف
 تطلع الشمس قال فيبينا
 نحن كذلك اذ سمعنا
 كهية الصلصلة فغشي
 على ثم أقف بهم بمحوني
 بالدهن فلما طلعت
 الشمس على الماء اذهى
 فوق الماء كهية الزيت
 فأدخلونا سر بالهم
 فلما ارتفع النهار خرجوا
 الى البحر يصطادون
 السمك ويطرحونه في
 الشمس فينضج لهم وعن
 مجاهد من لا يلبس الثياب
 من السودان عند مطع
 الشمس أكثر من جيع أهل
 الارض (كذلك) أى
 أمردى القرنين كما وصفناه
 لك في رفعة المحل وبسطة
 الملك وأمره فيهم كأمه
 في أهل المغرب من الخبير
 والاختيار ويجوز
 أن يكون صفة مصدر
 محذوف لوجوده ونجعل

يصح منه طلب الأجرة قلنا لعل ذلك الجوع كان شديدا لأنه ما بلغ حد الهلاك ثم قال
 تعالى فابوا أن يضيقوهما وفيه بحثان (البحث الاول) يضيقوهما يقال ضاפה اذا كان
 له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيرة زاره من الازورار وضاפה
 وضيقه انزله وجعله ضيقه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لثاما (البحث
 الثاني) رأيت في كتب الحكايات أن أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا
 وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى
 بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فاتوا أن يضيقوها أى أنوالان
 يضيقوهما أى كان اتيان أهل تلك القرية اليهم الاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه أن
 يتدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغير هذه النقطة
 يوجب دخول الكذب في كلام الله وذلك يوجب القدح في الالهية فعلنا ان تغير
 النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية ثم قال تعالى فوجدناها
 جدارا يريد أن ينقض فأقامه أى فرأى فى القرية حائطا مائلا فان قيل كيف يجوز وصف
 الجدار بالارادة مع ان الارادة من صفات الاحياء قلنا هذا اللفظ ورد على سبيل
 الاستعارة وله نظائر في الشعر قال

يريد الزمخ صدرأى براء * ويرغب عن دماء بنى عقيل

وأشدد القراء

ان دهر ابلق شملى بحمل * زمانهم بالاحسان

وقال الراعى

في مهجد فلقب بهاماتها * فلقى القوس اذا اردت نصولا

ونظيره من القرآن قوله تعالى ولماسكت عن موسى الغضب وقوله أن يقول له كن فيكون
 وقوله فالتنا تناطائعين وقوله أن ينقض يقال انقض اذا أسرع سقوطه من انقضاء
 الطائر وهو ان فعل مطاوع وقضضه وقبل انقض فعل من التقض كاحرم من الحجرة وقرى
 ان ينقض من التقض وان ينقاض من انفاضت العين اذا انشقت طولاً وأما قوله فاقامه
 قبل تقضه ثم بناء وقيل اقامه يده وقبل مسحه يده فقام واستوى وكان ذلك من معجزاته
 واعلم ان ذلك العالم لما فعل ذلك وكانت الحالة حالة اضطرار وافترار الى الطعام فلاجل
 تلك الضرورة نسي موسى ما قاله من قوله ان سالتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فلا جرم
 قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى طلبت على عمالك أجرة تصرفها الى تحصيل الطعام
 المبيع لصل سائر المهامات وقرى لاتخذت عليه أجرا والتاء في تحذأصل كافى تبع واتخذ
 سأل منه كفولنا اتبع من قولنا تبع واعلم ان موسى عليه السلام لما ذكر هذا الكلام
 ولا يعلم هذا اوراق بينى وبينك وههنا سوالات (السؤال الاول) قوله هذا اشارت الى
 هذا الجواب من وجهين (الاول) ان موسى عليه السلام قد شرط ان سأل به بعد ذلك

صفة قوم أى على قوم مثل ذلك ٩٤ * خا القبيل الذى تقرب عليهم الشمس في الكفر والحكم أو ستر مثل ستركم
 من اللباس والاكتنان والجبال وغير ذلك (وقد أحطنا بما لديه) من الاسباب والعدد والعدد (خبراً) يعنى أن ذلك
 من الكثرة بحيث لا يحيط به

اعلم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجه الباقي فالمراد بالدينه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لا
 قاه فتأمل (ثم اتبع سيبا) أى طر يقا ثالثا معترضاً * ٧٤٦ * بين المشرق والمغرب أخذاً من الجنوب الى الشمال (حتى

اذاباغ بين السدين)
 بين الجبلين اللذين سدا
 بينهما وهو منقطع أرض
 الترك مما يلي المشرق
 لاجبلا ارمينية واخر بيجان
 كاتوهم وقرى بالضم
 قبل ما كان من خلق الله
 تعالى فهو مضموم وما
 كان من عمل الخلق فهو
 مقسوح وانتصاب بين
 على المفعولية لانه مبلوغ
 وهو من الظروف التي
 تستعمل أسماء أيضا كما
 ارتفع في قوله تعالى لقد
 تقطع بينكم وانجرفى
 قوله تعالى هذا فراق
 بينى وبينك (ووجد من
 دونهما) أى من ورأىهما
 مجازا عنهما (قوما)
 أى أمة من الناس (لا
 يكادون يفقهون قولا)
 لغرابية لغتهم وقلة فطنهم
 وقرى من باب الافعال
 أى لا يفهمون السامع
 كلامهم واختلوا فى أنهم
 من أى الاقوام فقال
 الضحاك هم جبل من
 الترك وقال السدى
 الترك سرية من بأجوج
 وأجوج خرجت فضررت
 ذوالقرنين السد فقيبت
 خارجة فجمع الترك
 منهم وعن قتادة أنهم

سواء الآخر يحصل الفراق حيث قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني فلما ذكر هذا
 السؤال فارق ذلك العالم وقال هذا فراق بينى وبينك أى هذا الفراق الموعود (الثانى)
 أن يكون قوله هذا إشارة الى السؤال الثالث أى هذا الاعتراض هو سبب الفراق
 (السؤال الثانى) ما معنى قوله هذا فراق بينى وبينك (الجواب) معناه هذا فراق حصل
 بينى وبينك فأضيف المصدر الى انظر فى حكي القفال عن بعض أهل العربية ان بين
 هو الوصل لقوله لقد تقطع بينكم فكان المعنى هذا فراق بيننا أى اتصالنا بقول القائل
 أخرى الله الكاذب منى ومنك أى أحدنا هكذا قاله الزجاج ثم قال العالم لموسى عليه
 السلام سأبئك بأو يل مالم تستطع عليه صبرا أى سأخبرك بحكمة هذه المسائل الثلاثة
 وأصل التأويل راجع الى قولهم آل الامر الى كذا أى صار اليه فاذا قيل ما تأويله
 فالعنى ما مضى * قوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت
 أن أعيرها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
 فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما
 وأما الجدار فكان لغلامين يتيمن فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا
 فأردنا أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك
 تأويل مالم تستطع عليه صبرا) فى الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان هذه المسائل
 الثلاثة مشتركة فى شئ واحد وهو أن أحكام الانبياء صلوات الله عليهم مبنية على
 الظواهر كما قال عليه السلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهذا العالم
 ما كانت أحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الحقيقية
 الواقعة فى نفس الامر وذلك لان الظاهر انه يحرم التصرف فى أموال الناس وفى
 أرواحهم فى المسئلة الاولى وفى الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان
 تخريب السفينة تنقيص للملك الانسان من غير سبب ظاهر وقتل الغلام تفويت لنفس
 معصومة من غير سبب ظاهر والاقدام على إقامة ذلك الجدار المائل فى المسئلة الثالثة
 تحمل التعب والمشقة من غير سبب ظاهر وفى هذه المسائل الثلاثة ليس حكم ذلك العالم
 فيها مبنيا عن الاسباب الظاهرة المعلومة بل كان ذلك الحكم مبنيا على أسباب معتبرة فى
 نفس الامر وهذا يدل على ان ذلك العالم كان قد آتاه الله قوة عقلية قدر بها ان يشرف
 على بواطن الامور ويطلع بها على حقائق الاشياء فكانت مرتبة موسى عليه السلام فى
 معرفة الشرائع والاحكام بناء الامر على الظواهر وهذا العالم كانت مرتبته الوقوف
 على بواطن الاشياء وحقائق الامور والاطلاع على أسرارها الكامنة فبهذا الطريق
 ظهر ان مرتبته فى العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام اذا عرفت هذا فتنه
 المسائل الثلاثة مبنية على حرف واحد وهو ان عند تعارض الضررين يجب تحكيم
 الادنى لدفع الاعلى فهذا هو الاصل المتعبر فى المسائل الثلاثة (أما المسئلة الاولى) فلما ذكر

اثنتان وعشرون قبيلة سد ذوالقرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسماوا الترك * ذلك
 لانهم تركوا خارجين قال أهل التار يخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبوالعرب والعجم

والزوم وحام أبو الحنيفة والنجم والتوبة وبافت أبو الترك والخزرج والصقالبة وباجوج وماجوج (قالوا) أي بواسطة
ترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم ذى القرنين ٧٤٧ ﴿﴾ كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله

تعالى من الاسباب
(ياذا القرنين ان أجوج
وماجوج) قد ذكرنا
انهما من اولاد يافث بن
نوح عليه السلام وقيل
بأجوج من الترك وماجوج
من الجبل واختلف
في صفاتهم قليل في غاية
صغر الجثة وقصر القامة
لا يزيد قدمهم على شبر
واحد وقيل في نهاية
عظم الجسم وطول القامة
تبلغ قدودهم نحو مائة
وعشرين ذراعا وفيهم
من عرضه كذلك وقيل لهم
مخالب وأضراس كالسباع
وهما اسمان أعجميان بديل
منع الصرف وقيل عريان
من أج الظلم اذا أسرع
وأصلهما الهمة
كما قرأنا صم وقد قرئ
بغير همزة ومنع صرفهما
للتعريف والتأنيث
(مفسدون في الارض)
أي في أرضنا بالقتل
والخريب والتلاف
الزور قيل كانوا يخرجون
ايام الربيع فلا يتكون
أخضر الاكلوه ولا يابس
الا حتموه وقيل كانوا
ياكلون الناس أيضا
(فهل نجعل لك خراجا)

ذلك العالم علم انه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق لغصبها ذلك الملك وفانت منافعها عن
ملاكها بالكلية فوقع التعارض بين أن يتخرقها ويعيبها فتبقى مع ذلك على ملاكها وبين
أن لا يتخرقها فيغصبها الملك فتفوت منافعها بالكلية على ملاكها ولا شك ان الضرر الاول
أقل فوجب تحمله لدفع الضرر الثاني الذي هو أعظمهما (وأما المسئلة الثانية) فكذلك
لان بقاء ذلك الغلام حيا كان مفسدة للوالدين في دينهم وفي دنياهم ولعله علم بالوحى ان
المضار الناشئة من قتل ذلك الغلام أقل من المضار الناشئة بسبب حصول تلك
المفاسد للابوين فلهذا السبب أقدم على قتله (والمسئلة الثالثة) أيضا كذلك لان المشقة
الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار ضررها أقل من سقوطه لأنه لو سقط
لضاع مال تلك الايتام وفيه ضرر شديد فالحاصل ان ذلك العالم كان مخصوصا بالوقوف
على بواطن الاشياء وبالاطلاع على حقائقها كما هي عليها في أنفسها وكان مخصوصا ببناء
الاحكام الحقيقية على تلك الاحوال الباطنة وأما موسى عليه السلام فما كان كذلك
بل كانت أحكامه مبنية على ظواهر الامور فلا جرم ظهر التفاوت بينهما في العلم فان قال
قائل فاصل الكلام انه تعالى أطلعه على بواطن الاشياء وحققها في نفسها وهذا
النوع من العلم لا يمكن تعلمه وموسى عليه السلام اتماذهب اليه ليتعلم منه العلم فكان من
الواجب على ذلك العالم أن يظهر له علميا يمكن له تعلمه وهذه المسائل الثلاثة علوم لا يمكن
تعلمها فالقائدة في ذكرها واظهارها والجواب ان العلم بظواهر الاشياء يمكن تحصيله بناء
على معرفة الشرائع الظاهرة وأما العلم ببواطن الاشياء فانه يمكن تحصيله بناء على تصفية
الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية ولهذا المعنى قال تعالى في
صفة علم ذلك العالم وعلمناه من لدنا علما ثم ان موسى عليه السلام لما مكثت مرتبة في علم
الشرعة بعثه الله الى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام ان كان الدرجة في أن ينقل
الانسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم الباطن المبنية على الاشراف
على البواطن والتطلع على حقائق الامور (المسئلة الثانية) اعلم ان ذلك العالم أجاب عن
المسئلة الاولى بقوله أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفيه فوائد (القائدة الاولى) ان تلك السفينة
كانت لا قوام محتاجين متعشرين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين واعلم ان
الشافعي رحمه الله احتج بهذه الآية على أن حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال
المسكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة (القائدة الثانية)
لو أراد ذلك العالم من هذا الكلام انه ما كان مقصودى من تخريق تلك السفينة
التي أهلها بل مقصودى ان ذلك الملك الظالم كان يغصب السفن الخالية عن العيوب
لان هذه السفينة معيبة لئلا يغصبها ذلك الظالم فان ضرر هذا التخريق أسهل من
تفريق الحاصل من ذلك الغصب فان قيل وهل يجوز للاجنبي أن يتصرف في ملك الغير

أي جملا من أموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج ما على الارض والدممة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد
وقيل الخرج ما تبرعت به

والخراج ما رزقك أدائه (على أن يجعل بيننا وبينهم مودة) وهوى بالضم (ظل ما كنتي) بالأدغام وهوى بالضم
أى ما كنتي (فيه ربي) وجعلني فيه مكيئا قادرا ﴿٧٤٨﴾ من الملك والمال وسائر الأسباب (خير)

أى مما تريدون أن تنزلوه
الى من الخرج فلا حاجة في
اليه (فأعينوني بقوة)
أى بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل والآلات
لا بد منها في البناء والقاء
لتفريع الامر بالاغاثة
على خير بة مامكنه الله
على فيه من ما لهم وأعلى
عدم قبول خرجهم
(أجعل) جواب الامر
(بينكم وبينهم) تقديم
اضافة الظرف الى ضمير
المخاطبين على اضافته
الى ضمير بأجوج وأجوج
لاظهار كمال العناية
بهم لحهم كإراعوه
في قولهم يتشاور بينهم
(ردما) أى حاجز احصينا
وبرزخا متينا وهو أكبر
من السد وأوثق يقال
ثوب مر دم أى فيه رفاع
فوق رفاع وهذا السعاف
بمرامهم فوق ما يرجونه
(أتوني زبر الحديد)
جمع زبرة كعرف في غرفة
وهى القطعة الكبيرة وهذا
لأينا في رد خراجهم
لأن الأمور به الإيتايات
أول المناولة كإيتيائه
القراءة بوصل الهمزة
أى جيتوني بزبر الحديد

لمثل هذا الغرض قلنا هذا بما يختلف أحواله بحسب اختلاف الشرائع فعمل هذا المعنى
كان جائزا في تلك الشريعة وأما في شرعنا فقل هذا الحكم غير بعيد فانا إذا علمنا ان
الذين يقطعون الطريق يأخذون جميع ملك الانسان فان دفعنا الى قاطع الطريق
بعض ذلك المال سلم الباقي فحينئذ يحسن منا أن ندفع بعض مال ذلك الانسان الى قاطع
الطريق ليسلم الباقي وكان هذا من ابعاد احساننا الى ذلك المالك (القاعدة الثالثة) ان ذلك
التخريق وجب أن يكون واقعا على وجه لا تبطل به تلك السفينة بالكلية اذ لو كان كذلك
لم يكن الضرر الحاصل من غصبها أبلغ من الضرر الحاصل من تخريقها وحينئذ لم يكن
تخريقها جائزا (القاعدة الرابعة) لفظ الوراء في قوله وكان وراءهم فيه قولان (الاول)
ان المراد منه وكان امامهم ملك يأخذ هكذا قاله الفراء ونظمه قوله تعالى من وراءهم
جمعهم أى امامهم وكذلك قوله تعالى ويذرون وراءهم يومئذ قليلا وتحقيقه ان كل ما غاب
عنه فقد توارى عنك وأنت متوار عنه فكل ما غاب عنك فهو وراءك وامام الشيء
وقد امة اذا كان غائبا عنه متواريا عنه فلم يعد اطلاق لفظ وراء عليه (والقول الثاني)
يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع
السفينة عليه (وأما المسئلة الثانية) وهى قتل الغلام فقد أجاب العالم عنها بقوله وأما
الغلام فكان أبواه مؤمنين قبل ان ذلك الغلام كان باغيا وكان يقطع الطريق ويقدم على
الافعال المنكرة وكان أبواه محتسبان الى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب
من يرميه بشئ من المنكرات وكان يصبر ذلك سببا لوقوعهما في الفسق ور بما أدى ذلك
الفسق الى الكفر وقيل انه كان صبيا لأن الله تعالى علم منه انه لو صار بالغ لحصلت منه
هذه المفاسد وقوله ففحسبنا أن يرهقها طغيانا وكفرا الخشية بمعنى الخوف وغلبة الظن
والله تعالى قد أباح له قتل من غلب على ظنه تولد مثل هذا الفساد منه وقوله أن يرهقها
طغيانا فيه قولان (الاول) أن يكون المراد ان ذلك الغلام يحمل أبويه على الطغيان
والكفر كقوله ولا ترهقنى من أمرى عسرا أى لا تخملى على عسر وضيق وذلك لأن أبويه
لاجل حب ذلك الولد محتسبان الى الذب عنه ور بما احتاجا الى موافقته في تلك الافعال
المنكرة (والثاني) أن يكون المعنى ان ذلك الولد كان يعاشرهما معاشرة الطاعة الكفار
فان قيل هل يجوز الافدام على قتل الانسان لمثل هذا الظن قلنا اذا تأكد ذلك الظن
بوحى الله جازئهم قال تعالى فأردنا أن يبدلهم اربعا خيرا منه كذا ذكرته من الزكاة
والله تعالى ولدا خيرا من هذا الغلام زكاة أى دينا وصلاحا وقيل ان ذكره الزكاة ههنا على
مقابلة قول موسى عليه السلام اقلنت نفسا زكية بغير نفس فقال العالم أردنا أن يزرعها
الله هذين الابوين خيرا بدلا عن ابنهما هذا ولما يكون خيرا منه كذا ذكرته من الزكاة
ويكون المراد من الزكاة الطهارة فكان موسى عليه السلام قال اقلنت نفسا طاهرة لأن
ما وصلت الى حد البلوغ فكانت زكية طاهرة عن المعاصي فقال العالم ان تلك النفس

على حذف الباء كفى أمرتك الخير ولان آية الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ﴿٧٤٩﴾ وان
ولعل تخصيص الامر بالآية به ادون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما أن الحاجة اليها أمس اذهى
الركن في السد

لوجودها الصريح في جمل الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والحاس المذاب والبيان من مذهب الحديد بينهما
الخطب والفتح حتى سد ما بين الجبلين الى ٧٤٩ هـ اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائلنا (حتى اذا ساوى

بين الصدفين) أى
آتوه اياها فأخذ بينى
شيثا فشيئا حتى اذا جعل
ما بين ناخيتي الجبلين من
البيان مساويا لهما
في السمك على التهجيم
الحكي قيل كان ارتفاعه
ماثي ذراع وعرضه
خمس ذراعا وقرئ
سوى من التسوية
وسوى على البناء
للمجهول (قال) للعملة
(انفقوا) أى بالكبران
في الحديد المبني ففعلوا
(حتى اذا جعله) أى
المتفوخ فيه (نارا)
أى كالنار في الحرارة
والهيئة واسناد الجمل
المذكور الى ذى القرنين
مع انه فعل الفعلة للثنية
على انه العمدة في ذلك
وهم بمنزلة الآلة (قال)
الذين يتولون أمر التحاس
من الاذابة ونحوها
(آتوني أفرغ عليه
قطرا) أى آتوني قطرا
أى نحاسا مذابا أفرغ
عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وقرئ
بالوصل أى جيئوني
كأنه يستدعيهم للاعانة
باليد عند الافراغ واسناد

وان كانت زاكية ظاهرة في الحمال الا انه تعالى علم منها انها اذا بلغت اقدمت على
الطين والكفر فأردنا أن يجعل لهما ولدا أعظم زكاة وطهارة منه وهو الذى يعلم الله
منه انه عند البلوغ لا يقدم على شئ من هذه المحظورات ومن قال ان ذلك الغلام كان
بالغا قال المراد من صفة نفسه بكونها زاكية انه لم يظهر عليه ما يوجب قتله ثم قال وأقرب
رحما أى يكون هذا البديل أقرب عطفًا ورحمة بأبيه بأن يكون أبى بهما وأشفق عليهما
والرحم الرحمة والعطف روى انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبياهدى الله على
يديه أمة عظيمة بقي من مباحث هذه الآية موضعان في القراءة (الاول) قرأ نافع وأبو
عمرو يبدل لهما يفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التخريم أن يبدله أزواجا وفي القلم عسى
ر بنا أن يبدلنا والباقون ساكنة الباء خفيفة الدال وهما لغتان أبدل يبدل و بدل يبدل
(الثاني) قراءة ابن عامر في إحدى الروايتين عن أبي عمرو رجا بضم الحاء والباقون
بسكونها وهما لغتان مثل نكر ونكرو وشغل وشغل (وأما المسئلة الثالثة) وهى اقامة
الجدار فقد أجاب العالم عنها بان الداعى اليه انه كان تحت ذلك الجدار كنز وكان ذلك
لتيمين في تلك المدينة وكان أبوهما صالحا ولما كان ذلك الجدار مشرفا على السقوط
ولو سقط لصاع ذلك الكنز فأراد الله ابقاء ذلك الكنز على ذينك التيين رعاية لحقهما
ورعاية لحق صلاح أبيهما فأمرني باقامة ذلك الجدار رعاية لهذه المصالح وفي الآية
فوائد (الفائدة الاولى) انه تعالى سمي ذلك الموضع قرية حيث قال اذا أتيا أهل قرية
وسماه أيضا مدينة حيث قال وأما الجدار فكان لعلامين يتيمن في المدينة (الفائدة
الثانية) اختلفوا في هذا الكنز فقيل انه كان مالا وهذا هو الصحيح لوجهين (الاول) ان
المفهوم من لفظ الكنز هو المال (والثاني) ان قوله ويستخرجنا كنزهما يدل على ان ذلك
كنز هو المال وقيل انه كان علما بدليل أنه قال وكان أبوهما صالحا والزجل المصالح
يكون كنزه العلم المال اذ كنز المال لا يليق بالصلاح بدليل قوله تعالى والذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وقيل كان لوحا من ذهب
مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالله قدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (الفائدة
الثالثة) قوله وكان أبوهما صالحا يدل على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأبناء
وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الأب صلاح سبعة آباء وعن الحسن بن علي انه
قال بعض الخوارج في كلام جرى بينهما يحفظ الله مال الغلامين قال بصلاح أبيهما
(القابلي) وجدى خير منه قال قد أتانا الله انكم قوم خصمون وذكرنا أيضا ان ذلك
الح كان الناس يضعون الودائع اليه فيردها اليهم بالسلامة فان قيل البيهقان
في أحد منهما حصول الكنز تحت ذلك الجدار أو ما عرف أحد منهما فان كان

الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى أجعل (فاسطاعوا)
يحذف تاء الافعال تخفيفا وحذرا عن تلاقى المنقار بين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ
تقلب السين صاد

والقاء فضيحة أي فعلوا ما أمر وأبه من إتياء القطر والابيان فأفرغه عليه فاختلطوا لتصلق بعضهم ببعض فصار بصر
صلدا فجاء بأجوج وأجوج فقصدهم أن يعلموه وينقبوا فاستطاعوا ﴿ ٧٥٠ ﴾ (أن يظهره) أي بطوره ورفقو

الاول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم بعد البلوغ
استخراج ذلك الكنز والانتفاع به (الجواب) لعل اليقين كانا جاهلين به الآن وصحبا
كان عالما به ثم ذلك الوصي غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما قرر
العلم هذه الجوابات قال رجة من ربك يعني انما فعلت هذه الفعلة لغرض أن تظهر
رحمة الله تعالى لانها بأسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع
الضرر الأعلى كما قررناه ثم قال وما فعلته عن أمرى يعني ما فعلت ما رأيت من هذه
الاحوال عن أمرى واجتهادى ورأى وانما فعلته بأمر الله ووجهه لان الاقدام على
تتقص أموال الناس وارقة دماءهم لا يجوز الا بالوحي والنص القاطع بقى في الآية
سؤال وهو انه قال فأردت أن أعيها وقال فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وقال
فأرد ربك أن يبلغا أشدهما كيف اختلفت الاضافة في هذه الارادات الثلاث وهى
كلها في قصة واحدة وفعل واحد (الجواب) انه لما ذكر العيب أضافه الى ارادة نفسه
فقال أردت أن أعيها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهها على انه من
العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل الحكمة عالية ولما ذكر رباية مصالح
اليقين لاجل صلاح أبيهما أضافه الى الله تعالى لان المتكفل بمصالح الابناء رباية حق
الآباء ليس الا الله سبحانه وتعالى ﴿ قوله تعالى ﴾ (وبسئلك عن ذى القرنين قل سأتلو
عليكم منه ذكرا انما كنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سبيا فاتبع سبيا) اعلم ان هذا
هو القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيها مسائل (المسئلة الاولى)
قد ذكرنا في أول هذه السورة ان اليهود أمر والمشركون أن يسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله
وبسئلك عن ذى القرنين هو ذلك السؤال (المسئلة الثانية) اختلف الناس في ان ذى
القرنين من هو وذكروا فيه أقوالا (الاول) انه هو الاسكندر بن فيلقوس اليوناني قالوا
والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بنى القرنين بلغ ملكه الى أقصى
المغرب بدليل قوله حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حئة وأيضاً بلغ ملكه
أقصى المشرق بدليل قوله حتى اذا بلغ مطلع الشمس وأيضاً بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل
ان بأجوج وأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال وبدليل ان السد
الذى كور في القرآن يقال في كتب التواريخ انه مبنى في أقصى الشمال فهذا الانسان
المسمى بنى القرنين في القرآن قد دل القرآن على ان ملكه بلغ أقصى المغرب والمشرق
والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك ان
على خلاف العبادات وما كان كذلك وجب أن يبق ذكره مخلدا على وجه الدهور
لا يبق محققا مستترا والملك الذى اشتهر في كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد
ليس الا الاسكندر وذلك لانه لما مات أبوه جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طوائف ثم جمع

فيه لارتفاعه وملاسته
(وما استطاعوا له نقبا)
اصلاته ونخاته وهذه
معجزة عظيمة لان تلك
الزبر الكثرية اذا أثرت
فيها حرارة النار لا يقدر
الحیوان على أن يحوم
حولها فضلا عن النفخ
فيها الى أن تكون كالنار
أو عن افرار القطر عليها
فكانت سبحانه وتعالى
صرف تأثير تلك الحرارة
العظيمة عن أبدان أولئك
المبشرين للاعمال
فكان ما كان والله على
كل شئ قدير وقيل بناء
من الصخور مرتبطا
بعضها ببعض بكلايب
من حديد ونحاس مذاب
في بخار يفهم بحيث
لا يبق هناك فرجة أصلا
(قال) أى ذى القرنين
لمن عنده من أهل تلك
الديار وغيرهم (هذا)
اشارة الى السد وقيل
الى تمكينه من بنيانه
والفضل المتقدم أى
هذا الذى ظهر على يدي
وحصل بمباشرتي من
السد الذى شأنه ما ذكر
من المتانة وصعوبة النال
(رجة) أى أثر رجة

عظيمة عبر عنه بها مبالغة (من رى) على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايدان بانه ليس ﴿ ملوك ﴾
من قبيل الآثار الحاصلة ببشارة الخلق عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض واصف
الربوبية لترسية معناه الرجة (فاذا جاء

ابري (مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج باجوج وماجوج كما قيل ادلايساهده النظم الكريم والمراد
بشبه ما ينظم بحجته ومجى مباديهم خروجهم) (٧٥١) وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو

ذلك لا دون وقوعه فقط

كما قيل فان بعض الامور

التي ستحكي يقع بعد

مجيئه حتما (جعله) أى

السد المشار اليه مع

مئاته ورسائله وفيه

من الجزالة ما ليس

في توجيهه الاشارة

السابقة الى التمكن

المذكور (دكا) أى

أرضاً مستوية وقرى

دكا أى مدكو كما موسى

بالارض وكل ما ينسبط

بعد ارتفاع فقد اندك

ومنه الجمل الادك أى

المنسبط السنام وهذا

الجلع وقت مجئ الوعد

بمجيئ بعد مباديه وفيه

بيان لعظم قدرته عز وجل

بعد بيان سعة رحمته

(وكان وعده) أى

وعده المعهود أو كل

ما وعده فيدخل فيه

ذلك دخولا أو لا (حقا)

ثابتا لا محالة واقعا

البته وهذه الجملة تنذير

من ذى القرنين لما ذكره

من الجملة الشرطية ومقرر

موكد لمضمونها وهو

آخر ما حكي من قصته

وقوله عز وجل (وتركنا

بعضهم) كلام مسوق

ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الأخضر ثم عاد الى مصر فبنى
الاسكندر بنة وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح
في مذبحه ثم انعطف الى أرمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم
توجد نحو دار ابن دارا وهرمه مرات الى أن قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على
ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبني المدن
الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زورومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين
كان رجلا ملك الارض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه
ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن المراد بنى القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس
اليونانى ثم ذكروا في سبب تسميته بهذا الاسم وجوها (الاول) انه لقب بهذا اللقب
لاجل بلوغه قرنى الشمس أى مطلعها ومقر بها كما لقب اذ شبر بن بهمن بطويل اليدين
لتفوقه أمر بحيث أراد (والثاني) ان الفرس قالوا ان دارا الاكبر كان قد تزوج بانية
فيلقوس فلما قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردها على أبيها فيلقوس وكانت قد حلت
منه بالاسكندر فولدت الاسكندر بعد عودها الى أبيها فبنى الاسكندر عند فيلقوس
وأظهر فيلقوس انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر قالوا والدليل عليه ان
الاسكندر لما أدرك دارا بن دارا وهرمق وضع رأسه في حجره وقال ادرا يا أبى اخبرنى
عن فعل هذا لا انتقم لك منه فهذا ما قاله الفرس قالوا وعلى هذا التقدير فالاسكندر أبود
دارا الاكبر وأمه بنت فيلقوس فهو انما تولد من أصلين مختلفين الفرس والروم وهذا
الذى قاله الفرس انما ذكره لانهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم حتى لا يكون
ملك مثله من نسب غير نسب ملوك العجم وهو في الحقيقة كذب وانما قال الاسكندر لدارا
يا أبى على سبيل التواضع واكرم دارا بذلك الخطاب (والقول الثاني) قال أبو الريحان
الهرورى المتبحر في كتابه الذى سماه بالآثار الباقية عن القرون الخالية قيل ان ذا القرنين
هو أبوكرب شمس بن عبيد بن افرقيش الحميرى فانه بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها
وهو الذى افتخر به أحد الشعراء من حير حيث قال

قد كان ذوا القرنين قبلى مسلما * ملكا على الارض غير متمدن

بلغ المشارق والمغارب يتغنى * أسباب ملك من كريم سيد

ثم قال أبو الريحان ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لان الاذواء كانوا من الايمن وهم
الذين لا تخلو أسامهم من ذى كذا كذى النادوى نواس وذى النون وغير ذلك
(القول الثالث) انه كان عبدا صالحا ملكه الله الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه
الامة وان كنا لانعرف انه من هو ثم ذكروا في تسميته بنى القرنين وجوها (الاول)
عز بن الكواعليا رضى الله عنه عن ذى القرنين وقال املك هو أم بنى فقال لا املك
فبنى كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على

ن جناحه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه أى جعله بعض الخلائق (يوشد) أى يوم اذ جاء
لوعده بمجيئ بعض مباديه (يوجع في بعض) آخر منهم بضطر بون اضطراب أمواج البحر ويختلط انفسهم وجنهم
خيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى أوتر كنا بعض

يا جوج وما جوج يوج في بعض اخر منهم حين يجر جوج من السدم من دججن في البلاد زوى انهم ياتون البحر عشر يور
 ماء وياكون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به من لم يتحصن منهم ﴿ ٧٥٢ ﴾ من الناس ولا يتعدون ان ياتوا مكة

قرنه الايسر فبات فبعثه الله فسمى بذي القرنين وملك ملكه (الثاني) سمي بذي القرنين لانه
 انقضى في وقت قرنان من الناس (الثالث) قيل كان صفحتا رأسه من نحاس (الرابع)
 كان على رأسه ما يشبه القرنين (الخامس) لتاجه قرنان (السادس) عن النبي صلى الله
 عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرى الدنيا يعني شرقها وغربها (السابع) كان له
 قرنان أي صغيرتان (الثامن) ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى بهديه النور
 من امامه وبعده الظلمة من ورائه (التاسع) يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى
 الشجاع كبشا كانه ينطرح أقرانه (العاشر) رأى في المنام كانه صعد الفلك فتعلق بطرفه
 الشمس وقرنيه واجابتهما فسمى لهذا السبب بذي القرنين (الحادي عشر) سمي بذلك لانه
 دخل النور والظلمة (والقول الرابع) ان ذا القرنين ملك من الملائكة عن عمرانه سمع
 رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر ما رضىتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسموا
 باسماء الملائكة فهذا اجله ما قيل في هذا الباب والقول الاول أظهر لاجل الدليل الذي
 ذكرناه وهو ان مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا والذي
 هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الاسكندر فوجب أن يكون المراد بذي القرنين
 هو هو الا أن فيه اشكالا قويا وهو انه كان تليذا رسطاطا ليس الحكيم وكان على مذهبه
 فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطا ليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل
 اليه والله أعلم (المسئلة الثالثة) اختلفوا في ذى القرنين هل كان من الانبياء أم لا منهم
 من قال انه كان نبيا واحتجوا عليه بوجوه (الاول) قوله انما كنهاله في الارض والاولى
 حمله على التمكن في الدين والتكئين الكامل في الدين هو النبوة (والثاني) قوله وآتيناه
 من كل شيء سبيبا ومن جلة الاشياء النبوة فحقن في العموم في قوله وآتيناه من كل شيء سبيبا
 هو انه تعالى آتاه في النبوة سبيبا (الثالث) قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما
 ان تتخذ فبهم حسنا والذي يتكلم الله معه لا بد وأن يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا
 صالحا وما كان نبيا (المسئلة الرابعة) في دخول السين في قوله سأتلوا معناه اني سأ فعل
 هذا ان وقفني الله تعالى عليه وانزل فيه وحيا وأخبرني عن كيفية تلك الحال وأما قوله
 تعالى انما كنهاله في الارض فهذا التمكن يحتمل أن يكون المراد منه التمكن بسبب النبوة
 ويحتمل أن يكون المراد منه التمكن بسبب الملك من حيث انه ملك مشارق الارض
 ومغاربها والاول أولى لان التمكن بسبب النبوة أعلى من التمكن بسبب الملك وحمل
 كلام الله على الوجه الاكمل الافضل أول ثم قال وآتيناه من كل شيء سبيبا قالوا السبيبا
 في أصل اللغة عبارة عن الحيل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المقصود وهو تناول الزبد
 والقدرة والآلة فقوله وآتيناه من كل شيء سبيبا معناه أعطينا من كل شيء من الامكنة
 التي يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشيء ثم ان الذين قالوا انه كان نبيا قالوا من جلة الانبياء
 النبوة فهذه الآية تدل على انه تعالى أعطاه الطريق الذي به يتوصل الى تحصيل النبوة

والمدينة وبيت المقدس
 ثم بعث الله عز وجل
 نغفاني ألقائهم فيدخل
 آذانهم فيموتون موت
 نفس واحدة فيرسل الله
 تعالى عليهم طيرا فتلقمهم
 في البحر ثم يرسل مطرا
 يغسل الارض ويطهرها
 من نذمهم حتى يتركها
 كالزلفة ثم يوضع فيها
 البركة وذلك بعد نزول
 عيسى عليه الصلاة
 والسلام وقتل الدجال
 (ونفخ في الصور) هي
 النفخة الثانية بقضية
 الفناء في قوله تعالى
 (فجمعناهم) ولعل عدم
 التعرض لذكر النفخة
 الاولى لانها داهية عامة
 ليس فيها حالة مختصة
 بالكفار واثلا يقع الفصل
 بين ما يقع في النشأة
 الاولى من الاحوال
 والاهوال وبين ما يقع
 منها في النشأة الآخرة
 أي جمعنا الخلائق
 بعدما تفرقت أوصلهم
 وعمرت أجسادهم
 في صعيد واحد للحساب
 والجزاء (جمعا) أي
 جمعا عجيبا لا يكنته
 كنهه (وعرضنا

جهنم) أي أظهرناها وأبرزناها (يومئذ) أي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة (للكافرين) منهم حيث ﴿ والذين ﴾
 جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزقيرا (عرضا) أي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض
 بهم مع انها يرى من أهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة (الذين كانت أعينهم) وهم في الدنيا (في خطاء) كثيف وغشاو

خطة مخاطبة بذلك من جميع الجوانب (عن ذكرى) عن الآيات المؤدية لاولى الابصار المندبرين فيها الاذكري
جديد والتعجيد أو كانت أعين بصائرهم ﴿ ٧٥٣ ﴾ في غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأنى أو عن القرآن

الكريم (وكانوا) مع ذلك
(لا يستطيعون) لفرط

تصاهمهم عن الحق وكما

عداوتهم للرسول عليه

الصلاة والسلام (سما)

استماعا لذكرى وكلاهما

الحق الذى لا يتيسر

الباطل من بين يديه

ولامن خلفه وهذا تشيل

لا عراضهم عن الادلة

السمعية كما أن الاول

تصور يرتعا منهم عن

الآيات المشاهدة

بالابصار والموصول

نعت للكافرين أو بدل

منذ أو بيان حتى به لزمهم

بأنى حيز الصلة والاشعار

بعلية لا صلبة ما أصابهم

من عرض جهنم لهم

فان ذاك انما هو لعدم

استعمال مشاعرهم

فيما عرض لهم في الدنيا

من الآيات واعراضهم

عنهما مع كونها أسبابا منجية

عما ابتلوا به في الآخرة

(أفحسب الذين كفروا)

أى كفروا بى كما يعرب

عنه قوله تعالى عبادى

والحسبان بمعنى الظن

وقد قرئ أفظن والهمزة

الانكار والتوبيخ على

معنى انكار الواقع

والذين أنكروا كونه نبيا قالوا المراد به وآتيناهم من كل شئ يحتاج اليه فى اصلاح ملكه
سببا الا أن لقائل أن يقول ان تخصيص العموم خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا بدليل
ثم قال فأتبع سببا ومعناه انه تعالى لما أعطاه من كل شئ سببه فاذا أراد شيئا أتبع سببا
يوصله اليه و يقر به منه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فأتبع بشديد التاء وكذلك ثم اتبع
أى سلك وسار والباقيون فأتبع بقطع الالف وسكون التاء مخففة * قوله تعالى (حتى
اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حجة ووجد عندها قوما فلما اذا القرنين
امان تعذب وامان لنخذلهم حسنا قال أمان من ظلم فسوف نعذبهم ثم يرد الى ربه فعذبته
عذابا نكرا وأمان آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) اعلم ان
المعنى انه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله اليه حتى بلغه أما قوله وجدها تغرب
فى عين حجة ففيه مباحث (الاول) قرأ ابن عامر وحزرة والكسائى وأبو بكر عن حاصم
فى عين حامية بالالف من غير همزة أى حارة وعن أبى ذر قال كنت رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت
الله ورسوله أعلم قال فأنهسا تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلمة وابن عامر
والباقيون حجة وهى قراءة ابن عباس واتفق ان ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية
حامية بالف فقال ابن عباس حجة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
أمر المؤمنين ثم وجهه الى كتب الاخبار فكيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين
كذلك تجد فى التوراة والحكمة ما فيه ماء وحجاة سوداء واعلم انه لا تنافى بين الحجة والحامية
فجاء أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا (البحث الثانى) انه ثبت بالدليل ان الارض
كرة وان السماء محيطة بها ولا شك ان الشمس فى الفلك وأبضا قال ووجد عندها قوما
ومعلوم ان جلوس قوم فى قرب الشمس غير موجود وأبضا الشمس أكبر من الارض
بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض اذا ثبت هذا فتقول تأويل
قوله تغرب فى عين حجة من وجوه (الاول) ان اذا القرنين لما بلغ موضعها فى المغرب
ولم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب فى عين وهذه مظلمة وان لم تكن
كذلك فى الحقيقة كما أنراك البحر يرى الشمس كأنها تغيب فى البحر اذا لم ير الاشط
وهى فى الحقيقة تغيب وراء البحر هذا هو التأويل الذى ذكره أبو على الجبائى فى تفسيره
(الثانى) ان الجانب الغربى من الارض مساكن محيط البحر بها فالناظر الى الشمس
يتخيل كأنها تغيب فى تلك البحار ولا شك ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية
وهى أيضا حجة لكثرة ما فيها من الحماة السوداء والماء فقوله تغرب فى عين حجة إشارة
(الأن الجانب الغربى من الارض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة) (الثالث)
عن أهل الاخبار ان الشمس تغيب فى عين كثيرة المساء والحماة وهذا فى غاية البعد وذلك
فإذا أرصدنا كسوفها فإذا اعتبرناه ورأينا ان الغربيين قالوا حصل هذا

واستقبحه كما فى قولك أضربت أباك ﴿ ٩٥ ﴾ خا لانكار الوقوع كما فى قوله أضرب أبى والفاء للعطف على مقدر
يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى افلا تعقلون
منفيا أى الاتسمعون فلا تعقلون لالى المعطوف

فقط كما اذا قدر مثبتا أي أن سمعون فلا تعقلون والمعنى أكفروا بي مع جلالة شأني فحسب أن يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت ٧٥٤ سلطاني وملكوتي (أولياء) معبودين يصرون

من يأسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من العامي والنصام وأدخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطع عنه المعطوف عليهما لفظا لا معنى للابدان بالاستقلال المؤكد للذم بإياه ترك الانحصار والتعرض لوصف آخر غير العامي والنصام على أنها أخرجا من جرح الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر من حيث انها من أفعالهم الاختيار بقا الحادثة لحسبانهم ليحسن تفردها عليها وأيضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن نصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولى حسب كافي قوله تعالى وحسبو أن لا تكون فتنة أى أفحسبوا انهم يتخذونهم أولياء على معنى أن

الكسوف في أول الليل ورأيتا المشرقين قالوا حصل في أول النهار فعلنا ان أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس واذا كانت هذه الاحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار علمنا ان الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الاوقات كان الذي يقال انها تغيب في الطين والحماة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الا أن يصار الى التأويل الذي ذكرناه ثم قال تعالى ووجد عندنا قوما الضمير في قوله عندنا الى ماذا يعود فيه قولان (الاول) انه عائدا الى الشمس ويكون التأثير للشمس لان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان هذا الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس (والقول الثاني) أن يكون الضمير عائدا الى العين الحامية وعلى هذا القول فالأول ما ذكرناه ثم قال تعالى قلنا يا ذا القرنين امان تعذب واما ان نتخذ فيهم حسنا وفيه مباحث (الاول) ان قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين امان ان تعذب واما نتخذ فيهم حسنا يدل على انه تعالى تكلم معهم من غير واسطة وذلك يدل على انه كان نبيا وحل هذا اللفظ على ان المراد أنه خاطبه على السنة بعض الانبياء فهم وعدول عن الظاهر (المبحث الثاني) قال أهل الاخبار في صفة ذلك الموضع أشياء عجبية قال ابن جريح هناك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجبة الشمس حين تغيب (المبحث الثالث) قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين امان تعذب واما ان نتخذ فيهم حسنا يدل على ان سكان آخر المغرب كانوا كفارا فغير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم ان أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم وهذا التخير على معنى الاجتهاد في أصلح الامرين كاخير نيبد عليه السلام بين المن على المشركون وبين قتلهم وقال الا كثرون هذا التعذيب هو القتل وأما اتخاذ الحسنى فيهم فهو تركهم احياء ثم قال فواقرنين امانم ظلم أي ظلم نفسه بالاقامة على الكفر والدليل على ان هذا هو المراد انه ذكر في مقابلته وأمان آمن وعمل صالحا ثم قال فسوف نعذبه أي بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه فيعذبه عندا بانكر أي منكرا فظيحا وأمان آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى قرأ حرة والكسافي وحفص عن عاصم جزاء الحسنى بالنصب والتوين والباسقون بالرفع والاضافة فعلى القراءة الاولى يكون التقدير فله الحسنى جزاء كما تقول لك هذا الثوب هبة وأما على القراءة الثانية في التفسير وجهان (الاول) فله جزاء الفعلة الحسنى والفعلة الحسنى هي الايمان والعمل الصالح (والثاني) أن يكون التقدير فله جزاء المثوبة الحسنى ويكون المعنى فله ذا الجزاء الذي هو المثوبة الحسنى والجزاء موصوف بالمثوبة الحسنى واصافة الموصوف الى الصفة مشهورة كقوله ولدار الآخرة وحق اليقين في الله وسنقول له من أمرنا يسرا أي لان امره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المبسر من امر

ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انما يكون من الجانبين وهم عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الجرح ولا يتهم بالمرء اقوالهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أى أفحسبوا انهم يتخذونهم أولياء فلهذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا

احسبهم وكافهم أن يتخذهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل فان التعت اذا اعتدا الهمة ساوى
بل في العمل فالهمة حينئذ يعني انكار الوقوع ﴿ ٧٥٥ ﴾ (اننا اعتدنا جهنم) أي هيأناها (للكافرين) المعهودين

عدل عن الاضمار ذما
لهم واشعارا بأن ذلك
الاعتداد بسبب كفرهم
المتضمن لحساباتهم
الباطل (تزلا) أي شيئا
يتمتعون به عند ورودهم
وهو ما يقام للتزليل أي
الضييق مما حضر من
الطعام وفيه تخطئة

لهم في حساباتهم وتهكم
بهم حيث كان اتخاذهم
أيها أولياء من قبيل اعتداد
العتاد واعدا د الزاد
ليوم المعاد فكانه قيل
انا اعتدنا لهم مكان
مأعدوا لانفسهم من
العدة والنذر جهنم
عدة وفي ايراد الغزل
ايماء الى أن لهم وراء
جهنم من العذاب ما هو
انموذج له وقيل الغزل
موضع الغزل ولذلك
فسره ابن عباس رضي
الله عنهما بالثوى (قل
هل ننبتكم) الخطاب
الثاني للكفرة على وجه
التوبيخ والجمع في صيغة
المتكلم لتعينه من أول
الامر واللايدان معلومية
النبا للمؤمنين أيضا
(بالأخسر من أعمالا)
نصب على التمييز والجمع
اللايدان يتوعدوها وهذا

والخراج وغيرهم وتقديره ذاليسر كقوله قولا ميسورا وقرى يسرا بضمين * قوله تعالى
(ثم أتبع سباحتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
كذلك وقد أحطنا بالديه خبرا) اعلم انه تعالى لما بين أولا انه قصد أقرب الاماكن
المسكونة من مغرب الشمس أتبعه بيان انه قصد أقرب الاماكن المسكونة من مطلع
الشمس فبين الله تعالى انه وجد الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دنهابسترا وفيه
قولان (الاول) انه ليس هناك شجر ولا جبل ولا بنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم
فلهذا السبب اذا طلعت الشمس دخلوا في اسراب واغلة في الارض أو غاصوا في الماء
فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشغلون
بتحصيل مهمات المعاش حالهم بالضد من أحوال سائر الخلق (والقول الثاني) ان معناه
انه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبدا ويقال في كتب الهيئة ان حال أكثر
الزنج كذلك وحال كل من يسكن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك وذكر في كتب
التفسير ان بعضهم قال سافرت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك
و بينهم مسيرة يوم و ليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ولما قرب
مطامع الشمس سمعت كهية الصلصلة فتشبي على ثم أفتت وهم مسحونني بالدهن فلما
طلعت الشمس اذا هي فوق الماء كهية الزيت فادخلونا سر بالهم فلما ارتفع النهار
جعلوا يعسطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج ثم قال تعالى كذلك وقد أحطنا
بالديه خبرا وفيه وجوه (الاول) أي كذلك فعل ذوا القرنين أتبع هذه الاسباب حتى
بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به
(والثاني) كذلك جعل الله أمر هؤلاء القوم على ما قد أعلم رسوله عليه السلام في هذا
الذكر (والثالث) كذلك كانت حاله مع أهل المطالع كما كانت مع أهل المغرب قضى
في هؤلاء كما قضى في أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين (والرابع) انه تم
الكلام عند قوله كذلك والمعنى انه تعالى قال أمر هؤلاء القوم كما وجدهم عليه
ذوا القرنين ثم قال بعده وقد أحطنا بالديه خبرا أي كنا طالعين بأن الامر كذلك * قوله
تعالى (ثم أتبع سباحتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا قالوا باذا القرنين ان بأجوج وأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا
على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيهر بي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم
وبينهم ردا) اعلم ان ذوا القرنين لما بلغ المشرق والمغرب أتبع سببا آخر وسلك الطريق
حتى بلغ بين السدين وقد آناه الله من العلم والقدرة ما يقوم بهذه الامور وههنا ما بحث
(الاول) قرأ حزة والكسائي السدين بضم السين وسدا بفتحها حيث كان وقرأ حفص
عن عاصم بالفتح فيها في كل القرآن وقرأنا فم وابن عامر وأبو بكر عن عاصم بالضم فيها
في كل القرآن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والسدين وسدا ههنا بفتح السين فيهما وضمهما في يس

بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حساباتهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واقفين
بذيل ثوابها ومشاهدة آثارها غيب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في انفسها هم كونها حسنة في حساباتهم (الذين
ضل سعيهم) في اقامة تلك الاعمال أي ضاع وبطل

بالكلية (في الحياة الدنيا) متعلق بالسعي لبالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين
قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص وبجاهد رضي الله عنه ٧٥٦ هـ عنهم ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه من

الاحكام المنسوخة
المتعلقة بالعبادات وقيل
الرهابة الذين يجسسون
أنفسهم في الصوامع
ويحملونها على
الرياضات الشاقة وعلله
ما يعمهم وغيرهم من
الكفرة ومحل الموصول
الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف لانه جواب
للسؤال كانه قيل من هم
فقيل الذين الخ وجعله
مجرورا على انه نعت
للأخسرين أو بدل منه
أو منصوبا على الذم على
أن الجواب ماسألتني
من قوله تعالى أولئك
الآية بأباه أن صدره
ليس منتبها عن خسران
الاعمال وضلال السعي
كاستدعيه مقام الجواب
والنفرع الاول وان دل
على حبو طها لكانه
سأكت عن أبناء ما هو
العمدة في تحقيق معنى
الخسران من الوثوق
بترتب الربح واعتقاد
النفع فيما صنعوا على أن
النفرع الثاني مما يقطع
ذلك الاحتمال رأسا إذ
لا مجال لأدراجه تحت
أمر بفضيلة نون العظمة
(وهم يحسبون أنهم

في الموضوعين قال الكسائي هما لغتان وقيل ما كان من صنعة بنى آدم فهو السد بفتح
السين وما كان من صنع الله فهو السد بضم السين والجمع سدود وهو قول أبي عبيدة وابن
الانباري قال صاحب الكشف السد بالضم فعل بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله
وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس (البحث الثاني) الاظهر ان موضع
السد في ناحية الشمال وقيل جبلان بين أرمنية وبين أذربيجان وقيل هذا المكان في
مقطع أرض الترك وحكي محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذر بيجان أيام
فتحها وجه انسانا اليه من ناحية الخزر فشاذه ووصف انه بنيان رفيع وراء خندق
عميق وثيق مشيع وذكرا بن خرداد في كتاب المسالك والممالك ان الواثق بالله رأى في المنام
كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى
وصلوا اليه وشاهدوه فوصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود بالحاس المذاب وعليه
باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل على البقاع المحاذية
لسمرقند قال أبو الریحان مقتضى هذا أن موضعه في الربع الشمالى الغربى من المعمورة
والله أعلم بحقيقة الحال (البحث الثالث) ان ذا القرنين لما بلغ ما بين السدين وجد من
دونهما أى من وراءهما مجاوزا عنهما قوما أى أمة من الناس لا يكادون يفقهون قولاً
قرأ حرة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يمكنهم تفهيم غيرهم
والباقون بفتح الياء والقاف والمعنى انهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم وما كانوا يفهمون
اللسان الذى يتكلم به ذوا القرنين ثم قال تعالى قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج
مفسدون في الارض فان قيل كيف فهم ذوا القرنين منهم هذا الكلام بعد ان وصفهم الله
بقوله لا يكادون يفقهون قولاً والجواب ان نقول كاد فيه قولان (الاول) ان اثباته نفي
ونفيه اثبات فقوله لا يكادون يفقهون قولاً لا يدل على انهم لا يفهمون شيئاً بل يدل على
انهم قد يفهمون على مشقة وصعوبة (والقول الثاني) ان كاد معناه المقاربة وعلى هذا
القول فتقوله لا يكادون يفقهون قولاً أى لا يعلمون وليس لهم قرب من أن يفقهوا وعلى
هذا القول فلا بد من اضممار وهو ان يقال لا يكادون يفهمونه الا بعد تقريب ومشقة
من اشارة ونحوها وهذه الآية تصلح أن يخرج بها على صحة القول الاول في تفسير كاد
(البحث الرابع) في يا جوج وما جوج قولان (الاول) انهما اسمان أعجميان
موضوعان بدليل منع الصرف (والقول الثاني) انهما مشتقان وقرأ عاصم يا جوج
وما جوج بالهمز وقرأ الباقر يا جوج وما جوج وقرئ في رواية آجوج وما جوج
والقائلون بكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها (الاول) قال الكسائي
يا جوج مأخوذ من تأجج النار وتلهبها فلهذا عنتهم في الحركة سمو بذلك وما جوج من
موج البحر (الثاني) ان يا جوج مأخوذ من تأجج الملح وهو شدة ملوحته فلهذا عنتهم في
الحركة سمو بذلك (الثالث) قال القتيبي هو مأخوذ من قولهم أج الظليم في مشيه يشج أجاً

يحسبون صنعا) الاحسان الاثبات بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنهما الوصفى المستلزم لحسنهما اذا هرول هـ
لذا قال أى يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لانجبابهم بأعمالهم التى سعوا في اقامتها وكابدوا
تحصيلها والجملة حال من فاعل

ضل أي بطل سعيهم المذكور والخال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك ويتفنون بآثاره أو المضاف اليه لكونه في محل
الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا أي بطل ﴿٧٥٧﴾ سعيهم والخال انهم الخ والفرق بينهم ما أن المقارن لخال حسابانهم

المذكور في الاول ضلال

سعيهم وفي الثاني نفس

سعيهم والاول أدخل

في بيان خطئهم (أولئك)

كلام مستأنف من جنبه

تعالى مسوق لتكمل

تعريف الاخسر بن

وتبين سبب خسارهم

وضلال سعيهم وتعيينهم

بحيث ينطبق التعريف

على المخاطبين غير داخل

تحت الامر أي أولئك

المنعوتون بما ذكر من

من ضلال السعي مع

الحسان المزبور (الذين

كفروا بآيات ربهم)

بدلائله الداعية الى

التوحيد عقلا ونفلا

والتعرض لعنوان

الربوبية لزيادة تقييح

حالهم في الكفر المذكور

(ولقائه) بالبعث وما

يتبعه من أمور الآخرة

علماهي عليه (خبطت)

لذلك (أعمالهم) المعهودة

حبوطا كليا (فلا نقيم لهم)

أي لأولئك الموصوفين

بما مر من حبوط الاعمال

وقرى بالياء (يوم القيامة

وزنا) أي فترد بهم

ولا نجعل لهم مقدارا

واعتبارا لان مداره

إذا هزل وسمعت حقيقته في عدوه (الرابع) قال الخليل الأجد حبا كالعدس والمجمج
الريق فيحتمل أن يكونا مأخوذين منهما واختلفوا في انهما من أي الاقوام فقبل انهما
من الترك وقيل يأجوج من الترك وأجوج من الجبل والدليل ثم من الناس من وصفهم
بقصر القامة وصغر الجثة يكون طول أحدهم شبرا ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر
الجثة وأثبتوا لهم مخالب في الاظفار وأضراسا كأضراس السباع واختلفوا في كيفية
افسادهم في الارض فقبل كانوا يقتلون الناس وقيل كانوا يأكلون لحوم الناس وقيل
كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم شيئا أخضر وبالجمل فلفظ الفساد محتمل
لكل هذه الاقسام والله أعلم بمراده ثم انه تعالى حكى عن أهل ما بين السدين انهم قالوا
لذي القرنين فهل نجعل لك خراجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فآخروا والكسائي
خراجا والباقون خراجا قيل الخراج والخرج واحد وقيل هما أمران متغايران وعلى
هذا القول اختلفوا قيل الخرج بغير ألف هو الجعل لان الناس يخرج كل واحد منهم
شيئا منه فيخرج هذا أشياء وهذا أشياء والخراج هو الذي يجبيه السلطان كل سنة وقال
الفراء الخراج هو الاسم الاصل والخرج كالصدر وقال قطرب الخرج الجزية والخراج
في الارض فقال ذو القرنين ما مكنتي فيه ربي خير فأعينوني أي ما جعلني مكنتا من المال
الكثير واليسار الواسع خير مما تبتلون من الخرج فلا حاجة بي اليه وهو كما قال سليمان
عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم قرآن كثير ما مكنتني بنونين على الاظهار
والباقون بنون واحدة مشددة على الادغام ثم قال ذو القرنين فأعينوني بقوة أجعل
بينكم وبينهم ردما أي لا حاجة لي في ما لكم ولكن أعينوني رجال وآلة ابني بها السد
وقيل المعنى أعينوني بمال أصرفه الى هذا المهم ولا أطلب المال لأخذه لنفسى والردم
هو السد يقال ردمت الباب أي سدته ورددت الثوب رقعته لانه يسد الخرق بالرقعة
وازدم أكثر من السد من قولهم ثوب مردوم أي وضعت عليه رقاع * قوله تعالى
(آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني
أفرغ عليه فطرا فاسطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا) اعلم ان زبر الحديد قطعة قال الخليل
الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قراءة الجميع آتوني بعد الالف الاحزة فانه قرأتوني
من الاتيان وقد روى ذلك عن عاصم والتقدير آتوني زبر الحديد ثم حذف الباء كقوله
شكرته وشكرت له وكفرته وكفرت له وقوله حتى إذا ساوى بين الصدفين فيه اضمار
أي فأتوه بها فوضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت تسد ما بين الجبلين
الى اعلاهما ثم وضع المنافع عليها حتى إذا صارت كالنار رصب التماس المذاب على
الحديد المحمي فالتصق بعضها ببعض وصار جبلا صلدا واعلم ان هذا معجز فاهر لان هذه
الزبر الكثيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفع

الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرءة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التقرير وأما
ما هو من أجزية الكفر فيسبحي بعد ذلك أولا نضع لاجل وزن أعمالهم ميرانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات

والسبب من الموحدين لتمييزه مفاد الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية ﴿ ٧٥٨ ﴾ دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً (ذلك)

بيان لما لكفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان ما ل أعمالهم المحبطة بذلك أى الامر ذلك وقوله عز وجل (جزاؤهم جهنم) جلة مبيته له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدل وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبير (بما كفر وا) نصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التى أنبأ عنها قوله تعالى (واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى مهزوا بها فأنهم لم يفتعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضاً (ان الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد لما لك الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد أى آمنوا بآيات ر بهم ولفانه (وغلوا الصالحات) من الاعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعدده وفيه ايعا الى أن أثر

عليها لا يمكن الامع القرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين عليها قال صاحب الكشف قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ والصدفان يفتحان جانبا للجليل لانهما يتصادفان أى يتقابلان وقرئ الصدفين بصفتين والصدفين بضمة وسكون والقطر الخماس المذاب لانه يقطر وقوله قطرا منصوب بقوله أفرغ وتقديره آتوا قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ثم قال غا اسطاعوا فحذف التاء للتحفة لان التاء قريبة الخرج من الطاء وقرئ غا اسطاعوا بقلب السين صاداً أن يظهره أن يعلوه أى ما قدره وعلى الصعود عليه لاجل ارتفاعه وملاسته ولا على نقيه لاجل صلابته وثخائنه ثم قال ذوالقرنين هذا رجة من ربي قوله هذا اشارة الى السد أى هذا السد نعمة من الله ورجة على عباده أو هذا الاقتدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعنى فاذا ادنا بحجى القيامة جعل السد دكا أى مذكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك وقرئ دكا بالمد أى أرضاً مستوية وكان وعد ربي حقاً وههنا آخر حكاية ذى القرنين * قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يؤرج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً) اعلم ان الضمير في قوله بعضهم عائداً الى أجوج وما جوج وقوله يومئذ فيه وجوه (الاول) ان يوم السدماج بعضهم في بعض خلفه لما منعوا من الخروج (الثانى) ان عند الخروج يؤرج بعضهم في بعض قبل انهم حين يخرجون من وراء السد يؤرجون من دحين في البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ويأكلون لحوم الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عليهم حيوانات فتدخل آذانهم فيموتون (والقول الثالث) ان المراد من قوله يومئذ يوم القيامة وكل ذلك محتمل الا أن الاقرب ان المراد الوقت الذى جعل الله ذلك السد دكا فعنده ما ج بعضهم في بعض وبعده نفخ في الصور وصار ذلك من آيات القيامة والكلام في الصور قد تقدم وسيجيى من بعد وأما عرض جهنم وبراذه حتى يصير مكشوفاً بهوالة فذلك يجري مجرى عقاب الكفار لما يتدخلهم من الغم العظيم وبين تعالى أنه يكشفه للكافرين الذين عموا وصموا أما العمى فهو المراد من قوله كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى والمراد منه شدة انصرافهم عن قبول الحق وأما الصمم فهو المراد من قوله وكانوا لا يستطيعون سمعاً يعنى ان حالتهم أعظم من الصمم لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صحى به وهو لا زالت عنهم تلك الاستطاعة واحتج الاصحاب بقوله وكانوا لا يستطيعون سمعاً على ان الاستطاعة مع الفعل وذلك لانهم لما لم يسعوا لم يستطيعوا فالقاضى المراد منه نفرتهم عن سماع ذلك الكلام واستغفالههم اياه كقوله الرجل لا أستطيع النظر الى فلان * قوله تعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء أنا عتدنا جهنم للكافرين نزلاً

الرجة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلاً فانه بموجب ما حدث ﴿ قل ﴾ من سوء اختيارهم (جنات الفردوس) عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالجشية وقال الضحاك

هو الجنة الملتفة الاشجار وقبل هي الجنة التي ثبت ضررها من النبات وقبل هي الجنة من الكرم خاصة وقبل ما كان غالبه كراما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر ٧٥٩ الملتف والاغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه

ليس في الجنان أعلى من
جنة الفردوس وفيها
الأمرون المعروف
والناهون عن المنكر وعن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين مسيرة
مائة عام والفردوس
اعلاها وفيها الانهار
الاربعة فاذا سألتم الله
تعالى فاسألوه الفردوس
فان فوقه عرش الرحمن
ومنه تنبع أنهار الجنة
(نزلا) خبر كانت والجار
والنجور متعلق بمحذوف
على انه حال من نزلا أو
على انه بيان أو حال من
جنات الفردوس والخبر
هو الجار والنجور فان
جعل النزول بمعنى ما يهب
للنازل فالعنى كانت لهم
ثمار جنات الفردوس
نزلا أو جعلت نفس
الجنات نزلا مبالغة في
الاکرام وفيه ايدان بأنها
عندما أعد الله لهم على
ما جرى على لسان النبوة
من قوله أعددت لعبادي
البهائم ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بمنزلة
النزل بالنسبة الى الضيافة

قل هل ننسئكم بالآخسر ين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطت أعمالهم فلا نقيم لهم
يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) اعلم انه تعالى لما بين من حال الكافرين انهم أعرضوا عن الذكر
وعن استماع ما جاء به الرسول أتبعه بقوله أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من
دوني أولياء والمراد أفضنوا انهم ينفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر الآيات
وتعريضهم عن قبول أمره وأمر رسوله وهو استفهام على سبيل التوبيخ (المسئلة الثانية)
قرأ أبو بكر ولم يرعه الى عاصم أفحسب الذين كفروا بسكون السين ورفع الباء وهي من
الاحرف التي خالف فيها عاصم ما ذكره قراءة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وعلى هذا
التقدير فقوله حسب مبتدأ أن يتخذوا خبره والمعنى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا كذا
وكذا وأما الباقيون فكروا أخسب على لفظ الماضي وعلى هذا التقدير ففيه حذف
والمعنى أخسب الذين كفروا اتخذوا عبادي أولياء نافعا (المسئلة الثالثة) في العباد
أقوال قيل أراد عيسى والملائكة وقيل هم الشياطين يوالونهم ويطيعونهم وقيل هي
الاصنام سماهم عبادا كقوله عبادا مثلكم ثم قال تعالى انا أعدنا جهنم للكافرين نزلا
وفي النزول قولان (الاول) قال الزجاج انه المأوى والمزل (والثاني) انه الذي يقام
للنزيل وهو الضيف ونظيره قوله فبشرهم بعذاب أليم ثم ذكر تعالى مآثبه به على جهل القوم
فقال قل هل ننسئكم بالآخسر ين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قيل انهم هم
الرهبان كقوله تعالى عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي أن ابن الكواء سأله
عنهم فقال هم أهل حروراء والاصل أن يقال هو الذي يأتي بالأعمال يظنها طاعات وهي
في أنفسهم معاصي وان كانت طاعات لكنها لا تقبل منهم لاجل كفرهم فأولئك انما أتوا
بتلك الأعمال لرجاء الثواب وانما أنعموا أنفسهم فيها لطلب الاجر والفوز يوم القيامة
فاذا لم يفوزوا بمطالبهم بين انهم كانوا ضالين ثم انه تعالى بين صنعهم فقال أولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطت أعمالهم وفيه مسئلتان (المسئلة الأولى) لقاء الله
عبارة عن رؤيته بدليل انه يقال اقيت فلانا أي رأيته فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول
قال تعالى فآتني الماء على امر قد قدر وذلك في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء
ثواب الله والجواب ان لفظ اللقاء وان كان في الاصل عبارة عن الوصول والملافة الا أن
استعماله في الرواية مجاز ظاهر مشهور والذي يقولونه من ان المراد منه لقاء ثواب الله
فهو لا يتم الا بالاضمار ومن المعلوم ان حل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور أولى من
حمله على ما يحتاج معه الى الاضمار (المسئلة الثانية) استدلت المعتزلة بقوله تعالى
فخبطت أعمالهم على أن القول بالاحباط والتكفير حق وهذه المسئلة قد ذكرناها
بالاستقصاء في سورة البقرة فلانعبدها ثم قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفيه

وان جعل بمعنى المنزل فالعنى ظاهر (خالدين فيها) نصب على الحالية (لا يغيثون عنها حولا) مصدر كالعوج والصفر أي
لا يطالبون تحولا عنها لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم وتطعم نحوه أبصارهم
ويجوز أن يراد نفي التعول

وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضيمه فيه فيكون حال امتداحه (قل لو كان البحر) أي جنس البحر (مدادا) وهو ما تنبئه الدواة من الخبر (لكلمات ربى) لخير بر كلمات * ٧٦٠ * علمه وحكمته التي من جعلتها ما ذكر

من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك (لقد البحر) مع كثرة ولم يبق منه شيء لتناهيه (قبل أن تنفذ) وقرى بالياء والمعنى من غير أن تنفذ (كلمات ربى) اعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على تفادها بعد نفاذ البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير (ولو جئنا) كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن بجى به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيده والواو اعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة للدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اى لقد البحر من غير نفاذ كلماته تعالى اول نجي بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة (بمثله مددا)

وجوه (الاول) اننا ندرى بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار (الثاني) لانهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات (الثالث) قال القاضي ان من غلبت معاصيه صار ما في فعله من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعته وهذا التفسير بناء على قوله بالايجاب والتكثير ثم قال تعالى ذلك جزاؤهم جهنم فقله ذلك أى ذلك الذى ذكرناه وفصلناه من أنواع الوعيد هو جزاؤهم على أعمالهم الباطلة وقوله جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ثم بين تعالى ان ذلك الجزاء جزاء على مجموع أمرين (أحدهما) كفرهم (الثاني) انهم أضافوا الى الكفر ان اتخذوا آيات الله واتخذوا رسله هزوا فلم يقتصر على الرد عليهم وتكذيبهم حتى استهزؤا بهم * قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يغيون عنها حولا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ولما ذكر في الكفار ان جهنم نزلهم اتبعه بذكر ما يرغب في الايمان والعمل الصالح فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (المسئلة الثانية) عطف عمل الصالحات على الايمان والمعطوف مغاير للمعطوف عليه وذلك يدل على ان الاعمال الصالحة مغايرة للايمان (المسئلة الثالثة) عن فتادة الفردوس وسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربع والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنها تنفجر أنهار الجنة (المسئلة الرابعة) قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للؤمنين والكرام اذا أعطى النزل أولا فلا بد أن يتبعه بالخلعة وليس بعد الجنة بكليتها الرؤية الله فان قالوا أليس انه تعالى جعل في الآية الاولى جنة جهنم نزلا للكافرين ولم يبق بعد جنة جهنم عذاب آخر فكذلك ههنا جعل جنة الجنة نزلا للؤمنين مع انه ليس له شيء آخر بعد الجنة والجواب قلنا للكافر بعد حصول جهنم مرتبة أعلى منها وهو كونه محجوبا عن رؤية الله كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ محجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فجعل الصلاة بالنار متأخرا في المرتبة عن كونه محجوبا عن الله ثم قال تعالى لا يغيون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله عاد في حبها عودا يعنى لا مزيد على سعادات الجنة وخيراتها حتى يريد أشياء غيرها وهذا الوصف يدل على غاية الكمال لان الانسان في الدنيا اذا وصل الى أى درجة كانت في السعادات فهو طامح الطرف الى ما هو أعلى منه * قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما

عونا وزيادة لان مجموع المتشاهين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون لامتناهيا * الحكم * اقيام الادلة الناطقة على تناهى الابعاد وقرى مددا جمع مدة وهى ما يستمد الكتاب وقرى مدادا (قل) لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى

ابشر مثلكم) لا ادعى الاحاطة بكلماته اثامة (يوحى الى) من تلك الكلمات (انما الهكم الواحد) لا شريك له في
بلاقي سائر احكام الالهية وانما عيزت ﴿ ٧٦١ ﴾ عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاءه) الرجاء توقع وصول

الخبر في المستقبل والمراد
بلفظه تعالى كرامته
وادخال الماضي على
المستقبل للدلالة على ان
الائق بحال المؤمن
الاستمرار والاستدامة
على رجاء اللقاء أي فمن
استمر على رجاء كرامته
تعالى (فليعمل) لتحصيل
تلك الطيبة العزيزة (علا
صالحا) في نفسه لائقا
بذلك المرجو كما فعله
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات (ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا)
اشرا كما جليبا كما فعله الذين
كفروا بآيات ربهم ولقاءه
ولا اشرا كما خفيا كما يفعله
أهل الرياء ممن يطلب به
أجرا ويثاروضع المظهر
موضع المضمحل في الموضوعين
مع العرض لعنوان
الربوبية تزيادة التبرير
وللاشعار بطبيعة العنوان
للامر والنهي ووجوب
الامتثال فعلا وترك الروي
ان جندب بن زهير رضي
الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني
لا عمل العمل لله تعالى
فاذا اطاع عليه سرتي
فقال عليه الصلاة

الهكم الواحد فمن كان يرجو لقاءه به فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل
والبينات وشرح فيها أفاضلها على كمال حال القرآن فقال قل او كان البحر
مداد الكلمات ربي والمداد اسم لما تمده الدواة من الخبر ولما عده السراج من السايط
والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لتفقد
قبل أن تفقد الكلمات وتقرير الكلام ان البحار كيفما فرضت في الاتساع والعظمة
فهى متناهية ومعلومات الله غير متناهية والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي فراحزة
الكسائي يتعد بالياء لتقدم الفعل على الجمع والباقيون بالياء لتأنيث كلمات وروى ان
حبي بن أخطب قال في كتابكم ومن بوئت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقرأون وما
أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر
كلمات الله (المسئلة الثانية) احتج المخالفون على الطعن في قول أصحابنا ان كلام الله
تعالى واحد بهذه الآية وقالوا انها صريحة في اثبات كلمات الله تعالى وأصحابنا حلوا
الكلمات على متعلقات علم الله تعالى قال الجبائي وأبضا قوله قبل أن تفقد كلمات ربي
يدل على ان كلمات الله تعالى قد تفقد في الجملة ومثبت عدمه امتنع قدمه وأبضا قال ولو
جئنا بمثله مددا وهذا يدل على انه تعالى قادر على ان يجي بمثل كلامه والذي يجساه به
يكون محدثا والذي يكون المحدث مثاله فهو أيضا محدث وجواب أصحابنا ان المراد منه
الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية واعلم انه تعالى لما بين كمال كلام الله أمر
محمد صلى الله عليه وسلم بأن يسلك طريقة التواضع فقال قل انما ابشر مثلكم يوحى
الى أى لامتيار بيني وبينكم في شئ من الصفات الا ان الله تعالى أوحى الى انه لا اله الا
الله الواحد الاحد الصمد والآية تدل على مطلوب بين (الاول) ان كلمة انما تفيد الحصر
وهى قوله انما الهكم الواحد (والثاني) ان كون الاله تعالى الها واحدا يمكن اثباته
بالدلائل السبعة وقد قررنا هذين المطلوبين في سائر السور بالوجوه القوية ثم قال فمن كان
يرجو لقاءه به والرجاء هو ظن المنافع الواصلة اليه والخوف ظن المضار الواصلة اليه
وأصحابنا حلوا لقاء الرب على رؤيته والمعتلة جلوه على لقاء ثواب الله وهذه المناظرة قد
تقدمت والعجب انه تعالى أورد في آخر هذه السورة ما يدل على حصول رؤية الله في
ثلاث آيات (أولها) قوله أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه (وثانيها) قوله كانت لهم
جنات الفردوس تزل (وثالثها) قوله فمن كان يرجو لقاءه به ولا يمان أقوى من ذلك ثم قال
فليعمل عملا صالحا أى من حصل له رجاء لقاء الله فليشغل بالعمل الصالح ولما كان
العمل الصالح قديوثي به لله وقديوثي به للرياء والسمعة لاجرم اعتبر فيه قبدان أن يوثق
به لله وأن يكون مبرا عن جهات الشرك فقال ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴿ قيل نزلت
هذه الآية في جندب بن زهير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله تعالى

بالسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه ﴿ ٩٦ ﴾ خا فنزلت تصديقه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لك أجران
جر السرو وأجر العالنية وذلك اذا قصد أن يقتدي به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر
قال الرياء ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت نوراً من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه ﴿٧٦٢﴾ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الخ كان له من مضجعه نوراً يتلأ

الى مكة خشود ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلأء من مضجعه الى البيت المعمور خشود ذلك النور ملائكة

صلون عليه حتى يستيقظ

الجد لله سبحانه على نعمة

الغضام * (سورة مريم

عليها السلام مكية

الآية السجدة وهي

ثمان أو تسع وتسعون

آية) * (بسم الله

الرحمن الرحيم) *

(كهيعص) بأمانة

لها، والياء، واظهار الدال

وقرىء بفتح الهاء، وامالة

الياء، وبفتحهمها، وبأخفاء

نون قبل الصاد لتقاربهما

وقد سلف أن مالا

يكون من هذه الفوائج

مفردة ولا موازنة لمفرد

وفطريق التلغظ بها

الحكاية فقط ساكنة الا

بحجاز على الوقف سواء

جعلت أسماء، لا سوراً و

مسرودة على غلط

التعديدون لأنها التقاء

الساكنين لكونه مفتعراً

في باب الوقف قطعاً

فاذا اطلع عليه أحد سمرني فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى أيضاً انه قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسعة والاولى محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به والمقام الاول مقام المبتدئين والمقام الثاني مقام الكاملين والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين قال المصنف رضى الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر سنة اثنتين وستمئة في بلدة غزنين ونسأل الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أن يخصنا بالمغفرة والفضل في يوم الدين انه ذو الفضل العظيم

*(سورة مريم رضى الله عنها ثمان وتسعون آية مكية) *

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(كهيعص) قبل الخوض في القراءة لابد من مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) ان حروف المعجم على نوعين ثنائى وثلاثى وقد جرت عادة العرب أن ينطقوا بالثنائيات مقطوعة مالة فيقولوا باتاناً وكذلك امثالها وان ينطقوا بالثلاثيات التى فى وسطها الالف مفتوحة مشبعة فيقولوا دال ذال صاد ضاد وكذلك اشكالها أما الزاى وحده من بين حروف المعجم فعتاد فيه الامر ان فان من أظهر ياءه فى النطق حتى يصير ثلاثياً لم عمله ومن لم يظهر ياءه فى النطق حتى يشبه الثنائى عمله (أما المقدمة الثانية) ينبغى أن يعلم ان اشباع الفتححة فى جميع المواضع أصل والامالة فرع عليه ولهذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات (المقدمة الثالثة) للقراءة فى القراءات الخصوصية بهذا الموضوع ثلاثة طرق (أحدها) ان يمسكوا بالاصل وهو اشباع فتحمة الهاء والياء (وثانيها) أن يملوا الهاء والياء (وثالثها) ان يجمعوا بين الاصل والفرع فيقع الاختلاف بين الهاء والياء فيفتحوا احدهما ايهما كان ويكسروا الآخر ولهم فى السبب الموجب لهذا الاختلاف قولان (الاول) ان الفتحمة المشبعة اصل والامالة فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احدهما وأميل الآخر ليكون جامعاً لمراعاة الاصل والفرع وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر (القول الثانى) ان الثنائية من حروف المعجم اذا كانت مقطوعة كانت بالامالة واذا كانت موصولة كانت بالاشباع وهاوياً فى قوله تعالى كهيعص مقطوعان فى اللفظ موصولان فى الخط فأميل أحدهما واشبع الآخر ليكون كلا الجانبين مرعياً جانب القطع اللفظى وجانب الوصل الخطى اذا عرفت هذا فقول فى قراءات (احدهما) وهى القراءة المعروفة فيه فتحمة الهاء والياء جميعاً (وثانياً) كسر الهاء وفتح الياء وهى قراءة أبى عمرو وابن مبادر والقطعي عن أيوب وانما كسروا الهاء دون الياء ليكون فرقاً بينه وبين الهاء الذى للتنبيه فانه لا يكسر قط (وثالثها) فتح الهاء وكسر الياء وهو قراءة حمزة والاعمش وطلمة والضحك عن عاصم وانما كسروا الياء دون الهاء لان الياء أخت الكسرة واعطاء الكسرة اختها أولى من اعطاءها الى

فحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جرياً على الاصل وقرىء بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما فى المخرج ﴿أجنبية ﴾ فان جعلت اسمها السورة على ما عليه اطباقي الاكثر فخله الرفع اما على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أى سمي به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر

في حكم حاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشتري فلان او على انه مبتدأ خبره (ذكر رجة بك) المسمى به ذكر رجة ان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ﴿ ٧٦٣ ﴾ ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاول لان

ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانسباب اليه عند المخاطب واذلا علم بالتسمية من قبل لختها الاخبار بها كافي الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنى اليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبغي عنه تعدد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مراد به السورة ذكر رجة الخ أو اسم إشارة أشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أي هذا ذكر رجة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبر أي فيما يلي عليك ذكره وقرئ ذكر رجة بك على صيغة الماضى من التذكير أي هذا التلوي ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايدان بأن تنزيل العلسورة به

اجنبية مفتوحة للاناسبة (ورابعها) امالتهما جميعا وهو قراءة الكسائي والمفضل ويحيى بن عاصم والوليد بن اسلم عن ابن عامر والزهرى وابن جرير وانما أمالوهما للوجهين المذكورين في امالة الهاء وامالة الياء (وخامسها) قراءة الحسن وهي ضم الهاء وقبح الياء وعنه أيضا قبح الهاء وضم الياء وروى صاحب الكشف عن الحسن بضمهما فقل له لم تثبت هذه الرواية عن الحسن لانه أورد ابن جني في كتاب المكتسب ان قراءة الحسن ضم أحدهما وقبح الآخر لا على التعيين وقال بعضهم انما أقدم الحسن على ضم أحدهما لا على التعيين لانه تصور أن عين الفعل في الهاء والياء ألف منقلب عن الواو كانداز والمال وذلك لان هذه الالفاظ وان كانت مجهولة لانها لا اشتقاق لها فانها تحمل على ما هو مشابه لها في اللفظ والالف اذا وقع عينا فالواجب أن يعتقد انه منقلب عن الواو لان الغالب في اللغة ذلك فلما تصور الحسن ان ألف الهاء والياء منقلب عن الواو جعله في حكم الواو وضم ما قبله لان الواو أخت الضمة (وسادسها) هايايا شمامهما شيئا من الضمة (المسئلة الثالثة) قرأ أبو جعفر كهيعص بفصل الحروف بعضها من بعض بأدنى سكتة مع اظهار نون العين وبقى القراءة يصلون الحروف بعضها ببعض ويخفون النون (المسئلة الثالثة) القراءة المعروفة صاد ذكر بالادغام وعن عاصم ويعقوب بالانظهار (البحث الثاني) المذاهب المذكورة في هذه القواطع قد تقدمت لكن الذي يختص بهذا الموضوع ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله تعالى كهيعص ثناء من الله على نفسه فن الكاف وصفه بانه كاف ومن الهاء هاد ومن العين عالم ومن الصاد صادق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا انه حمل الكاف على الكبير والكريم ويحيى أيضا عنه انه حمل الياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى وعن الربيع بن أنس في الياء انه من مجبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في العين أنه من عزير ومن عدل وهذه الاقوال ليست قوية لما بينا أنه لا يجوز من الله تعالى أن يودع كتابه ما لا تدل عليه اللغة بالحقبة ولا المجاز لانان جوزنا ذلك قبح علينا قول من يزعم ان لكل ظاهر باطنا واللغة لا تدل على ما ذكره فانه ليست دلالة الكاف على الكافي أولى من دلالة على الكريم أو الكبير أو على اسم آخر من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم أو الملائكة أو الجنة أو النار فيكون حله على بعضها دون البعض تحكما لا تدل عليه اللغة أصلا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ذكر رجة بك عبده زكريا) فيه مسائل (المسئلة الاولى) في لفظة ذكر أربع قراءات صيغة المصدر أو الماضى مخففة أو مشددة أو الامر أما صيغة المصدر فلا بد فيها من كسر رجة بك على الاضافة ثم فيها ثلاثة أوجه (أحدها) نصب الدال من عبده والهمزة من زكريا وهو المشهور (وثانيها) برفعهما والمعنى وتلك الرجة هي عبده زكريا عن ابن عامر (وثالثها) بنصب الاول و برفع الثاني والمعنى رجة بك عبده وهو زكريا وأما صيغة الماضى بالتشديد فلا بد فيها من نصب رجة وأما صيغة الماضى بالتخفيف ففيها وجهان (أحدهما) رفع الباء من ربك

عليه الصلاة والسلام تكميل له عليه السلام وقوله تعالى (عبده) مفعول رجة بك على أنها مفعول لما ضيف اليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرجة بلوغها واصابها كما يقال ذكرني معروف فلان أي بلغني وقوله عز وعلا (ذكر يا) بدل منه أو عطف بيان له

(اذنادى ربه نداء خفيا) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف الى فاعله اتساعا لاعلى الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتغال من ذكر يا كافى قوله واذكر ر في الكتاب مريم اذا نبتت ولقد راعى

عليه الصلاة والسلام
حسن الادب في اخفاء
دعائه فانه مع كونه بالنسبة
اليه عز وجل كالجهر
أدخل في الاخلاص
وأبعد من الزيادة وأقرب
الى الخلاص عن الائمة
الناس على طلب الولد
لوقوفه على مبادي يليق به
تعاطيها في أو ان الكبير
والشيوخوخة وعن غائلة
مواليه الذين كان يخافهم
وقيل كان ذلك منه
عليه السلام لضعف
الهرم قالوا كان سنه حينئذ
ستين وقيل خساوستين
وقيل سبعين وقيل خسا
وسبعين وقيل ثمانين وقيل
أكثر منها كما مر في تفسير
سورة آل عمران (قال)
جملة مفسرة لتسادي
لا يحمل لها من الاعراب
(رب انى وهن العظم منى)
استناد الوهن الى العظم
لما أنه عماد البدن ودعام
لجسد فاذا اصابه الضعف
والرخاوة اصاب كله
ولانه اشد اجزائه صلابة
وقواما وأقلها تأثرا
من العلل فاذا وهن كان
ما وراءه أو وهن وافراد
للقصد الى الجنس المنبئ

والمعنى ذكر ربك عبده زكرياه (وثانيها) نصب الباء من ربك والرفع في عبده زكرياه
وذلك بتقديم المفعول على الفاعل وهاتان القراءتان للكلبي وأما صيغة الامر فلا بد
من نصب رجة وهي قراءة ابن عباس واعلم أن على تقدير جعله صيغة المصدر والماضى
يكون التقدير هذا المتلون من القرآن ذكر رجة ربك (المسئلة الثانية) يحتمل أن يكون
المراد من قوله رجة ربك أعنى عبده زكرياه ثم في كونه رجة وجهان (أحدهما) أن يكون
رجة على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعات (والآخر) أن يكون رجة على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى أمة محمد لان الله تعالى لما شرح لمحمد صلى الله عليه وسلم طريقه
في الاخلاص والابتغال في جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لفظا داعيا له ولا مته
الى تلك الطريقة فكان زكرياه رجة ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر
الرحمة التي رحم بها عبده زكرياه * قوله تعالى (اذنادى ربه نداء خفيا) راعى سنه الله في
اخفاء دعوته لان الجهر والاختفاء عند الله سيات فكان الاخفاء أولى لانه أبعد عن الزيادة
وأدخل في الاخلاص (وثانيها) اخفاء لئلا يلام على طلب الولد في زمان الشيوخوخة
(وثالثها) اسره من مواليه الذين خافهم (ورابعها) خفي صوته لضعفه وهرمه كما جاء في
صفة الشيخ صوته خفات وسمعته تارات فان قيل من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين
كونه نداء وخفيا والجواب من وجهين (الاول) انه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع
الصوت الا ان الصوت كان ضعيفا لنهاية الضعف بسبب الكبر فكان نداء نظرا الى قصده
وخفيا نظرا الى الواقع (الثاني) انه دعا في الصلاة لان الله تعالى اجابه في الصلاة لقوله
تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يشمرك يحيى فكون الاجابة في
الصلاة يدل على كون الدعاء في الصلاة فوجب أن يكون النداء فيها خفيا * قوله تعالى
(قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعا لك رب شقيا وانى خفت
المولى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهبل من لدنك وليا يرثى ويرث من آل يعقوب
واجعله رب رضيا) القراءة فيها مسائل (المسئلة الاولى) قرئ وهن بالحركات الثلاث
(المسئلة الثانية) ادغام السين في الشين عن أبي عمرو (المسئلة الثالثة) وانى خفت
المولى بفتح الباء وعن الزهري بإسكان الباء من المولى وقرأ عثمان وعلى بن الحسين
ومحمد بن علي وسعيد بن جبير وزيد بن ثابت وابن عباس خفت بفتح الخاء والفاء مشددة
وكسرا لئلا وهذا يدل على معنيين (أحدهما) أن يكون ورائى بمعنى بعدى والمعنى انهم
قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعده فسأل ربه تقويتهم بولى يرزقه (والثاني) أن يكون
بمعنى قدامى والمعنى انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق من به تقوى واعتضاد (المسئلة
الرابعة) القراءة المعروفة من ورائى بجمرة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن حميد بن مقسم
كذلك لكن بفتح الباء وقرأ ابن كثير وراى كعصاى (المسئلة الخامسة) في يرثى ويرث
وجوه (أحدها) القراءة المعروفة بالرفع فيهما صفة (وثانيها) وهى قراءة أبي عمرو

عن شمول الوهن لكل فرد من أفرادى ومعنى متعلق بمحذوف هو حال من العظام وفريء رهن واكداى ك
يكسر الهاء ويضمها أيضا ونأ كيد الجملة لابرار كال الاعتناء بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيئا) شبه
عليه الصلاة والسلام الشيب في البياض والابانة بشواظ النار وانتشاره

في شعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ ناشتعالها ثم اخرجها من الاستعارة ثم اسند الاشتغال الى محل الشعر ومنبته
وأخرجه منخرج التميز وأطلق الرأس ككتفاء ٧٦٥ * بماقيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكال الجزالة ما لا يخفى

حيث كان الاصل اشتعل
شيب رأسي فاسند الاشتغال
الى الرأس كما ذكر لا فادة
شموله لكلها فان وزانه
بالنسبة الى الاصل وزان
اشتعل بينه نارا بالنسبة
الى اشتعل النار في بيته
ولزيادة تفريره بالاجال
أولا والتفصيل ثانيا
ولن يدقغيه بالتكثير
وقرى بادعالم السين
في الشين (ولم أكن
بدعائك رب شقيا) أي
ولم أكن بدعائي اياك
خائبا في وقت من أوقات
هذا العمر الطويل
بل كداعوتك استجبت لي
والجملته معطوفة على
ما قبلها وأحال من ضمير
المتكلم اذا المعنى واشتعل
رأسي شيئا وهذا توسل
منه عليه السلام بما سلف
منه من الاستجابة عند
كل دعوة اثرتمهيد
ما يستدعي الرحمة
ويستجلب الرأفة من
كبر السن وضعف الحال
فانه تعالى بعد ما عود
عبيده بالاجابة دهر
طويلا لا يكاد يخفيه
أبد الا سماعا عند اضطراره
وشدة افتقاره والتعرض

والكسائي والزهرى والاعشى وطلحة بالجزم فيه ما جوا بالبدعاء (وثانها) عن علي بن أبي
طالب وابن عباس وجعفر بن محمد والحسن وقتادة يرثي جزم وارث بوزن فاعل
(ورابعها) عن ابن عباس يرثي وأرث من آل يعقوب (وخامسها) عن المحمدي أو يرث
تصغير وارث علي وزن أفعيل (اللغة) الوهن ضعف القوة قال في الكشف شبه الشيب
بشواظ النار في بياضه وانارته وانشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه كل ماخذ كاشتغال
النار ثم أخرجه منخرج الاستعارة ثم أسند الاشتغال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس
وأخرج الشيب ميمرا ولم يصف الرأس ككتفاء علم المخاطب انه رأس ذكر يافن ثم فصحت هذه
الجملة وأما البدعاء فطلب الفعل ومقابله الاجابة كان مقابل الامر الطاعة وأما اصل
التركيب في ولى فيدل على معنى القرب والدنو يقال وليته أليه وليساى دنوت وأوليته
أذنيته منه وتباعد ما بعده وولى ومنه قول ساعدة * وعدت عواد دون وليك تشعب *
وكل مما يليك وجلست بماليه ومنه الولي وهو المطر الذي يلي الوسمي والولية البرذعة
لانها تلي ظهر الدابة وولى اليتيم والقَتيل وولى البلد لان من تولى أمر اقلد قرب منه
وقوله تعالى قول وجهك شطر المسجد الحرام من قولهم ولاه بر كنه اى جعله مما
يليه واما ولى عني اذا ادبر فهو من باب تشييل الحشول والسلب وقولهم فلان اولي من فلان
اى احق افعل التفضيل من الوالى اوالولى كالادنى والاقر من الدانى والقريب وفيه
معنى القرب ايضا لان من كان احق بالشيء كان اقرب اليه والمولى اسم لموضع الولي
كالرعى والمبنى اسم لموضع الرعى والبناء واما العاقر فهي التى لاتلد والعقر في اللغة
الجرح ومنه اخذ العاقر لانه نقص اصل الخلقة وعقرت الفرس بالسيف اذا ضربت
قوائمها وأما الآل فهم خاصة الرجل الذى يؤل امرهم اليه ثم قد يؤل امرهم اليه
للقربة تارة وللحكمة اخرى كآل فرعون وللموافقة في الدين كآل النبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان ذكر بياضه عليه السلام قدم على السؤال امورا ثلاثة (احدها) كونه ضعيفا
(والثاني) ان الله تعالى مارد دعائه البتة (والثالث) كون المطلوب بالبدعاء سببا للمنفعة
في الدين ثم بعد تقرر هذه الامور الثلاثة صرح بالسؤال (اما المقام الاول) وهو كونه
ضعيفا فآثر الضعف اما ان يظهر في الباطن او في الظاهر والضعف الذى يظهر في الباطن
يكون أقوى مما يظهر في الظاهر فلهذا السبب ابتداء ببيان الضعف الذى في الباطن
وهو قوله وهن العظم منى وتقريره هو ان العظام أصلب الاعضاء التى في البدن وجعلت
كذلك لمنفعتين (احدهما) لاتكون أساسا وعمدا يعتمد عليها سائر الاعضاء
الآخر اذا كانت الاعضاء كلها موضوعة على العظام والحامل يجب أن يكون أقوى من
المحمول (والثانية) انه احتجج اليها في بعض المواضع لان تكون جنة يقوى بها ما سواها
من الاعضاء بمنزلة قحف الرأس وعظام الصدر وما كان كذلك فيجب أن يكون صلبا
ليكون صبوراً على ملاقات الآفات بعيدا من القبول لها اذا ثبت هذا فنقول اذا كان

في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة ما فيه صلاح الربوب مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام
لا سيما توسطه بين كان وخبرها تحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا أراد العبد أن يستجاب له
دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته (وانى خفت الموالى)

عطف على قوله تعالى ائى وهن العظم مترتب مضمونه على مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوف عليه السلام من بلى أمره بعدموته ومواليه بنوعه وكانوا ٧٦٦ ✽ أشرا بنى اسرائيل فخاف أن لا يحسنو

خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من ورأى) أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه ذهن أى فعل المولى من بعدى أو جور المولى وقد قرئ كذلك أو بما فى المولى من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الأمر من ورأى لا يخفت لفساد المعنى وقرئ ورأى بالقصر وقبح الياء وقرئ خفت المولى من ورأى أى قولوا وعجزوا عن القيام بأمور الدين بعدى أو خفت المولى القادرون على إقامة مراسم الملة ومصالح الأمة من خفت التوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فالطرف حينئذ متعلق بخفت (وكانت امرأتى طافرا) أى لا تلد من حين شبابها (فهب لى من لندك) كلال الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا بداء الغاية مجازا وتقديم الاول

العظم أصلب الاعضاء حتى وصل الأمر الى ضعفه اكان ضعف ما عداها مع رخاوتها أول ولان العظم اذا كان حاملا لسائر الاعضاء كان لطرق الضعف الى الحامل موجبا لتطرقه الى المحمول فلهذا السبب خص العظم بالوهن من بين سائر الاعضاء وأما أثر الضعف فى الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس فثبت ان هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف على الباطن والظاهر وذلك بماز يدعاء توكيدا لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والنبرى عن الاسباب الظاهرة (المقام الثانى) انه ما كان مردود الدعاء البتة ووجد التوسل به من وجهين (أحدهما) ما روى أن محتاجا سال واحدا من الاكابر وقال أنا الذى أحسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا اليان ثم قضى حاجته وذلك انه اذا قبله اولاد لوانه رده ثانيا لكان الرد بمحبط الانعام الاول والمنعم لا يسيى فى احباط انعامه (والثانى) وهوان مخالفة العادة شاقة على النفس فاذا تعود الانسان اجابة الدعاء فلو صار مردودا بعد ذلك لكان فى غاية المشقة ولان الجفاء بمن يتوقع منه الانعام يكون اشق فقال زكرياء عليه السلام انك ما رددتني فى أول الأمر مع انى ما تعودت لطفتك وكنت قوى البدن قوى القلب فلو رددتني الآن بعد ما عودتني التبول مع نهاية ضعفى لكان ذلك بالغالى الغاية القصوى فى ألم القلب واعلم ان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم يظلمها ومعنى بدعائك أى بدعائى اياك فان الفعل قد يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول أخرى (المقام الثالث) يسان كون المطلوب مستغما به فى الدين وهو قوله وائى خفت المولى من ورأى وفيه ابحت (الاول) قال ابن عباس والحسن ائى خفت المولى أى الورثة من بعدى وعن مجاهد العصبية وعن أبى صالح الكلاله وعن الاصم بنوالم وهم الذين يلونه فى النسب وعن أبى مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بمسيراته مقام الولد والختار ان المراد من المولى الذين يخلفون بعده اما فى السياسة أو فى المال الذى كان له أوفى القيام بأمر الدين فقد كانت العادة جارية ان كل من كان الى صاحب الشرع أقرب فانه كان متعينا فى الحياة (الثانى) اختلفوا فى خوفه من المولى فقال بعضهم خافهم على أفساد الدين وقال بعضهم بل خاف ان ينهى أمره اليهم بعدموته فى مال وغيره مع انه عرف من حالهم قصورهم فى العلم والقدرة عن القيام بذلك المنصب وفيه قول ثالث وهو انه يحتمل أن يكون الله تعالى قد أعلمه انه لم يبق من أنبياء بنى اسرائيل بنى له أب الا واحد فخاف أن يكون ذلك من بنى عمه اذ لم يكن له ولد فسأل الله تعالى أن يهب له ولدا يكون هو ذلك النبى وذلك يقتضى أن يكون خائفا من أمرهم بمشله الانبياء وان لم يدل على تفصيل ذلك ولا يمنع أن زكرياء كان اليه مع النبوة السياسة من جهة الملك وما يتصل بالامامة فخاف منهم بعده على أحدهما أو عليهما أما قوله وائى خفت فهو وان خرج على لفظ الماضى لكنه يفيد انه فى المستقبل أيضا كذلك يقول الرجل قد خفت أن

لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالا من المفعول ولان فى الاصل طرف ✽ يكون بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله فى أوائل سورة آل عمران أى أعطنى من محض فضلك الواسع وقد ترك الباهرة بطريق الاختراع

لأبواسطة الأسباب العادية (وليا) أى ولد آمن صلبى وتأخيره عن الجاربن لظهور كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك
الوجد البديع مع ما فيه من التشويق ٧٦٧ إلى المؤخر فإن ماحقه التقدم إذا أخرت حتى النفس مستشرفة له

فعدودوده لها يمكن
عندها فضل تمكن
ولان فيه نوع طول
بما بعده من الوصف
فتأخيرهما عن الكل
أوتو سيطهما بين
الموصوف والصفة
بما لا يلى بجزالة النظم
الكريم والغاء لتقريب
مابعدهما على ما قبلها
فان ما ذكره عليه الصلاة
والسلام من كبر المسن
وضعف القوى وعقر
المرأة وجب لانقطاع
رجائه عليه السلام
عن حصول الولد توسط
الاسباب العادية
واستنباهه على الوجه
الخارق للعادة ولا يقدح
في ذلك أن يكون هناك
داع آخر الى الاقبال
على الدعاء المذكور من
شاهدته عليه السلام
للخوارق الظاهرة في حق
مريم كما يعرب عنه
قوله تعالى هناك دعا
ذكر بار به الآية وعدم
ذكره ههنا لتعويل على
ذكره هناك كأن عدم
ذكره مقدمة الدعاء هناك
للاكتفاء بذكره ههنا
فالالاكتفاء بما ذكر

يكون كذا وخشيت أن يكون كذا أى أنا خائف لا يريدانه قد زال الخوف عنه وهكذا
قوله وكانت امرأتى عاقرا أى انها عاقرا في الحال وذلك لان العاقر لا تحول واولدافى العادة
ففى الاخبار عنه بلفظ الماضى اعلام بتقدم العهد في ذلك وغرض ذكر ياء من هذا الكلام
بيان استبعاد حصول الولد فكان إرادته بلفظ الماضى أقوى وإلى هذا يرجع الامر في
قوله وانى خفت الموالى من ورأتى لانه انما قصد به الاخبار وعن تقدم الخوف ثم استغنى
بدلالة الحال وما يوجب مسألة الوارث واطهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في
الحال وايضا فقد يوضع الماضى مكان المستقبل وبالعكس قال الله تعالى واذا قال الله
يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس والله أعلم واما قوله من ورأتى فغية قولان (الاول)
قال ابو عبيدة اى قد امدى وبين يدي وقال آخرون اى بعد موتى وكلاهما محتمل فان قيل
كيف خافهم من بعده وكيف علم انهم يبقون بعده فضلا من ان يخاف شربهم قلنا ان ذلك
قد يعرف بالامارات والظن وذلك كاف في حصول الخوف فر بما عرف ببعض الامارات
استمرارهم على عادتهم في الفساد والشرب واختلف في تفسير قوله فذهبلى من لدنك وليا
فالاكثر على انه طلب الولد وقال آخرون بل طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره
والاقرب هو الاول لثلاثة اوجه (الاول) قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال
رب هبلى من لدنك ذرية طيبة (والثاني) قوله في هذه السورة هبلى من لدنك وليا
يرثنى ويرث من آل يعقوب (والثالث) قوله تعالى في سورة الانبياء وذكرا يا اذ نادى ربه
رب لا تدركنى فردا وهذا يدل على انه سأل الولد لانه قد اخبر في سورة مريم ان له موالى وانه
غير منفرد عن الورثة وهذا وان امكن حله على وارث يصلح ان يقوم مقامه لكن حله على
الولد اظهر واحتج اصحاب القول الثالث بأنه لما بشر بالولد استعظم على سبيل التعجب
فقال أى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد لما استعظم ذلك (الجواب) انه
عليه السلام سأل عما يوهب له أو يهب له وهو وامرأته على هبتهما أو يوهب بأن يحولا
شابين يكون مثلهما وولد هذا يحكى عن الحسن وقال غيره ان قول ذكر ياء عليه السلام في
الدعاء وكانت امرأتى عاقرا انما هو على معنى مسئلته ولدا من غيرها ومنها بان يصلحها الله
للولد فكانت عليه السلام قالت ائى آيست ان يكون لى منها ولد فذهبلى من لدنك وليا
كيف شئت اما بان تصلحها فيكون الولد منها أو بأن تهبلى من غيرها فلما بشر بالغلام
سأل أن يرزق منها أو من غيرها فأخبر بأنه يرزق منها واختلفوا في المراد بالبراث على وجوه
(أحدها) ان المراد بالبراث في الموضعين هو ورثته المال وهذا قول ابن عباس والحسن
والضحاك (وثانيها) ان المراد به في الموضعين ورثة النبوة وهو قول أبي صالح (وثالثها)
يرثنى المال ويرث من آل يعقوب النبوة وهو قول السدى ومجاهد والشعبي وروى
أبضا عن ابن عباس والحسن والضحاك (ورابعها) يرثنى العلم ويرث من آل يعقوب
النبوة وهو مروي عن مجاهد واعلم ان هذه الروايات ترجع الى أحد أمور خمسة وهى

في موطن عمارك في موطن آخر من الشكت التزبيلية وقوله تعالى (يرثنى) صفة لوليا وقرئ هو وماعطف عليه بالجزم
جوابا لدعاء أى يرثنى من حيث العلم والذين والنبوة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يرثون المال قال صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثنى الجبورة وكان عليه السلام حبرا

(ويرث من آل يعقوب) يقال ورثته وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤهل اليه أمرهم للقرابة أو الصفة أو الموافقة في الدين وكانت زوجة ذكر يا أخت أم من يم أي ورثته ٨٦٨ منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرى أو يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايمان الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرى وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني على طريقة التجريد أي يرثني به وارث وقيل من التبعية اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجعله رب رضيا) مرضيا عندك فولا وفعلًا وتوسيط رب بين مفعولي اجعل

المال ومنصب الجبورة والعلم والنبوة والسيرة الحسنة ولفظ الارث مستعمل في كلها أما في المال فلقوله تعالى أو رثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأما في العلم فلقوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم وقال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وهذا يحتمل وراثته الملك ووراثته النبوة وقد يقال أو رثني هذا غملا وحنا وقد ثبت ان اللفظ يحتمل لتلك الوجوه واحتج من حمل اللفظ على وراثته المال بالخبر والمعقول أما الخبر فقوله عليه السلام رحم الله زكريا ما كان له من يرثه وظاهره يدل على ان المراد ارث المال وأما المعقول فمن وجهين (الاول) ان العلم والسيرة والنبوة لا تورث بل لا تحصل الا بالاكساب فوجب حمله على المال (الثاني) انه قال واجعله رب رضيا ولو كان المراد من الارث ارث النبوة لكان قد سأل جعل النبي صلى الله عليه وسلم رضيا وهو غير جائز لان النبي لا يكون الارضيا معصوما وأما قوله عليه السلام انامعشر الانبياء لا تورث ما تركناه صدقة فهذا لا يمنع أن يكون خاصا به واحتج من حمله على العلم والمنصب والنبوة بما علم من حال الانبياء ان اهتمامهم لا يشتد بأمر المال كما يشتد بأمر الدين وقيل لعله أوتي من الدنيا ما كان عظيم النفع في الدين فلهذا كان مهتما به أما قوله النبوة كيف تورث قلنا المال انما يقال ورثه الابن بمعنى قام فيه مقام أبيه وحصل من فائدة التصرف فيه ما حصل لايه والا فلك المال من قبل الله لا من قبل المورث فكذلك اذا كان المعلوم في الابن أن يصير نبي بعده فيقوم بأمر الدين بعده جاز أن يقال ورثه أما قوله عليه السلام انامعشر الانبياء فهذا وان جاز حمله على الواحد كما في قوله تعالى انما نحن زنا الذكر لكنه مجاز وحقيقته الجمع والعدول عن الحقيقة من غير موجب لا يجوز لاسيما وقد روى قوله انامعشر الانبياء لا تورث والاول أن يحمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب التام في الدين والمال الصالح فان كل هذه الامور مما يجوز توفرا لدواعي على بقائها ليكون ذلك النفع دائما مستمرا (السابع) اتفق أكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام لان زوجة ذكر يا ههنا هي اخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وأما زكريا عليه السلام فهو من ولد هرون أخي موسى عليه السلام وهرون وموسى عليهما السلام من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب لانه هو اسرائيل صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بن ابراهيم عليه السلام بل يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ

للبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (يا زكريا) على ارادة القول أي قال تعالى يا زكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا يخطأ به عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحيى له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة منه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران

اب لئلا يثبته عليه الصلاة والسلام ووعدها بآية دغائه لكن لا كلاهما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له
 ناله يحيى الخ بل بعضا حسبا تقتضيه المشيئة ٧٦٩ الآية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم

الصلاة والسلام وان
 كانوا مستجابي الدعوة
 لكنهم ليسوا كذلك في
 جميع الدعوات ألا يرى
 الى دعوة ابراهيم عليه
 الصلاة والسلام في حق
 أبيه والى دعوة النبي
 عليه الصلاة والسلام
 حيث قال وسأله أن
 لا يذيق بعضهم بأس
 بعض فغضبها وقد كان
 من قضائه عز وعلا أن
 يهيه يحيى نبيا مرصيا
 ولا يرثه فاستجب دعاءه
 في الاول دون الثاني
 حيث قتل قبل موت أبيه
 عليهما الصلاة والسلام
 على ما هو المشهور
 وقبل بقي بعده برهة
 فلا شك حال حينئذ وفي
 تعيين اسمه عليه الصلاة
 والسلام تأكيده للوعد
 وتشریف له عليه الصلاة
 والسلام وفي تخصيصه
 به عليه السلام حسبا
 يعرب عنه قوله تعالى
 (لم نجعل له من قبل
 سميا) أي شر يكاله في
 الاسم حيث لم يسم أحد
 قبله يحيى من يدتشریف
 وتقدير له عليه الصلاة
 والسلام فان التسمية
 بالاسمى البدعية المنارة
 عن اسماء سائر الناس

فاراد أن يرثه ولده حورثه ويرث بنى ماثان ملكهم واعلم انهم ذكر وافي تفسير الرضى
 وجوها (أحدها) ان المراد واجعله رضىا من الانبياء وذلك لان كلهم مرضيون فالرضى
 منهم مفضل على جلته فائق لهم في كثير من أمورهم فاستجاب الله تعالى له ذلك فذهب
 له سيدا وحصورا ونبيان الصالحين لم يعص ولم يهيم بمعصية وهذا غاية ما يكون به المرء رضىا
 (وثانيها) المراد بالرضى أن يكون رضىا في أمته لا يتلقى بالتكذيب ولا يواجه بالرد (وثالثها)
 المراد بالرضى أن لا يكون متعاهيا في شيء ولا يوجد فيه مطعن ولا ينسب اليه شيء من المعاصي
 (ورابعها) ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قالاني الدعاء ربنا واجعلنا مسلمين لك
 وكاتفي ذلك الوقت مسلمين وكان المراد هناك ثبتا على هذا أو المراد اجمع لنا فاضلين من
 أنبيائك المسلمين فكنا ههنا واحتج أصحابنا في مسألة خلق الافعال بهذه الآية لانه انما
 يكون رضىا بفعله فلما سأل الله تعالى جعله رضىا دل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فان
 قيل المراد منه ان يلطف له بضر وبالاتطاف فيختار ما يصير مرصيا فينسب ذلك الى الله
 تعالى والجواب من وجهين (الاول) ان جعله رضىا ورحمته على جعله بالاتطاف وعذرها
 يصير المرء باختياره رضىا لكان ذلك مجازا وهو خلاف الاصل (والثاني) أن جعل تلك
 الاطاف واجبة على الله تعالى لا يجوز الاخلال به وما كان واجبا لا يجوز طلبه بالدعاء
 والتضرع قوله تعالى (يا ذكر يا نا بئسرك بسلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) فيه
 مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في المنادى بقوله يا ذكر يا نا قالوا كثرون على انه هو الله
 تعالى وذلك لان ما قبل هذه الآية يدل على ان ذكر يا عليه السلام انما كان يخاطب الله
 تعالى ويسأله وهو قوله رب انى وهن العظم منى وقوله ولم أكن بدعا لك رب شقيا وقوله
 فهبل وما بعدها يدل على انه كان يخاطب الله تعالى وهو يقول رب انى يكون لى غلام
 واذا كان ما قبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى وجب أن يكون النداء
 من الله تعالى والافسد الظم ومنهم من قال هذا نداء الملك واحتج عليه بوجهين (الاول)
 قوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك
 يحيى (الثاني) ان ذكر يا عليه السلام لما قال انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد
 بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وهذا لا يجوز أن يكون كلام الله
 فوجب أن يكون كلام الملك (والجواب) عن الاول انه يحتمل أن يقال حصل النداء ان
 نداء الله ونداء الملائكة (وعن الثاني) اننا بين ان شاء الله تعالى ان قوله قال كذلك قال
 ربك هو على هين يمكن أن يكون كلام الله (المسئلة الثانية) فان قيل ان كان الدعاء باذن
 فامعنى البشارة وان كان بغيراذن فلماذا أقدم عليه والجواب هذا أمر يخصه فيجوز أن
 يسأل بغيراذن ويحتمل انه اذن له فيه ولم يعلم وقته فبشر به (المسئلة الثالثة) اختلف
 المفسرون في قوله لم نجعل له من قبل سميا على وجهين (أحدهما) وهو قول ابن عباس
 والحسن وسعيد بن جبيرة وعكرمة وقادة انه لم يسم أحد قبله بهذا الاسم (الثاني) ان المراد

تنويه ٩٧ خا بالسمي لا بحاله وقيل بالسمي شيئا في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين
 في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهيم بمعصية
 قط وأنه ولد من شيخ فان وعجز عاقر وأنه كان حصورا فيكون هذا اجمالا للمازى بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة

لله وسيد وحصور اوتيا من الصالحين والظاهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كعم
ن قبل سمي به لانه حي به رحم أمه أوحى دين الله تعالى عز بدعوته (قال) استثناف مبنى على السؤال

بالسمى النظير كافي قوله هل تعلم له سمي واختلفوا في ذلك على وجوه (أحدها) انه سيد
و حصور لم يعص ولم يعم بمعية كانه جواب لقوله واجعله رب رضيا فيقول له انا نبشرك
بغلام لم نجعل له من قبل شبها في الدين ومن كان هكذا فهو في غاية الرضا وهذا الوجه
ضعيف لانه يقتضي تفضيله على الانبياء الذين كانوا قبله كآدم ونوح و ابراهيم وموسى
وذلك باطل بالاتفاق (وثانيها) ان كل الناس انما يسميهم آباؤهم وأمهاتهم بعد دخولهم
في الوجود وأما يحيى عليه السلام فان الله تعالى هو الذي سماه قبل دخوله في الوجود
فكان ذلك من خواصه فلم يكن له مثل وشبه في هذه الخاصية (وثالثها) انه ولد بين شيخ
فان عجوز عاقرا وعلم ان الوجه الاول أولى وذلك لان جل السمي على النظير وان كان
يفيد المدح والتعظيم ولكنه عدول عن الحقيقة من غير ضرورة وانه لا يجوز وأما قول الله
تعالى هل تعلم له سميا فهناك انما عدلنا عن الظاهر لانه قال فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له
سميا ومعلوم ان مجرد كونه تعالى مسمى بذلك الاسم لا يقتضي وجوب عبادته فلهذه العلة
عدلنا عن الظاهر اما ههنا لضرورة في العدول عن الظاهر فوجب اجراؤه عليه ولان
في تفرده بذلك الاسم ضربا من التعظيم لاننا نشاهد ان الملك اذا كان له لقب مشهور فان
حاشيته لا يتلقبون به بل يتركونه تعظيما له فكذلك ههنا (المسئلة الرابعة) في انه عليه
السلام سمي يحيى روى الثعلبي فيه وجوها (أحدها) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الله تعالى احياه عقر أمه (وثانيها) عن قتادة ان الله تعالى احيا قلبه بالايان والطاعة
والله تعالى سمي المطيع حيا والعاصي ميتا بقوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه وقال اذا
دعانا للميحييكم (وثالثها) احياؤه بالطاعة حتى لم يعص ولم يعم بمعية لما روى عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وقد
عصى أو هم الا يحيى بن زكريا فانه لم يعم ولم يعملها (ورابعها) عن أبي القاسم بن حبيب انه
استشهدوا أن الشهداء احياء عند ربهم لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (وخامسها) ما قاله
عمرو بن عبد الله المقدسي أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ان قل لبسارة وكان
اسمها كذلك بان يخرج منها عبد الابن بمعية اسمهم يحيى فقال هي له من اسمك حرفا
فوهبته حرفا من اسمها فصارت يحيى وكان اسمها بسارة (وسادسها) ان
يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى فصارت له حياة بذلك الايمان وذلك ان أم يحيى كانت
حامله فاستقبلتها مريم وقد حلت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت
لماذا تقولين فقالت اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك (وسابعها) ان الدين يحياه لانه انما
سأله زكريا بالاجل الدين واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة لان اسماء الالقاب لا يطلب فيها وجه
الاشتقاق ولهذا قال أهل التحقيق أسماء الالقاب قائمة مقام الاشارات وهي لا تفيد في
السمي صفة البتة قوله تعالى (قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأى عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ جزة والكسائي عتيا وصليا وجشا

قبل فاذا قال عليه
لاة والسلام حينئذ
قال (رب) ناداه
بالذات مع وصول
لما به تعالى اليه بتوسط
للمبالغة في التضرع
لناجاة والجد في التبتل
به تعالى والاحترار
اعسى بوجه خطاب
ملك من توهم ان عمله
مالى بما يصدر عنه
توقف على توسطه كما
ن علم البشر بما يصدر
عنه سبحانه متوقف
على ذلك في عامة الاوقات
(أنى يكون لي غلام) كلمة
أنى بمعنى كيف أو من
أين وكان امانامة وأنى
واللام متعلقان بها
وتقديم الجار على الفاعل
لما مر من ارامن الاعتناء
بما قدمه والتشويق الى
ما أخرأى كيف أو من
أين يحدث لي غلام
ويجوز أن يتعلق اللام
بمحذوف وقع حالا من
غلام اذلونا آخر لكان
صفة له أى أنى يحدث
كأنى غلام أو ناقصة
اسمها ظاهر وخبرها
اما أنى ولي متعلق بمحذوف
كأمر أو هو الخبر وأنى

نصب على الظرفية وقوله تعالى (وكانت امرأى عاقرا) حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى وبكيا
(وقد بلغت من الكبر عتيا) حال منه مؤكدة للاستبعاد اثرنا كيد أى كانت امرأى عاقرا لم تلد في شبابها وشباب فكيف
وهى الآن عجوز وقد بلغت انا من أجل كبر السن جساوة وخولا في المفصل والعظام وأبلغت من مدارج الكبر

فيه ما يسمى عتيامن عتايتمواصله عتوو كعتود فاستقل توالى الضمين والواو بن فكسرت التاء فانقلبت الاولى
كونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا * ٧٧١ لا اجتماع الواو والياء سبق احداهما بالسكون وكسرت

العين اتباعا لهما لما بعدها
وقرى بضمها ولعل
البداء ههنا بذكر حال
امرأته على عكس ما في
سورة آل عمران لما انه
قد ذكر حاله في تضاعيف
دعائه وانما المذكور ههنا
بلوغه اقصى مراتب
الكبرية لما ذكر قبل
واما هناك فلم يسبق
في الدعاء ذكر حاله فلذلك
قدمه على ذكر حال
امرأته لما ان المسارعة
الى بيان قصور شأنه
أنسب وانما قاله عليه
الصلاة والسلام مع
سبق دعائه بذلك وقوة
يقينه بقدره الله لا سيما
بعده شهادته للشواهد
المذكورة في سورة آل
عمران استعظام القدرة
الله تعالى وتعجبها
واعتمادا بنعمته تعالى
عليه في ذلك باظهار أنه
من محض لطف الله
عز وجل وفضله مع كونه
في نفسه من الامور
المتحيلة عادة لا استبعادا له
وقيل انما قاله ليجاب بما
أجيب به في رد المؤمنون
ايقانا ويرتد المبطلون
وقيل كان ذلك منه عليه
الصلاة والسلام استغفاما

و بكيابكسر العين والصاد والجيم والياء وقرأ حفص عن عاصم بكيابالضم والباقي بالكسر
والباقون جميعا بالضم وقرأ ابن مسعود بفتح العين والصاد من عتيا واصليا وقرأ أبي بن
كعب وابن عباس عسيبا بالسين غير المجبة والله أعلم (المسئلة الثانية) في الالفاظ وهي
ثلاثة (الاول) الغلام الانسان الذكرفي ابتداء شهوته للجماع ومنه اغتم اذا اشتدت
شهوته للجماع ثم يستعمل في التليذ يقال غلام ثعلب (الثاني) العتي والعسي واحد تقول
عتا يعتون عتوا وعتيا فهو عات وعسياف هو عاس والعاسي هو الذي غيره
طول الزمان الى حال البؤس وليل عات طويل وقيل شديد الظلمة (الثالث) لم يقل عاقرة
لان ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للمذكر فانه لا تدخل فيه الهاء نحو امرأة
عاقرة وحائض قال الخليل هذه صفات مذكرة وصف بها المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث
حين قالوا رجل ملحمة وربعة وغلام نفعه (المسئلة الثالثة) في هذه الآية سواء الان (الاول)
ان ذكر يا عليه السلام لم تعجب بقوله أنى يكون لى غلام مع أنه هو الذى طلب الغلام
(السؤال الثاني) ان قوله أنى يكون لى غلام لم يكن هذا مذكورا بين أمته لانه كان يخفى
هذه الامور عن أمته فدل على انه ذكره في نفسه وهذا التعجب يدل على كونه شاكفا في قدرة
الله تعالى على ذلك وذلك كقرو هو غير جائز على الانبياء عليهم السلام (والجواب) عن
السؤال الاول اما على قول من قال انه لم يطلب خصوص الولد فالسؤال زائل واما على
قول من قال انه طلب الولد فالجواب عنه أن المقصود من قوله انى يكون لى غلام هو
التعجب من انه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شابين ويرزقهما الولد مع
الشيخوخة بطريق الاستعلام لا بطريق التعجب والدليل عليه قوله تعالى وزكرا يا ذنادى
ربه رب لا تدننى فردا وأنت خير الوارثين فاستجيبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه
وما هذا الاصلاح الا أنه اعاد قوة الولادة وقد تقدم تقرر هذا الكلام وذكر السدى في
الجواب وجه آخر فقال انه لما سمع النداء بالبشارة جاءه الشيطان فقال ان هذا الصوت
ليس من الله تعالى بل هو من الشيطان يسخر منك فلما شك زكرا قال أنى يكون لى غلام
واعلم ان غرض السدى من هذا أن زكرا يا عليه السلام لو علم ان المبشر بذلك هو الله تعالى
لما جازله أن يقول ذلك فارتكب هذا وقال بعض المتكلمين هذا باطل قطعاً لا يجوز
الانبياء في بعض ما يرد عن الله تعالى انه من الشيطان لجوزوا في سائرهم وزالت الثقة عنهم
في الوحى وعنا فيما يوردونه البناء ويمكن أن يجاب عنه بان هذا الاحتمال قائم في أول الامر
وانما يزول بالمعجزة فعمل المعجزة لم تكن حاصلة في هذا الصورة فحصل الشك فيها دون ما عداها
والله أعلم والجواب عن السؤال الثاني من وجوه (الاول) ان قوله انما نبشرك بغلام اسمه
يحيى ليس نصافى كون ذلك الغلام ولد له بل يحتمل ان زكرا يا عليه السلام راعى الادب ولم
يقبل هذا الغلام هل يكون لى ولد أم لا بل ذكر اسباب تعذر حصول الولد في العادة حتى ان
تلك البشارة ان كانت بالولد فالله تعالى يزيل الابهام ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك
صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكرا يا هذا لأنه كان شاكاً

عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه
وهو بعيد (قال) استئناف كما مر مبنى على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى (كذلك قال ربك) مقحمة كافي مثلك
لا يخل محلها اما انصب على انه صدر تشبيهى لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذى هو عبارة

عن الوعد السابق لآلى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقوله تعالى (هو على هين) جملة مقرر للوعد المذكور دالة على ٧٧٢ ✽ انجازه داخله في حين قال الاول كانه قبل قال الله

في قدرة الله تعالى عليه (الثاني) انه ما ذكر ذلك لك لكن على وجه التعظيم لقدرة وهذا كارجل الذي يرى صاحبه قد وهب الكثير الخطير فيقول أنى سمعت نفسك باخراج مثل هذا من ملكك تعظيما وتعجبا (الثالث) ان من شأن من بشر بما يتوكله فرط السرور به عند أول ما يرد عليه استبابت ذلك الكلام اما لان شدة فرجه توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر وهذا كما ان امرأة ابراهيم عليه السلام بعد ان بشرت باسحق قالت ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشئ عجيب فازيل تعجبها بقوله أتعجبين من أمر الله واما طلبا للانداز بسماع ذلك الكلام مرة أخرى واما مباغة في تأكيد التفسير ✽ قوله تعالى (قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في قوله قال كذلك قال ربك هو على هين وجوه (أحدها) ان الكافر رفع أى الامر كذلك تصديقه انه لم يبدأ قال ربك (وثانيها) نصب يقال وذلك اشارة الى مبهم تفسيره هو على هين وهو كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصحين (وثالثها) ان المراد لا تعجب فانه كذلك قال ربك لا خلف في قوله ولا غلط ثم قال بعده هو على هين بدليل خلقتك من قبل ولم تك شيئا (ورابعها) انا ذكرنا ان قوله أنى يكون لى غلام معناه تعطينى الغلام بان تجعلنى وزوجتى شابين أو بان تتركنا على الشيخوخة ومع ذلك تعطينا الولد وقوله كذلك قال ربك أى نهب الولد مع بقاءك وبقاء زوجتك على الحالة الحاصلة في الحال (المسئلة الثانية) قرأ الحسن وهو على هين وهذا لا يخرج الاعلى الوجه الاول أى الامر كما قلت ولكن قال ربك هو مع ذلك على هين (المسئلة الثالثة) اطلاق لفظ الهين في حق الله تعالى مجاز لان ذلك انما يجوز في حق من يجوز ان يصعب عليه شئ ولكن المراد انه اذا أراد شيئا كان (المسئلة الرابعة) في وجه الاستدلال بقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا فنقول انه لما خلقه من العدم الصفر والنفي المحض كان قادرا على خلق الذوات والصفات والآثار وأما الآن فخلق الولد من الشيخ والشيخة لا يحتاج فيه الا الى تبديل الصفات والقادر على خلق الذوات والصفات والآثار معاولى ان يكون قادرا على تبديل الصفات واذا أوجده عن عدم فكذا يرزقه الولد بان يعيد اليه والى صاحبه القوة التى عنها يتولد المان اللذان من اجتماعهما يخلق الولد ولذلك قال فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنه زوجه فهذا وجه الاستدلال (المسئلة الخامسة) الجمهور على ان قوله قال كذلك قال ربك يقتضى ان القائل لذلك ملك مع الاعتراف بان قوله يازكر يا نانبشرك قول الله تعالى وقوله هو على هين قول الله تعالى وهذا يعيد لانه اذا كان ما قبل هذا الكلام وما بعده قول الله تعالى فكيف يصح ادراج هذه الالفاظ فيما بين هذين القولين والاولى أن يقال قائل هذا القول أيضا هو الله تعالى كأن الملك العظيم اذا وعد عبده شيئا عظيمافيقول العبد من أين يحصل لى هذا فيقول ان سلطانك ضمن لك ذلك كانه يئنه بذلك على أن كونه سلطانا ما يوجب عليه

عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أى مثل ذلك الوعد الخارج للعادة وعدت هو على خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو على هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول الثانى مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتزيين المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشرى فاهه واسعارا بعلة الحكم فان تكبير جريان احكام ربو بيته تعالى عليه الصلاة والسلام من ايجاده من العدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال الى حال شيئا وشيئا الى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استعباده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعد ووبورنه عليه الصلاة والسلام

الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم الفت من ضمير الغائب العائد الى الرب الى به العظمة ايذا بان مدار كونه ✽ الوفاء هيناعليه سبحانه هو القدرة الذاتية لار بو بيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيدا لما يعقده وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء

ملحوظ مصححين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وأما الرفع على أنه خبر مبتدأ
ذوق وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى ﴿ ٧٧٣ ﴾ أي قال عز وجل لا تأخذه لطمه مما ذوقه ولا مضطرب مما مضى

تعالى قال ربك الخ
استئناف مقرر لمضمونه
والجمله المحكية على القراءة
الثانية معطوفة على
المحكية الاولى أو حال
من المستكن في الجار
والجرور وأيا ما كان
فتوسيط قال بينهما مشعر
بمز يد الاعتناء بكل منهما
والكلام في اسناد القول
إلى الرب ثم الانتفات إلى
إلى التكلم كالذي مر
آنفا وقبل ذلك إشارة
إلى ما قاله زكريا عليه
الصلاة والسلام أي
قال تعالى الأمر بكأقلت
تصديقه قاله فيما أحكامه من
الحالة المبينة للولادة في
نفسه وفي أمر أنه وقوله
تعالى قال ربك الخ استئناف
مسوق لازالة استبعاد
بعد تقريره أي قال تعالى
هو مع بعده في نفسه على
هين والقراءة الثانية أدخل
في إفادة هذا المعنى على
أن الواو للعطف وأما
جعلها للحال فحل بسداد
المعنى لأن ما له تقرير
صعوبته حال سهولته
عليه تعالى مع أن المقصود
بيان سهولته عليه سبحانه
مع صعوبته في نفسه

الوفاء بالوعد فكذا ههنا ﴿ قوله تعالى ﴾ قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا ﴿ وفيه مسائل ﴾ (المسئلة الاولى) قال بعضهم طلب الآية لتحقيق البشارة
وهذا بعيد لأن بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون اظهار الآية أقوى في ذلك
من صريح القول وقال آخرون البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة
فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع وهذا هو الحق (المسئلة الثانية) اتفقوا على أن تلك
الآية هي تعذر الكلام عليه فإن مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزة ثم
اختلفوا على قولين (أحدهما) أنه اعتقل لسانه أصلا (والثاني) أنه امتنع عليه الكلام
مع القوم على وجه المخاطبة مع أنه كان متمكنا من ذكر الله ومن قراءة التوراة وهذا القول
عندي أصح لأن اعتقال اللسان مطلقا قد يكون لمرض وقد يكون من فعل الله فلا يعرف
زكريا عليه السلام أن ذلك الاعتقال معجز إلا إذا عرف أنه ليس لمرض بل لمحض فعل الله
تعالى مع سلامة الآلات وهذا مما لا تعرف إلا بدليل آخر فتفتقر تلك الدلالة إلى دلالة
أخرى أما لو اعتقل لسانه عن الكلام مع القوم مع اقتداره على التكلم بذكر الله تعالى
وقراءة التوراة علم بالضرورة أن ذلك الاعتقال ليس لمرض بل لمحض فعل الله
فيتحقق كونه آية معجزة وما يقوى ذلك قوله تعالى آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا خص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم أنه كان قادرا على التكلم
مع غير الناس (المسئلة الثالثة) اختلفوا في معنى سويا فقال بعضهم هو صفة لليالي
الثلاث وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى آيتك أن لا تكلم الناس في هذه
المدة مع كونك سويا بالمحدث بك مرض ﴿ قوله تعالى ﴾ فخرج على قومه من المحراب فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿ وفيه مسائل ﴾ (المسئلة الاولى) قوله تعالى فخرج على قومه من
المحراب قيل كان له موضع يتفرد فيه بالصلاة والعبادة ثم ينتقل إلى قومه فعند ذلك أوحى
إليهم وقيل كان موضعيا يصلي فيه وهو وغيره لأنهم كانوا لا يدخلونه للصلاة إلا بآذنه وأنهم
اجتمعوا ينتظرون خروجه للاذن فخرج إليهم وهو لا يتكلم فأوحى إليهم (المسئلة الثانية)
لا يجوز أن يكون المراد من قوله أوحى إليهم الكلام لأن الكلام كان ممتعا عليه فكان
المراد غير الكلام وهو أن يعرفهم ذلك إما بالآشارة أو برمز مخصوص أو بكتابة لأن كل
ذلك يفهم منه المراد فعلوا أنه قد كان ما بشر به فكما حصل السرور له حصل لهم فظهر لهم
إكرام الله تعالى له بالإجابة وأعلم أن الأشبه بالآية هو الإشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران
ثلاثة أياما الأمر والرمز لا يكون كناية للكلام (المسئلة الثالثة) اتفق المفسرون على
أنه أراد بالتسبيح الصلاة وهو جائز في اللغة يقال سبحه الضحى أي صلاة الضحى وعن عائشة
رضي الله عنها في صلاة الضحى أني لا سبحها أي لأصليها إذا ثبت هذا فنقول روى عن أبي
العالية أن البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر ويحتمل أن يكون أنما كانوا
يصلون معه في محرابهاتين الصلاتين فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل

وقوله تعالى ﴿ وقد خلقناك من قبل ولم تكن شيئا ﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر أذ هو الواقع أثر
العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالى المعتاد وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق
من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك أو آدم من قبل ولم يكن شيئا مع كفايته في إزالة الاستبعاد

قياس حال ما يشر به على حاله عليه الصلاة والسلام لنا كيد الاختجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشرية حظ من انشائه عليه الصلاة والسلام ﴿ ٧٧٤ ﴾ من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على

نفسه بل كانت انموذجا منظوبا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجالها مستتب الجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه الصلاة والسلام على ذات الوجه ابداعا لكل أحد من فروعها كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط الساري الى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكآل علمه وحكمته وكان عدم ذكرها حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بان يكون معيارا لحال ما يشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتثال حقه فكان قيل وقد خلقناك من قبل في تضاعف خلق آدم ولم تكن اذ ذاك شيئا أصلا بل عدا ما يحتاجونفيا

لسانه خرج اليهم كمادته وأذن لهم بغير كلام والله أعلم * قوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرابا والديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) اعلم انه تعالى وصف يحيى في هذه الآية بصفات تسع (الصفة الاولى) كونه مخاطبا من الله تعالى بقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان قوله يا يحيى خذ الكتاب يدل على ان الله تعالى بلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان يخاطبه بذلك فمحذوف ذكره لدلالة الكلام عليه (المسئلة الثانية) الكتاب المذكور يحتمل أن يكون هو النوراة التي هي نعمة الله على نبي اسرائيل لقوله تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ويحتمل أن يكون كتابا خص الله به يحيى كما خص الله تعالى الكثير من الانبياء بذلك والاول أولى لان حل الكلام ههنا على العهد السابق أولى ولا معهود ههنا الا التوراة (المسئلة الثالثة) قوله بقوة ليس المراد منه القدرة على الاخذ لان ذلك معلوم لكل أحد فيجب حله على معنى يفيد المدح وهو الجهد والصبر على القيام بأمر النبوة وحاصلها يرجع الى حصول ملكة تقضي سهولة الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهى عنه (الصفة الثانية) قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اعلم ان في الحكم أقوال (الاول) انه الحكمة ومنه قول الشاعر

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حجام سراع واراد الحمد وهو الفهم في التوراة والفقه في الدين (والثاني) وهو قول معمرانه العقل روى انه قال ما لعب خلقنا (والثالث) انه النبوة فان الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى اليه وذلك لان الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسى ومحمد عليهما السلام وقد بلغا الاشد والأقرب حله على النبوة لوجهين (الاول) ان الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته ومعلوم ان النبوة أشرف صفات الانسان فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها فوجب أن تكون نبوته من كورة في هذه الآية ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة الا هذه اللفظة فوجب حملها عليهما (الثاني) ان الحكم ههنا يصلح لان يحكم به على غيره واغبره على الاطلاق وذلك لا يكون الا بالنبوة فان قيل كيف يعقل حصول العقل والفضيلة والنبوة حال الصبا قلنا هذا السائل امان نعم من خرق العادة أولا يمنع منه فان منع منه فقد سد باب النبوات لان بناء الامر فيها على المعجزات ولا معنى لها الاخرق العادات وان لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد فانه ليس استبعادا لصيرورة الصبي عاقلا اشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر (الصفة الثالثة) قوله تعالى وحنانا من لدنا اعلم ان الحنان أصله من الحنين وهو الارتياح والجزع للفراق كما يقال حنين الناقة وهو صوتها اذا اشتاقت الى ولدها ذكر الخليل ذلك وفي الحديث انه عليه السلام كان يصلى الى جذع في المسجد فلما اتخذ له المنبر وتحول اليه حنت تلك الخشبة حتى سمع حنينها فهذا هو الاصل ثم قيل تحن فلان على فلان اذا تعطف عليه ورحد وقد اختلف الناس

صرفا هذا أو ما حل الشيء على المعتد به أى ولم تكن شيئا معتد به فإياه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك في قوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أى علامة تدلني على تحقق المسؤل ووقوع الحيل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لنا كيد الإشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك

يف وقت العاوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تصنيه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد أن يطلعه الله تعالى عليه
في تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ﴿ ٧٧٥ ﴾ ولا يؤخره الى أن تظهر ظهوره واعتاد او قد مرّت الاشارة

في تفسير سورة آل عمران
الى أن هذا السؤال ينبغي
أن يكون بعد ما مضى بعد
البشارة برهة من الزمان
لما روي أن يحيى كان أكبر
من عيسى عليهما الصلاة
والسلام بستة أشهر أو
ثلاث سنين ولا ريب
في أن دعاء زكريا عليه
الصلاة والسلام كان
في صفر مريم قوله تعالى
هناك دعاء زكريا به
وهي انما ولدت عيسى
عليه الصلاة والسلام
وهي بنت عشرين
أو بنت ثلاث عشرة
سنة والجعل ابداعي
واللام متعلقة به وتقديمها
على المفعول به لما مر
مرار من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر
أو بمحذوف وقع حالا
من آية اذ لو تأخر لكان
صفة لها وقبل معنى
التصيير المستند على المفعولين
أولهما آية وثانيهما
الظرف وتقديمه لانه
لامسوغ لكون آية
مبتدأ عند انحلال الجملة
الى مبتدأ وخبر سوى
تقديم الظرف فلا يتغير
حاله ما بعد ورود التامع

في وصف الله بالحنان فاجازه بعضهم وجعله بمعنى الرؤف الرحيم ومنهم من أباه لما يرجع اليه
أصل الكلمة قالوا لم يصح الخبر بهذه اللفظة في اسماء الله تعالى اذا عرفت هذا فقول
الحنان هنا فيه وجهان (أحدهما) أن يجعل صفة لله (وثانيهما) أن يجعل صفة ليحيى
أما اذا جعلناه صفة لله تعالى فنقول التقدير وآتيناه الحكم حنانا أى رحمة منا ثم ههنا
احتمالات (الاول) أن يكون الحنان من الله ليحيى المعنى آتيناه الحكم صبيانا قال وحنانا
من لدنا أى انما آتيناه الحكم صبيانا حنانا من لدنا عليه أى رحمة عليه وزكاة أى تزكية له
وتشرى بقاله (الثاني) أن يكون الحنان من الله تعالى لذكره عليه السلام فكانت له تعالى قال
انما استجبنا لذكره يادعونه بأن أعطيناه ولدنا ثم آتيناه الحكم صبيانا وحنانا من لدنا عليه أى
على ذكره يادعونا فذلك وزكاة أى تزكية له عن أن يصير مردودا دعا (والثالث) أن يكون
الحنان من الله تعالى لأمة يحيى عليه السلام كآية تعالى قال وآتيناه الحكم صبيانا وحنانا
مناعلى أمتهم لعظيم انتفاعهم بهديته وارشاده أما اذا جعلناه صفة ليحيى عليه السلام
ففيه وجوه (الاول) آتيناه الحكم والحنان على عبادنا أى التعطف عليهم وحسن النظر
على كافهم فيما أوليه من الحكم عليهم كما وصف نبيه فقال فيما رحمة من الله انت لهم وقال
حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ثم أخبر تعالى أنه آتاه زكاة ومعناه أن لا تكون شفقتة
داعية له الى الاخلال بالواجب لان الرأفة واللين ربما أورثا ترك الواجب ألا ترى الى قوله
تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقال قائلوا الذين يلونكم من الكفار وليجندوا
فكم غلظة وقال اذ لا على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لأثم فالعنى انما جعلناه التعطف على عباد الله مع الطهارة عن الاخلال بالواجبات
ويحتمل آتيناه التعطف على الخلق والطهارة عن المعاصي فلبعض ولم يعم بمعصية وفي الآية
وجه آخر وهو المنقول عن عطاء بن أنس رباح وحنانا من لدنا والمعنى آتيناه الحكم صبيانا تعظيما
اذ جعلناه نبيا وهو صبي ولا تعظيم أكثر من هذا والدليل عليه ما روي انه مرورقة بن نوفل
على بلال وهو يعذب قد الصق ظهره برمضاء البطحاء ويقول أحد أحد فقال والذي
نفسى بيده لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى معظما (الصفة الرابعة) قوله وزكاة وفيه وجوه
(أحدها) المراد وآتيناه زكاة أى عملا صالحا زكيا عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن
جريج (وثانيها) زكاة من قبل منه حتى يكونوا أزكيا عن الحسن (وثالثها) زكينا
بحسن انشاء كما تتركى الشهود الانسان (ورابعها) صدقة تصدق الله بها على أبويه عن
الكلبي (وخامسها) بركة ونماء وهو الذى قال عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلنى مباركا
أيما كنت واعلم ان هذا يدل على أن فعل العبد خلق لله تعالى لانه جعل طهارته وزكاته
من الله تعالى وجعله على الاطراف بعد لانه عدول عن الظاهر (الصفة الخامسة) قوله
وكان تقيا وقد عرفت معناه وبالجملة فانه يتضمن غاية المدائح لانه هو الذى يتقى نهى الله
فيجتنبه ويتقى أمره فلا يهمله وأولى الناس بهذا الوصف من لم يعم الله ولا يعمهم بمعصية

(قال آيتك أن لا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح (ثلاث ليل) مع
أباهم للتصريح بها في سورة آل عمران (سوبا) حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطراب اردون
الاختيار أى تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوى الخلق

سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس (فخرج على قومه من المحراب) أى من المصلى أو من الفرق وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم ﴿ ٧٧٦ ﴾ متغير اللون فأنكروه وقالوا مالك (فاجى

اليهم) أى أو ما اليهم لقوله تعالى الأمر أن أو قبل كتب على الأرض وأن في قوله تعالى (أن سبحوا) اما مفسرة لا وحى أو مصدرية والمعنى أى صلوا أو بان صلوا (بكرة وعشيا) هما طرفا زمان للنسب عن ابن العالية أن المراد بها صلاة الفجر وصلاة العصر أو زهوار بكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك (يا يحيى) استثناف طوى قبله جل كثيرة مسارعة الى الانبياء بانجاز الوعد الكريم أى قلنا يا يحيى (خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجهد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روى انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما لعب خلقنا (وحنانا من لدنا) عطف على

وكان يحيى عليه الصلاة والسلام كذلك فان قيل مامعى وكان تقيا وهذا حين ابتداء تكليفه قلنا نعمنا مخاطب الله تعالى بذلك الرسول وأخبر عن حاله حيث كان كما أخبر عن نعم الله عليه (الصفة السادسة) قوله وراؤا ليديه وذلك لانه لاعبادته بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا السبب قال وقضى ربك ان لاتعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا (الصفة السابعة) قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولان رأس العبادات معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتعجب ولذلك فان ابليس لما تجبر وترد صار مبعدا عن رحمة الله تعالى وعن الدين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه حقا وهو من العظم والذهب بنفسه عن أن يلزمه قضاء حق أحد وقال سفيان في قوله جبارا عصيانه الذى يقبل على الغضب والدليل عليه قوله تعالى اتر يد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكبرن جبارا في الأرض وقيل كل من عاقب على غضب نفسه من غير حق فهو جبار لقوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين (الصفة الثامنة) قوله عصيا وهو أبلغ من العاصى كأن العليم أبلغ من العالم (الصفة التاسعة) قوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وفيه أقوال (أحدها) قال محمد بن جرير الطبري وسلام عليه أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أى وأمان عليه من عذاب القبر ويوم يبعث حيا أى ومن عذاب القيامة (وثانيها) قال سفيان بن عيينة أو حش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا عما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدتهم قط ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فأكرم الله يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة (وثالثها) قال عبد الله بن نفعطويه وسلام عليه يوم ولد أى أول ما يرى الدنيا ويوم يموت أى أول يوم يرى فيه أول أمر الآخرة ويوم يبعث حيا أى أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حياتيها على كونه من الشهداء لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (فروع) الاول هذا السلام يمكن أن يكون من الله تعالى وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فدلالة شرفه وفضله لا تختلف لان الملائكة لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى (الثانى) ليحيى منزلة في هذا السلام على ما سائر الانبياء عليهم السلام كقوله سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم لانه قال ويوم ولد وليس ذلك لسائر الانبياء عليهم (الثالث) روى ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام أنت أفضل منى لان الله تعالى سلم عليك واناسلمت على نفسى وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه مجرى مجرى سلام الله على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما أمره الله به (الرابع) السلام عليه يوم ولد لا بد وأن يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يقدم منه

الحكم وتنويه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمجدوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين ﴿ ما يكون ﴾ من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنه من جنابنا وأورجته في قلبه وشفته على أبويها وغيرهما (وزكوة) أى طهارة من الذنوب أو صدقة تصدقها على أبويه أو وقتناه للتصديق على الناس

كان تقياً) مطيعاً متجنباً عن المعاصي (و برأ بالديه) غطف على تقياً أي بارأهما لطيفاً بهما محسناً إليهما (ولم يكن راعصباً) متكبراً عاقلاً لهما أو عاصيلاً به ﴿ ٧٧٧ ﴾ (وسلام عليه) من الله عز وجل: (يوم ولد) من أن يناله

الشیطان بما ينال به بنی آدم (و یوم یموت) من عذاب القبر (و یوم یبعث حیا) من هول القيامة وعذاب النار (واذکرفی الکتاب) کلام مستأنف خوطب به النبی علیه الصلاة والسلام وأمر بذكر قصة مريم اثر قصة زکریا لما یبینهما من کمال اشتباه التوالم بالکتاب السورة الکريمة لا القرآن اذهی التي صدرت بقصة زکریا المستنبطة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها أي واذکر للناس (مريم) أي نبیها فان الذکر لا یتعلق بالاعیان وقوله تعالى (اذ انبذت) ظرف لذلك المضاف لكن لا علی أن یكون المأمور به ذکر نبیها عند انبذها فقط بل کل ما عطف علیه وحکی بعده بطریق الاستثناء داخل فی حیز الطرف متمم للتبای وقيل بدل اشتمال من مريم علی أن المراد بها نبیها فان الظروف مشتملة علی ما فیها وقيل بدل الكل علی أن المراد

ما یكون ذلك جزاء له وأما السلام علیه يوم ولد و يوم یموت و يوم یبعث فی المحشر فقد یجوز أن یكون ثواباً کالدح والتعظیم والله تعالى اعلم القول فی فوائد هذه القصة (الفائدة الاولى) تعلیم آداب الدعاء وهي من جهات (أحدها) قوله نداء خفياً وهو يدل علی أن أفضل الدعاء ما هذا حاله و یؤكد قوله تعالى ادعوا ربکم تضرعاً وخفیة ولا ترفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة واخفاء الصوت مشعر بالضعف والانکسار وعدة الدعاء الانکسار والتبری عن حول النفس وقوتها والاعتماد علی فضل الله تعالى واحسانه (وثانيهما) ان المستحب ان یدکر فی مقدمة الدعاء عجز النفس وضعفها کفی قوله تعالى عنه وهن العظم منی واشتعل الرأس شیباً ثم یدکر کثرة نعم الله علی ما فی قوله ولم أکن بدعائك رب شقياً (وثالثها) أن یكون الدعاء لاجل شیء متعلق بالدين لا لمحض الدنيا کما قال وانی خفت الموالي من ورائی (ورابعها) أن یكون الدعاء بلفظ یارب علی ما فی هذا الموضع (الفائدة الثانية) ظهور درجات زکریا یوحی علیهما السلام أما زکریا فأمر (أحدها) بنهاية تضرعه فی نفسه وانقطاعه الی الله تعالى بالکلیة (وثانيهما) اجابة الله تعالى دعاه (وثالثها) ان الله تعالى ناداه وبشره أو الملائكة أو حصل الامر ان معاً (ورابعها) اعتقال لسانه عن الکلام دون التسبیح (وخامسها) انه یجوز للانبياء علیهم السلام طلب الآيات لقوله رب اجعل لی آية (الفائدة الثالثة) کونه تعالى قادر علی خلق الولدان کان الابوان فی نهاية الشیخوخة رد علی أهل الطبايع (الفائدة الرابعة) صحة الاستدلال فی الدین لقوله تعالى وقد خلقتک من قبل ولم تک شیئاً (الفائدة الخامسة) ان المعلوم لیس بشیء والآية نص فی ذلك فان قيل المراد ولم تک شیئاً مذکوراً کفی قوله تعالى هل أتى علی الانسان خین من الدهر لم یکن شیئاً مذکوراً قلنا لا ضمیر لخلاف الاصل والمخصص أن یقول الآیة تدل علی ان الانسان لم یکن شیئاً ونحن نقول به لان الانسان عبارة عن جواهر متألفة قامت بهما اعراض مخصوصة والجواهر المتألفة الموصوفة بالاعراض المخصوصة غیر ثابتة فی العدم انما الثابت هو اعیان تلك الجواهر مفردة غیر مرکبة وهي ليست بانسان فظهر ان الآیة لا دلالة فیها علی المطلوب (الفائدة السادسة) ان الله تعالى ذکر هذه القصة فی سورة آل عمران و ذکرها فی هذا الموضع فلنعتبر حالها فی الموضعین فنقول (الاول) انه تعالى بین فی هذه السورة انه دعاه ولم یبین الوقت وینه فی آل عمران بقوله کما دخل علیها زکریا بالحراب وجد عند هارزفا قال یا مریم انی لک هذا قالت هومن عند الله ان الله یرزق من یشاء بغير حساب هنالك دعاه زکریا ربه قال رب هب لی ذریة طيبة والمعنی ان زکریا علیه السلام لما رأى خرق العادة فی حق مريم علیها السلام طمع فیبه فی حق نفسه فدعا (الثاني) وهوان الله تعالى صرح فی آل عمران بأن المنسادی هو الملائكة لقوله فتادته الملائكة وهو قائم بصلی فی الحراب وفی هذه السورة الاظهر أن المنادی بقوله یا زکریا یا نبشرك هو الله تعالى وقد بینا أنه لا منافاة بین الامرین (الثالث) انه قال فی آل عمران انی یكون لی غلام وقد بلغنی الکبر وامری انی عاقر قد کرا ولا کبر

الطرف ما وقع فيه وقيل اذ یعنی ﴿ ٩٨ ﴾ خا أن المصدرة کفی قولک أکرمتک اذ لم تکر منی أي لان لم تکر منی بهو بدل الاشتمال لمخالفة وقوله تعالى (من أهلها) متعلق بانبذت وقوله (مکاناً شرقياً) مفعول له باعتبار ما فی ضمنه من معنی لاتبان المترب وجوداً واعتباراً علی أصل

معناه العامل في الجار والمجرور وهو السرفى تاخيرة عنه أى اعتراض وانفردت منهم وانت مكانا سرفى آمن بيت المقدس أو دور دارها التحلى هنالك للعبادة وقيل قدمت في مشرفة لغتسل * ٧٧٨ * من الحوض محتجبة بحائط أو بشئ يستتره

وذلك قوله تعالى (فاتخذت من دونهم حجابا) وكان موضعها المسجد فاذا حاضت نحوحت الى بيت خاتها واذا ظهرت عادت الى المسجد فبينها في مفلسها أنها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمى شاب أمر د وضئ الوجه جمع الشر وذلك قوله تعالى (فارسنا اليهار وحنا) أى جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية لاهقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سبيلما فيه روح العباد الذى هو عدة المقر بين في قوله تعالى فأما ان كان من المقر بين فروح وريحان (فتمثل لها بشرا سويا) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمع يوسف من خدم بيت المقدس وذلك استأناس بكلامه وتلقى منه ما يلقي اليها من كلامه تعالى اذلو بدالها على الصورة الملكية لتفرد منه ولم تستطع مقاضته وأماما

نفسه ثم عقر المرأة وهو في هذه السورة قال أى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وجوابه ان الواو لا تقتضى الترتيب (الرابع) قال فى آل عمران وقد بلغنى الكبر وقال ههنا وقد بلغت من الكبر وجوابه ان ما بلغك قد بلغته (الخامس) قال فى آل عمران آتيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وقال ههنا ثلاث ليال سويا وجوابه ذلك الايتان على ان المراد ثلاثة أيام بلياليهن والله أعلم (القصة الثانية) قصة مريم وكيفية ولادة عيسى عليه السلام اعلم انه تعالى انما قدم قصة يحيى على قصة عيسى عليهما السلام لان خلق الوالد من شيخين فانيقن اقرب الى مناهج العادات من تخليق الوالد لا من الاب البتة وأحسن الطرق في التعليم والفهم الاخذ من الاقرب فالاقرب مترقا الى الاصعب فالاصعب * قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم اذا نبذت من أهلها مكانا شرقيافاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذنبت من مريم يدل اشغال لان الاحيان مسئلة على ما فيها وفيه ان المقصود بدكر مريم ذكر وقت هذا الوقوع لهذه القصة العجيبة فيه (المسئلة الثانية) النبذة أصله الطرح واللقاء والانبذاذ فعال منه ومنه فنبذوه وراء ظهورهم واننبذت نذعت يقال جلس نبذة من الناس ونبذة بضم النون وقحها أى ناحية وهذا اذا جلس قريبا منك حتى اوتبذت اليه شيئا وصل اليه ونبذت الشئ رميته ومنه النبذة لانه يطرح في الاناء واصله منبوذ فصرف الى فعل ومنه قيل للقيط منبوذ لانه يرمى به ومنه النهى عن المناذبة في البيع وهو أن يقول اذانبذت اليك هذا الثوب أو الحصاة فقد وجب البيع اذا عرفت هذا فمعنى دونه تعالى اذانبذت من أهلها مكانا شرقيافمعناه تباعدت وانفردت على سرعة الى مكان يلي ناحية الشرق ثم بين تعالى انها مع ذلك اتخذت من دون أهلها حجابا مستورا وظاهر ذلك انها لم تقصص على ان انفردت الى موضع بل جعلت بينها وبينهم حائلا من حائط وغيره ويحتمل انها جعلت بين نفسها وبينهم سترا وهذا الوجه الثاني أظهر من الاول ثم لا بد في احتجابها من أن يكون لغرض صحيح وليس مذكورا واختلف المفسرون فيه على وجوه (الاولى) انها لما رأت الحوض تباعدت عن مكانها المعتاد للعبادة لكي تنظر الطهر فتغتسل وتعود فلما ظهرت جاءها جبريل عليه السلام (والثاني) انها طلبت الخلوة لئلا تشتغل عن العبادة (والثالث) قدمت في مشرفة للاغتسال من الحوض محتجبة بشئ يستتره (والرابع) انها كان لها في منزل زوج أختها زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها فتمت أن تعبد خلوة في الجبل لغللى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت الى المقارة فجلست في المشرفة وراء الجبل فاتاهها الملك (وخامسها) عطشت فخرجت الى المقارة لتسقى واعلم ان كل هذه الوجوه محتمل وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح واحد منها (المسئلة الثالثة) المكان الشرقي هو الذى يلي شرق بيت المقدس أو شرق دارها وعن ابن عباس رضى الله عنهما

قيل من أن ذلك التهييج شهورها فنحدر نطقها الى رحها فمع مخالفتها لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة * ثم انى يكذبه قوله تعالى (فالتانى أعوذ بالرحمن منك) فانه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل مالى به فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تشبهه على

في الباء وكسرت الغين لياء وقيل هي فعل بمعنى الفاعل والالفيل بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم يفتح
التاء لانه من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول ﴿ ٧٨٠ ﴾ أي يغيها الرجال للفجور بها (قال) أي الملك

تقرر المقاماته وتحقيقها
(كذلك) أي الامر كما قلت
لك وقوله تعالى (قال ربك)
الح استخاف مفرله أي قال
ربك الذي أرسلني اليك
(هو) أي ما ذكرت لك
من هبة الغلام من غير
أن يسك بشر أصلا
(على) خاصة (هين)
وان كان مستحيلا عادة
لما أنى لأحتاج الى الاسباب
والوسائط وقوله تعالى
(ولتجعل آية للناس)
اما لعل لعل محذوف
أي ولتجعل وهب الغلام
آية لهم وبرهاناً يستدلون به
على كمال قدرتنا فنعمل ذلك
أو معطوف على علة
أخرى مضمرة أي لنبين به
عظم قدرتنا ولتجعل
آية الخ والواو على الاول
اعتراضية والاتفات
الى نون العظمة لاظهار
كمال الجلالة (ورحة)
عظيمة كائنة (منا) عليهم
يهدون به ديتهم ويسترو
شؤونهم بارشادهم (وكان)
ذلك (أمرا مقصيا)
محكما قد تعلق به قضاؤنا
الازلي أو قدر وسطر
في اللوح لا بد من جريانه
عليك البتة أو كان أمرا

اتصال غريب في الافلاك يقتضى حدوث شخص مثل زيد في كل الامور حينئذ يعود
التجوز المذكور (وعن الثاني) أنه لا يمنع أن يكون جبريل عليه السلام له أجزاء أصلية
وأجزاء فاضلة والجزاء الأصلية قليلة جدا حينئذ يكون متمكنا من التشبه بصورة
الإنسان هذا اذا جعلناه جسمانيا أما اذا جعلناه روحانيا فأى استبعاد في ان يتدرع
تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير (وعن الثالث) ان أصل التجوز قائم في
العقل وانما عرف فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن السؤال الرابع والله أعلم * قوله
تعالى (قلت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) وفيه وجوه (أحدها) أرادت ان كان
يرجى منك أن تتقي الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فأنى عائدة به منك وهذا في نهاية الحسن
لانها علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي وهو كقوله وذروا ما بيني من الربا ان كنتم
مؤمنين أي ان شرط الايمان بوجوب هذا أن الله تعالى يخشى في حال دون حال (وثانيها)
ان معناه ما كنت تقيا حيث استجملت النظر الى وخلوت بي (وثالثها) انه كان في ذلك
الزمان انسان فاجرا سمع تقي ينبع النساء فظنت مريم عليها السلام ان ذلك الشخص
المشاهد هو ذلك التقي والاول هو الوجه (قوله تعالى * قال انما أنا رسول ربك لا هب لك
غلاما زكيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم جبريل خوفها قال انما أنا رسول ربك
ليزول عنها ذلك الخوف ولكن الخوف لا يزول بمجرد هذا القول بل لابد من دلالة تدل
على انه كان جبريل عليه السلام وما كان من الناس فهنا يحتمل أن يكون قد ظهر معجز
عرفت به جبريل عليه السلام ويحتمل انها من جهة ذكر باعليه السلام عرفت صفة
الملائكة فلما قال لها انما أنا رسول ربك أظهر لها من باطن جسده ما عرفت انه ملك فيكون
ذلك هو العلم وسأل القاضي عبد الجبار في تفسيره نفسه فقال اذا لم تكن نية عندك وكان
من قولكم ان الله تعالى لم يرسل الى خلقه الا رجلا فكيف يصح ذلك وأجاب ان ذلك انما
وقع في زمان زكريا عليه السلام وكان رسولا وكل ذلك كان علمابه وهذا ضعيف لان
المعجز اذا كان مفعولا للشيء فاعل ما فيه أن يكون عليه السلام علمابه وزكريا ما كان
عنده علم بهذه الوقائع فكيف يجوز جعله معجزا له بل الحق ان ذلك اما ان يكون كرامة لمريم
أو اراهاصا لعيسى عليه السلام (المسئلة الثانية) قرأ ابن عامر ونافع ليسب بيا مفتوحة
بعد اللام أي ايها الله الملك والباقون بهمة مفتوحة بعدها أما قوله لاهب لك ففي مجازة
وجهان (الاول) ان الهبة لما جرت على يده بان كان هو الذي نفخ في جيبها بأمر الله تعالى
جعل نفسه كائنه هو الذي وهب لها واطافة الفعل الى ما هو سببه مستعمل قال تعالى
في الاصنام انهن اضلال كثير من الناس (الثاني) ان جبريل عليه السلام لما بشرها بذلك
كانت تلك البشارة الصادقة جارية بمجرى الهبة فان قال قائل ما الدليل على ان جبريل
عليه السلام لا يقدر على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها والذي يقال
فيه ان جبريل عليه السلام جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء اما انه جسم فلا نه
محدث وكل محدث اما متخير أو قائم بالتحيز واما ان الجسم لا يقدر على هذه الاشياء فلا نه

حقيقا بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة (فحملته) بأن نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ لو ﴾
في درعها فدخلت النفخة في جوفها قبل انه عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ في جيبه فخمت وقيل نفخ
عن بعد فوصل الرخ اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت

فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقبل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حلت وضعته وسنها ﴿ ٧٨١ ﴾ حيثئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشرين وقد حاضت حيضتين

(فانبتت به) أي
فاعترلت وهو في بطنها
كافي قوله * تدوس بنا
الجامح والتريسا *
فالجار والمجرور في حيز
النصب على الحالية أي
فانبتت ملتبسة به
(مكانا قصيا) بعيدا
من أهلها وراء الجبل
وقيل أقصى الدار وهو
الانصب بقصر مدة
الحمل (فالجاءها الخاض)
أي فالجاءها وهو في
الاصل منقول من جاء
لكنه لم يستعمل في غيره
كأن في أعطى وقرئ
الخاض بكسر الميم
وكلاهما مصدر مخضت
المرأة إذا تحرك الولد
في بطنها الخروج (إلى)
جذع الخلة) لتستر به
وتعتد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق
والفخذ وكانت نخلة
يابسة لأرأس لها
ولا خضرة وكان الوقت
شقاء والتعريف أما
الجنس أو العهد فلم يكن
مختلفا وكانت كالتعال
عند الناس وأهل تعالي
ألهمها ذلك ليربها
من آيات ما يسكن روعتها

لو قدر جسم على ذلك لا قدر عليه كل جسم لأن الأجسام متماثلة وهو ضعيف لأن الخضم
أن يقول لأنسلم أن كل محدث إما متخير أو قائم به بل ههنا موجودات قائمة بانفسها
لا متخيرة ولا قائمة بالمتخير ولا يلزم من كونها كذلك كونها أمثالا لذات الله تعالى لأن
الاشتراك في الصفات الثبوتية لا يقتضي التماثل فكيف في الصفات السلبية سلمنا كونه
جسما فلم قلت الجسم لا يقدر عليه قوله الأجسام متماثلة قلنا نعتي به انها متماثلة في
كونها حاصلة في الاحياز ذاهبة في الجهات أو نعتي به انها متماثلة في تمام ماهياتها
والاول مسلم لكن حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشتراك في الصفات
لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلمنا أن الأجسام متماثلة فلم لا يجوز أن
يقال إن الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض حتى انه يصح منها ذلك ولا
يصح من البشر ذلك والجواب الحق أن المعتقد في دفع هذا الاحتمال اجماع الامة فقط
والله أعلم (المسئلة الثالثة) الزكي يفيد أمورا ثلاثة (الاول) انه الطاهر من الذنوب
(والثاني) انه نحو على التزكية لانه يقال فيمن لا ذنب له زكى وفي الزرع النامي زكى
(والثالث) النزاهة والطهارة فيما يجب أن يكون عليه ليصح أن يبعث نبيا وقال بعض
المتكلمين الاولى أن يحمل على الكل وهو ضعيف لما عرفت في اصول الفقه ان اللفظ
الواحد لا يجوز حمله على المعنيين سواء كان حقيقة فيهما أو في أحدهما مجازا وفي الآخر
حقيقة (المسئلة الرابعة) سماه زكيا مع انه لم يكن له شيء من الدنيا وأنت اذا نظرت في
سوقك فمن لم يملك شيئا فهو شقي عندك وانما الزكي من يملك المال والله يقول كان زكيا لأن
سبرته الفقر وغناه الحكمة والكتاب وأنت فانما تسمى بالزكي من كانت سيرته الجهل
وطريقته المال * قوله تعالى (قالت أئني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) قال
كذلك قال ربك هو علي هين ولتجمله آية لناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) انها انما تعجب مما بشرها جبريل عليه السلام لانها عرفت
بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادات عند أهل المعرفة معتبرة في الامور
وان جوزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على انها لم تعلم انه تعالى
قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبابشر على هذا الحد
ولانها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لابد من أن يعرف قدرة الله تعالى على
ذلك (المسئلة الثانية) لقائل أن يقول قولها ولم يمسسني بشر يدخل تحته قولها ولم أك
بغيا فلماذا أعادتها وما يؤكد هذا السؤال ان في سورة آل عمران قالت رب أئني يكون لي
ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء فلم تذكر البغاء والجواب من وجوه
(أحدها) انها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل أن
تمسوهن والزنا ليس كذلك انما يقال فجر بها أو ما أشبه ذلك ولا يليق به رعاية الكننيات
(وثانيها) ان عاداتها تعظيم حالها كقولها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ههنا ان من لم تعرف من النساء بزواج فأغلاظ

ويطمعهم الرطب الذي هو خرساء النفس الموافقة لها (قالت باليتي مت) بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمة
من مات يموت (قبل هذا) أي هذا الوقت الذي لقيت فيه مائيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينهما وبين
جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لاعنهم أو هذنا من

في المعصية بما تكلّموا فيها أو جرى على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روى عن عمر رضي الله عنه أنه أجند
تبنّة من الأرض فقال باليتي هذه التبنّة ولم أك شيئا وعن بلال أنه قال ليت ﴿ ٧٨٢ ﴾ ﴿ بلالا لم تلتدء أمه ﴾ (وكنّت نسبيا)

أى شيئا تافها شأنه أن
ينسى ولا يعتد به أصلا
وقرى بالكسر قيل هما
لفتان في ذلك كالوتر
والوتر وقيل هو بالكسر
اسم لما ينسى كالنقص
اسم لما ينقص وبالفتح
مصدر سمي به المفعول
مبالغة وقرى بهما مهورا
من نساء اللين اذا صبيت
عليه الماء فصار مستهلكا
فيه وقرى نسا كصا
(منسيا) لا يخطر ببال
أحد من الناس وهو نعت
للبالغة وقرى بكسر الميم
اتباعه بالسين (فناداها)
أى جبريل عليه السلام
(من تحتها) قيل انه
كان يقبل الولد وقيل من
تحتها أى من مكان أسفل
منها تحت الالة وقيل
من تحت التخلّة وقيل
ناداها عيسى عليه السلام
وقرى فخطبها من
تحتها بفتح الميم (أن
لا تحزنى) أى لا تحزنى
على أن ان مفسرة أو بأن
لا تحزنى على أنها
مصدرة قد حذف
عنها الجار (قد جعل
ربك تختك) أى يمكن
أسفل منك وقيل تحت

أحوالها اذا أنت يولد أن تكون زانية فافرد ذكر البغاء بعد دخوله في الكلام الاول لانه
أعظم ما في بابها (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف البنى العاجرة التى تبني الرجال
وهو فاعول عند المبرد بغوى فادغمت الواو فى الباء وقال ابن جنى فى كتاب التمام هو فاعيل
ولو كان فعولا لقبل بغوا كما قيل نهوا عن المنكر (المسئلة الرابعة) ان جبريل عليه
السلام أجابها بقوله قال كذلك قال ربك هو على هين وهو كقوله فى آل عمران كذلك الله
يخلق ما يشاء اذا قضى امره فانما يقول له كن فيكون لا يمتنع عليه فعل ما يريد خلقه
ولا يحتاج فى انشائه الى الآلات والمواد (المسئلة الخامسة) الكتابة فى هو على هين
وفى قوله ولجعل آية للناس تحتل وجهين (الاول) أن تكون راجعة الى الخلق أى ان
خلقهم على هين ولجعل خلقه آية للناس اذ ولد من غير ذكر ورجعة منا يرحم عبادنا باظهار
هذه الآيات حتى تكون دلائل صدقه أبهر فيكون قبول قوله أقرب (الثانى) ان ترجع
الكتابات الى الغلام وذلك لانها لما تعجبت من كيفية وقوع هذا الامر على خلاف العادة
اعلمت ان الله تعالى جاعل ولدها آية على وقوع ذلك الامر الغريب فاما قوله تعالى ورجة
منا فيحتمل أن يكون معطوفا على ولجعله آية للناس أى فعلنا ذلك ورجة منا فعلنا ذلك
ويحتمل أن يكون معطوفا على الآية أى ولجعله آية ورجة فعلنا ذلك (المسئلة السادسة)
قوله وكان أمرا مقضيا المراد منه انه معلوم اعلم الله تعالى فينتع وقوع خلافه لانه لو لم يقع
لانتقل علم الله جهلا وهو محال والمقضى الى المحال محال فغلاظه محال فوقعه واجب
وأبضا فلان جميع الممكنات متتهية فى سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود
والمتتهى الى الواجب انتهاء واجبا يكون واجب الوجود واذا كان واجبا الوجود فلا
فائدة فى الحزن والأسف وهذا هو سر قوله عليه السلام من عرف سر الله فى القدر هانت
عليه المصائب * قوله تعالى (لحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع
التخلّة قالت باليتي مت قبل هذا وكنّت نسبيا منسيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الله
تعالى أمر النفخ فى آيات فقال فنفتحنا فيه من روحنا أى فى عيسى عليه السلام كما قال
لآدم عليه السلام ونفخت فيه من روحي وقال فنفتحنا فيها لان عيسى عليه السلام كان
فى بطنها واختلقوا فى النافخ فقال بعضهم كان النفخ من الله تعالى اقوله فنفتحنا فيه من
روحنا وظاهره يفيد ان النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقنا من تراب ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفى حق آدم
النافخ هو الله تعالى لقوله تعالى ونفخت فيه من روحي فكذلك ههنا وقال آخرون النافخ
هو جبريل عليه السلام لان الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا هب لك انه أمر أن يكون
من قبله حتى يحصل الحمل لريم عليها السلام فلا بد من احالة النفخ اليه ثم اختلفوا فى كيفية
ذلك النفخ على قولين (الاول) قول وهب انه نفخ جبريل فى جيبها حتى وصلت الى الرحم
(الثانى) فى ذيلها فوصلت الى الفرج (الثالث) قول السدى أخذ بكفها فنفخ فى جنب

أمرك ان أمرت بالجرى جرى وان أمرت بالامساك أمسك (سريا) أى نهر اصغيا حسبما روى مر فوعا ﴿ درعها ﴾
قال ابن عباس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل
فوله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه

الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانما كانت نخلة تبايسة لأرأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذذال
رأسا وخوصا وثمر اوقيل كان هناك ماء جار والاول ﴿ ٧٨٣ ﴾ هو الموافق لقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم

الكريم وقيل سر يا
أى سيدا نبلا رفيع
الشان جليلا وهو عيسى
عليه السلام فالتنوين
للتفخيم والجملة لتعليل
لاتقاء الحزن المفهوم
من التهمى عنه والتعرض
لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرها
لتشريفها وتأكيده
التعليل وتكميل التسمية
(وهزى) هز الشئ
تحرىكه الى الجهات
المتقابلة تحريكاً عفيفاً
متداركاً والمراد ههنا
ما كان منه بطريق
الجدب والدفع اقله
تعالى (اليك) أى الى
جهنك والباء في قوله
عزوعلا (بجذع النخلة
صلة للتأكيده كما في قوله
تعالى ولا تلقوا بأيديكم
الى الخ قال القراء تقول
العرب هزه وهزه
وأخذ الخطاب وأخذ
بالخطاب أو لالصاق
الفعل بمدخولها أى
افعللى الهمز بجذعها
أو هزى الثمرة بهزه وقيل
هى متعلقة بجذوف
وقع حالا من مفعول
الهز أى هزى اليك

درعها فدخلت النعفة صدرها فحملت فجاءتها اختها امرأة ذكر ياتزورها فالتزمتها فلما
التزمتها علت انها حبلى وذكرت مريم حالها فقالت امرأة ذكر ياتى وجدت ما فى بطنى
يسجد لى فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله (الرابع) ان النخلة كانت فى
فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال اذا عرفت هذا ظهر ان فى الكلام حذف وهو وكان
أمر امقضياففتح فيها فحملته (المسئلة الثانية) قبل حملت وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل
بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وليس فى القرآن ما يدل على شئ
من هذه الاحوال (المسئلة الثانية) فانتبذت به أى اعترلت وهو فى بطنها كقوله ثبتت
بالدهن أى ثبتت والدهن فيها واختلوا فى علة الانتباز على وجوه (أحدها) مارواه
العلوى فى العرائس عن وهب قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه السلام كان معها ابن عم
لها يقال له يوسف التجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان يوسف
ومريم يتحذمان ذلك المسجد ولا يعلم فى أهل زمانهما أحداً شدا جهادا ولا عبادة منهما
وأول من عرف حل مريم يوسف فتخبر فى أمرها فكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها
وعبادتها وانهم لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بهما من الجمال فاول
ما تكلم ان قال انه وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانها فغلبنى ذلك فزأيت
ان الكلام فيه أشقى لصدرى فتالت قل قولاً جليلاً قال أخبر بنى يامريم هل ينبت زرع
بغير بذرو هل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله
أنبت الزرع من غير بذرو هذا البذر انما حصل من الزرع الذى أنبته من غير
بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياء الشجر
بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجرة
حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها فقال يوسف لآقول هذا ولكنى أقول ان
الله قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له مريم أولم تعلم أن الله خلق آدم
وامرأته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها فى خدمة
المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الجمال وضيق القلب فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن
اخرجى من أرض قومك ثلاثينقاولك فاحتملها يوسف الى أرض مصر على جواره فلما
بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى أصل نخلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها
فوضعت عندها (وثانيها) انها استحييت من ذكر يافذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها ذكر ي
(وثالثها) انها كانت مشهورة فى بنى اسرائيل بالزهد لنذر أمها وتشاح الانبياء فى تربيتها
وتكفل ذكر يابها ولان الرزق كان يأتىها من عند الله تعالى فلما كانت فى نهاية الشهرة
استحييت من هذه الواقعة فذهبت الى مكان بعيد لا يعلم بها ذكر ي (ورابعها) انها خافت
على ولدها ولولده فيما بين اظهرهم واعلم ان هذه الوجوه محتملة وليس فى القرآن ما يدل على
شئ منها (المسئلة الرابعة) اختلفوا فى مدة حملها على وجوه (الاول) قول ابن عباس رضى
الله عنهما انها كانت تسعة أشهر كما فى سائر النساء بدليل ان الله تعالى ذكر مدائحها فى هذا

الربط كأننا بجذعها (تساقط) أى تسقط النخلة (عليك) اسقاطا متواترا حسب تواتر الهزى وقرئ تسقط ويسقط
من الاسقاط بالياء والياء وتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء
كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن التاء

في الكل للنخلة والياء للجدع وقوله تعالى (رطباً) على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الباقى تمييز وقوله تعالى (جنباً) صفة له وهو ما قطع قبل يسه فعمل بمعنى مفعول ﴿ ٧٨٤ ﴾ أى رطباً جنباً أى صالحاً للاجتماع

الموضع فلو كانت عادتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر (الثاني) انها كانت ثمانية أشهر ولم يعش مولود وضع الثمانية الا عيسى بن مريم عليه السلام (الثالث) وهو قول عطاة وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر (الرابع) انها كانت ستة أشهر (الخامس) ثلاث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة (السادس) وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً كانت مدة الحمل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال عليه من وجهين (الاول) قوله تعالى فحملته فأنبذت به فأجاءها المخاض فناداها من تحتها والفاء للتعقيب فدأت هذه القات على ان كل واحد من هذه الاحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة واحدة لا يقال انبذها مكاناً قصياً كيف يحصل في ساعة واحدة لاننا نقول السدى فسر بأنها ذهبت الى أقصى موضع في جانب محرابها (الثاني) ان الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى له كن فيكون وهذا لا يتصور فيه مدة الحمل وانما عقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة (المسئلة الخامسة) قصياً أى بعيداً من أهلها يقال مكان قاص وقصى بمعنى واحد مثل عاص وعصى ثم اختلفوا فقيل أقصى الدار وقيل وراء الجبل وقيل سافرت مع ابن عمها يوسف وقد تقدمت هذه الحكاية (المسئلة السادسة) قال صاحب الكشاف أجاء متقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الاجاء فانك لاتقول جئت المكان وأجاءني زيد كما تقول بلغني وأبلغته والمعنى ان طلقها الجأها الى جذع النخلة ثم يحتل انها انما ذهبت الى النخلة طلباً للسؤلة الولادة للشبث بها ويحمل للتقوية والاستناد اليها ويحمل للتستر بها من يخشى منه الغالة اذا رآها ولذلك حكى الله عنها انها تمت الموت (المسئلة السابعة) قال في الكشاف قرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضاً ومخاضاً وهو تخضض الولد في بطنها (المسئلة الثامنة) قال في الكشاف كان جذع نخلة يابس في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاءوا تعريف اما أن يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مشهور عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون سائرهما وانما أن يكون تعريف الجنس اى الى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله أرشدها الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو أشد الاشياء موافقة للنساء ولان النخلة أقل الاشياء صبراً على البرد ولا ثمر الا عند القحاح واذا قطعت رأسها لم تثر فكأنه تعالى قال كأن الانثى لاتلد الامع الذكر فكذا النخلة لاتثر الا عند القحاح ثم انى أظهر الرطب من غير القحاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر (المسئلة التاسعة) لم قالت يا ليتنى مت قبل هذا مع انها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل اليها وخلق ولدها من نخل جبريل عليه السلام ووعدها بأن يجعلها وابنها آية للعالمين والجواب من وجهين (الاول) قال وهب

وقيل بمعنى فاعل أى طرباً طيباً وقرئ جنباً بكسر الجيم للاتباع (فكلى واشربى) أى ذلك الرطب وماه السرى أو من الرطب وعصيره (وقرئ عينا) وطبى نفساً وارفضى منها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزهه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدين بالاحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركات النباتية ما يحرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سريرة أمرك وقرئ وقرئ بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القران دمعاً السرور باردة ودمعاً الحزن حارة ولذلك يقال قررة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه (فاما ترى من البشر أحداً) أى آدمياً كأنساً من كان

وقرئ ترى على لغة من يقول لبات بالحج لما بين الهمة والياء من التأخى (فقل) له ان استطقتك ﴿ انساها ﴾ (انى نذرت للرحن صوما) أى صمتاً وقد قرئ كذلك أو صياماً أو كان صيامهم بالسكوت (فلن أكلهم اليوم انساباً) أى بعد أن أخبركم بنذرى وانما أكلهم الملائكة وأنا نبى ربي وقيل أمرت بأن تخبر

ينذرهابا لشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب يسمى كل ما وصل الى الانسان كلاما بى طريق وصل مالم يؤكده بالمصدر
فاذا كدلم يكن الاحقية الكلام وانما أمرت ﴿ ٧٨٥ ﴾ بذلك لكرهاه مجادلة السفهاء ومناقضتهم والاكفاء بكلام

عيسى عليه السلام فانه
نص قاطع في قطع الطعن
(فأتت به قومها) اى
جاءتهم مع ولدها راجعة
اليهم عند ما ظهرت من
نفاسها تحمله اى
حاملة له (قالوا) مؤننين
لها (يا مريم لقد جئت
اى فعلت شيئا فريا)
اى عظيميا بدعا منكرا من
فرى الجلد اى قطعه
أوجنت مجيئا عجيبا عبر
عنه بالشئ تحقيقا
الاستغراب (يا أخت
هرون) استئناف لتجديد
التعير وتأکید التوبيخ
عنوا به هرون النبي
عليه السلام وكانت من
أعقاب من كان معه
في طبقة الاخوة وقيل
كانت من نسله وكان
بينهما ألف سنة وقيل
هو رجل صالح أو طالح
كان في زمانهم شهورا به
اى كنت عندنا مثله في
الصلاح أو شهورا به
(ما كان أبوك أمرا سوء
وما كانت أمك بغيا)
تقر بركون ما جات به
فر بانكر او تنبيه على
أن ارتكبت الفواحش
من أولاد الصالحين

أنساها كربة الغربة وما سمعته من الناس بشارة الملائكة بعيسى عليه السلام (الثاني)
ان عادة الصالحين اذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك وروى عن أبي بكر انه نظر الى طائر على
شجرة فقال طوبى لك يا طائر ترفع على الشجر وتأكل من الثمر وتدنت أثنى ثمرة ينقرها الطائر
وعن عمر انه أخذ تبنه من الارض وقال ليتني هذه التبنه ياليتنى لم أك شيئا وقال على
يوم الجمل ياليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلال لم تلده أمه
فثبت أن هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم (الثالث) لعلها قالت
ذلك لكي لاتفع المعصية ممن يتكلم فيها والافهى راضية بما بشرت به (المسئلة العاشرة)
قال صاحب الكشف النسي ما من حقسه أن يطرح وينسى كخرقة الطمث ونحوها
كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح كقوله وفديناه بذبح عظيم نمت لو كانت شيئا تافها
لا يؤبه به ومن حقسه أن ينسى في العادة وقرأ ابن وثاب والاعمش وحزرة نسيا بالفتح
والباقون نسيا بالكسر قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر وقرأ محمد بن
كعب القرظي نسيا بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه أهله لقولته وقرأ الاعمش
منسيا بالكسر على الاتباع كالمغبر والمخز والله أعلم * قوله تعالى (فناداها من تحتها
أن لا تخزنى قد جعل ربك تخمك سرا) وهزى اليك يجزع الخلة تساقط عليك رطبا جنيا
فكلنى واشربى وقرى عينا فاماترين من البشر أحد اقول انى نذرت للرحمن صوما
فلن أكل اليوم انيسيا) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) فناداها من تحتها القراءة
المشهوره فناداها وقرأ رز وعلقمة فخطبها وفي الميم فيها قراءتان فتح الميم وهو المشهور
وكسره وهو قراءه نافع وحزرة والكسائي وحفص وفي المنادى ثلاثة أوجه (الاول) انه
عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبیر (والثاني) انه جبريل عليه السلام
وانه كان كالمقابل للولد (والثالث) ان المنادى على القراءة بالكسر هو الملك وعلى
القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام وهو مروي عن ابن عيينه وعاصم والاول أقرب
لوجه (الاول) ان قوله فناداها من تحتها بالفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك
ان تحتها أحدا والذي علم كونه حاصلات تحتها هو عيسى عليه السلام فوجب حمل اللفظ
عليه وأما القراءة بكسر الميم فهي لا تقتضى كون المنادى جبريل عليه السلام فقد صح
قولنا (الثاني) ان ذلك الموضع موضع النوث والنظر الى العورة وذلك لا يليق بالملائكة
(الثالث) ان قوله فناداها فعل ولا بد أن يكون فاعله قد تقدم ذكره ولقد تقدم قبل هذه
الآية ذكر جبريل وذكر عيسى عليهما السلام الا أن ذكر عيسى أقرب لقوله تعالى فحملته
فانبتت به والصمير ههنا عائد الى المسيح فكان حله عليه أولى (والرابع) وهو دليل
الحسن بن علي رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام لو لم يكن كلها لما علمت انه ينطق
فا كانت تشير الى عيسى عليه السلام بالكلام فأما من قال المنادى هو عيسى عليه
السلام فاعني انه تعالى أنطقه لها حين وضعته تطيبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى

أفحش (فأشارت اليه) أى الى عيسى ﴿ ٩٩ ﴾ خا عليه السلام أن نكلوه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها
بمعزل من محاوره الانس حسبما أمرت فبقية دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما
لا عهد به (قالوا) منكرين

لجوابها (كيف تكلم من كان في المهد صبيا) ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لا يناع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه * ٧٨٦ * خاصة بدليل انه مسوق للتجب وقيل هي زائدة

وتشاهد في أول الامر ما بشر به جبريل عليه السلام من علوشان ذلك الولد ومن قال المتأدي جبريل عليه السلام قال انه أرسل اليها لينادي بها بهذه الكلمات كما أرسل اليها في أول الامر ليكون ذلك تذكيرا لها ما تقدم من أصناف البشارات وأما قوله من تحتها فان حملناه على الولد فلا سؤال وان حملناه على الملك ففيه وجهان (الاول) أن يكونا معا في مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين كذلك التخلية ههنا فكل من كان أقرب منها كان فوق وكل من كان أبعد منها كان تحت وفسر الكلبي قوله تعالى انجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم بذلك وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من أقصى الوادي (والثاني) أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة أنها كانت حين ولدت على مثل رابية وفيه وجه ثالث يحكى عن عكرمة وهو أن جبريل عليه السلام ناداها من تحت التخلية ثم على التقديرات الثلاثة يحتمل أن تكون مريم قد رأتها وانما رآته وليس في اللفظ ما يدل على شيء من ذلك (المسئلة الثانية) اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيدان السري هو النهر والجداول سمى بذلك لان الماء يسرى فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلوا السرى عيسى والسرى هو النيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أى من أشرفهم وروى ان الحسن رجع عنه وروى عن قتادة وغيره ان الحسن تلا هذه الآية وبجنبه جدين عبد الرحمن الحميري قد جعل ربك تحتك سريا فقال ان كان اسريا وان كان لكرما فقل له جديا بأسماء الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا بحجاستك واحتج من حمله على النهر بوجهين (أحدهما) انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السرى فقال هو الجدول (والثاني) ان قوله فكل على انهر حتى ينضاف الماء الى الرطب فتأكل وتشرب واحتج من حمله على عيسى بوجهين (الاول) ان النهر لا يكون تحتها بل الى جانبها ولا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد منه انه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا حبل اللفظ على مجاز ولو حملناه على عيسى عليه السلام لم يحتج الى هذا المجاز (الثاني) انه موافق لقوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين والجواب عنه ماتقدم ان المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت فرعان (الاول) ان حملنا السرى على النهر ففيه وجهان (أحدهما) أن جبريل عليه السلام ضرب برجله فظهر ماء عذب (والثاني) انه كان هناك ماء جار (والاول) أقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سرى يشعر بالحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكره تعظيما لسانها وذلك لا يثبت الا على الوجه الذي قلناه (الثاني) اختلفوا في أن السرى هو النهر مطلقا وهو قول أبي عبيدة والقرءاء وأشهر الصغير على ما هو قول الاخفش (المسئلة الثالثة) قال اتفاق الجذع من التخلية هو الاسفل وما دون الرأس الذي عليه

والظرف صلة من وصبا حال من المسكن فيه أو هي تامة وأدأمة كما في قوله تعالى وكان الله عليا حكيما (قال) استئناف مبنى على سؤال نشامن سباق النظم الكريم كانه قيل فاذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام (انني عبد الله) أنطقه الله عز وجل بذلك أثر في أثر تحقيقا الحق وردا على من يزعم ربو بيته قبل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما الصلاة والسلام وعن السدي رضى الله عنه لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخرتها بنا أشد علينا ما فعلت وروى أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار اليهم بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغنا تكلم فيه الصبيان (آثاني الكتاب) اى الانجيل (وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك) مباركا) نفاعا

معل الخبير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو بجعل ما في شرف * الثمرة * الوقوع لاحالة واقعا وقبل أكله الله عقلا واستنبأه طفلا (أي بما كنت) اي حيثما كنت (وأوصاني بالصلوة) اي أمرني بها أمرا مؤكدا

(زكاة المال ان ملكته أو يطهّر النفس عن الرذائل (مادت حيا) في الدنيا (ورايوالتي) عطف
زكا أي جعلني بارابها وقرئ بالكسر ﴿ ٧٨٧ ﴾ على أنه مصدر وصف به مسالفة أو منصوب بمضمر

دل عليه أو صاني
أي وكلفني براو يوئيد،
القراءة بالكسر والجر
عطفًا على الصلاة والزكاة
والتكبير للتخيم (ولم يجعلني
جبارا شقيا) عند الله تعالى
لفرط تكبره (والسلام
على يوم ولدتي ويوم أموت
ويوم أبعث حيا) كما هو
على يحيي على أن التعريف
للعهد والظاهر أنه للجنس
والتعريض بالعلن على أعد
انه فإن إثبات جنس السلام
لنفسه تعريض بآيات
ضده لاضداده كما في قوله
تعالى والسلام على
من اتبع الهدى
فانه تعريض بأن العذاب
على من كذب وتولى
(ذلك) إشارة إلى من فصلت
نحوته الجليّة وما فيه
من معنى البعد للدلالة
على علو مرتبته وبعد
منزله وامتيازته بتلك
المناقب الحميدة عن غيره
ونزوله منزلة المشاهد
المحسوس (عيسى
ابن مريم) لا ما بصفته
التصاري وهو تكذيب لهم
فيما يزعمونه على الوجه
الابلاغ والمنهاج البرهاني
حيث جعله موصوفا

ة وقال فطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع وأما الباء في قوله بجذع النخلة
لغة والمعنى هزى اليك أي حركى جذع النخلة قال الفراء العرب تقول هزه وهزه به
رخذنا الخطام وخذنا الخطام وزوجتك فلانة وبغلافة وقال الاخفش يجوز أن يكون على
معنى هزى اليك رطبًا بجذع النخلة أي على جذعها اذا عرفت هذا فقول قد تقدم أن
الوقت كان شتاء وان النخلة كانت يابسة واختلفوا في أنه هل أمر الرطب وهو على حاله أو
تغير وهل أمر مع الرطب غيره والظاهر يقتضي انه صار نخلة لقوله بجذع النخلة وانه ما أمر
الارطب (المسئلة الرابعة) قال صاحب الكشاف تساقط فيه تسع قرآت تساقط بادغام
التاء وتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط
وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة والياء للجذع (المسئلة الخامسة) رطبًا تمييز
أو مقبول على حسب القراءة الجنى المأخوذ طريا وعن طلحة بن سليمان جنبًا بكسر الجيم
للاتباع والمعنى جمعنا لك في السرى والرطب فأنتين (احدهما) الاكل والشرب
(والثانية) سلة الصدر بكونهما معجزتين فان قال قائل فذلك الافعال الخارقة للعادات
لمن قلنا قالت المعتزلة انها كانت معجزة لذكر يا وغيره من الانبياء وهذا باطل لأن زكريا
عليه السلام ما كان له علم بحالها ومكانها فكيف بتلك المعجزات بل الحق انها كانت
كرامات لمريم أو أرواحا صاعية عليه السلام (المسئلة السادسة) فكلى واشربى
وقرى عينا قرئ بكسر القاف لغة نجاد ونقول قدم الاكل على الشرب لان احتياج
النفساء الى اكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة مسال منها من الدماء
ثم قال وقرى عينا وههنا سؤال وهو أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش
والدليل عليه أمران (أحدهما) ان الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح
أقوى من ألم البدن (والثاني) ما روى انه أجيبت شاة ثم قدم العلف إليها وربط عندها
ذئب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها الشديد خوفا من الذئب ثم
كسرت رجلها ووقدم العلف إليها فتناولت العلف مع ألم البدن فدلّت هذه الحكاية على
ان ألم الخوف أشد من ألم البدن اذا ثبت هذا فنقول فلم قدم الله تعالى في الحكاية دفع
ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف والجواب ان هذا الخوف كان قليلا لان
بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فها كانت تحتاج الى التذكير مرة أخرى
(المسئلة السابعة) قال صاحب الكشاف قرأتين بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا
من لغة من يقول لبات بالحج وحلأت السويق وذلك لتأخ بين الهمز وحرف اللين
في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبدالله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما
الأنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى هذا كان ذكر الصوم دال على الصمت وهذا
النوع من النذر كان جائزا في شرعهم وهل يجوز مثل هذا النذر في شرعنا قال الفقهاء
لعنه يجوز لان الاحتراز عن كلام الادميين وتجريد الفكر لذكر الله تعالى قربته وعلوه

باضداد ما يصفونه (قول الحق) بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال انى عبدالله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى
ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والإضافة للبيان والتخصيص للكلام السابق

أول تمام القصد وفيل صفه عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فان القول والقول والقال في معنى واحد (الذي فيه يمترون) أي يشكون ﴿٧٨٨﴾ أو يمتازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله

وقرئ بناء الخطاب
(ما كان لله) أي ماصح
وما استقام له تعالى
(أن يتخذ من ولد سبحانه)
تكذيب للنصارى وتنزيهه
تعالى عما يشبهه وقوله تعالى
(إذا قضى أمرنا فأتينا بقول
له كن فيكون) تبيكت لهم
يدين أن شأنه تعالى
إذا قضى أمر من الأمور
أن يتعلق به إرادته فيكون
حينئذ بلا تأخير فن هذا
شأنه كيف يتوهم
أن يكون له ولد وقرئ
فيكون بالنصب على الجواب
وقوله تعالى (وان الله ربي
وربكم فاعبدوه) من تمام
كلام عيسى عليه السلام
قبل هو عطف على قوله
إني عبد الله داخل تحت
القول وقد قرئ بغير
واو وقرئ بفتح الهمزة
على حذف اللام أي ولانه
تعالى ربي وربكم فاعبدوه
كقوله تعالى وأن المساجد لله
فلا تدعوا مع الله أحدا
وقبل معطوف على الصلاة
(هذا) أي الذي ذكرته
من التوحيد (صراط
مستقيم) لا يضل سالكه
والفاء في قوله تعالى
(فاختلف الأحزاب

لا يجوز لما فيه من التضيق وتعذيب النفس كخدر القيسام في الشمس وروى انه دخل
أبو بكر على امرأة قد نذرت أنها لا تكلم فقال أبو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي
والله أعلم (المسئلة الثامنة) أمر هال الله تعالى بأن تنذر الصوم لثلاث شرع منع من انتهجها
في الكلام لمعنيين (أحدهما) ان كلام عيسى عليه السلام أقوى في إزالة التهمة من
كلامها وفيه دلالة على ان تفويض الامر الى الأفضل أولى (والثاني) كراهة مجادلة
السفهاء وفيه أن السكوت عن السفه واجب ومن أذل الناس سفه لم يجد مسافها
(المسئلة التاسعة) اختلفوا في أنها هل قالت معهم اني نذرت للرحن صوما فقال قوم
انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأن تأتي بهذا النذر عند رؤيتهم فاذا
أتت بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لو وقعت في المناقضة ولكنها أمسكت وأومات
برأسها وقال آخرون انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتتها القوم فذكرت لهم اني
نذرت للرحن صوما فلن أكلم اليوم انسيا وهذه الصيغة وان كانت عامة الا أنها صارت
بالقرينة مخصوصة في حق هذا الكلام * قوله تعالى (فانت به قومها تحمله قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت
اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا
في انها كيف أتت بالولد على أقوال (الاول) ماروى عن وهب قال أنساها كرب الولادة
وما سمعته من الناس ما كان من كلام الملائكة من البشارة بعيسى عليه السلام فلما كلمها
جاءها مصداق ذلك فاحتلمته وأقبلت به الى قومها (الثاني) ماروى عن ابن عباس رضى
الله عنهما أن يوسف انتهى بريم الى غار فأدخلها فيه أربعين يوما حتى طهرت من النفاس
ثم أتت به قومها تحمله فكلما عيسى في الطريق فقال يا أمه أبشري فأتى عبد الله
ومسيحه وهذان الوجهان مختلفان وليس في القرآن ما يدل على التعيين (المسئلة الثانية)
الفرى البديع وهو من فرى الجلد يروى انهم لما رأوها ومعها عيسى عليه السلام قالوا
لها قد جئت شيئا فريا فيحتمل أن يكون المراد شيئا عجيبا خارجا عن العادة من غير تغيير وضم
ويحتمل أن يكون مرادهم شيئا عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم هذا أظهر
لقولهم بعده يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا لان هذا القول
ظاهره التوبيخ وأما هرون ففيه أربعة أقوال (الاول) انه رجل صالح من بنى اسرائيل
ينسب اليه كل من عرف بالصلاح والمراد انك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا
وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته
أربعون ألفا كلهم يسمون هرون تبركابه وباسمه (الثاني) انه أخو موسى عليه السلام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عاونوا هرون النبي وكانت من أعقابها وانما قبل أخت
هرون كما يقال يا أخاهم دان أي يا واحد منهم (والثالث) كان رجلا معتلنا بالفسق فنسبت
اليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة (الرابع) كان لها أخ يسمى هرون من صلحاء

من بينهم) لترتيب ما بعده على ما قبلها تنبيه على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الانشاق ﴿٧٨٩﴾ بني
منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى

إرسوله قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى قتالت السطور بة هو ابن الله وقالت
ليقوم بة هو الله هبط الى الارض ثم صعد ﴿ ٧٨٩ ﴾ الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكية هو عبد الله

ونبيه (فويل للذين
كفروا) وهم المختلغون
عبر عنهم بالوصول
ايذانا بكفرهم جميعا
واشارا بعللة الحكم
(من شهيد يوم عظيم)
اي من شهود يوم عظيم
الهلول والحساب والجزاء
وهو يوم القيامة أو من
وقت شهوده أو من مكان
الشهود فيه أو من
شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو أن يشهد عليهم
الملائكة والانبيا عليهم
السلام وأستنهم
وأذانهم وأيديهم
وأرجلهم وسائر أربهم
بالكفر والفسوق أو من
وقت الشهادة أو من
مكانها وقيل هو
ما شهدوا به في حق عيسى
وأمه عليهم السلام
(أسمع بهم وأبصر)
تعجب من حدة سمعهم
وأبصارهم يومئذ ومعناه
ان أسمعهم وأبصارهم
(يوم يا نوتا) الحساب
والجزاء اي يوم القيامة
جدير بان يتعجب منها
بعد أن كانوا في الدنيا
صما عميا أو تهديد بما
سيسمعون ويصرون

بنى اسرائيل فعبثت به وهذا هو الاقرب لوجهين (الاول) ان الاصل في الكلام الحقيقة
وانما يكون ظاهر الآية مجمولا على حقيقتها لو كان لها أخ مسمى بهارون (الثاني) انها
أضيفت اليه ووصف أبواها بالصلاح وحينئذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه
وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أخش (المسئلة الثالثة) القراءة المشهورة
ما كان أبوك أمرا سوء وقرأ عمرو بن رجاء التميمي ما كان أباك أمرا وسوء (المسئلة الرابعة)
انهم لم يلبثوا في توابعها سكنت وأشارت اليه أي الى عيسى عليه السلام أي هو الذي
يجبكم اذا ناطقتموه وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وغضبوا شديدا وقالوا لسخر يتها
بنأ أشد من زناها روى أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ
على يساره وأشار بسابته وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان
وقيل ان زكريا عليه السلام أناها عند مناظرة اليهود اياها فقال لعيسى عليه السلام
انطق بمجنتك ان كنت أمرت بها فقال عيسى عليه السلام عند ذلك اني عبد الله فان قيل
كيف عرفت مرهم من حال عيسى عليه السلام أنه يتكلم قلنا ان جبريل عليه السلام
او عيسى عليه السلام ناداهما من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت
فصار ذلك كالتنبية لها على أن الحبيب هو عيسى عليه السلام أو أمله اعرفت ذلك بالوحي
الى زكريا أو لعله اعرفت بالوحي الهاء على سبيل الكرامة (بقى ههنا بحثان الاول) قوله
كيف تكلم من كان في المهد صبييا أي حصل في المهد فكان ههنا يعني حصل ووجد وهذا
هو الاقرب في تأويل هذا اللفظ وان كان الناس قد ذكروا وجوها آخر (الثاني) اختلفوا
في المهد قيل هو حجرها لما روى انها أخذته في خرقه فأتته قومها فلما رأوها قالوا لها
ما قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل معد حتى يعد لها المهد أو المعنى كيف
تكلم صبييا سيئه أي ينم في المهد * قوله تعالى (قال اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ورا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا والسلام على يوم ولدتي ويوم أموت ويوم أبعثت حيا) اعلم أنه وصف نفسه
بصفات تسع (الصفة الاولى) قوله اني عبد الله وفيه فوائد (الفائدة الاولى) أن الكلام
متدفق ذلك الوقت كان سيبيا للوهم الذي ذهب اليه النصارى فلا جرم أول ماتكم
انما تكلم بما رفع ذلك الوهم فقال اني عبد الله وكان ذلك الكلام وان كان موهوما من
حيث انه صدر عنه في تلك الحالة ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث انه تنبصص
على العبودية (الفائدة الثانية) انه لما أقر بالعبودية فان كان صادقا في مقاله فقد حصل
الغرض وان كان كاذبا لم تكن القوة قوة الهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل
كونه الها (الفائدة الثالثة) ان الذي اشتدت الحاجة اليه في ذلك الوقت انما هو نفي
تهمة الزنا عن مرهم عليها السلام ثم ان عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وانما نص
على اثبات عبودية نفسه كأنه جعل ازالة التهمة عن الله تعالى أولى من ازالة التهمة عن

يومئذ وقيل أمر بان يسمعهم ويصبرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحق بهم فيه والجارو المجرور على الاول في موقع الرفع
وعلى الثاني في حين النصب (لكن الظالمون اليوم) اي في الدنيا (في ضلال مبين) لا تدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع
والنظر بالكتابة ووضع الظالمين موضع الضمير

للايدان بأنهم في ذلك ظالمون لانفسهم (وأنذرهم يوم الحسرة) أي يوم يحسّر الناس فاطمة أما المسمى فعلى أساءته
وأما المحسن فعلى قلة إحسانه (إذ قضى الأمر) أي فرغ من الحساب ﴿ ٧٩٠ ﴾ وتصدر القرى بان الى الجنة والنار

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يها بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والقرى بان ينظرون فينادى المنادى بأهل الجنة خلود فلاموت وبأهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً الى فرح وأهل النار غماً الى غم وأذبل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف (وهم في غفلة) أي عما يفعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) وهما جلتان حالتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تنسك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حال متضمنة لعنى التعليل (أنا نحن نرت الأرض ومن عليها) لا يبق لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك والاملاك

الام فلهذا أول ماتكم ماتكم بهما (الفائدة الرابعة) وهي أن التكلم بازالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيدازالة التهمة عن الام لان الله سبحانه لا يخص الفاجرة بواد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة وأما التكلم بازالة التهمة عن الام لا يفيدازالة التهمة عن الله تعالى فكان الاشتغال بذلك أولى فهذا مجموع ما في هذا اللفظ من الفوائد واعلم أن مذهب النصارى متخبط جدا وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم ولا متخيز ومع ذلك فأننا ذكر تقسيما حاصرا يبطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول اما أن يعتقدوا كونه متخيزاً أو لا فإن اعتقدوا كونه متخيزاً أبطلنا قولهم بقائمة الدلالة على حدوث الاجسام وحينئذ يبطل كل ما فرعوا عليه وان اعتقدوا أنه ليس بمتخيز فيجئذ يبطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخر وامتزاج النار بالفحم لان ذلك لا يعقل الا في الاجسام فاذا لم يكن جسماً استحال ذلك ثم نقول للناس قولان في الانسان منهم من قال انه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها ومنهم من يقول انه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الاجسام فنقول هو لا النصارى اما أن يعتقدوا ان الله أوصفه من صفاته اتحدين المسيح أو بنفسه أو يعتقدوا أن الله أوصفه من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه أو يقولوا لا نقول بالاتحاد ولا بالحلول ولكن نقول انه تعالى أعطاه القدرة على خلق الاجسام والحياة والقدرة وكان لهذا السبب الها أو لا يقولوا بشئ من ذلك ولكن قالوا انه على سبيل التشريف اتخذنا ابناً اتخذنا ابراهيم على سبيل التشريف خليلاً فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب والكل باطل أما القول الاول بالاتحاد فهو باطل قطعاً لان الشئين اذا اتحدا فهما حال الاتحاد اما أن يكونا موجودين أو معدومين أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل وان عدما وحصل ثالث فهو أيضاً لا يكون اتحاداً بل يكون قولاً بعدم ذلك الشئين وحصول شئ ثالث وان بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالوجود لانه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد محال (وأما الحلول) فلنا فيه مقامان (الاول) ان التصديق مسبوق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا أن نعلم أنه هل يصح على الله تعالى أو لا يصح وكروا للحلول تفسيرات ثلاثة (أحدها) كون الشئ في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم واعلم أن هذا باطل لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسماً وهم وافقونا على أنه ليس بجسم (وثانيها) حصوله في الشئ على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الخبز تبعاً لحصول محله فيه وهذا أيضاً انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى (وثالثها) حصوله في الشئ على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات فنقول هذا أيضاً باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان

أو توفى في الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينابر جمعون) أي يردون الجزاء ﴿ الله ﴾ لا الى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً (واذكر) عطف على أنذرهم (في الكتاب) أي في السورة أو في القرآن (ابراهيم) أي ائنا على الناس قصته وبلغها اياهم كموله

تعالى وائل عليهم بأبراهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فمساهم باستماع فضته يقلعون عماهم فيه من القبايح (انه كان صديقا) ملازم للصدق * ٧٩١ * في كل ما يأتي ويذكر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله

تعالى وآياته وكتبه
ورسله والجملة استئناف
مشوق لتعليل موجب
الامر فان وصفه عليه
السلام بذلك من دواعي
ذكره (نبيا) خبر آخر
لكان مقيد للاول
مخصص له كما ينبغي عنه
قوله تعالى من النبيين
والصديقين الآية
اي كان جا معا بين
الصديقية والنبوة
واعمل هذا الترتيب
للبالغة في الاحتراز
عن توهم تخصيص
الصديقية بالنبوة فان
كل نبي صديق (اذقال)
بدل اشتغال من ابراهيم
وما بينهما اعتراض
مقرر لما قبله أو متعلق
بكان أو نبيا وتعلق
الذكر بالافات مع
أن المقصود تذكير
ما وقع فيها من الحوادث
قد مر سره مرارا أي
كان جامع بين الاثرين
حين قال (لايه) أزر
متلطفا في الدعوة
مستجيلا له (يا أبت)
أي يا أبي فان التاء عوض
عن ياء الاضافة ولذلك
لا يجتمعان وقد قل

الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجا فكان ممكنا فكان مقتضا الى المؤثر وذلك محال
واذا ثبت أنه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع
اثباته (المقام الثاني) احتج الاصحاب على نفي الحلول مطلقا بان قالوا لو حل حل امامع
وجوب ان يحل أو مع جواز أن يحل والقسمان باطلان فالقول بالحلول باطل وانما قلنا
انه لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لأن ذلك يقتضي اما حدوث الله تعالى أو قدم المحل
وكلاهما باطلان لانادلنا على ان الله قديم وعلى أن الجسم محدث ولانه لو حل مع وجوب
أن يحل لكان محتاجا الى المحل والمحتاج الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجبا
لذاته وانما قلنا انه لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل لانه لما كانت ذاته واجبة الوجود
لذاته وحلوله والمحل أمر جائز والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز فيلزم
أن يكون حلوله في المحل أمرا زائدا على ذاته وذلك محال لوجهين (أحدهما) ان حلوله
في المحل لو كان زائدا على ذاته لكان حلول ذلك الزائد في محله زائدا على ذاته وزم
التسلسل وهو محال (والثاني) ان حلوله في ذلك المحل لما كان زائدا على ذاته فاذا حل
في محل وجب أن يحل فيه صفة محدثة وذلك محال لانه لو كان قابلا للحوادث لكانت تلك
القابلية من لوازم ذاته وكانت حاصلة أزلا وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل
محال فحصول قابليتها وجب أن يكون متمتع بالحصول فان قيل لم لا يجوز أن يحل مع
وجوب أن يحل لانه يلزم اما حدوث الحال أو قدم المحل قلنا لانسلم وجوب أحد الأمرين
ولم لا يجوز أن يقال ان ذاته تقتضي الحلول بشرط وجود المحل في الازل ما وجد المحل
فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم لم يجب الحلول وفيما لا يزال حصل هذا الشرط
فلا جرم وجب سلمنا انه يلزم اما حدوث الحال أو قدم المحل فلم لا يجوز قوله انادلنا على
حدوث الاجسام قلنا لم لا يجوز أن يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلا أو نفسا
أو هويي على ما يشته بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يقبل حدوث
هذه الاشياء قوله ثانيا لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجا الى المحل قلنا لانسلم وجوب
أحد الأمرين بل ههنا احتمالا آخران (أحدهما) أن العلة وان امتنع انفكا كها عن
المعلول لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول فلم لا يجوز أن يقال ان ذاته غنية عن ذلك
المحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل
من معلولات ذاته وقد ثبت ان العلة وان استحال انفكا كها عن المعلول لكن ذلك
لا يقتضي احتياجها الى المعلول (الثاني) أن يقال انه في ذاته يكون غنيا عن المحل وعن
الحلول الآن المحل يوجب لذاته صفة الحلول فالمقتضى الى المحل صفة من صفاته وهي حلوله
في ذلك المحل فماذا نه فلا يلزم من افتقار صفة من صفاته الاضافية الى الغير افتقار
ذاته الى الغير وذلك لان جميع الصفات الاضافية الحاصلة له مثل كونه أولا وآخرا
ومقارنا ومؤثرا ومعلوما ومذكورا مما لا يتحقق الا عند حصول التحيز وكيف لا

يأبى لكون الالف بدلا من الياء (لم تعبد ما لا يسم) ثناءك عليه عند عبادتك له وجوارك اليه (ولا يبصر) خضوعك
وخشوعك بين يديه أولا يسمع ولا يبصر شيئا من المنسوعات والبصيرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا
(ولا ينفى) أي لا يقدر على أن ينفي (عنك شيئا) في جلب نفع أو دفع ضرر وتقدس لك عليه السلام

في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه ابداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل ثلاث ركب متن الكبرية والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته ﴿ ٧٩٢ ﴾ لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم

وجاهل وبأبي الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التوطين مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والانضمام العام الخالق الرازق المحيي المميت المتيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مبرأ سمعا بصيرا قادرا على النفع والضرم مطبقا بإيصال الخبر والشر لكن كان يمكنه الاستنكاف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما برأه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فإظناك بمجماد مصنوع من حجر وشجر ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن مخلوقا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر سوى مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث

والإضافات لا بد في تحققها من أمرين سلمنا ذلك فلم لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل قوله يلزم أن يكون حلوله فيه زائدا عليه ويلزم التسلسل فلنا حلوله في المحل لما كان جائزا كان حلوله في المحل زائدا عليه أما كون ذلك الحلول حالا في المحل أمر واجب فلا يلزم أن يكون حلول الحلول زائدا عليه فلا يلزم التسلسل قوله ثانيا يلزم أن يصير محل الحوادث قلنا لم لا يجوز ذلك قوله يلزم أن يكون قابلا للحوادث في الأزل قلنا لا شك أن تمكنه من الإيجاد ثابت له أمالذاته أولا أمر ينتهي إلى ذاته وكيف كان فيلزم صحة كونه مؤثرا في الأزل فكل ما ذكرتموه في المؤثرية فحقن نذكرة في القابلية والجواب أنا نقرر هذه الدلالة على وجه آخر بحيث تسقط عنها هذه الأسئلة فنقول ذاته إما أن تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول أو لا تكون كافية في ذلك فإن كان الأول استحالة توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط فيعود ما قلناه يلزم أمامه المحل أو حدوث الحال وإن كان الثاني كان كونه مقتضيا لذلك الحلول أمرا زائدا على ذاته حادثا فيه فعلى التقديرات كلها يلزم من حدوث حلوله في محل حدوث شيء فيه لكن يستحيل أن يكون قابلا للحوادث والالزم أن يكون في الأزل قابلا لها وهو محال على ما بيناه وأما المعارضة بالقدرة فقير واردة لانه تعالى لذاته قادر على الإيجاد في الأزل فهو قادر على الإيجاد فيما لا يزال فهنا أيضا لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت في الأزل قابلة لها فحيث يلزم المحال المذكور هذا تمام القول في هذه الأدلة ولنا في إبطال قول النصاري وجوه أخر (أحدها) أنهم وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم يحل في ناسوت عيسى عليه السلام بل قالوا الكلمة حلت فيه والمراد من الكلمة العلم فنقول العلم لما حل في عيسى في تلك الحالة إما أن يقال أنه بقي في ذات الله تعالى أو ما بقى فيها فإن كان الأول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين وذلك غير معقول ولأنه لو جاز أن يقال العلم الحاصل في ذات عيسى عليه السلام هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى بعينه فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله تعالى وإن كان الثاني لزم أن يقال إن الله تعالى لم يبق عالما بعد حلول علمه في عيسى عليه السلام وذلك مما لا يقوله عاقل (وثانيها) مناظرة جرت بيني وبين بعض النصاري فقلت له هل تعلم أن عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول أم لا فإن أنكرت لزمك أن لا يكون الله تعالى قديما لأن دليل وجوده هو العالم فإذا لزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم من عدم العالم في الأزل عدم الصانع في الأزل وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول فنقول إذا جاوزت اتحاد كلمة الله تعالى بعيسى أو حلولها فيه فكيف عرفت أن كلمة الله تعالى ما دخلت في زيد وعمر ويل كيف عرفت أنها ما حلت في هذه الهرة وفي هذا الكلب فقال لي إن هذا السؤال لا يليق بك لأننا أثبتنا ذلك الاتحاد أو الحلول بناء على ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من أحياء الموتى وإبراء الأكده والابرص فإذا لم نجد شيئا من ذلك على يد غيره فكيف ثبت الاتحاد أو الحلول

قال (يا بئني فدجاني من العلم ما لم يأتك) ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم ﴿ فقلت ﴾ الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ماسلكه من الطريق فاستماله برفق حيث قال (فاتبني أهلك صراطا سويا) أي مستقيما موصلا

الى أسنى المطالب منجبا عن الضلال المؤدى الى مهاوى الرذى والمعاطب ثم شبه نجا كان عليه بتصوره بصورة يستكرها كل عاقل يبين انه معمراته عن النفع بالمره ٧٩٣ مستجاب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه

الامر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذى يسولها لك وبغيرك عليها وقوله (ان الشيطان كان للرجن عصيا) تعليل لموجب النهى ونا كيدله يبين انه مستعص على ربك الذى أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب فى أن المطيع للعاصى عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وبنقم منه والاظهار فى موضع الاضمار زيادة التقرير والافتقار على ذكر عصيانه من بين سائر جنائياته لانه ملاكم أولانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتد كبره داع لايده الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لفتن ان الرجانية لآظها كمال شناعة عصيانه وقوله (يا أبت انى أخاف أن يسبك عذاب من الرحمن) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو

فقلت له انى عرفت من هذا الكلام انك ما عرفت أول الكلام لانك سلتنى ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فاذا كان هذا الحلول غير ممتنع فى الجملة فأكثر ما فى الباب انه وجد ما يدل على حصوله فى حق عيسى عليه السلام ولم يوجد ذلك الدليل فى حق زيد وعمرو واصل عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول فلا يلزم من عدم ظهور هذه الخوارق على زيد وعمرو وعلى السنور والكلب عدم ذلك الحلول فثبت انك مهما جوزت القول بالاتحاد والحلول لم تك تجوز حصول ذلك الاتحاد وذلك الحلول فى حق كل واحد بل فى حق كل حيوان ونبات ولا شك ان المذهب الذى يسوق قائله الى مثل هذا القول الركك يكون باطلا قطعاً ثم قلت له وكيف دل احياء الموتى و ابراء الاكبه والابرص على ما قلت أليس ان انقلاب العصا ثعباناً بعد من انقلاب الميت حيا فاذا ظهر ذلك على يد موسى عليه السلام ولم يدل على الهيته فبان لا يدل هذا على الهيته عيسى أولى (وثالثها) اننا نقول دلالة أحوال عيسى على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية لانه كان مجتهدا فى العبادة والعبادة لا تنطبق الا بالعبيد فانه كان فى نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصارى ان اليهود قتلوه ومن كان فى الضعف هكذا فكيف تليق به الربوبية (ورابعها) المسيح اما أن يكون قديماً أو محدثاً والقول بقدمه باطل لانه لم بالضرورة انه ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر وان كان محدثاً كان مخلوقاً ولا معنى للعبودية الا ذلك فان قيل المعنى بالهيته انه حلت صفة الالهية فيه فلتناهب انه كان كذلك لكن الحال هو صفة الاله والمسيح هو المحل والمحل يحدث مخلوق فاهو المسيح عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالالهية (وخامسها) ان الولد لا بد أن يكون من جنس الوالد فان كان لله ولد فلا بد أن يكون من جنسه فاذا قد اشتركا من بعض الوجوه فان لم يتميز أحدهما عن الآخر بأمر ما فكل واحد منهما هو الآخر وان حصل الامتياز فابه الامتياز غير مابه الاشتراك فيلزم وقوع التركيب فى ذات الله وكل مركب ممكن فالواجب ممكن هذا خلف محال هذا كله على الاتحاد والحلول (أما الاحتمال الثالث) وهو أن يقال معنى كونه الهائه سبحانه خص نفسه أو بدنه بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف فى هذا العالم فهذا أيضا باطل لان النصارى حكوا عنه الضعف والعجز وان اليهود قتلوه ولو كان قادرا على خلق الاجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكر ايدبون عنه (وأما الاحتمال الرابع) وهو أنه اتخذ ابنه لنفسه على سبيل التشريف فهذا قد قال به قوم من النصارى يقال لهم الارموسية وليس فيه كثير خطأ الا فى اللفظ فهذا جملة الكلام على النصارى وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه انه قال انى عبد الله (الصفة الثانية) قوله تعالى آتانى الكتاب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف الناس فيه فالجمهور على أنه قال هذا الكلام حال صغره وقال أبو القاسم

من العذاب الفظيع وكلمة من ١٠٠ خا متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التكبر من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واطهار الرحمن للاضمار بأن وصف الرجانية لا يدفع حلول العذاب كفاى قوا عز وجل ما غرك ربك

الكريم (فكون للشيطان وليا) أي قريناله في الاعم الخلد وذكر الخوف للعجالة وإبراز الاعتناء بامر (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه ﴿ ٧٩٤ ﴾ قبل فإذا قال أبوه عندما سمع منه عليه السلام هذه

التصانح الواجبة القبول
فقبل قال مصرا على
عناده (ارغب أنت
عن آلهتي يا ابراهيم)
أي أعرض ومنصرف
أنت عنها بتوجيه
الانكار الى نفس الرغبة
مع ضرب من التعجب
كان الرغبة عنهما
لا يصدر عن العاقل
فضلا عن ترغيب الغير
عنها وقوله (لئن لم تنته
لارجنك) تهديد وتخدير
عما كان عليه من العطف
والتكبر أي والله لئن لم
تنته عما كنت عليه من
الهمي عن عبادتها
لارجنك بالحجارة وقبل
بالاسان (واهجرني)
أي فاحذرنى واتركني
(مليا) أي زمانا طويلا
أو مليا بالذهاب مطيقا به
(قال) استئناف كاسلف
(سلام عليك) توديع
ومناكة على طريقة
مقابلة السيئة بالحسنة
أي لأصيبك بمكروه
بعد ولاشأ فهك بما
يؤذيك ولكن
(سأستغفر لك ربي)
أي استدعيه أن يغفر
لك بأن يوفقك للتوبة

البلخي انه انما قل ذلك حين كان كالمراهق الذي يفهم وان لم يبلغ حد التكليف أما
الاولون فلهم قولان (أحدهما) أنه كان في ذلك الصغر نبيا (الثاني) روى عن عكرمة عن
ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال المراد بان حكم وقضى بأنه سيء عيشي من بعد ولما تكلم
بذلك سكوت وعاد الى حال الصغر ولم يبلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا وأخرج من نص على فساد
القول الاول بأمور (أحدها) ان النبي لا يكون الا كاملا والصغير ناقص الخلقة بحيث
بعد هذا التحدي من الصغير منفرد هو في التقدير أعظم من أن يكون امرأة (وثانيها)
أنه لو كان نبييا في هذا الصغر لكان كمال عقله مقدما على ادعائه النبوة اذ النبي لا بد وأن
يكون كامل العقل لكن كان عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما
على التحدي وانه غير جائز (وثالثها) انه لو كان نبييا في ذلك الوقت لوجب ان يشغل ببيان
الاحكام وتعريف الشرائع ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل فحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه
ما كان نبيا في ذلك الوقت أجاب الاولون عن الكلام الاول بأن كون الصبي ناقصا ليس
لذاته بل لمرجع الى صغر جسمه ونقصان فهمه فاذا زال الله تعالى هذه الاشياء
لم تحصل التفرقة بل تكون الرغبة الى استماع قوله وهو على هذه الصفة أتم وأكمل وعن
الكلام الثاني لم لا يجوز أن يقال اكمل عقله وان حصل مقدما على دعواه الا أنه معجزة
لذكر يا عليه السلام أو يقال انه ارهاص لنبوته أو كرامة لمرم عليه السلام وعندنا
الارهاص والكرامات جائزة وعن الكلام الثالث لا يجوز أن يقال مجرد بعثته اليهم من
غير بيان شيء من الشرائع والاحكام جائزة ثم بعد البلوغ أخذ في شرح تلك الاحكام
فثبت بهذا أنه لا امتناع في كونه نبييا في ذلك الوقت وقوله آتاني الكتاب يدل على كونه
نبيا في ذلك الوقت فوجب اجراؤه على ظاهره بخلاف ما قاله عكرمة اما قول أبي القاسم
البلخي فبعيد وذلك لان الحاجة الى كلام عيسى عليه السلام انما كانت عند وقوع
التهمة على مريم عليها السلام (المسئلة الثانية) اختلفوا في ذلك الكتاب فقال بعضهم
هو التوراة لان الالف واللام في الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو
التوراة وقال أبو مسلم المراد هو الانجيل لان الالف واللام ههنا للجنس أي آتاني من هذا
الجنس وقال قوم المراد هو التوراة والانجيل لان الالف واللام تفيد الاستغراق
(المسئلة الثالثة) اختلفوا في انه متى آتاه الكتاب ومتى جعله نبيا لان قوله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا يدل على أن ذلك كان قد حصل من قبل اماما لافعال ذلك الكلام أو متقدما
عليه بأزمان والظاهر أنه من قبل ان يكلمهم آتاه الله الكتاب وجعله نبيا وأمره بالصلاة
والزكاة وان يدعوا الى الله تعالى والى دينه والى ما خص به من الشريعة فقبل هذا الوحي
نزل عليه وهو في بطن أمه وقيل لما انفصل من الام آتاه الله الكتاب والنبوة وان تكلم مع
أمه وأخبرها بحاله وأخبرها بأنه يكلمهم بما يدل على رآة حالها فلها أشارت اليه
بالكلام (الصفة الثالثة) قوله وجعلني نبيا قال بعضهم أخبر أنه نبي ولكم ما كان

ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار ﴿ رسولاً ﴾
بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه عوت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة مع بقاءه على الكفر
فانه مما لا ماساغ له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفاره بعد

موته على الكفر فلا تباها قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عليه السلام قال لعنه ابي طالب لا زال
استغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان ﴿٧٩٥﴾ للذي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية والاستنباه

رسول لانه في ذلك الوقت ما جاء بالشرعة ومعنى كونه نبيا انه رفع القدرة على الدرجة
وهذا ضعيف لان النبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة وبالرسالة خصوصا
اذا قرن اليه ذكر الشرع وهو قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة (الصفة الرابعة) قوله
وجعلني مباركا أينما كنت فلما نزل أن يقول كيف جعله مباركا والناس كانوا قبله على
اللة الصحيحة فلما جاء صار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى فاذن بالثلبث ولم يبق على
الحق الا القليل والجواب ذكره في تفسير الميرزا (أحدها) أن البركة في اللغة هي
الثبات وأصله من يروك البعير فعنه جعلني ثابتا على دين الله مستقرا عليه (وثانيها) انه
انما كان مباركا لانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان صلوا فقبل
أنفسهم لا من قبله وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلت أم عيسى عليها
السلام عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له المعلم كتب
فقال أي شيء كتب فقال كتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري
ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤذنب لا تضربني ان كنت لا تدري فاستثنى
فأنا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جلال الله والدال من أداء
الحق الى الله (وثالثها) البركة الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاحوال غاليا
مفلحا منجيا لاني مادم في الدنيا كون على الغير مستغنيا بالحجة فاذا جاء الوقت
المعلوم بكرمى الله تعالى بارفع الى السماء (ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل
بسبب دعائي احياء الموتى وابراء الاكهم والابرص عن فتادة انه رآته امرأة وهو يحيى
الموتى ويبرئ الاكهم والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدى أرضعت به فقال
عيسى عليه السلام محبها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقياما
قوله أينما كنت فهو يدل على ان حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال
التكليف (الصفة الخامسة) قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا فان قيل كيف
أمر بالصلاة والزكاة مع انه كان طفلا صغيرا والقلم مرفوع عنه على ما قال صلى الله
عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ الحديث وجوابه من وجهين (الاول)
أن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى أوصاه بأدائها في الحال بل بعد
البلوغ فلعل المراد انه تعالى أوصاه بهما وأدائها في الوقت المعين له وهو وقت البلوغ
(الثاني) لعل الله تعالى لما انفصل عيسى عن أمه صبره بالغاعا فلا تام الاعضاء والخلفة
وتحقيقه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكأنه تعالى خلق آدم تاما كاملا
دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام وهذا القول الثاني أقرب الى الظاهر لقوله
مادم حيا فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ولكن لفائل
أن يقول لو كان الأمر كذلك لكان القوم حين رأوه قد رأوه شخصا كاملا الاعضاء
تام الخلفة ومصدر الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجبا فكان ينبغي أن لا يعجبوا
فلعل الاول أن يقال انه تعالى جعله مع صغر جثته قوى التركيب كامل العقل بحيث

عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لاسيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما
لا يتردد فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى
العدة بالاستغفار لا الى

نفس الاستغفار بقوله واغفر لاني الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكردون
ما وقع ههنا لورودها على نزع النكاح القسمي ﴿ ٧٩٦ ﴾ وأما جعل الاستغفار دأرا عليها وترتيب التبرع على تبين

كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض
وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة أخرى (الصفة السادسة) قوله تعالى وبراو الذي
أى جعلنى براو الذي وهذا يدل على قولنا ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان الآية تدل
على ان كونه برا انما حصل بحمل الله وخلقه وحمله على الانطاف عدول عن الظاهر
ثم قوله وبراو الذي اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول
المعصوم مأمورا بتعظيمها قال صاحب الكشاف جعل ذاته برا لفرطه ونصبه بفعل
في معنى أوصاني وهو كافى لان أوصاني بالصلاة وكافى بها واحد (الصفة السابعة) قوله
ولم يجعلنى جبارا شقيا وهذا أيضا يدل على قولنا لانه لما بين انه جعله برا وما جعله جبارا
فهذا انما يحسن لو أن الله تعالى جعل غيره جبارا وغير بار بأمه فان الله تعالى لو فعل ذلك
بكل أحد لم يكن لعيسى عليه السلام من يدتخصيص بذلك ومعلوم أنه عليه السلام انما ذكر
ذلك في معرض التخصيص وقوله ولم يجعلنى جبارا أى ما جعلنى متكبرا لئلا أنا خاضع لاني
متواضع لها ولو كنت جبارا لكنت عاصيا شقيا وروى أن عيسى عليه السلام قال قلبى
لين وأنا صغير فى نفسى وعن بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلاو براو الذي
ولم يجعلنى جبارا شقيا ولا تجد سبى الملكة الامحنا لا فخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان
الله لا يحب من كان مختالا فخورا (الصفة الثامنة) هي قوله والسلام على يوم ولدت ويوم
أموت ويوم أبعث حيا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعضهم لام التعريف في السلام
منصرف الى ما تقدم فى قصتي يحى عليه السلام من قوله وسلام عليه أى السلام الموجه
اليه فى المواطن الثلاثة موجه الى أيضا وقال صاحب الكشاف الصحيح أن يكون هذا
التعريف تعريف أيضا بالاعن على من اتهم مريم بالزنا وتحقيقه ان اللام للاستغراق فاذا قال
والسلام على فكانه قال وكل السلام على وعلى اتباعى فلم يبق للاعداء الا اللعن وظهيره
قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى ان العذاب على من كذب
وتولى وكان المقام مقام اللجاج والعدا و يلى به مثل هذا التعريف (المسئلة الثانية)
روى بعضهم عن عيسى عليه السلام أنه قال ليحيى أنت خير منى سلم الله عليك وسلمت على
نفسى وأجاب الحسن فقال ان تسليته على نفسه بتسليم الله عليه (المسئلة الثالثة) قال
القاضى السلام عبارة عما يحصل به الامان ومته السلامة فى النعم وزوال الآفات
فكانه سالر به وطلب منه ما أخبر الله تعالى انه فعله يحيى ولا بد فى الانبياء من أن
يكونوا مستجابى الدعوة وأعظم أحوال الانسان احتياجا الى السلامة هي هذه الاحوال
الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث فجميع الاحوال التى يحتاج فيها الى
السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصونا عن الآفات والخفافات
فى كل الاحوال واعلم ان اليهود والنصارى يكرهون ان عيسى عليه تكلم فى زمان
الطفولية واحتجوا عليه بأن هذان الوقائع الحجيبة التى تتوفر الدواعى على نقلها فلو

الامر فقد مر تحقيقه
فى تفسير سورة التوبة
وقوله (انه كان بنى حفيبا)
أى بليغا فى البر والاطراف
تعليل لمضمون ما قبله
(وأعتر لكم) أى أتباع
عنك وعن قومك
(وما تدعون من دون
الله) بالمهاجرة يدينى
حيث لم تؤثر فيكم
نصائحي (وأدعور بنى)
أعبده وحده وقد يجوز
أن يراجه دعاء المذكور
فى تفسير سورة الشعراء
ولا يعد أن يراجه استدعا
الولد أيضا بقوله رب
هبل من الصالحين
حسبا يساعده السابق
والسياق (عسى ألا أكون
بدعا ربي شقيا) أى
خائبا ضائع السعي وفيه
تعريض بشقائهم فى
عبادة آلهتهم وفى
تصدير الكلام بعسى
من اظهار التواضع
ومراعاة حسن الأدب
والنبيه على حقيقة الحق
من أن الاجابة والاثابة
بطريق التفضل منه
عز وجل لا بطريق
الوجوب وأن العبرة
بالخاتمة وذلك من الغيوب

المختصة بالعلم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتر لهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة الى الشام (وهبنا له) وجدت ﴿
استحق ويعقوب) يدل من فارقه من أقر بالله الكفرة لكن لا يعقوب المهاجرة فان المشهور أن الموهوب حيثما قيل
عليه السلام لقوله تعالى فبسرناه بعلمام

حليم اتردعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الامل والاقرباء ﴿٧٩٧﴾ فانهما شجرة تالانبياء لهما اولادوا وحفاد اولواشار

خطيرو وذو وعدد كثر
هذا وقد روى انه عليه
السلام لما قصد الناس
أني أو لأحران وزوجة
بسارة وولدت له اسم
وولد لاسحق يعقوب
والاول هو الاقرب
الاطهر (وكلا) أي كل
واحد منهما أو منهما
وهو مفعول أول لقول
تعالى (جعلنا نبيا) قد
عليه للتخصيص لكن
لابلانسية الى من عدا
يل بالنسبة الى بعضهم
اي كل واحد منهم
جعلنا نبيا لابعضهم دو
بعض (وههنا لهم مر
رحمتنا) هي النبوة
وذكرها بعد ذكر جعل
نبيا للايدان بانها من
باب الرحمة وقيل هي الما
والاولاد وما بسطاهم
من سعة الرزق وقيل هو
الكتاب والاطهر انهم
عامة لكل خير ديني
ودنيوي أو توه بمالم يوت
أحد من العالمين (وجعل
لهم لسان صدق عليا)
يقتر بهم الناس ويثور
عليهم استجابة لدعوة
بقوله واجعل لي لسان
صدق في الآخرين

وجدت لقلت بالتواتر ولو كان ذلك لعرفه النصارى لاسيا وهم من أشد الناس بحثا عن
أحواله واشد الناس غلوا فيه حتى زعموا كونه الها ولا شك ان الكلام في الطفولية من
المناقب العظيمة والفضائل التامة فلما لم تعرفه النصارى مع شدة الحب وكال البحث عن
أحواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود أظهروا عداوته حال ما أظهروا عداة النبوة فلو انه
عليه السلام تكلم في زمان الطفولية وأدى الرسالة لكانت عداوتهم معه أشد ولكان
قصدهم قتله أعظم فحيث لم يحصل شيء من ذلك علمنا انه ما تكلم أما المسلمون فقد احتجوا من
جهة العقل على أنه تكلم فانه لولا كلامه الذي دلهم على براءة أمه من الزنا لما تركوا
اقامة الحد على الزنا عليها في تركهم لذلك دلالة على انه عليه السلام تكلم في المهد
وأجابوا عن الشبهة الاولى بأنه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر
وعن الثاني لعل اليهود ما حضروا هناك وما سمعوا كلامه فلذلك لم يشتهلوا بقصد قتله
* قوله تعالى (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان الله أن يتخذ من
ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول كن فيكون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ
عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن
قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى
واحد كالرهب والرهب والزهب أما ارتفاعه فعلى انه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف
وأما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله أو على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة
كقولك هو عند الله الحق لا باطل والله أعلم (المسئلة الثانية) لا شبهة ان المراد بقوله
ذلك عيسى ابن مريم الاشارة الى ما تقدم وهو قوله اني عبد الله أتاني الكتاب أي ذلك
الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم وفي قوله عيسى ابن مريم اشارة الى أنه ولد
هذه المرأة وابنها لأنه ابن الله فأما قوله الحق فقيه وجوه (أحدها) وهو ان نفس عيسى
عليه السلام هو قول الحق وذلك لان الحق هو اسم الله فلا فرق بين أن نقول عيسى كلمة
الله وبين أن نقول عيسى قول الحق (وثانيها) أن يكون المراد ذلك عيسى ابن مريم القول
الحق الا انك أضفت الموصوف الى الصفة فهو كقوله ان هذا هو الحق اليقين وفائدة
قولك القول الحق تأكيد ما ذكرت أولا من كون عيسى عليه السلام ابنا لمرم (وثالثها)
أن يكون قول الحق خبر المبتدأ محذوف كأنه قيل ذلك عيسى ابن مريم وصفنا له هو قول
الحق فكانه تعالى وصفه أولا ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى بن مريم ثم ذكر ان هذا
الوصف أجمع هو قول الحق على معنى انه ثابت لا يجوز أن يبطل كما يبطل ما يقع منهم من
المرية ويكون في معنى ان هذا هو الحق اليقين فاما امتراؤهم في عيسى عليه السلام
فالذهاب التي حكيناها من قول اليهود والنصارى وقد تقدم ذكر ذلك في سورة آل عمران
روى ان عيسى عليه السلام لما رفع حضر أربعة من أكابرهم وعلمائهم قتل الاول
ما تقول في عيسى فقال هو اله والله اله وأمه فتابعه على ذلك ناس وهم الاسرائيلية وقيل

والمراد باللسان ما يوجب جده من الكلام ولسان العرب انهم وضافته الى الصدق ووصفه بالاولد لالالة على انهم احقاه به
يننون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والتحل (واذكر في الكتاب
موسى) قدم ذكره على ذكر اسمعيل

لثلاثين فصل عن ذكر يعقوب عليهما السلام (انه كان مخلصا) موحدًا أخلص عباده عن الشرك والرياء واسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله ٧٩٨ ﴿ تعالى أخلصه (وكان رسولاً نبيا) أرسله الله تعالى

الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً ومع كونه أخص وأعلى (ونادينا من جانب الطور الايمن) الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب أي نادينا من ناحيته اليمنى من اليمن وهي التي تلى بين موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى نادناه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقر بناه نجيا) تفر يب نشر بف مثل حاله عليه السلام بحال من قر به الملك لمناجاة واصطفاه لمصاحبه ونجيا أي مناجيا حال من أحد الضميرين في نادينا أو قر بناه وقيل مر تفعلا لما روي أنه عليه السلام رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم (ووهبنا له من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا ورأفتنا له أو بعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة أخيه وموازرتة اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيراً من أهلي هر و ن أخى

لرابع ما تقول فقال هو عبدالله ورسوله وهو المؤمن المسلم وقال أما تعلمون ان عيسى كان يطعم ويأكل وأن الله تعالى لا يجوز عليه ذلك فخصمهم أما قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد فهو يحتمل أمرين (أحدهما) ان ثبوت الولد له محال فقولنا ما كان الله أن يتخذ من ولد كقوله ما كان لله ان يقول لاحدانه ولدى لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمة الله تعالى وكاله فقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله أن يظلم أي لا يليق ذلك بحكمته وكال الهيته واحتج الجبائي بالآية بناء على هذا التفسير انه ليس لله أن يفعل كل شيء لانه تعالى صرح بأنه ليس له هذا الاجادة أي ليس له هذا الاختيار وأجاب أصحابنا عنه بأن الكذب محال على الله تعالى فلا جرم قال ما كان الله أن يتخذ من ولد أما قوله سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ففيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما قال سبحانه ثم قال عقبيه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون كان كالحجة على تنزيهه عن الولد و بيان ذلك ان الذي يجعل ولد الله اما أن يكون قديما أزليا أو يكون محدثا فان كان أزليا فهو محال لانه لو كان واجبا لذاته لكان واجب الوجود أكثر من واحد هذا خلف وان كان ممكنا لذاته كان مفقرا في وجوده الى الواجب لذاته غنيا لذاته فيكون الممكن محتجا لذاته فيكون عبدا لانه لا معنى للعبودية الا ذلك واما ان كان الذي يجعل ولدا يكون محدثا فيكون وجوده بعد عدمه بخلق ذلك القديم واجباده وهو المراد من قوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون فيكون عبدا له لاوله له فثبت أنه يستحيل أن يكون لله ولد (المسئلة الثانية) احتج الاصحاب بقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون على قدم كلام الله تعالى قالوا لان الآية تدل على انه تعالى اذا أراد احداث شيء قال له كن فيكون فلو كان قوله كن محدثا لا ففقر حدوثه الى قول آخر وزم التسلسل وهو محال فثبت ان قول الله قديم لا يحدث واحتج المعتزلة بالآية على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (أحدها) انه تعالى أدخل عليه كلمة اذا وهذه الكلمة دالة على الاستقبال فوجب أن لا يحصل القول الا في الاستقبال (وثانيها) ان حرف الفاء للتعقيب والفاء في قوله فانما يقول له يدل على تأخر ذلك القول عن ذلك القضاء والتأخر عن غيره محدث (وثالثها) الفاء في قوله فيكون يدل على حصول ذلك الشيء عقب ذلك القول من غير فصل فيكون قول الله متقدما على حدوث الحادث تقدما بلا فصل والمتقدم على المحذور تقدما بلا فصل يكون محدثا فقول الله محدث واعلم ان استدلال الفريقين ضعيف أما استدلال الاصحاب فلانه يقتضي أن يكون قوله كن قديما وذلك باطل بالاتفاق وأما استدلال المعتزلة فلانه يقتضي أن يكون قول الله تعالى هو المركب من الحروف والاصوات وهو محدث وذلك لاتزاع فيه انما المدعى قدم شيء آخر (المسئلة الثالثة) من الناس من أجرى الآية على ظاهرها فرغم انه تعالى اذا أحدث شيئا قال له كن وهذا ضعيف لانه اما أن يقول له كن قبل حدوثه أو حال

لا نفسه لانه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى ﴿ حدوثه ﴾ (هر و ن) عطف بيان له وقوله تعالى (نبيا) حال منه (واذ كر في الكتاب اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أخيه وأخيه لا يراز كال الاعتناء بأمره بإرادته مستقلا وقوله تعالى (انه كان صادق

الوعد) تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله
سجدني ان شاء الله من الصابرين فوقي (وكان * ٧٩٩*) رسول انبيا) فيه دلالة على ان الرسول لا يجب أن يكون صاحب

شريعة فان اولاد
ابراهيم عليه السلام
كانوا على شريعته
(وكان بأمر أهله بالصلو
والزكوة) اشتغالا بالاه
وهو أن يقبل الرجل
بالتكامل على نفسه ومن
هو أقرب الناس إليه فإ
تعالى وأندرك
الأقربين وأمر أهلك
بالصلوة قوا أنفسكم
وأهلكم نارا وقصدا
إلى تكميل الكل تكميل
لأنهم قدوة يؤتسى بهم
وقيل أهله أمته فان
الانبياء عليهم السلام
آباء الامم (وكان عند
مرضا) لاتصافه
بالنعوت الجليلة التي من
جملتها ما ذكر من خصا
الجمدة (واذكر في
الكتاب ادر يس) وه
سبط شيث وجد أبي نوح
فانه نوح بن لك بن
متوشلخ بن اخنوخ
وهو ادر يس عليه
السلام واشتقاقه من
الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد أن يكون معنا
في تلك الالة قريبا من
ذلك فلقب به لكثرة
دراسته روى انه تعالى

حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطبا مع المعلوم وهو عبث وان كان الثاني فهو حال
حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فأى تأثير لقوله كن فيه ومن الناس من زعم ان المراد
من قوله كن هو التخليق والتكوين وذلك لان القدرة على الشيء غير وتكوين الشيء غير
فان الله سبحانه قادر في الازل وغيره يكون في الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا
العالم وغيره يكون لها والقادرية غير المكونية والتكوين ليس هو نفس المكون لانا نقول
المكون انما حدث لان الله تعالى كونه فأوجده فلو كان التكوين نفس المكون
لكان قولنا المكون انما وجد بتكوين الله تعالى نازلا منزلة قولنا المكون انما وجد بنفسه
وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكون فقوله كن إشارة الى الصفة السمعة بالتكوين
وقال آخرون قوله كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيتة في الممكنات فان وقوعها
بتلك القدرة والارادة من غير امتناع واندفاع يجرى مجرى العبد المطيع المسخر المتقاد
لاوامر مولاه فعبر الله تعالى عن ذلك المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة * قوله
تعالى (وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتيوننا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين وأندركم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
انما نحن رب الارض ومن عليها والينسا يرجعون) اعلم ان قوله وان الله ربي وربكم
فاعبدوه فيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ المدينون وأبو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه
ربي وربكم فاعبدوه وقرأ الكوفيون وأبو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي ان
الله بالكسر من غير واوى بسبب ذلك فاعبدوه (المسئلة الثانية) انه لا يصح أن يقول الله
وان الله ربي وربكم فاعبدوه فلا بد وأن يكون فاعل هذا غير الله تعالى وفيه قولان
(الاول) التقدير فقل يا محمد ان الله ربي وربكم بعد اظهار البراهين الباهرة في ان عيسى
هو عبد الله (الثاني) قال ابو مسلم الاصفهاني الواو في وان الله عطف على قول عيسى
عليه السلام اني عبد الله آتاني الكتاب كأنه قال اني عبد الله وانه ربي وربكم فاعبدوه
وقال وهب بن منبه عهد اليهم حين أخبرهم عن بعثته ومولده ونعته ان الله ربي وربكم
أى كلنا عبيد الله تعالى (المسئلة الثالثة) قوله وان الله ربي وربكم يدل على ان مدبر
الناس ومصلح أمورهم هو الله تعالى خلاف قول المنجمين ان مدبر الناس ومصلح أمورهم
في السعادة والشقاوة هي الكواكب ويدل أيضا على أن الاله واحد لان لفظ الله اسم
علم له سبحانه فلما قال ان الله ربي وربكم أى لأرب للخلق سوى الله تعالى وذلك يدل
على التوحيد اما قوله فاعبدوه فقد ثبت في أصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف
المناسب مشعر بالعلية فهنا الامر بالعبادة وقع مرتبا على ذكر وصف الربوبية فدل
على أنه انما نلزمنا عبادته سبحانه لكونه ربنا وذلك يدل على أنه تعالى انما يجب عبادته
لكونه منعمنا على الخلائق بأصول النعم وفروعها ولذلك فان ابراهيم عليه السلام للمنع

أنزل عليه ثلاثين صحيفة وانه أول من خط بالقلم ونظر في علم التجوم والحساب (انه كان صديقا) ملازم للصدق في جميع
أحواله (نبيا) خيرا آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا (ورفقناه مكانا علويا) هو شرف النبوة والرفق
عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكرا الجليل

في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعتلك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس * ٨٠٠ * فقال يارب اني قد مشيت فيها يوما

وقد أصابني منها ما
أصابني فكيف من
يحملها مسيرة خمسمائة
عام في يوم واحد اللهم
خفف عند من ثقلها
وحرها فلما أصبح الملك
وجد من خفة الشمس
وحرها ما لا يعرف فقال
يارب ما الذي قضيت
فيه قال ان عبدى ادريس
سألني أن أخفف عنك
حملها وحرها فاجبته
قال يارب اجعل بيني
وبينه خلة فاذن الله تعالى
له فرفعه الى السماء
(أولئك) إشارة الى
الذكرين في السورة
الذكر يمد وما فيه من معنى
البعد للاشارة بملو
رتبتهم وبعدهم من التهم
في الفضل وهو مبتدأ
وقوله تعالى (الذين
أنعم الله عليهم) صفته
أى أنعم عليهم بفنون
النعم الدينية والدنيوية
حسبما أشبه اليه بمجلا
وقوله تعالى (من الذين)
بيان للوصول وقوله
تعالى (من ذرية آدم)
بدل منه بعبادة الجبار
ويعجز أن تكون كلمة من
فيه للتعبير لان المنعم

أباه من عبادة الاوثان قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يعني انها لما
لم تكن منعمة على العباد لم تجز عبادتها وهذه الآية ثبت ان الله تعالى لما كان ربا ومريا
لعباده وجبت عبادته فقد ثبت طردا وعكسا تعلق العبادة بكون المعبود منعبا أما قوله
هذا صراط مستقيم يعني القول بالتوحيد ونفى الولد والصاحبة صراط مستقيم وانه سمي
هذا القول بالصراط المستقيم تشبيها بالطريق لانه المؤدى الى الجنة أما قوله تعالى
فاختلف الأحزاب من بينهم في الأحزاب أقوال (الاول) المراد فرق النصارى على
ما بينا أقسامهم (الثانى) المراد ان نصارى واليهود فجعله بعضهم ولدوا وبعضهم كذابا
(الثالث) المراد الكفار الداخل فيهم اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمن
محمد صلى الله عليه وسلم وإذا قلنا المراد بقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه أى قل يا محمد
ان الله ربي وربكم فهذا القول أظهر لانه لا تخصيص فيه وكذا قوله فويل للذين كفروا
مؤكدا لهذا الاحتمال وأما قوله من مشهد يوم عظيم فالشهاد ما أن يكون هو الشهود
وما يتعلق به أو الشهادة وما يتعلق بها (أما الاول) فيحتمل أن يكون المراد من المشهد نفس
شهودهم هول الحساب والجزاء في القيامة أو مكان الشهود فيه وهو الموقف أو وقت
الشهود وأما الشهادة فيحتمل أن يكون المراد شهادة الملائكة والانبياء وشهادة ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال وأن يكون مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو
ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه وانما وصف ذلك المشهد بأنه عظيم لانه لا شئ أعظم
مما يشاهد في ذلك اليوم من محاسبة ومساءلة ولا شئ من المنافع أعظم مما هنالك من الثواب
ولامن المضار أعظم مما هنالك من العقاب اما قوله تعالى أسمعهم وأبصرهم يأتوننا ففيه
مسائل (المسئلة الاولى) قالوا التعجب هو استعظام الشئ مع الجهل بسبب عظمه ثم
يجوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير أن يكون
للعظم سبب حصول قال الفراء قال سفيان قرأت عند شريح بل عجت ويسخرون فقال
ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم الخفي فقال ان شريحا
شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه قرأها بل عجت ويسخرون ومعناه انه صدر
من الله تعالى فعل او صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وبهذا التأويل
بضاف المكر والاستهزاء الى الله تعالى وإذا عرفت هذا فنقول للتعجب صيغتان
(احدهما) ما أفعله (والثانية) أفعل به كقوله تعالى أسمعهم وأبصرهم والتخويون ذكر والاه
ناويلات (الاول) قالوا أكرم يزيد أضله أكرم يزيد أى صار ذا كرم كاعدا البعير أى
صار ذا غدة الأنة خرج على لفظ الامر ومعناه الخبز كما خرج على لفظ الخبز ما معناه الامر
كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن والوالدات يرضعن أولادهن قل من كان
في الضلالة فليمد له الرحمن مدا أى يمد له الرحمن مدا وكذا قولهم رحمه الله خبر وان كان
معناه الدعاء والباء زائدة (الثانى) أن يقال انه أمر لكل أحد بأن يجعل زيدا

عليهم أكرم من الانبياء وأخص من الذرية (ومن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصا * كريما *
وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية سمام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم الباقون
(واسرائيل) عطف على ابراهيم أى ومن ذرية

اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى * ٨٠١ * عليهم السلام وفيه دليل على أن اولاد البنات

من الذرية (وعني هدينا واجتبننا) أي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبنناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (اذا تنلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لا وثك ويجوز أن يكون الخبر هو الوصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واختباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقه في شرف النسب وكال النفس والرائي من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا أي ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتابوا والبي جمع بك كالسجد جمع ساجد وأصله بكوي فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداها هاء بالسكون فقلت الواو والياء وأدغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ ينلى بالياء التثنية لان التأنيث غير حقيق وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا

كر بما أي بأن يصفه بالكرم والباء زائدة مثل قوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ولقد سمعت لبعض الادياب فيه تاويلاتا وهو ان قولك أكرم يزيد في شأن زيد البالغ في الكرم الى حيث كآته في ذاته صار كرم حتى لو أردت جعل غيره كرم يفاهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك كأن من قال اكتب بالقلم فغناه أن القلم هو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل لك غرضك (المسئلة الثانية) قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتون تناسفيه ثلاثة أوجه (أحدها) وهو المشهور الاقوى ان معناه ما أسمعهم وما أبصرهم والتعجب على الله تعالى محال كما تقدم وانما المراد ان سماعهم وابصارهم يومئذ جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميان في الدنيا وقبل معناه التهديد مما سيسمعون وسيبصرون بما يسؤبصرهم ويصدع قلوبهم (وثانيها) قال القاضي ويحتمل أن يكون المراد أسمع هؤلاء وأبصرهم أي عرفهم حال القوم الذين يأتوننا ليعتبروا ويترجروا (وثالثها) قال الجبائي ويجوز أسمع الناس هؤلاء وأبصرهم بهم ليعرفوا أمرهم وسوء عاقبتهم فيمن ترجوا عن الاتيان بمثل فعلهم أما قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقيه قولان (الاول) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق (والثاني) لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وهم في الآخرة في ضلال عن الجنة بخلاف المؤمنين وأما قوله تعالى وأندرهم فلا شبهة في أنه أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يتندر من في زمانه فيصلح بأن يجعل هذا كالدلالة على أن قوله فاختلف الأحزاب أراذبه اختلاف جميعهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الانذار فهو التخويف من العذاب لكي يحذروا من ترك عبادة الله تعالى وأما يوم الحسرة فلا شبهة في أنه يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من أهل النار وقيل يتحسر أيضا في الجنة اذا لم يكن من السابقين الواصلين الى الدرجات العالية والاول هو الصحيح لان الحسرة غم وذلك لا يليق باهل الثواب أما قوله تعالى اذ قضى الامر فقيه وجوه (أحدها) اذ قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب (وثانيها) اذ قضى الامر يوم الحسرة بغناء الدنيا وزوال التكليف والاول أقرب لقوله وهم لا يؤمنون فكأنه تعالى بين أنه ظهرت الحجج والبينات وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (وثالثها) روى انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله قضى الامر فقال حين يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيذبح والفر يقان ينظران فيرداد أهل الجنة فرحا على فرح وأهل النار غما على غم واعلم أن الموت عرض فلا يجوز أن يصير جسماء حيوانا بل المراد أنه لا موت البتة بعد ذلك وأما قوله وهم في غفلة أي عن ذلك اليوم وعن كيفية حسراته وهم لا يؤمنون أي بذلك اليوم ثم قال بعده فانحن نرت الارض ومن عليها أي هذه الامور تؤل الى أن لا يملك الضر والنفع الا الله تعالى والينا يرجعون أي الى محل حكمنا وقضائنا لانه تعالى منز عن المكان حتى يكون الرجوع اليه وهذا تخويف عظيم وزجر يبلغ للعصاة القصة الثالثة قصة ابراهيم عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان

ينبغي أن يدعو الساجدين في سجدته * ١٠١ * خا بما يليق بآيتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهيدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك

الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني ﴿ ٨٠٢ ﴾ من الساجدين لوجهك السبحين بحمدك

وذلك من أنا كون
من المستكبرين عن
أمرك (فخلف من بعدهم
خلف) يقال لعقب الخيل
خلف يفتح اللام وعقب
الشر خلف بالسكون
أي فقبضهم وجاء بعدهم
عقب سوا (أضاعوا
الصلاة) وقرى الصلوات
أي تركوها وأخروها
عن وقتها (واتبعوا
الشهوات) من شرب
الخمر واستحلل زكاح
الاخت من الأب
والانهماك في فنون
المعاصي وعن علي
رضي الله عنه هم من نى
المشيدور كب المنظور
وليس المشهور (فسوف
يلقون غيا) أي شرافان
كل شر عند العرب غي
وكل خير رشاد كقوله *
فن يلق خبير أحمد
الناس أمره * ومن
يقول بعدم على الغي
لأنما * وعن الضحك
جزاء غي كقوله تعالى
يلق أناماي جزاء أنام
أوغيا عن طريق الجنة
وقيل غي وادي جهنم
تستعين منه أوديتها
وقوله تعالى (الامن تاب

صديقا نبيا إذا قال لآيه يا أيتم تعدد ما لا يسم ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئا يا أيتم قد
جاني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أيتم لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحن عصيا يا أيتم اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر والمنكرون
للتوحيدهم الذين أئذوا معبودا سوى الله تعالى وهو لا فرقان منهم من أثبت معبودا
غير الله حيا عافلا فاهما وهم النصارى ومنهم من أثبت معبودا غير الله جادا ليس بحي
ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الاوثان والفرقيان وان اشتراك في الضلال الآن ضلال
الفرق الثاني أعظم فلما بين تعالى ضلال الفرق الاول تكلم في ضلال الفرق الثاني
وهم عبدة الاوثان فقال واذا كرفي الكتاب والواو في قوله واذا كرعطف على قوله ذكر رحمة
ربك عبده ذكر يا كانه لما انتهت قصة عيسى وذكر باعليهما السلام قال قد ذكرت حال
ذكر يا فاذا ذكر حال ابراهيم وانما أمر بذكره لانه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا أهل
بلدته مشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب فاذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة
ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومعجزا فاهرا داد الاعلى نبوته وانما شرع في قصة
ابراهيم عليه السلام لوجوه (أحدها) ان ابراهيم عليه السلام كان أب العزل وكانوا
مقرنين بعولشأه وطهارة دينه على ما قال تعالى مله أتيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب
عن مله ابراهيم الامن سغه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لا بأتكم على
ما هو قولكم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ومعلوم أن أشرف
آبائكم وأجلهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلادوه في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من
المستبدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة
الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم اما تقليدا واما استدلالا (وثانها) ان كثيرا من الكفار
في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين آباءنا وأجدادنا فذكر الله
تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وبين انه ترك دين آبيه وأبطل قوله بالدليل ورجح متابعة
الدليل على متابعة آبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الأب على جانب الدليل رد على
الأب الاشراف الاكبر الذي هو ابراهيم عليه السلام (وثالثها) ان كثيرا من الكفار كانوا
يتسكنون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما قال الله تعالى قالوا انا وجدنا آباءنا على
أمة وقالوا وجدنا ناناها عابدين فحبى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام التمسك
بطريقة الاستدلال تنبيه الهؤلاء على سقوط هذه الطريقة ثم قال تعالى في وصف ابراهيم
عليه السلام انه كان صديقا نبيا وفي الصديق قولان (أحدهما) انه مبالغة في كونه
صادقا وهو الذي يكون عادته الصدق لان هذا البناء ينبئ عن ذلك يقال رجل خبير وسكبه
للمواع بهذه الافعال (والثاني) انه الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به
والاول أولى وذلك لان المصدق بالشئ لا يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك

وآمن وعمل صالحا) يدل على أن الآية في حق الكفرة (فأولئك) إشارة الى الموصول باعتبار انصافه ﴿ التصديق ﴾
أي في حيز الصلة وما فيه من معنى البهملام مرارا أي فأولئك المنعوتون بالنبوة والايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة)

أعمالهم شيئاً ولا ينقص
شيئاً من النقص وفيه
تنبيه على أن كفرهم
السابق لا يضرهم ولا
ينقص أجورهم (جنات
عدن) بدل من الجنة بدل
البعض لاشتغالها عليهما
وما بينهما اعتراض
أو نصب على المدح
وقرى بالرفق على أنه
خبر مبتدأ محذوف أى
هى أولئك جنات الخ
ومبتدأ خبره التى وعد الخ
وقرى جنة عدن نصبا
ورفعاً وعدن علم لغنى
العدن هو الإقامة كما أن
فينة وسحر وأمس فمين
لم يصر فيها أعلام
لغنى الفينة وهى الساعة
التي أنت فيها والسحر
والامس جري لذلك
مجري العدن أو هو علم
لأرض الجنة خاصة
ولو لذلك لما ساغ إبدال
ما أضيف اليه من الجنة
بلا وصف عند غير
البصريين ولا وصفه
بقوله تعالى (التي وعد
الرحمن عباده) وجعله
بدلًا منه خلاف الظاهر
فإن الموصول فى حكم
المشتق وقد نصوا على
أن البدل بالمشتق ضعيف

والتعرض لعنوان الرحمة لللايذان بأن وعدّها وانجازها لكمال سعة رحمة تعالى والباء في قوله تعالى (بالغيّب) متعلّقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنّات أو من عباده أى وعدّها إياهم ملائسة أو ملائسين بالغيّب أى غائبة عنهم غير حاضرة

أوغائبين عنها لا يرونها وإنما امنوا بها بمجرد الاخبار ﴿ ٨٠٤ ﴾ أو بعضهم وسبب الوعد أى وعدها إياهم بسبب

إيمانهم (انه كان وعده) أى موعوده كأنما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا وأبدا ولا كانت هى مثابة يرجع إليها قيل (مأثبا) أى يأتبه من وعده له لا بحالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأثبا أى مفعولا منجزا من أتى إليه إحسانا أى فعله (لا يسمعون فيها لغوا) أى فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه فى هذه الدار ما أمكن (الاسلاما) اسئساء منقطع أى لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض أو متصل بطريق التعليق بالتحال أى لا يسمعون لغوا أما الاسلاما فبفتح استحال كون السلام لغوا استحالة سماعهم له بالكلية كما فى قوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * من قول من قراع الكتاب * أو على أن معناه الدعاء بالسلامة

فى عبادتها (وسادسها) اذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكسر والافساد على ما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه كسرها وجعلها جذا ذاقا فى رجا لغير فيها واعلم أنه عاب الوثن من ثلاثة أوجه (احدها) لا يسم (وثانيها) لا يبصر (وثالثها) لا يفنى عنك شيئا كأنه قال له بل الإلهية ليست إلا ربى فانه يسمع ويجب دعوة الداعى ويضرب كما قال اننى معكم أسمع وأرى ويقضى الحاجج من يجب المضطر اذا دأه واعلم أن قوله ههنا لم تعبد محمول على نفس العبادة وأما قوله فى المقام الثالث لا تعبد الشيطان لا يقال ذلك بل المراد الطاعة لانهم ما كانوا يعبدون الشيطان فوجب حمله على الطاعة ولا ناقول ليس اذا تركنا الظاهر ههنا الدليل وجب ترك الظاهر فى المقام الاول بغير دليل فان قيل اما أن يقال ان ابا ابراهيم كان يعتقد فى تلك الاوثان انها آلهة بمعنى انها قادرة مخزاة موحدة للناس والحيوانات أو يقال انه ما كان يعتقد ذلك بل كان يعتقد انها تماثيل الكواكب والكواكب هى الآلهة المدبرة لهذا العالم فتعظيم تماثيل الكواكب بموجب تعظيم الكواكب أو كان يعتقد ان هذه الاوثان تماثيل أشخاص معظمة عند الله تعالى من البشر فتعظيمها يقتضى كون أولئك الأشخاص شفعاء لهم عند الله تعالى أو كان يعتقد ان تلك الاوثان طلسمات ركبت بحسب اتصالات مخصوصة للكواكب فليأتى مثلها وأنهم اشفع بها أو غير ذلك من الاعذار المنقولة عن عبدة الاوثان فان كان أبو ابراهيم من القسم الاول كان فى نهاية الجنون لان العلم بأن هذا الخشب المنحوت فى هذه الساعة ليس خالقا للسموات والارض من أجل العلوم الضرورية فالشك فيه يكون فاقدا لأجل العلوم الضرورية فكان مجنوننا والمجنون لا يجوز إيراد الحجة عليه والمناظرة معه وان كان من القسم الثانى فهذه الدلائل لا تقدر على شئ من ذلك لان ذلك المذهب انما يبطل باقامة الدلالة على ان الكواكب ليست احياء ولا قادرة على خلق الاجسام وخلق الحياة ومعلوم ان الدليل المذكور ههنا لا يفيد ذلك المطلوب فعلمنا ان هذه الدلالة عديمة الفائدة على كل التقديرات قلنا لا نزاع انه لا يتقضى على العاقل ان الخشبة المنحوتة لا تصلح لخلق العالم وانما مذهبهم هذا على الوجه الثانى وانما أورد ابراهيم عليه السلام هذه الدلالة عليهم لانهم كانوا يعتقدون ان عبادتها تفيد نفعا اما على سبيل الخاصة الحاصلة من الطلسمات أو على سبيل أن الكواكب تنفع وتضر فبين ابراهيم عليه السلام انه لا منفعة فى طاعتها ولا مضرة فى الاعراض عنها فوجب أن لا تحسن عبادتها (التنوع الثانى) قوله يأتى انى قد جانى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ومعناه ظاهر وطمع فى التمسك به أهل التعليم وأهل التقليد أما أهل التعليم فقالوا انه أمره بالاتباع فى الدين ومأموره بالتمسك بدليل لا يستفاد الا من الاتباع وأما أهل التقليد فقد تمسكوا به ايضا من هذا الوجه ومن الناس من ظن انه أمره بالاتباع التحصل الهداية فاذن لا تحصل الهداية بالاتباع ولا تبعية الا اذا اهتدى لقولنا انه لا بد من

وهم أغنياء عند فهم من باب القو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) (اتباعه) وارد على عادة المتنعين فى هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والافليس فيها بكرة ولا عشي (تلك الجنة)

مبتدأ وخبر جئ به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها فان ﴿ ٨٠٥ ﴾ ماقى اسم الاشارة من معنى البعد لا يذان بعد

منزلتها وعلو رتبته
(التي نورث) اي نورثها
(من عبادنا من كان
تقيا) اي نبقها عليهم
بنقواهم ونعهم بها كما
نبقى على الكوارث مال
مورثه ونعته به والوراثه
أقوى ما يستعمل في التملك
والاستحقاق من اللفاظ
من حيث انها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع
ولا ابطال وقيل يورث
المؤمن من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو
آمنوا وأطاعوا زيادة
في كرامتهم وقرئ
نورث بالتشديد (وما
تنزل الا بأمر ربك)
حكاية لقول جبريل
حين استبطأه رسول الله
عليهما الصلاة والسلام
لما سئل عن أصحاب
الكهف وذى القرنين
والروح فلم يدركيف
يجيب ورجا أن يوحى
اليه فيه فأبطأ عليه
أربعين يوما أو خمسة
عشر فشق ذلك عليه
مشقة شديدة وقال
المشركون ودعه به
وقلاه ثم نزل يبيان ذلك
وأرسل الله عز وجل هذه

اتباعه فيقع الدور وانه باطل (والجواب) عن الاول ان المراد بالهداية بيان الدليل
وشرحه وايضا حقه فغند هذا عاد السائل فقال انا لا أنكر انه لا بد من الدلالة ولكني
أقول الوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد الا من له نفس كاملة بعيدة عن الغصص والخطا
وهي نفس النبي المعصوم أو الامام المعصوم فاذا سلمت انه لا بد من النبي في هذا المقصود
فقد سلمت حصول الغرض أجب المجيب وقال انا ما سلمت انه لا بد في الوقوف على الدلائل
من هداية النبي ولكني أقول هذا الطريق أسهل وان ابراهيم عليه السلام دعاه الى
الاسهل والجواب عن سؤال الدور أن قوله فاتبعني ليس أمر ايجاب بل أمر ارشاد
(والنوع الثالث) قوله يأتى لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحن عصيا أى
لا تطعه لانه عاص لله فغره بهذه الصفة عن القبول منه لانه أعظم الخصال المنفرة واعلم
أن ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنائات الشيطان الا كونه
عاصيا لله ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك
العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه وأبضا فان معصية الله تعالى لا تصدر الا عن
ضعيف الرأى ومن كان كذلك كان حقيقا أن لا يلتفت الى رأيه ولا يجعل لقوله وزن فان
قيل ان هذا القول يتوقف على اثبات أمور (أحدها) اثبات الصانع (وثانيها) اثبات
الشيطان (وثالثها) اثبات ان الشيطان عاص لله (ورابعها) انهما كان عاصيا لم يجز
طاعته في شئ من الاشياء (وخامسها) ان الاعتقاد الذى كان عليه ذلك الانسان كان
مستفادا من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التي تورد على الخصم أن تكون مركبة
من مقدمات معلومة مسئلة ولعل أبا ابراهيم كان منازعا في كل هذه المقدمات وكيف
والحقى عنه انه ما كان يثبت الها سوى نمرود فكيف يسلم وجود الاله الرحمن واذالم يسلم
وجوده فكيف يمكنه تسليم أن الشيطان كان عاصيا للرحن ثم ان على تسليم ذلك فكيف
يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل اعلم يقاب ذلك على
خصمه قلنا الجملة المعول عليها في ابطال مذهب آزر هو الذى ذكره أولا من قوله لم تعبد
مالا يسمع ولا يبصر ولا ينفى عنك شيئا فاما هذا الكلام فيجوز أن يجرى التخويف والتحذير
الذى يحمله على النظر في تلك الدلالة وعلى هذا التقدير يستطع السؤال (النوع الرابع)
قوله يأتى انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال القراء معنى
أخاف أعلم والا كثرون علم انه محمول على ظاهره والقول الاول انما يصح لو كان ابراهيم
عليه السلام عالما بأن آباءه سيموت على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراؤه على ظاهره
فانه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ويجوز أن يصرف فيؤت على الكفر
فيكون من أهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لافاطما واعلم أن من يظن وصول
الضرر الى غيره فانه لا يسمى خائفا الا اذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر اليه
تألم قابله كما يقال انا خائف على ولدى أما قوله فتكون للشيطان وليا فاذ كروا في الولي

الآية وسورة والضحى والنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل
على الانزال والمعنى وما تنزل وقناب وقت الا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما ينزل بالياء والضمير

لوحى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) وهو ما ﴿ ٨٠٦ ﴾ نحن فيه من الإمكان والازمنة ولا ننقل من مكان إلى

مكان ولا تنتقل في زمان دون زمان الأباهر ومشيئته (وما كان ربك نسيا) أي تاركك أي أن عدم النزول لم يكن الالعدم الأمر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وفي إعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ إلى الكمال اللائق مضافا إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والأشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبة بعضهم بعضا بطريق التمجيد والابتهاج والمعنى وما تنزل الجنة الأباهر الله تعالى ولطفه وهو مالك الأمور كلها سالفها ومتربها وحاضرها فما وجدناه وما بعده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى أي وما كان ناسيا لأعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما)

و جوها (أحدها) أنه إذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والولاية سبب للمعية وإطلاق اسم السبب على المسبب مجاز وإن لم يجز حمله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا للمتقين وقال ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وحكى عن الشيطان أنه يقول لهم إني كفرت بما أشركتوني من قبل واعلم أن هذا الاشكال انما يتوجه إذا كان المراد من العذاب عذاب الآخرة أما إذا كان المراد منه عذاب الدنيا فلا إشكال ساقط (وثانيها) أن يحمل العذاب على الخذلان أي إني أخاف أن يمسك خذلان الله فتصير مواليا للشيطان ويبرأ الله منك على ما قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (وثالثها) وليا أي تاليا للشيطان تليه كما يسمى المطر الذي يأتي تاليا وليا فان قيل قوله أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فيكون للشيطان وليا يقتضى أن تكون ولاية الشيطان أسوأ حالا من العذاب نفسه وأعظم فإسبب لذلك والجواب أن رضوان الله تعالى أعظم من الثواب على ما قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فوجب أن تكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم واعلم أن إبراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لانه به أو لا على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم أمره باتباعه في النظر والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير حائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي ثم أنه عليه السلام أو ردها الكلام الحسن مقرونا باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده إلى الصواب وختم الكلام بقوله إني أخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصلحته وانما فعل ذلك لوجوه (أحدها) قضاء الحق الأبوة على ما قال تعالى وبالوالدين إحسانا والارشاد إلى الدين من أعظم أنواع الإحسان فاذا انضاف إليه رعاية الأدب والرفق كان ذلك نورا على نور (وثانيها) ان الهادي إلى الحق لابد وأن يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف لان إرادته على سبيل العنف يصير كالسبب في اعراض المستمع فيكون ذلك في الحقيقة سعيًا في الاغواء (وثالثها) ما روي أبو هريرة أنه قال عليه السلام أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أنك خلي لي فحسن خلقك ولومع الكتمان تدخل مداخل الأبرار فان كلمتي سيفت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأن أسكنه حظيرة قدسي وأذنيه من جوارى والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قال أرأيت أنت عن آلهتي يا إبراهيم أئن لم تنته لأرجنك وأهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربني أنه كان بي حفيًا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوني عسى ألا أكون بدعا ربني شقيا) اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوحيد ذكر الدلالة على فساد عبادة الاوثان وأردف تلك الدلالة بالعظة البالغ وأورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق قابله

بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من يدهم ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن ﴿ أبوه ﴾ يخوم حول ساحة سبحاته العظيمة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله تعالى

(فاعبده واصطبر له بادته) لترتيب ما بعدها ﴿٨٠٧﴾ من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات

والارض وما بينهما
وقيل من كونه تعالى غير
تارك له عليه السلام أو
غير ناس لاعمال العالمين
والمعنى فحين عرفته تعالى
بملازمة من الربوبية
الكاملة فاعبده الخ فان
الحجاب معرفته تعالى
كذلك لعبادته مما لا ريب
فيه أو حين عرفته انه
تعالى لا ينسلك ولا ينسى
اعمال العالمين كاشان
كان فأقبل على عبادته
واصطبر على مشاقها
ولا تحزن بابطاء الوحي
وهذه الكفرة فانه يراقبك
ويراعيك ويطف بك
في الدنيا والآخرة
وتعدية الاصطبار
باللام لا بحرف الاستعلاء
يكفي قوله تعالى واصطبر
عليها لتضيقه معنى
الثبات للعبادة فيما تورد
عليه من الشدائد والمشاق
كقولك المبارز اصطبر
لقرئك أي اثبت له فيما يورد
عليك من شدائده (هل
تعلمه سميا) الشهي هو
الشريك في الاسم
والظاهر أن راديه ههنا
الشريك في اسم خاص
قد عبر عنه تعالى بذلك

أبوه بجواب يضاد ذلك فقابل جنته بالتقليد فانه لم يدكر في مقابلة جنته الا قوله أراغب
أنت عن آلتهى يا ابراهيم فاصبر على ادعاء الهية جاهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة
حيث هدهد بالضرب والشتم وقابل رفقه في قوله يا أبت بالعنف حيث لم يقبل له يا بني بل قال
يا ابراهيم وانما حكى الله تعالى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصل
اليه من أذى المشركين فيعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة اما قوله
أراغب أنت عن آلتهى يا ابراهيم فان كان ذلك على وجه الاستفهام فهو خذلان لانه قد
عرف منه ما تكره منه من وعظه وتنبهه على الدلالة وهو يفيد أنه راغب عن ذلك أشد
رغبة فافائدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فأبى تعجب في الاعراض عن
حجة لا فائدة فيها وانما التعجب ككلمة من الاقدام على عبادتها فان الدليل الذي ذكره
ابراهيم عليه السلام كما أنه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد التعجب من أن العاقل كيف
يرضى بعبادتها فكان أباه قائل ذلك التعجب الظاهر المبني على الدليل بتعجب فاسد غير
مبنى على دليل وشبهة ولا شك ان هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه أما قوله لئن لم تنته
لأرجنك واهجرني مليا ففيه مسائل (المسئلة الاولى) في الرجم ههنا قولان (الاول) انه
الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين يرمون المحصنات اى بالشتم ومنه
الرجم اى المرمى باللعن قال مجاهد الرجم في القرآن كله بمعنى الشتم (والثاني) انه الرجم
باليد وعلى هذا التقدير ذكرنا وأوجوها (أحدها) لأرجنك باظهار أمرك للناس ليرجوك
ويقتلوك (وثانيها) لأرجنك بالجحارة لتباعد عني (وثالثها) عن المؤرج لاقفك بلفظة
قربش (ورابعها) قال أبو مسلم لأرجنك المراد منه الرجم بالجحارة الا أنه قد يقال ذلك
في معنى الطرد والابعاد اتساعا ويدل على أنه أراد الطرد قوله تعالى واهجرني مليا واعلم
ان أصل الرجم هو الرمي بالرجام فحمله عليه أولى فان قيل فأي دل قوله تعالى واهجرني مليا
على ان المراد به الرجم بالشتم قلنا لا وذلك لانه هدهد بالرجم ان ابني على قربه منه وأمره
أن يبعدهر بامن ذلك فهو في معنى قوله واهجرني مليا (المسئلة الثانية) في قوله تعالى
واهجرني مليا قولان (أحدهما) المراد واهجرني بالقول (والثاني) بالمفارقة في الدار
والبلد وهي هجرة الرسول والمؤمنين اى تباعد عني لكي لأراك وهذا الثاني أقرب الى
الظاهر (المسئلة الثالثة) في قوله مليا قولان (الاول) مليا اى مدة بعيدة مأخوذة من
قولهم أتى علي فلان ملاءة من الدهر اى زمان بعيد (والثاني) مليا بالذهاب عني
والهجران قبل أن أئخذك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان
مطيقا له مضططعا به (المسئلة الرابعة) عطف واهجرني على معطوف عليه محذوف يدل
عليه لأرجنك أي فاحذرنى واهجرني لئلا أرجنك ثم ان ابراهيم عليه السلام لما سمع من
أبيه ذلك أجاب بأمرين (أحدهما) أنه وعده التباعد منه وذلك لان أباه لما أمره بالتباعد
أظهر الانقياد لذلك الامر وقوله سلام عليك توادع ومشاركة كقوله تعالى انا أنعمنا

وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده فالجمله تقرير لما
أفاده الفاء من عليه ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل

بنلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقاً و باطلا وقبل المراد ٨٠٨ هـ هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركية

مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً وقبل هو الشريك في اسم الله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالعنى هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق لها وأما التسمية على الباطل فهي كالتسمية ففقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريهين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر (ويقول الانسان) المراد به اما الجنس بأسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة أو ابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها وقال يزعم محمد أنابعث بعد ما موت ونصير الى هذه الحال أى يقول بطريق الإنكار والاستبعاد (أنما مات لسوف أخرج حياً) أى أبعث من الأرض أو من خال الموت وتقدم الظرف وابلأوه حرف الإنكار

ولكن أعمالكم سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين واذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مناركة المنصوح اذا ظهر منه المجاج وعلى أنه تحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استماله له ألا ترى أنه وعده بالاستغفار ثم انه لما ودع بقوله سلام عليك ضم الى ذلك ما دل به على انه وان بعد عنه فاشفاقه باق عليه كما كان وهو قوله سأستغفر لك ربي واحتج بهذه الآية من طعن في عصمة الانبياء وتقريره ان ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز لانه استغفر لايه وهو كافر والاستغفار للكافر لا يجوز فثبت بمجموع هذه المقدمات أن ابراهيم عليه السلام فعل ما لا يجوز انما قلنا انه استغفر لايه لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم سلام عليك سأستغفر لك ربي وقوله واغفر لابي انه كان من الضالين وأما أن أباه كان كافراً فذلك بنص القرآن وبالاجماع وأما أن الاستغفار للكافر لا يجوز فلوجهين (الاول) قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (الثاني) قوله في سورة المجنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله لا تستغفروا لك وأمر الناس الا في هذا الفعل فوجب أن يكون ذلك معصية منه والجواب لانزاع الا في قولكم الاستغفار للكافر لا يجوز فان الكلام عليه من وجوه (أحدها) ان القطع على أن الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالسمع فلعل ابراهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لايه (وثانيها) ان الاستغفار قد يكون بمعنى الاستمache كما في قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربي أن لا يخزيك بكفره ما كنت حياً بعذاب الدنيا المعجل (وثالثها) انه عليه السلام انما استغفر لايه لانه كان يرجو منه الايمان فلما أيس من ذلك ترك الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه الايمان والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فيين أن المنع من الاستغفار انما يحصل بعد أن يعرفوا أنهم من أصحاب الجحيم ثم قال بعد ذلك وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فدللت الآية على أنه وعده بالاستغفار لو آمن فلما لم يؤمن لم يستغفر له بل تبرأ منه فان قيل فاذا كان الامر كذلك فلمنعنا من التأسي به في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لايه لا تستغفروا لك قلنا الآية تدل على أنه لا يجوز لنا التأسي به في ذلك لكن المنع من التأسي به في ذلك لا يدل على أن ذلك كان معصية فان كثيراً من الاشياء هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا التأسي به مع أنها كانت مباحة له عليه السلام (ورابعها) لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الاولى وحسنات الابراسيات المقر بين أمأ قوله انه كان بي حفيأ اي لطيفاً رفيقاً يقال أحق فلان في المسئلة بفلان اذا لطف به و بالغ في الرفق ومنه قوله تعالى ان يسألكموها

للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت ﴿ ٨٠٩ ﴾ الهمة واللام للتعويض في بالله فساغ اقتزائها بحرف الاستقبال

وقرى اذا ماتت بهمة واحدة مكسورة على الخبة (أو لا يذكر الانسان) من الذكر الذي يراد به التفكير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التبرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شؤون التكوين المحيية بالفتح عن القول المذكور وهو السر في استناده الى الجنس أو الى الفرد بذلك العنوان والهمة للانكار التويحيى والاول لعطف الجملة المنقبة عل مقدر يدل عليه يقول أى يقول ذلك ولا يذكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل الحالة التي هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيئا) أى والحال انه لم يكن حينئذ شيئا أصلا بحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع فلا نبتثه بجمع المواد المنفرقة وبإيجاده مثل ما كان فيها من الاعراض أولى وأظهر فانه لا يذكر فيقع فيما يقع فيه من التكسير وقرى يذكر

فيحكمم تبخلوا أى وإن اطقت المسئلة والمراد أنه سبحانه للطفه بى وانعامه على عودنى الاجابة فاذا أنا استغفرت لك حصل المراد فكانه جعله بذلك على يقين ان هو تاب ان يحصل له الغفران (الجواب الثانى) من الجوابين قوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال للشيء هو التباعده عنه والمراد أى أفا رقتكم فى المكان وأفا رقتكم فى طريقكم أيضا وأبعد عنكم وأنشغل بعبادة ربى الذى ينفع ويضر والذى خلقنى وأنعم على فانكم بعبادة الاصنام سالكون طريقة الهلاك فواجب على مجانبتكم ومعنى قوله عسى أن لا أكون بدعاري شقيا أرجوان لا أكون كذلك وانما ذكر ذلك على سبيل التواضع كقوله والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين وأما قوله شقيامع مافيه من التواضع لله ففيه تعريض بشقاوتهم فى دعاء ألهمتهم على ما قرره أولا فى قوله لم تعبدوا لىسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا قوله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلناهم لسان صدق عليا) اعلم انه ما خسر على الله أحد فان ابراهيم عليه السلام لما اعتزلهم فى دينهم وفى بلدهم واختار الهجرة الى ربه الى حيث أمره لم يضره ذلك دينا ودينا بل نفعه ففوضه أولادا أنبياء ولا حالة فى الدين والدينا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولا الى خلقه ويلزم الخلق طاعته والانتقاده مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة فى الآخرة فصار جعله تعالى اياهم أنبياء من أعظم النعم فى الدينا والآخرة ثم بين تعالى أنه مع ذلك وهب لهم من رحته أى وهب لهم مع النبوة ما وهب ويدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلناهم لسان صدق عليا ولسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يعطى باليد وهو العطية واستجاب الله دعوته فى قوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين فصبره قدوة حتى ادعاه أهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة أياكم ابراهيم ثم أوحينا اليك أن تتبع ملة ابراهيم حنيفا قال بعضهم ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله فى أولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (وثانيها) انه تبرأ من أبيه فى الله تعالى على ما قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حلیم لاجرم ان الله سماه بأللمسلمين فقال ملة أياكم ابراهيم (وثالثها) تل ولده للجبين ليذبحه على ما قال فلما أسما وتله للجبين لاجرم فداء الله تعالى على ما قال وفديناه بذبح عظيم (ورابعها) أسلم نفسه فقال أسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فقال قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (وخامسها) أشفق على هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لاجرم أشركه الله تعالى فى الصلوات الخمس كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم (وسادسها) فى حق سارة فى قوله وابراهيم الذى وفى لاجرم جعل موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى (وسابعها)

ويتذكر على الاصل (فوربك) ﴿ ١٠٢ ﴾ اقسامه باسمه عزت أسماؤه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشارة بعليته وتفخيم شأنه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته (لحشرهم) لئلا يحمن من القائلين بالسوق الى

الحشر بعدما اخرجناهم من الارض ﴿ ٨١٠ ﴾ أحياء ففيه اثبات البعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وأكده

عادي كل الخلق في الله فقال فانهم عدولى الارب العالمين لاجرم اتخذه الله خليلا على ما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا يعلم صحة قولنا انه ما خسر على الله أحد (القصة الرابعة) قصة موسى عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديتاه من جانب الطور الايمن وقر بناه نجيا و هبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا) اعلم انه تعالى وصف موسى عليه السلام بأمر (أحدها) انه كان مخلصا فاذا قرئ بفح الالم فهو من الاصطفاء والاجتباء كان الله تعالى اصطفاه واستخلصه واذا قرئ بالكسر فعناء أخلص لله في التوحيد في العبادة والاخلاص هو التصدق في العبادة الى أن يعبد المعبود بها وحده ومتى ورد القرآن بقراءتين فكل واحدة منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين (وثانيها) كونه رسولا نبيا ولا شك انها صفتان مختلفتان لكن المعتزلة زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول ومن الناس من أنكر ذلك وقد بينا الكلام فيه في سورة الحيم في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (وثالثها) قوله تعالى وناديتاه من جانب الطور الايمن من اليمين أى من ناحية اليمين والأيمن صفة الطور أو الجانب (ورابعها) قوله وقر بناه نجيا ولما ذكر كونه رسولا قال وقر بناه نجيا وفي قوله قر بناه قولان (أحدهما) المراد قرب المكان عن أبي العالية قر به حتى سمع صرير القلم حيث كتبت التوراة في الألواح (والثاني) قرب المنزلة أى رفعا قدره وشرفناه بالنجاة قال القاسمي وهذا أقرب لان استعمال القرب في الله قد صار بالعارف لإبراده بالانزلة وعلى هذا الوجه يقال في العبادة تقرب ويقال في الملازمة عليهم السلام انهم مقيمون وأما نجيا فقبل فيه أجنبيته من أعدائه وقيل هو من النجاة في المخاطبة وهو أولى (وخامسها) قوله و هبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان هرون عليه السلام أكبر من موسى عليهما السلام وانما وهب الله له نبوته لاشخصه واخوته وذلك اجابة لدعائه في قوله واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخى اشد ذنبه أرى فأجاباه الله تعالى اليه بقوله قد أوتيت سؤالك يا موسى وقوله سنشد عضدك بأخيك (القصة الخامسة) قصة اسمعيل عليه السلام * قوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) اعلم ان اسمعيل هذا هو اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام واعلم ان الله تعالى وصف اسمعيل عليه السلام بأشياء (أولها) قوله انه كان صادقا للوعد وهذا الوعد يمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الله تعالى ويمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الناس (أما الاول) فهو أن يكون المراد أنه كان لا يخالف شئنا بما يؤمر به من طاعة ربه وذلك لان الله تعالى اذا أرسل الملك الى الانبياء وأمرهم بتأدية الشرع فلا بد من ظهور وعدمهم يقتضى القيام بذلك ويدل على القيام بسائر

كأنه أمر واضح غنى عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الأحوال (والشياطين) معطوف على الضمير المنصوب أو مفعول معه روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وإن كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض أفرادهم (ثم لحضرتهم حول جهنم جثيا) ليرى السعداء ما نجحهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا ينال الاشقياء ما اذخروا المعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشمازتهم بهم والجثى جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبته وأصله جثو وبواوين فاستقل اجتماعهما بعد

ضمنين فكسرت التاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وباء * ما يخصه * وسبقت احدهما بالسكون فانقلبت الواو باء وأدغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بعضهم

ونصبه على الخالية من الضمير البارز أي لحضرته ٨١١ * حول جهنم جائين على ركبهم لما يدهمهم

من هول المطلاع أولانه
من توابع التوافق للحساب
قبل التوصل الى الثواب
والعقاب فان أهل الموقف
جائون كما ينطق به قوله
تعالى وتري كل أمة جاثية
على ما هو المعتاد في مواقف
التقاول وان كان المراد
بالإنسان الكفرة فلهام
يسافون من الموقف
الى شاطئ جهنم جثاة
أهانة بهم أو لعجزهم
عن القيام لما اعتزاهم
من الشدة (ثم لننظر من كل
شعبة) أي من كل
أمة شاعت ديناً من الأديان
(أيهم أشد على الرحمن
حقاً) أي من كان منهم
أعصى وأعتى فطرحتهم
فيها وفي ذكر الأشد تنبيه على
انه تعالى يعفو عن بعض من
أهل العصيان وعلى تقدير
تفسير الإنسان بالكفرة
فاللعني انما يميز من كل طائفة
منهم أعصاهم فأعصاهم
وأعتاهم فأعتاهم
فطرحتهم في النار
على الترتيب أو تدخل
كل منهم طبقة من اللاتفة
وأيهم مبنى على الضم
عند سيبويه لان حقه
أن يبنى كسائر الموصو

ما يخصه من العبادة (وأما الثاني) فهو أنه عليه السلام كان اذا وعد الناس بشئ أنجز
وعده فآله تعالى وصفه بهذا الخلق الشر يف وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وعد
صاحباه أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وأيضاً وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى به
حيث قال سجدني ان شاء الله من الصابرين وروى ان عيسى عليه السلام قال له رجل
انتظرنى حتى آتيك فقال عيسى عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد فجاء الحاجة
الى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هنالك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه وعد رجلاً ونسى ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل
الشعبى عن الرجل يعد ميعاداً الى أى وقت ينتظره فقال ان واعده نهاراً فكل النهار وان
واعده ليلاً فكل الليل وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة
فانتظره الى وقت صلاة أخرى (وثانيها) قوله وكان رسولاً نبياً وقدم تفسيره (وثالثها)
قوله وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة والا قرب في الأهل ان المراد به من يلزمه أن يؤدى
اليه الشرع فيدخل فيه كل امته من حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة هذا
اذا حل الأمر على المفروض من الصلاة والزكاة فان حل على التذب فيهما كان المراد
انه كما كان يشهد بالليل يأمر أهله أى من كان في داره في ذلك الوقت بذلك وكان نظره لهم
في الدين فلب على شفقتهم عليهم في الدين بخلاف ما عليه أكثر الناس وقيل كان يبدأ بأهله
في الأمر بالصلاة والعبادة ليحفظهم قدوة لمن سواهم كما قال تعالى وأندرعشيرتك الاقربين
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها فوأنفسكم وأهليكم ناراً أو أياضاً فهم أحق أن يتصدق
عليهم فوجب أن يكونوا بالاحسان الدينى أولى فاما الزكاة فمن ابن عباس رضي الله عنهما
انها طاعة لله تعالى والاخلاص فكانت تأوله على ما يزكويه الفاعل عند ربه والظاهر انه
اذا قرنت الزكاة الى الصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة وكان يعرف من خاصة أهله
أن يلزمهم الزكاة فبأمرهم بذلك أو يأمرهم أن يتبرعوا بالصدقات على الفقراء (ورابعها)
قوله وكان عند ربه مرضياً وهو في نهاية المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته
بأعلى الدرجات (القصة السادسة) قصة ادريس عليه السلام * قوله تعالى (واذ كرفي
الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) اعلم ان ادريس عليه السلام
هو جد أبي نوح عليه السلام وهو نوح بن ملك متوشلح بن أخنوخ قيل سمي ادريس
لكثرة دراسته واسمه أخنوخ ووصفه الله تعالى بأمر (أحدها) انه كان صديقاً (وثانيها)
انه كان نبياً وقد تقدم القول فيهما (وثالثها) قوله ورفعناه مكاناً علياً وفيه قولان
(أحدهما) أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ورفعناك ذكرك
فان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم
النجوم والحساب وأول من خاط الشياطين ولبسها وكانوا يلبسون الجلود (الثاني) أن المراد
به الرفعة في المكان الى موضع عال وهذا أولى لان الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة

لكنه أعرب حلاً على كل وبعض لزوم الاضافة واذا حذف صدر صلاته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصو
المحل ينز عن ولذلك قرئ منصوباً ومرفوعاً عند غيره بالابتداء على انه استفهامي وخبره أشد والجملة

محكمة والتقدير لتزعم من كل شعبة الذين يقال لهم أنهم أشد ﴿ ٨١٢ ﴾ أو ملحق عنها لتزعم عن لضمه معنى

في المكان لافي الدرجة ثم اختلفوا فقال بعضهم ان الله رفعه الى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت وقال آخرون بل رفع الى السماء وقبض روحه سأل ابن عباس رضى الله عنهما كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا قال جاءه خليل له من الملائكة فسأله حتى يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فعمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة فاذا ملك الموت يقول بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرآه ملك الموت فقبض روحه هناك واعلم ان الله تعالى انما مدحه بأن رفعه الى السماء لانه جرت العادة أن لا يرفع اليها الا من كان عظيم القدر والمزية ولذلك قال في حق الملائكة ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وههنا آخر القصص ﴿ قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبينا اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا بكيا) اعلم انه تعالى أنعم على كل واحد ممن تقدم ذكره من الانبياء بما يخصه من انشاء ثم جمعهم آخر افعال أولئك الذين أنعم الله عليهم أى بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه وأولئك اشارة الى المذكورين في السورة من اذن زكريا الى ادريس ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بأنهم من ذرية من حمل مع نوح والذي يخص بأنه من ذرية آدم دون من حمل مع نوح هو ادريس عليه السلام فقد كان سابقا على نوح على ما ثبت في الاخبار والذين هم من ذرية من حمل مع نوح هو ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح واسمعييل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بأنهم من ولد اسرائيل أى يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الامم فرتب الله سبحانه وتعالى أحوال الانبياء عليهم السلام الذين ذكرهم على هذا الترتيب منبهة بذلك على انهم كما فضلوا بأعمالهم فليهم مزيد في الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم من هدينا واجتبينا منبهة بذلك على انهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم ولانه اختارهم للرسالة ثم قال اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا بكيا تتلى عليهم أى على هؤلاء الانبياء فيبين تعالى انهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آيات الله يخرون سجدوا بكيا خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا والمراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم وقال ابو مسلم المراد بالآيات التي فيها ذكر العذاب المنزل بالكفار وهو بعيد لان سائر الآيات التي فيها ذكر الجنة والنار الى غير ذلك أولى أن يسجدوا عنده ويكسوا فيجب حمله على كل آية تتلى بما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب لان كل ذلك اذا فكر فيه المتفكر صرح أن يسجد عنده وأن يركعوا واختلفوا فقال بعضهم في السجود انه الصلاة وقال بعضهم المراد بسجود التلاوة على حسب ما تعبدنا به وقيل المراد بالخضوع والخشوع والظاهر يقتضي سجودا مخصوصا عند التلاوة ثم يحتمل أن يكون المراد بسجود التلاوة

التغير اللازم للعلم
أومستأنفوا الفعل واقع
على كل شعبة على زيادة
من أو على معنى لتزعم
بعض كل شعبة كقوله تعالى
وههنا لهم من
رحمتنا وعلى البيان
فيعلق بمحذوف كان
سائلا قال على من عتوا
قبل على الرحمن أو متعلق
بافعل وكذا الباء في قوله
تعالى (ثم لنحن أعلم
بالذين هم أولى بها صليا)
أى هم أولى بصليها
أو صليهم أولى بالنار وهم
المنقرعون ويجوز
أن يراد بهم وبأشدهم
عتبار وساء الشيع فان
عذابهم مضاعف لاضلالهم
واضلالهم والصلى كالغنى
صيغة واعلا لا وقرئ
بضم الصاد (وان منكم)
الغفات لظهار مزيد
الاعتناء بمضمون الكلام
وقيل هو خطاب للناس
من غير الغفات الى المذكور
وبوبد الاول انه قرئ
وان منهم أى ما منكم أيها
الانسان (الاوردها)
أى واصلها وحاضر دونها
يعربها المؤمنون وهى
خامدة وتتهار بغيرهم

وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم بعض أليس قد وعدنا ﴿ القرآن ﴾ ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وأما قوله تعالى أولئك عندهم ابدون فالمراد به الابداد عن عذابها

وقيل وزودها الجواز على الصراط الممدود ﴿٨١٣﴾ عليها (كان) أو ردهم إياها (على ربك حتما مضيا) أي أمرا

محموما أو وجهه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقبل أقسم عليه (ثم تنجي الذين اتقوا) الكفر والمعاصي بما كانوا عليه من حال الجنو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرئ تنجي بالتخفيف وينجي وينجي على البناء للمفعول وقرئ ثمة تنجي بفتح الهمزة أي هناك نجيمهم (ونذرا للظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها جنبا) منهارا بهم كما كانوا قبل فيه دليل على أن المراد بالورود الجنو وحواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد نجاحهم حولها وبلقي الفجرة فيها على هياتهم وقوله تعالى (وإذا تنلى عليهم) الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة ما لهم أي وإذا تنلى على المشركين (آياتنا) التي من جلالها تترك الآيات الناطقة بحسن حال

للقرآن ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيفعلون ذلك لالاجل ذكر السجود في الآية قال الزجاج في بكيا جمع بك مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ثم قال الإنسان في حال خروبه لا يكون ساجدا فالمراد خروا مقدرين للسجود ومن قال في بكيا أنه مصدر فقد أخطأ لأن سجدا جمع ساجدو بكيا معطوف عليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا عن صالح المري قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابكوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة سبحان فلا تنجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن نزل بحزن فافروء بحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرورت عين به بناء الاحرم الله على النار جسدها وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يبلغ النار من بكى من خشية الله وقال العلماء يدعو في سجود التلاوة بما يليق بها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمديك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكرين اليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه السجدة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكرين عند تلاوة آيات كتابك * قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) الامن تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (اعلم أنه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنافي الناسي بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف وظاهر الكلام أن المراد من بعدهم هؤلاء الانبياء خلف من أولادهم يقال خلفه إذا أعقبه ثم قيل في عقب الخلف بفتح اللام وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخبر ووعد في ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر للبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ثم وصفهم باضاعة الصلاة واتباع الشهوات فاضاعة الصلاة في مقابلة قوله خروا وسجدا واتباع الشهوات في مقابلة قوله وبكيا لأن بكاءهم يدل على خوفهم واتباع هؤلاء لشهواتهم يدل على عدم الخوف لهم وظاهر قوله أضاعوا الصلاة تركوها لكن تركها قد يكون بأن لاتفعل أصلا وقد يكون بأن لاتفعل في وقتها وإن كان الاظهر هو الاول وأما اتباع الشهوات فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الأب واحتج بعضهم بقوله الامن تاب وآمن على أن تارك الصلاة كافر واحتج أصحابنا بها في أن الإيمان غير العمل لأنه تعالى قال وآمن وعمل صالحا فطف العمل على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه أجاب الكعبي عنه بأنه تعالى فرق بين التوبة والإيمان والتوبة من الإيمان فكذلك العمل الصالح يكون

المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى (بينات) أي مر ثلاث الالفاظ مبيات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول عليه الصلاة والسلام أو بينات الانحياز حال مؤكدة من آياتنا (قال الذين كفروا) أي قالوا

ووضع الوصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا ﴿ ٨١٤ ﴾ كافرين بما ينشئ عليهم رادين له أو قال الذين

مردوا منهم على الكفر
ومرتوا على العترة العناد
وهم النضر بن الحرث
واتباعه الفجرة واللام
في قوله تعالى (الذين آمنوا)
للتبليغ كافي مثل قوله
تعالى وقال لهم نبيهم
وقيل لام الاجل كافي
قوله تعالى وقال الذين
كفروا الذين آمنوا لو كان
خبرا ماسبقونا اليه أى
قالوا الاجلهم وفي حقهم
والاول هو الاول لان
قولهم ليس في حق
المؤمنين قط كما ينطق به
قوله تعالى (أى الفريقين)
أى المؤمنين والكافرين
كانهم قالوا (ينا خبر)
نحن أو أنتم (مقاما) أى
مكانا وقرئ بضم الميم
أى موضع إقامة ومثلا
(وأحسن ندبا) أى
مجلسا ومجتمعا يروى
انهم كانوا يركبون
شعورهم ويدهنونها
ويتطيبون ويترنون
بازين الفاخرة ثم يقولون
ذلك لفقراء المؤمنين
يريدون بذلك أن خيرتهم
جلا أو أحسنيتهم مثلا
لا يقبل الانتكار وأن
ذلك لكرامتهم على الله

سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعفة وأن من ضرورته ﴿ في ﴾
هو ان المؤمنين عليه تعالى تصور حفظهم العاجل وما هذا

القياس العقيم والراي السقيم الالكونهم * ٨١٥ * جملة لا يعلون الاظهارا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم

من العلم فرد عليهم
ذلك من جهته تعالى
بقوله (وكم أهلكنا
قبلهم من قرن هم
أحسن أنا وأربنا)
أي كثيرا من القرون
التي كانت أفضل منهم
فيما يقفرون به
من الحطوط النبوية
كعاد وثمود واضرابهم
من الامم العاتية قبل
هؤلاء أهلكناهم
بفتون العذاب ولولا كان
ما آتيناهم لكرامتهم
علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا
وفيه من التهديد
والوعيد ما لا يخفى
كانه قيل فليتنظر
هؤلاء أيضا مثل ذلك
فكم مفعول أهلكنا
ومن قرن يان لا يهاهما
وأهل كل عصر قرن
لمن بعدهم لانهم
يتقدمونهم مأخوذ
من قرن الدابة وهو
مقدمها وقوله تعالى
هم أحسن أنا وأربنا في حيز
النصب على انه صفة
لهم وأنا تمييز النسبة
وهو متاع البيت وقيل
هو ما جدمه والخرن
مالبس منه ورث والري

في القلوب (وثانيها) قوله لا يسمعون فيها لغوا الاسلاما واللغو من الكلام ما سبيله ان يلقى
ويطرح وهو المنكر من القول ونظيره قوله لا تسمع فيها لاغية وفيه تنبيه ظاهر على
وجوب تجنب اللغو حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله
واذا هم وباللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أما قوله الاسلاما ففقيه بحثان (الاول) ان فيه
اشكالا وهو ان السلام ليس من جنس اللغو فكيف استثنى السلام من اللغو والجواب
عنه من وجوه (أحدها) ان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وأهل الجنة لا حاجة بهم
الى هذا الدعاء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الأكرام
(وثانيها) ان يحمل ذلك على الاستثناء المنقطع (وثالثها) أن يكون هذا من جنس
قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(البحث الثاني) ان ذلك السلام يحتمل أن يكون من سلام بعضهم على بعض أو من تسليم
الملائكة أو من تسليم الله تعالى على ما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فتم عقيب الدار وقوله سلام قولان من رب رحيم (ورابعها) قوله تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشا وفيه سؤالان (السؤال الاول) ان المقصود من هذه الآيات
وصف الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشا ليس من الامور
المتعظمة والجواب من وجهين (الاول) قال الحسن أراد الله تعالى ان يرغب كل قوم
بما أحبه في الدنيا ولذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة
العجم والارائك التي هي الجمال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف العرب
في اليمن ولا شيء كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك (الثاني) ان
المراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشا تريد الدوام
ولا تقصد الوقوف المعلومين (السؤال الثاني) قال تعالى لا يرون فيها شمس ولا زمهريرا
وقال عليه السلام لا صباح عند ربك ولا مساء وبكرة والعشى لا يوجدان الا عند
وجود الصباح والمساء (والجواب) المراد انهم يأكلون عند مقدار الغداة والعشى الا أنه
ليس في الجنة غدوة وعشى اذ لا ليل فيها ويحتمل ما قيل انه تعالى جعل لقدر اليوم علامة
يعرفون بها مقادير الغداة والعشى ويحتمل أن يكون المراد لهم رزقهم متى شاؤا كما جرت
العادة في الغداة والعشى (وخامسها) قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
وفيه إجماع (الاول) قوله تلك الجنة هذه الاشارة انما صححت لان الجنة غائية (وثانيها)
ذكروا في نورث وجوها (الاول) نورث استعارة أي نبي عليه الجنة كما نبي على الوارث
مال المورث (الثاني) ان المراد اننا ننقل تلك المنازل من لو أطاع لك انت له الى عبادنا الذين
اتقوا ربه فجعل هذا النقل ارثا قاله الحسن (الثالث) ان الاتقياء يلقون ربه

المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرى ر ياعلى قلب الهمة ياء وادغامها أو على انه من الرى وهو النعمة
والترفة وقرى ر ياء على القلب وور ياء تحذف الهمة ووز ياء لراى المجمة من الرى وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة

(قل من كان في الضلالة فليمدله الرحمن مدا) لما بين عاقبة أمر الامم ﴿ ٨١٦ ﴾ المهلكة مع ما كان لهم من التمتع

بفنون الخطوط العاجلة
أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأن يجيب
هو لاء المفترين بما لهم
من الخطوط ببيان مال
أمر الفريقين اما على
وجه كل من تناول لهم
ولغيرهم من المنهمكين
في اللذة الغالبة المتهمجين
بها على أن من على عمومها
واما على وجه خاص
بهم على أنها عبارة
عنهم ووصفهم بالمكن
لذتهم والاشعار بعبادة
الحكم أي من كان مستقرا
في الضلالة مغمورا بالجهل
والغفلة عن عواقب
الامور فليمدله الرحمن
أي يمدله ويمهله بطول
العمر واعطاء المال والتكئين
من التصرفات واخراجهم
على صيغة الامر للايدان
بان ذلك مما ينبغي أن يفعل
بموجب الحكمة لقطع
المعاذير كما ينبغي عنه قوله
عز وجل أولم نعمركم
ما يتذكرون فيه من تذكرة
أول الاستدراج كما ينطق
به قوله تعالى انما على لهم
ليزادوا والثا وقيل المراد
به الداء بالمد والتفيس
واعتبار الاستقرار

يوم القيامة وقد انقضت اعمالهم وثمراتها باقية وهي الجنة فاذا أدخلهم الجنة فقد أوردتهم
من تقواهم كما يرث الوارث المال من التوفى (ورابعها) معنى من كان تقيا من تمسك باتقاء
معاصيه وجعله عادته واتقى ترك الواجبات قال القاضي فيه دلالة على ان الجنة تخص
بدخلها من كان متقيا والفاسق المرتكب للكبائر لا يوصف بذلك والجواب الآية تدل
على أن المتقي يدخلها وليس فيها دلالة على أن غير المتقي لا يدخلها وأيضا فصاحب الكبيرة
متقى عن الكفر ومن صدق عليه انه متقى عن الكفر فقد صدق عليه انه متقى لان المتقي جزء
من مفهوم قولنا المتقى عن الكفر واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متقى وجب
أن يدخل تحتها فلا ية بان تدل على ان صاحب الكبيرة يدخل الجنة أولى من أن تدل على
أن لا يدخلها * قوله تعالى (وما ننزل الا بالامر بك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيار السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له
سميا) اعلم ان في الآية اشكالا وهو ان قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
كلام الله وقوله وما ننزل الا بالامر بك كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله
من غير فصل والجواب انه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يمتنع كما أن قوله سبحانه اذ قضى أمرا
فانما يقول له كن فيكون هو كلام الله وقوله وان الله ربكم كلام غير الله وأحدهما
معطوف على الآخر واعلم ان ظاهر قوله تعالى وما ننزل الا بالامر بك خطاب جماعة
لواحد وذلك لا يليق الا باللائكة الذين يترأون على الرسول ويحتمل في سببه ما روى ان
قريش ابعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل
يجدون في كتابهم فسألوا النصاري فرعوا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجد في كتابنا
وهذا زمانه وقد سألنا رجن ايامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسألوه عنهم فان أخبركم
بخصلتين منهما فاتبعوه فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح
قال فجاءوا فاسألوه عن ذلك فلم يدرك كيف يجب فوعدهم ان يجيبهم بعد ذلك ولم يقل ان شاء
الله فاحتبس الوحى عنه أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاء ففزع جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم أبطأت عني حتى ساء ظني واشقت اليك قال اني كنت أشوق ولكني عبد مأمور
اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى هذه الآية وأنزل قوله ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وسورة الضحى ثم اكادوا ذلك بقولهم له ما بين أيدينا
وما خلفنا أي هو المديرننا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وما بينهما أو الدنيا
والآخرة وما بينهما فانه يعلم اصلاح التدبير مستقبلا وماضيا وما بينهما والقرض ان
أمرنا موكول الى الله تعالى يتصرف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لا اعتراض
لاحد عليه فيه وقال أبو مسلم قوله وما ننزل الا بالامر بك يجوز أن يكون قول أهل الجنة
والمراد وما ننزل الجنة الا بالامر بك له ما بين أيدينا أي في الجنة مستقبلا وما خلفنا

في الضلالة لما أن المد لا يكون الا للصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان ﴿ مما ﴾
الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى (حتى اذا رآوا ما يوعدون) غاية للدائم لا قول

المتفخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات ﴿ ٨١٧ ﴾ وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لو وقع في حيز

جواب اذا وجع الضمير في
الفعلين باعتبار معنى من
كأن الافراد في الضمير
الاولين باعتبار افعالها
وقوله تعالى (اما العذاب
واما الساعة) تفصيل
للعود بدل منه على سبيل
البدل فانه اما العذاب
الذي يوقى بالمسلمين
واستقبالهم عليهم
وتعذيبهم اياهم قتلا
وأسرا وما يوم القيامة
وما ناله من الخزي
والنكال على طريقه منع
الخلود دون منع الجمع
فان العذاب الاخرى
لا ينقذ عنهم بحال
وقوله تعالى (فسيملون)
جواب الشرط والجملة
محمكة بهد حتى أى حتى
اذا عاينوا ما يوعدون
من العذاب الذي يوقى
والاخرى فقط فسيملون
حينئذ (من هو شر مكانا)
من القرنيين بان يشاهدوا
الامر على عكس ما كانوا
يقدرونه فيعلمون انهم
شر مكانا لا خير مقاما
(وأضعف جندا) أى
قوة وأنصار الأحسن
ندبا كما كانوا يدعونونه وليس
المراد أن له ثمة جندا
ضعفاء كلا ولم تكن له

مما كان في الدنيا وما بين ذلك أى ما بين الوقتين وما كان ربك نسيا لشيء مما خلق فيترك
اعادته لانه عالم الغيب لا يعرب عنه مثقال ذرة وقوله وما كان ربك نسيا ابتداء كلام منه
تعالى في مخاطبة الرسول صلى الله وسلم ويتصل به رب السموات والارض أى بل هو
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده قال الفاضل وهذا مخالف للظاهر من وجوه
(أحدها) ان ظاهر النزول نزول الملائكة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله بأمر ربك
وظاهر الامر بحال التكليف أليق (وثانيها) انه خطاب من جماعة لواحد وذلك لا يليق
بمخاطبة بعضهم لبعض في الجنة (وثالثها) ان ما في سياق من قوله وما كان ربك نسيا رب
السموات والارض وما بينهما لا يليق بالبحال التكليف ولا يوصف به الرسول صلى الله
عليه وسلم فكأنهم قالوا للرسول وما كان ربك يا محمد نسيا يجوز عليه السهو وحتى يضرك
ابطاؤنا بالنزول عليك الى مثل ذلك ثم ههنا أبحاث (البحث الاول) قال صاحب الكشف
النزول على معنيين (أحدهما) النزول على مهل (والثاني) بمعنى النزول على الاطلاق
والدليل عليه انه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدرج والثاني
بمثل هذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحياء وقتا بعد وقت ليس الا
بأمر الله تعالى (البحث الثاني) ذكر وافي قوله ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وجوها
(أحدها) له ما قد منا وما خلفنا من الجهات وما نحن فيه فلا نملك أن ننقل من جهة
الى جهة ومن مكان الى مكان الأبا مره ومشيتته فليس لنا أن نقب من السماء الى
الارض الأبا مره (وثانيها) له ما بين أيدينا ما سلف من أمر الدنيا وما خلفنا ما يستقبل
من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين المتفخرين وهو أربعون سنة (وثالثها) ما مضى
من أعمارنا وما غير من ذلك والحال التي نحن فيها (ورابعها) ما قبل وجودنا وما
بعد فأنشأ (وخامسها) الارض التي بين أيدينا اذ انزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء
والارض وعلى كل التقدير ان المقصود انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يهرب
عنه مثقال ذرة فكيف تقدم على فعل الأبا مره وحكمه (البحث الثالث) قوله وما كان
ربك نسيا أى تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أى ما كان امتناع النزول الا
لامتناع الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك أما قوله رب السموات
والارض وما بينهما فالمراد ان من يكون ربها أجمع لا يجوز عليه النسيان اذ لا بد من
أن يحسبها حاله بعد حال والابطال الامر فيهما وفيه يتصرف فيهما واحتج أصحابنا بهذه
الآية على ان فعل العبد خلق الله تعالى لان فعل العبد حاصل بين السماء والارض والآية
دالة على انه رب لكل شيء حصل بينهما قال صاحب الكشف رب السموات والارض
بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو رب السموات والارض فاعبده
واصطبر لعبادته فهو أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالعبادة والمصابرة على مشاق
التكاليف في الاداء والابلاغ وفيما يخصه من العبادة فان قيل لم لم يقل واصطبر على عبادته

قوة ينصرفونه من دون الله وما كان ﴿ ١٠٣ ﴾ خا منتصرا وانما ذكر ذلك رد لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من
الاعيان وأنصارا من الاخبار

ويتفخرون بذلك في الاندية والمحافل (وزيد الله الذين * ٨١٨ * اهتدوا هدى) كلام مستأنف سبق لبيان

بل قال واصطبر لعبادته قلنا لان العبادات جعلت بمنزلة القرن في قولك للحجارب اصطبر
لقرنك أى اثبت له فيما يورد عليك من شداته والمعنى ان العبادات تورد عليك شداً
ومشاق فاثبت لها ولا تنه ولا يضيض صدرك من لقاء أهل الكتاب اليك الاغاليط عن
احتباس الوحى عنك مدة وشماتة المشركين بك أما قوله تعالى هل تعلم له سميافالظاهر يدل
على انه تعالى جعل علم الامر بالعبادة والامر بالمصاهرة عليهما انه لاسمى له والاقر هو كونه
منعماً بأصول النعم وفر وعها وهى خلق الاجسام والحياة والعقل وغير هافانه لا يقدر
على ذلك أحدسواه سبحانه فاذا كان هو قد أنعم عليك بغاية الانعام وجب ان تعظمه
بغاية التعظيم وهى العبادات ومن الناس من قال المراد انه سبحانه ليس له شريك فى اسمه
وبينوا ذلك من وجهين (الاول) انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن فأطلقوا
لفظ الله على شئ سواه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسمى بالرحمن غيره (الثانى)
هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل فى كونها غير
معتبر بها كالتسمية و القول الاول هو الصواب والله أعلم * قوله تعالى (ويقول
الانسان أنى ائذامات اسوف أخرج حياً ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً
فور بك التحشرنهم والشياطين ثم التحضرنهم حول جهنم جثائم لئلا نعن من كل شيعه أنهم
أشد على الرحمن عتياً ثم نحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) اعلم انه تعالى لما أمر بالعبادة
والمصاهرة عليهما فكأن سائلاً وقال هذه العبادات لامتفعة فيهما فى الدنيا وأما فى
الآخرة فقتلنا نكرها قوم فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان الاشتغال
بالعبادة مفيد فلماذا حصى الله تعالى قول منكبرى الحشر فقال ويقول الانسان أنى ائذ
امات اسوف أخرج حياً وانما قالوا ذلك على وجه الانتكار والاستبعاد وذكرنا
فى الانسان وجهين (أحدهما) أن يكون المراد الجنس بأسره فان قيل كلهم غير قائلين
بذلك فكيف يصح هذا القول قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان هذه المقالة لما كانت
موجودة فيما هو من جنسهم صح استنادها الى جميعهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وانما
القاتل رجل منهم (والثانى) ان هذا الاستبعاد موجود ابتداء فى طبع كل أحد الآن
بعضهم ترك ذلك الاستبعاد المبني على محض الطبع بالدلالة القاطعة التى قامت على صحة
القول به (الثانى) ان المراد بالانسان شخص معين فقبل هو أبوجهل وقبل هو أبى بن خلف
وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث ثم ان الله تعالى أقام الدلالة على صحة
البعث بقوله أولاً لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً والقراء كلهم على يذكر
بالتشديد الانافعا وابن عامر وعاصم قد خففوا أى أولاً لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل
واذا قرئ أولاً لا يذكر فهو أقرب الى المراد اذا الغرض التفكير والنظر فى انه اذا خلق من
قبل لا من شئ فجاء أن بعدا ثانياً قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة فى
البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها اذ لا شك ان الاعادة ثانياً أهون من اليجاد

حال المهتدين اثر بيان
حال الضالين وقيل
عطف على فليد
لانه فى معنى الخبر حسبا
عرفته كأنه قيل من كان
فى الضلالة يمد الله ويزيد
المهتدين هداية كقوله
تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وقيل
عطف على الشرطية
المحكىة بعد القول كأنه
لما بين أن امهال الكافر
وتمتعه بالحياة ليس لفضله
عقب ذلك بيان أن
قصور حظ المؤمن
منها ليس لنقصه بل
لانه تعالى أراد به ما هو
خير من ذلك وقوله
تعالى (والباقيات
الصالحات خير) على
تقديرى الاستئناف
والعطف كلام مستأنف
وارد من جهة تعالى
بيان فضل اعمال
المهتدين غير داخل
فى حيز الكلام الملقن
لقوله تعالى (عند ربك)
أى الطاعات التى تبنى
فوائدها وتدوم عوائدها
ومن جعلتها ما قيل
من الصلوات الخمس
وما قيل من قول سبحانه الله

والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه * ولا
عليه السلام (نوبا) أى عائدة بما يتعم به الكفر من النعم المخذجة الغائبة التى يتفخرون بها لاسيما وما لها

لنعم المقيم وما ل هذه الحسرة السرمدية والعذاب ٨١٩ الالم كما أشير إليه بقوله تعالى (وخير مراد) أي مرجعا وطائفة

ونكر بالخبر لئلا يعتناء
ببيان الخيرية وتأكيدها
وفي التفصيل مع أن
مال الكفرة بمعدل من أن
يكون له خبرية في العاقبة
تهكم بهم (أفرأيت
الذي كفر بآياتنا) أي
بآياتنا التي من جللتها
آيات البعث نزلت في العاص
بن وائل كان خلابا بن
بن الارت عليه مال
فاقتضاه فقال لا حتى
تكفر بمحمد قال لا والله
لا أكفر به حيا ولا ميتا
ولاحين بعثت قال فاذا
بعثت جثتي فيكون لي
ثمرة مال وولد فاعطيك
وفي رواية قال لا أكفر به
حتى يميتك ثم تبعث
فقال اني لبيت ثم مبعوث
قال نعم قال دعني حتى
أموت وأبعث فساوتني
بالاو ولد افا قضيت فزلت
فالهجرة للنجيب من حاله
والايدان بانها من الغرابة
والسنة بحيث يجب
أن ترى ويقضى منها
العجب ومن فرق بين
المتر وأرأيت بعد بيان
استراكمها في الاستعمال
لقصد التعجب بان الاول
يعلق بنفس المتعجب منه

أولا ونظيره قوله قل يحییها الذي أنشأها أول مرة وقوله وهو الذي بدأ الخلق ثم بعده وهو
أهون عليه واحتج أصحابنا بهذه الآية على ان المدوم ليس بشئ وهو ضعيف لان
الانسان عبارة عن مجموع جواهر متألفة قامت بها اعراض وهذا المجموع ما كان شيئا
ولكن لم قلت ان كل واحد من تلك الاجزاء ما كان شيئا قبل كونه موجودا فان قيل كيف
أمر تعالى الانسان بالذكر مع ان الذكر هو العلم بما قد علمه من قبل ثم تخلاها سهر قلنا
المراد أولا يتفكر فيعلم خصوصا اذا قرئ أولا يذكر الانسان بالتشديد أما اذا قرئ أولا
يذكر بالتخفيف فالمراد أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا
ثم صار حيا ثم انه سبحانه لما قرر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من وجوه (أحدها) قوله
فودك لتحشرنهم والشياطين وفائدة القسم أمران (أحدهما) ان العادة جارية بنا كيد
الخبر باليمين (والثاني) ان في اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى اسم رسوله صلى الله عليه
وسلم نفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ورفع منه كإرفع من شأن السماء والارض في قوله
فورب السماء والارض انه لخلق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وأن
تكون بمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين أغوهم فبقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (وثانيها) قوله ثم لتحضرنهم حول
جهنم جثيا وهذا الاحضار يكون قبل ادخالهم جهنم ثم انه تعالى يحضرهم على أذل
صورة اقله تعالى جثيا لان البارك على ركبته صورته صورة الدليل أو صورته صورة
العاجز فان قيل هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية والسبب فيه
جريان العادة ان الناس في موافق المطالبات من الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك
من الاستنطار والقلق أولا يدهمهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معه القيام على
أرجلهم واذا كان هذا عاما للكل فكيف يدل على من يبدل الكفار قلنا لعل المراد أنهم
يكونون من وقت الحشر الى وقت الحضور في الموقف على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد
الدل في حقهم (وثالثها) قوله ثم لنزغن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا والمراد
بالشيعة وهي فلاة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويها من الغواية قال تعالى
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا والمراد انه تعالى يحضرهم أولا حول جهنم جثيا ثم يميز
البعض من البعض فمن كان أشدهم تردا في كفره خص بهذاب أعظم لان عذاب المضال
المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره وليس عذاب من يتردد ويجبر
كعذاب المقلد وليس عذاب من يورد الشبهة في الباطل كعذاب من يقتدي به مع الغفلة
قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وقال ولنجعلن أنفُسَهم وأنفُسَهم مع أنفُسَهم فبين تعالى انه يميز عن كل فرقة
من كان أشدهم تردا ليعلم ان عذابه أشد ففائدة هذا التمييز التخصيص بشدة
العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها

فيقال ألم ترالى الذي صنع كذابا معني انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذي
صنع كذابا معني انه من الغرابة بحيث

لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء وكانه ذهب (٨٢٠) عليه قوله عز وجل أرايت الذي يكذب بالدين والفاء

صلبا ولا يقال أولى الامع اشتراك القوم في العذاب واختلقوا في اعراب أيهم فمن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لنزع الذين يقال فيهم أيهم أشد سبوا به على انه مبنى على الضم استوسط صدر الجملة التي هي صلة حتى لوجب به لأعرب وقيل أيهم هو أشد * قوله تعالى (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) واعلم انه تعالى لما قال من قبل فور بك لتحشرهم والشياطين ثم قال ثم يحضرهم حول جهنم أردفه بقوله وان منكم الاواردها يعني جهنم واختلقوا فقال بعضهم المراد من تقدم ذكره من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة قالوا انه لا يجوز للمؤمنين أن يردوا النار ويدل عليه أمور (أحدها) قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم من الحسنى أو لك عنهما بعدون والمبعد عنها لا يوصف بانه واردها (والثاني) قوله لا يسمون حسيبها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيبها (وثالثها) قوله وهم من فرع يومئذ آمنون وقال الا كثرون انه عام في كل مؤمن وكافر لقوله تعالى وان منكم الاواردها فلم يخص وهذا الخطاب مبتدأ مخالف للخطاب الاول ويدل عليه قوله ثم نجى الذين اتقوا أي من الواردين من اتقى ولا يجوز أن يقال ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا الا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول ثم هؤلاء اختلفوا في تفسير الورود فقال بعضهم الورود الدخول في جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة واحتجوا على ان الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى فأرسلوا واردهم ومعلوم ان ذلك الوارد ما دخل الماء وقال تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون وادار به القرب ويقال وردت القافلة البلدة وان لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية ان الجن والانس يحضرون حول جهنم كان على ربك حتما مقضيا أي واجبا مفرغا منه بحكم الوعيد ثم نجى أي بعد الذين اتقوا عن جهنم وهو المراد من قوله تعالى أولئك عنها مبعدون ومما يؤيد هذا القول ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الاواردها فقال عليه السلام فقه ثم نجى الذين اتقوا ولو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازما (القول الثاني) ان الورود هو الدخول ويدل عليه الآية والخبر (أما الآية) فقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصص جهنم أنتم لها واردون وقال فاوردكم النار وبئس الورد المورد ويدل عليه قوله تعالى أولئك عنها مبعدون والمبعد هو الذي لولا التباعد لكان قريبا فهذا انما يحصل لو كانوا في النار ثم انه تعالى يبعدهم عنها ويدل عليه قوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا يدل على أنهم يبقون في ذلك الموضع الذي وردوه وهم انما يبقون في النار فلا بد أن يكونوا قد دخلوا النار (وأما الخبر) فهو أن عبدا لله بن رواحة قال أخبر الله عن الورود ولم يخبر بالصدور فقال عليه السلام يا بن رواحة أقرأ ما بعد هاتم تجي الذين اتقوا وذلك يدل على ان ابن رواحة فهم من الورود الدخول والنبي صلى الله

للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله (لاوتين) في الآخرة (ملا وولدا) أي انظر اليه فتعجب من حاله البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستعده جزالة النظم الكريم وقد قيل ان أرايت بمعنى أخبروا القاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أي الفريقين خير مقام الآية وأنت خير بان المشهور استعمال أرايت في معنى أخبرني بطريق الاستفهام جارا على أصله أو مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار غيره وقرئ ولدا على انه جمع ولدك اسد جمع أسد أو على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى (أطلم الغيب) رد لكلمته الشعاء واظهارا لبطانها اثر ما أشير اليه بالتعجب

منها أي أقدم من عظمة الشان الى أن ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير حتى ادعى عليه * أن يؤتى في الآخرة ملا وولدا أو قسم عليه

(أمأخذ عند الرحمن عهدا) بذلك فانه ٨٢١ لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان

الرجانية للاشعار بعلية
الرجة لايتاء ما يدعيه
وقبل المهدكة الشهادة
وقيل العمل الصالح
فان وعده تعالى بالثواب
عليهما كالمهد وهذا
مجاراة مع العين بحسب
منطوق مقالة كان كلامه
مع خباب كان كذلك
وقوله تعالى (كلا) ردع
له عن التفوه بآل العظيمة
وتنبه على خطئه
(سكتب مايقول) أى
سقطه رأنا كتبنا قوله
كقوله * اذا ما انسبنا لم
تلدى لثيمة * أى يذنب أى
لم تلدى لثيمة * أو سنقيم
منه انتقام من كتب
جرمة الجاني وحفظها
عليه فان نفس الكتبة
لا تكاد تخرج عن القول
لقوله عز وعلاما يلفظ
من قول الالديه رقيب
عند غيبي الاول تنزيل
اظهار الشئ الخفى منزلة
احداث الامر المعلوم
بجماع أن كلا منهما
اخراج من السكون الى
البروز فيكون استعارة
تبعية مبنية على تشبيه
اظهار الكتابة على
رؤس الاشهاد باحداثها

عليه وسلم ما أنكر عليه في ذلك وعن جابر انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون
على المؤمنين بردا وسلاما حتى ان الناس ضيغها من بردها واقائلون بهذا القول
يقولون المؤمنون يدخلون النار من غير خوف وضرر البتة بل مع الغبطة والسرور
وذلك لان الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يحزنهم الفزع الاكبر ولان الآخرة دار الجزاء
لدار التكليف وايصال النعم والحزن انما يجوز في دار التكليف ولانه صحت الرواية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تبشر في القبر من كان من أهل الثواب
بالجنة حتى يرى مكانه في الجنة ويعلم وكذلك القول في حال المعاناة فكيف يجوز
أن يردوا القيامة وهم شاكون في أمرهم وانما تؤثر هذه الاحوال في أهل النار لانهم
لا يعلمون كونهم من أهل النار والعقاب ثم اختلفوا في انه كيف يندفع عنهم ضرر النار
فقال بعضهم البقرة المسماة بجهنم لا يتسع أن يكون في خلاهما الا نار فيه ويكون من
المواضع التي يسلك فيها الى دركات جهنم واذا كان كذلك لم يتسع أن يدخل الكل في
جهنم فالؤمنون يكونون في تلك المواضع الخالية عن النار والكفار يكونون في وسط
النار (وثانيها) ان الله تعالى يخمد النار فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما يردونها كأنها اهالة وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا بأن نرد
النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة (وثالثها) ان حرارة النار ليس بطبعها
فلاجزاء الملاصقة لأبدان الكفار يجعلها الله عليهم محرقة مؤذية والجزاء الملاصقة
لأبدان المؤمنين يجعلها الله بردا وسلاما عليهم كما في حق ابراهيم عليه السلام وكان
الكوز الواحد من الماء كان يشر به القبطي فكان يصير دماو يشر به الاسرائيلي فكان
يصير ماء عذبا واعلم انه لا بد من أحد هذه الوجوه في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى
يكونوا في النار مع المعاقبين فان قيل اذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما
القائدة في ذلك الدخول قلنا فيه وجوه (أحدها) ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا
الخلاص منه (وثانيها) ان فيه من يدغم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم
أعداؤهم يتخلصون منها وهم يلقون فيها (وثالثها) ان فيه من يدغم على أهل النار من
حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين بل وعند الاولياء وعند من كان يخوفهم من النار فما
كانوا يلتفتون اليه (ورابعها) ان المؤمنين اذا كانوا معهم في النار يكتفونهم فزاد ذلك
غما للكفار وسرورا للمؤمنين (وخامسها) ان المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر
ويقومون عليهم صحة الدلائل فما كانوا يقبلون تلك الدلائل فاذا دخلوا جهنم معهم أظهر وأ
لهم انهم كانوا اصدقاء فيما قالوا وان المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين (وسادسها)
انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سببا لمزيد اذاهم بنعيم الجنة كما قال الشاعر

ومدار الثاني تسمية الشئ باسم سببه فان كتابة جرمة المجرم سبب لعقوبته قطعاً (ونعده من العذاب مدا) مكان ما يدعيه
لنفسه من الامداد بالمال والولد أى نطول له من العذاب ما يستحقه

ر زبده عذابه ونضاعفه لكفره واقرانه على الله سبحانه ﴿ ٨٢٢ ﴾ واستهزأه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر

دلالة على فطر الغضب (وزنه) بموته (ما يقول) أى مسمى ما يقول ومصدقه وهو مأوته في الدنيا من المال والولد وفيه ايدان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكرى نزع عنه ما آتينا (وبآيتنا) يوم القيامة (فردا) لا يصحده مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا أن يوثق ثمة زائدا وقيل نزوى عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه وبآيه معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لاسمعه والمعنى انما يقول هذا القول مادام حيا فاذا قبضناه حللنا بينه وبين ان يقوله وبآيتنا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبنى على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتماد وأنه مستمر على التقويه راج لوقوع مضهونه ولا ريب في أن ذلك مستحيل عن كفر بالبعث وانما قال ما قال طريق الاستهزاء وتعليق

ويضدها تنبيه الاشياء * فاما الذين تمسكوا بقوله تعالى أولئك عندها مبعدون فقد بينا انه أحد ما يدل على الدخول في جهنم وأيضا فالمراد عن عذابه وكذا قوله لا يسمعون حسيبها فان قيل هل ثبت بالاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها الى الجنة قلنا ثبت بالاخبار ان المحاسبة تكون في الارض أو حيث كانت الارض ويدل عليه أيضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء في موضع المحاسبة يكون الاجتماع فبدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم رفع الله أهل الجنة ونجى بهم ويدفع أهل النار فيها * أما قوله كان على ربك حتما مضييا فالحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه فسمى المحتوم بالحتم كقولهم خلق الله وضرب الأمير واحتج من أوجب العقاب عقلا فقال ان قوله كان على ربك حتما مضييا يدل على وجوب مجازة من جهة الوعيد والاخبار لان كلمة على للوجوب والذي ثبت بمجرد الاخبار لا يسمى واجبا والجواب ان وعد الله تعالى لما استحتم تطرق الخلف اليه جرى ومجرى الواجب أما قوله ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فى جهنم ونجى ونجى على ما لم يسم فاعله قال القاضى الآية دالة على قولنا في الوعيد لان الله تعالى بين ان الكل يردونهم بين صفة من نجوا وهم الموقنون والفاسق لا يكون متقيا ثم بين تعالى ان من عاد المتقين يذره فيها جسيا فثبت ان الفاسق يبقى في النار أبدا قال ابن عباس المتقى هو الذى اتقى الشرك بقول لاله الا الله واعلم أن الذى قاله ابن عباس هو الحق الذى يشهد الدليل بحتمه وذلك لان من آمن بالله وبرسله صح أن يقال انه متقى عن الشرك ومن صدق عليه انه متقى عن الشرك صدق عليه انه متقى لان المتقى جزء من المتقى عن الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متقى واذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار لعموم قوله ثم نجى الذين اتقوا فصارت هذه الآية التي توهموها دليلا من أقوى الدلائل على فساد قولهم قال القاضى وتدل الآية على فساد قول من يقول ان من المكلفين من لا يكون في الجنة ولا في النار قلنا هذا ضعيف لان الآية تدل على انه تعالى ينجى الذين اتقوا وليس فيها ما يدل على انه ينجيهم الى الجنة ثم هب أنها تدل على ذلك ولكن الآية تدل على ان المتقين يكونون في الجنة والظالمين يبقون في النار فيبقى ههنا قسم ثالث خارج عن القسمين وهو الذى استوت طاعته ومعصيته فتنة لكل واحدة منها بالاخرى فيبقى لا مطيعا ولا عاصيا فهذا القسم ان يضل فأنما يضل بشئ سوى هذه الآية فلا تكون هذه الآية دالة على الحصر الذى ادعاه ومن المعتزلة من تمسك في الوعيد بقوله ونذر الظالمين فيها جسيا ولفظ الظالمين لفظ جامع دخل عليه حرف التعريف فيفيد العموم والكلام على التمسك بصنيع العموم قد تقدم مرارا كثيرة في هذا الكتاب أما قوله جسيا قال صاحب الكشف قوله ونذر الظالمين فيها جسيا دليل على ان المراد بالورد الجثو حوالها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد نجاتهم وتبقى

أداء دينه بالحال (وانخذوا من دون الله آلهة) حكاية لجناية عامة لكل مستبعدة اضداد يرجون ترتبه ﴿ الكفرة ﴾ عليها اثر حكاية مقالة الكافر المجهود واستباعتها ليقض مضمونها أى اتخذوا

الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزاء) ﴿ ٨٢٣ ﴾ أي يستعزوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل

وشفعاء عنده (كلا)

ردع لهم عن ذلك

الاعتقاد الباطل وانكار

لوقوع ما علقوا به

أطبا عنهم الفارغة

(سيكفرون بعبادتهم)

أي ستجحد الالهة

بعبادتهم لم يأن ينطقها

الله تعالى وتقول ما

عبدتمونا وسنكر الكفرة

حين شاهدوا سوء عاقبة

كفرهم بعبادتهم لها

كفا في قوله تعالى والله ربنا

ما كنا مشركين ومعنى

قوله تعالى (ويكونون

عليهم ضدا) على الاول

تكون الالهة التي كانوا

يرجون أن تكون لهم

عزا ضدا للقرآن أي ذلا

وهوانا أو تكون ناعليهم

والله العذاب حيث تجعل

وقود النار وحصب

جهنم أو حيث كانت

عبادتهم لها سبيلا للعذاب

واطلاق الضد على اللون

لأن عون الرجل بضاد

عدوه وينافيه باعائته له

عليه وعلى الثاني يكون

الكفرة ضدا وأعداء

للآلهة كافرين بها

بعد أن كانوا يحبونها

كحب الله ويبذونها

وتوحيد الضد لوحدة

الكفرة في مكانهم جائين * قوله تعالى (وإذا أتتني عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الذين آمنوا أي الفريقين خيرا مقاماً وأحسن ندياً) اعلم أنه تعالى لما أقام الحجة على مشركي قريش المنكرين للبعث اتبعه بالوعيد على ما تقدم ذكره عنهم أنهم عارضوا حجة الله بكلام فقالوا لو كنتم أتتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن وأطيب من حالنا لان الحكم لا يليق به أن يوقف أو يلباه المخلصين في العذاب والنل واعداء المعرضين عن خدمته في العز والراحة ولما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والذل على ان الحق ليس مع المؤمنين هذا حاصل شبهتهم في هذا الباب ونظيره قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه و يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبن ويتزينون بالزيينة الفاخرة ثم يدعون مفخزين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم بنى بحثان (الاول) قوله آياتنا بينات يحتمل وجوها (أحدها) انها من ثلاث الالفاظ مبنات المعاني اما محكمات أو متشابهات فديعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولاً أو فعلاً (وثانيها) انها ظاهرات الانجاز تحدى بها فاقدر واعلى معارضتها (وثالثها) المراد يكونها آيات بينات أي دلائل ظاهرة واضحة لا يتوجه عليها سؤال ولا اعتراض مثل قوله تعالى في آيات صحة الخشع أو لا يذكرا الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (البحث الثاني) قرأ ابن كبره قاسما بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندى المجلس يقال ندى ونادوا بالجمع الاندية ومنه قوله وتأتون في ناديك المنكر وقال فليدع ناديه ويقال ندوت القوم اندوهم اذا جمعهم في المجلس ومنه دار الندوة بمكة وكانت يجتمع القوم ثم أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (وكما أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثا) وتقرر بهذا الجواب أن يقال ان من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وابادهم فلنودل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيبا لله تعالى لوجب في حبيب الله أن لا يوصل اليه غما في الدنيا ووجب عليه أن لا يهلك أحدا من المتعمين في دار الدنيا وحيث أهلكهم دل اما على فساد المقدمة الاولى وهي أن من وجد الدنيا كان حبيبا لله تعالى أو على فساد المقدمة الثانية وهي أن حبيب الله لا يوصل الله اليه غما وعلى كلا التقديرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبهة بقي البحث عن تفسير الالفاظ فيقول أهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى انك لو تركتهم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية والاثام متاع البيت أمارباً فقري على خمسة أوجه لانها اما أن تقرأ بأراء التي ليس فوقها نقطة أو بالزاي التي فوقها نقطة فاما الاول فاما أن يجمع بين الهمزة والياء أو يكتفى بالياء أما اذا جمع بين الهمزة والياء ففيه وجهان (أحدهما) بهمة ساكنة بعدها ياء وهو المنظر والهيئة فل يعنى مفعول من رأيت رباً (والثاني) رباً

الاعنى الذي عليه تدور مضاداتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفهم الكافي والتوئين على قلب الالف نونا في الوقف قلب ألف الاطلاق

* في قوله ألقى اللوم عاقل والعائب * وقول ان أصبت لقد أصابني * (٨٢٤) أو على معنى كل هذا الرأي كلا وقرى كلا على

اضمار فعل بفسره
ما بعده أى سيجحدون
كلا سيكفرون الخ (المتر
أنا أرسلنا الشياطين
على الكافرين) تعجب
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نطق به الآيات
الكريمة السالفة وحكمته
عن هؤلاء الكفرة العتاة
والمرتدة العتاة من فنون
القبايح من الافاويل
والافاعيل والتماضى
فى الغنى والانهماك
فى الضلال والافراط
فى العناد والتصميم على
الكفر من غير صارف
يلو بهم ولا عاطف ينهيم
والاجماع على مدافعة
الحق بعد اتضاحه
وانتفاء الشك عنه بالكيفية
وتنبية على ان جميع ذلك
منهم بالضلال الشياطين
واغواؤهم لالان له سوغا
ما فى الجملة ومعنى ارسال
الشياطين عليهم اما
تسليطهم عليهم
وتمكنهم من اضلالهم
واما تقييدهم لهم وليس
المراد تنجيحهم عليه السلام
من ارسالهم عليهم
كايوهمه تعليق الرواية به
بل بما ذكر من أحوال

على القلب كقولهم راء فى رأى أمان اكتفينا بالياء فتارة بالياء المشددة على القلب الهمزة
ياء والادغام أو من الرى الذى هو النعمة والترف من قولهم ريان من النعيم والثانى
لياء على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف القلوب وهو ريانا بخذف الهمزة
والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وأما بازاي المنقطة من فوق زيا فاشتقاقه من
الزى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء والله أعلم * قوله تعالى
(قل من كان فى الضلالة فلنمد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون امالوا العذاب واما
الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جنسا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
وبالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا) اعلم ان هذا هو الجواب الثانى عن
تلك الشبهة وتقريره لغرض ان هذا الضلال المتعم فى الدنيا قدم الله فى أجله وأمهله مدة
مديدة حتى ينضم الى النعمة العظيمة المدة الطويلة فلا بد وان ينتهى الى عذاب فى الدنيا
أو عذاب فى الآخرة بعد ذلك فسيعلمون ان نعم الدنيا ما تنفذهم من ذلك العذاب فقوله
فسيعلمون من هو شر مكانا مذكور فى مقابلة قولهم خير مقاماً وأضعف جنسا فى مقابلة
قولهم أحسن نديافين تعالى انهم وان ظنوا فى الحال ان منزلتهم أفضل من حيث فضلهم
الله تعالى بالمقام والندى فسيعلمون من بعد ان الامر بالضد من ذلك وانهم شر مكانا فانه
لا مكان شر من النار والمنافسة فى الحساب واضعف جنسا فقد كانوا يظنون وهم فى الدنيا
ان اجتماعهم يرفع فاذا رأوا أن لا ناصر لهم فى الآخرة عرفوا عند ذلك انهم كانوا فى الدنيا
مبطلين فيما ادعوه * بقى البحث عن الالفاظ وهو من وجوه (أحدها) مدله الرحمن أى
أمهله وأملى له فى العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لامحالة
كالأمور المشتمل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعلم كم ما يتذكر فيه
من تذكر وكقولهم انما على لهم ليزدادوا انما (وثانيها) ان قوله اما العذاب واما الساعة
يدل على ان المراد بالعذاب عذاب يحصل قبل يوم القيامة لان قوله واما الساعة المراد منه
يوم القيامة ثم العذاب الذى يحصل قبل يوم القيامة يمكن أن يكون هو عذاب القبر ويمكن
أن يكون هو العذاب الذى سيكون عند المعينة لانهم عند ذلك يعلمون ما يستحقون
ويمكن أيضا أن يكون المراد تغير أحوالهم فى الدنيا من العز الى النذل ومن الغنى الى الفقر
ومن الصحة الى المرض ومن الأمن الى الخوف ويمكن أن يكون المراد تسليط المؤمنين
عليهم ويمكن أيضا أن يكون المراد ما نالهم يوم بدر وكل هذه الوجوه مذكورة واعلم انه
تعالى بين بعد ذلك انه كما يعامل الكفار بما ذكره فكذلك يزبد المؤمنين المهتدين هدى
واعلم اننا بين امكان ذلك بحسب العقل فنقول انه لا يبعد أن يكون بعض أنواع الاهتداء
مشروطا ببعض فان حاصل الاهتداء يرجع الى العلم والامتناع فى كون بعض
العلم مشروطا ببعض فمن اهتدى بالهداية التى هى الشرط صار بحيث لا يتمتع أن
يعطى الهداية التى هى المشروط فصح قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى مثاله الايمان

الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما يبنى عنه قوله تعالى (نوزهم أزا) فانه اما حال * هدى
مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جوابا لغنائش من صدر الكلام كأنه قبل ماذا يفعل الشياطين

والهز والاستغفار از أخوات
معناها شدة الازواج
(فلا تنجل عليهم) أى
أن يهللكوا حسبما تنقضيه
جناياتهم ويبدوا عن
آخرهم وتطهر الأرض
من فساداتهم والفاء
الاشعار بكون ما قبلها
مظنة لوقوع المنهى
عنه محوجة الى النهى
ككافى وقوله تعالى ان هذا
عدوك ولزوجك فلا
يغر جنكما من الجنة
وقوله تعالى (انما نعداهم)
(فدا) تعليل لموجب النهى
ببيان اقتراب هلاكهم
أى لا تستعجل بهلاكهم
فانه لم يبق لهم الايام
وأفاس نعداهم
(يوم نحشر المتقين)
منصوب على الظرفية
بفعل مؤخر قد حذف
الاشعار بضيق العبارة
عن حصره وشرحه
لكمال فطاعة ما بقى
فيه من الطامة الثامنة
والدواهي العامة كأنه
يل يوم نحشر المتقين
نجمهم (الى الرحمن)
الى ربهم الذى يغفرهم
رحمته الواسعة (وفدا)
افاد عن علمه كأنه

الوفود على السلوك متظرن ﴿ ١٠٤ ﴾ خا لكرامتهم وانعامهم (واسوق المجرمين) كاتساق البهائم
(الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يورده الا العطش او كالدواب

التي ترد الماء فتعمل بالغريقين من الافعال الما لا في بيانه ﴿٨٢٦﴾ نطق القائل وقيل منصوب على المفعولة بمضمر

مقدم خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم أي
أذكر لهم بطريق الترغيب
والترهيب يوم نحشر الخ
وقيل على الظرفية لقوله
تعالى (لا يملكون
الشفاعة) والذي
يفتضيه مقام التهويل
وتستدعيه جزالة التنزيل
أن ينتصب بأحد الوجهين
الأولين ويكون هذا
استثناء فامينا لبعض ما فيه
من الأمور الدالة على
هوله وضيمه عائد إلى العباد
المذلون عليهم بذكر
الفرقيين لأنحصارهم
فيهما وقيل إلى المتقين
خاصة وقيل إلى المجرمين
من الكفرة وأهل
الاسلام والشفاعة على
الأولين مصدر من المبني
للفاعل وعلى الثالث
ينبغي أن تكون مصدرا
من المبني للمفعول وقوله
تعالى (الامن اتخذ عند
الرحن عهدا) على
الأول استثناء متصل من
لا يملكون ومحل المستثنى
إما الرفع على البدل أو
النصب على أصل الا
ستثناء والمعنى لا يملك
العباد أن يشفعوا غيرهم

قال اني اذا بعثت وجئتني فسيكون لي ثم مال و ولد فأعطيتك وقيل صاغ خبابه حلبا
فأقتضاه فطلب الاجرة فقال انكم تزعمون أنكم تبشرون وأن في الجنة ذهباً وفضة
وحريرا فانا أقضيتكم ثم فاني أوتى ما لا وولد احييتكم أجاب الله تعالى عن كلامه بقوله
أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال صاحب الكشف أطلع الغيب من قولهم
أطلع الجبل أي ارتقى إلى أعلاه ويقال مر مطلعا لذلك الامر أي غالبه مال كاله
والاختيار في هذه الكلمة أن نقول أو قد بلغ من عظم شأنه أنه ارتقى إلى علم الغيب الذي
توحده الواحد القهار والمعنى ان الذي ادعى انه يكون حاصلا له لا يتوصل اليه الا بأحد
هذين الامرين اما علم الغيب واما عهد من علم الغيب فبأيهما توصل اليه وقيل في العهد
كلمة الشهادة عن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ثم انه سبحانه بين
من حاله ضد ما دعاه فقال كلا وهي كلمة ردع وتنبية على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقوله
ويثناه فان قيل لم قال سنكتب ما يقول بسين التسوية وهو كما قاله كتب من غير تاخير
قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلنا فيه وجهان (أحدهما) سيظهر له
ويعلم اننا كتبنا (الثاني) ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك وان كان في الحال في
الانتقام ويكون غرضه من هذا الكلام محض التهديد فكذا ههنا أما قوله تعالى ونمده
من العذاب مدا أي نطوله من العذاب ما يستأهله ويزيده من العذاب ونضاعفه
من المدد ويقال مده وأمه بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام ونمده
بالضم أما قوله وزنه ما يقول أي يزول عنه ما وعده من مال وولد فلا يعود كما لا يعود الارث
إلى من خلفه واذا سلب ذلك في الآخرة بقي فردا فلذلك قال وبأيتنا فردا فلا يصح أن
ينفرد في الآخرة بمال وولد وقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة والله أعلم * قوله
تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) لا سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضد ألم ثم انارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما تعدلهم
عدا يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اعلم انه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والنشر
تكلم الآن في الرد على عباد الاصنام فعبى عنهم انهم انما اتخذوا آلهة لانفسهم
ليكونوا لهم عزاً حيث يكونون لهم عبد الله شفعاء وأنصارا ينفذونهم من الهلاك ثم
أجاب الله تعالى بقوله كلا هو ردع لهم وانكار لتعز زهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا
سيكفرون بعبادتهم أي كلهم سيكفرون بعبادة هذه الاوثان وفي محاسب ابن جني كلا بفتح
الكاف والتثوين وزعم ان معناه كل هذا الاعتقاد والرأي كلا قال صاحب الكشف
ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها القهاتون كما في قوارير
واختلفوا في ان الضمير في قوله سيكفرون يعود إلى المعبود أو إلى العابد فذهب من قال انه
يعود إلى المعبود ثم قال بعضهم أراد بذلك الملائكة لانهم في الآخرة يكفرون بعبادتهم

الامن استعده بالحكي بالايان والتقوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الامير إلى فلان بكذا اذا * ويتبرون *
أمره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان

والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة ﴿ ٨٢٧ ﴾ وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى

منصوب على البدل
أو على أصل الاستثناء
أى لا يملك المقنون
الشفاعة الاشفاعة من
اتخذ العهد بالاسلام
فيكون ترغيبا في الاسلام
وعلى الثالث استثناء
من لا يملكه أيضا
والمستثنى مرفوع على
البدل أو منصوب
على الأصل والمعنى
لا يملك الجرمون أن
يشفع لهم الا من كان
منهم مسلما (وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا)
حكاية لجناية اليهود
والنصارى ومن يزعم
من العرب أن الملائكة
بنات الله سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا
اثر حكاية عبدة الاصنام
بطريق عطف القصة
على القصة وقوله تعالى
(لقد جئتم شيئا ادا)
رد لما اتهمه الباطلة
ونهويل لامرها
بطريق الالتفات المنبئ
عن كمال السخط وشدة
الغضب المفصح عن
غاية التشنيع والتقبيح
وتسجيل عليهم بهيمة
الوقاحة والجهل

و يتبرئ منهم ويخاصونهم وهو المراد من قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقال آخرون
ان الله تعالى يحى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرؤا منهم فيكون ذلك
أعظم لحسرتهم ومن الناس من قال الضمير يرجع الى العباد أى ان هؤلاء المشركين يوم
القيامة ينكرون انهم عبدوا الاصنام ثم قال تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين أما قوله و يكونون عليهم ضدا فذلك مقابلته قوله لهم عزا
والمراد ضدا العز هو الذل والهوان أى يكونون عليهم ضدا لما قصدهم وأرادوه كأنه
قيل و يكونون عليهم ذلالهم لاعزا أو يكونون عليهم عونا والصد العون يقال من
أضدادكم أى من أعوانكم وكان العون يسمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعائتك
عليه فان قيل ولم يحد قلنا واحد توحيد قوله عليه السلام وهم يدعى من سواهم لاتفاق
كلماتهم فانهم كشيء واحد لفرط انتظامهم وتوافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم
وقود النار وحصب جهنم ولانهم عبدوا بسبب عبادتها واعلم انه تعالى لما ذكر حال هؤلاء
الكفار مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا فانهم يستولونهم
وينقادون لهم فقال انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) اجتمع الاصحاب بهذه الآية على ان الله تعالى مر يد الجميع الكائنات
فقالوا قول القائل أرسلت فلانا على فلان موضوع فى اللغة لافادة انه سلطه عليه لارادة
أن يستولى عليه قال عليه السلام سم الله وأرسل كلبك عليه اذا ثبت هذا فقوله انا أرسلنا
الشياطين على الكافرين يفيد انه تعالى سلطهم عليهم لارادة أن يستولوا عليهم وذلك
يفيد المقصود ثم يتأكد هذا بقوله تؤزهم أزا فان معناه انا أرسلنا الشياطين على
الكافرين لتؤزهم أزا ويتأكد بقوله واستفرز من استطعت منهم قال القاضى حقيقة
اللفظ توجب أنه تعالى أرسل الشياطين الى الكفار كما أرسل الانبياء بأن حملهم رسالة
يؤدونها اليهم فلا يجوز فى تلك الرسالة الا ما أرسل عليه الشياطين من الاغواء فكان يجب
فى الكفار أن يكونوا بقبولهم من الشياطين مطيعين وذلك كفر من قائله ولان من المحب
تعلق المحبة بذلك لان عندهم ان ضلال الكفار من قبله تعالى بأن خلق فيهم الكفر وقدر
الكفر فلان تأثير لما يكون من الشيطان واذا بطل حمل اللفظ على ظاهره فلا بد من التأويل
فحمله على انه تعالى خلى بين الشياطين وبين الكفار وما منعهم من اغوائهم وهذه
التخيلة تسمى ارسالا فى سعة اللغة كما اذا لم يمنع الرجل كلبه من دخول بيت جيرانه يقال
أرسل كلبه عليه وان لم يرد أذى الناس وهذه التخيلة وان كان فيها تشديد للمحنة عليهم
فهم متمكنون من أن لا ينفوا منهم ويكون ثوابهم على ترك القبول أعظم والدليل عليه
قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
أنفسكم هذا تمام كلامه ونقول لانسلم انه لا يمكن حله على ظاهره فان قوله الشياطين
لأرسلهم الله الى الكفار لكان الكفار مطيعين له بقبول قول الشياطين قلنا الله تعالى

والجراءة والادبال كسر والقبح العظيم المنكر والاداة الشدة وأدنى الامر وأدنى أثقلنى وعظم على أى فعلتم أمرانكرا
شديدا لا يقادر قدره فان جاء وأنى يستعملان فى معنى فعل فبعد ان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) الخ صفة لاداء أو

استئناف ببيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد ﴿ ٨٢٨ ﴾ بالذكير (يتفطرن منه) يشفقن مرة بعد

أخرى من عظم ذلك
الامر وقرئ يتفطرن
والاول ابلغ لان تفعل
مطاوع فعل وانفعل
مطاوع فعل ولان أصل
التفعل التكلف (وتشقق
الارض) أى ونكاد
تشقق الارض (وتخر
الجبال) أى تسقط وتهدم
وقوله تعالى (هذا)
مصدر مؤكده لحدوف
هو حال من الجبال أى
تهدم هذا أو مصدر من
المبنى للمفعول مؤكده
أخر على غير الصدر لانه
حينئذ بمعنى التهدم
والخرور كأنه قيل وتخر
الجبال خرور أو مصدر
بمعنى المفعول منصوب
على الحالية أى مهددة
أو مفعول له أى لانها
تهدم وهذا تقرير لكونه
إذا والمعنى أن هول تلك
الكلمة انشعاب وعظما
بحيث لو تصورت بصورة
محسوسة لم تطق بها
هابك الاجرام العظام
وتفتنت من شدتها وأن
فطاعتها في استجلاب
الغضب واستجباب
السخط بحيث لو لاحظه
تعالى لخرب العالم

ما أرسل الشياطين الى الكفار بل أرسلها عليهم والارسال عليهم هو التسليط لارادة أن
يصير مستوليا عليه فأين هذا من الارسال اليهم قوله ضلال الكافر من قبل الله تعالى
فأى تأثير للشيطان فيه قلنا لم لا يجوز أن يقال ان اسماع الشيطان اياه تلك الوسوسة
يوجب في قلبه ذلك الضلال بشرط سلامة فهم السامع لان كلام الشيطان من خلق الله
تعالى فيكون ذلك الضلال الحاصل في قلب الكافر منسبا الى الشيطان والى الله تعالى
من هذين الوجهين قوله لم لا يجوز أن يكون المراد بالارسال التخليه قلنا كما خلى بين
الشيطان والكفرة فتدخل بينهم وبين الانبياء ثم انه تعالى خص الكافر بأنه أرسل
الشيطان عليه فلا بد من فائدة زائدة ههنا ولان قوله تؤزهم أزال أى تحر كهم تحر يكا
شديدا كالعرض من ذلك الارسال فوجب أن يكون ذلك الأزمير اذ الله تعالى ويحصل
المقصود منه فهذا ما في هذا الموضع والله أعلم (المسئلة الثانية) قال ابن عباس تؤزهم
أزال أى تزعجهم في المعاصى ازجا جازلت في المستهزئين بالقرآن وهم خمسة رهط قال صاحب
الكشاف الازوالهز والاستفزاز أخوات في معنى التسيج وشدة الازعاج أى تعزيمهم على
المعاصى وتزعجهم وتزعجهم لها بالوساوس والتسويلات أما قوله تعالى فلا تجعل عليهم
نعدا لهم عدا يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجلته به أى لا تجعل عليهم بان يهلكوا أو يبيدوا
حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس ينك وبين ما نطلب من هلاكهم الايام
محصورة وأنفاس معدودة ونظيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ عن ابن عباس انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد
خروج نفسك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن ابن السماك
رحم الله انه كان عند المأمون قراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها عدد
فما أسرع ما تنفذ وذكروا في قوله نعدا لهم عدا وجهين آخرين (الاول) نعدا نفاسهم
وأعمالهم فتجازيهم على قليلها وكثيرها (والثاني) نعدا الاوقات الى وقت الاجل المعين
لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الا زيادة والنقصان ثم بين سبحانه ما سيظهر في ذلك اليوم من
الفصل بين المتقين وبين الجرمين في كيفية الحشر فقال يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا قال صاحب الكشاف نصب يوم بمحض أى يوم نحشرون وسوق نفع بالفر يقين مالا
يحيط به الوصف أو اذكر يوم نحشر ويجوز أن ينصب بلا يملكون عن على رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ان المتقين اذا خرجوا من
قبورهم استلبوا بنوق بيض لها أجحمة عليها رجال الذهب ثم تلا هذه الآية وفيها مسائل
(المسئلة الاولى) قال القاضي هذه الآية أحد ما يدل على ان أهوال يوم القيامة تختص
بالجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فهم آمنون
من الخوف فكيف يجوز أن تنالهم الاهوال (المسئلة الثانية) المشبهة احتجوا بالآية
وقالوا قوله الى الرحمن يفيد ان انتهاء حركتهم يكون عند الرحمن وأهل التوحيد يقولون

وبدت قوائمه غضبا على من تقوه بها (أن دعوا للرحمن ولدا) منصوب على حذف اللام المتعلقة بنكاد والمعنى
أو مجرور باضمارها أى نكاد السموات يتفطرن والارض تشقق والجبال تحرلأن دعواله

سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهذا وقيل الجملة ﴿ ٨٢٩ ﴾ بدل من الضمير المجزور في منه كافي قوله * على جود

الضن بالماء حاتم * وقيل
خبر مبتدأ محذوف أي
الموجب لذلك أن يدعو
الخ وقيل فاعل هذا
أي هدها دعاء الولد
والاول هو الاول ودعو
من دعا بمعنى سمي المتمد
الى مفعولين وقد اقتضه
على ثابتهما ليتناول
كل ما دعى له ولدا أو من د
بمعنى نسب الذي مطاوع
ادعى الى فلان أي اننس
اليه وقوله تعالى (وما ينبغي
للرحن أن يتخذ ولدا)
حال من فاعل قالوا
او دعوا مقدره لبطلان
مقاتلهم واستحالة تحقق
مضمونها أي قالوا اتخذ
الرحن ولدا أو أن دعوا
للرحن ولدا والحال
انه ما يليق به تعالى اتخا
الولد ولا يتطلب له لوطلد
مثلا لاستحالة في نفسه
ووضع الرحن موضع
الضمير للاشهاد به
الحكم بالتنبيه على أن كل
ماسواه تعالى اما نعمته
أو منعم عليه فكيف يأنس
أن يجانس من هو مبدأ
النعم ومولى أصولها
وفروعها حتى يتوهم
أن يتخذ ولدا وقد صرح

المعنى يوم نحشر المتقين الى محل كرامة الرحمن (المسئلة الثالثة) طعن المحدث فيه فقال
قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا هذا انما يستقيم أن لو كان الخاشع غير الرحمن أما
إذا كان الخاشع هو الرحمن فهذا الكلام لا ينظم أجاب المسلمون بأن التقدير يوم نحشر
المتقين الى كرامة الرحمن أما قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قوله ونسوق يدل على
انهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد اسم
للعطاش لأن من يرد الماء لا يرد الا للعطش وحقيقة الورود السبر الى الماء فسمى به
الواردون أما قوله لا يملكون الشفاعة أي فليس لهم والظاهر ان المراد شفاعتهم لغيرهم
أو شفاعة غيرهم لهم فلذلك اختلفوا وقال بعضهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك
المؤمنون وقال بعضهم بل المراد لا يملكون أن يشفعوا لهم وهذا الثاني أولى لأن حل
الآية على الاول يجرى مجرى ايضاح الواضحات وإذا ثبت ذلك دلت الآية على حصول
الشفاعة لاهل الكبر لأن قال عقيبه الامن اتخذ عند الرحمن عهدا والتقدير ان هؤلاء
لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهدا التوحيد
والنبوة فوجب أن يكون داخل تحتها ومما يؤكده قولنا ما روى ابن مسعود انه عليه
السلام قال لا صحابه ذات يوم أي يجزأ أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا
وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني أعهد اليك باني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا
عبدك ورسولك فانك ان تكلفني الى نفسي تقر باني من الشر وتباعدني من الخير وان
لأنق الابرحتك فاجعل لي عهدا توفيقيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قل ذلك
طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين
لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة فظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة
الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على الشفاعة لاهل الكبر وقال القاضي الآية
دالة على مذهبه وقد ظهر ان الآية قوية في الدلالة على قولنا والله أعلم * قوله تعالى
(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هذا ان دعوا للرحن ولدا وما ينبغي للرحن أن يتخذ ولدا ان كل من في
السموات والارض الا أتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم
القيامة فردا) اعلم انه تعالى لما رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له وادعاه
اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله
والكل داخلون في هذه الآية ومنهم من خصها بالعرب الذين أثبتوا أن الملائكة بنات
الله قالوا لان الرد على النصارى تقدم في أول السورة أما الآن فانه لما رد على العرب
الذين قالوا بعبادة الاوثان تكلم في افساد قول الذين قالوا بعبادة الملائكة لكونهم بنات
الله أما قوله لقد جئتم شيئا ادا فكري ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب

قوله عز قائلا (ان كل من في السموات والارض) أي ما منهم أحد من الملائكة والنفلين (الا أتى الرحمن عبدا)
الا وهو يملوك له ياوى اليه بالعبودية والانقياد وقرى آت

الرجن على الاصل (لقد أحصاهم) اى حصصهم ﴿ ٨٣٠ ﴾ وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد

من حيلة علمه وقبضة قدرته وملاكوته (وعدهم عدا) أى عد اشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتبه يوم القيامة فردا) أى كل واحد منهم آتاه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لوقيل بآتبه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كذا ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئا منهم ولدا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن أحوال المؤمنين (يجعل لهم الرجن ودا) أى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا أحب الله عبد ايقول لجبريل عليه السلام انى أحب فلانا

وقيل المنكر العظيم والادة الشدة وأدنى الامر وأدنى الثقلنى قرئ يتفطرن بالباء بعد الياء أعنى المحبة من تحتها واختلفوا فى يكاد فقرأ بعضهم بالياء المجبة من تحتها وبعضهم بالياء من فوق والانفطار من فطره اذا سقته والتفطر من فطره اذا سقته وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود يتصد عن وقوله وتخرا الجبال هداى أى تهد هدا أو مهدودة أو مفعول له أى لانها تهد والمعنى أنها تساقط أشد ما يكون تساقط البعض على البعض فان قيل من أين يؤثر القول بآيات الولد لله تعالى فى انقطاع السموات وانشقاق الارض وخروج الجبال قلنا فيه وجوه (أحدها) ان الله سبحانه وتعالى يقول أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا منى على من تقوى بها لولا حلى واتى لأعجل بالعبودية كما قال ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا (وثانيها) أن يكون استعظاما للكلمة وهو بلا من فضاعتها وتصويرا لآثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده (وثالثها) ان السموات والارض والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول وهذا تأويل أبى مسلم (ورابعها) ان السموات والارض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها أما قوله أن دعوا للرجن ولدا ففيه مسائل (المسئلة الاولى) فى اعرابه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مجرورا بدلا من الهاء فى منه أو منصوبا بتقدير سقوط اللام واخضاء الفعل أى هذا لان دعوا أو مرفوعا بانه فاعل هداى هدا دعاء الولد للرجن والحاصل انه تعالى بين ان سبب تلك الامور العظيمة هذا القول (المسئلة الثانية) انما كرر لفظ الرجن مرات تنبيهها على انه سبحانه وتعالى هو الرجن وحده من قبل ان أصول النعم وفروعها ليست الامنة (المسئلة الثالثة) قوله دعوا للرجن هو من دعا بمعنى سعى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذى هو الثانى طلبا للعموم والاحاطة بكل من ادعى له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه قال الشاعر * انا بنى نهشل لاندعى لآب * أى لا تنتسب اليه ثم قال تعالى وما ينبنى للرجن أن يتخذ ولدا أى هو محال أما الولادة المعروفة فلا مقال فى امتناعها وأما التبنى فلان الولد لا بد وأن يكون شبيها بالوالد ولا مشبه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تنفع فى الله من سروره واستعانت به وذكر جيل وكل ذلك لا يلبق به ثم قال ان كل من فى السموات والارض الآتى الرجن عبدا والمراد انه ما من معبود لهم فى السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو أى الرجن أى باوى اليه ويلجئ الى ربوبيته عبدا متفاداه طيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والاول اول لانه لا تخصيص فيه وقوله لقد أحصاهم وعدهم عدا أى كلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته فهو سبحانه محبطهم ويعلم مجمل أمورهم وتسلطها لا يفوته شئ من

فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء ان الله أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ﴿ احوالهم ﴾ ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك معقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك

ثم أنجزه حينئذ بالاسلام أولان الموعود ﴿ ٨٣١ ﴾ في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الشهاد فيترع

ما في صدورهم من الغل
الذي كان في الدنيا
ولعل افراد هذا بالوعد
من بين ماسيقون يوم
القيامة من الكرامات
السنية لما أن الكفرة
سبقت بينهم يومئذ
تباعض وتضاد
وتقاطع وتلاعن (فانما
يسرناه) أي القرآن
(بلسانك) بأن أنزلناه
على لسانك والباء بمعنى
على وقبل ضمن التيسير
معنى الانزال أي يسرنا
القرآن منزلا في قلبك
والفاء لتعليل أمر
ينساق اليه النظم
الكرام كانه قيل بعد
ايحاء السورة الكريمة
بلغ هذا المنزل أو بشر به
وأندر فانما يسرناه
بلسانك العربي المبين
(لتبشر به المتقين) أي
الصائرين الى التقوى
بامثال ما فيه من الامر
وانتهى (وتنذر به
قومالدا) لا يؤمنون به
لجأوا وعنادوا والاد جمع
الولد وهو الشديد
الخصومة اللجوج المعاند
وقوله تعالى (وكم
أهلكنا قبلهم من قرن)

أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد
وهم برآء منهم ﴿ قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل
نحس منهم من أحد أو نسميهم ركزا) اعلم انه تعالى لما رد على أصناف الكفرة وبالع في
شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة - أتم السورة بذكر أحوال المؤمنين فقال ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا والفسرين في قوله ودا قولان (الاول)
وهو قول الجمهور انه تعالى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير نود
منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتب الناس بها مودات القلوب من قرابة أو صداقة
أو اصطناع معروف أو غير ذلك وانما هو اختراع منه تعالى وابتداء تخصيصا لأولياءه
بهذه الكرامة كما قد في قلوب أعدائهم الرعب والهيبه اعظاما لهم واجلالا لمكانهم
والسين في سيجعل امالان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة فيحبهم الى خلقه
بما تعرض من تحسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
الآية اذا أحب الله عبد انادى جبريل قد أحيت فلانا فأحبهه فينادى جبريل عليه
السلام بذلك في السماء والارض واذا أبغض عبدا فبغض ذلك وعن كعب قال مكتوب في
التوراة والانجيل لالحبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءها من الله تعالى ينزلها على
أهل السماء ثم على أهل الارض وتصدق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا
(القول الثاني) وهو اختبار أبي مسلم معنى سيجعل لهم الرحمن ودا أي يهب لهم ما يحبون
والود والمحبة سواء يقال آتيت فلانا بحبته وجعل لهم ما يحبون وجعلته وده ومن
كلامهم يود لو كان كذا ووددت أن لو كان كذا أي أحببت ومعناه سيعطيهم الرحمن
ودهم أي محبوبهم في الجنة (والقول الاول) أولى لان حل المحبة على المحبوب مجاز
ولانادى كرنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وفسرها بذلك فكان ذلك أولى
وقال أبو مسلم بل القول الثاني أولى لوجوه (أحدها) كيف يصح القول الاول مع علمنا
بأن المسلم الذي يبغضه الكفار وقديبغضه كثير من المسلمين (وثانيها) ان مثل هذه المحبة
قد تحصل للكفار والفاسق أكثر فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين (وثالثها) ان
محبتهم في قلوبهم من فعلهم لأن الله تعالى فعله فكان حمل الآية على اعطاء المنافع
الآخر وية أولى والجواب عن الاول ان المراد يجعل لهم الرحمن محبة عند الملائكة
والانبياء وروى عنه عليه السلام انه حكى عن ربه عز وجل انه قال اذا ذكرني عبدي
المؤمن في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملاذكرته في ملا أطيب منهم وأفضل وهذا
هو الجواب عن الكلام الثاني لان الكافر والفاسق ليس كذلك والجواب عن الثالث
انه محمول على فعل الاعطاء وخلق داعية الكرامة في قلوبهم أما قوله تعالى فانما يسرناه

وعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالهلاك وحثه عليه الصلوات والسلام على الانذار أي قرنا كثيرا
أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى (هل نحس منهم من أحد) استئناف مقرر للمؤمنين ما قبله أي هل نضر واحد

مهم وري (أو تسمع
 لهم ركزا) أي صوتا
 خفيا وأصل الركز هو
 الخفاء ومنه ركز الرمح
 في الأرض طرفه في الأرض
 والركاز المال المدفون
 الخفي والمعنى أهلكناهم
 بالكيفية واستأصلناهم
 بحيث لا يرى منهم أحد
 ولا يسمع منهم صوت
 خفي * عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة مريم
 أعطى عشر حسنات
 بعدد من كذب زكريا
 وصدق به وبمجي
 وعيسى ومريم وسائر
 الأنبياء المذكورين
 فيها وبعد من دعا الله
 تعالى في الدنيا ومن لم
 يدع الله تعالى

بلسانك تبشّر به المتقين فهو كلام مستأنف يبين به عظم موقع هذه السورة لما فيها من
 التوحيد والنبوة والحشر والنشر والرد على فرق المضلين المبتلين فيبين تعالى أنه يسر
 ذلك بلسانه ليشر به وينذروا لأنهم تعالى نقل قصصهم إلى اللغة العربية لما تبسر ذلك
 على الرسول صلى الله عليه وسلم فأما أن القرآن يتضمن تبشير المتقين وإنذار من خرج منهم
 فيبين لكنه تعالى لما ذكر أنه يبشر به المتقين ذكر في ما يبلت من هو في مخالفة التقوى أبلغ
 وأبلغهم الإلاد الذي يتسك بالباطل ويبادل فيه ويتسدد وهو معنى لدائم أنه تعالى ختم
 السورة بموعظة بليغة فقال وكم أهلكنا قبلهم من قرن لأنهم إذا نأملوا وعلموا أنه لا بد من
 زوال الدنيا والانتها إلى الموت خافوا ذلك وخافوا أيضا سوء العاقبة في الآخرة فكانوا
 فيها إلى الحذر من المعاصي أقرب ثم أكد تعالى ذلك فقال هل تحس منهم من أحد لا ت
 الرسول عليه السلام إذا لم يحس منهم أحد أبوية أو أدراك أو وجدان ولا يسمع لهم ركزا
 وهو الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون
 دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكيفية والأقرب في قوله أهلكنا أن المراد به
 الانقراض بالموت وإن كان من المفسرين من حمله على العذاب
 المجل في الدنيا والله أعلم بالصواب واليه المرجع
 والمآب والحمد لله رب العالمين وصلى الله
 على سيدنا محمد النبي الأمي
 وعلى آله وصحبه
 وسلم

تم الجزء الخامس ويليّه الجزء السادس أوله سورة طه عليه السلام

